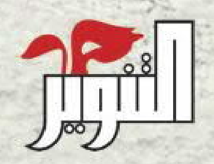
الكِتاب الخامِس من أغنِيَة الجَليد والنّار

جورج ر. ر. مارتن



رقصة مع التنانين

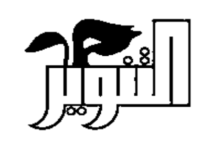


ترجمة هِشام فهمي

چورچ ر. ر. مارتن

رقصة مع التنانين

الكتاب الخامس من أغنيَّة الجليد والنَّار



دار التنوير للنشر والتوزيع

هذا الكتاب مُهدى إلى معجبيَّ

إلى لودي، وتريبلا، وستيجو، وپود، وكارس، ودياجز، وإكس راي ومستر إكس، وكايت، وشاتايا، ومورمونت، وميتش، وچايمي، وڤانسا، ورو،

إلى ستوبي، ولويز، وآجراڤين، ووِرت، ومالت، وچو، وماوس، وتيليسان، وبلاكفاير، وبرون ستون، وكايوتيز دوتر،

وإلى بقيَّة الرِّجال المجانين والنِّساء الضَّاريات في أخوَّة اللا رايات

إلى سَحرة مواقعي الإلكترونيَّة

إليو وليندا، سيِّد وسيِّدة «westeros.org»،

وينتر وفابيو، مؤسِّسَي «winteriscoming.net»،

وجيبز، مؤسِّس «dragonstone.com»، الذي بدأ كلَّ شيء

إلى رجال ونساء آشاي في إسپانيا

الذين غنَّوا لنا عن دُبٍّ وفتاةٍ حسناء،

والمعجبين الرَّائعين في إيطاليا

الذين سقوني الكثير جدًّا من النَّبيذ،

وإلى قرَّائي في فنلندا وألمانيا والبرازيل والبرتغال وفرنسا وهولندا

وكلِّ البلدان البعيدة الأخرى التي انتظرتم فيها هذه الرَّقصة

وإلى جميع الأصدقاء والمعجبين الذين سألتقيهم

شُكرًا على صبركم

الجزء الأول

فترةٌ طويلة مرَّت بين الكتاب السَّابق والحالي، أعرفُ هذا، ولذا فقد تكون هناك حاجة إلى تذكِرة.

الكتاب الذي بين يديك الآن هو الجزء الخامس من «أغنيَّة الجَليد والنَّار». الجزء الرَّابع كان «وليمة للغِربان»، إلَّا أن الجزء الحالي لا يتلوه في الأحداث بالمعنى التقليدي، وإنما يتزامَن معه.

يُواصِل «رقصة» و«وليمة» كلاهما القصَّة مباشرةً من حيث انتهى الجزء الثَّالث من السِّلسلة، الذي حملَ عنوان «عاصفة السُّيوف»، لكن لمَّا كان «وليمة» قد ركَّز على الأحداث في (كينجز لاندنج) وما حولها وفي (جُزر الحديد) و(دورن)، فإن «رقصة» يأخذنا شمالًا إلى (القلعة السَّوداء) و(الجِدار) -وما وراءه- وعبر (البحر الضيِّق) إلى (پنتوس) و(خليج النخَّاسين)، لمتابَعة حكايات تيريون لانستر وچون سنو ودنيرس تارجاريَن، وجميع الشَّخصيَّات الأخرى التي لم ترَها في الجزء السَّابق. إذن، بدلًا من أن تكونا متتاليتَيْن، فالرِّوايتان بالأحرى متوازيتان، مقسومتان جغرافيًّا لا زمنيًّا.

ولكن حتى نقطةٍ معيَّنة.

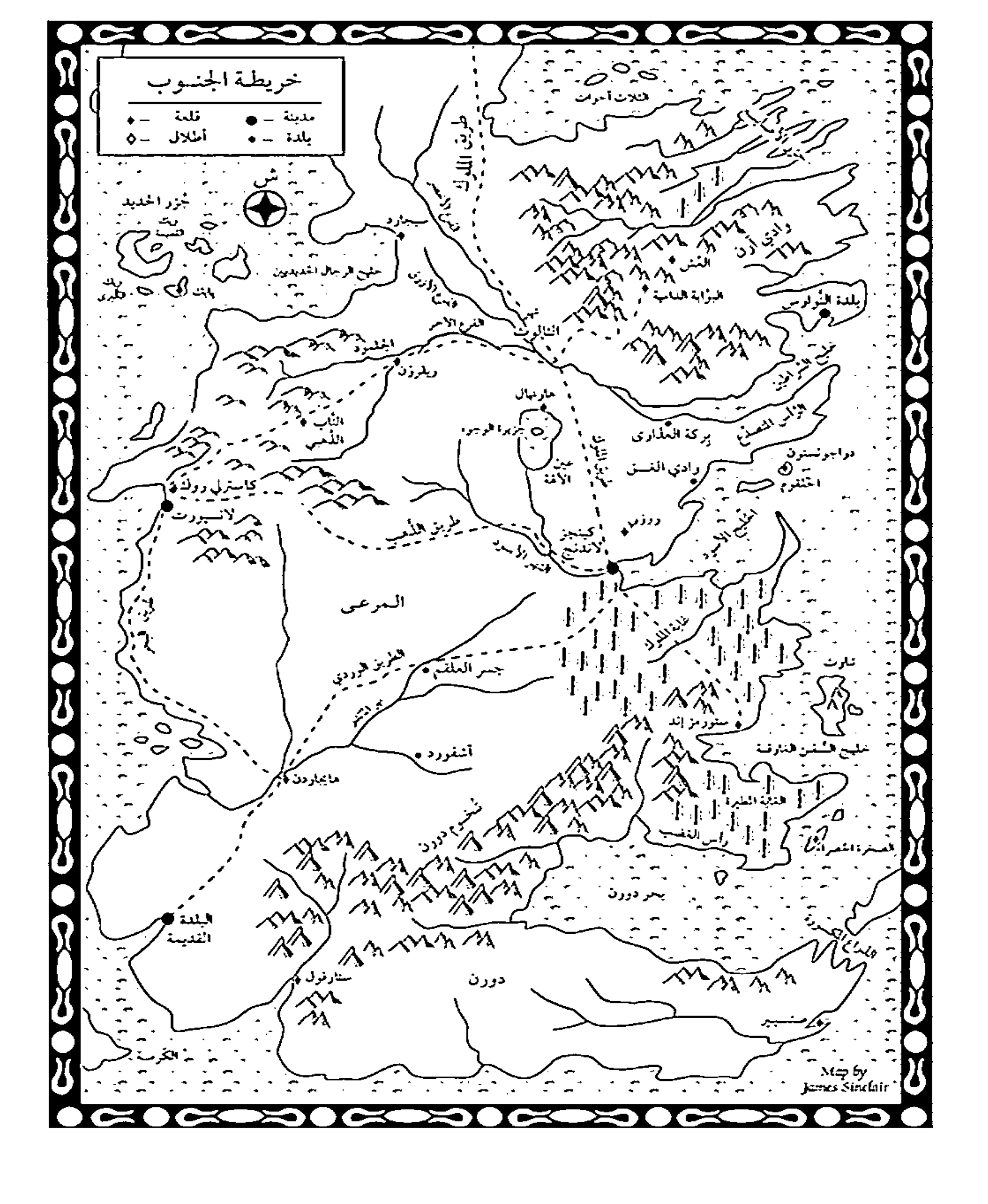
«رقصة مع التَّنانين» كتاب أكبر من «وليمة للغِربان»، ويُغطِّي فترةً زمنيَّةً أطول، وعليه فستُلاحِظ في النِّصف الثَّاني من هذا الجزء ظهور عددٍ من شخصيَّات وجهة النَّظر في «وليمة للغِربان» من جديد، وهو ما يعني ما تحسبه بالضَّبط؛ أن الحكاية تجاوزَت الإطار الزَّمني لـ«وليمة»، وعادَ النُّهيران يتدفَّقان في مجرًى واحد.

الرِّواية التَّالية «رياح الشِّتاء»، حيث آملُ أن يُعاوِد الجميع الارتجاف معًا من جديد...

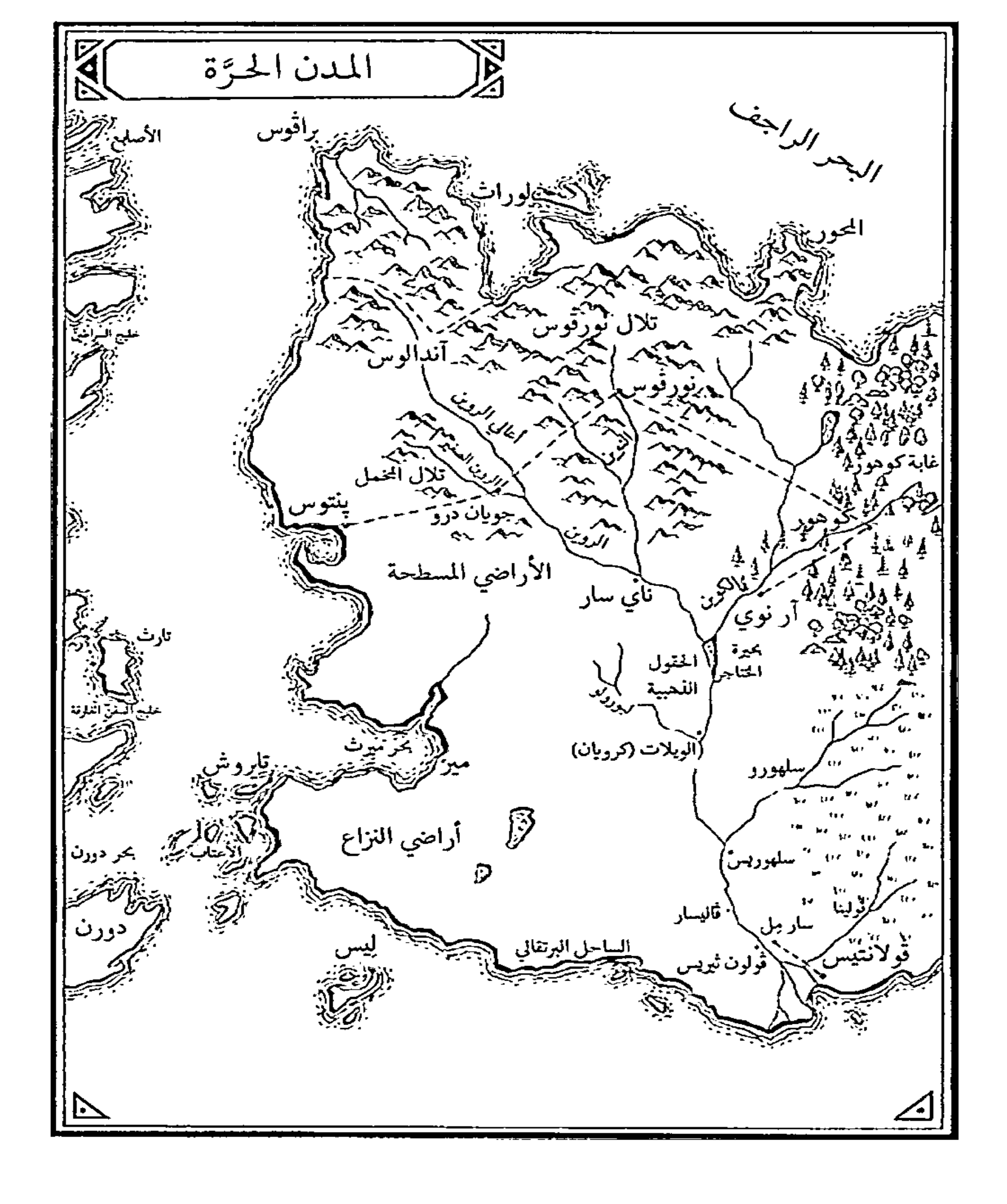
چورچ ر. ر. مارتن
إبريل/نيسان 2011

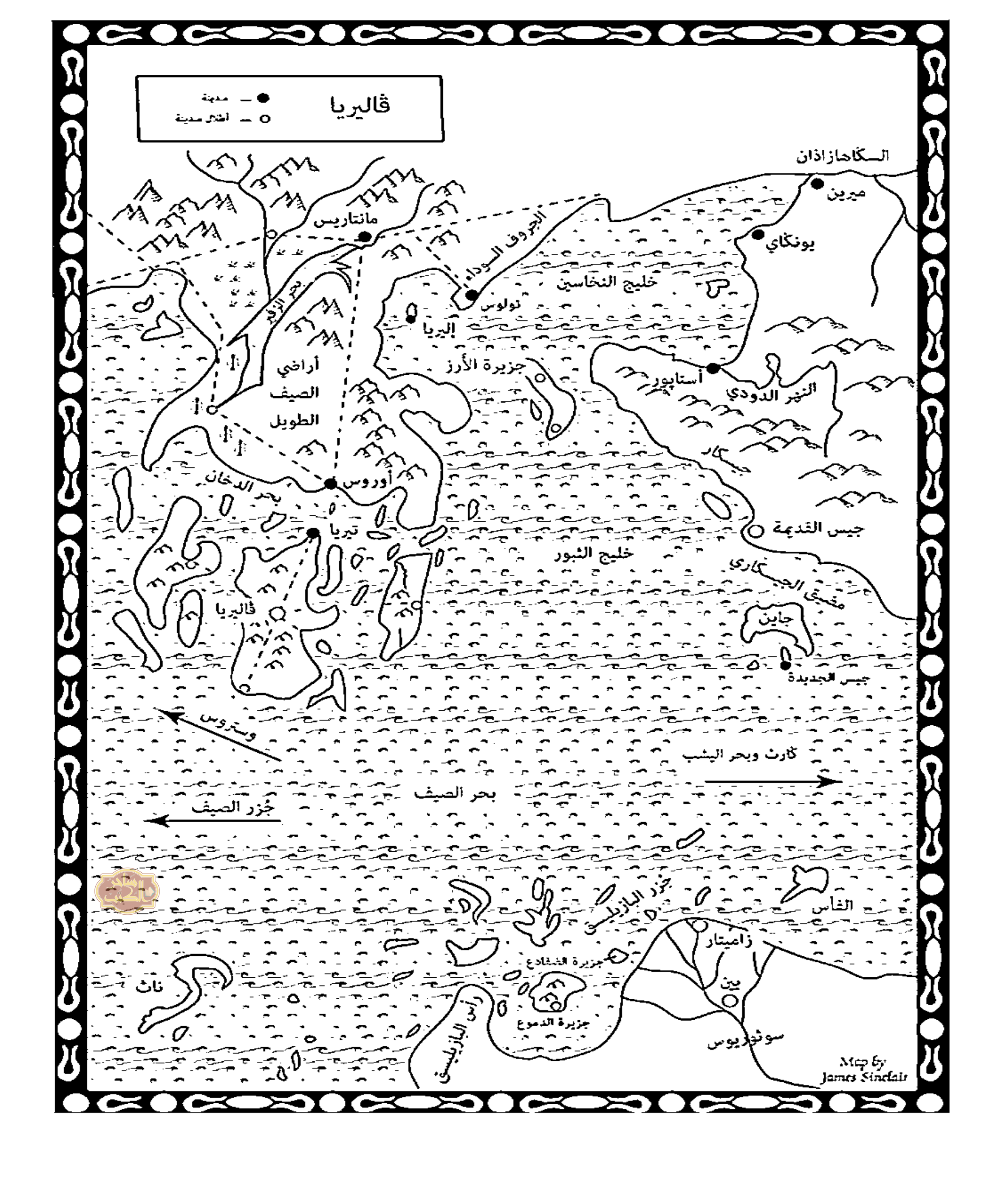


خريطة الشَّمال
مدينة
قلعة
بلدة
أطلال
ش
الساحل المتجمِّد
خليج الجليد
جزيرة الدببة
الغابة المسكونة
الجـــدار
القلعة السوداء
القلعة الشرقية
أراضي الهديَّة
سكاين
خليج الفقمات
سكاجوس
كارهولد
معقل الخوف
وينترفل
مرتع نوربن
روابي القبـــور
الغدران
بلدة الزوابي
الرمح اللاسع
خندق كايلن
بوابة الكباش
الميناء الأبيض
قلعة الأرملة
القلعة العتيقة
الخليج الناعس
جزيرة القمس
سيسترتون
الثلاث أخوات
خليج المياه الأجاجة
إصبع فلينت
راس الكراكن
العنـــق
القلعة الرماديَّة
التَّوأمتان
جزر الحديد
سيجارد
خليج الرجال الحديديين
بايك
الجلمود
الفرع الأزرق
الفرع الأحمر
العُش
البوَّابة الدامية
وادي أرن
Map by
James Sinclair


خريطة الجنوب
مدينة
قلعة
بلدة
أطلال
ش
جزر الحديد
خليج الرجال الحديديين
سيجارد
الثالوث
ريفرون
كاسترلي روك
لانسبورت
طريق الذهب
المرعى
الطريق الوردي
جسر الملتقى
آشفورد
هايجاردن
البلدة القديمة
ستارفول
دورن
بحر دورن
الكرمة
ثلاث أخوات
وادي أرن
العش
البوابة الدامية
بلدة النوارس
بركة العذارى
وادي الغسق
دراجونستون
هارنهال
جزيرة الوجوه
عين الآلهة
كينجز لاندنج
روزبي
الخليج الأسود
غابة الملوك
ستورمز إند
تارث
خليج السفن الغارقة
الغابة المطيرة
رأس الغضب
Map by
James Sinclair


وراء الجدار
قلعة
أطلال قلعة
معاقل حرس الليل
1 - القلعة الغربية عند الجسر
2 - برج الظلال
3 - منصة الحرس
4 - الحارس الرمادي
5 - الباب الحجري
6 - تل الصقيع
7 - باب الجليد
8 - قلعة الليل
9 - البحيرة العميقة
10 - بوابة الملكة
11 - القلعة السوداء
12 - درع البلوط
13 - قلعة الغابة عند البركة
14 - بهو السمور
15 - بوابة الضريب
16 - الرابية الطويلة
17 - المشاعل
18 - الحارس الأخضر
19 - القلعة الشرقية على البحر
أرض الشتاء السرمدي
(غير مرسومة)
البحر الراجف
هاردهوم
نهر القرون
قبضة
البشر الأوائل
الجدار
الغور
براندون
هدية
تاج الملكة
الجديدة
الهدية
خليج الجليد
خليج اللقمات
سكاجوس
1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19
Map by James Sinclair


المدن الحرَّة
البحر الراجف
براڤوس
لوراث
المحور
الأصابع
تلال نورڤوس
آندالوس
نورڤوس
غابة كوهور
كوهور
تلال المخمل
پنتوس
جويان درو
الأراضي المسطحة
ناي سار
آر نوي
الحقول الذهبية
الويلات (كرويان)
سلهورو
سلهوريس
تارث
تايروش
ميز
أراضي النزاع
بحر دورن
الأعتاب
دورن
ليس
الساحل البرتقالي
ڤولون ثيريس
ڤالسار
سار مل
ڤولانتيس



ڤاليريا
مدينة
أطلال مدينة
السكاهازاذان
ميرين
يونكاي
مانتاريس
الجروف السوداء
نولوس
خليج النخاسين
إليريا
أراضي الصيف الطويل
جزيرة الأرز
أستابور
النهر الدودي
بحر الدخان
أوروس
تيريا
ڤاليريا
جيس القديمة
خليج الثبور
مضيق الجسكاري
جيس الجديدة
ويستروس
كارث وبحر اليشب
بحر الصيف
جُزر الصيف
جُزر البازيليسق
الثاس
زاميتار
مين
جزيرة الضفادع
جزيرة الدموع
ناث
رأس البازيليسق
سوثوريوس
Map by James Sinclair

كانت رائحة البَشر الزَّنخة تُفعِم اللَّيل.

توقَّف الوارْج تحت شجرةٍ يتشمَّم الهواء وقد برقشَت الظِّلال فروه البنِّي الرَّمادي، وبلغَته رائحة البَشر محمولةً على تنهيدةٍ من الرِّيح المشبَّعة بالصَّنوبر، تطغى على روائح مختلفة أضعف تُحدِّثه عن الثَّعالب والأرانب البرِّيَّة والفقمات والوعول، وحتى الذِّئاب. يعلم الوارْج أن تلك أيضًا روائح بَشريَّة، روائح جلودٍ قديمة ماتَت وبلَت، تكاد تُغرِقها الرَّوائح الأخرى الأقوى للدَّم والدُّخان والعفَن. وحده الإنسان يُجرِّد الدَّواب الأخرى من جِلدها ويرتدي فروتها وشَعرها.

على عكس الذِّئاب، لا يخاف الأوْراج البَشر. تلوَّى المقت والجوع في معدته، وأطلقَ زمجرةً خفيضةً يُنادي أخاه الأعور وأخته الصَّغيرة الماكرة، وإذ ركضَ بين الأشجار اندفعَ رفيقاه في القطيع بسرعةٍ في أعقابه. هما كذلك شمَّا الرَّائحة، وبينما يَركُض كان بإمكانه أن يرى بأعيُنهما أيضًا، ولمحَ نفسه متقدِّمًا عليهما. خرجَت أنفاس أفراد القطيع بيضاء دافئةً من بين فكوكٍ رماديَّة طويلة، وقد تكوَّن بين كفوفهم جليد بصلابة الحجر، لكن الصَّيد بدأ، والفرائس أمامهم. *طعام، لحم.*

الإنسان مخلوق واهن عندما يكون بمفرده. صحيحٌ أنه كبير قويٌّ ثاقب البصر، لكنه ثقيل السَّمع ويصمُّ أنفه عن الرَّوائح، في حين أن الغزال والإلكة وحتى الأرنب البرِّي أسرع، والدُّب والخنزير البرِّي أشرس في القتال. أمَّا البَشر الذين يتحرَّكون في قُطعانٍ فيُمثِّلون خطرًا. مع دنوِّ الذِّئاب من الفرائس سمعَ الوازِج جرْوًا ينوح، وقشرة ثلوج اللَّيلة الماضية تتكسَّر تحت أقدامٍ بَشريَّة خرقاء، وخشخشة الجلود الصُّلبة والمخالب الرَّماديَّة الطَّويلة التي يحملها الإنسان.

وهمسَ صوت في داخله: *سيوف، حِراب*.

كانت أسنان من الجليد قد نبتَت للأشجار، تُزَمجِر لهم من الفروع البنِّيَّة الجرداء بالأعلى. اندفعَ الأعور يخترق سياج الشُّجيرات الصَّغيرة ناثرًا الثَّلج، وتبعَه رفيقاه في القطيع. صعدوا تلًّا ثم نزلوا المنحدَر من النَّاحية الأخرى، إلى أن انفتحَت أمامهم الغابة وبانَ لهم البَشر. إحداهم أنثى، والحزمة الملفوفة بالفرو التي تقبض عليها جرْوها. همسَ الصَّوت: *دعها للنِّهاية. الذُّكور هُم الخطر*. أخذَ بعضهم يزعق في بعضٍ كما يفعل البَشر، لكن الوازِج شمَّ رائحة خوفهم. كان أحدهم يحمل نابًا خشبيًّا يُناهِزه طولًا، وقد رماهم به، لكن يده كانت ترتجف، وطارَ النَّاب بعيدًا.

ثم انقضَّ عليهم القطيع.

أسقطَ أخوه الأعور رامي النَّاب على ظَهره فوق كومةٍ من الثَّلج ومزَّق حَلقه وهو يُقاوِمه، فيما تسلَّلت أخته من وراء الذَّكر الآخَر وهاجمَته من المؤخِّرة، وهكذا تركا له الأنثى وجرْوها.

هي أيضًا كانت تحمل نابًا صغيرًا مصنوعًا من العظم، إلَّا أنها أوقعَته حين انغلقَ فكَّا الوارْج على ساقها، وإذ سقطَت طوَّقت جزْوها المزعج بكلتا ذراعيها. تحت الفرو الذي ترتديه وجدَ الأنثى جِلدًا على عظم، وإن امتلأ ضرعاها باللَّبن، أمَّا أشهى لحمٍ فكان لحم الجزْو، وقد احتفظَ الوارْج بأفضل القِطع لأخيه.

وحول الجُثث اصطبغَ الثَّلج المتجلِّد بالوردي والأحمر إذ ملأ أفراد القطيع بطونهم.

وعلى بُعد فراسخ، في كوخٍ من حُجرةٍ واحدة من الطِّين والقشِّ، سقفه النَّجيل مزوّد بفتحة تهوية وأرضيَّته من التُّربة الصُّلبة، أخذَ ڤارامير يرتجف ويَسعُل ويلعق شفتيه، عيناه محمرَّتان، وشفتاه مشقَّقتان، وحَلقه جافٌّ يشتعل عطشًا، لكن مذاق الدَّم والدُّهن ملآ فمه، وإن صرخَ بطنه المنتفخ في الآن نفسه طالبًا الغذاء. قال لنفسه متذكِّرًا يَمپ: *لحم طفل، لحم بَشري*. هل بلغَ به الانحطاط أن يشتهي لحم البَشر؟ يكاد يسمع هاجون يقول له مزمجرًا: «للإنسان أن يأكل لحم البهيمة والبهيمة لحم الإنسان، أمَّا أكلُ الإنسان لحم الإنسان ففاحشة».

فاحشة. لطالما كانت هذه كلمة هاجون المفضَّلة. *فاحشة، فاحشة، فاحشة*. أكلُ لحم الإنسان فاحشة، الجماع مع الذِّئب وأنت ذئب فاحشة، وأن تحتلَّ جسد إنسانٍ آخَر فتلك أبشع الفواحش قاطبةً. *هاجون كان ضعيفًا، يخشى ما في نفسه من قوَّة، وماتَ وحيدًا باكيًا حين انتزعتُ منه حياته الثَّانية*. لقد التهمَ ڤارامير قلبه بنفسه. *علَّمني الكثير والكثير، وآخِر ما تعلَّمته منه كان مذاق اللَّحم البَشري*.

على أن ذلك كان وهو ذئب. إنه لم يأكل لحم إنسانٍ بأسنانٍ بَشريَّة قَطُّ، لكنه لن يضنَّ على قطيعه بالوليمة. مِثله، الذِّئاب في أشدِّ الحاجة إلى الطَّعام، وتُعاني الهزال والبرد والجوع، والفرائس... *رجلان وامرأة ورضيع في أحضان أمِّه، يفرُّون من الهزيمة إلى الموت. كانوا سيهلكون قريبًا على كلِّ حال، سواء من التَّعرُّض للأجواء أم الجوع. هذه الطَّريقة أفضل وأسرع. إنها رحمة.*

بصوتٍ عالٍ كرَّر: «رحمة». حَلقه جافٌّ تمامًا، ولو أنه سُرَّ لسماع صوتٍ بَشري، حتى إذا كان صوته هو. في الهواء رائحة الرُّطوبة والعفَن، والأرض باردة صُلبة، وناره تُصدِر دُخانًا أكثر من الحرارة. دنا من اللَّهب قدر ما يجرؤ فيما يتبادَل السُّعال والرَّجفة اجتياحه وينبض جانبه ألمًا حيث انفتحَ جرحه، وقد أغرقَت الدِّماء سراويله حتى الرُّكبة وجفَّت مستحيلةً إلى قشرةٍ بنِّيَّة يابسة.

هذا ما حذَّرته منه ثيسل قائلةً: «لقد خيَّطته قدر المستطاع، لكن عليك أن تستريح وتَترُكه يلتئِم وإلَّا انفتحَ ثانيةً».

كانت ثيسل آخِر رفاقه، زوجة حربة[1] قاسية كجذرٍ قديم، ووجهها الذي لوّحته الرِّيح مليء بالبثور والتّجاعيد. هجرَهما الآخَرون على الطّريق، واحدًا تلو الآخَر تخلّفوا عنهما أو تقدّموا عليهما عائدين إلى قُراهم القديمة أو متوجّهين إلى (النّهر اللّبني) أو (هاردهوم)، أو إلى ميتةٍ وحيدة في الغابة. لا يدري ڤارامير، ولا يقوى على الاهتمام. *كان عليّ أن آخذ واحدًا منهم والفُرصة سانحة؛ أحد التّوأمين، أو الرّجل الكبير ذا النُّدوب في وجهه، أو الشّاب ذا الشّعر الأحمر*. لكنه خافَ، فربما كان أحد الآخَرين ليُدرِك ما يَحدُث، وعندئذٍ كانوا سينقلبون عليه ويَقتُلونه. ثم إن كلام هاجون ما انفكّ يُلاحِقه، وهكذا ضاعَت الفُرصة.

بعد المعركة تقدّم آلاف منهم قاطعين الغابة بمشقّة، يُقاسون الجوع والخوف في فرارهم من المقتلة التي حلّت بهم عند (الجِدار). بعضهم تكلّم عن العودة إلى البيوت التي هجروها، وبعضهم عن شَنّ هجمةٍ ثانية على البوّابة، إلّا أن أكثرهم مضى تائهًا لا يدري أين يذهب أو ماذا يفعل. لقد فرُّوا من الغِربان ذوي المعاطف السّوداء والفُرسان المدرّعين بالفولاذ الرّمادي، لكن أعداءً أقسى يتصيّدونهم الآن، وكلّ يومٍ يُخلّفون مزيدًا من الجُثث في أعقابهم. منهم من ماتَ جوعًا ومن ماتَ بردًا ومن ماتَ مرضًا، ومنهم آخَرون قتلَهم من كانوا إخوتهم في السّلاح عندما زحفوا جنوبًا مع مانس رايدر، ملك ما وراء الجِدار.

وقال بعض النّاجين لبعضٍ بنبراتٍ يائسة: *سقطَ مانس، أُسِرَ مانس، ماتَ مانس*، وبينما تخيط ثيسل جرحه قالت له: «هارما ماتَت، ومانس أسير، والباقون هربوا وتركونا. تورموند والبكّاء وسِت جلود، كلُّ أولئك المُغيرين الشُّجعان، أين هُم الآن؟».

حينها أدركَ ڤارامير أنها لم تتعرَّفه. *ولِمَ تتعرَّفني؟* إنه لا يبدو كرجلٍ عظيم في غياب وحوشه. *كنتُ ڤارامير سِت جلود الذي شاركَ مانس رايدر طعامه وشرابه*. ڤارامير هو الاسم الذي أطلقَه على نفسه في سِنِّ العاشرة. *اسم يليق بلورد، اسم للأغاني، اسم قويٌّ مهيب*. وعلى الرغم من ذلك فرَّ من الغِربان كالأرنب المذعور. اللورد ڤارامير الرَّهيب أصابَه الجُبن، لكنه لم يحتمل أن تعرف هي ذلك، فقال للزَّوجة الحربة إن اسمه هاجون، وبعدها تساءلَ لِمَ خرجَ هذا الاسم تحديدًا من بين شفتيه دونًا عن كلِّ الأسماء الأخرى التي كان بإمكانه أن يختارها. *أكلتُ قلبه وشربتُ دمه، ولا يزال يُطارِدني*.

ذات يومٍ في أثناء فرارهم جاءهم خيَّال يُهروِل قاطعًا الغابة بحصانٍ أبيض أعجف، يصيح فيهم أن يتَّجهوا جميعًا إلى (النَّهر اللَّبني)، وأن البكَّاء يجمع المُحاربين من أجل عبور (جسر الجماجم) والاستيلاء على (بُرج الظِّلال)، فتبعَه كثيرون لكن أكثرهم لم يفعل. بَعدها تنقَّل مُحارب قاسي الملامح يرتدي الفرو المزيَّن بالكهرمان من بؤرة نارٍ إلى أخرى يحثُّ جميع النَّاجين على التَّوجُّه شمالًا واللُّجوء إلى وادي الثِّنِّيين. لم يُدرِك ڤارامير قَطُّ لماذا حسبَ الرَّجل أنهم سيكونون آمنين في المنطقة التي هربَ منها الثِّنِّيون أنفسهم، لكن مئاتٍ تبعوه، في حين ذهبَ مئات غيرهم مع ساحرة الغابات التي رأت في رؤيا أسطولًا من السُّفن الآتية لحمل شعب الأحرار جنوبًا. صاحت الأُم خُلد: «علينا أن نسعى إلى البحر»، واتَّجه أتباعها معها شرقًا.

لو أن ڤاراميير أقوى لكان معهم، لكن البحر كئيب بارد بعيد، وهو يعرف أنه لن يعيش حتى يراه أبدًا. لقد ماتَ تسع مرَّاتٍ والآن يُحتضَر، وستكون هذه ميتته الحقيقيَّة. *معطف من فرو السَّناجب، طعَنَني من أجل معطفٍ من فرو السَّناجب.*

كانت صاحِبته ميتةً، تهشَّمت مؤخِّرة رأسها وتحوَّلت إلى كتلةٍ من العجين الأحمر المرقَّط بقِطع العظم المكسور، لكن معطفها بدا ثقيلًا سميكًا. كان الثَّلج يَسقُط، وڤاراميير فقدَ معاطفه كلَّها عند (الجِدار). الجلود التي ينام تحتها، وثيابه الدَّاخليَّة الصُّوف، وحذاؤه المصنوع من جِلد الخراف، وقُفَّازاه المبطَّنان بالفرو، ومخزونه من البِتع[2] ومؤونته من الأطعمة... كلُّ هذا فقدَه وتركَه وراءه. *احترقتُ ومِتُّ ثم هربتُ منتابًا بجنون الألم والرُّعب*. ما زالَت الذِّكرى تُشعِره بالخزي، لكنه لم يكن وحده. آخَرون غيره هربوا أيضًا، مئات منهم، آلاف. *خسرنا المعركة، جاءَ الفُرسان بفولاذهم لا يُقهَرون، يَقتُلون كلَّ من ظَلَّ يُقاتِل. كان إمَّا الهرب وإمَّا الموت.*

على أن الهرب من الموت ليس بتلك السُّهولة، وهكذا حين صادفَ ڤاراميير المرأة الميتة في الغابة انحنى يخلع معطفها، ولم يرَ الصَّبي حتى انقضَّ من مكمنه ليُغمِد السكِّين العظمي الطَّويل في جانبه وينتزع المعطف من يديه المُطبِقتين عليه. لاحقًا، بعد أن فرَّ الصَّبي، أخبرَته تيسل: «أمُّه. كان معطف أمِّه، ولمَّا رآك تسرقها...».

قال ڤاراميير جافلًا إذ ثقبَت الإبرة العظميَّة نسيج لحمه: «كانت ميتةً. أحدهم هشَّم رأسها، غُراب ما».

أغلقَت الشَّقَّ في جانبه بإبرتها قائلةً: «لم يكن غُرابًا، بل ذوو الحوافر. لقد رأيتهم. قوم همجيُّون، ومن تبقَّى ليُروِّضهم؟».

لا أحد. إذا ماتَ مانس فشعب الأحرار هالك لا محالة. الثِّنّيون والعمالقة وذوو الحوافر، وأهل الكهوف بأسنانهم المدبَّبة، وقوم السَّاحل الغربي بعرباتهم المصنوعة من العظام... كلُّ هؤلاء سيهلكون أيضًا. حتى الغِربان هالكون. ربما لم يُدرِكوا ذلك بعدُ، لكن هؤلاء الأوغاد ذوي المعاطف السَّوداء سيلقون نحبهم مع البقيَّة. إن العدوَّ قادم.

تردَّد صوت هاجون الخشن في عقله قائلًا: «ستموت مرارًا يا فتى، وستتألَّم كلَّ مرَّة... لكن حين يأتي موتك الحقيقي ستحيا ثانيةً. يقولون إن الحياة الثَّانية أبسط وأحلى».

عمَّا قريب سيعلم ڤارامير سِت جلود حقيقة ذلك. إنه يذوق ميتته الحقيقيَّة في الدُّخان اللَّاذع في الهواء، ويَشعُر بها في السُّخونة تحت أصابعه حين يدسُّ يده تحت ثيابه يتحسَّس جرحه. البرودة متغلغِلة فيه حتى النُّخاع، وهذه المرَّة سيكون البرد قاتِله.

آخِر ميتةٍ له كانت بالنَّار. *احترقتُ*. في البداية، في خضمِّ ارتباكه، حسبَ أن راميًا ما على قمَّة (الجِدار) أصابَه بسهمٍ مشتعل... لكن النَّار اضطرمَت في داخله تلتهمه التهامًا، والألم...

قبلها ماتَ ڤارامير تسع مرَّات، منها مرَّة برزخة حربة، ومرَّة بأسنان دُبٍّ مزَّقت حَلقه، ومرَّة في بِركةٍ من الدَّم إذ وضعَ جرْوًا ميتًا. أول مرَّةٍ ماتَ كان في السَّادسة من عُمره، عندما شجَّت فأس أبيه جمجمته، لكن حتى ذلك لم يُدانِ عذاب النِّيران التي اشتعلَت في أحشائه وطقطقَت آتيةً على جناحيه وافترسَته افتراسًا، ولمَّا حاولَ الطَّيران هاربًا منها أجَّج هلعه اللَّهب ولظَّاه. في لحظةٍ كان محلِّقًا أعلى (الجِدار)، تلحظ عيناه النَّسريَّتان حركة الرِّجال بالأسفل، ثم أحالَت النَّار قلبه إلى جذوةٍ مسودَّة وردَّت روحه الصَّارخة إلى جسده، ولفترةٍ قصيرة جُنَّ جنونه. الذِّكري المحضة كفيلة بجعله يرتعِد.

كان هذا حين لاحظَ أن ناره انطفأت.

لم يتبقَّ إلَّا كومة من الحطب المتفحِّم وبضع جمارٍ تتوهَّج وسط الرَّماد. *ما زالَ هناك دُخان، تحتاج إلى حطبٍ فقط*. مقاومًا الألم، كزَّ ڤارامير على أسنانه حتى صرَّت، وزحفَ إلى كومة الفروع المكسورة التي جمعَتها ثيسل قبل ذهابها إلى الصَّيد، وألقى بعض الأعواد فوق الرَّماد قائلًا لها بصوتٍ مبحوح: «اشتعِلي، احترِقي»، ثم إنه نفخَ في الجمار وردَّد دُعاءً صامتًا لآلهة الغابات والتِّلال والحقول التي ليست لها أسماء.

ولم تُجِب الآلهة، وحتى الدُّخان كفَّ عن الانبعاث بعد قليل، وبدأ الكوخ الصَّغير يزداد برودةً بالفعل. ليس مع ڤارامير صوَّان أو صُوفان أو مادَّة جافَّة، ولن يستطيع وحده إشعال النَّار ثانيةً أبدًا. نادى بصوتٍ أجش يحفُّه الألم: «ثيسل. ثيسل!».

ذقنها مدبَّب وأنفها مفلطح، وعلى وجنتها شامة تنبت منها أربع شَعراتٍ داكنة. وجه قبيح قاسٍ، لكن ڤارامير مستعدٌّ لبذلَ الكثير كي يراه في مدخل الكوخ الآن. *كان عليَّ أن آخذها قبل أن تُغادِر*. كم مرَّ على غيابها؟ يومان؟ ثلاثة؟ لا يدري بالضَّبط، فالكوخ مظلم من الدَّاخل، كما أنه غابَ عن الوعي واستيقظَ مرارًا دون أن يعلم يقينًا أبدًا إن كان الوقت ليلًا أم نهارًا بالخارج. قالت له: «انتظِر، سأعودُ بطعام»، وكالأحمق انتظرَ، يَحلُم بهاجون ويَمپ وكلِّ الأذى الذي ارتكبَه في حياته الطَّويلة، لكن أيامًا وليالِيَ مرَّت ولم ترجع ثيسل. *ولن ترجع*. تساءلَ ڤارامير إنْ كان قد أفشى لها هُويَّته. هل تبيَّنت ما يُفكِّر فيه بمجرَّد النَّظر إليه أم أنه تمتمَ بشيءٍ ما في حُلمه المحموم؟

سمعَ هاجون يقول: *فاحشة*. كأنه هنا بالفعل، في هذه الحُجرة، وقد قال له ڤارامير: «إنها مجرَّد زوجةٍ حربة قبيحة. أنا رجل عظيم، أنا ڤارامير، الوارْج، مبدِّل الجِلدة. ليس صوابًا أن تعيش هي وأموت». لم يردَّ أحد، ليس في المكان أحد. ثيسل غائبة، تخلَّت عنه مِثلها مِثل كلِّ الآخَرين.

أمُّه نفسها تخلَّت عنه أيضًا. *بكَت يَمپ، لكنها لم تبكِني قَطُّ*. في الصَّباح الذي شدَّه فيه أبوه من الفِراش ليُسلِّمه إلى هاجون أشاحَت بوجهها عنه، وقد راحَ يَصرُخ ويَركُل وهو يُجَرُّ إلى الغابة، إلى أن صفعَه أبوه وأمرَه بالصَّمت، وحين ألقاه عند قدمَي هاجون لم يقل إلَّا: «مكانك مع نوعك».

فكَّر ڤارامير مرتجفًا: *لم يكن مخطئًا. هاجون علَّمني أشياء كثيرةً جدًّا، علَّمني صيد الحيوانات والأسماك، وعلَّمني الجزارة ونزع الشَّوك من السَّمك، وكيف أجدُ طريقي في الغابة. وعلَّمني اساليب الأوْراج وأسرار مبدِّلي الجِلدة، رغم أن موهبتي كانت اقوى من موهبته.*

بعد أعوامٍ حاولَ العثور على أبويْه ليُخبِرهما أن صغيرهما لَمپ أمسى العظيم ڤارامير سِت جلود، لكن كليهما كان قد ماتَ وأُحرِقَ. ذهبا *إلى الأشجار والأنهار، إلى الصُّخور والأرض، ذهبا إلى التُّربة والرَّماد*. هذا ما قالته ساحرة الغابات لأمِّه يوم موت يَمپ. أمَّا لَمپ فلم يرغب في أن يصير حفنةً من الثَّرى. كان الصَّبي يَحلُم بيومٍ يُغنِّي فيه الشُّعراء عن مآثره وتُقبِّله الحسناوات، وهكذا وعدَ لَمپ نفسه قائلًا: حين *أكبرُ سأصبحُ ملك ما وراء الجِدار*. لم يُصبِح ملكًا قَطُّ، لكنه اقتربَ. ڤارامير سِت جلود اسم هابَه النَّاس. كان يذهب إلى المعركة راكبًا على ظَهر دُبَّة ثلوجٍ تَبلُغ الثَّلاثة عشر قدمًا طولًا، ويُسَيطِر على ثلاثة ذئابٍ وقِطّ ظِل(3)، ويجلس إلى يمين مانس رايدر. *مانس هو من أتى بي إلى هذا المكان. لم يكن عليَّ أن أصغي إليه. كان حريًّا بي أن اتلبَّس دُبَّتي وأمزِّقه إربًا إربًا.*

قبل مانس كان ڤاراميرِ سِت جلود يُعَدُّ -نوعًا- من اللوردات، وقد أقامَ بمفرده في قاعةٍ مبنيَّة من الأخشاب والطَّحالب والطِّين كانت ملكًا لهاجون من قبل، تُرافِقه حيواناته وتُقدِّم له دستة من القُرى البيعة بالخُبز والملح وخمر التُّفَّاح، وتُزوِّده بالفواكه من بساتينها والخضراوات من حدائقها. أمَّا اللُّحوم فكان يَحصُل عليها بنفسه، ومتى اشتهى امرأةً أرسلَ قِطَّه يمشي وراءها، وبإذعانٍ تتبعه الفتاة التي اختارَها أيًّا كانت إلى الفِراش. بعضهن كُنَّ يأتينه باكيات، لكنهن أتين دومًا، وتعوَّد ڤاراميرِ أن يُعطيهن نُطفته ويأخذ خُصلةً من شَعرهن يتذكَّرهن بها قبل أن يصرفهن. من حينٍ إلى آخَر كان بطل قريةٍ ما يأتي حاملًا حربته ليَقتُل الحيواني ويُنقِذ أختًا أو حبيبةً أو ابنةً. هؤلاء كان يَقتُلهم، لكنه لم يُؤذِ امرأةً قَطُّ، بل إنه باركَ بعضهن بالأطفال كذلك. *ضُعفاء، مخلوقات صغيرة تافهة مِثل لَمپ، ولا أحد منها يتمتَّع بالموهبة*.

ساقَه الخوف إلى النُّهوض مترنِّحًا. أمسكَ ڤاراميرِ جانبه ليُوقِف الدَّم النَّازف من جرحه، وذهبَ يتمايَل إلى الباب وأزاحَ قطعة الجِلد البالية التي تُغطِّيه ليجد نفسه في مواجهة حائطٍ من البياض. *ثلج*. لا عجب أن الظَّلام والدُّخان تزايَدا بشدَّةٍ في الدَّاخل. الثُّلوج المتساقطة دفنَت الكوخ.

حين دفعَه ڤارامير تفتَّت الثَّلج الذي لا يزال طريًّا مبتلًّا وسقطَ، وبالخارج كان اللَّيل أبيض كالموت، يتراقَص السَّحاب الباهت الخفيف في حضرة القمر الفضِّي، في حين تتفرَّج ألف نجمةٍ ببرود. رأى الأشكال المحدَّبة لأكواخٍ أخرى مدفونة تحت أكوام الثَّلج، ووراءها الظِّلّ الشَّاحب لشجرة ويروود مدرَّعة بالجليد. إلى الجنوب والغرب التِّلال تِيه أبيض شاسع لا يتحرَّك فيه إلَّا ثلوج تذروها الرِّيح. متسائلًا عن المسافة التي ابتعدَتها نادى ڤارامير بضعف: «تيسل، تيسل، يا امرأة، أين أنتِ؟».

ومن بعيدٍ أطلقَ ذئب عُواءه.

وارتعدَ ڤارامير الذي يعرف هذا العُواء تمامًا كما كان لَمپ يعرف صوت أمِّه. الأعور. إنه أكبر الثَّلاثة سِنًّا وحجمًا وأشرسهم. أخوه المتربِّص أرشق وأصغر وأسرع، وأختهم الماكرة أكثر دهاءً، لكن الاثنين يخشيان الأعور، فالذِّئب العجوز لا يعرف الخوف، عنيد، مفترس.

في غمرة الألم الذي التهمَه مع موت النَّسر فقدَ ڤارامير السَّيطرة على حيواناته. قِطُّ الظِّلِّ انطلقَ هاربًا في الغابة، في حين انقلبَت دُبَّة الثُّلوج على من حولها، ممزِّقةً بمخالبها أربعة رجالٍ قبل أن تُسقِطها حربة، وكانت لتفتك بڤارامير نفسه لو وجدَته في متناوَل يديها. لقد كرهَته تلك الدُّبَّة، ومتى ارتدى جِلدتها أو امتطاها ثارَت ثائرتها.

أمَّا ذئابه...

إخوتي، قطيعي. ليالٍ باردة عديدة نامَ فيها مع ذئابه، وقد تكوَّمت أجسامها المشعثة حوله تُدفِّئه. حين *أموتُ ستلتهم لحمي وتَترُك عظمي فقط يُحيِّي ذوبان الرَّبيع*. فكرة مريحة على نحوٍ عجيب. كثيرًا ما تبحث ذئابه له عن المأكل في أثناء تجوالهم، ويبدو من اللّائق تمامًا أن يُطعِمها في النِّهاية، ولربما يبدأ حياته الثَّانية بالقضم من لحم نفسه الدَّافئ الميت.

الكلاب أسهل حيواناتٍ يُمكن تكوين رباطٍ معها، ذلك أنها تحيا على مقربةٍ شديدة من البَشر حتى إنها تكاد تكون بَشريَّةً. تلبُّس الكلاب أشبه بانتعال حذاءٍ قديم طرَّى طول الاستخدام جِلده، وكما الحذاء المشكَّل لقبول القدم فالكلب مفطور على قبول الطَّوق، حتى إذا كان طوقًا لا تراه عين إنسان. على أن الذِّئاب أصعب، إذ يستطيع الإنسان أن يُصادِق ذئبًا، أو حتى يكسر إرادته، لكن لا أحد يستطيع أن يُروِّض ذئبًا حقًّا. كثيرًا ما كان هاجون يُردِّد: «الذِّئاب مِثل النِّساء، تتزوَّج مدى الحياة. عندما تتَّخذ لنفسك ذئبًا فهذا زواج، يُصبِح الذِّئب جزءًا منك منذ ذلك اليوم فصاعدًا وتُصبِح جزءًا منه. كلاكما سيتغيَّر».

لكن الصيَّاد أعلنَ أن من الخير ترك الحيوانات الأخرى وشأنها. القِطط مغرورة قاسية ومستعدّة دومًا للانقلاب عليك. والإلكات والغزلان فرائس، إذا ارتديت جِلدتها طويلًا فسيتمكّن منك الجُبن حتى لو كنت أشجع الرِّجال. والخنازير البرِّيّة والدِّببة والغُريرات وبنات عرس... تلك الحيوانات لم يكن هاجون يقبلها من الأصل. «بعض الجلود لست ترغب في ارتدائه أبدًا يا فتى، فلن يروقك ما ستصيره». وحسب كلامه فالطُّيور هي الأسوأ، «فليس للبَشر أن يرتفعوا عن الأرض. اقضِ وقتًا أطول من اللَّازم بين السَّحاب ولن تُريد الهبوط ثانيةً أبدًا. إنني أعرفُ مُبدِّلي جِلدة جرَّبوا الصُّقور والبوم والغِدفان، وحتى في جلودهم هُم يجلسون بذهنٍ شارد يتطلَّعون إلى زُرقة السَّماء اللَّعينة».

غير أن هذا ليس رأي جميع مُبدِّلي الجِلدة. ذات مرَّة، عندما كان لَمپ في العاشرة، أخذَه هاجون إلى اجتماعٍ لهم، وكان الأوْراج الأكثر عددًا في تلك الجماعة، إخوة الذِّئاب، لكن الصَّبي وجدَ الآخَرين أغرب وأكثر جاذبيَّةً. بوروك الذي يُشبِه للغاية خنزيره البرِّي حتى إنه يفتقر فقط إلى النَّابيْن، وأوريل بنسره، وبرايار بقِطَّة الظِّل (ولحظة أن رآهما لَمپ أرادَ قِطَّ ظِلٍّ لنفسه)، وامرأة الماعز جريسلا...

لكن أحدًا منهم لم يكن بقوّة ڤارامير سِت جلود، ولا حتى هاجون الطَّويل العابس بيديه الصُّلبتين كالحجر. ماتَ الصيَّاد باكيًا بعد أن أخذَ منه ڤارامير ذئبه الأشهب، طاردًا إياه من داخله ليتَّخذه لنفسه. *لا حياة ثانية لك أيها الشَّيخ*. آنذاك كان يُسمِّي نفسه ڤارامير ثلاث جلود، وقد كان الأشهب بمثابة الجِلدة الرَّابعة، لكن الذِّئب العجوز كان واهنًا وتساقطَت أسنانه كلُّها تقريبًا، وسرعان ما تبعَ هاجون إلى الممات.

باستطاعة ڤارامير أن يأخذ أيَّ حيوانٍ يشاء ويُخضِعه لإرادته ويجعل جسمه له، كلبًا كان أو ذئبًا، غُريرًا أو دُبًّا...

ثيسل.

كان هاجون ليقول إنها فاحشة، ألعن الخطايا على الإطلاق، لكن هاجون ماتَ والتُهِمَ واحترقَ. وكان مانس ليلعنه أيضًا، لكن مانس سقطَ قتيلًا أو أسيرًا. *لا أحد سيعلم أبدًا. سأكونُ الزَّوجة الحربة ثيسل، وسيموت ڤارامير سِت جلود*. يتوقَّع أن موهبته ستموت معه، وسيفقد ذئابه ويقضي ما تبقَّى من حياته امرأةً نحيلةً ذات بثور... لكنه سيعيش. *إذا عادَت، إذا كنتُ بالقوَّة الكافية لأخذها*.

اجتاحَته موجة من الدُّوار، ووجدَ نفسه على رُكبتيه وقد اندفنَت يداه في كومة ثلج. أخذَ مِلء قبضةٍ من الثَّلج وملأ به فمه وفركَه في لحيته وعلى شفتيه المشقَّقتين ممتصًّا ما يسيل، وكان الماء باردًا لدرجة أنه أجبرَ نفسه بالكاد على الابتلاع، ومرَّةً أخرى أدركَ ارتفاع حرارته الشَّديد.

لم يُزِده الثَّلج الذَّائب إلَّا جوعًا. إن معدته تشتهي الطَّعام لا الماء. كانت الثُّلوج قد توقَّفت عن السُّقوط، لكن الرِّيح تشتدُّ مالئةً الهواء بالبلَّور، تجلد وجهه وهو يتقدَّم بصعوبةٍ بين أكوام الثَّلج، والجرح في جانبه ينفتِح وينغلِق من جديد، وأنفاسه تصنع سحابةً بيضاء مهترئةً. حين بلغَ شجرة الويروود وجدَ غُصنًا ساقطًا بالطُّول الكافي لاستخدامه كعُكَّاز، وقد اتَّكأ عليه وتوجَّه مترنِّحًا صوب أقرب الأكواخ. ربما نسيَ أهل القرية شيئًا عند فرارهم... جوالًا من التُّفَّاح أو القليل من اللَّحم المجفَّف أو أيَّ شيءٍ يُبقيه حيًّا حتى عودة ثيسل.

كان على وشك الوصول إلى الكوخ حين انكسرَ العُكّاز تحت ثقله، وتداعَت ساقاه من تحته.

لا يدري ڤارامير كم ظلّ منطرحًا هناك فيما يتشرَّب الثّلج حُمرة دمائه. *ستدفنني الثُّلوج*. سيُدرِكه الموت في سلام. *يقولون إنك تَشعُر بالدّفء قُرب النِّهاية، بالدّفء والنُّعاس*. سيكون جميلًا أن يَشعُر بالدِّفء ثانيةً، وإن أحزنَه أن يُفكِّر أنه لن يرى الأراضي الخضراء أبدًا، الأراضي الدّفيئة وراء (الجِدار) التي اعتادَ مانس الغناء عنها. أمَّا هاجون فاعتادَ أن يقول: «العالم وراء (الجِدار) ليس لنوعنا. الأحرار يخشون مُبدّلي الجِلدة، لكنهم يُكرِّموننا كذلك. جنوب (الجِدار) يُطارِدنا الرُّكَّع ويذبحوننا كالخنازير».

فكَّر ڤارامير: *لقد حذّرتني، لكنك أخذتني إلى (القلعة الشَّرقيَّة) أيضًا*. مؤكَّد أنه لم يكن قد تجاوزَ العاشرة في ذلك الحين. قايضَ هاجون دستةً من العقود الكهرمان ومِزلجةً تكوَّمت عليها عاليًا الجلود بسِتِّ قربٍ من النَّبيذ وقالبٍ من الملح ومرجل نُحاس. (القلعة الشَّرقيَّة) مكان أفضل للتّجارة من (القلعة السَّوداء)، فهناك ترسو السُّفن المحمَّلة بالبضائع من الأراضي الأسطوريَّة وراء البحر. عرفَ الغِربان هاجون كصيَّادٍ وصديقٍ لحَرس اللَّيل، ورحَّبوا بالأخبار التي يأتي بها عن الحياة وراء جِدارهم، وكان بعضهم يعلم أنه مُبدِّل جِلدةٍ أيضًا، لكن أحدًا منهم لم يتكلَّم عن ذلك. هناك في (القلعة الشَّرقيَّة) على البحر بدأ الصَّبي الذي كانه يَحلُم بدفء الجنوب.

شعرَ ڤارامير بنُدف الثَّلج تذوب على جبهته. ليس هذا بسوء الاحتراق. *فلأنم ولا أصحو أبدًا، فلأبدأ حياتي الثَّانية.* ذئابه قريبة الآن، إنه يَشعُر بها. سيَترُك هذا الجسد الواهن ويتوحَّد معها، يصطاد آناء اللَّيل ويعوي في وجه القمر. سيصير الوارْج ذئبًا حقيقيًّا. *ولكن أيُّ ذئب؟*

ليس الماكرة. كان هاجون ليقول إنها فاحشة، لكن الحقيقة أن ڤارامير كثيرًا ما تلبَّسها فيما يمتطيها الأعور، غير أنه لا يرغب في قضاء بقيَّة حياته كأنثى ذئب إلَّا إذا لم يجد خيارًا آخَر. قد يُناسِبه المتربِّص أكثر، الذَّكر الأصغر... مع أن الأعور أكبر حجمًا وأضرى، والأعور هو من يأخذ الماكرة متى عانَت الاحترار.

قبل موته بأسابيع قليلة أخبرَه هاجون: «يقولون إنك تنسى. حين يموت جسد الإنسان تظلُّ روحه حيَّةً في الحيوان، لكن كلَّ يومٍ تخبو ذاكرته، ويَضعُف الوارْج في الحيوان ويقوى الذِّئب، حتى لا يتبقَّى شيء من الإنسان ولا يبقى إلَّا الحيوان».

يعلم ڤارامير حقيقة هذا. عندما أخذَ النَّسر الذي كان لأورل شعرَ بمُبدِّل الجِلدة الآخَر يثور لوجوده. أورل قتلَه الغُراب المارِق چون سنو، وكانت كراهيته لقاتِله عاتيةً لدرجة أن ڤارامير وجدَ نفسه يكره الفتى الحيواني بدوره. لقد أدركَ حقيقة سنو لحظة أن رأى ذلك الذِّئب الرَّهيب(4) الأبيض الكبير يتحرَّك بصمتٍ إلى جانبه، فمُبدِّل الجِلدة يستطيع دومًا الإحساس بمُبدِّل جِلدةٍ آخَر. *كان على مانس أن يدعني آخذُ الذِّئب الرَّهيب. لكانت حياةً ثانيةً تليق بملك.* لا يشكُّ في مقدرته على فعلها. صحيحٌ أن موهبة سنو قويَّة، لكن الشَّاب لم يتعلَّم مفاتيحها، وما برحَ يُقاوِم طبيعته بدلًا من أن يعتزَّ بها.

رأى ڤاراميير عينَي الويروود الحمراوين تُحدِّقان إليه من الجذع الأبيض. *الآلهة تزنني.* اقشعرَّ جِلده. لقد اقترفَ أفعالًا سيِّئةً، أفعالًا شنيعةً، سرقَ وقتلَ واغتصبَ، أكلَ اللَّحم البَشري وولغَ في دماء المحتضرين الحارَّة القانية وهي تنبثق من حلوقهم الممزَّقة، تربَّص بالأعداء في أنحاء الغابة وداهمَهم وهُم نيام وانتزعَ أحشاءهم من بطونهم وبعثرَها على الأرض الموحلة. *وما أحلى مذاق لحمهم.* قال بهمسةٍ مبحوحة: «الحيوان فعلَها لا أنا. إنها الموهبة التي منحتِني إياها».

لم تُجِر الآلهة جوابًا. تكثَّفت أنفاسه كالغيم الشَّاحب في الهواء، وشعرَ بالجليد يتكوَّن في لحيته، وأغلقَ ڤاراميير سِت جلود عينيه.

ورأى حُلمًا قديمًا عن كوخٍ على البحر، وثلاثة كلابٍ تئنُّ، ودموع امرأة.

يَمپ. تبكي يَمپ، لكنها لم تبكِني قَطُّ.

وُلِدَ لَمپ قبل موعده المناسب بشهر، وكان مريضًا أكثر الوقت حتى إن أحدًا لم يتوقَّع أن يعيش. انتظرَت أمُّه حتى شارفَ على بلوغ الرَّابعة لتُطلِق عليه اسمًا فعليًا، ولكن بلا طائل، إذ تعوَّدت القرية كلُّها دعوته بلَمپ بالفعل، الاسم الذي أطلقَته عليه أخته ميها وهو ما يزال في بطن أمِّه. أطلقَت ميها على يَمپ اسمه أيضًا، إلَّا أن أخا لَمپ الصَّغير وُلِدَ في موعده المناسب، وكان كبيرًا متورِّدًا قويًّا، يمتصُّ اللَّبن بشراهةٍ من ثدي أمِّه. كانت ستُطلِق عليه اسم أبيها. *لكن يَمپ ماتَ، ماتَ وهو في الثَّانية وأنا في السَّادسة، قبل ثلاثة أيام من يوم ميلاده.*

وقالت ساحرة الغابات لأمِّه الباكية: «صغيركِ مع الآلهة الآن. لن يتألَّم ثانيةً أبدًا، لن يجوع، لن يبكي. لقد أخذَته الآلهة إلى الأرض والأشجار. الآلهة في كلِّ مكانٍ حولنا، في الصُّخور والنُّهيرات، في الطَّير والحيوانات، وصغيركِ يَمپ ذهبَ ينضمُّ إليها. سيكون العالم وكلّ ما فيه».

نفذَت كلمات العجوز في لَمپ كالسكِّين. يَمپ *يرى، إنه يُراقِبني، إنه يعلم*. ما كان بإمكان لَمپ الاختباء منه، أن يستتِر وراء تنُّورة أمِّه أو يهرب بالكلاب من غضبة أبيه. *الكلاب*. لوپتيل وسنيف وأبو زمجرة. *كانت كلابًا طيِّبةً، كانت صديقتي*.

حين عثرَ أبوه على الكلاب تتشمَّم حول جثَّة يَمپ لم يجد سبيلًا لمعرفة الفاعل، وهكذا أعدمَ ثلاثتها بفأسه. ارتعشَت يده بشدَّةٍ لدرجة أن إخراس سنيف تطلَّب ضربتين وأبي زمجرة أربعًا. علقَت رائحة الدَّم الثَّقيلة في الهواء، وكان للأصوات التي أصدرَها الكلبان المحتضران وقع شنيع، ومع ذلك جاءَ لوپتيل عندما ناداه أبوه. كان أكبر الكلاب سِنًّا، وقد تغلَّب تدريبه على رُعبه، وحين تلبَّسه لَمپ كان الأوان قد فاتَ بالفعل.

حاولَ أن يقول: *لا يا أبي، أرجوك*، لكن الكلاب لا تتكلَّم لُغة البَشر، ولم يَخرُج منه إلَّا أنين يُثير الشَّفقة. هوَت الفأس على جمجمة الكلب العجوز، وداخل الكوخ أطلقَ الصَّبي صرخةً. *هكذا* عرفَ. وبعد يومين جرَّه أبوه إلى الغابة حاملًا فأسه، وهو ما جعلَ لَمپ يحسب أنه سيَقتُله كما قتلَ الكلاب، لكنه أعطاه لهاجون بدلًا من ذلك.

استيقظَ ڤاراميِر فجأةً وبعُنفٍ وجسده كله يهتزُّ، يَصرُخ فيه صوت: «انهض، انهض. يجب أن نرحل. إنهم بالمئات». كان الثَّلج قد كساه بدثارٍ أبيض جامد. *يا للبرودة*. حين حاولَ الحركة وجدَ يده ملتصقةً بالأرض، ولمَّا انتزعَها تركَ من جِلدها قطعةً على الثَّلج. عادَت تَصرُخ: «انهض. إنهم قادمون».

لقد عادَت ثيسل، والآن تُمسِكه من كتفه وتهزُّه وتزعق في وجهه، وشمَّ ڤاراميِر رائحة أنفاسها وشعرَ بدفئها على وجنتين خدَّرهما البرد. *الآن، افعلها الآن أو مُت*.

استجمعَ كلَّ ما تبقَّى فيه من قوَّة، ووثبَ خارجًا من جِلده واقتحمَها.

وقوَّست ثيسل ظَهرها وصرخَت.

فاحشة. من قالها؟ هي أم هو أم هاجون؟ لم يعرف الإجابة قَطُّ. تهاوى جسده القديم على كومة الثَّلج مع ارتخاء أصابعها، وتلوَّت الزَّوجة الحربة بعُنفٍ صارخةً. اعتادَ قِطُّ الظِّلِّ أن يُقاوِمه بشراسة، وأصابَ الجنون دُبَّة الثُّلوج فترةً فراحَت تُهاجِم الشَّجر والصُّخور والهواء، لكن هذا أسوأ. سمعَ فمها يصيح: «اخرُج، اخرُج!»، وترنَّح جسدها وسقطَ ثم عادَ ينهض، وراحَت يداها تضربان الهواء، والتوَت ساقاها في هذا الاتِّجاه وذاك في رقصةٍ مريعة إذ صارعَت روحها روحه على الجسد. عبَّت مِلء فمها من الهواء البارد، ونالَ ڤاراميِر نِصف لحظةٍ تمتَّع خلالها بمذاقه وبقوَّة هذا الجسد الشَّاب، قبل أن تُطبِق أسنانها وتملأ فمه بالدِّماء. ثم إنها رفعَت يديها إلى وجهه، فحاولَ أن يدفعهما إلى أسفل ثانيةً، لكن اليدين رفضَتا الطَّاعة، وبأظفارها أخذَت تخمش عينيه، وإذ غرقَ في الدَّم والألم والجنون قال لنفسه متذكِّرًا: *فاحشة*، ولمَّا حاولَ الصُّراخ بصقَت لسانهما.

مادَ به العالم الأبيض وتلاشى، وللحظةٍ شعرَ كأنه داخل شجرة الويروود، يَنظُر عبر عينين حمراوين منحوتتين فيما يرتعش رجل محتضر على الأرض بضعفٍ وتَرقُص امرأة مجنونة رقصةً داميةً عمياء تحت القمر، تذرف دموعًا حمراء وتُمزِّق ثيابها. ثم اختفى كلاهما، ووجدَ نفسه يرتفع، يذوب، محمولة روحه على ريحٍ باردة. إنه في الثَّلج وفي السُّحب، إنه عُصفور وسنجاب وسَنديانة. حلَّقت بومة ذات قرنين بصمتٍ بين الأشجار مطاردةً أرنبًا برِّيًّا، وكان ڤارامير داخل البومة، داخل الأرنب، داخل الأشجار. في الأعماق تحت الأرض المتجمِّدة تَنخُر ديدان الأرض العمياء في الظَّلام، وكان هو الدِّيدان أيضًا. منتشيًا فكَّر: *أنا الغابة وكلُّ ما فيها*. حلَّقت غِدفان مئة ونعبَت إذ شعرَت بمروره، وبصخبٍ صاحَت إلكة عظيمة مزعجةً الطِّفلين المتشبِّثيْن بظَهرها، ورفعَ ذئب رهيب نائم رأسه يزوم في الهواء الخالي.

وقبل الخفقة التَّالية لقلوب كلِّ تلك المخلوقات واصلَ هو طريقه بحثًا عن قلبه، عن الأعور والماكرة والمتربِّص، عن قطيعه، وقال لنفسه إن ذئابه ستقبله.

وكان هذا آخِر ما جالَ بباله كإنسان.

أتى الموت الحقيقي بغتةً. شعرَ بصدمةٍ من البرد كأنه أُلقِيَ في مياه بحيرةٍ متجمِّدة، ثم إذا به يَركُض على ثلوجٍ يُنيرها القمر وعلى مقربةٍ من ورائه رفيقاه في القطيع. نِصف العالم مظلم، وهكذا علمَ أنه في داخل الأعور. عوى، وردَّد المتربِّص والماكرة العُواء.

توقَّفت الذِّئاب حين بلغَت قمَّة التَّلِّ. قال لنفسه متذكِّرًا: *نيسل*، وأحسَّ جزء منه بالحُزن على ما فقدَه وجزء آخَر لما فعلَه.

كان العالم قد استحالَ إلى جليدٍ بالأسفل، تزحف أصابع من الصَّقيع بتؤدةٍ على شجرة الويروود، يسعى بعضها للإمساك ببعض، والقرية الخالية لم تَعُد خاليةً. الآن تسري ظلال زرقاء الأعيُن بين أكوام الثُّلوج، بعضها يرتدي البنِّي وبعضها الأسود وبعضها عارٍ، وقد ابيضَّت بشرتها جميعًا كالثَّلج، وثمَّة ريح تتنهَّد بين التِّلال محمَّلةً برائحة الظِّلال، رائحة اللَّحم الميت والدَّم الجاف والجِلد المعبَّق بالعفَن والنَّتانة والبول. زمجرَت الماكرة وكشَّرت عن أنيابها وقد انتفشَ فروها. *ليسوا بَشرًا، ليسوا فرائس، ليس هؤلاء.*

الأشياء بالأسفل تتحرَّك، لكنها ليست حيَّةً. واحدًا تلو الآخَر رفعَت رؤوسها نحو ثلاثة الذِّئاب فوق التَّل، وآخِر النَّاظرين الشَّيء الذي كان ثيسل. كانت ترتدي الصُّوف والفرو والجِلد، وفوق كلِّ هذا معطف من الصَّقيع يُطَقطِق حين تتحرَّك ويلتمِع في ضوء القمر، ومن أناملها تتدلَّى كُتل جليدٍ ورديَّة باهتة، عشرة سكاكين طويلة من الدِّماء المتجمِّدة... وفي الحُفرتين اللتين احتلَّتهما عيناها من قبل ضوء أزرق شاحب يتذبذَب، يُضفي على ملامحها الخشنة جمالًا عجيبًا لم تعرفه في حياتها قَطُّ.

إنها تراني.

---

(1) الاسم الذي يُطلِقه الهَمج على نسائهم المُحاربات. (المُترجم).

(2) البِتع هو نبيذ العسل. (المُترجم).

(3) قِطط الظِّل اسم يُطلَق على نوعٍ من الأسود الجبليَّة في عالم الرِّواية. (المُترجم).

(4) الذِّئب الرَّهيب حيوان حقيقي منقرض كان يَقطُن

الأمريكتين قبل عشرة آلاف سنة. (المُترجم).

لم ينقطِع عن الشُّرب طوال طريقه عبر (البحر الضيِّق).

السَّفينة صغيرة، وقمرته أصغر، لكن الرُّبَّان لا يسمح له بالصُّعود إلى السَّطح. هيَّجت الأرض المتأرجحة تحت قدميه معدته، وكان مذاق الطَّعام المقزِّز أشنع حين تقيَّأه. ولكن ما حاجته إلى اللَّحم المملَّح والجُبنة الجامدة والخُبز المليء بالدُّود وثمَّة نبيذ يُغذِّيه؟ نبيذه أحمر وحامض، قويٌّ للغاية، وأحيانًا يتقيَّأه أيضًا، إلَّا أن هناك المزيد دومًا.

تمتمَ في ظلام قمرته: «العالم مليء بالنَّبيذ». لم يكن أبوه يحترم السكِّيرين على الإطلاق، ولكن فيمَ يهمُّ هذا؟ لقد ماتَ أبوه، هو قتلَه. *سهم في البطن يا سيِّدي، وكلُّ لك أنت. لو كنتُ ابرع في استخدام النُّشَّابيَّة لغرسته في ذلك القضيب الذي خلَّفتني به أيها الوغد الملعون.*

في بطن السَّفينة لا ليل أو نهار. يُحدِّد تيريون الوقت بمجيء وذهاب عامل القمرة الذي يأتيه بوجباتٍ لا يأكلها. دائمًا يجلب الصَّبي دلوًا وفرشاةً أيضًا للتَّنظيف. في مرَّةٍ قال له تيريون وهو يخلع سدادة قِربة: «أهذا نبيذ دورني؟ يُذكِّرني بثُعبانٍ معيَّن عرفته. كان شخصًا لطيف المعشر، إلى أن سقطَ عليه جبل».

لم يُجِبه عامل القمرة. صبيٌّ قبيح هو، وإن كان بالتَّأكيد أوسم من قزمٍ معيَّن بِنصف أنفٍ ونَدبةٍ من العين إلى الذَّقن. بينما يحكُّ الأرض سألَه تيريون: «هل أسأتُ إليك؟ أأنت مأمور بعدم الكلام معي أم أن قزمًا تحرَّش بأمِّك؟». لم يتلقَّ جوابًا عن هذا أيضًا، فقال: «إلى أين نُبحِر؟ أخبِرني بهذا». چايمي ذكرَ المُدن الحُرَّة، لكنه لم يقل أيَّ واحدة. «(براقوس)؟ (تايروش)؟ (مير)؟». يُحبِّذ تيريون أن يذهب إلى (دورن). *مارسلا أكبر من تومن، والعرش الحديدي لها بحسب القانون الدورني. سأساعدها على الحصول على حقوقها كما اقترحَ الأمير أوبرين.*

لكن الأمير أوبرين ماتَ، حطَّمت قبضة السير جريجور كليجاين المدرَّعة رأسه تحطيمًا، ودون أن يكون الأُفعوان الأحمر موجودًا يُوعِز إليه، فهل يُجازِف دوران مارتل بمؤامرةٍ محفوفة بالمخاطر كتلك؟ *قد يُقيِّدني بالسَّلاسل بدلًا من ذلك ويُعيدني إلى أختي الجميلة*. لعلَّ (الجِدار) أسلم. الدُّب العجوز مورمونت قال إن حَرس اللَّيل محتاجون إلى رجالٍ مِثل تيريون. *ولكن ربما ماتَ مورمونت، وسلينت هو القائد الآن*. لا بُدَّ أن ابن الجزَّار لم ينسَ مَن أرسلَه إلى (الجِدار). *هل أريدُ حقًّا قضاء ما تبقَّى من حياتي في أكل اللَّحم المملَّح والثَّريد مع القَتَلة واللُّصوص؟* مع أن ما تبقَّى من حياته لن يطول، وهو ما سيحرص عليه چانوس سلينت.

بلَّل عامل القمرة الفرشاة وأخذَ يحكُّ الأرض بهمَّة، وسألَه القزم: «هل زُرت بيوت الهوى في (لِيس)؟ أإلى هناك تذهب العاهرات؟». لم يستطِع تيريون أن يتذكَّر معنى العاهرة بالقاليريَّة، وعلى كلِّ حالٍ فاتَ أوان التَّساؤل، إذ ألقى الصَّبي الفرشاة في الدَّلو وخرجَ.

النَّبيذ شوَّش ذهني. لقد تعلَّم القاليريَّة الفُصحى في صِغره على يد المِايستر، ولو أن ما يتحدَّثونه في المُدن الحُرَّة... إنها ليست لكنةً واحدةً، وإنما بالأحرى تسع لكناتٍ مختلفة في طريقها إلى أن تُصبِح لُغاتٍ منفصلة. يعرف تيريون القليل من البراڤوسيَّة ونزرًا يسيرًا من المايريَّة، وفي (تايروش) من شأنه أن يلعن الآلهة ويتَّهم أحدهم بالغِشّ ويَطلُب كوبًا من المِزر[5]، وهذا بفضل مرتزِقٍ عرفَه من قبل في (الصَّخرة). *على الأقل يتحدَّثون اللُّغة العاميَّة في (دورن)*. على نسق الطَّعام الدورني والقانون الدورني، الكلام الدورني متبَّل بنكهات (الروين)، ولكن باستطاعة المرء أن يفهمه. *(دورن)، نعم، (دورن) لي*. عادَ إلى سريره متشبِّثًا بالفكرة كطفلٍ بدُميته.

لم يأتِ النَّوم تيريون لانستر بسهولةٍ قَطّ، وعلى متن هذه السَّفينة قلَّما يأتي، مع أنه ينجح بين الحين والآخَر في شُرب نبيذٍ يكفي لتغييبه عن الوعي فترةً. على الأقل لا يَحلُم، فقد حلمَ بما فيه الكفاية في حياته التَّافهة. *وما حلمتُ به تُرهات؛ الحُب والعدالة والصَّداقة والمجد. كأني أحلمُ بأن أكون طويلًا*. يعرف تيريون الآن أن كلَّ هذا ليس في متناوَله، لكنه يجهل أين تذهب العاهرات.

قال أبوه: «أينما تذهب العاهرات». *كلماته الأخيرة، ويا لها من كلمات*. أصدرَت النُّشَّابيّة صوتًا وتريًا، وارتدَّ اللورد تايوين جالسًا من جديد، ووجدَ تيريون لانستر نفسه يمشي متمايلًا في الظَّلام وإلى جواره ڤارس. لا بُدَّ أنه عادَ ينزل في البئر، نزلَ مئتين وثلاثين درجةً إلى حيث تتوهَّج الجمار البرتقاليَّة في فم تنِّينٍ حديدي، لكنه لا يَذكُر شيئًا من هذا، بل فقط صوت النُّشَّابيَّة والرَّائحة النَّتنة التي خرجَت من أبيه إذ ارتخَت أحشاؤه. *حتى في الموت وجدَ وسيلةً للتَّبرُّز عليّ*.

رافقَه ڤارس عبر الأنفاق، لكنهما لم يلفظا حرفًا حتى خرجا على ضفَّة (النَّهر الأسود)، حيث حقَّق تيريون نصرًا مبينًا وفقدَ أنفًا. عندها التفتَ القزم إلى الخصيِّ قائلًا: «قتلتُ أبي». قالها بالنَّبرة نفسها التي قد يقول بها أحدهم: «خبطتُ إصبع قدمي».

كان وليُّ الهامسين متنكِّرًا في هيئة أحد الإخوة الشحَّاذين، يرتدي ثوبًا من الخيش البنِّي المتآكل، له قلنسوة أخفَت وجنتيه السَّمينتين النَّاعمتين ورأسه الأصلع المستدير. قال مؤنِّبًا: «ما كان يجب أن تصعد ذلك السُّلَّم».

- «أينما تذهب العاهرات». لقد حذَّر تيريون أباه من قول تلك الكلمة. *لو لم أُطلِق السَّهم لرأى أن تهديداتي فارغة، لأخذَ النُّشَّابيَّة من يدي كما أخذَ تايشا من بين ذراعَي من قبل. كان ينهض حين قتلته*.

اعترفَ لڤارس قائلًا: «قتلتُ شِاي أيضًا».

- «كنت تعرف حقيقتها».

- «نعم، لكني لم أعرف حقيقته».

أطلقَ ڤارس ضحكةً مكتومةً، وردَّ: «والآن تعرف».

كان عليَّ أن أقتل الخصيّ أيضًا. مزيد من الدِّماء على يديه، وماذا في هذا؟ لا يدري ما الذي جعلَه يُحجِم عن طعنه بخنجره. ليس الامتنان. أي نعم أنقذَه ڤارس من سيف الجلّاد، ولكن فقط لأن چايمي أجبرَه. چايمي... *لا، الأفضل ألَّا أفكِّر في چايمي*.

بدلًا من ذلك وجدَ قِربةً جديدةً ومصَّ منها كأنها ثدي امرأة، ليسيل النَّبيذ الأحمر الحامض على ذقنه ويتغلغَل في سُترته المتَّسخة، السُّترة ذاتها التي كان يرتديها في زنزانته. تأرجحَت الأرض تحت قدميه، ولمَّا حاولَ القيام ارتفعَت إلى الجانب وألقَته ليرتطم بقوَّةٍ بالحائط. *عاصفة، وإلَّا فأنا أكثر سُكرًا مما حسبتُ*. تقيَّأ النَّبيذ وتمدَّد فيه فترةً متسائلًا إن كانت السَّفينة ستغرق. *أهذا انتقامك يا أبتِ؟ هل نصَّبك (الأب في الأعالي) يدًا له؟* قال والرِّيح تعوي في الخارج: «هذا جزاء قاتِل الأقربين». لا يبدو من العدل أن يغرق عامل القمرة والرُّبَّان وسائر الطَّاقم لأجل شيءٍ فعلَه هو، لكن منذ متى والآلهة عادلة؟

وفي تلك اللَّحظة تقريبًا ابتلعَه الظَّلام.

حين عادَ يتحرَّك أحسَّ برأسه يكاد ينفجر وبالسَّفينة تدور من حوله في حلقاتٍ تُدوِّخ، على الرغم من أن الرُّبَّان كان يقول بإصرارٍ إنهم رسوا. قال له تيريون أن يَصمُت، وركلَ بوهنٍ محاولًا التَّملُّص إذ دسَّه بحَّار أصلع ضخم تحت ذراعه وحملَه إلى المخزن، حيث ينتظره برميل نبيذٍ فارغ، برميل صغير قصير ضيِّق حتى بالنِّسبة إلى قزم. بالَ تيريون على نفسه وهو يُقاوِم، وبلا طائل، وهكذا حُشِرَ على وجهه في البرميل وقد انضغطَت رُكبتاه على أُذنيه، واستحكَّته جَدعة أنفه على نحوٍ شنيع، لكن ذراعيه كانتا مثبَّتتيْن تمامًا ولا يستطيع أن يمدَّ يده ليحكَّها. فكَّر وهُم يُغلِقون الغطاء بالمسامير: هودج *يليق برجلٍ في مقامي المكين*. سمعَ أصواتًا تزعق فيما رُفِعَ البرميل، وصدمَت كلُّ رجَّةٍ رأسه بالقاع، وراحَ العالم يدور ويدور والبرميل يتدحرَج إلى أسفل، قبل أن يتوقَّف بارتطامٍ جعلَه يُريد أن يَصرُخ، ثم اصطدمَ برميل آخَر ببرميله، وعضَّ تيريون لسانه.

كانت هذه أطول رحلةٍ في حياته على الإطلاق، مع أنها دامَت نِصف ساعةٍ على الأكثر. رُفِعَ تيريون وأُنزِلَ ودُحرِجَ ورُصَّ وقُلِبَ وعُدِلَ وعادَ يُدحرَج، وعبر الألواح الخشبيَّة سمعَ رجالًا يتصايَحون، وفي مرَّةٍ حصانًا يصهل على مقربة. بدأت ساقاه ناقصتا النُّمو تتشنَّجان، وسرعان ما آلمتاه بشدَّةٍ أنسَته ضرب المطارق في رأسه.

انتهَت الرِّحلة كما بدأت، بدحرجةٍ أخرى دوَّرت رأسه ورجَّت بدنه، ومن الخارج سمعَ أصواتًا غريبةً تتكلَّم بلُغةٍ يجهلها. بدأ أحدهم يدقُّ على رأس البرميل، وانفتحَ الغطاء فجأةً ليتدفَّق الضَّوء إلى الدَّاخل ومعه الهواء الفاتر. شهقَ تيريون بشراهةٍ وحاولَ الوقوف، لكنه لم ينجح إلَّا في إسقاط البرميل على جانبه وسكْب نفسه على الأرض التُّرابيَّة الصُّلبة.

فوقه وقفَ رجل شديد البدانة له لحية صفراء متشعِّبة، يحمل مطرقةً خشبيَّةً وإزميلًا من الحديد، ويَصلُح المعطف المنزلي الهائل الذي يرتديه لأن يكون سُرادقًا في دورة مباريات، لكن حزامه المربوط بغير إحكامٍ انحلَّ كاشفًا عن بطنٍ أبيض ضخم وثديين ثقيلين يتهدَّلان كجوَاليْن من الشَّحم مغطَّييْن بالشَّعر الأصفر الخشن. ذكَّر منظره تيريون ببقرة بحرٍ ميتة جرفَها التيَّار ذات يومٍ إلى الكهوف أسفل (كاسترلي روك).

نظرَ البدين إلى أسفل وابتسمَ، وبعاميَّة (وستروس) قال: «قزم سكران».

- «بقرة بحرٍ متعفِّنة». كان فم تيريون مليئًا بالدَّم، وقد بصقَه عند قدمَي البدين. أدركَ أنهما في قبوٍ طويل معتم له سقف مقنطَر ويُبقِّع النَّطرون جُدرانه، وقد أحاطَت بهما براميل وبراميل من النَّبيذ والمِزر، شراب يكفي قزمًا ظمآنَ طوال اللَّيل. *أو طوال عُمر.*

- «أنت وقح. أحبُّ هذا في الأقزام». حين ضحكَ البدين تهزهزَ لحمه بقوَّةٍ جعلَت تيريون يخشى أن يقع عليه ويسحقه. «أأنت جائع يا صديقي الصَّغير؟ أو متعَب؟».

بصعوبةٍ جلسَ تيريون على رُكبتيه مجيبًا: «عطشان، ومتَّسخ».

تشمَّم البدين، ثم قال: «الحمَّام أولًا إذن، ثم الطَّعام وفِراش ليِّن، اتَّفقنا؟ سيحرص خدمي على كلِّ شيء»، ثم وضعَ مضيفه المطرقة والإزميل جانبًا، وأردفَ: «منزلي منزلك. أيُّ صديقٍ لصديقي وراء البحر صديق لإليريو موپاتيس، نعم».

أيُّ صديقٍ لقارس العنكبوت ليس شخصًا أثقُ به على الإطلاق.

على أن البدين أوفى بالحمَّام الموعود، وما إن نزلَ تيريون في المياه السَّاخنة وأسبلَ جفنيه حتى غابَ في نومٍ عميق.

استيقظَ في فِراشٍ محشو بريش الإوز، بالغ اللِّين حتى إنه شعرَ كأن سحابةً ابتلعَته. أحسَّ بلسانه خشنًا وحَلقه جافًّا تمامًا، لكنه وجدَ قضيبه منتصبًا كعودٍ من الحديد، فتدحرجَ نازلًا من الفِراش ووجدَ وعاء فضلات وشرعَ يملأه مطلقًا أنين لذَّة.

الغُرفة معتمة، لكن خطوطًا صفراء من ضوء الشَّمس تلوح من بين خصاص النَّافذة. نفضَ تيريون آخِر قطرات البول، ثم سارَ على البُسط المايريَّة المزركَشة النَّاعمة كعُشب الرَّبيع النَّضر، وبحركةٍ خرقاء تسلَّق المقعد المجاور للنَّافذة ودفعَ مصراعيها ليرى أين أرسلَه قارس والآلهة.

تحت النَّافذة تقف سِتُّ أشجار كرز حراسةً حول مسبحٍ من الرُّخام، فروعها الرَّفيعة بنِّيَّة جرداء، وعلى الماء يقف فتى عارٍ متَّخذًا وضعَ النِّزال وفي يده سيف مُبارزي البراڤو، يبدو رشيقًا وسيمًا، ولا تتعدَّى سِنُّه السَّادسة عشرة، وله شَعر أشقر مفرود يمسُّ كتفيه. بدا حيًّا للغاية حتى إن لحظاتٍ طويلة مرَّت قبل أن يُدرِك القزم أن الفتى منحوت من الرُّخام الملوَّن، وإن التمعَ سيفه كالفولاذ الحقيقي.

على النَّاحية الأخرى من المسبح يرتفع سور من القرميد يبلغ الاثني عشر قدمًا طولًا، وعلى قمَّته خوازيق من الحديد، ووراء السُّور المدينة. حول خليجٍ يتلاطَم بحر من سقوف المنازل المبلَّطة، ورأى تيريون أبراجًا مربَّعةً من القرميد، ومعبدًا أحمر عظيمًا، وإيوانًا بعيدًا على قمَّة تَلٍّ، وبعيدًا تتلألأ أشعَّة الشَّمس على صفحة مياهٍ عميقة. عبر الخليج تتحرَّك قوارب الصَّيد وقلوعها تُرَفرِف في الرِّيح، كما رأى صواري سُفنٍ أكبر بارزةً بطول السَّاحل. مؤكَّد *أن إحداها متَّجهة إلى (دورن) أو (القلعة الشَّرقيَّة)*. لكن لا سبيل لديه لدفع ثَمن رحلته، وهو ليس مخلوقًا للعمل على مجذاف. *على ما أظنُّ قد يُمكنني الانضمام إلى الطَّاقم كعامل قمرةٍ، وأدفعُ تكلفة الرِّحلة بترك الطَّاقم ينكحني طوال الطَّريق عبر (البحر الضيِّق)*.

تساءلَ أين هو. *حتى الهواء رائحته مختلفة هنا*. الرِّيح الخريفيَّة الباردة معطَّرة بتوابل غريبة، وقد تناهَى إلى مسامعه من فوق السُّور صياح خافت يأتي من الشَّوارع بلُغةٍ أشبه بالڤاليريَّة، وإن لم يستطِع أن يُميِّز إلَّا كلمةً أو اثنتين من كلِّ خمس. *ليست (براڤوس)، ولا (تايروش)*. علاوةً على أن هذه الفروع العارية والبرودة في الجوِّ تَنقُض احتمالات (لِيس) و(مير) و(ڤولانتيس) أيضًا.

عندما سمعَ تيريون الباب يُفتَح من خلفه التفتَ يُواجِه مضيفه البدين قائلًا: «هذه (پنتوس)، أليس كذلك؟».

- «بالضَّبط. وأين غيرها؟».

(پنتوس). حسن، إنها ليست (كينجز لاندنج) على الأقل. سمعَ نفسه يسأل: «أين تذهب العاهرات؟».

- «العاهرات موجودات في المواخير هنا، تمامًا كما في (وستروس). لكنك لن تحتاج إلى أمثالهن يا صديقي الصَّغير! اختر من خادماتي. لن تجرؤ أيُّهن على الرَّفض».

بلا موارَبةٍ سألَه القزم: «أهن أَمات؟».

ملَّس البدين على إحدى شُعب لحيته الصَّفراء المزيَّتة -وهي الحركة التي وجدَها تيريون في غاية القُبح- وقال: «النِّخاسة محرَّمة في (پنتوس) بحُكم شروط المعاهَدة التي فرضَها البراڤوسيُّون علينا قبل مئة عام، لكنهن لن يَرفُضنك رغم ذلك»، وبثقلٍ انحنى إليريو نِصف انحناءةٍ متابعًا: «لكن على صديقي الصَّغير أن يَعذُرني الآن. إن لي شرف أن أكون من ماچسترات هذه المدينة العظيمة، والأمير استدعانا للاجتماع»، وابتسمَ كاشفًا عن فمٍ مليء بالأسنان المصفرَّة المعوجَّة، وأضافَ: «استكشِف الإيوان والحدائق كما تُريد، لكن إياك والخروج وراء الأسوار. الأفضل ألَّا يعلم أحد أنك كنت هنا».

- «كنتُ؟ وهل ذهبتُ إلى مكانٍ ما؟».

- «سنجد وقتًا يكفي للكلام عن هذا في المساء. أنا وصديقي الصَّغير سنأكل ونشرب ونرسم خُططًا عظيمةً، أليس كذلك؟».

أجابَ تيريون: «بلى يا صديقي السَّمين». *يُريد أن يستغلَّني* لمنفعته. لا يعرف أمراء المُدن الحُرَّة التُّجَّار إلَّا المنفعة. إنهم «جنود التَّوابل ولوردات الجُبنة» كما اعتادَ السيِّد والده أن يصفهم بازدراء. إذا بزغ فَجر يومٍ ووجدَ إليريو موپاتيس في قزمٍ ميت مكسبًا أكبر من قزمٍ حي، فسيجد تيريون نفسه مشحونًا في برميل نبيذٍ آخَر مع حلول الغسق. خيرٌ *لي أن أرحل قبل أن يأتي ذلك اليوم*. لا شكَّ لديه في مجيء ذلك اليوم، فسرسي لن تنساه، وحتى چايمي قد يستاء حين يجد أباهم بسهمٍ مغروس في بطنه.

كانت رياح خفيفة تُموِّج مياه المسبح حول المُبارز العاري بالأسفل. ذكَّره المشهد بتايشا حين كانت تُداعِب شَعره خلال ربيع زواجهما الزَّائف، قبل أن يُساعِد حَرس أبيه على اغتصابها. في أثناء هروبه فكَّر في هؤلاء الحَرس محاولًا تذكُّر عددهم. المفترَض أن يتذكَّر شيئًا كهذا، لكن لا. دستة؟ عشرون؟ مئة؟ لا يدري. كانوا جميعًا رجالًا ناضجين، طوالًا وأقوياء... ولو أن كلَّ الرِّجال طوال بالنِّسبة إلى قزمٍ في الثَّالثة عشرة من العُمر. *تايشا* عرفَت عددهم. كلٌّ منهم نقدَها أيلًا فضِّيًّا، فما كان عليها إلَّا أن تُحصي قِطع العُملة. *قِطعة فضِّيَّة من كلِّ واحدٍ منهم وواحدة ذهبيَّة* مني. أصرَّ أبوه على أن يدفع تيريون لها أيضًا. *اللانستر يُسدِّد ديونه دائمًا*.

مرَّةً أخرى سمعَ اللورد تايوين يقول: «أينما تذهب العاهرات»، ومرَّةً أخرى أصدرَ القوس صوته الوتري.

الماجستر دعاه إلى استكشاف الإيوان، وهكذا وجدَ ثيابًا نظيفةً في صندوقٍ من خشب الأَرز المطعَّم باللازَوَرْد وعِرق اللُّؤلؤ، وإن أدركَ وهو يرتديها بصعوبةٍ أن الثِّياب مفصَّلة لصبيٍّ صغير الحجم. الأقمشة فخمة بما فيه الكفاية، وإن كانت رائحتها زنخة بعض الشَّيء، لكن السَّاقين أطول من اللَّازم والذِّراعين أقصر من اللَّازم، وثمَّة طوق كان ليُسوِّد وجهه حتى يُحاكي وجه چوفري لو استطاعَ بوسيلةٍ ما أن يُوثِقه، كما أن العُثَّ قضمَ منها أيضًا. *على الأقل ليست رائحتها قيء.*

بدأ تيريون الاستكشاف بالمطبخ، حيث راقبَته امرأتان سمينتان ومُساعد طبَّاخ بحذرٍ إذ راحَ يلتهم الجُبنة والخُبز والتِّين. قال منحنيًا: «طابَ صباحكما أيتها السيِّدتان الحسناوان. هل تعلمان أين تذهب العاهرات؟»، ولمَّا لم تردَّا أعادَ السُّؤال بالقاليريَّة الفُصحى، إلَّا أنه قال «محظيَّة» بدلًا من «عاهرة»، وهذه المرَّة هزَّت الطَّاهية الأصغر والأسمن كتفيها.

تساءلَ ماذا قد تفعلان إذا أخذَهما باليد وجرَّهما إلى غُرفة نومه. *لن تجرؤ أيُّهن على الرَّفض.* هكذا زعمَ إليريو، ولكن بشكلٍ ما لا يحسب تيريون أنه قصدَ هاتين الاثنتين. أصغرهما عجوز بما يكفي لأن تكون أمَّه، والأخرى أمُّها هي على الأرجح، وكلتاهما تُناهِز إليريو بدانةً، ولهما أثداء أكبر من رأسه. *يُمكنني أن أختنق نفسي باللَّحم.* ثمَّة طرائق أسوأ للموت؛ الطَّريقة التي ماتَ بها السيِّد والده على سبيل المثال. *كان عليَّ أن أجعله يتبرَّز القليل من الذَّهب قبل أن يلفظ آخِر أنفاسه.* ربما بخلَ اللورد تايوين بالرِّضا والعاطفة، لكنه لطالما كان سخيًّا حين يتعلَّق الأمر بالمال! *أكثر إثارةً للشَّفقة من قزمٍ بلا أنفٍ قزمٌ بلا أنفٍ ولا ذهب.*

تركَ تيريون المرأتين السَّمينتين لأرغفتهما وقدورهما، وذهبَ يبحث عن القبو الذي صبّه فيه إليريو من البرميل ليلة البارحة. لم يكن العثور عليه صعبًا، وهناك وجدَ خمورًا تكفي لإبقائه سكرانَ مئة عامٍ كاملةً؛ نبيذًا أحمر حُلوًا من (المرعى)، ونبيذًا أحمر حامضًا من (دورن)، ونبيذًا كهرمانيًّا شاحبًا من (پنتوس)، ورحيق (مير) الأخضر، وستّين برميلًا من نبيذ (الكرمة) الذَّهبي، وكذا خمورًا من الشَّرق الأسطوري، من (كارث) و(يي تي) و(آشاي) الواقعة عند (بلاد الظِّل). في النِّهاية انتقى تيريون برميلًا من النَّبيذ القوي، مكتوبًا عليه أنه من المخزون الخاص باللورد رونسفورد ردواين، وهو جدُّ سيِّد (الكرمة) الحالي. وجدَ مذاقه مستساغًا ثقيلًا على اللِّسان، ولونه الأرجواني الدَّاكن للغاية يكاد يبدو أسود في إضاءة القبو المعتمة. ملأَ تيريون كوبًا ثم إبريقًا على سبيل الاستزادة، وحملَهما إلى الحدائق بالأعلى ليشرب تحت أشجار الكرز التي رآها.

ولكن تصادفَ أنه خرجَ من الباب الخطأ ولم يجد المسبح الذي رآه من نافذته. لم يهتمّ، فالحدائق الممتدّة وراء الإيوان تسرُّ النَّفس بدورها، كما أنها أوسع كثيرًا، وهكذا تجوّل في أنحائها بعض الوقت وهو يشرب. الأسوار كفيلة بجعل أيِّ قلعةٍ فعليَّة تبدو كالأطلال، وقد بدَت الخوازيق الحديد التي تُزيِّنها من أعلى عاريةً على نحوٍ غريب دون رؤوسٍ تُحلِّيها. تخيَّل تيريون منظر رأس أخته هناك بالأعلى، في شَعرها الذَّهبي القطران، والذُّباب يئزُّ داخلًا فمها وخارجًا منه. *نعم، ولا بُدَّ أن يكون الخازوق المجاور لها لچايمي. يجب ألَّا يأتي أحد بين أخي وأختي.*

قد يتمكّن من تسلُّق ذلك السُّور باستخدام حبلٍ وخُطّاف. إن ذراعيه قويّتان ووزنه ليس ثقيلًا، ويُفترَض أن يستطيع العبور إلى الجانب الآخَر إذا لم يُخَوزِق نفسه. *سأبحثُ عن حبلٍ غدًا*.

خلال تجواله رأى البوّابات؛ المدخل الرئيس بمبناه الخاص، وبوّابة جانبيّة عند أوجرة الكلاب، وبوّابة حديقة تُخفيها فروع اللّبلاب الشّاحب المتشابكة. وجدَ البوّابة الأخيرة مغلقةً بالسّلاسل، والأخريَيْن تحت الحراسة. الحُرّاس ممتلئون ووجوههم ملساء كمؤخِّرات الرُّضَّع، ويعتمر كلٌّ منهم خوذةً مدبّبةً من البرونز. يعرف تيريون المخصيِّين حين يراهم، ويعرف نوعهم بالسُّمعة. يُقال إنهم لا يخافون شيئًا ولا يَشعُرون بالألم، ومخلصون لسادتهم حتى الموت. *سيُفيدني كثيرًا أن يكون بضع مئاتٍ منهم تحت إمرتي*. مؤسفٌ *أنني لم أفكّر في هذا قبل أن اصبح متسوِّلًا*.

قطعَ شُرفةً ذات أعمدة ومرّ من تحت قنطرةٍ مدبَّبة، ووجدَ نفسه في باحةٍ مفروشة بالبلاط، حيث وقفَت امرأة تغسل الملابس عند بئر. بدَت في سِنّه، شَعرها أحمر باهت ووجها عريض مبرقَش بالنَّمش. سألَها: «هل تُريدين القليل من النَّبيذ؟»، ولمَّا رمقَته حائرةً قال: «ليس معي كوب لكِ. علينا أن نتقاسَم كوبي». عادَت الغسَّالة إلى نفض السُّترات ونشرها، واستقرَّ تيريون على دِكَّةٍ حجريَّة بإبريقه متسائلًا: «أخبِريني، إلى أيِّ حدٍّ يُمكنني الثِّقة بالماچستر إليريو؟». جعلَها الاسم ترفع عينيها إليه، فقال: «إلى هذا الحدِّ؟»، وقهقهَ واضعًا ساقًا على ساقٍ ورشَفَ من شرابه، ثم تابعَ: «أكرهُ أن ألعب الدَّور الذي يعدُّه تاجر الجُبنة لي أيًّا كان، ولكن كيف أرفضُ؟ البوَّابات عليها حراسة. ربما يُمكنكِ تهريبي إلى الخارج تحت تنُّورتكِ؟ سأكونُ في غاية الامتنان، بل وسأتزوَّجكِ أيضًا. إن لي زوجتين بالفعل، فماذا يمنع أن تكوني الثَّالثة؟ آه، لكن أين نَسكُن؟»، ومنحَها أطيب ابتسامةٍ يقدر عليها رجل له نِصف أنف، وأردفَ: «إن لي ابنة أختٍ في (صنسپير)، هل أخبرتكِ بهذا؟ بإمكاني إحداث بلبلةٍ عظيمة في (دورن) عن طريق مارسلا. أستطيعُ أن أشعل حربًا بين ابنة أختي وابنها، ألن يكون ذلك طريفًا؟». ثبَّتت الغسَّالة على الحبل سُترةً لإليريو تَصلُح لأن تكون شراعًا، فيما واصلَ هو: «يَجدُر بي أن تُخزيني تلك الأفكار الشرِّيرة، أنتِ محقَّة تمامًا. الأفضل أن أسعى إلى (الجِدار). عندما يلتحق الرَّجل بحَرس اللَّيل تُمحى جرائمه كلُّها كما يقولون، لكنني أخشى أنهم لن يسمحوا لي بالاحتفاظ بكِ يا حُلوتي. لا نساء في حَرس اللَّيل، لا زوجات جميلات ذوات نمشٍ يُدفِّئن فِراش المرء في اللَّيل، لا شيء إلَّا الرِّيح الباردة وسمك القُد المملَّح والقليل من البيرة. أتحسبينني

سأبدو أطول قامةً إذا ارتديتُ الأسود يا سيِّدتي؟»، وأعادَ مَلء كوبه مضيفًا: «ما قولكِ؟ الشَّمال أم الجنوب؟ هل أكفِّرُ عن خطاياي القديمة أم أرتكبُ بضع خطايا جديدةً؟».

رمقَته الغسَّالة بنظرةٍ أخيرة، ثم التقطَت سلَّتها وابتعدَت، ففكَّر تيريون: *لا يبدو أنني أستطيعُ الاحتفاظ بزوجةٍ طويلًا*. بشكلٍ ما كان ما في إبريقه قد نفدَ. *ربما عليّ العودة إلى القبو*. على أن النَّبيذ القوي جعلَ رأسه يدور، ودرجات القبو طويلة منحدرة للغاية. سألَ الغسيل الذي يُرَفرِف على الحبل: «أين تذهب العاهرات؟». ربما كان عليه أن يسأل الغسَّالة. *وإن كنتُ لا ألمِّحُ إلى كونكِ عاهرةً يا عزيزتي، ولكن قد تعلمين أين يذهبن*. والأفضل لو كان قد سألَ أباه. قال اللورد تايوين: «أينما تذهب العاهرات». *لقد أحبَّتني. كانت ابنة مُزارع، أحبَّتني وتزوَّجتني ووضعَت ثقتها بي*.

انزلقَ الإبريق الفارغ من يده وتدحرجَ على أرض الباحة، فدفعَ تيريون نفسه ناهضًا ليستعيده، وإذ فعلَ هذا لمحَ بعض الفطر النَّابت من بلاطةٍ مكسورة، فطرًا أبيض شاحبًا مرقَّطًا، جوانبه السُّفليَّة مضلَّعة بالأحمر القاني كالدَّم. قطفَ القزم حبَّة وتشمَّمها مفكِّرًا: *شهيَّة، ومميتة*.

كانت حبَّات الفطر سبعًا. لعلَّ الآلهة السَّبعة تُحاوِل إخباره بشيءٍ ما. قطفَها كلَّها وانتزعَ قُفَّازًا من على الحبل ولفَّها به بحرصٍ ودسَّها في جيبه، غير أن الجهد دوَّر رأسه، فعادَ إلى الدِّكَّة وتكوَّر على نفسه فوقها وأغمضَ عينيه.

وعندما استيقظَ ثانيةً وجدَ نفسه في غُرفة نومه من جديد، غارقًا في الفِراش المحشو بريش الإوزّ بينما تهزُّه فتاة شقراء من كتفه قائلةً: «سيِّدي، حمّامك جاهز. الماچستر إليريو ينتظرك على المائدة خلال ساعة».

أسندَ تيريون ظَهره إلى الوسائد، ووضعَ رأسه بين يديه متسائلًا: «هل أحلمُ أم أنكِ تتكلّمين العاميّة؟».

- «نعم يا سيِّدي. لقد اشتُريتُ للتّرفيه عن الملك». الفتاة حسناء زرقاء العينين، شابّة وغضّة.

- «أنا واثق بأنكِ رفّهتِ عنه. أريدُ كوبًا من النّبيذ».

قالت وهي تصبُّ له: «الماچستر إليريو قال أن أفرك ظَهرك وأدفِّئ فِراشك. اسمي...».

- «... لا يهمُّني. هل تعرفين أين تذهب العاهرات؟».

احمرَّ وجهها، وقالت: «العاهرات يبعن أنفسهن مقابل المال».

- «أو الجواهر، أو الفساتين، أو القلاع. لكن أين يذهبن؟».

ردَّت الفتاة التي لم تستوعب السُّؤال: «أهذه أحجية يا سيِّدي؟ لستُ بارعةً في الأحاجي. هلّا أخبرتني بالإجابة؟».

لا. إنني أبغضُ الأحاجي عن نفسي. «لن أخبركِ بشيء، فأسدي لي الصَّنيع نفسه». همّ بأن يقول لها: *الجزء الوحيد الذي يهمُّني فيكِ هو الذي بين ساقيكِ*، وكانت الكلمات على لسانه بالفعل، لكنها لسببٍ ما لم تَخرُج من بين شفتيه، وقال القزم لنفسه: *إنها ليست شِاي، بل مجرّد حمقاء صغيرة تحسبني ألعبُ بالأحاجي.* الحقيقة أن فرجها نفسه لا يهمُّه لهذه الدَّرجة. *لا بُدَّ أنني مريض، أو ميت.* «هل ذكرتِ حمّامًا؟ يجب ألّا نَترُك تاجر الجُبنة العظيم منتظرًا».

في أثناء استحمامه غسلَت الفتاة قدميه وفركَت ظَهره ومشَّطت شَعره، وبعدها دهنَت رَبلتَي ساقيه بمرهمٍ عطِر الرَّائحة لتخفيف الألم فيهما، ثم ألبسَته ثياب الصِّبيان مجدَّدًا؛ سراويل خمريَّةً زنخة الرَّائحة، وسُترةً ضيِّقةً من المخمل الأزرق مبطَّنةً بقُماش الذَّهب، وبينما تعقد أربطة حذائه سألَته: «هل سيرغب فيَّ سيِّدي بعد أن يأكل؟».

- «لا، لقد فرغتُ من النِّساء». *العاهرات*.

ضايقَه ألَّا تُبدي خيبة الأمل، وقولها: «إذا كان سيِّدي يُفضِّل غُلامًا فيُمكنني أن أجعل واحدًا ينتظره في الفِراش».

سيِّدي يُفضِّل زوجته، سيِّدي يُفضِّل فتاةً اسمها تايشا. «فقط إذا كان يعرف أين تذهب العاهرات».

زمَّت الفتاة شفتيها، فقال لنفسه: *إنها تحتقرني، ولكن ليس أكثر مما أحتقرُ نفسي*. لا يرتاب تيريون لانستر على الإطلاق في أنه ضاجعَ نساءً كثيرات يكرهن مجرَّد منظره، لكن الأخريات كُنَّ على الأقل بالكياسة الكافية لادِّعاء العاطفة. *قد يكون القليل من الاحتقار الصَّادق منعشًا، كالنَّبيذ اللَّاذع بعد الكثير من الحُلويات*.

قال لها: «أعتقدُ أنني غيَّرتُ رأيي. انتظريني في الفِراش، عاريةً إذا سمحتِ. سأكون أكثر ثملًا من أن أستطيع خلع ثيابكِ»، ونظرَ إليها شزرًا آملًا أن يتذوَّق شيئًا من خوفها، لكنه لم ينَل منها إلَّا الاشمئزاز. *لا أحد يخشى الأقزام*. حتى اللورد تايوين لم يخَف مع أن تيريون كان يحمل نُشَّابيَّةً. سألَ خادمة الفِراش: «هل تتأوَّهين عند النِّكاح؟».

- «إذا كان هذا يسرُّ سيِّدي».

- «قد يسرُّ سيِّدي أن يَخنُقكِ. هذا ما فعلته بعاهرتي الأخيرة. هل تحسبين أن سيِّدكِ سيعترض؟ لا بالتَّأكيد. إن عنده مئةً منكِ، لكن لا أحد آخَر مِثلي».

وعندما رماها بابتسامته العريضة هذه المرَّة نالَ الخوف الذي أرادَه.

كان إليريو مستريحًا على أريكةٍ مبطَّنة، يلتهم الفلفل الحار والبصل اللُّؤلؤي من وعاءٍ خشبي، وقد نضحَ جبينه بالعَرق والتمعَت عيناه الخنزيريَّتان فوق وجنتيه اللَّحيمتين، وتراقصَت الجواهر على يديه مع حركتهما؛ جزْع وأوپال، وعين نمر وتورمالين، وياقوت وجمَشت، وصفِّير وزمرُّد، وسبَج ويَشب، وماسة سوداء ولؤلؤة خضراء. قال تيريون لنفسه متأمِّلًا: *يُمكنني أن أعيش سنينًا على ثَمن خواتمه، وإن كنتُ سأحتاجُ إلى ساطور لآخذها.*

أشارَ له إليريو بالاقتراب قائلًا: «تعالَ واجلس يا صديقي الصَّغير».

صعد القزم على مقعدٍ، ولو أنه وجدَه كبيرًا عليه للغاية، عرشًا مكدَّسة عليه الوسائد صُنِعَ لاستيعاب أرداف الماچستر الهائلة، وله قوائم سميكة متينة تتحمَّل وزنه. لقد عاشَ تيريون لانستر حياته بأكملها في عالمٍ كبير عليه للغاية، لكن في ضيعة إليريو موپاتيس اتَّخذ إحساسه بالتَّفاوُت أبعادًا لا تُصدَّق. *أنا فأر في عرين ماموث، لكن على الأقل عند الماموث قبوًا مليئًا بالخيرات.* أشعرَته الفكرة بالعطش، فطلبَ نبيذًا.

سألَه إليريو: «هل استمتعت بالفتاة التي أرسلتها إليك؟».

- «لو أردتُ فتاةً لطلبتها».

- «إذا تخاذلَت عن إسعـ...».

- «بل فعلَت كلَّ المطلوب منها».

- «كان هذا أملي. لقد تلقَّت تدريبها في (لِيس)، حيث يجعلون من الحُبِّ فنًّا. الملك استمتعَ بها كثيرًا».

قال تيريون: «إنني أقتلُ الملوك، ألم تسمع؟»، وابتسمَ بشرٍّ من فوق كأسه مضيفًا: «لستُ أريدُ فضلاتٍ ملكيَّةً».

- «كما تشاء. لنأكل إذن»، وصفَّق إليريو فجاءَ الخدم مسرعين.

بدآ بمرق سرطان البحر وسَمك الرَّاهب، بالإضافة إلى حَساء بيضٍ وليمون أخضر بارد، ثم رُصَّت أطباق السُّمَّان بالعسل، ولحم ظَهر الحملان، وكبد الإوز الغارق في النَّبيذ، والجزر الأبيض بالزُّبدة، والخنازير الرَّضيعة. أصابَ منظر كلِّ هذه الأصناف تيريون بالغثيان، لكنه أجبرَ نفسه على تجربة ملعقةٍ من الحَساء على سبيل الأدب، وحالما تذوَّقها ضاعَ تمامًا. ربما تكون الطَّاهيتان عجوزين سمينتين، لكنهما تعرفان عملهما. إنه لم يأكل بهذه الشَّهيَّة من قبل قَطُّ، حتى في البلاط الملكي.

بينما يمتصُّ اللَّحم من على عظم طائره سألَ إليريو عن استدعاء الأمير هذا الصَّباح، فهزَّ الرَّجل البدين كتفيه مجيبًا: «ثمَّة متاعب في الشَّرق. (أستاپور) و(ميرين) سقطَتا، مدينتان جيسكاريَّتان كانتا عجوزين والعالم في شبابه».

قطَّع أحد الخدم الخنزير الرَّضيع، فتناولَ إليريو قطعةً من الشِّواء وغمسَها في صلصة البرقوق وأكلَها بأصابعه.

غرسَ تيريون طرف سكِّينه في قطعةٍ من كبد الإوز قائلًا: «(خليج النخَّاسين) بعيد جدًّا عن (پنتوس)». *ما من أحدٍ ملعون كقاتِل الأقربين، ولكن بإمكاني أن أحبَّ هذا الجحيم.*

قال إليريو: «صحيح، لكن العالم شبكة واحدة عظيمة، والمرء لا يجرؤ على لمس خيطٍ واحد خشية أن تهتزَّ الخيوط الأخرى كلُّها. مزيد من النَّبيذ؟»، ثم ألقى قرنًا من الفلفل في فمه، وأردفَ: «لا، شيء أفضل»، وعادَ يُصفِّق.

دخلَ خادم على إثر الصَّوت حاملًا طبقًا مغطًّى ووضعَه أمام تيريون، ومالَ إليريو عبر المائدة يرفع الغطاء، ثم أعلنَ الماچستر إذ فاحَت الرَّائحة: «فطر مقبَّل بالثُّوم ومحمَّم بالزُّبدة. قيلَ لي إن مذاقه بديع. كُل واحدةً يا صديقي، كُل اثنتين».

كانت حبَّة الفطر الأسود الكبيرة في منتصَف الطَّريق إلى فم تيريون بالفعل، لكن شيئًا ما في نبرة إليريو جعلَه يتوقَّف فجأةً، وقال دافعًا الطَّبق نحو مضيفه: «بعدك يا سيِّدي».

بدوره دفعَ الماچستر إليريو طبق الفطر نحوه قائلًا: «لا، لا»، وللحظةٍ خاطفة بدا كأن فتى خبيثًا يطلُّ من داخل جسد تاجر الجُبنة المنتفخ. «بعدك. أنا مصرٌّ. الطَّاهية أعدَّته خصِّيصًا من أجلك».

- «حقًّا؟». تذكَّر الطَّاهية والدَّقيق على يديها وثدييها الثَّقيلين وعروقهما الزَّرقاء الدَّاكنة. «هذا لُطف منها، لكن... لا»، وبتؤدةٍ أعادَ تيريون حبَّة الفطر إلى بحيرة الزُّبدة التي خرجَت منها.

قال إليريو مبتسمًا من تحت لحيته الصَّفراء المتشعِّبة: «يا لك من شكَّاك». يظنُّ تيريون أنه يدهن لحيته هذه بالزُّيوت كلَّ يومٍ ليجعلها تلمع كما الذَّهب. «أأنت جبان؟ لم أسمع ذلك عنك».

- «في (الممالك السَّبع) يعدُّ قتل ضيفك على العَشاء بالسُّمِّ خرقًا عظيمًا لأصول الضِّيافة».

تناولَ إليريو موياتيس كأسه قائلًا: «وهنا أيضًا، لكن حين تبدو رغبة الضَّيف في إنهاء حياته واضحةً جليَّةً فعلى مضيفه أن يُلبِّيها، أليس كذلك؟»، وجرعَ من النَّبيذ، ثم تابعَ: «الماچستر أوردلو ماتَ مسمومًا بحبَّة فطر قبل أقلِّ من نِصف عام. قيلَ لي إن الألم ليس شديدًا. مغص خفيف، وألم مفاجئ وراء العينين، ثم ينتهي كلُّ شيء. الفطر أفضل من سيفٍ في العُنق، أليس كذلك؟ لِمَ تموت وفي فمك مذاق الدَّم في حين يُمكن أن يكون مذاق الزُّبدة والثُّوم؟».

أمعنَ القزم النَّظر إلى الطَّبق أمامه، وقد أسالَت رائحة الثُّوم والزُّبدة لُعابه بالفعل. جزء منه يُريد هذا الفطر على الرغم من معرفته بحقيقته. إنه ليس بالشَّجاعة الكافية لأن يُغمِد الحديد البارد في بطنه، لكن قضمةً من الفطر لن تكون بتلك الصُّعوبة، وقد أخافَه هذا لدرجةٍ لا يستطيع التَّعبير عنها. سمعَ نفسه يقول: «أنت مخطئ».

- «حقًّا؟ يا هل تُرى! إذا كنت تُحبِّذ الغرق في النَّبيذ فقُل وستنال ما تُريد، وبسرعة. الغرق كأسًا كأسًا مضيعة للوقت والنَّبيذ».

كرَّر تيريون بصوتٍ أعلى: «أنت مخطئ». كان الفطر الدَّاكن يلتمع بإغراءٍ في ضوء المصباح. «لستُ راغبًا في الموت، أؤكِّدُ لك. إن عندي...»، لكن صوته تاهَ في غياهب الحيرة. *ما الذي عندي؟ حياة أعيشها؟ عمل أؤدِّيه؟ أطفال أربِّيهم؟ أرض أحكمها؟ امرأة أحبُّها؟*

أنهى الماچستر إليريو عبارته قائلًا: «ليس عندك شيء، لكننا نستطيع أن نُغيِّر هذا»، والتقطَ حبَّة فطر من الزُّبدة ومضغَها بتلذُّذ، ثم قال: «شهيَّة».

مستاءً قال تيريون: «الفطر ليس مسمومًا».

قال الماچستر إليريو: «نعم. لِمَ أتمنّى لك الأذى؟»، وأكلَ حبَّةً أخرى مردفًا: «يجب أن يُبدي كلانا القليل من الثِّقة. هلمَّ، كُل»، ومن جديدٍ صفَّق مضيفًا: «إن أمامنا عملًا، ويجب أن يحتفظ صديقي الصَّغير بقوَّته».

جلبَ الخدم طيور البَلَشون المحشوَّة بالتِّين، وشرائح لحم العجل المسلوق في حليب اللَّوز، والرِّنجة المهروسة بالقشدة، والبصل المحلَّى، وأجبانًا عفِنة الرَّائحة، وأطباقًا من الحلزون وحُلويات العجول، وإوزَّةً سوداء بريشها. رفضَ تيريون الإوزَّة التي ذكَّرته بعَشاءٍ تناوَله ذات مرَّةٍ مع أخته، وإن أكلَ البَلَشون والرِّنجة وعددًا من حبَّات البصل المحلَّى، وكلَّما أفرغ كأسه ملأه الخدم من جديد.

- «تشرب نبيذًا كثيرًا جدًّا بالنِّسبة إلى رجلٍ صغير مِثلك».

- «قتل الأقربين عمل يُصيب بالجفاف، يجعلني أعطشُ».

التمعَت عينا البدين كالأحجار الكريمة على أصابعه، وقال: «في (وستروس) من يقولون إن قتل اللورد تايوين كان مجرَّد بداية موفَّقة».

قال القزم: «خيرٌ لهم ألَّا يقولوا هذا على مسمعٍ من أختي وإلَّا وجدوا أنفُسهم بلا ألسنة»، ومزَّق رغيفًا من الخُبز نِصفين، وأضافَ: «وخيرٌ لك أن تتوخَّى الحذر في ما تقوله عن عائلتي أيها الماچستر. قاتِل أقربين أو لا، إنني ما زلتُ أسدًا».

بدا أن سيِّد الأجبان وجدَ قوله طريفًا لأقصى درجة، وقد صفعَ فخذه اللَّحيمة قائلًا: «كلُّكم واحد يا معشر الوستروسيِّين، تخيطون حيوانًا ما على قطعةٍ من الحرير وفجأةً تُصبِحون أسودًا أو تنانين أو نسورًا. يُمكنني أن آخذك إلى أسدٍ حقيقي يا صديقي الصَّغير. الأمير يحتفظ بعدَّة أُسودٍ مهيبة في معرض وحوشه. هل ترغب في مشاركتها قفصها؟».

أقرَّ تيريون رغمًا عنه بأن لوردات (الممالك السَّبع) يُبالِغون جدًّا في تقدير رموزهم بالفعل، وهكذا قال مسلِّمًا: «ليكن. اللانستر ليس أسدًا، لكني ما زلت ابن أبي، ولي أنا أن أقتل چايمي وسرسي».

قال إليريو بين حلزون وحلزون: «غريب للغاية أن تَذكُر أختك الجميلة. لقد عرضَت الملكة اللورديَّة على من يأتيها برأسك، مهما كان مولده متواضعًا».

ليس هذا أكثر مما توقَّع تيريون، الذي ردَّ: «إذا كنت تنوي قبول عرضها فاجعلها تفتح ساقيها لك أيضًا. أفضل جزءٍ مني لقاء أفضل جزءٍ منها، صفقة عادلة».

قال تاجر الجُبنة: «أفضِّلُ أن أحظى بوزني ذهبًا»، وانفجرَ ضاحكًا بشدَّةٍ حتى إن تيريون خشيَ أن ينفجر، قبل أن يُضيف: «كلُّ ما في (كاسترلي روك) من ذهب، ولِمَ لا؟».

مرتاحًا لأنه لن يغرق في بِركةٍ من الأسماك واللُّحوم نِصف المهضومة، قال القزم: «الذَّهب لك، لكن (الصَّخرة) لي».

قال الماچستر: «بيت القصيد»، وغطَّى فمه يُداري تجشُّؤه القوي، ثم تابعَ: «هل تظنُّ أن الملك ستانيس سيُعطيك إياها؟ بلغَني أنه يُطبِّق القانون بحذافيره. أخوك يرتدي المعطف الأبيض، أي أنك الوريث بحسب قوانين (وستروس) كلِّها».

قال تيريون: «قد يمنحني ستانيس (كاسترلي روك) حقًّا، لولا المسألة الصَّغيرة المتعلِّقة بقتل الملك وقتل الأقربين. لقاء هذا سيُقصِّرني رأسًا، وأنا قصير كفايةً بالفعل. لكن لِمَ تحسبني أنوي الانضمام إلى اللورد ستانيس؟».

- «ولِمَ تذهب إلى (الجِدار) إن لم يكن لهذا؟».

حكَّ تيريون أنفه متسائلًا: «ستانيس على (الجِدار)؟ ما الذي يفعل ستانيس على (الجِدار) بحقِّ الجحائم السَّبع؟».

- «يرتجف على ما أظنُّ. الطَّقس أكثر دفئًا في (دورن). ربما كان عليه الإبحار في ذلك الاتِّجاه».

كان تيريون قد بدأ يرتاب في أن غسَّالةً معيَّنةً ذات نمش تعرف من اللُّغة العاميَّة أكثر مما تتظاهَر. «يتصادَف أن مارسلا ابنة أختي في (دورن)، وأفكِّرُ في أن أجعلها ملكةً».

ابتسمَ إليريو فيما غرفَ لهما خدمه الكرز الأسود بالقشدة المحلَّاة، وقال: «ما الذي فعلَته بك تلك الطِّفلة المسكينة حتى تتمنَّى موتها؟».

مجروحًا قال تيريون: «حتى قاتِل الأقربين ليس مطلوبًا منه أن يَقتُل جميع أقربائه! قلتُ أجعلها ملكةً، لم أقل أقتلها».

تناولَ تاجر الجُبنة الكرز بالملعقة قائلًا: «في (ڤولانتيس) يستخدمون عُملةً على وجهها تاج وعلى الوجه الآخَر رأس الموت، لكنها العُملة نفسها. إن توَّجتها تَقتُلها. ربما تنهض (دورن) من أجل مارسلا، لكن (دورن) وحدها لا تكفي، وأنت تعلم هذا إذا كنت بالذَّكاء الذي يُؤكِّده صديقنا».

رمقَ تيريون الرَّجل البدين باهتمامٍ تجدَّد، وقال في قرارة نفسه: *إنه محقٌّ في هذا وذلك. إن توَّجتها قتلتها، وأنا أعلمُ هذا.*

«لم يتبقَّ لي إلَّا المحاولات العبثيَّة. على الأقل هذه المحاولة ستجعل أختي تذرف دموعًا مريرةً».

مسحَ الماچستر إليريو القشدة المحلَّاة عن فمه بظَهر يده السَّمينة، وقال: «الطَّريق إلى (كاسترلي روك) لا يمرُّ بـ(دورن) يا صديقي الصَّغير، ولا يمضي أسفل (الجِدار)، لكنني أؤكِّدُ لك أن هذا الطَّريق موجود».

- «أنا خائن مجرَّد من ممتلكاته وإرثه وقاتِل ملكٍ وقاتِل أقربين». هذا الكلام عن الطُّرق يُضايِقه. *هل يحسبها لُعبةً؟*

قال إليريو: «ما يفعله ملك يستطيع ملك آخَر أن يُبطِله. في (پنتوس) لنا أمير يا صديقي، يترأَّس الاحتفالات والمآدب ويتجوَّل في المدينة راكبًا هودجًا من العاج والذَّهب، يسبقه ثلاثة حُجَّاب حاملين ميزان التِّجارة الذَّهبي وسيف الحرب الحديدي وكُرباج العدالة الفضِّي، وفي اليوم الأول من كلِّ عامٍ جديد عليه أن يقطف زهرة عذراء الحقول وعذراء البحار»، ومالَ إلى الأمام مستندًا بمرفقيه إلى المائدة، وأكملَ: «لكن إذا حدثَ أن بارَ محصول أو هُزِمنا في حربٍ ننحره إرضاءً للآلهة، ونختار أميرًا جديدًا من بين العائلات الأربعين».

- «ذكِّرني ألَّا أصبحُ أمير (پنتوس) أبدًا».

- «وهل تختلف ممالككم السَّبع؟ ليس في (وستروس) سلام، لا عدالة، لا إيمان... وقريبًا لا طعام. حين يتضوَّر النَّاس جوعًا ويضيقون ذرعًا بالخوف يبحثون عن مُنقذ».

- «لهم أن يبحثوا، لكن إذا لم يجدوا إلَّا ستانيس...».

اتَّسعت الابتسامة الصَّفراء إذ قال الماچستر: «ليس ستانيس ولا مارسلا، غيرهما. أقوى من تومن، وأرحم من ستانيس، وأحقُّ من الفتاة مارسلا. مُنقذ من وراء البحر يُداوي جراح (وستروس) التي تذرف الدِّماء».

ردَّ تيريون بلا تأثُّر: «كلام جميل، والكلام هواء. ومن هذا المُنقذ اللَّعين؟».

قال تاجر الجُبنة: «تنِّين»، ولمَّا رأى النَّظرة على وجهه ضحكَ مضيفًا: «تنِّين له ثلاثة رؤوس».

---

(5) المِزر نوع من البيرة يستغرق فترةً أقصر حتى يختمر ومذاقه غير مُر. (المُترجم).

كان بإمكانها سماع الرَّجل الميت يصعد السَّلالم، يسبقه وقع خُطوات الأقدام البطيء الموزون الذي يتردَّد صداه بين أعمدة قاعتها الأرجوانيَّة، وقد جلسَت دنيرس تارجاريَن تنتظره على الدِّكَّة الأبنوس التي جعلَتها عرشها، جفناها يُرخيهما النُّعاس وشَعرها الذَّهبي الفضِّي أشعث مبعثَر.

قال قائد حَرسها الملكي السير باريستان سلمي: «جلالة الملكة، لا داعي لأن تري هذا».

ردَّت داني: «لقد ماتَ من أجلي»، وضمَّت إلى صدرها فروة الأسد التي ترتدي تحتها غِلالةً بيضاء رقيقةً من الكتَّان تُغطِّيها حتى منتصَف الفخذ. كانت تَحلُم بمنزلٍ بابه أحمر حين أيقظَتها ميسانداي، ولم تجد وقتًا لتبديل ثيابها.

همسَت إيري: «گاليسي، يجب ألَّا تلمسي الرَّجل الميت. لمس الموتى يجلب الحظَّ السيِّئ».

قالت چيكوي: «إلَّا إذا قتلَهم المرء بنفسه، هذا معلوم». الفتاة عظامها أكبر من عظام إيري، ولها وَركان عريضتان ونهدان ثقيلان.

أمَّنت إيري على قولها بقولها: «هذا معلوم».

الدوثراكي حُكماء في ما يتعلَّق بالخيول، ولكن من شأنهم أن يكونوا غايةً في الحماقة في أشياء أخرى كثيرة. *ثم إنهما ما زالَتا فتاتين*. وصيفتاها في مِثل سِنِّها، امرأتان بالغتان كما يشي منظرهما، لهما شَعر أسود وبشرة نُحاسيَّة وأعيُن لوزيَّة الشَّكل، لكنهما فتاتان رغم ذلك. لقد مُنِحَت إياهما عندما تزوَّجت الكَال دروجو، ودروجو هو من أهدى إليها الفروة التي ترتديها، رأس وإهاب الهراكار، أسد (بحر الدوثراكي) الأبيض، ومع أن الفروة كبيرة عليها للغاية ولها رائحة زنخة، فإنها تُشعِرها كأن شمسها ونجومها لا يزال بالقُرب منها.

ظهرَ الدُّودة الرَّمادي على قمَّة السَّلالم أولًا، يرفع مشعلًا ويعتمر خوذةً من البرونز تعلوها ثلاث شُعب مدبَّبة، وقد تبعَه أربعة من جنوده المُطهَّرين حاملين الرَّجل الميت على الأكتاف، وعلى رأس كلٍّ منهم خوذة تَبرُز منها شُعبة مدبَّبة واحدة، دون أن يلوح على وجوههم أيُّ تعبيرٍ تقريبًا كأنها هي أيضًا من البرونز المصبوب. وضعوا الجثَّة على الأرض عند قدميها، وأزاحَ السير باريستان الكفن الملطَّخ بالدِّماء، وخفضَ الدُّودة الرَّمادي المشعل لترى داني.

رأت وجه الرَّجل الميت أملس حليقًا، ولو أن وجنتيه مشقوقتان من الأُذن إلى الأُذن. كان طويل القامة، شَعره أزرق وملامحه وسيمة. *أحد أولاد (لِيس) أو (ڤولانتيس)، اختطفَه القراصنة وباعوه للعبوديَّة في (أستاپور) الحمراء*. مع أن عينيه مفتوحتان فجروحه هي الباكية، وجروحه أكثر مما تستطيع أن تُحصي.

قال السير باريستان: «جلالة الملكة، كانت هناك هارپي مرسومة على القرميد في الزُّقاق الذي وجدوه فيه...».

- «... مرسومة بالدَّم». أصبحَ الأمر مألوفًا لدنيرس. أبناء الهارپي يُعمِلون خناجرهم في اللَّيل، ويَترُكون علامتهم فوق كلِّ قتيل. «لماذا كان هذا الرَّجل بمفرده أيها الدُّودة الرَّمادي؟ ألم يكن معه شريك؟». بأمرها، عندما يتجوَّل المُطهَّرون في شوارع (ميرين) ليلًا فعليهم أن يمشوا أزواجًا دومًا.

أجابَ القائد: «خادمكِ الثُّرس المقدام لم يكن في الخدمة ليلة أمس يا مليكتي. لقد ذهبَ إلى... مكانٍ معيَّن... للشُّرب والرِّفقة».

- «مكان معيَّن؟ ماذا تعني؟».

- «بيت هوى يا جلالة الملكة».

ماخور. إن نِصف أتباعها المعتَقون من (يونكاي)، حيث اشتهرَ الأسياد الحُكماء بتدريب عبيد الفِراش. *فنُّ التَّنهُّدات السَّبعة*. في كلِّ أنحاء (ميرين) نبتَت المواخير كعيش الغُراب. *إنهم لا يعرفون إلَّا هذا، ومحتاجون إلى كسب الرِّزق*. الطَّعام يزداد غلاءً كلَّ يوم، في حين ينخفض سِعر أجساد البَشر، وتعلم داني أن في الأحياء الأفقر، بين أهرامات (ميرين) المدرَّجة التي يُقطُن بها نُبلاؤها النخَّاسون، ثمَّة مواخير تُشبِع كلَّ نزعةٍ شهوانيَّة يُمكن تصوُّرها. ومع ذلك... «وما الذي يأمل خصيٌّ أن يجده في ماخور؟».

قال الدُّودة الرَّمادي: «حتى من يفتقرون إلى الأعضاء الذَّكريَّة ما زالوا يتمتَّعون بقلوب الرِّجال يا جلالة الملكة. لقد قيلَ لهذا الواحد إن ثُرسكِ المقدام كان أحيانًا يَنقُد نساء الماخور مالًا ليتَمن إلى جواره ويحتضنَّه».

دم التِّنين لا تبكي. بعينين جافَّتين قالت: «الثُّرس المقدام. كان هذا اسمه؟».

- «بعد إذن جلالة الملكة».

- «اسم جيِّد». لم يسمح أسياد (أستاپور) الكرام لجنودهم العبيد بمجرَّد أن تكون لهم أسماء، وبعد تحريرها إياهم استردَّ بعض مُطهَّريها الأسماء التي وُلِدوا بها، واختارَ آخَرون لأنفُسهم أسماء جديدةً. «هل نعلم كم واحدًا هاجَموا التُّرس المقدام؟».

- «هذا الواحد لا يعلم. كانوا كثيرين».

قال السير باريستان: «ستَّة أو أكثر. يبدو من منظر جروحه أنهم أحاطوا به من كلِّ جانب. كان غِمده فارغًا حين وجدوه. ربما جرحَ بعض مهاجميه».

دعَت داني في صمتٍ أن يكون أحد أبناء الهارپي يُحتضَر في مكانٍ ما الآن، يُمسِك بطنه ويتلوَّى ألمًا. «لماذا شقُّوا وجنتيه هكذا؟».

أجابَ الدُّودة الرَّمادي: «أيتها الملكة العطوف، قتَلة خادمكِ التُّرس المقدام حشروا عُضو كبشٍ في حَلقه، لكن هذا الواحد أزالَه قبل المجيء به إلى هنا».

لم يستطيعوا أن يُطعِموه ذَكره هو. الأستاپوريُّون لم يَترُكوا له جذرًا أو ساقًا. علَّقت داني: «الأبناء يزدادون جرأةً». حتى الآن اقتصرَت هجماتهم على المعتَقين العُزل، يُسقِطونهم في الشَّوارع أو يقتحمون بيوتهم تحت جنح الظَّلام ويَقتُلونهم في أسرَّتهم. «هذا أول واحدٍ يَقتُلونه من جنودي».

قال السير باريستان منذرًا: «الأول، لكنه لن يكون الأخير».

ما زلتُ في حرب. الفرق الآن أن مَن أقاتلهم ظلال. كانت تأمل أن تنال فترة راحةٍ من القتل، أن يكون عندها وقت للبناء والشِّفاء.

هزَّت كتفيها مسقطةً فروة الأسد، وركعَت إلى جوار الجثَّة تُغلق عينيها متجاهلةً شهقة چيكوي، ثم قالت: «التُّرس المقدام لن يُنسى. اجعلوهم يُغسِّلونه ويُلبِسونه ثياب المعركة، وادفنوه بخوذته وتُرسه وحِرابه».

قال الدُّودة الرَّمادي: «أمركِ يا جلالة الملكة».

- «أرسِلوا رجالًا إلى (معبد ذوات النِّعم) ليسألوا إن كان أيُّ رجلٍ قد ذهبَ إلى ذوات النِّعم الزُّرق بجرح سيف، وانشُروا بين النَّاس أننا سندفع مبلغًا جيِّدًا من الذَّهب نظير سيف التُّرس المقدام القصير. استجوِبوا الجزَّارين ورُعاة الماشية، واعلموا من كان يخصي الماعز في الفترة الأخيرة». ربما يعترف راعي ماعزٍ ما. «من الآن فصاعدًا لا أحد من رجالي يمشي وحده في الظَّلام».

- «هؤلاء الآحاد سيُطيعون».

أزاحَت دنيرس شَعرها قائلةً: «اعثُروا لي على هؤلاء الجُبناء، اعثُروا عليهم كي أعلِّم أبناء الهارپي معنى أن يُوقِظوا التنِّين».

أدَّى لها الدُّودة الرَّمادي التَّحيَّة، وعادَ مُطهَّروه يُغطُّون الرَّجل الميت بكفنه ورفعوه على أكتافهم وحملوه خارجين من القاعة، أمَّا السير باريستان سلمي فمكث. شَعره أبيض، وفي أركان عينيه الزَّرقاوين الباهتتين تجاعيد، لكن قامته لا تزال لم تنحنِ، ولم تسلبه السِّنون براعته في القتال. قال الرَّجل: «جلالة الملكة، أخشى أن مخصيِّيكِ لا يَصلُحون للمهمَّة التي كلَّفتهم بها».

استقرَّت داني على الدِّكَّة ولفَّت نفسها بفروة الأسد من جديد، وقالت: «المُطهَّرون أفضل مُحاربيَّ».

- «إنهم جنود لا مُحاربون، بعد إذن صاحِبة الجلالة. لقد أُعِدُّوا لميدان المعركة، دُرِّبوا على الوقوف كتفًا إلى كتفٍ وراء تروسهم وحرابهم مرفوعة أمامهم. تدريبهم يُعلِّمهم الطَّاعة التَّامَّة بلا خوفٍ ودون تفكيرٍ أو تردُّد... وليس إماطة اللِّثام عن الأسرار أو الاستجواب».

- «وهل الفُرسان أكثر نفعًا؟». كان سلمي يعمل على تدريب فُرسانٍ من أجلها، يُعلِّم أبناء العبيد القتال بالرُّمح والسَّيف على الطِّراز الوستروسي... لكن ما جدوى الرِّماح ضد جُبناءٍ يَقتُلون في الظَّلام؟

أجابَ العجوز: «ليس في هذا الشَّأن، كما أن جلالتكِ ليس عندها فُرسان باستثنائي. الصِّبية لن يكونوا مستعدِّين قبل أعوام».

- «مَن غير المُطهَّرين إذن؟ الدوثراكي سيكونون أسوأ». الدوثراكي يُقاتِلون من فوق متون الخيول، والخيَّالة نفعهم أكبر في الحقول المفتوحة والتِّلال من شوارع المدينة وأزقَّتها الضيِّقة. وراء أسوار (ميرين) بألوانها العديدة حُكم داني -في أحسن تقدير- مضطرب. ما زالَ آلاف العبيد يكدحون في الأراضي الشَّاسعة في التِّلال، يزرعون القمح والزَّيتون ويرعون الخراف والماعز ويُنقِّبون عن الملح والنُّحاس، وفي مخازن المدينة مؤن وافرة من الغلال والزُّيوت والزَّيتون والفواكه المجفَّفة واللُّحوم المملَّحة، لكن المخزون يتناقَص، ولذا أرسلَت داني گالاسارها الصَّغير لإخضاع المناطق الدَّاخلية البعيدة عن السَّواحل تحت قيادة خيَّالة دمها الثَّلاثة، فيما أخذَ بن پلوم البنِّي رجال الأبناء الثَّانين جنوبًا لدرء غارات اليونكيِّين.

والمهمة الأهمُّ على الإطلاق عهدَت بها إلى داريو نهاريس، داريو بلسانه المعسول وسِنِّه الذَّهب ولحيته ثُلاثيَّة الشُّعب، يبتسم ابتسامته الماكرة من تحت شَعر شواربه الأرجوانيَّة. وراء التِّلال الشَّرقيَّة تقع سلسلة من جبال الحجر الرَّملي المستديرة، و(ممر كايزاي)، و(لازار). إذا أقنعَ داريو اللازارين بإعادة فتح طُرق التِّجارة البرِّيَّة فيُمكن المجيء بالغلال عبر النَّهر أو من فوق التِّلال عند الحاجة... غير أن شعب الحملان ليس عنده سببٌ لحُبِّ (ميرين). قالت للسير باريستان: «ربما أستخدمُ غِربان العاصفة عندما يعودون من (لازار)»، ثم نهضَت مردفةً: «أرجو أن تَعذُرني أيها الفارس. سيكون المُلتمسون على بابي بعد قليل، وعليَّ أن أضع أذنَي الرَّخوتين وأصبح ملكتهم مجدَّدًا. استدعِ رزناك والرَّأس الحليق، سأراهما بعد أن أبدِّل ملابسي».

انحنى سلمي قائلًا: «كما تأمر صاحِبة الجلالة».

يرتفع (الهرم الأكبر) ثمانمئة قدمٍ في السَّماء، من قاعدته المربَّعة الهائلة إلى قمَّته الشَّامخة التي اتَّخذت الملكة فيها مسكنها الخاص، المُحاط بالخُضرة والبِرك العطرة. مع طلوع فَجرٍ أزرق فاتر على المدينة خرجَت داني إلى الشُّرفة. إلى الغرب يتوهَّج ضوء الشَّمس على قباب (معبد ذوات النِّعم) الذَّهبيَّة، ويَنقُش ظلالًا عميقةً وراء أهرام الأقوياء المدرَّجة. في هذه *اللَّحظة في بعض تلك الأهرامات يُخطِّط أبناء الهارپي لاغتيالاتٍ جديدة، وأنا عاجزة عن ردعهم.*

شعرَ ڤسيريون باضطرابها. كان التنّين الأبيض مضطجعًا على الأرض، ملتفًّا شجرة إجّاص ومريحًا رأسه على ذيله، ولمّا مرَّت داني فتحَ عينين كبِركتين من الذَّهب المصهور. قرناه ذهبيّان أيضًا، وكذا الحراشف الممتدَّة على ظَهره من الرَّأس إلى الذَّيل. حكَّته تحت فكِّه قائلةً: «أنت كسول»، وشعرَت بملمس حراشفه السَّاخن كدرعٍ تُركَت طويلًا في الشَّمس. *التَّنانين هي النَّار وقد استحالَت لحمًا*. قرأت هذه المقولة في أحد الكُتب التي أهداها لها السير چورا يوم زفافها. «يَجدُر بك أن تذهب للصَّيد مع أخويك. هل تشاجرت مع دروجون ثانيةً؟». أصبحَ تنانينها أكثر ضراوةً في الفترة الأخيرة، إذ ثارَ ريجال على إيري، وأشعلَ ڤسيريون النَّار في توكار رزناك عندما زارَها القهرمان آخِر مرَّة. *تركتهم لأنفُسهم فترةً أطول من اللَّازم، لكن أين أجد لهم الوقت؟*

حرَّك ڤسيريون ذيله إلى الجانب ضاربًا جذع الشَّجرة بقوَّةٍ بالغة حتى إن ثمرة كمَّثرى سقطَت ووقعَت عند قدمَي داني، ثم إنه بسطَ جناحيه، وبحركةٍ تجمع بين الطَّيران والوثوب حطَّ على السُّور، وفكَّرت داني وهي تُشاهِده ينطلق إلى السَّماء: *إنه يَكبُر، الثَّلاثة يَكبُرون، وقريبًا سيُصبِحون قادرين على احتمال وزني*. عندها ستُحلِّق كما حلَّق إجون الفاتح، إلى أعلى وأعلى، إلى أن تصير (ميرين) متناهيةً في الصِّغر حتى إن بإمكانها أن تمحوها بإبهامها.

شاهدَت ڤسيريون يرتفع في دوائر تتَّسع إلى أن غابَ عن بصرها وراء مياه نهر (السكاهازاذان) العكِرة، وعندئذٍ فقط عادَت داني تَدخُل الهرم، حيث تنتظرها إيري وچيكوي لتمشيط شَعرها وكسوتها بالتوكار الجيسكاري كما يليق بملكة (ميرين).

الثَّوب عصيٌّ على الارتداء، ملاءة طويلة فضفاضة بلا شكل، تُلَفُّ حول وَركيها وتحت ذراعها وفوق كتفها، بطريقةٍ تجعل شراريبها المتدلِّية مرتَّبةً ومعروضةً بعناية. إذا أرخَت لفَّته على جسدها أكثر من اللَّازم فعلى الأرجح سيَسقُط، وإذا أحكمَت لفَّه فسيتعقَّد ويُقيِّدها ويجعلها تتعثَّر. وحتى مع لفِّه بإحكامٍ يفرض التوكار على مرتديه أن يُثبِّته بيده اليُسرى، كما أن المشي به يتطلَّب خُطواتٍ متهاديةً قصيرةً وتوازُنًا ممتازًا، خشية أن تدوس تلك الشَّراريب الثَّقيلة التي تُجَرجِرها على الأرض وهي تمشي. ليس هذا بالثَّوب المناسب لأيِّ شخصٍ يرغب في العمل، فالتوكارات ثياب الأسياد، علامة على الثَّروة والنُّفوذ.

أرادَت داني أن تَحظُر التوكار حين استولَت على (ميرين)، إلَّا أن مستشاريها أقنعوها بالعدول عن هذا، وحذَّرتها ذات النِّعمة الخضراء جالازا جالار قائلةً: «على أمِّ التَّنانين أن ترتدي التوكار وإلَّا صارَت مكروهةً إلى الأبد. في أصواف (وستروس) أو في فُستانٍ من الحرير المايري ستبقى صاحِبة الرَّونق غريبةً بيننا على الدَّوام، أجنبيَّةً تُثير السُّخرية، غازيةً بربريَّةً. لا بُدَّ أن تكون ملكة (ميرين) سيِّدةً من (جيس القديمة)». أمَّا بن پلوم البنِّي قائد الأبناء الثَّانين فعبَّر عن الأمر بالمختصَر المفيد بقوله: «إذا أرادَ الرَّجل أن يُصبِح ملك الأرانب فعليه أن يضع زوجين من الآذان الرَّخوة».

والأذنان الرَّخوتان اللتان اختارَتهما اليوم مصنوعتان من الكتَّان الأبيض الشفَّاف، بحاشيةٍ من الشَّراريب الذَّهبيَّة. بمساعَدة چيكوي لفَّت التوكار حول جسدها بالطَّريقة الصَّحيحة في محاوَلتها الثَّالثة، وجلبَت لها إيري تاجها المصوغ على شكل تنِّين عائلتها ثُلاثي الرُّؤوس، ذيوله من الذَّهب، وأجنحته من الفضَّة، ورؤوسه الثَّلاثة من العاج والجزْع واليَشب. قبل نهاية اليوم سيكون وزنه قد أصابَ رقبة داني وكتفيها بالخدَر والألم. يجب *الَّا يستقرَّ التَّاج براحةٍ على الرَّأس*. أحد أسلافها الملكيِّين قال هذا ذات يوم. *إجون ما، ولكن أيٌّ واحد؟* خمسة اسمهم إجون حكموا ممالك (وستروس) السَّبع، وكان من المفترَض أن يأتي سادس، لكن كلاب الغاصِب قتلوا ابن أخيها وهو لا يزال رضيعًا. *لو عاشَ لكان يُمكن أن أتزوَّجه. إجون كان أقرب إليّ في السِّنِّ من ڤسيرس*. كانت داني مجرَّد جنينٍ حديث في رحِم أمِّها حين قُتِلَ إجون وأخته، وسبقهما أبوهما -أخوها ريجار- إلى الموت، فتكَ به الغاصِب في معركة (الثَّالوث)، وماتَ أخوها ڤسيرس صارخًا في (ڤايس دوثراك) بتاجٍ من الذَّهب الذَّائب على رأسه. *سيَقتُلونني أيضًا إذا أعطيتهم الفُرصة. السَّكاكين التي قتلَت بُرسي المقدام كانت تستهدفني أنا*.

إنها لم تنسَ الأطفال العبيد الذين علّقهم الأسياد العظام على الطّريق من (يونكاي). كان عددهم مئةً وثلاثةً وستّين، طفل كل ميل، مثبّت بالمسامير عند كلّ صُوّةٍ ميليّة وتُشير ذراعه إلى الطّريق إلى (ميرين). بعد سقوط المدينة علّقت داني عددًا مماثلًا من الأسياد العظام، وحضرَت حشود من الذُّباب تشهد موتهم البطيء، وعلقَت رائحتهم الشّنيعة طويلًا في السّاحة. ورغم هذا تخشى في بعض الأيام أنها لم تتمادَ بما فيه الكفاية. هؤلاء الميرينيزيُّون شعب ماكر عنيد، في كلّ خُطوةٍ يُناهِضونها. لقد عتقوا عبيدهم، نعم... فقط ليُعيدوا تعيينهم كخدمٍ بأجورٍ غاية في الزُّهد لدرجة أن بعضهم يكاد لا يجد القوت، والأصغر أو أكبر من أن تكون لهم فائدة ألقوهم في الشّوارع ومعهم المرضى والمُعاقون، وعلى الرغم من كلّ هذا ما زالَ الأسياد العظام يجتمعون على قمم أهرامهم الفسيحة ليشتكوا من ملكة الثّنانين التي ملأت مدينتهم النّبيلة بالمتسوّلين الأوساخ واللُّصوص والعاهرات.

لأحكم (ميرين) عليّ أن أكسب الميرينيزيّين مهما كنتُ احتقرهم. قالت لإيري: «أنا جاهزة».

وجدَت رزناك وسكاهاز منتظرَيْن على قمّة السّلالم، وحيّاها رزناك مو رزناك معلنًا: «أيتها الملكة العظيمة، إنكِ شديدة التّألُّق اليوم حتى إنني أخشي النّظر إليكِ». كان القهرمان يرتدي توكارًا من الحرير القرمزي البنّي له حاشية ذهبيّة، وهو رجل صغير الحجم كثير العَرق، تفوح منه رائحة طيّبة كأنه استحمّ بالعطر، ويتكلّم بلكنةٍ ركيكة من القاليريّة الفُصحى، مشوبة ومنكّهة بالزّمجرة الجيسكاريّة الثّقيلة.

ردّت داني باللُّغة نفسها: «لُطف بالغ منك أن تقول هذا».

دمدمَ سكاهاز مو كانداك ذو الرَّأس الحليق: «ملكتي». شَعر الجيسكاريِّين كثيف خشن كالأسلاك، ومنذ زمنٍ طويل وعادة أهل مُدن النِّخاسة أن يُشكّلوه على غرار القرون والأشواك والأجنحة، وبحلقه شَعره وضعَ سكاهاز (ميرين) القديمة وراءه ليتقبّل الجديدة، وحذا أقرباؤه حذوه، وتبِعَهم آخَرون، ولو أن داني لا تدري إن كان هذا بدافع الخوف أم اتِّباع البدعة أم الطُّموح. يُسمُّون أنفُسهم الرُّؤوس الحليقة، وسكاهاز هو الرَّأس الحليق... وألعن الخونة عند أبناء الهارپي وشاكلتهم. «بلغَنا ما حدثَ للخصيِّ».

- «كان اسمه التُّرس المقدام».

- «سيموت المزيد ما لم يُعاقَب القتَلة». حتى مع رأسه الحليق لسكاهاز وجه منفِّر؛ حاجباه كثّان، وعيناه صغيرتان وتحتهما أكياس ثقيلة، وأنفه كبير مليء بالرُّؤوس السَّوداء، وبشرته زيتيَّة تبدو أكثر اصفرارًا من لون الجيسكاريِّين الكهرماني المعتاد. إنه وجه خشن قاسٍ غاضب، وليس بوسع داني إلَّا أن تدعو أن يكون وجهًا صادقًا كذلك.

سألَته: «كيف أعاقبهم وأنا أجهلُ مَن يكونون؟ أخبِرني أيها الجريء سكاهاز».

- «لستِ تفتقرين إلى الأعداء يا جلالة الملكة. باستطاعتكِ رؤية أهرامهم من شُرفتكِ. زاك وهازكار وجازين وميريك ولوراك، كلُّ عائلات النِّخاسة القديمة. وپال، بالذَّات پال. إنها عائلة من النِّساء الآن، نساء مسنَّات حاقدات يروقهن مذاق الدَّم. النِّساء لا ينسين، النِّساء لا يغفرن».

فكَّرت: *نعم، وهذا ما سيتعلّمه كلاب الغاصِب حينما أعودُ إلى (وستروس).* صحيحٌ أن بينها وبين بني پال دمًا، منذ أردى بِلواس القوي أوزناك زو پال قتيلًا، وماتَ أبوه قائد حَرس المدينة في (ميرين) دفاعًا عن البوَّابة عندما هشَّمها المدكُّ المسمَّى (قضيب چوسو)، كما أن ثلاثةً من أعمامه كانوا بين المئة وثلاثة وستِّين في السَّاحة. سألَت داني: «كم من الذَّهب عرضنا مقابل معلوماتٍ عن أبناء الهارپي؟».

- «مئة أونَر[6]، بعد إذن صاحِبة الرَّونق».

- «أفضِّلُ أن تكون ألف أونَر. نفِّذ هذا».

قال الرَّأس الحليق سكاهاز: «جلالتكِ لم تَطلُبي مشورتي، لكنني أقولُ إن ثَمن الدَّم دم. خُذي رجلًا من كلِّ عائلةٍ ذكرتها واقتُليه، والمرَّة القادمة عندما يُغتال أحد رجالكِ خُذي اثنين من كلِّ عائلةٍ كُبرى واقتُليهما. لن يكون هناك اغتيال ثالث».

صاحَ رزناك مذعورًا: «لاااا... أيتها الملكة الحليمة، وحشيَّة كتلك ستجلب علينا غضبة الآلهة. سنجد القتَلة، أعدُكِ، وحين نفعل سيتَّضح أنهم أقذار وضيعو المولد».

القهرمان أصلع مِثل سكاهاز، ولو أن الآلهة هي المسؤولة في حالته، وحين عيَّنته داني أكَّد لها قائلًا: «إذا تجرَّأت شعرة واحدة على الظُّهور فحلَّاقي جاهز بالموسى». في بعض الأحيان تتساءَل إن كانت الموسى أصلح لعُنق رزناك. إنه مفيد، لكنه يروقها قليلًا وثقتها به أقلُّ. لقد أخبرَها خالدو (كارث) أنها ستتعرَّض إلى الخيانة ثلاث مرَّات. الأولى كانت ميري ماز دور، والثَّانية السير چورا، فهل يكون ثالث الخائنين رزناك؟ الرَّأس الحليق؟ داريو؟ *أم سيكون أحدًا لا أشكُّ فيه أبدًا، كالسير باريستان أو الدُّودة الرَّمادي أو ميسانداي؟*

قالت: «سكاهاز، أشكرك على نصيحتك. رزناك، لنرَ ما قد تُحقِّقه ألف أونَر»، ثم ثبَّتت دنيرس توكارها وتجاوزَتهما نازلةً السَّلالم الرُّخام العريضة، تتحرَّك خُطوةً خُطوةً كي لا تتعثَّر في الحاشية وتَدخُل البلاط سقوطًا على رأسها.

أعلنَت ميسانداي حضورها، وبصوتٍ قويٍّ عذب قالت المُترجمة الصَّغيرة: «ليركع الجميع لدنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترِق، ملكة (ميرين)، ملكة الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، كاليسي بحر العُشب العظيم، محطِّمة الأصفاد، وأُم التَّنانين».

وجدَت القاعة امتلأَت. وقفَ المُطهَّرون معطين ظهورهم للأعمدة وحاملين التُّروس والحِراب، ومن خوذهم ترتفع الشِّعاب كصفٍّ من السَّكاكين، وقد اجتمعَ الميرينيزيُّون تحت النَّافذة الشَّرقيَّة، ووقفَ معتَقوهم بعيدًا بمسافةٍ لا بأس بها عن أسيادهم السَّابقين. *إلى أن يقفوا معًا لن تعرف (ميرين) السَّلام.* استقرَّت داني على دِكَّتها، وقالت: «انهضوا»، فنهضوا. *على الأقل يفعلون هذا معًا.*

كانت مع رزناك مو رزناك قائمة. يقضي العُرف أن تبدأ الملكة بالمبعوث الأستاپوري، وهو عبد سابق يُسمِّي نفسه اللورد جايل، ولو أن أحدًا لا يدري نطاق سيادته المزعومة. للورد جايل أسنان بنِّيَّة نخرة ووجه أصفر مدبَّب كابن عرس، وقد جلبَ معه هديَّةً قدَّمها قائلًا: «كليون العظيم يُرسِل هذين الخُفَّين كرمزٍ لحُبِّه لدنيرس وليدة العاصفة وأُم التَّنانين».

وضعَت إيري الخُفَّين على قدمَي داني، جِلدهما المذهَّب مزيَّن بلآلئ المياه العذبة. *هل يحسب الملك الجزَّار أن زوجين من الأخفاف الأنيقة سيجعلانني أقبلُ الزَّواج به؟* «الملك كليون في غاية الكرم. اشكُره على هديَّته الجميلة». *جميلة، لكن مصنوعة لطفلة*. قدما داني صغيرتان، لكن الخُفَّين المدبَّبين هرَسا أصابعهما.

قال اللورد جايل: «سيسرُّ كليون العظيم أن يعلم أنها سرَّتكِ. صاحِب الشُّمو أمرَني بأن أقول إنه مستعدٌّ للدِّفاع عن أُمِّ التَّنانين ضد كلِّ أعدائها».

قالت داني لنفسها: *إذا عرضَ ثانيةً أن أتزوَّج الملك كليون سأرميه بخُفٍّ في رأسه*، لكن المبعوث الأستاپوري لم يأتِ على ذِكر الزَّواج الملكي هذه المرَّة، وبدلًا من ذلك أعلنَ: «حانَ الوقت لأن تضع (أستاپور) و(ميرين) نهايةً للحُكم الوحشي لأسياد (يونكاي) الحُكماء، الأعداء الألِدَّة المتكالبين على كلِّ من يحيا في حرِّيَّة. كليون العظيم أمرَني بأن أخبركِ أنه ومُطهَّروه الجُدد سيزحفون قريبًا».

مُطهَّروه الجُدد دُعابة قبيحة. «من الحكمة أن ينصرف الملك كليون إلى شؤونه ويَترُك اليونكيِّين لشؤونهم». ليست المسألة أن داني تكنُّ أيَّ حُبٍّ لـ(يونكاي)، بل وبدأت تندم على عدم استيلائها على المدينة الصَّفراء عقب هزيمة جيشها في ميدان المعركة. لقد رجعَ الأسياد الحُكماء إلى النِّخاسة ما إن غادرَت، ومشغولون الآن بحشد الجنود واستئجار المرتزِقة وعقد التَّحالُفات ضدها.

على أن كليون الذي يُلقّب نفسه بالعظيم ليس أفضل منهم، إذ أعادَ الملك الجزّار النّخاسة إلى (أستاپور)، والفرق الوحيد أن العبيد السّابقين هُم الأسياد الآن، والأسياد السّابقين أصبَحوا العبيد.

قالت للورد جايل: «أنا مجرّد فتاةٍ صغيرة وأعرفُ القليل عن طبائع الحرب، لكننا سمعنا أن (أستاپور) تتضوّر جوعًا. فليُطعِم الملك كليون شعبه قبل أن يقوده إلى المعركة»، ولوّحت بيدها صارفةً إياه، لينسحِب جايل.

سألها رزناك مو رزناك: «صاحِبة السّمو، هل ستسمعين النّبيل هيزدار زو لوراك؟».

مرّةً *أخرى؟* أومأت برأسها إيجابًا، وتقدّم هيزدار بخُطواتٍ واسعة، رجل طويل القامة شديد النُّحول له بشرة كهرمانيّة لا تشوبها شائبة. انحنى في البُقعة ذاتها التي وُضِعَ فيها التُّرس المقدام ميتًا قبل قليل، وقالت داني لنفسها مذكّرةً: *إنني محتاجة إلى هذا الرّجل*. هيزدار تاجر ثري له أصدقاء كثيرون في (ميرين) وأكثر عبر البحار، وقد زارَ (ڤولانتيس) و(لِيس) و(كارث)، وله أقرباء في (تولوس) و(إليريا)، ويُقال أيضًا إن له القليل من السّطوة في (جيس الجديدة)، حيث يُحاوِل اليونكيُّون إثارة العداوة ضد داني وحُكمها.

كما أنه ثري، ثروته هائلة فاحشة...

وسيزداد ثراءً إذا قبلتُ التماسه. حين أغلقَت داني حلبات القتال في المدينة انهارَت قيمة صكوكها، وقد اختطفَها هيزدار زو لوراك بكلتا يديه اختطافًا، والآن يملك أكثر حلبات القتال في (ميرين).

من صُدغَي النَّبيل يَبرُز جناحان من الشَّعر الخشن الأسود الضَّارب إلى الحُمرة، وقد جعلاه يبدو كأن رأسه على وشك الطَّيران، أمَّا وجهه الطَّويل فأطالَته أكثر لحيته المربوطة بالحلقات الذَّهب، وتوكاره الأرجواني موشًى بالجمَشت واللُّؤلؤ. خاطبَها قائلًا: «لا بُدَّ أن صاحِبة الرَّونق تعلم سبب وجودي هنا».

- «مؤكَّد لأنك لا تملك هدفًا آخَر غير إزعاجي. كم مرَّةً رفضتُ؟».

- «خمس مرَّات يا صاحِبة السُّمو».

- «والآن سِت. لن أعيد فتح حلبات القتال».

- «إذا سمعَت صاحِبة الفخامة حُججي...».

- «سمعتها خمس مرَّات. هل جلبت حُججًا جديدةً؟».

- «إنها الحُجج القديمة بكلماتٍ جديدة، كلمات عذبة دمثة، أكثر قابليَّةً للتَّأثير في مشاعر الملكة».

قالت داني: «دعواك هي ما أجده غير مقبول وليس دماثتك. لقد سمعتُ حُججك مرارًا لدرجة أنني أستطيعُ أن أترافع في قضيّتك بنفسي. هل أجرِّبُ؟»، ومالَت إلى الأمام مردفةً: «حلبات القتال كانت جزءًا من (ميرين) منذ تأسيس المدينة. القتال دينيُّ الطَّابع للغاية، قُربان دمٍ لآلهة (جيس). فنُّ (جيس) المميت ليس مجرَّد تقتيل بل استعراض للشَّجاعة والمهارة والقوّة يُرضي الآلهة عظيم الرِّضا. المُقاتلون المنتصرون يُدلَّلون ويُحتفى بهم، والقتلى يُكرَّمون ويُذكَرون. بإعادة فتح الحلبات سأري أهل (ميرين) أنني أحترمُ عاداتهم وتقاليدهم. الحلبات ذائعة الصِّيت في كلِّ أنحاء العالم، تستدرُّ التِّجارة على (ميرين) وتملأ خزائن المدينة بالأموال من كلِّ أطراف الأرض. كلُّ البَشر يشتركون في تعطُّشهم للدِّماء، وهو التَّعطُّش الذي تُساعِد الحلبات على إطفائه، وبهذه الطَّريقة يجعلون (ميرين) أكثر سكينةً. بالنِّسبة إلى المجرمين المحكوم عليهم بالموت على الرِّمال تُمثِّل الحلبات حُكمًا بالقتال، فُرصةً أخيرةً لإثبات براءتهم»، وأرجعَت ظَهرها إلى الوراء نافضةً شَعرها، وسألَت: «هاك. كيف أبليتُ؟».

- «صاحِبة الرَّونق طرحَت القضيَّة أفضل كثيرًا مما كنتُ لأطرحها بنفسي أبدًا. أرى أنكِ فصيحة علاوةً على جمالكِ. لقد اقتنعتُ تمامًا».

ضحكَت رغمًا عنها، وقالت: «آه، لكنني لم أقتنع».

همسَ رزناك مو رزناك في أُذنها: «صاحِبة السُّمو، جرى العُرف على أن تأخذ المدينة عُشر إجمالي أرباح حلبات القتال ضريبةً، بعد خصم المصروفات. يُمكن الاستفادة بتلك المبالغ في عدَّة شؤون نبيلة».

- «ربما... لكن إذا حدثَ أن أعدنا فتح الحلبات فعلينا نأخذ العُشر قبل خصم المصروفات. أنا مجرَّد فتاةٍ صغيرة وأعرفُ القليل عن تلك الأمور، لكنني أقمتُ مع زارو زون داكسوس فترةً تكفي أن أعلم هذا القدر. هيزدار، لو كان بإمكانك أن تسوق الجيوش كما تسوق الحُجج لاستطعت أن تغزو العالم... لكن إجابتي ما زالَت لا، للمرَّة السَّادسة».

- «الملكة قالت كلمتها»، ردَّ منحنيًا بشدَّةٍ كما فعلَ من قبل، لتُصدِر لآلئه وجمَشته رنينًا خفيفًا مع احتكاكها بالأرض. رجل رشيق للغاية هيزدار زو لوراكْ هذا.

لولا هذا الشَّعر السَّخيف لبدا وسيمًا. منذ مدَّةٍ ورزناك وذات النِّعمة الخضراء يحثَّان داني على أن تتَّخذ أحد نُبلاء (ميرين) زوجًا لها كي تُؤلِّف بين المدينة وحُكمها، وربما يستحقُّ هيزدار زو لوراكْ نظرةً فاحصةً. هو *أفضل من سكاهاز*. عرضَ عليها الرَّأس الحليق أن يتخلَّى عن زوجته من أجلها، لكن الفكرة جعلَتها ترتعِد. على الأقل يعرف هيزدار كيف يبتسم.

راجعَ رزناك قائمته قائلًا: «صاحِبة السُّمو، النَّبيل جرازدان زو جالار يرغب في مخاطبتكِ. هل ستسمعينه؟».

- «يسرُّني هذا»، ردَّت داني متطلِّعةً بإعجابٍ إلى بريق الذَّهب ولمعة اللُّؤلؤ الأخضر في خُفَّي كليون، فيما تبذل قصارى جهدها لتجاهُل الألم في أصابع قدميها. جرازدان -كما نبَّهوها مسبقًا- من أولاد عمومة ذات النِّعمة الخضراء، التي تجد داني دعمها لا يُقدَّر بثَمن، فالكاهنة صوت السَّلام والقبول وطاعة السُّلطة الشَّرعيَّة. *يِمكنني أن أسمع ابن عمومتها باحترامٍ أيًّا كان ما يبتغيه*.

واتَّضح أن ما يبتغيه الذَّهب. كانت داني قد رفضَت تعويض أيٍّ من الأسياد العظام عن قيمة عبيدهم، لكن الميرينيزيِّين ما انفكُّوا يبتكرون وسائل أخرى لاعتصار المال منها. على ما يبدو، كان النَّبيل جرازدان يمتلك أَمةً معروفةً بمنسوجاتها الممتازة، لثمار نَوْلها قيمة عظيمة، وليس فقط في (ميرين) بل أيضًا في (جيس الجديدة) و(أستاپور) و(كارث)، ولمَّا تقدَّمت المرأة في السِّنِّ اشترى جرازدان نِصف دستةٍ من الفتيات الشَّابَّات وأمرَ العجوز بتعليمهن أسرار حرفتها. ثم ماتَت العجوز، أمَّا الشَّابَّات فقد عُتِقن وفتحن متجرًا عند سور الميناء ليبعن منسوجاتهن، والآن يَطلُب جرازدان زو جالار أن يُمنَح حصَّةً من أرباحهن، وقال بإصرار: «إنهن مدينات لي بحرفتهن. لقد انتزعتهن من على منصَّة المزادات وأعطيتهن النَّول».

أصغَت داني بهدوءٍ وملامح ثابتة، وحين فرغ قالت: «النسَّاجة العجوز، ماذا كان اسمها؟».

عدَّل جرازدان وقفته مقطِّبًا جبينه، وقال: «الأَمة؟ كانت... إلزا ربما، أو إلا. لقد ماتَت منذ ستَّة أعوام، وأنا امتلكتُ عبيدًا كثيرين يا صاحِبة الجلالة».

- «لنقل إنها إلزا. ها هو ذا حُكمنا. من الفتيات لن تأخذ شيئًا، فإلزا هي من علَّمتهن النَّسج لا أنت، ومنك ستأخذ الفتيات نولًا جديدًا، أفضل ما يُمكن شراؤه بالمال، وهذا لنسيانك اسم العجوز».

كان رزناك ليستدعي توكارًا آخَر بعده، لكن داني أصرَّت أن يُنادي أحد المعتَقين، وبعدها بدَّلت بين الأسياد السَّابقين والرَّقيق السَّابقين. كثير جدًّا من المسائل التي طُرِحَت عليها يخصُّ التَّعويضات. لقد نُهِبَت (ميرين) بوحشيَّةٍ بعد سقوطها، ولئن نجَت أهرامات الأقوياء المدرَّجة من أسوأ أعمال التَّخريب، سقطَت المناطق الأكثر تواضُعًا من المدينة ضحيَّةً لعربدة السَّارقين والقتَلة، إذ انتفضَ عبيد المدينة وتدفَّقت الجحافل الجائعة التي تبعَت دنيرس من (يونكاي) و(أستاپور) من البوَّابة المحطَّمة. في النِّهاية أعادَ مطهَّروها فرض النِّظام، لكن النَّهب خلَّف وباءً من المشكلات، وهكذا يأتي الميرينيزيُّون لرؤية الملكة.

جاءَت امرأة ثريَّة ماتَ زوجها وأبناؤها دفاعًا عن الأسوار. خلال النَّهب فرَّت إلى أخيها خائفةً، وحين عادَت وجدَت منزلها حُوِّلَ إلى ماخور، وقد زيَّنت العاهرات أنفُسهن بحُليِّها وثيابها. تُريد المرأة استعادة المنزل والمجوهرات، وقد أضافَت: «يُمكنهن الاحتفاظ بالثِّياب»، فحكمَت لها داني بالجواهر، وإن قضَت أن المنزل ضاعَ منها حين هجرَته.

جاءَ عبد سابق يتَّهم نبيلًا معيَّنًا من بني زاك. في الفترة الأخيرة تزوَّج الرَّجل امرأةً محرَّرةً كانت أَمة فِراش النَّبيل قبل سقوط المدينة، وقد فضَّ النَّبيل بكارتها واستخدمَها لمُتعته وحبلَت منه، ويُريد زوجها الجديد أن يُخصى النَّبيل عقابًا على جريمة الاغتصاب، ويُريد أيضًا صُرَّةً من الذَّهب على سبيل الأجر مقابل تربية نغل النَّبيل كابنه. حكمَت له داني بالذَّهب ولكن ليس الخصاء، وقالت: «حين نامَ معها كانت زوجتك ملكًا له، يفعل بها ما يشاء. بالقانون، لم يَحدُث اغتصاب». رأت بوضوحٍ أن قرارها لم يسرَّه، لكن إذا خصَت كلَّ رجلٍ أرغمَ أَمته على الجماع فسرعان ما ستَحكُم مدينةً من المخصيِّين.

جاءَ فتى أصغر منها، هزيل نديب الوجه، يرتدي توكارًا رماديًّا مهترئًا له حاشية فضِّيَّة، وقد انكسرَ صوته عندما أخبرَها كيف ثارَ اثنان من عبيد أبيه ليلة تحطَّمت البوَّابة، فقتلَ أحدهما أباه والثَّاني أخاه الكبير، واغتصبَ الاثنان أمَّه قبل قتلها بدورها. هربَ الفتى مصابًا بالنَّدبة في وجهه فقط، لكن أحد القاتليْن ما زالَ مقيمًا بمنزل أبيه، والتحقَ الثَّاني بجنود الملكة كواحدٍ من رجال الأُم، ويُريد أن يُشنَق كلاهما.

أنا ملكة على مدينة مبنيَّة على التُّراب والموت. لم تجد داني خيارًا إلَّا رفض التماسه، فقد أعلنَت عفوًا شاملًا عن كلِّ الجرائم التي ارتُكِبَت في أثناء النَّهب، كما أنها لن تُعاقِب عبيدًا ثاروا على أسيادهم. حين أخبرَته بهذا اندفعَ الفتى نحوها، لكن قدميه اشتبكَتا في توكاره وتعثَّر منطرحًا على وجهه فوق الرُّخام الأرجواني. في الحال انقضَّ عليه بِلواس القوي، ورفعَه الخصيُّ البنِّي الضَّخم بيدٍ واحدة وراحَ يرجُّه ككلب صيدٍ اقتنصَ جرذًا، حتى قالت داني: «كفى يا بِلواس، أطلِق سراحه»، ثم خاطبَت الفتى قائلةً: «عليك أن تعتزَّ بهذا التوكار، فقد أنقذَ حياتك. أنت مجرَّد صبي، ولذا سننسى ما حدثَ هنا. عليك أن تفعل المِثل». لكن إذ غادرَ الفتى نظرَ وراءه من فوق كتفه، وحين رأت داني عينيه فكَّرت: *أصبحَ للهارپي ابن آخَر*.

مع انتصاف النَّهار كانت داني تَشعُر بوزن التَّاج على رأسها وصلابة الدِّكَّة من تحتها. في وجود كثيرين ما زالوا ينتظرون لقاءها لم تتوقَّف لتأكل، وبدلًا من ذلك أرسلَت چيكوي إلى المطابخ لتُحضِر صحفةً من الخُبز المدوَّر والزَّيتون والتِّين والجُبنة، وبينما تُصغي أخذَت قضماتٍ صغيرة ورشفَت من كأسٍ من النَّبيذ المخفَّف بالماء. وجدَت طعم التِّين جيِّدًا والزَّيتون أجود، لكن النَّبيذ تركَ في فمها مذاقًا معدنيًّا لاذعًا، ذلك أن العنب الأصفر الصَّغير الذي ينمو في هذه الأنحاء يُنتِج خمورًا معروفةً برداءتها. *لن تكون عندنا تجارة خمور*. كما أن الأسياد العظام أحرَقوا أفضل الكرْم بالإضافة إلى أشجار الزَّيتون.

بعد الظُّهر جاءَ مثَّال يعرض استبدال رأس الهارپي البرونز العظيمة في (ساحة التَّطهير) برأسٍ له ملامح داني، فرفضَت بكلِّ ما تقدر عليه من كياسة.

اصطيدَت سمكة كراكي ذات حجمٍ غير مسبوق في نهر (السكاهازاذان)، وأرادَ الصيّاد أن يُهديها للملكة، التي أبدَت إعجابها الشَّديد بالسَّمكة وكافأت الصيّاد بصُرَّةٍ من الفضَّة وأرسلَت السَّمكة إلى المطابخ.

صنعَ لها نحّاس بِزَّةً من الحلقات المصقولة ترتديها في الحرب، فقبلَتها مع خالص الشُّكر، فقد بدا منظرها جميلًا، وستكون التماعة النُّحاس المصقول في الشَّمس بهيَّةً، ولكن إذا كانت المعركة على وشك النُّشوب بالفعل فإنها تُفضِّل التَّدرُّع بالفولاذ. حتى فتاة صغيرة مِثلها لا تعرف شيئًا عن طبائع الحرب تعرف هذا.

لم تَعُد داني تحتمل ألم الخُفَّين اللذين أرسلَهما إليها الملك الجزّار، فخلعَتهما ركلًا وجلسَت واضعةً قدمًا تحتها وراحَت تُؤرجِح الأخرى. ليس وضعًا ملكيًا جدًّا، لكنها سئمَت من مظهرها الملكي، علاوةً على أن التّاج صدَّع رأسها وأصابَ مؤخِّرتها الخدَر. قالت: «سير باريستان، عرفتُ السِّمة التي يحتاج إليها الملك أكثر من غيرها».

- «الشَّجاعة يا جلالة الملكة؟».

ردَّت مداعبةً: «مؤخِّرة من حديد. إنني لا أفعلُ شيئًا سوى الجلوس».

- «صاحِبة الجلالة تضع على عاتقها الكثير. عليكِ أن تسمحي لمُستشاريكِ بحمل المزيد من أعبائكِ».

قالت: «عندي مُستشارون أكثر من اللّازم ووسائد أقل من اللّازم»، ثم التفتَت إلى رزناك متسائلةً: «كم تبقَّى؟».

أجابَ القهرمان: «ثلاثة وعشرون، بعد إذن صاحِبة السُّمو، بعددٍ مماثل من الالتماسات»، وراجعَ بعض الأوراق قبل أن يُضيف: «عجل واحد وثلاثة كباش. البقيَّة خراف أو حملان بلا شك».

زفرَت داني، وقالت: «ثلاثة وعشرون. يبدو أن حُبَّ تنانيني للضَّأن صار عظيمًا منذ بدأنا ندفع للرُّعاة ثَمن ما يَقتُلونه. هلْ أثبتوا ادِّعاءاتهم؟».

- «بعضهم جلبَ عظامًا محروقةً».

- «النَّاس يُشعِلون النَّار ويطهون الضَّأن. العظام المحروقة لا تُثبِت شيئًا. بن البنِّي يقول إن هناك ذئابًا حمراء في التِّلال خارج المدينة، وبنات آوى وكلابًا برِّيَّةً. أعلينا أن ندفع مبلغًا وقدره من الفضَّة لقاء كلِّ حَملٍ يضيع بين (يونكاي) و(السكاهازاذان)؟».

انحنى رزناك قائلًا: «لا يا صاحِبة السُّمو. هل أصرفُ هؤلاء الأوباش أم أنكِ ترغبين في جَلدهم؟».

اعتدلَت داني على الدَّكَّة مجيبةً: «يجب ألَّا يخشى أحد أن يأتيني أبدًا». لا شكَّ لديها في أن بعض الادِّعاءات زائف، لكن أكثرها صحيح. لقد كبرَ تنانينها على القنوع بالجرذان والقِطط والكلاب، وكان السير باريستان قد نبَّهها قائلًا: *كلَّما أكلوا أكثر ازدادَ حجمهم، وكلَّما ازدادَ حجمهم أكلوا أكثر*. دروجون على وجه الخصوص يقطع مسافاتٍ بعيدة ويُمكنه بسهولةٍ أن يلتهم خروفًا كاملًا في اليوم. قالت لرزناك: «ادفع لهم قيمة حيواناتهم، لكن من الآن فصاعدًا على المدَّعين الذَّهاب أولًا إلى (معبد ذوات النِّعم) وحلف يمينٍ مقدَّسة لآلهة (جيس)».

قال رزناك: «كما تأمرين»، ثم التفتَ إلى الملتمسين معلنًا بالجيسكاريَّة: «صاحِبة السُّمو الملكي وافقَت على تعويضكم عن الحيوانات التي خسرتموها. قدِّموا أنفُسكم إلى وُكلائي غدًا وسيدفعون لكم ثَمنها بالمال أو الحيوانات، كيفما تُفضِّلون».

قُوبِلَ الإعلان بصمتٍ واجمٍ حدا بداني إلى أن تقول لنفسها: *كان المرء ليحسبهم سيسعدون أكثر. لقد نالوا ما أتوا من أجله. اما من سبيلٍ لإرضاء هؤلاء النَّاس؟*

تخلَّف رجل عن الآخَرين الذين خرجوا في طابور، رجل قصير مكتنز له وجه لوَّحته الرِّيح ويرتدي ثيابًا رثَّةً، شَعره الخشن الأسود الضَّارب إلى الحُمرة محلوق حول أُذنيه، وبإحدى يديه يحمل كيسًا قُماشيًّا بائس المنظر، وقد وقفَ خافضًا رأسه يُحدِّق إلى الأرض الرُّخاميَّة كأنه نسيَ أين هو تمامًا. *وما الذي يُريده هذا؟*

صاحَت ميسانداي بصوتها العالي العذب: «ليركع الجميع لدنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترِق، ملكة (ميرين)، ملكة الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، گاليسي بحر العُشب العظيم، محطِّمة الأصفاد، وأُم التَّنانين».

نهضَت داني فبدأ توكارها ينزلق، فثبَّتته في مكانه منادية: «أنت يا من تحمل الكيس، هل أردت أن تُخاطِبنا؟ لك أن تقترب».

حين رفعَ رأسه كانت عيناه محمرَّتين ملتهبتين كالجروح المفتوحة، ولمحَت داني السير باريستان يتقدَّم مقتربًا منها كظلٍّ أبيض إلى جانبها. قابضًا على كيسه، أقبلَ الرَّجل بخُطى متعثِّرة، واحدة تلو الأخرى، وتساءلَت داني: *أهو سكران أم مريض؟* كان تحت أظفاره الصَّفراء المشقَّقة وسخ. سألَته: «ما الأمر؟ ألديك شكوى تطرحها علينا أو التماسًا ما؟ ماذا تُريد منا؟».

بتوتُّرٍ لعقَ الرَّجل شفتيه المشقَّقتين، وقال: «لقد... جلبتُ...».

قالت بصبرٍ نافد: «عظامًا؟ عظامًا محروقةً؟».

رفعَ الرَّجل الكيس وسكبَ محتوياته على الرُّخام.

وكانت عظامًا بالفعل، عظامًا محطَّمةً مسودَّةً، وقد كُسِرَ الطَّويل منها من أجل النُّخاع.

قال الرَّجل بالجيسكاريَّة الخشنة: «كان الأسود، الظِّل المجنَّح، نزلَ من السَّماء و... و...».

وارتجفَت داني قائلةً في قرارة نفسها: *لا. لا، لا، أوه، لا.*

خاطبَ رزناك مو رزناك الرَّجل قائلًا: «أأنت أصم أيها الأحمق؟ ألم تسمع ما أعلنته؟ اذهب إلى وُكلائي غدًا وستقبض ثَمن خروفك».

بهدوءٍ قال السير باريستان: «رزناك، صُن لسانك وافتح عينيك. هذه ليست عظام خروف».

فكَّرت داني: *نعم، بل هي عظام طفل.*

---

(6) الأونَر واحدة من العُملات الدَّارجة في المُدن الحُرَّة ومُدن خليج النخَّاسين. (المُترجم).

في غابةٍ سوداء أسفل جُرفٍ شاحب يُناهِز السَّماء طولًا ينطلق الذِّئب الأبيض، ومعه يَركُض القمر منسلًّا بين الأغصان الجرداء المتشابكة بالأعلى وعبر سماءٍ مزدانة بالنُّجوم.

يُتَمتِم القمر: «سنو»، فلا يُجيب الذِّئب، وينسحِق الثَّلج تحت كفوفه، وتتنهَّد الرِّياح بين الأشجار.

من بعيدٍ يسمع رفاقه في القطيع يُنادونه نِدًّا لنِد. هُم أيضًا يصطادون. بينما يُمزِّق أخوه الأسود لحم كبشٍ ضخم ينهمر عليه مطر غزير، يغسل الدَّم عن جانبه حيث خدشَه قرن الكبش الطَّويل. وفي مكانٍ آخَر ترفع أخته الصَّغيرة رأسها تُغنِّي للقمر، فيقطع مئة من أولاد العمومة الشُّهب الصِّغار صيدهم ليُغنُّوا معها. التِّلال أكثر دفئًا حيث يجوبون، وملأى بالطَّعام، وفي ليالٍ كثيرة يلتهم قطيع أخته لحم الخراف والأبقار والخيول، فرائس البَشر، وفي بعض الأحيان لحم البَشر أنفُسهم.

من جديدٍ يُناديه القمر بضحكةٍ قاسية: «سنو»، ويمضي الذِّئب الأبيض في درب البَشر أسفل الجُرف الجليدي، على لسانه مذاق الدِّماء، وفي أُذنيه ترنُّ أغنيَّة أولاد العمومة المئة. من قبل كانوا ستَّة، خمسة منهم يئنُّون عميانًا وسط الثُّلوج إلى جوار جثَّة أمِّهم، يمتصُّون اللَّبن البارد من حلماتها الميتة اليابسة فيما يزحف هو وحده. والآن تبقَّى أربعة... منهم واحد لم يَعُد الذِّئب الأبيض يَشعُر بوجوده.

ويُنادي القمر بإلحاح: «سنو».

ويَهرُب منه الذِّئب الأبيض، يندفع نحو كهف اللَّيل حيث تختبئ الشَّمس، وتتجمَّد أنفاسه في الهواء. في اللَّيالي التي تغيب فيها النُّجوم يبدو الجُرف العظيم بسواد الحجر، ظلام يرتفع شاهقًا فوق العالم الواسع، لكن حين يطلع القمر يلتمع جليده الشَّاحب كجدول ماءٍ متجمّد. فروة الذِّئب سميكة مشعثة، لكن حين تهبُّ الرِّيح على الجليد فما من فروٍ يستطيع وقايته من البرد. على الجانب الآخَر الرِّيح أكثر برودةً. هذا ما يَشعُر به الذِّئب، وهناك أخوه، الأخ الرَّمادي الذي يعبق بروائح الصَّيف.

- «سنو». تَسقُط كُتلة جليدٍ من فرع شجرة، ويلتفت الذِّئب الأبيض مكشِّرًا عن أنيابه. «سنو*!*». ينتفِش فروه عن آخِره، ومن حوله تذوب الغابة. «سنو، سنو، سنو*!*». يسمع ضربات جناحين، وفي العتمة يطير غُداف.

وحطَّ الطَّائر على صدر چون سنو بخبطةٍ مكتومة وخربشة من مخالبه، وصرخَ في وجهه: «سنو*!*».

- «سمعتك». كانت الغُرفة معتمةً وسريره المتواضع صُلبًا، ومن خصاص النَّافذة يتسرَّب ضوء رمادي متوعِّدًا بيومٍ بارد كئيب آخَر. «أهكذا اعتدت إيقاظ مورمونت؟ أبعِد ريشك عن وجهي»، وأخرجَ چون ذراعه من تحت الأغطية يذبُّ الغُداف. إنه طائر كبير، عجوز وجريء ومنفوش الرِّيش ولا يعرف الخوف على الإطلاق، وقد صاحَ محلِّقًا إلى قائم السَّرير: «*سنو، سنو، سنو!*»، فقبضَ چون على وسادةٍ ورماه بها، لكن الطَّائر وثبَ إلى الهواء متفاديًا إياها، وارتطمَت الوسادة بالحائط وانفجرَت ليتبعثر الحشو في كلِّ اتِّجاه، في اللَّحظة نفسها التي دسَّ فيها إد توليت الكئيب رأسه من الباب، وقال متجاهلًا فورة الرِّيش: «معذرةً، هل أحضرُ لسيِّدي إفطاره؟».

صاحَ الغُداف: «*ذُرة، ذُرة، ذُرة!*».

أجابَ چون: «غُداف مشوي ونِصف كوب من المِزر». ما زالَ يستغرب أن يأتيه وكيل بطعامه ويُقدِّمه له. قبل فترةٍ ليست بالطَّويلة كان هو من يجلب الإفطار لحضرة القائد مورمونت.

قال إد: «ثلاث حبَّات من الذُّرة وغُداف مشوي، لا بأس يا سيِّدي، لكن هوب طهى البيض المسلوق والسُّجق الأسود ويخنة التُّفَّاح بالبرقوق. يخنة التُّفَّاح بالبرقوق ممتازة، لولا البرقوق. أنا لا آكلُ البرقوق عن نفسي. حدثَ مرَّةً واحدةً أن قطَّعه هوب مع الكستناء والجزر وحشا به دجاجةً. لا تثق بالطُّهاة أبدًا يا سيِّدي، سيدسُّون لك البرقوق في طعامك وأنت غافل».

- «في ما بعدُ». يُمكن للإفطار أن ينتظر، أمَّا ستانيس فلا. «أي متاعب من المحبس ليلة أمس؟».

- «ليس منذ وضعت حراسةً على الحراسة يا سيِّدي».

- «عظيم». وراء (الجِدار) ألف من الهَمج المحتجَزين، الأسرى الذين أخذَهم ستانيس باراثيون عندما دحرَ فُرسانه جيش مانس رايدر المرقَّع، وبين المسجونين نساء كثيرات، وكان بعض الحَرس يُهرِّبوهن من المحبس ليُدفِّئن أسرَّتهم؛ رجال الملك ورجال الملكة، لا فرق، كما أن بعض الإخوة السُّود جرَّبوا الشَّيء نفسه. الرِّجال هُم الرِّجال، وأولئك هن النِّساء الوحيدات في نطاق ألف فرسخ.

تابعَ إد الكئيب: «اثنان آخَران من الهَمج ظَهرا لتسليم نفسيهما، أُم ومعها بنت متشبِّثة بثيابها. كانت تحمل رضيعًا ملفوفًا بالفرو أيضًا، لكنه ميت».

ردَّد الغُداف: «ميت*!*». إنها واحدة من كلماته المفضَّلة. «ميت، ميت، ميت*!*».

كلَّ ليلةٍ تقريبًا يأتيهم المزيد من شعب الأحرار، مخلوقات شِبه متجمِّدة تتضوَّر جوعًا فرَّت من المعركة عند سفح (الجِدار)، فقط لتعود زاحفةً حين أدركَت أن لا مهرب آمنًا هنالك. سأَلَ چون: «هل استُجوِبَت الأُم؟». لقد حطَّم ستانيس باراثيون جيش مانس رايدر وأسرَ ملك ما وراء الجِدار... لكن الهَمج لا يزالوا طليقين، البكَّاء وتورموند بليَّة العماليق وألف غيرهما.

أجابَ إد: «أجل يا سيِّدي، لكنها لا تعلم إلَّا أنها هربَت في أثناء المعركة واختبأَت بعدها في الغابة. أطعمناها قدرًا وافرًا من الثَّريد وأرسلناها إلى المحبس وأحرقنا الرَّضيع».

لم يَعُد إحراق الأطفال الموتى يُزعِج چون سنو، أمَّا الأحياء فمسألة أخرى. *ملكان لإيقاظ التنِّين. الأب أولًا ثم الابن، كي يموت كلاهما ملكًا*. هكذا تمتمَ أحد رجال الملكة فيما نظَّف المِايستر إيمون جروحه. حاولَ چون أن يتغاضى عن الكلام باعتباره هذيان الحُمَّى، غير أن إيمون خالفَه الرَّأي، وقال له المِايستر المسنُّ منذرًا: «في دماء الملوك قوَّة، وثمَّة رجال أفضل من ستانيس اقترفوا أشياء أسوأ من هذا». *من شأن الملك أن يكون قاسيًا لا يتسامَح، نعم، لكن إحراق رضيع؟ لا يُلقي طفلًا حيًّا في اللَّهب إلَّا وحش*.

تبوَّل چون في الظَّلام وملأ وعاء فضلاته في حين راحَ غُداف الدُّب العجوز يُهمهِم متذمِّرًا. أحلام الذِّئاب تزداد قوَّةً، والآن يجد نفسه يتذكَّرها حتى وهو مستيقظ. جوست يعرف *أن جراي ويند ماتَ*. لقد ماتَ روب في (التَّوأمتين)، خانَه رجال اعتقدَهم أصدقاءه، ومعه ماتَ ذئبه. وبران وريكون قُتِلا أيضًا، قُطِعَ رأساهما بأمر ثيون جرايچوي الذي كان ربيب السيِّد والدهم من قبل... لكن إذا كانت الأحلام لا تكذب فقد فرَّ ذئباهما الرَّهيبان. عند (تاج الملكة) خرجَ أحدهما من الظَّلام وأنقذَ حياة چون. *سَمر، مؤكَّد أنه هو. كان فروه رماديًّا، وفرو شاجيدوج أسود*. تساءلَ إن كان جزء ما من أخويه الميتيْن ما زالَ حيًّا في ذئبيهما.

ملأَ حوضه من إبريق الماء المجاور للفِراش وغسلَ وجهه ويديه، ثم ارتدى طقمًا نظيفًا من الثِّياب الصُّوف السَّوداء، وعقدَ أربطة سُترةٍ من الجِلد الأسود، وانتعلَ حذاءً باليًا جدًّا. شاهدَه طائر مورمونت بعينين سوداوين ثاقبتين، ثم حلَّق إلى النَّافذة، فسألَه چون: «هل تحسبني خادمك؟»، ثم فتحَ النَّافذة بألواحها الزُّجاجيَّة الصَّفراء السَّميكة ذات الشَّكل الماسي، لتلطمه برودة الصَّباح على وجهه. أخذَ نفسًا عميقًا لتصفية عقله من شباك النَّوم في حين طارَ الغُداف مبتعدًا. *هذا الطَّائر شديد الذَّكاء*. لقد ظلَّ رفيق الدُّب العجوز أعوامًا طويلةً، لكن هذا لم يمنعه من أكل وجه مورمونت حالما ماتَ.

خارج غُرفة نومه سلالم تنزل إلى حُجرةٍ أوسع مؤثَّثة بطاولةٍ مشوَّهة من خشب الصَّنوبر ودستة من الكراسي المصنوعة من السَّنديان والجِلد. مع استقرار ستانيس في (بُرج الملك) واحتراق (بُرج القائد) اتَّخذ چون مقرَّه في مسكن دونال نوي المتواضع وراء مستودَع السِّلاح. لا شكَّ أنه سيحتاج إلى مقرٍّ أوسع مع الوقت، لكن لا بأس بهذا في الوقت الحالي ريثما يُعوِّد نفسه القيادة.

كانت المنحة التي قدَّمها إليه الملك طالبًا توقيعه على الطَّاولة تحت كوبٍ فضِّي كان ملكًا لدونال نوي. لم يَترُك الحدَّاد ذو الذِّراع الواحدة إلَّا القليل من المتعلِّقات الشَّخصيَّة؛ الكوب وستَّة بنسات ونجمةً نُحاسيَّةً ودبُّوسًا أسود منقوشًا إبزيمه مكسور، بالإضافة إلى سُترةٍ ضيِّقة مزركشة زنخة تحمل رمز وعل (ستورمز إند). *كنوزه كانت أدواته والسُّيوف والخناجر التي صنعَها. كانت الورشة حياته*. أزاحَ چون الكوب وعادَ يقرأ الورقة مفكِّرًا: *إذا وضعتُ ختمي عليها فسيَذكُرني النَّاس أبد الدَّهر باعتباري القائد الذي تنازلَ عن (الجِدار) طواعيةً، لكن إذا رفضتُ...*

باستمرارٍ يُثبِت ستانيس باراثيون أنه ضيف خشن لا يهدأ. لقد ركبَ على (طريق الملوك) حتى (تاج الملكة) تقريبًا، وتجوَّل في أكواخ (بلدة المناجذ) الخاوية على عروشها، وفحصَ الأطلال عند قلعتَي (بوَّابة الملكة) و(درع البلُّوط)، وكلَّ ليلةٍ يمشي على قمَّة (الجِدار) مع الليدي مليساندرا، ونهارًا يزور المحبس لانتقاء أسرى تستجوبهم المرأة الحمراء. *لا يُعجِبه أن يُمانِعه أحد.* يخشى چون أنه لن يكون صباحًا سارًّا.

من مستودَع السِّلاح جاءَت صلصلة الدُّروس والسُّيوف إذ بدأ الصِّبية الجُدد والمجنَّدون المبتدئون يُسلِّحون أنفُسهم، وسمعَ چون صوت إميت الحديدي يأمرهم بالعجلة. لم يسرَّ الاستغناء عنه كوتر پايك، لكن الجوَّال الشَّاب موهوب في تدريب الرِّجال. *يحبُّ القتال، وسيُعلِّم فِتيته أن يحبُّوه أيضًا*. أو أن هذا ما يأمله.

كان معطفه معلَّقًا على مشجبٍ عند الباب، وحزام سيفه على آخَر، فوضعَهما ثم اتَّجه إلى مستودَع السِّلاح. رأى البساط الذي ينام عليه جوست خاليًا، وقد وقفَ حارسان بالدَّاخل، كلاهما يرتدي المعطف الأسود ويعتمر خوذةً قصيرةً من الحديد ويحمل حربةً. سألَه جارس: «هل يرغب سيِّدي في مرافَقة؟».

- «أظنُّ أنني أقدرُ على العثور على (بُرج الملك) وحدي».

يكره چون أن يمشي وراءه حُرَّاس أينما ذهبَ، فالأمر يُشعِره كأنه بطَّة أُم تقود طابورًا من الأفراخ الصَّغيرة.

وجدَ فِتية إميت الحديدي منهمكين في التَّدريب في السَّاحة، تهوي سيوفهم المثلومة على التُّروس ويُقارِع بعضها بعضًا. توقَّف چون لحظاتٍ يتفرَّج إذ أرغمَ الجواد روبن النطَّاط على التَّقهقُر صوب البئر، واستقرَّ رأيه على أن الجواد يملك مقوِّمات المُقاتل البارع، فهو قويٌّ ويزداد قوَّةً، وغريزته القتاليَّة سليمة. أمَّا روبن النطَّاط فقصَّة أخرى، قدمه المعوجَّة سيِّئة بما فيه الكفاية، لكنه يخشى الإصابة كذلك. *ربما نجعل منه وكيلًا*. انتهى القتال فجأةً بروبن مطروحًا على الأرض.

خاطبَ چون الجواد قائلًا: «أحسنت القتال، لكنك تخفض تُرسك أكثر من اللَّازم حين تُهاجِم. عليك أن تُصحِّح هذا وإلَّا قادَك إلى حتفك».

ردَّ الجواد: «نعم يا سيِّدي. سأرفعه المرَّة القادمة»، وساعدَ روبن على النُّهوض، وانحنى الصَّبي الأصغر حجمًا بحركةٍ خرقاء.

كان بعض فُرسان ستانيس يتناوَشون في جانب السَّاحة القصيّ، ولم يَفُت چون أن يلحظ أن رجال الملك وحدهم في رُكنٍ ورجال الملكة في آخَر. *لكن عددهم قليل. البرد شديد للغاية بالنِّسبة إلى معظمهم.* عند مروره بهم بخُطواتٍ واسعة ناداه صوت جهوري قائلًا: «**أيها الصَّبي! أنت هناك! أيها الصَّبي!**».

ليس «أيها الصَّبي» أسوأ شيءٍ دُعِيَ به چون سنو منذ انتخابه قائدًا، لكنه تجاهلَ النِّداء.

نادى الصَّوت بإصرار: «سنو، حضرة القائد».

هذه المرَّة توقَّف، وقال: «أيها الفارس».

قال الفارس الذي يفوقه طولًا بستِّ بوصاتٍ كاملة: «على من يحمل الفولاذ القاليري أن يستخدمه في ما هو أكثر من حكِّ مؤخِّرته».

سبقَت لچون رؤية هذا الرَّجل في أنحاء القلعة. إنه فارس ذائع الصِّيت بحسب كلامه. خلال المعركة التي دارَت أسفل (الجِدار) قتلَ السير جودري فارنج عملاقًا هاربًا، انطلقَ وراءه على متن حصانه وغرسَ رُمحه في ظَهره، ثم ترجَّل ليقطع رأس المخلوق الصَّغير المثير للشَّفقة، ومنذ ذلك الحين تعوَّد رجال الملكة دعوته بجودري قاتِل العمالقة.

تذكَّر چون إيجريت تبكي. *أنا آخِر العمالقة.* «أستخدمُ (المخلب الطَّويل) عند الضَّرورة أيها الفارس».

سألَه السير جودري: «لكن بأيِّ قدرٍ من البراعة؟»، واستلَّ سيفه مضيفًا: «أرِنا. أعدك بأنني لن أوذيك يا فتى».

يا للُطفك. «في وقتٍ آخَر أيها الفارس. أخشى أن عندي واجباتٍ أخرى الآن».

قال السير جودري: «تخشى، أرى هذا»، وابتسمَ ابتسامةً عريضةً لأصدقائه مكرِّرًا لبطيئي الفهم منهم: «يخشى».

قال چون: «بعد إذنك»، وأعطاه ظَهره.

بدَت (القلعة السَّوداء) مكانًا كئيبًا موحشًا في ضوء الفَجر الشَّاحب، وقال چون سنو لنفسه متأمِّلًا بأسف: *قيادتي، خراب مِثلما هي حصن.* (بُرج القائد) هيكل فارغ، والقاعة العامَّة كومة من الأخشاب المتفحِّمة، و(بُرج هاردين) يبدو كأن هبَّة الرِّيح التَّالية ستُسقِطه... ولو أنه يبدو هكذا منذ أعوامٍ طويلة. ووراء مباني القلعة يرتفع (الجِدار) شاهقًا مهيبًا قارس البرودة، يعجُّ بالبنَّائين الذين يرفعون سلالم متعرِّجةً جديدةً ليُلحِقوها ببقايا القديمة. يدوم عملهم من الفَجر إلى الغسق، فدون السَّلالم لا وسيلة لبلوغ قمَّة (الجِدار) إلَّا الرَّافعة، ولن يَصلُح هذا إذا هجمَ الهَمج مرَّةً أخرى.

فوق (بُرج الملك) تُرَفرِف راية عائلة باراثيون الذَّهبيَّة شاقَّةً الهواء كالسَّوط، ترتفع من السَّطح الذي ذرعَه چون سنو حاملًا القوس قبل فترةٍ ليست بالطَّويلة، يَقتُل الثِّنِّيين والأحرار إلى جوار ساتان وديك فولارد الأصم. وجدَ اثنين من رجال الملكة واقفيْن يرتجفان على السُّلَّم، وقد دسَّ كلٌّ منهما يديه تحت إبطيه وأسندَ حربته إلى الباب. قال لهما چون: «هذه القُفَّازات القُماش لن تَصلُح أبدًا. اذهبا إلى باون مارش غدًا وسيُعطي كلًّا منكما زوجين من الجِلد المبطَّن بالفرو».

ردَّ أكبر الاثنين سِنًّا: «سنفعل يا سيِّدي، وشكرًا لك».

أضافَ الأصغر وأنفاسه تَخرُج ضبابًا باهتًا: «إذا لم تتجمَّد أيدينا اللَّعينة أولًا. لقد اعتدتُ أن أحسب (تُخوم دورن) باردةً. ماذا كنتُ أعلمُ؟».

فكَّر چون سنو: *لا شيء، مِثلي*.

في منتصَف السُّلَّم الملتف قابلَ ساموِيل تارلي نازلًا، فقال له: «أأنت قادم من عند الملك؟».

- «المِايستر إيمون بعثَني إليه برسالة».

- «مفهوم». بعض اللوردات يأتمنون مِايستراتهم على قراءة رسائلهم وإبلاغهم بفحواها، لكن ستانيس يصرُّ على كسر أختام رسائله بيده. «كيف تلقَّاها؟».

أجابَ سام: «ليس بسرورٍ كما وشَت ملامحه»، وخفضَ صوته إلى الهمس مضيفًا: «لا يَجدُر بي أن أتكلَّم عن الأمر».

- «لا تفعل إذن». تساءلَ چون عن حامل راية أبيه الذي رفضَ مبايَعة الملك ستانيس هذه المرَّة. *لقد سارعَ بنشر الخبر حين أعلنَت (كارهولد) الولاء له*. «كيف حال تدريباتك بالقوس الطَّويل؟».

عابسًا أجابَ سام: «وجدتُ كتابًا جيِّدًا عن الرِّماية، لكن ممارَستها أسهل من القراءة عنها. إنها تُصيبني بالقروح».

- «استمرَّ في التَّدريب. ربما نحتاج إلى قوسك على (الجِدار) إذا ظهرَ (الآخَرون) ذات ليلةٍ مظلمة».

- «أوه، آملُ ألَّا يَحدُث ذلك».

وجدَ مزيدًا من الحُرَّاس واقفين خارج غُرفة الملك الشَّمسيَّة، وخاطبَه رقيبهم قائلًا: «غير مسموح بالأسلحة في حضرة جلالته يا سيِّدي. سآخذُ هذا السَّيف، وخناجرك أيضًا». يعلم چون أن الاعتراض لن يُجدي نفعًا، وهكذا ناولَهم أسلحته.

شعرَ بدفء الهواء داخل الغُرفة الشَّمسيَّة، وقد جلسَت الليدي مليساندرا قُرب النَّار، تَبرُق ياقوتتها على بشرة حَلقها الشَّاحبة. إيجريت قبَّلتها النَّار، أمَّا الرَّاهبة الحمراء فهي النَّار، وشَعرها دم ولهب. وكان ستانيس واقفًا وراء المنضدة ذات السَّطح غير المستوي، التي تعوَّد الدُّب العجوز الجلوس إليها وتناوُل وجباته عليها. تُغطِّي المنضدة خارطة كبيرة للشَّمال مرسومة على قطعةٍ مهترئة من الجِلد، وتُثبِّت شمعة من الشَّحم أحد طرفيها وقُفَّاز فولاذي الطَّرف الآخَر.

يرتدي الملك سراويل من صوف الحملان وسُترةً ضيِّقةً مبطَّنةً، وعلى الرغم من هذا يبدو متخشِّبًا غير مستريح كأنه يرتدي الصَّفائح والحلقات المعدنيَّة. بشرته شاحبة مشدودة، ولحيته مشذَّبة بمنتهى العناية كأنها مرسومة على وجهه، وحول صُدغيه حافة قصيرة هي كلُّ ما تبقَّى من شَعره الأسود.

كان الملك يُمسِك رقًّا عليه ختم مكسور من الشَّمع الأخضر الدَّاكن، ولمَّا ركعَ چون أمامه عبسَت ملامحه وهزَّ الورقة غاضبًا، وقال: «انهض. أخبِرني، مَن ليانا مورمونت؟».

- «إحدى بنات الليدي مِج يا مولاي، الصُّغرى. لقد سُمِّيَت تيمُّنًا بأخت السيِّد والدي».

- «لنيل حظوة السيِّد والدك لا ريب. أعرفُ كيف تُلعَب اللُّعبة. كم سِنُّ تلك الطِّفلة المأفونة؟».

فكَّر چون لحظةً قبل أن يُجيب: «عشرة أعوام أو نحوها. هل لي أن أعرف كيف أساءَت إلى جلالتك؟».

قرأ ستانيس من الرِّسالة: «(*جزيرة الدِّببة*) *لا تعرف ملكًا إلَّا الملك في الشَّمال المسمَّى ستارك*. تقول إنها فتاة في العاشرة، ومع ذلك تتجرَّأ على توبيخ مليكها الشَّرعي». كانت لحيته المشذَّبة بعنايةٍ تبدو كظلٍّ فوق خدَّيه الأجوفيْن. «احرص على الاحتفاظ بهذا الخبر لنفسك أيها اللورد سنو. (كارهولد) معي، وهذا كلُّ ما يحتاج الرِّجال إلى معرفته. لن أسمح بأن يتبادَل إخوانك الحكايات عن بصق تلك الطِّفلة عليَّ».

- «كما تأمر يا مولاي». يعرف چون أن مِج مورمونت ركبَت جنوبًا مع روب، وانضمَّت ابنتها الكُبرى أيضًا إلى جيش الذِّئب الصَّغير، لكن حتى إذا ماتَت كلتاهما فلليدي مِج بنات أخريات، وبعضهن لهن أولاد كذلك. هل ذهبن مع روب أيضًا؟ مؤكَّد أن الليدي مورمونت تركَت واحدةً على الأقل من الفتيات الأكبر سِنًّا أمينةً للقلعة، ولذا لا يفهم لماذا تردُّ ليانا على رسالة ستانيس، وليس بوسعه إلَّا أن يتساءَل إن كانت الإجابة لتختلف لو أن الرِّسالة ممهورة بختم الذِّئب الرَّهيب بدلًا من الوعل المتوَّج، ومذيَّلة بتوقيع چون ستارك سيِّد (وينترفل). *فاتَ أوان تلك الهواجس. لقد اخترتَ*.

قال الملك متذمِّرًا: «أرسلنا نحو أربعيَن غُدافًا، لكننا لم نتلقَّ جوابًا إلَّا الصَّمت والتَّحدِّي. البيعة واجب يدين به كلُّ الرَّعايا المخلصين لملكهم، ومع ذلك يُدير جميع حمَلة راية أبيك ظهورهم لي، باستثناء آل كارستارك. هل آرنولف كارستارك الرَّجل الشَّريف الوحيد في الشَّمال؟».

آرنولف كارستارك هو عمُّ اللورد ريكارد الرَّاحل، وقد عُيِّنَ أمينًا للقلعة في (كارهولد) حين ذهبَ ابن أخيه وأبناؤه جنوبًا مع روب، وكان أول من يُلبِّي دعوة الملك ستانيس للبيعة برسالةٍ تُعلِن ولاءه. كان چون ليقول: *آل كارستارك لا يملكون خيارًا آخَر.* لقد خانَ ريكارد كارستارك الذِّئب الرَّهيب وأراقَ دماء الأُسود، وهو ما يجعل الوعل أمل (كارهولد) الوحيد. «حتى الشُّرفاء في الأوقات المضطربة كأوقاتنا هذه عليهم أن يتساءَلوا أين يقع واجبهم. صاحِب الجلالة ليس الملك الوحيد في البلاد الذي يَطلُب البيعة».

تحرَّكت الليدي مليساندرا في جلستها قائلةً: «أخبِرني أيها اللورد سنو... أين كان هؤلاء الملوك الآخَرون حين هاجمَ الهمجيُّون جِداركم؟».

أجابَ چون: «على بُعد ألف فرسخ وقد صمُّوا آذانهم عن حاجتنا. لم أنسَ هذا يا سيِّدتي ولن أنساه، لكن لحمَلة راية أبي زوجاتٍ وأولادًا عليهم حمايتهم، ورعايا من العامَّة سيموتون إذا أساءوا الاختيار. جلالة الملك يَطلُب منهم الكثير. امنحهم وقتًا وستنال إجاباتك».

سحقَ ستانيس رسالة ليانا سائلًا: «إجابات كهذه؟».

- «حتى في الشَّمال يخشى النَّاس غضبة تايوين لانستر. ثم إن آل بولتون أعداء سيِّئون أيضًا. إنهم لم يضعوا رجلًا مسلوخًا على راياتهم مصادفةً. لقد ركبَ الشَّمال مع روب ونزفَ معه وماتَ في سبيله. هؤلاء النَّاس شربوا المُرَّ والموت، والآن تأتي عارضًا عليهم المزيد، فهل تلومهم إذا أعرَضوا؟ سامِحني يا جلالة الملك، لكن بعضهم سيَنظُر إليك ولا يرى إلَّا مدَّعيًا آخَر محكومًا عليه بالهلاك».

قالت الليدي مليساندرا: «إذا هلكَ جلالته فبلادكم هالكة أيضًا. تذكَّر هذا يا لورد سنو، إن ملك (وستروس) الشَّرعي الوحيد هو الواقف أمامك».

حافظَ چون على جمود ملامحه وهو يردُّ: «كما تقولين يا سيِّدتي».

أطلقَ ستانيس نخيرًا ساخرًا، وقال: «إنك تُنفِق كلماتك كأنها تنانين ذهبيَّة. تُرى كم من الذَّهب تدَّخرون؟».

- «الذَّهب؟». *أهذه هي التَّنانين التي تنوي المرأة الحمراء إيقاظها؟ تنانين من الذَّهب؟* «الضَّرائب التي نجمعها عينيَّة يا جلالة الملك. حَرس اللَّيل أثرياء باللِّفت فُقراء بالمال».

- «لن يُرضي اللِّفت سالادور سان على الأرجح. إنني أتطلَّبُ الذَّهب أو الفضَّة».

- «من أجل هذا تحتاج إلى (الميناء الأبيض). المدينة لا تُقارَن بـ(البلدة القديمة) أو (كينجز لاندنج)، لكنها تظلُّ ميناءً مزدهرًا. اللورد ماندرلي أغنى حمَلة راية السيِّد والدي».

- «اللورد الأسمن من أن يركب حصانًا». تكلَّمت الرِّسالة التي بعثَ بها اللورد وايمان ماندرلي من (الميناء الأبيض) عن سِنِّه ومرضه، لكنها لم تَذكُر غير هذا إلَّا القليل، وقد أمرَ ستانيس چون بعدم الكلام عنها أيضًا.

قالت الليدي مليساندرا: «ربما يرغب حضرة اللورد في زوجةٍ همجيَّة. أهذا الرَّجل السَّمين متزوِّج يا لورد سنو؟».

- «السيِّدة زوجته ماتَت منذ زمنٍ طويل. للورد وايمان ابنان بالغان وأحفاد من الابن الكبير، وهو أسمن من أن يركب حصانًا بالفعل، وزنه ستُّمئة رطلٍ على الأقل. قال لن تقبله أبدًا».

دمدمَ الملك: «مرَّةً واحدةً حاوِل أن تُعطيني جوابًا يسرُّني أيها اللورد سنو».

- «أملي أن تسرَّك الحقيقة يا مولاي. رجالك يدعون ڤال بالأميرة، لكنها بالنِّسبة إلى شعب الأحرار ليست أكثر من أخت زوجة ملكهم الميتة. إذا أجبرتها على الزَّواج برجلٍ لا تُريده فغالبًا ستشقُّ حَلقه ليلة زفافهما. وحتى إذا قبلَت زوجها، فذلك لا يعني أن الهَمج سيتبعونه أو يتبعونك. الرَّجل الوحيد الذي يستطيع ضمَّهم إلى قضيَّتك هو مانس رايدر».

قال ستانيس باستيباء: «أعرفُ هذا. لقد قضيتُ ساعاتٍ في الكلام مع الرَّجل. إنه يعرف الكثير عن عدوِّنا الحقيقي، ولا يفتقر إلى الدَّهاء، أعترفُ بهذا. حتى إذا نبذَ ملكيَّته فالرَّجل لا يزال حانثًا بالقَسم. اسمح لمتهرِّبٍ واحدٍ بالحياة وستُشجِّع آخَرين على التَّهرُّب. لا، يجب أن تكون القوانين من حديدٍ لا عجين. على مانس رايدر أن يدفع حياته غرامةً طبقًا لكلِّ قوانين (الممالك السَّبع)».

- «القانون ينتهي عند (الجِدار) يا صاحِب الجلالة. يُمكنك الاستفادة بمانس».

- «هذا ما أنتويه. سأحرقه، وسيرى الشَّمال كيف أتعاملُ مع الخونة والمارِقين. إن عندي رجالًا آخَرين يقودون الهَمج، وعندي ابن رايدر، لا تنسَ هذا. ما إن يموت الأب سيُصبِح ابنه ملك ما وراء الجِدار».

- «جلالتك مخطئ». اعتادَت إيجريت أن تقول له: *لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو*، لكنه تعلَّم. «الصَّغير ليس أميرًا كما أن ڤال ليست أميرةً. المرء لا يُصبِح ملك ما وراء الجِدار لأن أباه كان كذلك».

قال ستانيس: «عظيم، لأنني لن أسمح بوجود ملوكٍ آخَرين في (وستروس). هل وقَّعت المنحة؟».

- «لا يا جلالة الملك». *هيا بنا إذن*. ثنى چون أصابعه المحروقة وبسطَها مضيفًا: «إنك تَطلُب الكثير جدًّا».

- «أطلبُ؟! لقد طلبتُ منك أن تكون سيِّد (وينترفل) وحاكم الشَّمال. إنني محتاج إلى هذه القلاع».

- «لقد تنازَلنا لك عن (قلعة اللَّيل)».

- «جرذان وأنقاض. هديَّة البخيل لا تُكلِّف مُعطيها شيئًا. رجلك يارويك يقول إن القلعة لن تَصلُح للسُّكنى قبل نِصف عام».

- «القلاع الأخرى ليست أفضل حالًا».

- «أعرفُ هذا، لكن لا يهمُّ، إنها كلُّ ما عندنا. على (الجِدار) تسع عشرة قلعةً، وليس لديكم رجال إلَّا في ثلاثٍ منها. إنني أنوي وضع حاميةٍ في كلِّ واحدةٍ من جديد قبل نهاية السَّنة».

- «ليس عندي اعتراض على هذا يا مولاي، ولكن يُقال أيضًا إنك تنوي منح هذه القلاع لفُرسانك ولورداتك، ليجعلوا منها مقرَّاتهم كأتباع لجلالتك».

- «المتوقَّع من الملوك أن يكونوا أسخياء مع أتباعهم. ألم يُعلِّم اللورد إدارد نغله شيئًا؟ كثيرون من فُرساني ولورداتي تخلُّوا عن أراضٍ خصبة وقلاعٍ منيعة في الجنوب. أيجب ألَّا يُكافأوا على إخلاصهم؟».

- «إذا كان صاحِب الجلالة يُريد أن يخسر حمَلة راية السيِّد والدي جميعًا فما من طريقةٍ أضمن من منح القلاع الشَّماليَّة للوردات جنوبيِّين».

- «كيف أخسرُ رجالًا لا أحظى بهم؟ لقد أملتُ أن أمنح (وينترفل) لرجلٍ شمالي كما تَذكُر، ابن إدارد ستارك، فألقى عرضي في وجهي». عندما يشكو ستانيس باراثيون من شيءٍ ما يكون مِثل دِرواس[7] في فمه عظمة، يظلُّ يقضمها بعنادٍ عن آخِرها.

- «المفترَض بحسب الأصول أن تؤول (وينترفل) إلى أختي سانزا».

- «تعني الليدي لانستر؟ أأنت مشتاق لهذه الدَّرجة لرؤية العِفريت جاثمًا على مقعد أبيك؟ أعدُك بأن ذلك لن يَحدُث أبدًا ما دمتُ حيًّا يا لورد سنو».

قال چون الأعقل من أن يصرَّ على الكلام في هذا الشَّأن: «مولاي، بعضهم يَزعُم أنك تنوي أن تمنح أراضي وقلعتين لذي القميص المُخشخِش وماجنَر (ثِن)».

- «مَن أخبرَك بهذا؟».

الكلام دائر في جميع أنحاء (القلعة السَّوداء) بالفعل. «إذا كان يجب أن تعرف، فقد بلغَني الخبر من جيلي».

- «مَن جيلي؟».

أجابَته الليدي مليساندرا: «المُرضعة. جلالتك أعطيتها حرِّيَّة التَّجوال في القلعة».

- «ليس لنشر النَّميمة. إنها مطلوبة من أجل تدييها لا لسانها. أريدُ منها لبنًا أكثر ورسائل أقل».

وافقَه چون قائلًا: «(القلعة السَّوداء) ليست محتاجةً إلى أفواهٍ عديمة الفائدة. سأرسلُ جيلي جنوبًا على متن أول سفينةٍ تُبحِر من (القلعة الشَّرقيَّة)».

مسَّت مليساندرا الياقوتة على عُنقها، وقالت: «جيلي تُرضِع ابن دالا علاوةً على ابنها. قسوة منك أن تُفرِّق بين أميرنا الصَّغير وأخيه في الرِّضاعة يا سيِّدي».

/احذر الآن، احذر. «إنهما لا يشتركان إلَّا في لبن الأم. ابن جيلي أكبر حجمًا وأقوى، ويَركُل الأمير ويَقرُصه ويدفعه عن ثدي جيلي. كراستر أبوه، رجل قاسٍ جشِع، والدَّم يدلُّ على هذا».

قال الملك حائرًا: «حسبتُ المُرضعة ابنة ذلك الرَّجل كراستر».

- «زوجته وابنته في آنٍ واحد يا جلالة الملك. كان كراستر يتزوَّج بناته جميعًا، وصبيٌّ جيلي ثمرة علاقتهما».

بدا ستانيس مصدومًا وهو يقول: «حبلَت بهذا الطِّفل من أبيها؟ خيرٌ لنا أن نتخلَّص منها إذن. لن أسمح بوجود مسوخٍ مِثلها هنا. هذه ليست (كينجز لاندنج)».

- «يُمكنني العثور على مُرضعةٍ أخرى. إذا لم أجد واحدةً بين الهَمج فسأرسلُ إلى عشائر الجبال، وحتى ذلك الحين من شأن حليب الماعز أن يكفي الصَّبي، بعد إذن صاحِب الجلالة».

قال ستانيس: «غذاء رديء لأمير... لكن أفضل من لبن عاهرة، نعم»، ونقرَ بأصابعه على الخريطة مستطردًا: «لنَعُد إلى مسألة القلاع...».

بكياسةٍ باردة قال چون: «جلالة الملك، لقد أسكنتُ رجالك وأطعمتهم، وهو ما كلَّفنا الكثير من مؤن الشِّتاء، وألبستهم كي لا يتجمَّدوا بردًا».

لم يبدُ الرِّضا على ستانيس إذ قال: «أجل، تقاسَمتم معنا لحمكم المملَّح وثريدكم، ورميتم لنا بضع خرقٍ سوداء تُدفِّئنا، خرقًا كان الهَمج ليخلعونها عن جُثثكم لو لم آتِ إلى الشَّمال».

تجاهلَ چون قوله، وتابعَ: «لقد أعطيتكم علفًا لخيولكم، وما إن ينتهي بناء السَّلالم سأعيركم بنَّائين لإصلاح وترميم (قلعة اللَّيل)، بل ووافقتُ على السَّماح لك بتوطين الهَمج في أراضي (الهديَّة)، التي مُنِحَت لحَرس اللَّيل مدى الحياة».

- «تُقدِّم لي أراضي خاليةً وأطلالًا، ومع ذلك تأبى عليَّ القلاع التي أحتاجُ إليها لمكافأة لورداتي وحمَلة رايتي».

- «حَرس اللَّيل شيَّدوا تلك القلاع...».

- «وحَرس اللَّيل هُم من هجروها».

أنهى چون عبارته بعناد: «... للدِّفاع عن (الجِدار)، وليس كمقرَّاتٍ للوردات الجنوب. أحجار تلك القلاع يختلط ملاطها بدماء وعظام إخوتي الذين ماتوا منذ زمنٍ طويل، ولا أستطيعُ أن أعطيها لك».

كانت أوتار رقبة الملك مشدودةً عن آخِرها، بارزةً كالسُّيوف الماضية إذ قال: «لا تستطيع أم لا تُريد؟ لقد عرضتُ عليك اسمًا».

- «إن لي اسمًا يا جلالة الملك».

قال ستانيس: «سنو. هل من نذير شؤمٍ أكبر؟»، ومسَّ مقبض سيفه مردفًا: «من تخال نفسك بالضَّبط؟».

- «الحارس على الأسوار، السَّيف في الظُّلمات».

ردَّ ستانيس: «لا تُردِّد قَسمكم عليَّ كالببغاء»، واستلَّ السَّيف الذي يُسمِّيه (جالِب الضِّياء) مواصلًا: «ها هو ذا السَّيف في الظُّلمات»، ليتموَّج الضَّوء جيئةً وذهابًا على النَّصل القشيب، الآن أحمر، الآن أصفر، الآن بُرتقالي، يُلوِّن وجه الملك بدرجاتٍ زاهية قاسية. «حتى صبي أخضر مِثلك من شأنه أن يرى هذا. أأنت أعمى؟».

- «لا يا مولاي. إنني أوافقك على ضرورة وضع حامياتٍ في تلك القلاع...».

- «القائد الصَّبي يُوافِقني. يا لحظّي السَّعيد!».

- «... من رجال حَرس اللَّيل».

- «أعداد رجالكم لا تكفي!».

- «امنحني الرِّجال إذن يا مولاي. سأزوِّدُ كلَّ قلعةٍ مهجورة بضُبَّاط، قادة متمرِّسين يعرفون (الجِدار) والأراضي وراءه، وأفضل السُّبل للبقاء على قيد الحياة خلال الشِّتاء المقبل. مقابل كلِّ ما أعطيناكم إياه امنحني الرِّجال لمَلء الحاميات، رجالًا مسلَّحين ورُماة نُشَّابيَّة وصِبيةً مبتدئين، بل وسآخذُ جرحاكم ومرضاكم أيضًا».

حملقَ ستانيس إليه غير مصدِّق، ثم أطلقَ ضحكةً قصيرةً؛ وقال: «أنت جريء كفايةً يا سنو، أقرُّ بهذا، لكنك مجنون إذا كنت تظنُّ أن رجالي سيرتدون أسود حَرس اللَّيل».

- «لهم أن يرتدوا أيَّ ألوانٍ يشاءون، شريطة أن يُطيعوا ضُبَّاطي كما يُطيعون ضُبَّاطك».

لم يبدُ على الملك التَّأثُّر إذ قال: «إن عندي فُرسانًا ولوردات في خدمتي، سُلَّان عائلاتٍ نبيلة عريقة، ولا يُمكن أن تتوقَّع منهم أن يخدموا تحت إمرة اللُّصوص والفلَّاحين والقتَلة».

أو النُّغول يا مولاي؟ «يدك نفسه مهرِّب».

- «كان مهرِّبًا، وقد قصَّرتُ أصابعه لأجل ذلك. يقولون لي إنك قائد حَرس اللَّيل الثَّامن والتِّسعون بعد المئة التَّاسعة أيها اللورد سنو. ماذا تحسب القائد التَّاسع والتِّسعين بعد التِّسعمئة سيقول عن تلك القلاع؟ ربما يُلهِمه منظر رأسك على خازوق بأن يتعاوَن أكثر»، ومرَّر الملك سيفه الوهَّاج على الخريطة بطول (الجِدار) مردفًا: «إنك القائد لمجرَّد أنني أسمحُ لك. من صالحك أن تتذكَّر هذا».

- «إنني القائد لأن إخوتي اختاروني». ما زالَ الصُّبح يطلع على چون سنو أحيانًا وهو نفسه لا يُصدِّق هذا، حين يستيقظ مفكِّرًا أنه رأى حُلمًا مجنونًا لا شكَّ. كان سام قد قال له: *كأنك نضع ثيابًا جديدةً، تَشعُر بمقاسها غريبًا في البداية، لكن عندما نرتديها فترةً تبدأ الشُّعور فيها بالرَّاحة*.

قال الملك وبينهما الخريطة كميدان معركة، غارقة في ألوان السَّيف الوقَّاد: «أليسر ثورن يشكو من أسلوب اختيارك، ولا يُمكنني أن أقول إن شكواه باطلة. الأصوات أحصاها رجل كفيف يقف إلى جواره صديقك البدين، وسلينت يدعوك بالمارِق».

ومَن يعرف المارِقين أفضل من سلينت؟ «كان المارِق ليُخبِرك بما ترغب في سماعه ويخونك لاحقًا. جلالتك تعلم أنني اختِرتُ بالعدل. لطالما قال أبي إنك رجل عادل». *عادل ولكن قاسٍ*. هذا ما قاله اللورد إدارد تحديدًا، وإن كان چون لا يحسب أن من الحكمة أن يبوح بهذا.

- «لم يكن اللورد إدارد صديقي، لكنه لم يفتقر إلى شيءٍ من العقل. كان ليُعطيني تلك القلاع».

مُحال. «ليس لي أن أتكلَّم عمَّا كان أبي ليفعله. لقد حلفتُ يمينًا يا جلالة الملك. (الجِدار) تحت قيادتي».

قال ستانيس: «حاليًا. سنرى براعتك في الاحتفاظ به»، وأشارَ إليه متابعًا: «احتفظ بأطلالك ما دامَت تعني لك الكثير، لكنني أعدُك، إذا ظلَّ أيُّها خاليًا مع نهاية السَّنة فسآخذها برضاك أو دونه، وإذا سقطَت ولو واحدة منها في يد العدوّ فسرعان ما سيتبعها رأسك. والآن اخرُج».

نهضَت الليدي مليساندرا من موضعها إلى جوار النَّار قائلةً: «بعد إذنك يا مولاي، سأصحبُ اللورد سنو إلى مسكنه».

قال ستانيس: «لماذا؟ إنه يعرف الطَّريق»، ثم أشارَ لهما بالانصراف قائلًا: «افعلي ما يحلو لكِ. دقان، أريدُ طعامًا، بيضًا مسلوقًا وماءً باللَّيمون».

بعد دفء غُرفة الملك الشَّمسيَّة كانت برودة السُّلَّم الملتف تُجمِّد العظام، وقد نبَّه الرَّقيب مليساندرا وهو يُناوِل چون أسلحته قائلًا: «الرِّيح تشتدُّ يا سيِّدتي. ربما عليكِ ارتداء معطفٍ أثقل».

ردَّت المرأة الحمراء: «إيماني يُدفِّئني»، ونزلَت السَّلالم إلى جوار چون قائلةً: «جلالة الملك يزداد ولعًا بك».

- «أدركتُ هذا. لقد هدَّدني بقطع رأسي مرَّتين فقط».

ضحكَت مليساندرا قائلةً: «صمته هو ما عليك أن تخشاه وليس كلامه». مع دخولهما السَّاحة نفخَت الرِّيح معطف چون وجعلَته يضربها، فأزاحَت الرَّاهبة الحمراء الصُّوف الأسود وتأبَّطت ذراعه مردفةً: «ربما لا تكون مخطئًا بشأن ملك الهَمج. سأصلِّي لإله الضِّياء طالبةً الإرشاد. عندما أنظرُ في اللَّهب أستطيعُ أن أرى من خلال الحجارة والتُّربة وأجد الحقيقة في أنفُس النَّاس، أستطيعُ أن أكلِّم ملوكًا ماتوا منذ ردحٍ من الزَّمن وأطفالًا لم يُولَدوا بعدُ وأشاهد السِّنين والفصول تمرُّ حتى نهاية الزَّمان».

- «ألا تُخطئ نيرانكِ أبدًا؟».

- «أبدًا... ولو أننا نحن الرُّهبان فانون وأحيانًا نُخطئ، نخلط بين ما سيَحدُث وما يُمكن أن يَحدُث».

كان بإمكان چون الشُّعور بحرارتها، حتى عبر ما يرتديه من أصواف وجِلدٍ مقوًى بالزَّيت المغلي، ورأى أن منظرهما متشابكَي الذِّراعين يجذب النَّظرات الفضوليَّة. *سيتهامَسون عن هذا في الثُّكنات اللَّيلة*. قال: «إذا كنتِ تستطيعين رؤية الغد في لهبكِ بحقٍّ فأخبِريني متى وأين سيقع هجوم الهَمج التَّالي»، وسحبَ ذراعه.

قالت مليساندرا: «راهلور يُرسِل إلينا ما يشاء من رؤى، لكنني سأبحثُ عن ذلك الرَّجل تورموند في اللَّهب»، ورسمَت على شفتيها الحمراوين ابتسامةً، وأضافَت: «لقد رأيتك في نيراني يا چون سنو».

- «أهذا تهديد يا سيِّدتي؟ هل تنتوين إحراقي أيضًا؟».

ردَّت: «أسأت فهمي»، ورمقَته بإمعانٍ قائلةً: «أخشى أنني أصيبك بالانزعاج يا لورد سنو».

لم يُنكِر چون هذا، وقال: «(الجِدار) ليس مكانًا لامرأة».

- «أنت مخطئ. لقد حلمتُ بجِداركم يا چون سنو. عظيمةً كانت المعارف التي شيَّدته، وعظيمةً كانت التَّعاويذ الحبيسة تحت جليده. إننا نمشي أسفل إحدى دعائم العالم»، ورفعَت مليساندرا عينيها إلى الصَّرح العظيم وأنفاسها سحابة دافئة رطبة في الهواء، وقالت: «هذا مكاني كما هو مكانك، وربما تجد نفسك في حاجةٍ ماسَّة إليّ عمَّا قريب. لا تَرفُض صداقتي يا چون. لقد رأيتك في العاصفة محاصرًا يُطوِّقك الأعداء من كلِّ اتِّجاه. إن لك أعداءً كثيرين جدًّا. هل أتلو عليك أسماءهم؟».

- «أعرفُ أسماءهم».

التمعَت الياقوتة على عُنق مليساندرا وهي تقول: «لا تكن متأكِّدًا لهذه الدَّرجة. ليس عليك أن تخشى الخصوم الذين يلعنونك في وجهك، بل من يبتسمون حين تَنظُر ويشحذون سكاكينهم حين تُدير ظَهرك. خيرٌ لك أن تُبقي ذئبك على مقربةٍ منك. جليدًا أرى، وخناجر في الظَّلام، دماءً قانيةً متجمِّدةً عن آخِرها وفولاذًا مجرَّدًا. كانت البرودة شديدةً».

- «البرودة دائمة على (الجِدار)».

- «أتظنُّ هذا؟».

- «بل أعلمه علم اليقين يا سيِّدتي».

همسَت: «لستَ تعلم شيئًا إذن يا چون سنو».

---

(7) الدِّرواس كلب قبيح الشَّكل شديد الضَّخامة يُستخدَم في الصَّيد والحراسة. (المُترجم).

هل وصلنا؟

لم يلفظ بران السُّؤال قَطُّ، وإن بقيَ معلَّقًا على شفتيه ومجموعتهم البائسة تتقدَّم بخُطى ثقيلة بطيئة، تمضي عبر بساتين من شجر السَّنديان العتيق وشجر الحارس[8] الأخضر الرَّمادي الباسق، وتمرُّ بشجر الصَّنوبر الجُندي[9] المتجهِّم وشجر الكستناء البنِّي الأجرد. *هل اقتربنا؟* يظلُّ الصَّبي يتساءَل إذ يصعد هودور منحدرًا حجريًّا بصعوبةٍ أو ينزل إلى أُخدودٍ مظلم تتشقَّق فيه أكوام الثَّلج المتَّسخ تحت قدميه. *كم تبقَّى؟* لا يُفارِقه السُّؤال والإلكة العظيمة تخوض في جدولٍ شِبه متجلِّد. *كم أمامنا؟ البرد شديد جدًّا. أين الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث؟*

متمايلًا في سلَّته الخيزران على ظَهر هودور، طأطأ الصَّبي رأسه إذ مرَّ عامل الاسطبل الكبير من تحت فرع شجرة سَنديان. كان الثَّلج قد عاودَ السُّقوط مبتلًّا ثقيلًا، وهودور يمشي وقد انغلقَ أحد جفنيه وتجمَّد، وغلَّف الصَّقيع لحيته البنِّيَّة الكثيفة، وتدلَّت كُتل الجليد من أطراف شاربه الكث. ما زالَت يده المقفَّزة قابضةً على السَّيف الحديد الطَّويل الذي أخذَه من السَّراديب أسفل (وينترفل)، ومن حينٍ إلى آخَر يضرب به فرعًا فيُخَلخِل الثَّلج المتراكم عليه ويُسقِطه، وبأسنانٍ تصطكُّ يُهَمهِم: «هود-د-د-دور».

وجدَ بران الصَّوت مطمئِنًا على نحوٍ غريب. خلال رحلتهم من (وينترفل) إلى (الجِدار) اختصرَ بران ورفاقه أميال السَّفر بتجاذُب أطراف الحديث والحكايات، لكن الأمر مختلف هنا. حتى هودور يَشعُر بهذا، وما عادَ يُردِّد هَوْدَراته بالكثرة التي تعوَّدها جنوب (الجِدار). هذه الغابة يحفُّها سكون لم يعرف بران له مثيلًا قَطُّ. قبل سقوط الثَّلج كانت رياح الشَّمال تدور حولهم في دوَّاماتٍ وتتطايَر سحابات من أوراق الأشجار البنِّيَّة الميتة مصدرةً حفيفًا خفيضًا ذكَّره بصوت الصَّراصير إذ تسعى داخل خزانة، لكن كلَّ الأوراق مدفونة الآن تحت طبقةٍ من الأبيض. بين الفينة والفينة يُحلِّق غُداف فوقهم ضاربًا الهواء البارد بجناحيه الأسودين، لكن باستثناء ذلك فالعالم صامت تمامًا.

أمامه مباشرةً شقَّت الإلكة طريقها بين أكوام الثَّلج خافضةً رأسها، وقد اكتسَت قرونها الضَّخمة بقشرةٍ من الجليد، وجلَس الجوَّال على ظَهرها العريض بصمتٍ كئيب. ذو اليدين الباردتين هو الاسم الذي أطلقَه عليه الفتى البدين سام، فعلى الرغم من شحوب وجه الجوَّال فيداه سوداوان صُلبتان كالحديد، وباردتان كالحديد أيضًا، أمَّا باقي جسده فمغطَّى بطبقاتٍ من الصُّوف والجِلد المقوَّى والحلقات المعدنيَّة، وتُخفي ملامحه قلنسوة معطفه والوشاح الصُّوف الأسود الذي يلفُّه حول نِصف وجهه السُّفلي.

وراء الجوَّال جلسَت ميرا ريد مطوِّقةً أخاها بذراعيها لتقيه من الرِّيح والبرد بدفء جسدها، وكانت قشرة من المُخاط المتجمِّد قد تكوَّنت أسفل أنف چوچن، وكلَّ فترةٍ يرتجف جسده بعُنف. فكَّر بران وهو يُشاهِده يتمايَل على متن الإلكة: يبدو *صغيرًا للغاية، يبدو أصغر مني الآن، وأضعف أيضًا، وأنا المُعاق.*

في مؤخِّرة رِفقتهم الصَّغيرة تحرَّك سَمر، تُجمِّد أنفاس الذِّئب الرَّهيب هواء الغابة إذ يمضي وراءهم وهو لا يزال يعرج على قائمته الخلفيَّة التي أصيبَت بسهمٍ عند (تاج الملكة). كلَّما تلبَّس بران الذِّئب أحسَّ بالجرح القديم، وفي الفترة الأخيرة يقضي بران في جسم سَمر أوقاتًا أطول مما يقضي في جسده هو، فمع أن الذِّئب يَشعُر بقرس البرد على الرغم من فروه السَّميك فإنه يرى على مسافاتٍ أبعد، وسمعه وشمُّه أفضل من الصَّبي الجالس في السلَّة ملفوفًا بالثِّياب الثَّقيلة كرضيعٍ بالقِماط.

وفي أحيانٍ أخرى، عندما يسأم من كونه ذئبًا، يتلبَّس بران هودور، فيئنُّ العملاق الرَّقيق حين يحسُّ به ويلوي رأسه الأشعث ذات اليمين وذات الشِّمال، ولكن ليس بالعُنف نفسه كتلك المرَّة الأولى في (تاج الملكة). يحلو للصَّبي أن يقول لنفسه: *إنه يعرف أنه أنا. لقد اعتادَني*، وعلى الرغم من هذا لا يَشعُر بالرَّاحة في جسد هودور إطلاقًا، فعامل الاسطبل الكبير لا يفهم ما يجري أبدًا، وكلَّ مرَّةٍ يذوق بران الخوف في مؤخِّرة فمه. أمَّا داخل سَمر فأفضل. *أنا هو وهو أنا. ما أشعرُ به يَشعُر به.*

في بعض الأحيان يحسُّ بران بالذِّئب الرَّهيب يتشمَّم رائحة الإلكة متسائلًا إن كان يستطيع التَّغلُّب على الدَّابَّة العظيمة. في (وينترفل) تأقلمَ سَمر على الخيول، لكن هذه إلكة، والإلكات فرائس. يَشعُر الذِّئب الرَّهيب بالدِّماء الحارَّة التي تتدفَّق تحت فروة الإلكة المشعثة، ومجرَّد الرَّائحة كفيل بجعل لُعابه يسيل من بين فكَّيه، ولمَّا يَحدُث هذا يملأ اللُّعاب فم بران بدوره مع فكرة اللَّحم الأحمر الدَّسم.

نعبَ غُداف على شجرة سَنديان قريبة، وسمعَ بران صوت جناحين إذ ضربَ واحد آخَر من الطُّيور السَّوداء الكبيرة الهواء ليحطَّ إلى جواره. بالنَّهار يبقى معهم نِصف دستةٍ لا أكثر من الغِدفان، تطير من شجرةٍ إلى شجرةٍ أو تستقرُّ على قرون الإلكة، في حين تسبقهم بقيَّة السِّرب أو تتخلَّف عنهم، لكن حين تنخفض الشَّمس في الأُفق تعود وتنزل من السَّماء بأجنحةٍ بسواد اللَّيل، إلى أن يمتلئ كلُّ فرعٍ من كلِّ شجرةٍ بها على مسافة ياردات وياردات حولهم. بعضها يطير إلى الجوَّال ويُتَمتِم له، ويبدو لبران أنه يفهم نعيبها وصياحها. *إنها أعيُنه وآذانه، تستكشف له الطَّريق وتهمس له بما أمامنا وخلفنا من أخطار.*

كما هي الحال الآن. فجأةً توقَّفت الإلكة، ووثبَ الجوَّال بخفَّةٍ من فوق ظَهرها ليهبط وسط ثلوجٍ متكوِّمة حتى الرُّكبة. زمجرَ سَمر في وجهه وقد انتفشَ فروه، فالذِّئب الرَّهيب لا تروقه رائحة ذي اليدين الباردتين. *لحم ميت ودماء جافَّة وشيء من رائحة العفَن، والبرودة، البرودة أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر.*

سألَت ميرا: «ما الأمر؟».

بصوتٍ كتمَه الوشاح الصُّوف الأسود الملفوف حول فمه وأنفه أعلنَ ذو اليدين الباردتين: «وراءنا».

تساءلَ بران: «أهي الذِّئاب؟». منذ أيامٍ يعرفون أن الذِّئاب تتبعهم. كلَّ ليلةٍ يسمعون عُواء القطيع النَّائح، وكلَّ ليلةٍ تبدو الذِّئاب أقرب قليلًا. *مخلوقات صيَّادة جائعة، وبإمكانها أن تشمَّ رائحة ضعفنا*. كثيرًا ما يصحو بران يرتعد قبل ساعاتٍ من الفَجر، يُصغي إليها إذ يُنادي بعضها بعضًا من بعيدٍ فيما ينتظر شروق الشَّمس، وقد اعتادَ أن يُفكِّر: *إذا كانت هناك ذئاب فهناك فرائس،* إلى أن خطرَ له أنهم هُم الفرائس.

هزَّ الجوَّال رأسه نفيًا، وأجابَ: «بَشر. ما زالَت الذِّئاب على مسافةٍ منا، لكن هؤلاء الرِّجال لا يستحيون مِثلها».

أزاحَت ميرا ريد قلنسوتها لينقلب الثَّلج الذي يُغطِّيها على الأرض بصوتٍ مكتوم، وسألَته: «كم رجلًا؟ مَن هُم؟».

- «أعداء. سأتولَّى أمرهم».

- «سآتي معك».

- «بل ستبقين. لا بُدَّ من حماية الصَّبي. أمامكم بُحيرة متجمِّدة عن آخِرها. حين تَبلُغونها انعطِفوا شمالًا واتَّبعوا شاطئها حتى تصلوا إلى قرية صيد. انزلوا بها إلى أن ألحق بكم».

حسبَ بران أن ميرا تُريد أن تُجادِل، إلى أن قال أخوها: «افعلي كما يقول. إنه يعرف هذه الأنحاء». لچوچن عينان خضراوان داكنتان بلون الطُّحلب، وإن أثقلَهما إنهاك لم يرَه بران فيهما مطلقًا من قبل. *الجدُّ الصَّغير*. جنوب (الجِدار) بدا أن الصَّبي الآتي من المستنقعات يتمتَّع بحكمةٍ تتجاوَز سِنِي عُمره، أمَّا هنا فهو خائف ضائع كبقيَّتهم، وعلى الرغم من هذا تُصغي إليه ميرا دومًا.

ولم يزل هذا الأمر الواقع. غاصَ ذو اليدين الباردتين بين الأشجار عائدًا من حيث أتوا وحلَّقت أربعة غِدفان تتبعه، وشاهدَته ميرا يبتعد وقد احمرَّت وجنتاها من البرد وخرجَت أنفاسها متلاحقةً من منخريها، ثم إنها عادَت ترفع قلنسوتها وهمزَت الإلكة ليستأنفوا رحلتهم، لكن قبل أن يبتعدوا عشرين ياردةً التفتَت تَنظُر وراءهم قائلةً: «يقول إنهم رجال. أيُّ رجال؟ هل يعني الهَمج؟ لماذا لا يقول؟».

ردَّ بران: «قال إنه سيذهب ويتولَّى أمرهم».

- «قال، أجل. وقال أيضًا إنه سيأخذنا إلى الغُراب ذي الأعيُن الثَّلاث. أقسمُ أن النَّهر الذي عبرناه هذا الصَّباح هو نفسه الذي عبرناه قبل أربعة أيام. إننا نمضي في دوائر».

علَّق بران بتردُّد: «الأنهار تدور وتلتوي، وعلينا الدَّوران حول البُحيرات والتِّلال».

قالت بإصرار: «هناك الكثير من الدَّوران والكثير من الأسرار. لا يروقني هذا، ولا يروقني ذلك الرَّجل، ولستُ أثقُ به. يداه إياهما سيِّئتان بما فيه الكفاية، كما أنه يُخفي وجهه ويَرفُض أن يُخبِرنا باسمه. مَن هو؟ ماذا يكون؟ باستطاعة أيِّ أحدٍ أن يرتدي معطفًا أسود، أيِّ أحدٍ أو أيِّ شيء. إنه لا يأكل أو يشرب أبدًا، ولا يبدو أنه يَشعُر بالبرد».

صحيح. كان بران يخشى أن يَذكُر هذا، لكنه لاحظَ. متى أووا إلى مكانٍ ما ليلًا، وفي حين يتلملَم هو وهودور والأخوان ريد معًا طلبًا للدِّفء، يبقى الجوَّال بعيدًا. أحيانًا يُغلِق ذو اليدين الباردتين عينيه، لكن بران لا يظنُّ أنه ينام. ثم إن هناك شيئًا آخَر...

قال بران: «الوشاح»، وتلفَّت حوله بتوتُّر، لكنه لم يرَ أيَّ غِدفان، إذ تركَتهم الطُّيور السَّوداء الكبيرة كافَّةً حين رحلَ الجوَّال. لا أحد هنالك يسمع، ومع ذلك حافظَ على انخفاض صوته وهو يُتابِع: «الوشاح الذي على فمه لا يُجمِّده الجليد أبدًا مِثل لحية هودور، حتى عندما يتكلَّم».

رمقَته ميرا بنظرةٍ حادَّة، وقالت: «أنت مُحق. إننا لم نرَ أنفاسه قَطُّ، أليس كذلك؟».

- «بلى». كلَّما أطلقَ هودور واحدةً من هَوْدَراته صاحبَتها سحابة من الأبيض، وبإمكانك أن ترى كلمات چوچن وأخته عندما يتكلَّمان، وحتى الإلكة تَترُك غيمةً دافئةً في الهواء حين تزفر.

- «إذا كان لا يتنفَّس...».

وجدَ بران نفسه يتذكَّر حكايات العجوز نان له في صِغره، وكيف كانت تُغطِّيه بدثاره الصُّوف الخشن قائلةً: *وراء (الجِدار) نعيش الوحوش والعماليق والغيلان، والظِّلال المتربِّصة والموتى السَّائرون، لكنها لا تستطيع المرور ما دامَ (الجِدار) يرتفع قويًّا وما دامَ رجال حَرس اللَّيل مخلصين، فاخلُد إلى النَّوم يا براندون يا صغيري الجميل واحلُم أحلى الأحلام، فلا وحوش هنا*. الجوَّال يرتدي أسود حَرس اللَّيل، لكن ماذا لو أنه ليس رجلًا على الإطلاق؟ ماذا لو أنه وحش ما يقوده إلى وحوشٍ أخرى تبغي افتراسه؟

متردِّدًا قال بران: «الجوَّال أنقذَ سام والفتاة من الجُثث الحيَّة، وسيأخذني إلى الغُراب ذي الأعيُن الثَّلاث».

- «لِمَ لا يأتنا ذلك الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث بنفسه؟ لماذا لم يُقابِلنا عند (الجِدار)؟ الغِربان لها أجنحة. أخي يزداد ضعفًا كلَّ يوم. إلى متى يُمكننا الاستمرار؟».

سعلَ چوچن، وأجابَها: «إلى أن نصل».

لم يَطُل الوقت قبل أن يَبلُغوا البُحيرة الموعودة، وهناك انعطَفوا شمالًا كما أخبرَهم الجوَّال، وكان هذا الجزء سهلًا.

وجدوا المياه متجمِّدةً، وكانت الثُّلوج تتساقَط منذ مُدَّةٍ طويلة للغاية حتى إن بران لم يَعُد يدري كم يومًا مرَّ، فأحالَت البُحيرة إلى بريَّةٍ بيضاء مترامية الأطراف. تحرَّكوا بيُسرٍ حيثما كان الجليد مسطَّحًا والأرض غير مستوية، لكن حيثما دفعَت الرِّيح الثَّلج وكوَّمته لاقوا صعوبةً أحيانًا في معرفة أين تنتهي البُحيرة وأين يبدأ الشَّاطئ، وحتى الشَّجر لم يكن بمثابة الدَّليل المعصوم عن الخطأ الذي أملوا أن يكونه، ففي البُحيرة جُزر ملأى بالأدغال، وعلى البرِّ مساحات شاسعة تخلو تمامًا من الأشجار.

مضَت الإلكة حيثما تشاء بصرف النَّظر عمَّا تُريده ميرا وچوچن الرَّاكبان على ظَهرها، وقد ظلَّت أغلب الوقت تحت الأشجار، ولكن أينما ينحني الشَّاطئ غربًا أخذَت الطَّريق الأكثر مباشرةً عبر البُحيرة المتجمِّدة، وتخوض بين أكوام من الثُّلوج أطول من بران فيتشقَّق الجليد تحت حوافرها. على صفحة البُحيرة الرِّيح أقوى، ريح شماليَّة باردة تهبُّ عاويةً وتنفذ كالسَّكاكين مما يرتدونه من صوفٍ وجِلد وتُثير فيهم جميعًا الرَّجفة، وحين تضربهم في وجوههم تقذف الثَّلج في أعيُنهم وتَترُكهم كالعميان.

مرَّت ساعات من الصَّمت، وأمامهم بدأت الظِّلال تتسلَّل من بين الأشجار، أصابع الغسق الطَّويلة. يحلُّ الظَّلام مبكِّرًا في هذه الأصقاع البعيدة في الشَّمال، وقد أمسى بران يخشى هذا، فكلُّ نهارٍ يبدو أقصر من سابِقه، ومتى كان النَّهار باردًا أتى اللَّيل أقسى برودةً.

أوقفَتهم ميرا ثانيةً، وبنبرةٍ مكبوتة غريبة قالت: «المفترَض أن نكون قد بلغنا القرية بالفعل».

تساءلَ بران: «هل تجاوَزناها؟».

- «لا أتمنَّى ذلك. يجب أن نجد مأوًى قبل حلول اللَّيل».

ليست مخطئةً، فشفتا چوچن مزرقَّتان، ووجنتا ميرا حُمرتهما قاتمة، ووجه بران أصابَه الخدَر، ولحية هودور تجمَّدت تمامًا وغلَّف الثَّلج ساقيه حتى الرُّكبتين تقريبًا، وشعرَ به بران يترنَّح أكثر من مرَّة. لا أحد أشد بأسًا من هودور، لا أحد، فإذا كانت قُواه الهائلة تخور...

- «سَمر يستطيع العثور على القرية»، قال بران فجأةً لتُغشِّي كلماته الهواء، ولم ينتظر أن يسمع ما ستقوله ميرا، بل أطبقَ جفنيه وتركَ نفسه ينساب من جسده المكسور.

تلبَّس الصَّبي سَمر لتدبَّ الحياة بغتةً في الغابة الميتة. من قبل سادَ الصَّمت، لكنه الآن يسمع، يسمع الرِّيح بين الأشجار، وأنفاس هودور، والإلكة تَحفُر في الأرض بسُنبكها باحثةً عن طعام. أفعمَت الرَّوائح المألوفة منخريه، الأوراق المبتلَّة والكلأ الميت، وجثَّة سنجابٍ تتعفَّن تحت الشُّجيرات، وعَرق البَشر الكريه، ورائحة الإلكة الزَّنخة. *طعام، لحم*. شعرَت الإلكة بانتباهه إليها، فالتفتَت برأسها نحو الذِّئب الرَّهيب بحذر، وخفضَت قرونها العظيمة.

وهمسَ الصَّبي للحيوان التي يُشارِكه جسمه: *ليست فريسةً. دعك منها، اركُض.*

وركضَ سَمر، اندفعَ عبر البُحيرة ناثرًا الثَّلج بكفوفه، وقد وقفَت الأشجار متكاتفةً كالجنود على خطّ القتال، كلُّها يرتدي المعاطف البيضاء. فوق الجذور والصُّخور انطلقَ الذِّئب الرَّهيب، واخترقَ كومةً قديمةً من الثَّلج سامعًا قشرة الجليد تتشقَّق تحت وزنه، وابتلَّت كفوفه وبدأ يحسُّ فيها بالبرد. كان التَّلُّ التَّالي مغطًّى بأشجار الصَّنوبر، وقد ملأَت رائحة إبرها الحادَّة الهواء، ولمَّا بلغَ القمَّة دارَ حول نفسه متشمِّمًا، ثم رفعَ رأسه يعوي.

الرَّائحة موجودة، رائحة الإنسان.

رماد، رائحته قديمة خافتة، لكنه رماد. إنها رائحة الحطب المحروق والسِّناج والفحم، نار هامدة.

نفضَ الثَّلج عن خطمه. كانت الرِّيح تهبُّ، وهو ما جعلَ اقتفاء الرَّوائح عسيرًا. تلفَّت الذِّئب في هذا الاتِّجاه وذاك يتشمَّم، وفي كلِّ جهةٍ حوله أكوام الثُّلوج والشَّجر الطَّويل الملتحِف بالأبيض. تركَ لسانه يتدلَّى من بين أسنانه متذوِّقًا الهواء البارد، تَخرُج أنفاسه في سحاباتٍ دافئة فيما تذوب رقائق الثَّلج على لسانه، وعندما هرولَ صوب الرَّائحة تحرَّك هودور في أعقابه بخُطى ثقيلة متعَبة من فوره، في حين استغرقَت الإلكة وقتًا أطول في اتِّخاذ قرارها، وهو ما دفعَ بران إلى العودة إلى جسده على مضضٍ ليقول: «من هنا. اتبعي سَمر. لقد شممتُ القرية».

أخيرًا دخلوا القرية المطلَّة على البُحيرة مع بروز أول شظيَّةٍ من الهلال من بين السُّحب. لقد كادوا يعبرون من داخلها مباشرةً دون أن ينتبهوا، فمن على الجليد لا تبدو القرية مختلفةً بأيٍّ شكلٍ عن غيرها من البقاع الأخرى على الشَّاطئ، وكان يُمكن بسهولةٍ أن يحسبوا المنازل الحجريَّة المستديرة المدفونة بأكوام الثَّلج جلاميد أو روابي صغيرةً أو جذوعًا ساقطةً، مِثل الكومة التي حسبَها چوچن مبنى قبل يوم، إلى أن نقَّبوا فيها ولم يجدوا إلَّا الفروع المكسورة والجذوع المتعفِّنة.

كانت القرية خاليةً، نزحَ عنها الهَمج الذين سكنوها من قبل ككلِّ القُرى الأخرى التي مرُّوا بها. بعضها وجدوه محترقًا، كأن أهالي تلك القُرى أرادوا أن يضمنوا عدم قُدرتهم على العودة لاحقًا، وإن نجَت هذه القرية من النَّار. تحت الثَّلج وجدوا دستةً من الأكواخ وقاعةً طويلةً سقفها من التَّجيل وجُدرانها السَّميكة من الخشب الخام.

قال بران: «على الأقل لن نتعرَّض إلى الرِّيح».

قال هودور: «هودور».

ترجَّلت ميرا عن ظَهر الإلكة، ثم تعاونَت مع أخيها على رفع بران من سلَّته الخيزران، وقالت: «ربما تركَ الهَمج القليل من الطَّعام».

لكن اتَّضح أن أملها زائف. داخل القاعة الطَّويلة وجدوا رماد نار وأرضيَّةً من التُّربة الصُّلبة وبردًا يَنخُر العظم، لكن هناك على الأقل سقفًا فوق رؤوسهم وجُدرانًا تقيهم من الرِّيح. على مقربةٍ يسري جدول مغطًى بطبقةٍ رقيقة من الجليد، وقد كسرَتها الإلكة بحافرها كي تشرب، وما إن استقرَّ بران وچوچن وهودور جلبَت لهم ميرا قطعًا من الجليد المكسور يمتصُّونها، ولمَّا ذابَ جعلَت برودة الماء القارسة بران يرتجف.

لم يتبعهم سَمر إلى داخل القاعة الطَّويلة. أحسَّ بران بجوع الذِّئب الكبير كظلٍّ لجوعه، فقال له: «اذهب للصَّيد، لكن دَع الإلكة وشأنها». جزء منه كان يتمنَّى الذَّهاب للصَّيد أيضًا، وقد يفعل هذا في ما بعدُ.

كان العَشاء حفنةً من جوز البلُّوط المسحوق والمطحون حتى أصبحَ عجينًا، مذاقه شديد المرارة لدرجة أن بران كادَ يتقيَّأ وهو يُحاوِل ابتلاعه، أمَّا چوچن ريد فأحجمَ عن أكله. إنه أصغر سِنًّا وأضعف من أخته، وكلَّ يومٍ يزداد وهنًا.

قالت له ميرا: «يجب أن تأكل يا چوچن».

ردَّ أخوها: «في ما بعدُ. أريدُ أن أستريح فقط»، وأضافَ بابتسامةٍ شاحبة: «اليوم ليس يوم مماتي يا أختاه، أعدُكِ».

- «كدت تَسقُط من فوق الإلكة».

- «كدتُ. إنني بردان وجائع، هذا كلُّ شيء».

- «كُل إذن».

- «جوز البلُّوط المسحوق؟ بطني يُؤلِمني، لكن ذلك سيُزيد الألم. دعيني لحالي يا أختاه. إنني أحلمُ بالدَّجاج المشوي».

- «الأحلام لن تُغذِّيك، ولا حتى الأحلام الخضراء».

- «الأحلام كلُّ ما لدينا».

كلُّ ما لدينا. آخِر ما أتوا به من زادٍ من الجنوب نفدَ قبل عشرة أيام، ومنذ ذلك الحين يُرافِقهم الجوع في سفرهم ليل نهار، وحتى سَمر لم يَعثُر على فرائس في هذه الغابة، والآن يقتاتون بجوز البلُّوط المسحوق والسَّمك النَّيء. الغابة ملأى بالجداول المتجمِّدة والبُحيرات السَّوداء الباردة، وميرا تبرع في الصَّيد بواسطة رُمح الضَّفادع ثُلاثي الشُّعب كما يبرع أكثر الرِّجال في الصَّيد بالصِّنارة، وأحيانًا تعود إليهم بشفتين مزرقَّتين من البرد حاملةً سمكةً تتلوَّى على رُمحها، إلَّا أن ثلاثة أيامٍ مرَّت منذ استطاعَت أن تصطاد واحدةً، والآن يحسُّ بران بخواءٍ بالغ في معدته كأن ما مرَّ ثلاثة أعوام.

بعد أن ابتلعوا عَشاءهم الزَّهيد بصعوبةٍ جلسَت ميرا مسندةً ظَهرها إلى حائطٍ وراحَت تشحذ خنجرها، فيما أقعى هودور إلى جوار الباب وأخذَ يتأرجَح إلى الأمام والخلف على عجيزته ويُغَمغِم: «هودور، هودور، هودور».

أغلقَ بران عينيه. البرد أشدُّ من أن يتكلَّموا، كما أنهم لا يجرؤون على إشعال نار، إذ حذَّرهم ذو اليدين الباردتين من ذلك قائلًا: «هذه الغابة ليست خاليةً كما تحسبون، ولستم تعلمون ما قد يجتلبه النُّور من الظَّلام». جعلَته الذِّكرى يرتعش على الرغم من دفء هودور المجاور له.

رفضَ النَّوم أن يأتي، وما كان يُمكن أن يأتي، وبدلًا منه كانت الرِّيح والبرد القارس ونور القمر على الثَّلج... والنَّار. لقد عادَ إلى داخل سَمر على بُعد فراسخ عديدة، واللَّيل يعبق برائحة الدَّم القويَّة. *فرائس، وليست بعيدةً*. سيكون اللَّحم دافئًا. سالَ اللُّعاب من بين أسنانه إذ استيقظَ الجوع في أحشائه. *ليست إلكةً، ليست غزالًا، ليست هذه*.

تحرَّك الذِّئب الرَّهيب صوب اللَّحم، ظلٌّ رماديٌّ هزيل ينسلُّ من شجرةٍ إلى أخرى عبر بِركٍ من نور القمر وفوق تباب الثَّلج. هبَّت الرِّيح حوله مبدِّلةً اتِّجاهها، ففقدَ الرَّائحة ثم عثرَ عليها قبل أن يفقدها من جديد، وبينما يبحث عنها مرَّةً أخرى جعلَه صوت بعيد يُرهِف أُذنيه.

علمَ في الحال أنه صوت ذئب، وقد تقدَّم سَمر نحوه بحذرٍ الآن، وسرعان ما عادَت رائحة الدَّم، وإن اختلطَت بها روائح أخرى هذه المرَّة، روائح بول وجلود ميتة وخراء طيور وريش، وذئب، وذئب، وذئب. *قطيع*. عليه أن يُقاتِل من أجل الظَّفر بلحمه هذا.

الذِّئاب أيضًا شعرَت بوجوده، وراقبَته إذ خرجَ من ظُلمة الأشجار إلى الأرض الفضاء الدَّامية. كانت الأنثى تلوك فردة حذاءٍ جِلد ما زالَ فيها نِصف ساق، لكنها تركَتها تَسقُط مع اقترابه، أمَّا قائد القطيع، وهو ذكر عجوز له خطم أبيض وعين عمياء، فقد تقدَّم يُقابِله مزمجرًا وكاشفًا أسنانه، ووراءه كشَّر ذكر أصغر عن أنيابه هو الآخَر.

تشرَّبت عينا الذِّئب الرَّهيب الصَّفراوان الباهتتان المناظر المحيطة، من المصارين الملتفَّة على شُجيرة، إلى البُخار المتصاعد من بطنٍ مبقور حاملًا رائحة الدَّم واللَّحم الغنيَّة، إلى رأسٍ يُحدِّق بلا بصرٍ إلى القمر الهلال وقد مُزِّقَت الوجنتان حتى العظم وصارَت العينان حُفرتين غائرتين وانتهى العُنق بجَدعةٍ مهترئة.

إلى بِركة من الدِّماء المتجمِّدة تلتمع بالأسود والأحمر.

بَشر. ملأت رائحتهم الزَّنخة العالم. في حياتهم كانوا بعدد أصابع كفِّ الإنسان، لكنهم الآن صِفر. *ماتوا، انتهوا، لحم*. من قبل كانوا يرتدون المعاطف والقلنسوات، لكن الذِّئاب مزَّقت ثيابهم إربًا إربًا في هياجها سعيًا إلى اللَّحم، ومن لا تزال لهم وجوه يُغطِّي لحاهم الجليد والمُخاط المتجمِّد، وقد بدأ الثَّلج المتساقط يدفن ما تبقَّى منهم، يبدو في غاية الشُّحوب مقارنةً بسواد معاطفهم وسراويلهم الرثَّة. *أسود*.

وعلى بُعد فراسخ عديدة تململَ الصَّبي باضطراب.

أسود، حَرس اللَّيل، كانوا من حَرس اللَّيل.

على أن الذِّئب الرَّهيب لم يُبالِ. إنه لحم، وهو جائع.

برقَت أعيُن الذِّئاب الثَّلاثة بالأصفر، وطوَّح الذِّئب الرَّهيب رأسه من جانبٍ إلى جانبٍ بمنخرين اتَّسعا، ثم كشَّر عن أنيابه زائمًا. تراجعَ الذَّكر الأصغر، وشمَّ الذِّئب الرَّهيب رائحة الخوف فيه. *الذَّيل*. لكن الذِّئب الأعور أجابَه بزمجرةٍ وتقدَّم يصدُّ تقدُّمه. *الرَّأس، ولا يخشاني مع أنني في ضِعفَي حجمه*.

التقَت أعيُنهما.

وارْج!

ثم انقضَّ الاثنان، الذِّئب والذِّئب الرَّهيب، ولم يَعُد هناك وقت للتَّفكير. اختُصِرَ العالم في الأسنان والمخالب والثَّلج المتطاير حولهما وهما يتدحرجان ويدوران ويُحاوِل كلاهما نهش الآخَر، في حين راحَ الذِّئبان المتبقِّيان يزومان ويُزَمجِران حولهما. انغلقَ فكّاه على فروٍ أشعث جعلَه الصَّقيع زلقًا، وعلى قائمةٍ رفيعة كعصا جافَّة، لكن الذِّئب الأعور خمشَ بطنه وحرَّر نفسه، ثم تدحرجَ وعادَ ينقضُّ. انغلقَت أنياب صفراء حول عُنقه، لكنه نفضَ ابن عمومته الأشهب العجوز عنه كأنما ينفض جرذًا، ثم انقضَّ عليه وأسقطَه. بين دحرجةٍ وعضٍّ وركلٍ تقاتَلا، إلى أن تقطَّعت أنفاسهما وتساقطَت الدِّماء على الثَّلج حولهما، لكن في النِّهاية استلقى الذِّئب الأعور العجوز وكشفَ بطنه، فنهشَ الذِّئب الرَّهيب الهواء في وجهه مرَّتين، ثم تشمَّم مؤخِّرته ورفعَ ساقًا فوقه.

وبعد بضع نهشاتٍ وزمجرة إنذار رضخَت الأنثى والذَّيل بدورهما، وأصبحَ القطيع له.

والفرائس أيضًا. تنقَّل من رجلٍ إلى رجلٍ يتشمَّم قبل أن يستقرَّ على أكبرهم حجمًا، شيء بلا وجهٍ يقبض بيده على قطعةٍ من الحديد الأسود، وقد غابَت يده الأخرى المقطوعة عند المعصم ورُبِطَت جَدعتها بالجِلد. من الشَّقِّ في حَلقه سالَ الدَّم ثخينًا ثقيلًا، وراحَ الذِّئب يَلِغ فيه بلسانه، ولعقَ خراب الأنف والوجنتين في الوجه الذي ما عادَت له عينان، قبل أن يدفن خطمه في العُنق ويُمزِّقه ويزدرد قطعةً من اللَّحم الجميل، لحم لم يَذُق في حلاوته مثيلًا.

حين فرغ من هذه انتقلَ إلى جثَّة الرَّجل الثَّالي والتهمَ أفضل القِطع منها، ومن فوق الأشجار راقبَته الغِدفان الجاثمة بصمتٍ وأعيُنٍ سوداء على الفروع والثَّلج يَسقُط من حولها. تدبَّرت الذِّئاب الأخرى أمرها بفُضالته، فأكلَ الذَّكر العجوز أولًا، ثم الأنثى، ثم الذَّيل. إنهم له الآن، إنهم قطيعه.

همسَ الصَّبي: *لا، إن لنا قطيعًا آخَر. ليدي ماتَت، وربما جراي ويند أيضًا، لكن في مكانٍ ما شاجيدوج ونايميريا وجوست احياء. هل تَذكُر جوست؟*

بدأت الثُّلوج والذِّئاب ووليمتها تبهت، وضربَ الدِّفء وجهه باثًّا فيه الرَّاحة كقُبلات أُم. *نار، دُخان.* اختلجَ أنفه على إثر رائحة اللَّحم المشوي التي ملأَته، ثم انسحبَت الغابة ووجدَ نفسه في القاعة الطَّويلة من جديد، في جسده المكسور يَنظُر إلى نارٍ مشتعلة. كانت ميرا ريد تُدوِّر قطعةً من اللَّحم الأحمر النَّيء فوق لهبٍ يسفعها فتُطَقطِق، وقد خاطبَته قائلةً: «في الوقت المناسب». فركَ بران عينيه بكعب يده وزحفَ إلى الوراء ليجلس مستندًا إلى الحائط، وأردفَت هي: «كادَ العَشاء يفوتك وأنت نائم. الجوَّال وجدَ خنزيرةً».

وراءها رأى هودور يلتهم بنهمٍ قطعةً من اللَّحم السَّاخن والدَّم والدُّهن يسيلان ليتخلَّلا لحيته، وقد تصاعدَت خيوط من الدُّخان من بين أصابعه، وبين كلِّ قضمةٍ وقضمةٍ يُتَمتِم: «هودور، هودور، هودور»، وإلى جواره كان سيفه موضوعًا على الأرض التُّرابيَّة، أمَّا چوچن ريد فأكلَ قطعته ببُطءٍ قضمةً قضمةً، يَمضُغ كلَّ واحدةٍ مرارًا قبل أن يبتلعها.

الجوَّال قتلَ خنزيرًا. كان ذو اليدين الباردتين واقفًا عند الباب بغُدافٍ على ذراعه وكلاهما يَنظُر إلى النَّار، واللَّهب منعكس في أربع أعيُنٍ سوداء. قال بران لنفسه متذكِّرًا: *إنه لا يأكل، ويهاب النَّار*.

قال للجوَّال: «قلت لا نار».

- «الجُدران المحيطة بنا تُخفي الضَّوء، والفَجر دانٍ. سنُواصِل طريقنا قريبًا».

- «ماذا حدثَ للرِّجال؟ للأعداء الذين كانوا وراءنا؟».

- «لن يُزعِجوكم».

- «مَن كانوا؟ هَمجًا؟».

قلبَت ميرا اللَّحم لتشوي الجانب الآخَر، وانشغلَ هودور بالمضغ والابتلاع والتَّمتمة السَّعيدة الخفيضة. وحده چوچن بدا منتبهًا لما يَحدُث إذ التفتَ ذو اليدين الباردتين برأسه يَرمُق بران قائلًا: «كانوا أعداء».

كانوا رجالًا من حَرس اللَّيل. «لقد قتلتهم، أنت والغِدفان. كانت وجوههم ممزَّقةً وأعيُنهم مفقوءةً». لم يُنكِر ذو اليدين الباردتين، فتابعَ بران: «كانوا إخوةً. لقد رأيتهم. الذِّئاب مزَّقت ثيابهم لكنني استطعتُ تمييزها. كانت معاطفهم سوداء كيديك». لم يقل ذو اليدين الباردتين شيئًا، فسألَه بران بإلحاح: «مَن أنت؟ ما سبب اسوداد يديك؟».

أمعنَ الجوَّال النَّظر إلى يديه كأنه لم يرَهما من قبل، ثم أجابَ بصوتٍ أجش، مِثله رفيع هزيل: «ما إن يكفَّ القلب عن الخفقان تتدفَّق دماء المرء إلى أطرافه حيث تتخثَّر وتتجمَّد، وتتورَّم يداه وقدماه وتسودَّان كالعجين، أمَّا بقيَّته فتصير بيضاء كالحليب».

نهضَت ميرا ريد رافعةً رُمحها الذي ما زالَت قطعة من اللَّحم الدَّاخن مغروسةً فيه، وقالت: «أرِنا وجهك».

لكن الجوَّال لم يتحرَّك قيد شعرة.

قال بران متذوِّقًا المِرَّة في حَلقه: «إنه ميت. ميرا، إنه شيء ميت ما. الوحوش لا تستطيع المرور ما دامَ (الجِدار) قائمًا ورجال حَرس اللَّيل مخلصين. هذا ما اعتادَت العجوز نان قوله. لقد أتى يُقابِلنا عند (الجِدار)، لكنه لم يستطِع المرور، ولذا أرسلَ سام وتلك الفتاة الهمجيَّة».

أحكمَت ميرا قبضتها حول قناة الرُّمح، وسألَت الجوَّال: «مَن أرسلَك؟ من هذا الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث؟».

- «صديق، حالم، ساحر، يُمكنكم تسميته كما شئتم. إنه آخِر الأنبياء الخُضر».

انفتحَ باب القاعة الطَّويلة الخشبي بعُنف، وبالخارج عوَت ريح اللَّيل الكئيبة السَّوداء. كانت الأشجار تعجُّ بالغِدفان الصَّارخة، ولم يتحرَّك ذو اليدين الباردتين.

قال بران: «وحش».

نظرَ الجوَّال إلى بران كأنما ليس للآخَرين وجود، وردَّ: «وحشك أنت يا براندون ستارك».

ردَّد الغُداف من فوق كتفه: «*وحشك!*»، وخارج الباب تلقَّت الغِدفان الجاثمة على الأشجار الكلمة، حتى ردَّدت غابة اللَّيل كلُّها صيحة السِّرب: «*وحشك، وحشك، وحشك!*».

سألَت ميرا أخاها: «چوچن، هل حلمت بهذا؟ مَن هو؟ ماذا يكون؟ ماذا نفعل الآن؟».

أجابَها چوچن: «نذهب مع الجوَّال. لقد قطعنا شوطًا أطول من أن نرجع الآن يا ميرا. لن نستطيع العودة إلى (الجِدار) أحياء أبدًا. إمَّا أن نذهب مع وحش بران وإمَّا أن نموت».

---

(8) الحارس نوع أشجار من خيال المؤلِّف. (المُترجم).

(9) الصَّنوبر الجُندي نوع أشجار من خيال المؤلِّف. (المُترجم).

غادَروا (پنتوس) من (بوّابة المشرق)، ولو أن تيريون لانستر لم يُبصِر الشَّمس تُشرِق.

داخل الهودج أكَّد له الماچستر إليريو وهو يُغلِق السَّتائر المخمل الأرجوانيَّة: «كأنك لم تكن في (پنتوس) البتَّة يا صديقي الصَّغير. يجب ألَّا يراك أحد تَخرُج من المدينة مِثلما لم يرَك أحد تَدخُلها».

- «لا أحد باستثناء البحّارة الذين حشَروني في البرميل، وعامل القمرة الذي كان يُنظِّف ورائي، والفتاة التي أرسلتها تُدفِّئ فِراشي، وتلك الغسَّالة الواشية ذات النَّمش. أوه، وحُرَّاسك. ما لم تكن استأصلت عقولهم مع خُصاهم فإنهم يعرفون أنك لست بمفردك هنا». كان الهودج معلَّقًا على أحزمةٍ جِلديَّة ثقيلة بين ثمانية خيول جرٍّ عملاقة، ويمشي أربعة من المخصيِّين إلى جوار الخيول زوجين على كلِّ جانب، ووراءهم يتقدَّم المزيد من حُرَّاس الأمتعة والمؤن.

قال له إليريو مُطمئِنًا: «المُطهَّرون لا يُفشون الأسرار، والقادس[10] الذي أوصلَك في طريقه الآن إلى (آشاي) ولن يعود قبل عامين، هذا إذا ترفَّقت به البحار. أمّا أهل بيتي فيحبُّونني حُبًّا جمًّا، لا يُمكن أن يخونني أحدهم».

عليك الاعتزاز بهذه الفكرة يا صديقي البدين. ذات يومٍ سيَنقُشون هذه الكلمات على قبرك. قال القزم: «حريٌّ بنا أن نكون على متن ذلك القادس. البحر أسرع الطُّرق إلى (ڤولانتيس)».

ردَّ إليريو: «البحر خطِر. الخريف فصل زاخر بالعواصف، وما زالَ القراصنة يتَّخذون أوكارهم في (الأعتاب) ويُقدِمون على نهب الشُّرفاء. لن يَصلُح أبدًا أن يقع صديقي الصَّغير في براثن أمثالهم».

- «في (الروين) أيضًا قراصنة».

قال تاجر الجُبنة: «قراصنة نهريُّون»، وتثاءبَ مغطِّيًا فمه بمؤخِّرة يده، ثم أضافَ: «ربابنة صراصير يسعون وراء الفُتات».

- «المرء يسمع كلامًا عن المتحجِّرين أيضًا».

- «إنهم حقيقيُّون، كائنات تعسة مسكينة حقًّا. لكن لِمَ نتكلَّم عن تلك الأشياء؟ اليوم أجمل من أن نخوض حديثًا كهذا. قريبًا سنرى (الروين) وتتخلَّص من إليريو وبطنه الكبير، وحتى ذلك الحين دعنا نشرب ونَحلُم. إن معنا خمورًا حُلوةً وأطعمةً شهيَّةً نستمتع بها، فلِمَ نُفكِّر في المرض والموت؟».

لِمَ حقًّا؟ مرَّةً أخرى سمعَ تيريون صوت النُّشَّابيَّة الوتري وطفقَ يتساءَل. من جانبٍ إلى جانبٍ تمايلَ الهودج، حركته مهدِّئة ملطِّفة تُشعِره كأن أُمَّه تُهَدهِده بين ذراعيها ليغيب في النَّوم. رغم *أني لم أختبر ذلك الشُّعور بنفسي قَطُّ*. تحت مؤخِّرته وسائد من الحرير محشوَّة بريش الإوز، وفوق رأسه تنحني الجُدران المخمل الأرجوانيَّة لتلتقي معًا صانعةً سقفًا وجاعلةً الجوَّ في الدَّاخل دافئًا سارًّا على الرغم من برودة الخريف في الخارج.

وراءهما تمضي قافلة من البغال حاملة الصَّناديق والأقفاص والبراميل، وسلالًا كبيرةً معبَّأةً بأطايب الطَّعام للحيلولة دون معاناة سيِّد الأجبان الجوع. في ذلك الصَّباح أكلا الشُّجق المتبَّل وشربا نبيذ التُّوت الدُّخاني[11] البنِّي الدَّاكن، وبَعد الظُّهر ملأَت ثعابين الماء المطبوخة في الهُلام والخمور الدورنيَّة الحمراء بطنيهما، وعند حلول المساء تناوَلا شرائح لحم الخنزير والبيض المسلوق وطيور القُبَّرة المحشوَّة بالثُّوم والبصل مع أصنافٍ من المِزر الباهت والنَّبيذ المايري النَّاري تُساعِدهما على الهضم. لكن لئن كان الهودج مريحًا فهو بطيء الحركة أيضًا، وسرعان ما وجدَ القزم نفسه يتململَ بصبرٍ نافد.

تلك اللَّيلة سألَ إليريو: «كم يومًا حتى نَبلُغ النَّهر؟ بهذه السُّرعة ستكون تنانين ملكتك أكبر من تنانين إجون الثَّلاثة قبل أن يقع بصري عليها».

قال الماچستر: «ليت ذلك ممكنًا. التنِّين الكبير أشدُّ هيبةً من تنِّينٍ صغير»، وهزَّ كتفيه متابعًا: «كان من دواعي سروري البالغ أن أستقبل الملكة دنيرس في (ڤولانتيس) بنفسي، لكن عليَّ أن أعتمد عليك وعلى جريف في هذا الصَّدد. وأنا في (پنتوس) أستطيعُ أن أقدِّم لها أفضل عون، أمهِّد الطَّريق لعودتها. لكن ما دمتُ معك... يجب أن يحظى رجل عجوز بدين مِثلي بسُبل الرَّاحة، أليس كذلك؟ هلمَّ، اشرب كوبًا من النَّبيذ».

قال تيريون وهو يشرب: «أخبِرني، لماذا يُبالي ماچستر من (پنتوس) بمن يعتمر التَّاج في (وستروس)؟ أين مكسبك من هذه المُغامرة يا سيِّدي؟».

مسحَ الرَّجل البدين الدُّهن عن شفتيه مجيبًا: «إنني عجوز تعبَ من هذا العالم وخياناته. أمِن الغريب حقًّا أن أرغب في فِعل القليل من الخير قبل وفاتي؟ أن أساعد فتاةً صغيرةً طيِّبةً على استرداد حقِّها بالميلاد؟».

يَنقُص أن تُقدِّم لي بِزَّةً مدرعَّةً سحريَّةً وقصرًا في (ڤاليريا).

«إذا لم تكن دنيرس أكثر من فتاةٍ صغيرة طيِّبة فسيُمزِّقها العرش الحديدي أشلاءً صغيرةً طيِّبةً».

- «لا تخف يا صديقي الصَّغير. إن دماء إجون التنِّين تجري في عروقها».

وكذا دماء إجون غير الجدير وميجور المتوحِّش وبيلور التَّائه.

«احكِ لي المزيد عنها».

فكَّر الرَّجل البدين مليًّا قبل أن يُجيب: «كانت دنيرس طفلةً صغيرةً حين أتَتني، ولكن أجمل من زوجتي الثَّانية ذاتها، رائعة الجَمال لدرجة أن نفسي سوَّلت لي أن آخذها لي، إلَّا أنها كانت صغيرةً خائفةً خجولًا، وعلمتُ أنني لن أجد مسرَّةً في جماعها، فبدلًا من ذلك استدعيتُ خادمة فِراش وضاجعتها بقوَّةٍ إلى أن انقضَت نوبة الجنون. الحقيقة أنني لم أتصوَّر أن دنيرس ستبقى حيَّةً طويلًا وسط سادة الخيول».

- «لكن هذا لم يمنعك من بيعها للكَال دروجو...».

- «الدوثراكي لا يبيعون أو يشترون. قُل بالأحرى إن أخاها ڤسيرس أعطاها لدروجو كي يربح صداقته. كان شابًّا مغرورًا طمّاعًا. لقد اشتهى ڤسيرس عرش أبيه، لكنه اشتهى دنيرس أيضًا، وكرهَ أن يتخلّى عنها. في اللَّيلة السَّابقة لزفاف الأميرة حاولَ التَّسلُّل إلى مخدعها مصرًّا أنه إذا لم يستطِع أن ينال يدها فسيفضُّ بكارتها، ولولا أنني اتَّخذتُ الحيطة ووضعتُ حراسةً على بابها لأفشلَ ڤسيرس أعوامًا من التَّخطيط».

- «يبدو كأحمق كبير».

قال الماچستر: «ڤسيرس كان ابن أبيه إيرس المجنون، بالضَّبط. أمّا دنيرس... دنيرس مختلفة تمامًا»، وألقى طائر قُبَّرة مشويًّا في فمه ومضغَه بعظمه بصوتٍ مزعج، ثم أردفَ: «الفتاة الخائفة التي لجأَت إلى ضيعتي ماتَت في (بحر الدوثراكي) ووُلِدَت من جديدٍ بالدَّم والنَّار. ملكة التَّنانين التي تحمل اسمها ابنة حقَّة لعائلة تارجاريَن. عندما أرسلتُ إليها سُفنًا تأخذها إلى الوطن اتَّجهت بدلًا من ذلك إلى (خليج النخَّاسين)، وخلال مُدَّةٍ قصيرة غزَت (أستاپور) وأخضعَت (يونكاي) واستولَت على (ميرين). سيأتي دور (مانتاريس) إذا استمرّت في الزَّحف غربًا على الطُّرق القاليريَّة القديمة، وإذا جاءَت بحرًا... فلا بُدَّ من أن يُحمِّل أسطولها الطَّعام والماء من (ڤولانتيس)».

علَّق تيريون: «برًّا أو بحرًا، بين (ميرين) و(ڤولانتيس) فراسخ طويلة».

- «خمسمئة وخمسون بسرعة طيران التنِّين، عبر صحارى وجبالٍ ومستنقعاتٍ وأطلالٍ تَسكنُها الشَّياطين. سيموت كثيرون، لكن النَّاجين سيكونون أقوى لدى وصولهم إلى (ڤولانتيس)... حيث سيجدونك وجريف في انتظارهم بقُوَّاتٍ نشيطة وسُفنٍ تكفي لحملكم جميعًا عبر البحر إلى (وستروس)».

تأمَّل تيريون في ما يعرفه عن (ڤولانتيس)، أقدم المُدن الحُرَّة التِّسع وأفخرها. شيء ما لا يُريح هنا، وحتى بنِصف أنفٍ بإمكانه أن يشمَّه. قال: «يُقال إن لكلِّ رجلٍ حُر خمسة عبيد في (ڤولانتيس). لماذا يُعين القناصل الثَّلاثة ملكةً حطَّمت تجارة العبيد؟»، وأشارَ إلى إليريو متابعًا: «وبهذه المناسبة، لماذا تُعينها أنت؟ قد تكون النِّخاسة محرَّمةً في (پنتوس) بالقانون، لكن لك إصبعًا في تلك التِّجارة أيضًا، بل وربما يد كاملة، ومع ذلك تتآمَر وتُخطِّط لصالح ملكة التَّنانين وليس ضدها. لماذا؟ ما الذي تأمل أن تناله من الملكة دنيرس؟».

- «هل عُدنا إلى ذلك الكلام؟ أنت رجل صغير لحوح»، وأطلقَ إليريو ضحكةً وربَّت على بطنه قائلًا: «كما تُريد. الملك الشحَّاذ وعدَ بتعييني أمينًا للنَّقد، وبلورديَّة أيضًا. ما إن يعتمر تاجه الذَّهبي لكان لي أن أختار ما أريدُ من القلاع... حتى (كاسترلي روك) إذا شئتُ».

تنشَّق تيريون النَّبيذ بالجَدعة المشوَّهة التي كانت أنفه، وقال: «كم كان أبي ليحب أن يسمع هذا».

قال الرَّجل البدين: «لم يكن عند السيِّد والدك ما يدعو للقلق. لماذا أرغبُ في صخرة؟ إن ضيعتي كبيرة كفايةً لأيِّ أحد، ومريحة أكثر من قلاعكم الوستروسيَّة الملأى بتيَّارات الهواء. أمَّا منصب أمين النَّقد...»، وقشَّر بيضةً متابعًا: «إنني مغرم بالنَّقد. هل من صوتٍ أحلى من رنين الذَّهب؟».

صرخات أخت. «وهل أنت واثق بأن دنيرس ستفي بوعد أخيها؟».

أجابَ إليريو: «ستفعل أو لن تفعل»، وقضمَ نِصف البيضة مضيفًا: «كما أخبرتك يا صديقي الصَّغير، ليس كلُّ ما يفعله المرء في سبيل المكسب. صدِّق ما تشاء، لكن حتى الحمقى العجائز السِّمان أمثالي لهم أصدقاء، وعليهم ديون من العاطفة يُسدِّدونها».

كاذب. في هذه المُغامرة شيء ما قيمته عندك أثمن من المال او القلاع. «المرء يلتقي أناسًا قليلين للغاية يُعلون الصَّداقة فوق الذَّهب هذه الأيام».

قال الرَّجل البدين غافلًا عن السُّخرية: «صحيح جدًّا».

- «كيف أصبحَ العنكبوت عزيزًا عليك لهذه الدَّرجة؟».

- «كنا صغيريْن معًا، صبيَّين أخضرين في (پنتوس)».

- «ڤارس أتى من (مير)».

- «نعم، وقد التقيته بعد وصوله بفترةٍ قصيرة سابقًا النخَّاسين بخُطوة. بالنَّهار كان ينام في المجاري وباللَّيل يجوب أسطُح المباني كالقِطط. وقتها كنتُ أناهزه فقرًا، مجرَّد مُبارز براڤو يرتدي الحرير المتَّسخ ويعيش بسلاحه. هل لاحظت التِّمثال الواقف على مسبحي؟ لقد نحتَه پايثو مالانون وأنا في السَّادسة عشرة. شيء جميل، ولو أنني أبكي الآن حين أراه».

- «السِّنُّ تبطش بنا جميعًا. ما زلتُ أبكي أنفي عن نفسي. لكن ڤارس...».

- «في (مير) كان أميرًا بين اللُّصوص، إلى أن وشى به لصٌّ منافس، وفي (پنتوس) دلَّت عليه لهجته، وما إن عُرِفَ أنه خصيٌّ احتقَروه وضرَبوه. قد لا أعرفُ أبدًا لماذا اختارَني لحمايته، لكننا توصَّلنا إلى اتِّفاق. تلصَّص ڤارس على اللُّصوص الأقل شأنًا وأخذَ مسروقاتهم، وعرضتُ أنا المساعَدة على ضحاياهم ووعدتهم باستعادة مقتنياتهم الثَّمينة مقابل أجر، وسرعان ما تعلَّم كلُّ من عانى خسارةً أن يأتيني، في حين سعى قُطَّاع طُرق المدينة ونشَّالوها إلى ڤارس... نِصفهم يبغي ذبحه والنِّصف الآخَر يبغي أن يبيعه ما معه من مسروقات، وهكذا أثرى كلانا وازدادَ ثراءً عندما درَّب ڤارس فئرانه».

- «في (كينجز لاندنج) كان عنده طير صغيرة».

- «كنا نُسمِّيهم الفئران في ذلك الحين. اللُّصوص الأكبر سِنًّا كانوا حمقى لا يُفكِّرون إلَّا في تحويل ما ينهبونه كلَّ ليلةٍ إلى نبيذ، أمَّا قارس ففضَّل الصِّبية الأيتام والفتيات الصَّغيرات. اختارَ أصغرهم حجمًا، مَن يتمتَّعون بالسُّرعة والهدوء، وعلَّمهم تسلُّق الأسوار والتَّسلُّل من المداخن، وعلَّمهم القراءة أيضًا. تركنا الذَّهب والجواهر للُّصوص التَّقليديِّين، وبدلًا من ذلك سرقَت فئراننا الرَّسائل والدَّفاتر والخرائط... ولاحقًا تعلَّمت قراءتها وتركها حيث هي. قال قارس إن الأسرار أثمن من الفضَّة والصَّفير، وهذا صحيح تمامًا. هكذا علا شأني حتى وافقَ ابن عمٍّ لأمير (پنتوس) على زواجي بابنته العذراء، فيما عبرَت همسات عن مواهب خصيٍّ معيَّن (البحر الضيِّق) وتناهَت إلى مسامع ملكٍ معيَّن، ملك شديد القلق لا يثق بالكامل بابنه أو بزوجته أو بيده، يده الذي كان صديق شبابه قبل أن يُصيبه الغرور والغطرسة: أظنُّك تعرف بقيَّة هذه الحكاية، أليس كذلك؟».

أجابَ تيريون: «أعرفُ جزءًا كبيرًا منها. أرى الآن أنك أكثر بعض الشَّيء من مجرَّد تاجر جُبنة».

حنى إليريو رأسه قائلًا: «لُطف منك أن تقول هذا يا صديقي الصَّغير، ومن ناحيتي أرى أنك سريع البديهة كما زعمَ اللورد قارس بالضَّبط»، وابتسمَ مظهرًا أسنانه الصَّفراء المعوجَّة، وزعقَ طالبًا جرَّةً أخرى من النَّبيذ المايري النَّاري.

حين غابَ الماچستر في النَّوم محتضنًا جرَّة النَّبيذ زحفَ تيريون فوق الوسائد ليُحرِّرها من سجنها اللَّحيم وصبَّ لنفسه كأسًا. شربَ وتثاءبَ ثم عادَ يملأ الكأس مفكِّرًا: *إذا شربتُ ما يكفي من النَّبيذ النَّاري فقد أحلمُ بالتَّنانين.*

وقت أن كان طفلًا وحيدًا في أعماق (كاسترلي روك) اعتادَ ركوب التَّنانين كلَّ ليلةٍ تقريبًا، متظاهرًا بأنه أمير مفقود ما من آل تارجاريَن أو واحد من سادة التَّنانين القاليريِّين يُحلِّق عاليًا فوق الحقول والجبال. ذات مرَّة، عندما سألَه أعمامه عن الهديَّة التي يُريدها بمناسبة يوم ميلاده، توسَّل إليهم طالبًا تنِّينًا، وقال: «لا يجب أن يكون كبيرًا. يُمكن أن يكون واحدًا صغيرًا مِثلي»، فحسبَ عمُّه جيريون أن هذا أطرف شيءٍ سمعَه على الإطلاق، غير أن عمَّه تايجت قال: «التنِّين الأخير ماتَ منذ قرنٍ أيها الصَّغير»، ولقد بدا هذا ظُلمًا فادحًا للصَّبي حتى إنه ظلَّ يذرف الدَّمع حتى نامَ ليلتها.

لكن إذا صدقَ سيِّد الأجبان فقد ظفرَت ابنة الملك المجنون بثلاثة تنانين حيَّة. *أي باثنين أكثر مما يتطلَّبه أحد من عائلة تارجاريَن نفسها*. يكاد تيريون يحسُّ بالأسف لأنه قتلَ أباه. كان ليستمتع برؤية وجه اللورد تايوين حين يعلم أن ملكةً من آل تارجاريَن في طريقها إلى (وستروس) بثلاثة تنانين، يدعمها خصيٌّ متآمر وتاجر جُبنة يَبلُغ نِصف (كاسترلي روك) حجمًا.

كان القزم متخمًا بالطَّعام لدرجة أنه اضطرَّ إلى حلِّ حزامه وأربطة سراويله العُلويَّة. ثياب الصَّبي التي ألبسَه مضيفه إياها تجعله يَشعُر كأنه عشرة أرطال من السُّجق محشوَّة في خمسة أرطال من الأمعاء. *إذا ظللنا نأكل على هذا المنوال كلَّ يومٍ سأبلغُ حجم إليريو قبل أن ألتقي ملكة التَّنانين*. خارج الهودج حلَّ اللَّيل، وداخله سادَ الظَّلام. أصغى تيريون إلى غطيط إليريو وصرير الأحزمة الجِلد وطقطقة حوافر الخيول المزوَّدة بالحدوات الحديد على الطَّريق القاليري الصُّلب، أمَّا قلبه فكان يُصغي إلى خفقات أجنحةٍ جِلديَّة.

وجدَ الفَجر طالعًا عندما استيقظَ، والخيول تمضي في طريقها والهودج يصرُّ ويتأرجَح بينها. أزاحَ تيريون السِّتار بوصةً ليختلس نظرةً إلى الخارج، وإن لم يرَ إلَّا القليل عدا حقول المُغْرة[12]، وشجر الدَّردار البنِّي الأجرد علاوةً على الطَّريق نفسه، وهو طريق عُمومي عريض من الحجر، يمتدُّ مستقيمًا كالحربة إلى الأُفق.

كان قد قرأ عن تلك الطُّرق القاليريَّة، لكنها المرَّة الأولى التي يرى فيها واحدًا. لقد بلغَت هيمنة المعقل الحُر (دراجونستون)، وإن لم تمتدَّ إلى برِّ (وستروس) نفسه قَطُّ. غريب هذا. *(دراجونستون) ليست أكثر من صخرة. كانت الثَّروة تقع على مسافةٍ أبعد في الغرب، لكنهم امتلكوا التَّنانين، ومؤكَّد أنهم علموا بوجودها.*

ليلة البارحة أسرفَ كثيرًا في الشُّرب. كان رأسه يدقُّ، وحتى أرجحة الهودج الهادئة كفيلة بإشعاره بالرَّغبة في القيء. لا بُدَّ أن معاناته بدَت جليَّةً لإليريو موپاتيس مع أنه لم يلفظ الشَّكوى، إذ قال له الرَّجل البدين: «هلمَّ، اشرب معي. حرشفة من التنِّين الذي حرقَك كما يقولون»، وصبَّ لهما من إبريقٍ من نبيذ الثُّوت الأسود، شديد الحلاوة حتى إنه يجذب الذُّباب أكثر من العسل. ذبَّ تيريون الذُّباب بظَهر يده وهو يشرب بنهم، وقد وجدَ المذاق كظيظًا للغاية لدرجة أنه بذلَ قصارى جهده كي لا يتقيَّأ ما شربَه، وإن استطاع ابتلاع الكأس الثَّانية بسهولةٍ أكثر، ومع ذلك لم يجد لديه شهيَّةً، ولمَّا قدَّم له إليريو وعاءً من الثُّوت الأسود بالقشدة لوَّح بيده رافضًا، وقال: «حلمتُ بالملكة. كنتُ على رُكبتَي أمامها أقسمُ لها على الولاء، لكنها حسبَتني أخي چايمي وأطعمَتني لتنانينها».

- «لنأمل أنه ليس حُلمًا تنبُّؤيًّا. أنت عِفريت ذكي كما قال ڤارس، ودنيرس ستحتاج إلى وجود الأذكياء حولها. السير باريستان فارس مخلص مقدام، لكن لا أظنُّ أن أحدًا وصفَه بالمكر من قبل».

- «الفُرسان يعرفون سبيلًا واحدًا لحلِّ المشكلات، يُسدِّدون رماحهم ويَهجُمون، أمَّا الأقزام فيَنظُرون إلى العالم بطريقةٍ مختلفة. لكن ماذا عنك؟ أنت رجل ذكي عن نفسك».

قال إليريو: «إنك تُطري عليَّ»، ونفضَ يده مضيفًا: «للأسف لستُ مخلوقًا للسَّفر، ولذا سأرسلك إلى دنيرس بدلًا مني. لقد أسديت إلى جلالتها صنيعًا عظيمًا عندما قتلت أباك، وأملي أن تُسدي إليها المزيد والمزيد من الصَّنائع. دنيرس ليست بالحُمق الذي كانه أخوها، وستُحسِن الانتفاع بك».

مبتسمًا ببشاشةٍ تساءلَ تيريون في قرارته: *كشيءٍ تُضرِم فيه النَّار؟*

يومها بدَّلوا الخيول ثلاث مرَّاتٍ فقط، وإن بدا أنهم يتوقَّفون مرَّتين على الأقل كلَّ ساعةٍ كي ينزل إليريو من الهودج ويتبوَّل، وهو ما حدا بالقزم إلى أن يقول لنفسه: *سيِّد الأجبان في حجم الفيل لكن مثانته كحبَّة الفستق.* خلال إحدى الوقفات استغلَّ الوقت في إلقاء نظرةٍ فاحصة على الطَّريق. كان تيريون يعلم ما سيجده، ليس تُربةً صُلبةً ولا قرميدًا ولا حجارة رصف، وإنما شريط من الحجارة الملحومة يرتفع نِصف قدمٍ عن الأرض ليُتيح لمياه المطر والثُّلوج الذَّائبة أن تسيل من على جانبيه. على عكس الدُّروب الموحلة التي يعدُّونها طُرقًا في (الممالك السَّبع)، تتَّسع الطُّرق القاليريَّة لثلاث عرباتٍ تسير جنبًا إلى جنب، ولم يُفسِدها الزَّمن أو حركة المرور، فما زالَت راسخةً لم تتغيَّر بعد أربعة قرونٍ كاملة منذ لاقَت (قاليريا) نفسها هلاكها. بحثَ عن شقوقٍ أو حُفر لكنه لم يجد إلَّا كومةً من الرَّوث الدَّافئ أسقطَها أحد الخيول.

جعلَه الرَّوث يُفكِّر في السيِّد والده. *هل أنت في جحيمٍ ما الآن يا أبي؟ جحيم لطيفة باردة تراني فيها من أسفل أساعدُ ابنة إيرس المجنون على ارتقاء العرش الحديدي؟*

مع استئناف الرِّحلة أخرجَ إليريو كيسًا من الكستناء المحمَّصة وعادَ يتكلَّم عن ملكة التَّنانين. «أخشى أن آخِر الأخبار التي بلغَتنا عن الملكة دنيرس قديمة، لكن علينا أن نفترض أنها غادرَت (ميرين) بالفعل. إن معها جيشها أخيرًا، جيشًا مرقَّعًا من المرتزِقة والدوثراكي سادة الخيول والمُشاة المُطهَّرين، ولا شكَّ أنها ستقودهم غربًا لتستعيد عرش أبيها»، ثم فتحَ الماچستر إليريو جرَّةً من الحلزون بالثُّوم وتشمَّمها وابتسمَ، ثم تابعَ وهو يمتصُّ واحدًا من قوقعته: «يجب أن نأمل أن تجد أخبارًا جديدةً عن دنيرس في (ڤولانتيس). التَّنانين والفتيات الصَّغيرات كلتاهما متغيِّرة المزاج، وقد تحتاج إلى تعديل خُططك. جريف سيعرف ما يجب فِعله. هل تُريد حلزونًا؟ الثُّوم من حدائقي».

يُمكنني أن أركب حلزونًا وأمضي أسرع من هودجك هذا. لوَّح تيريون بيده رافضًا، وقال: «إنك تضع قدرًا بالغًا من الثِّقة في هذا الرَّجل جريف. أهو صديق طفولةٍ آخَر؟».

أجابَ إليريو: «لا. لك أن تقول إنه مرتزِق، لكنه وستروسي المولد. دنيرس محتاجة إلى أناسٍ يليقون بقضيَّتها»، ورفعَ يده مواصلًا: «أعرفُ! لا بُدَّ أنك تقول لنفسك الآن: *المرتزِقة يضعون الذَّهب فوق الشَّرف. هذا الرَّجل جريف سيبيعني لأختي*. غير صحيح. إنني أثقُ بجريف كأنه أخي».

خطأ مميت آخَر. «سأحذو حذوك إذن».

- «في هذه اللَّحظة تزحف الجماعة الذَّهبيَّة إلى (ڤولانتيس)، وهناك ستنتظر مجيء ملكتنا من الشَّرق».

تحت *الذَّهب الفولاذ الأليم*. «سمعتُ أن الجماعة الذَّهبيَّة مرتبطة باتِّفاقٍ مع إحدى المُدن الحُرَّة».

ردَّ إليريو متكلِّفًا الابتسام: «(مير). الاتِّفاقات قابلة للنَّقض».

قال تيريون: «في تجارة الأجبان مال أكثر مما حسبتُ. كيف حقَّقت هذا؟».

هزَّ الماچستر أصابعه السَّمينة مجيبًا: «بعض العقود يُكتَب بالحبر وبعضها بالدَّم. لن أقول المزيد».

أعملَ القزم فكره في ما سمعَه. يُشاع أن الجماعة الذَّهبيَّة أفضل الجماعات الحُرَّة كافَّةً، أسَّسها قبل قرنٍ نغل إجون غير الجدير الملقَّب بالفولاذ الأليم. حين حاولَ واحد آخَر من نغول إجون المعظَّمين الاستيلاء على العرش الحديدي من أخيه الشَّرعي غير الشَّقيق انضمَّ الفولاذ الأليم إلى التَّمرُّد، ثم ماتَ ديمون بلاكفاير في معركة حقل الكلأ الأحمر وماتَ معه تمرُّده، لكن أتباع التنِّين الأسود النَّاجين من المعركة الذين رفضوا الخضوع فرُّوا عبر (البحر الضيِّق)، وبينهم أبناء ديمون الأصغر والفولاذ الأليم ومئات من اللوردات والفُرسان الذين خسروا أراضيهم وسرعان ما وجدوا أنفُسهم مضطرِّين إلى الارتزاق بسيوفهم كي يأكلوا. بعضهم التحقَ بجماعة الرَّاية المهترئة، وبعضهم بالأبناء الثَّانين أو رجال العذراء، أمَّا الفولاذ الأليم فرأى قوَّة عائلة بلاكفاير تتفرَّق وتتشتَّت في كلِّ اتِّجاه، ولذا كوَّن الجماعة الذَّهبيَّة ليشدَّ وثاق المنفيِّين.

ومنذ ذلك الحين يعيش رجال الجماعة الذَّهبيَّة ويموتون في (أراضي النِّزاع) في (إسوس)، يُقاتِلون لحساب (مير) أو (لِيس) أو (تايروش) في حروبها العقيمة ويَحلُمون بالأرض التي فقدَها أسلافهم. إنهم منفيُّون وأبناء منفيِّين، محرومون من الأملاك والغُفران... لكنهم مُحاربون مغاوير.

قال تيريون لإليريو: «إنني معجب بقُدرتك على الإقناع. كيف أقنعت رجال الجماعة الذَّهبيَّة بمُناصرة قضيَّة ملكتنا الطيِّبة وقد قضوا أكثر تاريخهم يُحارِبون آل تارجاريَن؟».

ذبَّ الماچستر الاحتجاج بيده كأنه ذُبابة قائلًا: «أسود أو أحمر، ما زالَ التنِّين تنِّينًا. عندما ماتَ ميليز الوحش في (الأعتاب) كانت هذه نهاية ذكور عائلة بلاكفاير»، وابتسمَ تاجر الجُبنة من تحت لحيته المتشعِّبة مردفًا: «ودنيرس ستمنح المنفيِّين ما لم يستطِعه الفولاذ الأليم أو آل بلاكفاير قَطُّ، ستأخذهم إلى الوطن».

بالنَّار والسَّيف. ضرب العودة إلى الوطن الذي يبتغيه تيريون أيضًا. «عشرة آلاف مُقاتل هديَّة تليق بأميرةٍ بالتَّأكيد. مؤكَّد أن جلالتها مسرورة للغاية».

أومأَ إليريو برأسه بتواضُعٍ ليرتجَّ ذقنه، وقال: «لا أتجرَّأُ أبدًا على افتراض ما قد يسرُّ جلالتها».

يا لحصافتك. يعرف تيريون الكثير جدًّا عن امتنان الملوك، فلِمَ قد تختلف الملكات؟

سرعان ما غابَ الماچستر في نومٍ عميق تاركًا تيريون وحده يُفكِّر كاسف البال، يتساءَل عن رأي باريستان سلمي في دخول المعركة إلى جانب الجماعة الذَّهبيَّة. خلال حرب ملوك التِّسعة بنسات شقَّ سلمي طريقه بين صفوفهم تقتيلًا حتى فتكَ بآخِر المدَّعين من آل بلاكفاير. *التَّمرُّدات تصنع أغرب الأحلاف طرًّا، وما من أحدٍ أغرب من هذا البدين وأنا.*

استيقظَ تاجر الجُبنة عندما توقَّفوا لتبديل الخيول وأرسلَ يَطلُب سلَّة طعامٍ جديدة. «كم قطعنا؟»، سألَه القزم وهما يحشوان أشداقهما بلحم الدُّيوك البارد ومقبِّلٍ من الجزر والزَّبيب وقطع اللَّيمون الأخضر والبُرتقال.

- «هذه (أندالوس) يا صديقي، الأرض التي أتى منها أنداليُّوكم. لقد أخذوها من القوم المُشعرين الذين كانوا هنا قبلهم، أولاد عمومة قوم (إيب) المُشعرين. قلب مملكة هيوجور العتيقة يقع إلى الشَّمال، لكننا سنمرُّ من تُخومها الجنوبيَّة. في (پنتوس) تُسمَّى هذه الأنحاء (الأراضي المسطَّحة)، وعلى مسافةٍ أبعد في الشَّرق تقع (تلال المخمل) التي نتَّجه نحوها».

(أندالوس). تُعلِّم العقيدة أن (السَّبعة) أنفُسهم اعتادوا جوْب تلال (أندالوس) في صورةٍ بَشريَّة ذات يوم. تلا تيريون من الذَّاكرة قائلًا: «مدَّ (الأب) يده في السَّماوات وانتقى نجماتٍ سبعًا، وواحدةً تلو الأخرى وضعَها على جبهة هيوجور ابن التَّل ليصنع تاجًا برَّاقًا».

رمقَه الماچستر إليريو بفضول، وقال: «لم أكن أتخيَّلُ أن صديقي الصَّغير متديِّن هكذا».

هزَّ القزم كتفيه مجيبًا: «إنه أثر باقٍ من صِباي. كنتُ أعلمُ أنني لن أصير فارسًا، فقرَّرتُ أن أصبح السِّپتون الأعلى. التَّاج البلَّوري يُضيف قدمًا كاملًا إلى طول المرء. لقد درستُ الكُتب المقدَّسة وصلَّيتُ حتى غطَّت رُكبتَي قشور الجروح، لكن مسعاي انتهى نهايةً مأساويَّةً عندما بلغتُ سِنًّا معيَّنةً ووقعتُ في الحُب».

قال إليريو: «فتاة؟ أعرفُ ما يَحدُث عندئذٍ»، ودسَّ يُمناه في كُمِّه الأيسر وأخرجَ مُدلاةً فضِّيَّةً، في داخلها صورة مرسومة لامرأةٍ لها عينان زرقاوان كبيرتان وشَعر ذهبي باهت موخوط بالفضِّي. «سيرا. وجدتها في بيت هوى لايسيني وعدتُ بها إلى الدِّيار لتُدفِّئ فِراشي، لكنني تزوَّجتها في النِّهاية. أنا الذي كانت زوجته الأولى ابنة عمومة لأمير (پنتوس). بعدها أُغلِقَت بوَّابة القصر في وجهي، لكنني لم أكترث. كان هذا ثمنًا زهيدًا لقاء سيرا».

- «كيف ماتَت؟». عرفَ تيريون أنها ميتة، فلا رجل يتحدَّث بهذا الولع عن امرأةٍ هجرَته.

- «قادس تجاري براڤوسي توقَّف في (پنتوس) في طريق عودته من (بحر اليَشب). كان (الكنز) يحمل القرنفل والزَّعفران والسَّبج واليَشب والسَّميت القرمزي والحرير الأخضر... والموت الرَّمادي. قتلنا البحَّارة لدى نزولهم إلى الشَّاطئ وأحرقنا السَّفينة في مرساها، لكن الجرذان زحفَت على المجاذيف وسبحَت إلى الرَّصيف بأقدامها الحجريَّة الباردة، وأتى الطَّاعون على ألفي نَسمة قبل أن يجري مجراه»، وأغلقَ الماچستر إليريو المُدلاة مضيفًا: «إنني محتفظ بيديها في غُرفة نومي. كم كانت يداها ناعمتين...».

فكَّر تيريون في تايشا وهو يُلقي نظرةً على الحقول في الخارج حيث كانت الآلهة تمشي في الماضي، وسألَ: «ما الآلهة التي تَخلُق الجرذان والطّاعون والأقزام؟». ثم إنه تذكّر مقطعًا آخَر من (النَّجمة السُّباعيّة) فردَّده: «أتَته (العذراء) بفتاةٍ غضَّة كالصَّفصاف عيناها بِركتان زرقاوان عميقتان، وأعلنَ هيوجور أنه سيتَّخذها عروسًا، فوهبَت لها (الأُم) الخصوبة، وتنبَّأت (العجوز) بأنها ستحمل للملك أربعةً وأربعين ابنًا قديرًا. في أذرُعهم بثَّ (المُحارب) القوّة، ولكلٍّ منهم صاغ (الحدّاد) بِزّةً من الحديد».

قال إليريو مازحًا: «مؤكّد أن حدّادكم هذا كان روينيًّا. لقد تعلَّم الأنداليُّون فنَّ صياغة الحديد من الروينار الذين كانوا يعيشون على النَّهر. هذا معلوم».

عقَّب تيريون: «ليس معلومًا لسِپتوناتنا»، وأشارَ إلى الحقول متسائلًا: «مَن يَقطُن بأراضيكم المسطَّحة هذه؟».

- «فلّاحون وكادحون مرتبطون بالأرض. هناك بساتين ومَزارع ومناجم... بعضها ملكي، وإن كنتُ نادرًا ما أزورها. لماذا أقضي أيامي هنا ومباهج (پنتوس) العديدة في متناوَل اليد؟».

- «المباهج العديدة». *والأسوار المنيعة الهائلة*. دوّر تيريون نبيذه في الكأس قائلًا: «إننا لم نرَ أيَّ بلداتٍ منذ (پنتوس)».

قال إليريو ملوِّحًا بساق دجاجةٍ نحو السَّتائر: «ثمَّة أطلال. سادة الخيول يأتون إلى هذه الأنحاء متى عزمَ أحد الگالات على رؤية البحر. الدوثراكي لا يحبُّون البلدات، لا بُدَّ أنكم تعرفون هذا حتى في (وستروس)».

- «داهِموا واحدًا من تلك الگالاسارات ودمِّروه وقد تجدون الدوثراكي يتردَّدون في عبور (الروين)».

- «رشوة العدوّ بالأطعمة والهدايا أرخص».

ليتني فكَّرتُ في أخذ القليل من الجُبنة معي إلى معركة (النَّهر الأسود)، لكنتُ محتفظًا الآن بأنفي كاملًا. لطالما احتقرَ اللورد تايوين المُدن الحُرَّة، واعتادَ أن يقول عن أهلها: *إنهم يُحارِبون بالمال بدلًا من السَّيف. للذَّهب فوائده، لكن الحروب تُربَح بالحديد*. قال تيريون: «أعطِ العدوَّ ذهبًا وسيعود طالبًا المزيد، كما تعوَّد أبي أن يقول».

سألَه إليريو: «أهو الأب عينه الذي قتلته؟»، وألقى عظمة الدَّجاجة من الهودج متابعًا: «المرتزِقة لا يَصمُدون أمام الدوثراكي الصَّارخين، وقد ثبتَ هذا في (كوهور)».

تساءلَ تيريون بتهكُّم: «ولا حتى رجلك الشُّجاع جريف؟».

- «جريف مختلف. إن له ابنًا يُغدِق عليه بالحُب. اسمه جريف الصَّغير. لم يعرف العالم فتًى أنبل منه قَطُّ».

النَّبيذ، والطَّعام، والشَّمس، وأرجحة الهودج، وطنين الذُّباب، كلُّها تآمرَ على إشعار تيريون بالنُّعاس، وهكذا نامَ وصحا وشربَ، وباراه إليريو كأسًا بكأس، وإذ اصطبغَت السَّماء بأرجوان الغسق تصاعدَ شخير الرَّجل البدين.

ليلتها حلمَ تيريون لانستر بمعركةٍ خضَّبت تلال (وستروس) بحُمرة الدِّماء. كان في قلبها، يُعمِل الموت بفأسٍ تُضاهيه حجمًا، يُقاتِل جنبًا إلى جنب باريستان الباسل والفولاذ الأليم فيما تدور في السَّماء من فوقهم تنانين. في الحُلم كان له رأسان كلاهما مجدوع الأنف. قادَ أبوه العدوَّ، فقتلَه من جديد، ثم قتلَ أخاه جايمي هاويًا بالضَّربات على وجهه إلى أن أحالَه إلى خرابٍ أحمر، يضحك كلَّما أصابَت فأسه الهدف، وفقط حين وضعَت المعركة أوزارها أدركَ أن رأسه الثَّاني ينتحِب.

عندما استيقظَ أحسَّ بساقيه ناقصتَي الثُمو متيبّستين كأنهما من حديد. كان إليريو يأكل الزَّيتون، فسألَه تيريون: «أين نحن؟».

- «لم نَترُك الأراضي المسطَّحة بعدُ يا صديقي المتعجِّل. قريبًا سيمرُّ طريقنا من (تلال المخمل)، وهناك نبدأ تسلُّقنا إلى (جويان درو) على (الروين الصَّغير)».

كانت (جويان درو) واحدةً من مُدن الروينار، إلى أن حوَّلتها تنانين (ڤاليريا) إلى قحطٍ محروق. *لستُ مسافرًا عبر الفراسخ فحسب، بل عبر السِّنين أيضًا، عائد في التَّاريخ إلى الزَّمن الذي حكمَت فيه التَّنانين الأرض.*

نامَ تيريون واستيقظَ ونامَ مجدَّدًا، ولم يَعُد يبدو للَّيل والنَّهار أهميَّة. خيَّبت (تلال المخمل) أمله، وقال لإليريو: «نِصف عاهرات (لانسپورت) لهن أثداء أكبر من هذه التِّلال. يَجدُر بكم أن تسمُّوها الأثداء المخمليَّة».

بعدها رأوا دائرةً من الحجارة القائمة زعمَ إليريو أن عمالقةً رفعوها، ولاحقًا بُحيرةً عميقةً قال عنها: «هنا كان وكر لصوصٍ يسلبون وينهبون كلَّ من يَسلُك هذا الطَّريق. يُقال إنهم ما زالوا ماكثين تحت الماء، يجذبون من يصطادون من البُحيرة إلى أسفل ويلتهمونهم».

في اللَّيلة التَّالية صادَفوا تمثال أُم هول ڤاليريًّا عملاقًا قابعًا على جانب الطَّريق، له جسم تنِّين ووجه امرأة. قال تيريون: «ملكة تنِّينة، فأل حسن».

ردَّ إليريو: «ملكها مفقود»، وأشارَ إلى القاعدة الحجريَّة الملساء التي كان تمثال أبي الهول يقف عليها آنفًا، والآن تُغطِّيها الطَّحالب والكروم المُزهرة. «سادة الخيول بنوا عجلاتٍ خشبيَّة وجرُّوه إلى (ڤايس دوثراك)».

فكَّر تيريون: *هذا أيضًا فأل، لكنه لا يبعث على الأمل بالقدر نفسه.*

ليلتها، وكان أكثر ثملًا من المعتاد، شرعَ في الغناء.

ركبَ في شوارع المدينة
نازلًا من تَلِّه العالي
عبر الحارات والأعتاب والأحجار
ركبَ إلى تنهيدة امرأة
هي عاره ونعيمه
هي كنزه وسِرُّ الأسرار
وهل تُقارَن سلسلة من الأيدي وقلعة
بقُبلة امرأة؟

هذه هي كلُّ الأبيات التي يعرفها باستثناء اللّازمة. *الأيدي الذَّهب دومًا باردة، لكن يدَي المرأة تشعّان دفئًا*. يدا شِاي ضربَتاه إذ انغرسَت الأيدي الذَّهب في لحم عُنقها، ولا يَذكُر إن كانتا دافئتين أم لا. مع تسرُّب قُواها منها صارَت ضرباتها عُثًّا يُرَفرِف حول وجهه، وكلَّما لوى السِّلسلة أكثر انغرسَت الأيدي أكثر. *وهل تُقارَن سلسلة من الأيدي وقلعة بقُبلة امرأة؟* هل قبَّلها مرَّةً أخيرةً بعد أن ماتَت؟ لا يَذكُر... ولو أنه يَذكُر قُبلتهما الأولى في خيمته على ضفَّة (الفرع الأخضر). كم كان مذاق فمها حُلوًا.

ويَذكُر المرَّة الأولى مع تايشا أيضًا. *لم تكن تعرف كيف مِثلما لم أكن أعرفُ. ظلَّ أنفها يخبط أنفي، لكن حين لمستُ لسانها بلساني ارتجفَت*. أسبلَ تيريون جفنيه ليرى وجهها بعين الخيال، لكنه بدلًا من ذلك رأى أباه جالسًا على المرحاض وقد رفعَ معطف النَّوم حول خصره. قال اللورد تايوين: «أينما تذهب العاهرات»، وأصدرَت النُّشابيّة صوتها الوتري.

انقلبَ القزم على جانبه الآخَر ودسَّ نِصف أنفٍ في عُمق الوسائد الحرير، وانفتحَ النَّوم من تحته كالبئر فزجَّ بنفسه فيه عن طيب خاطرٍ وتركَ الظَّلام يبتلعه.

---

(10) القادس نوع من السُّفن المزوَّدة بمجاذيف، يتميَّز ببدنه الطَّويل الرَّفيع، والقُدرة على الملاحة في الظُّروف غير المواتية، واستُخدِمَ في الحرب والتِّجارة والقرصنة. (المُترجم).

(11) التُّوت الدُّخاني فصيلة من التُّوت من خيال المؤلِّف. (المُترجم).

(12) المُغرة حجر تُستخرَج منه صبغة حمراء بنِّيَّة مصفرَّة.

(المُترجم).

مُغامرتهم كريهة الرَّائحة.

تزهو السَّفينة بمجاذيفها الستِّين وشراعها الوحيد وبدنها الطَّويل الرَّفيع الذي يَعِد بالسُّرعة، وقد فكَّر كوينتن حين رآها: *صغيرة، ولكن ربما تَصلُح*. على أن ذلك كان قبل أن يصعد إلى متنها ويستنشِق رائحتها. الخنازير أول ما خطرَ له، لكن بعد أن شمَّها ثانيةً غيَّر رأيه. للخنازير رائحة أنظف، أمَّا هذه فرائحة البول واللَّحم النَّتن والغائط، رائحة عفَن الجُثث والصَّديد والجروح المتقرِّحة، قويَّة فاغمة حتى إنها طغَت على روائح الملح في الهواء والأسماك في الميناء.

قال لجيريس درينكووتر: «أريدُ أن أتقيَّأ». كانا ينتظران ظهور رُبَّان السَّفينة، يتصبَّبان عَرقًا في الحرِّ والرَّائحة اللَّعينة تتصاعَد من السَّطح أسفلهما.

ردَّ جيريس: «إذا كانت رائحة الرُّبَّان كسفينته فقد يحسب قيأك عطرًا».

كان كوينتن على وشك اقتراح أن يُجرِّبوا سفينةً أخرى عندما ظهرَ الرُّبَّان أخيرًا، وإلى جانبه فردان من الطَّاقم يبدو عليهما اللُّؤم. حيَّاه جيريس بابتسامة، وعلى الرغم من أنه لا يتحدَّث الڤولانتينيَّة بطلاقة كوينتن فحيلتهما تتطلَّب أن يكون هو النَّاطق بلسانهما. في (بلدة الأخشاب) لعبَ كوينتن دور بائع الخمور، لكن التَّمثيليَّة أرهقَته، ولذا حين بدَّل الدورنيُّون السُّفن في (لِيس) بدَّلوا أدوارهم كذلك. على متن (طائر المروج) أصبحَ كليتوس يرونوود التَّاجر وكوينتن خادمه، وفي (ڤولانتيس)، بعد مقتل كليتوس، اضطلعَ جيريس بدور السيِّد.

جيريس درينكووتر طويل وسيم، عيناه خضراوان مائلتان إلى الزُّرقة، وشَعره بلون الرِّمال الموخوطة بأشعَّة الشَّمس، وجسده نحيل متناسق، وإن كان له سمت الخيلاء، ثقة بالنَّفس تدنو من الغطرسة. لا يبدو على جيريس الارتباك أو الحيرة أبدًا، وحتى في الأماكن التي لا يعرف لُغاتها له أساليب تجعل محدِّثه يفهمه. أمَّا كوينتن فيبدو بائسًا بالمقارَنة، بساقيه القصيرتين وجسده المكتنز وتكوينه الغليظ وشَعره البنِّي كالتُّربة المقلَّبة حديثًا. جبهته أعلى من اللَّازم، وفكُّه مربَّع أكثر من اللَّازم، وأنفه أعرض من اللَّازم، وقد قالت فتاة ما عن وجهه ذات مرَّة: *إنه وجه طيِّب صادق، لكن عليك أن تبتسم أكثر.*

لا ترتسم الابتسامات بسهولةٍ أبدًا على وجه كوينتن مارتل، تمامًا كالسيِّد والده.

سألَ جيريس بقاليريَّةٍ فُصحى أقرب إلى الرَّكاكة: «ما سرعة مُغامرتك؟».

تعرَّف رُبَّان (المُغامرة) اللُّكنة، فأجابَ بعاميَّة (وستروس): «لا سفينة أسرع منها يا سيِّدي الكريم. (المُغامرة) تستطيع أن تسبق الرِّيح نفسها. أخبِرني بوجهتك المرغوبة وسآخذك إلى هناك بأقصى سرعة».

- «أريدُ رحلةً إلى (ميرين) لي ولاثنين من خدمي».

دفعَ ردُّه الرُّبّان إلى التَّردُّد بُرهةً قبل أن يقول: «ليست (ميرين) غريبةً عليّ. أستطيعُ العثور على المدينة ثانيةً، أجل... لكن لماذا؟ ليس في (ميرين) عبيد، لا رِبح هناك. الملكة الفضِّيَّة وضعَت نهايةً لهذا، وعلاوةً على ذلك أغلقَت حلبات القتال، والآن لا يستطيع بحّار مسكين مِثلي أن يُسلِّي نفسه فيما تمتلئ مخازنه بالبضائع. أخبِرني يا صديقي الوستروسي، ما الذي يحثُّك على الذَّهاب إلى (ميرين)؟».

قال كوينتن في نفسه: *أجمل امرأةٍ في العالم، مَن ستكون عروسي بمشيئة الآلهة*. أحيانًا في اللَّيل يستلقي مستيقظًا يتخيَّل وجهها وقدَّها، ويتساءَل لِمَ قد ترغب امرأة مِثلها في الزَّواج به من بين كلِّ الأمراء في العالم. *إنني (دورن)، وهي ستُريد (دورن)*.

أجابَ جيريس بالحكاية التي لفَّقوها: «النَّبيذ تجارة عائلتنا. أبي يملك مَزارع عنب شاسعة في (دورن) ويُريدني أن أجد أسواقًا جديدةً. أملنا أن يُرحِّب أهل (ميرين) الطيِّبون بما أبيعه».

قال الرُّبّان بغير اقتناع: «النَّبيذ؟ النبيذ الدورني؟ مُدن النِّخاسة في حرب. أيُعقَل أنكم لا تعلمون هذا؟».

- «سمعنا أن القتال بين (يونكاي) و(أستاپور)، لا دخل فيه لـ(ميرين)».

- «ليس بعدُ، لكن قريبًا. في (ڤولانتيس) الآن مبعوث من المدينة الصَّفراء يستأجر المرتزِقة. جماعة الرِّماح الطَّويلة أبحرَت إلى (يونكاي) بالفعل، وسيلحق بها المذروُّون وزُمرة القِطّ ما إن تكتمل صفوفهما بالرِّجال، والجماعة الذَّهبيَّة تزحف شرقًا أيضًا. كلُّ هذا معلوم».

- «كما تقول. إنني أتعاملُ في الخمور لا الحروب. الجميع متَّفقون على أن النَّبيذ الجيسكاري رديء، وسيدفع الميرينيزيُّون ثَمنًا جيِّدًا مقابل أصنافي الدورنيَّة المعتَّقة الممتازة».

علَّق رُبَّان (المُغامرة): «الموتى لا يُبالون بنوع النَّبيذ الذي يشربونه»، ثم داعبَ لحيته مردفًا: «أظنُّ أنني لستُ أول رُبَّانٍ تعرضون عليه الأمر، ولا حتى العاشر».

أقرَّ جيريس قائلًا: «صحيح».

- «كم إذن؟ مئة؟».

فكَّر كوينتن: *قُرابة هذا*. يهوى القولانتينيُّون التَّباهي بأن من الممكن إسقاط جُزر (براقوس) المئة في مينائهم الفسيح فتغرق، ومع أن كوينتن لم يرَ (براقوس) قَطُّ فمن السَّهل أن يُصدِّق هذا. (ڤولانتيس) غنيَّة يانعة عتيقة، تُغطِّي ثغر (الروين) كقُبلةٍ بليلة دافئة، وتمتدُّ عبر التِّلال والمستنقعات على ضفَّتي النَّهر. السُّفن في كلِّ مكان، سواء أكانت آتيةً من النَّهر أو خارجةً إلى البحر، تزدحم بها المراسي والأرصفة فيما تُفرِّغ البضائع أو تُحمِّلها. هنا وهناك السُّفن الحربيَّة وسُفن صيد الحيتان والقوادس التِّجاريَّة والقراقير[13] والزَّوارق والأكواج[14] صغيرها وعظيمها والسُّفن الطَّويلة والسُّفن البجعيَّة، سُفن من (لِيس) و(تايروش) و(پنتوس)، وسُفن توابل كارثينيَّة ضخمة كالقصور، وسُفن من (تولوس) و(يونكاي) و(جُزر البازيليسق)، سُفن كثيرة لدرجة أن كوينتن قال لأصدقائه حين رآها أول مرَّةٍ من على متن (طائر المروج) إنهم لن يَمكثُوا هنا أكثر من أيامٍ ثلاثة.

لكن أيامًا عشرين مرَّت، وها هُم أولاء ما زالوا هنا بلا سفينة. قباطنة (الميلانتين) و(ابنة القُنصل) و(قُبلة عروس البحر) جميعهم رفضوهم، ووكيل رُبَّان (الرحَّال الجريء) ضحكَ في وجوههم، ورُبَّان (الدولفين) وبَّخهم لتضييع وقته، ومالك (الابن السَّابع) اتَّهمهم بالقرصنة، وكلُّ هذا في اليوم الأول فقط.

وحده رُبَّان (الظَّبية) شرحَ لهم أسباب رفضه وهُم يحتسون النَّبيذ المخفَّف بالماء بقوله: «أي نعم أنا مبحرٌ شرقًا، من الجنوب حول (ڤاليريا) ومن هناك إلى مشرق الشَّمس. سنُحمِّل الماء والمؤن من (جيس الجديدة)، ثم نتَّجه إلى (كارث) و(بوَّابات اليشب). لِمَ أسعى إلى المزيد من الأخطار بدخول (خليج النخَّاسين)؟ إن (الظَّبية) مصدر رزقي، ولن أجازف بها لآخذ ثلاثة دورنيِّين مجانين إلى قلب الحرب».

بعد فترةٍ بدأ كوينتن يُفكِّر أنهم لو اشتروا سفينتهم الخاصَّة في (بلدة الأخشاب) لكان أفضل، ولو أن تصرُّفًا مِثل ذلك كان قمينًا بأن يجذب إليهم انتباهًا غير مرغوب، فجواسيس العنكبوت في كلِّ مكان، حتى في أبهاء (صنسپير). كانا يُشاهِدان الأطفال يلعبون ويعبثون في مسابح ونوافير (الحدائق المائيَّة) عندما حذَّره أبوه قائلًا: «ستُراق دماء (دورن) إذا افتضحَ أمر مهمَّتك. إن ما نفعله خيانة، إياك أن تغفل عن هذا. لا تثق إلَّا برفاقك، وابذُل قصارى جهدك لتلافي جذب الانتباه».

هكذا منحَ جيريس درينكووتر رُبَّان (المُغامرة) أكثر ابتساماته وداعةً، وقال: «الحقيقة أنني لم أعدَّ الجُبناء الذين رفضوا، لكنني سمعتهم في (بيت التُّجَّار) يقولون إنك رجل أجرأ من غيره، رجل من شأنه أن يُخاطِر بأيِّ شيءٍ مقابل قدرٍ مجزٍ من الذَّهب».

فكَّر كوينتن: مهرِّب. هكذا نعتَ الآخَرون في (بيت التُّجَّار) رُبَّان (المُغامرة)، وأخبرَهم صاحِب الخان: «إنه مهرِّب ونخَّاس، نِصف قُرصان ونِصف قوَّاد، ولكن لعلَّه فُرصتكم الأفضل».

فركَ الرُّبَّان سبَّابته وإبهامه معًا سائلًا: «وما قدر الذَّهب الذي تعتبره مجزيًا لقاء رحلةٍ كهذه؟».

- «ثلاثة أضعاف أجرك المعتاد للسَّفر إلى (خليج النخَّاسين)».

غمغمَ الرُّبَّان: «لكلٍّ منكم؟»، وبرزَت أسنانه إذ فتحَ شفتيه على سبيل ما يُمكن أن يكون ابتسامةً، وإن أضفى هذا على وجهه الضيِّق طابع الشَّراسة، وتابعَ: «ربما. صحيحٌ بالفعل أنني أجرأ من معظم الرِّجال. متى ترغب في المغادَرة؟».

- «غدًا وقت ملائم تمامًا».

- «اتَّفقنا. عُد قبل ساعةٍ من بزوغ الفَجر بصديقيك ونبيذك. الأفضل أن نتحرَّك و(ڤولانتيس) نائمة، كي لا يُلقي علينا أحد أسئلةً مزعجةً عن وجهتنا».

- «كما تقول. قبل ساعةٍ من بزوغ الفَجر».

اتَّسعت ابتسامة الرُّبَّان، وقال: «يسرُّني أن أستطيع مساعدتك. ستكون رحلتنا سعيدةً، أليس كذلك؟».

ردَّ جيريس: «إنني متأكِّد من هذا».

ثم طلبَ الرُّبَّان المِزر، ومعًا شربا نخب المُغامرة المرتقَبة.

بعدها قال جيريس لكوينتن وهما نازلان إلى الرَّصيف حيث ينتظر الهاتاي الذي استأجَراه: «رجل حُلو». كان الهواء ثقيلًا ساخنًا، والشَّمس شديدة السُّطوع تُجبِر كليهما على تضييق عينيه.

وافقَه كوينتن قائلًا: «هذه مدينة حُلوة». *حُلوة بما يكفي لتسويس الأسنان*. في هذه الأنحاء يُزرَع بنجر السُّكَّر بوفرةٍ ويُقدَّم مع كلِّ وجبةٍ تقريبًا، ومنه يصنع القولانتينيُّون حَساءً باردًا ثخين القوام غنيَّه كالعسل الأرجواني[15]، كما أن خمورهم أيضًا حُلوة. «لكني أخشى أن رحلتنا السَّعيدة ستكون قصيرةً. ذلك الرَّجل الحُلو لا ينوي أخذنا إلى (ميرين). لقد سارعَ بقبول عرضك. لا شكَّ أنه سيأخذ ثلاثة أضعاف الأجر المعتاد، وما إن نُصبِح على متن سفينته ونبتعد عن اليابسة سيذبحنا ويسرق بقيَّة ذهبنا أيضًا».

- «أو يُقيِّدنا بالسَّلاسل إلى مجذافٍ إلى جوار البائسين الذين شممناهم. أظنُّ أن علينا العثور على صنفٍ أفضل من المهرِّبين».

كان الحوذي في انتظارهما إلى جوار الهاثاي. في (وستروس) يُمكن أن تُعَدَّ من العربات تجرُّها الثِّيران، مع أن زخارفها المنمَّقة لم يرَ لها كوينتن مثيلًا على أيِّ عربةٍ في (دورن)، ثم إنها تفتقر إلى ثورٍ يجرُّها، فالهاثاي تجرُّها فيلة قزمة جِلدها بلون الثَّلج المتَّسخ، وشوارع (ڤولانتيس القديمة) تعجُّ بأمثالها.

يُفضِّل كوينتن المشي، لكنهما يَبعُدان أميالًا عن الخان، علاوةً على أن صاحِب الخان في (بيت التُّجَّار) نبَّهه إلى أن التَّنقُّل سيرًا على الأقدام سيُلوِّث منظرهما في أعيُن الرَّبابنة الأجانب وأهل (ڤولانتيس) على حدٍّ سواء. أصحاب المقام العالي يتنقَّلون بالهودج أو الهاثاي... وقد تصادفَ أن لصاحِب الخان ابن خالٍ يملك عددًا كبيرًا من تلك العربات المبتكَرة، وسيسرُّه أن يخدمهما في هذا الصَّدد.

سائقهما أحد عبيد ابن الخال، رجل صغير الحجم على وجنته وشم لعجلة، لا يلبس إلَّا مئزرًا قصيرًا وخُفَّين، بشرته قاتمة كخشب السَّاج وعيناه شظيَّتان من الصوَّان. بعد أن ساعدَهما على الصُّعود إلى الدِّكَّة المزوَّدة بالوسائد بين عجلتَي العربة الخشبيَّتين الضَّخمتين ركبَ على ظَهر الفيلة، وقال له كوينتن: «إلى (بيت التُّجَّار)، لكن خُذ طريق الميناء». وراء الشَّطّ ونسيمه ترتفع الحرارة في شوارع (ڤولانتيس) وأزقَّتها لدرجةٍ كفيلة بأن يغرق المرء في عَرقه، على هذه الضفَّة من النَّهر على الأقل.

زعقَ الحوذي في الفيلة بشيءٍ ما باللُّغة المحليَّة، فبدأت الدَّابَّة تتحرَّك وخرطومها يتأرجَح من جانبٍ إلى جانب، وارتجَّت العربة متحرِّكةً وراءها فيما صاحَ الحوذي في البحَّارة والعبيد ليُفسِحوا الطَّريق. التَّفرقة بين هؤلاء وأولئك سهلة، فالعبيد كلُّهم موشومون، هذا بقناعٍ من الرِّيش الأزرق، وهذا بصاعقة برقٍ من الفكِّ إلى الجبين، أو بعُملةٍ على الوجنة، أو برُقَط فهد، أو بجمجمةٍ أو إبريق. قال المِايستر كِدري إن لكلِّ رجلٍ حُر في (ڤولانتيس) خمسة عبيد، ولو أنه لم يعِش حتى يتحقَّق من هذا بنفسه. لقد ماتَ صبيحة هجوم القراصنة على (طائر المروج).

في اليوم نفسه فقدَ كوينتن صديقين آخَرين؛ ويلم وِلز بنمشه وأسنانه المعوجَّة وشَجاعته في القتال بالرُّمح، وكليتوس يرونوود الوسيم على الرغم من عينه الكسول، السَّليط دائمًا الضَّاحك دائمًا. طيلة نِصف حياة كوينتن كان كليتوس صديقه الصَّدوق، أخًا له في كلِّ شيءٍ باستثناء الدَّم، وقُبيل أن يلفظ نفسه الأخير همسَ له: «أعطِ عروسك قُبلةً من أجلي».

صعدَ القراصنة إلى متن (طائر المروج) في ظُلمة ما قبل الفَجر والسَّفينة راسية عند ساحل (أراضي النِّزاع)، وصدَّ الطَّاقم هجومهم لكن النَّصر كلَّفهم اثنتي عشرة نفسًا. بعدها جرَّد البحَّارة القراصنة الموتى من الأحذية والأحزمة والأسلحة، واقتسَموا أموالهم وانتزَعوا الأحجار الكريمة من آذانهم والخواتم من أصابعهم. كانت إحدى الجُثث لرجلٍ بالغ البدانة حتى إن الطَّاهي اضطرَّ إلى قطع أصابعه بالسَّاطور ليَحصُل على خواتمه، واحتاجَت دحرجة الجثَّة إلى البحر إلى ثلاثةٍ من أفراد الطَّاقم، ثم أُلقِيَ باقي القراصنة وراءها دون جنازةٍ أو صلاة.

أمَّا موتاهم هُم فنالوا معاملةً ألطف، فلفَّ البحَّارة جُثثهم بقُماش القنَّب المستخدَم في القلوع، وأثقَلوها بالصَّابورة[16] لتسريع غوصها في الماء. بعد ذلك قادَ رُبَّان (طائر المروج) أفراد طاقمه في صلاةٍ على أرواح رفاقهم القتلى، ثم التفتَ إلى المُسافرين الدورنيِّين، الثَّلاثة الباقين من السِّتَّة الذين ركبوا معه في (بلدة الأخشاب). حتى الرَّجل الكبير خرجَ ممتقع الوجه يبدو عليه الإعياء وعدم الاتِّزان، صاعدًا بعُسرٍ من مخزن السَّفينة ليُشارِك في الجنازة. قال الرُّبَّان: «على أحدكم أن يقول شيئًا ما عن موتاكم قبل أن نُعطيهم للبحر»، فأذعنَ جيريس وتكلَّم كاذبًا بين كلِّ كلمةٍ وكلمة، بما أنه لم يجرؤ على أن يَذكُر هُويَّاتهم الحقيقيَّة أو سبب مجيئهم.

لم يكن يُفترَض أن تكون هذه نهايتهم. يوم خرجوا من قلعة أبيه أعلنَ كليتوس: «ستكون هذه حكايةً نحكيها لأحفادنا»، فرسمَ ويل على وجهه الامتعاض، وردّ: «تعني حكايةً نحكيها لساقيات الحانات على أمل أن يرفعن تنانيرهن»، فربَّت كليتوس على ظَهره قائلًا: «للحصول على أحفاد يحتاج المرء إلى أولاد، وللحصول على أولاد يحتاج المرء إلى رفع بعض التَّنانير». ولاحقًا، في (بلدة الأخشاب)، شربَ الدورنيُّون نخب عروس كوينتن المنتظَرة، وألقوا الدُّعابات البذيئة عن ليلة زفافه المقبلة، وتكلَّموا عن الأشياء التي سيرونها والمآثر التي سيُحقِّقونها والأمجاد التي سيظفرون بها. *وما ظفروا إلَّا بجوالٍ من قُماش القلوع مملوء بالصَّابورة*.

بقدر حُزنه على ويل وكليتوس ففقدان المِايستر أكثر ما يُكدِّره. كان كِدري طليقًا في لُغات المُدن الحُرَّة كلِّها، وحتى في الجيسكاريَّة الهجينة التي يتحدَّثونها على سواحل (خليج النخَّاسين). ليلة افترَقا قال له أبوه: «المِايستر كِدري سيصحبكم. أصغوا إلى نصائحه. لقد كرَّس نِصف حياته لدراسة المُدن الحُرَّة التِّسع». والآن يتساءَل كوينتن إن كانت الأمور لتمضي بسهولةٍ أكثر لو أنه هنا ليُرشِدهم.

قال جيريس وهُم يخوضون زحام الرَّصيف: «يُمكنني أن أبيع أمِّي مقابل القليل من النَّسيم. الجوُّ رطب كفرج (العذراء) والظَّهيرة لم تحلَّ بعدُ. كم أكرهُ هذه المدينة».

يُشارِكه كوينتن شعوره، فحرُّ (ڤولانتيس) الرَّطب الجهيم يستنزف قُواه ويُشعِره بالاتِّساخ، والأدهى معرفة أن المساء لن يأتي بشيءٍ من الرَّاحة. دائمًا في المروج العالية شمال أملاك اللورد يرونوود يكون الهواء فاترًا جافًّا بعد هبوط الظَّلام مهما كان النَّهار حارًّا. أمَّا هنا فلا، ففي (ڤولانتيس) تكاد اللَّيالي تُماثِل الأنهُر حرارةً.

ذكَّره جيريس قائلًا: «(الربَّة) مبحرة إلى (جيس الجديدة) غدًا. على الأقل سيُقصِّر هذا المسافة».

- «(جيس الجديدة) جزيرة، ميناء أصغر من هذا بكثير. سيُقصِّر هذا المسافة، نعم، ولكن قد نجد أنفُسنا عالقين هناك. ثم إن (جيس الجديدة) تحالفَت مع (يونكاي)». لم يُفاجئ هذا الخبر كوينتن، فـ(جيس الجديدة) و(يونكاي) كلتاهما مدينة جيسكاريَّة. «إذا تحالفَت (ڤولانتيس) معهما بدورها...».

- «يجب أن نجد سفينةً من (وستروس)، سفينةً تجاريَّةً ما من (لانسپورت) أو (البلدة القديمة)».

- «سُفن قليلة تقطع كلَّ هذه المسافة، وتلك التي تفعل تملأ مخازنها بالحرير والتَّوابل من (بحر اليَشب) ثم تعود أدراجها إلى الوطن».

- «ربما سفينة براڤوسيَّة إذن؟ المرء يسمع عن الأشرعة الأرجوانيَّة في كلِّ مكانٍ حتى (آشاي) وجُزر (بحر اليَشب)».

- «البراڤوسيُّون منحدرون من الرَّقيق الهاربين، ولا يشتغلون بالتِّجارة في (خليج النخَّاسين)».

- «هل معنا ذهب يكفي لشراء سفينة؟».

- «ومَن سيُبحِر بها؟ أنت؟ أنا؟». لم يَعُد الدورنيُّون ملّاحين منذ أحرقَت نايميريا سُفنها العشرة آلاف. «والبحار حول (ڤاليريا) زاخرة بالمخاطر وملأى بالقراصنة».

- «لقد اكتفيتُ من القراصنة. دعنا لا نشتري سفينةً».

أدركَ كوينتن أن جيريس ما زالَ يعدُّها لُعبةً. *لا تختلف عن المرَّة التي قادَ فيها ستَّةً منا في الجبال للعثور على وكر الملك العُقاب القديم.* ليس من طبيعة جيريس درينكووتر أن يتخيَّل فشلهم، ناهيك بموتهم، ويبدو أنه لم يتَّعظ من موت ثلاثةٍ من الأصدقاء دُفعةً واحدةً. *يَترُك هذا لي. إنه يعرف أن طبيعتي الحذر كما أن طبيعته الجرأة.*

قال السير جيريس: «لعلَّ الرَّجل الكبير على حق. فليحترق البحر، يُمكننا إتمام رحلتنا برًّا».

ردَّ كوينتن: «تعلم لماذا يقول هذا. إنه يُؤثِر الموت على ركوب سفينةٍ أخرى». ظلَّ الرَّجل الكبير متوعِّكًا طوال رحلتهم، وفي (لِيس) استغرقَ تعافيه أربعة أيامٍ كاملة، ووجدوا أنفُسهم مرغَمين على استئجار غُرفٍ في أحد الخانات ليضعه المِايستر كِدري في فِراشٍ وثير ويسقيه الحَساء والعقاقير إلى أن عادَ القليل من التَّورُّد إلى وجنتيه.

من الممكن الذَّهاب إلى (ميرين) برًّا بالفعل، فالطُّرق الڤاليريَّة القديمة تمتدُّ إلى هناك، «طُرق التَّنانين» كما يُسمِّي النَّاس طُرق المعقل الحُر الحجريَّة العظيمة، إلَّا أن الطَّريق الذي يمضي شرقًا من (ڤولانتيس) إلى (ميرين) اكتسبَ اسمًا مشؤومًا هو «طريق الشَّياطين».

قال كوينتن: «طريق الشَّياطين محفوف بالمخاطر وبطيء للغاية. تايوين لانستر سيُرسِل رجاله وراء الملكة ما إن تَبلُغ أخبارها (كينجز لاندنج)». كان أبوه موقنًا بهذا تمام اليقين. «ورجاله سيذهبون حاملين الخناجر. إذا وصلوا إليها أولًا...».

قال جيريس: «لنأمل أن تشمّ تنانينها رائحتهم وتأكلهم. طيِّب، إذا كنا لا نستطيع العثور على سفينةٍ ولست تُريدنا أن نُسافِر برًّا فربما علينا أن نحجز رحلة عودةٍ إلى (دورن)».

أزحفُ عائدًا إلى (صنسپير) مهزومًا أجرُّ أذيال الخيبة؟ سيكون إحباط أبيه أبلغ من احتمال كوينتن، وسُخرية أفاعي الرِّمال حارقةً. لقد وضعَ دوران مارتل مصير (دورن) في يديه ولا يُمكن أن يخذله ما دامَ حيًّا.

مضى الهاثاي مهتزًّا على عجلتيه المؤطَّرتيْن بالحديد، وتراقصَ السَّراب على أرض الشَّارع مضفيًا على الموجودات سمت الأحلام. وسط المخازن والمراسي يزدحم مختلِف الحوانيت والأكشاك على الشَّط؛ من هنا يُمكنك شراء المحار الطَّازج، ومن هنا السَّلاسل والأصفاد الحديد، ومن هنا قِطع السايقاس المنحوتة من اليَشب والعاج. وثمَّة أيضًا معابد يذهب إليها البحَّارة لتقديم القرابين إلى آلهةٍ أجنبيَّة، ملتصقة ببيوت الهوى حيث تُنادي النِّساء الرِّجال من الشُّرفات، وقد قال له جيريس في أثناء مرورهم بأحد تلك البيوت: «انظُر إلى هذه. أظنُّها واقعة في غرامك».

وكم *يُكلِّف غرام عاهرة؟* الحقيقة أن الفتيات يُصِبن كوينتن بالتَّوتُّر، بالذَّات الحسناوات.

في بداية إقامته في (يرونوود) كان مفتونًا بابنة اللورد يرونوود الكُبرى يينيس، ورغم أنه لم يُعبِّر عن مشاعره ولو بكلمةٍ فقد احتفظَ بأحلامه المكنونة سنينًا... إلى أن أتى يوم وأرسلوها للزَّواج بالسير ريون أليريون وريث (عطيَّة الآلهة). آخِر مرَّةٍ رآها كانت تُرضِع ولدًا ويتشبَّث بتنُّورتها آخَر.

بعد يينيس أتَت التَّوأمتان درينكووتر، عذراوان صغيرتان قمحيَّتان تحبَّان الصَّيد بالصُّقور والكلاب وتسلُّق الصَّخر وحقن وجه كوينتن بحُمرة الخجل، وقد أعطَته إحداهما قُبلته الأولى، وإن كان لم يعرف قَطُّ أيُّهما. باعتبارهما ابنتين لفارسٍ يملك بعض الأراضي كانتا في منزلةٍ أوضع من أن يتزوَّج واحدةً منهما، لكن كليتوس لم يحسب هذا سببًا يدفعه إلى التَّوقُّف عن تقبيلهما، وقال له: «بعد أن تتزوَّج بإمكانك أن تتَّخذ واحدةً منهما خليلةً، أو الاثنتين، ولِمَ لا؟». غير أن كوينتن فكَّر في أسبابٍ عدَّة تمنعه، ولذا حرصَ على تحاشي التَّوأمتين منذ ذلك الحين، ولم ينَل قُبلةً ثانيةً.

وفي الماضي القريب تعوَّدت صُغرى بنات اللورد يرونوود تتبُّعه في أنحاء القلعة. جوينيث في الثَّانية عشرة لا أكثر، فتاة صغيرة ناحلة تُميِّزها عيناها الدَّاكنتان وشَعرها البنِّي عن عائلتها ذات الشَّعر الأشقر والأعيُن الزَّرقاء، لكنها ذكيَّة في الحقيقة، تُباري بديهتها يديها في السُّرعة، ومغرَمة بإخبار كوينتن أن عليه أن ينتظرها حتى تُزهِر كي تتزوَّجه.

كان ذلك قبل أن يستدعيه الأمير دوران إلى (الحدائق المائيَّة)، والآن أجمل امرأةٍ في العالم منتظرة في (ميرين)، وهو ينوي أن يقوم بواجبه ويتَّخذها عروسًا. *لن تَرفُضني، ستلتزم الاتِّفاق*. ستحتاج دنيرس تارجاريَن إلى (دورن) في سبيل الظَّفر بـ(الممالك السَّبع)، ومعنى هذا أنها ستحتاج إليه. *لكن هذا لا يعني أنها ستحبُّني، بل وقد لا أعجبها من الأصل*.

ينحني الشَّارع حيث البرزخ بين النَّهر والبحر، وهناك بطول المنحنى يتكدَّس باعة الحيوانات عارضين السَّحالي المحلَّاة بالجواهر والثَّعابين العملاقة المربوطة بحلقات المعدن والقردة الصَّغيرة الرَّشيقة ذات الذُّيول المخطَّطة والأيدي الورديَّة المرنة.

قال جيريس: «قد يروق ملكتك الفضِّيَّة أن تُهديها قردًا».

لا يملك كوينتن أدنى فكرةٍ عمَّا يروق دنيرس تارجاريَن. لقد وعدَ أباه بأن يعود بها إلى (دورن)، لكنه ما برحَ يتساءَل إن كان جديرًا بهذه المهمَّة.

لم أفكِّر في هذا قَطُّ.

عبر زُرقة (الروين) العريضة رأى (السُّور الأسود) الذي شيَّده القاليريُّون عندما كانت (ڤولانتيس) مجرَّد نُقطةٍ حدوديَّة لإمبراطوريَّتهم، وهو سور بيضاوي عظيم من الحجارة الملحومة يرتفع مئتي قدم، وسميك لدرجة أن بإمكان ستِّ عرباتٍ تجرُّ كلٌّ منها أربعة أحصنةٍ أن تتسابَق متجاورةً على قمَّته، وهو ما يَحدُث كلَّ سنةٍ للاحتفال بتأسيس المدينة. ليس مسموحًا للغُرباء والأجانب والعبيد المعتَقين بالوجود وراء (السُّور الأسود) إلَّا بدعوةٍ من أحد القاطنين هناك، أنجال الدَّم القديم الذين يعود نسبهم إلى (ڤاليريا) نفسها.

الزِّحام أشدُّ هنا. إنهم بالقُرب من الطَّرف الغربي لـ(الجسر الطَّويل) الذي يصل بين نِصفَي المدينة، ولذا تعجُّ الشَّوارع بالعربات بأنواعها والهاتايات، كلُّها قادم من على الجسر أو ذاهب إليه، والعبيد في كلِّ مكان، جحافل كالصَّراصير، يهرعون هنا وهناك لتلبية أوامر سادتهم.

على مسافةٍ ليست بعيدةً عن (ميدان السمَّاكين) و(بيت التُّجَّار) ارتفعَ الصِّياح من على جانب الشَّارع الآخَر، وفجأةً ظهرَت دستة من المُطهَّرين حاملي الحِراب مرتدين الدُّروع المزخرَفة ومعاطف من جلود النُّمور كأنهم خرجوا من العدم، يُلوِّحون للجميع بإفساح الطَّريق كي يمرَّ القُنصل على متن فيله، وفيل القُنصل هذا مخلوق ضخم رمادي الجِلد يرتدي درعًا منمَّقة النُّقوش مطليَّةً بالمينا الأبيض تُصدِر صلصلةً خافتةً مع حركته، والهودج على ظَهره فارع الطُّول حتى إنه احتكَّ بقمَّة قنطرة الزِّينة الحجريَّة وهو يمرُّ من تحتها.

شرحَ كوينتن لرفيقه قائلًا: «القناصل الثَّلاثة يُعَدُّون في غاية السُّمو لدرجة أن لمس الأرض بأقدامهم خلال عامهم في الخدمة محرَّم، فلا يتنقَّلون إلَّا بالأفيال».

قال جيريس: «ويسدُّون الشَّوارع ويُخلِّفون أكوام الرَّوث لأمثالنا. لن أفهم أبدًا لماذا تحتاج (ڤولانتيس) إلى ثلاثة أمراء في حين تكتفي (دورن) بواحد».

- «القناصل ليسوا ملوكًا أو أمراء. (ڤولانتيس) معقل حُر مِثل (ڤاليريا) قديمًا، يتقاسَم فيها جميع مُلَّاك الأراضي المولودين أحرارًا الحُكم، وحتى النِّساء مسموح لهن بالتَّصويت شريطة أن يكن من أصحاب الأراضي. القناصل الثَّلاثة يُنتخَبون من بين تلك العائلات النَّبيلة التي تستطيع إثبات نسبها الموصول إلى (ڤاليريا) القديمة، ويخدمون حتى اليوم الأول من السَّنة الجديدة. كنت لتعرف كلَّ هذا لو كلَّفت نفسك عناء قراءة الكتاب الذي أعطاه لك المِايستر كِدري».

- «لم تكن فيه صُور».

- «كانت فيه خرائط».

- «الخرائط لا تُحسَب. لو قال لي إنه عن النُّمور والأفيال لجرَّبت قراءته، لكنه بدا ككتاب تاريخ على نحوٍ يُثير الرِّيبة».

حين بلغَ الهاثاي حافة (ميدان السمَّاكين) رفعَت فيلتهم خرطومها وأطلقَت زميرًا كإوزَّةٍ بيضاء ضخمة، وقد تردَّدت في الخوض في بلبلة العربات والهوادج والمارَّة أمامهم، لكن سائقهم نكزَها بكعبه وأجبرَها على مواصَلة الحركة.

كان باعة السَّمك منتشرين في الميدان بأعدادٍ كبيرة يُنادون على صيد الصَّباح. فهمَ كوينتن كلمةً على الأكثر من كلِّ اثنتين، لكنه ليس محتاجًا إلى معرفة الكلمات ليعرف ما يراه من أسماك القُد وأبي شراع والسَّردين وبراميل بلح البحر وأُم الخُلول. في واجهة أحد الأكشاك عُلِّقَت ثعابين الماء، وعرضَ كُشك آخَر سُلحفاةً عملاقةً ثقيلةً كالحصان، معلَّقةً من ساقيها بسلاسل حديد، وفي براميل الماء المالح والطَّحالب البحريَّة راحَت السَّراطين تزحف، فيما قدَّم عدد كبير من الباعة قِطع الأسماك المقليَّة بالبصل والبنجر، أو يخنة السَّمك المُفلفَل من قدورٍ حديديَّة صغيرة.

في منتصَف الميدان، تحت تمثالٍ متصدِّع بلا رأس لقُنصلٍ ميت ما، بدأ المارَّة يحتشدون حول قزمين يُقدِّمان عرضًا، وقد ارتدى الرَّجلان الصَّغيران درعين من الخشب ليبدوا كفارسين مُنمنَمَيْن يتهيَّآن للنِّزال. رأى كوينتن أحدهما يمتطي كلبًا فيما وثبَ الثَّاني على ظَهر خنزير... فقط لينزلق من عليه مفجِّرًا الضَّحك.

قال جيريس: «يبدوان مسلِّيَّيْن. هل نتوقَّف ونُشاهِد قتالهما؟ قد ينفعك أن تضحك يا كوينت. إنك تبدو كعجوزٍ مُصاب بالإمساك منذ نِصف عام».

فكَّر كوينتن: *أنا في الثَّامنة عشرة، أصغر منك بستَّة أعوام. لست عجوزًا*، لكنه بدلًا من ذلك قال: «لا حاجة عندي إلى الأقزام الهزليِّين، ما لم تكن لديهم سفينة».

- «أظنُّ أنها ستكون صغيرةً».

يرتفع (بيت التُّجَّار) أربعة طوابق مطلًّا على المراسي والأرصفة والمخازن المحيطة به. هنا يختلط التُّجَّار القادمون من (البلدة القديمة) و(كينجز لاندنج) بنُظرائهم من (براڤوس) و(پنتوس) و(مير)، وبالإيبنيزيِّين المُشعرين والكارثين ذوي البشرة الشَّاحبة وأولاد (جُزر الصَّيف) ببشرتهم الفاحمة ومعاطفهم الرِّيش، وحتى بآسري الظِّلال المقنَّعين من (آشاي) عند (بلاد الظِّل).

عندما نزلَ من الهاثاي شعرَ كوينتن بدفء حجارة الرَّصف تحت قدميه يتخلَّل جِلد حذائه. في الظِّلِّ خارج (بيت التُّجَّار) نُصِبَت طاولة مزيَّنة بأعلامٍ مثلَّثة مخطَّطة بالأزرق والأبيض تُرَفرِف مع كلِّ نسمة هواء، وقد جلسَ حولها أربعة مرتزِقة قُساة النَّظرات يُنادون كلَّ رجلٍ أو فتى يمرُّ. عرفَ كوينتن أنهم رُقباء من جماعة المذروِّين الحُرَّة يبحثون عن لحمٍ طازج لمَلء صفوفهم قبل الإبحار إلى (خليج النخَّاسين). *وكلُّ رجلٍ يلتحق بهم يعني سيفًا آخَر في صفِّ (يونكاي)، نصلًا آخَر يتشرَّب دماء عروسي.*

صاحَ فيهما أحد المذروِّين، فأجابَ كوينتن: «لا أتحدَّثُ لُغتكم». مع أنه يُجيد قراءة القاليريَّة الفُصحى وكتابتها فإنه لم يتمرَّن إلَّا قليلًا على نُطقها، كما أن اللَّهجة الڤولانتينيَّة شطحَت بعيدًا جدًّا عن أصولها القاليريَّة.

ردَّ الرَّجل بالعاميَّة: «وستروسي؟».

- «دورني. سيِّدي يبيع الخمور».

- «سيِّدك؟ سُحقًا لهذا. أأنت عبد؟ تعالَ معنا وكُن سيِّد نفسك. هل تُريد الموت في سريرك؟ ستُعلِّمك القتال بالسَّيف والحربة. ستَدخُل المعركة مع أمير الأسمال وترجع إلى وطنك أغنى من لورد. غِلمان، فتيات، ذهب، أيًّا كان ما تُريده إذا كنت بالرُّجولة الكافية لأخذه. إننا المذروُّون، وننكح إلهة المجازر في دُبرها».

شرعَ اثنان من المرتزِقة في الغناء هادريْن بكلمات نشيدٍ عسكري ما، وفهمَ كوينتن منه ما يكفي لإدراك الخُلاصة.

نحن مَن تذروهم الرِّيح. هُبِّي بنا شرقًا إلى (خليج النخَّاسين). سنَقتُل الملك الجزَّار وننكح ملكة التَّنانين.

قال جيريس: «لو كان كليتوس وويل معنا لعُدنا بالرَّجل الكبير وقتلناهم جميعًا».

كليتوس وويل ماتا. ردَّ كوينتن: «لا تُلقِ إليهم بالًا».

رماهما المرتزِقة بعبارات الاستهزاء إذ دخلا من باب (بيت الثُّجَّار)، قائلين إنهما جبانان بلا دمٍ وفتاتان مرعوبتان.

كان الرَّجل الكبير منتظرًا في غُرفتهم بالطَّابق الثَّاني. على الرغم من أن رُبَّان (طائر المروج) أشارَ عليهم بالنُّزول في هذا الخان فهذا لا يعني أن كوينتن سيَترُك حاجياتهم وذهبهم بلا حماية. في كلِّ ميناءٍ لصوص وجرذان وعاهرات، وهؤلاء أكثر في (ڤولانتيس) من أغلب الأماكن الأخرى.

قال السير آرشيبولد يرونوود وهو يرفع مزلاج الباب ليُدخِلهما: «كنتُ على وشك الخروج للبحث عنكما». كليتوس ابن عمِّه هو من بدأ دعوته بالرَّجل الكبير، لكنه يستحقُّ اللَّقب عن جدارة، فآرش يَبلُغ ستَّة أقدامٍ ونِصفًا طولًا، عريض المنكبين ضخم البطن، وساقاه كجذوع الأشجار ويداه كأفخاذ الخنازير، وعُنقه قصير للغاية. في طُفولته أصيبَ بعِلَّةٍ ما تسبَّبت في سقوط شَعره كلِّه، ويُذكِّر رأسه الأصلع كوينتن بجُلمودٍ وردي أملس. سألَهما آرش: «حسن، ماذا قال المهرِّب؟ هل وجدنا قاربًا؟».

قال كوينتن مصحِّحًا: «سفينة»، ثم أضافَ: «أجل، سيأخذنا، ولكن حتى أقرب جحيمٍ لا أكثر».

جلسَ جيريس على سريرٍ غائص وخلعَ حذاءه قائلًا: «(دورن) تبدو أكثر جاذبيَّةً بمرور كلِّ لحظة».

قال الرَّجل الكبير: «ما زالَ رأيي أن طريق الشَّياطين أفضل لنا. قد لا يكون محفوفًا بالأخطار كما يقولون، وإذا كان كذلك فمعنى هذا المزيد من المجد لمن يَجسُرون على سلوكه. مَن يجرؤ على التَّحرُّش بنا؟ درينك معه سيفه وأنا معي مطرقتي، هذا أكثر مما يستطيع أيُّ شيطانٍ الاحتمال».

قال كوينتن: «وإذا ماتَت دنيرس قبل أن نَبلُغها؟ لا بُدَّ من سفينة، حتى إذا كانت (المُغامرة)».

ضحكَ جيريس قائلًا: «مؤكَّد أنك أكثر اشتياقًا إلى دنيرس مما حسبتُ إذا كنت مستعدًّا لتحمُّل تلك الرَّائحة طوال شهور. عن نفسي لتوسَّلتُ إليهم أن يَقتُلوني بعد ثلاثة أيام. لا يا أميري، أرجوك، ليس (المُغامرة)».

سألَه كوينتن: «هل عندك وسيلة أفضل؟».

- «نعم، وقد خطرَت لي الآن فحسب. إن لها مخاطرها، وليست بوسيلةٍ تُوصَف بالشَّرف، أعترفُ بهذا... لكنها ستأخذك إلى ملكتك أسرع من طريق الشَّياطين».

قال كوينتن مارتل: «أخبِرني».

---

(13) القرقور سفينة ضخمة تحمل آلات الحرب والمؤن والعتاد، وتتَّسع لعددٍ كبير من المجذِّفين والبحَّارة. (المُترجم).

(14) الكوج سفينة لها شراع واحد مربَّع عادةً وأحيانًا شراعان، وتُبنى من خشب البلُّوط. (المُترجم).

(15) العسل الأرجواني نوع نادر من عسل النَّحل، ليست هناك طريقة معيَّنة لإنتاجه وإنما يَنتُج عشوائيًّا، وما زالَ موضوع بحثٍ عند العلماء. (المُترجم).

(16) الصَّابورة أثقال توضع في بطن السَّفينة لئلَّا تميل على أحد جوانبها. (المُترجم).

قرأ چون سنو الرِّسالة مرارًا وتكرارًا حتى بدأت الكلمات تتشوَّش في نظره وتمتزِج. *لا يُمكنني أن أوقِّعها، لن أوقِّعها.*

همَّ بإحراق الرَّقِّ في التَّوِّ واللَّحظة، لكنه بدلًا من ذلك أخذَ رشفةً من المِزر، ثُمالة نِصف الكوب الذي تبقَّى من عَشائه الذي تناوَله وحيدًا ليلة أمس. يجب *أن أوقِّعها. لقد اختاروني قائدًا عليهم. (الجِدار) تحت قيادتي، وكذلك الحَرس. حَرس اللَّيل لا يتدخَّلون.*

أراحَه أن فتحَ إد توليت الكئيب الباب ليُخبِره بأن جيلي بالخارج، فنحَّى رسالة المِايستر إيمون جانبًا، وقال: «سأراها». كم يخشى هذا. «واعثُر لي على سام. أريدُ أن أتكلَّم معه بعدها».

قال إد الكئيب: «سيكون بالأسفل مع الكُتب. اعتادَ سِپتوني القديم أن يقول إن الكُتب موتى يتكلَّمون، أمَّا أنا فأقولُ إن على الموتى أن يبقوا صامتين. لا أحد يُريد أن يسمع ميتًا يُثَرثِر»، ثم ذهبَ يُهَمهِم بكلامٍ ما عن الدُّود والعناكب.

حين دخلَت جيلي جثَت على رُكبتها من فورها، فدارَ چون حول المنضدة وساعدَها على النُّهوض قائلًا: «ليس عليكِ أن تجثي أمامي، هذا للملوك وحدهم». على الرغم من كونها زوجةً وأمًّا لا تزال جيلي تبدو في عينيه طفلةً، فتاةً نحيلةً صغيرةً ملفوفةً بأحد معاطف سام القديمة، والمعطف كبير عليها لدرجة أنها تستطيع إخفاء عدَّة فتياتٍ أخريات تحت طيَّاته. سألَها: «هل الصَّغيران بخير؟».

ابتسمَت الهمجيَّة بخنوعٍ من تحت قلنسوتها مجيبةً: «نعم يا سيِّدي. كنتُ أخشى ألَّا يكون لديَّ لبن يكفي الاثنين، لكن كلَّما رضعا زادَ لبني. إنهما قويَّان».

- «عليَّ أن أخبركِ بشيءٍ صعب». كان على وشك أن يقول «أطلبُ»، إلَّا أنه منعَ نفسه في اللَّحظة الأخيرة.

- «أهو مانس؟ قال توسَّلت للملك أن يصفح عنه، قالت إنها ستسمح لراكعٍ ما بالزَّواج بها ولن تشقَّ حَلقه أبدًا ما دامَ مانس سيعيش. سيِّد العظام هذا، الملك سيصفح عنه أيضًا. لقد أقسمَ كراستر دومًا أن يَقتُله إذا أظهرَ وجهه عند القلعة، ومانس لم يرتكب نِصف ما ارتكبَ من أشياء».

كلُّ ما فعلَه مانس أنه قادَ جيشًا ضد البلاد التي أقسمَ على حمايتها. «مانس حلفَ يميننا يا جيلي، ثم انشقَّ وتزوَّج دالا وتوَّج نفسه ملكًا وراء الجِدار. إن حياته بين يدَي الملك الآن. ليس هو من يجب أن نتكلَّم عنه، بل ابنه، صبي دالا».

قالت بصوتٍ راجف: «الرَّضيع؟ لكنه لم يحنث بأيِّ أيمان يا سيِّدي. إنه ينام ويبكي ويرضع، هذا كلُّ شيء، ولم يُؤذِ أحدًا قَطُّ. لا تدعها تُحرِقه. أنقِذه أرجوك».

ردَّ چون: «أنتِ وحدكِ تستطيعين إنقاذه»، وأخبرَها بالوسيلة.

لو كانت امرأةً أخرى لصرخَت فيه، لعنَته، دعَت عليه بالحريق في الجحائم السَّبع. لو كانت امرأةً أخرى لانقضَّت عليه، صفعَته، ركلَته، خمشَت عينيه بأظفارها. لو كانت امرأةً أخرى لوكزَته بالتَّحدِّي في أسنانه.

أمَّا جيلي فهزَّت رأسها قائلةً: «لا، أرجوك، لا».

التقطَ الغُداف منها الكلمة، وصرخَ: «*لا!*».

- «ارقُضي وسيحترق الصَّبي، ليس غدًا أو بعد غد... لكن قريبًا، متى احتاجَت مليساندرا إلى إيقاظ تنِّين أو اشتداد الرِّياح أو عمل تعويذةٍ ما تتطلَّب دماء الملوك. عندئذٍ سيكون مانس رمادًا وعظمًا، وعليه ستأخذ ابنه لتُلقيه في النَّار، ولن يَرفُض ستانيس. إذا لم تأخذي الصَّبي معكِ وترحلي فسوف تُحرِقه».

قالت جيلي: «سأرحلُ، سآخذه، سآخذُ الاثنين، ابن دالا وابني».

تبيَّن چون أن الدُّموع تسيل على وجنتيها، ولولا التماعها في ضوء الشُّموع لما عرفَ أنها تبكي. *لا بُدَّ أن زوجات كراستر علَّمن بناتهن أن يذرفن دموعهن في وسادة، وربما تعوَّدن البُكاء بالخارج بعيدًا عن قبضتَي كراستر*. ثنى أصابع يد السَّيف قائلًا: «خُذي الولدين وسيَخرُج رجال الملكة وراءكِ ويعودون بكِ جرًّا. ستظلُّ النَّار مصير الصَّبي... وأنتِ معه». *إذا واسيتها فقد تحسب الدُّموع قادرةً على تحريكي. يجب أن تُدرِك أنني لن اتزحزَح*. «ستأخذين واحدًا هو ابن دالا».

- «لا يُمكن لأمٍّ أن تَهجُر ابنها وإلَّا فهي ملعونة إلى الأبد. إلَّا ابنها. سام وأنا أنقذناه. أرجوك يا سيِّدي، لقد أنقذناه من البرد».

- «يُقال إن التَّجمُّد حتى الموت أدنى إلى السَّلام، في حين أن النَّار... هل ترين الشَّمعة يا جيلي؟».

رمقَت اللَّهب مجيبةً: «نعم».

- «المسي اللَّهب، ضعي يدكِ فوقه».

اتَّسعت عيناها البنِّيَّتان الواسعتان أكثر، ولم تتحرَّك.

- «افعليها». *اقتُل الصَّبي*. «الآن».

مرتجفةً، مدَّت الفتاة يدها ووضعَتها فوق لهب الشَّمعة المتذبذِب بمسافةٍ آمنة.

- «اخفِضي يدكِ، دعي اللَّهب يُقبِّلها».

وهكذا خفضَت جيلي يدها، بوصةً، ثم أخرى، ثم عندما لعقَ لسان اللَّهب جِلدها اختطفَت يدها وأجهشَت بالبُكاء.

- «النَّار طريقة بشعة للموت. دالا ماتَت لتمنح هذا الطِّفل الحياة، لكنكِ أطعمتِه وأحسنتِ إليه. لقد أنقذتِ ابنكِ من الجليد، فأنقِذي ابنها الآن من النَّار».

- «سيُحرِقون صغيري إذن. المرأة الحمراء، إذا لم تحظَ بابن دالا فستُحرِق ابني».

- «ليست في عروق ابنكِ دماء ملكيَّة، ولن تجني مليساندرا شيئًا بإعطائه للنَّار. ستانيس يُريد شعب الأحرار أن يُحارِب معه، ولن يُحرِق طفلًا بريئًا دون سببٍ وجيه. سيكون ابنكِ آمنًا. سأجدُ له مُرضِعةً وسينشأ هنا في (القلعة السَّوداء) تحت حمايتي. سيتعلَّم الصَّيد وركوب الخيل والقتال بالسَّيف والفأس والقوس، وسأحرصُ أيضًا على تعلُّمه القراءة والكتابة». سيحبُّ سام هذا. «ولمَّا يكبر بما فيه الكفاية سيعلم حقيقة أصله، وله الحُرِّيَّة في الذَّهاب إليكِ عندئذٍ إذا أرادَ».

غمغمَت: «ستجعلونه غُرابًا»، ومسحَت دموعها بظَهر كفِّها الصَّغيرة الشَّاحبة، وقالت: «لن أفعل ذلك، لن أفعله».

اقتُل الصَّبي. «ستفعلينه، وإلَّا فإنني أعدُكِ، يوم يُحرِقون ابن دالا سيموت ابنكِ أيضًا».

صرخَ غُداف الدُّب العجوز: «*يموت، يموت، يموت، يموت!*».

جلسَت الفتاة مطأطئةً الرَّأس منكمشةً على نفسها تُحدِّق بصمتٍ إلى لهب الشَّمعة، وأخيرًا قال چون: «لكِ إذني في الانصراف. لا تَذكُري الأمر لأحد، لكن اعملي على أن تكوني جاهزةً للرَّحيل قبل ساعةٍ من الفَجر. سيأتيكِ رجالي».

نهضَت جيلي، وخرجَت واجمةً ممتقعة الوجه دون نظرةٍ إلى الوراء، وسمعَ چون خُطواتها إذ اندفعَت عبر مستودَع السِّلاح بسرعةٍ أقرب إلى العدْو.

حين ذهبَ يُغلِق الباب رأى جوست متمدِّدًا أسفل السِّندان يقضم عظمة ثور، ورفعَ الذِّئب الأبيض الكبير رأسه مع اقترابه، فقال له: «أخيرًا عُدت؟»، ثم عادَ إلى كُرسيِّه ليُعيد قراءة رسالة المِايستر إيمون.

بعد قليلٍ ظهرَ ساමويل تارلي حاملًا كومةً من الكُتب، ولم يكد يَدخُل حتى طارَ غُداف مورمونت إليه طالبًا الذُّرة، ففعلَ سام ما يستطيع كي يُلبِّي طلبه، وأخرجَ حفنةً من الحبوب من كيسٍ يُجاوِر الباب، وفعلَ الغُداف ما يستطيع كي يَنقُر راحة يده، فعوَّل سام ألمًا، وحلَّق الطَّائر مبتعدًا، وتناثرَت حبوب الذُّرة.

سألَه چون: «هل جرحَ المأفون جِلدك؟».

خلعَ سام قُفَّازه بحذرٍ مجيبًا: «نعم، إنني أنزفُ!».

ردَّ چون: «كلُّنا ننزف من أجل حَرس اللَّيل. ارتدِ قُفَّازاتٍ أغلظ»، ودفعَ مقعدًا بقدمه نحو سام، وأردفَ: «اجلس وألقِ نظرةً على هذا»، وناولَه الرَّق.

- «ما هذا؟».

- «درع من ورق».

قرأ سام بتأنٍّ، ثم تساءلَ: «رسالة إلى الملك تومن؟».

قال چون متذكِّرًا: «في (وينترفل) تبارزَ تومن وأخي بران بسيفين خشبيَّين. كان يرتدي بطانةً سميكةً لدرجة أنه بدا كإوزَّةٍ محشوَّة، وطرحَه بران أرضًا»، وذهبَ إلى النَّافذة وفتحَها. بالخارج كان الهواء باردًا منعشًا على الرغم من تلبُّد السَّماء بالغيوم. «ومع ذلك ماتَ بران، والآن يجلس تومن السَّمين ذو الوجه المتورِّد على العرش الحديدي، ووسط خُصلاته الذَّهبيَّة يستقرُّ التَّاج».

رسمَ قوله نظرةً غريبةً على وجه سام، وللحظةٍ بدا كأنه يُريد أن يقول شيئًا، لكنه بدلًا من ذلك ابتلعَ ريقه ونظرَ إلى الورقة قائلًا: «لم تُوقِّع الرِّسالة».

هزَّ چون رأسه، وقال: «الدُّب العجوز توسَّل العون من العرش الحديدي مئة مرَّة، فأرسَلوا إليه چانوس سلينت. لا رسالة من شأنها أن تجعل آل لانستر يحبُّوننا أكثر ما إن يسمعوا أننا ساعَدنا ستانيس».

- «في الدِّفاع عن (الجِدار) فقط، وليس في تمرُّده، هذا هو المكتوب هنا».

قال چون: «قد يغيب الفرق عن اللورد تايوين»، وتناولَ الرِّسالة من سام متسائلًا: «لِمَ يُساعِدنا الآن؟ إنه لم يفعلها من قبل قَطُّ».

- «لأنه لن يُريد أن يقول النَّاس إن ستانيس هبَّ للدِّفاع عن البلاد فيما يلعب الملك تومن بلُعبه. شيء كهذا سيُؤدِّي إلى السُّخرية من عائلة لانستر».

قال چون: «ما أريده لعائلة لانستر هو الموت والدَّمار»، ورفعَ الرِّسالة وقرأ: «*حَرس اللَّيل لا يتدخَّلون في حروب (الممالك السَّبع). إننا نحلف أيمانَنا للبلاد، والبلاد في خطرٍ داهم الآن. ستانيس باراثيون يُساعِدنا ضد أعدائنا من وراء (الجِدار)، لكننا لسنا رجاله...*».

تلوَّى سام في مقعده قائلًا: «طيِّب، نحن لسنا رجاله بالفعل، أليس كذلك؟».

- «لقد أعطيتُ ستانيس الطَّعام والمأوى و(قلعة اللَّيل)، بالإضافة إلى السَّماح له بتوطين عددٍ من شعب الأحرار في (الهديَّة)، هذا كلُّ شيء».

- «اللورد تايوين سيقول إن هذا كثير للغاية».

- «وستانيس يقول إنه لا يكفي. كلَّما أعطيت ملكًا المزيد أرادَ أكثر. إننا نمشي على جسرٍ من الجليد على جانبيه هاوية. إرضاء ملكٍ واحد عسير بما فيه الكفاية، أمَّا إرضاء اثنين فيكاد يكون مستحيلًا».

- «نعم، لكن... إذا كانت الغلبة لآل لانستر وقرَّر اللورد تايوين أننا خُنَّا الملك بدعمنا ستانيس فقد يعني هذا نهاية حَرس اللَّيل. إن وراءه آل تايرل وقوَّة (هايجاردن) بأكملها، كما أنه هزمَ اللورد ستانيس في معركة (النَّهر الأسود)».

- «(النَّهر الأسود) معركة واحدة. روب انتصرَ في معاركه كلِّها وفقدَ رأسه رغم ذلك. إذا استطاعَ ستانيس أن يحشد الشَّمال...».

تردَّد سام قبل أن يقول: «آل لانستر معهم شماليُّون في صفوفهم، اللورد بولتون ونغله».

- «ستانيس معه آل كارستارك. إذا فازَ بتأييد (الميناء الأبيض)...».

قاطعَه سام ضاغطًا على الكلمة: «إذا. وإذا لم يَحدُث... سيِّدي، حتى دِرع من ورق أفضل من لا شيء».

- «أظنُّ هذا». هو *وإيمون متَّفقان*. بشكلٍ ما كان يأمل أن يرى ساموِيل تارلي الأمر بنظرةٍ مختلفة. *إنه مجرَّد حبر على ورق*. وهكذا، مستسلمًا، التقطَ ريشةً وذيَّل الرِّسالة بتوقيعه، وقال: «أحضِر الشَّمع». *قبل أن أغيِّر رأيي*. أسرعَ سام يُطيع أمره، ومهرَ چون الرِّسالة بختم القائد، ثم ناولَه إياها قائلًا: «خُذها إلى المِايستر إيمون حين تُغادِر وقُل له أن يُرسِل طائرًا إلى (كينجز لاندنج)».

قال سام بنبرةٍ مستريحة: «سأفعلُ»، ثم استطردَ: «سيِّدي، إذا سمحت لي بالسُّؤال... لقد رأيتُ جيلي وهي ذاهبة، وكانت مجهشةً بالبُكاء».

ردَّ چون كاذبًا: «قال أرسلَتها تتشفَّع لمانس مجدَّدًا». ثم إنهما تحدَّثا بعض الوقت عن مانس وستانيس ومليساندرا الآشايِيَّة، إلى أن أكلَ الغُداف حبَّة الذُّرة الأخيرة على الأرض، وصرخَ: «*دماء!*».

قال چون: «سأصرفُ جيلي من هنا، هي والصَّبي. علينا أن نجد مُرضِعةً أخرى لأخيه في الرِّضاعة».

- «لا بأس بحليب الماعز حتى تجدوا واحدةً. إنه أفضل للرُّضَّع من حليب الأبقار». من الواضح أن الكلام عن الأثداء يُصيب سام بالارتباك، ففجأةً بدأ يتكلَّم عن التَّاريخ والقادة الصِّبية الذين عاشوا وماتوا قبل مئات الأعوام، إلى أن قاطعَه چون بقوله: «أخبِرني بشيءٍ مفيد، حدِّثني عن عدوِّنا».

قال سام: «(الآخَرون)»، ولعقَ شفتيه مستدركًا: «إنهم مذكورون في السِّجلَّات، وإن لم يكن بالكثرة التي حسبتها... في السِّجلَّات التي وجدتها وقرأتها بالأحرى، لكني أعرفُ أن هناك المزيد مما لم أجده. بعض الكُتب الأقدم متفسِّخ، والصَّفحات تتفتَّت حين أحاولُ أن أقلبها. وبالنِّسبة إلى الكُتب العتيقة... إمَّا أنها تفتَّتت تمامًا وإمَّا أنها مدفونة في مكانٍ ما لم أبحث فيه بعدُ، وربما... ربما لا تكون هناك كُتب كهذه من الأصل ولم يكن لها وجود قَطُّ. أقدم التَّواريخ المدوَّنة كان بعد مجيء الأنداليِّين إلى (وستروس)، بينما تركَ لنا البَشر الأوائل نقوشًا على الصُّخور فحسب، لذا فإن كلَّ شيءٍ نظنُّ أننا نعرفه عن عصر الأبطال واللَّيل الطَّويل يأتي من حكاياتٍ كتبَها سِپتونات بَعد آلاف الأعوام من تلك الأحداث، وهناك مِايسترات رؤساء في (القلعة) يُشكِّكون فيها جميعًا. تلك التَّواريخ القديمة ملأى بالملوك الذين حكموا مئات السِّنين، والفُرسان الذين جابوا البلاد قبل ألف عامٍ من وجود فُرسان. أنت تعرف تلك الحكايات؛ براندون البنَّاء وسيميون ذو العينين النَّجمتين وملك اللَّيل... نحن نقول إنك القائد التِّسعمة وثمانية وتسعون لحَرس اللَّيل، لكن أقدم قائمةٍ وجدتها تضمُّ ستمئة وأربعة وسبعين قائدًا، وهو ما يُفيد بأنها كُتِبَت...».

قاطعَه چون ثانيةً: «منذ زمنٍ طويل. ماذا عن (الآخَرين)؟».

- «وجدتُ ذِكرًا لزُجاج التنِّين. أطفال الغابة تعوَّدوا أن يُعطوا حَرس اللَّيل مئة خنجرٍ من الزُّجاج البُركاني كلَّ عامٍ خلال عصر الأبطال. معظم الحكايات متَّفق على أن (الآخَرين) يأتون في البرد، أو أن البرد يأتي معهم. أحيانًا يظهرون وقت العواصف الثَّلجيَّة ويختفون حين تصفو السَّماء، ويختبئون من ضوء الشَّمس ويَخرُجون ليلًا... أو أن اللَّيل يحلُّ حين يَخرُجون. بعض القصص يتكلَّم عن ركوبهم الحيوانات الميتة؛ الدِّببة والذِّئاب الرَّهيبة والماموثات والخيول، لا فرق ما دامَ الحيوان ميتًا. الذي قتلَ پول الصَّغير كان يمتطي حصانًا ميتًا، فواضح أن هذا الجزء صحيح. بعض الحكايات يَذكُر عناكب جليديَّةً أيضًا، لكني لا أدري ماهيتها. مَن يسقطون في المعركة أمام (الآخَرين) لا بُدَّ أن يُحرَقوا وإلَّا سينهض الموتى من جديدٍ كعبيدٍ لهم».

- «نعرف كلَّ هذا. السُّؤال هو كيف نُقاتِلهم؟».

- «دروع (الآخَرين) منيعة ضد معظم الأسلحة التَّقليديَّة، إذا صدَّقنا ما وردَ في الحكايات، وسيوفهم باردة للغاية لدرجة أنها تُحطِّم الفولاذ، لكنهم يهابون النَّار، ومن شأن زُجاج التنِّين أن يُؤذيهم. وجدتُ حكايةً عن اللَّيل الطَّويل تقول إن البطل الأخير قتلَ (الآخَرين) بسيفٍ من فولاذ التنِّين. المفترَض أنهم لا يستطيعون الصُّمود أمامه».

ردَّد چون: «فولاذ التنِّين؟». المصطلح جديد عليه. «الفولاذ القاليري؟».

قال سام: «هذا أول ما خطرَ لي أيضًا».

- «إذن إذا استطعتُ أن أقنع لوردات (الممالك السَّبع) بإعطائنا سيوفهم المصنوعة من الفولاذ القاليري فستنتهي المشكلة؟ لن يكون هذا صعبًا». *ليس أصعب من طلب أن يتنازَلوا عن أموالهم وقلاعهم*. أطلقَ ضحكةً مريرةً، وسألَ سام: «هل عرفت من يكون (الآخَرون)؟ من أين يأتون؟ ماذا يُريدون؟».

- «ليس بعدُ يا سيِّدي، لكن لعلِّي كنتُ أقرأُ الكُتب الخطأ فقط. هناك مئات الكُتب التي لم أفتحها حتى الآن. أعطِني مزيدًا من الوقت وسأجدُ كلَّ ما يُمكن إيجاده».

- «ليس هناك مزيد من الوقت. عليك أن تحزم أغراضك يا سام، إنك راحل مع جيلي».

حملقَ سام إليه مفغور الفاه كأنه لا يفهم معنى الكلمة، ثم قال: «راحل؟ أنا راحل؟ إلى (القلعة الشَّرقيَّة) يا سيِّدي؟ أم... أين...».

- «(البلدة القديمة)».

ردَّد سام بصوتٍ رفيع كالصَّرير: «(البلدة القديمة)؟!».

- «وإيمون أيضًا».

- «إيمون؟ المِايستر إيمون؟ لكن... لقد تجاوزَ المئة بعامين يا سيِّدي، ولا يقوى على... ستُرسِله وتُرسِلني أيضًا يا سيِّدي؟ ومن سيعتني بالغِدفان؟ إذا مرضَت أو جُرِحَت، فمن...».

- «كلايداس، إنه مع إيمون منذ سنوات».

- «كلايداس مجرَّد وكيل، وبصره يزداد ضعفًا. أنت محتاج إلى مِايستر. المِايستر إيمون واهن، ورحلة في البحر... ربما... إنه شيخ، و...».

- «ستكون حياته في خطر، أدركُ هذا يا سام، لكن الخطر هنا أكبر. ستانيس يعرف من هو إيمون، وإذا كانت تعاويذ المرأة الحمراء تقتضي دم الملوك...».

غمغمَ سام وقد غاضَت الدِّماء من وجنتيه السَّمينتين: «أوه».

- «سينضمُّ داريون إليكم في (القلعة الشَّرقيَّة). أملي أن تُكسِبنا أغانيه بعض الرِّجال في الجنوب. ستحملكم (الطَّائر الأسود) إلى (براقوس)، ومن هناك عليكم ترتيب رحلتكم إلى (البلدة القديمة). إذا كنت لا تزال تعتزم أن تُعلِن ابن جيلي نغلك، فأرسِلها إلى (هورن هيل)، وإن لم يكن فسيجد لها إيمون عملًا كخادمةٍ في (القلعة)».

- «نـنـنغلي. نعم، أنا... أمّي وأخواتي سيُساعِدن جيلي على العناية بالصَّبي. داريون يستطيع أن يصحبها إلى (البلدة القديمة) مِثلي تمامًا. إنني... إنني أتمرَّنُ على الرِّماية كلَّ أصيلٍ مع أولمر كما أمرت... إلَّا عندما أكون في القبو، لكنك قلت لي أن أكتشف ما يُمكن اكتشافه عن (الآخَرين). القوس الطَّويل يُؤلِم كتفَي ويجعل أصابعي تتقرَّح»، ورفعَ سام يده يُري چون أحد القروح المفتوحة مواصلًا: «لكني ما زلتُ أتمرَّنُ، وأستطيعُ أن أصيب الهدف معظم الوقت الآن، إلَّا أنني لا أزالُ أسوأ رامٍ حملَ قوسًا في العالم. لكني أحبُّ قصص أولمر. على أحدهم أن يُدوِّنها ويضعها في كتاب».

- «دوِّنها إذن. إن لديهم حبرًا وورقًا في (القلعة)، بالإضافة إلى الأقواس الطَّويلة. سأتوقَّعُ منك أن تُواصِل تدريباتك. سام، في حَرس اللَّيل مئات الرِّجال الذين يستطيعون الرَّمي بالسِّهام، لكن ليس بينهم إلَّا شرذمة ممن يُجيدون القراءة والكتابة. أريدك أن تكون مِايستري الجديد».

- «سيِّدي، أنا... إن عملي هنا. الكُتب...».

- «... ستكون هنا عندما تعود إلينا».

وضعَ سام يده على عُنقه، وقال: «سيِّدي، (القلعة)... إنهم يجعلونك تُشَرِّح الجُثث هناك. لا يُمكنني أن أضع سلسلةً».

- «بل يُمكنك، وستفعل. المِايستر إيمون عجوز كفيف وقوَّته تتسرَّب منه. من سيحلُّ محلَّه عندما يموت؟ المِايستر مولين في (بُرج الظِّلال) مُقاتل أكثر من نطاسي، والمِايستر هارميون في (القلعة الشَّرقيَّة) يسكر أكثر مما يستفيق».

- «إذا سألت (القلعة) أن تُرسِل المزيد من المِايسترات...».

- «هذا ما أنتويه، فسنحتاج إلى كلِّ واحدٍ منهم، لكن إيمون تارجاريَن لا يُستبدَل بسهولة». *الأمر لا يمضي بالبساطة التي املتها*. كان يعلم أن جيلي ستكون صعبةً، غير أنه افترضَ أن سام سيُسَرُّ لاستبدال مخاطر (الجِدار) بدفء (البلدة القديمة). هكذا قال حائرًا: «كنتُ واثقًا بأن الأمر سيسرُّك. في (القلعة) كُتب أكثر مما يأمل أحد أن يقرأها كلَّها. ستُبلي بلاءً حسنًا هناك يا سام، أعلمُ هذا».

- «لا. يُمكنني أن أقرأ الكُتب، لكن... على المِـمايستر أن يكون مُعالجًا أيضًا، والدَّددم يُصيبني بالدُّوار»، وارتجفَت يد سام مثبتةً صحَّة قوله وهو يُضيف: «أنا سام الخائف لا سام القاتِل».

- «خائف؟ مِمَّ؟ توبيخ بضعة رجالٍ مسنِّين؟ سام، أنت رأيت الجُثث الحيَّة تجتاح (القبضة)، رأيت طوفانًا من الموتى الأحياء بأيدٍ سوداء وأعيُنٍ زرقاء لامعة. لقد قتلت واحدًا من (الآخَرين)».

- «قتلَه زُزُزُجاج التنِّين وليس أنا».

محتدًّا قال چون: «صمتًا». بعد جيلي ليس عنده صبر على مخاوف الصَّبي البدين. «لقد كذبت وتحايَلت وتآمَرت لتجعلني القائد، ستُطيعني إذن. ستذهب إلى (القلعة) وتُكَوِّن سلسلةً، وإذا كان عليك أن تُشرِّح الجُثث فليكن. على الأقل لن تعترض الجُثث في (البلدة القديمة)».

- «سيِّدي، إن أأأأبي، اللورد راندل، إنه، إنه، إنه، إنه، إنه... حياة المِايستر حياة خدمة. لا أحد من أبناء عائلة تارلي يضع سلسلةً حول عُنقه أبدًا. رجال (هورن هيل) لا ينحنون للوردات الأدنى ويُعظِّمونهم. چون، لا أستطيعُ أن أعصي أبي».

فكَّر چون: *اقتُل الصَّبي، الصَّبي الذي في داخلي وفي داخلك، اقتُلهما أيها النَّغل الملعون.* «أنت لا أب لك، بل إخوة فقط، نحن فقط. إن حياتك تنتمي إلى حَرس اللَّيل، فاذهب واحشُر ثيابك الدَّاخليَّة في جوالٍ ومعها كلَّ شيءٍ آخَر تُريد أن تأخذه إلى (البلدة القديمة). ستُغادِر قبل ساعةٍ من الشُّروق. وهاك أمر آخَر: من اليوم فصاعدًا لن تنعت نفسك بالجُبن. لقد واجهت في العام المنصرم أشياء أكثر مما يرى معظم النَّاس في حياتهم كلِّها. يُمكنك أن تُواجِه (القلعة)، لكنك ستُواجِهها باعتبارك أخًا محلَّفًا في حَرس اللَّيل. لا أستطيعُ أن آمرك بأن تكون شُجاعًا، لكني أستطيعُ أن آمرك بأن تُخفي مخاوفك. لقد حلفت اليمين يا سام، أتَذكُر؟».

- «ســ... سأحاولُ».

- «لن تُحاوِل، وإنما ستُطيع».

خفقَ غُداف مورمونت بجناحيه الأسودين الكبيرين مردِّدًا: «*تُطيع!*».

بدا على سام أنه يتداعى إذ قال: «كما يأمر سيِّدي. هل... هل يعرف المِايستر إيمون؟».

قال چون: «إنها فكرته بقدر ما هي فكرتي»، وفتحَ له الباب مردفًا: «لا وداع. كلَّما قلَّ عدد من يعلمون بالأمر كان أفضل. ساعة قبل طلوع الفَجر في ساحة الأُشنة[17]».

وتمامًا كما فعلَت جيلي، فرَّ منه سام.

أحسَّ چون بالتَّعب. *أحتاجُ إلى النَّوم*. لقد قضى نِصف اللَّيل مستيقظًا يتأمَّل الخرائط ويَكتُب الرَّسائل ويضع الخُطط مع المِايستر إيمون، وحتى بعد أن ألقى نفسه في فِراشه الضيِّق لم يأتِه النَّوم بسهولة. كان يعلم ما عليه أن يُواجِهه اليوم، ووجدَ نفسه يتململَ ويتقلَّب متوتِّرًا وهو يُفكِّر مليًّا في آخِر كلمات المِايستر إيمون، وكيف قال له العجوز: «فليسمح لي سيِّدي بأن أنصحه نصيحةً أخيرةً، النَّصيحة نفسها التي قدَّمتها لأخي حين افترَقنا للمرَّة الأخيرة. كان في الثَّالثة والثَّلاثين عندما اختارَه المجلس العظيم لاعتلاء العرش الحديدي، رجلًا بالغًا له أولاد، وإن ظلَّ في بعض النَّواحي صبيًّا. كان إج يتَّسم بنوعٍ من البراءة، بعذوبةٍ أحببناها جميعًا. يوم أبحرتُ إلى (الجِدار) أخبرته: *اقتُل الصَّبي الذي في داخلك. الحُكم يتطلَّب رجلًا، إجون وليس إج. اقتُل الصَّبي ودَع الرَّجل يُولَد*»، ثم تحسَّس الشَّيخ وجه چون وأتبعَ: «إنك في نِصف سِنِّ إج وقتها، وأخشى أن حِملك أثقل. إنك لن تجد كثيرًا من البهجة في القيادة، لكنني أظنُّ أن في داخلك القوَّة اللَّازمة لفِعل ما يجب فِعله. اقتُل الصَّبي يا چون سنو، فالشِّتاء يدنو، اقتُل الصَّبي ودَع الرَّجل يُولَد».

ارتدى چون معطفه وخرجَ. كلَّ يومٍ يدور في أنحاء (القلعة السَّوداء)، يزور الرِّجال الواقفين حراسةً ويسمع تقاريرهم بنفسه، ويُشاهِد أولمر ومَن تحت إمرته يتمرَّنون على الرِّماية، ويتكلَّم مع رجال الملك ورجال الملكة على حدٍّ السَّواء، ويمشي على الجليد على قمَّة (الجِدار) ليُلقي نظرةً على الغابة، ويتحرَّك معه جوست كظلٍّ أبيض إلى جانبه.

كان كِدچ ذو العين البيضاء يتولَّى القيادة فوق (الجِدار) حين صعدَ چون. كِدچ كهل تجاوزَ الأربعين عامًا، منها ثلاثون قضاها على (الجِدار)، عينه اليُسرى عمياء واليُمنى قاسية. في البراري، وهو وحده بفأسه وحصانه، يُضارِع أيَّ جوَّالٍ في حَرس اللَّيل في البراعة، لكن العلاقة بينه وبين بقيَّة الرِّجال لم تكن طيِّبةً قَطُّ. عندما رأى چون خاطبَه قائلًا: «اليوم هادئ، لا شيء يستحقُّ الإبلاغ عنه، باستثناء جوَّالَي الطَّريق الخطأ».

- «جوَّالا الطَّريق الخطأ؟».

أجابَ كِدچ بابتسامةٍ عريضة: «فارسان خرجا قبل ساعةٍ جنوبًا على (طريق الملوك). حين رآهما دايوين يرحلان قال إن الأحمقين الجنوبيَّين ذاهبان في الطَّريق الخطأ».

- «مفهوم».

عرفَ چون المزيد من دايوين نفسه فيما كان الحطَّاب العجوز يشرب حَساء الشَّعير في الثُّكنات، إذ أخبرَه: «أجل يا سيِّدي، لقد رأيتهما. إنهما هورپ وماسي. زعما أن ستانيس أرسلَهما في مهمَّة، لكنهما لم يَذكُرا أين أو لأيِّ غرض أو متى سيعودان».

السير ريتشارد هورپ والسير چاستن ماسي كلاهما من رجال الملكة، ومن أبرز مُستشاري الملك. فكَّر چون سنو: *كان اثنان من المُحاربين غير النِّظاميِّين يَصلُحان لو أن كلَّ ما يُريده ستانيس استطلاع الطَّريق، أمَّا الفُرسان فأصلح كرُسل أو مبعوثين.* كان كوتر پايك قد أرسلَ خبرًا من (القلعة الشَّرقيَّة) بأن لورد البصل وسالادور سان قد أبحَرا إلى (الميناء الأبيض) للتَّفاوُض مع اللورد ماندرلي، ومن المنطقي أن يُرسِل ستانيس مبعوثين آخَرين، فجلالته ليس بالرَّجل الصَّبور.

على أن عودة جوَّالَي الطَّريق الخطأ مسألة أخرى. قد يكونان فارسين، لكنهما لا يعرفان الشَّمال. *ستكون على (طريق الملوك) اعيُن، وليس جميعها لأصدقاء.* ليس هذا من شأنه على كلِّ حال! *فليحتفظ ستانيس بأسراره. الآلهة تعلم أن لي أسراري أيضًا.*

نامَ جوست عند قدم فِراشه ليلتها، وهذه المرَّة لم يَحلُم چون بأنه ذئب، وعلى الرغم من هذا كان نومه متقطِّعًا، وقد راحَ يتقلَّب لساعاتٍ قبل أن ينزلق إلى كابوسٍ كانت جيلي بطلته، تبكي وتتوسَّل إليه أن يدع صغيريها وشأنهما، لكنه انتزعَ الطِّفلين من بين ذراعيها وبترَ رأسيهما، ثم بدَّل الرَّأسين وقال لها أن تخيط كلًّا منهما ببدن الآخَر.

حين استيقظَ وجدَ إد توليت واقفًا فوقه في ظُلمة غُرفة نومه يقول: «سيِّدي، حانَ الوقت. إنها ساعة الذِّئب[18]. كنت قد تركت أوامر بإيقاظك».

أزاحَ چون أغطيته مجيبًا: «أحضِر لي شيئًا ساخنًا».

عادَ إد مع فروغه من ارتداء ثيابه ووضعَ في يديه كوبًا يتصاعَد منه البُخار. توقَّع چون أنه نبيذ متبَّل ساخن، وفاجأه أن وجدَه حَساءً خفيفًا فيه رائحة الكُرَّات والجزر لكن لا كُرَّات فيه أو جزر. *الرَّوائح أقوى في أحلام الذِّئاب، والطَّعام أشهى أيضًا*. جوست حيٌّ *أكثر* مني. بعد أن شربَ تركَ الكوب الفارغ على كور الحدادة.

ألفى كِجز واقفًا حراسةً على بابه هذا الصَّباح، فقال له: «سأريدُ أن أتكلَّم مع بدويك وچانوس سلينت. اجعلهما يأتيان هنا عند طلوع الفَجر».

في الخارج كان العالم أسود ساكنًا. برد، *ولكن ليس زمهريرًا، ليس بعدُ. سيكون الجوُّ أدفأ حين تُشرِق الشَّمس، وإذا شاءَت الآلهة فقد يَقطُر (الجِدار)*. لمَّا بلغَ ساحة الأُشنة وجدَ أن الرَّكب اتَّخذ تشكيل الحركة بالفعل. كان چون قد ولَّى چاك بولوار الأسود الحراسة المُرافِقة، تحت قيادته دستة من الجوَّالة الرَّاكبين وعربتان. إحدى العربتين تتكوَّم عليها الصَّناديق والأقفاص والأجولة التي تحوي مؤن الرِّحلة، والثَّانية لها سقف يابس من الجِلد المقوَّى للوقاية من الرِّيح، وقد جلسَ المِايستر إيمون في مؤخِّرتها تحت فروة دُبٍّ ضخمة تجعله يبدو صغيرًا كالأطفال، ووقفَ سام على مقربةٍ مع جيلي. رأى عينيها محمرَّتين منتفختين، لكن الصَّبي بين ذراعيها ملفوف بإحكام. سواء أكان ابنها أم ابن دالا لا يدري، فهو لم يرَ الاثنين معًا إلَّا مرَّاتٍ قليلة. صبيُّ جيلي أكبر، وصبيُّ دالا أقوى، لكن الاثنين قريبان في السِّنِّ والحجم حتى إن من لا يعرفهما جيِّدًا لا يستطيع التَّمييز بينهما بسهولة.

ناداه المِايستر إيمون قائلًا: «لورد سنو، لقد تركتُ لك كتابًا في مسكنك، (خُلاصة اليَشب) الذي كتبَه المُغامر القولانتيني كولوكو قوتار، الذي سافرَ إلى الشَّرق وزارَ جميع أراضي (بحر اليَشب). هناك فقرة قد تُثير اهتمامك، قلتُ لكلايداس أن يُعَلِّمها لك».

- «سأحرصُ على قراءتها».

مسحَ المِايستر إيمون أنفه، وقال: «المعرفة سلاح يا چون، فسلِّح نفسك جيدًا قبل أن تخوض المعركة».

ردَّ چون: «سأفعلُ»، ثم إنه شعرَ بشيءٍ بارد بليل على وجهه، ولمَّا رفعَ عينيه وجدَ الثَّلج يَسقُط. نذير سوء. التفتَ إلى چاك بولوار الأسود قائلًا: «أسرِعوا قدر الإمكان، لكن لا داعي للمُخاطرات الحمقاء. إن معكم رجلًا عجوزًا وطفلًا رضيعًا. احرص على دفئهم وإطعامهم جيِّدًا».

دون أن يبدو عليها استعجال ركوب العربة قالت جيلي: «افعل المِثل يا سيِّدي، افعل المِثل مع الآخَر، اعثُر له على مُرضِعةٍ كما قلت، لقد وعدتني بأنك ستفعل. الصَّبي... صبيُّ دالا... أعني الأمير الصَّغير... اعثُر له على امرأةٍ صالحة ليَكبُر قويًّا».

- «لكِ كلمتي».

- «إياكم أن تُسمُّوه، لا تفعلوا هذا قبل أن يتجاوَز العامين. تسميتهم وهُم ما زالوا يرضعون طالع سيِّئ. ربما لا تعرفون هذا أيها الغِربان، لكنه صحيح».

- «كما تأمرين يا سيِّدتي».

ردَّت: «لا تُنادِني بهذا. أنا أُم ولستُ سيِّدة أحد، أنا زوجة كراستر وابنته، وأُم»، ثم ناولَت الطِّفل لإد الكئيب فيما صعدَت إلى العربة وغطَّت نفسها بالجلود، وعندما ناولَها إد الصَّغير ألقمَته ثديها، فأشاحَ سام بوجهه المتورِّد عن المنظر وامتطى فَرسه بحركةٍ ثقيلة.

طرقعَ چاك بولوار الأسود بسوطه وقال آمرًا: «هيا بنا»، وبدأت العربتان تتحرَّكان.

تخلَّف سام عن الآخَرين لحظةً ليقول: «حسن، وداعًا».

قال إد الكئيب: «ووداعًا لك يا سام. لا أظنُّ أن سفينتك ستغرق. السُّفن لا تغرق إلَّا عندما أكونُ على متنها».

متذكِّرًا قال چون: «أول مرَّةٍ رأيث جيلي كان ظَهرها ملتصقًا بجِدار (قلعة كراستر)، تلك الفتاة النَّحيلة ذات الشَّعر الدَّاكن والبطن المنتفخ، منكمشة رُعبًا من جوست. كان قد افترسَ أرانبها، وأظنُّ أنها خافَت أن يُمزِّق بطنها ويلتهم جنينها... ولكن الذِّئب لم يكن ما عليها أن تخافه، أليس كذلك؟».

أجابَ سام: «إنها تمتلك شَجاعةً أكثر مما تحسب».

قال چون: «وكذلك أنا يا سام. رحلةً سريعةً آمنةً، واعتنِ بها وبإيمون والطِّفل». ذكَّرته رقائق الثَّلج الذَّائبة على وجه سام بيوم ودَّع روب في (وينترفل) دون أن يعلما أنها المرَّة الأخيرة، فأضافَ: «وارفع قلنسوتك. نُدف الثَّلج تذوب في شَعرك».

ولدى غياب الرَّكب الصَّغير عن الأعيُن كانت سماء الشَّرق قد استحالَت من الأسود إلى الرَّمادي واشتدَّ سقوط الثَّلج.

ذكَّره إد الكئيب قائلًا: «سيكون العملاق في انتظار حضرة القائد، وچانوس سلينت أيضًا».

قال چون سنو: «نعم»، ورفعَ عينيه إلى (الجِدار) الشَّاهق كجُرفٍ من الجليد. *يمتدُّ مئة فرسخٍ من أقصاه إلى أقصاه ويرتفع سبعمئة قدم.* قوَّة (الجِدار) تَكمُن في عُلوِّه، وضعفه في طوله. تذكَّر چون شيئًا قاله أبوه ذات مرَّة: *أيُّ جِدارٍ ليس قويًّا إلَّا إذا كان من يُدافِعون عنه أقوياء.* رجال حَرس اللَّيل شُجعان، لكن أعدادهم قليلة للغاية مقارنةً بالمهمَّة التي تُواجِههم.

كان العملاق منتظرًا في مستودَع السِّلاح. اسمه الحقيقي بدويك، وبطوله الذي لا يتعدَّى الأقدام الخمسة يُعَدُّ أصغر الرِّجال حجمًا في حَرس اللَّيل. بلا تمهيدٍ خاطبَه چون قائلًا: «نحتاج إلى المزيد من الأعيُن على (الجِدار)، إلى قلاعٍ فرعيَّة تستطيع دوريَّاتنا الاحتماء فيها من البرد والحصول على طعامٍ ساخن وخيولٍ جديدة. سأضعُ حاميةً في (باب الجليد) وسأولِّيك قيادتها».

وضعَ العملاق طرف خنصره في أُذنه يُنظِّفها من الشَّمع، وقال: «القيادة؟ أنا؟ سيِّدي يعلم أنني ابن مُزارع وأنني على (الجِدار) لأنني اعتدتُ سرقة الصَّيد، أليس كذلك؟».

- «إنك جوَّال منذ دستةٍ من الأعوام، ونجوت من (قبضة البَشر الأوائل) و(قلعة كراستر) وعُدت لتحكي عنهما. الرِّجال الأصغر يتطلَّعون إليك».

ضاحكًا قال الرَّجل الصَّغير: «فقط الأقزام يتطلَّعون إليَّ. أنا لا أعرفُ القراءة يا سيِّدي، وفي أفضل الأحوال أستطيعُ كتابة اسمي».

- «لقد أرسلتُ إلى (البلدة القديمة) أطلبُ المزيد من المِايسترات. سيكون معك غُدافان تستعين بهما حينما تكون حاجتك ماسَّةً، وإذا لم تكن كذلك فأرسِل خيَّالةً. إنني أنوي إقامة خطٍّ من أبراج المنارات على قمَّة (الجِدار) إلى أن يُصبِح لدينا المزيد من المِايسترات والطُّيور».

- «وكم أحمق مسكينًا سيكون تحت قيادتي؟».

أجابَ چون: «عشرون من الحَرس ونِصف هذا العدد من ستانيس». *مسنُّون أو معدومو الخبرة أو جرحى*. «لن يكونوا من خيرة رجاله، ولا أحد منهم سيرتدي أسود حَرس اللَّيل، لكنهم سيُطيعونك. عليك باستغلالهم كيفما استطعت. أربعة من الإخوة الذين سأرسلهم معك سيكونون من أبناء (كينجز لاندنج) الذين أتوا إلى (الجِدار) مع اللورد سلينت. أبقِ عينًا على هؤلاء وترقَّب المتسلِّقين بالثَّانية».

- «يُمكننا ترقُّبهم يا سيِّدي، لكن إذا بلغَ عدد كافٍ من المتسلِّقين قمَّة (الجِدار) فلن يكفي ثلاثون رجلًا لصدِّهم».

وقد لا يكفي ثلاثمئة. احتفظَ چون بهذا الشَّكِّ لنفسه. صحيحٌ أن المتسلِّقين يكونون في موقفٍ في غاية الضَّعف وهُم يصعدون، إذ يُمكن إمطارهم من أعلى بالحجارة والحِراب وجِرار القار المحترق، وما بإمكانهم إلَّا التَّشبُّث بيأسٍ بالجليد. وأحيانًا يبدو كأن (الجِدار) نفسه يُدافِع عن نفسه، ينفضهم عنه كما ينفض الكلب البراغيث، وقد شهدَ چون هذا بأُمِّ عينيه عندما انشقَّ لوح من الجليد تحت چارل عشيق ڤال وألقى به من حالق إلى حتفه.

لكن إذا بلغَ المتسلِّقون قمَّة (الجِدار) دون أن يلحظهم أحد تغيَّر كلُّ شيء، فمع الوقت يُمكنهم أن يُقيموا موطئ قدمٍ لأنفُسهم هناك ويرفعوا متاريسهم الخاصَّة ويُلقوا الحبال والسَّلالم لآلافٍ آخَرين ليتسلَّقوا وراءهم. هكذا فعلَها رايمون ذو اللِّحية الحمراء، رايمون الذي كان ملك ما وراء الجِدار في أيام جدِّ جدِّه. في ذلك الحين كان چاك موسجود قائد حَرس اللَّيل، چاك المسرور كما كان لقبه قبل أن يتهجَّم ذو اللِّحية الحمراء على الشَّمال، وچاك الغافي كما عُرِفَ إلى الأبد بعدها. لاقى جيش رايمون نهايةً داميةً على شواطئ (البُحيرة الطَّويلة)، إذ وقعَ بين مطرقة اللورد ويلام سيِّد (وينترفل) وسندان العملاق السكِّير هارموند أومبر، وسقطَ ذو اللِّحية الحمراء قتيلًا بيد آرتوس العنيد شقيق اللورد ويلام الصَّغير. وصلَ رجال حَرس اللَّيل لقتال الهَمج متأخِّرين، ولكن في الوقت المناسب لدفنهم، وهو الواجب الذي كلَّفهم به آرتوس ستارك في غضبته الحزينة على جثَّة أخيه مقطوعة الرَّأس.

لا ينوي چون أن يَذكُره النَّاس باعتباره چون سنو الغافي، وهكذا قال للعملاق: «ثلاثون رجلًا فُرصتهم أفضل من لا أحد».

قال الرَّجل الصَّغير: «صحيح. أهي (باب الجليد) وحدها أم أن سيِّدي سيفتح القلاع الأخرى أيضًا؟».

- «أنوي تزويد كلٍّ منها بحاميةٍ مع الوقت، لكن في الوقت الرَّاهن ستكون (باب الجليد) و(الحارس الرَّمادي) فقط».

- «وهل قرَّر سيِّدي من سيقود في (الحارس الرَّمادي)؟».

- «چانوس سلينت». *ولتُنقِذنا الآلهة*. «لا أحد يترقَّى إلى قيادة ذوي المعاطف الذَّهبيَّة بلا كفاءة. لقد وُلِدَ سلينت ابنًا لجزَّار. كان قائد (البوَّابة الحديديَّة) عندما ماتَ مانلي ستوكوورث، ورقَّاه چون آرن ووضعَ دفاعات (كينجز لاندنج) بين يديه. لا يُمكن أن يكون اللورد چانوس أحمق كبيرًا كما يبدو». *وأريده بعيدًا تمامًا عن أليسر ثورن*.

قال العملاق: «قد يكون ذلك صحيحًا، لكنني كنتُ لأرسله إلى المطابخ يُساعِد هوب ذا الثَّلاثة أصابع على تقطيع اللِّفت».

لو فعلتُ فلن أجرؤ على أكل اللِّفت ثانيةً أبدًا.

مرَّ نِصف الصَّباح قبل أن يظهر اللورد چانوس ملبِّيًا الأمر. كان چون يُنظِّف سيفه (المخلب الطَّويل)، وهو العمل الذي عادةً ما يُكلَّف به وكيل أو مُرافق، لكن اللورد إدارد علَّم أبناءه العناية بأسلحتهم بأنفُسهم. حين وصلَ كِجز وإد الكئيب مع سلينت شكرَهما چون ودعا اللورد چانوس إلى الجلوس.

وقد جلسَ، ولكن بفظاظة، عاقدًا ذراعيه على صدره وعابسًا ومتجاهلًا الفولاذ المجرَّد في يد قائده. مرَّر چون قطعة القُماش المزيَّتة على نصل سيفه النَّغل[19] مشاهدًا ضوء الصَّباح يتلاعَب على التَّموُّجات في قلب الفولاذ، ومفكِّرًا في السُّهولة التي يُمكن أن يشقَّ بها النَّصل جِلد وشحم وأوتار سلينت ليفصل رأسه القبيح عن بدنه. عندما ينخرط الرَّجل في حَرس اللَّيل تُغفَر جرائمه كلُّها ويتخلَّى عن ولاءاته جميعها، إلَّا أن چون يجد التَّفكير في چانوس سلينت باعتباره أخًا عسيرًا. *إن بيننا دمًا. هذا الرَّجل ساعدَ على قتل أبي وبذلَ قصارى جهده لقتلي أيضًا*.

دسَّ چون سيفه في غِمده قائلًا: «لورد چانوس، إنني أولّيك القيادة في (الحارس الرَّمادي)».

باغتَ قوله سلينت الذي ردَّ: «(الحارس الرَّمادي)... (الحارس الرَّمادي) هو المكان الذي تسلَّقت (الجِدار) عنده مع أصدقائك الهَمج...».

- «نعم. لا أنكرُ أن القلعة في حالةٍ مؤسفة، لكنك ستُجدِّدها وتُرمِّمها قدر استطاعتك. ابدأ بقطع أشجار الغابة، وخُذ الحجارة من المباني التي سقطَت لإصلاح تلك التي لا تزال قائمةً». كان ليُضيف: *سيكون العمل شاقًّا للغاية. ستنام على الحجر، أكثر إرهاقًا من أن تشكو أو تتآمَر، وسرعان ما ستنسى معنى الدِّفء، ولكن قد تتذكَّر معنى أن تكون رجلًا.* «سيكون معك ثلاثون رجلًا، عشرة من هنا وعشرة من (بُرج الظِّلال) وعشرة أعارَنا إياهم الملك ستانيس».

اصطبغَ وجه سلينت بلون البرقوق المجفَّف، وبدأ لُغده اللَّحيم يرتجف وهو يقول: «أتحسبني لا أرى ما تفعله؟ چانوس سلينت ليس بالرَّجل الذي ينخدِع بسهولة. لقد كُلِّفتُ بالدِّفاع عن (كينجز لاندنج) وأنت لا تزال تبول في قِماطك. احتفظ بأطلالك أيها النَّغل».

إنني أعطيك فُرصةً يا سيِّدي، وهذا أكثر مما أعطيت أبي. «أسأت فهمي يا سيِّدي. هذا أمر لا طلب. المسافة إلى (الحارس الرَّمادي) أربعون فرسخًا. احزم أسلحتك ودرعك وودِّع أصدقاءك واستعدَّ للرَّحيل مع مطلع الفَجر غدًا».

قال اللورد چانوس: «لا»، وهبَّ واقفًا مسقطًا مقعده إلى الوراء، وتابعَ: «لن أذهب ذليلًا لأتجمَّد وأموت. لا نغل ابن خائن يُملي الأوامر على چانوس سلينت! أحذِّرك، إنني لستُ عديم الأصدقاء، هنا وفي (كينجز لاندنج) أيضًا. لقد كنتُ سيِّد (هارنهال)! أعطِ أطلالك لأحد الحمقى العميان الذين صوَّتوا لك، أمَّا أنا فلن أسمح لك. هل تسمعنى أيها الصَّبي؟ لن أسمح لك!».

- «ستفعل».

لم يُحاوِل سلينت مجرَّد الرَّد، لكنه ركلَ المقعد إلى الجانب في طريقه وهو خارج.

ما زالَ يراني صبيًّا، صبيًّا أخضر تُرهِبه الكلمات الغاضبة. ليس بوسعه إلَّا أن يأمل أن ينام اللورد چانوس اللَّيلة ويصحو ثائبًا إلى رُشده.

لكن الصَّباح التَّالي أثبتَ له أن أمله كان عبثًا.

وجدَ چون سلينت يتناوَل فطوره في القاعة العامَّة ومعه السير أليسر ثورن وعدد كبير من أنصارهما. كانوا يضحكون على شيءٍ ما عندما نزلَ چون السَّلالم مع إميت الحديدي وإد الكئيب، ووراءهم مولي والجواد وچاك كراب الأحمر ورستي فلاورز وأوين الجحش. كان هوب ذو الثَّلاثة أصابع يغرف الثَّريد من قِدره، وقد جلسَ رجال الملكة ورجال الملك والإخوة السُّود إلى موائدهم يأكلون من أوعية الثَّريد أو يملأون بطونهم بالخُبز المحمَّر واللَّحم المقدَّد. رأى چون پيپ وجرِن جالسيْن إلى مائدةٍ وباون مارش إلى أخرى، وشمَّ في الهواء رائحة الدُّخان والشَّحم، وسمعَ أصداء جلبة السَّكاكين والملاعق تتردَّد على السَّقف المقنطَر.

همدَت الأصوات جميعًا في الحال، وقال چون: «لورد سلينت، سأعطيك فُرصةً أخيرةً. ضَع هذه الملعقة واذهب إلى الاسطبلات. لقد أمرتهم بتجهيز حصانك بالسَّرج واللِّجام. الطَّريق إلى (الحارس الرَّمادي) طويل ووعر».

ردَّ سلينت: «عليك بالذَّهاب إذن أيها الصَّبي»، وضحكَ مسقطًا الثَّريد على صدره، قبل أن يُردِف: «أظنُّ أن (الحارس الرَّمادي) مكان ملائم لأمثالك، بعيدًا عن القوم الأتقياء الصَّالحين. إن علامة الوحش عليك أيها النَّغل».

- «هل تَرفُض طاعة أمري؟».

قال سلينت ولُغده يرتجف: «يُمكنك أن تدسَّ أمرك في مؤخِّرتك أيها النَّغل».

ارتسمَت بسمة رفيعة على شفتَي أليسر ثورن وركَّز عينيه السَّوداوين على چون، في حين بدأ جودري قاتِل العمالقة الجالس إلى مائدةٍ أخرى يضحك.

قال چون: «كما تُريد»، وأومأ برأسه لإميت الحديدي قائلًا: «من فضلك خُذ اللورد چانوس إلى (الجِدار)...».

... *واحبسه في زنزانةٍ جليديَّة*. كان ليقول هذا، فلا شكَّ لديه في أن يومًا أو عشرةً من الحبس داخل الجليد كفيلة بترك سلينت مرتجفًا محمومًا يتوسَّل إطلاق سراحه. *وما إن يَخرُج سيبدأ هو وثورن التآمر من جديد*.

... *وقيِّده إلى حصانه*. كان ليقول هذا أيضًا، فإذا كان سلينت لا يرغب في الذَّهاب إلى (الحارس الرَّمادي) كقائدها فليذهب كطبَّاخها. *وعندئذٍ ستكون مسألة وقتٍ قبل أن يتهرَّب. وكم رجلًا سيأخذ معه وقتها؟*

وهكذا أنهى چون عبارته: «... واشنُقه».

وغاضَت الدِّماء من وجه چانوس سلينت حتى حاكى لون الحليب وسقطَت الملعقة من بين أصابعه.

قطعَ إد وإميت القاعة بخُطواتٍ رنَّت على أرضيَّتها الحجريَّة، وانفتحَ فم باون مارش وانغلقَ دون أن تَخرُج منه كلمة، ومدَّ السير أليسر ثورن يده إلى مقبض سيفه، ففكَّر چون الذي علَّق مخلبه الطَّويل على ظَهره: *هلمَّ، جرِّد فولاذك، أعطِني سببًا لأفعل المِثل*.

نهضَ نِصف من في القاعة من رجال، الفُرسان والجنود الجنوبيُّون، المُخلصون للملك ستانيس أو المرأة الحمراء أو الاثنين، وإخوان حَرس اللَّيل المحلَّفون. بعضهم اختارَ چون قائدًا، وبعضهم صوَّت لباون مارش أو السير دينس ماليستر أو كوتر پايك... وبعضهم لچانوس سلينت. *مئات منهم كما أذكرُ*. تساءلَ چون كم من هؤلاء الرِّجال في القبو الآن، وللحظةٍ تراقصَ العالم على حافة سيف.

ثم رفعَ أليسر ثورن يده عن سيفه وأفسحَ الطَّريق لإد توليت.

قبضَ إد الكئيب على ذراع سلينت وإميت الحديدي على الثَّانية، ومعًا سحباه من على الدِّكَّة، ومحتجًّا صاحَ اللورد چانوس والثَّريد يتناثَر من بين شفتيه: «لا، لا، اترُكاني. إنه مجرَّد صبي، إنه نغل! أبوه كان خائنًا. علامة الوحش عليه، ذئبه هذا... اترُكاني! ستندمان على اليوم الذي وضعتما فيه يدًا على چانوس سلينت. إن لي أصدقاء في (كينجز لاندنج). أحذِّركما...»، وظلَّ يعترض وهما يصعدان به على السَّلالم بحركةٍ هي تارة جرٌّ وتارة دفْع.

تبعَهم چون إلى الخارج، ومن ورائه فرغ القبو من شاغليه. عند القفص تملَّص سلينت لحظةً وحاولَ أن يُحوِّل الأمر إلى قتال، لكن إميت أمسكَه من عُنقه وضربَ به القضبان الحديد إلى أن أمسكَ عن المقاوَمة، وعندئذٍ كانت (القلعة السَّوداء) كلُّها خرجَت تتفرَّج، حتى ڤال في نافذتها وقد تدلَّت ضفيرتها الذَّهبيَّة من على كتفها، وستانيس الذي وقفَ على درجات (بُرج الملك) محاطًا بفُرسانه.

سمعوا اللورد چانوس يقول: «إذا كان الصَّبي يحسب أنه سيُخيفني فهو مخطئ. لن يجرؤ على شنقي. چانوس سلينت له أصدقاء، أصدقاء مهمُّون، سترون...»، وذرَت الرِّيح بقيَّة عبارته.

فكَّر چون: *هذا خطأ*، ثم قال: «توقَّف».

التفتَ إليه إميت مقطِّبًا وجهه، وغمغمَ: «سيِّدي؟».

قال چون: «لن أشنقه. أحضِره إلى هنا».

وسمعَ باون مارش يصيح: «أوه، بحقِّ الآلهة».

حملَت الابتسامة التي ابتسمَها اللورد چانوس سلينت لحظتها كلَّ ما في الزُّبدة الفاسدة من حلاوة... إلى أن أضافَ چون: «إد، اجلب لي قُرمةً»، واستلَّ مخلبه الطَّويل.

لدى عثور إد على قُرمةٍ مناسبة كان اللورد چانوس قد تراجعَ إلى داخل القفص من جديد، لكن إميت الحديدي دخلَ وراءه وسحبَه إلى الخارج، وفيما جرَّه إميت ودفعَه عبر السَّاحة صاحَ سلينت: «لا. اترُكني... لا يُمكنك... حين يسمع تايوين لانستر بهذا ستندمو...».

ركلَ إميت ساقيه من تحته، ثم ثبَّت إد الكئيب قدمه على ظَهره ليُبقيه على رُكبتيه فيما دفعَ إميت القُرمة تحت رأسه، وقال له چون سنو: «سيكون الأمر أسهل إذا بقيت ساكنًا. تحرَّك لتفادي الضَّربة وستموت أيضًا، لكن ميتتك ستكون أقبح. مدَّ عُنقك يا سيِّدي». تلاعبَ ضوء الصَّباح الشَّاحب على نصله إذ أحكمَ چون كلتا يديه على مقبض سيفه النَّغل ورفعَه عاليًا، قبل أن يقول متوقِّعًا شتيمةً أخيرةً: «إذا كانت لديك كلمات أخيرة فالآن الوقت المناسب لقولها».

لوى چانوس سلينت رقبته ليَنظُر إليه قائلًا: «أرجوك يا سيِّدي، الرَّحمة. سـ... سأذهبُ، سأذهبُ، سـ...».

قال چون في نفسه: *لا، لقد أغلقت ذلك الباب*، وهوى مخلبه الطَّويل.

وسألَ أوين الجحش ورأس چانوس سلينت يتدحرَج على الأرض الموحلة: «هل يُمكنني أن آخذ حذاءه؟ إنه جديد تقريبًا، ومبطَّن بالفرو».

ألقى چون نظرةً إلى الوراء نحو ستانيس، وللحظةٍ التقَت أعيُنهما، ثم أومأ الملك برأسه وعادَ يَدخُل بُرجه.

---

(17) الأُشنة كائنات تعايُشيَّة تتكوَّن من ترافُق بين الطَّحالب الخضراء أو الجراثيم الزَّرقاء والفطريَّات، وتنمو على الأبنية القديمة والقبور، ولذا يُطلَق على ساحات المقابر هذا الاسم. (المترجم).

(18) في عالم الرِّواية ساعة الذِّئب هي الفترة الأشدُّ حلكةً من اللَّيل، تسبقها -بالتَّرتيب- ساعة الوطواط وساعة ثُعبان الماء وساعة الأشباح وساعة البومة، وتليها ساعة العندليب،

ثم الفَجر. (المُترجم).

(19) السَّيف النَّغل مصطلح يُطلَق في عالمَي الواقع والرِّواية على السَّيف الذي يقع حجمه بين السَّيف الطَّويل والسَّيف العظيم الذي يُحمَل باليدين، ويُطلَق عليه أيضًا «يد ونصف». يُلاحَظ أن (المخلب الطَّويل) أقرب إلى السَّيف العظيم، لكنه يُحمَل بيدٍ واحدة. (المُترجم).

استيقظَ ليجد نفسه وحده والهودج متوقِّفًا.

رأى القزم كومةً من الوسائد المكبوسة تُبيِّن البُقعة التي كان إليريو مضطجعًا فيها، وأحسَّ بحَلقه جافًّا خشنًا. لقد حلمَ... بِمَ حلمَ؟ لا يَذكُر.

بالخارج سمعَ أصواتًا تتكلَّم بلُغةٍ يجهلها، وهكذا دفعَ تيريون ساقيه بين السَّتائر ووثبَ إلى الأرض ليجد الماچستر إليريو واقفًا عند الخيول مع خيَّاليْن فوق حصانيهما، كلاهما يرتدي قميصًا من الجِلد البالي تحت معطفٍ من الصُّوف البنِّي الدَّاكن، لكن سيفيهما مُغمدان والرَّجل البدين لا يبدو في خطر.

أعلنَ القزم: «أريدُ أن أبول»، وذهبَ متمايلًا إلى جانب الطَّريق وحلَّ سراويله وقضى حاجته على كُتلةٍ متشابكة من الأشواك، وهو ما استغرقَ وقتًا طويلًا.

علَّق صوت: «على الأقل يُجيد التَّبوُّل».

نفضَ تيريون آخِر القطرات ودسَّ ذَكره في سراويله قائلًا: «التَّبوُّل أقل مواهبي. يَجدُر بك أن تراني أتبرَّزُ»، والتفتَ إلى إليريو سائلًا: «هل تعرف هذين الرَّجلين أيها الماچستر؟ يبدوان كالخارجين عن القانون. هل أحضرُ فأسي؟».

- «فأسك؟!»، ردَّد أكبر الخيَّاليْن حجمًا، وهو رجل متين البنيان له لحية مشعثة وشَعر بُرتقالي. «هل سمعت يا هالدون؟ الرَّجل الصَّغير يُريد أن يُقاتِلنا!».

رفيقه أكبر سِنًّا، وجهه الحليق متغضِّن قشِف، وشَعره مسحوب ومعقود وراء رأسه، وقد أعلنَ: «كثيرًا ما يجنح الرِّجال الصِّغار إلى إثبات شَجاعتهم بالتَّباهي بأشياء زائفة. أشكُّ في أنه يستطيع أن يَقتُل بطَّةً».

هزَّ تيريون كتفيه، وقال: «هاتِ البطَّة».

ردَّ الخيَّال: «إذا كنت مصرًّا»، ونظرَ إلى رفيقه.

واستلَّ الرَّجل مفتول العضلات سيفًا نغلًا قائلًا: «أنا البطَّة أيها الثَّرثار المزعج الصَّغير».

أوه، بحقِّ الآلهة. «كنتُ أفكِّرُ في بطَّةٍ أصغر».

هدرَ الرَّجل الكبير بالضَّحك، وقال: «هل سمعت يا هالدون؟ يُريد بطَّةً أصغر!».

أجابَ المسمَّى هالدون: «سيُرضيني تمامًا أن تكون واحدةً أهدأ»، وتفرَّس في تيريون بعينين رماديَّتين فاترتين، قبل أن يلتفت إلى إليريو ويسأله: «معك بعض الصَّنايق لنا؟».

- «وبغال تحملها».

- «البغال بطيئة للغاية. إن معنا خيول شحن سننقل الصَّناديق إليها. تولَّ هذا أيها البطَّة».

عادَ الرَّجل الكبير يدسُّ سيفه في غِمده قائلًا: «لماذا يتولَّى البطَّة كلَّ شيءٍ دائمًا؟ ما الذي تتولَّاه أنت يا هالدون؟ مَن الفارس هنا؟ أنا أم أنت؟»، وعلى الرغم من هذا تحرَّك بخُطواتٍ ثقيلة نحو البغال.

سألَ إليريو والصَّناديق تُنقَل: «كيف حال فتانا؟». أحصى تيريون ستَّةً، صناديق من خشب السَّنديان مزوَّدة بأقفال حديد، وقد رفعَ المدعو البطَّة كلًّا منها بسهولةٍ على كتفٍ واحدة.

- «يُعادِل جريف طولًا الآن. قبل ثلاثة أيام أسقطَ بطّتنا في حوض سقي الخيول».

- «لم يُسقِطني، بل سقطتُ بإرادتي لأجعله يضحك».

ردَّ هالدون: «ونجحَت خطَّتك. أنا نفسي ضحكتُ».

قال إليريو: «في أحد الصَّناديق هديَّة للفتى، القليل من الزَّنجبيل المحلَّى. لقد كان مولعًا به دومًا»، وأضافَ بنبرةٍ حزينة غريبة: «خطرَ لي أن أواصل الطَّريق معكم إلى (جويان درو). مأدبة وداع قبل أن تبدأوا رحلتكم النَّهريَّة...».

قاطعَه هالدون: «لا وقت لدينا للمآدب يا سيِّدي. جريف ينوي أن يتحرَّك ما إن نعود. لقد بلغَتنا أنباء من اتِّجاه النَّهر الآخَر، وكلُّها سيِّئ. الدوثراكي شوهِدوا شمال (بُحيرة الخناجر)، كشَّافة من گالاسار موثو العجوز، والگال زِكو وراءه بمسافةٍ قصيرة، يقطع (غابة كوهور)».

أصدرَ الرَّجل البدين صوتًا بذيئًا، وقال: «زِكو يزور (كوهور) كلَّ ثلاثة أو أربعة أعوام، فيُعطيه الكوهوريُّون جوالًا من الذَّهب ويعود أدراجه شرقًا. أمَّا موثو فرجاله يُدانونه في الشَّيخوخة، وعددهم يقلُّ كلَّ عام. التَّهديد الحقيقي هو...».

أكملَ هالدون عبارته: «... الگال پونو. موثو وزِكو يفرَّان منه إذا صدقَت الأخبار. آخِرها يقول إن پونو كان قُرب منابع (السِّلهورو) بگالاسار قوامه ثلاثون ألفًا. جريف لا يُريد المخاطرة بالوقوع بينهم إذا قرَّر پونو عبور (الروين)»، وألقى نظرةً نحو تيريون متسائلًا: «هل يُجيد القزم الرُّكوب مِثلما يُجيد التَّبوُّل؟».

أسرعَ تيريون يقول قبل أن يُجاوِب سيِّد الأجبان نيابةً عنه: «إنه يركب، ولو أنه يُفضِّل الرُّكوب بسَرجٍ خاص وحصانٍ يعرفه جيِّدًا. إنه يتكلَّم أيضًا».

- «واضح. أنا هالدون، المُعالج في أخوَّتنا الصَّغيرة، وبعضهم يدعوني بالنِّصف مِايستر. رفيقي هو السير بطَّة».

عقَّب الرَّجل الكبير: «السير رولي، رولي حقل البط. أيُّ فارسٍ يستطيع أن يُنصِّب أيَّ رجلٍ فارسًا، وجريف نصَّبني. وأنت أيها القزم؟».

مسرعًا أجابَه إليريو: «اسمه يولو».

يولو؟ يولو اسم تُطلِقه على قرد. والأسوأ أنه اسم پنتوشي، وأيُّ أحمق يرى بوضوحٍ أن تيريون ليس من (پنتوس). هكذا قال بسرعةٍ كي يُنقِذ الموقف: «في (پنتوس) اسمي يولو، لكن أمِّي سمَّتني هيوجور هيل».

سألَه هالدون: «أأنت ملك صغير أم نغل صغير؟».

أدركَ تيريون أن من صالحه أن يأخذ الحذر مع هالدون النِّصف مِايستر، فأجابَ: «كلُّ قزمٍ في العالم نغل في عينَي أبيه».

- «لا شكَّ. حسن يا هيوجور هيل، أجِبني عن هذا السُّؤال. كيف قتلَ سروين ذو التُّرس المرآة التنِّين أوراكس؟».

- «تقدَّم منه رافعًا تُرسه أمامه، فلم يرَ أوراكس إلَّا انعكاسه حتى غرسَ سروين حربته في عينه».

لم يبدُ على هالدون الإعجاب، وقال: «حتى بطَّتنا يعرف تلك الحكاية. هل يُمكنك أن تُخبِرني باسم الفارس الذي جرَّب الحيلة نفسها مع ڤاجهار خلال رقصة التَّنانين؟».

أجابَ تيريون بابتسامةٍ واسعة: «السير بايرون سوان، وكان مصيره الشَّي... لكن التنِّينة كانت سايراكس لا ڤاجهار».

- «أخشى أنك مخطئ. في (رقصة التَّنانين، قصَّة حقيقيَّة) كتبَ المِايستر مونكون...».

- «... أنها كانت ڤاجهار. المِايستر -الأكبر- مونكون مخطئ. مُرافق السير بايرون رأى سيِّده يموت وكتبَ لابنته يصف موته، وتقول حكايته إنها سايراكس تنِّينة رينيرا، وهو المعقول أكثر من نُسخة مونكون من الحكاية. سوان كان ابنًا لأحد لوردات (التُّخوم)، و(ستورمز إند) كانت تُؤيِّد إجون، وڤاجهار كان راكبها آنذاك الأمير إيموند شقيق إجون، فلِمَ يرغب سوان في قتلها؟».

زمَّ هالدون شفتيه قائلًا: «حاول ألَّا تَسقُط من فوق الحصان، وإذا فعلت فخيرٌ لك أن ترجع إلى (پنتوس) مشيًا. عذراؤنا الخجول لن تنتظر رجلًا أو قزمًا».

- «الخجول نوع العذراء المفضَّل عندي، بعيدًا عن الخليعة. أخبِرني، أين تذهب العاهرات؟».

- «هل أبدو كرجلٍ يتردَّد إلى العاهرات؟».

ضحكَ البطَّة بسُخريةٍ قائلًا: «ليس يجرؤ، وإلَّا لجعلَته ليمور يُصلِّي طالبًا العفو وأرادَ الفتى أن يذهب معه، وقد يقطع جريف قضيبه ويَحشُره في حَلقه».

قال تيريون: «المِايستر لا يحتاج إلى قضيب».

- «لكن هالدون نِصف مِايستر فقط».

قال هالدون: «يبدو أنك تجد القزم مسلِّيًا أيها البطَّة. يُمكنه أن يركب معك إذن»، ودارَ بحصانه.

استغرقَ البطَّة بضع دقائق أخرى في تثبيت صناديق إليريو على ظهور أحصنة الشَّحن الثَّلاثة، وعندئذٍ كان هالدون قد اختفى، لكن قلقًا لم يبدُ على رفيقه، الذي وثبَ يعتلي سَرجه، ثم أمسكَ تيريون من ياقته ورفعَ الرَّجل الصَّغير واضعًا إياه أمامه، وقال له: «تمسَّك جيِّدًا بقرن السَّرج وستكون بخير. هذه الفَرس مشيتها مريحة متَّزنة، وطريق التَّنانين ناعم كمؤخِّرة فتاة»، ثم جمعَ السير رولي العِنان في قبضته اليُمنى وحبال الخيول الأخرى في اليُسرى، وانطلقَت فَرسه تخبُّ برشاقة.

ناداهما إليريو قائلًا: «حظًّا سعيدًا. قولا للفتى إنني آسفٌ لأني لن أكون معه في زفافه. سأنضمُّ إليه في (وستروس)، أقسمُ على هذا بيدَي غاليتي سيرا».

عندما ألقى تيريون لانستر نظرةً أخيرةً على إليريو موپاتيس كان الماچستر واقفًا عند هودجه في ردائه المزركَش وقد تهدَّلت كتفاه، ومع تضاؤله في الغُبار الذي أثارَته خيولهم كادَ حجم سيِّد الأجبان يبدو صغيرًا.

لحقَ البطَّة بهالدون النِّصف مِايستر بعد رُبع ميل، ومن هناك واصَلا الطَّريق جنبًا إلى جنب، وتمسَّك تيريون بقرن السَّرج العالي وقد فرجَ ساقيه القصيرتين بغير راحةٍ عالمًا أن عليه أن يتوقَّع قروحًا وتشنُّجاتٍ وأوجاع الرُّكوب.

تساءلَ هالدون وهُم راكبون: «تُرى ماذا سيكون رأي قراصنة (بُحيرة الخناجر) في قزمنا؟».

ردَّ البطَّة: «أنه يَصلُح لعمل يخنة الأقزام؟».

وجَّه هالدون كلامه إلى تيريون: «أورهو الوسِخ أسوأهم. رائحته وحدها كفيلة بقتل المرء».

بهزَّةٍ من كتفيه قال: «من حُسن الحظّ أني بلا أنف».

منحَه هالدون ابتسامةً رفيعةً قائلًا: «إذا قابَلنا الليدي كورا على متن (أسنان الشَّمطاء) فقد تجد نفسك بلا أعضاء أخرى أيضًا. يُسمُّونها كورا الوحشيّة، وطاقم سفينتها من الشَّابَّات الجميلات اللاتي يخصين كلَّ رجلٍ يأسرنه».

- «مُرعب. قد أبولُ على نفسي».

قال البطَّة بقتامة: «خيرٌ لك ألَّا تفعل».

- «كما تقول. إذا قابَلنا الليدي كورا تلك فسأرتدي تنُّورةً وأقولُ إنني سرسي حسناء (كينجز لاندنج) الملتحية الشَّهيرة».

هذه المرَّة ضحكَ البطَّة، وقال هالدون: «يا لك من شخصٍ صغير طريف يا يولو. يقولون إن اللورد المُكفَّن يهب عطيَّةً لأيِّ أحدٍ ينجح في إضحاكه. سيختارك صاحِب الجلالة الرَّمداء لتحلية بلاطه الحجري».

رمقَ البطَّة رفيقه بتوتُّرٍ قائلًا: «لا يُستحسَن المزاح عنه ونحن على هذه المقربة من (الروين). إنه يسمع».

قال هالدون: «الحكمة من منقار بطَّة. معذرةً يا يولو، ليس عليك أن يمتقِع وجهك هكذا، كنتُ أعابثك فقط. إن أمير (الويلات) لا يهب قُبلته الرَّمادية ببساطة».

قُبلته الرَّماديَّة. اقشعرَّ جِلده للفكرة. لقد فقدَ الموت مقدرته على إرهاب تيريون لانستر، لكن الدَّاء الأرمد مسألة أخرى. قال لنفسه: *اللورد المكفَّن ليس إلَّا أسطورةً، ليس حقيقيًّا أكثر من شبح لان الأريب الذي يدَّعي بعضهم أنه يَسكُن (كاسترلي روك)*. وعلى الرغم من هذا لزمَ الصَّمت.

لم يلحظا صمت القزم المفاجئ، إذ بدأ البطّة يُسلّيه بحكاية قصّة حياته. قال إن أباه كان صانع سلاحٍ في (جسر العلقم)، فوُلِدَ ورنين الفولاذ في أُذنيه وأحبَّ المبارزَة منذ سِنٍّ مبكّرة، وقد لفتَ صبيٌّ كبير الحجم بارز مِثله نظر اللورد كازويل العجوز، الذي عرضَ عليه موقعًا في حاميته، إلّا أن الصّبي أرادَ أكثر، لا سيّما أنه شاهدَ ابن كازويل الضّعيف يُسمّى وصيفًا ثم مُرافقًا وأخيرًا فارسًا. «كان وضيعًا مهزولًا ممصوص الوجه، لكن اللورد العجوز أنجبَ أربع بناتٍ وهذا الابن الوحيد، وعليه لم يكن مسموحًا لأحدٍ بأن يقول كلمةً ضده، حتى إن المُرافقين الآخَرين كانوا يجرؤون بالكاد على مسّه بإصبعٍ في السّاحة».

قال تيريون الذي يرى مسار الحكاية بوضوح: «لكنك لم تكن خانعًا».

تابع البطّة: «صنعَ لي أبي سيفًا بمناسَبة يوم ميلادي السّادس عشر، لكنه أعجبَ لورنت كثيرًا فأخذَه لنفسه، ولم يتجرّأ أبي اللّعين على الرّفض. لمّا شكوتُ قال لي لورنت في وجهي إن يدي مخلوقة لحمل المطرقة لا السّيف، فذهبتُ وجلبتُ مطرقةً وضربته بها إلى أن انكسرَت ذراعاه الاثنتان ونِصف ضلوعه، وبعدها كان عليّ أن أهرب من (المرعى) بأقصى سرعة. عبرتُ البحر والتحقتُ بالجماعة الذّهبيّة، وعملتُ صبيّ حدّادٍ بضعة أعوام، ثم جعلَني السير هاري ستريكلاند مُرافقه، وحين بعثَ جريف برسالةٍ عبر النّهر يَطلُب أحدًا يُساعِد على تدريب ابنه على السّلاح أرسلَني هاري إليه».

- «ونصّبك جريف فارسًا؟».

- «بعد عام».

قال هالدون النِّصف مِايستر بابتسامةٍ رفيعة: «لِمَ لا تُخبِر صديقنا الصَّغير بكيفيَّة حصولك على اسمك؟».

ردَّ الرَّجل الكبير بعناد: «الفارس يحتاج إلى أكثر من اسمٍ واحد، و... حسن، لقد كنا في حقلٍ حين نصَّبني، ورفعتُ نظري ورأيتُ تلك البطَّات، فـ... لا تضحك».

بُعيد غروب الشَّمس تركوا الطَّريق ليستريحوا في ساحةٍ ملأى بالحشائش إلى جوار بئرٍ حجريَّة قديمة. ترجَّل تيريون ليُدلِّك رَبلتَي ساقيه من التَّشنُّجات فيما سقى هالدون والبطَّة الخيول. ينبت العُشب البنِّي الخشن والحشائش الشَّجريَّة من الثَّغرات بين الأحجار، ومن الجُدران المغطَّاة بالطَّحالب التي ربما كانت لقصرٍ حجريٍّ عظيم في الماضي. بعد العناية بالدَّواب تقاسمَ الرَّاكبون عَشاءً بسيطًا من لحم الخنزير المملَّح والفاصوليا البيضاء الباردة والمِزر، ووجدَ تيريون في الوجبة البسيطة تغييرًا سارًّا عن الأطعمة الدَّسمة التي أكلَها مع إليريو. قال وهو يلوك: «تلك الصَّناديق التي جلبناها لكم، في البدء حسبتُ أن فيها ذهبًا للجماعة الذَّهبيَّة، إلى أن رأيتُ السير رولي يرفع أحدها على كتفٍ واحدة. لو كان مليئًا بالنُّقود لما استطاعَ حمله بهذه الشُّهولة».

قال البطَّة هازًّا كتفيه: «إنها دروع فحسب».

وأسرعَ هالدون يُضيف: «وثياب أيضًا، ثياب للبلاط من أجل أفراد مجموعتنا، أصواف ناعمة ومخمل ومعاطف حرير. المرء لا يَمثُل أمام ملكةٍ بلا هندام، ولا خالي الوفاض. لقد تلطَّف الماچستر بمدِّنا بهدايا مناسبة».

عادوا يركبون مع طلوع القمر، يخبُّون شرقًا تحت بساطٍ من النُّجوم والطَّريق الڤاليري القديم يلتمِع أمامهم كشريطٍ فضِّي طويل يلتفُّ عبر الغابات والوديان، ولقليلٍ من الوقت شعرَ تيريون لانستر بشيءٍ أقرب إلى السَّلام. «كان لوماس الرحَّالة محقًّا، هذا الطَّريق أعجوبة».

ردَّد البطَّة: «لوماس الرحَّالة؟».

أجابَه هالدون: «كاتب ماتَ منذ زمنٍ طويل، قضى حياته في السَّفر حول العالم، وكتبَ عن البلاد التي زارَها في كتابين سمَّاهما (عجائب) و(عجائب صنعَها الإنسان)».

قال تيريون: «أحد أعمامي أهداهما إليَّ في صِباي، وقرأتهما مرارًا حتى تفتَّتا».

قال النِّصف مِايستر مقتبسًا: «*صنعَت الآلهة سبع عجائب وصنعَ الإنسان الفاني تسعًا*»، ثم أضافَ: «عُقوق من الإنسان الفاني أن يتفوَّق على الآلهة باثنتين، لكن ماذا نفعل؟ كانت طُرق (ڤاليريا) الحجريَّة واحدةً من عجائب لونجسترايدر التِّسع، الخامسة على ما أعتقدُ».

صحَّح تيريون الذي حفظَ العجائب الست عشرة عن ظَهر قلبٍ في صباه: «الرَّابعة». كان يروق عمَّه جيريون أن يضعه على المائدة في أثناء الولائم ويجعله يسردها. *وراقَني هذا كثيرًا، اليس كذلك؟ أن أقف هناك وسط الأطباق والأعيُن كلُّها عليَّ وأثبتُ أنني عِفريت صغير ذكي*. لأعوامٍ بعدها استحلى أن يَحلُم بيومٍ يأتي ويُسافِر في أنحاء العالم ليرى عجائب لونجسترايدر بعينيه.

ووضعَ اللورد تايوين نهايةً لذلك الأمل قبل أيامٍ عشرة من يوم ميلاد ابنه القزم السَّادس عشر، حين سألَه تيريون الإذن في التَّجوال في المُدن الحُرَّة التِّسع كما فعلَ أعمامه في السِّنِّ نفسها، فأجابَه أبوه: «إخوتي يُمكن الاعتماد عليهم في عدم تلويث سُمعة عائلة لانستر أو الزَّواج بعاهرة»، ولمَّا ذكَّره تيريون أنه بعد عشرة أيامٍ فقط سيُصبِح رجلًا بالغًا حُرًّا في السَّفر حيثما يشاء قال اللورد تايوين: «ما مِن امرئٍ حُر. وحدهم الأطفال والحمقى يخالون العكس. تفضَّل بالذَّهاب، ارتدِ ثياب المهرِّجين وقِف على رأسك لتُسلِّي لوردات التَّوابل وملوك الجُبنة، لكن احرص على دفع تكلفة رحلتك بنفسك ونحِّ عن بالك أيَّ نيَّةٍ للعودة». وبهذا انهارَ تحدِّي الصَّبي، وقال أبوه: «إذا كنت راغبًا في عملٍ مفيد فستنال عملًا مفيدًا»، وهكذا، بمناسَبة بلوغه مبلغ الرِّجال، كُلِّفَ تيريون بالإشراف على كلِّ البالوعات والصَّهاريج في (كاسترلي روك). *ربما أملَ أن أسقط في أحدها*. لكن أمل تايوين في ذلك خابَ، فطيلة مُدَّة إشرافه عليها كانت بالوعات القلعة سالكةً تمامًا على نحوٍ لم يَحدُث من قبل.

أريدُ كوبًا من النَّبيذ لأغسل فمي من طعم تايوين، وإذا كانت قِربةً فأفضل.

ركبوا طوال اللَّيل، وقد استندَ تيريون إلى قرن السَّرج متأرجحًا بين الرُّقود والصَّحو، يغلبه النُّعاس قليلًا ثم يستيقظ فجأةً، وبين الحين والآخَر يبدأ في الانزلاق جانبًا فيقبض عليه السير رولي ويشدُّه ويعدله ثانيةً. بحلول الفَجر كان الألم شديدًا في ساقَي القزم وتسلَّخت مؤخِّرته وانسحجَت.

لم يصلوا إلى موقع (جويان درو) على النَّهر مباشرةً قبل اليوم التَّالي، وعندما أبصرَ تيريون المجرى الأخضر البطيء من فوق مرتفَعٍ قال: «(الروين) الشَّهير».

قال البطَّة: «(الروين الصَّغير)».

- «هو كذلك». *نهر لا بأس به على ما أظنُّ، لكن أصغر فروع (الثَّالوث) أعرض مرَّتين، وتيَّار الفروع الثَّلاثة أسرع*. ولم يجد المدينة أكثر إثارةً للإعجاب. تذكَّر تيريون من دراسته التَّاريخ أن (جويان درو) لم تكن كبيرةً، وإن كانت مكانًا طيِّبًا مليئًا بالخُضرة والزُّهور، مدينةً تنتشر فيها القنوات والنَّوافير. حتى *الحرب، حتى جاءَت التَّنانين*. والآن، بعد ألف عام، القنوات يَخنُقها البوص والطَّمي، وتتكاثَر جحافل الذُّباب في بِرك المياه الآسنة، وتغوص حجارة المعابد والقصور في الأرض، وتنمو على ضفاف النَّهر أشجار الصَّفصاف العجوز الملتوية.

ما زالَ بعض القوم قاطنين في الخرائب، يعتنون ببساتين صغيرة وسط الحشائش، وقد دفعَ صوت الحدوات الحديد على الطَّريق القاليري القديم أكثرهم إلى الهروع عائدين إلى الجحور التي خرجوا منها، لكن أجرأهم ظلُّوا في الشَّمس يُحدِّقون إلى العابرين بنظراتٍ فاترة لا تُبالي. بدَت فتاة صغيرة عارية يُغطِّي الوحل ساقيها حتى الرُّكبتين عاجزةً عن رفع عينيها عن تيريون، الذي قال لنفسه وقد استوعبَ: *لم ترَ قزمًا من قبل قَطُّ، فما بالك بقزمٍ مجدوع الأنف*؟ ثم رسمَ على وجهه تعبيرًا طريفًا وأخرجَ لها لسانه، فانفجرَت الفتاة في البُكاء.

سألَه البطَّة: «ماذا فعلت؟».

- «نفختُ لها قُبلةً. كلُّ الفتيات يبكين حين أقبِّلهن».

انتهى الطَّريق فجأةً بعد أشجار الصَّفصاف المتشابكة وانعطَفوا شمالًا مسافةً قصيرةً وركبوا بمحاذاة النَّهر، إلى أن أخلى الدَّغل السَّبيل ووجدوا أنفُسهم عند رصيفٍ حجري قديم، نِصف غارق في الماء ومحاط بالحشائش البنِّيَّة الطَّويلة. صاحَ أحدهم: «البطَّة! هالدون!»، فأدارَ تيريون رأسه إلى الجانب ليرى فتًى واقفًا فوق سطح بنايةٍ خشبيَّة واطئة يُلوِّح بقُبَّعةٍ عريضة الحافة من القشِّ، شابًّا رشيقًا ممشوق القدِّ له شَعر أزرق داكن كثيف، وقد قدَّر القزم أنه في الخامسة أو السَّادسة عشرة أو ما يَقرُب من هذا.

اتَّضح أن السَّقف الذي يقف عليه الفتى لقمرة (العذراء الخجول)، وهي قارب نهري قديم متداعٍ له شراع واحد، بدنه عريض وغاطِسه ضحل، مناسب تمامًا لشقِّ طريقه عبر أصغر الجداول والحركة الجانبيَّة أو القُطريَّة فوق الحواجز الرَّمليَّة. *فتاة دميمة، لكن أقبحهن أكثرهن شراهةً في الفِراش أحيانًا*. غالبًا ما تكون القوارب التي تُدفَع بالعِصِيِّ في أنهار (دورن) مطليَّةً بالألوان الزَّاهية ومزيَّنةً بأبهى النُّقوش، أمَّا هذه العذراء فلا، فطلاؤها بنِّي موحل مائل إلى الرَّمادي، مبقَّع ومقشور، ودفَّتها الكبيرة المقوَّسة لا يُحلِّيها شيء. *تبدو قذرةً، لكن لا شكَّ في أن هذا هو الغرض*.

ردَّ البطَّة النِّداء، وخاضَت الفَرس في المياه الضَّحلة داعسةً أعواد البوص، وقفزَ الفتى من فوق القمرة إلى سطح القارب، وظهرَ باقي طاقم (العذراء الخجول). وقفَ زوجان أكبر سِنًّا لهما ملامح روينيَّة قُرب الدفَّة، في حين خرجَت سِيتة حسناء ترتدي ثوبًا أبيض ناعمًا من باب القمرة وأزاحَت خُصلةً من الشَّعر البنِّي الدَّاكن عن عينها.

لكن لم يكن ممكنًا أن يُخطئ جريف، الذي قال: «كفى صياحًا»، فرانَ على النَّهر صمت مفاجئ.

سيكون هذا الرَّجل مصدر متاعب. علمَ تيريون هذا في الحال.

معطف جريف مصنوع من رأس وإهاب أحد ذئاب (الروين) الحمراء، وتحته يرتدي الجِلد البنِّي القاسي المدعَّم بالحلقات المعدنيَّة. وجهه الحليق جِلدي قاسٍ أيضًا، وفي أركان عينيه تجاعيد، وعلى الرغم من أن شَعره أزرق كشَعر ابنه فجذوره حمراء وحاجباه أكثر احمرارًا. على وَركيه يُعلِّق سيفًا وخنجرًا، وإذا أسعدَته رؤية هالدون والبطَّة مجدَّدًا فقد أخفى شعوره جيِّدًا، وإن لم يُكلِّف نفسه محاولة إخفاء استيائه لرؤية تيريون، إذ سألَهما: «قزم؟ ما هذا؟».

ردَّ عليه تيريون: «أعرفُ، كنت تأمل أن أكون قالب جُبنة»، والتفتَ إلى جريف الصَّغير ومنحَه أكثر ابتساماته لُطفًا، وقال: «قد ينفعك الشَّعر الأزرق في (تايروش)، لكن في (وستروس) سيرميك الأطفال بالحجارة وتضحك الفتيات منك في وجهك».

قال الفتى مندهشًا: «أمِّي كانت من سيِّدات (تايروش). إنني أصبغُ شَعري تكريمًا لذكراها».

سألَ جريف بخشونة: «ما هذا المخلوق؟».

أجابَه هالدون: «إليريو بعثَ برسالةٍ يشرح فيها».

- «أعطِني إياها إذن، وخُذ القزم إلى قمرتي».

جلسَ المرتزِق قُبالته في عتمة القارب من الدَّاخل وبينهما مائدة خشبيّة مشوَّهة وشمعة من الشَّحم، وحينها فكَّر تيريون: لا *تُعجِبني عيناه*. لعينَي جريف زُرقة الجليد، باهتتان باردتان، والقزم لا يحبُّ العيون الباهتة، فعينا اللورد تايوين كانتا خضراوين باهتتين ومرقَّطتين بالذَّهب. شاهدَ جريف يقرأ، ومجرَّد أنه يعرف القراءة لافت في حدِّ ذاته، فكم مرتزِقًا يستطيع أن يزهو بهذا؟ *يكاد لا يُحرِّك شفتيه على الإطلاق*.

أخيرًا رفعَ جريف نظره عن الورقة وضيَّق هاتين العينين الباهتتين سائلًا: «تايوين لانستر ماتَ؟ وبيدك أنت؟».

أجابَ تيريون: «بإصبعي، هذا»، ورفعَ إصبعه ليراه جريف متابعًا: «كان اللورد تايوين جالسًا على مرحاض، فغرستُ سهم نُشَّابيَّة في أحشائه لأرى إن كان يتبرَّز ذهبًا بحق، ولم يفعل. مؤسف، كنتُ محتاجًا إلى القليل من الذَّهب. لقد قتلتُ أمِّي أيضًا قبل هذا بفترة. أوه، وچوفري ابن أختي سمَّمته في مأدبة زفافه وشاهدته يختنق حتى الموت. ألم يَذكُر تاجر الجُبنة ذلك الجزء؟ إنني أنوي إضافة أخي وأختي إلى القائمة قبل أن أفرغ، وأتمنَّى أن يسرَّ هذا ملكتك».

- «يسرُّها؟! هل طارَ صواب إليريو؟ لماذا يتخيَّل أن جلالتها ستُرحِّب بخدمات قاتِل ملكٍ وخائن معترف على نفسه؟».

فكَّر تيريون: *سؤال عادل*، لكنه قال: «الملك الذي قتلته كان جالسًا على عرشها، وكلُّ من قتلتهم أُسود، وعليه يبدو لي أنني قدَّمتُ للملكة خدماتٍ موفَّقة بالفعل»، وحكَّ جَدعة أنفه مواصلًا: «لا تخف، لن أقتلك، فلست من أقربائي. هل لي أن أرى ما كتبَه تاجر الجُبنة؟ إنني أحبُّ القراءة عن نفسي حقًّا».

تجاهلَ جريف طلبه، وبدلًا من ذلك مسَّ لهب الشَّمعة بالرِّسالة وشاهدَ الورقة تسودُّ وتتجعَّد وتشتعل، ثم قال: «بين عائلتَي تارجاريَن ولانستر دم، فلِمَ تُساندِ الملكة دنيرس في قضيَّتها؟».

جاوبَه القزم بمرح: «في سبيل الذَّهب والمجد. أوه، والكراهية. لو قابلت أختي لفهمت».

- «أفهمُ الكراهية جيِّدًا». من الطَّريقة التي نطقَ بها جريف الكلمة علمَ تيريون أن هذا صحيح. *هذا الرَّجل أيضًا تجرَّع الكراهية وظلَّت تُدفِّئه ليلًا أعوامًا.*

- «هذا شيء نشترك فيه إذن أيها الفارس».

- «لستُ فارسًا».

لست كاذبًا فحسب، بل كاذب خائب أيضًا. ردُّك أخرق أحمق يا سيِّدي. «ومع ذلك يقول السير بطَّة إنك نصَّبته فارسًا».

- «البطَّة يتكلَّم أكثر من اللَّازم».

- «قد يتعجَّب بعضهم من قُدرة بطَّةٍ على الكلام من الأصل. لا يهمُّ يا جريف». لفظَ تيريون الكلمة الأخيرة ضاغطًا على الكلمة. «أنت لست فارسًا وأنا هيوجور هيل، وحش صغير، وحشك الصَّغير إذا أردت. لك كلمتي، لستُ أبتغي إلَّا أن أكون خادمًا وفيًّا لملكة التَّنانين».

- «وكيف تقترح أن تخدمها؟».

أجابَ تيريون: «بلساني»، ولعقَ أصابعه واحدًا تلو الآخَر، وأردفَ: «أستطيعُ أن أقول لجلالتها كيف تُفكِّر أختي، إذا كنت تدعو ذلك تفكيرًا، وأستطيعُ أن أخبر قادتها بأفضل السُّبل لهزيمة أخي چايمي في المعركة، وأعلمُ أيُّ اللوردات شُجاع وأيُّهم جبان، أيُّهم مُخلص وأيُّهم قابل للرَّشوة. يُمكنني أن أجلب لها حُلفاء، وأعرفُ الكثير والكثير عن التَّنانين كما سيُؤكِّد لك النِّصف مِايستر. إنني مسلٍّ أيضًا، ولا آكلُ كثيرًا. اعتبِرني عِفريتك الوفي الخاص».

وزنَ جريف ردَّه وهلةً، ثم قال: «افهم هذا أيها القزم. أنت آخِر أفراد مجموعتنا وأقلُّهم شأنًا. صُن لسانك وافعل كما تُؤمَر وإلَّا تمنَّيت لو أنك فعلت».

كادَ تيريون يقول: *حاضر يا أبي*. «كما تقول يا سيِّدي».

- «لستُ سيِّد أحد».

كاذب. «مجرَّد مجاملة يا صديقي».

- «ولستُ صديقك كذلك».

لا فارس ولا سيِّد ولا صديق. «مؤسف».

- «أعفِني من سُخريتك. سآخذك حتى (ڤولانتيس). إذا أثبتَّ أنك مطيع ومفيد فلك أن تبقى معنا لتخدم الملكة قدر استطاعتك، لكن إذا أثبتَّ أن متاعبك أكبر من فائدتك فستذهب إلى حال سبيلك».

نعم، وسيأخذني سبيلي إلى قاع (الروين) ليقضم السَّمك ما تبقَّى من أنفي. «ڤالار دوهايرِس».

- «يُمكنك أن تنام على السَّطح أو في المخزن، كما تُفضِّل. ستجد لك يسيلا فِراشًا».

قال تيريون: «لُطف بالغ منها»، وانحنى متمايلًا، ولكن عندما بلغَ باب القمرة التفتَ مضيفًا: «ماذا لو وجدنا الملكة واكتشفنا أن ذلك الكلام عن التَّنانين مجرَّد خيال بحَّارٍ سكِّير ما؟ هذا العالم الواسع زاخر بالحكايات المجنونة المشابهة، حكايات الجرامكِنات والسناركات[20] والأشباح والغيلان وعرائس البحر والجوبلين الصَّخريِّين[21] والخيول المجنَّحة والخنازير المجنَّحة... والأُسود المجنَّحة».

رمقَه جريف عابسًا، وقال: «لقد أنذرتك يا لانستر. صُن لسانك أو افقده. ثمَّة ممالك كاملة على المحك، وحياتنا وأسماؤنا وشَرفنا أيضًا. ليست هذه لُعبةً نلعبها لتسليتك».

فكَّر تيريون: *بل هي لُعبة بالطَّبع، لُعبة العروش*، وعادَ ينحني مغمغمًا: «كما تقول أيها الرُّبَّان».

---

[20] الجرامكِن والسنارك مخلوقان خياليَّان يرد ذِكرهما في الحكايات الشَّعبيَّة في (وستروس)، الأول يُقال إنه يُحقِّق الأماني بالسِّحر، والثَّاني وحش ليس له وصف محدَّد. (المُترجم).

[21] الجوبلين مخلوقات وحشيَّة من الفلكلور الأوروپي، لها عدَّة أوصاف تختلف حسب القصَّة، لكنها دائمًا تقريبًا صغيرة الحجم مشوَّهة خبيثة، وأحيانًا لها قُدرات سحريَّة كالجنيَّات والشَّياطين. في عالم الرِّواية جوبلين الصُّخور من المخلوقات المذكورة في فلكلور (پنتوس). (المُترجم).

شقَّ البرق سماء الشَّمال راسمًا حدود بُرج (سراج اللَّيل) الأسود تحت القُبَّة البيضاء المزرقَّة، وبعد ستِّ نبضات قلبٍ دوَّى هزيم الرَّعد كدقَّات طبلةٍ بعيدة.

ساقَ الحُرَّاس داقوس سيوورث عبر جسرٍ من البازلت الأسود وتحت شبكةٍ حديديَّة يلوح عليها الصَّدأ، يقع وراءها خندق عميق مليء بالماء المالح وجسر متحرِّك تدعمه سلسلتان ضخمتان، وبالأسفل تطمو المياه الخضراء وتفور مرسلةً أعمدةً من الرَّذاذ تتكسَّر على أساسات القلعة. ثم بلغوا مبنى بوَّابةٍ ثانيًا أكبر من الأول، حجارته ملتحية بالطَّحالب الخضراء، وتقدَّم داقوس متعثِّرًا عبر ساحةٍ موحلة بمعصمين مقيَّدين وعينين يلسعهما المطر البارد، قبل أن يدفعه الحُرَّاس صاعدين به السَّلالم إلى حصن (كاسرة الموج) الحجري الفسيح.

ما إن دخلوا خلعَ قائد الحُرَّاس معطفه وعلَّقه على مشجبٍ كي لا يَترُك بِركًا صغيرةً من الماء على البساط المايري الرَّث، فحذا داقوس حذوه فاتحًا إبزيم معطفه بصعوبةٍ بيديه المقيَّدتين. إنه لم ينسَ أصول اللِّياقة التي تعلَّمها في (دراجونستون) خلال أعوامه في الخدمة.

وجدوا اللورد بمفرده في عتمة قاعته، يتناوَل عَشاءً من البيرة والخُبز ويخنة الأخوات. على جُدرانه الحجريَّة السَّميكة عشرون حامل مشعلٍ من الحديد، لكن في أربعةٍ منها فقط مشاعل، ولا واحد منها موقَد، وبدلًا من ذلك تُلقي شمعتان سميكتان من الشَّحم ضوءًا خفيفًا متذبذبًا. سمعَ داڤوس الأمطار تجلد الجُدران من الخارج، وصوت ماءٍ يتقاطَر بثباتٍ من تسرُّبٍ في السَّقف.

قال القائد: «سيِّدي، وجدنا هذا الرَّجل في (بطن الحوت) يُحاوِل استئجار من يُغادِر به الجزيرة. كان معه اثنا عشر تنِّينًا ذهبيًّا، وهذا الشَّيء أيضًا»، ثم وضعَ الشَّيء على المائدة أمام اللورد، وهو شريط عريض من المخمل الأسود المؤطَّر بقُماش الذَّهب، ويحمل ثلاثة أختام: وعلًا متوَّجًا مختومًا في شمع النَّحل الذَّهبي، وقلبًا أحمر ناريًّا، ويدًا بيضاء.

انتظرَ داڤوس مبتلًّا يَقطُر منه الماء، يُؤلِمه معصماه حيث انغرسَ فيهما الحبل المشبَّع بالبلل. كلمة واحدة من هذا اللورد وسيجد نفسه معلَّقًا من رقبته من (بوَّابة المشانق) في (بلدة الأخوات)، لكنه محتمٍ من المطر على الأقل، وتحت قدميه أحجار صُلبة بدلًا من سطح قاربٍ يرتفع وينخفض. إنه مبتلٌّ عن آخِره وموجوع ومُضنى، أعياه الحُزن وأنهكَته الخيانة، وسئمَ العواصف حدَّ الموت.

مسحَ اللورد فمه بمؤخِّرة يده والتقطَ الشَّريط يُلقي عليه نظرةً من كثب. بالخارج سطعَ البرق جاعلًا حلقات السِّهام تتوهَّج بالأزرق والأبيض لِنصف نبضة قلب، وقبل أن يهزم الرَّعد عدَّ داقوس: *واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة،* ولمَّا خبا أصغى إلى صوت الماء المتقاطر من السَّقف والهدير المكتوم تحت قدميه حيث تعتلِج الأمواج وتتكسَّر على قناطر (كاسرة الموج) الحجريَّة الهائلة وتدور في زنازينها. قد ينتهي به الأمر بالفعل في إحدى تلك الزَّنازين، مقيَّدًا إلى أرضيَّةٍ حجريَّة مبتلَّة ومتروكًا حتى يغرق عندما تتدفَّق مياه المدِّ. حاولَ أن يقول لنفسه: لا. *ربما يموت مهرِّب هكذا، ولكن ليس يد ملك. إن قيمتي أكبر إذا باعَني بملكته.*

داعبَ اللورد الشَّريط مقطِّبًا وجهه وهو يَرمُق الأختام. إنه رجل قبيح، لحيم كبير الحجم، له كتفا مجذِّف سميكتان وعُنق لا يُذكَر، ويُغطِّي وجنتيه وذقنه شَعر شائب خشن خفيف وخطَه الأبيض في غير موضع. فوق جبهته الكبيرة البارزة رأسه أصلع، وتحتها أنفه أكتل محمرٌّ من العروق المكسورة وشفتاه غليظتان، وبين أصابع يُمناه الوُسطى الثَّلاثة شيء أشبه بغشاء. كان داقوس قد سمعَ أن بعض لوردات (الثَّلاث أخوات) أيديهم وأقدامهم غشائيَّة وتراء، وإن اعتبرَها دومًا مجرَّد قصَّة بحَّارةٍ أخرى.

عادَ اللورد يسند ظَهره قائلًا: «اقطع قيوده واخلع قُفَّازيه هذين. أريدُ أن أرى أصابعه».

أطاعَ قائد الحُرَّاس الأمر، وإذ رفعَ يد أسيره اليُسرى المشوَّهة سطعَ البرق من جديدٍ ملقيًا ظِلَّ أصابع داڤوس سيوورث المقصَّرة على وجه جودريك بورل القاسي الفظّ، ثم قال سيِّد (الأخت العذبة): «بإمكان أيِّ أحدٍ أن يسرق شريطًا، لكن هذه الأصابع لا تكذب. أنت فارس البصل».

- «دُعيتُ بهذا الاسم بالفعل يا سيِّدي». داڤوس نفسه من اللوردات، وقبلها كان فارسًا لأعوامٍ طويلة، لكنه ما زالَ في أعماقه ما كانه دومًا، المهرِّب ابن العوام الذي ابتاعَ فُروسيَّته بحمولةٍ من البصل والسَّمك. «ودُعيتُ بأشياء أسوأ أيضًا».

- «أجل. خائن، متمرِّد، مارِق».

ردَّ وقد أحنقَته الكلمة الأخيرة: «لم أمرق قَطُّ يا سيِّدي. إنني من رجال الملك».

علَّق اللورد: «فقط إذا كان ستانيس ملكًا»، ووزنَه بعينين سوداوين صارمتين، وقال: «معظم الفُرسان الذين يرسون على سواحلي يسعون إليَّ في قاعتي، وليس في (بطن الحوت). ذلك المكان وكر مهرِّبين حقير. أأنت عائد إلى حرفتك القديمة يا فارس البصل؟».

- «لا يا سيِّدي. كنتُ أبحثُ عن رحلةٍ إلى (الميناء الأبيض). لقد بعثَني الملك برسالةٍ إلى سيِّدها».

بدا على اللورد جودريك أنه يجد الموقف طريفًا إذ قال: «إذن فأنت في المكان الخطأ مع الشَّخص الخطأ. هذه (بلدة الأخوات)، على (الأخت العذبة)».

- «أعرفُ هذا». ولو أن (بلدة الأخوات) تخلو من أيِّ عذوبة. إنها بلدة كريهة، زريبة، صغيرة وحقيرة وتعبق بخراء الخنازير والأسماك المتعفِّنة. (الثَّلاث أخوات) مثوى مفضَّل عند المهرِّبين منذ مئات السِّنين، وقبل ذلك كانت وكرًا للقراصنة، وشوارع (بلدة الأخوات) وحل وألواح خشب، ومنازلها أكواخ وضيعة من القشِّ والجصِّ وسقوفها مغطَّاة بالنَّجيل، ودائمًا عند (بوَّابة المشانق) ثمَّة رجال مشنوقون تتدلَّى أمعاؤهم من بطونهم.

قال اللورد: «لا شكَّ لديَّ في أن لك هنا أصدقاء. لكلِّ مهرِّبٍ أصدقاء في (الأخوات). بعضهم أصدقائي أيضًا، ومن ليسوا كذلك أشنقهم، أتركهم يختنقون ببُطءٍ فيما تلطم أحشاؤهم رُكبهم». توهَّج الضَّوء في القاعة من جديدٍ مع إضاءة البرق النَّوافذ، وبعد نبضتَي قلبٍ تلاه الرَّعد. «إذا كنت تُريد (الميناء الأبيض) فماذا تفعل في (بلدة الأخوات)؟ ما الذي أتى بك؟».

كان داقوس ليقول: *أمر ملكٍ وخيانة صديق*، لكنه بدلًا من ذلك أجابَ: «العواصف».

تسع وعشرون سفينةً أبحرَت من عند (الجِدار)، وإذا كان نِصفها لا يزال طافيًا فستكون صدمةً لداقوس. بطول السَّاحل لاحقَتهم السَّماء السَّوداء والرِّيح العنيفة والأمطار الغزيرة، فانجرفَ القادسان (أوليدو) و(ابن الأُم العجوز) إلى صخور (سكاجوس)، جزيرة اليونيكورنات[22] وآكلي لحوم البَشر التي كان النَّغل الأعمى نفسه يخشى الرَّسو على شواطئها، ثم غرقَ الكوج العظيم (ساثوس سان) عند (الجروف الرَّماديَّة)، وقال سالادور سان وهو يتميَّز غيظًا: «سيدفع ستانيس ثَمنها، سيدفع ثَمن كلِّ واحدةٍ منها ذهبًا». كأن إلهًا غاضبًا ما كان ينتزع منهم ضريبة رحلتهم السَّهلة إلى الشَّمال، حين ركبوا رياحًا جنوبيَّةً ثابتةً من (دراجونستون) إلى (الجِدار). ثم هبَّت زوبعة أخرى ممزِّقةً حبال أشرعة (الحصاد الوفير) ومرغمةً سالا على جرِّها بسفينتين أخريَيْن، وعلى بُعد عشرة فراسخ من (قلعة الأرملة) جدَّد البحر غضبته ضاربًا (الحصاد) بأحد القادسيْن اللذين يجرَّانها ومغرقًا السَّفينتين. أمَّا بقيَّة الأسطول اللايسيني فانتثرَت في (البحر الضيِّق)، بعضها سيجد طريقه إلى ميناءٍ أو غيره، وبعضها لن يراه أحد ثانيةً أبدًا.

وبينما تقدَّمت بقايا أسطوله بصعوبةٍ عبر (الخليج الطَّويل) قال سالادور سان لداقوس متذمِّرًا: «سالادور المتسوِّل، سالادور المحطَّم. أين سُفني؟ وذهبي، أين الذَّهب الذي وُعِدتُ إياه؟»، فلمَّا حاولَ داقوس أن يُطمئِنه أنه سينال أجره انفجرَ سالا زاعقًا: «متى؟ متى؟! غدًا؟ مع مطلع القمر الجديد؟ حين يظهر المذنَّب الأحمر ثانيةً؟ إنه يعدني بالذَّهب والجواهر، يعدني طول الوقت، لكني لم أرَ ذهبًا. أعطاني كلمته، هكذا يقول، أوه، نعم، كلمته الملكيَّة المكتوبة. هل يستطيع سالادور سان أن يأكل كلمة الملك؟ هل يستطيع إطفاء عطشه بالورق والأختام الشَّمع؟ هل يستطيع أن يُلقي الوعود في فِراشٍ وثير ويُضاجِعها حتى تَصرُخ؟».

حاولَ داقوس أن يُقنِعه بالثَّبات على ولائه، ووضَّح له أنه إذا تخلَّى عن ستانيس وقضيَّته فإنه يتخلَّى عن كلِّ أملٍ في جنيَ الذَّهب الذي استحقَّه، فليس من المتوقَّع أن يُسدِّد الملك تومن ديون عمِّه المهزوم إذا انتصرَ. أمل سالا الوحيد أن يبقى مُخلصًا لستانيس باراثيون حتى يظفر بالعرش الحديدي، وإلَّا فإنه لن يرى جروتًا[23] واحدًا من ماله. يجب أن يكون صبورًا.

ربما كان لورد ما معسول اللِّسان ليُفلِح في استمالة أمير القراصنة اللايسيني، إلَّا أن داڤوس فارس بصل، ولم تنجح كلماته إلَّا في استفزاز سالا وتجديد ثورته، ليقول له: «في (دراجونستون) كنتُ صبورًا عندما أحرقَت المرأة الحمراء الآلهة الخشبيَّة والرِّجال الصَّارخين. طيلة الطَّريق الطَّويل إلى (الجِدار) كنتُ صبورًا. في (القلعة الشَّرقيَّة) كنتُ صبورًا... وبردانَ، بردانَ جدًّا. والآن أقولُ أُف! أُفٍّ لصبرك وأُفٍّ لملكك! رجالي جائعون، يُريدون أن يُضاجِعوا زوجاتهم ثانيةً، وأن يعدُّوا أولادهم، وأن يروا (الأعتاب) وحدائق الهوى في (لِيس). الجليد والعواصف والوعود الفارغة، تلك أشياء لا يُريدونها. الشَّمال بارد للغاية، ويزداد برودةً».

حدَّث داڤوس نفسه قائلًا: *كنتُ أعلمُ أن هذا اليوم سيأتي. كنتُ مولعًا بالشَّقي العجوز، لكني لم أكن بالحماقة الكافية للثِّقة به.*

- «العواصف»، ردَّد اللورد جودريك الكلمة بحنان رجلٍ ينطق اسم معشوقته. «العواصف كانت مقدَّسةً في (الأخوات) قبل مجيء الأنداليِّين. إلهانا القديمان كانا سيِّدة الموج وسيِّد السَّماوات، وكلَّما تجامَعا صنعا العواصف»، ومالَ إلى الأمام متابعًا: «هؤلاء الملوك لا يكترثون أبدًا لـ(الأخوات)، ولِمَ يفعلون؟ إننا قوم فُقراء ضعاف، ومع ذلك هأنتذا، جلبَتك إليَّ العواصف».

بل جلبَني إليك صديق.

التفتَ اللورد جودريك إلى قائد الحُرَّاس قائلًا: «اترُك هذا الرَّجل معي. إنه لم يكن هنا قَطُّ».

قال القائد: «نعم يا سيِّدي، لم يكن هنا قَطُّ»، وانصرفَ ليَترُك حذاؤه آثار قدميه المبتلَّة على البساط.

تحت الأرض ما انفكَّ البحر الهائج يهدر ضاربًا دعائم القلعة.

انغلقَ الباب الخارجي بصوتٍ كالرَّعد البعيد، ومرَّةً أخرى سطعَ البرق كأنه يُجيبه، وقال داقوس: «سيِّدي، إذا أرسلتني إلى (الميناء الأبيض) سيعدُّ جلالته هذا التَّصرُّف دلالةً على الصَّداقة».

ردَّ اللورد: «يُمكنني أن أرسلك إلى (الميناء الأبيض)، أو يُمكنني أن أرسلك إلى جحيمٍ باردة مبتلَّة».

(*بلدة الأخوات*) جحيم *فعليَّة*. يخشى داقوس أن يقع الأسوأ، فـ(الثَّلاث أخوات) معروفات بتقلُّبهن وإخلاصهن لأنفُسهن فحسب. المفترَض أن الجُزر الثَّلاث مدينات بالولاء لآل آرن أولاد (الوادي)، لكن سيطرة (العُش) عليها -على أحسن تقدير- ضعيفة.

- «إذا علمَ سندرلاند بوجودك هنا فسيَطلُب أن أسلِّمك إليه». يُقدِّم بورل فروض الولاء إلى (الأخت العذبة)، مِثلما يُقدِّمها لونجثورپ إلى (الأخت الطَّويلة) وتورنت إلى (الأخت الصَّغيرة)، وكلُّها تابع لتريستون سندرلاند سيِّد (الثَّلاث أخوات). «سيبيعك للملكة مقابل جرَّةٍ من ذهب لانستر. الرَّجل المسكين محتاج إلى كلِّ تنِّين، فله سبعة أبناءٍ كلٌّ منهم عازم على أن يُصبِح فارسًا»، وتناولَ اللورد ملعقةً خشبيَّةً وعادَ ينقضُّ على يخنته مواصلًا: «اعتدتُ أن ألعن الآلهة التي لم تهب لي إلَّا الفتيات، إلى أن سمعتُ تريستون يشكو متحسِّرًا من تكلفة الجياد الحربيَّة. سيُدهِشك أن تعلم عدد الأسماك المطلوب لشراء بِزَّةٍ جيِّدة من الصَّفائح وقميصًا من الحلقات الحديد».

كان لي سبعة أبناءٍ أيضًا، لكن أربعةً منهم ماتوا محترقين. قال داڤوس: «اللورد سندرلاند مقسم على الولاء لـ(العُش). الواجب أن يُسلِّمني إلى الليدي آرن». قدَّر أن فُرصته معها أفضل من فُرصته مع آل لانستر، فعلى الرغم من أنها لم تُشارِك في حرب الملوك الخمسة فلايسا آرن ابنة (ريڤررَن) وخالة الذِّئب الصَّغير.

قال اللورد جودريك: «لايسا آرن ماتَت، قتلَها مُطرب ما. اللورد الإصبع الصَّغير يَحكُم (الوادي) الآن. أين القراصنة؟»، فلمَّا امتنعَ داڤوس عن الإجابة دقَّ المائدة بملعقته قائلًا بإصرار: «اللايسيني. تورنت لمحَ قلوعه من (الأخت الصَّغيرة)، وقبله آل فلينت من (قلعة الأرملة). قلوع بُرتقاليَّة وخضراء وورديَّة. سالادور سان. أين هو؟».

- «في البحر». لا بُدَّ أن سالا مبحرٌ حول (الأصابع) وعبر (البحر الضيِّق) في طريق العودة إلى (الأعتاب) بما تبقَّى له من سُفنٍ قليلة، وربما يَحصُل على المزيد في الطَّريق إذا صادفَ سُفنًا تجاريَّةً مناسبةً. *القليل من القرصنة لمساعدته على احتمال المسافة*. «صاحِب الجلالة أرسلَه جنوبًا لإزعاج آل لانستر وأصدقائهم». كان قد تمرَّن على هذه الكذبة وهو يُجذِّف في المطر صوب (بلدة الأخوات). عاجلًا أو آجلًا سيعلم العالم أن سالادور سان تخلَّى عن ستانيس باراثيون تاركًا إياه بلا أسطول، لكن أحدًا لن يسمع الخبر من فم داڤوس سيوورث.

قلَّب اللورد جودريك يخنته متسائلًا: «هل جعلَك ذلك القُرصان العجوز سان تسبح إلى الشَّاطئ؟».

- «لقد رسوتُ على الشَّاطئ بقاربٍ مفتوح يا سيِّدي». انتظرَ سالا حتى غابَ ضوء منارة (سراج اللَّيل) عن سفينته (ڤاليريان) قبل أن يُنزِله. على الأقل استحقَّت صداقتهما هذا القدر. أقسمَ اللايسيني أنه سيأخذه معه إلى الجنوب بكلِّ ترحاب، لكن داڤوس رفضَ. ستانيس محتاج إلى وايمان ماندرلي، وقد عهدَ إليه بكسبه، وهكذا قال لسالا إنه لن يخون تلك الثِّقة، فردَّ الأمير القُرصان: «أُف! سيَقتُلك بتكريمه إياك يا صديقي القديم، سيَقتُلك».

قال اللورد جودريك: «لم أستقبل يد ملكٍ تحت سقفي من قبل. تُرى هل يقبل ستانيس أن يدفع فديتك؟».

هل يقبل؟ لقد أسبغَ ستانيس على داڤوس بالأراضي والألقاب والمناصب، لكن هل يدفع مبلغًا وقدره من الذَّهب ليفتدي حياته؟ *إنه لا يملك ذهبًا، وإلَّا لكان سالا ما زالَ معه.* «سيجد سيِّدي جلالته في (القلعة السَّوداء) إذا أرادَ أن يسأله».

دمدمَ بورل: «هل العِفريت في (القلعة السَّوداء) أيضًا؟».

لم يفهم داڤوس السُّؤال. «العِفريت؟ إنه في (كينجز لاندنج)، محكوم عليه بالموت لاغتياله ابن أخته».

- «اعتادَ أبي أن يقول إن (الجِدار) آخِر من يعلم. لقد هربَ القزم، تلوَّى خارجًا من بين قضبان زنزانته ومزَّق أباه إربًا إربًا بيديه العاريتين. أحد الحَرس رآه يَهرُب غارقًا بالأحمر من قمَّة رأسه إلى أخمص قدميه كأنه استحمَّ بالدَّم. الملكة ستهب لورديَّةً لأيِّ رجلٍ يَقتُله».

مجاهدًا لتصديق ما يسمعه، سألَه داڤوس: «هل تقول لي إن تايوين لانستر ماتَ؟».

أجابَ اللورد: «بيد ابنه، أجل»، وأخذَ رشفةً من البيرة قبل أن يُردِف: «حين كان لـ(الأخوات) ملوك لم نكن نسمح للأقزام بالعيش. كنا نُلقيهم جميعًا في البحر كقُربانٍ للآلهة، ثم جعلَنا السِّپتونات نكفُّ عن ذلك. يا لهم من قطيعٍ من الحمقى الورِعين. لِمَ تخلق الآلهة أحدًا بهذا الشَّكل إلَّا للدَّلالة على كونه وحشًا؟».

موت تايوين لانستر يُغيِّر كلَّ شيء. «سيِّدي، هل تأذن لي في إرسال غُدافٍ إلى (الجِدار)؟ سيرغب جلالته في المعرفة بموت اللورد تايوين».

- «سيعرف، ولكن ليس مني، أو منك ما دُمت هنا تحت سقفي الذي يُسرِّب الماء. لن أجعل النَّاس يقولون إنني مددتُ ستانيس بالعون والمشورة. لقد جرَّ آل سندرلاند (الأخوات) إلى اثنين من تمرُّدات بلاكفاير ودفعنا الثَّمن غاليًا»، وأشارَ اللورد جودريك بملعقته إلى مقعدٍ مستطردًا: «اجلس قبل أن تقع أيها الفارس. إن قاعتي باردة ورطبة ومظلمة، لكنها لا تفتقر إلى شيءٍ من الكياسة. سنجد لك ملابس جافَّةً، لكنك ستأكل أولًا»، ثم صاحَ فدخلَت امرأة القاعة، ليقول لها: «عندنا ضيف علينا أن نُطعِمه. اجلبي البيرة والخُبز ويخنة الأخوات».

كانت البيرة بنِّيَّةً والخُبز أسمر واليخنة بيضاء قشديَّةً، وقد قدَّمتها في طبقٍ مصنوع من رغيف خُبزٍ بائت مفرَّغ، فيها كميَّات وافرة من الكرفس والجزر والشَّعير واللِّفت الأبيض والأصفر، مع المحار وقِطع سمك القُد ولحم السَّراطين، وكلُّ هذا يسبح في مرقٍ ثخين دسم من القشدة والزُّبدة. إنه طبق يُدفِّئ المرء حتى النُّخاع، الوجبة المُثلى لليلةٍ بليلة باردة.

وشرعَ داڤوس يأكل ممتنًّا.

- «هل ذُقت يخنة الأخوات من قبل؟».

- «نعم يا سيِّدي». في كلِّ حانةٍ وخان في جميع أنحاء (الثَّلاث أخوات) تُقدَّم اليخنة نفسها.

- «هذه أفضل من التي تناولتها من قبل. جِلا تعدُّها، ابنة ابنتي. أأنت متزوِّج يا فارس البصل؟».

- «نعم يا سيِّدي».

- «مؤسف. جِلا عزباء. الدَّميمات أفضل الزَّوجات. في هذه اليخنة ثلاثة أنواع من السَّرطان، السَّرطان الأحمر والسَّرطان العنكبوتي والسَّرطان الغازي. لستُ آكلُ السَّرطان العنكبوتي إلَّا في يخنة الأخوات. إنه يجعلني أشعرُ كأنني آكلُ لحوم عشيرتي»، وأشارَ حضرة اللورد إلى الرَّاية المعلَّقة فوق المستوقَد الأسود البارد، المطرَّز عليها سرطان عنكبوتي أبيض على خلفيَّةٍ خضراء مائلة إلى الرَّمادي. «سمعنا أن ستانيس أحرقَ يده».

سلفي في اليدويَّة. أعطَت مليساندرا آلستر فلورنت لربِّها في (دراجونستون) لتستحضر الرِّياح التي حملَتهم شمالًا. كان اللورد آلستر قويًّا صامتًا إذ قيَّده رجال الملكة إلى العمود، يبدو عليه الإباء والوقار -إن كان شيء كهذا ممكنًا لرجلٍ شِبه عارٍ- لكن عندما لعقَت ألسنة اللَّهب ساقيه بدأ يَصرُخ، وإذا صدقَت المرأة الحمراء فقد دفعَهم صريخه طوال الطَّريق إلى (القلعة الشَّرقيَّة). لم يحبَّ داڤوس تلك الرِّياح التي بدَت له كأنها تحمل رائحة اللَّحم المحترق، صوتها مغمٌّ أليم وهي تتلاعب بين القلوع. *كان يُمكن أن أكون مكانه بالشُّهولة نفسها*. قال للورد جودريك: «لم أُحرَق، ولو أن (القلعة الشَّرقيَّة) كادَت تُجمِّدني».

- «هذا ما يفعله (الجِدار)». جلبَت لهما المرأة رغيف خُبزٍ ساخنًا من الفُرن، ولمَّا رأى داقوس يدها حملقَ إليها، وهو ما لم يَفُت اللورد جودريك الذي قال: «أجل، إن عليها العلامة كجميع آل بورل منذ خمسة آلاف عام. إنها ابنة ابنتي، ليست مَن تَطبُخ اليخنة»، وقسمَ الرَّغيف نِصفين ناولَ داقوس أحدهما مضيفًا: «كُل. إنه طازج».

وكان كذلك، ولو أن داقوس كان ليرضى بأيِّ كِسرةٍ بائتة، فمعنى هذا أنه ضيف هنا، هذه اللَّيلة على الأقل. إن للوردات (الثَّلاث أخوات) سُمعةً بالغة السُّوء، بالذَّات جودريك بورل سيِّد (الأخت العذبة) وحامي (بلدة الأخوات) وحاكم قلعة (كاسرة الموج) وحافظ (سراج اللَّيل)... لكن حتى اللوردات اللُّصوص ومحطِّمو السُّفن يلتزمون قوانين الضِّيافة العتيقة. *سأرى الفَجر على أقلِّ تقدير. لقد أكلتُ عيشه وملحه*.

مع أن في يخنة الأخوات هذه توابل أغرب من الملح. «أهذا مذاق زعفران؟». الزَّعفران أغلى من الذَّهب، ولم يَذُقه داقوس إلَّا مرَّةً واحدةً من قبل، عندما أرسلَ إليه الملك روبرت نِصف سمكةٍ خلال مأدبةٍ في (دراجونستون).

أجابَ اللورد جودريك: «أجل، من (كارث). هناك فلفل أيضًا»، وأخذَ القليل منه بين سبَّابته وإبهامه ورشَّه على طبقه متابعًا: «فلفل أسود مجروش من (ڤولانتيس)، لا شيء أجود. خُذ منه ما تشاء إذا كنت تحبُّ الفلفل. إن عندي أربعين صندوقًا منه، بخلاف القرنفل وجوز الطِّيب... ورطل من الزَّعفران. لقد أخذتها من عذراء حولاء». قالها بورل وضحكَ، فرأى داڤوس أن أسنانه لا تزال كاملةً، وإن كان أكثرها مصفرًّا وثمَّة واحدة في الصَّفِّ العُلوي سوداء ميتة. «كانت في طريقها إلى (براڤوس)، لكن عاصفةً دفعَتها إلى (الخليج الطَّويل) وحطَّمتها على صخوري. كما ترى إذن، لست الهديَّة الوحيدة التي جاءَتني بها العواصف. البحر غدَّار لا يرحم».

ليس غدَّارًا كالبَشر. كان أجداد اللورد جودريك ملوكًا قراصنةً إلى أن جاءَ آل ستارك وقطعوا دابرهم بالنَّار والسَّيف، أمَّا هذه الأيام فيَترُك رجال (الأخوات) القرصنة العلنيَّة لسالادور سان ومن هُم على شاكلته ويكتفون بنهب حُطام السُّفن. المفترَض أن تُحذِّر المنارات المشتعلة على سواحل (الثَّلاث أخوات) من المياه الضَّحلة والشِّعاب المرجانيَّة والصُّخور وتُرشِد السُّفن إلى الأمان، لكن في اللَّيالي العاصفة أو كثيفة الضَّباب يستخدم بعض رجال (الأخوات) أضواءً زائفةً لاجتذاب الرَّبابنة السَّاهين إلى حتفهم.

قال اللورد جودريك: «العواصف صنعَت معك جميلًا عندما دفعَتك إلى بابي. كنت لتجد ترحيبًا باردًا في (الميناء الأبيض). لقد جئت متأخِّرًا يا سيِّدي. اللورد وايمان سيركع، وليس لستانيس»، وأخذَ جرعةً من البيرة قبل أن يُكمِل: «آل ماندرلي في أعماقهم ليسوا شماليِّين. إنهم لم يذهبوا إلى الشَّمال إلَّا منذ تسعمئة عام فقط، محمَّلين بذهبهم وآلهتهم. كانوا لوردات عظامًا على ضفاف (الماندر) إلى أن تجاوَزوا حدودهم فصفعَتهم الأيادي الخضراء. الملك الذِّئب أخذَ ذهبهم لكنه أعطاهم أرضًا وسمحَ لهم بالاحتفاظ بآلهتهم»، وغمَّس من يخنته بقطعةٍ من الخُبز مواصلًا: «إذا كان ستانيس يحسب أن الرَّجل السَّمين سيمتطي الوعل فهو مخطئ. لقد رسَت (أسد النُّجوم) في (بلدة الأخوات) قبل اثني عشر يومًا لتملأ براميلها بالماء. هل تعرفها؟ أشرعة قرمزيَّة وأسد ذهبي على مقدِّمتها، ومليئة بأبناء فراي المتَّجهين إلى (الميناء الأبيض)».

- «أبناء فراي؟». كان هذا آخِر شيءٍ يتوقَّعه داڤوس. «سمعنا أن آل فراي قتلوا ابن اللورد وايمان».

ردَّ اللورد جودريك: «أجل، وكانت ثورة الرَّجل السَّمين عارمةً لدرجة أنه تعهَّد على نفسه بالعيش على الخُبز والنَّبيذ فقط حتى ينال ثأره، لكن قبل نهاية اليوم كان يحشو شِدقيه بالمحار والكعك. بين (الأخوات) و(الميناء الأبيض) سُفن تتحرَّك طوال الوقت، نبيع لهم السَّراطين والأسماك وجُبنة الماعز ويبيعون لنا الخشب والصُّوف والجلود. مما سمعتُ فقد بلغَ حضرة اللورد درجةً غير مسبوقة من البدانة. هذه هي قيمة العهود. الكلام هواء، وما يَخرُج من فم اللورد ماندرلي لا يعني أكثر مما يَخرُج من شرجه»، ومزَّق اللورد قطعةً أخرى من الخُبز يمسح بها طبقه، وتابعَ: «كان مع أبناء فراي جوال من العظام للأحمق السَّمين. قد يُسمِّيها بعضهم كياسةً، أن يجلبوا للرجل رُفات ابنه. لو كان ابني أنا لرددتُ الكياسة وشكرتُ أبناء فراي قبل أن أشنقهم، لكن الرَّجل السَّمين أنبل من أن يفعل ذلك»، ثم دسَّ الخُبز في فمه ومضغَه وابتلعَه، وأردفَ: «لقد ضيَّفتُ أبناء فراي على العَشاء. كان أحدهم جالسًا حيث تجلس. قال إن اسمه ريجار، فكدتُ أضحكُ في وجهه. ذكرَ أنه فقدَ زوجته، لكنه ينوي أن يجد واحدةً جديدةً في (الميناء الأبيض). الغِدفان تطير جيئةً وذهابًا منذ مُدَّة. اللورد وايمان واللورد والدر توصَّلا إلى اتِّفاق، وينويان إبرامه بالزَّواج».

شعرَ داقوس كأن اللورد لكمَه في بطنه. *إذا صدقَ فقد ضاعَ مليكي*. ستانيس باراثيون في أمسِّ الحاجة إلى (الميناء الأبيض). إذا كانت (وينترفل) قلب الشَّمال فـ(الميناء الأبيض) فمه. منذ قرون وخوْر المدينة يظلُّ حُرًّا من الجليد حتى في عُمق الشِّتاء، وبدنوِّ الشِّتاء قد يعني هذا الكثير، ومِثله فضَّة المدينة. آل لانستر يملكون ذهب (كاسترلي روك) كلَّه، وصاهَروا ثروة (هايجاردن) الطَّائلة، في حين أن خزائن الملك ستانيس فارغة. *يجب أن أحاول على الأقل. قد تكون هناك وسيلة أمنعُ بها هذه الزِّيجة*. «يجب أن أصل إلى (الميناء الأبيض). أتوسَّلُ إليك يا سيِّدي اللورد أن تُساعِدني».

بدأ اللورد جودريك يأكل طبقه ممزِّقًا إياه بيديه الكبيرتين وقد طرَّت اليخنة الخُبز البائت، ثم إنه أعلنَ: «لستُ أكنُّ حُبًّا للشَّماليِّين. يقول المِايسترات إن اغتصاب (الأخوات الثَّلاث) كان قبل ألفي عام، لكن (بلدة الأخوات) لم تنسَ. قبلها كنا قومًا أحرارًا يَحكُمنا ملوكنا، وبعدها أصبحَ علينا الخضوع لـ(العُش) كي نُخرِج الشَّماليِّين. لقد تقاتلَ الذِّئب والصَّقر علينا ألف عام حتى التهَم الاثنان شحم ولحم هذه الجُزر الفقيرة ولم يَترُكا لها إلَّا العظم. وبالنِّسبة إلى ملكك ستانيس، حين كان قيِّم سُفن روبرت أرسلَ أسطولًا إلى مينائي دون إذني وجعلَني أشنقُ دستةً من الأصدقاء الطيِّبين، رجالًا مِثلك، بل وتمادى مهدِّدًا إياي بالشَّنق إذا حدثَ أن جنحَت سفينة ما إلى اليابسة لأن (سراج اللَّيل) كانت مطفأةً، ومرغمًا ابتلعتُ غطرسته»، وأكلَ جزءًا آخَر من طبقه مضيفًا: «والآن يأتي إلى الشَّمال مهزومًا وذيله بين قدميه. لماذا أقدِّمُ له العون؟ أجِبني».

فكَّر داڤوس: *لأنه ملكك الشَّرعي، لأنه رجل قوي عادل، الرَّجل الوحيد الذي يستطيع إعادة إعمار البلاد والدِّفاع عنها ضد الأخطار المحتشدة في الشَّمال، لأنه يحمل سيفًا سحريًّا يتوهَّج بنور الشَّمس.* على أن الكلمات احتبسَت في حَلقه، فليس بها يستطيع استمالة سيِّد (الأخت العذبة). *ما الإجابة التي يُريدها؟ هل عليَّ أن أعده بذهبٍ لا نملكه؟ بزوجٍ عالي المقام لابنة ابنته؟ بالأراضي والامتيازات والألقاب؟* لقد حاولَ اللورد آلستر فلورنت أن يلعب تلك اللُّعبة ولأجل هذا احترقَ.

قال اللورد جودريك: «يبدو أن اليد فقدَ النُّطق. إنه لا يحبُّ مذاق يخنة الأخوات، أو مذاق الحقيقة».

ببُطءٍ قال داڤوس: «لقد ماتَ الأسد. هذه هي الحقيقة يا سيِّدي. تايوين لانستر ماتَ».

- «وماذا في هذا؟».

- «من يَحكُم الآن في (كينجز لاندنج)؟ ليس تومن، إنه مجرَّد طفل. أهو السير كيڤان؟».

التمعَ ضوء الشَّمعتين في عينَي اللورد جودريك السَّوداوين وهو يُجيب: «لو كان هو لكنت مقيَّدًا بالسَّلاسل. الملكة هي الحاكمة».

وفهمَ داڤوس. *إن لديه شكوكًا، لا يُريد أن يجد نفسه مع الجانب الخاسر.* «ستانيس دافعَ عن (ستورمز إند) ضد آل تايرل وآل ردواين، وأخذَ (دراجونستون) من فلول آل تارجاريَن، وحطَّم الأسطول الحديدي عند (الجزيرة القصيَّة). الملك الطِّفل لن ينتصر عليه».

- «الملك الطِّفل يملك ثروة (كاسترلي روك) وقوَّة (هايجاردن)، ومعه آل بولتون وآل فراي»، وفركَ اللورد جودريك ذقنه متابعًا: «ومع ذلك... في هذا العالم الشِّتاء وحده أكيد. ند ستارك قال هذا لأبي هنا في هذه القاعة».

- «ند ستارك كان هنا؟».

- «في فَجر ثورة روبرت. الملك المجنون أرسلَ إلى (العُش) مطالبًا برأس ستارك، فردَّ چون آرن بالعصيان. لكن (بلدة النَّوارس) ظلَّت على إخلاصها للعرش، ولكي يعود إلى وطنه ويستدعي راياته اضطرَّ ستارك إلى عبور الجبال إلى (الأصابع) والعثور على صيَّادٍ يحمله عبر (الخليج الطَّويل). خلال الطَّريق هبَّت عاصفة أغرقَت الصيَّاد، لكن ابنته قادَت ستارك إلى (الأخوات) قبل أن يغرق القارب. يقولون إنه تركَها بكيسٍ من الفضَّة ونغلٍ في بطنها سمَّته چون سنو تيمُّنًا بآرن. على كلِّ حال، كان أبي جالسًا حيث أجلسُ الآن حين وصلَ اللورد إدارد إلى (بلدة الأخوات). وقتها حثَّنا المِايستر على إرسال رأس ستارك إلى إيرس لإثبات ولائنا. كان ذلك ليعني مكافأةً ضخمةً. الملك المجنون كان سخيًّا مع من يُرضونه. لكننا كنا قد علمنا أن چون آرن أخذَ (بلدة النَّوارس). كان روبرت أول من تسلَّق الأسوار، وقتلَ مارك جرافتون بيده. حينئذٍ قلتُ: *باراثيون هذا لا يعرف الخوف. إنه يُقاتِل كما يَجدُر بملك،* فضحكَ المِايستر وقال إن الأمير ريجار سيهزم هذا المتمرِّد بالتَّأكيد، وعندها قال ستارك: *في هذا العالم الشِّتاء وحده أكيد. ربما نفقد رؤوسنا... لكن ماذا لو انتصرنا؟* وهكذا صرفَه أبي ورأسه على كتفيه، وقال للورد إدارد: إذا هُزِمتم فأنت لم تكن هنا قَطُّ».

قال داڤوس سيوورث: «مِثلما لم أكن هنا قَطُّ».

(22). اليونيكورن مخلوق أسطوري عبارة عن حصانٍ له قرن واحد ويتمتَّع بقدرات سحريَّة، وفي عالم الرِّواية يُقال إنه حيوان أقرب إلى الكبش في الشَّكل، وله قرن واحد طويل في منتصَف رأسه، ويستطيع تسلُّق الجبال العالية. (المُترجم).

(23). الجروت عُملة كانت متداولةً قديمًا في إنجلترا وأيرلندا وسكوتلندا، ويُساوي أربعة بنسات. (المُترجم).

أتوا بملك ما وراء الجِدار مقيّد اليدين بحبلٍ من القنَّب وتُحيط بعُنقه أنشوطة.

حول قرن سرج جواد السير جودري فارنج الحربي عُقِدَ الطَّرف الآخَر من الحبل، وقد تدرَّع قاتِل العمالقة ومطيَّته بالفولاذ المفضَّض المطعَّم بالمينا الأسود، في حين لم يرتدِ مانس رايدر إلَّا سُترةً طويلةً تَترُك أطرافه مكشوفةً للبرد، وهو ما جعلَ چون سنو يُفكِّر: *كان بإمكانهم أن يدعوه يحتفظ بمعطفه، المعطف الذي رقَّعته المرأة الهمجيّة بقصاصاتٍ من الحرير القرمزي*.

لا عجب أن (الجِدار) يَقطُر كأنه يذرف الدَّمع.

كان چون قد بذلَ محاولةً أخيرةً لإقناع الملك ستانيس بأن حياة ملك ما وراء الجِدار أجدى لهم نفعًا من موته، وقال لصاحِب الجلالة: «مانس يعرف (الغابة المسكونة) أفضل من أيِّ جوَّال، ويعرف تورموند بليَّة العماليق، وقاتلَ (الآخَرين)، وكان معه بوق چورامون لكنه لم يَنفُخ فيه، لم يهدم (الجِدار) وهو يستطيع».

لكن كلماته وقعَت على أُذنين صمَّاويْن، ولم يتزحزَح ستانيس. القانون صريح: المتهرِّب يدفع حياته غرامةً.

عند سفح (الجِدار) الباكي رفعَت الليدي مليساندرا يديها البيضاوين الشَّاحبتين، وأعلنَت: «علينا جميعًا الاختيار. رجالًا أو نساءً، صغارًا أو كبارًا، لوردات أو فلّاحين، اختياراتنا واحدة». حضَّ صوتها چون سنو على التَّفكير في الينسون وجوز الطِّيب والقرنفل إذ شاهدَها واقفةً إلى جوار الملك على منصَّةٍ خشبيَّة مرفوعة فوق الحُفرة. «نختار النُّور أو نختار الظَّلام، نختار الخير أو نختار الشَّر، نختار الإله الحقيقي أو الآلهة الزَّائفة».

طارَ شَعر مانس رايدر البنِّي الشَّائب الكثيف على وجهه وهو يمشي، فأزاحَه عن عينيه بيدين مقيَّدتين وعلى شفتيه ابتسامة، لكن عندما رأى القفص تخلَّت عنه شَجاعته. كان رجال الملكة قد صنعوه من أشجار (الغابة المسكونة)، من الشُّجيرات والفروع اللَّيِّنة وغصون الصَّنوبر بنُسغها اللَّزج وأصابع الويروود البيضاء كالعظم، وثنوا كلَّ هذا ولووه ودسُّوا بعضه في بعضٍ لعمل تعريشةٍ خشبيَّة، ثم علَّقوها فوق حُفرةٍ عميقة مليئة بالحطب وأوراق الشَّجر والهشيم.

نكصَ ملك الهَمج فزعًا من المنظر، وصاحَ: «لا، الرَّحمة! ليس هذا عدلًا. أنا لستُ الملك. إنهم...».

شدَّ السير جودري الحبل، ولم يجد ملك ما وراء الجِدار خيارًا غير أن يتقدَّم وراءه متعثِّرًا وقد خنقَ الحبل كلماته، ولمَّا فقدَ توازُنه وسقطَ جرَّه فارنج بقيَّة الطَّريق، فكان مضرَّجًا بالدِّماء حين دفعَه رجال الملكة وحملوه إلى القفص، ثم جذبَ دستة من الجنود حبل القفص معًا لرفعه في الهواء.

راقبَته مليساندرا يرتفع، ثم قالت: «**يا شعب الأحرار!** ها هنا يقف ملككم ملك الأكاذيب، وها هو ذا البوق الذي وعدَ بأن يُسقِط به (الجِدار)». جلبَ اثنان من رجال الملكة بوق چورامون الأسود المرصَّع بحلقات الذَّهب العتيق، طوله ثمانية أقدامٍ من الطَّرف إلى الطَّرف، وعلى الحلقات الذَّهبيَّة نقوش بالأبجديَّة القديمة، كتابة البَشر الأوائل. ماتَ چورامون منذ آلاف السِّنين، إلَّا أن مانس عثرَ على قبره تحت نهرٍ جليدي في أعالي (أنياب الصَّقيع). *ونفخَ چورامون في بوق الشِّتاء وأيقظَ العماليق من قلب الأرض*. كانت إيجريت قد قالت لچون إن مانس لم يجد البوق. *كذبَت، أو أن مانس كتمَ السِّرَّ عن قومه أنفُسهم*.

شاهدَ ألف من الأسرى من وراء قضبان محبسهم الخشبيَّة إذ رُفِعَ البوق عاليًا، كلُّهم هزيل أشعث رثُّ الثِّياب. تُسمِّيهم (الممالك السَّبع) هَمجًا، ويُسمُّون أنفُسهم شعب الأحرار، لكنهم لا يبدون الآن همجيِّين ولا أحرارًا، وإنما جياع خائفون خدَّرهم البرد.

قالت مليساندرا: «بوق چورامون؟ كلَّا، بل هو بوق الظَّلام. إذا سقطَ (الجِدار) سقطَ اللَّيل، اللَّيل الطَّويل الذي لا ينتهي. يجب ألَّا يَحدُث ذلك، ولن يَحدُث! لقد رأى إله الضِّياء أطفاله في خطرٍ فأرسلَ إليهم بطلًا، آزور آهاي المولود من جديد»، وأشارَت بيدها إلى ستانيس، ونبضَت الياقوتة الكبيرة على رقبتها بالضَّوء.

هو *الحجر* وهي *اللَّهب*. عينا الملك كدمتان زرقاوان غائرتان في وجهه الضَّاوي. كان يرتدي الصَّفائح المعدنيَّة الرَّماديَّة، ومن على منكبيه العريضيْن ينسدل معطف من قُماش الذَّهب المبطَّن بالفراء، وعلى واقي صدره القلب النَّاري المنقوش فوق قلبه، ويُحيط بصُدغيه تاج من الذَّهب الأحمر بروزاته كألسنة اللَّهب المتعانقة. إلى جواره تقف ڤال مليحةً فارعةً، وكانوا قد توَّجوها بحلقةٍ رفيعة بسيطة من البرونز الدَّاكن، وإن بدَت أبهى بالبرونز من ستانيس بالذَّهب. عيناها رماديَّتان جريئتان لا تطرفان، وتحت معطفٍ من فرو القاقوم[24] ترتدي الأبيض والذَّهبي، وقد ضفرَت شَعرها الذَّهبي العسلي صانعةً جديلةً تتدلَّى من على كتفها اليُمنى إلى خصرها، وخضَّب البرد في الهواء وجنتيها بشيءٍ من الحُمرة.

لا تعتمر الليدي مليساندرا تاجًا، لكن الموجودين أجمعهم يعلمون أنها هي ملكة ستانيس الحقيقيَّة، لا المرأة القبيحة التي تركَها ترتجف في (القلعة الشَّرقيَّة). يُقال إن الملك لا ينوي أن يُرسِل في استدعاء الملكة سيليس وابنتهما حتى تُصبِح (قلعة اللَّيل) جاهزةً للسُّكنى. شعرَ چون بالأسف من أجلهما، فـ(الجِدار) لا يُقدِّم إلَّا النَّزر اليسير من سُبل الرَّاحة التي تعتادها بنات علية القوم في الجنوب، وليس في (قلعة اللَّيل) شيء منها البتَّة. إنها مكان كئيب، حتى في أفضل الأحيان.

صاحَت مليساندرا: «**يا شعب الأحرار!** انظُروا مصير من يختار الظَّلام».

وشبَّت النَّار في بوق چورامون.

اشتعلَ البوق بصوتٍ كالصَّفير إذ اندفعَت ألسنة النَّار الخضراء والصَّفراء مطقطقةً تلعقه بطوله، فجفلَ حصان چون مضطربًا، وبطول الصُّفوف وعرضها جاهدَ آخَرون لتهدئة دوابِّهم أيضًا. من المحبس صدرَ أنين وقد رأى الأحرار النِّيران تضطرم في أملهم، وبدأ بعضهم يزعق ويصبُّ اللَّعنات، لكن أكثرهم لاذَ بالصَّمت. لأقلِّ من لحظةٍ بدَت الحروف المنقوشة على الذَّهب العتيق كأنها تتموَّج ملتمعةً في الهواء، ثم أرخى رجال الملكة الحبل ليَسقُط البوق في حُفرة النَّار.

وداخل قفصه راحَ مانس رايدر يخمش الأنشوطة المحيطة بعُنقه بيدين مقيَّدتين ويَصرُخ بكلامٍ مفكَّك عن الخيانة والشَّعوذة، يُنكر ملكيَّته، يُنكِر شعبه، يُنكِر اسمه، يُنكِر كلَّ ما كانه. صرخَ مانس يتوسَّل الرَّحمة ولعنَ المرأة الحمراء وبدأ يضحك بجنون.

وشاهدَ چون بعينين لا ترفَّان، فليس يجرؤ على أن يلوح عليه التَّوتُّر أو الامتعاض أمام إخوته. لقد أمرَ مئتي رجل بالخروج؛ أكثر من نِصف حامية (القلعة السَّوداء)، وقد انتظَموا في صفوفٍ على خيولهم مرتدين الأسود الكئيب حاملين الحِراب رافعين قلنسواتهم ليُخفوا وجوههم... وحقيقة أن كُثرًا منهم مسنُّون وصِبية خُضر. الأحرار يخشون حَرس اللَّيل، ويُريدهم چون أن يأخذوا هذا الخوف معهم إلى ديارهم الجديدة جنوب (الجِدار).

هوى البوق وسط الحطب وورق الأشجار والهشيم، وفي غضون ثلاث نبضات قلبٍ اشتعلَت الحُفرة بأكملها، وراحَ مانس ينتحب ويتوسَّل وهو قابض على قضبان قفصه بيديه المقيَّدتين. حين بلغَته النَّار قامَ برقصةٍ صغيرة، واستحالَت صرخاته إلى صرخة ألمٍ وخوفٍ واحدة طويلة بلا كلمات، وداخل قفصه رفرفَ بهياجٍ كورقة شجرٍ تحترق، كعُثَّةٍ طالَها لهب شمعة.

ووجدَ چون نفسه يتذكَّر أغنيَّةً.

إخوتي، يا إخوتي، أيامي ها هنا انتهَت
وسلبَني حياتي الدورني
لكن لا يهمُّ، فكلُّ البَشر يُدرِكهم الموت
وأنا ذقتُ زوجة الدورني!

وقفَت ڤال على المنصَّة بثباتٍ كأنها قُدَّت من قالبٍ من الملح. *تأبى أن تبكي أو تُشيح ببصرها*. تساءلَ چون عمَّا كانت إيجريت لتفعله في مكانها. *النِّساء هن القويَّات*. وجدَ أفكاره تجنح إلى سام والمِايستر إيمون، وإلى چيلي والرَّضيع. *ستلعنني حتى آخِر نفسٍ في صدرها، لكني لم أرَ سبيلًا آخَر*. كانت (القلعة الشَّرقيَّة) قد بعثَت تقريرًا بعواصف عاتية في (البحر الضيِّق). *أردتُ أن احافظ على سلامتهم، فهل أطعمتهم للسَّراطين بدلًا من ذلك؟* ليلة البارحة حلمَ بسام يغرق، وبإيجريت تموت بسهمه المغروس في جسدها (لم يكن سهمه هو في الواقع، لكنه كذلك دومًا في أحلامه)، وبچيلي تذرف دموعًا داميةً.

اكتفى چون سنو مما رأى، وهكذا قال: «الآن».

غرسَ أولمر ابن (غابة الملوك) حربته في الأرض وخلعَ قوسه وتناولَ سهمًا من جَعبته، وأزاحَ دونل هيل المرِح قلنسوته وفعلَ المِثل، وكذا جارث جرايفيذر وبن الملتحي، وركَّب أربعتهم السِّهام وسحبوها على الأوتار وأطلَقوها.

أصابَ سهم مانس رايدر في صدره، والثَّاني في بطنه، والثَّالث في حَلقه، في حين انغرسَ الرَّابع في أحد قضبان القفص الخشبيَّة واهتزَّ هناك لحظةً قبل أن تشتعل فيه النَّار. تردَّدت أصداء نحيب إحدى النِّساء على (الجِدار) إذ تهاوَت جثَّة ملك الهَمج المرتخية على أرض القفص والنَّار تلتهمها، وغمغمَ چون بخفوت: «والآن انتهَت حراسته». كان مانس رايدر رجلًا من حَرس اللَّيل ذات يوم، قبل أن يستبدل معطفه الأسود بواحدٍ مرقَّع بالحرير الأحمر اللَّامع.

فوق المنصَّة انقلبَت سحنة الملك، لكن چون رفضَ أن يُبادِله النَّظر. كان قاع القفص الخشبي قد سقطَ وقضبانه تتداعى، وكلَّما ارتفعَت ألسنة اللَّهب سقطَ المزيد من الفروع، منها الأحمر كالكرز ومنها الأسود.

قالت مليساندرا للهَمج: «إله الضِّياء خلقَ الشَّمس والقمر والنُّجوم لتُضيء لنا الطَّريق، وحبانا النَّار لتقينا من اللَّيل. لا أحد يصمد أمام لهيبه».

ردَّد رجال الملكة: «*لا أحد يصمد أمام لهيبه*».

هفهفَ ثوب المرأة الحمراء المصبوغ بالقرمزي القاني حولها، وصنعَ شَعرها النُّحاسي هالةً حول وجهها، وتراقصَت ألسنة لهبٍ عشرة من أناملها كالمخالب. «**يا شعب الأحرار!** آلهتكم الزَّائفة لا تستطيع أن تُساعِدكم. بوقكم الزَّائف لم يُنقِذكم. ملككم الزَّائف لم يجلب لكم إلَّا الموت واليأس والهزيمة... لكن ها هنا يقف الملك الحقيقي. **اشهدوا مجده!**».

وامتشقَ ستانيس باراثيون (جالِب الضِّياء).

ودبَّت الحياة في السَّيف الذي توهَّج بالأحمر والأصفر والبُرتقالي. كان چون قد رأى هذا العرض من قبل... لكن ليس هكذا، ليس هكذا على الإطلاق. الآن يبدو (جالِب الضِّياء) كالشَّمس وقد صارَت فولاذًا، ولمَّا رفعَه ستانيس فوق رأسه أشاحَ الحاضرون برؤوسهم أو غطَّوا أعيُنهم مرغمين، ونكصَت الخيول وألقى أحدها راكبه من على ظَهره. بدا كأن وهيج حُفرة النَّار يتقلَّص أمام عاصفة الضِّياء هذه ككلبٍ صغير ينكمش خوفًا من آخَر كبير، واصطبغَ (الجِدار) نفسه بالأحمر والوردي والبُرتقالي إذ تراقصَت أمواج من الألوان على جليده. *أهذه قوَّة دماء الملوك؟*

بصوتٍ خشن يفتقر إلى موسيقى مليساندرا قال ستانيس: «لـ(وستروس) ملك واحد فقط. بهذا السَّيف أدافعُ عن رعاياي وأدمِّرُ من يتهدَّدونهم. اركعوا وأعدكم بالطَّعام والأرض والعدل. اركعوا وعيشوا، أو اذهبوا وموتوا. الخيار لكم»، ودسَّ (جالِب الضِّياء) في غِمده ليُظلِم العالم من جديد، كأن الشَّمس اختبأَت وراء السَّحاب، وأردفَ الملك: «افتحوا البوَّابة».

جأرَ السير كلايتون سوجز بصوتٍ عميق كبوقٍ حربي: «**افتحوا البوَّابة!**»، وردَّد السير كورليس پني: «**افتحوا البوَّابة!**»، وصاحَ الرُّقباء: «**افتحوا البوَّابة!**»، وأسرعَ الرِّجال يُطيعون. انتُزِعَت الخوازيق المدبَّبة من الأرض، ووُضِعَت ألواح الخشب المتين فوق الخندق العميق، وفُتِحَت بوَّابة المحبس. رفعَ چون سنو يده وخفضَها، فافترقَت صفوفه السَّوداء إلى اليمين واليسار مفسحةً الطَّريق إلى (الجِدار)، حيث فتحَ إد الكئيب البوَّابة الحديد.

واستحثَّت مليساندرا الهَمج قائلةً والنَّار تُطَقطِق في الحُفرة أسفلها: «تعالوا، تعالوا إلى النُّور... أو اركُضوا عائدين إلى الظُّلمات. إذا اخترتم الحياة فتعالوا إليَّ».

وقد ذهبوا، بتؤدةٍ في البداية وبعضهم يعرج أو يتَّكئ على رفاقه، لكن الأسرى بدأوا يَخرُجون من محبسهم البدائي. فكَّر چون: *إذا أردتم أن تأكلوا فتعالوا إليَّ، إذا أردتم ألَّا تتجمَّدوا وتتضوَّروا جوعًا فاخضعوا*. بتردُّدٍ وحذرٍ من فخٍّ ما تحرَّك أوائل السُّجناء ببُطءٍ فوق ألواح الخشب وعبر حلقة الخوازيق صوب مليساندرا و(الجِدار)، ثم تبعَهم المزيد عندما رأوا أن أذًى لم يُصِب من سبقوهم، ثم المزيد، حتى باتوا تيَّارًا يتدفَّق بثبات. ناولَ رجال الملكة الذين يرتدون السُّترات المطعَّمة بالحديد ويعتمرون الخوذ القصيرة كلَّ رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ قطعةً من خشب الويرووود الأبيض، غُصنًا مكسورًا شاحبًا كالعظم عالقة به بعض الأوراق الحمراء كالدَّم، وقال چون لنفسه وهو يثني أصابع يد سيفه ويبسطها: *قطعة من الآلهة القديمة لإطعام الإله الجديد*.

كانت حرارة حُفرة النَّار ملموسةً حتى من بعيد، وبالنِّسبة إلى الهَمج فلا بُدَّ أن لفحها شديد. رأى رجالًا ينكمشون على أنفُسهم مع اقترابهم من اللَّهب وسمعَ أطفالًا يبكون، ورأى بعضهم يدور متَّجهًا إلى الغابة، وشاهدَ امرأةً شابَّةً تبتعد متعثِّرةً وهي تقبض على طفلٍ بكلِّ يد، كلَّ بضع خُطواتٍ تَنظُر خلفها لتتأكَّد من أن أحدًا لا يتبعهم، وحين اقتربَت من الأشجار انطلقَت تجري. أخذَ أحد الشُّيوخ غُصن الويرووود الذي ناوَلوه إياه واستخدمَه كسلاح، يُهاجِم به هذا وذاك إلى أن أجهزَ عليه رجال الملكة بالحِراب، واضطرَّ الآخَرون إلى الخطو حول جثَّته حتى أمرَ السير كورليس بإلقائها في النَّار. بعدها اختارَ المزيد من شعب الأحرار الغابة، واحد من كلِّ عشرةٍ ربما.

لكن أغلبهم ظلَّ يتقدَّم. من ورائهم ليس هناك إلَّا البرد والموت، ومن أمامهم الأمل، ولذا تقدَّموا قابضين على قِطع الخشب حتى حانَ وقت إلقاء كلٍّ منها في النَّار. راهلور إله غيور، لا يشبع أبدًا، وهكذا التهمَ الإله الجديد جثَّة الآلهة القديمة وألقى ظلالًا عملاقةً لستانيس ومليساندرا على (الجِدار)، سوداء على الانعكاس الأحمر المتورِّد على الجليد.

كان سيجورن أول الرَّاكعين أمام الملك. ماجنَر (ثِن) الجديد نُسخة أصغر سِنًّا وأطول قامةً من أبيه، نحيف يزحف على رأسه الصَّلع، ويرتدي واقي ساقين من البرونز وقميصًا من الجِلد مخيطة عليه الأقراص البرونزيَّة. ثم تلاه ذو القميص المُخشخِش بدرعه المصنوعة من العظام والجِلد المقوّى وخوذته التي صنعَها من جمجمة عملاق. تحت العظم يَكمُن مخلوق فاسد دنيء له أسنان بنِّيَّة مكسَّرة ومسحة صفراء في بياض عينيه. *رجل ضئيل خبيث غدَّار، لا يقلُّ غباؤه عن قسوته*. لا يُصدِّق چون لحظةً أنه سيصون العهد، ويتساءَل عمَّا شعرَت به ڤال إذ شاهدَته يركع وقد نال المغفرة.

تبعَه قادة أقل شأنًا؛ اثنان من زُعماء ذوي الحوافر بأقدامٍ سوداء صُلبة، وعرَّافة عجوز يُبجِّلها أهل (النَّهر اللَّبني)، وغُلام هزيل داكن العينين في الثَّانية عشرة هو ابن ألفين قاتِل الغِربان، وهاليك أخو هارما رأس الكلب ومعه خنازيرها.

وركعَ كلٌّ منهم أمام الملك.

فكَّر چون: *الطَّقس بارد للغاية على هذه المهزلة*. كان قد حذَّر ستانيس قائلًا: «الأحرار يحتقرون الرُّكَّع. دَعهم يحتفظون بكرامتهم وسيحبُّونك أكثر»، غير أن جلالته لم يُصغِ، وقال: «إنني محتاج إلى سيوفهم لا قُبلاتهم».

بعد الرُّكوع تحرَّك الهَمج مارِّين بصفوف الإخوة السُّود نحو البوَّابة، وكان چون قد كلَّف الجواد وساتان ونِصف دستةٍ من الآخَرين بقيادتهم بالمشاعل عبر (الجِدار). على الجانب الآخَر تنتظرهم أوعية من حَساء البصل وقِطع من الخُبز الأسمر والسُّجق، وفي انتظارهم ملابس أيضًا؛ معاطف وسراويل وأحذية وسُترات وقُفَّازات سميكة من الجِلد. سينامون على أكوامٍ من القشِّ النَّظيف بالقُرب من نارٍ موقدة تقيهم من برد اللَّيل. الملك لا يتصرَّف عبثًا، لكن عاجلًا أو آجلًا سيُعاوِد تورموند بليَّة العماليق الهجوم على (الجِدار)، ويتساءَل چون عن الجانب الذي سيختاره رعايا ستانيس الجُدد لمَّا تحين هذه الساعة. *يُمكنك أن تمنحهم الأرض والرَّحمة، لكن الأحرار يختارون ملوكهم، وقد كان اختيارهم مانس لا أنت.*

تقدَّم باون مارش بحصانه ليتوقَّف إلى جوار چون قائلًا: «يوم لم أتصوَّر أن أراه أبدًا». هزلَ قيِّم الوُكلاء بصورةٍ ملحوظة منذ أصيبَ بجرحٍ في رأسه عند (جسر الجماجم)، ولاحَ الجزء المقطوع من أُذنه. *لم يَعُد يبدو كرُمَّانة*. تابعَ مارش: «لقد ذرفنا دماءنا لنصدَّ الهَمج في (الغور). رجال صالحون سقطوا قتلى هناك، أصدقاء وإخوان، ولأجل ماذا؟».

أعلنَ السير أليسر ثورن بنبرةٍ ناقمة: «ستلعننا البلاد جميعًا لهذا. كلُّ رجلٍ نزيه سيُدير رأسه ويَبصُق إذا ذُكِرَ حَرس اللَّيل».

وما الذي تعرفه أنت عن النَّزاهة؟ «صمتًا بين الصُّفوف». منذ فقدَ اللورد چانوس رأسه صارَ السير أليسر أكثر حذرًا وحيطةً، لكنه لم يتخلَّص من حقده. كانت فكرة تكليفه بقيادة (الحارس الرَّمادي) التي رفضَها سلينت قد داعبَت چون، لكنه يُريد الرَّجل قريبًا. *لطالما كان هو أخطر الاثنين*. بدلًا من ذلك أرسلَ وكيلًا مسنًّا من (بُرج الظِّلال) لتولِّي القيادة في (الحارس الرَّمادي).

رجاؤه أن تصنع الحاميتان الجديدتان فرقًا. يستطيع حَرس *اللَّيل إراقة دماء الأحرار، لكن في النِّهاية لا أمل لنا في ردعهم*. وإعطاء مانس رايدر للنَّار لا يُغيِّر هذه الحقيقة. *ما زلنا قليلين للغاية وما زالوا كثيرين للغاية، وبلا جوَّالة فكأننا عميان*. يجب *أن أرسل رجالًا وراء (الجِدار)، لكن إذا فعلتُ فهل يعودون؟*

النَّفق المشقوق عبر (الجِدار) طويل متعرِّج، وكثيرون من الهَمج مسنُّون أو مرضى أو جرحى، ولذا تقدَّموا بمنتهى البُطء، ولمَّا ركعَ آخِرهم أخيرًا كان اللَّيل قد حلَّ. خمدَت نار الحُفرة، وتقلَّص ظِلُّ الملك على (الجِدار) إلى رُبع ارتفاعه الآنف، وبدأ چون سنو يرى أنفاسه في الهواء. الجوُّ برد ويزداد برودةً. *هذه المهزلة طالَت بما فيه الكفاية*.

ظلَّ نحو أربعين من الأسرى عند المحبس، بينهم أربعة عمالقة، كائنات هائلة مُشعرة لها أكتاف متهدِّلة وسيقان كجذوع الأشجار وأقدام مفلطحة. على الرغم من حجمهم الكبير كان بإمكانهم المرور عبر (الجِدار)، لكن أحدهم رفضَ أن يَترُك ماموثه، ورفضَ الآخَرون تركه. الباقون بَشر، بعضهم ميت وبعضهم يموت، وأكثرهم من أهلهم أو رفاقهم المقرَّبين العازفين عن التَّخلِّي عنهم ولو من أجل وعاءٍ من حَساء البصل.

بين من يرتجف ومن أعجزَه الخدَر عن الارتجاف استمعوا لصوت الملك يتردَّد هادرًا على (الجِدار) إذ قال لهم ستانيس: «لكم أن تذهبوا. أخبِروا قومكم بما رأيتم، قولوا لهم إنكم رأيتم الملك الحقيقي وإنه يُرحِّب بهم في مملكته ما داموا سيحفظون سلامه، وإلَّا فعليهم أن يفرُّوا أو يختبئوا، فلن أسمح بهجماتٍ أخرى على جِداري».

هتفَت الليدي ميليساندرا: «مملكة واحدة، إله واحد، ملك واحد!».

والتقطَ رجال الملكة منها الهتاف قارعين تروسهم بكعوب الجِراب، وردَّدوا: «***مملكة واحدة، إله واحد، ملك واحد! ستانيس! ستانيس! مملكة واحدة، إله واحد، ملك واحد!***».

لاحظَ چون أن ڤال لم تنضمَّ إليهم في أنشودتهم، وكذا إخوة حَرس اللَّيل. خلال الجعجعة ذابَ الهَمج القلائل المتبقُّون في الغابة، وكان آخِر الرَّاحلين العمالقة الأربعة، اثنان على متن الماموث واثنان على الأقدام، ولم يتبقَّ إلَّا الموتى. شاهدَ چون إذ نزلَ ستانيس من فوق المنصَّة وميليساندرا إلى جواره. *ظِلُّه الأحمر، قلَّما تَترُكه*. انتظمَ حَرس شَرف الملك حولهما؛ السير جودري والسير كلايتون ودستة من الفُرسان الآخَرين، كلُّهم من رجال الملكة، وقد ترقرقَ نور القمر على دروعهم وراحَت الرِّيح تَمضُغ معاطفهم.

قال چون لمارش: «حضرة قيِّم الوُكلاء، فكِّكوا المحبس من أجل الحطب وألقوا الجُثث في النَّار».

- «أمر سيِّدي». زعقَ مارش بالأوامر فانفصلَ حشد من وُكلائه عن الصُّفوف وانقضُّوا على الأسوار الخشبيَّة، وقال القيِّم وهو يُشاهدَهم عاقدًا حاجبيه: «هؤلاء الهَمج... هل تظنُّ أنهم سيحفظون العهد يا سيِّدي؟».

- «بعضهم، ليس الجميع. إن لنا جُبناءنا ومخادعينا وضعافنا وحمقانا، وكذلك هُم».

- «يميننا... إننا مقسمون على حماية البلاد...».

- «حالما يستقرُّ الأحرار في (الهديَّة) سيُصبِحون جزءًا من البلاد. أيامنا هذه أيام يأس، وستزداد يأسًا. لقد رأينا وجه عدوِّنا الحقيقي، وجهًا أبيض ميتًا عيناه زرقاوان بارقتان. شعب الأحرار رأى هذا الوجه أيضًا. ستانيس ليس مخطئًا في هذا الشَّأن، لا مناص من التَّحالُف مع الهَمج».

قال باون مارش: «التَّحالُف ضد عدوٍّ مشترَك، أتَّفقُ مع هذا، لكنه لا يعني أن علينا السَّماح لعشرات الآلاف من البرابرة الجائعين بالمرور من (الجِدار). فليعودوا إلى قُراهم ليُقاتِلوا (الآخَرين) هناك ونسدُّ نحن البوَّابات. أوثيل يقول لي إن الأمر لن يكون صعبًا. ما علينا إلَّا أن نملأ الأنفاق بالدَّبش ونصبَّ الماء من كُوَّات الدِّفاع، وسيتولَّى (الجِدار) الباقي. البرد والوزن... في غضون دورة قمرٍ ستكون البوَّابة كأنها لم تُوجَد قَطُّ، وعلى أيِّ عدوٍّ أن يشقَّ طريقه حفرًّا».

- «أو يتسلَّق».

- «مستبعَد. هؤلاء ليسوا هجَّانةً خرجوا لاختطاف زوجةٍ أو السَّلب والنَّهب. سيكون مع تورموند أطفال وعجائز وقُطعان من الخراف والماعز، وماموثات أيضًا. إنه محتاج إلى بوَّابة، وهناك ثلاث بوَّابات باقية فقط. وإذا أرسلَ متسلِّقين... الدِّفاع ضد المتسلِّقين ببساطة صيد سمكةٍ من قِدر».

السَّمك لا يَخرُج من القِدر ويغرس حربةً في بطنك. لقد خبرَ چون تسلُّق (الجِدار) بنفسه.

واصلَ مارش: «بالنَّظر إلى عدد القنوات المستهلَكة التي جمعناها فلا بُدَّ أن رُماة مانس رايدر ألقونا بعشرة آلاف سهمٍ على الأقل، وما بلغَ رجالنا منها على قمَّة (الجِدار) أقل من مئة، أكثرها رفعَته هبَّة ريحٍ عشوائيَّة. آلن الأحمر ابن (غابة الورد) الرَّجل الوحيد الذي ماتَ بالأعلى، والسَّقطة هي التي قتلَته لا السَّهم الذي أصابَ ساقه. دونال نوي ماتَ دفاعًا عن البوَّابة، عمل شُجاع، نعم... لكن لو كانت البوَّابة مسدودةً فلربما كان حدَّادنا المقدام معنا الآن. سواء أكنا نُواجِه مئة عدوٍّ أو مئة ألف، ما دُمنا على قمَّة (الجدار) وهُم بالأسفل فلن يستطيعوا إيذاءنا».

ليس مخطئًا. لقد انكسرَ جيش مانس رايدر على (الجِدار) كما ينكسر الموج على شاطئٍ حجري، مع أن المُدافعين لم يكونوا سوى رجالٍ مسنِّين وصِبيان خُضر وعاجزين. وعلى الرغم من هذا يُعارِض ما يقترحه مارش غريزة چون بالكامل. «إذا سددنا البوَّابات فلن نستطيع إرسال جوَّالة. سنكون كالعميان».

- «حملة اللورد مورمونت الأخيرة كلَّفت الحَرس رُبع عددهم يا سيِّدي. يجب أن ندَّخر ما تبقَّى لنا من قوَّة. كلُّ موتٍ يُضعِفنا، كما أننا موزَّعون على مساحةٍ كبيرة للغاية. خُذ الموقع العالي واربح المعركة، كما اعتادَ عمِّي أن يقول، ولا موقع أعلى من (الجِدار) يا حضرة القائد».

- «ستانيس وعدَ أيَّ همجيٍّ يركع بالأرض والطَّعام والعدالة، ولن يسمح لنا أبدًا بسدِّ البوَّابات».

تردَّد مارش لحظةً قبل أن يقول: «لورد سنو، لستُ رجلًا يحبُّ النَّميمة، لكن هناك كلامًا عن أنك صرت... ودودًا أكثر من اللَّازم مع اللورد ستانيس. بل ويُلمِّح بعضهم إلى أنك... أنك...».

متمرِّد ومارِق، أجل، ونغل ووارْج أيضًا. ربما رحلَ چانوس سلينت، لكن أكاذيبه باقية. «أعرفُ ما يقولون». سمعَ چون الهمسات ورأى رجالًا يعرضون عنه عابسين حين يَعبُر السَّاحة. «ماذا يُريدونني أن أفعل؟ أحمل السِّلاح ضد ستانيس والهَمج في آنٍ واحد؟ رجال جلالته يَبلُغون ثلاثة أضعاف رجالنا المقاتلين، ناهيك بأنه ضيفنا. قوانين الضِّيافة تحميه، ونحن مدينون له ولرجاله».

بعنادٍ قال مارش: «اللورد ستانيس أعانَنا عندما احتجنا إلى العون، لكنه يظلُّ متمرِّدًا وقضيَّته خاسرة، مِثلما سنكون إذا وصمَنا العرش الحديدي بالخيانة. يجب أن نحرص على عدم اختيار الجانب الخاسر».

قال چون: «ليست نيَّتي أن أختار أيَّ جانب، لكنني لستُ متأكِّدًا من نتيجة هذه الحرب مِثلك يا سيِّدي وقد ماتَ اللورد تايوين». إذا صدقَت الحكايات الآتية على (طريق الملوك) فقد قُتِلَ يد الملك بيد ابنه القزم وهو جالس على المرحاض. لقد عرفَ چون تيريون لانستر فترةً وجيزةً. *صافحَني ودعاني بالصَّديق*. عصيٌّ على التَّصديق أن يقدر الرَّجل الصَّغير على قتل والده، لكن وفاة اللورد تايوين نفسها لا ريب فيها. «الأسد في (كينجز لاندنج) شِبل، والعرش الحديدي معروف بتمزيق الكبار أنفُسهم أشلاءً».

- «قد يكون صبيًّا صغيرًا يا سيِّدي، ولكن... الملك روبرت كان محبوبًا، وما زالَ أكثر الرِّجال يُصدِّقون أن تومن ابنه. كلَّما رأوا المزيد من اللورد ستانيس قلَّ حبُّهم له، وقلائل من يحبُّون الليدي مليساندرا بنيرانها وربِّها الأحمر الجهيم إياه. إنهم يشتكون».

- «كانوا يشتكون من حضرة القائد مورمونت أيضًا. ذات مرَّةٍ قال لي إن الرِّجال يحبُّون الشَّكوى من زوجاتهم وسادتهم، ومن بلا زوجات تتضاعَف شكواهم من سادتهم»، ثم ألقى چون سنو نظرةً نحو المحبس فرأى حائطيْن أُزيلا والثَّالث يَسقُط سريعًا، وهكذا قال: «سأتركك تُنهي العمل هنا يا باون. احرص على إحراق الجُثث كلِّها. شكرًا لنصيحتك. أعدُك بالتَّفكير في كلِّ ما قلته».

كان الدُّخان والرَّماد ما زالا عالقيْن بالهواء حول الحُفرة عندما خبَّ چون عائدًا إلى البوَّابة، حيث ترجَّل ليقود حصانه عبر الجليد إلى الجانب الجنوبي، وقد سبقَه إد الكئيب حاملًا مشعلًا لعقَت ألسنة لهبه السَّقف، فظلَّت الدُّموع الباردة تتساقَط عليهم طوال الطَّريق.

قال إد: «أراحَتني رؤية ذلك البوق يحترق يا سيِّدي. البارحة فقط حلمتُ بنفسي أتبوَّلُ من فوق (الجِدار)، وعندها قرَّر أحدهم أن يُجرِّب النَّفخ في البوق. لستُ أشكو. هذا أفضل من حُلمي القديم الذي تُطعِمني فيه هارما رأس الكلب لخنازيرها».

- «هارما ماتَت».

- «ولكن ليس الخنازير. إنها تَنظُر إليَّ كما تعوَّد القاتِل النَّظر إلى اللَّحم. لا أعني أن الهَمج يُضمِرون لنا شرًّا. أجل، حطَّمنا آلهتهم وجعلناهم يُحرِقون شظاياها، لكننا أعطيناهم حَساء البصل أيضًا. وما الآلهة مقارنةً بوعاءٍ من حَساء البصل السَّاخن؟ أودُّ واحدًا عن نفسي».

كانت روائح الدُّخان واللَّحم المحروق لا تزال متمسِّكةً بثياب چون السَّوداء. يعلم أن عليه أن يأكل، لكن ما يشتهيه حقًّا هو الصُّحبة لا الطَّعام. كوب من *النَّبيذ مع المِايستر إيمون، حوار هادئ مع سام، القليل من الضَّحك مع پيپ وجرِن والضِّفدع*. لكن إيمون وسام رحلا، وأصدقاؤه الآخَرون... «سأتناوَلُ العَشاء مع الرِّجال هذا المساء».

- «لحم بقري مسلوق وشمندر». دائمًا يعرف إد الكئيب ما يُطهى اليوم في المطابخ. «لكن هوب يقول إن الفجل الحار نفدَ. ما جدوى اللَّحم البقري دون فجل حار؟».

منذ أحرقَ الهَمج القاعة العامَّة القديمة يتناوَل رجال (القلعة السَّوداء) وجباتهم في القبو الحجري تحت مستودَع السِّلاح، وهو حيِّز فسيح يقسمه صفَّان من الأعمدة الحجريَّة المربَّعة، له سقف مقنطَر وعند جُدرانه براميل نبيذٍ ومِزر كبيرة مرصوصة. حين دخلَ چون كان أربعة من البنَّائين يلعبون البلاطات جالسين إلى المائدة الأقرب إلى السَّلالم، وعلى مقربةٍ من النَّار تجلس مجموعة من الجوَّالة وبعض رجال الملك يتكلَّمون بهدوء.

كان الرِّجال الأصغر سِنًّا مجتمعين حول مائدةٍ أخرى، حيث طعنَ پيپ ثمرة لفت بسكِّينه معلنًا بكآبة: «اللَّيل مظلمٌ ومفعمٌ باللِّفت. دعونا ندعو بلحم الغزلان يا أطفالي، مع القليل من البصل والمرق اللَّذيذ»، وهو ما أضحكَ أصدقاءه؛ جرِن وتودر وساتان والآخَرين كلَّهم.

على أن چون سنو لم يُشارِكهم الضَّحك، بل قال: «السُّخرية من أدعية الغير حماقة يا پيپ، وخطر».

- «فليُطِح بي الإله الأحمر إذا شعرَ بالإهانة».

لحظتها ماتَت الابتسامات كلُّها، وقال ساتان: «كنا نسخر من الرَّاهبة لا إلهها. مجرَّد دُعابة يا سيِّدي». الشَّاب رشيق وسيم، وكان من قبل بائع هوى في (البلدة القديمة).

- «إن لكم آلهتكم ولها إلهها، فدعوها وشأنها».

جادلَه الضِّفدع قائلًا: «لكنها لن تدع آلهتنا وشأنهم. إنها تدعو (السَّبعة) بالآلهة الزَّائفة يا سيِّدي، والآلهة القديمة أيضًا. لقد جعلَت الهَمج يُحرِقون أغصان الويروود كما رأيت بنفسك».

- «الليدي مليساندرا ليست تحت قيادتي، أمَّا أنتم فتحتها. لن أسمح بوقوع ضغينةٍ بين رجال الملك ورجالي».

وضعَ پيپ يده على ذراع الضِّفدع، وقال: «كفى نقيقًا يا ضفدعنا الشُّجاع، فقد قال اللورد سنو العظيم كلمته»، وهبَّ واقفًا وانحنى لچون بسُخريةٍ قائلًا: «أستميحك العُذر. من الآن فصاعدًا لن أهزَّ أُذنَي إلَّا بإذنٍ من حضرة اللورد السَّامي».

يحسب *كلَّ شيءٍ لُعبةً*. أرادَه چون أن يتعقَّل بعض الشَّيء، فقال له بغلظة: «لك أن تهزَّ أُذنيك كما تشاء. لسانك هو ما يصنع المتاعب».

قال جرِن: «سأحرصُ على أن يكون أكثر حذرًا، وإذا لم يكن فسأعنِّفه»، وتردَّد بُرهةً، ثم استطردَ: «سيِّدي، هلَّا تناوَلت العَشاء معنا؟ أوين، انزَح وأفسِح مكانًا لچون».

لم يكن چون يودُّ شيئًا أكثر من هذا، لكنه قال لنفسه رغمًا عنه: *لا، تلك الأيام ولَّت*. التوى الإدراك في بطنه كالخنجر. لقد اختاروه للحُكم. (الجِدار) تحت قيادته، وحياتهم كذلك. كان بإمكانه سماع السيِّد والده يقول: *يُمكن للورد أن يحبَّ الرِّجال الذين يقودهم، لكن لا يُمكنه أن يكون صديقهم، فقد يأتي يوم ويضطرُّ إلى إصدار الحُكم عليهم أو إرسالهم إلى نحبهم*. هكذا ردَّ حضرة القائد كاذبًا: «مرَّة أخرى. إد، تناوَل أنت عَشاءك. إن عندي عملًا».

شعرَ بالهواء في الخارج أبرد مما كان. عبر القلعة رأى ضوء الشُّموع يلمع من نوافذ (بُرج الملك)، وقد وقفَت ڤال على قمَّته تتطلَّع إلى (الجِدار). يحتفظ ستانيس بها حبيسةً في المسكن الواقع فوق مسكنه، لكنه يسمح لها بالخروج إلى الشُّرفة على سبيل الرِّياضة. *تبدو رائعة الجَمال، وحيدةً ورائعة الجَمال*. كانت إيجريت حسناء على طريقتها بشَعرها الأحمر الذي قبَّلته النَّار، لكن ما كان يجعل وجهها يُضيء حيويَّةً هو بسمتها. أمَّا ڤال فليست مضطرَّةً إلى الابتسام، فجَمالها قمين بإدارة رؤوس الرِّجال في أيِّ بلاطٍ في العالم الرَّحب.

وعلى الرغم من هذا لا تجد الأميرة الهمجيَّة حُبًّا من سجَّانيها. إنها تتهكَّم عليهم جميعًا وتدعوهم بالرُّكَّع، وحاولَت الهرب ثلاث مرَّات، ولمَّا توانى أحد الجنود في الحذر في حضرتها اختطفَت خنجره من غِمده وطعنَته في عُنقه. بوصة واحدة إلى اليسار وكان ليموت.

وحيدة ورائعة الجَمال ومميتة، وكان بإمكاني أن آخذها لنفسي، هي و(وينترفل) واسم السيِّد والدي. وبدلًا من ذلك اختارَ معطفًا أسود وحائطًا من الجليد، بدلًا من ذلك اختارَ الشَّرف. *الشَّرف على طريقة النُّغول*.

ارتفعَ (الجِدار) إلى يمينه إذ قطعَ السَّاحة، يلتمع جليده العالي بشحوبٍ لكن من أسفل تحفُّه الظِّلال. عند البوَّابة يتسرَّب وهج بُرتقالي خافت عبر القضبان حيث يستتر الحُرَّاس من الرِّيح، وتناهى إلى مسامع چون صرير السَّلاسل والقفص يتأرجَح ويحتكُّ بالجليد. مؤكَّد أن الحُرَّاس بالأعلى مجتمعون حول مستوقَدٍ في سقيفة التَّدفئة، يتصايَحون ليسمع بعضهم بعضًا في مهبِّ الرِّيح، أو أنهم تخلَّوا عن محاولة الكلام وغاصَ كلٌّ منهم في بِركةٍ من الصَّمت. *المفترَض أن أصعد وأمشي على الجليد. (الجِدار) تحت قيادتي.*

كان يمشي أسفل هيكل (بُرج القائد) مارًّا بالبُقعة التي ماتَت فيها إيجريت بين ذراعيه عندما ظهرَ جوست إلى جواره وأنفاسه تَخرُج بُخارًا في الهواء. في نور القمر تتَّقد عينا الذِّئب الرَّهيب الأبيض الحمراوان كمارجيْن من نار. ملأَ مذاق الدَّم السَّاخن فم چون، فعلمَ أن جوست قتلَ اللَّيلة. قال لنفسه: *لا، أنا بَشري لا ذئب*، وفركَ فمه بظَهر يده المقفَّزة وبصَق.

ما زالَ كلايداس يُقيم في المسكن الواقع تحت المِغدفة[25]، وحين سمعَ طرقة چون أتى مسرعًا يحمل فتيلًا ليُوارِب الباب، فسألَه چون: «هل أتطفَّلُ؟».

فتحَ كلايداس الباب مجيبًا. «إطلاقًا. كنتُ أتبِّلُ القليل من النَّبيذ. هل يُريد سيِّدي كوبًا؟».

- «بكلِّ سرور». كانت يداه متيبِّستين بردًا بالفعل، فخلعَ قُفَّازه وراحَ يثني أصابعه ويبسطها.

عادَ كلايداس إلى المستوقَد يُقلِّب النَّبيذ. *في الستِّين من العُمر على الأقل، رجل مسنٌّ. كان يبدو أصغر مقارنةً بإيمون فحسب.* كلايداس قصير القامة مستدير البدن، له عينان ورديَّتان باهتتان كمخلوقٍ ليلي ما. عندما صبَّ له النَّبيذ حملَ چون الكوب بكلتا يديه وتشمَّم التَّوابل ورشفَ لينتشر الدِّفء في صدره، ثم أخذَ جرعةً ثانيةً طويلةً ليغسل فمه من مذاق الدَّم.

- «رجال الملكة يقولون إن ملك ما وراء الجِدار ماتَ جبانًا، إنه توسَّل الرَّحمة وأنكرَ أنه ملك».

قال چون: «نعم. كان (جالِب الضِّياء) أبهى مما رأيتُ من قبل على الإطلاق، ساطعًا كالشَّمس»، ورفعَ كوبه مضيفًا: «نخب ستانيس باراثيون وسيفه المسحور». كان مذاق النَّبيذ مُرًّا في فمه.

- «جلالته ليس رجلًا سهلًا. قلائل ممَّن يعتمرون التِّيجان كذلك. اعتادَ المِايستر إيمون أن يقول إن رجالًا صالحين كُثرًا كانوا ملوكًا طالحين، وإن بعض الرِّجال الطَّالحين كانوا ملوكًا صالحين».

- «مؤكَّد أنه يعلم هذا». لقد عاصرَ إيمون تارجاريَن تسعة ملوكٍ على العرش الحديدي، وكان ابنًا لملكٍ وأخًا لملكٍ وعمًّا لملك. «ألقيتُ نظرةً على الكتاب الذي تركَه لي المِايستر إيمون، (خُلاصة اليَشب)، الصَّفحات التي تحكي عن آزور آهاي. كان سيفه (جالِب الضِّياء) الذي سقَّى فولاذه بدماء زوجته، إذا صدقَ ما كتبَه ڤوتار، ومنذ ذلك الحين لم يبرد (جالِب الضِّياء) قَطُّ، بل ظلَّ دافئًا كما كانت نيسا نيسا، وفي المعركة يتَّقد السَّيف بنارٍ حامية. ذات مرَّةٍ قاتلَ آزور آهاي وحشًا، وحين أغمدَ النَّصل في بطن الوحش بدأ دمه يغلي وتدفَّق الدُّخان والبُخار من فمه وذابَت عيناه وسالَتا على وجهه واشتعلَ اللَّهب في جسمه».

حدَّق كلايداس إليه قائلًا: «السَّيف الذي يُولِّد حرارته الخاصَّة...».

- «... سيكون مفيدًا للغاية على (الجِدار)»، ووضعَ چون كوبه جانبًا وعادَ يرتدي قُفَّازيه المصنوعين من جِلد الخُلد، وأردفَ: «مؤسفٌ أن السَّيف الذي يحمله ستانيس بارد. عندي فضول لرؤية ما سيفعله جالِب ضيائه في المعركة. شكرًا على النَّبيذ. جوست، معي»، ورفعَ چون سنو قلنسوة معطفه وتبعَه الذِّئب الأبيض إلى اللَّيل بالخارج.

كان مستودَع السِّلاح مظلمًا صامتًا. أومأ چون برأسه للحُرَّاس قبل أن يشقَّ طريقه إلى مسكنه مارًّا بصفوف الحِراب الصَّامتة. عندما خلعَ قُفَّازيه وجدَ يديه باردتين متخشِّبتين، واستغرقَ مُدَّةً طويلةً حتى أشعلَ الشُّموع. تكوَّر جوست على نفسه فوق بساطه وغابَ في النَّوم، لكن چون لا يستطيع الرَّاحة بعدُ. المنضدة المشوَّهة المصنوعة من خشب الصَّنوبر مغطَّاة بخرائط (الجِدار) والأراضي الواقعة ورائه، مع قائمةٍ بالجوَّالة ورسالة من (بُرج الظِّلال) مكتوبة بخطِّ السير دينس ماليستر النَّضيد.

قرأ رسالة (بُرج الظِّلال) مرَّتين، ثم شحذَ ريشة كتابةٍ وخلع سدادة دواة الحبر الأسود الثَّخين. كتبَ رسالتين، الأولى للسير دينس والثَّانية لكوتر پايك. كلاهما يلحُّ عليه في طلب المزيد من الرِّجال، وهكذا أرسلَ هالدر والضِّفدع إلى (بُرج الظِّلال)، وجرِن وپيپ إلى (القلعة الشَّرقيَّة) على البحر. لم يكن الحبر سائلًا كما ينبغي، وبدَت كلماته خشنةً رديئةً خرقاء، لكنه واصلَ الكتابة.

ولمَّا وضعَ الرِّيشة أخيرًا كانت غُرفته معتمةً باردةً، وشعرَ بجُدرانها تنغلق عليه. فوق النَّافذة يجثم غُداف الدُّب العجوز ويَرمُقه بعينين سوداوين ثاقبتين، ففكَّر بأسى: صديقي *الأخير*، وخيرٌ لي *أن تموت قبلي وإلَّا أكلت وجهي أيضًا*. جوست لا يُحسَب، جوست أكثر من صديق، جوست جزء منه.

نهضَ چون وصعدَ السُّلَّم إلى الفِراش الضيِّق الذي كان لدونال نوي، وفيما يخلع ثيابه قال لنفسه مستوعبًا الأمر الواقع: *هذا* نصيبي، *من الآن وحتى نهاية أيامي*.

---

(24). القاقوم حيوان ثديي ينتمي إلى فصيلة العرسيَّات، وهو من أخطر حيوانات هذه الفصيلة على الرغم من لُطف شكله

وجَماله، وله فرو يُستخدم في صناعة الملابس الفاخرة. (المُترجم).

(25) المِغدفة عبارة عن قفصٍ كبير بمثابة عُش لطيور الغُداف. (المُترجم).

صاحَت إذ هزَّت إيري كتفها برفق: «ما الخطب؟». بالخارج كان اللَّيل في هدأته، وعلمَت من فورها أن شيئًا ما على غير ما يُرام. «أهو داريو؟ ماذا حدثَ؟». في حُلمها كانا زوجًا وزوجةً، شخصيْن بسيطيْن يعيشان حياةً بسيطةً في منزلٍ حجري عالٍ له باب أحمر. في حُلمها راحَ يطبع قُبلاته على جسدها كلِّه؛ على ثغرها، على عُنقها، على نهديها.

غمغمَت إيري: «لا يا گاليسي. إنه خصيُّكِ الدُّودة الرَّمادي والرَّجلان الأصلعان. هل سترينهم؟».

قالت داني: «نعم»، ولمَّا أدركَت أن شَعرها ملبَّد وملابس نومها مجعَّدة متشابكة أضافَت: «ساعِديني على تبديل ثيابي. سأشربُ كوب نبيذٍ أيضًا». *لأُغرق حُلمي*. ثم إنها سمعَت نحيبًا خفيضًا، فتساءلَت: «مَن يبكي؟».

أجابَتها چيكوي التي تحمل فتيلًا بيدها: «أَمتكِ ميسانداي».

صحَّحت لها داني: «خادمتي. ليست عندي أَمات»، ثم سألَت غير فاهمة: «لماذا تبكي؟».

أخبرَتها إيري: «تبكي مَن كان أخاها».

عرفَت الباقي من سكاهاز ورزناك والدُّودة الرَّمادي حين مثلوا أمامها. أدركَت داني أن أخبارهم سيِّئة قبل أن ينطق أحدهم بكلمةٍ وبمجرَّد النَّظر إلى وجه الرَّأس الحليق القبيح. «أبناء الهارپي؟».

أومأَ سكاهاز برأسه إيجابًا وقد زمَّ فمه بجهامة.

- «كم ميتًا؟».

هزَّ رزناك يديه بحرارةٍ مجيبًا: «تتسعة يا صاحِبة السُمو. فَعلة بغيضة شرِّيرة. إنها ليلة شنيعة، شنيعة».

تسعة. كانت الكلمة بمثابة خنجرٍ في قلبها. كلَّ ليلةٍ تُشَنُّ حرب الظِّلال من جديدٍ أسفل أهرامات (ميرين) المدرَّجة، وكلَّ صبيحةٍ تُشرِق الشَّمس على جُثثٍ جديدة إلى جوارها الهاربي مرسومة على القرميد، وكلُّ معتَقٍ انتعشَت أحواله أو عُرِف بكلامه الصَّريح محكوم عليه بالموت. *لكن تسعة في ليلةٍ واحدة*... يُخيفها هذا حقًّا. «أخبِروني».

أجابَها الدُّودة الرَّمادي: «خدمكِ هوجِموا وهُم يجوبون شوارع (ميرين) لحِفظ سلام جلالتكِ. كانوا كلُّهم شاكّي السِّلاح، يحملون الحِراب والتُّروس والسُّيوف القصيرة. ساروا اثنين اثنين، وماتوا اثنين اثنين. خادماكِ القبضة السَّوداء وسيثريس قتلَتهما سهام نُشَّابيّة في (متاهة مازدان)، وخادماكِ موسادور وديوران سحقَتهما حجارة مُلقاة من فوق السُّور المطلّ على النَّهر، وخادماكِ إلادون ذو الشَّعر الذَّهبي والرُّمح الوفي ماتا مسمومَيْن في خمَّارةٍ اعتادا زيارتها كلَّ ليلةٍ خلال دوريَّتهما».

موسادور. كوَّرت داني قبضتها. لقد اختُطِفَت ميسانداي وأخواها من موطنهما في (ناث) وباعَهما مُغيرو (جُزر البازيليسق) للعبوديَّة في (أستابور)، لكن على الرغم من سِنِّها الصَّغيرة أبدَت ميسانداي موهبةً كبيرةً في اللُّغات حتى إن الأسياد الكرام أسنَدوا إليها العمل كمُترجمة، أمَّا أخواها موسادور ومارسلن فلم يكونا محظوظيْن مِثلها، فخُصِيَ كلاهما وصُنِعَ منهما جُنديَّين مُطهَّريْن. «هل قُبِضَ على أيٍّ من القتَلة؟».

- «خدمكِ قبضوا على مالك الخمَّارة وبناته، لكنهم يدَّعون البراءة ويتوسَّلون الرَّحمة».

كلُّهم يدّعون البراءة ويتوسّلون الرّحمة. «أعطِهم للرَّأس الحليق. سكاهاز، افصل كلًّا منهم عن الآخَر واستجوِبهم».

- «سأفعلُ يا صاحِبة العبادة. هل تُريدينني أن أستجوبهم باللِّين أم بالعُنف؟».

ردَّت: «باللِّين كبداية. اسمع ما لديهم والأسماء التي يُدلون بها. ربما لم تكن لهم يد في هذا»، وتردَّدت لحظةً ثم سألَت: «النَّبيل رزناك قال تسعة. مَن أيضًا؟».

قال الرَّأس الحليق: «ثلاثة معتَقين قُتِلوا في بيوتهم؛ مُرابٍ وإسكاف وعازفة القيثار رايلونا ري. لقد بتروا أصابعها قبل أن يَقتُلوها».

جفلَت الملكة. كانت رايلونا ري تعزف على القيثار بعذوبة (العذراء)، ووقت أن كانت أَمةً في (يونكاي) اعتادَت أن تسمع ألحانها كلُّ عائلةٍ نبيلة في المدينة، وفي (ميرين) أصبحَت قائدةً بين اليونكيِّين المحرَّرين وصوتهم في مجلس داني. «ألم نقبض على أحدٍ إلّا بائع الخمور هذا؟».

- «لا أحد، يُؤسِفني أن أقرَّ بهذا. نستميحكِ العُذر».

الرَّحمة. سينالون رحمة التنِّين. «سكاهاز، لقد غيَّرتُ رأيي. استجوِب الرَّجل بالعُنف».

- «يُمكنني أن أفعل هذا، أو يُمكنني أن أستجوب البنات بالعُنف على مرأى من الأب. سيستخلِص هذا بعض الأسماء منه».

- «افعل ما تراه أفضل، لكن ائتِني بأسماء». كانت غضبتها نارًا في بطنها. «لن أسمح بقتل المزيد من المُطهَّرين. أيها الدُّودة الرَّمادي، اسحب رجالك إلى ثُكناتهم. من الآن فصاعدًا سيَحرُسون جُدراني وبوَّاباتي وشخصي فقط، ومن اليوم على الميرينيزيِّين أن يحفظوا السَّلام في (ميرين). سكاهاز، كوِّن لي فِرق حراسةٍ جديدةً من الرُّؤوس الحليقة والمعتَقين بالتَّساوي».

- «أمركِ. كم رجلًا؟».

- «كما تحتاج».

شهقَ رزناك مو رزناك قائلًا: «صاحِبة الشُّمو، من أين نأتي بالمال لدفع أجور كلِّ هذه الأعداد؟».

- «من الأهرامات. سمِّها ضريبة دم. أريدُ مئة قطعةٍ من الذَّهب من كلِّ هرمٍ مقابل كلِّ رجلٍ قتلَه أبناء الهارپي».

رسمَ ردُّها ابتسامةً على وجه الرَّأس الحليق، وقال: «أمركِ نافذ. لكن على صاحِبة الرَّونق أن تعلم أن أسياد زاك وميريك العظام يستعدُّون للخروج من هرميهم ومغادرة المدينة».

سئمَت دنيرس حدَّ الموت من زاك وميريك، سئمَت من الميرينيزيِّين أجمعين كبارهم وصغارهم. هكذا قالت: «دَعهم يذهبون، لكن احرص على ألَّا يأخذوا غير الثِّياب التي عليهم، وتأكَّد من بقاء ذهبهم كلِّه هنا معنا، ومخزون أطعمتهم أيضًا».

غمغمَ رزناك مو رزناك: «صاحِبة الشُّمو، لسنا نعلم إن كان هؤلاء النُّبلاء العظام ينوون الانضمام إلى أعدائكِ. الأرجح أنهم ذاهبون إلى أملاكهم في التِّلال».

- «إذن فلن يُمانِعوا أن نحفظ ذهبهم في أمان. ليس في التِّلال ما يُشترى».

- «إنهم خائفون على أطفالهم».

نعم، وأنا أيضًا. «يجب أن نُحافِظ على سلامتهم أيضًا. أريدُ طفلين من كلٍّ منهما، ومن الأهرامات الأخرى أيضًا، صبيًّا وبنتًا».

علَّق سكاهاز بسعادة: «رهائن».

قالت دنيرس: «وُصفاء وسُقاة. إذا اعترضَ الأسياد العظام فاشرح لهم أن في (وستروس) يُعَدُّ اختيار طفلٍ للخدمة في البلاط شَرفًا عظيمًا». لم تجد داعيًا لذِكر الباقي، وأردفَت: «اذهبوا وافعلوا كما أمرتُ. أريدُ أن أرثي لموتاي».

حين عادَت إلى مسكنها على قمَّة الهرم وجدَت ميسانداي تبكي بخفوتٍ على سريرها محاولةً قدر المستطاع كتمان نشيجها، فقالت للمُترجمة الصَّغيرة: «تعالي نامي معي. لن يحلَّ الفَجر قبل ساعات».

دخلَت ميسانداي تحت الأغطية قائلةً: «مولاتي تعطف على هذه الواحدة. كان أخًا صالحًا».

طوَّقت داني الفتاة بذراعيها، وقالت: «احكي لي عنه».

- «في صِغرنا علَّمني تسلُّق الأشجار، وكان يستطيع صيد الأسماك بيديه. في مرَّةٍ وجدته نائمًا في حديقتنا ومئة فراشةٍ تزحف عليه. كم بدا جميلًا ذلك الصَّباح. هذه الواحدة... أعني أنني أحببته».

قالت داني مملِّسةً على رأس الصَّغيرة: «كما أحبَّكِ. قولي الكلمة فقط يا حُلوتي وسأصرفكِ من هذا المكان البشع، سأجدُ سفينةً بوسيلةٍ ما وأرسلكِ إلى الوطن في (ناث)».

- «أفضِّلُ البقاء معكِ. في (ناث) سأكونُ خائفةً. ماذا لو عادَ النخَّاسون؟ إنني أشعرُ بالأمان هنا معكِ».

الأمان. جعلَت الكلمة العبرات تملأ مُقلتَي داني. «أريدُ أن أحافظ على أمانكِ». ميسانداي طفلة، ومعها تَشعُر أن بإمكانها أن تكون طفلةً أيضًا. «لم يُحافِظ أحد على أماني في صِغري. كان هناك السير ويلم، لكنه ماتَ، وڤسيرس... أريدُ أن أحميكِ، لكن... صعبٌ للغاية أن أكون قويَّةً. لستُ أعلمُ دائمًا ما عليَّ أن أفعله، لكن يجب أن أعلم. ليس لهم غيري، إنني الملكة... الـ...».

همسَت ميسانداي: «... الأُم».

راجفةً قالت داني: «أُم التَّنانين».

ضمَّتها ميسانداي بقوَّةٍ قائلةً: «لا، بل أمُّنا جميعًا. عليكِ الخلود إلى النَّوم يا صاحِبة الجلالة. سيحلُّ الفَجر قريبًا، ومعه انعقاد البلاط».

- «ستَخلُد كلتانا إلى النَّوم وتَحلُم بأيامٍ أحلى. أغلِقي عينيكِ»، ولمَّا فعلَت لثمَتها داني على جفنيها وجعلَتها تضحك.

لكن القُبل أسهل من النَّوم. أغلقَت داني عينيها وحاولَت أن تُفكِّر في الوطن، في (دراجونستون) و(كينجز لاندنج) وكلِّ الأماكن الأخرى التي حكى ڤسيرس عنها، في أرضٍ أرحم من هذه... إلَّا أن أفكارها ما برحَت تعود إلى (خليج النخَّاسين) كسُفنٍ وقعَت فريسةً لريحٍ قاهرة. عندما غابَت ميسانداي في النَّوم حلَّت داني نفسها من ذراعيها وخرجَت إلى هواء ما قبل الفَجر لتستنِد إلى سور الشُّرفة القرميدي البارد وتتطلَّع إلى المدينة، تمتدُّ أسفلها آلاف السُّقوف التي لوَّنها القمر بدرجات العاج والفضَّة.

في مكانٍ ما تحت هذه السُّقوف يجتمع أبناء الهارپي، يتآمَرون على قتلها وقتل كلِّ من يحبُّونها وتكبيل أطفالها بالأغلال من جديد. في مكانٍ ما بالأسفل طفل جائع يبكي طالبًا اللَّبن، امرأة عجوز تُحتضَر، رجل وفتاة يتعانَقان ويخلع أحدهما ثياب الآخَر بأيدٍ توَّاقة. لكن هنا ليس هناك إلَّا بريق ضوء القمر على الأهرام والحلبات، ولا شيء يشي بما يدور بالأسفل، هنا لا أحد إلَّاها.

إنها دم التنِّين. تستطيع أن تَقتُل أبناء الهارپي، وأبناء الأبناء، وأبناء أبناء الأبناء، لكن التنِّين لا يقدر على إطعام طفلٍ جائع أو تخفيف الألم عن امرأةٍ محتضرة. *ومَن يجرؤ على حُبِّ تنِّين؟*

وجدَت نفسها تُفكِّر في داريو نهاريس من جديد، داريو بسِنِّه الذَّهبيَّة ولحيته ثُلاثيَّة الشُّعب ويديه القويَّتين المستريحتين على مقبضَي أراخه وخنجره الرَّفيع، المقبضَين المصنوعين من الذَّهب على شكل امرأتين عاريتين. يوم انصرفَ، وفيما ودَّعته، راحَ يُداعِب المقبضين بإبهاميه بخفَّةٍ جيئةً وذهابًا، فقالت لنفسها: *أشعرُ بالغيرة من مقبض سيف، من امرأتين من ذهب*. كان قرار إرساله إلى شعب الحملان حكيمًا. إنها ملكة، وداريو نهاريس ليس من طينة الملوك.

البارحة فقط باحَت للسير باريستان قائلةً: «مرَّ وقت طويل جدًّا. ماذا لو أن داريو خانَني وانضمَّ إلى أعدائي؟». *ثلاث خياناتٍ ستعرفين*. «ماذا لو أنه قابلَ امرأةً أخرى، أميرةً ما من اللازارين؟».

تعلم أن الفارس العجوز لا يحبُّ داريو أو يثق به، ومع ذلك أجابَها بنُبل: «لا امرأة تفوق جلالتكِ حُسنًا. لا يعتقد العكس إلَّا أعمى، وداريو نهاريس ليس أعمى».

نعم. عيناه زرقاوان داكنتان، أقرب إلى الأرجواني، وسِنُّه الذَّهب تلتمع حين يبتسم لي.

لكن السير باريستان واثق بعودته، وليس بيد داني إلَّا أن تأمل أن يكون مصيبًا.

سيُساعِد الاستحمام على تهدئتي. خطَت على العُشب حافية القدمين إلى بِركة الشُّرفة، وشعرَت بالماء باردًا على جِلدها حتى إنه اقشعرَّ، فيما راحَت الأسماك الصَّغيرة تُعَضعِض ذراعيها وساقيها.

وأسبلَت داني جفنيها وتركَت نفسها تطفو.

ثم إن حفيفًا خفيفًا جعلَها تفتحهما من جديد، فاعتدلَت تجلس ناثرةً القليل من الماء، ونادَت: «ميسانداي؟ إيري؟ چيكوي؟».

جاءَتها الإجابة: «إنهن نائمات».

تحت شجرة التِّين الكاكي رأت امرأةً واقفةً ترتدي معطفًا مقلنسًا ينسدل حتى العُشب، وتحت القلنسوة يبدو وجهها صُلبًا يلمع. *تضع قناعًا، قناعًا من الخشب المطليّ بالأحمر القاني.* «كويث؟ هل أحلمُ؟». قرصَت داني أُذنها وجفلَت من الألم، ثم قالت: «حلمتُ بكِ على متن (بالريون) في بداية ذهابنا إلى (أستاپور)».

- «لم يكن حُلمًا، وقتها أو الآن».
- «ماذا تفعلين هنا؟ كيف تجاوزتِ حَرسي؟».
- «أتيتُ من طريقٍ آخَر. حَرسكِ لم يروني».
- «إذا ناديتهم فسيَقتُلونكِ».
- «سيُقسِمون أنني لستُ هنا».
- «وهل أنتِ هنا؟».

- «لا. أنصِتي إليّ أيا دنيرس تارجاريَن. الشُّموع الزُّجاجيَّة مشتعلة. قريبًا تأتي الفَرس الشَّاحبة، وبعدها الآخَرون. الكراكِن[26] واللَّهب القاتم، الأسد والجريفين[27]، ابن الشَّمس وتنِّين الممثِّلين. إياكِ والثِّقة بأحدٍ منهم. احذري القهرمان العاطِر».

- «رزناك؟ ولِمَ أخشاه؟»، ونهضَت داني لتَقطُر المياه على ساقيها وتزحف القشعريرة على ذراعيها في هواء اللَّيل البارد. «إذا أردتِ تحذيري من شيءٍ ما فتكلَّمي بوضوح. ماذا تُريدين مني يا كويث؟».

أجابَت المرأة وضوء القمر يتألَّق في عينيها: «أن أريكِ الطَّريق».

قالت داني: «أذكرُ الطَّريق. أذهبُ جنوبًا لأذهب شمالًا، وشرقًا لأذهب غربًا، وإلى الخلف لأتقدَّم، وكي أمسَّ الثَّور عليَّ أن أمرَّ تحت الظِّل»، واعتصرَت الماء من شَعرها الفضِّي متابعةً: «لقد سئمتُ الأحاجي. في (كارث) كنتُ شحّاذةً، لكنني هنا ملكة، وآمركِ...».

- «دنيرس! تذكَّري الخالدين، تذكَّري مَن تكونين».

- «دم التنِّين». *لكن اثنين من تنانيني يزأران في الظَّلام.* «أذكرُ الخالدين. لقد دعوني بابنة الثَّلاثة، ووعدوني بثلاث دواب وثلاث نيران وثلاث خيانات، واحدة من أجل الدَّم وواحدة من أجل الذَّهب وواحدة من أجل...».

- «جلالة الملكة؟». كانت ميسانداي واقفةً في مدخل غُرفة نومها تحمل قنديلًا. «مَن تُكلِّمين؟».

ألقَت داني نظرةً وراءها نحو شجرة التِّين الكاكي. لا امرأة هنالك، لا معطف مقلنس، لا قناع خشبي، لا كويث.

ظِلًّا، ذكرى، لا أحد. إنها دم التنِّين، لكن السير باريستان حذَّرها من أن ذلك الدَّم قد يكون ملوَّثًا. *أيُمكن أنني أفقدُ عقلي؟* لقد نعتوا أباها من قبل بالجنون. قالت للفتاة الناثيَّة: «كنتُ أصلِّي. سيطلع الضَّوء قريبًا. الأفضل أن آكل شيئًا قبل انعقاد البلاط».

- «سأجلبُ لك طعام الإفطار».

لمَّا انفردَت بنفسها ثانيةً دارَت داني دورةً كاملةً حول قمَّة الهرم على أمل العثور على كويث، مارَّةً بالأشجار المحروقة والأرض المسفوعة حيث حاولَ رجالها القبض على دروجون، لكنها لم تسمع من أصواتٍ إلَّا الرِّياح في شجر الفاكهة ولم ترَ من مخلوقاتٍ في الحديقة إلَّا بعض العُثّ الشَّاحب.

عادَت ميسانداي بتمرة شمَّام ووعاءٍ من البيض المسلوق، لكن داني لم تجد لديها شهيَّةً، وبينما بدأت السَّماء تُنير والنُّجوم تخبو واحدةً تلو الأخرى ساعدَتها إيري وچيكوي على ارتداء توكار من الحرير البنفسجي المقصَّب بالذَّهب.

عندما ظهرَ رزناك وسكاهاز وجدَت نفسها تَنظُر إليهما بارتيابٍ والخيانات الثَّلاث في ذهنها. *احذري القهرمان العاطِر*. بشكٍّ تنشَّقت رائحة رزناك مو رزناك. *يُمكنني أن آمر الرَّأس الحليق باعتقاله واستجوابه*. هل يُبطِل ذلك النُّبوءة أم يأخذ خائن آخَر مكانه؟ قالت لنفسها مذكِّرةً: *النُّبوءات خدَّاعة، وربما لا يُبطِن رزناك أكثر مما يُظهِر*.

في القاعة الأرجوانيّة وجدَت داني على دِكّتها الأبنوس كومةً عاليةً من الوسائد الساتان، فرسمَ المنظر ابتسامةً باهتةً على شفتيها. *السير باريستان*. الفارس العجوز رجل صالح، لكنه يأخذ الأمور بحرفيّةٍ أكثر من اللّازم. فكّرت: *كانت مجرّد مزحة أيها الفارس*، لكنها جلسَت على إحدى الوسائد رغم ذلك.

سرعان ما بدأت تحسّ بعاقبة الأرق، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن تجد نفسها تُحاوِل مغالَبة التّثاؤب فيما أسهبَ رزناك في الكلام عن روابط الحِرفيّين. يبدو أن الحجّارين غاضبون منها، والبنّائين أيضًا، فثمّة عبيد سابقون معيّنون يشتغلون في نحت القرميد والبناء به سارقين العمل من عاملي الرّابطة وأساتذتها على حدٍّ سواء. قال رزناك: «المعتَقون يعملون بأجورٍ زهيدة للغاية يا صاحِبة الشمو. بعضهم يدعو نفسه بالعامل الموظّف، بل وبالأستاذ، وهما لقبان لا يحقُّ إلّا لحرفيّي الرّابطة حملهما. الحجّارون والبنّاؤون يُناشِدون صاحِبة العبادة مع كامل الاحترام أن تُحافِظ على حقوقهم وتقاليدهم العريقة».

علّقت داني: «المعتَقون يعملون بأجورٍ زهيدة لأنهم جائعون. إذا حرّمتُ عليهم نحت القرميد أو البناء به فقريبًا سأجدُ الشمّاعين والنسّاجين والصّاغة على بابي يَطلُبون استبعادهم من تلك الحِرف أيضًا»، وفكّرت لحظةً، ثم قالت: «فليُكتَب أن من الآن فصاعدًا لن يُسمَح إلّا لأعضاء الرّابطة بدعوة أنفُسهم بالعُمّال الموظّفين أو الأساتذة... شريطة سماح الرّابطة بإدراج اسم أيّ معتَقٍ يُبَرهِن على المهارة المطلوبة على قوائمها».

قال رزناك: «سنُعلِن هذا. هل تُوافِق صاحِبة الجلالة على سماع النّبيل هيزدار زو لوراك؟».

ألن يقرّ بالهزيمة أبدًا؟ «فليتقدّم».

لا يرتدي هيزدار التوكار اليوم، وبدلًا منه اختارَ رداءً بسيطًا من الرَّمادي والأزرق، كما أنه حليق أيضًا. *حلقَ لحيته* وقصَّ شَعره. لم ينضمَّ الرَّجل إلى جماعة الرُّؤوس الحليقة، لكنه تخلَّص على الأقل من هذين الجناحين السَّخيفين. خاطبَته قائلةً: «أحسنَ حلَّاقك صُنعًا يا هيزدار. آملُ أنك جئت لتُريني عمله وليس لابتلائي بمزيدٍ من الكلام عن حلبات القتال».

ردَّ منحنيًا بإجلال: «أخشى أنني مضطرٌّ يا صاحِبة الجلالة».

كشَّرت داني. حتى قومها لا يكفُّون عن الإلحاح عليها في هذه المسألة. رزناك مو رزناك أكَّد أهميَّة المال الذي سيُجنى من الضَّرائب، وذات النِّعمة الخضراء قالت إن إعادة فتح الحلبات ستُرضي الآلهة، والرَّأس الحليق رأى أن فتحها سيُكسِبها دعمًا ضد أبناء الهاربي، في حين دمدمَ بِلواس القوي الذي كان من أبطال الحلبات في السَّابق: «دعيهم يتقاتَلون»، أمَّا السير باريستان سلمي فاقترحَ دورة مباريات بدلًا من ذلك، أن يركب أيتامه في مضمار نزالٍ ويتقاتَلوا في التحامٍ جماعي بأسلحةٍ مثلومة، وهو الاقتراح الذي تعلم داني أن لا أمل منه على الرغم من النِّيَّة الطيِّبة وراءه. ما يتوق الميرينيزيُّون إلى رؤيته هو الدِّماء لا المهارة، وإلَّا لارتدى العبيد المُقاتلون دروعًا. وحدها المُترجمة الصَّغيرة ميسانداي بدَت متَّفقةً مع هواجس الملكة.

قالت لهيزدار: «لقد رفضتُ طلبك ستَّ مرَّات».

- «صاحِبة الرَّونق لها سبعة آلهة، فلعلَّها تَنظُر إلى التماسي السَّابع بعينٍ أكثر عطفًا. اليوم لم آتِ وحدي. هلَّا سمعتِ أصدقائي؟ إنهم سبعة أيضًا»، وقدَّمهم إليها واحدًا تلو الآخَر: «هذا كراز، وهذه بارسينا ذات الشَّعر الأسود دائمة الجسارة، وهذان كامارون العدَّاد وجوجهور الجبَّار، وهذان القِطُّ الأرقط وإيثوك الصِّنديد، وأخيرًا بيلاكو كاسِر العظام. لقد أتوا لضمِّ أصواتهم إلى صوتي وسؤال جلالتكِ أن تسمحي بفتح الحلبات من جديد».

تعرف داني سبعتهم، إن لم يكن شكلًا فاسمًا. جميعهم من أشهر عبيد (ميرين) المُقاتلين... والعبيد المُقاتلون الذين حرَّرهم جرذانها من قيودهم هُم مَن قادوا الثَّورة التي ظفرَت من خلالها بالمدينة، أي أن عليها لهم دينًا من الدَّم، وهكذا قالت: «سأسمعكم».

واحدًا واحدًا سألَها كلٌّ منهم أن تُعيد فتح حلبات القتال، فلمَّا فرغ إيثوك تساءلَت: «لماذا؟ إنكم لم تعودوا عبيدًا محكومًا عليهم بالموت بحسب نزوات الأسياد. لقد أعتَقتكم. لماذا ترغبون في الموت على الرِّمال القرمزيَّة؟».

قال جوجهور الجبَّار: «إنني أتدرَّبُ منذ سِنِّ الثَّالثة وأقتلُ منذ السَّادسة. أُم التَّنانين تقول إنني حُر، فلِمَ لا أكونُ حُرًّا في القتال؟».

- «إذا كان القتال ما تُريد فقاتِل من أجلي. أقسِم بسيفك لرجال الأُم أو الإخوة الأحرار أو التُّروس المقدامة، علِّم رجالي المعتَقين الآخَرين القتال».

هزَّ جوجهور رأسه نفيًا قائلًا: «من قبل قاتلتُ من أجل سيِّدي. تقولين أقاتلُ من أجلكِ، وأقولُ أن أقاتل من أجلي»، ودقَّ الرَّجل الضَّخم صدره بقبضةٍ كبيرة كفخذ الخنزير، وأكملَ: «من أجل الذَّهب، من أجل المجد».

قال القِطُّ الأرقط الذي يضع فروة فهدٍ على كتفه: «رأي جوجهور من رأينا جميعًا. آخِر مرَّةٍ باعوني كان الثَّمن ثلاثمئة ألف أونَر. حين كنتُ عبدًا اعتدتُ النَّوم على الفرو وأكل اللَّحم الأحمر الطَّازج، والآن وقد صرتُ حُرًّا أنامُ على القشِّ وآكلُ السَّمك المملَّح، هذا إذا وجدته».

أضافَ كراز: «هيزدار يُقسِم أن الرَّابحين سيتقاسَمون نِصف الأموال المدفوعة عند البوَّابة، نِصفها، ويُقسِم على هذا، وهيزدار رجل شريف».

لا، بل رجل ماكر. شعرَت دنيرس أنها محاصَرة وهي تسأل: «والخاسرون؟ ماذا سينالون؟».

أعلنَت بارسينا: «ستُنقَش أسماؤهم على (بوَّابة القدر) مع سائر القتلى الشُّجعان». يُقال إنها فتكَت بكلِّ امرأةٍ قاتلَتها خلال الأعوام الثَّمانية المنصرمة. «كلُّ البَشر يُدرِكهم الموت، رجالًا ونساءً... لكن التَّاريخ لا يَذكُر الجميع».

لم تجد داني ردًّا. *إذا كانت هذه رغبة شعبي فعلًا فهل يحقُّ لي أن أرفضها؟ لقد كانت مدينتهم قبل أن تُصبِح مدينتي، وحياتهم هُم هي ما يرغبون في تبديده.* قالت: «سأفكِّرُ في كلِّ ما قلتموه»، ونهضَت مردفةً: «سنستكمل غدًا».

صاحَت ميسانداي: «ليركع الجميع لدنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترِق، ملكة (ميرين)، ملكة الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، گاليسي بحر العُشب العظيم، محطِّمة الأصفاد، وأُم التَّنانين».

اصطحبَها السير باريستان إلى مسكنها، وبينما يصعدان قالت له: «احكِ لي حكايةً أيها الفارس، حكايةً ما عن الشَّجاعة نهايتها سعيدة». كم هي محتاجة إلى نهايةٍ سعيدة. «أخبِرني كيف فررت من الغاصِب».

- «يا جلالة الملكة، لا شَجاعة في أن يفرَّ المرء حفاظًا على حياته».

جلسَت داني على وسادةٍ ووضعَت ساقًا على ساقٍ ورفعَت عينيها إليه قائلةً: «من فضلك. الغاصِب الصَّغير هو من صرفَك من الحَرس الملكي...».

- «چوفري، أجل. زعموا إن سِنِّي السَّبب، لكن الحقيقة لم تكن كذلك. لقد أرادَ الصَّبي معطفًا أبيض لكلبه ساندور كليجاين، وأرادَت أمُّه أن يكون قاتِل الملك القائد. عندما أخبَروني... خلعتُ معطفي كما أمروا وألقيتُ سيفي عند قدمَي چوفري وقلتُ كلامًا تعوزه الحكمة».

- «ماذا قلت؟».

- «الحقيقة... لكن الحقيقة لم تكن محلَّ ترحابٍ قَطُّ في ذلك البلاط. خرجتُ من قاعة العرش ورأسي مرفوع عاليًا، ولو أنني لم أدرِ أين أذهبُ. لم يكن لي بيت إلَّا (بُرج السَّيف الأبيض). كنتُ أعلمُ أن أولاد عمومتي سيجدون لي مكانًا في (بهو الحصاد)، لكني لم أُرِد أن أستدرَّ عليهم سُخط چوفري. كنتُ أجمعُ أغراضي حين خطرَ لي أنني جلبتُ هذا على نفسي بقبولي عفو روبرت. كان فارسًا طيِّبًا ولكن ملكًا سيِّئًا، ولم يكن له حقٌّ في العرش الذي اعتلاه. عندئذٍ أدركتُ أن عليَّ العثور على الملك الشَّرعي لأكفِّر عن غلطتي، وأخدمه بإخلاصٍ بكلِّ ما بقيَ لي من قوَّة».

- «أخي ﭬسيرس».

- «تلك كانت نيَّتي. حين وصلتُ إلى الاسطبلات حاولَ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة القبض عليَّ. چوفري عرضَ عليَّ بُرجًا أموتُ فيه، لكنني ترفَّعتُ عن هديَّته، وهكذا أرادَ أن يُهدي إليَّ زنزانةً. واجهَني قائد حَرس المدينة بنفسه وقد شجَّعه غِمدي الفارغ، لكن ثلاثة رجالٍ فقط كانوا معه، وما زالَ معي سكِّيني، وهكذا فتحتُ وجه أحدهم لمَّا وضعَ يده عليَّ، وانطلقتُ بحصاني بين الاثنين الآخَريْن، وبينما أندفعُ نحو البوَّابة سمعتُ چانوس سلينت يصيح في رجاله أن يُطارِدوني. حالما خرجتُ من (القلعة الحمراء) وجدتُ الشَّوارع مزدحمةً، ولولا هذا لغادرتُ بلا متاعب، لكنهم لحقوا بي عند (بوَّابة النَّهر). زعقَ من طارَدوني من القلعة منبِّهين الواقفين عند البوَّابة ليمنعوني من الخروج، فقاطَعوا حِرابهم ليسدُّوا طريقي».

- «ودون سيفك؟ كيف تجاوزتهم؟».

- «الفارس الحقيقي يُعادِل عشرة حُرَّاس. دعستُ أحدهم وانتزعتُ منه حربته وغرستها في عُنق أقرب المطارِدين، وتفرَّق الآخَرون ما إن خرجتُ من البوَّابة، فهمزتُ حصاني وهرولتُ به بأقصى سرعةٍ بمحاذاة النَّهر حتى غابَت المدينة عن النَّظر من ورائي. ليلتها بعتُ حصاني مقابل حفنةٍ من البنسات وبعض الثِّياب البالية، وفي الصَّباح التَّالي انضمَمتُ إلى العامَّة الذَّاهبين إلى (كينجز لاندنج). كنتُ قد خرجتُ من (بوَّابة الطَّمي)، فعدتُ من (بوَّابة الآلهة) بوجهٍ متَّسخ وشَعر نابت من وجنتَي وبلا سلاحٍ إلَّا عُكَّاز خشبي. بالملابس الخيش والحذاء المكسوِّ بالوحل أصبحتُ مجرَّد عجوزٍ آخَر هارب من الحرب. أخذَ مني ذوو المعاطف الذَّهبيَّة أيلًا فضِّيًا وأشاروا لي بالمرور. كانت (كينجز لاندنج) مكتظَّةً بمن أتوا ناشدين ملاذًا من القتال، فاختفيتُ بينهم. كان معي القليل من الفضَّة، لكن كان عليَّ أن أدفع تكلفة عبور (البحر الضيِّق)، فنمتُ في السِّپتات والأزقَّة وأكلتُ في محال الأكل، وتركتُ لحيتي تنمو وسترتُ نفسي بسِنِّي المتقدِّمة. يوم فقدَ اللورد ستارك رأسه كنتُ موجودًا أشاهدُ، وبعدها ذهبتُ إلى (السِّپت الكبير) وشكرتُ الآلهة السَّبعة لأن چوفري جرَّدني من معطفي».

- «ستارك كان خائنًا لاقى نهاية خائن».

قال سلمي: «جلالة الملكة، إدارد ستارك لعبَ دورًا في سقوط أبيكِ، لكنه لم يكنَّ لكِ أيَّ ضغائن. عندما أبلغَنا الخصيُّ ڤارس بكونكِ حاملًا أرادَ روبرت قتلكِ، لكن اللورد ستارك عارضَه، وبدلًا من تأييده اغتيال الأطفال قال لروبرت أن يجد لنفسه يدًا آخَر».

- «هل نسيت الأميرة ريينس والأمير إجون؟».

- «إطلاقًا. كان هذا عمل لانستر يا صاحِبة الجلالة».

- «لانستر أو ستارك، ما الفرق؟ اعتادَ ڤسيرس أن يُسمِّيهم كلاب الغاصِب. إذا هاجمَ قطيع من كلاب الصَّيد طفلًا فهل يهمُّ أيُّها يُمزِّق عُنقه؟ كلُّ كلاب القطيع مذنبة. الذَّنب...». احتبسَت الكلمة في حَلقها، وفكَّرت: *هازيا*، وفجأةً سمعَت نفسها تقول بصوتٍ خفيض كهمسة طفلة: «يجب أن أرى الجُبّ. خُذني إلى هناك أيها الفارس».

لاحَت لمحة من الاعتراض على وجه العجوز، ولكن ليس هو من يُراجِع مليكته، وهكذا قال: «كما تأمرين».

سلالم الخدم أسرع طريقٍ إلى أسفل. ليست فخمةً، لكنها منحدرة ومستقيمة وضيِّقة ومحجوبة داخل الجُدران. جلبَ السير باريستان مصباحًا يُضيء الطَّريق لئلَّا تَسقُط، ونزلا والقرميد المطلي بعشرين لونًا يُحيط بهما من كثب، قبل أن يستحيل إلى الرَّمادي والأسود عندما يتجاوَزه الضَّوء. ثلاث مرَّاتٍ مرَّا بحَرسٍ من المُطهَّرين الواقفين بثباتٍ يجعلهم كأنهم منحوتون من حجر، والصَّوت الوحيد وقع أقدامهما الخافت على الدَّرجات.

في مستواه الأرضي هرم (ميرين) الأكبر مكان صامت مليء بالغُبار والظِّلال، جُدرانه الخارجيَّة تَبلُغ الثَّلاثين قدمًا سُمكًا، وداخلها تتردَّد أصداء الأصوات على القناطر عديدة الألوان وفي الاسطبلات ومَرابط الخيول والمخازن. مرَّا من تحت ثلاث قناطر هائلة وقطعا ممرًّا منحدرًا مضاءً بالمشاعل إلى الأقبية أسفل الهرم، وتجاوَزا خزَّانات الماء والزَّنازين وحُجرات التَّعذيب التي قاسى فيها العبيد الجَلد والسَّلخ والحرق بالمكاوي الحامية، وأخيرًا بلغا بابًا ضخمًا مصراعاه من الحديد ومفصلاته صدئة يَحرُسه المُطهَّرون.

بأمرها أخرجَ أحدهم مفتاحًا حديديًّا. صرخَت مفصلات الباب إذ انفتحَ، وخطَت دنيرس تارجاريَن إلى قلب الظَّلام السَّاخن وتوقَّفت على حافة جُبٍّ عميق، وعلى بُعد أربعين قدمًا بالأسفل رفعَ تنِّيناها رأسيهما وأربع أعيُنٍ متَّقدة تتخلَّل نارهما الظِّلال، اثنتين من الذَّهب المصهور واثنتين من البرونز.

أمسكَها السير باريستان من ذراعها قائلًا: «لا تقتربي أكثر».

- «أتظنُّ أنهما قد يُؤذِيانني؟».

- «لا أدري يا جلالة الملكة، لكنني أوثرُ ألَّا أخاطر بكِ لأعرف الإجابة».

حين زأرَ ريجال أحالَ رُمح من النَّار الصَّفراء الظَّلام إلى نهارٍ لِنصف لحظة، ولعقَت ألسنة اللَّهب الجُدران وشعرَت داني بحرارتها على وجهها كأنها أتون يلفح. عبر الجُبِّ انبسطَ جناحا ڤسيريون محرِّكيْن الهواء السَّاكن، وحاولَ أن يطير إليها لكن السِّلسلة انشدَّت عن آخِرها إذ ارتفعَ وجعلَته يهوي على بطنه. تُقيِّد قدمَي التنِّين حلقات كبيرة بحجم قبضة رجلٍ إلى الأرض، والطَّوق الحديدي المحيط بعُنقه مثبَّت إلى الحائط ورائه. ريجال أيضًا مقيَّد بسلاسل شبيهة، وفي ضوء مصباح سلمي تلتمع حراشفه كاليَشب. من بين أسنانه يتصاعَد الدُّخان، وعند قدميه على الأرض عظام مبعثرة، مكسَّرة ومهشَّمة ومتفحِّمة، والهواء ساخن لدرجةٍ مزعجة وعابق برائحة الكبريت واللَّحم المحترق.

قالت داني: «حجمهما أكبر»، فتردَّد صدى صوتها على الحوائط الحجريَّة المسفوعة، وشعرَت بقطرةٍ من العَرق تسيل على جبينها وتَسقُط على ثديها. «أصحيحٌ أن التَّنانين لا تكفُّ عن النُّمو أبدًا؟».

- «إذا تمتَّعت بالطَّعام الكافي ومساحةٍ للنُّمو، لكن وهي مقيَّدة هنا...».

في السَّابق استخدمَ الأسياد العظام الجُبَّ كسجنٍ مساحته واسعة تكفي لاحتواء خمسمئة سجين... وتكفي تنِّينيْن وتزيد. *لكن إلى متى؟ ماذا سيَحدُث عندما يَكبُران على الجُب؟ هل سينقلب أحدهما على الآخَر بناره ومخالبه؟ هل سيَضعُفان ويَهزُلان وتَذبُل جوانبهما وتنكمش أجنحتهما؟ هل ستنطفئ نيرانهما قبل النِّهاية؟*

ما الأُم التي تَترُك طفليها يتعفَّنان في الظَّلام؟

قالت داني لنفسها: *إذا نظرتُ إلى الوراء فأنا هالكة*... لكن كيف يُمكنها ألَّا تَنظُر وراءها؟ *كان عليّ أن أتوقَّع هذا. هل كنتُ عمياء أم أغلقتُ عينَي بإرادتي كي لا أرى ثَمن القوَّة؟*

حكى لها ڤسيرس الحكايات كلَّها في طفولتها، فلكم أحبَّ الكلام عن التَّنانين، وهكذا علمَت كيف سقطَت (هارنهال)، وعلمَت بحقل النِّيران ورقصة التَّنانين، وأن أحد أسلافها -إجون الثَّالث- رأى تنِّين خاله يلتهم أمَّه حيَّةً، كما أن هناك أغاني لا تُحصى عن قُرى وممالك عاشَت في رُعبٍ من التَّنانين إلى أن جاءَ قاتِل تنانين شُجاع يُنقِذها. في (أستاپور) ذابَت عينا النخَّاس، وفي الطَّريق إلى (يونكاي)، حينما ألقى داريو رأسَي سالور الأصلع وپرندال نا غِزن عند قدميها، صنعَ أطفالها منهما وليمةً. لا تخشى التَّنانين البَشر، والتنِّين الكبير كفايةً لالتهام خروفٍ يستطيع أن يلتهم طفلةً بالبساطة ذاتها.

كان اسمها هازيا، وكانت في الرَّابعة. *ما لم يكن أبوها قد كذبَ. ربما كذبَ*. لا أحدَ إلَّاه رأى التنِّين، ودليله كان بعض العظام المحروقة، لكن العظام المحروقة لا تُثبِت شيئًا. ربما قتلَ الصَّغيرة بنفسه ثم أحرقَ جثَّتها. لن يكون أول أبٍ يتخلَّص من ابنةٍ لا يُريدها كما زعمَ الرَّأس الحليق. *ربما قتلَها أبناء الهارپي وجعلوا الأمر يبدو كأن تنِّينًا فعلَها لجعل المدينة تكرهني*. تُريد داني أن تُصدِّق ذلك... لكن إن كانت تلك الحقيقة فلِمَ انتظرَ أبو هازيا حتى خلَت القاعة تقريبًا ليتقدَّم؟ لو كان هدفه أن يُلهِب مشاعر الميرينيزيِّين ضدها لحكى حكايته والقاعة ملأى بالآذان الصَّاغية.

حثَّها الرَّأس الحليق على قتل الرَّجل، وقال: «أو اقطعي لسانه على الأقل. من شأن كذبة هذا الرَّجل أن تُدمِّرنا جميعًا يا صاحِبة السُّمو»، إلَّا أن داني اختارَت أن تدفع ثَمن الدَّم بدلًا من ذلك. لم يكن بإمكان أحدٍ أن يُخبِرها بثَمن ابنة، فقدَّرته بمئة ضِعف ثَمن حَمل، وقالت للأب: «كنتُ لأعيد هازيا إليك لو استطعتُ، لكن بعض الأشياء لا تقدر عليه الملكات أنفُسهن. ستُدفَن عظامها في (معبد ذوات النِّعم)، وستشتعل مئة شمعة ليل نهار في ذكراها. عُد إليَّ كلَّ سنةٍ في يوم ميلادها ولن يعوز أطفالك الآخَرون شيء... لكن يجب ألَّا تَخرُج هذه الحكاية من فمك ثانيةً أبدًا».

قال الأب الثَّكلان: «سيسأل النَّاس، سيسألونني أين هازيا وكيف ماتَت».

ردَّ رزناك مو رزناك بإصرار: «ماتَت بلدغة ثُعبان، اختطفَها ذئب مفترس، أخذَها مرض مفاجئ. قُل لهم ما تشاء، لكن لا تَذكُر التَّنانين».

خدشَت مخالب قسيريون الأحجار وصلصلَت السِّلسلة الضَّخمة إذ حاولَ الطَّيران إليها ثانيةً، ولمَّا فشلَ أطلقَ زئيرًا ولوى رأسه إلى الخلف قدر استطاعته وبصقَ اللَّهب الذَّهبي على الحائط ورائه. *كم من الوقت قبل أن تستعرَّ ناره بما يكفي لفلق الحجر وإذابة الحديد؟*

منذ وقتٍ ليس ببعيد كان يركب على كتفها بذيلٍ ملفوف حول ذراعها، منذ وقتٍ ليس ببعيد كانت تُطعِمه لُقيمات اللَّحم المتفحِّم من يدها. هو أول من قيَّدته السَّلاسل، عندما قادَته دنيرس إلى الجُبِّ بنفسها وحبسَته بالدَّاخل مع عدَّة ثيران، وبعد أن التهمَها أصابَه النُّعاس، وبينما غابَ في النَّوم قيَّدوه.

غير أن ريجال كان أصعب. ربما سمعَ ثورة أخيه في غياهب الجُبِّ على الرغم من الجُدران الحجر والقرميد الفاصلة بينهما. في النِّهاية غطُّوه بشبكةٍ من السَّلاسل الحديد الثَّقيلة وهوَ مستلقٍ في شمس شُرفتها، وقد قاومَ بشراسةٍ فائقة حتى إنهم استغرَقوا ثلاثة أيامٍ كاملة للنُّزول به على سلالم الخدم وهو يتلوَّى ويعضُّ الهواء، وأسفرَ الصِّراع عن احتراق ستَّة رجال.

ودروجون...

الظِّل المجنَّح كما دعاه الأب الثَّكلان. إنه أكبر الثَّلاثة حجمًا وأشرسهم وأضراهم، حراشفه سوداء كالصَّريم وعيناه حُفرتان من نار.

يصطاد دروجون بعيدًا، لكن حين يشبع يحبُّ الاستلقاء في الشَّمس على قمَّة (الهرم الأكبر) حيث كانت هارپي (ميرين) تقف من قبل. ثلاث مرَّاتٍ حاوَلوا أخذه هناك، وثلاث مرَّاتٍ أخفَقوا. أربعون من أشجع رجالها خاطَروا بأرواحهم في محاولة القبض عليه، وأصيبوا كلُّهم تقريبًا بحروقٍ وماتَ منهم أربعة. آخِر مرَّةٍ رأت دروجون كانت عند الغروب يوم المحاولة الثَّالثة، وكان التنِّين الأسود محلِّقًا شمالًا عبر (السكاهازاذان) نحو عُشب (بحر الدوثراكي) الطَّويل، ومنذ ذلك الحين لم يرجع.

وقالت دنيرس في أعماقها: *أُم التَّنانين. أُم الوحوش. ماذا اطلقتُ على العالم؟ ملكة أنا، لكن عرشي من عظمٍ محروق ومن نحته رمال متحرِّكة*. في غياب التَّنانين ما أملها في السَّيطرة على (ميرين)، ناهيها باسترداد (وستروس)؟ *أنا دم التنِّين. إذا كانوا وحوشًا، فأنا أيضًا وحش*.

---

(26). الكراكِن وحش بحري أسطوري عملاق يظهر على سطح البحر كجزيرة، وله أذرُع أخطبوطيَّة طويلة تلتفُّ حول السُّفن وتُغرِقها. (المُترجم).

(27). الجريفين مخلوق أسطوري له جسم أسد ورأس وجناحا عُقاب. (المُترجم).

صرخَ الجرذ إذ انغرسَت أسنانه في جسمه، وراحَ يتلوّى بين يديه بهياجٍ شرس محاولًا التّملُّص. البطن أطرى جزء، وقد نهشَ لحمه الجميل ليسيل الدَّم الدَّافئ على شفتيه، ووجدَه شهيًا لدرجة أن عينيه اغرورقَتا بالدُّموع. قرقرَ بطنه وهو يزدرد، ومع القضمة الثَّالثة كان الجرذ قد كفَّ عن المقاوَمة وأحسَّ هو بشيءٍ يُشبِه الرِّضا.

ثم سمعَ الأصوات خارج باب الزِّنزانة.

سكنَت حركته من فوره خاشيًا مجرَّد المضغ، فمه مليء بالدَّم واللَّحم والشَّعر لكنه لا يجرؤ على الابتلاع أو البصق. متيبِّسًا كالحجر، أصغى بهلعٍ إلى احتكاك الأحذية بالأرض ورنين المفاتيح الحديد، وفي داخله تضرَّع: *لا، لا، أرجوكِ أيتها الآلهة، ليس الآن، ليس الآن.* لقد استغرقَ وقتًا طويلًا للغاية حتى استطاعَ الإمساك بالجرذ. *إذا ضبطوني به فسيأخذونه مني، ثم سيقولون، وعندها سيُؤذيني اللورد رامزي.*

يعلم أن عليه أن يُخبِّئ الجرذ، لكن الجوع مشتدٌّ عليه. آخِر مرَّةٍ أكلَ كانت منذ يومين، أو ربما ثلاثة. صعبٌ أن يُحدِّد الوقت هنا في الظَّلام. مع أن ذراعيه وساقيه صارَت رفيعةً كأعواد البوص فبطنه منتفخ أجوف، ويُوجِعه وجعًا ممضًّا حتى إنه لا يستطيع النَّوم. متى أغمضَ عينيه وجدَ نفسه يتذكَّر الليدي هورنوود. بعد زفافهما حبسَها اللورد رامزي في بُرجٍ وجوَّعها حتى الموت، وفي النِّهاية أكلَت أصابعها.

أقعى في رُكن الزِّنزانة قابضًا على غنيمته تحت ذقنه، وسالَ الدَّم من زاويتَي فمه وهو يقضم من الجرذ بما تبقّى له من أسنان، محاولًا التهام ما يقدر عليه من اللَّحم الدَّافئ قبل أن يُفتَح الباب. كان اللَّحم قاسيًا لكن دسم إلى حدٍّ أشعرَه بالغثيان. لاكَ وابتلعَ ملتقطًا عظامًا صغيرةً من فراغات لثته التي كانت الأسنان تحتلُّها قبل أن تُنتزَع. آلمَه المضغ لكن الجوع الذي استبدَّ به جعلَه لا يقوى على التَّوقُّف.

ارتفعَت الأصوات، فصلّى وهو يُمزِّق إحدى سيقان الجرذ: *ارجوكِ أيتها الآلهة، لا تجعليهم يأتون من أجلي*. مرَّ وقت طويل منذ جاءَه أحد، فهناك زنازين أخرى وسُجناء غيره. أحيانًا يسمعهم يَصرُخون على الرغم من الجُدران الحجريَّة السَّميكة. *صراخ النِّسوة أصخب دومًا*. مضغَ اللَّحم النَّيء وحاولَ أن يَبصُق عظمة السَّاق، لكنها تدلَّت من على شفته السُّفلى وعلقَت بلحيته. *ارحلوا، اذهبوا، تجاوَزوني، أرجوكم، أرجوكم*.

لكن الخُطوات توقَّفت ما إن بلغَ صوتها أعلاه، وصلصلَت المفاتيح خارج الباب. سقطَ الجرذ من يده ومسحَ أصابعه الدَّامية على سراويله متمتمًا: «لا، لاااا»، واحتكَّ كعباه بالقشِّ إذ حاولَ أن يدفع نفسه إلى الرُّكن، كأنه يُريد أن يغوص في الجِدار الحجري البارد الرَّطب.

وكان صوت دوران المفتاح في الرِّتاج أشنع ما في الأمر، وحين لطمَه الضَّوء على وجهه مباشرةً أطلقَ صرخةً وغطَّى عينيه بكلتا يديه، ولو جرؤَ لفقأهما بأظفاره من جرَّاء الدَّقِّ العنيف في رأسه. «أبعِدوه، افعلوها في الظَّلام، أوه، أرجوكم، أرجوكم».

قال صوت صبيٍّ: «ليس هو. انظُر إليه. إنها الزِّنزانة الخطأ».

ردَّ صبيٌّ آخَر: «آخِر زنزانةٍ إلى اليسار. هذه آخِر زنزانةٍ إلى اليسار، أليس كذلك؟».

- «بلى». صمت قصير. «ماذا يقول؟».

- «لا أظنُّه يحبُّ الضَّوء».

- «هل كنت لتحبُّه لو بدوت هكذا؟»، ثم تنخَّم الصَّبي وبصقَ مضيفًا: «ورائحته هذه تكاد تَخنُقني».

قال الصَّبي الثَّاني: «كان يأكل الجرذان، انظُر».

ضحكَ الأول معلِّقًا: «فعلًا. هذا طريف».

رغمًا عني. حين ينام تعضُّه الجرذان، تقرض أصابع يديه وقدميه، وحتى وجهه، ولذا فعندما يظفر بأحدها لا يتردَّد. خياراه الوحيدان أن يأكل أو يُؤكَل. همهمَ: «فعلتُ هذا، نعم، نعم، أكلته. إنها تأكلني أيضًا. أرجوكما...».

دنا الصَّبيَّان لينسحق القشُّ بصوتٍ خفيض تحت أقدامهما، وقال أحدهما: «أخبِرني، هل تَذكُر من أنت؟». إنه أصغر الاثنين حجمًا، صبيٌّ نحيل لكن يبدو عليه الذَّكاء.

أحسَّ بالخوف يفور في داخله، وأطلقَ أنينًا.

- «كلِّمني، أخبِرني باسمك».

اسمي. احتبسَت في حَلقه صرخة. لقد علّموه اسمه، علّموه إياه، علّموه إياه، نعم، لكن وقتًا طويلًا للغاية مرَّ فنسيَ. *إذا اخطأتُ فيه فسيأخذ إصبعًا آخَر، أو أسوأ، سـ... سـ...* لن يُفكّر في ذلك، لا يُمكنه أن يُفكّر في ذلك. يحسُّ كأن في فكّيه أشواكًا مغروسةً، وفي عينيه، ورأسه يدقُّ. صرَّ بصوتٍ رفيع ضعيف: «أرجوكما»، فبدَت نبرته كأنه في المئة من العُمر، وقد يكون كذلك حقًّا. *كم قضيتُ هنا؟* تمتمَ من خلال أسنانه المكسورة وأصابعه المكسورة وقد أطبقَ جفنيه بشدَّةٍ يقيهما من الضَّوء السَّاطع الشَّنيع: «ارحلا. أرجوكما، خُذا الجرذ، لا تُؤذياني...».

قال الصَّبي الأكبر حجمًا: «ريك! اسمك ريك. هل تَذكُر؟». هو من يحمل المشعل، في حين يُمسِك الثَّاني حلقة المفاتيح الحديد.

ريك؟ انهمرَت الدُّموع على وجنتيه وهو يقول: «أذكرُ، نعم»، وأخذَ فوه ينفتح وينغلق. «اسمي ريك، على قافية شريك». في الظَّلام لا يحتاج إلى اسم، ولهذا يَسهُل أن ينسى. *ريك، ريك، اسمي ريك*. لم يُولَد بهذا الاسم، بل كان أحدًا آخَر في حياةٍ أخرى، لكن هنا والآن اسمه ريك. لقد تذكَّر.

وتذكَّر الصَّبيَّين أيضًا. يرتدي كلٌّ منهما سُترةً من صوف الحملان، رماديَّةً مفضَّضةً وموشَّاةً بالأزرق الدَّاكن. كلاهما مُرافق، وكلاهما في الثَّامنة، وكلاهما اسمه والدر فراي. *والدر الكبير ووالدر الصَّغير، نعم*. ولو أن الكبير هو الصَّغير والصَّغير هو الكبير، وهو ما يتفكَّه به الصَّبيَّان ويُحيِّر بقيَّة العالم.

بشفتين مشقَّقتين همسَ: «أعرفكما، أعرفُ اسميكما».

قال والدر الصَّغير: «ستأتي معنا».

وقال والدر الكبير: «حضرة اللورد يُريدك».

اخترقه الخوف كسكِّين، وفكَّر: *إنهما طفلان، مجرَّد صبيَّين في الثَّامنة*. مؤكَّد أنه يستطيع التَّغلُّب على صبيَّين في الثَّامنة. حتى بضعفه هذا يُمكنه أن يأخذ المشعل والمفاتيح والخنجر المغمَد على وَرك والدر الصَّغير ثم يَهرُب. *لا، لا، الأمر يبدو سهلًا. إنه فخ. إذا هربت فسيأخذ مني إصبعًا آخَر، ومزيدًا من أسناني*.

لقد هربَ من قبل... منذ سنواتٍ على ما يبدو، عندما كان لا يزال يتحلَّى بشيءٍ من القوَّة، عندما كان لا يزال يُبدي التَّحدِّي. وقتها كانت كايرا تحمل المفاتيح، وقد أخبرَته بأنها سرقَتها وبأنها تعرف بوَّابةً خلفيَّةً لا تُوضَع عليها حراسة أبدًا، وقالت له متوسِّلةً مرتجفةً بوجهٍ ممتقع: «أعِدني إلى (وينترفل) يا سيِّدي. لستُ أعرفُ الطَّريق ولا يُمكنني أن أهرب بمفردي. تعالَ معي أرجوك»، وهكذا ذهبَ معها. كان السجَّان في غيبوبة سُكْرٍ ورأسه في بِركةٍ من النَّبيذ وسراويله حول كاحليه، وباب الزِّنزانة مفتوحًا والبوَّابة الخلفيَّة بلا حراسة، تمامًا كما قالت. انتظَرا حتى غابَ القمر وراء سحابة، ثم انسلَّا من القلعة وخاضا في مياه (النَّهر الباكي) متعثِّرين في الحجارة وقد كادَ المجرى الجليدي يُجمِّدهما. على الضفَّة الأخرى قبَّلها، وقال لها: «لقد أنقذتِنا». *أحمق، أحمق*.

كان فخًّا، لُعبةً، دُعابةً. اللورد رامزي يحبُّ المطارَدة ويُفضِّل الطَّرائد ذات السَّاقين. طيلة اللَّيل جريا في الغابة المظلمة، لكن مع شروق الشَّمس ترامى إليهما عبر الأشجار صوت بوقٍ بعيد، وسمعا نباح قطيعٍ من كلاب الصَّيد. مع اقتراب الكلاب قال لكايرا: «علينا أن ننفصِل. لن يُمكنهم تتبُّعنا في آنٍ واحد»، إلَّا أن الخوف أفقدَ الفتاة صوابها، ورفضَت أن تَترُكه حتى عندما تعهَّد بحشد جيشٍ من الحديديّين والعودة من أجلها إذا طارَدوها هي.

قبل انقضاء السَّاعة قُبِضَ عليهما. طرحَه أحد الكلاب أرضًا، وعضَّ آخَر كايرا من ساقها وهي تُحاوِل تسلُّق جانب تل، وأحاطَ بهما باقي القطيع، تنبح كلابه وتُزَمجِر وتزوم كلَّما تحرَّكا، تحتجزهما حتى وصلَ رامزي سنو مع صيَّاديه. كان نغلًا ما زالَ حينئذٍ، لا يحمل اسم بولتون بعدُ. قال مبتسمًا لهما من فوق حصانه: «ها أنتما ذان. لقد جرحتماني بالفرار هكذا. هل تعبتما من كرم ضيافتي بهذه السُّرعة؟». عندها قبضَت كايرا على حجرٍ وقذفَته به على رأسه، لكنه أخطأَه بقدمٍ كامل، وابتسمَ رامزي قائلًا: «لا بُدَّ من عقابكِ».

يَذكُر ريك النَّظرة اليائسة المرعوبة في عينَي كايرا. لم تبدُ صغيرةً قَطُّ كما بدَت لحظتها، فتاةً في ريعان الصِّبا، لكنه كان مكتوف اليدين. هي *التي أوصلَتهم إلينا. لو انفصَلنا فلربما نجا احدنا.*

جعلَت الذِّكرى التَّنفُّس صعبًا. أشاحَ ريك بوجهه عن المشعل المتَّقد والدُّموع تترقرَق في عينيه، وبيأسٍ تساءلَ في نفسه: *ماذا يُريد مني هذه المرَّة؟ لماذا لا يدعني وشأني؟ لم أفعل شيئًا خطأً، ليس هذه المرَّة. لِمَ لا يَترُكونني في الظَّلام؟* لقد اصطادَ جرذًا، واحدًا سمينًا دافئًا يتلوّى...

سألَ والدر الصَّغير: «هل نغسله؟».

أجابَ الكبير: «حضرة اللورد يحبُّه كريه الرَّائحة. لهذا سمَّاه ريك».

ريك، اسمي ريك، على قافية ركيك. عليه أن يَذكُر هذا. *اخدم وأطِع وتذكَّر من أنت ولن يمسَّك مزيد من الأذى. لقد وعدَني، حضرة اللورد وعدَني*. حتى إذا أرادَ أن يُقاوِم فقواه خائرة، استنزَفوها منه تعذيبًا وتجويعًا وسلخًا. حين سحبَه والدر الصَّغير من يده ليقف ولوَّح والدر الكبير بالمشعل في وجهه ليسوقه من الزِّنزانة ذهبَ معهما بانصياع الكلاب، ولو كان له ذيل لدسَّه بين قدميه.

لو كان لي ذيل لقطعَه النَّغل. أتاه الخاطر بلا دعوة، خاطر كريه خطِر. حضرة اللورد لم يَعُد نغلًا. *بولتون لا سنو*. الملك الصَّبي الجالس على العرش الحديدي شرعنَ اللورد رامزي وأعطاه الحقَّ في حمل اسم السيِّد والده. على ريك أن يتذكَّر أن دعوته بسنو تُذكِّره بنغولته وتُشعِل فيه ثورةً سوداء. واسمه أيضًا، عليه أن يتذكَّر اسمه. لأقل من لحظةٍ راوغَ الاسم ذاكرته، وأرعبَه هذا لدرجة أنه تعثَّر في درجات الزِّنزانة المنحدِرة ومزَّق سراويله على الحجر وجُرِحَت ساقه، واضطرَّ والدر الصَّغير إلى التَّلويح بالمشعل في وجهه ليقوم ويُواصِل الحركة.

في السَّاحة بالخارج كان اللَّيل يبسط سُلطانه على (معقل الخوف)، والبدر التَّام يرتفع فوق سور القلعة الشَّرقي، يُلقي نوره الشَّاحب ظلال الثُّلمات[28] المثلَّثة الطَّويلة على الأرض المتجلِّدة لتبدو كصفٍّ من الأسنان السَّوداء الحادَّة. كان الهواء باردًا رطبًا مفعمًا بالرَّوائح شِبه المنسيَّة، وقال ريك لنفسه: *العالم، هذه هي روائح العالم*. لا يدري كم لبثَ في الزَّنازين بالأسفل، لكن مؤكَّد أن نِصف عامٍ على الأقل قد مرَّ. *أو مُدَّة أطول. ماذا لو أن خمسة اعوام مرَّت؟ أو عشرة؟ أو عشرين؟ هل كنتُ لأدرك ذلك؟ ماذا لو اني فقدتُ عقلي في السِّجن وضاعَ نِصف عُمري؟* لكن لا، هذا سُخف. لا يُمكن أن مُدَّةً كتلك مرَّت، فما زالَ الصَّبيَّان صبيَّين، ولو كانت أعوام عشرة قد مرَّت لصارا رجلين بالغين. عليه أن يتذكَّر هذا. يجب *ألَّا أسمح له بدفعي إلى الجنون. يُمكنه أن يأخذ أصابع يدَي وقدمَي، يُمكنه أن يفقأ عينَي ويَبتُر أُذنَي، ولكن لا يُمكنه أن يسلبني عقلي ما لم أسمح له*.

قادَ والدر الصَّغير الطَّريق حاملًا المشعل، وتبعَه ريك بخنوعٍ ووالدر الكبير وراءه مباشرةً. نبحَت الكلاب في الوجار مع مرورهم، ودارَت دوّامات الرِّيح في أنحاء السَّاحة متخلِّلةً قُماش أسماله القذرة الخفيف وجاعلةً القشعريرة تزحف على جِلده. هواء اللَّيل بارد رطب، لكنه لم يرَ ثلجًا على الرغم من أن الشِّتاء قريب لا ريب. تساءلَ ريك إن كان سيظلُّ حيًّا ليشهد سقوط الثَّلج. *كم إصبعًا سيتبقَّى في يدَي؟ وفي قدمَي؟* حين رفعَ يده صدمَته رؤية شحوبها ونحولها البالغ. *جِلد على عظم. إن لي يدَي رجلٍ عجوز.* أيُمكن أنه مخطئ بشأن الصَّبيَّين؟ ماذا لو أنهما ليسا والدر الصَّغير ووالدر الكبير وإنما ابنا الصَّبيَّين اللذين عرفَهما؟

وجدَ القاعة الكُبرى معتمةً كثيفة الدُّخان. على اليمين واليسار صفوف من المشاعل المتَّقدة، تُمسِكها أيادٍ بَشريَّة عظميَّة بارزة من الجُدران، وعلى مسافةٍ مرتفعة بالأعلى عوارض سوَّدها الدُّخان، وسقف مقنطَر متوارٍ في الظِّلال، وقد أفعمَت الهواء روائح النَّبيذ والمِزر واللَّحم المشوي. قرقرَ بطن ريك بصوتٍ مسموع، وبدأ لُعابه يسيل.

دفعَه والدر الصَّغير ليمضي متعثِّرًا بين الموائد الطَّويلة حيث جلسَ رجال الحامية يأكلون، وشعرَ بنظراتهم الموجَّهة إليه. أفضل البقاع بالقُرب من المنصَّة يحتلُّها رجال رامزي المفضَّلون، صِبيان النَّغل؛ بن بونز العجوز الذي يرعى كلاب صيد حضرة اللورد المحبوبة، وديمون المسمَّى ديمون ارقُص-لي بشَعره الأشقر وملامحه الصِّبيانيَّة، وجرونت الذي فقدَ لسانه نتيجةً لاستهتاره في الكلام على مسمعٍ من اللورد رووس، وآلن الفظ، والسلَّاخ، والقضيب الأصفر. على مسافةٍ أبعد، تحت الملح[29]، آخَرون يعرفهم ريك شكلًا لا اسمًا، حَرس شخصيُّون ورُقباء وجنود وسجَّانون ومعذِّبون. على أن هناك أغرابًا أيضًا، وجوهًا لا يعرفها، وقد تقلَّصت أنوف بعضهم مع مروره، فيما ضحكَ آخَرون من منظره. فكَّر: ضيوف، *أصدقاء حضرة اللورد، وقد جيءَ بي لأرفِّه عنهم*، وارتعدَ جسده خوفًا.

إلى المائدة العالية يجلس نغل بولتون على مقعد السيِّد والده ويشرب من كأسه، وقد جاورَه رجلان مسنَّان. أدركَ ريك بمجرَّد النَّظر أن كليهما لورد. أحدهما هزيل له عينان قاسيتان ولحية طويلة بيضاء ووجه صُلب كصقيع الشِّتاء، يرتدي سُترةً باليةً مهترئةً من جِلد الدِّببة يُلوِّثها الدُّهن، وتحتها قميصًا من الحلقات المعدنيَّة يبدو أنه لا يخلعه أبدًا، حتى على المائدة. اللورد الثَّاني نحيل أيضًا، لكنه محنيُّ القامة في حين أن الأول معتدلها، إحدى كتفيه أعلى كثيرًا من الأخرى، وينحني فوق طبقه كعُقابٍ يلتهم جيفةً. عيناه رماديَّتان جشعتان، وأسنانه صفراء، ولحيته المتشعِّبة شبكة من الثَّلج والفضَّة، ولم يبقَ ملتصقًا بجمجمته المبقَّعة إلَّا بضع خُصل شَعرٍ خفيفة، لكن المعطف الذي يرتديه فاخر ناعم، صُوفه الرَّمادي موشًّى بفرو السَّمُّور الأسود ومثبَّت عند الكتف بنجمٍ متفجِّر من الفضَّة المطرَّقة.

يلبس رامزي الأسود والوردي؛ حذاءً أسود، وحزامًا وغِمدًا أسودين، وسُترةً جِلديَّةً سوداء فوق قميصٍ من المخمل الوردي المشرَّط بالساتان الأحمر القاني، وفي أُذنه اليُسرى تلتمع حِلية مقصوصة على شكل قطرة دم. لكن على الرغم من فخامة ثيابه يظلُّ رجلًا قبيحًا، كبير العظام محني الكتفين، بدنه ممتلئ نوعًا ويُشير إلى البدانة في مرحلةٍ مقبلة من العُمر. بشرته متورِّدة مبقَّعة، وأنفه مفلطح، وفمه صغير، وشَعره طويل داكن جاف، وشفتاه عريضتان لحيمتان، لكن أول ما يلحظه النَّاس فيه هو عيناه، إذ إن له عينَي السيِّد والده الصَّغيرتين الضيِّقتين الشَّاحبتين شحوبًا عجيبًا. يُسمِّي النَّاس درجة اللَّون هذه «الرَّمادي الشَّبحي»، لكن الحقيقة أن عينيه لا لون لهما تقريبًا، كأنهما رُقاقتان من الجليد المتَّسخ.

لدى مرأى ريك ارتسمَت ابتسامة على شفتيه المبتلّتين، وقال: «ها هو ذا، صديقي القديم الكئيب»، وخاطبَ ضيفيه قائلًا: «ريك معي منذ صِباي، أهداه السيِّد والدي إليّ كعلامةٍ على حُبِّه».

تبادلَ اللوردان النَّظر، وعلّق ذو الكتف المحنيَّة: «سمعتُ أن خادمك مات، قيلَ إن رجال ستارك قتلوه».

قهقهَ اللورد رامزي، وقال: «يقول الحديديُّون عسى الميت ألّا يموت أبدًا، بل يُبعَث من جديد، أقوى وأصلب... مِثل ريك. لكن رائحته كالقبر بالفعل، أقرُّ بهذا».

قال ذو الكتف المحنيَّة: «رائحته براز وقيء»، وألقى العظمة التي كان يأكل لحمها ومسحَ أصابعه على مفرش المائدة متسائلًا: «أهناك سبب ضروري لابتلائنا به ونحن نأكل؟».

أمعنَ اللورد الثّاني ذو الظَّهر المستقيم والقميص المعدني النَّظر إلى ريك بعينيه القاسيتين، ثم قال للأول: «انظُر ثانيةً. لقد ابيضَّ شَعره وفقدَ نحو ستّين رطلًا من وزنه، أجل، لكنه ليس خادمًا. هل نسيت؟».

عادَ محنيُّ الكتف يتطلّع إليه، قبل أن يُطلِق نخيرًا مفاجئًا ويقول: «هو؟! أهذا ممكن؟ ربيب ستارك. كان يبتسم، دومًا يبتسم».

قال اللورد رامزي: «لم يَعُد يبتسم بالكثرة نفسها الآن. ربما كسرتُ بعض أسنانه البيضاء النَّضيدة».

ردَّ مرتدي المعدن: «كان حريًّا بك أن تشقَّ حلقه. الكلب الذي ينقلب على سيِّده لا يَصلُح إلّا للسَّلخ».

قال رامزي: «أوه، لقد سُلِخَ بالفعل، هنا وهناك».

- «نعم يا سيِّدي. كنتُ سيِّئًا يا سيِّدي، وقحًا و...». لعقَ شفته محاولًا التَّفكير في شيءٍ آخَر فعلَه. *اخدم وأطِع وسيدعك تعيش وتحتفظ بالأعضاء التي تبقَّت لك. اخدم وأطِع وتذكَّر اسمك. ريك، ريك، على قافية وشيك.* «... سيِّئًا و...».

خاطبَه رامزي قائلًا: «على فمك دم. هل عُدت إلى قضم أصابعك يا ريك؟».

- «لا، لا يا سيِّدي، أقسمُ لك». حاولَ ريك أن يقضم إصبع خاتمه مرَّةً ليُوقِف الألم بعد أن جرَّدوه من جِلده. اللورد رامزي لا يقطع إصبع امرئٍ ببساطة، بل يُحبِّذ سلخه وترك اللَّحم المكشوف يجفُّ ويتشقَّق ويتعفَّن. لقد جُلِدَ ريك وجُرِحَ ووُضِعَ على المِخلعة[30]، لكن الألم الذي يتبع السَّلخ لا يُضاهيه ألم. إنه ألم يدفع المرء إلى الجنون، ولا يُحتمَل طويلًا. عاجلًا أو آجلًا تَصرُخ الضَّحيَّة: «أرجوكم، كفى، كفى، أوقِفوا الألم، اقطعوه! »، وعندها يمنُّ اللورد رامزي بالقبول. إنها لُعبة يلعبانها، وقد تعلَّم ريك قواعدها كما تشهد يداه وقدماه، لكنه نسيَ في تلك المرَّة الوحيدة وحاولَ القضاء على الألم بنفسه بواسطة أسنانه، وهو ما أثارَ استياء اللورد رامزي، وكلَّفت الإساءة ريك إصبع قدمٍ آخَر. غمغمَ: «أكلتُ جرذًا».

قال رامزي وعيناه الباهتتان تلتمعان في ضوء المشاعل: «جرذًا؟ كلُّ جرذان (معقل الخوف) ملك للسيِّد والدي. كيف تجرؤ على عمل وجبةٍ من أحدها دون إذني؟».

لم يدرِ ريك ماذا يقول، فأطبقَ شفتيه. كلمة واحدة خطأ قد تُكلِّفه إصبعًا آخَر من قدمه أو يده. حتى الآن فقدَ إصبعين من يُسراه وخنصر يُمناه، ولكن فقط إصبع قدمه اليُمنى الصَّغير مقابل ثلاثةٍ من اليُسرى. أحيانًا يقول رامزي مازحًا إنه يُريد أن يُوازِنه. حاولَ أن يقول لنفسه: *سيِّدي يمزح فقط. لقد قال لي إنه لا يُريد أن يُؤذيني، إنه يفعل ذلك عندما أعطيه سببًا فقط*. سيِّده رحيم عطوف، وكان بإمكانه أن يَسلُخ وجه ريك عقابًا على بعض الأشياء التي قالها قبل أن يتعلَّم اسمه السَّليم ومنزلته الحقيقيَّة.

قال ذو القميص المعدني: «بدأتُ أملُّ. اقتُله وافرُغ من الأمر».

ملأَ اللورد رامزي كأسه بالمِزر قائلًا: «سيُفسِد ذلك احتفالنا يا سيِّدي. ريك، عندي لك أخبار سارَّة. سأتزوَّجُ. السيِّد والدي في الطَّريق إليّ بإحدى ابنتَي ستارك، آريا ابنة اللورد إدارد. أنت تَذكُر آريا الصَّغيرة، أليس كذلك؟».

كادَ يقول: *آريا المُداسة، آريا وجه الحصان*. أخت روب الصَّغيرة، ذات الشَّعر البنِّي والوجه الطَّويل والقوام الرَّفيع كالعصا. كانت متَّسخةً دائمًا. *سانزا هي الحسناء*. يَذكُر وقتًا ظنَّ فيه أن اللورد إدارد ستارك قد يُزوِّجه سانزا ويعدُّه ابنًا، لكنه كان خيالًا طفوليًّا لا أكثر. أمَّا آريا... «أذكرها، آريا».

- «ستكون سيِّدة (وينترفل)، وأنا سيِّدها».

إنها مجرَّد طفلة. «نعم يا سيِّدي، مبارك».

- «هل ستحضر زفافي يا ريك؟».

تردَّد قبل أن يُجيب: «إذا شئت يا سيِّدي».

- «أوه، هذا ما أشاؤه».

عادَ يتردَّد متسائلًا إن كان هذا فخًّا وحشيًا، ثم قال: «نعم يا سيِّدي، بعد إذنك، سيكون هذا شَرفًا لي»

- «علينا أن نُخرِجك من تلك الزِّنزانة الكريهة إذن، نُحمِّمك ونُعطيك ثيابًا نظيفةً وطعامًا. القليل من الثَّريد الطَّري اللَّذيذ، ما رأيك؟ وربما فطيرة بازلاء باللَّحم المقدَّد. إن عندي مهمَّةً صغيرةً لك، وستحتاج إلى استرداد قوَّتك كي تخدمني بنجاح. أعلمُ أنك تُريد أن تخدمني».

سرَت في جسده رعدة وهو يقول: «نعم يا سيِّدي، أكثر من أيِّ شيء. أنا مخلوقك ريك. أرجوك دعني أخدمك، أرجوك».

قال رامزي بولتون: «كيف أرفضُ وقد طلبت بكلِّ أدب؟»، وابتسمَ مضيفًا: «إنني ذاهب إلى الحرب يا ريك، وستأتي معي لتُساعِدني على المجيء بعروسي البِكر إلى الدِّيار».

---

(28). الثُّلمة هي الفرجة بين عمودَيْن أو شُرَّافتيْن في شُرفة الحصن. (المُترجم).

(29). على غرار العادة في القرون الوُسطى، يوضَع الملح في منتصَف المائدة، بحيث يجلس كبير القوم وعائلته والضُّيوف رفيعو المقام فوق الملح، أي في اتِّجاه رأس المائدة، فيما يجلس الضُّيوف الأقل شأنًا وغيرهم تحت الملح. (المُترجم).

(30). المِخلعة آلة تعذيب تعود إلى العصور القديمة، بحيث يُربَط الشَّخص على لوحٍ خشبي وتُشَدُّ أطرافه بالحبال حتى تتفكَّك مفاصله وتتمزَّق عضلاته. (المُترجم).

شيءٌ ما في صرخة الغُداف جعلَ القشعريرة تزحف على عموده الفقري، وهو ما دفعَ بران إلى تذكير نفسه قائلًا: *أكادُ أكونُ رجلًا بالغًا. يجب أن أتشجَّع الآن.*

لكن الهواء عنيف بارد مفعم بالخوف، وحتى سَمر نفسه خائف، الفرو على عُنقه منفوش عن آخِره. على جانب التَّلِّ تمتدُّ الظِّلال سوداء جوعى، والأشجار كلُّها ملتوية محنيَّة تحت ثقل الجليد الذي تحمله، بعضها لا يبدو كالأشجار على الإطلاق وقد دفنَها الثَّلج المتجلِّد من الجذر إلى القمَّة لتربض على التَّلِّ كالعمالقة، كمخلوقاتٍ وحشيَّة مشوَّهة منكمشة من الرِّيح الجليديَّة.

قال الجوَّال مستلًّا سيفه الطَّويل: «إنهم هنا».

بصوتٍ مكتوم سألَته ميرا: «أين؟».

- «على مقربة. لا أدري. في مكانٍ ما».

عادَ الغُداف يَصرُخ، وهمسَ هودور: «هودور». كان يدسُّ يديه تحت إبطيه، وكُتل الجليد تتدلَّى من دغل لحيته البنِّي، وشاربه قطعة من المُخاط المتجمِّد تلتمع بالأحمر في ضوء الغروب.

نبَّههم بران: «الذِّئاب قريبة أيضًا، الذِّئاب التي تتبعنا. سَمر يشمُّها متى كنا في اتِّجاه الرِّيح».

قال ذو اليدين الباردتين: «الذِّئاب أقلُّ همومنا. يجب أن نتسلَّق. سيحلُّ الظَّلام قريبًا. خيرٌ لكم أن تكونوا بالدَّاخل قبل نزول اللَّيل. سيجتذبهم دفئكم»، وألقى نظرةً غربًا حيث يلوح ضوء الشَّمس الغاربة خافتًا من بين الأشجار كوهج نارٍ بعيدة.

سألَت ميرا: «أهذا هو المدخل الوحيد؟».

- «الباب الخلفي على بُعد ثلاثة فراسخ شمالًا، وفي قاع هبوطٍ أرضي».

ما كان عليه أن يقول غير هذا. حتى هودور لا يستطيع أن ينزل إلى قاع هبوطٍ أرضي ببران على ظَهره، وفي حالة چوچن فلا فرق بين أن يمشي ثلاثة فراسخ وأن يعدو ألفًا.

رمقَت ميرا التَّلَّ أعلاهم قائلةً: «الطَّريق يبدو سالكًا».

غمغمَ الجوَّال بتجهُّم: «يبدو. هل تَشعُرين بهذا البرد؟ ثمَّة شيء هنا. أين هُم؟!».

- «ربما داخل الكهف؟».

أجابَها الجوَّال: «الكهف محميٌّ بالتَّمائم، لا يستطيعون الدُّخول»، وأشارَ بطرف سيفه مردفًا: «يُمكنكم رؤية المدخل هناك، في منتصَف الطَّريق إلى أعلى بين شجر الويروود، ذلك الصَّدع في الصَّخر».

قال بران: «أراه». كانت الغِدفان تطير دخولًا وخروجًا.

وعدَّل هودور ثقله قائلًا: «هودور».

قالت ميرا: «لستُ أرى إلَّا طيَّةً في الصَّخر».

- «ثمَّة ممرٌّ هناك، منحدر متعرِّج في البداية، نفق عبر الصُّخور. إذا بلغتموه فستكونون في أمان».

- «وماذا عنك؟».

- «الكهف محميٌّ بالتَّمائم».

تطلَّعت ميرا إلى الصَّدع في جانب التَّلِّ قائلةً: «بين هنا وهناك ألف ياردة على الأكثر».

فكَّر بران: *نعم، لكن كلَّ تلك الياردات إلى أعلى*. التَّلُّ شديد الانحدار كثيف الشَّجر. على الرغم من توقُّف الثُّلوج عن السُّقوط قبل ثلاثة أيام فإن شيئًا منها لم يَذُب، وتحت الأشجار الأرض ملتحفة بالأبيض النَّظيف المنتظم، وهو ما جعلَ بران يقول بشَجاعة: «انظُروا إلى الثَّلج، لا آثار أقدام».

ردَّ الجوَّال: «المُشاة البِيض يتحرَّكون بخفَّةٍ على الثَّلج. لن تجد آثارًا تدلُّ على مرورهم».

هبطَ غُداف من أعلى يحطُّ على كتفه. لم يتبقَّ من الطُّيور السَّوداء الكبيرة إلَّا دستة، وقد اختفَت البقيَّة خلال الطَّريق، وكلَّما استيقظوا فَجرًا وجدوا عددها أقل. نعقَ الطَّائر: «*تعالوا، تعالوا، تعالوا!*».

قال بران لنفسه: *الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث، النَّبي الأخضر*، ثم قال لهم: «المدخل ليس بعيدًا جدًّا. القليل من التَّسلُّق ثم نُصبِح آمنين، وقد يُمكننا إشعال نار». كلُّهم بردان مبتلٌّ جائع باستثناء الجوَّال، وچوچن ريد أضعف من أن يمشي بلا عون.

قالت ميرا ريد: «اذهبوا أنتم»، ومالَت على أخيها الجالس مستندًا إلى جذع شجرة سَنديان، عيناه مغلقتان ويرتجف بعُنف. القليل المرئي من وجهه تحت قلنسوته ووشاحه عديم اللَّون كالثَّلج المحيط بهم، لكن أنفاسه ما زالَت تَخرُج بضعفٍ من طاقتَي أنفه كلَّما زفرَ. لقد حملَته ميرا طيلة النَّهار. حاولَ بران أن يُخبِر نفسه: *الطَّعام والنَّار سيردَّان إليه عافيته*، ولو أنه غير متأكِّدً من ذلك. كانت ميرا تقول: «لا أستطيعُ أن أقاتل وأحمل چوچن في آنٍ واحد. هودور، خُذ بران إلى الكهف».

صفَّق هودور قائلًا: «هودور».

قال بران ببؤس: «چوچن محتاج إلى الأكل». مرَّ اثنا عشر يومًا منذ انهارَت الإلكة للمرَّة الثَّالثة والأخيرة، منذ ركعَ ذو اليدين الباردتين إلى جوارها فوق كومة الثَّلج وتمتمَ بصلاةٍ ما بلُغةٍ غريبة وهو يشقُّ حَلقها. بكى بران كفتاةٍ صغيرة عندما انبجسَت الدِّماء القانية، ولم يَحدُث أن شعرَ بإعاقته كما شعرَ لحظتها إذ شاهدَ بعجزٍ ميرا ريد والجوَّال يذبحان الدَّابَّة الشُّجاعة التي حملَتهما كلَّ هذه المسافة. قال لنفسه إنه لن يأكل، إن الجوع أفضل من التهام لحم صديق، لكنه أكلَ في النِّهاية مرَّتين، واحدةً في جِلدته والثَّانية في جِلدة سَمر. على الرغم من هزال الإلكة من جرَّاء احتياجها الملحّ إلى الطَّعام أقاتَتهم شرائح اللَّحم التي قطَّعها الجوَّال سبعة أيام، إلى أن أتوا على آخِرها حول نارٍ في أطلال حصنٍ بدائي قديم.

أيَّدته ميرا قائلةً وهي تُملِّس على جبهة أخيها: «نعم، محتاج إلى الأكل، كلُّنا كذلك، لكن لا طعام هنا. اذهبوا!».

حاولَ بران أن يحبس دمعةً وشعرَ بها تتجمَّد على وجنته، وأمسكَ ذو اليدين الباردتين ذراع هودور قائلًا: «الضَّوء يخبو. إن لم يكونوا هنا الآن فسيظهرون قريبًا. هيا بنا».

دون كلمةٍ هذه المرَّة نفضَ هودور الثَّلج عن قدميه وخاضَ في الأكوام إلى أعلى وبران على ظَهره، وتحرَّك ذو اليدين الباردتين إلى جوارهما شاهرًا سيفه في يده السَّوداء، وأتى سَمر وراءهم. الثَّلج في بعض البقاع أعلى منه، وهو ما يجعل الذِّئب الرَّهيب الكبير يتوقَّف لينفضه عن جسمه كلَّما اخترقَ القشرة الرَّقيقة. مع بدئهم الصُّعود التفتَ بران بعُسرٍ في سلَّته ليرى ميرا تضع ذراعها تحت أخيها وترفعه ليقف. *وزنه ثقيل للغاية عليها. إنها تتضوَّر جوعًا وليست قويَّةً كما كانت*. أطبقَت ميرا على رُمح صيد الضَّفادع بيدها الأخرى غارسةً شُعبه الثَّلاث في الثَّلج طلبًا لمزيدٍ من الارتكاز، وكانت قد بدأت تتسلَّق التَّلَّ لتوِّها وهي تجرُّ أخاها الصَّغير تارةً وتحمله تارةً حين مرَّ هودور بين شجرتين وغابا عن نظر بران.

اشتدَّ تحدُّر التَّلِّ، وتشقَّقت الثُّلوج تحت حذاء هودور، وفي مرَّةٍ تحرَّكت صخرة تحت قدمه فانزلقَ إلى الخلف وكادَ يَسقُط إلى أسفل التَّلِّ، لكن الجوَّال أمسكَه من ذراعه وأنقذَه، وقال هودور: «هودور». كلُّ هبَّة ريحٍ تملأ الهواء بمسحوقٍ أبيض ناعم يَبرُق كالزُّجاج في ضوء آخِر النَّهار، وقد راحَت الغِدفان تُرَفرِف حولهم، وحلَّق أحدها إلى الأمام واختفى داخل الكهف. *ثمانون ياردةً فقط الآن، ليس بعيدًا على الإطلاق*.

توقَّف سَمر فجأةً عند سفح بُقعةٍ ممتدَّة منحدرة من الثَّلج المنتظم، وتلفَّت الذِّئب الرَّهيب برأسه يتشمَّم الهواء ثم زمجرَ، وبفروٍ منتفش بدأ يتقهقَر.

قال بران: «هودور، توقَّف. هودور، انتظِر!». ثمَّة خطب ما. سَمر شمَّه، وهو أيضًا. *شيء سيِّئ، شيء قريب*. «هودور، لا، عُد».

كان ذو اليدين الباردتين يُواصِل التَّسلُّق، وأرادَ هودور أن يُجاريه، فدمدمَ بصوتٍ عالٍ: «هودور، هودور، هودور»، ليطغى على اعتراض بران، وقد بدأت أنفاسه تتقطَّع، وملأت غمامة شاحبة الهواء. أخذَ خُطوةً ثم أخرى في ثلوجٍ مرتفعة حتى الخاصرة تقريبًا على المنحدر بالغ الحدَّة، وقد مالَ إلى الأمام متمسِّكًا بالصُّخور والأشجار. خُطوة أخرى، وأخرى، وانزلقَ الثَّلج الذي خلخلَه هودور إلى أسفل بادئًا انهيارًا صغيرًا وراءهم.

ستُّون ياردةً. لوى بران نفسه إلى الجانب في سبيل نظرةٍ أفضل على الكهف، ثم إنه رأى شيئًا آخَر. «نار!». في الصَّدع الصَّغير بين أشجار الويرووود وهج متذبذب، ضوء محمر يُناديهم من الظُّلمة المتوغِّلة. «انظُروا، أحدهم...».

وصرخَ هودور، وتلوَّى، وتعثَّر، وسقطَ.

شعرَ بران بالعالم ينزلق إلى الجانب إذ دارَ عامل الاسطبل الكبير بعُنف، وأفرغَت رجَّة صادمة ما في صدره من هواء. كان فمه مليئًا بالدَّم، وهودور يتلوَّى ويتدحرَج ساحقًا الصَّبي المُقعد تحته.

شيء ما أمسكَ ساقه. لأقل من لحظةٍ ظنَّه بران جذرًا اشتبكَ حول كاحله... إلى أن تحرَّك الجذر، ثم رأى اليد إذ انبثقَت الجثَّة الحيَّة من تحت الثَّلج.

أخذَ هودور يُكيل للشَّيء الرَّكلات، يضربه بكعبه في وجهه مباشرةً، ولم يبدُ على الرَّجل الميت أنه شعرَ بشيءٍ منها، ثم اشتبكَ الاثنان باللَّكمات والخمش وهما ينزلقان إلى أسفل. ملأ الثَّلج فم بران وأنفه إذ تدحرجوا، لكن خلال لحظةٍ أو أقل انقلبَ على ظَهره، وارتطمَ شيء ما برأسه، صخرة أو كُتلة جليدٍ أو قبضة رجلٍ ميت، لا يدري، ووجدَ نفسه ملقًى خارج سلَّته على جانب التَّلِّ، يَبصُق الثَّلج ويده المقفَّزة تقبض على الشَّعر الذي مزَّقه من رأس هودور.

من كلِّ اتِّجاهٍ حولهم كانت الجُثث الحيَّة تنهض من تحت الثَّلج.

اثنان، ثلاثة، أربعة. أكثر من أن يُحصيهم بران. هبَّ الموتى واقفين وسط سُحب الثَّلج التي تفجَّرت فجأةً، بعضهم يرتدي المعاطف السَّوداء وبعضهم الجلود البالية وبعضهم لا شيء، وكلُّهم شاحب البشرة أسود اليدين، وتتَّقد أعيُنهم كنجومٍ زرقاء باهتة.

انقضَّ ثلاثة منهم على الجوَّال، ورأى بران ذا اليدين الباردتين يهوي بسيفه على وجه أحدهم، لكن الشَّيء ظلَّ يُهاجِمه دافعًا إياه بين ذراعَي آخَر، في حين تحرَّك اثنان آخَران نحو هودور نازليْن المنحدر بخُطى خرقاء. أدركَ بران بفزعٍ عاجز أشعرَه بالغثيان أن ميرا ستصعد لتجد نفسها في قلب ما يَحدُث، فدقَّ على الثَّلج بقبضته وصاحَ منذرًا.

ثم أطبقَ عليه شيء.

وعندئذٍ تحوّلت صيحته إلى صرخة. ملأ بران قبضته بالثّلج وقذفَه، لكن عينًا لم تطرف للجثّة الحيَّة، وامتدَّت يد سوداء إلى وجهه وأخرى إلى بطنه، وشعرَ بأصابعها صُلبةً كالحديد. *سينتزع احشائي من بطني*.

لكن بغتةً كان سَمر بينهما. لمحَ بران جِلدًا يتمزَّق كالقُماش الرَّخيص، وسمعَ عظمًا ينكسر، ورأى يدًا ورُسغًا ينفصلان عن ذراعهما وأصابع تتلوّى وكُمًّا من الخيش الأسود الباهت. *أسود، يرتدي الأسود. كان من حَرس اللَّيل*. طوّح سَمر بالسّاعد والتوى غارسًا أسنانه في عُنق الرَّجل الميت تحت ذقنه، وحين انتزعَها الذِّئب الرَّمادي الكبير مزَّق معظم حَلق الكائن في انفجارٍ من اللَّحم الشَّاحب العفِن.

كانت اليد المقطوعة لا تزال تتحرَّك، فتدحرجَ بران مبتعدًا عنها، وعلى بطنه أبصرَ الأشجار بالأعلى شاحبةً مكسوَّة بالثَّلج، وبينها الوهج البُرتقالي.

خمسون *ياردةً*. إذا استطاعَ جرَّ نفسه خمسين ياردةً فلن يستطيع الموتى الوصول إليه. تخلَّل البلل قُفَّازيه إذ تشبَّث بالجذور والصُّخور زاحفًا نحو الضَّوء، وقال لنفسه: *لم يبقَ الكثير، لم يبقَ الكثير، ثم يُمكنك أن تستريح عند النَّار*.

كان شُعاع الضَّوء الأخير قد اختفى بين الأشجار وحلَّ اللَّيل. يُسدِّد ذو اليدين الباردتين ضرباته وطعناته إلى دائرة الموتى المحيطين به، ويُطبِق سَمر بأسنانه على وجه الجثّة التي أسقطَها، ولا أحد ملتفت إلى بران الذي واصلَ الزَّحف إلى أعلى جارًّا ساقيه العاطلتين وراءه. *إذا استطعتُ بلوغ هذا الكهف*...

ومن مكانٍ ما بالأسفل أتى الأنين: «هوووودور».

وعلى حين غرَّةٍ لم يَعُد بران الصَّبي المكسور الزَّاحف على الثَّلج، على حين غرَّةٍ أصبحَ هودور بالأسفل في منتصَف الطَّريق إلى السَّفح، والجثَّة الحيَّة تُحاوِل فقأ عينيه. هادرًا، هبَّ يقف وألقى الشَّيء بعُنفٍ إلى الجانب، فسقطَ على رُكبته وبدأ ينهض من جديد، واستلَّ بران سيف هودور الطَّويل من حزامه. في الأعماق لم ينقطع أنين هودور المسكين عن سمعه، لكنه من الخارج سبعة أقدامٍ من الغضب وفي يده الحديد القديم. رفعَ السَّيف وهوى به على الرَّجل الميت، وخارَ إذ شقَّ النَّصل الصُّوف المبتلَّ وحلقات المعدن الصَّدئة والجِلد المتعفِّن وانغرسَ عميقًا في اللَّحم والعظم. جأرَ: «**هودور!**»، وبضربةٍ ثانيةٍ من سيفه بترَ رأس الجثَّة من العُنق، وللحظةٍ أو دونها أفعمَته النَّشوة... إلى أن امتدَّت يدان ميتتان بلا رؤيةٍ إلى عُنقه.

تراجعَ بران نازفًا، وكانت ميرا ريد هناك، تُغمِد رُمحها في ظَهر الجثَّة الحيَّة. عادَ بران يجأر مشيرًا لها نحو أعلى التَّل: «هودور، هودور، هودور!». كان چوچن يتلوَّى بوهنٍ حيث مدَّدته، فذهبَ إليه بران وأسقطَ السَّيف الطَّويل ورفعَ الصَّبي بذراعَي هودور ونهضَ مسرعًا يهدر: «**هودور!**».

قادَت ميرا الطَّريق إلى أعلى التَّلِّ طاعنةً الموتى برُمحها إذا دنوا. هذه الأشياء غير قابلةٍ للأذى، لكنها بطيئة خرقاء. مع كلِّ خُطوةٍ قال هودور: «هودور، هودور، هودور»، وتساءلَ كيف ستكون ردَّة فعل ميرا إذا قال لها فجأةً إنه يحبُّها.

بالأعلى فوقهم كانت أجساد مشتعلة ترقُص في الثَّلج.

الجُثث الحيَّة، أحدهم أشعلَ فيها النَّار.

كان سَمر يُزَمجِر ويعضُّ الهواء وهو يدور حول أقربها، خراب رجلٍ تُغلِّفه دوّامات اللَّهب، ففكَّر بران: *لا ينبغي أن يقترب منه هكذا. ماذا يفعل؟* ثم إنه رأى نفسه ملقًى على وجهه في الثَّلج، وأدركَ أن سَمر يُحاوِل إبعاد الشَّيء عنه. تساءلَ الصَّبي: *ماذا سيَحدُث إذا قتلَني؟ هل سأبقى هودور إلى الأبد؟ هل سأعودُ إلى داخل سَمر؟ أم سأموتُ فحسب؟*

تحرَّكَ العالم على نحوٍ مدوِّخ من حوله. الأشجار البيضاء، والسَّماء السَّوداء، واللَّهب الأحمر، كلُّ شيءٍ يلفُّ، يتحوَّل، يدور. أحسَّ بنفسه يتعثَّر، وسمعَ هودور يَصرُخ: «هودور هودور هودور هودور. هودور هودور هودور هودور. هودور هودور هودور هودور هودور». كانت سحابة من الغِدفان تنصبُّ من الكهف، ورأى فتاةً صغيرةً تحمل مشعلًا وتندفع هنا وهناك كالسَّهم. لهُنيهةٍ حسبَها أخته آريا... وهذا جنون، لأنه يعلم أن أخته الصَّغيرة تَبعُد ألف فرسخ، أو ميتة. لكن ها هي ذي تدور حول نفسها، مخلوقة نحيلة ضارية مهترئة الثِّياب شَعرها متلبِّد.

ترقرقَت الدُّموع في مُقلتَي هودور وتجمَّدت في مكانها.

ثم انقلبَ كلُّ شيءٍ من الدَّاخل إلى الخارج ومن أعلى إلى أسفل، وألفى بران نفسه في جسده مجدَّدًا، شِبه مدفون في الثَّلج، تقف الجثَّة الحيَّة المحترقة فوقه طويلةً تحت الأشجار في أكفانها الثَّلجيَّة. رأى بران أنها إحدى الجُثث العارية، وفي اللَّحظة التَّالية نفضَت أقرب شجرةٍ إليه الثَّلج الذي يُغطِّيها وألقته كلَّه على رأسه.

ثم إذا به ممدَّدًا على طبقةٍ من إبر الصَّنوبر تحت سقفٍ حجري مظلم. *الكهف، أنا في الكهف*. ما زالَ في فمه مذاق الدَّم بعد أن عضَّ لسانه، لكن إلى يمينه نار موقدة تغسل حرارتها وجهه، وفي حياته كلِّها لم يَشعُر بشيءٍ بهذا الجَمال. كان سَمر هناك يتشمَّم الهواء حوله، وهودور المبتلُّ عن آخِره، وقد وسَّدت ميرا رأس چوچن حِجرها، ووقفَ الشَّيء الذي حسبَه آريا فوقهم ممسكًا المشعل.

قال بران: «الثَّلج سقطَ عليَّ ودفنَني».

قالت ميرا: «أخفاك، ثم أخرجتك منه»، وأشارَت برأسها إلى الفتاة مضيفةً: «لكنها هي التي أنقذَتنا. المشعل... النَّار تَقتُلهم».

- «النَّار تحرقهم، النَّار جائعة دومًا».

ليس صوت آريا، أو أيِّ طفلة، بل صوت امرأة عالٍ عذب، فيه موسيقى عجيبة لم يسمع لها نظيرًا وحُزن كادَ يكسر قلبه. زرَّ بران عينيه ليراها أفضل. إنها فتاة بالفعل، لكن أصغر حجمًا من آريا، بشرتها رقطاء كأنثى الظَّبي تحت معطفٍ من أوراق الشَّجر، وعيناها غريبتان؛ كبيرتان مائعتان، خضراوان وذهبيَّتان، مشقوقتان طوليًّا كأعيُن القِطط. *لا أحد له هاتان العينان*. شَعرها شبكة من البنِّي والأحمر والذَّهبي، ألوان الخريف، مجدولة فيه كروم وغصون وزهور ذابلة.

سألَتها ميرا ريد: «مَن أنتِ؟».

عرفَ بران الإجابة، فجاوبَها: «إنها طفلة، طفلة من أطفال الغابة». قالها وارتجفَ عجبًا وبردًا في آنٍ واحد. لقد سقطوا في واحدةٍ من حكايات العجوز نان.

قالت المرأة الصَّغيرة: «البَشر الأوائل دعونا بالأطفال، والعمالقة بـ«ووه داك ناج جران»، أي شعب السَّناجب، لأننا كنا صغارًا وسريعين ومولعين بالأشجار، لكننا لسنا سناجب أو أطفالًا. اسمنا في اللُّغة الحقَّة يعني «الذين يترنَّمون بأغنيَّة الأرض». قبل أن يُلفَظ حرف واحد من لُغتكم القديمة كنا نُغنِّي أغانينا طوال عشرة آلاف عام».

قالت ميرا: «لكنكِ تتكلَّمين العاميَّة».

- «من أجله، الصَّبي بران. لقد وُلِدتُ في زمان التنِّين، وطيلة مئتي عام جبتُ عالم البَشر كي أشاهد وأسمع وأتعلَّم. كان يُمكنني أن أظلَّ أجوبه حتى الآن، لكن ساقَي آلمَتاني وأتعبَني قلبي، فعدتُ إلى الدِّيار».

ردَّدت ميرا: «طيلة مئتي عام؟».

ابتسمَت الطِّفلة قائلةً: «البَشر هُم الأطفال».

سألَها بران: «ألكِ اسم؟».

أجابَت: «حين أحتاجُ إلى واحد»، ولوَّحت بالمشعل صوب الشَّقِّ الأسود في جِدار الكهف الخلفي مستطردةً: «طريقنا إلى أسفل. يجب أن تأتوا معي الآن».

عادَ بران يرتعش، وقال: «الجوَّال...».

- «لا يُمكنه أن يأتي».

- «سيَقتُلونه».

- «لا، لقد قتلوه منذ زمنٍ طويل. هيا الآن. الجوُّ أكثر دفئًا في الأعماق، ولن يُؤذيك أحد. إنه ينتظرك».

سألَتها ميرا: «الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث؟».

قالت: «النَّبي الأخضر»، ودون كلمةٍ أخرى تحرَّكت، فلم يجدوا خيارًا إلَّا الذَّهاب في أعقابها.

ساعدَت ميرا بران على الرُّكوب على ظَهر هودور، وإن كانت سلَّته شِبه مسحوقة ومبتلَّة بالثَّلج الذَّائب، ثم طوَّقت أخاها بذراعها وأسندَته إلى كتفها معاونةً إياه على القيام. انفتحَت عينا چوچن، وقال: «ماذا؟ ميرا؟ أين نحن؟»، ثم رأى النَّار فابتسمَ قائلًا: «رأيتُ حُلمًا في غاية الغرابة».

كان الطَّريق ضيِّقًا متعرِّجًا وواطئًا لدرجة أن هودور سرعان ما اضطرَّ إلى المشي مقرفصًا، وحنى بران رأسه قدر المستطاع، لكن على الرغم من هذا احتكَّت قمَّة رأسه بالسَّقف. تفتَّتت التُّربة المخلخَلة مع كلِّ لمسةٍ وتساقطَ الثَّرى في عينيه وعلى شَعره، وفي مرَّةٍ ارتطمَت جبهته بجذرٍ أبيض سميك نابت من جِدار النَّفق، منه تتدلَّى المَحالق وبين أصابعه شباك العناكب.

تقدَّمتهم الطِّفلة حاملةً المشعل، يهمس معطف أوراق الشَّجر الذي ترتديه من ورائها، لكن الممرَّ ظلَّ يلتوي وينحني ولم يمضِ وقت طويل قبل غيابها عن عينَي بران، ثم لم يَعُد هناك ضوء إلَّا ذلك المنعكس على الحوائط. بعد أن قطعوا مسافةً قصيرةً تفرَّع الكهف، غير أن الفرع الأيسر بقيَ غارقًا في ظلامٍ دامس، فعلمَ هودور -على الرغم من كلِّ شيء- أن يتبع المشعل المتحرِّك في الفرع الأيمن.

جعلَت الطَّريقة التي تتحرَّك بها الظِّلال حوائط الكهف تبدو كأنها تتحرَّك بدورها. رأى بران ثعابين بيضاء هائلةً تسعى داخلةً التُّربة وخارجةً منها من حوله، ودقَّ قلبه في صدره بعُنف. تساءلَ إن كانوا قد خطوا سهوًا إلى جُحرٍ لثعابين اللَّبن[31] أو ديدان القبور العملاقة، كلُّها شاحب طريٌّ رخو. *ديدان القبور لها أسنان.*

هودور أيضًا رآها، وأنَّ قائلًا: «هودور». تردَّد في التَّقدُّم، لكن عندما توقَّفت الطِّفلة الفتاة ليلحقوا بها ثبتَ ضوء المشعل، وأدركَ بران أن الثَّعابين ليست إلَّا جذورًا بيضاء كالذي اصطدمَ به رأسه، فقال: «إنها جذور ويرووود. هل تَذكُر شجرة القلوب في أيكة الآلهة يا هودور؟ الشَّجرة البيضاء ذات الأوراق الحمراء؟ لن تُؤذيك شجرة».

قال هودور: «هودور»، وتقدَّم مسرعًا وراء الفتاة ومشعلها متوغِّلًا أكثر في باطن الأرض. مرُّوا بفرعٍ آخَر، ثم آخَر، ثم وجدوا أنفُسهم في مغارةٍ فسيحة تُعادِل قاعة (وينترفل) الكُبرى في المساحة، من سقفها تتدلَّى أسنان حجريَّة ومن أرضيَّتها يَبرُز المزيد. أشارَت لهم الطِّفلة ذات المعطف المورق نحو الطَّريق، وبين الحين والآخَر توقَّفت لتُلوِّح لهم بصبرٍ نافد بالمشعل الذي بدا كأنه يُخاطِبهم قائلًا: *من هنا، من هنا، من هنا، أسرِعوا*.

بعدها رأوا مزيدًا من الممرَّات الجانبيَّة والحُجرات، وسمعَ بران مياهًا تتقاطَر من مكانٍ ما إلى يمينه، فلمَّا نظرَ رأى أعيُنًا أخرى تَرمُقه، أعيُنًا مشقوقةً طوليًّا تلتمع عاكسةً ضوء المشعل. قال لنفسه: *المزيد من الأطفال. ليست الفتاة الوحيدة،* لكنه تذكَّر حكاية العجوز نان عن أطفال جرندل أيضًا.

الجذور في كلِّ مكان، ملتوية عبر التُّربة والحجارة، تسدُّ بعض الممرَّات وتحمل سقوف بعضها. أدركَ بران فجأةً أن الألوان كلَّها غابَت، أن العالم تُربة سوداء وخشب أبيض. لشجرة القلوب في (وينترفل) جذور سميكة كساق عملاق، لكن هذه تفوقها سُمكًا، ولم يرَ بران كلَّ هذه الأعداد من قبل قَطُّ. مؤكَّد *أن هناك بستانًا كاملًا من شجر الويرووود فوقنا*.

ابتعدَ الضَّوء ثانيةً. على الرغم من حجمها الصَّغير فالطِّفلة التي ليست طفلةً تتحرَّك بسرعةٍ عندما تشاء، وإذ تقدَّم هودور وراءها يدقُّ الأرض انسحقَ شيء ما تحت قدميه، ليتوقَّف فجأةً وتكاد ميرا وچوچن يرتطمان بظَهره.

قال بران: «عظام، إنها عظام». أرضيَّة الممرِّ مكسوَّة بعظام الطُّيور والحيوانات، لكن هناك عظامًا أخرى أيضًا، عظامًا كبيرةً أتَت لا شكَّ من عمالقة، وعظامًا صغيرةً محتمَل أنها لأطفال. على جانبيهم، في كُوَّاتٍ محفورة في الحجر، جماجم تتطلَّع إليهم، ورأى بران جمجمة دُبٍّ وجمجمة ذئبٍ ونِصف دستةٍ من جماجم البَشر ونحو مِثلها من جماجم العمالقة، أمَّا باقي الجماجم جميعًا فصغير عجيب التَّكوين. *أطفال الغابة*. كلُّها بلا استثناءٍ تنمو الجذور فيه وحوله وعبره، وفوق بعضها غِدفان جاثمة تُشاهِدهم يمرُّون بأعيُنٍ سوداء لامعة.

كانت المرحلة الأخيرة من رحلتهم الأشدَّ انحدارًا. نزلَ هودور الجزء الأخير على مؤخِّرته، يهتزُّ وينزلق إلى أسفل وسط فوضى من العظام المكسورة والتُّربة المخلخَلة والحصى، وانتظرَتهم الطِّفلة الفتاة واقفةً على طرف جسرٍ طبيعي يمتدُّ فوق هاويةٍ تفغر فاها. من الظُّلمة بالأسفل تناهى إلى مسامع بران خرير مياهٍ جارية، ففكَّر: *نهر جوفي*.

سألَ بران فيما انزلقَ الأخوان ريد نازلَين من خلفه: «هل يجب أن نَعبُر؟». هالَته الفكرة. إذا انزلقَ هودور على هذا الجسر الضيِّق فسيَسقُطان ويَسقُطان.

أجابَت الفتاة: «لا أيها الصَّبي. وراءك»، ورفعَت مشعلها أعلى فبدا كأن الضَّوء يتبدَّل ويتغيَّر، في لحظةٍ توقَّد اللَّهب بالبُرتقالي والأصفر مالئًا الكهف بوهجٍ محمر، ثم بهتَت الألوان كلُّها تاركةً الأسود والأبيض وحدهما.

من ورائهما شهقَت ميرا، والتفتَ هودور.

وأمامهم كان اللورد الشَّاحب جالسًا بثيابٍ سوداء فاخرة يَحلُم في عُشٍّ من الجذور المتشابكة، على عرشٍ من خشب الويرووود المجدول يحتوي أطرافه الذَّابلة كما تحتوي الأمُّ صغيرها.

جسده عظميٌّ للغاية وثيابه بالية للغاية حتى إن بران حسبَه في البدء جثَّةً أخرى، رجلًا ميتًا أجلَسوه في هذا الوضع منذ زمنٍ طويل جدًّا لدرجة أن الجذور نمَت عليه وحوله وعبره. ما يبدو من بشرة اللورد الجثَّة أبيض، باستثناء بُقعةٍ دامية تزحف من على عُنقه إلى وجنته، وشَعره الأبيض ناعم خفيف كمَحالق الجذور وطويل مسترسل يلمس الأرض. حول ساقيه تلتفُّ الجذور كأفاعٍ من خشب، يخترق أحدها سراويله إلى لحم فخذه اليابس ليَخرُج من كتفه، ومن جمجمته ينبت غُصين من الأوراق الحمراء القانية، ويُرقِّع عيش الغُراب الرَّمادي جبهته. تبقَّى له القليل من الجِلد الأبيض المشدود على وجهه، لكنه متهتِّك، وهنا وهناك يلوح العظم البنِّي والأصفر الذي تحته.

سمعَ بران نفسه يسأل: «أأنت الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث؟». *المفترَض أن تكون للغُراب ذي الأعيُن الثَّلاث ثلاث أعيُن، لكن له واحدةً فقط، واحدةً حمراء.* شعرَ بران بالعين تُحدِّق إليه ملتمعةً كبِركةٍ من الدَّم في ضوء المشعل، وحيث يُفترَض أن تكون العين الثَّانية ينبت جذر أبيض رفيع من المحجر الفارغ نازلًا على وجنته وداخلًا من عُنقه.

- «غُراب...؟». كان صوت اللورد الشَّاحب جافًّا، وتحرَّكت شفتاه ببُطءٍ كأنه نسيَ كيف يُكوِّن الكلمات. «في الماضي، نعم. أسود الملبس وأسود الدِّماء». الثِّياب التي يرتديها بالية باهتة رقَّعتها الطَّحالب وأكلَها الدُّود، لكنها كانت سوداء من قبل. «كنتُ أشياء كثيرةً يا بران. الآن أنا كما تراني، والآن تفهم لِمَ لم أستطِع أن أذهب إليك بنفسي... إلَّا في الأحلام. لقد راقبتك زمنًا طويلًا، راقبتك بألف عينٍ وعين. رأيتُ ميلادك وميلاد السيِّد والدك من قبلك، رأيتُ خُطوتك الأولى وسمعتُ كلمتك الأولى وكنتُ جزءًا من حُلمك الأول، ورأيتك حين سقطت. والآن ها قد جئتني أخيرًا يا براندون ستارك، ولو أن الوقت تأخَّر».

قال بران: «أنا هنا، لكنني مكسور. هل... هل ستُصلِحني... أعني تُصلِح ساقَي؟».

أجابَ اللورد الشَّاحب: «لا، ليس ذلك في مقدوري».

ملأت الدُّموع عينَي بران، وقال لنفسه: *قطعنا مسافةً طويلةً للغاية*.

تردَّدت أصداء مياه النَّهر الأسود على جُدران الكهف، ووعدَه اللورد الشَّاحب قائلًا: «لن تمشي ثانيةً أبدًا يا بران، لكنك ستطير».

---

(31) ثُعبان اللَّبن زاحف حقيقي، لكن في عالم الواقع له لون رمادي أو بنِّي فاتح وبُقع صفراء على جانبيه، يتغذَّى على الجرذان، واكتسبَ اسمه من اعتقاد شائع مغلوط بأنه يحلب الأبقار ويشرب لبنها. (المُترجم).

لفترةٍ طويلة لم يتحرَّك، بل تمدَّد ساكنًا على كومة الأجولة القديمة التي يتَّخذها فِراشًا، يُصغي إلى الرِّياح تتلاعَب بالحبال ومياه النَّهر تلعق بدن القارب.

فوق الشِّراع يطفو البدر التَّام. *يتبعني عبر النَّهر، يُراقِبني كعينٍ عظيمة*. على الرغم من دفء الجلود الزَّنخة التي تُغطِّي الرَّجل الصَّغير سرَت في جسده رعشة. *أحتاجُ إلى كوب نبيذ، إلى دستةٍ من الأكواب*. لكن أسهل أن يغمز له القمر من أن يَترُكه ابن العاهرة جريف يُطفئ ظمأه. بدلًا من ذلك يشرب الماء، ومحكوم عليه بليالٍ من السُّهاد وأنهُرٍ من العَرق والرَّجفة.

اعتدلَ القزم جالسًا برأسٍ موسَّد بين يديه. *هل حلمت؟* كلُّ ما يَذكُره من الحُلم تلاشى. لم يترفَّق اللَّيل بتيريون لانستر قَطُّ، وحتى على الأسرَّة الوثيرة نومه سيِّئ. على متن (العذراء الخجول) يفترش سطح القمرة ويتَّخذ لفَّةً من الحبال القنَّب وسادةً. يحبُّ النَّوم هنا أكثر من مخزن القارب الضيِّق، فالهواء أصفى وأصوات النَّهر أعذب من غطيط البطَّة. غير أن هذه المباهج لا تأتي بلا ثَمن، فالسَّطح صُلب، وهو ما يجعله يصحو متيبِّسًا موجوعًا تُعاني ساقاه التَّشنُّج والألم.

كلتاهما تنبض ألمًا الآن وقد تخشَّبت رَبلتاهما، فراحَ يُدلِّكهما بأصابعه محاولًا إراحتهما بعض الشَّيء، لكن لمَّا وقفَ ظلَّ الألم كفيلًا بجعل قسمات وجهه تلتوي. *أريدُ أن أستحمَّ.* رائحة ثياب الصِّبيان التي يرتديها كريهة، ورائحته أيضًا. الآخَرون يستحمُّون في النَّهر، إلَّا أنه لم يحذُ حذوهم بعدُ، فبعض السَّلاحف التي رآها في المياه الضَّحلة كبير الحجم بما فيه الكفاية لفلقه نِصفين بأسنانه، تلك التي يُسمِّيها البطَّة كسَّارة العظم. ثم إنه لا يُريد أن تراه ليمور عاريًا.

يقود سُلَّم خشبي إلى أسفل من سطح القمرة. انتعلَ تيريون حذاءه ونزلَ إلى مؤخِّرة القارب، حيث يجلس جريف ملتفًّا بمعطفٍ من فرو الذِّئاب أمام مستوقَدٍ حديدي. يتولَّى المرتزِق الحراسة اللَّيليَّة بنفسه، فيستيقظ عندما تَخلُد بقيَّة رِفقته إلى النَّوم وينام عندما تطلُّ الشَّمس من مشرقها.

أقعى تيريون قُبالته يُدفِّئ يديه فوق الفحم وغناء العنادل يتردَّد عبر الماء . قال لجريف: «النَّهار قريب».

- «ليس قريبًا كفايةً. يجب أن نتحرَّك». لو كان الأمر بيد جريف لواصلَت (العذراء الخجول) الملاحة طيلة اللَّيل علاوةً على النَّهار، لكن ياندري ويسيلا رفضا المخاطرة بقاربهما في الظَّلام، ذلك أن أعالي (الروين) ملأى بأجذال الأشجار والفروع الغارقة، ومن شأن أيٍّ منها أن يُمزِّق بدن القارب. لم يُرِد جريف أن يسمع أعذارًا، ما يُريده هو (ڤولانتيس).

لا تكفُّ عينا المرتزِق عن الحركة أبدًا، دائمًا تبحثان عن... ماذا؟ *القراصنة؟ المتحجّرين؟ صيّادي العبيد؟* يعلم القزم أن للنَّهر مخاطره، لكن جريف نفسه يُوحي لتيريون بأنه أخطر من أيٍّ منها. يُذكِّره الرَّجل ببرون، لكن برون يتمتَّع بحسّ فُكاهة المرتزِقة الأسود، أمّا جريف فلا يعرف معنى الفُكاهة من الأصل.

غمغمَ تيريون: «يُمكنني أن أقتل في سبيل كوب نبيذ».

لم يردَّ جريف، وإن قالت له عيناه الباهتتان: *ستموت قبل أن* نشرب. في ليلته الأولى على متن (العذراء الخجول) شربَ تيريون حتى العمى، وفي اليّوم التَّالي استيقظَ وفي دماغه تنانين تتصارَع. ألقى عليه جريف نظرةً واحدةً وهو يتقيّأ من فوق حاجز القارب، وأخبرَه: «لن تشرب بعد الآن».

قال تيريون معترضًا: «النَّبيذ يُساعِدني على النَّوم»، وكان ليقول: *النَّبيذ يُغرِق أحلامي*.

فردَّ جريف بصرامة: «ابقَ مستيقظًا إذن».

إلى الشَّرق بدأ أول ضوء النَّهار الشَّاحب ينتشر في السَّماء فوق النَّهر، وعلى مهلٍ تحوّلت مياه (الروين) من الأسود إلى الأزرق مضاهيةً شَعر المرتزِق ولحيته. نهضَ جريف قائلًا: «سيستيقظ الآخَرون قريبًا. تولَّ المراقَبة».

صمتَت العنادل لكن طيور القُبَّرة النَّهريَّة استأنفَت أغنيَّتها، وخاضَت طيور أبي قردان وسط أحراج القصب تاركةً آثار أقدامها على الحواجز الرَّمليَّة. في السَّماء توهَّجت السُّحب بالوردي والأرجواني والكستنائي والذَّهبي واللُّؤلؤي والزَّعفراني، وقد بدَت إحداها كتنِّين. ذات مرَّةٍ كتبَ أحدهم: *إذا رأى المرء تنِّينًا محلِّقًا فليبق في داره ويُعنى بحديقته راضيًا، ففي هذا العالم الرَّحب ما من أعجوبةٍ أعظم.* حكَّ تيريون عاهته محاولًا تذكُّر اسم المؤلِّف. في الفترة الأخيرة تشغل التَّنانين حيِّزًا كبيرًا من باله.

- «صباح الخير يا هيوجور». كانت السِّپتة ليمور قد خرجَت مرتدية ثوبها المربوط عند الخصر بحزامٍ مجدول من سبعة ألوان، ينسدل شَعرها طليقًا على كتفيها. «كيف كان نومك؟».

- «متقطِّعًا يا سيِّدتي الكريمة. لقد حلمتُ بكِ ثانيةً». *حُلم يقظة.* لم يستطِع القزم النَّوم، فمدَّ يده بين ساقيه وتخيَّل السِّپتة تعتليه بنهدين يتوثَّبان.

- «كان حُلمًا شرِّيرًا لا ريب. أنت رجل شرِّير. هلَّا صلَّيت معي وطلبت المغفرة لذنوبك؟».

بشرط أن نُصلِّي على نسق أهل (جُزر الصَّيف). «لا، لكن أعطي (العذراء) قُبلةً طويلةً حُلوةً مني».

ضاحكةً، ذهبَت السِّپتة إلى مقدِّمة القارب استعدادًا لحمَّامها الصَّباحي المعتاد في النَّهر، وبينما خلعَت ثوبها نادى تيريون: «واضحٌ أنهم لم يُسمُّوا هذا القارب تيمُّنًا بكِ».

- «(الأب) و(الأُم) خلقانا على صورتهما يا هيوجور. يَجدُر بنا أن نفتخر بأجسادنا، فهي من صُنع الآلهة».

مؤكَّد إذن أن الآلهة كانت ثملةً لمَّا جاءَ دوري. شاهدَ القزم ليمور تنزل في الماء، وهو المنظر الذي يُثيره دومًا. ثمَّة شيء ما شرِّير -وإنما على نحوٍ رائع- في فكرة خلع هذا الثَّوب الأبيض المحتشم عن السِّيتة وفتح ساقيها. *إفساد البراءة*... ولو أن ليمور ليست بريئةً كما تبدو على الإطلاق، فعلى بطنها علامات شدٍّ تنمُّ فقط عن وضعها طفلًا من قبل.

استيقظَ ياندري ويسيلا مع شروق الشَّمس وبدآ يقومان بأعمالهما. بين الحين والآخَر اختلسَ ياندري نظرةً إلى السِّيتة ليمور وهو يتفقَّد الحبال، غير أن زوجته السَّمراء صغيرة الحجم يسيلا لم تلحظ، وقد انشغلَت بإطعام بعض رقائق الخشب للمستوقَد على السَّطح الخلفي وقلَّبت الفحم بنصلٍ مسود، ثم بدأت تعجن بسكويت الصَّباح.

حين صعدَت ليمور إلى السَّطح من جديدٍ تلذَّذ تيريون بمشهد الماء السَّائل بين ثدييها وألق بشرتها البضَّة الذَّهبي في ضوء الصُّبح. تعدَّت الأربعين، إلى الحُسن أقرب من روعة الجَمال، لكن لا شكَّ أنها تسرُّ العين. قال لنفسه حازمًا أمره: *الشَّبق أفضل شيءٍ بعد السُّكر*. وهو ما يُشعِره بأنه لا يزال حيًّا. سألَته السِّيتة نافضةً الماء من شَعرها: «هل رأيت السُّلحفاة يا هيوجور؟ ذات الظَّهر المحدَّب؟».

أ

الصَّباح الباكر أمثل وقتٍ لرؤية السَّلاحف. خلال النَّهار تغوص في الأعماق أو تختفي في الأخاديد على الضِّفاف، لكنها تصعد إلى السَّطح قُرب شروق الشَّمس، وتروق بعضها السِّباحة إلى جوار القارب. رأى تيريون أنواعًا عديدةً منها؛ سلاحف كبيرةً وصغيرةً، وسلاحف مسطَّحة الظَّهر وسلاحف حمراء الأُذنين، وسلاحف لدنة الصَّدف وكسَّارة عظم، وسلاحف بنِّيَّةً وخضراء وسوداء، وسلاحف ذات مخالب وسلاحف ذات قرون، وسلاحف أصدافها المحدَّبة المزركشة مغطَّاة بدوَّاماتٍ من الذَّهب واليَشب والقشدة. بعضها كبير الحجم لدرجةٍ تُمكِّنه من حمل رجلٍ على ظَهره، وقد أكَّد ياندري أن أمراء الروينار اعتادوا ركوبها عبر النَّهر بالفعل. هو وزوجته من مواليد (الدَّم الأخضر)، زوجان من الأيتام الدورنيِّين عادا إلى وطنهما في (الأُم روين).

- «فاتَتني السُّلحفاة». *كنتُ أشاهدُ المرأة العارية.*

قالت ليمور: «أحزَنتني»، وارتدَت ثوبها مضيفةً: «أعرفُ أنك لا تستيقظ مبكِّرًا إلَّا أملًا في رؤية السَّلاحف».

- «أحبُّ مشاهدة الشَّمس تُشرِق أيضًا». كأنه يُشاهِد فتاةً تقوم عاريةً من حمَّامها. بعضهن أجمل من بعضهن، لكن جميعهن واعدات. «للسَّلاحف سحرها، لن أنكر هذا. لا شيء يطيب لي أكثر من منظر زوجين من الأ... الأصداف المتناسقة».

ضحكَت السِّپتة ليمور. ككلِّ مَن على متن (العذراء الخجول) لها أسرارها، وهنيئًا لها بها. *لا أريدُ أن أعرفها، أريدُ فقط أن أنكحها.* هي أيضًا تعرف هذا، وإذ علَّقت بلَّورة السِّپتوات حول عُنقها لتُريحها في الشَّقِّ بين ثدييها داعبَته بابتسامة.

رفعَ ياندري المِرساة وسحبَ واحدةً من العِصِي الطَّويلة من فوق سطح القمرة ودفعَهم بعيدًا عن الشَّاطئ. رفعَ اثنان من طيور البَلَشون رأسيهما يُشاهِدان القارب يبتعد عن الضفَّة إلى المجرى، وببُطءٍ بدأ (العذراء الخجول) يتحرَّك في اتِّجاه المصب. أمسكَ ياندري الدفَّة، وقلبَت يسيلا البسكويت على النَّار، ثمَّ وضعَت مقلاةً من الحديد على المستوقَد ورصَّت فيها شرائحَ اللَّحم المقدَّد. في بعض الأيام تطهو البسكويت واللَّحم المقدَّد وفي بعضها اللَّحم المقدَّد والبسكويت، ومرَّةً كلَّ أسبوعين قد تكون هناك سمكة، ولكن ليس اليوم.

حين أدارَت يسيلا ظَهرها اختطفَ تيريون بسكويتةً من فوق المستوقَد، وأسرعَ يبتعد في الوقت المناسب ليتفادى ضربة ملعقتها الخشبيَّة المخيفة. البسكويت أفضل حين يُؤكَل ساخنًا يَقطُر منه العسل والزُّبدة. سرعان ما أخرجَت رائحة تحمير اللَّحم المقدَّد البطَّة من المخزن، وقد اقتربَ من المستوقَد يتشمَّم فتلقَّى ضربةً من ملعقة يسيلا، فذهبَ إلى مؤخِّرة القارب ليتبوَّل.

لحقَ به تيريون بخُطواتٍ متمايلة، وبينما يُفرغان مثانتيهما قال مازحًا: «منظر جدير بالرُّؤية، قزم وبطَّة يُزيدان (الروين) القوي قوَّةً».

أصدرَ ياندري نخير سُخرية، وقال: «(الأُم روين) ليست محتاجةً إلى مائك يا يولو. إنها أعظم نهرٍ في العالم».

نفضَ تيريون آخِر قطرات البول قائلًا: «إنه نهر كبير بما يكفي لإغراق قزم، أقرُّ بهذا، لكن (الماندر) يُماثِله عرضًا، وكذا (الثَّالوث) عند مصبِّه، و(النَّهر الأسود) أعمق».

- «لست تعرف النَّهر. انتظر وسترى».

كان اللَّحم المقدَّد قد نضجَ واكتسبَ البسكويت اللَّون الذَّهبي عندما خرجَ جريف الصَّغير إلى السَّطح يتثاءَب، وقال: «طابَ صباحكم جميعًا». الفتى أقصر قامةً من البطَّة، لكن نحافته تشي بأن نموَّه لم يكتمل بعدُ. *بشَعرٍ أزرق أو غيره يستطيع هذا الصَّبي الحليق أن ينال أيَّ فتاةٍ في (الممالك السَّبع). عيناه هاتان قادرتان على تذويبهن.* كأبيه، لجريف الصَّغير عينان زرقاوان، لكن لئن كانت عينا الأب باهتتين فعينا الابن داكنتان. في ضوء المصباح تصطبغان بالأسود، وفي ضوء الغسق تبدوان أرجوانيَّتين، وأهدابه طويلة كأهداب امرأة.

قال الفتى منتعلًا حذاءه: «أشمُّ لحمًا مقدَّدًا».

قالت يسيلا: «لحم طيِّب. اجلس».

أطعمَتهم على السَّطح الخلفي مختصَّةً جريف الصَّغير بالبسكويت المحلَّى بالعسل وضاربةً يد البطَّة بملعقتها كلَّما حاولَ أخذ المزيد من اللَّحم المقدَّد. قسمَ تيريون بسكويتتين وملأَهما باللَّحم وأخذَهما إلى ياندري على الدفَّة، وبعدها ساعدَ البطَّة على رفع شراع القارب المثلَّث. أخذَهم ياندري إلى منتصَف النَّهر حيث التيَّار الأقوى. (العذراء الخجول) قارب ممتاز، غاطسه مسطَّح يُتيح له الملاحة في أصغر روافد النَّهر وتلافي الحواجز الرَّمليَّة التي من شأنها إعاقة مراكب أكبر، لكن بشراعٍ مرفوع وفي تيَّارٍ قوي يستطيع المضيّ بسرعةٍ لا بأس بها، وهو ما قد يعني الفرق بين الحياة والموت في أعالي (الروين) كما يَزعُم ياندري، الذي قال له: «ليس فوق (الويلات) قانون منذ ألف عام».

- «ولا ناس على مدى بصري». كان قد لمحَ بعض الأطلال على الضِّفاف، أكوامًا من الرُّكام تنمو عليها بكثافةٍ النَّباتات المعترشة والطَّحالب والزُّهور، لكن لا علامة على كونها مأهولةً بالسُّكَّان.

- «لست تعرف النَّهر يا يولو. قد يكون مركب قراصنةٍ كامنًا في أيِّ جدول، وكثيرًا ما يختبئ العبيد الهاربون بين الأطلال. نادرًا ما يقطع صيَّادو العبيد كلَّ هذه المسافة شمالًا».

- «صيَّادو العبيد تغيير مرحَّب به عن السَّلاحف». بما أنه ليس عبدًا هاربًا فتيريون لا يخشى القبض عليه، وليس محتملًا أن يُزعِج القراصنة قاربًا مدفوعًا بالعصِي يمضي في اتِّجاه المصب، فالبضائع النَّفيسة تأتي عبر النَّهر من (ڤولانتيس).

عندما نفدَ اللَّحم المقدَّد لكزَ البطَّة جريف الصَّغير في كتفه قائلًا: «حانَ وقت الإصابة ببعض الكدمات. السُّيوف اليوم على ما أظنُّ».

ردَّ جريف الصَّغير بابتسامةٍ عريضةً: «السُّيوف؟ السُّيوف رائعة».

ساعدَه تيريون على ارتداء ثياب النِّزال؛ سراويل ثقيلةً وسُترةً مبطّنةً وبِزّةً من الفولاذ القديم المنبعج، في حين ارتدى السير رولي قميصه المعدني وجِلده المقوّى، واعتمرَ كلاهما خوذةً واختارَ سيفًا طويلًا مثلومًا من صندوق الأسلحة، ثم شرعا في النِّزال على السَّطح الخلفي متبادليْن الضَّربات بحيويّةٍ فيما تفرَّجت عليهما بقيّة صُحبة الصَّباح. عندما يتقاتَلان بالهراوة الشّائكة أو الفأس الطَّويلة المثلومة يتغلَّب حجم السير رولي الأكبر وقوّته على تلميذه، لكن بالسَّيف تكون المنافسة أكثر تكافؤًا. لا يحمل أيُّهما تُرسًا هذا الصَّباح، فكانت لُعبة كرٍّ وفرٍّ وإقبالٍ وإدبارٍ عبر سطح القارب. ردّد النَّهر رنين قتالهما إذ سدَّد جريف الصَّغير ضرباتٍ أكثر ورولي ضرباتٍ أقوى، غير أن الرَّجل الكبير بدأ يتعب بعد فترة وصارَت ضرباته أبطأ وأكثر انخفاضًا، وقد صدَّها جريف الصَّغير جميعًا وشنَّ هجمةً عنيفةً أرغمَت السير رولي على القهقرى، ولمّا بلغا مؤخّرة القارب شابكَ الفتى نصليهما ودفعَ البطّة بكتفه بعُنفٍ مسقطًا الرَّجل الكبير في النَّهر.

خرجَ رولي لافظًا الماء، يلعن ويصيح أن يصطاده أحدهم قبل أن تأكل كسّارة عظمٍ أعضاءه، فألقى له تيريون حبلًا، وقال وهو يسحب الفارس بمساعَدة ياندري إلى سطح القارب: «المفترَض أن يُجيد البطُّ السِّباحة أكثر من هذا».

أمسكَ السير رولي تيريون من ياقته قائلًا: «لنرَ كيف يسبح الأقزام»، وكبَّه على وجهه في مياه (الروين).

لكن الضَّحكة الأخيرة كانت للقزم. إنه يُجيد السِّباحة بكفاءةٍ مقبولة، وقد فعلَ... حتى بدأت ساقاه تتشنَّجان. مدَّ جريف الصَّغير إليه عصا، وبعدها قال تيريون للبطَّة وهو يصبُّ ماء النَّهر من فردة حذائه: «لست أول من يُحاوِل إغراقي. يوم مولدي ألقاني أبي في بئر، لكنني كنتُ شديد القُبح لدرجة أن ساحرة الماء التي عاشَت في القاع بصقَتني من جديد»، وخلعَ الفردة الأخرى ثم دارَ في عجلةٍ هوائيَّة عبر السَّطح ناثرًا الجميع بالماء.

ضحكَ جريف الصَّغير متسائلًا: «أين تعلَّمت هذا؟».

أجابَ كاذبًا: «الممثِّلون علَّموني. أحبَّتني أمِّي أكثر من سائر أطفالها لأنني كنتُ صغيرًا جدًّا، وأرضعَتني حتى بلغتُ السَّابعة، لكن هذا أثارَ غيرة إخوتي، فحشروني في جوالٍ وباعوني لفِرقة ممثِّلين. عندما حاولتُ الهرب قطعَ كبير الممثِّلين نِصف أنفي، فلم أجد خيارًا سوى الذَّهاب معهم وتعلُّم تسلية النَّاس».

الحقيقة مختلفة تمامًا. حين كان في السَّادسة أو السَّابعة علَّمه عمُّه القليل من الشَّقلبة، وقد استهوَته بشدَّة، وطيلة نِصف عامٍ دارَ كالعجلة بمرحٍ وانبساط في أرجاء (كاسترلي روك) راسمًا الابتسامات على وجوه السِّيتونات والمُرافقين والخدم على حدٍّ سواء، وحتى سرسي ضحكَت لمرآه مرَّةً أو مرَّتين. على أن كلَّ هذا انتهى يوم عادَ أبوه من إقامةٍ مؤقَّتة في (كينجز لاندنج). ليلتها على العَشاء فاجأ تيريون والده بقطع المائدة بطولها مشيًا على يديه، وهو ما لم يسرَّ اللورد تايوين الذي قال: «الآلهة خلقَتك قزمًا. أيجب أن تكون مهرِّجًا أيضًا؟ لقد وُلِدت أسدًا وليس قردًا».

وأنت جثَّة يا أبتِ، وسأنطُّ وأرقصُ كما يحلو لي.

قالت له السِّيتة ليمور وهو يُجفِّف أصابع قدميه: «أنت موهوب في جعل النَّاس يبتسمون. عليك أن تَشكُر (الأب في الأعالي)، إنه يجود على كلِّ أطفاله بالمواهب».

أيَّدها قائلًا بأسارير متهلِّلة: «صحيح». *وحين أموتُ أرجو أن يدفنوني بنُشَّابيَّةٍ في يدي كي أشكر (الأب في الأعالي) على ما وهبَه كما شكرتُ الأب في الأسافل.*

كانت ثيابه لا تزال مبتلَّةً عن آخِرها من الغطسة الخارجة عن إرادته، ملتصقةً بذراعيه وساقيه بإزعاج، ولدى ذهاب جريف الصَّغير مع السِّيتة ليمور لتُلقِّنه تعاليم العقيدة وغوامضها خلعَ تيريون الملابس المبتلَّة وارتدى أخرى جافَّةً. أطلقَ البطَّة ضحكةً صاخبةً لمَّا عادَ إلى السَّطح، ولا يُمكنه أن يلومه، فبثيابه هذه يبدو منظره هزليًّا. سُترته مقسومة من المنتصَف، الجانب الأيسر مخمل أرجواني بأزرارٍ من البرونز، والأيمن صوف أصفر مطرَّز بتشكيلات زهريَّة خضراء. وسراويله هي الأخرى مقسومة، السَّاق اليُمنى أخضر خالص واليُسرى مخطَّطة بالأحمر والأبيض. كان أحد صناديق إليريو مليئًا بملابس صبيٍّ زنخة لكن متقَنة التَّفصيل، وقد قصَّت السِّيتة ليمور كلَّ قطعةٍ منها ثم أعادَت خياطة نِصف هذه بنِصف تلك صانعةً ثوبًا جديدًا مرقَّعًا. أصرَّ جريف على أن يُساعِدها تيريون في القصِّ والخياطة، ولا شكَّ أنه أرادَ بهذا أن يُخزيه، لكن تيريون استمتعَ بأشغال الإبرة. ليمور صُحبة سارَّة دومًا على الرغم من ولعها بتوبيخه متى قال شيئًا وقحًا عن الآلهة. *إذا أرادَ جريف أن يسبكني في قالب المهرِّج فسأجاريه في اللُّعبة.* يعلم أن اللورد تايوين لانستر في مكانٍ ما مفزوع لا يُصدِّق، وقد لطَّف هذا استياءه.

على أن واجبه الآخَر أبعد ما يكون عن التَّهريج. *للبطّة سيفه ولي ريشتي وورقي.* أمرَه جريف بتدوين كلِّ ما تعلَّمه عن معارف التَّنانين، وهي المهمَّة الجسيمة، لكن القزم يجتهد فيها كلَّ ليلةٍ ويَكتُب ما يستطيع وهو جالس متربِّعًا على سطح القمرة.

قرأ تيريون كثيرًا جدًّا عن التَّنانين على مرِّ الأعوام. السَّواد الأعظم من تلك الرِّوايات كلام مرسَل لا يُعتمَد عليه، والكُتب التي زوَّدهم بها إليريو ليست التي كان ليرغب فيها. ما يُريده حقًّا هو النَّصُّ الكامل لـ(نيران المعقل الحُر)، تأريخ جالندرو لـ(ڤاليريا)، لكن (وستروس) لا تعرف للكتاب نُسخةً كاملةً، وحتى (القلعة) يَنقُصها سبعة وعشرون رقًّا. *لا شكَّ أن عندهم مكتبةً في (ڤولانتيس القديمة)، مؤكَّد. قد أجدُ نُسخةً أفضل هناك، إذا وجدتُ سبيلًا للدُّخول من (السُّور الأسود) إلى قلب المدينة.*

لكن أمله ليس كبيرًا بشأن (التنِّين ودودة النَّار والوايڤرن[32]: تاريخها غير الطَّبيعي) للسِّپتون بارث. كان بارث ابن حدَّادٍ ترقَّى حتى أصبحَ يد الملك في عهد چهيرس المُصلح. ادَّعى خصومه دومًا أنه أقرب إلى المشعوذ من السِّپتون، وقد أمرَ بيلور المُبارك بحرق كلِّ كتابات بارث عندما ارتقى العرش الحديدي. قبل عشرة أعوام قرأ تيريون نُبذةً من (التَّاريخ غير الطَّبيعي) سلمَت من بيلور المُبارك، لكنه يشكُّ في أن أيًّا من أعمال بارث عبرَ (البحر الضيِّق). وبالطَّبع فُرصته أضعف في العثور على المجلَّد المفتَّت الغارق بالدِّماء الذي كتبَه مجهول ويُسمَّى (الدَّم والنَّار) حينًا و(موت التَّنانين) حينًا، ويُفترَض أن النُّسخة الوحيدة الباقية منه مخبَّأة في خزانةٍ موصدة تحت (القلعة).

حين ظهرَ النِّصف مِايستر على السَّطح يتثاءَب كان القزم يُدوِّن ما يَذكُره بخصوص عادات التَّزاوُج عند التَّنانين، وهو الموضوع الذي اختلفَ عليه بارث ومونكون وثوماكس اختلافًا ملحوظًا. ذهبَ هالدون إلى مؤخِّرة القارب ليبول على الشَّمس حيث ينعكس ضوؤها على صفحة الماء متوقِّفًا مع كلِّ هبَّة ريح، وناداه النِّصف مِايستر قائلًا: «المفترَض أن نَبلُغ ملتقى (النوين) مع حلول المساء يا يولو».

رفعَ تيريون عينيه عن كتابته، وردَّ: «اسمي هيوجور. يولو مختبئ في سراويلي. هل أُخرِجه ليلعب؟».

بابتسامةٍ ماضية كنصل الخنجر قال هالدون: «الأفضل ألَّا تفعل وإلَّا أخفت السَّلاحف. قلت لي ما اسم الشَّارع الذي وُلِدت به في (لانسپورت) يا يولو؟».

- «كان زُقاقًا بلا اسم». يجد تيريون نوعًا حرِّيفًا من اللذَّة في اختراع تفاصيل الحياة الحافلة التي عاشَها هيوجور هيل، المعروف أيضًا بيولو نغل (لانسپورت). *أطيب الأكاذيب مَتْبول بشيءٍ من الحقيقة*. يعلم القزم أنه يتكلَّم بلُكنة أراضي الغرب، بل وبلُكنة أحد أبناء أعيان الغرب أيضًا، وعليه يجب أن يكون هيوجور ابنًا غير شرعي لأحد اللوردات الصِّغار، مولودًا في (لانسپورت) لأنه يعرف المدينة أفضل من (البلدة القديمة) أو (كينجز لاندنج). أكثر الأقزام ينتهي بهم المطاف في المُدن، حتى إذا كان القزم ابن العقيلة يقطينة التي ولدَته وسط أجولة اللِّفت. لا تُقام في الرِّيف عروض غرائب أو ممثِّلين... ولو أن هناك الكثير من الآبار لابتلاع الهُريرات غير المرغوب فيهن والعجول ذات الثَّلاثة رؤوس والرُّضَّع من أمثاله.

عقدَ هالدون أربطة سراويله قائلًا: «أرى أنك تُشوِّه المزيد من الورق الممتاز يا يولو».

- «ليس بإمكاننا جميعًا أن نكون نِصف مِايستر». بدأت يد تيريون تتشنَّج، فوضعَ ريشته جانبًا وأخذَ يثني أصابعه القصيرة ويبسطها متسائلًا: «هل ترغب في مُباراة سايڤاس أخرى؟». دائمًا يهزمه النِّصف مِايستر، لكنها وسيلة لتزجية الوقت.

- «هذا المساء. هل ستنضمَّ إلينا في درس جريف؟».

- «ولِمَ لا؟ على أحدهم أن يُصحِّح أخطاءك».

على (العذراء الخجول) أربع مقصورات، يتقاسَم ياندري ويسيلا إحداها، وجريف وجريف الصَّغير أخرى، وللسِّپتة ليمور مقصورتها، وكذا هالدون. مقصورة النِّصف مِايستر أكبر الأربع، أحد حوائطها مصفوفة عليه رفوف الكُتب والسِّلال الملأى بالمخطوطات واللَّفائف القديمة، وعلى آخَر رفوف المراهمُ والأعشاب والعقاقير. من النَّافذة المستديرة ذات الزُّجاج الأصفر متموِّج النَّقش يَدخُل الضَّوء الذَّهبي، ويتكوَّن الأثاث من سريرٍ ومنضدة كتابة ومقعد بظَهر وآخر بدون وطاولة سايڤاس النِّصف مِايستر المنثورة عليها القِطع المنحوتة من الخشب.

بدأ الدَّرس باللُّغات. يتحدَّث جريف الصَّغير اللُّغة العاميَّة كأنه مفطور عليها، وطليق في القاليريَّة الفُصحى ولُكنات (پنتوس) و(تايروش) و(مير) و(لِيس)، ومصطلحات البحَّارة التِّجاريِّين، لكن اللُّكنة القولانتينيَّة جديدة عليه مِثلما هي جديدة على تيريون، وهكذا يتعلَّمان بضع كلماتٍ جديدة كلَّ يومٍ ويُصحِّح لهما هالدون أخطاءهما. الميرينيزيَّة أصعب، وعلى الرغم من جذورها القاليريَّة فقد نبتَت شجرتها مرويَّةً بلُغة (جيس القديمة) القبيحة الخشنة. قال تيريون متذمِّرًا: «المرء محتاج إلى نحلةٍ في أنفه كي يتكلَّم الجيسكاريَّة كما ينبغي»، فضحكَ جريف الصَّغير، في حين اكتفى هالدون بقول: «ثانيةً»، وأطاعَه الفتى، مع أن عينيه نمَّتا عن تبرُّمه من حروف الزَّاي العديدة. أقرَّ تيريون لنفسه: *أُذنه أفضل من أُذني، لكنني أراهنُ أن لساني ارشق.*

تبعَت الهندسة اللُّغات. في هذه الفتى أقل حذقًا، لكن هالدون معلِّم صبور، كما استطاعَ تيريون أن يكون ذا عون. لقد تعلَّم أسرار المربَّعات والدَّوائر والمثلَّثات من مِايسترات أبيه في (كاسترلي روك)، وأدهشَته السُّرعة التي استعادَها به.

ولدى وصولهم إلى درس التَّاريخ كان جريف الصَّغير قد بدأ يضجر. قال له هالدون: «كنا نُناقِش تاريخ (ڤولانتيس). هلَّا أخبرت يولو بالفرق بين النَّمر والفيل؟».

أجابَ الفتى بملل: «(ڤولانتيس) أقدم المُدن الحُرَّة التِّسع، ابنة (ڤاليريا) البِكر. بعد الهلاك طابَ للڤولانتينيِّين أن يعدُّوا أنفُسهم ورثة المعقل الحُر وسادة العالم الشَّرعيِّين، لكنهم انقسَموا بصدد الوسيلة المُثلى لتحقيق السَّيطرة. فضَّل أصحاب الدَّم القديم السَّيف، في حين تحيَّز التُّجَّار والمُرابون إلى التِّجارة، ومع تنافُسهم على حُكم المدينة أصبحَت الطَّائفتان معروفتين على التَّوالي بالنُّمور والأفيال. كان للنُّمور النُّفوذ لقرنٍ تقريبًا بعد هلاك (ڤاليريا)، ولفترةٍ حالفَهم النَّجاح. أخذَ أسطول ڤولانتيني (لِيس) وغزا جيش ڤولانتيني (مير)، وطيلة ثلاثة أجيال حُكِمَت المُدن الثَّلاث من وراء (السُّور الأسود)، لكن ذلك انتهى حين حاولَ النُّمور ابتلاع (تايروش). دخلَت (پنتوس) الحرب إلى جانب التايروشيِّين، ومعها ملك العواصف الوستروسي، وزوَّدت (براڤوس) منفيًّا لايسينيًّا بمئة سفينةٍ حربيَّة، وحلَّق إجون تارجاريَن من (دراجونستون) على متن الرُّعب الأسود، ونشبَت ثورة في (مير) و(لِيس). تركَت الحرب (أراضي النِّزاع) خرابًا وحرَّرت (لِيس) و(مير) من نير الاحتلال. مُنِيَ النُّمور بهزائم أخرى أيضًا. الأسطول الذي أرسَلوه لاستعادة (ڤاليريا) اختفى في (بحر الدُّخان)، وحطَّمت (كوهور) و(نورڤوس) قوَّتهما على (الروين) عندما تقاتلَت القوادس نافثة اللَّهب في (بُحيرة الخناجر)، ومن الشَّرق جاءَ الدوثراكي طاردين العامَّة من بيوتهم والنُّبلاء من ضِياعهم، حتى لم يَعُد باقيًا بين (غابة كوهور) ومنابع (السِّلهورو) إلَّا العُشب والخرائب. بعد قرنٍ من الحروب وجدَت (ڤولانتيس) نفسها مكسورةً مفلسةً وفقيرة السُّكَّان، وعندها نهضَ الأفيال، ومنذ ذلك الحين والسَّطوة لهم. في بعض السَّنوات ينتخب النُّمور قُنصلًا وفي بعضها لا يفعلون،

لكنه يكون قُنصلًا واحدًا دومًا، وهكذا يَحكُم الأفيال المدينة منذ ثلاثمئة عام».

قال هالدون: «مضبوط. والقناصل الحاليُّون؟».

- «مالاكو نمر ونييسوس ودونيفوس فيلان».

- «وما الدَّرس الذي نتعلَّمه من التَّاريخ الڤولانتيني؟».

- «إذا أردت أن تغزو العالم فيُفضَّل أن تكون عندك تنانين».

ولم يجد تيريون باليد حيلةً إلَّا الضَّحك.

لاحقًا، بعدما صعدَ جريف الصَّغير إلى السَّطح ليُساعِد ياندري جهَّز هالدون طاولة السايڤاس من أجل مباراتهما، وراقبَه تيريون بعينين غير متماثلتين قائلًا: «الفتى ذكي. لقد أحسنت تعليمه. يُؤسِفني أن أقول إن نِصف لوردات (وستروس) لم يتعلَّموا نِصف ما يعرفه. اللُّغات والتَّاريخ والأغاني والحساب... مزيج مُسكر يُدير الرَّأس المعارف بالنِّسبة إلى ابن مرتزِق».

قال هالدون: «الكتاب لا يقلُّ خطورةً عن السَّيف في اليد السَّليمة. حاوِل أن تُعطيني معركةً أفضل هذه المرَّة يا يولو. إن لعبك السايڤاس سيِّئ كشقلبتك».

ردَّ تيريون وهما يرصَّان بلاطاتهما على جانبَي الحائل الخشبي المنقوش: «أحاولُ استدراجك إلى إحساسٍ زائف بالثِّقة. إنك تحسب فقط أنك علَّمتني كيف ألعبُ، لكن باطن الأشياء ليس كظاهرها دومًا. ربما تعلَّمتُ اللُّعبة من تاجر الجُبنة، هل فكَّرت في هذا؟».

- «إليريو لا يلعب السايڤاس».

فكَّر القزم: *نعم، بل يلعب لُعبة العروش، وأنت وجريف والبطَّة مجرَّد بيادق يُحرِّكها كما يعنُّ له ويُضحِّي بها عند الحاجة، تمامًا كما ضحَّى بقسيرس.* «اللَّوم عليك إذن. إذا كنتُ لا أجيدُ اللَّعب فأنت السَّبب».

قهقهَ النِّصف مِايستر قائلًا: «سوف أفتقدك حين يذبحك القراصنة يا يولو».

- «أين هؤلاء القراصنة المشاهير؟ بدأتُ أظنُّ أنك وإليريو اختلقتماهم».

- «إنهم موجودون بأعلى كثافةٍ في الجزء من النَّهر الواقع بين (آر نوي) و(الويلات). فوق أطلال (آر نوي) يَحكُم الكوهوريُّون النَّهر، وتحت (الويلات) لقوادس (ڤولانتيس) السَّيطرة، لكن المياه بينهما لا تنتمي إلى أيٍّ من المدينتين، فجعلَها القراصنة لهم. (بُحيرة الخناجر) زاخرة بالجُزر التي يَكمُنون عليها في كهوفٍ خفيَّة ومعاقل سرِّيَّة. مستعد؟».

- «لك؟ دون شك. للقراصنة؟ ليس تمامًا».

رفعَ هالدون الحائل، وتأمَّل كلٌّ منهما ترتيب افتتاحيَّة الثَّاني، ثم قال النِّصف مِايستر: «بدأت تتعلَّم».

همَّ تيريون بتحريك تنِّينته، لكنه أعادَ النَّظر. في المباراة السَّابقة تعجَّل بإخراجها وخسرَها بضربة منجنيق. «إذا قابلنا هؤلاء القراصنة بالفعل فقد أنضمُّ إليهم. سأقولُ لهم إن اسمي هيوجور النِّصف مِايستر». قالها وحرَّك خيوله الخفيفة نحو جبال هالدون.

ردَّ هالدون بفيل، وقال: «هيوجور النِّصف عاقل يُناسِبك أكثر».

قال تيريون محرِّكًا خيوله الثَّقيلة لتدعم الخفيفة: «لستُ محتاجًا إلَّا إلى نِصف عقلي لأكون ندًّا لك. ما رأيك في الرِّهان على النَّتيجة؟».

قوَّس النِّصف مِايستر حاجبه متسائلًا: «كم؟».

- «ليس معي مال. سنلعب على الأسرار».

- «لقطعَ جريف لساني».

- «أأنت خائف؟ لو كنتُ مكانك لخفتُ».

قال النِّصف مِايستر: «يوم تغلبني في السايڤاس هو اليوم الذي تَخرُج فيه من مؤخِّرتي سلحفاة»، وحرَّك حِرابه مردفًا: «رهانك مقبول أيها الرَّجل الصَّغير».

ومدَّ تيريون يده إلى تنِّينته.

مرَّت ثلاث ساعات قبل أن يصعد الرَّجل الصَّغير إلى السَّطح أخيرًا ليُفرِغ مثانته. كان البطَّة يُساعِد ياندري على إنزال الشِّراع فيما تحكَّمت يسيلا في الدفَّة، وقد انخفضَت الشَّمس فوق حقول القصب على الضفَّة الغربيَّة وبدأت الرِّياح تهبُّ بقوَّة. فكَّر القزم: *كم أحتاجُ إلى قِربةٍ من النَّبيذ*. كانت ساقاه متيبِّستين من الجلوس على المقعد، ويحسُّ بدوخةٍ شديدة لدرجة أنه محظوظ لأنه لم يَسقُط في النَّهر.

ناداه السير رولي: «يولو، أين هالدون؟».

أجابَ: «خلدَ إلى فِراشه متوعِّكًا بعض الشَّيء. ثمَّة سلاحف تَخرُج من مؤخِّرته»، وتركَ الفارس يحزر معنى قوله وصعدَ على السُّلَّم إلى سطح القمرة. إلى الشَّرق كان الظَّلام ينزل وراء جزيرةٍ صخريَّة.

وجدَته السِّپتة ليمور هناك، وقالت: «هل تَشعُر بالعواصف في الهواء يا هيوجور هيل؟ (بُحيرة الخناجر) أمامنا يجوبها القراصنة، وبعدها (الويلات)».

ليست ويلاتي، إنني أحملُ ويلاتي معي أينما ذهبتُ. فكَّر في تايشا وتساءلَ أين تذهب العاهرات. *ولِمَ لا يذهبن إلى (ڤولانتيس)؟ قد أجدها هناك. على المرء أن يتمسَّك بالأمل*. تساءلَ ماذا عساه يقول لها. *آسفٌ لأنني تركتهم يغتصبونكِ يا حبيبتي. حسبتكِ عاهرةً. هل تجدين في قلبكِ القُدرة على العفو عني؟ أريدُ أن أعود إلى كوخنا، إلى حياتنا حين كنا زوجًا وزوجةً*.

تراجعَت الجزيرة من ورائهم، ورأى تيريون أطلالًا ترتفع على الضفَّة الشَّرقيَّة؛ جُدرانًا معوجَّةً وبروجًا ساقطةً وقبابًا محطَّمةً وصفوفًا من الأعمدة الخشبيَّة المتعفِّنة وشوارع يَختنُقها الطَّمي والطَّحالب الأرجوانيَّة. *مدينة ميتة أخرى، أكبر عشر مرَّاتٍ من (جويان درو)*. الآن تَقطُن السَّلاحف هنا، كسَّارة العظم الكبيرة، وقد رآها القزم تستدفئ بالشَّمس كرُبى بنِّيَّة وسوداء ظهورها محدَّبة محزَّزة عند منتصَف أصدافها، ورأى بعضها (العذراء الخجول) فغاصَ في الماء تاركًا تموُّجاتٍ على صفحة النَّهر. ليس هذا مكانًا ملائمًا للسِّباحة.

ثم إنه، بين الأشجار الملتوية شِبه الغارقة والشَّوارع الواسعة المبتلَّة، أبصرَ بريق ضوء الشَّمس الفضّي على مسطَّحٍ مائي، وقد عرفَ ماهيته في الحال. *نهر آخَر يتدفَّق صوب (الروين).* استطالَت الأطلال وبدأت الأرض تضيق، إلى أن انتهَت المدينة عند رأسٍ من اليابسة حيث تقف بقايا قصرٍ هائل من الرُّخام الوردي والأخضر، قبابه المتداعية وأبراجه المحطَّمة ترتفع ضخمةً فوق صفٍّ من القناطر المغطَّاة. رأى تيريون المزيد من كسَّارة العظم نائمةً في مَزالق السُّفن التي تكفي لاحتواء نِصفمئة سفينة، وعندئذٍ أدركَ أين هو. *كان هذا قصر نايميريا، وهذا كلُّ ما تبقَّى من مدينتها (ناي سار).*

صاحَ ياندري إذ مرَّت (العذراء الخجول) بالرَّأس الأرضي: «يولو، حدِّثني ثانيةً عن تلك الأنهار الوستروسيَّة الكبيرة كـ(الأُم روين)».

ردَّ صائحًا: «لم أكن أعلمُ. لا نهر في (الممالك السَّبع) يَبلُغ نِصف عرض هذا». النَّهر الذي انضمَّ إليهم أقرب إلى توأمٍ للذي كانوا مبحرين فيه، والأول وحده كان يُناهِز (الماندر) أو (الثَّالوث) عرضًا.

قال ياندري: «هذه (ناي سار)، حيث تلتقي (الأُم) ابنتها الضَّارية (النوين)، لكنها لن تَبلُغ أعرض نقاطها إلى أن تلتقي ابنتها الأخرى. عند (بُحيرة الخناجر) تصبُّ فيها ابنتها السَّمراء (الكوين) الملأى بالذَّهب والكهرمان من (الفأس) وأكواز الصَّنوبر من (غابة كوهور). جنوبًا هناك تلتقي (الأُم) الابنة الباسمة (اللورولو) المتدفِّقة من (الحقول الذَّهبيَّة)، وملتقاهما حيث كانت (كرويان) مدينة الاحتفالات في الماضي، التي كانت شوارعها من ماء ومنازلها من ذهب. ثم جنوبًا وشرقًا ثانيةً لفراسخ طويلة إلى أن تأتي في النِّهاية الابنة الخجول (السّلهورو) التي تُخفي مجراها بالبوص والالتواءات. هناك تتَّسع (الأُم روين) لدرجة أن رجلًا على قاربٍ في منتصَف المجرى لا يستطيع أن يرى شاطئًا على جانبيه. سترى يا صديقي الصَّغير».

كان القزم يُفكِّر أنه سيرى بالفعل عندما لمحَ تموُّجًا أمامهم على بُعد أقل من ستّ ياردات من القارب، وأوشكَ على تنبيه ليمور إليه لكن الشَّيء صعدَ إلى السَّطح ناثرًا المياه بغزارةٍ رجَّت القارب إلى الجانب.

سلحفاة أخرى، سلحفاة هائلة الحجم ذات قرنين، صدفتها الخضراء الدَّاكنة مرقَّعة بالبنِّي وتُغطِّيها طحالب الماء وقواقع النَّهر السَّوداء. رفعَت السُّلحفاة رأسها وأطلقَت هديرًا وتريًّا عميقًا أصخب من أيِّ بوقٍ حربي سمعَه تيريون على الإطلاق، وبصوتٍ عالٍ صاحَت يسيلا والدُّموع تنهمر على وجهها: «نلنا البركة، نلنا البركة، نلنا البركة!».

كان البطَّة يصيح بجذل، وجريف الصَّغير أيضًا، وخرجَ هالدون إلى السَّطح ليعرف سبب الصَّخب... لكنه تأخَّر، إذ عادَت السُّلحفاة العملاقة تختفي تحت الماء. سألَ النِّصف مِايستر: «ما سبب كلِّ هذه الجلبة؟».

قال تيريون: «سلحفاة، سلحفاة أكبر من هذا القارب».

صاحَ ياندري: «كان هو! رجل النَّهر العجوز!».

فكَّر تيريون بابتسامةٍ عريضة: *ولِمَ لا؟ دائمًا تظهر الآلهَة والعجائب لتشهد مولد الملوك.*

---

(32) الوايڤرن مخلوق أسطوري شبيه بالتنِّين، له جسم كالسحلية وساقان وذيل سمكة، ولا ينفث النَّار. (المُترجم).

وصلَت (القابلة المرحة) إلى (الميناء الأبيض) محمولةً على تيَّار المساء، تتموَّج أشرعتها المرقَّعة مع كلِّ هبَّة ريح.

السَّفينة كوج عجوز، لكن حتى في شبابها لم يصفها أحد بالجَمال. تمثال مقدِّمتها امرأة ضاحكة تحمل رضيعًا من ساقه، لكن وجنتَي المرأة ومؤخِّرة الرَّضيع تَكثُر فيها نخاريب الدُّود، وتُغطِّي طبقات لا تُحصى من الطِّلاء البنِّي الباهت بدنها، وقلوعها رماديَّة مهترئة. ليست سفينةً تستدعي نظرةً ثانيةً من أحدٍ إلَّا ليتساءَل كيف لا تزال طافيةً. (القابلة المرحة) معروفة في (الميناء الأبيض) أيضًا، إذ مضَت أعوام من سفرها في تجارةٍ متواضعة بين المدينة و(بلدة الأخوات).

ليس الوصول الذي توقَّعه داقوس سيوورث حينما أبحرَ مع سالا وأسطوله. آنذاك بدا كلُّ هذا أبسط. لم ترجع الغِدفان إلى الملك ستانيس بولاء (الميناء الأبيض)، فأرسلَ جلالته مندوبًا يتفاوَض مع اللورد ماندرلي شخصيًا، وكاستعراضٍ للقوَّة كان المفترَض أن يصل داقوس على متن قادس سالا المسمَّى (ڤاليريان) ووراءه بقيَّة الأسطول اللايسيني المخطَّطة أبدان سفنه جميعًا بالأسود والأصفر، والوردي والأزرق، والأخضر والأبيض، والأرجواني والذَّهبي. يحبُّ اللايسينيُّون الألوان الزَّاهية، وسالادور سان أكثرهم تلوُّنًا. *سالادور المبهر، لكن العواصف كتبَت نهاية كلِّ هذا.*

بدلًا من ذلك هرَّب داقوس نفسه إلى المدينة كما كان ليفعل قبل عشرين عامًا. حتى يعلم الأحوال هنا فمن الحصافة أن يلعب دور البحَّار التَّقليدي لا اللورد.

ارتفعَت أسوار (الميناء الأبيض) الحجريَّة المطليَّة بالجير أمامهم على السَّاحل الشَّرقي حيث يصبُّ (السكِّين الأبيض) في اللِّسان البحري. منذ زارَ داڤوس المدينة آخِر مرَّةٍ قبل ستَّة أعوام خضعَ بعض دفاعاتها للتَّعزيزات، فحاجز الأمواج الذي يفصل المرفأ الدَّاخلي عن الخارجي محصَّن الآن بسورٍ حجري طويل يرتفع ثلاثين قدمًا ويمتدُّ ميلًا أو نحوه، وعند كلِّ مئة ياردة بُرج، كما أن الدُّخان يتصاعَد من (صخرة الفقمات) حيث لم يكن في السَّابق إلَّا الأطلال. *قد يكون هذا جيِّدًا أو سيِّئًا، حسب الجانب الذي يختاره اللورد وايمان.*

لطالما كان داڤوس مغرمًا بهذه المدينة منذ أتى هنا للمرَّة الأولى كعامل قمرةٍ على متن (القِط الحجري). على الرغم من صِغرها مقارنةً بـ(البلدة القديمة) و(كينجز لاندنج) فإنها تتَّسم بالنَّظافة والنِّظام، شوارعها عريضة مستقيمة مرصوفة تُسهِّل على المرء أن يجد طريقه، ومنازلها مبنيَّة بالحجارة المطليَّة بالجير ولها سقوف مائلة من الأردواز الرَّمادي الدَّاكن. اعتادَ رورو أوهوريس رُبَّان (القِط الحجري) العجوز عصبي المزاج أن يدَّعي أنه يستطيع التَّفرقة بين مختلِف المواني عن طريق رائحتها، وأصرَّ أن المُدن كالنِّساء، لكلٍّ منها رائحتها الفريدة، فـ(البلدة القديمة) زهريَّة كأرملةٍ نبيلة مضمَّخة بالطِّيب، و(لانسپورت) لبَّانة ريَّانة بسيطة في شَعرها دُخان الحطب المحروق، و(كينجز لاندنج) منفِّرة كعاهرةٍ قذرة، لكن رائحة (الميناء الأبيض) ملحيَّة لاذعة، وسمكيَّة بعض الشَّيء أيضًا. «رائحتها كما يجب أن تكون رائحة عروس البحر، رائحتها كالبحر نفسه».

فكَّر داقوس: *ولا تزال كذلك*، وإن كان يشمُّ أيضًا دُخان الخُثِّ المحروق المتصاعد من (صخرة الفقمات). تُشرِف الصَّخرة البحريَّة على مداخل المرفأ الخارجي، كُتلة عملاقة من الأخضر الرَّمادي ترتفع خمسين قدمًا فوق الماء، قمَّتها متوَّجة بدائرةٍ من الأحجار البالية، وقد كانت حصنًا للبَشر الأوائل يقف مهجورًا مقفرًا منذ مئات السِّنين. على أنها ليست مهجورةً الآن، إذ رأى داقوس عرَّاداتٍ[33] ونافثات لهبٍ وراء الأحجار القائمة، ورُماة نُشَّابيَّة بينها. مؤكَّد *أنهم يُعانون البرد والبلل بالأعلى*. في كلِّ زياراته السَّابقة تعوَّد رؤية الفقمات مستلقيةً على الصُّخور المكسورة بالأسفل، ومتى أبحرَت (القِط الحجري) من (الميناء الأبيض) جعلَه النَّغل الأعمي يُحصيها، فطبقًا لرورو كلَّما زادَ عدد الفقمات حالفَهم حظٌّ أسعد في رحلتهم. لكن لا فقمات هناك الآن، فقد أفزعَها الدُّخان والجنود. *كان رجل أكثر حكمةً ليرى في هذا تحذيرًا. لو أنني أتمتَّعُ بمقدار خردلةٍ من العقل لذهبتُ مع سالا*. كان ليَسلُك طريقه جنوبًا ويعود إلى ماريا وابنيهما. *فقدتُ أربعة ابناء في خدمة الملك، والخامس مُرافقه. المفترَض أن يكون لي حقُّ التَّمتُّع بوقتي مع الاثنين الباقيَين*. مضى زمن طويل جدًّا *منذ رأيتهما*.

في (القلعة الشَّرقيَّة) قال له الإخوان السُّود إن حُبًّا لا يجمع بين آل ماندرلي أولاد (الميناء الأبيض) وآل بولتون أولاد (معقل الخوف). لقد بوَّأ العرش الحديدي رووس بولتون حُكم الشَّمال، وعليه فمن المعقول أن يُعلِن وايمان ماندرلي تأييده ستانيس. *(الميناء الأبيض) لا تستطيع الوقوف وحدها. المدينة في حاجةٍ إلى حليف، إلى حامٍ. اللورد وايمان محتاج إلى الملك ستانيس مِثلما يحتاج ستانيس إليه*. أو أن الأمور بدَت هكذا في (القلعة الشَّرقيَّة) على الأقل.

قوَّضت (بلدة الأخوات) تلك الآمال. إذا صدقَ اللورد بورل، إذا كان آل ماندرلي ينتوون ضمَّ قوَّتهم إلى آل بولتون وآل فراي حقًّا... لا، لن يُفكِّر في هذا. قريبًا سيعرف الحقيقة، ويدعو الآلهة أنه لم يجئ بعد فوات الأوان.

بينما أنزلَت (القابلة المرحة) أشرعتها أدركَ داڤوس أن السُّور فوق حاجز الأمواج يحجب المرفأ الدَّاخلي. المرفأ الخارجيُّ أكبر، لكن مراسي الدَّاخلي أفضل، لأنها محميَّة بسور المدينة من جانبٍ وكُتلة (عرين الذِّئاب) المرتفعة من جانبٍ آخَر، والآن بحاجز الأمواج المسوَّر أيضًا. في (القلعة الشَّرقيَّة) أخبرَ كوتر پايك داڤوس بأن اللورد وايمان يبني قوادس حربيَّةً، أي أن من الوارد أن هذه الأسوار تُخفي وراءها عشرين سفينةً تنتظر أمر الخروج إلى البحر.

وراء أسوار المدينة البيضاء المنيعة ترتفع (القلعة الجديدة) فخورًا شاحبةً فوق تلِّها، ورأى داڤوس سطح (سِپت الثُّلوج) المقبَّب المتوَّج بتماثيل الآلهة السَّبعة الطَّويلة. بعد إجلائهم من (المرعى) جلبَ آل ماندرلي العقيدة معهم إلى الشَّمال، غير أن في (الميناء الأبيض) أيكة آلهةٍ أيضًا، شبكة كثيفة من الجذور والفروع والحجارة مغلقة وراء أسوار (عرين الذِّئاب) السَّوداء الآيلة للسُّقوط، وهي قلعة عتيقة تُستخدَم كسجنٍ فقط الآن، لكن الحُكم في الغالب هنا للسِّپتونات.

عريس بحر عائلة ماندرلي في كلِّ مكان، يخفق في أبراج (القلعة الجديدة) وفوق (بوَّابة الفقمات) وبطول أسوار المدينة. في (القلعة الشَّرقيَّة) أكَّد الشَّماليُّون أن (الميناء الأبيض) لن تنثني أبدًا عن ولائها لـ(وينترفل)، إلَّا أن داڤوس لم يرَ أثرًا لذئب ستارك الرَّهيب. *ولا أُسود كذلك. لا يُمكن إذن أن اللورد وايمان اعلنَ تأييده تومن، وإلَّا لكانوا قد رفعوا رايته.*

تعجُّ أرصفة الميناء بالنَّاس. عند سوق السَّمك فوضى من القوارب الصَّغيرة المربوطة تُفرِغ حمولاتها، ورأى داڤوس زوارق نهريَّةً أيضًا، قوارب طويلة رفيعة بُنِيَت قويَّةً متينةً لتخوض تيَّارات (السكِّين الأبيض) السَّريعة وروافده الصَّخريَّة. لكن أكثر ما يهمُّه فُلك البحر التي رآها؛ قرقوران في حالةٍ مزرية كـ(القابلة المرحة)، والقادس التِّجاري (راقصة العواصف)، والكوجان (الماچستر الشُّجاع) و(قرن الوفرة)، وقاليون[34] من (براڤوس) يُميِّزه بدنه وقلوعه الأرجوانيَّة...

... ووراءه السَّفينة الحربيَّة.

غرسَ مرآها سكّينًا في آماله. بدنها أسود وذهبي، وتمثال مقدّمتها أسد يرفع كفَّه، وعلى مؤخّرتها مكتوب (أسد النُّجوم) تحت رايةٍ خافقة تحمل رمز الملك الصَّبي على العرش الحديدي. قبل عامٍ لم يكن ليستطيع قراءة الحروف، لكن المِايستر پايلوس علَّمه بعضها في (دراجونستون)، وهذه المرَّة لم يجد سرورًا في القراءة. كان داڤوس يدعو أن القادس ضاعَ في العواصف التي بطشَت بأسطول سالا، لكن الآلهة لم تُنعِم عليه بالإجابة. أبناء فراي هنا، وعليه أن يُواجِههم.

ربطَت (القابلة المرحة) حبالها إلى مرسى خشبي بالٍ في طرف المرفأ الخارجي، بعيدًا بمسافةٍ لا بأس بها عن (أسد النُّجوم)، وبينما ثبّتها طاقمها إلى القوائم الخشب وأنزلَ لوح عبورٍ ذهبَ رُبَّانها بخُطواتٍ بطيئة إلى داڤوس. كاسو موجات من هجيني (البحر الضيّق)، أنجبَته إحدى عاهرات (بلدة الأخوات) من صائد حيتان إيبنيزي، تَبلُغ قامته الأقدام الخمسة لا أكثر وله جسد مُشعر، ويصبغ شَعره ولحيته بالأخضر الطُّحلبي، وهو ما يجعله يبدو كجذع شجرةٍ مبتور ينتعل حذاءً أصفر. على الرغم من مظهره يبدو بحّارًا بارعًا، ولو أنه يقسو على طاقمه. سألَه الرَّجل: «كم ستغيب؟».

- «يومًا على الأقل، ربما أطول». وجدَ داڤوس أن اللوردات يحبُّون جعلك تنتظر، ويُخمّن أنهم يفعلون هذا ليبثُّوا فيك التَّوتُّر ويستعرضوا قوّتهم.

- «ستبقى (القابلة) هنا أيامًا ثلاثةً لا أكثر. سينتظرون عودتي في (بلدة الأخوات)».

- «إذا سارَت الأمور على ما يُرام فقد أعودُ غدًا».

- «وإن لم تَسِر؟».

قد لا أعودُ على الإطلاق. «ليس عليك انتظاري».

صعدَ اثنان من رجال الجمارك إلى متن السَّفينة في أثناء نزوله على لوح العبور، لكن أحدًا منهما لم يُكلِّف نفسه مجرَّد نظرةٍ إليه، فهما هنا لرؤية الرُّبَّان وتفقُّد المخزن، ولا يهمُّهما البحَّارة التَّقليديُّون، وقلائل يبدون بتقليديَّة داقوس. إنه متوسِّط الطُّول، وجهه الرِّيفي المدبَّب لوَّحته الشَّمس والرِّيح، ويشيع الشَّيب في لحيته وشَعره البنِّيِّين، وثيابه تقليديَّة أيضًا؛ حذاء قديم وسراويل بالية وسُترة زرقاء ومعطف من الصُّوف غير المصبوغ يُثبِّته مشبك خشبي، كما يضع قفَّازًا جِلديًّا بقَّعه الملح يُخفي به جَدعات أصابعه التي قصَّرها ستانيس قبل سنواتٍ طويلة. لا يبدو داقوس كاللوردات، ناهيك بيد ملك، وهذا خير إلى أن يعرف الأحوال هنا.

شقَّ طريقه بطول المرسى وعبر سوق السَّمك. كانت (الماچستر الشُّجاع) تُحمِّل البِتع وقد رُصَّت البراميل في أربعة صفوفٍ مرتفعة، ووراء أحدها لمحَ ثلاثة بحَّارة يلعبون النَّرد. على مسافةٍ أبعد تُنادي بائعات السَّمك على صيد اليوم، ويدقُّ صبيٌّ إيقاعًا على طبلةٍ فيما يَرقُص دُبٌّ أشعث عجوز في دائرة لحلقةٍ من نوتيَّة الزَّوارق النَّهريَّة. عند (بوَّابة الفقمات) يقف حارسان من حاملي الحِراب على صدريهما شارة عائلة ماندرلي، وإن انشغَلا بمغازَلة إحدى عاهرات الميناء فلم ينتبها إلى داقوس. البوَّابة مفتوحة، والشَّبكة الحديديَّة مرفوعة، وهكذا انضمَّ إلى المارَّة الدَّاخلين.

في الدَّاخل ميدان مرصوف في مركزه نافورة يرتفع من مياهها عريس بحرٍ حجري طوله عشرون قدمًا من الرَّأس إلى القدم، لحيته المجعَّدة مغطَّاة بالأشنة الخضراء والبيضاء، وإحدى شعب رُمحه الثُّلاثي مكسورة من قبل مولد داقوس، وعلى الرغم من هذا لا يزال منظره يُثير الإعجاب. يُسمِّيه السُّكَّان المحليُّون قدم السَّمكة العجوز، ومع أن الميدان يحمل اسم لورد ميت ما فلا أحد يُسمِّيه شيئًا غير (ساحة قدم السَّمكة).

السَّاحة مكتظَّة اليوم. وقفَت امرأة تغسل ثيابها الدَّاخليَّة في نافورة قدم السَّمكة وتَنشُرها على رُمحه، وتحت قناطر رُواق الباعة الجائلين نصبَ الكتَبة ومبدِّلو العُملة مناضدهم إلى جوار ساحرٍ متجوِّل ومُعالجة أعشاب وحاوٍ رديء للغاية، ويبيع رجل التُّفَّاح من على عربة يدٍ وامرأة الرِّنجة بالبصل المقطَّع، والدَّجاج والأطفال في كلِّ مكانٍ تحت الأقدام. كلَّما زارَ داقوس (ساحة قدم السَّمكة) وجدَ باب (دار سك العُملة القديمة) الضَّخم المصنوع من السَّنديان والحديد مغلقًا دومًا، لكنه ألفاه مفتوحًا اليوم، وبالدَّاخل لمحَ مئاتٍ من النِّساء والأطفال والمسنِّين على الأرض فوق أكوامٍ من الفرو، وقد أشعلَ بعضهم بُؤر نارٍ للطَّهو.

توقَّف داقوس في الرُّواق واشترى تُفَّاحةً بِنصف بنس، وسألَ البائع: «هل يعيش أناس في (دار سك العُملة القديمة)؟».

- «من لا يجدون مكانًا آخَر للمعيشة. غالبيَّتهم عوام من أعالي (السكِّين الأبيض)، وقوم من (هورنوود) أيضًا. في وجود نغل بولتون إياه طليقًا يُريدون جميعًا أن يكونوا وراء الأسوار. لا أدري ماذا ينوي حضرة اللورد أن يفعل بهم. أكثرهم جاءَ بالخِرق التي يرتديها فقط».

أحسَّ داقوس بالذَّنب يخزه وخزًا. *لقد أتوا هنا ناشدين الملاذ، إلى مدينةٍ لم يمسَّها القتال، وهأنذا آتي لأجرَّهم ثانيةً إلى الحرب*. أخذَ قضمةً من التُّفَّاحة أشعرَته بدورها بالذَّنب، وسألَ: «كيف يأكلون؟».

هزَّ بائع التُّفَّاح كتفيه مجيبًا: «بعضهم يتسوَّل، بعضهم يسرق. شابَّات كثيرات امتهنَّ التِّجارة إياها كما تفعل الفتيات حين لا يتبقَّى لهن شيء آخَر يبعنه. أيُّ صبيٍّ يَبلُغ طوله خمسة أقدام يُمكنه أن يجد مكانًا في ثُكنات حضرة اللورد ما دامَ يستطيع أن يحمل حربةً».

إنه يحشد الرِّجال إذن. قد يكون هذا خيرًا... أو شرًّا، حسب الأحوال. كانت التُّفَّاحة جافَّةً متفتِّتةً، لكن داقوس جعلَ نفسه يأخذ قضمةً أخرى قبل أن يسأل: «هل ينوي اللورد ماندرلي التَّحالُف مع النَّغل؟».

ردَّ بائع التُّفَّاح: «عندما ينزل حضرة اللورد ليشتري تُفَّاحةً المرَّة القادمة سأحرصُ على سؤاله».

- «سمعتُ أن ابنته ستتزوَّج أحد أبناء فراي».

- «حفيدته. سمعتُ هذا أيضًا، لكن حضرة اللورد نسيَ أن يدعوني إلى الزِّفاف. هل ستُكمِل هذه التُّفَّاحة؟ سآخذُ بقيَّتها. البذور جيِّدة».

ألقى داقوس إليه اللُّبَّ مفكرًا: *تُفّاحة سيِّئة، لكن معرفة أن ماندرلي يحشد الرِّجال تستحقُّ النِّصف بنس.* دارَ حول تمثال قدم السَّمكة العجوز مارًّا بفتاةٍ صغيرة تبيع أكواب الحليب الطَّازج من معزاتها. الآن وقد عادَ إلى المدينة بدأ يتذكَّر المزيد منها. بعد البُقعة التي يُشير إليها رُمح التِّمثال زُقاق يُباع فيه سمك القُد المقلي، ذهبي هش من الخارج وأبيض ناضج من الدَّاخل، وفي هذا الاتِّجاه ماخور أنظف من غيره يستطيع فيه البحَّار الاستمتاع بامرأةٍ دون أن يخشى أن يُسرَق أو يُقتَل، وفي النَّاحية الأخرى، في أحد المنازل الملتصقة بأسوار (عرين الذِّئاب) كما يلتصق محار البرنقيل ببدن سفينةٍ قديمة، كانت توجَد مخمرة قديمة يصنعون فيها بيرةً سوداء شديدة الثَّخانة واللَّذاذة، من شأن البرميل الواحد منها أن يعود على بائعه بثَمن برميلٍ من نبيذ (الكرمة) الذَّهبي في (براقوس) أو (ميناء إيبن)، هذا إذا تركَ المحليُّون للخمَّار شيئًا يبيعه.

لكن ما يُريده الآن هو النَّبيذ، نبيذ لاذع داكن رديء. هكذا قطعَ السَّاحة ونزلَ مجموعةً من الدَّرجات إلى الخمَّارة المسمَّاة (حنش الماء الكسول) تحت مستودَعٍ مليء بجلود الخراف. إبَّان أيام التَّهريب كان (حنش الماء) مشهورًا بتقديم أكبر العاهرات سِنًّا وأردأ نبيذٍ في (الميناء الأبيض)، بالإضافة إلى فطائر لحمٍ مليئة بالدُّهن والغضاريف، غير صالحةٍ للأكل في أفضل الأحوال وسامَّة في أسوأها. مع هذه السُّمعة يتجنَّب معظم المحليِّين المكان تاركين إياه للبحَّارة الذين لا يعرفون حقيقته، ولذا لا يرى المرء أحدًا من حَرس المدينة أو قيِّمي الجمارك هناك أبدًا.

بعض الأشياء لا يتغيَّر أبدًا، وداخل (حنش الماء) تجمَّد الزَّمن. السَّقف المقنطر مبقَّع بسواد السُّخام، والأرضيَّة من التُّربة الصُّلبة، والهواء رائحته دُخان ولحم فاسد وقيء قديم. تُصدِر الشُّموع السَّمينة المصنوعة من الشَّحم على الموائد دُخانًا أكثر من الضَّوء، وفي العتمة بدا النَّبيذ الذي طلبَه داقوس بنِّيًّا أكثر من أحمر. قُرب الباب تجلس أربع عاهراتٍ يشربن، وقد منحَته واحدة منهن ابتسامة أملٍ لدى دخوله، لكن حين هزَّ رأسه نفيًا قالت المرأة لرفيقاتها شيئًا أضحكَهن، وبعدها لم تُعِره إحداهن اهتمامًا.

باستثناء العاهرات والمالك كان المكان لداقوس وحده. القبو واسع مليء بالأركان والتَّجاويف الظَّليلة التي يستطيع المرء الانفراد فيها بنفسه، فأخذَ نبيذه إلى أحدها وجلسَ مسندًا ظَهره إلى الحائط ينتظر.

لم يمضِ وقت طويل قبل أن يجد نفسه يُحدِّق إلى المستوقَد. المرأة الحمراء ترى المستقبل في النَّار، لكن داقوس سيوورث لا يرى فيها إلَّا أطياف الماضي؛ السُّفن المحترقة، والسِّلسلة النَّاريَّة، والظِّلال الخضراء تُومِض على بطون السَّحاب، و(القلعة الحمراء) مرتفعة فوق كلِّ شيء. داقوس رجل بسيط، لم يترقَّ إلَّا عن طريق الصُّدفة والحرب وستانيس، ولا يفهم لماذا أخذَت الآلهة أربعة فتيةٍ يافعين أقوياء كأبنائه وتركَت أباهم المتعَب على قيد الحياة. في بعض اللَّيالي يُفكِّر أنه بقيَ حيًّا لإنقاذ إدريك ستورم... لكن مؤكَّد أن ابن الملك روبرت النَّغل آمِن في (الأعتاب) الآن، ولا يزال داقوس هنا. *هل عند الآلهة مهمَّة أخرى لي؟ إن صحَّ هذا فقد تكون (الميناء الأبيض) جزءًا منها*. جرَّب النَّبيذ ثم سكبَ نِصف كوبه على الأرض إلى جوار قدمه.

مع حلول الغسق بالخارج بدأت دِكك (حنش الماء الكسول) تمتلئ بالبحَّارة. طلبَ داقوس كوب نبيذٍ ثانيًا من المالك، ولمَّا جلبَه الرَّجل جلبَ معه شمعةً أيضًا، وسألَه: «هل تُريد طعامًا؟ عندنا فطائر لحم».

- «ما نوع اللَّحم الذي فيها؟».
- «النَّوع المعتاد. إنها طيِّبة».

ضحكَت العاهرات، وقالت إحداهن: «يعني أنه لحم رمادي».

- «أطبِقي فمكِ اللَّعين. أنتِ تأكلينها».
- «وآكلُ جميع أصناف الخراء، لكن هذا لا يعني أنني أحبُّه».

ما إن ابتعدَ المالك أطفأَ داقوس الشَّمعة بنفخةٍ وعادَ يجلس في الظِّل. البحَّارة أكثر من ينهمكون في النَّميمة في العالم عندما يتدفَّق النَّبيذ، حتى إذا كان رخيصًا كهذا، وما عليه إلَّا أن يُصغي.

معظم ما سمعَه سبقَ أن عرفَه بالفعل في (بلدة الأخوات) من اللورد جودريك أو مُرتادي (بطن الحوت). ماتَ تايوين لانستر، فتكَ به ابنه القزم، وقد فاحَت من جُثمانه رائحة شنيعة جعلَت أحدًا لا يجرؤ على دخول (سِبت بيلور الكبير) لأيامٍ بعدها. سيِّدة (العُش) قتلَها مطرب، والإصبع الصَّغير يَحكُم (الوادي) الآن، لكن يون رويس البرونزي أقسمَ على الإطاحة به. بالون جرايجوي ماتَ أيضًا، وإخوته يتشاجَرون على كُرسي حجر اليَم.ساندور كليجاين خرجَ عن القانون ويعيث فسادًا وقتلًا ونهبًا في أراضي (الثَّالوث). (مير) و(لِيس) و(تايروش) متورِّطات في حربٍ أخرى. في الشَّرق ثورة عبيد مشتعلة.

لكنه وجدَ أنباءً أخرى أكثر إثارةً لاهتمامه. روبت جلوڤر كان في المدينة يُحاوِل حشد الرِّجال، لكن نجاحًا قليلًا حالفَه إذ صمَّ اللورد ماندرلي أُذنيه عن التماسه، ويُشاع أنه قال إن (الميناء الأبيض) تعبَت من الحرب. سيِّئ هذا. باغتَ آل ريزويل وآل داستن الأسطول الحديدي في (النَّهر المحموم) وأضرَموا النَّار في سُفنهم الطَّويلة. وهذا أسوأ. والآن يركب نغل بولتون جنوبًا مع هوثر أومبر للانضمام إليهم في الهجوم على (خندق كايلن)، وهو ما قال عنه ملَّاح نهري أتى بشحنةٍ من الجلود والخشب عبر (السكِّين الأبيض): «باقِر العاهرة بنفسه ومعه ثلاثمئة من حمَلة الحِراب ومئة من الرُّماة. بعض رجال (هورنوود) انضمُّوا إليهم، وبعض رجال (سروين) أيضًا». وهذا هو الأسوأ على الإطلاق.

قال العجوز الجالس عند طرف المائدة: «خيرٌ للورد وايمان أن يُرسِل رجالًا للقتال إذا كان يعلم ما في صالحه. اللورد رووس هو الحاكم الآن، و(الميناء الأبيض) مرتبطة ارتباط شَرف بتلبية استدعائه».

ردَّ مالك الخمَّارة وهو يصبُّ لهم المزيد من النّبيذ البنّي: «وما الذي يعرفه أيٌّ من آل بولتون عن الشَّرف؟».

- «اللورد وايمان لن يذهب إلى أيِّ مكان. إنه مفرط البدانة».

- «سمعتُ أنه مريض. يقولون إنه لا يفعل شيئًا إلَّا النَّوم والبُكاء. أكثر الأيام لا يستطيع النُّهوض من فِراشه من شدَّة المرض».

- «تعني من شدَّة البدانة».

- «لا علاقة للبدانة أو النَّحافة بالأمر. ابنه أسير عند الأُسود».

لم يتكلَّم أحد عن الملك ستانيس، بل ولم يبدُ أن أحدًا يعلم أنه أتى إلى الشَّمال ليُساعِد في الدِّفاع عن (الجِدار). في (القلعة الشَّرقيَّة) كان الكلام كلُّه عن الهَمج والجُثث الحيَّة والعمالقة، لكن هنا لا أحد يُفكِّر فيهم مجرَّد تفكير على ما يبدو.

مالَ داڤوس ليَدخُل دائرة الضَّوء قائلًا: «ظننتُ أن آل فراي قتلوا ابنه. هذا ما سمعناه في (بلدة الأخوات)».

أجابَه المالك: «قتلوا السير وندل. عظامه راقدة في (سِپت الثُّلوج) وحولها الشُّموع إذا أردت أن تُلقي نظرةً. أمَّا السير وايليس فلا يزال أسيرًا».

أسوأ وأسوأ. كان يعرف أن للورد وايمان ابنين، لكنه حسبَ كلاهما ماتَ. *إذا كانت عند العرش الحديدي رهينة*... داڤوس أنجبَ سبعة أبناء وفقدَ أربعةً منهم في (النَّهر الأسود)، ويعلم أنه مستعدٌّ لفِعل ما تَطلُبه منه الآلهة أو البَشر أيًّا كان لحماية الثَّلاثة الباقين. ستفون وستانيس يَبعُدان آلاف الفراسخ عن القتال وآمِنان من الأذى، لكن دڤان مُرافق الملك في (القلعة السَّوداء). *الملك الذي قد تصيب قضيَّته أو تخيب بسبب (الميناء الأبيض)*.

كان رفاقه الشَّاربون يتكلَّمون الآن عن التَّنانين، وقال ملَّاح من (راقصة العواصف): «أنت مجنون كبير. الملك الشحَّاذ ماتَ منذ أعوام، قطعَ أحد الدوثراكي سادة الخيول رأسه».

ردَّ العجوز: «هذا ما يقولونه لنا. ربما يكذبون. لقد ماتَ على الجانب الآخَر من العالم، إذا كان قد ماتَ حقًّا. من يدري؟ إذا أرادَ ملك ما موتي فقد يكون عليَّ أن أجاريه وأتظاهر بأني جثَّة. لا أحد منا رأى جثَّته».

دمدمَ مالك الخمَّارة: «أنا لم أرَ جثَّة چوفري أو روبرت. ربما يكونون أحياء جميعًا إذن، وربما كان بيلور المُبارك غافيًا طوال هذه الأعوام لا أكثر».

كشَّر العجوز قائلًا: «لم يكن الأمير ڤسيرس التنِّين الوحيد، أليس كذلك؟ أنحن واثقون بأنهم قتلوا ابن الأمير ريجار؟ كان رضيعًا».

قالت العاهرة التي ذكرَت أن اللَّحم رمادي: «ألم تكن هناك أميرة أيضًا؟».

أجابَها العجوز: «أميرتان، واحدة ابنة ريجار والثَّانية أخته».

قال الملَّاح النَّهري: «داينا كانت الأخت، داينا ابنة (دراجونستون). أم أنها دايرا؟».

قال رجل (راقصة العواصف): «داينا كانت زوجة الملك بيلور. عملتُ مجذِّفًا على سفينةٍ تحمل اسمها مرَّةً، (الأميرة داينا)».

- «لو كانت زوجة ملكٍ فالمفترَض أن تكون ملكةً».

- «لم تكن لبيلور ملكة. لقد كان ورعًا».

قالت العاهرة: «ليس معنى هذا أنه لم يتزوَّج أخته، لكنه لم يُضاجِعها. حين نصَّبوه ملكًا حبسَها في بُرج، هي وأختيها الأخرَيين أيضًا. كنَّ ثلاثًا».

أعلنَ المالك: «داينلا، كان هذا اسمها، أعني ابنة الملك المجنون لا زوجة بيلور اللَّعينة».

قال داڤوس: «دنيرس. سمُّوها تيمُّنًا بدنيرس التي تزوَّجت أمير (دورن) في عهد دايرون الثَّاني. لا أدري ماذا حدثَ لها».

- «أنا أدري»، قال الرَّجل الذي بدأ الكلام عن التَّنانين، ملَّاح براڤوسي يرتدي سُترةً كالحةً من الصُّوف. «في (پنتوس) رسونا إلى جوار سفينةٍ تجاريَّة اسمها (العذراء الحولاء)، وشربتُ مع وكيل رُبَّانها الذي حكى لي حكايةً مسلِّيةً عن فتاةٍ نحيلة صعدَت إلى متن سفينتهم في (كارث) لتحجز رحلةً إلى (وستروس) لها ولتنانينها الثَّلاثة. كان شَعرها فضِّيًا وعيناها أرجوانيَّتين. أكَّد الوكيل لي قائلًا: *أخذتها إلى الرُّبَّان بنفسي لكنه رفضَ تمامًا. قال لي إن المكسب أكبر في القرنفل والزَّعفران، والتَّوابل لا تُشعِل النَّار في القلوع*».

اجتاحَ الضَّحك القبو، لكن داڤوس لم يشترك فيه. إنه يعلم ما جرى لـ(العذراء الحولاء). قسوة من الآلهة أن تدع رجلًا يُبحر حول نِصف العالم ثم تُرسِله يُطارِد ضوءًا زائفًا وهو موشك على العودة إلى الوطن. فكَّر في طريقه إلى الباب: *كان رُبَّانها رجلًا أجرأ مني*. رحلة واحدة إلى الشَّرق ويستطيع المرء أن يعيش ثريًّا كاللوردات حتى آخِر عُمره. في شبابه حلمَ داڤوس بالقيام برحلاتٍ كتلك، لكن السِّنين مرَّت تتراقَص كالعُثِّ حول اللَّهب، وبشكلٍ ما لم يبدُ الأوان مناسبًا قَطُّ. *يومًا ما، يومًا ما حين تضع الحرب أوزارها ويرتقي الملك ستانيس العرش الحديدي ولا يعود محتاجًا إلى فُرسان البصل. سآخذُ دڤان معي، وستف وستاني أيضًا إذا كانا قد كبرا. سنرى تلك التَّنانين وعجائب العالم كلَّها*.

بالخارج كانت الرِّيح تهبُّ مرجفةً لهب مصابيح الزَّيت التي تُضيء السَّاحة. ازدادَت البرودة منذ غربَت الشَّمس، لكن داڤوس تذكَّر (القلعة الشَّرقيَّة) وكيف كانت الرِّيح تعصف صارخةً على (الجِدار) ليلًا وتنفذ من أثقل الثِّياب لتُجمِّد دماء المرء في عروقه. (الميناء الأبيض) حمَّام دافئ بالمقارنة.

ثمَّة أماكن أخرى يستطيع أن يملأ فيها أُذنيه بالأخبار، منها خان مشهور بفطائر سمك الشِّلق، والحانة التي يشرب فيها الصوَّافون ورجال الجمارك، وقاعة ممثِّلين يستطيع المرء أن يجد فيها تسليةً بذيئةً مقابل بضعة بنسات، إلَّا أن داڤوس أحسَّ أنه سمعَ ما يكفي. *وصلتُ متأخِّرًا جدًّا*. جعلَته الغريزة القديمة يمدُّ يده إلى صدره حيث كان يحتفظ بعظم أصابعه في كيسٍ صغير معلَّق من شريطٍ جِلدي، لكن لا شيء هناك الآن. لقد فقدَ حظَّه في نيران (النَّهر الأسود) مع سفينته وأبنائه.

شدَّ معطفه على جسده متسائلًا في أعماقه: *ماذا أفعلُ الآن؟ هل أصعدُ التَّلَّ وأقدِّمُ نفسي عند بوَّابة (القلعة الجديدة) من أجل التماسٍ عقيم؟ أعودُ إلى (بلدة الأخوات)؟ أرجعُ إلى ماريا وابنَي؟ أشتري حصانًا وأسلكُ (طريق الملوك) لأخبر ستانيس بأنه بلا أصدقاء في (الميناء الأبيض) وبلا أمل؟*

في اللَّيلة السَّابقة لإبحار أسطوله أقامَت الملكة سيليس وليمةً لسالا وربابنته، وانضمَّ إليهم كوتر پايك وأربعة آخَرون من كبار قيِّمي حَرس اللَّيل، وسُمِحَ للأميرة شيرين بالحضور أيضًا. عند تقديم السَّلمون سلَّى السير آكسل فلورنت الجالسين إلى المائدة بحكايةٍ عن أميرٍ صغير من آل تارجاريَن اتَّخذ قردًا حيوانًا أليفًا. أحبَّ الأمير أن يُلبِس الحيوان ثياب ابنه الميت ويتظاهَر بأنه طفل، وطبقًا للسير آكسل كان يعرض زيجةً من أجله كلَّ فترة، ليَرفُض اللوردات الذين شرَّفهم بالعرض بأدب، لكنهم كانوا يَرفُضون بالطَّبع. «حتى في الحرير والمخمل يبقى القرد قردًا. كان أمير أكثر حكمةً ليعلم أنه لا يستطيع أن يُرسِل قردًا للقيام بعمل رجل». ضحكَ رجال الملكة لقول السير آكسل، ومنحَ كثيرون منهم داڤوس ابتساماتٍ واسعة، ففكَّر: *لستُ قردًا. أنا لورد مِثلك، ورجل أفضل منك*، غير أن الذِّكرى لا تزال موجعةً.

أُغلِقَت (بوَّابة الفقمات) اللَّيلة، ولن يتمكَّن من العودة إلى (القابلة المرحة) حتى الفَجر. رفعَ عينيه إلى قدم السَّمكة العجوز ورُمحه الثُّلاثي قائلًا في نفسه: *لقد جئتُ عبر الأمطار والحُطام والعواصف، ولن أعود دون أن أفعل ما أتيتُ لأفعله مهما بدا ميؤوسًا منه*. ربما فقدَ أصابعه وحظَّه، لكنه ليس قردًا يرتدي المخمل، بل يد الملك.

(سلالم القلعة) شارع مدرَّج، طريق أبيض عريض يقود من (عرين الذِّئاب) على الماء إلى (القلعة الجديدة) فوق تلِّها، وقد رأى داڤوس وهو يصعد عرائس بحرٍ من المرمر يُضِئن الطَّريق بأوعيةٍ من زيت الحيتان المشتعل بين أذرُعهن. حين بلغَ القمَّة التفتَ يَنظُر وراءه، فمن هنا يستطيع أن يرى كلا المرفأين. وراء حاجز الأمواج المسوَّر المرفأ الدَّاخلي مزدحم بالقوادس الحربيَّة، وقد أحصى داڤوس ثلاثةً وعشرين. اللورد وايمان بدين، لكنه ليس عاطلًا عن العمل كما يبدو.

وجدَ بوَّابة (القلعة الجديدة) مغلقةً، لكن بابًا جانبيًّا انفتحَ على إثر صيحةٍ منه، وخرجَ حارس يسأله عن شأنه، فأراه داڤوس الشَّريط الأسود والذَّهبي الذي يحمل الأختام الملكيَّة، وأجابَ: «يجب أن أرى اللورد ماندرلي في الحال. إن شأني معه وحده».

---

(33) العرَّادة ضرب من المنجنيق تُقذَف به الأحجار والسِّهام الكبيرة. (المُترجم).

(34) القاليون سفينة أكبر من القادس، أشرعتها مربَّعة وتُبحِر بصفَّين أو ثلاثة من المجاذيف، وكانت تعدُّ أكبر سُفن الأسطول العثماني. (المُترجم).

تألَّق الرَّاقصون، أجسادهم الحليقة الملساء مصقولة بالزَّيت اللَّامع، والمشاعل المتَّقدة تدور من يدٍ إلى يدٍ على إيقاع الطَّبل ونواح النَّاي المرتعش. متى تقاطعَ مشعلان في الهواء تثب فتاة عارية بينهما دائرةً حول نفسها، والضَّوء يتلألأ على الأطراف والأثداء والأرداف المزيَّتة.

الرِّجال الثَّلاثة منتصبو الأعضاء، منظر تهيُّجهم في حدِّ ذاته يُهيِّج، ولو أن دنيرس تارجاريَن وجدَته طريفًا أيضًا. ثلاثتهم متساوون في الطُّول، لهم سيقان طويلة وبطون مسطَّحة، وكلُّ عضلةٍ كأنها منحوتة من الحجر، وحتى وجوههم تبدو متماثلةً بشكلٍ ما... وهو الغريب نوعًا، بما أن لأحدهم بشرةً سوداء كالأبنوس، والثَّاني شاحب كالحليب، والثَّالث يَبرُق كالنُّحاس الصَّقيل.

عدَّلت داني جلستها بين وسائدها الحرير مفكِّرةً: *أمن المفترَض أن يُثيروني؟* عند الأعمدة يقف مُطهَّروها في خوذهم المدبَّبة كالتَّماثيل بلا تعبيرٍ على وجوههم النَّاعمة، على عكس الرِّجال الكاملين. فغرَ رزناك مو رزناك فاه والتمعَت شفتاه المبتلَّتان وهو يُشاهِد، وقال هيزدار زو لوراك شيئًا للرَّجل المجاور له ولكن دون أن تُبارِح نظراته الرَّاقصات، في حين ظلَّ وجه الرَّأس الحليق الدُّهني القبيح صارمًا كالمعتاد، وإن لم يَفُت عينيه شيء.

غير أنها وجدَت معرفة ما في مخيِّلة ضيفها الكريم أصعب. يرفل الرَّجل الشَّاحب النَّحيل ذو القسمات الصَّقريَّة الحادَّة، الذي يُشارِكها مائدتها العالية، في ثوبٍ من الحرير الأحمر المصفر وقُماش الذَّهب، ويلتمع رأسه الأصلع في ضوء المشاعل وهو يأكل ثمرةً من التِّين بقضماتٍ صغيرة أنيقة منتظمة، وإذ أدارَ زارو زون داكسوس رأسه يُتابِع الرَّاقصين برقَت حبَّات الأوپال على أنفه.

على شَرفه ارتدَت دنيرس فُستانًا على الطِّراز الكارثيني من السَّميت الأرجواني الشفَّاف، مقصوصًا بحيث يَترُك ثديها الأيسر مكشوفًا، وقد انسدلَ شَعرها الذَّهبي الفضِّي بخفَّةٍ على كتفها يكاد يلمس حلمتها. نِصف الرِّجال في القاعة اختلَسوا إليها النَّظرات، ولكن ليس زارو. *مِثلما كان في (كارث)*. ليس بإمكانها استمالة الأمير التَّاجر بهذه الطَّريقة. *لكن عليَّ أن أستميله*. وصلَ الرَّجل من (كارث) على متن القاليون (سحابة الحرير) يُرافِقه ثلاثة عشر قادسًا، أسطوله بمثابة دُعاءٍ أجيبَ. لقد شحَّت التِّجارة في (ميرين) حتى انقطعَت تمامًا منذ قضَت داني على العبوديَّة، لكن زارو يملك القُدرة على إحيائها.

مع تعاظُم دقَّات الطُّبول وثبَت ثلاث من الفتيات فوق اللَّهب دائراتٍ في الهواء، وأمسكهن الرَّاقصون من الخصر وأنزلوهن على أعضائهم، وشاهدَت داني إذ قوَّسن ظهورهن وطوَّقت كلُّ واحدةٍ شريكها بساقيها، فيما ناحَت النَّايات ودفعَ الرِّجال أنفُسهم داخلهن على إيقاع الموسيقى. سبقَت لها رؤية فِعل الحُبِّ من قبل، فالدوثراكي يتزاوَجون علنًا كفحولهم وأفراسهم، إلَّا أنها المرَّة الأولى التي ترى فيها الشَّهوة منغَّمةً.

أحسَّت بوجهها دافئًا، فقالت لنفسها: *إنه النَّبيذ*، وعلى الرغم من هذا وجدَت أفكارها تدور حول داريو نهاريس. صباح اليوم وصلَ مرساله يقول إن غِربان العاصفة عائدون من (لازار). قائدها راجع إليها جالبًا معه صداقة شعب الحملان. ذكَّرت نفسها: *الطَّعام والتِّجارة. لم يخذلني، ولن يفعل. داريو سيُساعِدني على إنقاذ مدينتي.* تشتاق الملكة إلى رؤية وجهه، إلى التَّمليس على لحيته ثُلاثيَّة الشُّعب، إلى البوح له بهمومها... لكن غِربان العاصفة ما زالوا يَبعُدون أيامًا طويلةً ولم يجتازوا (ممر كايزاي) بعدُ، وهي مسؤولة عن حُكم البلاد.

ارتفعَ الدُّخان في الهواء بين الأعمدة الأرجوانيَّة، وركعَ الرَّاقصون برؤوسٍ محنيَّة، فقالت لهم داني: «كنتم رائعين. نادرًا ما رأيتُ هذه الرَّشاقة وهذا الجَمال»، ثم أشارَت إلى رزناك مو رزناك، فهرعَ إليها القهرمان وحبَّات العَرق تُرقِّط رأسه الأصلع المتغضِّن. أمرَته قائلةً: «اصحب ضيوفنا إلى الحمَّامات كي يغتسلوا، واجلب لهم طعامًا وشرابًا».

- «شَرف عظيم لي أن أفعل يا صاحِبة السُّمو».

رفعَت دنيرس كأسها لتُعيد إيري ملئها. النَّبيذ قوي حُلو عابق برائحة التَّوابل الشَّرقيَّة، أجود كثيرًا من النَّبيذ الجيسكاري الخفيف الذي يملأ كأسها في الفترة الأخيرة. مدَّ زارو يده إلى صحفة الفواكه التي قدَّمتها له چيكوي واختارَ ثمرةً من التِّين الكاكي يُشبِه قشرها البُرتقالي لون حبَّة المرجان في أنفه، ثم قضمَ منها وزمَّ شفتيه قائلًا: «لاذعة».

- «هل يُفضِّل سيِّدي شيئًا أحلى؟».

- «الحلاوة تكظُّ النَّفس. ما يُعطي الحياة نكهتها الفاكهة اللَّاذعة والنِّساء اللَّاذعات»، وأخذَ زارو قضمةً أخرى ومضغَ وازدردَ، ثم قال: «دنيرس أيتها الملكة الجميلة، لا يُمكنني أن أصف لكِ ابتهاجي بالتَّنعُّم بحضوركِ ثانيةً. مَن غادرَت (كارث) طفلة، ضائعة مِثلما هي عذبة. خشيتُ أنها مبحرة إلى حتفها، وهأنذا أجدها الآن متوَّجةً، سيِّدةً على مدينةٍ عريقة ومحاطةً بجيشٍ قوي أتيتِ به من الأحلام».

لا، بل من الدَّم والنَّار. «إنني سعيدة لمجيئك إليّ. تسرُّني رؤية وجهك ثانيةً يا صديقي». *لن أثق بك، لكنني محتاجة إليك، محتاجة إلى زُملائك في رابطة الثَّلاثة عشر، محتاجة إلى سُفنك، محتاجة إلى تجارتك.*

لقرونٍ كانت (ميرين) وأختاها (يونكاي) و(أستاپور) حجر زاوية تجارة الرَّقيق، المكان الذي يبيع فيه ڭالات الدوثراكي وقراصنة (جُزر البازيليسق) أسراهم وتأتي بقيَّة العالم لتشتري، لكن بلا عبيد فليس عند (ميرين) ما تعرضه على التُّجَّار. النُّحاس وفير في التِّلال الجيسكاريَّة، لكن المعدن لم يَعُد قيِّمًا كما كان لمَّا حكمَ البرونز العالم، وأشجار الأَرز الباسقة التي كانت ناميةً على السَّاحل لم تَعُد موجودةً، بترَتها فؤوس الإمبراطوريَّة القديمة أو أتَت عليها نيران التَّنانين حين شنَّت (جيس) الحرب على (ڤاليريا)، وما إن زالَت الأشجار يبسَت التُّربة تحت الشَّمس الحارقة وذرَتها الرِّيح في سُحبٍ حمراء كثيفة. في (معبد ذوات النِّعم) أخبرَتها جالازا جالار: «تلك المصائب هي ما حوَّل ناسي إلى نخَّاسين»، فأقسمَت داني لنفسها: *وأنا المصيبة التي ستُحوِّل هؤلاء النخَّاسين إلى ناسٍ من جديد.*

قال زارو بنبرةٍ فاترة: «كان يجب أن آتي. حتى في (كَارث) البعيدة بلغَت مسامعي حكايات مخيفة بكيثُ لسماعها. يُقال إن أعداءكِ وعدوا مَن يَقتُلكِ بالثَّروة والمجد ومئة أَمةٍ عذراء».

- «أبناء الهارپي». كيف عرفَ هذا؟ «يضعون علامتهم على الجُدران ليلًا ويذبحون المعتَقين الشُّرفاء وهُم نيام، وحين تطلع الشَّمس يُسارِعون بالاختباء كالصَّراصير. إنهم يخافون وحوشي النُّحاسيَّة». أعطاها سكاهاز مو كانداك فِرق الحراسة الجديدة التي طلبَتها، المكوَّنة بالتَّساوي من المعتَقين والميرينيزيِّين حليقي الرُّؤوس، ويجوب رجالها الشَّوارع ليل نهار بقلنسواتٍ داكنة وأقنعةٍ من النُّحاس. توعَّد أبناء الهارپي أيَّ خائنٍ يتجرَّأ على خدمة ملكة التَّنانين بميتةٍ بشعة، وأقاربه وأصحابه أيضًا، وهكذا يتحرَّك رجال الرَّأس الحليق في صورة بنات آوى وبوم وغيرها من المخلوقات مخفين وجوههم الحقيقيَّة. «قد أجدُ دافعًا لخشية الأبناء إذا رأوني أتجوَّل وحدي في الشَّوارع، لكن فقط إن كان الوقت ليلًا وكنتُ عاريةً عزلاء. إنهم كائنات جبانة».

- «خناجر الجُبناء تَقتُل الملكات بالسُّهولة نفسها كخناجر الأبطال. سأنامُ قرير العين إذا عرفتُ أن بهجة قلبي تحتفظ بخيَّالتها الأشاوس على مقربةٍ منها. في (كَارث) كان معكِ ثلاثة خيَّالة دم لم يبرحوا جانبكِ قَطُّ. أين ذهبوا؟».

- «ما زالَ آجو وچوچو وراگارو يخدمونني». *إنه يُلاعِبني*. بإمكان داني اللَّعب أيضًا، وهكذا قالت: «أنا مجرَّد فتاةٍ صغيرة وأعرفُ القليل عن تلك الأمور، لكن رجالًا أكبر وأكثر حكمةً يقولون لي إن الحفاظ على (ميرين) يستدعي الهيمنة على المناطق الدَّاخليَّة البعيدة عن السَّواحل، أي على جميع الأراضي غرب (لازار) وجنوبًا حتى التِّلال اليونكيَّة».

- «مناطقكِ الدَّاخليَّة لا تهمُّني، أنتِ المهمَّة عندي. إذا وقعَ لكِ مكروه فسيفقد هذا العالم مذاقه».

- «لُطف من سيِّدي أن يهتمَّ إلى هذا الحد، لكنني محميَّة جيِّدًا»، وأشارَت داني نحو باريستان سلمي الواقف مريحًا يده على مقبض سيفه، وأضافَت: «يدعونه بباريستان الباسل. لقد أنقذَني مرَّتين من المغتالين».

ألقى زارو نظرةً فاحصةً عابرةً على سلمي، ثم قال: «قلتِ باريستان الهرِم؟ فارسكِ الدُّب كان أصغر سِنًّا ومخلصًا لكِ».

- «لا أريدُ أن أتكلَّم عن چورا مورمونت».

قال الأمير التَّاجر: «بالتَّأكيد. كان رجلًا خشنًا مُشعرًا»، ثم مالَ عبر المائدة مردفًا: «دعينا نتكلَّم بدلًا من ذلك عن الحُبِّ، عن الأحلام والرَّغبات ودنيرس أجمل امرأةٍ في العالم. لقد أسكرَتني طلعتكِ».

ليست مجاملات الكارثين المبالغ فيها غريبةً عليها، فردَّت: «إذا كنت سكرانَ فلُم التَّبيذ».

- «لا نبيذ في العالم يُسكِر كجَمالكِ. منذ رحلَت دنيرس وضيعتي تبدو خاويةً كمقبرة ومذاق مباهج ملكة المدائن كالرَّماد في فمي. لماذا هجرتِني؟».

لقد خرجتُ من مدينتك مطرودةً أخشى على حياتي. «لأن وقتَ الذَّهاب حانَ. (كارث) أرادَت رحيلي».

- «مَن؟ أنقياء الميلاد؟ إن في عروقهم ماءً لا دماء. العطَّارون؟ هؤلاء ليس في رؤوسهم عقول، والخالدون ماتوا جميعًا. كان حريًّا بكِ أن تتَّخذيني زوجًا. إنني شِبه متأكِّد من أنني طلبتُ يدكِ، بل وتوسَّلتُ إليكِ».

قالت داني معابثةً: «عشرات المرَّات فقط. أنت من استسلمَ بسهولةٍ يا سيِّدي، لأن عليَّ بالفعل أن أتزوَّج كما اتَّفق الجميع».

قالت إيري وهي تُعيد مَلء كأس الملكة: «يجب أن يكون للگاليسي گال. هذا معلوم».

تساءلَ زارو: «هل أطلبُ يدكِ ثانيةً إذن؟»، ثم تابعَ: «لا، إنني أعرفُ هذه الابتسامة. ملكة قاسية تلك التي تتلاعَب بقلوب الرِّجال. التُّجَّار المتواضعون أمثالي ليسوا أكثر من حصى تحت صندلكِ المحلَّى بالجواهر»، وسالَت دمعة واحدة على وجنته البيضاء الشَّاحبة.

لكن معرفة داني به حالَت دون أن تفتَّ دمعته في عضدها، فالكارثين يستطيعون البُكاء متى أرادوا. قالت له: «أوه، كُفَّ عن هذا»، وأخذَت حبَّة كرزٍ من الوعاء الموضوع على المائدة وألقَتها على أنفه، وتابعَت: «قد أكونُ فتاةً صغيرةً، لكنني لستُ بالحماقة التي تجعلني أتزوَّجُ رجلًا يجد طبق الفواكه أكثر إثارةً من ثديي. لقد رأيتُ أيَّ الرَّاقصين كنت تُشاهِد».

مسحَ زارو دمعته قائلًا: «نفس الذين كانت صاحِبة الجلالة تُتابِعهم على ما أعتقدُ. إننا متشابهان كما ترين. إن لم تقبليني زوجًا فأنا قانع بأن أكون عبدكِ».

- «لا أريدُ عبيدًا. إنني أعتقك». صنعَ أنفه المحلَّى بالجواهر هدفًا مغريًا، وهذه المرَّة ألقته داني بحبَّة مشمش.

التقطَها زارو في الهواء وأخذَ منها قضمةً، ثم قال: «من أين أتى هذا الجنون؟ هل عليَّ أن أعدَّ نفسي محظوظًا لأنكِ لم تعتقي عبيدي عندما كنتِ ضيفتي في (كارث)؟».

فكَّرت داني: *كنتُ ملكةً شحَّاذةً وكنت زارو رجل رابطة الثَّلاثة عشر، ولم تكن تُريد إلَّا تنانيني.* «عبيدك بدوا راضين يتلقُّون معاملةً حسنةً، لكن عينَي لم تنفتحا حتى (أستاپور). هل تعرف كيف يُعَدُّ المُطهَّرون ويُدرَّبون؟».

- «بقسوةٍ لا ريب. حين يصنع الحدَّاد سيفًا فإنه يضع النَّصل في النَّار ويدقُّ عليه بمطرقة ويغمسه في الماء المثلَّج لتسقية الفولاذ. إذا أردتِ الاستمتاع بمذاق الفاكهة الحُلو فعليكِ أن تسقي الشَّجرة».

- «هذه الشَّجرة مسقيَّة بالدَّم».

- «وهل من وسيلةٍ أخرى لإثمارها الجُند؟ صاحِبة الرَّونق استمتعَت براقصيَّ. هل يُدهِشك أن تعرفي أنهم عبيد وُلِدوا ودُرِّبوا في (يونكاي)؟ إنهم يَرقُصون منذ تعلَّموا المشي، وإلَّا فكيف حقَّقوا هذا الكمال؟»، ورشفَ زارو من النَّبيذ قبل أن يُواصِل: «إنهم متمرِّسون في كلِّ الفنون الحسِّيَّة أيضًا. خطرَ لي أن أهديهم إلى جلالتكِ».

ردَّت داني التي لم تندهش: «بكلِّ تأكيد. سأعتقهم».

أجفلَه ردُّها، وقال: «وماذا سيفعلون بالحرِّيَّة؟ كأنكِ تُعطين سمكةً بِزَّةً مدرَّعةً. إنهم معدُّون للرَّقص».

- «ومَن أعدَّهم؟ أسيادهم؟ ربما يُؤثِر راقصوك البناء أو الخَبز أو الزِّراعة. هل سألتهم؟».

قال زارو: «وربما تُؤْثِر أفيالكِ أن تصير عنادل، وبدلًا من الغناء العذب ستمتلئ ليالي (ميرين) بالنَّهيم الهادر وتتحطَّم أشجاركِ تحت ثقل الطُّيور الرَّماديَّة الهائل»، وتنهَّد متابعًا: «دنيرس يا بهجتي، تحت هذا الثَّدي الغض ينبض قلب رقيق... لكن خُذي الحكمة من رأسٍ أكبر سِنًّا وأكثر حكمةً. ظاهر الأشياء ليس كباطنها دومًا، وكثير مما قد يبدو شرًّا هو في الحقيقة خير. فكِّري في المطر».

- «المطر؟». *هل يحسبني حمقاء أم مجرَّد طفلة؟*

- «إننا نلعن المطر عندما يَسقُط على رؤوسنا، لكن من دونه نموت جوعًا. العالم محتاج إلى المطر... وإلى العبيد. ترسمين على وجهكِ الامتعاض، لكن ما أقوله صحيح. سأضربُ لكِ مثلًا بـ(كارث). في الفنِّ والموسيقى والسِّحر والتِّجارة، في كلِّ ما يجعلنا أسمى من الدَّواب، تتربَّع (كارث) على قمَّة البَشريَّة كما تتربَّعين على قمَّة هذا الهرم... لكن بالأسفل، بدلًا من القرميد، تقوم عظمة ملكة المدائن على أكتاف العبيد. سَلي نفسكِ، إن كان على الجميع أن يكدُّوا في الثَّرى في سبيل الطَّعام فمن سيرفع عينيه يتأمَّل النُّجوم؟ إن كان علينا جميعًا أن نكسر ظهورنا في بناء المنازل فمن سيُشيِّد المعابد لتمجيد الآلهة؟ لكي يكون بعض النَّاس عظيمًا فلا مناص من استعباد بعضهم».

كلامه أفصح من أن تردَّ عليه داني إلَّا بالإحساس الذي لبَّك معدتها، لكنها قالت بإصرار: «العبوديَّة ليست كالمطر. لقد باعوني وأمطرَت السَّماء عليَّ وأعرفُ الفرق. ليس هذا كذاك! لا أحد يُريد أن يُقتَنى!».

هزَّ زارو كتفيه بفتورٍ قائلًا: «تصادفَ عندما رسوتُ في مدينتكِ الجميلة أنني رأيتُ على ضفَّة النَّهر رجلًا نزلَ ضيفًا في إيواني ذات مرَّة، تاجرًا اشتغلَ في التَّوابل النَّادرة والخمور الفاخرة. كان عاري الجذع، جسده أحمر متقشِّر، وبدا لي أنه يَحفُر حُفرةً».

- «ليست حُفرةً بل قناة يجري فيها الماء من النَّهر إلى الحقول. إننا ننوي زرع البقول، والحقول محتاجة إلى الماء».

- «لُطف بالغ من صديقي القديم أن يُساعِد في الحفر، ولو أن هذا ليس من ديدنه على الإطلاق. أمن الممكن أنه لم يُعطَ خيارًا؟ لا، بالتَّأكيد لا، فليس عندكم في (ميرين) عبيد».

ردَّت داني بوجهٍ محتقن: «صديقك يتلقَّى أجره طعامًا ومأوًى. لا أستطيعُ أن أردَّ إليه ثروته. (ميرين) محتاجة إلى البقول أكثر من التَّوابل النَّادرة، والبقول محتاجة إلى الماء».

- «هل ستُكلِّفين راقصيَّ أيضًا بحفر القنوات؟ أيتها الملكة الجميلة، حين رآني صديقي القديم خرَّ على رُكبتيه وتوسَّل إليَّ أن أشتريه كعبدٍ وآخذه معي إلى (كارث)».

قالت شاعرةً كأنه صفعَها: «اشترِه إذن».

قال: «إن كان هذا يسرُّكِ. أعلمُ أنه سيسرُّه»، ووضعَ يده على ذراعها مواصلًا: «ثمَّة حقائق لن يُخبِرك بها إلَّا صديق. لقد ساعدتكِ عندما جئتِ (كارث) متسوِّلةً، وقطعتُ فراسخ طويلةً وبحارًا عاصفةً لأساعدكِ ثانيةً. أهناك مكان نستطيع الكلام فيه بصراحة؟».

فكَّرت داني شاعرةً بدفء أصابعه على بشرتها: *كان دافئًا في (كارث) أيضًا، إلى أن أتى يوم ولم يجد مني جدوى.* نهضَت قائلةً: «تعالَ»، وتبعَها زارو بين الأعمدة إلى الدَّرجات الرُّخام العريضة التي تقود إلى مسكنها الخاص على قمَّة الهرم.

قال زارو وهما يصعدان: «أوه يا أجمل النِّساء، وراءنا خُطوات أقدام. هناك من يتبعنا».

- «مؤكَّد أن فارسي الهرِم لا يُخيفك، أليس كذلك؟ السير باريستان مقسم على الحفاظ على أسراري».

خرجَت به إلى الشُّرفة المطلَّة على المدينة، وفي السَّماء السَّوداء كان البدر التَّام يسبح فوق (ميرين)، وفي الهواء تفوح رائحة الزُّهور التي تتفتَّح مساءً. تأبَّطت ذراعه قائلةً: «هلَّا تمشَّينا؟ بما أنك ذكرت المساعدة فتاجِر معي إذن. (ميرين) لديها ملح ونبيذ...».

قاطعَها زارو مبديًا الامتعاض: «نبيذ جيسكاري؟ البحر يُزوِّد (كارث) بحاجتها من الملح، لكن يسرُّني أن آخذ كلَّ ما تُريدين بيعي إياه من الزَّيتون وزيته».

- «ليس عندي زيتون. النخَّاسون أحرَقوا الأشجار». منذ قرون يُزرَع الزَّيتون على سواحل (خليج النخَّاسين)، لكن الميرينيزيِّين أضرَموا النَّار في بساتينهم حين بدأ جيش داني يزحف عليهم تاركين لها قفرًا متفحِّمًا. «إننا نُعيد زرعه، لكن شجرة الزَّيتون تستغرق سبعة أعوام حتى تبدأ في طرح الثِّمار، وثلاثين عامًا حتى تُصبِح مثمرةً فعلًا. ماذا عن النُّحاس؟».

- «معدن حسن، لكن متقلِّب كالنِّساء. أمَّا الذَّهب... الذَّهب صادق. سيسرُّ (كارث) أن تمنحكِ الذَّهب... نظير العبيد».

- «(ميرين) مدينة حُرَّة شعبها حُر».

- «مدينة فقيرة كانت غنيَّةً، مدينة جائعة كانت سمينةً، مدينة دامية كانت سلميَّةً».

لدغَتها اتِّهاماته لدغًا، ففيها قدر وافر من الحقيقة. «ستعود (ميرين) غنيَّةً سمينةً سلميَّةً، وحُرَّةً أيضًا. اذهب إلى الدوثراكي إذا أردت العبيد».

- «الدوثراكي يصنعون العبيد والجيسكاريُّون يُدرِّبونهم، ولبلوغ (كارث) على سادة الخيول أن يسوقوا أسراهم عبر (القفر الأحمر). مئات سيموتون إن لم يكن آلاف... وخيول كثيرة أيضًا، ولهذا السَّبب لا يُخاطِر الكالات برحلةٍ كتلك. ثم إن (كارث) لا تُريد كالاسارات هائجة حول أسوارها. رائحة كلِّ تلك الخيول... لا أقصدُ إساءةً يا كاليسي».

- «رائحة الحصان رائحة صادقة، وهذا أكثر مما يُمكن أن يُقال عن بعض اللوردات العظام والأمراء التُّجَّار».

لم ينتبه زارو إلى تعليقها السَّاخر، وقال: «دنيرس، دعيني أكونُ صادقًا معكِ كما يليق بصديق. إنكِ لن تجعلي (ميرين) غنيَّةً سمينةً سلميَّةً، وإنما ستجلبين لها الدَّمار وحده، مِثل (أستاپور). هل تعين أن معركةً قامَت عند (قرون هازات)؟ الملك الجزَّار فرَّ عائدًا إلى قصره وفي أعقابه مُطهَّروه الجُدد».

- «هذا معلوم». كان بن پلوم البنِّي قد أرسلَ خبرًا بالمعركة من الميدان. «اليونكيُّون استأجَروا مرتزِقةً جُددًا، وقاتلَ فيلقان من (جيس الجديدة) معهم».

- «وقريبًا سيُصبِح الفيلقان أربعةً، ثم عشرةً. كما أن المبعوثين اليونكيِّين ذهبوا إلى (مير) و(ڤولانتيس) لاستئجار المزيد من المرتزِقة. جماعة القِط، الرِّماح الطَّويلة، المذروُّون... ويقول بعضهم إن الأسياد الحُكماء استأجَروا الجماعة الذَّهبيَّة أيضًا».

ذات مرَّةٍ أقامَ أخوها ڤسيرس مأدبةً لقادة الجماعة الذَّهبيَّة على أمل أن يُناصِروه في قضيَّته. *أكلوا طعامه وسمعوا التماسه وضحكوا* في وجهه. كانت داني فتاةً صغيرةً آنذاك، لكنها لم تنسَ. «إن عندي مرتزِقةً أيضًا».

- «جماعتان. سيُرسِل اليونكيُّون عشرين جماعةً ضدكِ إذا لزِمَ الأمر، وحين يزحفون لن يكونوا وحدهم. (تولوس) و(مانتاريس) وافقَتا على التَّحالُف معهم».

نبأ سيِّئ إن صدقَ. لقد أرسلَت دنيرس بعثتين إلى (تولوس) و(مانتاريس) آملةً أن تجد أصدقاء جديدين غربًا لعمل توازُن ضد عداوة (يونكاي) في الجنوب، لكن مبعوثيها لم يعودوا. «(ميرين) تحالفَت مع (لازار)».

لم يدفعه قولها إلَّا إلى القهقهة، وقال: «الدوثراكي سادة الخيول يدعون اللازارين بشعب الحملان. عندما تجزِّين صوفهم لا تسمعين منهم إلَّا الثُّغاء. إنهم ليسوا شعبًا محاربًا».

الصَّديق المسالم أفضل من لا أصدقاء على الإطلاق. «على الأسياد الحُكماء أن يحذوا حذوهم. لقد عفوتُ عن (يونكاي) من قبل، لكنني لن أكرِّر هذا الخطأ. إذا سوَّلت لهم أنفُسهم أن يُهاجِموني فسأسوِّي مدينتهم الصَّفراء بالأرض هذه المرَّة».

- «وبينما تُسوِّين (يونكاي) بالأرض يا حُلوتي ستثور (ميرين) من ورائكِ. لا تُغلِقي عينيكِ عن الخطر المحدق بكِ يا دنيرس. مخصيُّوكِ جنود بارعون، لكنهم أقل عددًا من أن يردعوا الجحافل التي ستُرسِلها (يونكاي) ضدكِ حالما تَسقُط (أستاپور)».

- «رجالي المعتَقون...».

- «عبيد الفِراش والحلّاقون وصُنّاع القرميد لا يربحون المعارك».

تمنَّت أن يكون مخطئًا. المعتَقون كانوا غوغاء من قبل، لكنها نظَّمت الذُّكور الذين بلغوا سِنَّ القتال في جماعاتٍ وأمرَت الدُّودة الرَّمادي بأن يصنع منهم جنودًا. *دعيه يحسب ما يحسبه*. «هل نسيت؟ إن لديَّ تنانين».

- «حقًّا؟ في (كارث) نادرًا ما رآكِ أحد بلا تنّينٍ على كتفكِ... لكني ألاحظُ الآن أن هذه الكتف المتناسقة متجرِّدة عارية كثديكِ الجميل».

- «تنانيني كبروا، لكن كتفَي لم تكبرا. إنهم يصطادون بعيدًا». *سامِحيني يا هازيا*. تساءلَت كم يعلم زارو وما الهمسات التي سمعَها. «سَل سادة (أستاپور) الكرام عن تنانيني إذا كنت تشكُّ في قوَّتهم». *رأيتْ عينَي النخّاس تذوبان وتسيلان على وجهه*. «اصدقني القول يا صديقي القديم، لماذا أتيت تزورني إن لم يكن للتِّجارة؟».

- «لأجلب هديَّةً لملكة قلبي».

- «أخبِرني». *وما هذا الفخُّ الجديد؟*

- «الهديَّة التي توسَّلتِها مني في (كارث)، السُّفن. في الخليج ثلاثة عشر قادسًا، لكِ إذا أردتِ. أحضرتُ لكِ أسطولًا يحملكِ إلى الوطن في (وستروس)».

أسطول. أكثر مما كانت لتأمل، وهو ما حفَّز فيها الحذر بالطَّبع. في (كارث) عرضَ عليها زارو ثلاثين سفينةً... مقابل تنّين. «وما الثَّمن الذي تَطلُبه لقاء هذه السُّفن؟».

- «لا شيء. لم أعُد أشتهي التَّنانين. لقد رأيتُ عملها في (أستاپور) الطَّريق إلى هنا، عندما رسَت (سحابة الحرير) لتعبئة الماء العذب. السُّفن لكِ أيتها الملكة الجميلة. ثلاثة عشر قادسًا ورجال يُبحِرون بها أيضًا».

ثلاثة عشر، بالتَّأكيد. زارو من رابطة الثَّلاثة عشر، ولا شكَّ أنه أقنعَ كلًّا من زُملائه الأعضاء بإعطائه سفينةً. إنها تعرف الأمير التَّاجر أفضل من أن تظنَّ أنه قد يُضحِّي بثلاث عشرة من سُفنه الخاصَّة دُفعةً واحدةً. «يجب أن أفكِّر في الأمر. هل لي أن أفحص هذه السُّفن؟».

- «أصبحتِ شكَّاكةً يا دنيرس».

دائمًا. «أصبحتُ حكيمةً يا زارو».

- «افحصي كما يحلو لكِ، ولمَّا تَشعُرين بالرِّضا أقسِمي لي أنكِ ستعودين إلى (وستروس) من فوركِ وستكون السُّفن ملككِ. أقسِمي بتنانينكِ وبإلهكِ ذي السَّبعة وجوه وبرماد آبائكِ وارحلي».

- «وإذا قرَّرتُ أن أبقى عامًا أو ثلاثةً».

لاحَت نظرة آسفة على وجه زارو، وقال: «سيُحزِنني ذلك كثيرًا يا مُهجتي... لأنكِ لن تعيشي طويلًا مهما بدوتِ شابَّةً قويَّةً الآن، ليس هنا».

يعرض عليَّ قُرص عسلٍ بيدٍ ويُريني السَّوط في الأخرى. «اليونكيُّون ليسوا مخيفين إلى هذا الحد».

- «ليس جميع أعدائكِ في المدينة الصَّفراء. احذري ذوي القلوب الباردة والشِّفاه الزَّرقاء. لم يكن أسبوعان قد مرَّا على رحيلكِ من (كارث) حتى خرجَ پيات پري مع ثلاثة من رفاقه الدجَّالين يسعون وراءكِ في (پنتوس)».

قالت داني التي وجدَت الخبر طريفًا أكثر من مخيف: «كان خيرًا إذن أنني انعطفتُ في طريقٍ أخرى. (پنتوس) تَبعُد نِصف عالمٍ عن (ميرين)».

- «صحيح، لكن عاجلًا أو آجلًا ستَبلُغهم أنباء ملكة التَّنانين في (خليج النخَّاسين)».

- «هل يُفترَض أن يُخيفني هذا؟ لقد عشتُ في خوفٍ أربعة عشر عامًا يا سيِّدي، استيقظتُ خائفةً كلَّ صباحٍ وخلدتُ إلى النَّوم خائفةً كلَّ ليلة... لكن مخاوفي احترقَت يوم خرجتُ من النَّار. شيء واحد فقط يُخيفني الآن».

- «وما هذا الذي يُخيفكِ أيتها الملكة الجميلة؟».

قالت داني: «أنا مجرَّد فتاةٍ صغيرة»، ووقفَت على أطراف أصابعها لتطبع قُبلةً على خدِّه متابعةً: «ولكن ليس لدرجة أن أخبرك بذلك. سيُلقي رجالي نظرةً على السُّفن، ثم سأعطيك إجابتي».

قال: «كما تقولين»، ثم مسَّ ثديها العاري بخفَّة، وهمسَ: «دعيني أبقى وأساعدُ على إقناعكِ».

للحظةٍ أغرَتها الفكرة. ربما أثارَها الرَّاقصون بالفعل. *يُمكنني أن اغلق عينَي وأتظاهر بأنه داريو*. داريو الخيالي أسلم من الحقيقي، لكنها نحَّت الفكرة عن بالها، وقالت: «لا يا سيِّدي. أشكرك، لكن لا»، وأفلتَت نفسها من بين ذراعيه بهدوءٍ مضيفةً: «ليلةً أخرى ربما».

- «ليلةً أخرى». قالها بفمٍ حزين، لكن نظرة عينيه نمَّت عن الرَّاحة أكثر من خيبة الأمل.

بعد ذهابه قالت لنفسها: *لو كنتُ تنِّينةً لطرتُ إلى (وستروس) ولما احتجتُ إلى زارو وسُفنه*. تساءلَت داني كم رجلًا يُمكن لثلاث عشرة سفينةً أن تحمل. لقد تطلَّب حملها مع گالاسارها من (كارث) إلى (أستاپور) ثلاث سُفن، وكان هذا قبل أن تَحصُل على ثمانية آلاف جُندي مُطهَّر وألف مرتزِق وجمع غفير من المعتَقين. *والتَّنانين، ماذا أفعلُ بهم؟* بخفوتٍ همسَت: «دروجون، أين أنت؟». ولبُرهةٍ كادَت تراه يكنس السَّماء ويبتلع جناحاه الأسودان النُّجوم.

أدارَت ظَهرها إلى اللَّيل لتُواجِه باريستان سلمي الواقف صامتًا بين الظِّلال، وخاطبَته قائلةً: «ذات مرَّةٍ أخبَرني أخي بأحجيةٍ وستروسيَّة. من يُصغي إلى كلِّ شيءٍ ولا يسمع شيئًا؟».

أجابَ سلمي برصانة: «فارس الحَرس الملكي».

- «هل سمعت عرض زارو؟».

- «نعم يا جلالة الملكة». بدا لها جليًّا أن الفارس العجوز يُجشِّم نفسه مجهودًا شديدًا لئلا يَنظُر إلى ثديها المكشوف وهو يُخاطِبها.

السير چورا لم يُشِح ببصره قَطُّ. لقد أحبَّني كامرأة، أمَّا السير باريستان فيحبُّني كملكته فقط. كان مورمونت جاسوسًا يشي بأخبارها إلى أعدائها في (وستروس)، لكنه اعتادَ أن يُشير عليها بما يُفيد أيضًا. «ما رأيك في العرض؟ وفيه؟».

- «فيه، لا يروقني على الإطلاق. لكن تلك السُّفن... جلالة الملكة، بهذه السُّفن نستطيع الوصول إلى الوطن قبل نهاية السَّنة».

لم تعرف داني وطنًا قطُّ. في (براڤوس) كان هناك منزل ببابٍ أحمر، لكن هذا كلُّ شيء. «حذارِ من الكارثين حاملي الهدايا، لا سيّما تُجّار رابطة الثّلاثة عشر. ثمّة فخٌّ ما في الأمر. قد تكون هذه الشّفن باليةً أو...».

علّق السير باريستان: «إن لم تكن صالحةً للإبحار لما عبرَت البحر من (كارث)، لكنها حصافة من جلالتكِ أن تصرِّي على فحصها. سآخذُ الأميرال جروليو إلى القوادس عند مطلع الفَجر مع ربابنته وأربعين من بحّارته. سنفحص كلَّ بوصةٍ من تلك الشّفن».

نصيحة سديدة. «نعم، افعل هذا». (وستروس)، *الوطن*. لكن إذا رحلَت، فماذا سيحدث لمدينتها؟ خُيِّلَ إليها أن أخاها يهمس لها: *(ميرين) لم تكن مدينتكِ قطُّ. مُدنكِ تقع عبر البحر، ممالككِ السّبع حيث ينتظركِ أعداؤكِ. لقد وُلدتِ لقمعهم بالدّماء والنّيران.*

تنحنحَ السير باريستان، وقال: «الدجّال الذي ذكرَه التّاجر...».

- «پيات پري». حاولَت أن تتذكَّر ملامحه لكنها لم ترَ إلّا شفتيه اللتين خضّبهما بالزُّرقة نبيذ الدجّالين المسقّى صبغة المساء. «لو أن تعاويذ الدجّالين قادرة على قتلي لكنتُ ميتةً بالفعل. لقد تركتُ قصرهم رمادًا». *أنقذَني دروجون حين أرادوا استنزاف حياتي مني، أحرقَهم دروجون جميعًا.*

- «كما تقولين يا صاحِبة الجلالة، لكنني سأبقى يقظًا على كلِّ حال».

لثمَته على وجنته، وقالت: «أعرفُ هذا. هلمَّ، عُد بي إلى المأدبة».

في الصَّباح التَّالي استيقظَت داني مفعمةً بأملٍ لم تعرفه منذ مجيئها (خليج النخَّاسين). قريبًا سيعود داريو إلى جوارها، ومعًا سيُبحِران إلى (وستروس). *إلى الوطن*. جلبَت لها واحدة من رهائنها الصِّغار وجبة الصَّباح، فتاة ممتلئة خجول اسمها ميزارا، يَحكُم أبوها هرم ميريك، وضمَّتها داني بسعادةٍ وشكرَتها بقُبلة.

بينما تُلبِسانها ثياب البلاط أخبرَت إيري وچيكوي: «زارو زون داكسوس عرضَ عليّ ثلاثة عشر قادسًا».

غمغمَت چيكوي باللُّغة الدوثراكيَّة: «ثلاثة عشر رقم مشؤوم يا گاليسي، هذا معلوم».

أيَّدتها إيري قائلةً: «هذا معلوم».

وأيَّدتهما داني قائلةً: «لكان ثلاثون قادسًا أفضل، وثلاثمئة أفضل وأفضل. لكن قد يكفي ثلاثة عشر لحملنا إلى (وستروس)».

تبادلَت الفتاتان الدوثراكيَّتان النَّظر، ثم قالت إيري: «المياه المسمومة ملعونة يا گاليسي، الخيول لا تشربها».

قالت داني مُطَمْئِنَةً: «لستُ أنوي أن أشربها».

وجدَت أربعة ملتمسين فقط في انتظارها هذا الصَّباح. كالمعتاد، كان اللورد جايل أول من مثلَ أمامها وقد بدا في حالةٍ أزرى من المعتاد. خرَّ الرَّجل على البلاط عند قدميها، وولولَ: «يا صاحِبة الرَّونق، جيوش (يونكاي) تزحف على (أستاپور). أتوسَّلُ إليكِ أن تأتي جنوبًا بكلِّ قُوَّاتكِ!».

- «لقد حذَّرتُ ملكك من رعونة حربه هذه وأبى أن يُصغي».
- «كليون العظيم سعى للإطاحة بنخَّاسي (يونكاي) فحسب».
- «كليون العظيم نفسه نخَّاس».

- «أعلمُ أن أُمَّ الثَّنانين لن تتخلَّى عنا في ساعة الخطر. أعيرينا مُطهَّريكِ ليُدافِعوا عن أسوارنا».

وإذا فعلتُ فمَن سيُدافِع عن أسواري؟ «كثيرون من معتَقيَّ كانوا عبيدًا في (أستاپور). قد يرغب بعضهم في المساعدة على الدِّفاع عن ملكك. الخيار لهم باعتبارهم رجالًا أحرارًا. لقد أعطيتُ (أستاپور) حرِّيَّتها، ومنوط بكم الدِّفاع عنها».

قال جايل: «إننا لميِّتون إذن. لقد أعطيتِنا الموت لا الحرِّيَّة»، وهبَّ واقفًا وبصقَ في وجهها.

أطبقَ بِلواس القوي على كتفه وهوى به على الرُّخام بعُنفٍ بالغ لدرجة أن داني سمعَت أسنانه تنكسر، وكان الرَّأس الحليق ليفعل ما هو أسوأ لكنها نهَته، وقالت مجفِّفةً وجنتها بطرف توكارها: «كفى. لم يسبق أن ماتَ أحد من البُصاق. خذوه من هنا».

جرُّوا جايل من قدميه تاركين عدَّة أسنان مكسورة وأثرًا من الدَّم على الأرض. كان ليسرُّ داني أن تصرف باقي الملتمسين... لكنها لم تزل ملكتهم، وهكذا سمعَتهم وتفانَت في محاولة تحقيق العدالة لهم.

في ساعةٍ متأخِّرة من الأصيل عادَ الأميرال جروليو والسير باريستان من فحص القوادس، وجمعَت داني مجلسها لسماعهما. حضرَ الدُّودة الرَّمادي عن المُطهَّرين، وسكاهاز مو كانداك عن الوحوش النُّحاس، وفي غياب خيَّالة دمها جاءَ چاكا رهان[(35)] مسنٌّ ضيِّق العينين مقوَّس السَّاقين اسمه رومو نيابةً عن الدوثراكي. أمَّا المعتَقون فمثَّلهم قادة الجماعات الثَّلاث التي كوَّنتها؛ مولونو يوس دوب عن الثُّروس المقدامة، وسايمون ذو الظَّهر المخطَّط عن الإخوة الأحرار، ومارسلن عن رجال الأُم. عند مِرفق الملكة حامَ رزناك مو رزناك، ووقفَ بِلواس القوي وراءها عاقدًا ذراعيه الضَّخمتين على صدره. لن تفتقر داني إلى المشورة.

كان جروليو في غاية التَّعاسة منذ فكَّكوا سفينته لبناء معدَّات الحصار التي ربحَت بها (ميرين)، وقد حاولَت داني مواساته بتعيينه أميرالها، لكنه تكريم أجوف، فالأسطول الميرينيزي أبحرَ إلى (يونكاي) عندما اقتربَت داني من المدينة، أي أن الپنتوشي العجوز أميرال بلا سُفن. إلَّا أنه يبتسم الآن مِلء شدقيه من تحت لحيته الموخوطة بالأبيض، وهي الابتسامة التي كادَت داني تنساها.

سألَت آملةً: «السُّفن سليمة إذن؟».

- «سليمة بما فيه الكفاية يا جلالة الملكة. إنها سُفن قديمة، لكن جيِّدة الصِّيانة. بدن (الأميرة النَّقيَّة) متآكل من الدِّيدان، ولا أنصحُ بإبعادها كثيرًا عن اليابسة. (الناراكا) محتاجة إلى دقَّةٍ وحبالٍ جديدة، (والسَّحليَّة المطوَّقة) بعض مجاذيفها مكسور، لكنهما مناسبتان. الملَّاحون عبيد، لكن إذا عرضنا عليهم أجرًا لائقًا سيبقى أكثرهم معنا. إنهم لا يعرفون إلَّا التَّجذيف. ومَن يرحلون سنستعيض عنهم برجالٍ من أطقُمي. الرِّحلة إلى (وستروس) طويلة شاقَّة، لكن هذه السُّفن سليمة بما يكفي لأخذنا إلى هناك في تقديري».

أصدرَ رزناك مو رزناك أنينًا يُثير الشَّفقة، وقال: «الأمر صحيح إذن. صاحِبة العبادة تنوي تركنا»، وهزَّ يديه ملتاعًا، وتابعَ: «لحظة أن ترحلي سيُعيد اليونكيُّون الأسياد العظام إلى الحُكم، ونحن من خدمنا قضيَّتكِ بكلِّ إخلاصٍ سنُقتَّل، وستُغتصَب زوجاتنا العزيزات وبناتنا العذروات ويُستعبَدن».

دمدمَ الرَّأس الحليق: «لن يَحدُث ذلك لنسوتي. سأقتلهم أولًا بيدَي»، وصفعَ مقبض سيفه.

وشعرَت داني كأنه صفعَها هي، فقالت: «إذا كنتم تخشون ما قد يقع حين أرحلُ فتعالوا معي إلى (وستروس)».

أعلنَ مارسلن أخو ميسانداي الباقي: «أينما تذهب أُم الثَّنانين سيتبعها رجال الأُم».

- «كيف؟»، سألَ سايمون المسمَّى ذو الظَّهر المخطَّط لشبكة النُّدوب المتقاطعة على ظَهره وكتفيه، تذكيرًا بالجَلد الذي عاناه وهو عبد في (أستاپور). «ثلاث عشرة سفينةً... العدد لا يكفي، وقد لا تكفي مئة سفينة».

أضافَ الچاكا رهان العجوز رومو باعتراض: «الخيول الخشبيّة لا تنفع. الدوثراكي سيركبون».

اقترحَ الدُّودة الرَّمادي قائلًا: «هؤلاء الآحاد يُمكنهم السَّير على اليابسة بمحاذاة السَّاحل، بحيث تُسايِر السُّفن الرَّتل وتُزوِّده بالمؤن».

قال الرَّأس الحليق: «قد يَصلُح هذا إلى أن تَبلُغوا أطلال (بوراش)، لكن بعدها على السُّفن أن تنعطف إلى الجنوب مرورًا بـ(تولوس) و(جزيرة الأَرز)، ثم تُبحِر من حول (ڤاليريا) فيما يُواصِل المُشاة الطَّريق إلى (مانتاريس) على طريق التَّنانين القديم».

عقَّب مولونو دوس يوب: «طريق الشَّياطين كما يُسمُّونه الآن». بيديه المصبوغتين بالحبر وكرشه الكبير يبدو قائد الثُّروس المقدامة الممتلئ كنسَّاخ أكثر من جُندي، لكنه لا يفتقر إلى الذَّكاء على الإطلاق. «سيموت كثيرون منا».

ولولَ رزناك: «الباقون في (ميرين) سيحسدونهم على موتهم السَّهل. سنُستَعبَد أو نُلقى في الحلبات. كلُّ شيءٍ سيعود كما كان أو أسوأ».

قال السير باريستان محتدًّا: «أين شَجاعتكم؟ لقد حرَّرتكم جلالتها من أغلالكم، وعليكم أنتم أن تشحذوا سيوفكم وتُدافِعوا عن حرِّيَّتكم حينما ترحل».

زمجرَ سايمون ذو الظَّهر المخطَّط: «كلام شُجاع من واحدٍ ينوي الإبحار إلى مغرب الشَّمس. هل ستُلقي نظرةً وراءك حين نموت؟».

- «صاحِبة الجلالة...».

- «صاحِبة السُّمو...».

- «صاحِبة العبادة...».

صفقَت داني المائدة قائلةً: «كفى! لن يُترَك أحد للموت. كلُّكم قومي». لقد أعمَتها أحلامها بالوطن والحُبِّ. «لن أتخلَّى عن (ميرين) ليُحيق بها مصير (أستاپور). يُحزِنني أن أقول هذا، لكن على (وستروس) أن تنتظر».

قال جروليو مبهوتًا: «يجب أن نقبل السُّفن. إذا رفضنا هذه الهديَّة...».

جثا السير باريستان على رُكبته أمامها قائلًا: «مليكتي، بلادكِ في حاجةٍ إليكِ. وجودكِ هنا غير مرغوب، لكن في (وستروس) سيتوافَد النَّاس إلى راياتكِ بالآلاف، اللوردات العظام والفُرسان النُّبلاء، وسيهتف بعضهم لبعض: *لقد جاءَت، أخت الأمير ريجار عادَت إلى الوطن أخيرًا*».

قالت داني: «إذا كان حبُّهم لي جمًّا هكذا فسينتظرونني»، ونهضَت مستطردةً: «رزناك، استدعِ زارو زون داكسوس».

استقبلَت الأمير التَّاجر بمفردها جالسةً على الدِّكَّة الأبنوس فوق الوسائد التي زوَّدها بها السير باريستان. صاحبَه أربعة بحَّارة كارثين يحملون جداريَّةً ملفوفةً على أكتافهم، وأعلنَ زارو: «أحضرتُ هديَّةً أخرى لملكة قلبي. كانت في خزائن عائلتي من قبل أن يأتي الهلاك على (ڤاليريا)».

بسطَ البحّارة الجداريّة على الأرض، ووجدَتها داني قديمةً متربةً باهتةً... وضخمةً. اضطرّت إلى الوقوف إلى جانب زارو حتى تتّضح الصورة، ثم قالت: «خريطة؟ إنها جميلة». غطّت الخريطة نِصف أرضيّة القاعة. البحار زرقاء، واليابسة خضراء، والجبال سوداء وبنّيّة، والمُدن نجوم من الخيوط الذّهبيّة أو الفضّيّة. (*بحر الدُّخان) ليس موجودًا. لم تُصبِح (ڤاليريا)* جزيرةً بعدُ.

قال زارو مشيرًا إلى ثلاث نجماتٍ فضّيّة عند أزرق (خليج النخّاسين): «هنا ترين (أستاپور) و(يونكاي) و(ميرين). (وستروس) في... مكانٍ ما هناك»، ولوّح بيده بإبهامٍ نحو طرف القاعة، وواصلَ «أنتِ انعطفتِ شمالًا وقد كان عليكِ الاستمرار جنوبًا وغربًا عبر (بحر الصّيف)، لكن بهديّتي ستعودين إلى حيث تنتمين قريبًا. اقبلي قوادسي بقلبٍ فرِح ووجّهي مجاذيفكِ غربًا».

ليتني أستطيعُ. قالت: «سيّدي، يسرُّني أن أقبل هذه السُّفن، لكنني لا أستطيعُ أن أعدك بما تَطلُبه»، وأمسكَت يديه مردفةً: «أعطِني القوادس وأقسمُ لك أن (كارث) ستحظى بصداقة (ميرين) حتى تنطفئ النُّجوم. دعني أتاجرُ بها وستنال نصيبًا لا بأس به من المكسب».

ماتَت ابتسامة زارو على شفتيه، وسألَها: «ماذا تعنين؟ هل تقولين لي إنكِ لن ترحلي؟».

- «لا يُمكنني أن أرحل».

ملأَت عينيه الدُّموع وسالَت على أنفه بما فيه من زمرُّد وجمَشت وماس أسود، وقال: «قلتُ للثَّلاثة عشر إنك ستُنصِتين إلى حكمتي. يُحزِنني أن أعلم أنني كنتُ مخطئًا. خُذي السُّفن وأبحِري وإلَّا فلا مفرَّ من أن تموتي صارخةً. لستِ تعرفين كم عدوًّا صنعتِ».

أعرفُ أن أحدهم يقف أمامي الآن يذرف الأدمُع الزَّائفة. أحزَنها أن تُدرِك هذا.

تابعَ زارو: «حين ذهبتُ إلى (قاعة الألف عرش) أتوسَّلُ إلى أنقياء الميلاد أن يَترُكوكِ حيَّةً قلتُ لهم إنكِ مجرَّد طفلة، لكن إيجون إمروس البهي نهضَ وقال: *إنها طفلة حمقاء، مجنونة نزِقة وأخطر من أن تعيش.* في صِغرها كانت تنانينكِ أعجوبةً، لكن بعد أن نمَت فهي الموت والدَّمار، سيف مصلت على رقبة العالم»، وجفَّف دموعه مضيفًا: «كان حريًّا بي أن أقتلكِ في (كارث)».

ردَّت: «كنتُ ضيفةً تحت سقفك، أكلتُ طعامك وشربتُ شرابك. في ذكرى كلِّ ما فعلته من أجلي سأغفرُ لك ما قلته... هذه المرَّة... لكن إياك أن تُهدِّدني ثانيةً».

- «زارو زون داكسوس لا يُهدِّد، بل يَعِد».

استحالَ حُزنها إلى حنق، وقالت: «وأنا أعدُك، إذا لم ترحل قبل شروق الشَّمس سنرى كيف لدموع كذَّابٍ أن تُطفئ نار التَّنانين. اترُكني يا زارو، بسرعة!».

وذهبَ لكنه تركَ عالمه. عادَت داني تجلس على الدَّكَّة وتطلَّعت عبر البحر الأزرق الحرير إلى (وستروس) البعيدة، ووعدَت نفسها: *يومًا ما.*

في الصَّباح الثَّالي رحلَت سفينة زارو، لكن «الهديَّة» التي جلبَها ظلَّت في (خليج النخَّاسين). على صواري القوادس الكارثينيَّة الثَّلاثة عشر خفقَت أعلام طويلة حمراء، وعندما نزلَت دنيرس من مسكنها لتعقد البلاط وجدَت رسولًا من الشُّفن في انتظارها. لم ينبس الرَّجل ببنت شفة، لكنه وضع عند قدميها وسادةً من الساتان الأسود عليها فردة قُفَّازٍ واحدة ملطَّخة بالدِّماء.

تساءلَ سكاهاز: «ما هذا؟ قُفَّاز دام...».

قالت الملكة: «... يعني الحرب».

---

(35) الچاكا رهان عند الدوثراكي هُم الرِّجال الذين يتولُّون القتل الرَّحيم بعد المعركة. (المُترجم).

قال إد الكئيب رافعًا القنديل وهو يقود چون على السَّلالم إلى أسفل: «احترس من الجرذان يا سيِّدي. إنها تُطلِق صريرًا مريعًا إذا دُستها. اعتادَت أمِّي أن تُصدِر صوتًا مشابهًا في صِغري، ويبدو لي الآن أن جزءًا منها كان جرذًا. شَعر بنِّي، عينان خرزيَّتان صغيرتان، تحبُّ الجُبنة. ربما كان لها ذيل أيضًا، لم ألقِ نظرةً لأرى».

(القلعة السَّوداء) كلُّها موصولة تحت الأرض بمتاهة الأنفاق التي يُسمِّيها الإخوة «المسالك الدُّوديَّة». تحت الأرض مظلم كئيب، ولذا قلَّما تُستخدَم المسالك الدُّوديَّة خلال الصَّيف، لكن متى هبَّت رياح الشِّتاء وبدأت الثُّلوج تَسقُط أمسَت الأنفاق أيسر السُّبل للتَّنقُّل عبر القلعة. بدأ الوُكلاء يستخدمونها بالفعل، إذ رأى چون شموعًا مشتعلةً في عدَّة كُوَّاتٍ في الحوائط وهما يشقَّان طريقهما يسبقهما صدى خُطواتهما.

كان باون مارش منتظرًا في نُقطة تتقاطَع عندها أربعة أنفاق، ومعه ويك المهزول بقامته الفارعة وقوامه الرَّفيع كالحربة. قال مارش مناولًا چون حزمةً سميكةً من الورق: «هذه هي نتيجة الجرد الذي أجريناه قبل ثلاثة أقمار للمقارنة بمؤونتنا الحاليَّة. هل نبدأ بصوامع الحبوب؟».

تحرَّكوا في العتمة الرَّماديَّة تحت الأرض. لكلِّ مخزنٍ باب متين من خشب السَّنديان موصَد بقفلٍ كبير بحجم طبق العَشاء، وهو ما حضَّ چون على أن يسأل: «هل نُعاني مشكلة اختلاس؟».

أجابَ مارش: «ليس بعدُ، لكنني أنصحُ حضرة اللورد بأن يضع حراسةً هنا ما إن يحلَّ الشِّتاء».

يُعلِّق ويك المهزول المفاتيح من حلقةٍ حول رقبته، ومع أنها بدَت جميعًا متشابهةً لجون فقد وجدَ ويك مفتاح كلِّ بابٍ بسهولة، وفي الدَّاخل يأخذ قطعة طباشير بحجم القبضة من جرابه ويضع علامةً على كلِّ قفصٍ وجوالٍ وبرميلٍ وهو يُحصيها، فيما يُقارِن مارش الأرقام القديمة بالجديدة.

في صوامع الحبوب شوفان وقمح وشعير وبراميل من الدَّقيق المطحون الخشن، وفي الأقبية السُّفليَّة حُزم من البصل والثُّوم معلَّقة من عوارض السَّقف، وتملأ الرُّفوف أجولة الجزر البرتقالي والأبيض والفجل واللِّفت الأبيض والأصفر. في أحد المخازن قوالب جُبنة كبيرة لدرجة أن تحريك الواحد منها يحتاج إلى رجلين، وفي التَّالي صفوف من براميل لحوم البقر والخنازير والخراف وسَمك القُد المملَّحة ترتفع عشرة أقدام. في القبو الواقع تحت معمل تدخين اللُّحوم ثلاثمئة فخذ خنزير وثلاثة آلاف قطعة طويلة من السُّجق معلَّقة من السَّقف، وفي خزانة التَّوابل فلفل أسود وقرنفل وقرفة وخردل وكزبرة ومراميَّة تقليديَّة ومتصلِّبة وبقدونس وقوالب من الملح. بالإضافة إلى هذا هناك براميل من التُّفَّاح والكمَّثرى والبازلاء المجفَّفة والتِّين المجفَّف، وأجولة من الجوز والكستناء واللَّوز، وصناديق من السلمون المدخَّن الجاف، وجِرار فخَّار من الزَّيتون المعبَّأ في زيته مغلقة بالشَّمع، وفي مخزن آخَر أرانب برِّيَّة مطبوخة ومحفوظة وأفخاذ غزلان بالعسل ومخلَّل الكرنب والبنجر والبصل والبيض والرِّنجة.

ازدادَت المسالك الدُّوديَّة برودةً بإطرادٍ مع انتقالهم من حُجرةٍ إلى أخرى، وسرعان ما بدأ چون يرى أنفاسه تتجمَّد في ضوء القنديل، فقال: «نحن تحت (الجِدار)».

قال مارش: «وقريبًا داخله. اللَّحم لا يتلف في البرد. إنه أفضل من التَّمليح في التَّخزين الطَّويل».

الباب التَّالي من الحديد الصَّدئ وراءه سلالم خشبيَّة. قادَ إد الكئيب الطَّريق بقنديله، وبالأعلى وجدوا نفقًا بطول قاعة (وينترفل) الكُبرى، وإن لم يكن أعرض من سائر المسالك الدُّوديَّة. الجُدران من الجليد الذي تَبرُز منه الخطاطيف الحديد، ومن كلِّ خُطَّافٍ تتدلَّى جُثث مسلوخة لغزلان وإلكات وأنصاف أبقار وخنازير ضخمة وخراف وماعز بلا رؤوس، وحتى خيول ودببة، والصَّقيع يُغطِّيها كلَّها.

بينما يُجرون الجرد خلعَ چون قُفَّاز يده اليُسرى ولمسَ أقرب غزالة، فأحسَّ بأصابعه تلتصق ولمَّا سحبَها وجدَها فقدَت القليل من الجِلد وسرى الخدر في أنامله. *ماذا توقَّعت؟ ثمَّة جبل من الجليد فوق رأسك، أطنان أكثر من أن يُحصيها باون مارش نفسه*. وعلى الرغم من هذا كانت الحُجرة أبرد مما ينبغي.

بعد فروغهم أعلنَ مارش بنبرةٍ أكثر كآبةً من إد الكئيب: «الوضع أسوأ مما خشيتُ يا سيِّدي».

كان چون يعتقد أنهم محاطون بكلِّ ما في العالم من لحوم. *لست تعلم شيئًا يا چون سنو*. «كيف؟ يبدو لي أن الطَّعام فائض».

- «كان صيفًا طويلًا حصاده وفير واللوردات أسخياء. لقد خزنَّا ما يكفينا ثلاث سنواتٍ من الشِّتاء، أربع بالقليل من الاقتصاد، لكن الآن إذا استمرَرنا في إطعام رجال الملك ورجال الملكة والهَمج... (بلدة المناجذ) وحدها فيها ألف فم عديم الفائدة، وما زالوا يتوافَدون. ثلاثة آخَرون ظهروا عند البوَّابة أمس، ودستة أول من أمس. لا يُمكن أن يستمرَّ هذا. توطينهم في (الهديَّة)، لا بأس بهذا، لكن أوان زراعة المحاصيل فاتَ. لن يبقى لنا إلَّا اللِّفت وثريد البازلاء قبل نهاية السَّنة، وبعدها سنشرب دماء خيولنا».

أعلنَ إد الكئيب: «يَم! لا شيء أفضل من كوبٍ من دم الخيول السَّاخن في اللَّيالي الباردة. أحبُّه بالقليل من القرفة على الوجه».

لم يُعِره قيِّم الوُكلاء اهتمامًا، وتابعَ: «سيكون هناك مرض أيضًا، نزيف في اللِّثة وأسنان مخلخلة. المِايستر إيمون اعتادَ أن يقول إن عصير اللَّيمون الأخضر واللَّحم الطَّازج يُعالِجان هذا، لكن ليموننا الأخضر نفدَ منذ عام وليس عندنا علف يكفي لإطعام قُطعانٍ من الحيوانات من أجل لحمها الطَّازج. علينا أن نذبحها جميعًا باستثناء بعض أزواج الاستيلاد، حانَ الوقت لهذا. في الأشتية الماضية كان الطَّعام يأتي من الجنوب على (طريق الملوك)، لكن مع الحرب... أعرفُ أننا ما زلنا في الخريف، لكنني أوصي بأن نلجأ إلى تموين الشِّتاء بعد إذن سيِّدي».

سيحبُّ الرِّجال هذا. «إن لم يكن هناك مفر». *إذا كان إخواني يشتكون مني الآن فماذا سيقولون وهُم يأكلون الثَّلج ومعجون جوز البلُّوط؟*

قال قيِّم الوُكلاء: «سيُساعِد هذا يا سيِّدي»، لكن نبرته قالت بوضوحٍ إنه لن يُساعِد بما فيه الكفاية.

قال إد الكئيب: «الآن أفهمُ لماذا سمحَ الملك ستانيس للهَمج بالمرور من (الجِدار). إنه يُريدنا أن نأكلهم».

ابتسمَ چون رغمًا عنه، وردَّ: «لن تَبلُغ الأمور ذلك الحد».

- «أوه، عظيم. لحمهم يبدو لي قاسيًا، وأسناني لم تَعُد حادَّةً كما كانت في شبابي».

قال مارش: «بما يكفي من مالٍ يُمكننا أن نشتري طعامًا من الجنوب ونجلبه بالسُّفن».

يُمكننا ذلك لو أن عندنا ذهبًا ووجدنا من يقبل أن يبيعنا طعامًا. وهذا وذاك يفتقرون إليه. *قد يكون أملنا الأقوى في (العُش)*. (وادي آرن) شهير بخصوبته ولم يمسَّه القتال. تساءلَ چون عن شعور أخت الليدي كاتلين نحو إطعام نغل ند ستارك. في طفولته كثيرًا ما شعرَ بأن الليدي تبخل عليه بكلِّ قضمةٍ من الطَّعام.

أضافَ ويك المهزول: «نستطيع الصَّيد دائمًا إذا دعَت الحاجة. ما زالَت في الغابة فرائس».

قال مارش: «وهَمج، وأشياء أخطر. لا أنصحُ بأن نُرسِل صيَّادين يا سيِّدي، لا أنصحُ بذلك بتاتًا».

نعم، بل تُريد إغلاق بوَّاباتنا إلى الأبد وسدَّها بالحجارة والجليد. يعلم أن نِصف (القلعة السَّوداء) يُؤيِّد قيِّم الوُكلاء في وجهة نظره، في حين يُهيل النِّصف الثَّاني عليها السُّخرية. قبل ليلتين أعلنَ الحطَّاب العجوز دايوين بصوتٍ عالٍ على العَشاء: «سدُّوا البوَّابات وازرعوا مؤخِّراتكم السَّوداء فوق (الجِدار)، نعم، وسينقضُّ الأحرار عليكم بأعدادهم الغفيرة من (جسر الجماجم) أو عبر بوَّابةٍ تظنُّونها مسدودةً منذ خمسمئة عام. ليس عندنا رجال يكفون لمراقَبة مئة فرسخٍ من (الجِدار)، وتورموند إست العماليق والبكَّاء اللَّعين يعرفون هذا أيضًا. هل سبقَ أن رأيتم بطَّةً متجمِّدةً في بِركةٍ بساقيها في الجليد؟ الشَّيء نفسه مع الغِربان». اتَّفق أكثر الجوَّالة مع دايوين، فيما مالَ الوُكلاء والبنَّاؤون إلى رأي باون مارش.

لكنه مأزق ليومٍ آخَر. هنا والآن المشكلة هي الطَّعام. قال چون: «لا يُمكننا أن نَترُك الملك ستانيس ورجاله يجوعون حتى إذا أردنا. إذا لزمَ الأمر فبإمكانه ببساطةٍ أن يأخذ كلَّ هذا بحدِّ السَّيف. رجالنا لا يكفون لصدِّ رجاله. ولا بُدَّ من إطعام الهَمج أيضًا».

سألَه باون مارش: «كيف يا سيِّدي؟».

ليتني أعرفُ. «سنجد وسيلةً».

لدى عودتهم إلى السَّطح كانت ظلال الأصيل قد بدأت تستطيل، وخطَّط السَّحاب السَّماء كراياتٍ رثَّة، رماديَّة وبيضاء وممزَّقة. خارج مستودَع السِّلاح السَّاحة خالية، لكن چون وجدَ مُرافق الملك ينتظره بالدَّاخل. دقان غُلام نحيل في الثَّانية عشرة تقريبًا، بنِّي الشَّعر والعينين، وقد وجدوه متجمِّدًا عند كور الحدادة، يكاد لا يَجسُر على الحركة بينما يتشمَّمه جوست من عاليه إلى سافله. قال چون: «لن يُؤذيك»، لكن الغُلام جفلَ لمَّا سمعَ صوته، وجعلَت الحركة المفاجئة الذِّئب الرَّهيب يكشف أسنانه، فأسرعَ چون يقول: «لا! جوست، دعه وشأنه، ابتعِد!»، فعادَ الذِّئب بخُطى صامتة إلى عظمة الثَّور التي كان يأكلها.

بدا دقان بشحوب جوست وقد رطَّب جبهته العَرق وهو يقول: «سسيِّدي، جلالته يـيأمرك بالحضور». يرتدي الغُلام ثياب عائلة باراثيون بلونيها الذَّهبي والأسود، وفوق قلبه قلب رجال الملكة النَّاري.

قال إد الكئيب: «تعني أنه يَطلُب، جلالته يَطلُب حضور حضرة القائد. هذا ما كنتُ لأقوله».

- «لا عليك يا إد». ليس چون في مزاجٍ يسمح بمِثل هذا الجدل.

تابعَ دقان: «السير ريتشارد والسير چاستن عادا. هل ستأتي يا سيِّدي؟».

جوَّالا الطَّريق الخطأ. ركبَ ماسي وهورپ جنوبًا لا شمالًا، وما حصَّلاه أيًّا كان لا يعني حَرس اللَّيل، غير أن چون شعرَ بالفضول رغم ذلك. قال: «تحت أمر جلالته»، وتبعَ المُرافق الصَّغير عبر السَّاحة، ومضى جوست وراءهما إلى أن قال چون: «لا، ابقَ!»، لكن بدلًا من ذلك انطلقَ الذِّئب يعدو مبتعدًا.

في (بُرج الملك) جُرِّدَ چون من أسلحته ثم سُمِحَ له بالمثول أمام صاحِب الجلالة الملكيَّة. وجدَ الغُرفة الشَّمسيَّة حارَّةً مزدحمةً، وقد جمعَ ستانيس قادته حول خريطة الشَّمال. جوَّالا الطَّريق الخطأ بينهم، وكذا سيجورن ماجنَر (ثِن) الشَّاب الذي يرتدي سُترةً من الجِلد مخيطة عليها أقراص البرونز، وذو القميص المُخشخِش الجالس يحكُّ معصمه المصفود بظُفرٍ أصفر مشقَّق، تُغطِّي جُذامة الشَّعر البنِّي وجنتيه الغائصتين وذقنه المسحوب، وتتدلَّى خُصل من الشَّعر المتَّسخ على عينيه. حين رأى چون قال: «ها هو ذا، الصَّبي الشُّجاع الذي قتلَ مانس رايدر وهو حبيس مقيَّد». التمعَت الجوهرة المربَّعة الكبيرة التي تُزيِّن صفده الحديدي بلونٍ أحمر، فاستطردَ: «هل تُعجِبك ياقوتتي يا سنو؟ إنها أمارة على الحُبِّ من الليدي أحمر».

تجاهلَه چون وجثا، وأعلنَ دقان: «جئتُ باللورد سنو يا جلالة الملك».

- «أرى هذا. حضرة القائد، أعتقدُ أنك تعرف فُرساني وقادتي».

- «لي هذا الشَّرف». لقد تحرَّى الدِّقَّة في معرفة كلِّ ما يستطيع عن الرِّجال المحيطين بالملك. *كلُّهم رجال الملكة*. يبدو غريبًا لچون أن حول الملك لا رجال ملك، لكنه الأمر الواقع. إذا صدقَ ما سمعَه فقد أثارَ رجال الملك حفيظة ستانيس في (دراجونستون).

- «هناك نبيذ، أو ماء مغلي باللَّيمون».

- «أشكرك، لكن لا».

قال الملك: «كما تشاء. لديَّ هديَّة لك أيها اللورد سنو»، وأشارَ إلى ذي القميص المُخشخِش مضيفًا: «هو».

ابتسمَت الليدي مليساندرا، وقالت: «قلت إنك تُريد رجالًا أيها اللورد سنو. أظنُّ أن سيِّد العظام ما زالَ أهلًا».

ردَّ چون مشدوهًا: «جلالة الملك، هذا الرَّجل ليس جديرًا بالثِّقة. إذا أبقيته هنا فسيذبحه أحدهم، وإذا أرسلته يتقصَّى فسيعود إلى الهَمج».

قال ذو القميص المُخشخِش: «ليس أنا. لقد انقطعَت علاقتي بهؤلاء الملاعين الحمقى»، ونقرَ على الياقوتة على معصمه مردفًا: «سَل ساحرتك الحمراء أيها النَّغل».

نطقَت مليساندرا شيئًا ما بنعومةٍ بلُغةٍ غريبة، فبدأت الياقوتة على حَلقها تنبض ببُطء، ورأى چون الأخرى الأصغر على معصم ذي القميص المُخشخِش تَبرُق وتنطفئ أيضًا، ثم قالت الرَّاهبة الحمراء: «ما دامَ يضع الحلية فهو مربوط بي دمًا وروحًا. سيخدمك هذا الرَّجل بإخلاص. اللَّهب لا يكذب يا لورد سنو».

ربما، لكنكِ تكذبين.

أعلنَ ذو القميص المُخشخِش: «سأتقصَّى من أجلكم أيها النَّغل، وسأعطيكم نصائح سديدةً أو أغنِّي لكم أغاني حُلوةً، كما تُفضِّل، بل وسأقاتلُ من أجلكم، لكن لا تَطلُب مني أن أرتدي معطفكم».

فكَّر چون: *لست جديرًا بواحد*، لكنه حفظَ لسانه، فلا طائل من الشِّجار أمام الملك.

قال الملك ستانيس: «لورد سنو، حدِّثني عن مورس أومبر».

أخبرَ چون نفسه: *حَرس اللّيل لا يتدخّلون*، لكن صوتًا آخَر في داخله قال: *الكلام ليس سيفًا*. «إنه أكبر أعمام چون الكبير. يُسمُّونه أكل الغُراب، لأن غُرابًا حسبَه ميتًا ذات مرَّةٍ ونقرَ عينه ففقأها، فأمسكَ الطّائر بقبضته وقضمَ رأسه. في شبابه كان مورس محاربًا مهيبًا. أبناؤه ماتوا في معركة (الثّالوث) وزوجته في فِراش الوضع، وابنته الوحيدة اختطفَها الهَمج قبل ثلاثين عامًا».

قال هاروود فِل: «لهذا يُريد الرَّأس!».

سألَ ستانيس: «هل هذا الرَّجل مورس أهل للثِّقة؟».

هل ركعَ مورس أومبر؟ «على جلالتك أن تجعله يحلف يمينًا أمام شجرة قلوب».

قهقهَ جودري قاتِل العمالقة، وقال: «نسيتُ أنكم تَعبُدون الأشجار يا معشر الشّماليِّين».

وتساءلَ كلايتون سوجز صاحِب فارنج: «ما الإله الذي يسمح للكلاب بالتّبوُّل عليه؟».

اختارَ چون أن يتجاهَلهما، وقال: «جلالة الملك، هل لي أن أعرف إن كان آل أومبر قد أعلنوا تأييدهم إياك؟».

أجابَه ستانيس بضيق: «نِصفهم، وفقط إذا دفعتُ الثَّمن الذي يَطلُبه أكل الغُراب هذا. إنه يُريد جمجمة مانس رايدر ليجعل منها كأسًا للشَّراب، ويُريد عفوًا عن أخيه الذي ركبَ جنوبًا للانضمام إلى بولتون، هذا الذي يُدعى بباقِر العاهرة».

وجدَ السير جودري هذا أيضًا طريفًا، فقال: «يا لأسماء هؤلاء الشّماليِّين! هل قضمَ هذا رأس عاهرةٍ ما؟».

حدجَه چون ببرودٍ مجيبًا: «شيء شبيه بهذا. كانت عاهرةً حاولَت أن تسرقه قبل خمسين عامًا في (البلدة القديمة)». على الرغم من غرابة هذا، فقد اعتقدَ هورفروست أومبر العجوز ذات يومٍ أن أكبر أبنائه يملك ما يُؤهِّله لأن يكون مِايستر. يطيب لمورس التَّباهي بحكاية الغُراب الذي سلبَه عينه، في حين لا تُحكى حكاية هوثر إلَّا همسًا... غالبًا لأن العاهرة التي بقرَ بطنها كانت رجلًا. «هل أعلنَ لوردات آخَرون تأييدهم بولتون؟».

دنَت الرَّاهبة الحمراء من الملك قائلةً: «رأيتُ مدينةً أسوارها من خشب وشوارعها من خشب، مليئةً بالرِّجال، وفوق الأسوار رأيتُ رايات؛ موظًا[36]، وفأسًا حربيَّةً، وثلاث أشجار صنوبر، وبلطتين طويلتين متقاطعتين تحت تاج، ورأس حصانٍ ناري العينين».

شرحَ السير كلايتون سوجز: «هورنوود وسروين وتولهارت وريزويل وداستن. خونة جميعًا، كلاب آل لانستر الذَّليلة».

أخبرَه چون: «آل ريزويل وآل داستن أصهار عائلة بولتون. الآخَرون فقدوا لورداتهم في القتال، ولا أدري من يقودهم الآن، لكن أكل الغُراب ليس كلبًا ذليلًا. من صالح صاحِب الجلالة أن يقبل شروطه».

قال ستانيس وهو يكزُّ على أسنانه: «يقول لي إن أومبر لن يُقاتِل أومبر لأيِّ سبب».

ردَّ چون بلا دهشة: «إذا بلغَ الأمر حدَّ القتال فانظُر أين تخفق راية هوثر وضع مورس على الجانب الآخَر من الصُّفوف».

خالفَه قاتِل العمالقة بقوله: «بهذا ستجعل جلالته يبدو ضعيفًا. رأيي أن نُظهِر قوَّتنا. فلنُحرِق (المستوقَد الأخير) عن بكرة أبيها ونذهب إلى الحرب برأس أكل الغُراب مرفوعًا على حربةٍ كدرسٍ للورد التَّالي الذي يتجرَّأ على عرض نِصف بيعته».

- «خطَّة جيِّدة إذا أردت أن ترتفع كلُّ يدٍ في الشَّمال ضدك. النِّصف أكثر من لا شيء. آل أومبر لا يكنُّون حُبًّا لآل بولتون. إذا انضمَّ باقِر العاهرة إلى النَّغل فالسَّبب الأكيد أن چون الكبير أسير عند آل لانستر».

أعلنَ السير جودري: «هذه ذريعته لا سببه. إذا مات ابن الأخ في الأَسر فالعمَّان يستطيعان أخذ أراضيه ولورديَّته لنفسيهما».

- «لچون الكبير أبناء وبنات. في الشَّمال أيضًا يسبق أولاد الرَّجل أعمامه أيها الفارس».

- «ما لم يموتوا. الأولاد الموتى يأتون في النِّهاية في كلِّ مكان».

- «اقترِح هذا على مسمع مورس أومبر أيها السير جودري وستعرف عن الموت أكثر مما ترغب».

- «لقد قتلتُ عملاقًا يا ولد. لماذا أخشى شماليًّا تسعى على جسده البراغيث ويرسم عملاقًا على تُرسه؟».

- «العملاق كان يفرُّ. مورس لن يفرَّ».

قال الرَّجل الكبير بوجهٍ احتقنَ: «تتكلَّم بجراْةٍ في غُرفة الملك يا ولد. في السَّاحة كان كلامك مختلفًا».

- «أوه، هوِّن عليك يا جودري»، قال السير چاستن ماسي، وهو فارس ممتلئ مرتخي الأطراف له شَعر كتَّاني وابتسامة حاضرة، وكان أحد جوَّالَي الطَّريق الخطأ. «كلُّنا يعلم أن سيفك كبير ضخم بالتَّأكيد. لا داعي لأن تُلوِّح به في وجوهنا ثانيةً».

- «الشَّيء الوحيد الذي يُلوِّح به أحد هنا هو لسانك يا ماسي».

قال ستانيس بحدَّة: «صمتًا!»، ثم وجَّه كلامه إلى چون: «لورد سنو، انتبِه إليَّ. لقد لبثتُ هنا على أمل أن يكون الهَمج بالحُمق الكافي لشنِّ هجمةٍ أخرى على (الجِدار)، لكن ما داموا لن يفعلوا ما توقَّعته فقد حانَ الوقت لأن أتعامل مع أعدائي الآخَرين».

ردَّ چون بنبرةٍ حذرة: «مفهوم». *ماذا يُريد مني؟* «إنني لا أحبُّ اللورد بولتون أو ابنه، لكن حَرس اللَّيل لا يستطيعون أن يحملوا السِّلاح ضدهما. يميننا تُحرِّم علينا...».

قاطعَه الملك: «أعرفُ يمينكم جيِّدًا. أعفِني من استقامتك أيها اللورد سنو. إن قُوَّاتي كافية من دونكم. إنني أفكِّرُ في الزَّحف على (معقل الخوف)»، فلمَّا رأى الصَّدمة على وجه چون ابتسمَ وقال: «هل فاجأك هذا؟ عظيم. ما يُفاجِئ سنو قد يُفاجِئ آخَر. لقد ذهبَ نغل بولتون جنوبًا وأخذَ معه هوثر أومبر، وهو ما اتَّفق عليه مورس أومبر وآرنولف كارستارك كلاهما. المعنى الوحيد لهذا هجمة على (خندق كايلن) ليفتح الطَّريق لأبيه كي يعود إلى الشَّمال. لا بُدَّ أن النَّغل يحسب أنني أكثر انشغالًا بالهَمج من أن أزعجه. لا بأس. لقد كشفَ لي الصَّبي عُنقه، وأنا أنوي تمزيقه. قد يستردُّ رووس بولتون الشَّمال، لكن حين يفعل فسيجد قلعته وماشيته ومحاصيله في قبضتي. إذا داهمتُ (معقل الخوف) على حين غرَّة...».

اندفعَ چون يقول: «لن تفعل».

كأنه ضربَ عُشَّ دبابير بعصا. ضحكَ أحد رجال الملكة، وبصقَ آخَر، وتمتمَ ثالث بشتيمة، وحاولَ الآخَرون الكلام في آنٍ واحد. قال السير جودري قاتِل العمالقة: «الصَّبي في عروقه لبن لا دماء»، فيما صاحَ اللورد سويت غاضبًا: «الجبان يرى مجرمًا وراء كلِّ عود عُشب».

رفعَ ستانيس يده آمرًا بالصَّمت، وقال: «فسِّر ما تعنيه».

من أين أبدأ؟ اقتربَ چون من الخريطة التي وُضِعَت الشُّموع على أطرافها لتحول دون انطوائها، وقد سالَ خيط من الشَّمع الدَّافئ ببُطء نهرٍ جليدي صانعًا بِركةً صغيرةً فوق (خليج الفقمات). «لبلوغ (معقل الخوف) على جلالتك السَّفر على (طريق الملوك) مرورًا بـ(النَّهر الأخير)، ثم تنعطف إلى الجنوب الشَّرقي لعبور (التِّلال الوحيدة)»، وأشارَ متابعًا: «هذه الأراضي تابعة لآل أومبر، حيث يعرفون كلَّ شجرةٍ وصخرة. (طريق الملوك) يُحاذي تُخومهم الغربيَّة لمئة فرسخ. سيُمزِّق مورس جيشك إربًا إربًا ما لم تقبل شروطه وتكسبه».

- «لا بأس. لنقل إنني فعلتُ».

- «ستصل إلى (معقل الخوف)، لكن ما لم يكن جيشك أسرع من الغِدفان وخطٍّ من المنارات فستعلم القلعة باقترابك، وعندها سيَسهُل على رامزي بولتون أن يقطع عليك طريق الانسحاب ويَترُكك بعيدًا عن (الجِدار) بلا طعامٍ أو مأوى ومحاطًا بأعدائك».

- «هذا إن تخلَّى عن حصار (خندق كايلن)».

- «(خندق كايلن) ستَسقُط قبل أن تَبلُغ (معقل الخوف) بزمن، وما إن يضمَّ اللورد رووس قُوَّاته إلى قُوَّات رامزي فسيفوقانك عددًا خمسة إلى واحد».

- «أخي انتصرَ في معارك فُرص الفوز بها أقل».

قال چاستن ماسي باعتراض: «إنك تفترض أن (خندق كايلن) ستَسقُط سريعًا يا سنو، لكن الحديديِّين مقاتلون أشاوس، كما أنني سمعتُ أن (الخندق) لم تَسقُط من قبل قَطُّ».

ردَّ چون: «من الجنوب. من شأن حاميةٍ صغيرة في (خندق كايلن) أن تُدمِّر جيشًا يتقدَّم على الدَّرب العالي، لكن الأطلال عُرضة للهجوم من الشَّمال والشَّرق»، وعادَ يلتفت إلى ستانيس قائلًا: «مولاي، إنها ضربة جريئة، لكن المخاطرة...». *حَرس اللَّيل لا يتدخَّلون. المفترَض ألَّا يكون هناك فرق عندي بين باراثيون وبولتون.* «إذا لحقَ بك رووس بولتون عند أسواره بقوَّته الأساسيَّة فستكون نهايتكم جميعًا».

- «المخاطرة جزء من الحرب»، أعلنَ السير ريتشارد هورپ، وهو فارس نحيف له وجه مليء بالنُّدوب ويرتدي سُترةً مبطَّنةً على صدرها ثلاث من عُثث رأس الموت[37] على خلفيَّةٍ من الرَّماد والعظم. «كلُّ معركةٍ مقامرة يا سنو. من لا يفعل شيئًا يُخاطِر أيضًا».

- «المخاطرات أنواع يا سير ريتشارد. هذه المخاطرة... إنها أكبر من اللَّازم وأسرع من اللَّازم وأبعد من اللَّازم. أنا أعرفُ (معقل الخوف). إنها قلعة قويَّة، كلُّها من الحجر، أسوارها سميكة وأبراجها ضخمة، ومع اقتراب الشِّتاء ستجدونها مزوَّدة بمؤنٍ وفيرة. قبل قرونٍ تمرَّدت عائلة بولتون على الملك في الشَّمال، فحاصرَ هارلون ستارك (معقل الخوف)، واستغرقَ الأمر عامين كاملين حتى نفدَت مؤونتهم. كي يكون لكم أمل في الاستيلاء على القلعة فجلالتك محتاج إلى آلات حصار، إلى أبراج ومدكَّات...».

قال ستانيس: «يُمكننا بناء أبراج الحصار عند الحاجة، ونستطيع قطع الأشجار لعمل المدكّات إذا كانت مطلوبةً. آرنولف كارستارك كتبَ قائلًا إن في (معقل الخوف) أقل من خمسين رجلًا، نِصفهم من الخدم. القلعة المنيعة التي يحميها ضُعفاء ضعيفة».

- «خمسون رجلًا داخل قلعةٍ يُعادِلون خمسمئةً خارجها».

قال ريتشارد هورپ: «حسب الرِّجال. سيكونون مسنِّين وصِبيةً خُضرًا، الذين لم يعتبرهم النَّغل صالحين للقتال، أمّا رجالنا فأراقوا الدِّماء وخضعوا للاختبار في معركة (النَّهر الأسود)، ومَن يقودونهم فُرسان».

أزاحَ السير چاستن خُصلةً من الشَّعر الكتّاني قائلًا: «لقد رأيتَ كيف شققنا صفوف الهَمج. آل كارستارك أقسَموا على الانضمام إلينا عند (معقل الخوف)، وسيكون معنا هَمجنا أيضًا، ثلاثمئة رجلٍ في سِنِّ القتال. اللورد هاروود أحصاهم وهُم يمرُّون من البوّابة. نسوتهم يُقاتِلن أيضًا».

رمقَه ستانيس عابسًا، وقال: «ليس في صفوفي أيها الفارس. لستُ أريدُ أرامل يُوَلوِلن في أثري. ستبقى النِّساء هنا مع المسنِّين والجرحى والأطفال، سيكن رهائن لضمان ولاء أزواجهن وآبائهن. سيُكوِّن رجال الهَمج طليعة جيشي، وسيقودهم الماجنَر مع زُعمائهم ورُقبائهم، لكن أولًا علينا أن نُسلِّحهم».

يُريد أن يستولي على ما يشاء من مستودَع السِّلاح. طعام وملابس، وأرض وقلاع، والآن الأسلحة. كلَّ يوم يُورِّطني أكثر فأكثر. قد لا يكون الكلام سيفًا، لكن السَّيف سيف! قال على مضض: «يُمكنني أن أجد ثلاثمئة حربة، وخوذًا أيضًا، إذا قبلتموها قديمةً منبعجةً صدئةً».

سألَ الماجنَر: «وماذا عن الدُّروع؟ صفائح وحلقات المعدن؟».

أجابَ چون: «لقد خسرنا صانِع السِّلاح بموت دونال نوي»، ولم يشرح الباقي. *أعطِ الهَمج دروعًا وسيتضاعَف خطرهم على البلاد.*

قال السير جودري: «لا بأس بالجِلد المقوَّى. ما إن نذوق طعم المعركة فليأخذ النَّاجون غنائمهم من الموتى».

مَن يظلُّ حيًا منهم حتى ذلك الحين. إذا وضعَ ستانيس الأحرار في طليعة جيشه فسيلقى أكثرهم مصرعه سريعًا. «قد يسرُّ مورس أومبر أن يشرب من جمجمة مانس رايدر، لكن رؤية الهَمج يَعبُرون أرضه لن تسرَّه. الأحرار يُغيرون على آل أومبر منذ فَجر الزَّمان، يَعبُرون (خليج الفقمات) رغبةً في الذَّهب والخراف والنِّساء، وأحد هؤلاء اختطفَ ابنة أكل الغُراب نفسها. اترُك الهَمج هنا يا جلالة الملك. لن يُفضي أخذهم إلَّا إلى انقلاب حمَلة راية أبي عليك».

قال ستانيس: «حمَلة راية أبيك يبدون كارهين لقضيَّتي في جميع الأحوال. عليَّ أن أفترض أنهم يرونني... بِمَ وصفتني أيها اللورد سنو؟ مدَّعٍ آخَر محكوم عليه بالهلاك؟»، ثم إنه رمقَ الخارطة، وللحظاتٍ طويلة لم يُسمَع صوت في الغُرفة إلَّا صرير أسنان الملك، قبل أن يقول: «اترُكوني جميعًا. لورد سنو، ابقَ».

لم يَلُح على چاستن ماسي الرِّضا عن الفظاظة المقتضبة التي صرفَهم بها الملك، لكنه لم يجد خيارًا إلَّا الابتسام والانسحاب، وتبعَه هورپ إلى الخارج بعد أن رمى چون بنظرةٍ متأنِّية. أفرغَ كلايتون سوجز ما تبقَّى من شرابه في جوفه وتمتمَ بشيءٍ ما لهاروود فِل جعلَ الرَّجل الأصغر يضحك، شيءٍ احتوى على كلمة «صبي». سوجز فارس متجوِّل ترقَّى، يملك قدرين متساويين من الجلافة والقوَّة. آخِر رجلٍ غادرَ كان ذو القميص المُخشخِش، وعند الباب انحنى لچون باستهزاءٍ وعلى فمه ذي الأسنان البنِّيَّة المكسورة ابتسامة عريضة.

لا يبدو أن «جميعًا» تضمَّنت الليدي مليساندرا. *ظِلُّ الملك الأحمر.* طلبَ ستانيس من دقان المزيد من الماء باللَّيمون، وحين امتلأ كوبه شربَ الملك، ثم قال: «هورپ وماسي يطمحان إلى مقعد أبيك، وماسي يُريد الأميرة الهمجيَّة أيضًا. لقد خدمَ كمُرافق لأخي روبرت واكتسبَ شهيَّته للحم النِّساء. هورپ سيتزوَّج ڤال إذا أمرتُ، لكن ما يشتهيه هو المعركة. حين كان مُرافقًا حلمَ بالمعطف الأبيض، لكن سرسي لانستر اعترضَت عليه فصرفَ روبرت عنه النَّظر، وربما كان محقًّا، فالسير ريتشارد شغوف بالقتل. أيُّهما تُفضِّل سيِّدًا على (وينترفل) يا سنو؟ الباسم أم القاتل؟».

قال چون: «(وينترفل) من حقِّ أختي سانزا».

- «لقد سمعتُ كلَّ ما أحتاجُ إلى سماعه عن الليدي لانستر وحقِّها»، ووضعَ الملك كأسه جانبًا، وتابعَ: «أنت تستطيع أن تأتني بالشَّمال. سيتآزَر حمَلة راية أبيك حول ابن إدارد ستارك، حتى اللورد الأسمن من أن يركب حصانًا. (الميناء الأبيض) قادرة على تزويدي بمصدر مؤنٍ ثابت وتأمين قاعدةٍ أستطيعُ الانسحاب إليها عند الحاجة. لم يَفُت أوان العدول عن حماقتك يا سنو. اركع أمامي وتعهَّد لي بسيفك النَّغل هذا وانهض چون ستارك، سيِّد (وينترفل) وحاكم الشَّمال».

كم مرَّةً سيجعلني أقولها؟ «سيفي تعهَّدتُ به لحَرس اللَّيل».

بدا الامتعاض على ستانيس وهو يقول: «أبوك كان رجلًا عنيدًا أيضًا، ودعا هذا بالشَّرف. حسن، للشَّرف أيضًا ثَمن، وهو ما تعلَّمه اللورد إدارد. إذا كان في هذا عزاء، فهورپ وماسي سيُخيِّبان الآمال لا محالة. إنني ميَّال أكثر إلى وهْب (وينترفل) لآرنولف كارستارك. إنه شمالي صالح».

- «إنه شمالي». قال چون لنفسه: *كارستارك أفضل من بولتون او جرايچوي*، وإن لم يجد في الفكرة إلَّا عزاءً قليلًا. «آل كارستارك تخلُّوا عن أخي بين أعدائه».

- «بعد أن بترَ أخوك رأس اللورد ريكارد. آرنولف كان على بُعد ألف فرسخ حينها. إن في عروقه دماء ستارك، دماء (وينترفل)».

- «مِثله مِثل نِصف عائلات الشَّمال الأخرى».

- «تلك العائلات الأخرى لم تُعلِن تأييدها إياي».

- «آرنولف كارستارك رجل هرِم محنيُّ الظَّهر، وحتى في شبابه لم يكن المُقاتل الذي كانه اللورد ريكارد. احتمال كبير أن تَقتُله مشاق المعركة».

قال ستانيس محتدًّا: «إن له ورثةً، ابنان وستَّة أحفاد وبعض البنات. لو أنجبَ روبرت أبناءً شرعيِّين لكان كثيرون من الموتى أحياءً الآن».

- «الاستعانة بمورس أكل الغُراب أفضل لجلالتك».

- «هذا ما سيَثبُت في (معقل الخوف)».

- «هل تنوي إذن أن تمضي في هذا الهجوم؟».

- «على الرغم من نصيحة اللورد سنو العظيم؟ أجل. هورپ وماسي طموحان لكن الصَّواب لم يُجانِبهما. لا يُمكنني أن أتوانى فيما يسطع نجم رووس بولتون ويأفل نجمي. عليَّ أن أوجِّه ضربةً وأُري الشَّمال أنني ما زلتُ مهيبًا».

قال چون: «عريس بحر عائلة ماندرلي لم يكن ضمن الرَّايات التي رأتها الليدي مليساندرا في نارها. إذا حظوت بـ(الميناء الأبيض) وفُرسان اللورد وايمان...».

- ««إذا» كلمة للحمقى. لم يصل إلينا خبر من داڤوس، وربما لم يَبلُغ (الميناء الأبيض) من الأصل. آرنولف كارستارك قال ضمن ما كتبَه إن العواصف ضربَت (البحر الضيِّق) بشراسة. بغضِّ النَّظر عن هذا، ليس لديَّ وقت للحِداد أو انتظار ما تُسفِر عنه نزوات اللورد السَّمين. يجب أن أترك (الميناء الأبيض) خارج حساباتي. دون ابنٍ لـ(وينترفل) يقف إلى جانبي فلا أمل لي إلَّا أن أربح الشَّمال بالقتال، وهو ما يتطلَّب أن أستعير صفحةً من كتاب أخي، ولو أن روبرت لم يقرأ كتابًا في حياته. لا مناص من أن أوجِّه إلى أعدائي ضربةً قاضيةً قبل أن يُدرِكوا أنني أهاجمهم».

أدركَ چون أن كلَّ ما قاله هباء. سيأخذ ستانيس (معقل الخوف) أو يموت وهو يُحاوِل. في داخله قال صوت: *حَرس اللَّيل لا يتدخَّلون*، لكن آخَر ردَّ: *ستانيس يُحارِب في سبيل البلاد، والحديديُّون في سبيل الأقنان*[38] *والغنائم*. «جلالة الملك، أعرفُ أين تجد مزيدًا من الرِّجال. أعطِني الهَمج وسيسرُّني أن أخبرك أين وكيف».

- «لقد أعطيتك ذا القميص المُخشخِش، فاقنع به».

- «أريدهم جميعًا».

- «بعض إخوتك المحلَّفين يُريدون إقناعي بأنك نِصف همجي عن نفسك. أهذا صحيح؟».

- «بالنِّسبة إليك الهَمج ليسوا إلَّا طُعمةً للسِّهام، لكنني أستطيعُ أن أستغلَّهم استغلالًا أفضل على (الجِدار). أعطني إياهم لأفعل بهم ما أشاءُ وسأريك أين ستجد نصرك المنشود... والرِّجال المطلوبين أيضًا».

فركَ ستانيس مؤخِّرة عُنقه قائلًا: «تُساوِم كحيزبون تبيع الأسماك يا لورد سنو. هل أنجبَك ند ستارك من بائعة سَمك؟ كم رجالًا؟».

- «ألفان، وربما ثلاثة».

- «ثلاثة آلاف؟! مَن هؤلاء الرِّجال؟».

- «رجال معتدُّون بأنفُسهم، فُقراء، سريعو الغضب عندما يتعلَّق الأمر بالشَّرف، لكنهم مُقاتلون أقوياء شُجعان».

- «خيرٌ لك ألَّا تكون هذه خدعة نغولٍ ما. هل سأستبدلُ ثلاثمئة مُقاتل بثلاثة آلاف؟ أجل، سأفعلُ، فلستُ أحمق كبيرًا. إذا تركتُ الفتاة معك أيضًا فهل تُعطيني كلمتك بأن تُحافِظ على أميرتنا؟».

ليست أميرةً. «كما ترغب يا جلالة الملك».

- «هل عليَّ أن أجعلك تحلف يمينًا أمام شجرة؟».

- «لا». *أهذه دُعابة؟* مع ستانيس تَصعُب معرفة الفرق.

- «اتَّفقنا إذن. والآن، أين هؤلاء الرِّجال؟».

قال چون: «ستجدهم هنا»، وبسطَ يده المحروقة على الخريطة غرب (طريق الملوك) وجنوب (الهديَّة).

تساءلَ ستانيس بارتياب: «هذه الجبال؟ لا أرى علاماتٍ لقلاعٍ هناك، لا طُرق، لا بلدات، لا قُرى».

- «كثيرًا ما قال أبي إن الخريطة ليست الأرض. منذ آلاف السِّنين يعيش أناس في الوديان العالية ومروج الجبال، يَحكُمهم زُعماء عشائرهم. لك أن تعتبرهم لوردات صغارًا، لكنهم لا يستخدمون تلك الألقاب. يُقاتِل أبطال العشائر بسيوفٍ عظيمة تُحمَل باليدين، والعوام بالرَّشق بالحجارة وعصِي شجر الدَّردار الجبلي. إنهم قوم مشاغبون، لا بُدَّ من الاعتراف بهذا. حين لا يُقاتِل بعضهم بعضًا يرعون ماشيتهم ويصطادون الأسماك من (خليج الجليد) ويستولدون أمتن دواب ستركبها على الإطلاق».

- «وتعتقد أنهم سيُقاتِلون من أجلي؟».

- «إذا سألتهم».

- «ولِمَ أتوسَّلُ شيئًا من حقِّي؟».

ردَّ چون: «قلتُ سَل لا توسَّل»، ورفعَ يده مواصلًا: «لا فائدة من إرسال الرَّسائل. على جلالتك أن تذهب إليهم بنفسك. كُل عيشهم وملحهم واشرب مِزرهم واستمع إلى زمَّاريهم واثنِ على حُسن بناتهم وشَجاعة أبنائهم، وستنال سيوفهم. العشائر لم ترَ ملكًا منذ ركعَ تورين ستارك، وزيارتك تُشرِّفهم. لكن مُرهم بالقتال من أجلك وسيَنظُر بعضهم إلى بعضٍ ويقولون: *من هذا الرَّجل؟ إنه ليس مليكي*».

- «عن كم عشيرة تتكلَّم؟».

- «هناك أربعون عشيرة، منها الكبير والصَّغير. فلينت، وول، نوري ليدل... اكسب فلينت العجوز والدَّلو الكبير وسيتبعهما البقيَّة».

- «الدَّلو الكبير؟!».

- «الوول. إن عنده أكبر بطنٍ في الجبال، وأكثر رجال. آل وول يصطادون من (خليج الجليد) ويُحذِّرون صغارهم من أن يختطفهم الحديديُّون إذا لم يُحسِنوا الأدب، لكن لبلوغهم على جلالتك أن تَعبُر أراضي نوري. إنهم الأقرب إلى (الهديَّة) ولطالما كانوا أصدقاءً لحَرس اللَّيل. يُمكنني أن أعطيك مُرشدين».

سألَه ستانيس الذي يفوته القليل: «يُمكنك أم ستفعل؟».

- «سأفعلُ. ستحتاج إليهم، وإلى بعض الخيول ثابتة الخُطى أيضًا. الطُّرق هناك ليست أكثر من دروب ماعز».

ضيَّق الملك عينيه قائلًا: «دروب ماعز؟ أتكلَّمُ عن الحركة السَّريعة وتُهدِر وقتي بدروب الماعز؟!».

- «حين غزا التنِّين الصَّغير (دورن) استخدمَ درب ماعز لتلافي أبراج الحراسة على (طريق العظام)».

- «أعرفُ هذه الحكاية أيضًا، لكن دايرون بالغَ في تقديرها في كتابه المختال إياه. السُّفن فازَت بالحرب وليس دروب الماعز. قبضة السَّنديان قهرَ (بلدة الأخشاب) وأبحرَ حتى منتصَف (الدَّم الأخضر) فيما التحمَت القُوَّات الدورنيَّة الأساسيَّة في (ممر الأمير)»، ونقرَ ستانيس بأصابعه على الخارطة متسائلًا: «لوردات الجبال هؤلاء لن يُعيقوني عن العبور؟».

- «بالمآدب فقط. كلُّهم سيُحاوِل غلبة الآخَر في كرم الضِّيافة. قال أبي إن أطيب طعامٍ أكلَه في حياته كان عند زيارته العشائر».

قال الملك: «لقاء ثلاثة آلاف رجل أظنُّني قادرًا على احتمال القليل من الثَّريد وعزف المزامير»، ولو أن نبرته وشَت بأنه يكره مجرَّد هذا.

التفتَ چون إلى مليساندرا قائلًا: «لا بُدَّ من تنبيهك يا سيِّدتي. الآلهة القديمة قويَّة في تلك الجبال، ولن يسمح رجال العشائر بإهانة أشجارهم».

قالت وقد بدا أنها وجدَت تحذيره طريفًا: «لا تخف يا چون سنو، لن أزعج بربريِّي جبالكم وآلهتهم السَّوداء. إن مكاني هنا معك ومع إخوتك الشُّجعان».

كان هذا آخِر شيءٍ يُريده چون سنو، لكن قبل أن يعترض قال الملك: «أين تُريدني أن أهاجم بهؤلاء المغاوير إن لم يكن (معقل الخوف)؟».

رمقَ چون الخريطة مجيبًا: «(ربوة الغابة)»، ونقرَ عليها بإصبعه مردفًا: «إن كان بولتون ينوي قتال الحديديِّين فعليك أن تفعل أيضًا. (ربوة الغابة) قلعة تتكوَّن من حصنٍ وراء خندقٍ في قلب غابةٍ كثيفة الأشجار، من السَّهل الزَّحف عليها خفيةً، قلعة خشبيَّة يحميها خندق في الأرض وسور من الخشب. سيكون المضي عبر الجبال بطيئًا، لكن هناك يستطيع جيشك أن يتحرَّك دون أن يراه أحد ثم يَخرُج عند بوَّابة (ربوة الغابة) تقريبًا».

فركَ ستانيس فكَّه قائلًا: «عندما تمرَّد بالون جرايچوي أول مرَّة هزمتُ الحديديِّين في البحر حيث يكونون في ذُروة قوَّتهم. على اليابسة وعلى حين غرَّة... أجل. لقد انتصرتُ على الهَمج وملك ما وراء الجِدار، وإذا حطَّمتُ الحديديِّين أيضًا فسيعرف الشَّمال أن له ملكًا من جديد».

قال چون لنفسه: *وسيكون لي ألف همجي بلا وسيلةٍ لإطعام نِصف هذا العدد.*

---

(36) الموظ أحد أنواع الأيائل، له عُنق قوي وقرنان جريديَّان، ويألف العيش في الغابات والمستنقعات. (المُترجم).

(37) عُثَّة رأس الموت فصيلة من العُثث الصَّقريَّة، تُعرَف بهذا الاسم بسبب الشَّكل الشَّبيه بالجمجمة على صدرها. (المُترجم).

(38) القِنانة وضع اجتماعي واقتصادي ظهرَ في أوروبا خلال العصور الوُسطى، فكان القِنُّ يُجبَر على خدمة السَّادة والعمل في أراضيهم وقلاعهم مقابل المأوى والملبس والحماية، وهو الاختلاف بينه وبين العبد. (المُترجم).

تحرَّك (العذراء الخجول) عبر الضَّباب كرجلٍ ضرير يتحسَّس طريقه في باحةٍ لا يألفها.

كانت السِّپتة ليمور تُصلِّي بصوتٍ كتمَته الغيوم جاعلةً نبرته رفيعةً مكبوتةً، وراحَ جريف يذرع السَّطح جيئةً وذهابًا وحلقات المعدن تُصدِر صلصلةً خافتةً تحت معطفه المصنوع من فراء الذِّئاب، يمسُّ سيفه بين الفينة والفينة كأنما يتأكَّد من وجوده على جانبه، في حين تولَّى رولي حقل البط دفع القارب بالعصا من الميمنة وياندري من الميسرة، وأمسكَت يسيلا الدفَّة.

تمتمَ هالدون النِّصف مِايستر: «لا أحبُّ هذا المكان».

سألَه تيريون ساخرًا: «هل يُخيفك القليل من الضَّباب؟»، مع أن الحقيقة أن الضَّباب كثيف للغاية بالفعل. عند مقدِّمة (العذراء الخجول) يقف جريف الصَّغير بعصا ثالثة يدفعهم بعيدًا عن الأخطار التي تلوح من الغيوم، وقد عُلِّقَ قنديلان مضاءان على المقدِّمة والمؤخِّرة، لكن كثافة الضَّباب تجعل القزم لا يرى من موضعه في منتصَف القارب إلَّا ضوءًا طافيًا في الهواء أمامه وآخَر يتبعه من الوراء. مهمَّته هو أن يُعنى بالمستوقَد ويحرص على أن تظلَّ النَّار مشتعلةً.

خاطبَته يسيلا قائلةً بإصرار: «ليس هذا ضبابًا تقليديًّا يا هيوجور هيل. إنه عابق برائحة الشَّعوذة، وكنت لتعرف هذا لو أن لك أنفًا. مُسافرون كثيرون ضاعوا هنا، قوارب وسُفن قراصنة وقوادس نهريَّة كبيرة أيضًا. يتخبَّط البائسون في الغيوم بحثًا عن شمسٍ لا يجدونها أبدًا إلى أن يستولي على حياتهم الجنون أو الجوع. في الهواء هنا أطياف قلقة وتحت الماء أرواح معذَّبة».

أشارَ تيريون قائلًا: «ها هي ذي إحداها». عند الميمنة يد كبيرة بما يكفي لسحق القارب ترتفع من الأعماق المظلمة، يَبرُز إصبعان فقط منها فوق سطح النَّهر، لكن إذ تجاوزَهما القارب بهدوءٍ رأى بقيَّة اليد تتموَّج تحت الماء ووجهًا شاحبًا يَنظُر إلى أعلى. على الرغم من البساطة التي تكلَّم بها أحسَّ القزم بالتَّوتُّر. مكان سيِّئ هذا، يتضوَّع باليأس والموت. *ليست يسيلا مخطئةً. هذا الضَّباب غير طبيعي*. شيء ما كريه ينمو في المياه هنا ويتقيَّح في الهواء. *لا عجب أن المتحجِّرين يُصابون بالجنون*.

قالت يسيلا محذِّرةً: «لا ينبغي أن تستهزئ. الموتى الهامسون يكرهون الأحياء الدَّافئين ويطمعون دومًا في انضواء المزيد من الأرواح الملعونة إليهم».

ردَّ القزم محرِّكًا الفحم بالمِسعار: «أشكُّ في أن لديهم كفنًا بحجمي».

بصوتٍ كتمَه الوشاح الأصفر الملفوف حول فمه وأنفه قال هالدون النِّصف مِايستر: «الكراهية لا تُحرِّك المتحجِّرين مِثلما يُحرِّكهم الجوع. لا شيء يُريد إنسان عاقل أن يأكله ينمو في هذا الضَّباب. ثلاث مرَّاتٍ كلَّ سنةٍ يُرسِل قناصل (ڤولانتيس) قادسًا محمَّلًا بالمؤن في هذا الاتِّجاه، لكن كثيرًا ما تتأخَّر سُفن الرَّحمة، وأحيانًا تجلب أفواهًا أكثر من الطَّعام».

قال جريف الصَّغير: «مؤكَّد أن في النَّهر أسماكًا».

ردَّت يسيلا: «لا أنصحُ أبدًا بأكل أيِّ أسماكٍ من هذه المياه، أبدًا».

أضافَ هالدون: «خيرٌ لنا أيضًا ألَّا نتنفَّس الضَّباب، فلعنة جارين تُحيط بنا من كلِّ جهة».

معنى *ألَّا نتنفَّس الضَّباب ألَّا نتنفَّس*. قال تيريون: «لعنة جارين ليست إلَّا الدَّاء الأرمد». غالبًا ما تظهر اللَّعنة في الأطفال، خاصَّةً في المناخ البارد الرَّطب، فتتيبَّس بشرة المُصاب وتتكلَّس وتتشقَّق. غير أن القزم سبقَ أن قرأ أن الحيلولة دون تفاقُم الدَّاء الأرمد ممكنة بواسطة الليمون الأخضر وكمادات الخردل والاستحمام بالمياه بالغة السُّخونة (كما يقول المِايسترات)، أو بالصَّلاة والصِّيام وتقديم القرابين (كما يُؤكِّد السِّپتونات). بعدها يذهب المرض تاركًا ضحاياه الصِّغار مشوَّهين ولكن أحياء، ويتَّفق المِايسترات والسِّپتونات على أن الأطفال الذين انتابهم الدَّاء الأرمد بالفعل لا يُمكن أن يمسَّهم أبدًا النَّوع الأندر المميت من المرض، ولا ابن عمِّه الحثيث الرَّهيب، الطَّاعون الأرمد. «يُقال إن الجاني هو الرُّطوبة. في الهواء رطوبة دنسة لا لعنات».

قالت يسيلا: «الغُزاة أيضًا لم يُصدِّقوا يا هيوجور هيل. رجال (ڤولانتيس) و(ڤاليريا) علَّقوا جارين في قفصٍ من ذهب وسخروا منه حين استجدى أمَّه (الروين) أن تُدمِّرهم، لكن في اللَّيل فاضَت المياه وأغرقَتهم، ومنذ ذلك الحين لم يعرفوا الرَّاحة. ما زالوا بالأسفل تحت الماء، هؤلاء الذين كانوا يومًا سادة النَّار. أنفاسهم الباردة تتصاعَد من الظُّلمة لتصنع هذا الضَّباب، وأجسادهم تحجَّرت كقلوبهم».

استحكَّته جَدعة أنفه بشدَّةٍ فحكَّها مفكِّرًا: قد *تكون العجوز محقَّةً. ليس هذا مكانًا جيِّدًا. أشعرُ كأنني عدتُ ثانيةً إلى المرحاض، أشاهدُ أبي يموت*. هو أيضًا سيجنُّ جنونه لو أن عليه قضاء حياته في هذا الحَساء الرَّمادي فيما يتحوَّل لحمه وعظمه إلى حجر.

قال جريف الصَّغير الذي يبدو أنه لا يُشارِكه هواجسه: «فليُحاوِلوا أن يُزعِجونا وسنُريهم معدننا».

علَّقت السِّپتة ليمور: «معدننا لحم وعظم، على صورة (الأب) و(الأم). لا داعي للزَّهو والخيلاء أرجوك. الغرور خطيئة نكراء. المتحجِّرون أيضًا كانوا مغرورين، واللورد المكفَّن أكثرهم غرورًا».

سألَ تيريون شاعرًا بتورُّد وجهه من حرارة الفحم المتوهِّج: «هل للورد المكفَّن وجود حقًّا أم أنه حكاية مختلَقة؟».

أجابَه ياندري: «اللورد المكفَّن يَحكُم هذه الغيوم منذ زمن جارين. بعضهم يقول إنه هو نفسه جارين الذي قامَ من قبره المائي».

بإصرارٍ قال النِّصف مِايستر: «الموتى لا يقومون، ولا أحد يعيش ألف عام. نعم، هناك لورد مكفَّن، وكان هناك زُهاء عشرين منهم. عندما يموت واحد يأخذ آخَر مكانه. الحالي قُرصان من (جُزر البازيليسق) اعتقدَ أن في (الروين) غنائم أثمن مما في (بحر الصَّيف)».

قال البطَّة: «أجل، سمعتُ هذا أيضًا، لكن ثمَّة حكاية أخرى تروقني أكثر، تلك التي تقول إنه ليس كالمتحجِّرين الآخَرين، إنه كان في الأصل تمثالًا حتى خرجَت امرأة رماديَّة من الضَّباب وقبَّلته بشفتين باردتين كالجليد».

قال جريف: «كفى! اصمتوا جميعًا».

حبسَت السِّپتة ليمور أنفاسها، وقالت: «ما هذا؟!».

سألَها تيريون الذي لا يرى إلَّا ضبابًا: «أين؟».

- «شيء ما تحرَّك. رأيتُ المياه تتموَّج».

أعلنَ الأمير بسرور: «سلحفاة، كسَّارة عظمٍ كبيرة، هذا كلُّ ما هنالك»، ومدَّ عصاه إلى الأمام ودفعَهم بعيدًا عن مسلَّةٍ خضراء شاهقة.

تشبَّث بهم الضَّباب البارد الرَّطب. من العتمة الرَّماديَّة لاحَ لهم معبد غارق إذ مالَ كلٌّ من ياندري والبطَّة على عصاه وتحرَّك بتؤدةٍ من المقدِّمة إلى المؤخِّرة ليدفع، ثم مرُّوا بسُلَّمٍ من الرُّخام يرتفع من الوحل وينتهي بحافةٍ محزَّزة في الهواء، ووراءه أشكال أخرى شِبه خفيَّة؛ قمم مدبَّبة محطَّمة وتماثيل بلا رؤوس وأشجار جذورها أكبر من قاربهم.

قال ياندري: «كانت هذه أجمل مدينةٍ على النَّهر. (كرويان)، مدينة الاحتفالات».

غنيَّة جدًّا وجميلة جدًا. ليس من الحكمة أبدًا إثارة طمع التَّنانين. أحاطَت بهم المدينة الغارقة، وحلّق شيء ما شِبه مرئي أعلاهم وضربَ جناحاه الجِلديّان الشَّاحبان الهواء، فلمّا أدارَ تيريون رأسه يُلقي نظرةً أفضل اختفى الشيء فجأةً كما ظهرَ.

بعدها بفترةٍ قصيرة لاحَ أمامهم ضوء آخَر طافٍ، وعبر الماء نادى صوت خافت: «أيها القارب، من أنتم؟».

أجابَ ياندري صائحًا: «(العذراء الخجول)».

- «(الرَّفراف). إلى المنبع أم المصب؟».

- «المصب. جلود وعسل، ومِزر وشحم».

- «المنبع. سكاكين وإبر، وحرير وكتَّان ونبيذ متبَّل».

صاحَ ياندري: «ما الأخبار من (ڤولانتيس) العجوز؟».

- «الحرب».

زعقَ جريف: «أين؟ متى؟».

جاءَت الإجابة: «مطلع السَّنة الجديدة. نييسوس ومالاكو متحالفان، والأفيال ظهرَت لهم خطوط»، ثم خبا الصَّوت مع ابتعاد القارب الآخَر عنهم، وشاهَدوا ضوءه يتضاءَل ويختفي.

سألَ تيريون: «أمن العقل أن نُنادي قوارب لا نراها عبر الضَّباب؟ ماذا لو كانوا قراصنةً؟». لقد حالفَهم الحظُّ في ما يخصُّ القراصنة، فتسلَّلوا عبر (بُحيرة الخناجر) ليلًا دون أن يراهم أو يتعرَّض إليهم أحد. حدثَ أن لمحَ البطَّة بدن سفينةٍ وأصرَّ على أنها تنتمي إلى أورهو الوسِخ، لكن (العذراء الخجول) كان في عكس اتِّجاه الرِّيح ساعتها، ولم يُبدِ أورهو -إذا كان أورهو حقًّا- اهتمامًا بهم.

قال ياندري: «القراصنة لا يُبحِرون إلى (الويلات)».

غمغمَ جريف: «أفيال بخطوط؟ ما معنى هذا؟ نييسوس ومالاكو؟ إليريو دفعَ للقُنصل نييسوس مبلغًا يكفي لأن يملك ثمانيةً مِثله».

تساءلَ تيريون ساخرًا: «ذهبًا أم جُبنةً؟».

التفتَ إليه جريف مغضبًا، وقال: «ما لم تكن تستطيع شقَّ هذا الضَّباب بنُكتتك التَّالية فاحتفظ بها لنفسك».

كادَ القزم يقول: *حاضر يا أبي، سأصمتُ، شكرًا لك*. إنه لا يعرف أولئك القولانتينيِّين، ولكن يبدو له أن الأفيال والنُّمور متحالفون لسببٍ وجيه ما داموا يُواجِهون التَّنانين. *ربما أساءَ ناجر الجُبنة تقدير الموقف. يُمكنك أن تشتري رجلًا بالذَّهب، لكن وحدهما الدَّم والفولاذ يضمنان إخلاصه*.

حرَّك الرَّجل الصَّغير الفحم ثانيةً ونفخَ فيه لتتأجَّج النَّار أكثر. *كم أكرهُ هذا، أكرهُ الضَّباب وأكرهُ هذا المكان، ولا يُعجِبني جريف هذا على الإطلاق*. ما زالَ مع تيريون الفطر السَّام الذي قطفَه من أرض ضيعة إليريو، وثمَّة أيام تُغويه فيها جدًّا فكرة أن يدسَّه في عَشاء جريف. المشكلة أن جريف نادرًا ما يأكل.

دفعَ ياندري والبطَّة عصويهما، ودوَّرت يسيلا الدفَّة، وأبعدَ جريف الصَّغير (العذراء الخجول) عن بُرجٍ متهدِّم تَرمُقهم نوافذه كأعيُنٍ سوداء عمياء، وقد ارتخى شراع القارب بالأعلى، وتزايدَ عُمق الماء بالأسفل حتى لم تَعُد العِصي تلمس القاع، لكن التيَّار ظلَّ يدفعهم في اتِّجاه المصبِّ، إلى أن...

كلُّ ما رآه تيريون شيء هائل يرتفع من النَّهر، شيء مقوَّس يُثير التَّوجُّس. خمَّن أنه تلٌّ فوق جزيرةٍ مشجرة، أو صخرة عملاقة تنمو عليها الطَّحالب والسَّراخس بكثافةٍ ويُخفيها الضَّباب، لكن مع دنوِّ (العذراء الخجول) اتَّضح شكله. رأى إلى جوار الماء حصنًا من الخشب الذي تعفَّن ونمَت عليه الحشائش والطَّحالب، من فوقه قمم رفيعة مدبَّبة، بعضها مقصوم كحربةٍ مكسورة، وظهرَت أبراج بلا سقوفٍ ترتفع عمياءً واختفَت، ومرُّوا بقاعاتٍ وشُرفاتٍ ودعاماتٍ أنيقة وقناطر بديعة وأعمدةٍ مخدَّدة ومصاطب وظُلَّات.

كلُّها خرب، كلُّها موحش، كلُّها متداعٍ.

ينمو الطُّحلب الرَّمادي بكثافةٍ هنا، يُغطِّي الأحجار السَّاقطة بأكوامٍ ضخمة، ويكسو الأبراج كلَّها، وتزحف النَّباتات المتسلِّقة السَّوداء من النَّوافذ وإليها وعبر الأبواب وفوق القناطر وعلى جوانب الجُدران الحجريَّة العالية. أخفى الضَّباب ثلاثة أرباع القصر، لكن ما لمحوه أكثر مما يكفي لأن يعرف تيريون أن هذه الجزيرة القلعة كانت في الماضي أكبر عشر مرَّاتٍ من (القلعة الحمراء) وأجمل منها مئة مرَّة. أدركَ أين هو الآن، وبخفوتٍ قال: «(قصر الحُب)».

قال هالدون النِّصف مِايستر: «هذا هو الاسم الذي أطلقَه عليه الروينار، لكنه معروف منذ ألف عامٍ بـ(قصر الأسى)».

الأطلال تُحزِن بما فيه الكفاية، لكن معرفة ما كانته في زمنٍ سابقٍ جعلَتها محزنةً أكثر فأكثر. فكَّر تيريون: *كان الضَّحك يتردَّد ها هنا ذات يوم، وكانت هناك حدائق غنَّاء زهورها يانعة ونوافيرها تتلألأ كالذَّهب في الشَّمس.* على هذه الدَّرجات دقَّت *أقدام العاشقين، وتحت هذه القُبَّة المكسورة عُقِدَت قرانات لا تُحصى بقُبلة.* ثم ذهبَت أفكاره إلى تايشا التي كانت السيِّدة زوجته لفترةٍ وجيزة للغاية، وقال لنفسه بيأس: *چايمي السَّبب. كان دمي، أخي الكبير القوي. في صِغري كان يجلب لي اللُّعب، الأطواق والمكعَّبات وأسدًا منحوتًا من الخشب، وأعطاني حصاني القزم الأول وعلَّمني ركوبه. حين قال لي إنه استأجرَكِ من أجلي لم أشكَّ فيه لحظةً. ولِمَ أفعلُ؟ لقد كان چايمي، وكنتِ مجرَّد فتاةٍ مثَّلت دورًا. كان هذا ما خشيته من البدء، منذ ابتسمتِ لي وتركتِني أمسكُ يدكِ. أبي نفسه لم يحبَّني، فلِمَ تحبِّينني أنتِ إن لم يكن في سبيل الذَّهب؟*

عبر أصابع الضَّباب الرَّماديَّة الطَّويلة سمعَ من جديدٍ صوت وتر النُّشَّابيَّة العميق إذ انشدَّ عن آخِره، والأنين الذي أصدرَه اللورد تايوين إذ أصابَه السَّهم تحت البطن، وارتطام مؤخِّرته بالحجر لمَّا هوى يجلس ليموت. قال أبوه: «أينما تذهب العاهرات»، ويُريد تيريون أن يسأله: *وأين هذا؟ أين ذهبَت تايشا يا أبتِ؟*

رفعَ القزم صوته يسأل: «كم علينا أن نتحمَّل هذا الضَّباب؟».

أجابَ هالدون: «ساعة أخرى ونَخرُج من (الويلات)، وبعدها ستكون نُزهةً. ثمَّة قرية عند كلِّ منعطفٍ بطول (الروين) قُرب مصبِّه. بساتين وكروم وحقول غلال تَنضُج في الشَّمس، وصيَّادون على الماء، وحمَّامات ساخنة وخمور حُلوة. (سلهوريس) و(ڤاليسار) و(ڤولون ثيريس) بلدات مسوَّرة واسعة لدرجة أنهم سيعدُّونها مُدنًا في (الممالك السَّبع). أعتقدُ أنني...».

قال جريف الصَّغير منبِّهًا: «أمامنا ضوء».

رآه تيريون أيضًا، فقال لنفسه: *(الرَّفراف) أو قارب آخَر*، لكنه عرفَ بشكلٍ ما أن هذا ليس صحيحًا، واستحكَّه أنفه فحكَّه بشراسة. ازدادَ الضَّوء مع اقتراب (العذراء الخجول)، ضوء نجمةٍ ناعمةٍ من بعيد، يلتمع بخفوتٍ عبر الضَّباب مشيرًا إليهم بالدُّنو. بعد قليلٍ استحالَ إلى ضوأين، ثم ثلاثة، ثم إلى صفٍّ غير منتظم من المنارات يرتفع من الماء.

قال جريف: «(جسر الحُلم). سيكون فوقه متحجِّرون، وقد يبدأ بعضهم في الولولة مع اقترابنا، لكنهم لن يُزعِجونا على الأرجح. معظم المتحجِّرين واهنون، كائنات خرقاء ثقيلة فقدَت رُشدها. قُرب النِّهاية يُصيبهم جميعًا الجنون، لكنهم يكونون في أخطر حالاتهم عندئذٍ. إذا دعَت الحاجة صدُّوهم بالمشاعل، وإياكم أن تدعوا أحدهم يلمسكم».

قال هالدون النِّصف مِايستر: «قد لا يروننا من الأصل. سيحجبنا الضَّباب عنهم حتى نكاد نَبلُغ الجِسر، ثم سنمرُّ قبل أن يعرفوا أننا هنا».

فكَّر تيريون: *الأعيُن الحجريَّة عمياء*. يعلم أن النَّوع المميت من الدَّاء الأرمد يبدأ في الأطراف، بوخزٍ في أُنملة، أو ظُفرٍ يسودُّ، أو فقدان الشُّعور، وبينما يزحف الخدر على اليد أو يتسلَّل من القدم إلى السَّاق يتيبَّس الجِلد ويَبرُد وتتَّخذ بشرة الضَّحيَّة درجةً من الرَّمادي شبيهةً بالحجر. سمعَ تيريون أن للدَّاء الأرمد ثلاثة علاجاتٍ شافية: الفأس والسَّيف والسَّاطور. أحيانًا يمنع بتر الأطراف المصابة انتشار المرض، ولكن ليس دائمًا، فكثيرون ضحُّوا بذراعٍ أو قدم، فقط ليجدوا الأخرى تستحيل إلى الرَّمادي، وحالما يَحدُث هذا فلا أمل. يشيع العمى حين يَبلُغ التَّحجُّر الوجه، وفي المراحل الأخيرة تنقلب اللَّعنة إلى الدَّاخل، إلى العضلات والعظام والأعضاء الدَّاخليَّة.

تعاظمَ الجسر أمامهم. سمَّاه جريف (جسر الحُلم)، لكن هذا الحُلم محطَّم مهشَّم. من (قصر الأسى) تمتدُّ قناطر حجريَّة شاحبة لتغيب في الضَّباب على ضفَّة النَّهر الغربيَّة، نِصفها منهار أسقطَه وزن الطُّحلب الرَّمادي الذي يُغلِّفها جميعًا وفروع النَّباتات المتسلِّقة السَّوداء السَّميكة التي ترتفع من الماء كالثَّعابين. تعفَّن امتداد الجسر العريض عن آخِره، لكن بعض المصابيح المصفوفة عليه لا يزال مضاءً، وإذ دنا القارب رأى تيريون أشكال المتحجِّرين تتحرَّك في الضَّوء، تمضي بلا هدفٍ حول المصابيح كعُثثٍ رماديَّة بطيئة، بعضهم عارٍ وبعضهم يرتدي الأكفان.

استلَّ جريف سيفه الطَّويل قائلًا: «يولو، أوقِد المشاعل. يا فتى، خُذ ليمور إلى قمرتها وابقَ هناك معها».

قال جريف الصَّغير رامقًا أباه بعناد: «ليمور تعرف مكان قمرتها. أريدُ أن أبقى».

خاطبَته ليمور قائلةً بهدوء: «لقد أقسمنا على حمايتك».

- «لستُ محتاجًا إلى حماية. أستطيعُ القتال بالسَّيف ببراعة البطَّة. إنني نِصف فارس».

قال جريف: «ونِصف غُلام. افعل كما قيلَ لك، الآن».

أطلقَ الشَّاب سبابًا بصوتٍ مكتوم وألقى عصاه على السَّطح، ليتردَّد صدى الصَّوت غريبًا في الضَّباب، وللحظةٍ بدا كأن العِصِي تتساقَط من حولهم. «لماذا أهربُ وأختبئ؟ هالدون سيبقى، ويسيلا أيضًا، حتى هيوجور».

قال تيريون: «أجل، لكن حجمي الصَّغير يُمكِّنني من الاختباء وراء بطَّة»، ثم إنه دسَّ نِصف دستةٍ من المشاعل في لهب المستوقَد الوهَّاج وشاهدَ الخِرق المزيَّتة تشتعل، وأخبرَ نفسه: لا *تُحدِّق إلى النَّار*. لا يُريد أن تُعشي النَّار بصره.

قال جريف الصَّغير بتهكُّم: «أنت قزم!».

- «افتضحَ سرِّي. أجل، أنا أقل من نِصف هالدون، ولا أحد يعبأ بحياتي أو موتي». *لا سيَّما أنا*. «أمَّا أنت... أنت كلُّ شيء».

التفتَ إليه جريف قائلًا: «لقد حذَّرتك أيها القزم...».

وقاطعَه عويل راجف تردَّد وسط الضَّباب، عويل ضعيف مرتفع.

دارَت ليمور مرتعدةً، وقالت: «ليحمنا (السَّبعة) جميعًا».

كان الجسر المتداعي على بُعد أقل من خمس ياردات أمامهم، حول ركائزه يتموَّج الماء بالأبيض كرغوةٍ تفيض من فم رجلٍ مخبول، وعلى ارتفاع أربعين قدمًا أعلاهم أنَّ المتحجِّرون وهمهَموا أسفل مصباحٍ متذبذب دون أن يُلقي معظمهم بالًا لـ(العذراء الخجول) كأن القارب مجرَّد فرع شجرة طافٍ. أطبقَ تيريون قبضته على مشعله وألفى نفسه يحبس أنفاسه، ثم إنهم أصبحوا تحت الجسر، يرتفع على جانبيهم جِداران أبيضان تنسدل عليهما ستائر ثقيلة من الفطريّات الرَّماديَّة وتفور المياه بغضبٍ حولهم. للحظةٍ بدا أنهم سيصطدمون بالرَّكيزة اليُمنى، إلَّا أن البطَّة رفعَ عصاه ودفعَهم إلى منتصَف المجرى، وبعد بضع نبضات قلبٍ مرُّوا.

لم يكد تيريون يتنفَّس الصُّعداء حتى أمسكَ جريف الصَّغير ذراعه متسائلًا: «ماذا تعني؟ أنا كلُّ شيء؟ ماذا قصدت بهذا؟ لماذا أنا كلُّ شيء؟».

أجابَ القزم: «لو أخذَ المتحجِّرون ياندري أو جريف أو جميلتنا ليمور لنعيناهم ثم واصَلنا طريقنا، لكن إذا فقدناك أنت لبطلَت الغاية من هذه المُغامرة وضاعَت الأعوام التي قضاها تاجر الجُبنة والخصيُّ في التَّخطيط المحموم سُدًى... أليس كذلك؟».

نظرَ الفتى إلى جريف قائلًا: «إنه يعرف من أنا».

ولو لم أكن أعرفُ من قبل فالآن أعرفُ. عندئذٍ كان القارب قد تجاوزَ (جسر الحُلم) بمسافةٍ لا بأس بها، ولم يتبقَّ إلَّا ضوء يتضاءَل وراءهم سرعان ما سيغيب بدوره. قال تيريون: «أنت جريف الصَّغير، ابن جريف المرتزِق، أو قد تكون (المُحارب) متنكِّرًا في هيئة إنسان. دعني ألقي نظرةً أقرب»، ورفعَ مشعله ليغمر الضَّوء وجه جريف الصَّغير.

قال جريف آمرًا: «توقَّف وإلَّا تمنَّيت لو أنك فعلت».

تجاهلَه القزم، وتابعَ: «الشَّعر الأزرق يجعل عينيك تبدوان زرقاوين، وهذا جيِّد، وقصَّة صبغك إياه تكريمًا لأمِّك التايروشيَّة الميتة كانت مؤثِّرةً لدرجةٍ كادَت تُبكيني. ومع ذلك قد يتساءَل رجل فضولي عن سبب احتياج ابن مرتزِقٍ إلى سِپتةٍ ملوَّثة تُرشِده في تعاليم العقيدة، أو إلى مِايستر بلا سلسلةٍ يُعلِّمه التَّاريخ واللُّغات. وقد يستنكر رجل ذكي أن يَطلُب أبوك من فارسٍ متجوِّل أن يُدرِّبك على السِّلاح بدلًا من إرسالك ببساطةٍ للتَّدريب في إحدى الجماعات الحُرَّة. كأن أحدهم يُريد أن يُخفيك فيما يعدُّك لـ... لأيِّ شيء؟ هذا هو اللُّغز، لكنني واثق بأني سأعرفُ الحلَّ مع الوقت. عليَّ أن أعترف بأن لك ملامح نبيلةً بالنِّسبة إلى شخصٍ ميت».

احتقنَ وجه الفتى، وقال: «لستُ ميتًا!».

- «كيف؟ لقد لفَّ السيِّد والدي جثَّتك بمعطفٍ قرمزي ووضعَها إلى جوار جثَّة أختك عند قدم العرش الحديدي، هديَّة للملك الجديد. من قووا على رفع المعطف قالوا إن نِصف رأسك لم يكن موجودًا».

تراجعَ الفتى خُطوةً حائرًا، وردَّد: «السيِّد...».

- «... والدي، أجل. تايوين سليل عائلة لانستر. ربما سمعت به».

تردَّد جريف الصَّغير لحظةً، ثم قال: «لانستر؟ أبوك...».

- «... ماتَ، بيدي. إذا أرادَ سموُّ الأمير أن يدعوني بيولو أو هيوجور فليكن، لكن اعلم أنني وُلِدتُ تيريون سليل عائلة لانستر، الابن الشَّرعي لتايوين وچوانا اللذين قتلتهما كليهما. سيقول لك النَّاس إنني قاتِل ملكٍ وقاتِل أقربين وكاذب، وكلُّ هذا صحيح... لكننا جميعًا صُحبة من الكاذبين، أم أنني مخطئ؟ أبوك الزَّائف مثلًا. جريف، أليس كذلك؟»، وأطلقَ القزم ضحكةً مكتومةً، ثم واصلَ: «عليكم أن تَشكُروا الآلهة لكون ڤارس العنكبوت جزءًا من مؤامرتكم هذه. لم يكن جريف ليخدع الأعجوبة عديم القضيب لحظةً، مِثلما لم يخدعني. يقول حضرة اللورد إنه ليس لورد أو فارسًا، وأنا لستُ قزمًا. مجرَّد قول الشَّيء لا يجعله حقيقةً. مَن أفضل لتربية ابن الأمير ريجار الرَّضيع من صديق الأمير ريجار العزيز چون كوننجتون الذي كان سيِّد (وكر الجَرافن) ويد الملك؟».

قال جريف بتوتُّر: «صمتًا».

إلى ميسرة القارب لاحَت يد حجريَّة ضخمة تحت الماء مباشرةً، يَبرُز اثنان من أصابعها فوق السَّطح. تساءلَ تيريون: *كم واحدًا هناك من هذه التَّماثيل؟* وشعرَ بقطرةٍ من النَّدى تسيل على عموده الفقري لتجعله يرتعد. مرَّت (الويلات) على جانبيهم، وعبر الغيوم أبصرَ قمَّةً مدبَّبةً مكسورةً وبطلًا بلا رأسٍ وشجرةً عتيقةً اجتُثَّت من الأرض وانقلبَت، تلتوي جذورها الضَّخمة عبر سقف ونوافذ قُبَّةٍ مهشَّمة. *لِمَ يبدو كلُّ هذا مألوفًا للغاية؟* أمامهم مباشرةً ارتفعَ سُلَّم مائل من الرُّخام الباهت من المياه المظلمة ملتفًّا بأناقةٍ في الهواء قبل أن ينتهي فجأةً فوق رؤوسهم بعشرة أقدام، فقال تيريون لنفسه: *لا، غير ممكن.*

وقالت ليمور بصوتٍ راجف: «أمامنا ضوء».

نظروا كلُّهم، ورأوه كلُّهم، وقال جريف: «(الرَّفراف)، أو قارب آخِر مشابه»، لكنه عادَ يستلُّ سيفه.

لم ينبس أحدهم ببنت شفة، وأبحرَ (العذراء الخجول) مع التيَّار. منذ دخلوا (الويلات) لم يُرفَع شراع القارب، وما من سبيلٍ للحركة إلَّا مع مجرى النَّهر. وقفَ البطَّة مضيِّقًا عينيه وقابضًا على عصاه بكلتا يديه، وبعد مُدَّةٍ كفَّ ياندري أيضًا عن الدَّفع. كلُّ عينٍ على الضَّوء البعيد، ومع دنوِّهم تحوَّل إلى ضوأين، ثم ثلاثة.

قال تيريون: «(جسر الحُلم)».

ردَّ هالدون: «مستحيل. الجسر وراءنا. الأنهار تجري في اتِّجاهٍ واحد».

غمغمَ ياندري: «(الأم روين) تجري كما شاءَت».

قالت ليمور: «ليُنقِذنا (السَّبعة) جميعًا».

أمامهم بدأ المتحجِّرون على الجسر يُوَلوِلون وراحَ بعضهم يُشير إليهم، فقال جريف آمرًا: «هالدون، خُذ الأمير إلى أسفل».

لكن فاتَ الأوان. أطبقَ عليهم التيَّار بأسنانه ومضوا بلا حيلةٍ صوب الجسر. دفعَ ياندري بعصاه ليحول دون الارتطام بإحدى الرَّكائز، فدفعَتهم الحركة جانبًا إلى ستار الطُّحلب الرَّمادي الشَّاحب، وشعرَ تيريون بالمَحالق تمسُّ وجهه بنعومة أصابع عاهرة. ثم إنه سمعَ الاصطدام من ورائه، ومالَ السَّطح بغتةً حتى إنه كادَ يفقد توازُنه وينطرِح في الماء.

واحد من المتحجِّرين سقطَ على القارب.

حطَّ على سطح القمرة بثقلٍ رجَّ (العذراء الخجول)، وهدرَ في وجوههم بشيءٍ ما بلُغةٍ يجهلها تيريون، ثم تبعَه متحجِّر آخَر حطَّ إلى جوار الدفَّة لتتحطَّم ألواح الخشب البالية من الصَّدمة وتَصرُخ يسيلا.

كان البطَّة الأقرب إليها، ولم يُهدِر الرَّجل الكبير وقتًا في استلال سيفه، وبدلًا من ذلك أدارَ عصاه وهوى بها على صدر المتحجِّر مسقطًا إياه من القارب في النَّهر، حيث غاصَ في الحال بلا صوت.

وانقضَّ جريف على الثَّاني لحظة أن نزلَ مترنِّحًا من فوق سطح القمرة. بالسَّيف في يُمناه والمشعل في يُسراه أجبرَ الكائن على التَّراجُع، وإذ دفعَ التيَّار (العذراء الخجول) تحت الجسر تراقصَ ظلَّاهما المتبدِّلان على الجِدارين المكسوَّين بالطُّحلب. حين تحرَّكَ المتحجِّر نحو المؤخِّرة سدَّ البطَّة طريقه بالعصا، وحين تحرَّكَ نحو المقدِّمة لوَّح النِّصف مِايستر بمشعلٍ آخَر في وجهه وأرغمَه على التَّقهقُر، فلم يجد خيارًا إلَّا الهجوم على جريف مباشرةً. انزاحَ القائد جانبًا بنصلٍ يلمع، وطارَت شرارة عندما انغرسَ الفولاذ في لحم الرَّجل المتحجِّر الرَّمادي المتكلِّس، قبل أن تَسقُط ذراعه على سطح القارب. ركلَ جريف الذِّراع بعيدًا، واقتربَ ياندري والبطَّة بعصويهما ومعًا أجبَرا الكائن على السُّقوط من فوق حاجز القارب في مياه (الروين) السَّوداء.

حينئذٍ كان (العذراء الخجول) قد خرجَ من تحت الجسر، وسألَ البطَّة: «هل نلنا منهم جميعًا؟ كم واحدًا قفزَ؟».

قال تيريون مرتجفًا: «اثنان».

لكن هالدون قال: «ثلاثة. وراءك».

والتفتَ القزم، وها هو ذا.

حطَّمت القفزة إحدى ساقيه، ونتأت قطعة محزَّزة من العظم الشَّاحب من قُماش سراويله العفِن واللَّحم الرَّمادي من تحته، وكانت العظمة المكسورة ملطَّخةً بالدِّماء البنِّيَّة، وعلى الرغم من هذا اندفعَ الكائن إلى الأمام مادًّا يده نحو جريف الصَّغير، يدًا رماديَّةً متيبِّسةً لكن الدَّم كان ينزُّ من بين مفاصل أصابعه وهو يُحاوِل إغلاق قبضته. وقفَ الفتى يُحملِق كأنه هو الآخَر من حجر، يده على مقبض سيفه ولكن يبدو أنه نسيَ السَّبب.

ركلَ تيريون ساق الفتى من تحته ووثبَ من فوقه مع سقوطه، ودسَّ مشعله في وجه المتحجِّر ليتعثَّر إلى الوراء على ساقه المهشَّمة وهو يضرب اللَّهب بيدين رماديَّتين متيبِّستين، وأقبلَ القزم على المتحجِّر ملوِّحًا بمشعله في عينَيه. *أبعد قليلًا، خُطوة أخرى إلى الوراء، خُطوة أخرى*. كانا على حافة السَّطح عندما انقضَّ عليه الكائن وأطبقَ على مشعله وانتزعَه من يده، وقال تيريون لنفسه: *فلتحلَّ بي اللَّعنة*.

ألقى المتحجِّر المشعل بعيدًا ليَصدُر هسيس خافت إذ أطفأت المياه السَّوداء اللَّهب، وعوى الرَّجل. كان من أهل (جُزر الصَّيف) من قبل، استحالَ فكُّه ونِصف وجنته إلى حجر، لكن بشرته سوداء كمنتصَف اللَّيل حيثما غابَ الرَّمادي، وقد تشقَّق جِلد يده وانفلقَ حيث أمسكَ المشعل، وسالَ الدَّم من مفاصل أصابعه ولو أنه لا يحسُّ به على ما يبدو. خطرَ لتيريون أنها رحمة صغيرة، فمع أن الدَّاء الأرمد مميت فإنه لا يُؤلِم.

من بعيدٍ صاحَ أحدهم: «تنحَّ جانبًا!»، وقال صوت آخَر: «الأمير! احموا الفتى!»، وتقدَّم الرَّجل الحجري يترنَّح بيدين ممدودتين.

وارتطمَ تيريون به بكتفه.

شعرَ كأنه صدمَ سور قلعة، لكن هذه القلعة قائمة على ساقٍ محطَّمة، فسقطَ المتحجِّر على ظَهره من فوق الحاجز ممسكًا بتيريون، ومعًا ضربا النَّهر ناثرَين عمودًا طويلًا من الماء، وابتلعَتهما (الأُم روين).

ضربَت البرودة المباغتة تيريون كالمطرقة، وبينما غاصَ شعرَ بيدٍ حجريَّة تتلمَّس وجهه، وبأخرى تقبض على ذراعه جارَّةً إياه إلى الظُّلمات بالأسفل. بعينين أعماهما السَّواد وأنفٍ ملأَته مياه النَّهر، بصدرٍ يضيق وجسدٍ يغرق، ركلَ تيريون وتلوَّى وقاتلَ لانتزاع الأصابع عن ذراعه، لكن اليد الحجريَّة لم تتزحزَح قيد أُنملة. بقبقَ الهواء من فمه، واسودَّ العالم وأخذَ يزداد سوادًا، وانكتمَت أنفاسه.

ثمَّة طرائق للموت أسوأ من الغرق. والحقيقة أنه ماتَ منذ زمنٍ طويل بالفعل في (كينجز لاندنج)، ولم يتبقَّ إلَّا طيفه، شبحه المنتقم الذي خنقَ شِاي وغرسَ سهمًا في أحشاء تايوين لانستر العظيم. لا أحد سيبكي الشَّيء الذي صارَه، وهكذا قال لنفسه وهو يغوص في الأعماق: *سيَسكُن شبحي (الممالك السَّبع). لم يحبُّوني وأنا حي. فليرتعبوا مني إذن وأنا ميت*.

ولمَّا فتحَ فاه يلعنهم جميعًا ملأَت المياه السَّوداء رئتيه وانطبقَت عليه الظُّلمة.

- «سيسمعك حضرة اللورد الآن أيها المهرِّب».

يرتدي الفارس درعًا فضِّيَّةً، وعلى واقي ساقيه وقُفَّازيه نقوش من المينا الأسود تُحاكي الطَّحالب البحريَّة السَّابحة، وتتَّخذ الخوذة تحت إبطه شكل رأس ملك شعب البحار، بتاجٍ من عِرق اللُّؤلؤ ولحيةٍ بارزة من السَّبج واليَشب، أمَّا لحيته هو فرماديَّة كبحر الشِّتاء.

نهضَ داقوس متسائلًا: «هل لي أن أعرف اسمك أيها الفارس؟».

- «السير مارلون ماندرلي». الرَّجل أطول قامةً من داقوس برأسٍ وأثقل منه بستِّين رطلًا وعيناه رماديَّتان كالأردواز، ويتكلَّم بأسلوبٍ لا يخلو من الغطرسة. «لي شَرف أن أكون ابن عمِّ اللورد وايمان وقائد حاميته. اتبعني».

جاءَ داقوس (الميناء الأبيض) مبعوثًا، لكنهم جعلوه أسيرًا. صحيحٌ أن غُرفته واسعة جيِّدة التَّهوية باذخة الأثاث، لكن خارج الباب حُرَّاسًا، ومن نافذته يستطيع أن يرى شوارع المدينة وراء أسوار القلعة، لكن ليس مسموحًا له بالمشي فيها. بإمكانه أن يرى المرفأ أيضًا، وقد شاهدَ (القابلة المرحة) تقطع اللِّسان البحري مغادرةً، بعد أن انتظرَ كاسو موجات أربعة أيامٍ لا ثلاثةً ليرحل، ومنذ ذلك الحين مرَّ أسبوعان.

يرتدي حَرس أهل بيت اللورد ماندرلي معاطف من الصُّوف الأخضر المزرق، ويحملون رماحًا فضِّيَّةً ثُلاثيَّة الشُّعب بدلًا من الحِراب التَّقليديَّة. تحرَّك أحدهم أمامه وأحدهم وراءه وآخَران على جانبيه، ومرُّوا بالرَّايات الباهتة والتُّروس المكسورة والسُّيوف الصَّدئة المتوارَثة من مئة نصرٍ مغرق في القِدم، ونحو عشرين من التَّماثيل الخشبيَّة المتصدِّعة التي نخرَها الدُّود، ومؤكَّد أنها كانت تُزيِّن مقدِّمات سُفنٍ في الماضي.

على جانبَي باب بلاط حضرة اللورد يقف عريسا بحرٍ من المرمر، ابنا عمٍّ قدم السَّمكة الأصغر حجمًا. فتحَ الحَرس مصراعَي الباب، فدقَّ الحاجب الأرضيَّة الخشب القديمة بكعب عصاه، وأعلنَ بصوتٍ رنَّان: «السير داڤوس سليل عائلة سيوورث».

خلال زياراته العديدة إلى (الميناء الأبيض) لم تطأ قدما داڤوس (القلعة الجديدة) قَطُّ، ناهيه بـ(بلاط عريس البحر). جُدران القاعة وأرضيَّتها من ألواح الخشب المعشَّقة ببراعةٍ والمزيَّنة بصُور مخلوقات البحار كافَّة. مع اقترابهم من المنصَّة خطا داڤوس على سراطين ومحار ونجوم بحرٍ مرسومة شِبه متوارية بين الطَّحالب البحرية السَّوداء وعظام البحَّارة الغرقى، وعلى الجُدران على جانبيه رأى قروشًا شاحبةً تجوب أعماقًا خضراء مزرقَّةً، وثعابين ماءٍ وأخابيط تنزلق بين صخورٍ وسُفنٍ غارقة، وأفواجًا من الرِّنجة وأسماك القُد الكبيرة تسبح بين نوافذ طويلة مقنطَرة. بالأعلى، قُرب شباك الصَّيد القديمة المتدلِّية من عوارض السَّقف، رُسِمَ سطح البحر، إلى اليمين يُبحِر قادس حربي بسلامٍ أمام الشَّمس المشرقة، وإلى الشِّمال يُسابِق كوج قديم بالٍ مهترئ القلوع عاصفةً، ووراء المنصَّة معركة محتدمة بين كراكِن ولَوِياثان[39] رمادي تحت الأمواج المرسومة.

كان داڤوس يأمل أن يتكلَّم مع اللورد وايمان على انفراد، لكنه وجدَ البلاط مزدحمًا. عند الجُدران تفوق النِّساء الرِّجال عددًا خمسًا إلى واحد، والذُّكور القلائل الذي رآهم إمَّا لهم لحى طويلة شائبة وإمَّا يبدون أصغر من أن تنبت لهم لحى. رأى عددًا من السِّپتونات أيضًا، وأخواتٍ مشرَّفات يرتدين المسوح البيضاء والرَّماديَّة.

قُرب رأس القاعة دستة من الرِّجال في ثياب عائلة فراي الرَّماديَّة الفضِّيَّة. يستطيع الأعمى أن يرى تشابُه قسماتهم، وقد وضعَ أكثرهم على صدره شارة (التَّوأمتين)، البُرجين المربوطين بجسر.

تعلَّم داقوس قراءة وجوه النَّاس قبل أن يُعلِّمه المِايستر پايلوس قراءة الحروف على الورق، وبنظرةٍ واحدة أدركَ كم سيطرب أبناء فراي هؤلاء لموته.

كما أنه لم يجد أيَّ ترحابٍ في عينَي وايمان ماندرلي الزَّرقاوين الباهتتين. يسع عرش حضرة اللورد المزوَّد بالوسائد ثلاثة رجالٍ من الحجم العادي، أمَّا ماندرلي فعلى وشك أن يفيض عنه. في جلسته هذه يترهَّل جسد حضرة اللورد، كتفاه متهدِّلتان وساقاه متباعدتان ويداه مستقرَّتان على ذراعَي عرشه كأن وزنهما يفوق احتماله. حين رأى داقوس وجه اللورد وايمان قال لنفسه: بحقِّ *الآلهة، إنه يبدو أقرب إلى جثَّة*. بشرة الرَّجل صفراء ممتقعة، وفيها مسحة خفيفة من الرَّمادي.

يقول المَثل القديم إن حول الملوك والجُثث دومًا حضور، وهذه هي الحال مع ماندرلي. إلى يسار المقعد العالي يقف مِايستر يُداني اللورد الذي يخدمه بدانةً، رجل متورِّد الوجنتين له شفتان غليظتان وشَعر ذهبي، في حين أخذَ السير مارلون موضع الشَّرف عند يد حضرة اللورد اليُمنى، وعلى كُرسي مزوَّد بوسادة عند قدميه قبعَت سيِّدة ممتلئة متورِّدة الوجه، ووراء اللورد وايمان تقف امرأتان أصغر سِنًّا يبدو أنهما أختان، أكبرهما تعقص شَعرها البنِّي في ضفيرةٍ طويلة، والصَّغيرة التي لا تتعدَّى الخمسة عشر عامًا تَصبغ ضفيرتها الأطول بالأخضر المبهرج.

لم يختر أحد منهم أن يُشرِّف داقوس بذِكر اسمه، وكان المِايستر أول من تكلَّم، فقال: «أنت في حضرة وايمان ماندرلي، سيِّد (الميناء الأبيض) ووصي (السكِّين الأبيض)، مِجَنُّ العقيدة، حامي المشرَّدين، مُشير (الماندر)، فارس جماعة اليد الخضراء. جرى العُرف في (بلاط عريس البحر) على أن يركع الأتباع والملتمسون».

كان فارس البصل ليركع، أمَّا يد الملك فلا. لو فعلَ فمعنى ذلك أن الملك الذي يخدمه أدنى شأنًا من هذا اللورد السَّمين. ردَّ داقوس: «لم آتِ ملتمسًا. إن لي سلسلةً من الألقاب أيضًا. سيِّد (الغابة المطيرة)، أميرال (البحر الضيِّق)، يد الملك».

أدارَت المرأة الممتلئة الجالسة على الكُرسي عينيها باستهانة، وقالت: «أميرال بلا سُفن ويد بلا أصابع في خدمة ملكٍ بلا عرش. أمَن أمامنا فارس أم جواب أُحجية أطفال؟».

قال اللورد وايمان: «إنه رسول يا زوجة ابني، بصلة تُنذِر بالشُّؤم. لم تُعجِب ستانيس الإجابة التي حملَتها إليه الغِدفان فأرسلَ هذا... هذا المهرِّب»، ورمقَ داقوس مضيِّقًا عينين شِبه مدفونتين وسط طيَّات الدُّهون، وقال له: «أظنُّك زُرت مدينتنا من قبل، أخذت المال من جيوبنا والطَّعام من على موائدنا. كم سرقت مني يا تُرى؟».

ليس ما يكفي لجعلك تُفوِّت وجبةً واحدةً. أجابَ داقوس: «لقد دفعتُ ثَمن اشتغالي بالتَّهريب في (ستورمز إند)»، وخلعَ قُفَّازه ورفعَ يُسراه ذات الأصابع المقصَّرة الأربعة.

قالت الجالسة على الكُرسي ذات الشَّعر الأصفر والوجه المتورِّد المستدير اللَّحيم: «أربع أنامل مقابل عُمرٍ من السَّرقة؟ دفعت ثَمنًا بخسًا يا فارس البصل».

لم يُنكِر داقوس كلامها، وخاطبَ ماندرلي قائلًا: «بعد إذن سيِّدي، أطلبُ أن أتكلَّم معك على انفراد».

لكن اللورد لم يأذن، وقال: «لستُ أخفي أسرارًا عن أهلي ولا عن لورداتي وفُرساني المخلصين. جميعهم أصدقاء مقرَّبون».

قال داقوس: «سيِّدي، لستُ أريدُ أن يسمع كلامي أعداء صاحِب الجلالة... أو أعداؤك».

- «قد يكون لستانيس أعداء في هذه القاعة، أمَّا أنا فبلا أعداء هنا».

سألَه داقوس: «ولا حتى من قتلوا ابنك؟»، وأشارَ متابعًا: «أبناء فراي هؤلاء كانوا من ضمن مضيفيه في الزِّفاف الأحمر».

تقدَّم أحد أبناء فراي، فارس طويل الأطراف نحيلها، حليق الوجه باستثناء شاربٍ رفيع كخنجرٍ مايري، وقد خاطبَ داقوس قائلًا: «الزِّفاف الأحمر كان من صُنع الذِّئب الصَّغير. لقد تحوَّل إلى ذئبٍ أمام أعيُننا ومزَّق حَلق ذي الجلاجل ابن عمِّي الأبله المسالم. كان ليَقتُل السيِّد والدي أيضًا لولا أن وضعَ السير وندل نفسه في طريقه».

قال اللورد وايمان حابسًا دموعه: «لطالما كان وندل صبيًّا شُجاعًا. لم يُدهِشني أن أعلم أنه ماتَ بطلًا».

جعلَت جسامة الكذبة داقوس يشهق، وسألَ ابن فراي: «هل تَزعُم أن روب ستارك قتلَ وندل ماندرلي؟!».

- «وقتلَ كثيرين غيره. ابني تايتوس كان منهم، وزوج ابنتي. حين تحوَّل ستارك إلى ذئبٍ فعلَ الشَّماليُّون مِثله. علامة الوحش كانت عليهم جميعًا. الأوْراج يُوجِدون الأوْراج بعضَّة، هذا معلوم للجميع. أنا وإخوتي بذلنا جهدنا كلَّه لقتلهم قبل أن يفتكوا بنا جميعًا».

كان الرَّجل يتكلَّم بابتسامةٍ متكلَّفة جعلَت داقوس يُريد أن يُقشِّر شفتيه بسكِّين. سألَه: «هل لي أن أعرف اسمك أيها الفارس؟».

- «السير چارد سليل عائلة فراي».

- «چارد سليل عائلة فراي، إنني أتَّهمك بالكذب».

لاحَ على السير چارد الاستمتاع وهو يقول: «بعض النَّاس يبكي وهو يُقشِّر البصل، أمَّا أنا فلم أعانِ هذه النَّقيصة قَطُّ»، وهمسَ الفولاذ محتكًّا بالجِلد إذ امتشقَ سيفه مضيفًا: «إذا كنت فارسًا حقًّا فدافع عن هذا الافتراء بجسدك».

اختلجَت عينا اللورد وايمان إذ انفتحَتا، وقال: «لن أسمح بإراقة الدِّماء في (بلاط عريس البحر). أغمِد فولاذك يا سير چارد، وإلَّا فعليَّ أن أطلب منك أن تَترُك حضرتي».

دسَّ السير چارد سيفه في غِمده قائلًا: «تحت سقف حضرة اللورد كلمة حضرة اللورد قانون... لكنني أريدُ تسوية حسابي مع لورد البصل هذا قبل أن يُغادِر المدينة».

ولولَت الجالسة على الكُرسي: «الدَّم! هذا ما يُريده البصلة الثَّالفة يا سيِّدي. أترى كيف يُثير المتاعب؟ اصرفه، أتوسَّلُ إليك. إنه يُريد دم قومك، دم أبنائك الشُّجعان. اصرفه! إذا علمَت الملكة أنك اجتمعت بهذا الخائن فقد تُشكِّك في ولائنا. قد... يُمكنها أن... ســ...».

قال اللورد وايمان: «لن تصل الأمور إلى ذلك الحدِّ يا زوجة ابني. لن يجد العرش الحديدي داعيًا للشَّكِّ فينا».

لم يَرُق داقوس وقع كلماته، لكنه لم يقطع هذه المسافة كلَّها ليلوذ بالصَّمت، وهكذا قال: «الصَّبي الجالس على العرش الحديدي غاصِب، وأنا لستُ خائنًا، بل يد ستانيس باراثيون الأول، ملك (وستروس) الشَّرعي».

تنحنحَ المِايستر البدين، وقال: «ستانيس باراثيون أخو ملكنا الرَّاحل روبرت، عسى (الأب) أن يَحكُم عليه بالعدل. تومن من صُلب روبرت، وقوانين الخلافة واضحة في هذه الحالة. الابن يسبق الأخ».

قال اللورد وايمان: «المِايستر ثيومور يقول الحقَّ. إنه حكيم في مِثل هذه الأمور، ولطالما أحسنَ المشورة».

- «الابن الشَّرعي يسبق الأخ، لكن تومن المدعو بباراثيون ابن حرام، تمامًا كما كان أخوه چوفري من قبله، أنجبَهما قاتِل الملك في تحدٍّ لجميع شرائع الآلهة والبَشر».

تكلَّم فراي آخَر قائلًا: «يتحدَّث بالخيانة بشفتيه هاتين يا سيِّدي. ستانيس أخذَ أصابعه السَّارقة، فلتأخذ لسانه الكذوب».

علَّق السير چارد: «الأحرى أن تأخذ رأسه، أو تدعه يُواجِهني في مضمار الشَّرف».

رماه داقوس بسؤاله: «ما الذي يعرفه ابن لفراي عن الشَّرف؟».

تقدَّم أربعة من أبناء فراي إلى أن منعَهم اللورد وايمان بيدٍ مرفوعة، وقال: «تراجَعوا يا أصدقاء. سأسمعه قبل أن... قبل أن أتعامل معه».

سألَ المِايستر ثيومور طاويًا يديه النَّاعمتين على بطنه: «هل عندك دليل على زنى المحارم المزعوم هذا أيها الفارس؟».

إدريك ستورم، لكنني أرسلته بعيدًا عبر (البحر الضيِّق) لأحميه من نيران مليساندرا. «كلمة ستانيس باراثيون تشهد بأن كلَّ ما قلته صحيح».

- «الكلام هواء»، قالت الشَّابَّة الواقفة وراء مقعد اللورد ماندرلي، الحسناء ذات الضَّفيرة البنِّيَّة الطَّويلة. «والرِّجال يكذبون لينالوا مرادهم كما تعرف كلُّ فتاة».

أعلنَ المِايستر ثيومور: «الإثبات يتطلَّب ما هو أكثر من كلمة بلا سندٍ من لورد ما. لن يكون ستانيس باراثيون أول من يكذب ليظفر بعرش».

أشارَت متورِّدة الوجه بإصبعٍ سمين إلى داڤوس، وقالت: «لسنا نُريد أن نكون جزءًا من أيِّ خيانةٍ يا هذا. إننا قوم طيِّبون في (الميناء الأبيض)، قوم مخلصون نُطيع القانون. لا تصبَّ مزيدًا من السُّموم في آذاننا وإلَّا أرسلك أبو زوجي إلى (عرين الذِّئاب)».

كيف أسأتُ إلى هذه بالضَّبط؟ «هلَّا شرَّفتني سيِّدتي باسمها؟».

تنشَّقت المرأة بغضبٍ وتركَت المِايستر يُجيب عنها: «الليدي ليونا زوجة السير وايليس نجل اللورد وايمان، الأسير حاليًّا عند آل لانستر».

تقول ما تقوله بدافع الخوف. إذا أعلنَت (الميناء الأبيض) انضمامها إلى ستانيس فسيدفع زوجها حياته ثَمنًا. *أنَّى لي أن اطلب من اللورد وايمان الحُكم على ابنه بالموت؟ ماذا كنتُ لأفعل لو أن دڤان رهينة؟* قال داڤوس: «سيِّدي، آملُ ألَّا يمسَّ سوء ابنك أو أيَّ أحدٍ في (الميناء الأبيض)».

قالت الليدي ليونا من على كُرسيِّها: «كذبة أخرى».

قرَّر داڤوس أن تجاهُلها أفضل، وقال: «عندما أعلنَ روب ستارك الحرب على الثَّغل چوفري المدعو بباراثيون خرجَت (الميناء الأبيض) معه. اللورد ستارك سقطَ، لكن حربه مستمرَّة».

قال اللورد وايمان: «روب ستارك كان وليَّ أمري. مَن ستانيس هذا؟ لماذا يُزعِجنا؟ إنه لم يَشعُر بالحاجة إلى الارتحال شمالًا من قبل بحسب ما أذكرُ، ولكن ها هو ذا يَظهر الآن، كلب مهزوم يحمل خوذته بيده ويتوسَّل الصَّدقة».

ردَّ داڤوس بإصرار: «لقد أتى لإنقاذ البلاد، للدِّفاع عن أراضيكم ضد الحديديِّين والهَمج».

إلى جوار المقعد العالي أطلقَ السير مارلون ماندرلي نخير استهتار، وقال: «مضَت قرون منذ رأت (الميناء الأبيض) أيَّ هَمج، والحديديُّون لم يُزعِجوا هذا السَّاحل قَطُّ. هل يعرض اللورد ستانيس أن يدافع عنا ضد السناركات والتَّنانين أيضًا؟».

اكتسحَ الضَّحك (بلاط عريس البحر)، لكن عند قدمَي اللورد وايمان أجهشَت الليدي ليونا بالبُكاء، وقالت: «حديديُّون من الجُزر، هَمج من وراء (الجِدار)... والآن هذا اللورد الخائن بمجرميه ومتمرِّديه ومشعوذيه»، وأشارَت بإصبعها إلى داڤوس مضيفةً: «نعم، لقد سمعنا بساحرتكم الحمراء. تُريدنا أن ننقلب على آلهتنا السَّبعة ونركع لشيطانٍ من نار!».

لا يحبُّ داقوس الرَّاهبة الحمراء إطلاقًا، لكنه لم يجرؤ أن يدع كلام الليدي ليونا يمرُّ مرور الكرام، فقال: «الليدي مليساندرا من راهبات الإله الأحمر، وقد اعتنقَت الملكة سيليس وكثيرون آخَرون ديانتها، لكن أكثر تابعي جلالته ما زالوا يَعبُدون (السَّبعة)، وأنا منهم». تمنَّى ألَّا يَطلُب منه أحدهم أن يُفسِّر ما جرى للسِّپت في (دراجونستون) أو أيكة الآلهة في (ستورمز إند). *إذا سألوا فعليَّ أن أجيبهم. لن يُريدني ستانيس أن أكذب.*

أعلنَت الليدي ليونا: «(السَّبعة) يُدافِعون عن (الميناء الأبيض). لسنا نخشى ملكتك الحمراء أو إلهها. فلتُعمِل ما تشاء من تعاويذ. ستحمينا صلوات المتديِّنين من الشُّرور».

قال اللورد وايمان: «بالتَّأكيد»، وربَّت على كتف الليدي ليونا، واستطردَ: «لورد داقوس، لو أنك لورد حقًّا، إنني أعرفُ ما يُريده مني ملكك المزعوم، الفولاذ والفضَّة والرُّكوع»، وعدَّل جلسته ليتَّكئ على مِرفقه متابعًا: «قبل مقتله عرضَ اللورد تايوين على (الميناء الأبيض) عفوًا كاملًا عن دعمنا الذِّئب الصَّغير، ووعدَ بإعادة ابني إليَّ حالما أدفعُ فديةً بقيمة ثلاثة آلاف تنِّين ذهبي وأثبتُ إخلاصي بما لا يدع مجالًا للشَّكِّ. رووس بولتون، الذي عُيِّنَ حاكمًا للشَّمال، يَطلُب أن أتخلَّى عن مطالبتي بأراضي وقلاع اللورد هورنوود، لكنه يُقسِم أن أحدًا لن يمسَّ أملاكي الأخرى، وحموه والدر فراي يعرض أن تتزوَّجني إحدى بناته، بالإضافة إلى زوجين لابنتَي ابني الواقفتين هنا ورائي. هذه الشُّروط تبدو لي عادلةً، قاعدة قويَّة لسلامٍ عادلٍ دائم. والآن تُريد مني أن أرفضها، وعليه أسألك يا فارس البصل، ما الذي يعرضه عليَّ اللورد ستانيس نظير ولائي؟».

كان داقوس ليقول: *الحرب والويل وصريخ المحروقين*، لكنه بدلًا من ذلك أجابَ: «فُرصة أن تُؤدِّي واجبك». هذه هي الإجابة التي كان ستانيس ليُعطيها لوايمان ماندرلي. *على اليد أن يتكلَّم بصوت الملك*.

عادَ اللورد وايمان يسند ظَهره قائلًا: «الواجب، مفهوم».

- «(الميناء الأبيض) ليست بالقوَّة الكافية للوقوف وحدها. إنك محتاج إلى جلالته بقدر ما يحتاج إليك، ومعًا تستطيعان هزيمة أعدائكما المشتركين».

قال السير مارلون الواقف بدرعه الفضِّيَّة المنمَّقة: «سيِّدي، هلَّا سمحت لي بإلقاء بعض الأسئلة على اللورد داقوس؟».

أجابَ ماندرلي: «كما ترغب يا ابن العم»، وأغمضَ عينيه.

التفتَ السير مارلون إلى داقوس سائلًا: «كم من لوردات الشَّمال أعلنَ تأييده ستانيس؟ أخبِرنا بهذا».

- «آرنولف كارستارك تعهَّد بالانضمام إلى جلالته».

- «آرنولف ليس لورد حقًّا، بل مجرَّد أمين قلعة. ما القلاع التي يحتفظ بها اللورد ستانيس في الوقت الحالي؟».

- «جلالته اتَّخذ (قلعة اللَّيل) مقرًّا، وفي الجنوب يحتفظ بـ(ستورمز إند) و(دراجونستون)».

تنحنحَ المِايستر ثيومور، وقال: «في الوقت الرَّاهن فقط. (ستورمز إند) و(دراجونستون) ضعيفتا الدِّفاعات ومؤكَّد أنهما ستَسقُطان قريبًا، و(قلعة اللَّيل) خرابة مسكونة بالأشباح، مكان كئيب موحش».

واصلَ السير مارلون: «كم رجلًا يستطيع ستانيس أن يضع في الميدان؟ هلَّا أخبرتنا بهذا؟ كم فارسًا يركبون معه؟ كم راميًا ومحاربًا غير نظامي وجُنديًّا؟».

قليلون للغاية. لقد أتى ستانيس شمالًا بألف وخمسمئة رجلٍ لا أكثر... لكن إذا أخبرَهم بهذا فإنها نهاية مهمَّته. بحثَ عن ردٍّ ولم يجد.

قال السير مارلون: «صمتك إجابة شافية أيها الفارس. ملكك لم يأتنا إلَّا بالأعداء»، والتفتَ إلى ابن عمِّه قائلًا: «حضرة اللورد سألَ فارس البصل عمَّا يعرضه ستانيس علينا. دعني أجاوبُ. إنه يعرض علينا الموت والهزيمة، يُريدك أن تمتطي حصانًا من هواء وتخوض المعركة بسيفٍ من ريح».

فتحَ اللورد السَّمين عينيه ببُطءٍ كأن المجهود يكاد يقهره، وقال: «كالمعتاد يُصيب ابن عمِّي كبد الحقيقة. هل لديك أقوال أخرى يا فارس البصل أم يُمكننا أن نضع نهايةً لهذه المهزلة؟ لقد بدأتُ أسأمُ وجهك».

شعرَ داڤوس باليأس يطعنه طعنًا. *كان على جلالته أن يُرسِل رجلًا آخَر، أحد اللوردات أو الفُرسان أو المِايسترات، أحدًا يستطيع الكلام نيابةً عنه دون أن يتعثَّر في لسانه*. سمعَ نفسه يقول: «الموت. سينال الموت من بعض النَّاس، أجل. حضرتك فقدت ابنًا في الزِّفاف الأحمر، وأنا فقدتُ أربعةً في (النَّهر الأسود). ولِمَ؟ لأن آل لانستر سرقوا العرش. اذهب إلى (كينجز لاندنج) وألقِ نظرةً على تومن بعينيك إذا كنت تشكُّ في كلامي. بإمكان الأعمى أن يرى حقيقته. ما الذي يعرضه عليك ستانيس؟ الثَّأر، الثَّأر لأبنائي وابنك، لأزواجكم وآبائكم وإخوتكم، الثَّأر لسيِّدكم القتيل، لملككم القتيل، لأميريكم القتيليْن، الثَّأر!».

رفعَت فتاة عقيرتها تقول: «نعم».

كان صوت الطِّفلة التي لم يُونِع شبابها بعدُ، ذات الحاجبين الأشقرين والضَّفيرة الخضراء الطَّويلة، وقد تابعَت: «لقد قتلوا اللورد إدارد والليدي كاتلين والملك روب. كان ملكنا! كان شُجاعًا وصالحًا وآل فراي اغتالوه! إذا كان اللورد ستانيس سينتقم له فعلينا الانضمام إلى اللورد ستانيس».

جذبَها ماندرلي قائلًا: «وايلا، كلَّما فتحتِ فمكِ جعلتِني أريدُ أن أرسلكِ إلى الأخوات الصَّامتات».

- «قلتُ فقط...».

قالت أختها الأكبر: «سمعنا ما قلتِ. إنها حماقة طفوليَّة. لا تَذكُري أصدقاءنا أبناء فراي بالباطل. قريبًا سيُصبِح أحدهم سيِّدكِ وزوجكِ».

هزَّت الفتاة رأسها معلنةً: «لا، لن أتزوَّجه، لن أتزوَّجه أبدًا. لقد قتلوا الملك!».

احتقنَ وجه اللورد وايمان، وقال: «ستفعلين. عندما يحلُّ اليوم المحدَّد ستُردِّدين نذوركِ، وإلَّا ستنضمِّين إلى الأخوات الصَّامتات ولا تتكلَّمين ثانيةً أبدًا».

بدَت المسكينة مصدومةً إذ قالت: «جدِّي، أرجوك...».

قالت الليدي ليونا: «صمتًا يا صغيرتي. لقد سمعتِ السيِّد جدَّكِ. صمتًا! لستِ تعلمين شيئًا».

أكملَت الفتاة بإصرار: «إنني أعرفُ بأمر الوعد. مِايستر ثيومور، أخبِرهم! قبل ألف عامٍ من الغزو قُطِعَت وعود وحُلِفَت أيمان في (عرين الذِّئاب) أمام الآلهة القديمة والجديدة. حين ضاقَت بنا الأحوال وكنا بلا أصدقاء ومطرودين من بيوتنا وحياتنا في خطرٍ استقبلَنا الذِّئاب ورعونا وحمونا من أعدائنا. هذه المدينة مبنيَّة على الأرض التي أعطوها لنا، وفي المقابل أقسَمنا على أن نكون دومًا رجالهم، رجال ستارك!».

داعبَ المِايستر السِّلسلة المحيطة بعُنقه قائلًا: «ثمَّة أيمان مغلَّظة حُلِفَت لآل ستارك أولاد (وينترفل)، نعم، لكن (وينترفل) سقطَت وعائلة ستارك انقرضَت».

- «لأنهم قتلوهم جميعًا!».

تحدَّث فراي آخَر قائلًا: «لورد وايمان، هل تسمح لي؟».

أومأَ له وايمان ماندرلي إيجابًا، وقال: «ريجار، يسرُّنا دومًا أن نسمع نصيحتك النَّبيلة».

أجابَ ريجار فراي المجاملة بانحناءة. إنه في الثَّلاثين أو ما يَقرُب منها، مستدير الكتفين ممتلئ البطن، لكنه يرتدي سُترةً فاخرةً من صوف الحملان الرَّمادي النَّاعم موشَّاةً بقُماش الفضَّة. معطفه أيضًا من قُماش الفضَّة، مبطَّن بالفرو ومثبَّت عند الياقة بدبُّوسٍ على شكل البُرجين التَّوأمين. خاطبَ ريجار الفتاة ذات الضَّفيرة الخضراء قائلًا: «ليدي وايلا، الوفاء فضيلة. أتمنَّى أن تكوني بهذا الوفاء لوالدر الصَّغير عندما يُعقَد قرانكما. بالنِّسبة إلى آل ستارك فالعائلة انقرضَت من ناحية الذُّكور فقط. أبناء اللورد إدارد ماتوا، لكن ابنتيه حيَّتان، والصَّغيرة قادمة إلى الشَّمال لتتزوَّج رامزي بولتون الشُّجاع».

ردَّت وايلا ماندرلي بعناد: «رامزي سنو!».

- «كما تشائين. بأيِّ اسمٍ سيتزوَّج آريا ستارك عمَّا قريب. إذا أردتِ أن تبرِّي بوعدكِ فامنحيه ولاءكِ، لأنه سيُصبِح سيِّدكِ وسيِّد (وينترفل)».

- «لن يُصبِح سيِّدي أبدًا! لقد أجبرَ الليدي هورنوود على الزَّواج به، ثم حبسَها في زنزانةٍ وجعلَها تأكل أصابعها!».

تصاعدَت غمغمات التَّأييد في (بلاط عريس البحر)، وأعلنَ رجل قصير مكتنز يرتدي الأبيض والأرجواني ويُثبِّت معطفه مفتاحان من البرونز: «الفتاة مصيبة. رووس بولتون بارد وماكر، أجل، لكن المرء يستطيع التَّعامُل مع رووس. كلُّنا عرفنا رجالًا أسوأ. أمَّا ابنه النَّغل هذا... يقولون إنه عنيف مجنون، وحش».

قال ريجار فراي بابتسامةٍ هازئة من تحت لحيته الملساء: «يقولون؟ خصومه يقولون، أجل... لكن الذِّئب الصَّغير كان هو الوحش. كان حيوانًا أكثر من إنسان ذلك الفتى، مفعمًا بالخيلاء وشهوة الدَّم، كما أنه كان غادرًا كما تعلَّم السيِّد جدِّي للأسف»، وبسطَ يديه مردفًا: «لستُ ألومُ (الميناء الأبيض) على دعمه، فقد ارتكبَ جدِّي الخطأ الفادح نفسه. في كلِّ معارك الذِّئب الصَّغير قاتلَت (الميناء الأبيض) جنبًا إلى جنب (التَّوأمتين) تحت راياته. روب ستارك خانَنا جميعًا، هجرَ الشَّمال لوحشيَّة الحديديِّين في سبيل أن يقتطع لنفسه مملكةً أفضل على ضفاف (الثَّالوث)، ثم هجرَ لوردات النَّهر الذين خاطَروا بكلِّ شيءٍ من أجله وخلفَ عهد الزَّواج مع جدِّي ليتزوَّج أول فتاةٍ غربيَّة وقعَ عليها بصره. لقد كان كلبًا كريهًا وماتَ ميتة الكلاب».

رانَ الصَّمت والسُّكون على (بلاط عريس البحر)، وشعرَ داڤوس بالبرودة في الهواء. كان اللورد وايمان يَرمُق ريجار كأنه صرصور يستدعي كعب حذاءٍ صُلب... لكنه أومأ برأسه ببُطءٍ فجأةً ليهتزَّ ذقنه المشقوق، وقال: «كلب، نعم. لم يجلب لنا إلّا الموت والحُزن. كلب كريه بالفعل. أكمِل».

تابعَ ريجار فراي: «الموت والحُزن، أجل... ولورد البصل هذا سيجلب المزيد بكلامه عن الثَّأر. افتحوا أعيُنكم كما فعلَ السيِّد جدِّي. حرب الملوك الخمسة تُشارِف على وضع أوزارها، وتومن ملكنا، ملكنا الوحيد. يجب أن نُساعِده على تضميد جراح هذه الحرب الحزينة. باعتباره ابن روبرت الشَّرعي ووريث الوعل والأسد فالعرش الحديدي حقُّه».

قال اللورد وايمان ماندرلي: «كلام حكيم».

دقَّت وايلا ماندرلي الأرض بقدمها صائحةً: «خطأ!».

عنَّفتها الليدي ليونا قائلةً: «صمتًا أيتها المأفونة. المفترَض أن تكون الصَّغيرات حليةً للعين لا وجعًا في الأُذن»، وقبضَت على ضفيرة الفتاة وجرَّتها تَصرُخ من القاعة، ففكَّر داڤوس: ذهبَت صديقتي *الوحيدة في هذا البلاط*.

قالت أختها على سبيل الاعتذار: «لطالما كانت وايلا طفلةً عنيدةً. أخشى أنها ستكون زوجةً عنيدةً أيضًا».

هزَّ ريجار كتفيه قائلًا: «لا شكَّ أن الزَّواج سيُطوِّعها. يد حازمة وكلمة هادئة».

قال اللورد وايمان: «وإن لم يكن فهناك الأخوات الصَّامتات»، واعتدلَ في جلسته مستطردًا: «وبالنِّسبة إليك يا فارس البصل فقد سمعتُ ما يكفي من كلام الخيانة اليوم. تُريدني أن أضحِّي بابني الحي الوحيد كي يضع ستانيس باراثيون مؤخِّرته المتغضِّنة على عرشٍ لا حقَّ له فيه. لن أفعلها، ليس من أجلك وليس من أجل سيِّدك وليس من أجل أيِّ أحد»، ودفعَ سيِّد (الميناء الأبيض) نفسه ناهضًا ليحتقن عُنقه بالحُمرة من المجهود، وأضافَ: «ما زلت مهرِّبًا أيها الفارس، أتيت تسرق ذهبي ودمي. تُريد أن يُقطَع رأس ابني، وأظنُّ أنني سأقطعُ رأسك بدلًا من ذلك. أيها الحَرس! اقبضوا على هذا الرَّجل!».

وقبل أن يُفكِّر داڤوس في مجرَّد الحركة أحاطَت به الرِّماح الفضِّيَّة، فقال: «سيِّدي، أنا مبعوث».

قال اللورد وايمان: «أأنت كذلك حقًّا؟ لقد دخلت مدينتي متسلِّلًا كالمهرِّبين. أقولُ إنك لا لورد ولا فارس ولا مبعوث، بل لصٌّ وجاسوس، تاجر أكاذيب وخيانة. يَجدُر بي أن أقتلع لسانك بكمَّاشةٍ ساخنة وأرسلك إلى (معقل الخوف) ليَسلُخوك، لكن (الأُم) رحيمة، وكذلك أنا»، وأشارَ إلى السير مارلون قائلًا: «يا ابن العم، خُذ هذا المخلوق إلى (عرين الذِّئاب) واقطع رأسه ويديه. أريدُ أن تُوضَع أمامي قبل أن أتناول عَشائي. لن أستطيع أن آكل قضمةً واحدةً حتى أرى رأس هذا المهرِّب على خازوق، وبين أسنانه الكذوب بصلة».

---

(39). اللِّوِياثان وحش بحري أسطوري هائل له سبعة رؤوس، ويُقال في عالم الرِّواية إنه حوت يعدُّ أكبر المخلوقات حجمًا في العالم على الإطلاق. (المُترجم).

أعطوه حصانًا ورايةً، وألبَسوه سُترةً من الصُّوف ومعطفًا ثقيلًا من الفرو، وأطلَقوا سراحه.

هذه المرَّة لا تفوح منه رائحة نتنة. قال ديمون ارقُص-لي وهو يُساعِد ريك الرَّاجف على امتطاء الحصان: «عُد بهذه القلعة أو واصِل طريقك، ولنرَ كم ستبتعد قبل أن نلحق بك. سيروقه هذا كثيرًا حقًّا»، وبابتسامةٍ مِلء شِدقيه هوى ديمون بضربةٍ من كُرباجه على كفل الحصان، لتصهل الدَّابَّة العجوز المنهَكة وتبدأ الحركة.

لم يجرؤ ريك على النَّظر خلفه خشية أن يكون ديمون والقضيب الأصفر وجرونت في أعقابه، أن تكون هذه مجرَّد دُعابةٍ أخرى من اللورد رامزي، أنه يُخضِعه لاختبار قاسٍ ليرى ما سيفعله إذا أعطوه حصانًا وأفرَجوا عنه. *هل يظنُّون أنني سأهربُ؟* الفَرس التي أعطوها له في حالةٍ مزرية، ملتوية القوائم ومهزولة من فرط الجوع، أي أن لا أمل له في أن يسبق الخيول المطهَّمة التي سيُطارِده بها اللورد رامزي وصيَّادوه، كما أن رامزي لا يحبُّ شيئًا أكثر من إطلاق فتياته النَّابحات في أثر طريدةٍ جديدة.

وأين المهرب على كلِّ حال؟ وراءه معسكَرات ممتلئة برجال (معقل الخوف) والرِّجال الذين جلبَهم آل ريزويل من (الغُدران)، وبين هؤلاء وأولئك جيش (بلدة الرَّوابي)، وجنوب (خندق كايلن) ثمَّة جيش آخَر على الدَّرب العالي، جيش من رجال بولتون وفراي يزحف تحت رايات (معقل الخوف)، وإلى شرق الطَّريق ساحل أجدب موحش وبحر مالح بارد، وغربًا مستنقعات وبِرك (العُنق) الموبوءة بالأفاعي والأُسود الزَّواحف[40] وشياطين المستنقعات بسهامهم المسمومة.

لن يَهرُب. لا يُمكنه أن يَهرُب.

سأعودُ إليه بالقلعة، سأفعلُ، لا بُدَّ أن أفعل.

النَّهار غائم ضبابي رطب، والرِّيح تهبُّ من الجنوب نديَّةً كالقُبلة. لاحَت أطلال (خندق كايلن) من بعيدٍ عبر غيوم الصَّباح، وتحرَّكت فَرسه صوبها مشيًا، تُصدِر حوافرها أصوات تخويضٍ خافتةً كلَّما ارتفعَت من الأوحال الخضراء الرَّماديَّة.

سلكتُ هذا الطَّريق من قبل. كان خاطرًا خطرًا، وقد ندمَ عليه في الحال، وقال: «لا، لا، كان ذلك رجلًا آخَر، كان ذلك قبل أن تعرف اسمك». اسمه ريك. عليه أن يتذكَّر هذا. *ريك، ريك، على قافية شريك.*

عندما سلكَ ذلك الرَّجل الآخَر هذا الطَّريق كان وراءه جيش، جيش الشَّمال الجرّار في طريقه إلى الحرب تحت رايات عائلة ستارك بلونيها الأبيض والرَّمادي، أمَّا ريك فراكب وحده رافعًا راية سلامٍ على ساريةٍ من خشب الصَّنوبر. عندما سلكَ ذلك الرَّجل الآخَر هذا الطَّريق كان يمتطي جوادًا حربيًّا سريعًا نشيطًا، أمَّا ريك فيمتطي فَرسًا يُرثى لحالها، كلُّها جِلد وعظم وضلوع، ويتحرَّك بها بتؤدةٍ خشية أن يَسقُط. الرَّجل الآخَر كان خيَّالًا بارعًا، أمَّا ريك فتعوزه البراعة. مضى وقت طويل للغاية منذ ركبَ حصانًا. إنه ليس خيَّالًا، وليس رجلًا حتى، بل مخلوق اللورد رامزي، أحطُّ شأنًا من كلب، دودة بجِلدٍ بَشري.

ليلة البارحة، فيما غاصَ ريك في حوضٍ من المياه شديدة السُّخونة، قال له اللورد رامزي: «ستتظاهَر بأنك أمير، لكننا نعرف الحقيقة. أنت ريك، وستظلُّ دائمًا ريك مهما كانت رائحتك عطرةً. قد يكذب عليك أنفك. تذكَّر اسمك، تذكَّر مَن أنت».

- «ريك، مخلوقك ريك».

وعدَه اللورد رامزي قائلًا: «أدِّ هذه المهمَّة الصَّغيرة من أجلي وستكون كلبي وتأكل اللَّحم كلَّ يوم»، ثم أضافَ: «ستُغريك فكرة أن تخونني، أن تفرَّ أو تُقاوِم أو تنضمَّ إلى أعدائنا. لا، صمتًا، لن أسمع إنكارك. اكذب عليَّ وسآخذُ لسانك. كان أيُّ رجلٍ في مكانك لينقلب عليَّ، لكننا نعلم أنك لست رجلًا، أليس كذلك؟ يُمكنك أن تخونني إذا أردت، لا يهمُّ... لكن عليك بعدِّ أصابعك أولًا لتعرف الثَّمن».

يعرف ريك الثَّمن. *سبعة، سبعة أصابع. يستطيع المرء قضاء حاجاته بسبعة أصابع. سبعة رقم مقدَّس.* إنه يَذكُر الألم الرَّهيب حين أمرَ اللورد رامزي السلّاخ بتقشير إصبع خاتمه من الجِلد.

الهواء بليل ثقيل، وبِرك الماء الضَّحل تُرقِّط الأرض. مضى ريك بينها بحذرٍ متَّبعًا الطَّريق الخشبي الذي أرسَته طليعة جيش روب ستارك على الأرض الطَّريَّة لتسريع حركة الجنود. حيث كان سور القلعة الواقي المنيع يرتفع من قبل لم يبقَ إلَّا أحجار مبعثرة، قوالب من البازلت الأسود ضخمة لدرجة أن من المؤكَّد أنها احتاجَت إلى مئة رجلٍ لرفعها ورصِّها في أماكنها، والآن بعضها غائص في المستنقع لا يظهر منه إلَّا زاوية، وبعضها منثور هنا وهناك كلُعبٍ تخلَّى عنها إله ما، متصدِّعة تتفتَّت وتُرقِّعها الأُشنة. تركَ مطر اللَّيلة الماضية الحجارة الضَّخمة مبتلَّةً تلمع، وجعلَها ضوء شمس الصَّباح تبدو كأنها مغلَّفة بزيتٍ أسود نقي.

ووراءها تقف الأبراج.

يميل (بُرج السكِّير) كأنه على وشك السُّقوط، تمامًا كما يبدو منذ خمسمئة عام، في حين يرتفع (بُرج الأطفال) إلى السَّماء باستقامة الحربة، لكن قمَّته المحطَّمة مفتوحة للرِّيح والمطر. (بُرج البوَّابة) القصير العريض أكبر الثَّلاثة، تُغطِّي الطَّحالب جُدرانه وتنمو شجرة كثيرة العُقد إلى الجانب من حجارة جِداره الشَّمالي، وإلى الشَّرق والغرب لا تزال أقسام من السُّور المتهدِّم قائمةً. *نزلَ آل كارستارك في (بُرج السكِّير) وآل أومبر في (بُرج الأطفال)، وأخذَ روب (بُرج البوَّابة) لنفسه.*

إذا أغلقَ عينيه فسيرى الرَّايات بعين الخيال تخفق بإباءٍ في رياح الشَّمال. *كلُّها راحَ الآن، كلُّها سقطَ.* الرِّياح على وجهه تهبُّ من الجنوب، والرَّايات الوحيدة الخافقة فوق بقايا (خندق كايلن) تُظهِر كراكِن ذهبيًّا على خلفيَّةٍ سوداء.

هناك من يُراقِبونه، يَشعُر بأعيُنهم عليه. حين رفعَ بصره لمحَ وجوهًا شاحبةً تُحدِّق من وراء شُرفات (بُرج البوَّابة) وعبر الأحجار المحطَّمة التي تُتوِّج قمَّة (بُرج الأطفال)، حيث تقول الأسطورة إن أطفال الغابة استدعوا مطرقة المياه لتهوي على أراضي (وستروس) وتقسمها نِصفين.

الطَّريق الجاف الوحيد عبر (العُنق) هو الدَّرب العالي، الذي تسدُّ أبراج (خندق كايلن) طرفه الشَّمالي مِثل سدادة القنينة. الطَّريق ضيِّق، والأطلال متموضعة بحيث تُجبِر أيَّ عدوٍّ قادم من الجنوب على المرور أسفلها وبينها، وللهجوم على أيٍّ منها سيضطرُّ المُهاجِم إلى كشف ظَهره لسهام الاثنين الآخَريْن فيما يتسلَّق أسوارًا حجريَّةً مبتلَّةً تتدلَّى عليها أكاليل الطُّحلب الشَّبحي[41] الأبيض اللَّزج. الأرض السَّبخة الواقعة وراء الدَّرب العالي غير قابلةٍ للاجتياز، مستنقع بلا نهايةٍ من الدوَّامات والرِّمال المتحرِّكة والمروج الخضراء الملتمعة التي تبدو صُلبةً للعين السَّاهية ولكن تستحيل إلى ماءٍ لحظة أن تخطو عليها، كلُّها يعجُّ بالأفاعي والزُّهور السَّامَّة والأُسود الزَّواحف الوحشيَّة ذات الأسنان الماضية كالخناجر. أهل المنطقة لا يقلُّون خطرًا، هؤلاء الذين نادرًا ما يراهم أحد لكنهم كامنون في الجوار دومًا، ساكنو المستنقعات، أكَلة الضَّفادع، شعب الأوحال. فِن وريد، وپيت وبوجز، وكراي وكواج، وجرينجود وبلاكماير—تلك هي الأسماء التي يُطلِقونها على أنفُسهم، لكن الحديديِّين يدعونهم جميعًا بشياطين المستنقعات.

مرَّ ريك بجيفة حصانٍ متعفِّنة يَبرُز من عُنقها سهم، ولدى اقترابه انسلَّ ثُعبان أبيض طويل داخلًا من محجر عينها الفارغ. وراء الحصان النَّافق أبصرَ الرَّاكب، أو ما تبقَّى منه بالأحرى. كانت الغِربان قد جرَّدت وجه الرَّجل من جِلده، ونقَّب كلب برِّي تحت قميصه المعدني ليصل إلى أمعائه. على مسافةٍ أبعد رأى جثَّةً أخرى غائصةً في الوحل لا يلوح منها إلَّا الوجه والأصابع.

مع دنوِّه من الأبراج وجدَ الجُثث متناثرةً على الأرض في كلِّ اتِّجاه، من جروحها المفتوحة تنبت براعم الدَّم، الزُّهور الشَّاحبة ذات البتلات الممتلئة الرَّطبة كقُبلة امرأة.

لن تتعرَّفني الحامية أبدًا. قد يتذكَّر بعضهم الفتى الذي كانه قبل أن يتعلَّم اسمه، لكن ريك غريب عنهم. مضى وقت طويل منذ نظرَ في مرآة، لكنه يعرف كم يبدو عجوزًا. شَعره ابيضَّ وسقطَ أكثره، وما تبقَّى منه يابس جاف كالقشِّ، وقد استنفدَت الزَّنازين عافيته كلَّها حتى باتَ ضعيفًا كامرأةٍ هرِمة وأعجف لدرجة أن ريحًا قويَّةً كفيلة بطرحه أرضًا.

ويداه... أعطاه رامزي قُفَّازين فاخرين من الجِلد الأسود النَّاعم المرن، محشوَّين بالصُّوف لإخفاء أصابعه المفقودة، لكن إذا أمعنَ أحدهم النَّظر إليه فسيرى أن ثلاثةً من أصابعه لا تنثني.

دوَّى صوت: «لا تقترب أكثر! ماذا تُريد؟».

أجابَ: «الكلام»، وتقدَّم بالفَرس ملوِّحًا براية السَّلام ليتأكَّد من أن يروها، وأضافَ: «جئتُ أعزل».

لم يأتِه ردٌّ، لكنه علمَ أن وراء الأسوار يتناقَش الحديديُّون في السَّماح له بالدُّخول أو مَلء صدره بالسِّهام. لا يهمُّ. الميتة السَّريعة أفضل مئة مرَّة من العودة إلى اللورد رامزي مخفقًا.

ثم انفتحَ باب مبنى البوَّابة، وقال الصَّوت: «أسرِع!». كان ريك يلتفت نحوه حين شقَّ السَّهم الهواء. جاءَ من مكانٍ ما إلى يمينه حيث تغوص كُتل حجارة السُّور المتهدِّم حتى منتصَفها في المياه الآسنة، واخترقَت قناته طيَّات رايته وعلقَ بها رأسه على بُعد قدمٍ لا أكثر من وجهه، وقد هالَه هذا للغاية حتى إنه أسقطَ الرَّاية ووقعَ من فوق سَرجه.

صاحَ الصَّوت: «إلى الدَّاخل، أسرِع أيها الأحمق، أسرِع!».

اندفعَ ريك يتسلَّق الدَّرجات مذعورًا على يديه ورُكبتيه فيما مرقَ سهم آخَر من فوق رأسه. قبضَ أحدهم عليه وجرَّه إلى الدَّاخل، وسمعَ الباب يُصفَق من ورائه، ثم إنه سُحِبَ من يديه ليقف ودُفِعَ إلى جِدار، وبعدها وجدَ سكِّينًا على حَلقه ورأى وجهًا ملتحيًا قريبًا للغاية من وجهه حتى إن بإمكانه أن يعدَّ شَعر أنف الرَّجل. «مَن أنت؟ ما شأنك هنا؟ أجِب بسرعةٍ وإلَّا فعلتُ بك ما فعلته به»، ولوى الحارس رأس ريك بحدَّةٍ نحو جثَّةٍ تتعفَّن على الأرض إلى جوار الباب، لحمها الأخضر تزحف عليه جحافل من اليرقات.

أجابَ ريك كاذبًا: «أنا حديدي الميلاد». الفتى الذي كانه حديديُّ الميلاد، هذا صحيح، لكن ريك خرجَ إلى هذا العالم في زنازين (معقل الخوف). «انظُر إلى وجهي. أنا ابن اللورد بالون، أميرك». كان ليقول الاسم، إلَّا أن الكلمة احتبسَت في حَلقه. *ريك، أنا ريك، على وزن حريك*. لكن عليه أن ينسى هذا لفترةٍ قصيرة، فمُحال أن يستسلم أحد لمخلوقٍ مِثل ريك مهما كان موقفه يائسًا. يجب أن يتظاهَر بأنه عادَ أميرًا.

حدَّق القابض عليه إلى وجهه مضيِّقًا عينيه وقد التوى فمه ريبةً. أسنانه بنِّيَّة، وأنفاسه الكريهة عابقة برائحة المِزر والبصل. «أبناء اللورد بالون قُتِلوا».

- «أخواي وليس أنا. اللورد رامزي أسرَني بعد (وينترفل)، وأرسلَني إلى هنا لأتفاوَض معكم. أأنت القائد؟».

- «أنا؟». خفضَ الرَّجل سكِّينه وتراجعَ خُطوةً وكادَ يتعثَّر في الجثَّة. «ليس أنا يا سيِّدي». قميصه المعدني صدئ، وثيابه الجِلدُ تتعفَّن، وعلى ظَهر إحدى يديه تنزُّ قرحة مفتوحة الدَّم. «رالف كنينج يتولَّى القيادة هنا، هذا ما قاله حضرة الرُّبَّان القائد. أنا على الباب فحسب».

ركلَ ريك الجثَّة متسائلًا: «ومَن هذا؟».

حملقَ الحارس إلى الرَّجل الميت كأنه يراه للمرَّة الأولى، ثم قال: «هو... لقد شربَ الماء. اضطررتُ إلى شقِّ حَلقه ليكفَّ عن الصُّراخ. كان مبطونًا. لا يُمكنك أن تشرب الماء. لهذا نشرب المِزر»، وفركَ وجهًا عيناه محمرَّتان ملتهبتان، وتابعَ: «اعتدنا أن نجرَّ الموتى إلى الأقبية. كلُّها مغمور. لكن الآن لا يُريد أحد أن يُكلِّف نفسه مشقَّة ذلك، فنَترُكهم حيث يَسقُطون».

- «الأقبية مكان أفضل لهم. سلِّموهم للماء، للإله الغريق».

ضحكَ الرَّجل قائلًا: «لا آلهة بالأسفل يا سيِّدي، فقط الجرذان وثعابين الماء. كائنات بيضاء بسُمك ساقك، أحيانًا تزحف على السَّلالم وتلدغك وأنت نائم».

تذكَّر ريك الزَّنازين تحت (معقل الخوف) والجرذ يتلوَّى بين أسنانه ومذاق الدَّم الدَّافئ على شفتيه. *إذا فشلتُ فسيُعيدني رامزي إلى هناك، لكن قبل هذا سيَسلُخ جِلد إصبعٍ آخَر.* «كم تبقَّى من الحامية؟».

أجابَ الحديدي: «بعضها. لا أدري. أقل مما كنا من قبل. عدد منهم في (بُرج السكِّير) أيضًا على ما أظنُّ. ليس في (بُرج الأطفال). داجون كود ذهبَ هناك قبل بضعة أيام. قال إن رجلين فقط بقيا على قيد الحياة، ويأكلان الموتى. قتلَ الاثنين إن كنت تُصدِّق هذا».

أدركَ ريك لحظتها أن (خندق كايلن) سقطَت. *لكن لا أحد ارتأى أن يُخبِرهم.* فركَ فمه ليُخفي أسنانه المكسورة، وقال: «أريدُ أن أتحدَّث مع قائدك».

بدَت الحيرة على الحارس وهو يقول: «كنينج؟ إنه لا يقول الكثير هذه الأيام. إنه يحتضَر، وربما ماتَ بالفعل. لم أرَه منذ... لا أذكرُ متى...».

- «أين هو؟ خُذني إليه».

- «مَن سيَحرُس الباب إذن؟».

ركلَ ريك الجثَّة مجيبًا: «هو».

أضحكَ هذا الرَّجل، وقال: «نعم، ولِمَ لا؟ تعالَ معي إذن»، وتناولَ مشعلًا من كُوَّةٍ في الجِدار ولوَّح به حتى تأجَّجت ناره، ثم قال: «من هنا»، وقاده عبر بابٍ وعلى سلالم ملتفَّة، يلتمع ضوء المشعل على الجُدران السَّوداء إذ صعدا.

الغُرفة عند قمَّة السَّلالم مظلمة ومليئة بالدُّخان وحارَّة للغاية، على النَّافذة الضيِّقة فروة مهترئة معلَّقة لتمنع الرُّطوبة من الدُّخول، وفي المستوقَد قطعة من الخُثِّ خامدة اللَّهب. الرَّائحة في المكان منفِّرة، خليط فاسد من العفَن والبول والغائط والدُّخان والمرض، والأرض مفروشة بالحصير المتَّسخ، وفي الرُّكن كومة من القشِّ يعدُّونها سريرًا.

يتمدَّد رالف كنينج مرتعشًا تحت جبلٍ من الأغطية الفرو، وإلى جواره أسلحته؛ سيف وفأس، وسُترة معدنيّة طويلة، وخوذة حربيّة من الحديد. على تُرسه السَّحابة المتَّخذة شكل يد إله العواصف، من أصابعها تُطقطِق ألسنة البرق ضاربةً البحرَ الجائش، لكن الطِّلاء باهت متقشِّر، والخشب تحته بدأ يتعفَّن.

ورالف أيضًا يتعفَّن. تحت الأغطية الرَّجل عارٍ محموم، بشرته الممتقعة المنتفخة مغطّاة بالقروح المفتوحة والجُلَب، ورأسه مشوَّه إذ تورَّمت إحدى وجنتيه على نحوٍ بشع، وعُنقه محتقن بالدِّماء لدرجة أنه يكاد يبتلع وجهه، والذِّراع على هذا الجانب كبيرة كفرع شجرةٍ وتعجُّ بالدِّيدان البيضاء. يبدو من منظره أن أحدًا لم يُحمِّمه أو يحلق لحيته منذ أيامٍ طويلة، وإحدى عينيه تبكي قيحًا، وعلى لحيته قشرة من القيء الجاف.

سألَ ريك: «ماذا جرى له؟».

- «كان على الشُّرفة وأصابَه أحد شياطين المستنقعات بسهم. مجرَّد خدش، ولكن... إنهم يُسمِّمون قنوات السِّهام ويُلطِّخون الرُّؤوس بالخراء وما هو أسوأ. صببنا النَّبيذ المغلي في الجرح، لكنه لم يصنع فرقًا».

لا أستطيعُ التَّفاوُض مع هذا الشَّيء. قال ريك للحارس: «اقتُله. لقد ذهبَ عقله، وجسده مليء بالدَّم والدُّود».

حدَّق الرَّجل إليه قائلًا: «حضرة الرُّبَّان القائد ولّاه القيادة».

- «كنت لتَقتُل حصانًا محتضرًا».

- «أي حصان؟ لم أملك حصانًا قَطُّ».

أنا ملكتُ واحدًا. تدفَّقت الذِّكرى في مخيِّلته. كان لصُراخ سمايلر وقع شِبه بَشري. اشتعلَ عُرفه نارًا ورفعَ قائمتيه الأماميَّتين وقد أعماه الألم وراحَ يضرب هنا وهناك بحوافره. *لا، لا، ليس حصاني، لم يكن حصاني، ريك لم يملك حصانًا قَطُّ*. قال ريك: «سأقتله لك»، واختطفَ سيف رالف كنينج المسنود إلى تُرسه. ما زالَت لديه أصابع تكفي لإمساك المقبض. عندما وضعَ حافة النَّصل على العُنق المنتفخ لهذا الكائن الممدَّد على القشِّ انفلقَ الجِلد وانبثقَت منه الدِّماء السَّوداء والصَّديد الأصفر، وانتفضَ كنينج بعُنفٍ ثم همدَت حركته. أفعمَت رائحة شنيعة الغُرفة، وهرعَ ريك إلى السَّلالم. الهواء بارد رطب هناك، لكنه أنظف مرارًا بالمقارنة. خرجَ الحديدي وراءه متعثِّرًا بوجهٍ غاضَت منه الدِّماء مكافحًا الرَّغبة في القيء، وأمسكَ ريك ذراعه سائلًا: «مَن نائب القائد؟ أين بقيَّة الرِّجال؟».

- «بالأعلى في الشُّرفات أو في القاعة، نائمون، يشربون. سآخذك إذا أردت».

- «الآن». لم يمنحه رامزي إلَّا يومًا واحدًا.

القاعة من الحجارة الدَّاكنة، عالية السَّقف ومعرَّضة لتيَّارات الهواء ومليئة بالدُّخان، وجُدرانها مبقَّعة برُقعٍ ضخمة من الأُشنة الشَّاحبة. ثمَّة نار خامدة في المستوقَد الذي سوَّدته نيران أحمى على مدار الأعوام الماضية، وتحتلُّ طاولة هائلة من الحجر المنحوت مساحة القاعة كما هي الحال منذ قرون. *هناك جلستُ عندما كنتُ هنا آخِر مرَّة. كان روب على رأس الطَّاولة، إلى يمينه چون الكبير وإلى يساره رووس بولتون، وجلسَ الأخوان جلوڤر إلى جوار هلمان تولهارت، وكارستارك وأبناؤه قُبالتهم.*

حول المائدة دستتان من الحديديِّين الجالسين يشربون. حدجَه بعضهم بنظراتٍ فاترة لا مبالية لدى دخوله، وتجاهلَه الآخَرون. كلُّهم غريب عنه، وكثيرون منهم يرتدون معاطف تُثبِّتها دبابيس على شكل سمكة قُد فضِّيَّة. لا يحظى آل كود بالكثير من الاحترام في (جُزر الحديد)، إذ يُقال إن رجالهم لصوص وجُبناء ونسوتهم فاجرات يُضاجِعن آباءهن وإخوتهن. لم يُدهِشه أن عمَّه اختارَ أن يَترُك هؤلاء الرِّجال حين عادَ الأسطول الحديدي إلى الدِّيار. *سيُسهِّل هذا مهمَّتي كثيرًا*. قال: «رالف كنينج مات. مَن القائد هنا؟».

رمقَه الشَّاربون بنظراتٍ خاوية، وضحكَ أحدهم وبصقَ آخَر، وأخيرًا قال أحد رجال كود: «مَن يسأل؟».

- «ابن اللورد بالون». *ريك، اسمي ريك، على قافية مُشيك*. «أنا هنا بأمر رامزي بولتون، سيِّد (هورنوود) ووريث (معقل الخوف)، الذي أخذَني أسيرًا في (وينترفل). جيشه إلى شمالكم وجيش أبيه إلى الجنوب، لكن اللورد رامزي مستعدٌّ لمعاملتكم بالرَّحمة إذا سلَّمتم (خندق كايلن) إليه قبل غروب الشَّمس»، وأخرجَ الرِّسالة التي أعطوها له وألقاها على الطَّاولة أمام الشَّاربين.

التقطَها أحدهم وقلبَها بين يديه مداعبًا الشَّمع الوردي المختومة به بأظفاره، وبعد وهلةٍ قال: «ورق. ما قيمته؟ إننا محتاجون إلى الجُبنة واللَّحم».

- «تعني الفولاذ»، قال الجالس إلى جواره، رجل مسنٌّ تنتهي ذراعه اليُسرى بجَدعة. «نحتاج إلى سيوفٍ وفؤوس، أجل، وإلى أقواس، مئة قوسٍ إضافي، ورجال يُطلِقون السِّهام».

قال صوت ثالث: «حديديُّو الميلاد لا يستسلمون».

- «قُل هذا لأبي. اللورد بالون خضعَ حين حطَّم روبرت أسواره، وإلّا لكان ماتَ، مِثلما ستموتون إذا لم تستسلموا»، وأشارَ ريك إلى الورقة متابعًا: «اكسروا الختم، اقرأوا المكتوب. هذا ضمانُ لسلامة المرور مكتوب بخطّ يد اللورد رامزي. اترُكوا سيوفكم وتعالوا معي وسيُطعِمكم حضرة اللورد ويدعكم تذهبون إلى (السَّاحل الحجري) دون أن يتعرَّض إليكم أحد، لتجدوا سفينةً تحملكم إلى الدِّيار. إمَّا هذا وإمَّا الموت».

نهضَ أحد رجال كود قائلًا: «أهذا تهديد؟». رجل كبير الحجم هو، لكنه جاحظ العينين عريض الفم وله بشرة بيضاء ميتة، يبدو كأن أباه أنجبَه من سمكة، وإن كان لا يزال يحمل سيفًا طويلًا. «داجون كود لا يستسلم لأحد».

لا، أرجوك، يجب أن تُصغي. فكرة ما سيفعله به رامزي إذا عادَ إلى المعسكَر دون استسلام الحامية تكاد تجعله يبول على نفسه. *ريك، ريك، على قافية ركيك*. قال وكلماته ترنُّ واهيةً في أُذنيه: «أهذا جوابكم؟ هل تتكلَّم سمكة القُد هذه نيابةً عنكم جميعًا؟».

لم تبدُ الثِّقة نفسها على الحارس الذي قابلَه عند الباب إذ قال: «ڤيكتاريون أمرَنا بالصُّمود، حقًّا، سمعته بأُذنَي يقول لكنينج: *اصمدوا هنا حتى عودتي*».

قال ذو الذِّراع الواحدة: «أجل، هذا ما قاله. استدعاه انتخاب الملك، لكنه أقسمَ على العودة بتاجٍ من الخشب المجروف على رأسه وألف رجلٍ وراءه».

أخبرَهم ريك: «لن يعود عمِّي أبدًا. انتخاب الملك توَّج أخاه يورون، وعين الغُراب عنده حروب أخرى يخوضها. أتحسبون أن لكم قيمةً عند عمِّي؟ لا. أنتم من تركَهم يموتون، كشطَكم كما يكشط الطَّمي عن حذائه عندما يخوض في الماء إلى الشَّاطئ».

أصابَت كلماته الهدف. رأى هذا في أعيُنهم، في الطَّريقة التي نظرَ بها بعضهم إلى بعضٍ أو رمقَ كوبه عابسًا. *كلُّهم كان يخشى انه تخلَّى عنهم، لكن الأمر تطلَّبني لتحويل الخشية إلى يقين.* ليس هؤلاء أقرباء ربابنةٍ مشاهير أو سليلي عائلاتٍ كُبرى من (جُزر الحديد)، بل أبناء أقنان وزوجات ملحيَّات.

تساءلَ ذو الذِّراع الواحدة: «إذا استسلمنا نرحل؟ أهذا هو المكتوب هنا؟»، ونقرَ الرِّسالة المطويَّة التي لم يزل ختمها سليمًا.

أجابَ: «اقرأ بنفسك»، مع أنه يكاد يكون واثقًا بأن أحدًا منهم لا يعرف القراءة. «اللورد رامزي يُعامِل أسراه بشَرفٍ ما داموا بارِّين بكلمتهم». *لم يأخذ إلَّا أصابع من يدَي وقدمَي وذلك الشَّيء الآخَر، وكان بإمكانه أن يقطع لساني أو يَسلُخ ساقي من الكعب إلى الفخذ.* «سلِّموا أنفُسكم تعيشون».

شهرَ داجون كود سيفه قائلًا: «كاذب. أنت من يدعونه بالمارِق. لِمَ نُصدِّق وعودك؟».

إنه سكران. المِزر يتكلَّم. «صدِّق ما تشاء. لقد أوصلتُ رسالة اللورد رامزي، والآن عليَّ أن أرجع إليه. اللَّيلة على العَشاء سنأكل الخنازير البرِّيَّة واللِّفتوف[42] ونشرب النَّبيذ الأحمر القوي. مَن يأتون معي أهلًا بهم في المأدبة، أمَّا بقيَّتكم فستموت في غضون يوم. سيِّد (معقل الخوف) سيصعد بجيشه على الدَّرب العالي في حين يقود ابنه رجاله ضدكم من الشَّمال. لن يُرحَم أحد. من يموتون خلال القتال هُم المحظوظون، ومن يعيشون سيُعطونهم لشياطين المستنقعات».

زمجرَ داجون كود: «كفى! هل تظنُّ أنك تستطيع تخويف الحديديِّين بالكلام؟ ارحل، اهرع إلى سيِّدك قبل أن أبقر بطنك وأخرج أحشاءك وأجعلك تأكلها».

كان ليقول المزيد، لكن فجأةً اتَّسعت عيناه، ونبتَت فأس صغيرة من منتصَف جبهته بصوتٍ جامد مكتوم. سقطَ سيف كود من بين أصابعه، وانتفضَ جسده كسمكةٍ علقَت بخُطَّاف، ثم هوى على وجهه على الطَّاولة.

ذو الذِّراع الواحدة هو من ألقى الفأس، وإذ قامَ رأوه يُمسِك واحدةً أخرى. سألَ الرَّجل الشَّاربين الآخَرين: «مَن غيره يُريد أن يموت؟ تكلَّم وسأنفِّذُ رغبتك». كانت خيوط حمراء رفيعة تنتشر على الحجر من بِركة الدَّم التي استقرَّ فيها رأس داجون كود.

«عن نفسي أريدُ أن أعيش، وذلك لا يعني أن أبقى هنا أتعفَّنُ».

أخذَ أحد الرِّجال رشفةً من المِزر، وقلبَ آخَر كوبه ليغسل إصبعًا من الدَّم قبل أن يَبلُغ موضع جلوسه. لم يتكلَّم أحد، ثم عندما عادَ ذو الذِّراع الواحدة يدسُّ فأسه في حزامه علمَ ريك أنه نالَ غايته. *سيُسَرُّ اللورد رامزي بي*.

أنزلَ راية الكراكِن بيديه، وإن لاقى شيئًا من العُسر بسبب أصابعه المفقودة، شاعرًا في الوقت ذاته بالامتنان للأصابع التي سمحَ له اللورد رامزي بالاحتفاظ بها. استغرقَ استعداد الحديديِّين للخروج أكثر الأصيل، فعددهم أكبر مما خمَّن؛ سبعة وأربعون في (بُرج البوَّابة)، وثمانية عشر آخَرون في (بُرج السكِّير). اثنان من هؤلاء على شفا الموت ولا أمل في نجاتهم، وخمسة غيرهم أوهن من أن يمشوا، أي أن عدد الصَّالحين للقتال ثمانية وخمسون. على الرغم من ضعفهم كانوا ليَقتُلوا ثلاثة أضعاف عددهم لو هاجمَ اللورد رامزي الأطلال. حدَّث ريك نفسه: *أحسنَ البلاء بإرسالي*، وركبَ فَرسه ليقود الطَّابور البائس عبر الأرض الموحلة السَّبخة إلى حيث يُعَسكِر الشَّماليُّون. قال للأسرى: «اترُكوا أسلحتكم هنا، السُّيوف والأقواس والخناجر. سيُقتَل المسلَّحون في التوِّ واللَّحظة».

استغرَقوا ثلاثة أضعاف المُدَّة التي استغرقَها ريك في قطع المسافة. صُنِعَت محفَّات بدائيَّة مرقَّعة لأربعةٍ من الرِّجال العاجزين عن السَّير، والخامس حملَه ابنه على ظَهره. تقدَّم الحديديُّون ببُطء، جميعهم يعي أنهم مكشوفون تمامًا ويتحرَّكون في مرمى شياطين المستنقعات وسهامهم المسمومة. *إذا مِتُّ فلأمُت*. يتمنَّى ريك فقط أن يُجيد الرَّامي ما يفعله كي يأتيه الموت سريعًا نظيفًا. *ميتة رجل، لا النِّهاية التي قاساها رالف كنينج*.

سارَ ذو الذِّراع الواحدة في مقدِّمة الرَّكب يعرج بشدَّة. ذكرَ أن اسمه آدراك هَمبل، وأن له زوجةً صخريَّةً وثلاث زوجات ملحيَّات في (ويك الكُبرى)، وقال مزهوًّا: «ثلاث من الأربع كانت بطوهن كبيرةً لمَّا أبحرنا، والتَّوائم شائعون في عائلة هَمبل. أول شيءٍ سأفعله حين أعودُ أن أحصي أبنائي الجُدد، وقد أسمِّي أحدهم على اسمك يا سيِّدي».

أجل، سمِّه ريك، وعندما يُسيء الأدب اقطع أصابع قدميه وأعطِه جرذانًا يأكلها. أدارَ رأسه وبصقَ متسائلًا إن كان رالف كنينج هو المحظوظ.

عند ظهور معسكَر اللورد رامزي أمامهم كانت السَّماء الرَّماديَّة كالأردواز قد بدأت تبول عليهم مطرًا خفيفًا، وامتلأ الهواء بدُخان بؤر النَّار التي يُغرِقها المطر. شاهدَهم حارس يمرُّون بصمت، ودارَت فِرقة من الخيَّالة من ورائهم يقودها ابن لورد ما على تُرسه رأس حصان. *أحد ابنَي اللورد ريزويل، روجر أو ربما ريكارد*. لا يستطيع تمييز أحدهما من الآخَر. سألَه الخيَّال من على صهوة فحلٍ كستنائي: «أهؤلاء كلُّهم؟».

- «كلُّ من لم يَمُت يا سيِّدي».

- «حسبتُ أن هناك المزيد. لقد هاجمناهم ثلاث مرَّاتٍ وفي المرَّات الثَّلاث ردعونا».

قال لنفسه بومضة فخرٍ مباغتة: *إننا حديديُّو الميلاد*، ولأقل من لحظةٍ عادَ أميرًا، ابن اللورد بالون، دم (پايك). على أن التَّفكير المحض خطر. عليه أن يتذكَّر اسمه. *ريك، اسمي ريك، على قافية مسِّيك*.

كانوا خارج المعسكَر مباشرةً عندما أعلنَ نباح قطيعٍ من الكلاب مجيء اللورد رامزي، في صُحبته باقِر العاهرة ونِصف دستةٍ من رجاله المفضَّلين، السلَّاخ وآلن الفظ وديمون ارقُص-لي والوالدران الكبير والصَّغير. أحاطَت بهم الكلبات تعضُّ الهواء وتُزَمجِر في وجوه الأغراب، ففكَّر ريك: *فتيات النَّغل*، قبل أن يتذكَّر أنه يجب ألَّا يلفظ المرء هذه الكلمة في حضور رامزي أبدًا أبدًا أبدًا.

ترجَّل ريك وجثا قائلًا: «سيِّدي، (خندق كايلن) لك. هؤلاء آخِر المُدافعين عنها».

قال اللورد رامزي وعيناه الشَّاحبتان تلتمعان: «قليلون للغاية. أملتُ أن يكونوا أكثر. كانوا خصومًا شديدي العناد. مؤكَّد أنكم تتضوَّرون جوعًا. ديمون، آلن، اعتنيا بهم. نبيذ ومِزر وكلُّ ما يستطيعون أن يأكلوا من طعام. أيها السلَّاخ، خُذ جرحاهم إلى المِايسترات».

- «أمرك يا سيِّدي».

تمتمَ بعض الحديديِّين بعبارات الشُّكر قبل أن يتَّجهوا مترنِّحين نحو بؤر النَّار في مركز المعسكَر. حاولَ أحد رجال كود أن يلثم خاتم رامزي، لكن كلبات الصَّيد أجبرَته على التَّراجُع قبل أن يقترب، وقضمَت آليسون قطعةً من أُذنه، وعلى الرغم من الدِّماء السَّائلة على رقبته ظلَّ الرَّجل يحني رأسه وظَهره ويُثني على رأفة حضرة اللورد.

حين ذهبَ آخِرهم التفتَ رامزي بولتون بابتسامته إلى ريك، وأمسكَه من مؤخِّرة عُنقه وقرَّب وجهه من وجهه وقبَّله على وجنته، ثم همسَ: «صديقي القديم ريك. هل حسبوك أميرهم حقًّا؟ يا لهم من حمقى ملاعين هؤلاء الحديديُّون. الآلهة تضحك».

- «يُريدون فقط أن يعودوا إلى الدِّيار يا سيِّدي».

فاحَت من أنفاس رامزي رائحة النَّبيذ المتبَّل والقرنفل الحُلوة إذ غمغمَ بنعومة عاشق: «وما الذي تُريده أنت يا عزيزي ريك؟ خدمتك الشُّجاعة تستحقُّ مكافأةً. لا أستطيعُ أن أعيد إليك أصابع يديك وقدميك، لكن مؤكَّد أن هناك ما ترغب فيه مني. هل أعتقك؟ أصرفك من خدمتي؟ هل تُريد أن ترحل معهم وتعود إلى جُزركم الكئيبة في البحر البارد الغائم لتكون أميرًا ثانيةً؟ أم تُحبِّذ أن تبقى خادمي المطيع؟».

حكَّ سكِّين بارد عموده الفقري، وقال لنفسه: *احذر، احذر جدًّا جدًّا*. لا تروقه ابتسامة حضرة اللورد، ولا بريق عينيه واللُّعاب الملتمع على رُكنَي فمه. لقد رأى هذه العلامات من قبل. *أنت ريك، فقط ريك، على قافية لكيك. أعطِه الإجابة التي يُريدها*.

قال: «سيِّدي، مكاني هنا معك. أنا مخلوقك ريك. لا أريدُ إلَّا أن أخدمك. كلُّ ما أطلبه... قِربة من النَّبيذ، هذه مكافأة تكفيني... نبيذ أحمر، أقوى نبيذ لديك، كلُّ ما يستطيع الرَّجل أن يشربه من نبيذ».

ضحكَ اللورد رامزي قائلًا: «لستَ رجلًا يا ريك، إنك مخلوقي فحسب، لكنك ستَحصُل على نبيذك. والدر، تولَّ هذا. ولا تخف، لن أعيدك إلى الزَّنازين، لك كلمتي باعتباري ابن بولتون. سنجعلك كلبًا بدلًا من ذلك. لحم كلَّ يوم، وسأتركُ لك أسنانًا تأكله بها أيضًا. يُمكنك أن تنام إلى جوار فتياتي. بن، هل عندك طوق له؟».

قال بن بونز العجوز: «سأجعلهم يصنعون واحدًا يا سيِّدي».

وفعلَ العجوز ما هو أفضل. ليلتها، بخلاف الطَّوق، أعطاه دثارًا رثًّا أيضًا، بالإضافة إلى نِصف دجاجة، وقد قاتلَ ريك الكلاب على اللَّحم، لكنها كانت أشهى وجبةٍ أكلَها منذ (وينترفل).

والنَّبيذ... النَّبيذ قانٍ حامض لكنه قوي حقًّا. جلسَ ريك القرفصاء بين كلاب الصَّيد يشرب حتى دارَ رأسه، ثم تقيَّأ ومسحَ فمه وشربَ المزيد، وبعدها تمدَّد وأسبلَ جفنيه. حين استيقظَ كانت كلبة تلعق القيء من لحيته والسَّحاب القاتم يمضي أمام وجه القمر الهلال، وفي مكانٍ ما في اللَّيل سمعَ رجالًا يَصرُخون. دفعَ الكلبة جانبًا وانقلبَ على جانبه وعادَ يغيب في النَّوم.

في الصَّباح التَّالي أرسلَ اللورد رامزي ثلاثة خيَّالة على الدَّرب العالي يحملون إلى السيِّد والده خبر خُلو الطَّريق، وارتفعَ رجل عائلة بولتون المسلوخ فوق (مبنى البوَّابة) حيث أنزلَ ريك كراكِن (پايك) الذَّهبي. بطول الطَّريق الخشبي المتعفِّن غُرِسَت خوازيق بعُمقٍ في الأرض الموحلة، وعُلِّقَت عليها الجُثث الدَّامية تتعفَّن. عرفَ عددها في الحال. *ثلاث وستُّون، إنها ثلاث وستُّون*. أحدهم يَنقُصه نِصف ذراع، وبين أسنان آخَر رَقٌّ لم يزل ختمه الشَّمعي سليمًا.

وبعد ثلاثة أيام شقَّت طليعة جيش رووس بولتون طريقها بين الأطلال ومرورًا بصفِّ الحَرس المريعين، أربعمئة من خيَّالة فراي يرتدون الأزرق والرَّمادي، تتألَّق رؤوس حِرابهم متى تخلَّلت أشعَّة الشَّمس السَّحاب. يقود اثنان من أبناء اللورد والدر الطَّليعة، أحدهما متين البنيان له فكٌّ بارز ضخم وذراعان مفتولتا العضلات، والثَّاني رأسه أصلع وعيناه جائعتان متقاربتان فوق أنفه المدبَّب ولحيته البنِّيَّة الخفيفة لم تنجح تمامًا في إخفاء الذَّقن الضَّعيف تحتها. هوستين *وإينس*. يَذكُرهما من قبل أن يتعلَّم اسمه. هوستين ثور، بطيء الغضب ولكن شديد العناد إذا أثيرَت حفيظته، وسُمعته أنه أقوى مُقاتلي ذُرِّيَّة اللورد والدر، أمَّا إينس فأكبر سِنًّا وأقسى وأذكى، قائد لا سيَّاف، وكلاهما جُندي محنَّك.

تقدَّم الشَّماليُّون في أعقاب الطَّليعة مباشرةً، تُرَفرِف راياتهم المهترئة في الرِّيح. شاهدَهم ريك يمرُّون، أكثرهم سائر، وإجمالًا عددهم قليل للغاية. تذكَّر الجيش العظيم الذي زحفَ جنوبًا مع الذِّئب الصَّغير تحت راية (وينترفل). قُرابة عشرين ألف رجلٍ بالسُّيوف والحِراب خرجوا إلى الحرب مع روب، لكن اثنين فقط من عشرة عائدون، ومعظمهم من رجال (معقل الخوف).

في الزِّحام في منتصَف الطَّابور يركب رجل مدرَّع بصفائح المعدن الرَّماديَّة الدَّاكنة فوق سُترةٍ مبطَّنة من الجِلد الأحمر الدَّموي، واقيا إبطيه مطرَّقان على شكل رأسين بَشريَّين مفتوحَي الفم في صرخة عذاب، ومن على كتفيه ينسدل معطف من الصُّوف الوردي المرصَّع بقطرات دمٍ حمراء، ومن قمَّة خوذته المغلقة تخفق شرائط طويلة من الحرير الأحمر. حين رآه الرَّجل فكَّر: *لا أحد من شعب المستنقعات سيَقتُل رووس بولتون بسهمٍ مسموم.* وراء الرَّجل تتقدَّم مركبة مغلقة مصدرةً صريرًا، تسحبها ستَّة خيول جرٍّ ويُدافِع عنها رُماة نُشَّابيَّة من المقدِّمة والمؤخِّرة، فيما تُخفي ستائر من المخمل الأزرق الدَّاكن الرَّاكبين عن الأعيُن.

على مسافةٍ أبعد وراء المركبة أقبلَت قافلة الأمتعة، عربات ثقيلة محمَّلة بالمؤن وغنائم الحرب، وعربات يد مزدحمة بالجرحى والمُعاقين. في المؤخِّرة المزيد من رجال فراي، ألف على الأقل، وربما أكثر، رُماة وحمَلة حِراب وفلَّاحون مسلَّحون بالمناجل والعِصي المدبَّبة ومُحاربون غير نظاميِّين ورُماة راكبون، بالإضافة إلى مئة فارسٍ يدعمونهم.

بطوقه وسلاسله وأسماله التي عادَ يرتديها تحرَّك ريك مع الكلاب الأخرى في أعقاب اللورد رامزي حين تقدَّم حضرته يستقبل أباه، لكن لمَّا خلعَ الرَّاكب ذو الدِّرع الدَّاكنة خوذته ظهرَ وجه لا يعرفه ريك. تخثَّرت ابتسامة رامزي كالحليب القديم لمرآه، وسطعَ الغضب على وجهه إذ قال: «ما هذا؟ أهي أضحوكة؟».

همسَ رووس بولتون خارجًا من وراء ستائر المركبة المغلقة: «مجرَّد إجراءٍ احترازي».

لا يُشبِه سيِّد (معقل الخوف) ابنه النَّغل كثيرًا، وجهه حليق أملس عادي، ليس وسيمًا ولكن ليس تقليدي الملامح تمامًا. على الرغم من أن رووس خاضَ عدَّة معارك فليس على وجهه ندوب، وعلى الرغم من أنه كهل تجاوزَ الأربعين بعدَّة سنواتٍ فلا تجاعيد تشي بمرور السِّنين عليه، وشفتاه رفيعتان لدرجةٍ تجعلهما تبدوان خفيَّتين حين يُطبِقهما. لرووس بولتون طابع من جمود الزَّمن وثباته، وعلى قسماته يتشابَه الغضب والسَّعادة. الشَّيء الوحيد المشترَك بينه وبين رامزي هو العينان. *عيناه من جليد*. تساءلَ ريك إن كان رووس بولتون يبكي أبدًا. *وإذا بكى فهل يَشعُر بالدُّموع باردةً على وجنتيه؟*

ذات يومٍ كان فتى اسمه ثيون جرايچوي يهوى استفزاز بولتون عند اجتماع مجلس روب ستارك، يسخر من صوته النَّاعم ويُلقي النِّكات عن عَلقاته. *مؤكَّد أنه كان معتوهًا. ليس هذا رجلًا يمزح المرء معه*. ما عليك إلَّا أن تُلقي نظرةً واحدةً على بولتون لتعرف أن في إصبع قدمه الصَّغير قسوة أدهى من آل فراي مجتمعين.

ركعَ اللورد رامزي أمام والده قائلًا: «أبي».

تفحَّصه اللورد رووس لحظةً، ثم قال: «لك أن تنهض»، والتفتَ يُساعِد شابَّتين على النُّزول من المركبة.

الأولى قصيرة شديدة البدانة، لها وجه أحمر مستدير وثلاثة ذقونٍ تهتزُّ تحت قلنسوةٍ من فرو السَّمُّور. قال رووس بولتون: «زوجتي الجديدة. ليدي والدا، هذا ابني الطَّبيعي[43]. قبِّل يد زوجة أبيك يا رامزي». أطاعَ الابن، وتابعَ الأب: «وأنا واثق بأنك تَذكُر الليدي آريا، خطيبتك».

الفتاة نحيلة، وأطول قامةً مما يَذكُر ريك، لكن هذا متوقَّع بالطَّبع، فالفتيات يكبرن سريعًا في هذه السِّن. فُستانها من الصُّوف الرَّمادي المؤطَّر بالساتان الأبيض، وفوقه ترتدي معطفًا من فرو القاقوم مثبَّت برأس ذئبٍ فضِّي، ويسترسل الشَّعر البنِّي الدَّاكن حتى منتصَف ظَهرها، وعيناها...

هذه *ليست ابنة اللورد إدارد.*

آريا كانت لها عينا أبيها، عينا آل ستارك الرَّماديَّتان. قد تَترُك فتاة في سِنِّها شَعرها يطول، وقد تُضاف بضع بوصاتٍ إلى قامتها ويمتلئ صدرها، لكنها لا تستطيع أن تُغيِّر لون عينيها. هذه *صديقة سانزا الصَّغيرة، ابنة الوكيل*. چين، *كان هذا اسمها*، چين *پوول*.

قالت الفتاة: «لورد رامزي»، وانحنَت أمامه، وهذا أيضًا خطأ. *كانت آريا ستارك الحقيقيَّة لتَبصُق في وجهه*. «أتمنَّى أن أكون زوجةً صالحةً لك وأمنحك أبناءً أقوياء يتبعونك من بعدك».

وعدَها رامزي قائلًا: «ستفعلين، وقريبًا».

---

(40) الأُسود الزَّواحف الاسم الذي يُطلِقه الوستروسيُّون على التَّماسيح التي تعيش في المستنقعات. (المُترجم).

(41) الطُّحلب الشَّبحي نوع من الطَّحالب من خيال المؤلِّف، ينمو في مناطق المستنقعات في (وستروس).

(42) اللِّفتوف نبات هجين بين اللِّفت والكرنب أو الملفوف، تُؤكَل جذوره وأوراقه، ويُعرف في عالم الواقع أيضًا باللِّفت السويدي. (المُترجم).

(43) الطِّفل الطَّبيعي مصطلح من القرون الوُسطى يُطلَق على الأولاد غير الشَّرعيِّين. (المُترجم).

كانت شمعته قد انطفأت وصارَت بِركةً من الشَّمع الذَّائب، لكنه وجدَ ضوء الصَّباح ينبلج عبر خصاص النَّافذة. مرَّةً أخرى غابَ چون في النَّوم فوق عمله. تُغطِّي المائدة أكوام عالية من الكُتب التي أحضرَها بنفسه، بعد أن قضى نِصف اللَّيل في البحث والتَّنقيب في الأقبية المغبَّرة على ضوء مصباح. كان سام محقًّا، فالكُتب في حاجةٍ فعليَّة إلى الفرز والفهرسة والتَّنظيم، غير أنها ليست مهمَّةً يقوم بها الوُكلاء الأمِّيُّون، ولا مناص من انتظار عودة سام.

إذا عادَ. يخشى چون على سام والمِايستر إيمون. كتبَ كوتر پايك من (القلعة الشَّرقيَّة) يُبلِغه بأن (غُراب العواصف) رأت حُطام قادسٍ عند ساحل (سكاجوس)، لكن طاقمها لم يستطِع أن يتبيَّن إن كان الحُطام لـ(الطَّائر الأسود) أم إحدى سُفن قراصنة ستانيس أم سفينة تجاريَّة عابرة. *أردتُ أن أرسل جيلي والصَّغير إلى برِّ الأمان، فهل أرسلتهما بدلًا من ذلك إلى حتفهما؟*

تختَّر عَشاء اللَّيلة السَّابقة الذي لم يمسَّ منه إلَّا القليل عند مِرفقه. كان إد الكئيب قد ملأَ طبقه حتى كادَ يطفح، إذ أرادَ يخنة الثَّلاثة لحوم سيِّئة السُّمعة التي يَطبُخها هوب أن تُطرِّي الخُبز البائت. الدُّعابة المنتشرة بين الإخوة أن اللُّحوم الثَّلاثة هي الضَّأن والضَّأن والضَّأن، ولو أن الجزر والبصل واللِّفت أقرب إلى الواقع. على وجه ما تبقَّى من اليخنة تلتمع طبقة من الدُّهن البارد.

حثَّه باون مارش على الانتقال إلى مسكن الدُّب العجوز السَّابق في (بُرج الملك) بعدما أخلاه ستانيس، لكن چون رفضَ، فمن السَّهل للغاية تأويل انتقاله إلى مسكن الملك بأنه لا يتوقَّع عودة الملك.

خمول غريب استقرَّ على (القلعة السَّوداء) منذ زحفَ ستانيس جنوبًا، كأن الأحرار والإخوة السُّود على حدٍّ سواء يحبسون أنفاسهم، ينتظرون ما هو آتٍ. في أغلب الأحيان الآن تخلو الأفنية وقاعة الطَّعام، و(بُرج القائد) هيكل فارغ، والقاعة العامَّة القديمة كومة من الأخشاب المتفحّمة، و(بُرج هاردين) يبدو على وشك السُّقوط مع هبَّة الرِّيح التَّالية. صوت الحياة الوحيد الذي سمعَه چون هو تقارُع السُّيوف الخافت في السَّاحة خارج مستودَع السِّلاح، وصياح إميت الحديدي في روبن النطَّاط أن يرفع تُرسه. *خيرٌ لنا جميعًا أن نرفع تروسنا*.

اغتسلَ چون وارتدى ثيابه وغادرَ مستودَع السِّلاح، وتوقَّف في السَّاحة بالخارج ليقول بعض كلمات التَّشجيع لروبن النطَّاط وغيره ممَّن يُدرِّبهم إميت. كالعادة رفضَ عرض تاي أن تصحبه حراسة، فسيكون حوله رجال كافون على كلِّ حال، وإذا وصلَت الأمور إلى حدِّ إراقة الدِّماء فلن يصنع رجلان إضافيَّان فرقًا يُذكَر.

على أنه أخذَ مخلبه الطَّويل، ومضى جوست في أعقابه.

لدى بلوغه الاسطبل كان إد الكئيب قد جهَّز حصان حضرة القائد بالسَّرج واللِّجام ووقفَ ينتظره، وبدأت العربات تتَّخذ تشكيل الحركة تحت عين باون مارش اليقظة. راحَ قيِّم الوُكلاء يخبُّ بمحاذاة الطَّابور يُشير ويصيح متأفِّفًا وقد احمرَّت وجنتاه من البرد، ولمَّا لمحَ چون ازدادَتا احمرارًا، وخاطبَه قائلًا: «حضرة القائد، أما زلت عازمًا على هذه...».

- «... الحماقة؟ أرجوك أخبِرني بأنك لم تكن ستقول «حماقة» يا سيِّدي. نعم، إنني عازمٌ. لقد ناقَشنا هذا من قبل. (القلعة الشَّرقيَّة) تُريد مزيدًا من الرِّجال، و(بُرج الظِّلال) تُريد مزيدًا من الرِّجال، و(الحارس الرَّمادي) و(باب الجليد) أيضًا دون شك، وما زالَت عندنا أربع عشرة قلعةً أخرى خالية، وفراسخ طويلة من (الجِدار) بلا مراقبةٍ أو حماية».

زمَّ مارش شفتيه قائلًا: «حضرة القائد مورمونت...».

- «... ماتَ، وليس بأيدي الهَمج وإنما بأيدي إخوته المحلَّفين، رجال وثقَ بهم. لا أنت ولا أنا نعرف ما كان ليفعله أو يمتنع عن فِعله في مكاني»، ودارَ چون بحصانه مضيفًا: «كفى كلامًا. هيا بنا».

سمعَ إد الكئيب الحوار كاملًا، وإذ خبَّ باون مارش مبتعدًا أشارَ برأسه إلى ظَهره قائلًا: «الرُّمَّان! كلُّ هذه البذور تجعل المرء يختنق حتى الموت. أفضِّلُ أكل اللِّفت. لم أسمع قَطُّ أن اللِّفت يُؤذي أحدًا».

في أوقاتٍ كهذه يشتدُّ افتقاد چون المِايستر إيمون عن آخِره. كلايداس يُعنى بالغِدفان بكفاءة، لكنه لا يملك عُشر معرفة إيمون تارجاريَن أو خبرته، ويملك أقل من هذا من حكمته. باون رجل صالح على طريقته، لكن مزاجه اعتلَّ من جرَّاء الجرح الذي أصابَه على (جسر الجماجم)، والآن يُغنّي على نغمةٍ واحدة هي سدُّ البوَّابات. وأوثيل ياروِيك بليد الحسّ ضيِّق الأُفق مِثلما هو قليل الكلام، كما يبدو أن كلّ جوّالٍ أول يموت ما إن يشغل المنصب. فكَّر چون إذ بدأت العربات تتحرّك: *حَرس اللَّيل فقدوا عددًا كبيرًا من خيرة رجالهم. الدُّب العجوز، كورين ذو النّصف يد، دونال نوي، چارمان بكويل، عمّي...*

بدأ ثلج خفيف يَسقُط مع تحرُّك القافلة جنوبًا على (طريق الملوك)، ومضى طابور العربات الطَّويل مارًّا بحقولٍ وجداول وتلالٍ مشجَّرة، تصحبه دستة من حاملي الحِراب ومِثلهم من الرُّماة. شهدَت الرِّحلات القليلة الأخيرة إلى (بلدة المناجذ) شيئًا من القُبح، القليل من التَّدافُع والتَّزاحُم وبعض الشَّتائم والكثير من النَّظرات المكفهرَّة الواجمة، وهكذا شعرَ باون مارش أن الأفضل ألَّا يُخاطِروا، وهو ما وافقَه عليه چون هذه المرَّة.

قادَ قيِّم الوُكلاء الطَّريق، ووراءه ببضع ياردات چون وإلى جواره إد توليت الكئيب. على بُعد نِصف ميلٍ من (القلعة السَّوداء) اقتربَ إد بحصانه من چون، وقال: «سيِّدي، انظُر هناك، السكِّير الكبير على التَّل».

السكِّير شجرة دَردار لوَتها إلى الجانب قرون من الرِّيح، والآن لها وجه... فم وقور، وأنف مصنوع من فرعٍ مكسور، وعينان محفورتان في عُمق الجذع تَنظُران شمالًا على (طريق الملوك) نحو القلعة و(الجِدار).

جلبَ *الهَمج آلهتهم معهم رغم كلّ شيء*. لم يندهش چون، فالنَّاس لا يُعرِضون عن مِللهم بتلك البساطة. فجأةً يبدو الاستعراض الذي قدَّمته الليدي مليساندرا وراء (الجِدار) خاليًا من أيِّ معنى. قال محاولًا الاستخفاف بالأمر: «يُشبِهك نوعًا يا إد».

- «أجل يا سيِّدي. لا تنبت أوراق من أنفي، لكن باستثناء هذا... لن يُسعِد هذا الليدي مليساندرا».

- «لن تراها على الأرجح. اعمل على ألَّا يُخبِرها أحد».

- «لكنها ترى الأشياء في نارها تلك».

- «ترى دُخانًا وجِمارًا».

- «وأناسًا يحترقون. أنا غالبًا، بأوراق نابتة من أنفي. لطالما خشيتُ أن أحترق، لكنني أملتُ أن أموت قبل ذلك».

ألقى چون نظرةً وراءه على الوجه متسائلًا من نقشَه. لقد وضعَ حراسةً حول (بلدة المناجذ)، في آنٍ واحدٍ لمنع الغِربان عن نساء الهَمج ولمنع الأحرار من التَّسلُّل جنوبًا للإغارة. من نقشَ الوجه على شجرة الدَّردار أيًّا كان ضلَّل حُرَّاسه، وإذا كان رجل واحد يستطيع الانسلال من النِّطاق فغيره يستطيع أيضًا. فكَّر بجهامة: *أستطيعُ أن أضاعف الحراسة ثانيةً، أبدِّد ضِعفَي الرِّجال، رجالًا يُمكن استغلالهم بدلًا من ذلك في حراسة (الجِدار)*.

واصلَت العربات طريقها البطيء إلى الجنوب عبر الأوحال المتجمِّدة والثَّلج المذرو. بعد ميلٍ صادَفوا وجهًا آخَر محفورًا في شجرة كستناء نابتة إلى جوار جدولٍ متجلِّد، تُراقِب عيناها الجسر الخشبي القديم الممتدَّ فوق الماء. عند مرآها أعلنَ إد الكئيب: «متاعب مضاعَفة».

شجرة الكستناء هيكل خشبي بلا أوراق، لكن غصونها البنِّيَّة الجرداء ليست خاليةً، إذ جثمَ غُداف على فرعٍ واطئ فوق الجدول نافشًا ريشه ليقيه من البرد. حين لمحَ چون بسطَ جناحيه وأطلقَ نعيبًا، ولمّا رفعَ چون قبضته وصفرَ حلَّق الطَّائر الأسود الكبير إليه صائحًا: «*ذُرة، ذُرة، ذُرة!*».

- «الذُّرة لشعب الأحرار، لا ذُرة لك». تساءلَ إن كانوا سيلجأون إلى أكل الغِدفان قبل نهاية الشِّتاء المقبل.

لا يشكُّ چون في أن الإخوة على العربات رأوا هذا الوجه أيضًا. لم يتكلَّم أحد عنه، لكن الرِّسالة جليَّة يقرأها كلُّ مَن له عينان. ذات مرَّةٍ سمعَ چون مانس رايدر يَذكُر أن معظم الرُّكَّع خراف، وقال ملك ما وراء الجِدار: «يستطيع الكلب أن يسوق قطيعًا من الخراف، لكن الأحرار بعضهم قِطط ظلٍّ وبعضهم أحجار. أحد النَّوعين يجول أينما شاءَ ويُمزِّق الكلاب إربًا إربًا، والنَّوع الثَّاني لا يتحرَّك ما لم تَركُله». ليس راجحًا أن تتخلَّى قِطط الظِّلِّ أو الأحجار عن الآلهة التي عبدَتها طيلة حياتها لتركع لواحدٍ لا تعرف عنه إلَّا أقل القليل.

شمال (بلدة المناجذ) قابَلوا المُراقب الثَّالث المحفور في جذع سَنديانةٍ ضخمة تُحدِّد محيط القرية، عيناه العميقتان مثبَّتتان على (طريق الملوك). قال چون لنفسه متأمِّلًا: *ليس هذا وجهًا ودودًا*. الوجوه التي نقشَها البَشر الأوائل وأطفال الغابة قبل دهورٍ لها في أغلب الأحيان سحنة صارمة أو فظَّة، لكن هذه السَّنديانة العظيمة تبدو غاضبةً بصورةٍ خاصَّة، كأنها على وشك اجتثاث جذورها من الأرض والانقضاض عليهم هادرةً. *جراحها حديثة كجراح من نقشوا الوجه*.

لطالما كانت (بلدة المناجذ) أكبر مما تبدو، فمعظمها تحت الأرض ومحميٌّ من البرد والثُّلوج، ويصحُّ هذا الآن أكثر من أيِّ وقتٍ سابق. أضرمَ ماجنَر (ثِن) النَّار في القرية الخاوية عندما مرَّ بها في طريقه للهجوم على (القلعة السَّوداء)، فلم يتبقَّ فوق الأرض غير أكوامٍ من ألواح الخشب المتفحِّمة والأحجار المسفوعة... لكن تحت التُّربة المتجمِّدة ما زالَت الأقبية والأنفاق والدَّهاليز العميقة قائمةً، وهي ما لاذَ به الأحرار وكمنوا معًا في الظَّلام كالمناجذ[44]، التي أخذَت منها القرية اسمها.

توقَّفت العربات في تشكيلٍ هلالي أمام ما كان ورشة حدادة القرية، وعلى مقربةٍ كانت ثُلَّة من الأطفال محمرِّي الوجوه تبني قلعةً من الثَّلج، لكنهم تفرَّقوا مع مرأى الإخوة المتَّشحين بالسَّواد واختفوا في جُحرٍ أو آخَر. بعد لحظاتٍ قليلة بدأ الكبار يَخرُجون من تحت الأرض تُصاحِبهم رائحة منفِّرة، رائحة الأجساد المتَّسخة والملابس الملوَّثة والبراز والبول. رأى چون أحد رجاله يتقلَّص أنفه ويقول شيئًا للرَّجل المجاور له. *دُعابة ما عن رائحة الحرِّيَّة غالبًا*. كثيرون جدًّا من إخوته يتمازَحون بشأن رائحة الهمجيِّين المقيمين في (بلدة المناجذ).

جهل الخنازير. لا يختلف الأحرار عن رجال حَرس اللَّيل، بعضهم نظيف وبعضهم قذر، لكن أكثرهم نظيف في بعض الأوقات وقذر في بعضها، وليست هذه الرَّائحة الكريهة إلَّا نتاج حشر ألف شخصٍ معًا في الأقبية والأنفاق التي تكفي لإيواء مئةٍ لا أكثر.

مارسَ الهَمج هذه الرَّقصة من قبل، وهكذا بلا كلامٍ انتظَموا في صفوفٍ وراء العربات. مقابل كلِّ رجلٍ ثمَّة ثلاث نساء، وكثيرات معهن أطفال، مخلوقات شاحبة ناحلة متمسِّكة بتنانيرهن، أمَّا الرُّضَّع فقد رأى منهم چون القليل. *ماتَ الرُّضَّع خلال الزَّحف، ومن نجوا من المعركة ماتوا في محبس الملك*.

حالفَ المُقاتلين حظٌّ أفضل. قال چاستن ماسي في المجلس إن هناك ثلاثمئة رجل في سِنِّ القتال، وقد أحصاهم اللورد هاروود فِل. *ستكون بينهم زوجات حِراب أيضًا*، *خمسون أو ستُّون، وربما مئة*. يعرف چون أن إحصاء فِل شملَ الرِّجال الجرحى أيضًا، وقد رأى نحو عشرين من هؤلاء؛ رجالًا متَّكئين على عكاكيز بدائيَّة، ورجالًا بأكمامٍ خالية وأيدٍ مفقودة، ورجالًا بعينٍ واحدة أو نِصف وجه، ورجلًا بلا ساقين محمولًا بين صديقين، وكلُّهم أعجف مربدُّ الوجه. *رجال مكسورون. ليست الجُثث الحيَّة النَّوع الوحيد من الموتى الأحياء*.

لكن ليس جميع المُقاتلين مكسورين. عند سُلَّم أحد الأقبية يقف نِصف دستة من الثِّنِّيين في دروعهم البرونز يُشاهِدون بوجومٍ دون أن يُحاوِلوا الانضمام إلى الآخَرين، وبين أطلال ورشة حدادة القرية القديمة أبصرَ چون رجلًا كبيرًا أصلع عرفَ أنه هاليك أخو هارما رأس الكلب، وإن لم يرَ خنازير هارما. *أُكِلَت لا ريب*. وهذان الاثنان اللذان يرتديان الفرو من ذوي الحوافر، متوحِّشان على الرغم من نحولهما، ويقفان بأقدامٍ حافية حتى في الثَّلج. *ما زالَت بين هذه الخراف ذئاب*.

في زيارته الأخيرة إليها ذكَّرته قال بهذا قائلةً: «التَّشابُهات بين الأحرار والرُّكَّع أكثر من الاختلافات يا چون سنو. الرِّجال رجال والنِّساء نساء بغضِّ النَّظر عن الجانب الذي وُلِدوا عليه من (الجِدار). صالحون وطالحون، وأبطال وأشرار، وشُرفاء وكذَّابون وجُبناء وغاشمون... عندنا الكثير منهم، وعندكم أيضًا».

ليست مخطئةً. الحيلة هي التَّمييز بين هذا وذاك، فصل الغنم عن المعاز.

بدأ الإخوة السُّود يُناوِلون الطَّعام، وقد جلبوا معهم شرائح من اللَّحم البقري المملَّح الجامد وسَمك القُد المجفَّف والفاصوليا المجفَّفة والجزر واللِّفت والبيض المخلَّل وأجولةً من الشَّعير وبراميل من البصل والتُّفَّاح. سمعَ چون هال المُشعر يُخبِر إحدى النِّساء: «يُمكنكِ أن تأخذي بصلةً أو تُفَّاحةً وليس الاثنين. عليكِ الاختيار».

لم يبدُ على المرأة أنها فهمَت إذ قالت: «أحتاجُ إلى اثنتين من هذا وذاك، بصلة وتُفَّاحة لي ومِثلهما لابني. إنه مريض، لكن تُفَّاحةً ستُحسِّن حالته».

هزَّ رأسه نفيًا، وقال: «عليه أن يأتي بنفسه ليأخذ تُفَّاحته أو بصلته، ولكن ليس الاثنتين. وأنتِ أيضًا. والآن، تُفَّاحة أم بصلة؟ أسرِعي، هناك آخَرون خلفكِ».

أجابَت: «تُفَّاحة»، فأعطاها واحدةً قديمةً جافَّةً، صغيرةً وذابلةً.

صاحَ رجل يقف وراءها بثلاثة أدوار: «تحرَّكي يا امرأة. الجوُّ بارد».

لم تُعِره المرأة انتباهًا، وقالت لهال المُشعر: «تُفَّاحة أخرى لابني. أرجوك، هذه صغيرة للغاية».

نظرَ هال إلى چون الذي هزَّ رأسه أن لا. سرعان ما سينفد الثُّفَّاح، وإذا أعطوا اثنتين لكلِّ من يُريد اثنتين فلن ينال المتأخِّرون شيئًا.

قالت فتاة وراء المرأة: «أفسِحي الطَّريق»، ثم دفعَتها من ظَهرها فترنَّحت المرأة وفقدَت تُفَّاحتها وسقطَت، وطارَت الأطعمة الأخرى من بين ذراعيها. تبعثرَت الفاصوليا وتدحرجَت ثمرة لفت في بِركة موحلة وانشقَّ جوال دقيق وانسكبَت محتوياته النَّفيسة على الأرض.

تصاعدَت الأصوات الغاضبة باللُّغتين العاميَّة والقديمة، ونشبَ المزيد من التَّدافُع عند عربةٍ أخرى، وزمجرَ أحد الرِّجال: «الطَّعام لا يكفي! إنكم تُجوِّعوننا حتى الموت أيها الغِربان». كانت المرأة التي سقطَت تزحف على رُكبتيها وراء طعامها، ورأى چون لمعة الفولاذ المجرَّد على بُعد ياردات قليلة وقد ثبَّت رُماته السِّهام إلى أوتار أقواسهم.

التفتَ فوق سَرجه قائلًا: «روري، أسكِتهم».

ورفعَ روري بوقه العظيم إلى شفتيه ونفخَ.

هووووووووووووووووووووووووووووووووووو!

همدَ الصَّخب والتَّدافُع، والتفتَت الرُّؤوس، وبدأ طفل يبكي، وسارَ الغُداف من كتف چون اليُسرى إلى اليُمنى محرِّكًا رأسه من أعلى إلى أسفل ومتمتمًا: «*سنو، سنو، سنو!*».

انتظرَ چون حتى خبَت آخِر أصداء البوق، ثم همزَ حصانه متقدِّمًا ليراه الجميع، وأعلنَ: «إننا نُطعِمكم قدر استطاعتنا بكلِّ ما نقدر على الاستغناء عنه. تُفَّاح وبصل ولفتوف وجزر... أمامنا جميعًا شتاء طويل، ومخازننا ليست معينًا لا يَنضُب».

دفعَ هاليك أحدهم ليتقدَّم، وقال: «أنتم أيها الغِربان تأكلون جيِّدًا».

في الوقت الحالي. «نحن نُدافِع عن (الجِدار)، و(الجِدار) يحمي البلاد... ويحميكم الآن. تعرفون العدوَّ الذي نُواجِهه، وتعرفون ما في طريقه إلينا. بعضكم واجهَهم من قبل. الجُثث الحيَّة والمُشاة البِيض، أشياء ميتة بأعيُنٍ زرقاء وأيدٍ سوداء. أنا أيضًا رأيتها وقاتلتها وأرسلتُ أحدها إلى الجحيم. إنهم يَقتُلون، ثم يُرسِلون موتاكم ضدكم. لم يتمكَّن العمالقة من الصُّمود أمامهم، ولا أنتم أيها الثِّنيون، ولا عشائر الأنهار الجليديَّة وذوو الحوافر والأحرار... وبينما يَقصُر النَّهار ويشتدُّ برد اللَّيل يزدادون قوَّةً. لقد تركتم بيوتكم وجئتم جنوبًا بالمئات والآلاف... فلِمَ إن لم يكن للفرار منهم؟ لتكونوا آمنين. حسن، (الجِدار) هو ما يُحافِظ على أمنكم، نحن من نُحافِظ على أمنكم، الغِربان السُّود الذين تحتقرونهم».

قالت امرأة قصيرة مكتنزة لوَّحت وجهها الرِّيح ويبدو من منظرها أنها زوجة حربة: «تُحافِظون على أمننا وتُجوِّعوننا».

ردَّ چون: «تُريدون المزيد من الطَّعام؟ الطَّعام للمُقاتلين. ساعِدونا في الدِّفاع عن (الجِدار) وستأكلون جيِّدًا كأيِّ غُراب».

او لن تأكلوا مِثلنا عندما ينفد الطَّعام.

خيَّم الصَّمت، وتبادلَ الهَمج النَّظرات الحذرة، وتمتمَ الغُداف: «*تأكلون، ذُرة، ذُرة!*».

ارتفعَ صوت ثقيل اللُّكنة يقول: «نُقاتِل لكم؟». يتكلَّم سيجورن ماجنَر (ثِن) الشَّاب اللُّغة العاميَّة بتلعثُمٍ في أفضل الأحوال. «لا نُقاتِل لكم. نَقتُلكم أفضل. نَقتُل جميعًا».

ضربَ الغُداف الهواء بجناحيه مردِّدًا: «*نَقتُل، نَقتُل!*».

خلال الهجوم على (القلعة السَّوداء) سحقَت السَّلالم السَّاقطة الماجنَر السَّابق أبا سيجورن. قال چون لنفسه: *لكان هذا شعوري أيضًا إذا طلبَ مني أحدهم أن أتحالف مع آل لانستر.* «أبوك حاولَ أن يَقتُلنا جميعًا. كان الماجنَر رجلًا شُجاعًا، لكنه فشلَ، ولو نجحَ... فمَن سيُدافِع عن (الجِدار)؟»، والتفتَ عن الثِّنِّيين متابعًا: «أسوار (وينترفل) كانت قويَّةً أيضًا، لكن اليوم (وينترفل) خرابة محترقة محطَّمة. أيُّ جِدارٍ ليس قويًّا إلَّا إذا كان من يُدافِعون عنه أقوياء».

قال عجوز يضمُّ ثمرة لفت إلى صدره: «تَقتُلوننا وتُجوِّعوننا، والآن تُريدون أن تجعلونا عبيدًا».

وصاحَ رجل ممتلئ أحمر الوجه مؤيِّدًا: «أفضِّلُ العُري على ارتداء واحدةٍ من تلك الخِرق السَّوداء».

ضحكَت زوجة حربة قائلةً: «زوجتك نفسها لا تُريد أن تراك عاريًا يا بوتس».

بدأت دستة من الأصوات تتكلَّم في آنٍ واحد. كان الثِّنِّيون يزعقون باللُّغة القديمة، وانفجرَ صبي صغير في البُكاء، لكن چون سنو انتظرَ حتى هدأ الجميع، ثم التفتَ إلى هال المُشعر متسائلًا: «هال، ما الذي قلته لهذه المرأة؟».

لاحَت الحيرة على هال إذ أجابَ: «تعني بخصوص الطَّعام؟ تُفَّاحة أو بصلة؟ لم أقل إلَّا هذا. عليهم الاختيار».

ردَّد چون سنو: «عليكم الاختيار جميعًا... لا أحد يَطلُب منكم حلفان يميننا، ولا يعنيني أيُّ آلهةٍ تَعبُدون. آلهتي الآلهة القديمة، آلهة الشَّمال، لكن يُمكنكم عبادة الإله الأحمر أو الآلهة السَّبعة أو أيِّ إلهٍ آخَر يسمع دعواتكم. ما نحتاج إليه هو الحِراب والأقواس، أعيُن على (الجِدار). سآخذُ أيَّ صبيٍّ فوق الثَّانية عشرة يعرف كيف يحمل حربةً أو يشدُّ وتر قوس. سآخذُ مسنِّيكم وجرحاكم ومُعاقيكم، وحتى من لم يعودوا يستطيعون القتال. ثمَّة مهام أخرى يُمكنهم تنفيذها؛ تركيب الرِّيش على السِّهام، حلب الماعز، جمع الحطب، تنظيف اسطبلاتنا... العمل بلا نهاية. ونعم، سآخذُ نسوتكم أيضًا. لستُ محتاجًا إلى الفتيات الخجلاوات المتطلِّعات إلى الحماية، لكنني سآخذُ كلَّ من يرغبن في المجيء من الزَّوجات الحِراب».

سألَته فتاة: «والبنات؟». تبدو صغيرةً كما كانت آريا حين رآها چون آخِر مرَّة.

- «بدايةً من سِنِّ السَّادسة عشرة فأكبر».

- «ستأخذون الصِّبية بدايةً من الثَّانية عشرة».

في (الممالك السَّبع) غالبًا ما يكون الصِّبية في الثَّانية عشرة من العُمر وُصفاء أو مُرافقين، وكثيرون منهم يتدرَّبون على السِّلاح قبل هذا بسنوات، أمَّا البنات في الثَّانية عشرة فأطفال. لكن هؤلاء هَمج. «كما تُريدين. الصِّبيان والفتيات بدايةً من سِنِّ الثَّانية عشرة، لكن فقط من يعرفون كيف يُطيعون الأوامر. هذا ينطبق عليكم جميعًا. لن أطلب منكم أبدًا أن تركعوا لي، لكنني سأعيِّنُ عليكم قادةً ورُقباء يُخبِرونكم متى تستيقظون ومتى تنامون، أين تأكلون ومتى تشربون وماذا ترتدون ومتى تُشهِرون سيوفكم وتُطلِقون سهامكم. رجال حَرس اللَّيل يخدمون مدى الحياة. لن أطلب ذلك منكم، لكن ما دُمتم على (الجِدار) فستكونون تحت قيادتي. من يعصي أمرًا سأقطعُ رأسه. سَلوا إخوتي، لقد رأوني أفعلها».

صرخَ غُداف الدُّب العجوز: «*أقطعْ، أقطعْ، أقطعْ، أقطعْ!*».

قال لهم چون سنو: «الخيار خياركم. فليَعُد من يُريدون مساعدتنا على الدِّفاع عن (الجِدار) معي إلى (القلعة السَّوداء) وسأحرصُ على تسليحكم وإطعامكم، ولتأخذ بقيَّتكم لفتها وبصلها وترجع إلى جحورها».

كانت الفتاة أول المتقدِّمين، وقالت: «أستطيعُ القتال. أمِّي كانت زوجةَ حربةً»، فأومأَ لها چون برأسه، وإذ دسَّت نفسها مارَّةً بين رجلين مسنَّيْن فكَّر: *ربما لم تَبلُغ الثَّانية عشرة حتى*، لكنه لن يردَّ مجنَّدته الوحيدة.

تبعَها مُراهقان لم يتجاوَزا الرَّابعة عشرة، وبعدهما رجل أعور نديب الوجه قال: «أنا أيضًا رأيتهم، الموتى. حتى الغِربان أفضل من هذا». بعده جاءَت زوجة حربة طويلة، وعجوز متَّكئ على عُكَّازيْن، وغُلام مستدير الوجه ضامر الذِّراع، وشاب ذكَّر شَعره الأحمر چون بإيجريت.

ثم هاليك الذي دمدمَ: «لستُ أحبُّك أيها الغُراب، لكنني لم أحبَّ المانس أيضًا، ولا أحبَّته أختي، ومع ذلك قاتَلنا من أجله، فلِمَ لا نُقاتِل من أجلك؟».

عندئذٍ انهدمَ السَّدُّ. هاليك رجل عالي الشَّأن. *لم يكن مانس مخطئًا*. قال له ملك ما وراء الجِدار: «الأحرار لا يتبعون الأسماء أو الحيوانات القُماش الصَّغيرة المخيطة على الصُّدور، ولا يَرقُصون في سبيل المال ولا يهمُّهم اللَّقب الذي تُطلِقه على نفسك أو ما تعنيه سلسلة منصبك أو مَن كان جدُّك. إنهم يتبعون القوَّة، يتبعون الرَّجل».

تبعَ هاليك أبناءُ عمومته، ثم أحد حاملي لواء هارما، ثم رجال حارَبوا معها، ثم آخَرون سمعوا حكاياتٍ عن بأسها.

رجال مسنُّون وصِبية خُضر، ومقاتلون في ريعان الشَّباب، وجرحى ومُعاقون، وعشرون من الزَّوجات الحِراب، وثلاثة أيضًا من ذوي الحوافر.

لكن لا أحد من الثِّنِّيين. دارَ الماجنَر واختفى في الأنفاق، وذهبَ أتباعه المدرَّعون بالبرونز في أعقابه.

عندما نفدَ التُّفَّاح الذَّابل كانت العربات قد امتلأَت بالهَمج، وأصبحَ الإخوة السُّود أقوى بثلاثةٍ وستِّين فردًا مما كانوا حين خرجوا من (القلعة السَّوداء) هذا الصَّباح.

سألَه باون مارش وهُم عائدون على (طريق الملوك): «ماذا ستفعل بهم؟».

- «سأدرِّبهم وأسلِّحهم ثم أفصلهم. سأرسلهم حيث الحاجة إليهم. (القلعة الشَّرقيَّة)، (بُرج الظِّلال)، (الحارس الرَّمادي)، (باب الجليد). إنني أنوي فتح ثلاث قلاعٍ أخرى أيضًا».

نظرَ قيِّم الوُكلاء وراءه قائلًا: «والنِّسوة أيضًا؟ إخوتنا لم يعتادوا وجود نساءٍ بينهم يا سيِّدي. يمينهم... سيقع قتال، اغتصاب...».

- «هؤلاء النِّسوة يحملن سكاكين ويعرفن كيف يستخدمنها».

- «وماذا سيَحدُث عندما تذبح واحدة من تلك الزَّوجات الحِراب أحد إخوتنا؟».

أجابَ چون: «سنفقد رجلًا، لكننا جنينا ثلاثةً وستِّين لتوِّنا. أنت بارع في العدِّ يا سيِّدي. صحِّح كلامي إن كنتُ مخطئًا، لكن حسبتي تَترُكنا متفوِّقين باثنين وستِّين».

قال مارش بغير اقتناع: «لقد أضفت ثلاثةً وستِّين فمًا يا سيِّدي... لكن كم منهم مُقاتلون وفي صفِّ مَن سيُقاتِلون؟ إذا كان (الآخَرون) على أبوابنا فسيقفون معنا على الأرجح... لكن إذا جاءَ تورموند بليَّة العماليق أو الرَّجل الباكي بعشرة آلاف من القتَلة الصَّارخين، فماذا سيَحدُث عندها؟».

- «عندها سنعرف، ولذا لنأمل ألَّا تَبلُغ الأمور ذلك الحد».

---

(44) المناجذ جمع الخُلد، وهو حيوان أعمى شبيه بالفأر يعيش في جحورٍ تحت الأرض. (المُترجم).

حلمَ بالسيِّد والده واللورد المكفَّن، حلمَ بأنهما واحد، الشَّخص ذاته، وعندما احتواه أبوه بذراعين من حجرٍ ومالَ يطبع عليه قُبلته الرَّماديَّة استيقظَ بفمٍ جاف يُفعِمه مذاق الدَّم الصَّدئ وقلبٍ يدقُّ بعُنفٍ في صدره.

قال هالدون: «قزمنا الميت عادَ إلينا».

هزَّ تيريون رأسه يقشع غشاوة الحُلم مفكِّرًا: *(الويلات)، فُقِدتُ في (الويلات)*. «لستُ ميتًا».

وقفَ النِّصف مِايستر فوقه قائلًا: «هذا ما سنراه. أيها البطَّة، كُن داجنًا طيِّبًا واغلِ القليل من الحَساء لصديقنا. مؤكَّد أنه جائع جدًّا».

رأى تيريون أنه على متن (العذراء الخجول)، تحت دثارٍ شائك رائحته خل. *اجتزنا (الويلات). كان مجرَّد حُلمٍ رأيته وأنا أغرقُ*. «لماذا تفوح مني رائحة الخل؟».

- «كانت ليمور تغسلك به. بعضهم يقول إنه يُساعِد على منع الإصابة بالدَّاء الأرمد. أشكُّ في ذلك عن نفسي، ولكن لم يكن هناك ما يمنع أن نُحاوِل. ليمور هي من أفرغَت رئتيك من الماء بعد أن انتشلَك جريف. كنت باردًا كالثَّلج وازرقَّت شفتاك. قال ياندري إن علينا أن نُلقيك ثانيةً في النَّهر، لكن الفتى حرَّج ذلك».

الأمير. تدفَّقت الذِّكرى في عقله، الرَّجل الحجري يمدُّ يدين رماديَّتين مشقَّقتين والدِّماء تنزُّ من مفاصل أصابعه. *كان ثقيلًا كالجُلمود وهو يجذبني إلى أسفل*. «جريف انتشلَني؟». *لا شكَّ انه يكرهني، وإلَّا لتركَني أموتُ*. «منذ متى وأنا نائم؟ ما هذا المكان؟».

أجابَ هالدون: «(سلهوريس)»، وأخرجَ سكِّينًا صغيرًا من كُمِّه وألقاه لتيريون بزاويةٍ سُفليَّة قائلًا: «هاك».

جفلَ القزم، وانغرسَ السكِّين بين ساقيه ووقفَ يهتزُّ في خشب سطح القارب، فانتزعَه متسائلًا: «ما هذا؟».

- «اخلع حذاءك وخِز كلًّا من أصابع قدميك ويديك».

- «يبدو هذا... مؤلمًا».

- «وهو ما آمله. افعل كما أخبرتك».

بحدَّةٍ خلعَ تيريون فردة حذاءٍ ثم الأخرى، ثم خلعَ جوربه وضيَّق عينيه ناظرًا إلى أصابع قدميه، فلم تبدُ له أفضل أو أسوأ من المعتاد. وخزَ أحد الإصبعين الكبيرين بحذر، فحثَّه هالدون النِّصف مِايستر قائلًا: «أشد».

- «هل تُريدني أن أنزف؟».

- «إذا لزمَ الأمر».

- «ستُصبِح على كلِّ إصبعٍ جُلبة».

- «ليس الغرض من هذه العمليَّة أن تُحصي أصابع قدميك. أريدُ أن أراك تَجفُل. ما دامَ الوخز يُؤلِم فأنت آمِن. فقط عندما لا تَشعُر بالنَّصل سيكون عندك داعٍ للخوف».

الدَّاء الأرمد. كشَّر تيريون ووخزَ إصبعًا آخَر، وعندما تكوَّنت قطرة من الدَّم حول رأس السكِّين أطلقَ سبابًا، وقال: «آلمَني هذا. أأنت سعيد؟».

- «أرقصُ فرحًا».

قال البطَّة الذي عادَ بكوبٍ من الحَساء: «رائحة قدميك أسوأ من رائحة قدمَي يا يولو. جريف حذَّرك من لمس المتحجِّرين».

- «أجل، لكنه نسيَ أن يُحذِّر المتحجِّرين من لمسي».

قال هالدون: «بينما تخز فتّش عن رُقع الجِلد الرَّمادي الميت وبداية اسودادٍ في الأظفار. إذا رأيت علامةً كهذه فلا تتردَّد. خيرٌ لك أن تفقد إصبعًا من أن تفقد قدمًا كاملةً، أو أن تفقد ذراعًا من أن تقضي حياتك في الولولة على (جسر الحُلم). والآن القدم الأخرى بعد إذنك، ثم أصابع يديك».

بدّل القزم ساقًا على ساقٍ وبدأ يخز أصابع القدم الأخرى متسائلًا: «هل أخزُ قضيبي أيضًا؟».

- «لا ضرر من ذلك».

- «تعني لا ضرر لك، ولو أن لا فرق إذا قطعته بما أنني لا أستخدمه».

- «تفضَّل. سنَدبُغه ونُحنّطه ونبيعه بثروة. لقضبان الأقزام قُدرات سحريَّة».

قال تيريون: «هذا ما أقوله للنِّساء منذ أعوام»، وغرسَ رأس السكّين في عقلة إبهامه وشاهدَ الدَّم ينبجس فامتصَّه، ثم تساءلَ: «كم عليّ الاستمرار في تعذيب نفسي؟ متى نتيقَّن من كوني نظيفًا؟».

أجابَ النِّصف مِايستر: «بشكلٍ قاطع؟ لن يَحدُث أبدًا. لقد ابتلعت نِصف مياه النَّهر. ربما بدأت تصطبِغ بالرَّمادي بالفعل، تتحوّل إلى حجرٍ من الدَّاخل إلى الخارج، بدايةً بقلبك ورئتيك. إذا صحَّ ذلك فلن يُنقِذك وخز أصابعك وغسلك بالخلِّ. حين تَفرُغ تعالَ واشرب القليل من الحَساء».

كان الحَساء طيِّب المزاق، وإن لاحظَ تيريون أن النِّصف مِايستر جلسَ إلى الجانب الآخَر من المائدة وهما يأكلان. وجدَ (العذراء الخجول) مربوطًا إلى رصيفٍ أبلَته تقلُّبات الجوِّ على ضفَّة (الروين) الشَّرقيَّة، وعلى بُعد رصيفين رأى جنودًا ينزلون من قادسٍ نهري ڤولانتيني. أسفل سورٍ من الحجر الرَّملي تزدحم المحال والأكشاك والمخازن، ومن ورائه تلوح بروج وقباب المدينة التي خضَّبها ضوء الشَّمس الغاربة بالحُمرة.

لا، ليست مدينةً. على الرغم من مساحتها تعدُّ (سلهوريس) بلدةً لا أكثر، كما أنها خاضعة لحُكم (ڤولانتيس القديمة). ليست هذه (وستروس).

خرجَت ليمور إلى السَّطح وفي أثرها الأمير، ولمَّا رأت تيريون هرعَت إليه واحتضنَته قائلةً: «(الأُم) رحيمة. لقد صلَّينا من أجلك يا هيوجور».

أنتِ على الأقل صلَّيتِ. «لن ألومكِ على هذا».

كانت تحيَّة جريف الصَّغير أفتر حرارةً. الأمير الصَّغير في مزاجٍ سيِّئ، غاضب لأنه مجبَر على البقاء على القارب بدلًا من النُّزول إلى البَرِّ مع ياندري ويسيلا. قالت له ليمور: «نُريد الحفاظ على سلامتك فقط. إننا في أوقات قلقلة».

شرحَ هالدون النِّصف مِايستر: «في الطَّريق من (الويلات) إلى (سلهوريس) لمحنا خيَّالةً يتحرَّكون على شاطئ النَّهر الشَّرقي ثلاث مرَّات، دوثراكي. في مرَّةٍ منها كنا قريبين منهم لدرجة أننا سمعنا رنين الأجراس في جدائلهم، وأحيانًا في اللَّيل لاحَت لنا نيرانهم من وراء التِّلال الشَّرقيَّة. مررنا بسُفنٍ حربيَّة أيضًا، قوادس نهريَّة من (ڤولانتيس) مكتظَّة بالجنود العبيد. واضحٌ أن القناصل يخشون وقوع اعتداءٍ على (سلهوريس)».

استوعبَ تيريون الأمر سريعًا. وحدها بين بلدات النَّهر الكُبرى تقف (سلهوريس) على ضفَّة (الروين) الشَّرقيَّة، وهو ما يجعلها أكثر عُرضةً بكثير لهجوم سادة الخيول من أخواتها عبر النَّهر. ومع ذلك *فهي غنيمة صغيرة. لو كنتُ گالًا لأوهمتُ الڤولانتينيِّين بهجومي على (سلهوريس) وجعلتهم يهرعون للدِّفاع عنها، وبعدها أدورُ من الجنوب وأنطلقُ بأقصى سرعةٍ إلى (ڤولانتيس) نفسها.*

كان جريف الصَّغير يقول بإصرار: «أعرفُ كيف أستخدمُ السَّيف».

قالت ليمور: «حتى أشجع أسلافك أبقى حَرسه الملكي حوله في أوقات الخطر». كانت قد بدَّلت رداء السِّپتة بثيابٍ تليق بزوجة أو ابنة تاجرٍ موسر. أمعنَ تيريون النَّظر إليها. لقد تشمَّم الحقيقة المتوارية تحت شَعر جريف وجريف الصَّغير الأزرق بسهولة، ولا يبدو أن ياندري ويسيلا يُخفِيان أكثر مما يُظهِران، في حين أن البطَّة -بشكلٍ ما- يُظهِر أقل مما يُخفي. أمَّا ليمور... *مَن هي بحق؟ ما سبب وجودها هنا؟ ليس الذَّهب في تقديري. ماذا يعني هذا الأمير لها؟ هل كانت سِپتةً حقًّا؟*

لاحظَ هالدون أيضًا تبديلها ثيابها، فقال: «ماذا نفعل بفقدان الإيمان المفاجئ هذا؟ كنتُ أفضِّلكِ بمسوح السِّپتة يا ليمور».

قال تيريون: «كنتُ أفضِّلكِ عاريةً».

رمقَته ليمور بتأنيبٍ قائلةً: «لأن روحك شرِّيرة. مسوح السِّپتة تُعلِن بوضوحٍ أنني من (وستروس)، وقد تجتذب إلينا نظراتٍ غير مرغوبة»، وعادَت تلتفت إلى الأمير إجون مضيفةً: «لست الوحيد الذي يجب أن يتنكَّر».

لم يبدُ الاقتناع على الفتى. *الأمير المثالي لكنه لا يزال نِصف صبي، خبرته بالعالم وأهواله محدودة للغاية*. قال تيريون: «أيها الأمير إجون، ما دامَ كلانا عالقًا على متن هذا القارب فهل تُشرِّفني بمباراة سايڤاس نُزجِّي بها السَّاعات؟».

حدجَه الأمير بنظرةٍ حذرة قائلًا: «سئمتُ من السايڤاس».

- «تقصد سئمت من الخسارة أمام قزم؟».

تمامًا كما توقَّع تيريون، نخزَ قوله كبرياء الفتى، فقال: «أحضِر الرُّقعة والقِطع. هذه المرَّة سأسحقك سحقًا».

لعبا على سطح القارب، وراء القمرة حيث جلسا مربِّعيْن سيقانهما. صفَّ جريف الصَّغير جيشه استعدادًا للهجوم، واضعًا التنِّينة والأفيال والخيول الثَّقيلة في المقدِّمة. *تشكيل يليق بشابٍّ صغير، جريء ولكن أحمق. يُجازِف بكلِّ شيءٍ من أجل قتْلةٍ سريعة*. تركَ الأمير يُحرِّك أولى قِطعه، وقد وقفَ هالدون وراءهما يتفرَّج على المباراة.

حين مدَّ الأمير يده إلى تنِّينته تنحنحَ تيريون، وقال: «ما كنتُ لأفعل هذا لو أني في مكانك. خطأ أن تُخرِج تنِّينتك بهذه السُّرعة»، وابتسمَ ببراءةٍ مضيفًا: «أبوك كان يعرف مخاطر الجرأة المبالَغ فيها».

- «هل عرفت أبي الحقيقي؟».

- «رأيته مرَّتين أو ثلاثًا، لكني كنتُ في العاشرة لا أكثر عندما قتلَه روبرت، وكان أبي يُخفيني تحت صخرة. لا، لستُ أدَّعي أنني عرفتُ الأمير ريجار، ليس كما عرفَه أبوك الزَّائف. كان اللورد كوننجتون أعزَّ أصدقاء الأمير، أليس كذلك؟».

أزاحَ جريف الصَّغير خُصلةً زرقاء عن عينيه مجيبًا: «كانا مُرافقيْن معًا في (كينجز لاندنج)».

- «صديق صدوق اللورد كونجتون. مؤكَّد أنه كذلك ما دامَ قد حافَظ على إخلاصه لحفيد الملك الذي سلبَه أراضيه وألقابه ونفاه. مؤسف. لولا هذا لكان صديق الأمير ريجار حاضرًا عندما نهبَ أبي (كينجز لاندنج)، ولأنقذَ ابن الأمير ريجار الصَّغير الغالي من تحطيم رأسه الملكي على جِدار».

احتقنَ وجه الفتى، وقال: «لم يكن أنا. لقد أخبرتك. كان ابن صبَّاغٍ ما من (شارع المراحيض) ماتَت أمُّه وهي تضعه، وباعَه أبوه للورد ڤارس مقابل إبريقٍ من نبيذ (الكرمة) الذَّهبي. كان له أبناء آخَرون لكنه لم يَذُق نبيذ (الكرمة) الذَّهبي قَطُّ. أعطى ڤارس صبي (شارع المراحيض) للسيِّدة أمِّي وغادرَ بي».

حرَّك تيريون أفياله قائلًا: «أجل، ولمَّا ماتَ أمير المراحيض هرَّبك الخصيُّ عبر (البحر الضيِّق) إلى صديقه البدين تاجر الجُبنة، الذي خبَّأك على قاربٍ ووجدَ لورد منفيًّا مستعدًّا لانتحال هُويَّة أبيك. إنها قصَّة مبهرة، وسيصنع المغنُّون من هربك ملحمةً حين تأخذ العرش الحديدي... بفرض أن تقبلك جميلتنا دنيرس زوجًا لها».

- «ستفعل، يجب أن تفعل».

ردَّد تيريون: «يجب؟»، وطقطقَ بلسانه ثم أردفَ: «ليست هذه بالكلمة التي تحبُّ ملكة أن تسمعها. أنت أميرها المثالي، متَّفقون، ذكي وجريء ووسيم كما تتمنَّى كلُّ فتاة، لكن دنيرس تارجاريَن ليست فتاةً. إنها أرملة كال من الدوثراكي وأمٌّ لتنانين وناهبة مُدن، إجون الفاتِح بثديين. قد لا تقبلك بالسُّهولة التي تتصوَّرها».

- «ستقبلني». بدا الأمير إجون مصدومًا. من الواضح أنه لم يضع في الاعتبار على الإطلاق احتمال أن تَرفُضه عروسه المقبلة. قال: «لستَ تعرفها»، والتقطَ قِطعة خيوله الثَّقيلة ووضعَها بخبطةٍ مكتومة.

هزَّ القزم كتفيه، وقال: «أعرفُ أنها قضَت طفولتها في المنفى معدمةً تتعيَّش على الأحلام والائتمار، تفرُّ من مدينةٍ إلى أخرى في خوفٍ دائم وغيابٍ تام للأمان، بلا أصدقاء إلَّا أخ كان بكلِّ الحسابات شِبه مجنون... أخ باعَ بكارتها للدوثراكي مقابل وعدٍ بجيش. أعرفُ أن في مكانٍ ما على العُشب وُلِدَت تنانينها ووُلِدَت هي أيضًا. أعرفُ أنها معتدَّة بنفسها. وكيف لا؟ ما الذي تبقَّى لها غير الكبرياء؟ وأعرفُ أنها قويَّة. وكيف لا؟ الدوثراكي يحتقرون الضَّعف. لو كانت دنيرس ضعيفةً لهلكَت مع ڤسيرس. أعرفُ أنها شرسة. (أستاپور) و(يونكاي) و(ميرين) دليل كافٍ على هذا. لقد قطعَت أراضي العُشب و(القفر الأحمر)، ونجَت من المُغتالين والمكايد والشَّعوذة البغيضة، وتحسَّرت على أخٍ وزوجٍ وابن، وداسَت مُدن النخَّاسين وحوَّلتها إلى تُرابٍ تحت قدميها الرَّقيقتين في صندلهما الفاخر. والآن، كيف ستكون ردَّة فعل هذه الملكة في رأيك حين تظهر حاملًا وعاء تسوُّلٍ وتقول: *صباح الخير يا عمَّتي. أنا إجون ابن أخيكِ الذي عادَ من الموت. كنتُ مختبئًا على قاربٍ طوال حياتي، لكنني غسلتُ شَعري من الصَّبغة الزَّرقاء وأريدُ تنِّينًا من فضلكِ... أوه، وهل ذكرتُ أن حقِّي في العرش الحديدي أقوى من حقِّكِ؟*».

التوى فم إجون غيظًا، وقال: «لن أذهب إلى عمَّتي متسوِّلًا، سأذهبُ إليها باعتباري ذا قُربى، ومعي جيش».

- «جيش صغير». هكذا، *ها قد غضبَ*. رغمًا عن القزم خطرَ چوفري بباله. *إنني موهوب في إغضاب الأمراء*. «الملكة دنيرس جيشها كبير، وبلا فضلٍ منك». قالها تيريون وحرَّك نُشَّابيَّاته.

- «قُل ما تُريد. ستكون عروسي. اللورد كوننجتون سيحرص على هذا. إنني أثقُ به كما لو أنه من دمي».

- «ربما يَجدُر بك أن تكون المهرِّج بدلًا مني. لا تثق بأحدٍ يا أميري، لا بمِايسترك عديم السِّلسلة ولا بأبيك الزَّائف ولا بالبطَّة الشُّجاع أو ليمور الجميلة أو الأصدقاء الآخَرين الذين ربُّوك منذ نعومة أظفارك، وفوق كلِّ شيءٍ لا تثق بتاجر الجُبنة أو العنكبوت أو ملكة التَّنانين التي تنوي أن تتزوَّجها. كلُّ تلك الرِّيبة ستقلب معدتك وتقضُّ مضجعك، هذا صحيح، لكن هذا خيرٌ من النَّومة الطَّويلة التي لا تنتهي»، ودفعَ القزم تنِّينته السَّوداء عبر سلسلة جبالٍ متابعًا: «لكن ماذا أعرفُ أنا؟ أبوك الزَّائف لورد عظيم، وأنا مجرَّد رجلٍ قرد شائه... ومع ذلك كنتُ لأفعل الأشياء على نحوٍ مختلف».

جذبَ هذا اهتمام الفتى، فسألَه: «مختلف كيف؟».

- «لو كنتُ مكانك؟ لذهبتُ غربًا لا شرقًا، أرسو في (دورن) وأرفع راياتي. (الممالك السَّبع) لن تكون مهيَّأةً أبدًا للغزو كما هي الآن. على العرش الحديدي يجلس ملك صبي، والفوضى ضاربة أطنابها في الشَّمال، وأراضي النَّهر خراب، و(ستورمز إند) و(دراجونستون) خاضعتان للورد متمرِّد. عندما يأتي الشِّتاء ستجوع البلاد. ومن تبقَّى ليتعامَل مع كلِّ هذا؟ من يَحكُم الملك الذي يَحكُم (الممالك السَّبع)؟ إنها أختي الجميلة، لا يُوجَد غيرها. أخي چايمي متعطِّش للقتال لا السُّلطة، وقد فرَّ من كلِّ فُرصةٍ للحُكم. عمِّي كيڤان سيكون وصيًّا لا بأس به إذا كلَّفه أحدهم بهذا الواجب، لكنه لن يطمح إليه أبدًا. الآلهة سوَّته على أن يكون تابعًا لا قائدًا». *الآلهة وأبي*. «مايس تايرل سيقبل بكلِّ سرورٍ أن يُمسِك الصَّولجان، ولكن ليس واردًا أن يتنحَّى أهلي ويُعطوه له. والجميع يكرهون ستانيس. مَن تبقَّى إذن؟ سرسي. (وستروس) ممزَّقة وتنزف، ولا أشكُّ في أن أختي العزيزة عاكفة الآن على تضميد الجراح... بالملح. سرسي رقيقة كالملك ميجور ومعطاءة كإجون غير الجدير ورشيدة كإيرس المجنون. إنها لا تنسى إساءةً أبدًا، سواء أكانت حقيقيَّةً أم وهميَّةً، وتحسب الحذر جُبنًا والمعارَضة عصيانًا. كما أنها طمَّاعة، تطمع في السُّلطة، في الشَّرف، في الحُب. حُكم تومن مدعوم بالتَّحالُفات التي شيَّدها أبي بمنتهى العناية، لكنها ستُدمِّرها عمَّا قريب، جميعها بلا استثناء. ارسُ وارفع راياتك وسيتوافَد النَّاس إليك أفواجًا، اللوردات كبارهم وصغارهم، والعوام أيضًا. لكن لا تنتظر طويلًا يا أميري، فاللَّحظة لن تدوم، والتيَّار الذي يحملك الآن سرعان ما سينحسِر. احرص على الوصول إلى (وستروس) قبل أن تَسقُط أختي ويحلَّ أحد آخَر أكفأ محلَّها».

تساءلَ الأمير إجون: «لكن من دون دنيرس وتنانينها ما أملنا في الانتصار؟».

أخبرَه تيريون: «لست محتاجًا إلى الانتصار. ما عليك إلّا أن ترفع راياتك وتستقطِب مؤيِّديك وتَصمُد حتى تصل دنيرس وتضمُّ قوَّتها إلى قوَّتك».

- «قلت إنها قد لا تقبلني».

قال القزم: «ربما بالغتُ. قد تُشفِق عليك عندما تذهب إليها تتسوَّل يدها»، وهزَّ كتفيه مواصلًا: «هل تُريد أن تُقامِر بعرشك على نزوة امرأة؟ لكن إذا ذهبت إلى (وستروس)... آه، عندها أنت متمرِّد لا شحَّاذ، جريء ومتهوِّر، سليل حقيقي لعائلة تارجاريَن يمشي على خُطى إجون الفاتِح، تنِّين. قلتُ لك إنني أعرفُ ملكتنا الصَّغيرة. دَعها تسمع أن ابن أخيها ريجار القتيل ما زالَ حيًّا، أن ذلك الفتى الشُّجاع رفعَ راية أسلافها على أرض (وستروس) من جديد، أنه يخوض حربًا يائسةً للانتقام لأبيه واسترداد عرش عائلة تارجاريَن والأعداء يُحاصِرونه من كلِّ جانب... عندئذٍ ستهرع إليك بأقصى سرعةٍ تحملها بها الرِّياح والمياه. أنت آخِر نسلها، وأُم التَّنانين تلك، محطِّمة الأغلال تلك، فوق كلِّ شيءٍ مُنقذة. الفتاة التي أغرقَت مُدن النخَّاسين في الدِّماء بدلًا من ترك أناسٍ أغراب مكبَّلين بالسَّلاسل لن تتخلَّى عن ابن أخيها في ساعة الخطر، وحين تصل إلى (وستروس) وتُقابِلك للمرَّة الأولى ستلتقيان كنظيريْن، كرجلٍ وامرأة لا كملكةٍ وشخصٍ يستجدي العون. دَعني أسألك، كيف لا تحبُّك حينئذٍ؟»، وابتسمَ تيريون وقبضَ على تنِّينته وطيَّرها عبر الرُّقعة قائلًا: «أتمنَّى أن يغفر لي سموُّ الأمير. ملكك محاصَر. الموت بعد أربع حركات».

حدَّق الأمير إلى رُقعة اللَّعب مغمغمًا: «تنِّينتي...».

- «... أبعد من أن تُنقِذك. كان عليك أن تُحرِّكها إلى قلب المعركة».

- «لكنك قلت...».

- «لقد كذبتُ. لا تثق بأحد، وأبقِ تنِّينتك قريبةً منك».

هبَّ جريف الصَّغير واقفًا وركلَ رُقعة اللَّعب لتطير قِطع السايڤاس في كلِّ جهة وترتدُّ وتتدحرَج على سطح (العذراء الخجول)، ثم قال الفتى آمرًا: «اجمعها».

قد يكون ابن تارجاريَن بالفعل. قال تيريون: «أمر سموِّ الأمير»، وركعَ على يديه ورُكبتيه وبدأ يزحف على السَّطح يجمع القِطع.

كان الغسق يدنو عندما عادَ ياندري ويسيلا إلى (العذراء الخجول)، وراءهما شيَّال يدفع عربة يد محمَّلة بأكوام المؤن، ملح ودقيق وزُبدة طازجة، وشرائح سميكة من اللَّحم المقدَّد الملفوف بالكتَّان، وأجولة من البُرتقال والتُّفَّاح والكمَّثرى. رفعَ ياندري على كتفه برميلًا من النَّبيذ، في حين حملَت يسيلا على كتفها سمكة كراكي تُعادِل تيريون حجمًا.

حين رأت يسيلا القزم واقفًا عند طرف لوح العبور توقَّفت فجأةً ليصطدم بها ياندري وتكاد السَّمكة تَسقُط من على ظَهرها في النَّهر. ساعدَها البطَّة على إنقاذها، وحدَّقت يسيلا إلى تيريون عابسةً، وبثلاثةٍ من أصابعها صنعَت إشارةً غريبةً كأنها تطعن. *علامة لطرد الشَّر.* قال للبطَّة: «دَعني أساعدك على حمل السَّمكة».

قالت يسيلا بحدَّة: «لا، ابتعِد. لا تلمس طعامًا إلَّا ما تأكله بنفسك».

رفعَ القزم كلتا يديه قائلًا: «كما تأمرين».

وضعَ ياندري برميل النَّبيذ على السَّطح سائلًا هالدون: «أين جريف؟».

- «نائم».

- «أيقِظه إذن. عندنا أخبار يجب أن يسمعها. اسم الملكة على كلِّ لسانٍ في (سلهوريس). يقولون إنها جالسة في ميرين والأعداء يُحدِقون بها. إذا صدقَ الكلام في الأسواق فستَدخُل (ڤولانتيس القديمة) الحرب ضدها قريبًا».

زمَّ هالدون فمه قائلًا: «نميمة تُجَّار السَّمك لا يُعتمَد عليها، لكنني أظنُّ أن جريف سيُريد أن يسمع. أنت تعرفه»، ثم نزلَ النِّصف مِايستر إلى مقصورة جريف بالأسفل.

الفتاة لم تتحرَّك غربًا من الأصل. لا شكَّ أن لديها سببًا وجيهًا. بين (ميرين) و(ڤولانتيس) خمسمئة فرسخ من الصَّحاري والجبال والمستنقعات والأطلال، بخلاف (مانتاريس) بسُمعتها المشؤومة. *يقولون إنها* مدينة *أهلها* وحوش، *لكن إذا تحرَّكت على اليابسة فأين تذهب طلبًا للطَّعام والماء إن لم يكن إلى هناك؟ قد يكون البحر أسرع، لكن إذا كانت لا تملك السُّفن*...

عند ظهور جريف على السَّطح كانت سمكة الكراكي تئزُّ وتقدح على المستوقَد وتحوم يسيلا فوقها عاصرةً عليها اللَّيمون. ارتدى المرتزِق قميصه المعدني ومعطف فرو الذِّئاب وقُفَّازين من الجِلد الطَّري وسراويلَ داكنةً من الصُّوف. إذا أدهشَته رؤية تيريون مستيقظًا فإنه لم يُبدِ أمارةً على هذا سوى عبوسه المعهود. أخذَ ياندري إلى الدفَّة حيث تكلَّما بصوتٍ أخفت من أن يسمعه القزم.

وفي النِّهاية أشارَ جريف إلى هالدون قائلًا: «يجب أن نعلم حقيقة هذه الشَّائعات. انزل إلى البرِّ واعرف ما تستطيع. كاڤو سيعرف، إذا وجدته. جرِّب (رجل النَّهر) و(السُّلحفاة الملوَّنة)، تعرف الأماكن الأخرى».

- «أجل. سآخذُ القزم معي. أربع آذان أفضل من اثنتين، كما أنك تعلم كم يهوى كاڤو لعب السايڤاس».

- «كما ترغب. عُد قبل شروق الشَّمس. إذا تأخَّرت لأيِّ سببٍ فاذهب إلى الجماعة الذَّهبيَّة».

فكَّر تيريون: *يتكلَّم كما ينبغي للورد*، لكنه احتفظَ بالفكرة لنفسه.

ارتدى هالدون معطفًا مقلنسًا، وخلعَ تيريون ثيابه المرقَّعة المرتجَلة ليرتدي بدلًا منها أخرى لونها رمادي زيتوني. خصَّص جريف لكلٍّ منهما صُرَّةً من الفضَّة من صناديق إليريو قائلًا: «لإطلاق الألسنة».

كان الغسق يُخلي السَّبيل للظُّلمة عندما شقَّا طريقهما على ضفَّة النَّهر. بدا بعض السُّفن التي مرَّا بها مهجورًا وقد رُفِعَت ألواح العبور، في حين عجَّ بعضها بالرِّجال المسلَّحين الذين رموهما بنظرات الارتياب. أسفل سور البلدة عُلِّقَت قناديل من الزُّقوق فوق الأكشاك مغرقةً الطَّريق المعبَّد ببِركٍ من الأضواء الملوَّنة، وشاهدَ تيريون إذ اصطبغَ وجه هالدون بالأخضر ثم الأحمر ثم الأرجواني، وتحت نشاز اللُّغات الأجنبيَّة المتداخلة سمعَ موسيقى غريبةً آتيةً من مكانٍ ما أمامهما، زمرًا رفيعًا عاليًا يصحبه الطَّبل، ومن ورائهما كان كلب ينبح.

وكانت العاهرات بالخارج. على نهرٍ أو بحرٍ الميناء ميناء، وأينما وجدت الملّاحين وجدت العاهرات. *أهذا ما عناه أبي؟ ألِى البحر تذهب العاهرات؟*

عاهرات (لانسپورت) و(كينجز لاندنج) نساء حُرَّات، أمَّا أخواتهن في (سلهوريس) فأَمات، تُنوِّه بعبوديَّتهن الدُّموع الموشومة تحت عين كلٍّ منهن اليُمنى. *كلُّهن عجائز شمطاوات قبيحات*. يكاد منظرهن يكون كفيلًا بجعل الرَّجل يعتزل البغاء. شعرَ تيريون بأعيُنهن عليه إذ مرَّ بخُطواته المتمايلة، وسمعَهن يتهامسن ويُقَهقِهن من وراء أيديهن. *كأنهن لم يرين قزمًا من قبل*.

وقفَت مفرزة من حمَلة الحِراب القولانتينيِّين على بوَّابة النَّهر، يَبرُق ضوء المشاعل على فولاذ المخالب البارزة من قُفَّازاتهم الواقية. خوذاتهم أقنعة على شكل وجوه نمور، وتُعلِّم وجوههم من تحتها الخطوط الخضراء الموشومة على كلتا الوجنتين. يعلم تيريون أن جُند (ڤولانتيس) العبيد شديدو الفخر بخطوط النُّمور هذه. *هل يحنُّون إلى الحرِّيَّة؟ ماذا يفعلون إذا منحتهم إياها الملكة الطِّفلة؟ ما هُم إن لم يكونوا نمورًا؟ ما أنا إن لم أكن أسدًا؟*

لمحَ أحد الجنود القزم وقال شيئًا أضحكَ الآخَرين، وعند بلوغهما البوَّابة خلعَ قُفَّازه المعدني ذا المخالب والقُفَّاز الجِلدي المبلَّل بالعَرق تحته وطوَّق عُنق القزم بذراعه وفركَ رأسه بخشونة. باغتَت الحركة تيريون لدرجة أنها ألجمَته عن المقاوَمة، وخلال لحظةٍ انتهى كلُّ شيء. ثم إنه سألَ النِّصف مِايستر: «أكان هناك سبب لهذا؟».

أجابَ هالدون بعد أن سألَ الحارس بلُغته: «يقول إن فرْك رأس القزم يجلب حُسن الحظِّ».

أجبرَ تيريون نفسه على الابتسام للرَّجل، وقال: «قُل له إن مصَّ قضيب القزم يجلب حظًّا أحسن وأحسن».

- «لا يُستحسَن. الثُّمور معروفة بأسنانها الحادَّة».

أشارَ لهما حارس آخَر بالدُّخول من البوَّابة ملوِّحًا بمشعله بصبرٍ نافد، وقادَ هالدون النِّصف مِايستر الطَّريق إلى داخل (سلهوريس)، وفي أعقابه تيريون الماشي يتمايَل بحذر.

انفتحَ أمامهما ميدان عظيم، وحتى في هذه السَّاعة وجداه مزدحمًا صاخبًا متوهِّجًا بأضواء القناديل المتدلِّية من سلاسل حديد فوق أبواب الخانات وبيوت الهوى، لكنها داخل البلدة من الزُّجاج الملوَّن لا الزُّقوق. إلى يسارهما تتَّقد نار ليليَّة خارج معبدٍ من الحجر الأحمر، يقف في شُرفته راهب يرتدي القرمزي يَخطُب في الجمهرة الصَّغيرة المجتمعة حول اللَّهب، وفي أماكن أخرى جلسَ بعض المُسافرين يلعبون السايڤاس أمام خان، وراحَ جنود يَدخُلون ويَخرُجون مما يبدو بوضوحٍ أنه ماخور، وضربَت امرأة بغلًا خارج اسطبل، ومرَّت بهما عربة ذات عجلتين يجرُّها فيل قزم أبيض. *هذا عالم آخَر، لكنه لا يختلف كثيرًا عن العالم الذي أعرفه.*

يُشرِف على الميدان تمثال أبيض من الرُّخام لرجلٍ بلا رأس يرتدي درعًا رائعة الزَّخرفة ويمتطي جوادًا حربيًّا لا يقلُّ عنه تنميقًا، فتساءلَ تيريون: «مَن هذا؟».

- «القُنصل هورونو، بطل ڤولانتيني من قرن الدِّماء. انتُخِبَ قُنصلًا كلَّ سنةٍ طيلة أربعين سنة، إلى أن سئمَ من الانتخابات وأعلنَ نفسه قُنصلًا مدى الحياة، وهو ما لم يُرضِ الڤولانتينيِّين الذين قتلوه بعد فترةٍ قصيرة، ربطوه بين فيليْن ومزَّقوه نِصفين».

- «يبدو أن رأسًا يَنقُص تمثاله».

قال هالدون: «كان نمرًا. حين تبوَّأ الأفيال السُّلطة هاجَ أتباعهم وماجوا وأسقَطوا رؤوس تماثيل من يلومونهم على الحروب والموت»، وهزَّ رأسه مستطردًا: «كان ذلك في عصرٍ آخَر. هلمَّ، الأفضل أن نسمع ما يتكلَّم عنه الرَّاهب. أقسمُ أنني سمعتُ اسم دنيرس».

انضمَّا على الجانب الآخَر من الميدان إلى الزِّحام المتنامي خارج المعبد الأحمر. مع ارتفاع السُّكَّان المحليِّين فوقه في كلِّ اتِّجاه لم يستطِع الرَّجل الصَّغير أن يرى أكثر من مؤخِّراتهم، وإن سمعَ كلَّ كلمةٍ يقولها الرَّاهب تقريبًا، لكن هذا لا يعني أنه فهمَ ما يُقال. سألَ هالدون بالعاميَّة: «هل تفهم ما يقول؟».

- «سأفهمُ إن لم يكن هناك قزم يُزمِّر في أُذني».

ردَّ تيريون: «لستُ أزمِّرُ!»، وعقدَ ذراعيه على صدره وتطلَّع وراءه متفحِّصًا وجوه الرِّجال والنِّساء الذين توقَّفوا ليسمعوا، وحيثما التفتَ رأى الوشوم. عبيد، *أربعة من كلِّ خمسةٍ* عبيد.

أخبرَه النِّصف مِايستر: «الرَّاهب يدعو القولانتينيِّين إلى الحرب، ولكن في صفوف الحق، كجنودٍ لإله الضِّياء، راهلور الذي خلقَ الشَّمس والنُّجوم ويخوض حربًا أبديَّةً ضد الظَّلام. يقول إن نييسوس ومالاكو أعرَضا عن النُّور، سوَّدت قلبيهما هارپيَّات الشَّرق الصَّفراء. يقول...».

- «التَّنانين. فهمتُ هذه الكلمة. يقول التَّنانين».

- «أجل. التَّنانين أتَت تحملها إلى المجد».

- «تحملها. دنيرس؟».

أومأ هالدون برأسه إيجابًا، وقال: «بنيرو أرسلَ الخبر من (ڤولانتيس). بمجيئها تتحقَّق نبوءة عتيقة. من الملح والدُّخان وُلِدَت لتُعيد تشكيل العالم. إنها آزور آهاي العائد... وانتصارها على الظَّلام سيجلب صيفًا لا ينتهي أبدًا... الموت نفسه سيركع أمامها، وكلُّ من يموتون في سبيل قضيَّتها سيُولَدون من جديد...».

سألَه تيريون: «هل يجب أن أولَد من جديدٍ في الجسد نفسه؟». كان الجمع يتزايَد، وشعرَ بهم يتزاحَمون حوله. «مَن بنيرو؟».

رفعَ النِّصف مِايستر حاجبه مجيبًا: «راهب المعبد الأحمر الأعلى في (ڤولانتيس)، لهب الحقيقة، ضوء الحكمة، خادم إله الضِّياء الأول، عبد راهلور».

الرَّاهب الأحمر الوحيد الذي عرفَه تيريون كان ثوروس المايري، العِربيد الممتلئ الدَّمث الملطَّخ دومًا بالنَّبيذ، الذي اعتادَ التَّسكُّع في بلاط روبرت، يشرب أجود خمور الملك ويُضرِم النَّار في سيفه في الالتحامات الجماعيَّة. قال لهالدون: «أعطِني من الرُّهبان كلَّ من هو هُزأة فاسد بدين، النَّوع الذي يحبُّ الجلوس على الوسائد الوثيرة يأكل الحلوى ويُداعِب أجساد الغِلمان. المؤمنون منهم بالآلهة هُم من يُسبِّبون المتاعب».

- «قد يُمكننا استغلال هذه المتاعب لصالحنا. أعرفُ أين يُمكننا العثور على إجابات».

قادَه هالدون مارًّا بالبطل مقطوع الرَّأس إلى حيث يطلُّ خان كبير من الحجر على الميدان. على الباب عُلِّقَت صدفة سلحفاة ضخمة محزَّزة مطليَّة بالألوان المبهرجة، وبالدَّاخل تتَّقد مئة من الشُّموع الحمراء المعتمة كالنُّجوم البعيدة في السَّماء، وقد عطَّرت الهواء روائح اللَّحم المشوي والتَّوابل، وانشغلَت أَمة على وجنتها وشم سلحفاة بصبِّ خمرٍ خضراء باهتة. توقَّف هالدون في المدخل قائلًا: «هناك، هذان الاثنان».

في تجويف الحائط يجلس رجلان إلى طاولة سايڤاس منقوشة من الحجر يَرمُقان قِطعهما على ضوء شمعةٍ حمراء. أحدهما مهزول شاحب، شَعره أسود خفيف وأنفه حاد، والثَّاني عريض الكتفين مستدير البطن، وتنسدل حُليقات شَعره المبرومة متجاوزةً ياقته. لم يُكلِّف أيُّهما نفسه مجرَّد أن يرفع عينيه عن اللُّعبة إلى أن سحبَ هالدون مقعدًا ووضعَه بينهما مبادرًا إياهما بقوله: «قزمي يلعب السايڤاس أفضل منكما معًا».

رفعَ أكبرهما حجمًا نظره يحدج المتطفِّلَين بازدراء، وقال شيئًا ما بلُغة (ڤولانتيس القديمة) أسرع من أن يُدرِكه تيريون، ومالَ النَّحيل إلى الوراء على مقعده وسألَ بعاميَّة (وستروس): «أهو للبيع؟ معرض غرائب القُنصل محتاج إلى قزمٍ يلعب السايڤاس».

- «يولو ليس عبدًا».

قال النَّحيل: «يا للخسارة»، وحرَّك فيلًا من الجزْع.

عبر الطَّاولة زمَّ الجالس وراء الجيش المرمري فمه باستهجان، ثم حرَّك خيوله الثَّقيلة.

قال تيريون: «خطأ». لا بأس بأن يلعب دوره.

ردَّ النَّحيل: «بالضَّبط»، وأجابَ بخيوله الثَّقيلة. تبعَت هذا هوجة من الحركات السَّريعة، إلى أن ابتسمَ النَّحيل أخيرًا وقال: «الموت يا صاح».

حدَّق الكبير إلى الطَّاولة عابسًا ثم نهضَ ودمدمَ بشيءٍ ما بلُغته، فضحكَ مُنافسه قائلًا: «لِمَ ترحل؟ ليست رائحة القزم سيِّئةً إلى هذا الحد»، ثم أشارَ لتيريون إلى المقعد الخالي، وقال: «اجلس أيها الرَّجل الصَّغير. ضَع فضَّتك على الطَّاولة وسنرى مدى إجادتك اللُّعبة».

كان تيريون ليسأله: *أيّ لُعبة؟* صعدَ على المقعد قائلًا: «ألعبُ أفضل ببطنٍ مليء وكوب نبيذٍ في يدي»، فالتفتَ النَّحيل بكياسةٍ ونادى الأَمة طالبًا منها طعامًا وشرابًا.

قال هالدون: «النَّبيل كاڤو نوجاريس مأمور الجمارك هنا في (سلهوريس). لم يَحدُث قَطُّ أن هزمته في السايڤاس».

فهمَ تيريون، وقال: «قد يكون حظِّي أحسن»، وفتحَ صُرَّته وكدَّس العُملات الفضَّة على جانب الرُّقعة واحدةً فوق الأخرى إلى أن ابتسمَ كاڤو أخيرًا.

بينما رصَّ كلٌّ منهما قِطعه وراء حائل السايڤاس سألَ هالدون: «ما الأخبار من عند مصبِّ النَّهر؟ هل ستقوم الحرب؟».

هزَّ كاڤو كتفيه قائلًا: «هذا ما يُريده اليونكيُّون. يُلقِّبون أنفُسهم بالأسياد الحُكماء. ليس لي أن أتكلَّم عن حكمتهم، لكنهم لا يفتقرون إلى الدَّهاء. جاءَنا مبعوثهم بصناديق الذَّهب والجواهر ومئتي عبد، فتيات بالغات وغِلمان ناعمي البشرة، كلُّهم مدرَّب على فنِّ التَّنهُّدات السَّبعة. بلغَني أن مآدبه لا تُنسى ورِشاه باذخة».

- «هل اشترى اليونكيُّون قناصلكم؟».

أجابَ ڤاڤو: «نييسوس فقط»، ورفعَ الحائل واستعرضَ تشكيل جيش تيريون مردفًا: «قد يكون مالاكو شيخًا سقطَت أسنانه، لكنه لا يزال نمرًا، ودونيفوس لن يعود قُنصلًا السَّنة القادمة. المدينة تتعطَّش للحرب».

تساءلَ تيريون: «لماذا؟ (ميرين) تقع على بُعد فراسخ عديدة عبر البحر. كيف أساءَت الملكة الطِّفلة العذبة إلى (ڤولانتيس القديمة)؟».

ضحكَ ڤاڤو قائلًا: «عذبة؟ إذا صحَّ نِصف القصص التي نسمعها لا أكثر من العائدين من (خليج النخَّاسين) فهذه الطِّفلة وحش حقيقي. يقولون إنها متعطِّشة للدِّماء، إن من يُعارِضونها يُوضَعون على الخوازيق ليموتوا ميتةً بطيئةً. يقولون إنها مشعوذة تُطعِم حديثي الولادة لتنانينها، غدَّارة تسخر من الآلهة وتخرق الهُدَن وتُهدِّد المبعوثين وتنقلب على من يخدمونها بإخلاص. يقولون إن شيئًا لا يُشبِع شهوتها، إنها تُواقِع الرِّجال والنِّساء والمخصيِّين، وحتى الكلاب والأطفال، وويل للحبيب الذي يفشل في إرضائها. إنها تمنح الرِّجال جسدها لتستعبِد أرواحهم».

فكَّر تيريون: *أوه، عظيم. إذا منحَتني جسدها فهنيئًا لها بروحي، ولو أنها ضئيلة ضامرة.*

قال هالدون: «يقولون، وبهذا تعني النخَّاسين، المنفيِّين الذين طردَتهم من (أستاپور) و(ميرين). مجرَّد افتراءاتٍ كاذبة».

قال كاﭬو: «أفضل الافتراءات متبَّل بالحقيقة، لكن لا سبيل لإنكار خطيئة الفتاة الحقيقيَّة. الطِّفلة المغرورة أخذَت على عاتقها أن تُحطِّم تجارة الرَّقيق، لكن تلك الحركة لم تقتصِر على (خليج النخَّاسين) فقط، بل كانت جزءًا من بحر التِّجارة الذي يشمل العالم كلَّه، وملكة التَّنانين عكَّرت الماء. وراء (السُّور الأسود) ينام السَّادة ذوو الدِّماء العريقة باضطراب، يسمعون عبيد مطابخهم يشحذون سكاكينهم. العبيد يزرعون أطعمتنا ويُنظِّفون شوارعنا ويُعلِّمون صغارنا، يَحرُسون أسوارنا ويُبحِرون بقوادسنا ويُحارِبون في معاركنا، والآن يَنظُرون شرقًا ويرون هذه الملكة الشَّابَّة تتألَّق من بعيد، محطِّمة الأغلال هذه. لا يُمكن أن يسمح أصحاب الدَّم القديم بهذا. والفُقراء يكرهونها أيضًا. حتى أدنى الشحَّاذين أعلى من عبد، وملكة التَّنانين إياها تُريد أن تحرمه هذا العزاء الوحيد».

تقدَّم تيريون بحمَلة حِرابه، فردَّ كاﭬو بخيوله الخفيفة، ثم حرَّك تيريون نُشَّابيَّاته خانةً قائلًا: «الرَّاهب الأحمر بالخارج أرادَ أن تُقاتِل (ﭬولانتيس) مع الملكة الفضِّيَّة لا ضدها».

قال كاﭬو نوجاريس: «خيرٌ للرُّهبان الحُمر أن يصونوا ألسنتهم. لقد وقعَت مشاحَنات بين أتباعهم ومَن يَعبُدون آلهةً أخرى بالفعل. لن تتسبَّب جعجعة بنيرو إلَّا في إنزال غضبةٍ حامية على رأسه».

سألَ القزم مداعبًا قِطعة عوامِّه: «أي جعجعة؟».

لوَّح القولانتيني بيده مجيبًا: «في (ڤولانتيس) يتجمَّع آلاف من العبيد والمعتَقين في ساحة المعبد كلَّ ليلةٍ ليسمعوا بنيرو يَصرُخ بكلامٍ عن النُّجوم النَّازفة وسيفٍ ناري سيُطهِّر العالم. منذ فترةٍ يُحذِّر من احتراق (ڤولانتيس) إذا حملَ القناصل السِّلاح ضد الملكة الفضِّيَّة».

- «حتى أنا أستطيعُ التَّنبُّؤ بهذا. آه، العَشاء».

العَشاء طبق من لحم الماعز المشوي المقدَّم على طبقةٍ من شرائح البصل، واللَّحم متبَّل فوَّاح، متفحِّم من الخارج وأحمر طري من الدَّاخل. التقطَ تيريون قطعةً، وكانت ساخنةً لدرجة أنها لسعَت أصابعه لكن لذيذةً حتى إنه أسرعَ يأخذ واحدةً أخرى، ثم بلَّعها بالخمر القولانتينيَّة الخضراء الباهتة التي تعدُّ أقرب شيءٍ للنَّبيذ شربَه منذ عصور. قال متناولًا تنِّينته: «جيِّد جدًّا»، ثم أعلنَ وهو يُزيل أحد أفيال كاڤو: «أكثر قطعة مفيدة في اللُّعبة؛ ويُقال إن دنيرس تارجاريَن لديها ثلاثة».

علَّق كاڤو: «ثلاثة ضد ثلاثة أضعاف ثلاثة آلاف عدو. جرازدان مو إراز لم يكن المبعوث الوحيد الذي أرسلَته المدينة الصَّفراء. حين يتحرَّك الأسياد الحُكماء ضد (ميرين) ستُقاتِل فيالق (جيس الجديدة) في صفوفهم، علاوةً على التولوسيِّين والإليريِّين، وحتى الدوثراكي».

قال هالدون «الدوثراكي خارج بوَّاباتكم».

عادَ كاڤو يُلوِّح بيده باستهانةٍ قائلًا: «الكَال پونو. يأتي سادة الخيول، نُعطيهم هدايا، يرحل سادة الخيول»، وحرَّك منجنيقه وقبضَ على تنِّينة تيريون المرمريَّة وأزالَها عن الرُّقعة.

كان الباقي مذبحةً، وإن صمدَ القزم نحو دستةٍ من الحركات، وفي النِّهاية قال كاڤو مغترفًا كومة الفضَّة: «حانَ وقت الدُّموع المريرة. مباراة أخرى؟».

قال هالدون: «لا داعي. لقد تعلَّم قزمي درسًا في التَّواضُع. الأفضل أن نرجع إلى قاربنا».

في الميدان بالخارج كانت النَّار اللَّيليَّة لا تزال مشتعلةً، لكن الرَّاهب رحلَ وتفرَّق الجمع منذ مُدَّة. من نافذة ماخورٍ لاحَ وهج الشُّموع، ومن الدَّاخل جاءَت ضحكة امرأة، فقال تيريون: «ما زالَ اللَّيل في أوله. ربما لم يُخبِرنا كاڤو بكلِّ شيء، والعاهرات يسمعن الكثير من الرِّجال الذين يُجامِعوهن».

- «أأنت محتاج إلى امرأة لهذه الدَّرجة يا يولو؟».

- «الرَّجل يسأم من أصابعه إذا كان لا يعرف أحبَّةً غيرها». قد نكون *(سلهوريس) المكان الذي تذهب إليه العاهرات، قد تكون نايشا بالدَّاخل الآن تحديدًا وعلى وجنتها وشم الدُّموع.* «لقد كدتُ أغرقُ. الرَّجل يحتاج إلى امرأةٍ بعد شيءٍ كهذا، كما أنني أريدُ أن أتأكَّد من أن قضيبي لم يتحجَّر».

ضحكَ النِّصف مِايستر قائلًا: «سأنتظرك في الحانة عند البوَّابة. لا تتأخَّر».

- «أوه، لا تخف. معظم النِّساء يُفضِّلن الفروغ مني بأقصى سرعة».

وجدَ القزم المكان متواضعًا مقارنةً بالمواخير التي اعتادَ التَّردُّد إليها في (لانسپورت) و(كينجز لاندنج). لا يبدو أن المالك يتكلَّم أيَّ لُغةٍ إلَّا القولانتينيَّة، لكنه فهمَ رنين الفضَّة وقادَ تيريون عبر مدخلٍ مقنطَر إلى حُجرةٍ طويلة تتضوَّع برائحة البخور، حيث تجلس أربع أَماتٍ باسترخاءٍ في أوضاعٍ مختلفة من العُري. خمَّن أن اثنتين منهن شهدن أربعين يوم ميلادٍ على الأقل، وأن الصَّغيرتين في الخامسة أو السَّادسة عشرة. ليست أيُّهن بقُبح العاهرات اللائي رأيهن على المرسى، ولكن لا يُمكن رغم ذلك وصفهن بالجَمال. إحداهن واضح أنها حُبلى، وأخرى بدينة وفي حلمتيها خاتمان حديديَّان، وأربعتهن موشومات بالدُّموع تحت أعيُنهن.

سألَ تيريون: «هل عندك فتاة تتكلَّم لُغة (وستروس)؟»، فضيَّق المالك عينيه دون أن يفهم السُّؤال، ليُكرِّره القزم بالقاليريَّة الفُصحى، وهذه المرَّة بدا أن الرَّجل استوعبَ كلمةً أو ثلاثًا وأجابَ بالقولانتينيَّة، فلم يفهم تيريون من الجواب إلَّا «فتاة غروب الشَّمس»، فحزرَ أن هذا يعني فتاةً من (ممالك غروب الشَّمس).

ثمَّة واحدة فقط في المكان، وليست تايشا. للفتاة وجنتان منمَّشتان وخُصل حمراء محبوكة على رأسها، وهو ما يَعِد بثديين منمَّشين وشَعر أحمر بين ساقيها. قال تيريون: «لا بأس بها. وأريدُ إبريقًا أيضًا. نبيذ أحمر مع اللَّحم الأحمر». كانت العاهرة تتطلَّع إلى وجهه مجدوع الأنف باشمئزاز، فخاطبَها قائلًا: «هل أزعجكِ يا حُلوتي. إنني مخلوق مزعج. كان ليُسعِد أبي أن يُؤكِّد لكِ هذا لو لم يكن ميتًا يتعفَّن».

على الرغم من أن ملامحها وستروسيَّة فالفتاة لا تتكلَّم كلمةً من اللُّغة العاميَّة. *ربما اختطفَها نخَّاس في طفولتها*. غُرفة نومها صغيرة، لكن على الأرض بُساط مايري وثمَّة فِراش محشو بالرِّيش بدلًا من القشّ. *رأيتُ أسوأ*. سألَها إذ ناولَته كوب النَّبيذ: «هل ستُخبِرينني باسمكِ؟». وجدَ النَّبيذ قويًّا لاذعًا لا يتطلَّب ترجمةً. «لا؟ سأرضى بفرجكِ فقط إذن على ما أظنُّ». ثم إنه مسحَ فمه بظَهر كفِّه، وقال: «هل ضاجعتِ وحشًا من قبل؟ الآن وقت مناسب. اخرُجي من ثيابكِ ونامي على ظَهركِ إذا سمحتِ، أو إذا لم تسمحي».

ظلَّت تَرمُقه بلا فهمٍ إلى أن أخذَ منها الإبريق ورفعَ تنُّورتها فوق رأسها، وبعدها فهمَت المطلوب منها، ولو أنها لم تكن بشريكة الفِراش المثاليَّة. مضى وقت طويل للغاية على تيريون دون امرأةٍ حتى إنه أفرغَ نُطفته في داخلها مع الدَّفعة الثَّالثة.

تدحرجَ من فوقها شاعرًا بالخزي أكثر من الشَّبع. *كان هذا خطأً. يا للمخلوق الذَّميم الذي صِرته*. سألَها مشاهدًا منيَّه تَقطُر من داخلها على الفِراش: «هل تعرفين امرأةً اسمها تايشا؟». لم تُجِبه العاهرة، فسألَها: «هل تعرفين أين تذهب العاهرات؟»، ولم تُجِبه عن هذا أيضًا. رأى على ظَهرها خطوطًا متقاطعةً من نسيج النُّدوب، فقال لنفسه: *الفتاة في عداد الموتى. لقد نكحتُ جثَّةً*. حتى عيناها تبدوان ميتتين. *ليست فيها قوَّة تكفي لمجرَّد أن تحتقرني*.

يحتاج إلى نبيذ، الكثير من النَّبيذ. أمسكَ الإبريق بكلتا يديه ورفعَه إلى شفتيه، وسالَ النَّبيذ الأحمر في جوفه وعلى ذقنه، وقطرَ من لحيته وبلَّل الفِراش. في ضوء الشُّموع بدا قانيًا كالنَّبيذ الذي سمَّم چوفري. حين أفرغ الإبريق ألقاه جانبًا ونزلَ من فوق السَّرير بين دحرجةٍ وترنُّح وبحث تحته عن وعاء فضلات لكنه لم يجد واحدًا. هاجَت معدته، وألفى نفسه على رُكبتيه يتقيَّأ على البساط، ذلك البساط المايري السَّميك الرَّائع المريح كالأكاذيب.

صاحَت العاهرة مفزوعةً، فقال لنفسه شاعرًا بالخجل: *سيلومونها على هذا*، ثم قال لها: «اقطعي رأسي وخُذيه إلى (كينجز لاندنج). ستجعلكِ أختي ليدي ولن يجلدك أحد ثانيةً أبدًا». لم تفهم هذا أيضًا، ففتحَ ساقيها وزحفَ بينهما وأخذَها مرَّةً أخرى. هذا على الأقل ستفهمه.

بعدها فرغ النَّبيذ وكذا هو، فكوَّر فُستان الفتاة في قبضته وألقاه نحو الباب، وفهمَت هي المُراد وهرعَت تَخرُج تاركةً إياه في الظُّلمة يغوص في ريش فِراشه. *إنني سكران حتى النُّخاع*. لا يجرؤ على إغلاق عينيه خشية أن يغيب في النَّوم. وراء ستار الأحلام تنتظره (الويلات)، سلالم حجريَّة ترتفع بلا نهاية، عالية زلِقة خدَّاعة، وفي مكانٍ ما على قمَّتها اللورد المكفَّن. *لا أريدُ أن أقابل اللورد المكفَّن*. عادَ تيريون يرتدي ثيابه بصعوبةٍ وتحسَّس طريقه إلى السُّلَّم. *سيَسلُخني جريف. ولِمَ لا؟ إن كان هناك قزم يستحقُّ السَّلخ فهو أنا*.

في منتصَف الطَّريق إلى أسفل اختلَّ توازُنه، لكنه استطاعَ بشكلٍ ما أن يُوقِف سقطته بيديه وتحويلها إلى عجلةٍ خرقاء في الهواء. رفعَت العاهرات في الحُجرة السُّفليَّة أعيُنهن بدهشةٍ عندما حطَّ عند قدم السَّلالم، وتدحرجَ تيريون وهبَّ واقفًا وانحنى لهن، ثم قال للمالك: «إنني أرشق وأنا سكران. أخشى أنني أتلفتُ بساطك. لا لوم على الفتاة. دَعني أدفعُ»، وأخرجَ حفنةً من العُملات وألقاها للرَّجل.

وقال صوت عميق من ورائه: «أيها العِفريت».

في رُكن الحُجرة يجلس رجل في بِركةٍ من الظِّلال، تتلوَّى في حِجره عاهرة. *لم أرَ تلك الفتاة. لو رأيتها لأخذتها إلى أعلى بدلًا من ذات النَّمش.* الفتاة أصغر من الأخريات، نحيلة مليحة ولها شَعر فضِّي طويل، لايسينيَّة في تقديره... لكن الرَّجل الذي تجلس في حِجره من (الممالك السَّبع)، ضخم الجثَّة عريض المنكبين، في الأربعين من العُمر على الأقل، وربما أكبر. نِصف رأسه أصلع، لكن شَعرًا قصيرًا خشنًا يُغطِّي وجنتيه وذقنه، وينمو الشَّعر الكثيف على ذراعيه وينبت من مفاصل أصابعه.

لم يَرُق تيريون منظره، ولا راقَه الدُّب الأسود الكبير على سُترته الطَّويلة. صوف، *يرتدي الصُّوف في هذا الحَرِّ. مَن غير الفُرسان بهذا الجنون المطبق؟* جعلَ نفسه يقول: «يسرُّني أن أسمع اللُّغة العاميَّة على هذه المسافة البعيدة من الوطن، لكنني أخشى أنك مخطئ. اسمي هيوجور هيل. هل لي أن أدعوك إلى كوبٍ من النَّبيذ يا صديقي؟».

قال الفارس: «شربتُ ما يكفي»، ودفعَ الفتاة جانبًا ونهضَ. كان حزامه معلَّقًا على مشجبٍ إلى جواره، فتناولَه واستلَّ سيفه ليهمس الفولاذ على الجِلد. تفرَّجت العاهرات بنهمٍ وضوء الشُّموع يلمع في أعيُنهن، واختفى المالك بلا أثر. «أنت لي يا هيوجور».

لا يستطيع تيريون أن يفرَّ منه أكثر من أن يتغلَّب عليه في القتال، وبسُكره هذا لا أمل له في أن يحتال عليه بلسانه، وهكذا بسطَ يديه قائلًا: «وماذا تنوي أن تفعل بي؟».

أجابَ الفارس: «سآخذك إلى الملكة».

وصلَت جالازا جالار إلى (الهرم الأكبر) بصُحبتها دستة من ذوات النِّعم البيضاء، فتيات كريمات المحتد ما زلن أصغر من أن يخدمن في حدائق الهوى التَّابعة للمعبد. معًا كونَّ لوحةً جميلةً، العجوز الأَنوف متَّشحة بالأخضر ومحاطة بالصَّغيرات المدرَّعات ببراءتهن في فساتينهن وبراقعهن البيضاء.

استقبلَتهن الملكة بدفء، ثم استدعَت ميسانداي لتتولَّى الإشراف على إطعام الفتيات والتَّرفيه عنهن فيما تتناوَل هي العَشاء على انفرادٍ مع ذات النِّعمة الخضراء.

أعدَّ لهما طهاتها وجبةً هنيئةً من لحم الحملان المسقَّى بالعسل وتفوح منه رائحة النَّعناع المسحوق العطرة، وقُدِّمَ الطَّبق مع التِّين الأخضر الصَّغير الذي تحبُّه كثيرًا. قدَّم اثنان من رهائن داني المفضَّلين الطَّعام وحافظَا على امتلاء الأكواب، فتاة صغيرة واسعة العينين داكنتهما اسمها كِزا، وصبي نحيل اسمه جرازهار، أخ وأخت، ومن أولاد عمومة ذات النِّعمة الخضراء التي حيَّتهما بالقُبلات لدى دخولها وسألَتهما إن كانا يُحسِنان الأدب.

طمأنَتها داني قائلةً: «إنهما شديدا اللُّطف. كِزا تُغنِّي لي أحيانًا، وصوتها جميل. والسير باريستان يُدرِّب جرازهار والصِّبية الآخَرين على أصول الفُروسيَّة الغربيَّة».

قالت ذات النِّعمة الخضراء والفتاة تملأ كأسها بالنَّبيذ الأحمر القاني: «إنهما من دمي. يُسعِدني أن أعلم أنهما سرًّا صاحِبة الرَّونق. آملُ أن أسرَّكِ بدوري». شَعر العجوز أبيض وبشرتها رقيقة كالورق، لكن السِّنين لم تخصم شيئًا من حدَّة بصرها. عيناها خضراوان كردائها، عينان حزينتان مليئتان بالحكمة. «أرجو أن تُسامِحيني على قولي هذا، لكن صاحِبة الرَّونق تبدو... متعَبةً. هل تنامين؟».

منعَت داني نفسها من الضَّحك بصعوبة، وأجابَت: «ليس جيِّدًا. ليلة البارحة رحلَت ثلاثة قوادس كارثينيَّة عبر (السكاهازاذان) تحت جنح الظَّلام. أطلقَ رجال الأُم وابلًا من السِّهام النَّاريَّة على أشرعتها وألقوا جرارًا من القار المحترق على أسطُحها، لكنها ابتعدَت بسرعةٍ ولم يلحق بها ضرر دائم. الكارثين يُريدون إغلاق النَّهر علينا كما أغلَقوا الخليج، ولم يعودوا وحدهم. ثلاثة قوادس من (جيس الجديدة) انضمَّت إليهم، بالإضافة إلى قرقور من (تولوس)». أجابَ التولوسيُّون طلبها التَّحالُف بإعلانها عاهرةً ومطالبتها بردِّ (ميرين) إلى أسيادها العظام، لكن حتى هذا كان أفضل من إجابة (مانتاريس)، التي أتَتها في صندوقٍ من خشب الأَرز عن طريق قافلة، وفي الصُّندوق وجدَت رؤوس مبعوثيها الثَّلاثة محفوظةً في محلولٍ ملحي. «قد تُعيننا آلهتكِ. سَليها أن تُرسِل إعصارًا يكتسح القوادس من الخليج».

قالت جالازا جالار: «سأصلِّي وأقدِّمُ القرابين، وعسى أن تسمعني آلهة (جيس)»، ورشفَت من نبيذها لكن عينيها لم تبرَحا داني إذ أضافَت: «العواصف ثائرة داخل الأسوار علاوةً على خارجها. ليلة أمس ماتَ مزيد من المعتَقين، أو أن هذا ما بلغَني».

- «ثلاثة». مجرَّد القول خلَّف طعمًا مُرًّا في فمها. «الجُبناء اقتحَموا بيت بعض النسَّاجات، نساء معتَقات لم يمسَسن أحدًا بسوء. لم يفعلن شيئًا إلَّا صناعة الأشياء الجميلة. عندي جداريَّة معلَّقة فوق فِراشي أهدينَها إليَّ. أبناء الهارپي كسَّروا نولهن واغتصبوهن قبل أن ينحروهن».

- «هذا ما سمعناه. وعلى الرغم من ذلك وجدَت صاحِبة الرَّونق الشَّجاعة للرَّدِّ على التَّذبيح بالرَّحمة، ولم تُؤذِ أيًّا من رهائنها الأطفال النُّبلاء».

- «نعم، ليس بعدُ». أصبحَت داني مولعةً بعُهَدها الصِّغار. بعضهم خجول وبعضهم جريء، وبعضهم لطيف وبعضهم فاتر، لكنهم جميعًا أبرياء. قالت محاولةً تهوين الأمر: «إذا قتلتُ سُقاتي فمن سيصبُّ نبيذي ويُقدِّم لي العَشاء؟».

لم تبتسم الكاهنة، وقالت: «يُقال إن الرَّأس الحليق يُؤثِر إطعامهم لتنانينكِ. نفس مقابل نفس. لقاء كلِّ وحشٍ نُحاسي مقتول يُريد أن يموت طفل».

دفعَت داني طعامها في الطَّبق، لا تجرؤ على إلقاء نظرةٍ في اتِّجاه جرازهار وكِزا مخافة أن تنفجر في البُكاء. *قلب الرَّأس الحليق أقسى من قلبي*. لقد تشاجَرا بشأن الرَّهائن مرَّاتٍ عدَّة بالفعل، وصبيحة اليوم تحديدًا قال سكاهاز: «أبناء الهارپي يضحكون في أهراماتهم. ما فائدة الرَّهائن إذا كنتِ ترفضين قطع رؤوسهم؟». في نظره ليست داني إلَّا امرأةً مهيضة الجناح. *هازيا* نكفي. *ما فائدة السَّلام إن كان علينا شراؤه بدماء الأطفال؟* قالت لذات النِّعمة الخضراء بوهن: «إنهم لم يرتكبوا جرائم القتل هذه. لستُ ملكةً جزَّارةً».

- «و(ميرين) ممتنَّة لهذا. لقد سمعنا بموت ملك (أستاپور) الجزَّار».

قالت بمرارة: «قتلَه جنوده حين أمرَهم بالخروج والهجوم على اليونكيِّين. لم تكن جثَّته قد بردَت بعدُ عندما أخذَ واحد آخَر مكانه وسمَّى نفسه كليون الثَّاني. هذا الثَّاني بقيَ ثمانية أيام قبل أن يُذبَح، ثم طالبَ قاتِله بالتَّاج، وكذا محظيَّة كليون الأول. يُسمِّيهما الأستاپوريُّون الملك سفَّاح والملكة عاهرة. أتباعهما يتقاتَلون في الشَّوارع فيما ينتظر اليونكيُّون ومرتزِقتهم خارج أسوار المدينة».

- «إنها أوقات عصيبة. هل لي أن أقدِّم لصاحِبة الرَّونق المشورة؟».

- «تعلمين كم أقدِّرُ حكمتكِ».

- «أنصِتي إليَّ الآن إذن وتزوَّجي».

- «آه». كانت داني تتوقَّع هذا.

- «كثيرًا سمعتكِ تقولين إنكِ مجرَّد فتاةٍ صغيرة، ومنظركِ يُوحي بأنكِ ما زلتِ طفلةً، أصغر وأشدُّ هشاشةً من أن تُواجِهي هذه المِحن وحدكِ. إنكِ محتاجة إلى ملكٍ إلى جواركِ يُشارِككِ حمل الأعباء».

غرسَت داني رأس سكِّينها في قطعةٍ من اللَّحم وقضمَت منها ومضغَت ببُطء، ثم قالت: «أخبِريني، هل يستطيع هذا الملك أن يُعيد قوادس زارو إلى (كارث) بنفخةٍ من فمه؟ هل يستطيع أن يكسر حصار (أستاپور) بتصفيقةٍ من يديه؟ هل يستطيع أن يضع الطَّعام في بطون أطفالي ويُعيد السَّلام إلى شوارعي؟».

- «هل تستطيعين أنتِ؟ الملك ليس إلهًا، لكن الرَّجل القوي يقدر على تحقيق الكثير. عندما يَنظُر قومي إليكِ يرون غازيةً أتَت عبر البحار لقتلنا واستعباد أطفالنا. يستطيع الملك أن يُغيِّر هذا، ملك كريم الأصل من الدَّم الجيسكاري الخالص قادر على المؤالفة بين المدينة وحُكمكِ، وإلَّا فأخشى أن عهدكِ سينتهي كما بدأ، بالدَّم والنَّار».

عادَت داني تدفع الطَّعام في طبقها قائلةً: «ومَن تُريدني آلهة (جيس) أن أتَّخذه ملكًا وزوجًا؟».

أجابَت جالازا جالار بحسم: «هيزدار زو لوراك».

لم تُحاوِل داني أن تتصنَّع الدَّهشة، وقالت: «لماذا هيزدار؟ سكاهاز نبيل المولد أيضًا».

- «سكاهاز من عائلة كانداك، هيزدار من عائلة لوراك. أستميحكِ عُذرًا يا صاحِبة الرَّونق، لكن ما لم تكوني جيسكاريَّةً عن نفسكِ فلن تفهمي الفرق. كثيرًا سمعتُ أنكِ من دم إجون الفاتح وچهيرس الحكيم ودايرون التنِّين. النَّبيل هيزدار من دم مازدهان البديع وهازراك الوسيم وزاراك المحرِّر».

- «أجداده موتى كأجدادي. هل سيستحضِر هيزدار أشباحهم لتُدافِع عن (ميرين) ضد أعدائي؟ إنني محتاجة إلى رجلٍ يملك السُّفن والسُّيوف، وأنتِ تعرضين عليَّ الأسلاف».

- «إننا شعب عريق، الأسلاف مهمُّون لنا. تزوَّجي هيزدار زو لوراك وأنجِبي منه ابنًا، ابنًا أبوه الهارپي وأمُّه التنِّينة. فيه ستتحقَّق النُّبوءات ويذوب أعداؤكِ كالثَّلج».

سيكون الجواد الذي يمتطي العالم. تعرف داني ماهية التُّبوءات. إنها كلام، والكلام هواء. لن يكون هناك ابن للوراك، لا وريث يقرن بين التنِّينة والهارپي. عندما *تُشرِق الشَّمس من الغرب وتَغرُب في الشَّرق، عندما تجفُّ البحور وتعصف الرِّيح بالجبال كأنها أوراق الشَّجر*. عندها فقط ستحمل طفلًا في رحمها ثانيةً...

... لكن لدنيرس تارجاريَن أطفالًا آخَرين، عشرات الألوف الذين هتفوا لها باعتبارها أمَّهم حين حطَّمت أغلالهم. فكَّرت في التُّرس المقدام، وفي شقيق ميسانداي، وفي المرأة رايلونا ري التي كان عزفها على القيثارة في غاية العذوبة. لا زيجة ستُعيدهم إلى الحياة أبدًا، لكن إذا كان زوجها هذا سيُساعِدها على وضع حدٍّ للمذابح فإنها مدينة لموتاها بالزَّواج.

إذا تزوَّجتُ هيزدار فهل سينقلب عليَّ سكاهاز؟ إنها تثق بسكاهاز أكثر من هيزدار، إلَّا أن الرَّأس الحليق سيكون كارثةً كملك. الرَّجل سريع الغضب بطيء الصَّفح، وليست ترى مكسبًا في الزَّواج بأحدٍ يكرهه النَّاس مِثلما يكرهونها. أمَّا هيزدار فعلى قدرٍ عالٍ من الاحترام على حدِّ علمها. سألَت ذات النِّعمة الخضراء: «وما رأي زوجي المرتقَب في هذا؟». *ما رأيه فيَّ؟*

- «ما على جلالتكِ إلَّا أن تسأليه. النَّبيل هيزدار منتظر بالأسفل. أرسِلي في استدعائه إذا شئتِ».

فكَّرت الملكة: *تتجرَّئين كثيرًا أيتها الكاهنة*، لكنها ابتلعَت غضبها وجعلَت نفسها تبتسم قائلةً: «ولِمَ لا؟». ثم إنها استدعَت السير باريستان وقالت للفارس العجوز أن يأتيها بهيزدار، وأضافَت: «الطَّريق إلى أعلى طويل. اجعل المُطهَّرين يُساعِدونه».

عند وصول النَّبيل كانت ذات النِّعمة الخضراء قد فرغَت من الأكل، وقالت: «أستأذنُ في الانصراف إذا سمحَت صاحِبة السُّمو. لا شكَّ أن عندكِ والنَّبيل هيزدار أشياء كثيرةً تُناقِشانها»، ثم مسحَت العجوز لطخةً من العسل عن شفتيها، وقبَّلت كلًّا من كِزا وجرازهار على الجبهة وثبَّتت بُرقعها الحرير على وجهها، وأضافَت: «سأعودُ إلى (معبد ذوات النِّعم) وأدعو الآلهة أن تهدي مليكتي إلى سبيل الحكمة».

بعد رحيلها تركَت داني كِزا تملأ كأسها مجدَّدًا، ثم صرفَت الطِّفلين وأمرَت بإدخال هيزدار زو لوراكْ إليها. *وإذا تجاسرَ على ذِكر كلمةٍ واحدة أخرى عن حلباته الثَّمينة فقد آمرُ بإلقائه من الشُّرفة.*

يرتدي هيزدار ثوبًا أخضر بسيطًا تحت سُترةٍ مبطَّنة، ولدى دخوله انحنى لها بشدَّةٍ بوجهٍ جاد، فسألَته داني: «لا ابتسامة لي؟ أأنا مخيفة إلى هذا الحد؟».

- «دائمًا ألتزمُ الجدِّيَّة في حرم هذا الجَمال».

كانت بدايةً جيِّدةً. قالت داني: «اشرب معي»، وملأَت كأسه بنفسها مردفةً: «تعرف سبب وجودك هنا. يبدو أن ذات النِّعمة الخضراء ترى أن مصائبي كلَّها ستختفي إذا اتَّخذتك زوجًا».

- «لا يُمكنني أبدًا أن أدَّعي شيئًا بتلك الجسامة. البَشر يُولَدون ليكدحوا ويُعانوا، ومصائبنا لا تختفي حقًّا إلَّا بموتنا. لكنني أستطيعُ أن أساعدكِ. إن عندي الذَّهب والأصدقاء والنُّفوذ، ودماء (جيس القديمة) تجري في عروقي. مع أنني لم أتزوَّج قَطُّ فلي طفلان طبيعيَّان، صبي وفتاة، أي أنني أقدرُ على منحكِ ورثةً، وأقدرُ على التَّوفيق بين المدينة وحُكمكِ ووضع نهايةٍ للمقتَلة اللَّيليَّة في الشَّوارع».

تفرَّست داني في عينيه متسائلةً: «حقًّا؟ ولِمَ يخفض أبناء الهارپي سكاكينهم من أجلك؟ أأنت واحد منهم؟».

- «لا».

- «هل كنت لتُخبِرني لو أنك كذلك؟».

ضحكَ مكرِّرًا: «لا».

- «الرَّأس الحليق له أساليبه في التَّوصُّل إلى الحقيقة».

- «في تلك الحالة لا أشكُّ في أن سكاهاز سرعان ما سيجعلني أعترفُ. يوم معه وسأكونُ أحد أبناء الهارپي. يومان وسأكونُ الهارپي نفسها. ثلاثة وسيتَّضح أيضًا أنني قتلتُ أباكِ في (ممالك غروب الشَّمس) في صِباي. ثم سيضعني على الخازوق ويُمكنكِ أن تُشاهِديني أحتضرُ... لكن بعدها سيستمرُّ القتل»، ومالَ هيزدار دانيًا منها، وأضافَ: «أو يُمكنكِ أن تتزوَّجيني وتدعيني أحاولُ إيقافهم».

- «ولِمَ ترغب في مساعدتي؟ من أجل التَّاج؟».

- «التَّاج يليق بي، لن أنكر. لكن المسألة أكبر من هذا. أمن الغريب حقًّا أن أريد أن أحمي قومي كما تحمين معتَقيكِ؟ (ميرين) لن تحتمل حربًا أخرى يا صاحِبة الرَّونق».

وجدَتها إجابةً جيِّدةً وصادقةً. «لم أُرِد الحرب قَطُّ. لقد هزمتُ اليونكيِّين وعفوتُ عن مدينتهم حين كان بإمكاني أن أنهبها، ورفضتُ أن أنضمَّ إلى الملك كليون حين تحرَّك ضدهم، وحتى الآن ممتنعة عن قتالهم على الرغم من الحصار المفروض على (أستاپور). و(كارث)... لم أُلحِق بالكارثين ضررًا على الإطلاق...».

- «ليس عمدًا، لكن (كارث) مدينة تُجَّار، والتُّجَّار يعشقون رنين الفضَّة وبريق الذَّهب. عندما حطَّمتِ تجارة الرَّقيق أحسَّ الجميع بوقع الضَّربة من (وستروس) إلى (آشاي). (كارث) تعتمد على عبيدها، وكذا (تولوس) و(جيس الجديدة) و(لِيس) و(تايروش) و(ڤولانتيس)... القائمة طويلة يا مليكتي».

- «فليأتوا. سيجدونني غريمًا أصلب من كليون. إنني أوثرُ الموت وأنا أقاتلُ على إعادة أطفالي إلى العبوديَّة».

- «قد يكون هناك خيار آخَر. في اعتقادي، من الممكن إقناع اليونكيِّين بالسَّماح لمعتَقيك جميعًا بالبقاء أحرارًا، إذا وافقَت صاحِبة العبادة على ترك المدينة الصَّفراء تُتاجِر في العبيد وتُدرِّبهم دون تدخُّلٍ من الآن فصاعدًا. لا داعي لسفك المزيد من الدِّماء».

علَّقت داني: «باستثناء دماء العبيد الذين سيُتاجِر بهم اليونكيُّون ويُدرِّبونهم»، لكنها أدركَت الحقيقة في كلامه رغم هذا. *قد تكون هذه أفضل نهايةٍ نأملها.* «لم تقل إنك تحبُّني».

- «سأفعلُ إذا شاءَت صاحِبة العبادة».

- «ليست هذه إجابة رجلٍ يحبُّ».

- «وما الحُبُّ؟ الرَّغبة؟ لا رجل بكامل أعضائه يراكِ ولا يرغب فيكِ يا دنيرس، لكن ليس لهذا السَّبب أريدُ أن أتزوَّجكِ. قبل مجيئكِ كانت (ميرين) تُحتضَر. كان حُكّامنا شيوخًا هرِمين بذكورٍ ذابلة وعجائز حيزبونات بفروجٍ جافَّة متغضِّنة، وكانوا يجلسون على قِمم أهرامهم يشربون نبيذ المشمش ويتكلَّمون عن أمجاد الإمبراطوريَّة القديمة، حتى مرَّت عليهم القرون وتهافتَ القرميد الذي شُيِّدَت به المدينة من حولهم. كانت التَّقاليد والحيطة تُطبِق علينا بقبضةٍ من حديد إلى أن جئتِ وأيقظتِنا بالدَّم والنَّار. لقد بدأ عصر جديد، والآن ثمَّة أشياء جديدة ممكنة. تزوَّجيني».

فكَّرت داني: *ليس منفِّر الطَّلعة، ويتكلَّم بلسان ملك*، ثم إنها أمرَته قائلةً: «قبِّلني»، فأمسكَ يدها وقبَّل أصابعها، لكنها قالت: «ليس هكذا. قبِّلني كما لو أنني زوجتك».

أمسكَها هيزدار من كتفها بمنتهى الرِّقَّة كأنها طائر صغير، ثم مالَ إلى الأمام وضغطَ شفتيه على شفتيها. كانت قُبلته خفيفةً وجافَّةً وسريعةً، ولم تَشعُر داني بتأثُّر.

بعدها سألَها: «هل... أقبِّلكِ ثانيةً؟».

- «لا». في شُرفتها، في بِركة الاستحمام، تُعَضعِض الأسماك الصَّغيرة ساقيها وهي غائصة في الماء، وحتى تلك الأسماك تُقبِّل بحرارةٍ أشد من هيزدار زو لوراك. «لستُ أحبُّك».

هزَّ هيزدار كتفيه قائلًا: «قد يأتي ذلك مع الوقت. معلوم أن هذا يَحدُث».

ليس لنا، ليس وداريو قريب. إنني أريده هو لا أنت. «يومًا ما سأريدُ أن أرجع إلى (وستروس) لأستردَّ (الممالك السَّبع) التي كانت لأبي».

- «يومًا ما سنموت جميعًا، لكن لا جدوى من التَّفكير في الموت. إنني أفضِّلُ الحياة يومًا بيوم».

شبَّكت داني يديها قائلةً: «الكلام هواء، حتى الكلام عن الحُبِّ والسَّلام. إنني أضعُ مزيدًا من الثِّقة بالأفعال. في ممالكي السَّبع يذهب الفُرسان في مُغامراتٍ ليُثبِتوا جدارتهم بالفتاة التي يحبُّونها، يبحثون عن السُّيوف السِّحريَّة أو صناديق الذَّهب أو تاجٍ مسروق من كنز تنِّين».

قوَّس هيزدار حاجبه، وقال: «التَّنانين الوحيدة التي أعرفها تنانينكِ، والسُّيوف السِّحريَّة أندر. سيسرُّني أن آتيكِ بالخواتم والتِّيجان وصناديق الذَّهب إذا كانت هذه رغبتكِ».

- «السَّلام رغبتي. تقول إنك تستطيع مساعدتي على إنهاء المقتَلة اللَّيليَّة في شوارعي، وأقولُ افعل هذا. ضَع نهايةً لحرب الظِّلال يا سيِّدي. هذه هي مُغامرتك. أعطِني تسعين يومًا وتسعين ليلةً بلا جرائم قتلٍ وسأعلمُ أنك جدير بالعرش. هل يُمكنك أن تفعل هذا؟».

لاحَ التَّفكير على هيزدار، وقال: «تسعون يومًا وتسعون ليلةً بلا جُثث، وفي اليوم الحادي والتِّسعين نتزوَّج؟».

أجابَت داني بنظرة استحياء: «ربما، ولو أن الفتيات الصَّغيرات معروفات بتقلُّبهن. قد أرغبُ في ذلك السَّيف السِّحري رغم كلِّ شيء».

ضحكَ هيزدار، وقال: «إذن فستنالينه أيضًا يا صاحِبة الرَّونق. أمانيكِ أمري. الأفضل أن تُخبِري قهرمانكِ بالشُّروع في ترتيبات الزِّفاف».

- «لا شيء سيسرُّ النَّبيل رزناك أكثر». إذا عرفَت (ميرين) أن في المستقبل القريب زفافًا فقد يمنحها هذا وحده بضع ليالٍ من الرَّاحة، حتى إذا راحَت جهود هيزدار عبثًا. *لن يُسعِد هذا الرَّأس الحليق، لكن رزناك مو رزناك سيَرقُص فرحًا*. لا تدري داني أيُّهما يُقلِقها أكثر. إنها في حاجةٍ إلى سكاهاز والوحوش النُّحاس، كما أنها صارَت ترتاب في نصائح رزناك كلِّها. *احذري القهرمان العاطِر. هل تواطأَ رزناك مع هيزدار وذات النِّعمة الخضراء واستدرَجوني إلى شَرك؟*

لم يكد هيزدار زو لوراك ينصرف حتى ظهرَ السير باريستان وراءها في معطفه النَّاصع الطَّويل. علَّمت سنوات الخدمة في الحَرس الملكي الفارس الأبيض أن يتوارى عن الأنظار في وجود ضيوفها، لكنه لا يبتعد أبدًا. رأت في الحال أنه يعرف. *ويستنكِر*. كانت الخطوط حول فم الرَّجل قد ازدادَت عُمقًا. سألَته: «يبدو إذن أنني قد أتزوَّجُ ثانيةً. أأنت سعيد من أجلي أيها الفارس؟».

- «إذا كان هذا أمركِ يا صاحِبة الجلالة».

- «ليس هيزدار الزَّوج الذي كنت لتختاره لي».

- «ليس لي أن أختار زوجكِ».

- «صحيح، لكن يهمُّني أن تفهم. قومي ينزفون، يموتون. الملكة ليست مِلك نفسها وإنما مِلك البلاد. الزَّواج أو الفوضى، هذان خياراي، الزِّفاف أو الحرب».

- «جلالة الملكة، هل تسمحين بأن أتكلَّم بصراحة؟».

- «دومًا».

- «هناك اختيار ثالث».

- «(وستروس)؟».

أومأ برأسه إيجابًا، وقال: «إنني مقسم على خدمة جلالتكِ وحمايتكِ من الأذى أينما ذهبتِ، ومكاني إلى جانبكِ سواء أكنتِ هنا أم في (كينجز لاندنج)... لكن مكانكِ في (وستروس) على العرش الحديدي الذي كان لأبيكِ. (الممالك السَّبع) لن تقبل هيزدار زو لوراك ملكًا أبدًا».

- «مِثلما لن تقبل (ميرين) دنيرس تارجاريَن ملكةً أبدًا. ذات النِّعمة الخضراء محقَّة. إنني محتاجة إلى ملكٍ إلى جواري، ملكٍ من الدَّم الجيسكاري القديم، وإلَّا فسيرونني دومًا البربريَّة المتوحِّشة التي حطَّمت بوَّاباتهم وعلَّقتهم على الخوازيق وسرقَت ثرواتهم».

- «في (وستروس) ستكونين الطِّفلة المفقودة التي عادَت لتشرح قلب أبيها. سيُهلِّل قومكِ حين تمرِّين بهم ويحبُّك كلُّ الصَّالحين».

- «(وستروس) بعيدة».

- «ومكوثكِ هنا لن يُقرِّبها أبدًا. كلَّما أسرعنا بالرَّحيل من هذا المكان...».

- «أعلمُ هذا، أعلمه حقًّا». لا تدري داني كيف تجعله يرى. إنها تُريد (وستروس) كما يُريدها، لكن عليها أولًا أن تُبرئ جراح (ميرين). «تسعون يومًا مُدَّة طويلة. قد يفشل هيزدار، وإذا فشلَ فالمحاولة في حدِّ ذاتها تُكسِبني وقتًا، وقتًا لعقد التَّحالُفات وتقوية دفاعاتي و...».

- «وإذا لم يفشل؟ ماذا ستفعل صاحِبة الجلالة وقتها؟».

- «ستُؤدِّي واجبها». أحسَّت بالكلمة باردةً على لسانها. «أنت شهدت زواج أخي ريجار. أخبِرني، هل تزوَّج بدافع الحُبِّ أم الواجب؟».

تردَّد الفارس العجوز لحظةً، ثم قال: «الأميرة إليا كانت امرأةً صالحةً يا جلالة الملكة، كانت عطوفًا ذكيَّةً، طيِّبة القلب حاضرة الدُّعابة. أعرفُ أن الأمير كان مولعًا بها جدًّا».

مولعًا. قالت الكلمة كلَّ شيءٍ بوضوح. *قد أصيرُ مولعةً بهيزدار زو لوراك مع الوقت*.

تابعَ السير باريستان: «وشهدتُ زواج أبيكِ وأمِّكِ أيضًا. سامِحيني، لكنه كان خاليًا من الولع، وقد دفعَت البلاد ثَمن هذا غاليًا يا مليكتي».

- «لماذا تزوَّجا إن لم يكونا متحابَّيْن؟».

- «لأن جدَّكِ أمرَهما، بعد أن أخبرَته عرَّافة غابات بأن الأمير الموعود سيُولَد من نسلهما».

مندهشةً ردَّدت داني: «عرَّافة غابات؟».

- «جاءَت البلاط مع چِني بنت (الحجر العتيق). كانت مخلوقةً ناقصة النُّمو، منظرها في غاية الغرابة. قال أكثر النَّاس إنها قزمة، لكنها كانت عزيزةً على الليدي چِني، التي زعمَت دومًا أن المرأة من أطفال الغابة».

- «وماذا حدثَ لها؟».

- «(قلعة الصَّيف)». الكلمة المترعة بالويل.

تنهَّدت داني، وقالت: «اترُكني الآن. إنني متعَبة للغاية».

قال السير باريستان: «كما تأمرين»، وانحنى ودارَ مغادرًا، لكنه توقَّف عند الباب قائلًا: «سامِحيني. هناك ضيف لجلالتكِ. هل أخبره بأن يعود غدًا؟».

- «مَن؟».

- «نهاريس. غِربان العاصفة عادوا إلى المدينة».

داريو. اختلجَ قلبها في صدرها، وقالت: «منذ متى وهو... متى...». وجدَت نفسها لا تقدر على لفظ الكلمات.

لكن السير باريستان فهمَ وأجابَها: «جلالتكِ كنتِ مع الكاهنة عندما وصلَ، وكنتُ أعرفُ أنكِ لا تُريدين إزعاجًا. يُمكن لأخبار القائد أن تنتظر حتى الغد».

- «لا». *كيف يأتيني النَّوم وأنا أعرفُ أن قائدي بهذا القُرب؟* «أرسِله في الحال، و... لن أحتاج إليك ثانيةً هذا المساء. سأكونُ آمنةً مع داريو. أوه، وأرسِل إيري وچيكوي إذا سمحت، وميسانداي». *يجب أن أبدِّل ثيابي، أن أتجمَّل*.

قالت لوصيفاتها ما معناه هذا حين جئن، فسألَتها ميساندا‌ي: «ما الذي ترغب جلالة الملكة في ارتدائه؟».

نور النُّجوم ورغوة البحر، غلالةً من الحرير تكشف ثديي الأيسر ليتمتَّع داريو بمنظره. آه، وزهورًا في شَعري. في بداية لقائهما قطفَ لها القائد الأزهار كلَّ يومٍ طوال الطَّريق من (يونكاي) إلى (ميرين). «أحضِري الفُستان الكتَّان الرَّمادي ذا الصَّدر المزيَّن باللُّؤلؤ. أوه، وفروة الأسد البيضاء». دائمًا تَشعُر بأمانٍ أكثر وهي ملتحفة بفروة أسد دروجو.

استقبلَت دنيرس القائد في شُرفتها جالسةً على دِكَّةٍ من الحجر المنقوش تحت شجرة إجّاص، وقد طفا في السَّماء فوق المدينة هلال تُصاحِبه ألف نجمة. دخلَ داريو نهاريس متبخترًا. *يتبختر حتى في ثباته*. يرتدي القائد بنطالًا مخطَّطًا مدسوسًا في حذاءٍ طويل الرَّقبة من الجِلد الأرجواني، وقميصًا من الحرير الأبيض، وصُدرةً من الحلقات الذَّهبيَّة. لحيته ثُلاثيَّة الشُّعب أرجوانيَّة، وشاربه ذهبي زاهٍ، وخُصلاته الطَّويلة تجمع بين اللَّونين بالتَّساوي، وعلى أحد وَركيه يستقرُّ خنجر رفيع وعلى الثَّاني أراخ دوثراكي. خاطبَها قائلًا: «أيتها الملكة المشرقة، ازدَدتِ حُسنًا في غيابي. كيف يُمكن هذا؟».

تعوَّدت الملكة هذا الإطراء، لكن حين تَصدُر المجامَلة من داريو فإن لها بشكلٍ ما معنى أكثر من مجيئها من أمثال رزناك أو زارو أو هيزدار. «أيها القائد، بلغَنا أنك أحسنت خدمتنا في (لازار)». *افتقدتك كثيرًا*.

- «قائدك يعيش ليخدم ملكته القاسية».

- «قاسية؟».

أجابَ وضوء القمر يلتمع في عينيه: «لقد انطلقَ يسبق رجاله ليُعجِّل برؤية وجهها، فقط لتَتركُه جالسًا فيما تأكل لحم الحملان والتِّين مع عجوزٍ متهالكة».

لم يُخبِروني بوجودك هنا. لو فعلوا لتحامَقتُ وأرسلتُ استدعيك في الحال. «كنتُ أتناولُ العَشاء مع ذات النِّعمة الخضراء». خطرَ لها أن من الأفضل ألَّا تَذكُر هيزدار. «كنتُ في حاجةٍ ملحَّة إلى نصائحها الحكيمة».

- «عندي حاجة ملحَّة واحدة هي دنيرس».

- «هل أطلبُ لك طعامًا؟ مؤكَّد أنك جائع».

- «لم آكل منذ يومين، ولكن الآن وقد أصبحتُ هنا فيكفيني أن ألتهم وليمةً من جَمالكِ».

ردَّت: «جَمالي لن يملأ بطنك»، وقطفَت ثمرة كمَّثرى وألقَتها إليه مضيفةً: «كُل هذه».

قال: «أمر مليكتي»، وأخذَ قضمةً من الثَّمرة وسِنُّه الذَّهبيَّة تلمع، وسالَ العصير في لحيته الأرجوانيَّة.

تُريد الفتاة في داخلها أن تُقبِّله لدرجةٍ تُؤلِم. قالت لنفسها: قد نكون *قُبلاته قاسيةً خشنةً، ولن يُبالي إذا صرختُ أو أمرته بالتَّوقُّف*. لكن الملكة في داخلها تعرف أن تلك رعونة. «حدِّثني عن رحلتك».

هزَّ كتفيه بلا مبالاةٍ قائلًا: «اليونكيُّون أرسَلوا سيوفًا مأجورةً لإغلاق (ممر كايزاي). يُسمُّون أنفُسهم الرِّماح الطَّويلة. داهمناهم ليلًا وأرسلنا بعضهم إلى الجحيم. في (لازار) قتلتُ اثنين من رُقبائي لتآمُرهما على سرقة الجواهر والأطباق الذَّهب التي عهدَت إليَّ بها مليكتي كهديَّةٍ لشعب الحملان. باستثناء هذا مضى كلُّ شيءٍ كما وعدتكِ».

- «كم رجلًا خسرت في القتال؟».

- «تسعة، لكن دستةً من رجال الرِّماح الطَّويلة قرَّروا أنهم يُؤثِرون أن يكونوا من غِربان العاصفة على أن يكونوا جُثثًا، وهكذا تقدَّمنا بثلاثة. قلت لهم إنهم سيعيشون أطول بالقتال مع تنانينكِ لا ضدها، ورأوا ما في كلامي من حكمة».

جعلَها هذا تقول بتحفُّظ: «ربما يتجسَّسون لحساب (يونكاي)».

- «إنهم أغبى من أن يكونوا جواسيسَ. أنتِ لا تعرفينهم».

- «ولا أنت. هل تثق بهم؟».

أجابَ: «أثقُ برجالي جميعًا... بقدر ما يُمكن أن تصل بصقتي»، وقرنَ القول بالفعل وبصقَ بذرةً في يده، ثم ابتسمَ للرِّيبة اللّائحة على قسماتها، وأردفَ: «هل آتيكِ برؤوسهم؟ سأفعلُ إذا أمرتِ. أحدهم أصلع واثنان لهما ضفائر وأحدهم يَصبُغ لحيته بأربعة ألوان مختلفة. دعيني أسألكِ، ما الجاسوس الذي يفعل هذا بلحيته؟ النبّال يستطيع أن يُصيب بعوضةً بحجرٍ في عينها من بُعد أربعين خُطوة، والقبيح موهوب في التَّعامُل مع الخيول، لكن إذا قالت مليكتي أن يموتوا...».

- «لم أقل ذلك. قصدتُ فقط... احرص على وضع عينٍ عليهم، هذا كلُّ شيء». أحسَّت بالحُمق لقولها. دائمًا تحسُّ بشيءٍ من الحُمق عندما تكون مع داريو. *بلهاء وبطيئة البديهة وتصرُّفاتي بناتيَّة. ماذا يقول عني؟* غيَّرت الموضوع قائلةً: «هل سيُرسِل إلينا شعب الحملان الطَّعام؟».

- «ستصل الغلال بالزَّوارق عبر (السكاهازاذان) يا مليكتي، والبضائع الأخرى عن طريق القوافل عبر (ممر كايزاي)».

- «ليس (السكاهازاذان). لقد أغلقوا النَّهر علينا، والبحر أيضًا. لا شكَّ أنك رأيت السُّفن في الخليج. الكارثين طردوا ثُلث أسطول الصَّيد واستولوا على الثُّلث الثَّاني، والآخَرون خائفون من الخروج من الميناء. التِّجارة الشَّحيحة التي تبقَّت لنا انقطعَت».

ألقى داريو لُبَّ حبَّة الكمَّثرى قائلًا: «الكارثين في عروقهم لبن لا دماء. دَعيهم يرون تنانيكِ وسيُولُّون الأدبار».

لا تُريد داني أن تتكلَّم عن التَّنانين. ما زالَ المُزارعون يأتون بلاطها بالعظام المحروقة مشتكين من الأغنام المفقودة، مع أن دروجون لم يرجع إلى المدينة، وإن أبلغَها بعضهم بمشاهدته شمال النَّهر فوق كلأ (بحر الدوثراكي). وفي الجُبِّ بالأسفل كسرَ ڤسيريون إحدى سلاسله، وكلَّ يومٍ يزداد هو وريجال ضراوةً. في مرَّةٍ أخبرَها مُطهَّروها بأن الباب الحديد توهَّج بحرارةٍ لافحة ولم يجرؤ أحد على لمسه ليومٍ بأكمله. «(أستاپور) محاصَرة أيضًا».

- «هذا أعرفه. أحد الرِّماح الطَّويلة عاشَ بما يكفي لإخبارنا بأن النَّاس يأكلون بعضهم بعضًا في المدينة الحمراء. قال إن دور (ميرين) سيأتي قريبًا، فقطعتُ لسانه وأطعمته لكلبٍ أصفر. لا كلب يأكل ألسنة الكاذبين، فلمَّا أكلَ الكلب الأصفر لسانه عرفتُ أنه قال الحقيقة».

- «داخل المدينة أيضًا حرب». حكَت له عن أبناء الهارپي والوحوش النُّحاس، وعن الدِّماء على القرميد. «أعدائي محيطون بي، داخل المدينة وخارجها».

قال من فوره: «هاجِمي. المحاصَر بالأعداء لا يستطيع الدِّفاع عن نفسه. حاوِلي وستُصيبكِ الفأس في ظَهركِ فيما تُبارِزين بسيفكِ. لا، عندما يُواجِهكِ كلُّ هؤلاء الأعداء فاختاري أضعفهم واقتُليه وادعسيه واهربي».

- «أهربُ إلى أين؟».

- «إلى فِراشي، إلى ذراعَي، إلى قلبي». مقبضا خنجر وأراخ داريو مطرَّقان على شكل امرأتين ذهبيَّتين عاريتين شبِقتين، وقد داعبَهما بإبهاميه بطريقةٍ في غاية البذاءة وابتسمَ لها بخُبث.

أحسَّت داني بالدَّم يتدفَّق إلى وجهها. كأنه يُمسِّدها هي بحركته هذه. *هل سيحسبني شبِقةً أيضًا إذا سحبته إلى السَّرير؟* يجعلها تُريد أن تكون امرأته الشَّبِقة. *لا يَجدُر بي أن أراه وحدي ابدًا. إنه أخطر من أن يبقى إلى جانبي.* قالت مبلبلةً: «ذات النِّعمة الخضراء تقول إن عليّ أن أتَّخذ لنفسي ملكًا جيسكاريًّا، وتحثُّني على الزَّواج بالنَّبيل هيزدار زو لوراك».

قهقهَ داريو قائلًا: «هو؟ ولِمَ ليس الدُّودة الرَّمادي إذا كنتِ تُريدين خصيًّا في فِراشكِ؟ هل تُريدين ملكًا؟».

أريدك أنت. «أريدُ السَّلام. لقد أمهلتُ هيزدار تسعين يومًا لوضع حدٍّ للقتل، وإذا فعلَ فسأتزوَّجه».

- «تزوَّجيني أنا. سأفعلها في تسعة أيام».

كادَت تقول: *تعلم أنني لا أستطيعُ.*

واصلَ داريو: «إنكِ تُقاتِلين ظلالًا في حين أن عليكِ أن تُقاتِلي من يُلقونها. اقتُليهم وخُذي كنوزهم، هذا رأيي. اهمسي بالأمر وسيصنع لكِ رجلكِ داريو من رؤوسهم كومةً أعلى من هذا الهرم».

- «لو أني أعلمُ مَن هُم...».

- «زاك وپال وميريك، هُم والآخَرون كلُّهم، الأسياد العظام. مَن غيرهم؟».

جريء *مِثلما يحبُّ سفح الدِّماء.* «ليس عندنا دليل على أن هذا عملهم. هل تُريدني أن أذبح رعاياي؟».

- «رعاياكِ يودُّون ذبحكِ».

أمضى داريو وقتًا طويلًا بعيدًا حتى إن داني نسيَت حقيقته، لكنها ذكَّرت نفسها بأن المرتزِقة ختَّارون بطبيعتهم. *متقلِّبون غادرون غاشمون. لن يكون أكثر مما هو أبدًا، لن يكون من معدن الملوك*. شرحَت له قائلةً: «الأهرام قويَّة، لا يُمكننا الاستيلاء عليها إلَّا بتكلفةٍ باهظة. ما إن نُهاجِم أحدها ستثور البقيَّة علينا».

- «أخرِجيهم من أهرامهم بحُجَّةٍ ما إذن، زفاف مثلًا. ولِمَ لا؟ عِدي هيزدار بيدكِ وسيأتي جميع الأسياد العظام ليشهدوا زواجكما، وحين يجتمعون في (معبد ذوات النِّعم) أطلِقينا عليهم».

فكَّرت داني مصدومةً: *إنه وحش، وحش شُجاع لكنه وحش*. «هل تحسبني الملك الجزَّار؟».

- «أن تكوني جزَّارًا خيرٌ من أن تكوني اللَّحم. كلُّ الملوك جزَّارون، فهل تختلف الملكات؟».

- «هذه الملكة مختلفة».

هزَّ داريو كتفيه، وقال: «أكثر الملكات لا غاية لهن إلَّا تدفئة فِراش ملكٍ ما وإنجاب الأبناء له. إذا كان هذا هو نوع الملكة الذي تُريدين أن تكونيها فالأفضل لكِ أن تتزوَّجي هيزدار».

اتَّقدت غضبتها، وقالت: «هل نسيت مَن أنا؟».

- «لا. هل نسيتِ أنتِ؟».

كان قسيرس ليقطع رأسه لهذه الإهانة. قالت داني: «أنا دم التنِّين. إياك أن تتجرَّأ وتُحاوِل تلقيني الدُّروس»، ونهضَت لتنزلق فروة الأسد من على كتفيها وتَسقُط أرضًا، وأضافَت: «اترُكني».

انحنى لها داريو بشدَّةٍ قائلًا: «أعيشُ لأخدم».

حين رحلَ استدعَت دنيرس السير باريستان، وقالت له: «أريدُ أن يعود غِربان العاصفة إلى الميدان».

- «جلالة الملكة؟ لقد عادوا لتوِّهم...».

- «أريدهم أن يرحلوا! دَعهم يستطلعون ظهير الأراضي اليونكيَّة ويحمون القوافل القادمة على (ممر كايزاي). من الآن فصاعدًا سيُقدّم داريو تقاريره إليك. عامِله بالاحترام الذي يليق به واحرص على أن ينال رجاله أجورهم، لكن لا تُدخِله إلى حضرتي تحت أيِّ ظرف».

- «كما تقولين يا جلالة الملكة».

ليلتها جافاها النَّوم وراحَت تتقلَّب وتتململَ في فِراشها، بل وتمادَت مستدعيةً إيري على أمل أن تقودها لمساتها إلى طريق الرَّاحة، لكنها أبعدَت الفتاة الدوثراكيَّة عنها بعد قليل. إيري جميلة وناعمة وراغبة، لكنها ليست داريو.

متكوِّرةً على نفسها في فِراشها الخالي ساءلَت نفسها: *ماذا فعلتُ؟ انتظرتُ عودته طويلًا جدًّا ثم صرفته*. همسَت: «يُريد أن يجعلني وحشًا، ملكةً جزَّارةً»، لكنها فكَّرت لحظتها في دروجون الغائب بعيدًا وفي أخويه في الجُبِّ. *على يدَي دماء أيضًا، وعلى قلبي. لا فرق كبيرًا بيني وبين داريو، فكلانا وحش*.

طفق جريف يذرع سطح (العذراء الخجول) جيئةً وذهابًا قائلًا لنفسه: *لم يكن يُفترَض أن يستغرق كلَّ هذا الوقت*. هل فقدوا هالدون كما فقدوا تيريون لانستر؟ هل يُمكن أن الڤولانتيينيِّين قبضوا عليه؟ *كان عليَّ أن أرسل حقل البط معه*. هالدون وحده ليس جديرًا بالثِّقة، وهو ما أثبتَه في (سلهوريس) حين ترك القزم يَهرُب.

كان القارب راسيًا في أحد القطاعات الوضيعة على ضفَّة النَّهر الفوضويَّة الطَّويلة، بين قاربٍ آخَر مائل على جانبه لم يُبارِح الرَّصيف منذ أعوام ومركب ممثِّلين مطلي بالألوان الفاقعة. الممثِّلون فئة صاخبة مفعَمة بالنَّشاط، دائمًا يُكلِّم بعضهم بعضًا باقتباساتٍ من الخُطب العصماء ويسكرون أكثر الوقت.

النَّهار حارٌّ لزج ككلِّ الأنهُر منذ خرجوا من (الويلات)، وقد راحت الشَّمس الجنوبيَّة القائظة تضرب رؤوس المتزاحمين على جانب النَّهر في (ڤولون ثيريس)، لكن الحرارة آخِر هموم جريف وأدناها. الجماعة الذَّهبيَّة مخيِّمة على بُعد ثلاثة أميال جنوب البلدة، أي شمال البُقعة التي توقَّعها فيها بمسافةٍ طويلة، والقُنصل مالاكو أتى شمالًا بخمسة آلاف من المُشاة وألفٍ من الخيَّالة ليقطع عليهم طريق الدِّلتا، ودنيرس تارجاريَن ما زالَت تَبعُد عنهم عالمًا، وتيريون لانستر... قد يكون في أيِّ مكان. إذا شاءت الآلهة فرأس لانستر المقطوع في منتصَف الطَّريق إلى (كينجز لاندنج) الآن، لكن الأرجح أن القزم صحيح معافى وفي مكانٍ ما قريب، سكران حتى الثُّمالة ويُخطِّط لمخزاةٍ جديدة.

سألَ جريف الليدي ليمور متذمِّرًا: «أين هالدون بحقِّ الجحائم السَّبع؟ كم يُمكن أن يستغرق شراء ثلاثة أحصنة؟».

هزَّت كتفيها إجابةً، وتساءلَت: «سيِّدي، أليس أسلم أن تَترُك الفتى هنا على متن القارب؟».

- «أسلم، نعم. أكثر حكمةً، لا. إنه رجل بالغ الآن، وهذا هو الطَّريق الذي وُلِدَ ليَسلُكه». لا صبر لجريف على هذه المراوَغات. لقد سئمَ الاختباء، سئمَ الانتظار، سئمَ الحذر. *ليس لديَّ وقت يكفي للحذر.*

قالت ليمور مذكِّرةً: «لقد جشَّمنا أنفُسنا الكثير لنُبقي الأمير إجون مخفيًّا سنينًا طويلةً. أعرفُ أن الوقت سيحين ويغسل شَعره ويُعلن هُويَّته، ولكن ليس الآن، ليس في معسكرٍ للمرتزِقة».

- «إذا كان هاري ستريكلاند ينوي أذيَّته فلن يحميه إخفاؤه على متن (العذراء الخجول). ستريكلاند لديه عشرة آلاف مقاتل تحت إمرته، ونحن لدينا البطَّة. إجون تجسُّد لكلِّ ما يُريده المرء في أمير، ويجب أن يروا هذا، ستريكلاند والآخَرون. إنهم رجاله».

- «رجاله لأن هناك من اشتراهم ودفعَ ثَمنهم، عشرة آلاف من الغُرباء علاوةً على المتطفِّلين وأتباع المعسكَرات. لا يحتاج دمارنا جميعًا إلَّا إلى واحدٍ فقط. إذا كان رأس هيوجور يُساوي لورديَّةً برُمَّتها، فكم ستدفع سرسي لانستر لقاء وريث العرش الحديدي الشَّرعي؟ أنت لا تعرف هؤلاء الرِّجال يا سيِّدي. لقد مرَّت أعوام منذ ركبت مع الجماعة الذَّهبيَّة، وصديقك القديم ماتَ».

القلب الأسود. كان مايلز توين مفعمًا بالحياة عندما تركَه جريف آخِر مرَّة، ويَصعُب عليه أن يتقبَّل رحيله. *جمجمة ذهبيَّة على سارية، وهاري ستريكلاند الشَّريد في مكانه*. يعرف أن ليمور ليست مخطئةً. أيًّا ما كانه آباؤهم وأجدادهم في (وستروس) قبل نفيهم فرجال الجماعة الذَّهبيَّة مرتزِقة الآن، والمرتزِقة ليسوا أهلًا للثِّقة. ومع ذلك...

ليلة البارحة حلمَ بـ(السِّپت الحجري) من جديد. وحده، بسيفٍ في يده، هرعَ من منزلٍ إلى منزلٍ محطِّمًا الأبواب ومندفعًا على السَّلالم وقافزًا من سطحٍ إلى سطحٍ فيما يتردَّد رنين الأجراس البعيدة في أُذنيه، يُدوِّي في جمجمته الهدير البرونزي العميق والجلجلة الفضِّيَّة، مزيج نشاز يُثير الجنون من الضَّوضاء ظلَّ يتفاقَم حتى أحسَّ كأن رأسه سينفجر.

سبعة عشر عامًا مرَّت منذ معركة الأجراس، لكن رنينها لا يزال يقلب معدته متى سمعَه. قد يَزعُم بعضهم أن البلاد ضاعَت عندما سقطَ الأمير ريجار بمطرقة روبرت الحربيَّة على ضفاف (الثَّالوث)، لكن معركة (الثَّالوث) ما كانت لتنشب لو أن الجريفين قتلَ الوعل في (السِّپت الحجري). يومها *دقَّت الأجراس لنا جميعًا، لإيرس وملكته، لإليا الدورنيَّة وبنتها الصَّغيرة، لكلِّ رجلٍ مخلص وامرأةٍ شريفة في (الممالك السَّبع)... ولأميري الفضِّي*.

قالت ليمور: «كانت الخطَّة ألَّا نكشف حقيقة الأمير إجون قبل أن نبلغ الملكة دنيرس».

- «كان ذلك عندما اعتقَدنا أن الفتاة ستأتي غربًا، لكن ملكة التَّنانين أحرقَت تلك الخطَّة عن بكرة أبيها، وبفضل الأحمق البدين في (پنتوس) أمسَكنا التنِّينة من ذيلها فاحترقَت أصابعنا حتى العظم».

- «لم يكن أحد يتوقَّع من إليريو أن يعرف أن الفتاة ستختار البقاء في (خليج النخَّاسين)».

- «كما لم يعرف أن الملك الشحَّاذ سيموت شابًّا أو أن الكال دروجو سيتبعه إلى القبر. قليل للغاية مما توقَّعه الرَّجل البدين تحقَّق»، وضربَ جريف مقبض سيفه الطَّويل بيده المقفَّزة مضيفًا: «لقد رقصتُ على أنغام مزمار البدين سنينًا يا ليمور، فبِمَ أفادَنا هذا؟ الأمير رجل بالغ، ووقته...».

قاطعَه نداء ياندري العالي فوق رنين جرس الممثِّلين: «جريف، إنه هالدون».

عادَ هالدون بالفعل، وبدا النِّصف مِايستر حرَّانَ متَّسخ الثِّياب وهو يشقُّ طريقه على ضفَّة النَّهر إلى قدم الرَّصيف، وقد خلَّف العَرق بُقعتين دائريَّتين داكنتين تحت إبطي ثوبه الكتَّاني الخفيف، وحملَ وجهه الطَّويل النَّظرة العابسة نفسها كما فعلَ في (سلهوريس) لمَّا عادَ إلى (العذراء الخجول) ليعترف بأن القزم اختفى. على أنه يقود ثلاثة أحصنةٍ الآن، وهذا هو كلُّ المهم.

قال جريف لليمور: «أحضِري الفتى، وتأكَّدي من استعداده».

أجابَت بفتور: «كما تقول».

ليكن إذن. مع أنه أضحى شغوفًا بليمور فهذا لا يعني احتياجه إلى رضاها. كانت مهمَّتها أن تُلقِّن الأمير تعاليم العقيدة، وقد أدَّتها، لكن لا قدر من الصَّلوات سيضعه على العرش الحديدي، بل هي مهمَّة جريف. لقد خذلَ الأمير ريجار مرَّةً، ولن يخذل ابنه ما دامَت في جسده حياة.

لم تسرَّه خيول هالدون، وقال للنِّصف مِايستر بتبرُّم: «أهذه أفضل ما وجدت؟».

أجابَ هالدون بضيق: «نعم، والأفضل ألّا تسأل كم كلّفتنا. في وجود الدوثراكي عبر النّهر قرّر نِصف أهالي (ڤولون ثيريس) أن خيرًا لهم أن يكونوا في مكانٍ آخَر، وهكذا ترتفع أسعار الخيول كلَّ يوم».

كان عليّ الذَّهاب بنفسي. بعد (سلهوريس) وجدَ وضع القدر نفسه من الثِّقة بهالدون عسيرًا. *سمحَ للقزم بتغفيله بفصاحة لسانه، وتركَه يذهب إلى بيت دعارة وحده وانتظرَه كالأبله في الميدان.* أصرَّ مالك الماخور على أن القزم اختُطِفَ تحت تهديد السِّلاح، لكن جريف ليس واثقًا بعدُ بأنه يُصدِّق ذلك. العِفريت ذكي بما فيه الكفاية لتدبير هربه، ومن الممكن أن يكون السَّكران الذي قالت العاهرات إنه قبضَ عليه تابعًا استأجرَه. *اللّوم عليّ أيضًا. بعد أن حالَ القزم دون إجون والرّجل الحجري تهاونتُ في الحذر. كان حريًّا بي أن أشقَّ حَلقه حين رأيته أول مرّة.*

قال لهالدون: «لا بأس بها على ما أظنُّ. المعسكَر يَبعُد ثلاثة أميال فقط إلى الجنوب». كان (العذراء الخجول) ليحملهم إلى هناك أسرع، لكنه يُفضِّل أن يظلَّ هاري ستريكلاند يجهل أين كان هو والأمير، كما أن فكرة الخوض في المياه الضَّحلة وتسلُّق ضفَّة النَّهر الموحلة لا تروقه. قد يليق دخول كهذا بمرتزِقٍ وابنه، ولكن ليس بلورد عظيم وأميره.

حين خرجَ الفتى من القمرة إلى جانب ليمور أمعنَ جريف النَّظر إليه من قمَّة رأسه حتى أخمص قدميه. تمنطقَ الأمير بحزام السَّيف والخنجر، وانتعلَ حذاءً أسود مصقولًا يلمع، وارتدى معطفًا أسود مبطَّنًا بالحرير الأحمر الدَّموي، وبعد غسل شَعره وقصِّه وصبغه بالأزرق الدَّاكن الطَّازج بدَت عيناه زرقاوين أيضًا. على عُنقه وضعَ ثلاث ياقوتات مربَّعة ضخمة تتدلَّى من سلسلةٍ من الحديد الأسود، هديَّة من الماچستر إليريو. *أحمر وأسود، لونا التنِّين*. جيِّد هذا. قال للفتى: «تبدو كما ينبغي لأمير. كان أبوك ليفخر بك لو رآك الآن».

مرَّر جريف الصَّغير أصابعه في شَعره قائلًا: «سئمتُ من هذه الصَّبغة الزَّرقاء. كان يجب أن نغسلها».

- «قريبًا». يودُّ جريف أن يعود إلى لونه الحقيقي أيضًا، ولو أن رأسه الذي كان أحمر اشتعلَ شيبًا. ربَّت على كتف الفتى، وقال: «هلَّا تحرَّكنا؟ جيشك ينتظر وصولك».

قال الفتى: «أحبُّ وقع هذه الكلمة، جيشي»، وومضَت بسمة على وجهه ثم اختفَت إذ أردفَ: «أهُم جيشي بحق؟ إنهم مرتزِقة. يولو أنذرَني من الثِّقة بأحد».

أقرَّ جريف مجيبًا: «كلامه لا يخلو من حكمة». لربما اختلفَت الحال لو أن القلب الأسود لا يزال القائد، لكن مايلز توين ماتَ قبل أربعة أعوام، وهاري ستريكلاند الشَّريد رجل من صنفٍ مختلف. على أنه لن يقول ذلك للفتى، فالقزم زرعَ ما يكفي من الشُّكوك بالفعل في رأسه الشَّاب. «ليس كلُّ امرئٍ في حقيقته كما يبدو، والأمراء على وجه الخصوص لهم الحقُّ في اتِّخاذ الحذر... لكن اقطع شوطًا أطول من اللَّازم على ذلك الطَّريق وسيُسمِّمك سوء الظُّنون ويجعلك خوَّافًا نكد المزاج». *هكذا كان الملك إيرس، وفي النِّهاية رأى ريجار نفسه هذا بوضوح*. «الأفضل لك أن تَسلُك سبيلًا وسطًا. دَع النَّاس يكسبون ثقتك بالخدمة المخلصة... لكن حين يَحدُث هذا كُن كريمًا سخيًّا معهم».

أومأَ الفتى برأسه قائلًا: «سأتذكَّرُ هذا».

أعطوا الأمير أفضل الخيول الثَّلاثة، حصانًا مخصيًّا كبيرًا يكاد لونه الرَّمادي شديد الشُّحوب يكون أبيض، وركبَ جريف وهالدون إلى جواره على حصانين أقل جودةً. مضى الطَّريق جنوبًا أسفل أسوار (ڤولون ثيريس) البيضاء العالية لِنصف ميلٍ كامل، ثم إنهم تركوا البلدة وراءهم واتَّبعوا مجرى (الروين) المتعرِّج عبر بساتين الصَّفصاف وحقول الخشخاش ومرورًا بطاحونة هواءٍ خشبيَّة طويلة تصرُّ شفراتها كالعظام القديمة مع دورانها.

وجدوا الجماعة الذَّهبيَّة على ضفَّة النَّهر والشَّمس تنخفض في الغرب. كان آرثر داين نفسه ليرضى عن المعسكَر المحكم المنظَّم المنيع، الذي حُفِرَ حوله خندق عميق مزوَّد بالأوتاد المدبَّبة، وتقف خيامه في صفوفٍ بينها حارات واسعة، وقد وُضِعَت المراحيض على النَّهر مباشرةً ليجرف التيَّار الفضلات. إلى الشَّمال صفوف الخيول، ووراءها ترعى دستتان من الأفيال على ضفَّة الماء قاطفةً البوص بخراطيمها. تطلَّع جريف إلى الدَّواب الرَّماديَّة الضَّخمة مفكِّرًا: *ليس في (وستروس) أجمعها جواد حربي يستطيع الصُّمود أمامها*.

حول محيط المعسكَر تخفق رايات حربيَّة طويلة من قُماش الذَّهب على سوارٍ شامخة، وأسفلها يتحرَّك الحُرَّاس المسلَّحين المدرَّعين في دوريَّاتهم، يحملون الحِراب والنُّشَّابيَّات ويُراقِبون كلَّ مقترَب. كان جريف يخشى أن التَّراخي حاقَ بالجماعة تحت قيادة هاري ستريكلاند، الذي بدا دومًا أكثر اهتمامًا بتكوين الصَّداقات من فرض الانضباط، لكن يبدو أن قلقه كان في غير موضعه.

عند البوَّابة قال هالدون شيئًا لرقيب الحَرس، وأُرسِلَ ساعٍ للعثور على أحد القادة، فلمَّا ظهرَ وجدَه جريف قبيحًا كما رآه آخِر مرَّة. المرتزِق رجل ضخم الجُثمان كبير البطن بطيء الحركة، تتقاطَع على وجهه النُّدوب القديمة، وتبدو أُذنه اليُمنى كأن كلبًا مضغَها، واليُسرى مفقودة. قال جريف: «رقَّوك أنت إلى مصاف القادة يا فلاورز؟ ظننتُ أن للجماعة الذَّهبيَّة معايير صارمةً».

ردَّ فرانكلين فلاورز: «الأمر أسوأ من هذا أيها الوغد، لقد نصَّبوني فارسًا أيضًا»، وأطبقَ على ساعِد جريف وجذبَه إليه في عناقٍ يُهشِّم العظم، ثم قال: «تبدو في حالةٍ مزرية، حتى بالنِّسبة إلى رجلٍ ميت منذ أعوام. شَعر أزرق إذن؟ حين قال هاري إنك ستأتي كدتُ أتبرَّزُ على نفسي. وهالدون أيها الحقير البارد، تسرُّني رؤيتك أيضًا. أما زلت لا تعرف معنى المرح؟»، والتفتَ فلاورز إلى جريف الصَّغير قائلًا: «وهذا...».

- «مُرافقي. هذا فرانكلين فلاورز يا فتى».

حيَّاه الأمير بإيماءة، وقال: «فلاورز اسم نغولة. أنت من (المرعى)».

- «أجل. كانت أمِّي غسَّالةً في (بهو التُّفَّاح) إلى أن اغتصبَها أحد أبناء حضرة اللورد، وهو ما يجعلني نوعًا من فرع التُّفَّاحة البنِّيَّة من عائلة فوسواي في رأيي»، وأشارَ لهم فلاورز بالدُّخول من البوَّابة مردفًا: «تعالوا معي. ستريكلاند استدعى الضُّبَّاط كلَّهم إلى خيمته. مجلس الحرب. الڤولانتينيُّون الملاعين يُلوِّحون بحِرابهم ويُطالِبون بمعرفة نيَّاتنا».

كان رجال الجماعة الذَّهبيَّة خارج خيامهم، يلعبون النَّرد ويشربون ويذبُّون الذُّباب. تساءلَ جريف كم منهم يعرف مَن هو. *قلائل. اثنا عشر عامًا زمن طويل.* حتى الرِّجال الذين ركبوا معه قد لا يتعرَّفون اللورد المنفي چون كوننجتون ذا اللِّحية الحمراء النَّاريَّة في وجه المرتزِق جريف الحليق وشَعره المصبوغ بالأزرق. على حدِّ علم أكثرهم عاقرَ كوننجتون الشَّراب حتى الموت في (لِيس) بعد طرده المخزي من الجماعة لسرقته من صندوق الحرب. ما زالَ ما في الكذبة من هوانٍ يُشعِره بغصَّةٍ في حَلقه، لكن ڤارس وكَّد ضرورتها، وقال الخصيُّ بصوته النَّاعم إياه: «لسنا نُريد أن يُغنِّي أحد عن المنفي الباسل. مَن يموتون ميتةً بطوليَّةً يَذكرُهم النَّاس طويلًا، لكنهم ينسون اللُّصوص والسكِّيرين والجُبناء سريعًا».

ما الذي يعرفه خصيٌّ عن شَرف الرِّجال؟ سايرَ جريف العنكبوت في مخطَّطه في سبيل الفتى، لكن هذا لا يعني أنه يُعجِبه إطلاقًا. *فلأعِش حتى أرى الفتى على العرش الحديدي وسيدفع ڤارس ثَمن هذه الإهانة وغيرها الكثير، وعندها سنرى مَن سيُنسى سريعًا.*

خيمة القائد العام من قُماش الذَّهب ومحاطة بحلقةٍ من الأوتاد المتوَّجة بالجماجم المذهَّبة. إحدى هذه الجماجم أكبر من الأخريات ومشوَّهة التَّكوين على نحوٍ عجيب، وتحتها جمجمة أخرى لا تتعدَّى قبضة طفلٍ في الحجم. *ميليز الوحش وأخوه مجهول الاسم.* الجماجم الأخرى أقرب إلى التَّماثُل، ولو أن كثيرًا منها شقَّقته أو كسرَته الضَّربات التي أودَت بأصحابها، ولإحداها أسنان منشورة مدبَّبة. وجدَ جريف نفسه يسأل: «أيُّها مايلز؟».

أشارَ فلاورز مجيبًا: «هناك، في النِّهاية. انتظر، سأذهبُ وأعلنُ وصولك»، ودخلَ الخيمة تاركًا جريف يتأمَّل جمجمة صديقه القديم المذهَّبة. في حياته كان مايلز تْوين قبيحًا كالخطيئة، على عكس سلفه الشَّهير تيرانس تْوين الغامض الجذّاب الذي يُغنِّي عنه المغنُّون، والذي كان جميل المحيَّا لدرجة أن عشيقة الملك لم تستطِع أن تُقاوِمه. أمَّا مايلز فكان مبتلى بأُذنين مفلطحتين وفكٍّ معوج وأكبر أنفٍ رآه چون كوننجتون في حياته كلِّها، لكن شيئًا من هذا لم يهمّ عند ابتسامه لك. سمَّاه رجاله القلب الأسود للرَّمز المرسوم على تُرسه، وأحبَّ مايلز الاسم وكلَّ ما يُوحي به، وفي مرَّةٍ اعترفَ له قائلًا: «على القائد العام أن يخشاه أصدقاؤه وأعداؤه على حدٍّ سواء. إذا حسبَني الرِّجال قاسيًا فذلك أفضل جدًّا». لكن الحقيقة كانت خلاف ذلك. كان مايلز تْوين جُنديًّا حتى النُّخاع، شديدًا لكن عادلًا على الدَّوام، أبًا لرجاله ودائم الكرم مع اللورد المنفي چون كوننجتون.

سلبَ الموت تْوين أُذنيه وأنفه ودفئه كلَّه، لكن الابتسامة بقيَت واستحالَت إلى ضحكةٍ من الذَّهب البرَّاق. كلُّ الجماجم ضاحك، بما فيها جمجمة الفولاذ الأليم على وتدٍ طويل في المنتصَف. *ما الذي يُضحِكه؟ لقد ماتَ مدحورًا وحيدًا، رجلًا مكسورًا في أرضٍ غريبة*. تقول القصَّة الشَّهيرة إن السير إيجور ريڤرز أمرَ رجاله وهو على فِراش الموت بإزالة لحم جمجمته بالغلي وغمسها في الذَّهب وحملها فوقهم حين يَعبُرون البحر ليستردُّوا (وستروس)، وحذا خُلفاؤه حذوه.

لربما كان چون كوننجتون أحد هؤلاء الخُلفاء لو مضى منفاه في مسارٍ آخَر. لقد أمضى خمسة أعوامٍ مع الجماعة، يترقَّى من صفوف المُقاتلين إلى موضع الشَّرف إلى يمين توين، ولو بقيَ فمحتمَل أن الرِّجال كانوا ليتطلَّعوا إليه بعد وفاة مايلز بدلًا من هاري ستريكلاند... لكن جريف ليس نادمًا على السَّبيل الذي اختارَه. *عندما أرجعُ إلى (وستروس) لن أكون جمجمةً على سارية.*

خرجَ فلاورز من الخيمة قائلًا: «ادخُلوا».

نهضَ كبار ضُبَّاط الجماعة الذَّهبيَّة من مقاعدهم لدى دخولهم، وحيَّى الأصدقاء القُدامى جريف بالابتسامات والأحضان، والرِّجال الجُدد بأسلوبٍ رسمي. *ليس الجميع مسرورين لرؤيتنا كما يُريدونني أن أعتقد.* وراء بعض هذه الابتسامات يَشعُر بخناجر مسلولة. حتى فترةٍ قريبة للغاية اعتقدَ أكثرهم أن اللورد چون كوننجتون في قبره، ولا شكَّ أن كثيرين منهم رأوه المكان المناسب للرَّجل الذي سرقَ من إخوته في السِّلاح، ولربما كان جريف ليُشارِكهم الشُّعور لو أنه في مكانهم.

تولَّى السير فرانكلين التَّقديم. على غرار فلاورز يحمل بعض المرتزِقة أسماء نغول مِثل ريڤرز وهيل وستون، في حين يتَّخذ بعضهم أسماء كانت لها شنَّة ورنَّة في تاريخ (وستروس). أحصى جريف اثنين يحملان اسم سترونج وثلاثة اسم ﭘيك، علاوةً على مود وماندريك ولوثستون واثنين اسمهما كول. يعلم أن ليس جميع هذه الأسماء أصيلًا، ففي الجماعات الحُرَّة يستطيع الرَّجل أن يُسمِّي نفسه ما يشاء. بأيِّ اسمٍ يُبدي المرتزِقة نوعًا فجًّا من الفخامة، فككثيرين ممَّن في مهنتهم هذه يحتفظون بثرواتهم الدُّنيويَّة معهم، وهكذا انتشرَت في الخيمة السُّيوف المحلَّاة بالجواهر والدُّروع المزخرفة وأطواق الزِّينة الثَّقيلة حول الأعناق، كما يضع كلُّ رجلٍ في المكان ما يُعادِل فدية لورد من حلقات الأذرُع الذَّهب. تدلُّ كلُّ حلقةٍ على سنةٍ من الخدمة في الجماعة الذَّهبيَّة، وعلاوةً على الحلقات يضع مارك ماندريك -الذي يحمل وجهه المجدور ثقبًا في وجنته حيث أُحرِقَ وسم الرِّق- سلسلةً من الجماجم الذَّهب أيضًا.

ليس كلُّ القادة هنا وستروسيِّي الدِّماء. يقود بالاك الأسود، رجل (جُزر الصَّيف) ذو الشَّعر الأبيض والبشرة الفاحمة، رُماة الجماعة منذ عهد القلب الأسود، ويرتدي معطفًا بالغ الأناقة من الرِّيش الأخضر والبُرتقالي. وحلَّ القولانتيني المهزول جوريس إدوريان محلَّ ستريكلاند كقيِّم الأجور، يُسدِل فروة فهدٍ على أحد كتفيه، وينسدل الشَّعر الأحمر كالدَّم إلى كتفيه في حُليقاتٍ مزيَّتة، وإن كانت لحيته المدبَّبة سوداء. وليُّ الهامسين جديد على جريف، لايسني اسمه لايسونو مار، له عينان بنفسجيَّتان فاتحتان وشَعر بلون الذَّهب الأبيض وشفتان تحسدهما عليه العاهرات. للوهلة الأولى كادَ جريف يحسبه امرأةً، فأظفاره مطليَّة بالأرجواني، ويتدلَّى من شحمتَي أُذنيه اللُّؤلؤ والجمشت.

فكَّر جريف وهو يستعرض وجوههم: *أشباح وكاذبون، أطياف من حروبٍ منسيَّة وقضايا خاسرة وثوراتٍ فاشلة، أخوَّة من المخفقين والسَّاقطين، من الموصومين والمحرومين. هذا جيشي، هذا أفضل آمالنا*.

ثم إنه التفتَ إلى هاري ستريكلاند.

لا يبدو هاري الشَّريد كالمُحاربين إلَّا قليلًا. ستريكلاند ممتلئ، له رأس كبير مستدير وعينان رماديَّتان وديعتان وشَعر خفيف مشَّطه إلى الجانب ليُخفي بُقعةً صلعاء، وقد جلسَ على كُرسي معسكَرات غامسًا قدميه في طستٍ من الماء المالح. خاطبَ جريف قائلًا على سبيل التَّحيَّة: «سامِحني إذا لم أنهض لك. كان زحفنا متعِبًا وأصابع قدمَي تتقرَّح بسهولة. إنها لعنة».

إنها علامة على الضَّعف. تتكلَّم كامرأةٍ مسنَّة. آل ستريكلاند جزء من الجماعة الذَّهبيَّة منذ تأسيسها، بعد أن فقدَ جدُّ هاري الكبير أراضيه حين قاتلَ مع التنِّين الأسود خلال تمرُّد بلاكفاير الأول. اعتادَ هاري أن يقول بزهو: «ذهب لأربعة أجيال»، كأن أجيالًا أربعةً من المنفى والهزيمة مدعاة للفخر.

قال هالدون: «يُمكنني أن أعدَّ لك مرهمًا لهذا، وثمَّة أملاح معدنيَّة معيَّنة من شأنها أن تُقوِّي جِلدك».

ردَّ ستريكلاند: «هذا لَطف منك»، وأشارَ إلى مُرافقه قائلًا: «واتكين، نبيذ لأصدقائنا».

قال جريف: «نشكرك، لكن لا. سنشرب الماء».

- «كما تُفضِّل»، وابتسمَ القائد العام للأمير، وقال: «ولا بُدَّ أن هذا ابنك».

تساءلَ جريف في سريرته: *هل يعرف؟ بِمَ أخبرَه مايلز بالضَّبط؟* لقد شدَّد ڤارس على ضرورة السرِّيَّة، وهكذا لم يعلم بالخُطط التي وضعَها مع إليريو والقلب الأسود إلَّاهم، وتُركَت بقيَّة الجماعة غافلةً، فلا يُمكن أن تزلَّ ألسنتهم بما يجهلونه.

لكن زمن هذا انتهى. قال جريف: «لا أحد يتمنَّى ابنًا أجدر، لكن الفتى ليس من دمي، واسمه ليس جريف. أيها السَّادة، أُقدِّمُ لكم إجون تارجاريَن، الابن الأول لريجار أمير (دراجونستون) والأميرة إليا الدورنيَّة... وقريبًا بمساعدتكم إجون السَّادس، ملك الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل وسيِّد (الممالك السَّبع)».

قُوبِلَ إعلانه بالصَّمت. تنحنحَ أحدهم، وعادَ أحد من اسمهما كول يملأ كأسه من إبريق، وداعبَ جوريس إدوريان إحدى خُليقات شَعره المبرومة وتمتمَ بشيءٍ ما بلُغةٍ يجهلها جريف، وسعلَ لازويل پيك، وتبادلَ ماندريك ولوثستون نظرةً. عندها أدركَ جريف أنهم يعرفون. *كانوا يعرفون طوال الوقت*. التفتَ يَرمُق هاري ستاريكلاند، وسألَه: «متى أخبرتهم؟».

ثنى القائد العام أصابع قدميه في حمَّامها مجيبًا: «حين وصلنا إلى النَّهر. كانت الجماعة قلقةً، ولسببٍ وجيه. لقد رفضنا حملةً سهلةً في (أراضي النِّزاع)، ومن أجل ماذا؟ كي نظلَّ نتصبَّب عَرقًا في هذا القيظ الكريه ونُشاهِد مالنا يذوب وسيوفنا تصدأ فيما أرفضُ اتِّفاقاتٍ دسمة بالمكسب؟».

اقشعرَّ جِلد جريف للخبر، وسألَ: «مَن؟».

- «اليونكيُّون. المبعوث الذي أرسَلوه يتودَّد إلى (ڤولانتيس) أطلقَ ثلاث جماعاتٍ حُرَّة إلى (خليج النخَّاسين) بالفعل، ويُريدنا أن نكون الرَّابعة ويعرض علينا ضِعفَي ما كانت (مير) تَنقُدنا إياه، بالإضافة إلى عبدٍ لكلِّ رجلٍ في الجماعة وعشرةٍ لكلِّ ضابط ومئةٍ من نقاوة الفتيات لي وحدي».

تبًا! «سيتطلَّب ذلك آلاف العبيد. أين يتوقَّع أن يجد اليونكيُّون تلك الأعداد؟».

أجابَ ستريكلاند: «في (ميرين)»، وأشارَ إلى مُرافقه قائلًا: «واتكين، منشفة. الماء بدأ يبرد وأصابع قدمَي تغضَّنت كالزَّبيب. لا، ليس هذه، النَّاعمة».

قال جريف: «ورفضتَ طلب المبعوث».

ردَّ هاري: «قلتُ له إنني سأفكِّرُ في عرضه»، وجفلَ إذ بدأ مُرافقه يُجفِّف قدميه، وقال: «رفقًا بالأصابع. فكِّر فيها كحبَّات عنب رقيقة القشرة يا فتى، الهدف أن تُجفِّفها دون أن تعتصرها. ربِّت ولا تَفرُك. نعم، هكذا»، والتفتَ إلى جريف ثانيةً قائلًا: «لم يكن من الحكمة أن أرفض رفضًا قاطعًا. كان الرِّجال ليسألونني -وهُم محقُّون- إن كنتُ فقدتُ عقلي».

- «ستجدون عملًا لنصالكم قريبًا».

سألَه لايسونو مار: «حقًّا؟ أفترضُ إذن أنك تعلم أن ابنة تارجاريَن لم تتحرَّك غربًا؟».

- «سمعنا القصَّة في (سلهوريس)».

- «ليست قصَّةً بل حقيقة بسيطة، لكن إدراك سببها هو الأصعب. تنهب (ميرين)، نعم، ولِمَ لا؟ كنتُ لأفعل المِثل في مكانها. مُدن النخَّاسين زاخرة بالذَّهب، والغزو يتطلَّب مالًا. لكن لماذا تبقى هناك؟ أهو الخوف؟ الجنون؟ الكسل؟».

قال هاري ستريكلاند: «السبب لا يهمُّ»، وفردَ زوجين من الجوارب الصُّوف المخطَّطة متابعًا: «هي في (ميرين) ونحن هنا، حيث يزداد استياء القولانتينيِّين من وجودنا كلَّ يوم. لقد جئنا لنرفع ملكًا وملكةً يقودانا إلى الوطن في (وستروس)، لكن ابنة تارجاريَن هذه تبدو عازمةً أكثر على زرع شجر الزَّيتون من استرداد عرش أبيها، وفي تلك الأثناء يحتشد أعداؤها، (يونكاي) و(جيس الجديدة) و(تولوس). ذو اللِّحية الدمويَّة وأمير الأسمال كلاهما سيكون في الميدان ضدها... وقريبًا ستُهاجِمها أساطيل (قولانتيس القديمة) أيضًا. ماذا تملك هي؟ عبيد فِراش يُقاتِلون بالعِصي؟».

قال جريف: «المُطهَّرون والتَّنانين».

علَّق القائد العام: «التَّنانين، أجل، لكنها تنانين صغيرة، فقسَت بيضاتها منذ مُدَّةٍ قصيرة»، وارتدى ستريكلاند فردة جورب برفقٍ مغطِّيًا قروح قدمه وكاحله، وواصلَ: «ما جدوى التَّنانين عندما تُطبِق كلُّ هذه الجيوش على مدينتها كالقبضة؟».

نقرَ تريستان ريڤرز على رُكبته بأصابعه قائلًا: «وهو السَّبب الأدعى لأن نصل إليها أولًا في رأيي. ما دامَت دنيرس لن تأتي إلينا فعلينا أن نذهب إلى دنيرس».

قال لايسونو مار: «هل نستطيع المشي على الموج أيها الفارس؟ أكرِّرُ أننا لا نستطيع بلوغ الملكة الفضِّيَّة بحرًا. لقد تسلَّلتُ إلى (ڤولانتيس) بنفسي متنكِّرًا كتاجر لأعرف كم سفينةً قد تكون متاحةً لنا. الميناء يعجُّ بالقوادس والأكواج والقراقير من كلِّ صنفٍ وحجم، وعلى الرغم من هذا سرعان ما وجدتُ نفسي أتعاملُ مع مهرِّبين وقراصنة. في جماعتنا عشرة آلاف رجل، كما يَذكُر اللورد كوننجتون بلا شكٍّ من سنين خدمته معنا. خمسمئة فارس لكلٍّ منهم ثلاثة خيول، وخمسمئة مُرافق ومِثلهم من الخيول. والأفيال، يجب ألَّا ننسى الأفيال. سفينة قراصنةٍ لا تَصلُح. إننا محتاجون إلى أسطول قراصنةٍ كامل... وحتى إذا وجدنا واحدًا فالأنباء من (خليج النخَّاسين) أن الحصار مفروض على (ميرين)».

حثَّهم جوريس إدوريان قائلًا: «لنتظاهَر بقبول عرضِ اليونكيِّين ونَترُكهم ينقلوننا إلى الشَّرق، ثم نردُّ ذهبهم تحت أسوار (ميرين)».

علَّق هاري ستريكلاند الشَّريد: «اتِّفاق منقوض واحد يكفي لتلويث شَرف جماعتنا»، وأطرقَ لحظةً ممسكًا بقدمه المتقرِّحة بيده، ثم تابعَ: «دعوني أذكِّركم بأن مايلز توين هو من وضعَ ختمه على هذه المعاهدة السرِّيَّة لا أنا. سأفي باتِّفاقه إن استطعتُ، لكن كيف؟ يبدو جليًا لي أن ابنة تارجاريَن لن تأتي غربًا أبدًا. (وستروس) كانت مملكة أبيها، و(ميرين) مملكتها. إذا أمكنَها قهر اليونكيِّين فستُصبِح ملكة (خليج النخَّاسين)، وإذا لم تفعل فستموت قبل أن نَبلُغها بكثير».

لم يُفاجئ كلامه جريف. لطالما كان هاري ستريكلاند رجلًا أنيسًا دمثًا، يُجيد صياغة العقود أكثر من سحق الخصوم. إنه موهوب في جني الذَّهب، أمَّا تمتُّعه بالهمَّة لخوض المعركة فمسألة أخرى.

اقترحَ فرانكلين فلاورز: «هناك الطَّريق البرِّي».

- «طريق الشَّياطين يعني الموت. سنفقد نِصف الجماعة بسبب التَّهرُّب إذا حاولنا قطع ذلك الطَّريق، وندفن المتبقِّين على جانبه. يُؤسِفني أن أقولها، لكن ربما لم تُحالِف الماچستر إليريو وأصدقاءه الحكمة حين وضعوا أملًا كبيرًا على هذه الملكة الطِّفلة».

فكَّر جريف: *نعم، لكنهم كانوا في منتهى الغباء حين وضعوا آمالهم عليك.*

في هذه اللَّحظة تكلَّم الأمير إجون قائلًا: «ضعوا آمالكم عليَّ إذن. دنيرس أخت الأمير ريجار، لكنني ابن ريجار. أنا التنِّين الوحيد الذي تحتاجون إليه».

وضعَ جريف يده المقفَّزة بالأسود على كتف الأمير إجون، وقال: «كلام جريء، لكن فكِّر في ما تقول».

قال الفتى بإصرار: «لقد فكّرتُ. لماذا أهرعُ إلى عمّتي كأنني متسوِّل؟ إن دعواي أقوى من دعواها. فلتأتِني هي... في (وستروس)».

ضحكَ فرانكلين فلاورز قائلًا: «يروقني هذا. نُبحِر غربًا لا شرقًا، نَترُك الملكة الصَّغيرة لزيتونها ونضع الأمير إجون على العرش الحديدي. الفتى جريء، أقرُّ بهذا».

بدا القائد العام كأن أحدهم صفعَه على وجهه، وقال: «هل أذابَت الشَّمس مخّك يا فلاورز؟ إننا محتاجون إلى الفتاة، محتاجون إلى الزِّيجة. إذا قبلَت دنيرس أميرنا الصَّغير وأخذَته زوجًا فستقبله (الممالك السَّبع) بدورها. من دونها سيسخر اللوردات من دعواه ويصمونه بالزِّيف والادِّعاء. وكيف تقترح أن نصل إلى (وستروس)؟ أنت سمعت لايسونو. ليست هناك سُفن».

الرَّجل يهاب القتال. كيف اختاروه ليحلَّ محلَّ القلب الأسود؟

قال جريف: «لا سُفن إلى (خليج النخَّاسين). (وستروس) أمر آخَر. الشَّرق هو المغلق أمامنا لا البحر. لا ريب أن القناصل سيُسرُّون لرحيلنا، بل وقد يُساعِدوننا على ترتيب الرِّحلة إلى (الممالك السَّبع). لا مدينة تُريد جيشًا على أعتابها».

قال لايسونو مار: «ليس مخطئًا».

وأضافَ أحد الاثنين كول: «مؤكَّد أن الأسد اشتمَّ رائحة التنِّين بالفعل، لكن انتباه سرسي سيكون منصرفًا إلى (ميرين) والملكة الأخرى. إنها لا تعي شيئًا عن أميرنا. ما إن نرسو ونرفع راياتنا سيتوافَد كثيرون إلينا».

عقَّب هاري الشَّريد: «بعضهم وليس كثيرين. أخت ريجار لديها تنانين، ابن ريجار لا. لسنا نتمتَّع بالقوَّة الكافية لأخذ البلاد دون دنيرس وجيشها، دون جنودها المُطهَّرين».

قال لايسونو مار: «إجون الأول أخذَ (وستروس) دون مخصيِّين، فما الذي يمنع السَّادس من أن يفعلها؟».

- «الخطَّة...».

قاطعَه تريستان ريفرز: «أي خطَّة؟ خطَّة الرَّجل البدين؟ تلك التي تتبدَّل كلَّما دارَ القمر؟ في البدء كان ڤسيرس تارجاريَن هو من سينضمُّ إلينا ووراءه خمسون ألف دوثراكي صارخ، ثم ماتَ الملك الشحَّاذ وأخذَت أخته مكانه، الملكة الطِّفلة الطَّيِّعة التي كانت في طريقها إلى (پنتوس) مع تنانينها التي خرجَت من بيضاتها لتوِّها، وبدلًا من ذلك تظهر الفتاة في (خليج النخَّاسين) مخلِّفةٍ سلسلةً من المُدن المحترقة في أثرها، ويُقرِّر الرَّجل البدين أن نُقابِلها عند (ڤولانتيس). والآن هذه الخطَّة انهارَت أيضًا. لقد اكتفيتُ من خُطط إليريو. روبرت باراثيون ظفرَ بالعرش الحديدي دون تنانين، وبمقدورنا أن نفعل مِثله. وإذا كنتُ مخطئًا ولم تَثُر البلاد من أجلنا فيُمكننا دومًا أن ننسحب عبر (البحر الضيِّق) كما فعلَ الفولاذ الأليم من قبلنا وآخَرون من بعده».

هزَّ ستريكلاند رأسه بعنادٍ قائلًا: «المخاطَرة...».

- «... لم تَعُد كما كانت منذ ماتَ تايوين لانستر. (الممالك السَّبع) لن تكون مهيَّأةً أبدًا للغزو كما هي الآن. على العرش الحديدي يجلس ملك صبي آخَر أصغر من السَّابق، والمتمرِّدون على الأرض أغزر من ورق الشَّجر في الخريف».

قال ستريكلاند: «ولو. وحدنا لا أمل لنا...».

هذه المرَّة قاطعَه جريف الذي اكتفى من جُبن القائد العام: «لن نكون وحدنا. (دورن) ستنضمُّ إلينا، لا مفرَّ من انضمامها إلينا. الأمير إجون ابن إليا مِثلما هو ابن ريجار».

قال الفتى: «صحيح، ومن تبقَّى في (وستروس) ليُعارِضنا؟ امرأة».

ردَّ القائد العام بإصرار: «امرأة من آل لانستر. سيكون قاتِل الملك إلى جانب الحقيرة، لك أن تثق بذلك، وستكون ثروة (كاسترلي روك) كلُّها وراءهما. وإليريو يقول إن الملك الصَّبي خطبَ ابنة تايرل، وهو ما يعني أننا سنُواجِه قوَّة (هايجاردن) أيضًا».

دقَّ لازويل بيك بمفاصل أصابعه على الطَّاولة قائلًا: «حتى بعد قرنٍ كامل ما زالَ لبعضنا أصدقاء في (المرعى). قد لا تكون (هايجاردن) بالقوَّة التي يخالها مايس تايرل».

قال تريستان ريڤرز: «أيها الأمير إجون، نحن رجالك. أهذه رغبتك؟ أن نُبحِر غربًا لا شرقًا؟».

أجابَ إجون بحرارة: «نعم. إذا أرادَت عمَّتى (ميرين) فهنيئًا لها بها. سآخذُ العرش الحديدي بنفسي، بسيوفكم وولائكم. نتحرَّك بسرعةٍ ونُوجِّه ضرباتٍ قويَّة ونُحقِّق بعض الانتصارات السَّهلة قبل أن يُدرِك آل لانستر أننا رسونا في (وستروس) حتى، وهذا ما سيجتذب آخَرين إلى قضيَّتنا».

ابتسمَ ريڤرز باستحسان، وتبادلَ آخَرون نظرات التَّفكير، ثم قال بيك: «أفضِّلُ أن أموت في (وستروس) لا على طريق الشَّياطين»، وقهقهَ مارك ماندريك وأجابَ: «عن نفسي أفضِّلُ العيش ممتلكًا أراضيَ وقلعةً عظيمةً»، وربَّت فرانكلين فلاورز على مقبض سيفه مضيفًا: «ما دمتُ سأقتلُ بعضًا من آل فوسواي فأنا موافق».

وعندما بدأوا جميعًا يتكلّمون في آنٍ واحد عرفَ جريف أن الوضع انعكسَ. *لم أرَ هذا الجانب من إجون قَطُّ*. ليس السَّبيل الحكيم، لكنه تعبَ من الحكمة، سئمَ من الأسرار، ملَّ الانتظار. نصرًا أو هزيمةً، سيرى (وكر الجَرافن) ثانيةً قبل أن يموت، ويُدفَن إلى جوار أبيه.

واحدًا تلو الآخَر نهضَ رجال الجماعة الذَّهبيَّة وركعوا ووضعوا سيوفهم عند قدمَي الأمير الصَّغير، آخِرهم هاري ستريكلاند بقدميه المتقرِّحتين.

كانت الشَّمس تَصبُغ سماء الغرب بالحُمرة وتُلوِّن الجماجم المذهَّبة على أوتادها بالقرمزي حين انصرفوا من خيمة القائد العام. عرضَ فرانكلين فلاورز أن يأخذ الأمير في جولةٍ في أنحاء المعسكَر ويُقدِّمه لبعض مَن دعاهم بالفِتية، فوافق جريف، وقال: «لكن تذكَّر، على حدِّ علم الجماعة يجب أن يبقى جريف الصَّغير حتى نَعبُر (البحر الضيِّق). في (وستروس) سنغسل شَعره وندعه يرتدي درعه».

- «أجل، مفهوم»، ووضعَ فلاورز يده على ظَهر الفتى قائلًا: «تعالَ معي. سنبدأ بالطُّهاة. إنهم رجال صالحون معرفتهم مفيدة».

بعد ذهابهما التفتَ جريف إلى النِّصف مِايستر، وقال: «اركب إلى (العذراء الخجول) وعُد بالليدي ليمور والسير رولي. سنحتاج إلى صناديق إليريو أيضًا. كلُّ الأموال وكلُّ الدُّروع. بلِّغ ياندري ويسيلا شُكرنا. لقد انتهى دورهما. لن ننساهما حين يفوز سموُّ الأمير بمملكته».

- «كما تأمر يا سيِّدي».

تركَه جريف هناك، ودخلَ الخيمة التي خصَّصها له هاري الشَّريد.

يعلم أن الطَّريق أمامهم محفوف بالمخاطر، ولكن ماذا في هذا؟ كلُّ البَشر يُدرِكهم الموت. إنه لا يَطلُب إلَّا الوقت. لقد انتظرَ طويلًا جدًّا، ومؤكَّد أن الآلهة ستمنحه بضعة أعوامٍ إضافيَّة، ما يكفي من الوقت لرؤية الفتى الذي دعاه بابنه على العرش الحديدي، لاسترداد أراضيه، واسمه، وشَرفه، لإخراس الأجراس التي يُدوِّي رنينها الصَّاخب في أُذنيه متى أغمضَ عينيه لينام.

وحده في الخيمة، وبينما سطعَت خيوط أشعَّة الشَّمس الذَّهبيَّة والقرمزيَّة عبر السَّديلة المفتوحة، خلعَ چون كوننجتون معطف فرو الذِّئاب وقميصه المعدني، ثم استقرَّ على مقعدٍ وخلعَ قُفَّاز يده اليُمنى. استحالَ ظُفر وُسطاه إلى الأسود الحالك بالفعل، وزحفَ الرَّمادي حتى مفصل الإصبع الأول تقريبًا، وبدأت أنملة إصبع الخاتم تسودُّ أيضًا، ولمَّا مسَّها برأس خنجره لم يَشعُر بشيء.

الموت، ولكن ببُطء. ما زالَ عندي وقت. عام، عامان، خمسة. بعض المتحجِّرين يعيش عشرةً. وقت يكفي لعبور البحر، لرؤية (وكر الجَرافن) ثانيةً، لاستئصال شأفة الغاصِب إلى الأبد ووضع ابن ريجار على العرش الحديدي.

وبعدها بإمكان چون كوننجتون أن يموت راضيًا.

عصفَ النَّبأ بالمعسكَر كالرِّيح السَّاخنة. *إنها قادمة، جيشها يزحف، تنطلق جنوبًا إلى (يونكاي) لتُضرِمِ النَّار في المدينة وتُبيد اهلها، وسنذهب شمالًا للقائها.*

سمعَه الضِّفدع من ديك سترو، الذي سمعَه من بيل بون العجوز، الذي سمعَه من پنتوشي اسمه ميريو ميراكيس، الذي سمعَه من ابن عمِّه ساقي أمير الأسمال، وأكَّد ديك سترو قائلًا: «ابن العمِّ سمعَه في خيمة القيادة من كاجو شخصيًّا. سنتحرَّك قبل نهاية اليوم، سترى».

وقد كان. جاءَ الأمر من أمير الأسمال عن طريق قادته ورُقبائه: فكُّوا الخيام، حمِّلوا البغال بالعتاد، جهِّزوا الخيول، سنزحف إلى (يونكاي) مع مطلع الفَجر. قال له باك رامي النُّشَّابيَّة المايري الأحول الذي يعني اسمه «بُقول» بلُغته: «ولو أن هؤلاء اليونكيِّين الأوغاد لن يرغبوا في وجودنا داخل مدينتهم الصَّفراء نتشمَّم بناتهم. سنَحصُل على المؤن من (يونكاي)، وربما خيول جديدة، ثم إلى (ميرين) لنَرقُص مع ملكة التَّنانين، فتوثَّب بسرعةٍ أيها الضِّفدع واشحذ سيف سيِّدك جيِّدًا، فقد يحتاج إليه قريبًا».

في (دورن) كان كوينتن مارتل أميرًا، وفي (ڤولانتيس) خادم تاجر، لكن على شواطئ (خليج النخَّاسين) هو الضِّفدع فحسب، مُرافق الفارس الدورني الأصلع الكبير المسمَّى المُصران الأخضر. يستخدم رجال جماعة المذروِّين ما يُريدون من مختلِف الأسماء الغريبة ويُغيِّرونها متى عنَّ لهم، وقد ثبَّتوا عليه اسم الضِّفدع لأنه يثب بسرعةٍ شديدة كلَّما رفعَ الرَّجل الكبير عقيرته بأمرٍ ما.

حتى قائد المذرؤين يحتفظ باسمه الحقيقي لنفسه. بعض الجماعات الحُرَّة وُلِدَ خلال قرن الدِّماء والفوضى الذي تبعَ هلاك (ڤاليريا)، وبعضها كُوِّن بالأمس وسيختفي غدًا، أمَّا المذرؤون فيرجع تاريخهم ثلاثين عامًا، ولم يعرفوا إلَّا قائدًا واحدًا هو النَّبيل الپنتوشي رقيق اللِّسان حزين العينين المدعو بأمير الأسمال. شَعر الرَّجل رمادي فضِّي كقميصه المعدني، لكن معطفه الرَّث مفصَّل من القُماش المجدول من شتَّى الألوان، أزرق ورمادي وأرجواني، وأحمر وذهبي وأخضر، وأحمر أرجواني وقرمزي ولازوردي، كلُّها أبهتَته الشَّمس. تقول القصَّة التي حكاها ديك سترو إنه عندما كان أمير الأسمال في الثَّالثة والعشرين انتخبَه ماچسترات (پنتوس) أميرهم الجديد بعد ساعاتٍ من قطعهم رأس الأمير السَّابق، لكنه بدلًا من القبول تمنطقَ بحزام سيفه وامتطى جواده المفضَّل وفرَّ إلى (أراضي النِّزاع) بلا رجعة، وبعدها ركبَ مع الأبناء الثَّانين والتُّروس الحديد ورجال العذراء، ثم اشتركَ مع خمسة إخوةٍ في السِّلاح في تكوين المذرؤين، وهو الوحيد النَّاجي من المؤسِّسين السِّتَّة.

لا يدري الضِّفدع إن كان شيء من هذا صحيحًا. منذ انضمامهم إلى المذرؤين في (ڤولانتيس) لم يرَ أمير الأسمال إلَّا من بعيد، فالدورنيُّون وافدون جُدد، مجنَّدون حديثون، طُعمة للسِّهام، ثلاثة وسط ألفين، ومن يحتفظ بهم قائدهم حوله أسمى منزلةً. كان كوينتن قد قال محتجًّا لجيريس درينكووتر الذي اقترحَ الخُدعة: «لستُ مُرافقًا. لقد استحقَقتُ فُروسيَّتي في (دورن). إنني فارس مِثلك تمامًا». يُعرَف جيريس هنا بچيرولد الدورني، للتَّمييز بينه وبين چيرولد ردباك وچيرولد الأسود، وأحيانًا يدعونه بدرينك منذ زلَّ الرَّجل الكبير وناداه بهذا الاسم.

لكن جيريس كان محقًّا. إنه وآرش هنا لحماية كوينتن، ومعنى هذا أن يبقى إلى جانب الرَّجل الكبير، وهو ما أوضحَه درينك بقوله: «آرش أفضل مُقاتلٍ بين ثلاثتنا، لكن أنت وحدك من له أمل في الزَّواج بملكة التَّنانين».

أتزوَّجها أو أقاتلها، في كلتا الحالتين سأواجهها قريبًا. كلَّما سمعَ كوينتن المزيد عن دنيرس تارجاريَن ازدادَ تخوُّفه من اللِّقاء. يدَّعي اليونكيُّون أنها تُطعِم تنانينها اللَّحم البَشري وتستحمُّ في دماء العذارى لتبقى بشرتها غضَّةً ملساء، وهو ما ضحكَ منه بُقول وإن استمتعَ رغم ذلك بحكايات انحلال الملكة الفضِّيَّة. في مرَّةٍ أخبرَهم: «أحد قادتها ينحدر من سُلالةٍ لذكورها أعضاء طولها قدم كامل، لكن حتى هو ليس كبيرًا كفايةً لها. لقد ركبَت مع الدوثراكي وتعوَّدت أن ينكحها الفحول، أي أن لا رجل يستطيع أن يُشبِعها أبدًا». كما أن كُتب، المُبارز القولانتيني الذَّكي الذي لا يُرى إلَّا بأنفه مدسوسًا في مخطوطةٍ قديمة ما، يظنُّ أن ملكة التَّنانين سفَّاحة مجنونة. «گالها قتلَ أخاها ليجعلها ملكةً، ثم قتلَت هي گالها لتجعل نفسها الگاليسي. إنها تُقدِّم قرابين الدَّم، وتكذب كما تتنفَّس، وتنقلب على أعوانها دون سابق إنذار. لقد خرقَت الهُدن وعذَّبت المبعوثين... وأبوها كان مجنونًا أيضًا. الجنون يجري في دمها».

يجري في دمها. (وستروس) كلُّها تعلم أن الملك إيرس الثَّاني كان مجنونًا حقًّا، نفى اثنين من أيديه وأحرقَ واحدًا ثالثًا. *إذا كانت دنيرس دمويَّةً كأبيها أفما زالَ عليَّ أن أتزوَّجها؟* لم يَذكُر الأمير دوران هذا الاحتمال قَطُّ.

سيسعد الضِّفدع لوضع (أستاپور) وراءه، فالمدينة الحمراء أقرب شيءٍ عرفَه على الإطلاق إلى الجحيم. سدَّ اليونكيُّون البوَّابة المحطَّمة ليحبسوا الموتى والمحتضرين داخل المدينة، لكن المشاهد التي رآها كوينتن مارتل وهو راكب في تلك الشَّوارع القرميد الحمراء ستَسكُن مخيِّلته إلى الأبد. النَّهر المخنوق بالجُثث، والكاهنة في ردائها الممزَّق مرفوعةً على خازوق وتحوم حولها سحابة من الذُّباب الأخضر اللَّامع، والأموات يترنَّحون في الشَّوارع دامين متَّسخين، والأطفال يتشاجَرون على الجِراء المشويَّة نِصف النَّاضجة، وآخِر ملكٍ حُر لـ(أستاپور) يَصرُخ عاريًا في الجُبِّ إذ أطلَقوا عليه عشرين كلبًا جائعًا... والنِّيران، النِّيران في كلِّ مكان. إذا أغمضَ عينيه فما زالَ بإمكانه أن يراها، اللَّهب يدور من أهراماتٍ قرميد أضخم من أيِّ قلعةٍ وقعَ بصره عليها، وأعمدة الدُّخان الزَّهم تتلوى إلى أعلى كثعابين سوداء هائلة.

حينما تهبُّ الرِّيح من الجنوب يشمُّون رائحة الدُّخان في الهواء هنا من بُعد ثلاثة أميال من المدينة. وراء أسوارها القرميد الحمراء المتفتِّتة لا تزال (أستاپور) تحترق بلا لهب، ولو أن أكثر الحرائق الكُبرى انطفأ بالفعل، والآن تسبح ذرَّات الرَّماد في النَّسيم كنُدف ثلجٍ رماديَّة كبيرة. الرَّحيل خير حقًّا.

وهو ما أيَّده فيه الرَّجل الكبير قائلًا: «أخيرًا!». كان الضِّفدع قد وجدَه يلعب النَّرد مع بُقول وكُتب وبيل بون العجوز ويخسر مرَّةً أخرى. يحبُّ المرتزِقة المُصران الأخضر الذي يُراهِن بحميَّةٍ كما يُقاتِل، ولكن بنسبة نجاحٍ أقل بكثير. «أريدُ درعي أيها الضِّفدع. هل كشطت الدَّم عن قميصي المعدني؟».

- «أجل يا سيِّدي». قميص المُصران الأخضر المعدني قديم ثقيل، مرقَّع عدَّة مرَّات وبالٍ إلى حدٍّ كبير، وكذا خوذته وواقي عُنقه وواقي ساقيه وقُفَّازه المعدني وبقيَّة درعه المتنافرة. عُدَّة الضِّفدع أفضل ولكن قليلًا، وعُدَّة السير جيريس أسوأ بكثير. سمَّاه صانع السِّلاح فولاذ الجماعة، ولم يسأل كوينتن كم رجلًا تدرَّع به من قبله وكم رجلًا ماتَ وهو يرتديه. كانوا قد تخلُّوا عن دروعهم الفاخرة في (ڤولانتيس)، ومعها ذهبهم وأسماؤهم الحقيقيَّة. الفُرسان الأغنياء أبناء العائلات العريقة لا يَعبُرون (البحر الضيِّق) ليرتزِقوا بسيوفهم ما لم يكونوا منفيِّين عقابًا على مخزاةٍ ما. حين شرحَ جيريس الخُدعة لهما أعلنَ كوينتن: «أفضِّلُ التَّظاهُر بأني فقير لا شرِّير».

استغرقَ المذروُّون أقل من ساعةٍ في حلِّ معسكَرهم، وأعلنَ أمير الأسمال بدء تحرُّكهم من على صهوة جواده الحربي الضَّخم بالڤاليريَّة الفُصحى الكلاسيكيَّة، التي تعدُّ أقرب شيءٍ للُغةٍ موحَّدة للجماعة. عجيزة فحله المرقَّطة مغطَّاة بشرائط القُماش المهترئة الممزَّقة من سُترات الرِّجال الذين قتلَهم سيِّده، ومعطف الأمير مفصَّل من خِرقٍ مشابهة. رجل مسنٌّ هو، تجاوزَ السِّتين، لكنه لا يزال يجلس طويل القامة مشدودها على سَرجه العالي، وما زالَ صوته قويًّا يصكُّ مسامع كلِّ رجلٍ في الميدان. قال الأمير: «(أستاپور) كانت مجرَّد عيِّنة، لكن (ميرين) ستكون الوليمة»، وانفجرَ المرتزِقة في التَّهليل. من رماحهم تُرَفرِف شرائط من الحرير الأزرق الباهت، وتخفق فوق رؤوسهم رايات المذروِّين مشقوقة الذُّيول بلونيها الأزرق والأبيض.

هتفَ ثلاثة الدورنيِّين مع الآخَرين لأن صمتهم كان ليجذب الانتباه، ولكن إذ ركبَ المذروُّون شمالًا على الطَّريق السَّاحلي على مسافةٍ قصيرة وراء ذي اللِّحية الدَّمويَّة وجماعة القِطّ انضمَّ الضِّفدع إلى چيرولد الدورني وقال بعاميَّة (وستروس): «قريبًا، يجب أن نفعلها قريبًا». في الجماعة وستروسيُّون آخَرون، لكنهم ليسوا كثيرين، وليسوا قريبين.

ردَّ جيريس بابتسامة ممثِّلٍ خاوية: «ليس هنا. سنتكلَّم اللَّيلة حين نُخيِّم».

بين (أستاپور) و(يونكاي) مئة فرسخ على الطَّريق الجيسكاري السَّاحلي القديم، وخمسون فرسخًا أخرى من (يونكاي) إلى (ميرين). تستطيع الجماعات الحُرَّة بخيولها القويَّة بلوغ (يونكاي) خلال ستَّة أيامٍ من الرُّكوب الحثيث أو ثمانيةٍ بحركةٍ أكثر اتِّئادًا، فيما ستستغرق فيالق (جيس الجديدة) مرَّةً ونِصف المُدَّة في الحركة سيرًا على الأقدام، أمَّا اليونكيُّون وجنودهم العبيد... فإنها «أعجوبة ألَّا يغوصوا في البحر تحت قيادة ألويتهم هؤلاء» على حدِّ تعبير بُقول.

لا يفتقر اليونكيُّون إلى القادة. القيادة العُليا لبطلٍ عجوز اسمه يوركاز زو يونزاك، ولو أن رجال المذروِّين لمحوه من بعيدٍ فحسب، يأتي ويذهب في هودجٍ فائق الضَّخامة يتطلَّب حمله أربعين عبدًا دُفعةً واحدةً.

لكن لا مفرَّ من رؤيتهم مرؤوسيه، فاللوردات اليونكيُّون الصِّغار يهرعون في كلِّ مكانٍ كالصَّراصير. يبدو أن نِصفهم اسمه جازدان أو جرازدان أو مازدان أو جازناك، لكن التَّمييز بين اسمٍ جيسكاري وآخَر فنٌّ لا يُتقِنه إلَّا قلائل من المذروِّين، وهكذا أطلَقوا عليهم ألقابًا ساخرةً من تأليفهم.

أبرزهم الحوت الأصفر، رجل مفرط في البدانة يرتدي دومًا توكارات صفراء موشّاة بالشّراريب الذّهبيّة. الرَّجل أثقل من أن يقف مجرَّد الوقوف دون عون، ولا يستطيع أن يحبس ماءه فتفوح منه دائمًا رائحة البول، رائحة نفّاذة لدرجة أن عطوره الفاغمة لا تستطيع إخفاءها. وعلى الرغم من هذا يُقال إنه أثرى رجلٍ في (يونكاي)، وإنه يهوى المخلوقات الغريبة. يضمُّ عبيده صبيًا له ساقا وحافرا كبش، وامرأةً ملتحيةً، ووحشًا برأسين من (مانتاريس)، بالإضافة إلى خُنثى تُدفِّئ فِراشه ليلًا. كان ديك سترو قد أخبرَهم: «أير وفرج في آنٍ واحد. كان الحوت يملك عملاقًا أيضًا، وأحبَّ أن يُشاهِده ينكح أماته، ثم ماتَ العملاق. سمعتُ أن الحوت سيمنح جوالًا من الذَّهب مقابل واحدٍ جديد».

ثم إن هناك اللِّواء الفتاة، التي تركب حصانًا أبيض له لبدة حمراء وتقود مئةً من الجنود العبيد فارعي القامة متيني البنيان استولدَتهم ودرَّبتهم بنفسها، جميعهم يافع نحيل مفتول العضلات، عُراة إلّا من مئزرٍ ومعطفٍ أصفر وتروسٍ برونزيّة طويلة مزيَّنة بالنُّقوش الخلاعيَّة. لا تتعدَّى سيِّدتهم السَّادسة عشرة من العُمر، وتخال نفسها دنيرس تارجاريَن اليونكيَّة.

الحمامة الصَّغيرة ليس قزمًا بالضَّبط، ولكن قد يحسبه المرء كذلك في إضاءةٍ سيِّئة، ومع ذلك يمشي مختالًا كأنه عملاق، مباعدًا بين ساقيه الممتلئتين الصَّغيرتين ونافخًا صدره الممتلئ الصَّغير. جنوده أطول من رآهم المذروُّون على الإطلاق، أقصرهم يَبلُغ الأقدام السَّبعة وأطولهم أدنى إلى الثَّمانية، وكلُّهم طوال الوجوه طوال السِّيقان، وتجعلهم الأرجُل الخشبيَّة المثبَّتة داخل سيقان دروعهم المنمَّقة أطول وأطول. تُغطِّي جذوعهم الأقراص المطليَّة بالمينا الوردي، وعلى رؤوسهم تجثم خوذات مطوَّلة مزوَّدة بمناقير فولاذيَّة مدبَّبة وعُروف من الرِّيش الوردي الهفهاف، ويضع كلٌّ منهم على وَركه سيفًا مقوَّسًا ويحمل حربةً تُناهِزه طولًا في كلٍّ من طرفيها نصل بشكل ورقة الشَّجر.

أخبرَهم ديك سترو: «الحمامة الصَّغيرة يستولدهم، يشتري العبيد الطِّوال من جميع أنحاء العالم ويُزوِّج الرِّجال بالنِّساء ويختار الأطول قامةً من ذُرِّيَّتهم لبَلشوناته. إنه يأمل أن يتمكَّن ذات يومٍ من الاستغناء عن الأرجُل الخشب».

قال الرَّجل الكبير على سبيل الاقتراح: «بضع جلساتٍ على المِخلعة كفيلة بتسريع العمليَّة».

ضحكَ جيريس درينكووتر قائلًا: «مجموعة مخيفة. لا شيء يُخيفني أكثر ممَّن يمشي على رِجلين خشب مرتديًا الرِّيش والأقراص الورديَّة. إذا طاردَني أحدهم لضحكتُ حتى أفقد السَّيطرة على مثانتي».

قال بيل بون العجوز: «بعضهم يقول إن البَلشون طائر مُلوكي».

- «هذا إذا كان ملكك يأكل الضَّفادع وهو واقف على ساقٍ واحدة».

أضافَ الرَّجل الكبير: «البَلشون طائر جبان. ذات مرَّةٍ كنتُ أصطاد مع درينك وكليتوس وصادَفنا بعض البَلشونات. رأيناها تخوض في المياه الضَّحلة وتأكل أفراخ الضَّفادع والأسماك الصَّغيرة. كان منظرها جميلًا، نعم، لكن صقرًا طارَ من فوقها فحلَّقت جميعًا في الحال كأنها رأت تنّينًا وحرَّكت الهواء بعُنفٍ أسقطَني من فوق حصاني، لكن كليتوس ثبَّت سهمًا إلى وتر قوسه وأصابَ أحدها. كان مذاقه كالبط ولكن ليس دُهنيًّا مِثله».

حتى الحمامة الصَّغيرة وبَلشوناته لا يُدانون سخافة الإخوة الذين يدعوهم المرتزِقة بلوردات الصَّليل. آخِر مرَّةٍ واجهَ جُند (يونكاي) العبيد مُطهَّري ملكة التَّنانين نكصوا وهربوا، وهو ما حدا بلوردات الصَّليل إلى ابتكار حيلةٍ تحول دون تكرار هذا، فسلسَلوا جنودهم معًا في مجموعاتٍ من عشرة، معصمًا إلى معصمٍ وكاحلًا إلى كاحل، وهو ما فسَّره ديك سترو ضاحكًا: «لا أحد من الأوباش المساكين يستطيع الفرار ما لم يفرُّوا جميعًا، وإذا فرُّوا جميعًا فلن يبتعدوا كثيرًا».

علَّق بُقول: «والملاعين لا يتحرَّكون بسرعةٍ كذلك. يُمكنك سماع صليلهم من بُعد عشرة فراسخ».

وهناك المزيد ممَّن هُم على القدر ذاته من الجنون أو أسوأ؛ اللورد الزَّجراج، والغازي السكِّير، وسيِّد الوحوش، ووجه العجين، والأرنب، والحوذي، والبطل المعطَّر. بعضهم تحت إمرته عشرون جُنديًّا وبعضهم مئتان أو ألفان من العبيد الذين درَّبوهم وزوَّدوهم بالمعدَّات بأنفُسهم. جميعهم ثري، جميعهم متغطرس، وجميعهم قائد لا يُؤاخِذه على شيءٍ أحد إلَّا يوركاز زو يونزاك شخصيًّا، يحتقرون المرتزِقة ويجنحون إلى الانهماك في شجاراتٍ مبهَمة لا نهائيَّة على الأفضليَّة.

في الوقت الذي استغرقَه المذروُّون في قطع ثلاثة أميال تخلَّف اليونكيُّون عنهم ميلين ونِصفًا، وهو ما دفعَ بُقول إلى أن يقول بتذمُّر: «قطيع من الحمقى الصُّفر كريهي الرَّائحة. ما زالوا لم يُدرِكوا لماذا تركَهم غِربان العاصفة والأبناء الثَّانون وانضمُّوا إلى ملكة التَّنانين».

قال كُتب: «يعتقدون أن الذَّهب السَّبب. لماذا تحسبهم ينقدوننا أجورًا باهظةً؟».

ردَّ بُقول: «الذَّهب جميل لكن الحياة أجمل. مَن رقصنا معهم عند (أستاپور) مُعاقون. هل تُريد أن تُواجِه المُطهَّرين الحقيقيِّين وهؤلاء إلى جانبك؟».

قال الرَّجل الكبير: «لقد قاتَلنا المُطهَّرين عند (أستاپور)».

- «قلتُ المُطهَّرين الحقيقيِّين. قطع خصيتَي صبيٍّ ما بساطور جزَّار وإعطاؤه قبَّعةً مدبَّبةً لا يجعله مُطهَّرًا. ملكة التَّنانين لديها الشَّيء الحقيقي، النَّوع الذي لا ينتابه الفزع ويفرُّ عندما تضرط في اتِّجاهه».

- «هُم والتَّنانين أيضًا». قالها ديك سترو ورفعَ ناظريْه إلى السَّماء كأنما يحسب أن مجرَّد ذِكر التَّنانين خليق بأن يجعلها تهجم على الجماعة. «تأكَّدوا من شحذ سيوفكم يا أولاد. سنخوض قتالًا حقيقيًّا قريبًا».

فكَّر الضِّفدع: *قتال حقيقي، والتصقَت الكلمة بحوصلته*. القتال أسفل أسوار (أستاپور) بدا له حقيقيًّا تمامًا، لكنه يعلم أن المرتزِقة لا يظنُّون هذا. لاحقًا سمِعَ الشَّاعر المُحارب دنزو داهان يُعلِن. «كانت تلك مجزرةً لا معركة». دنزو قائد مرَّسته مئة معركة، أمَّا الضِّفدع فخبرته مقتصرة على ساحة التَّدريب ومضمار النِّزال، ولذا لا يحسب نفسه أهلًا لمجادَلة مُحاربٍ مخضرَم كهذا في حُكمه.

لكنها بدَت كالمعركة حين بدأت. تذكَّر كيف تقلَّصت معدته لمَّا أيقظَه الرَّجل الكبير بركلةٍ في الفَجر ووقفَ فوقه قائلًا بصوتٍ جهوري: «في درعك أيها الكسول. الجزَّار خارجٌ يُقاتِلنا. انهض ما لم تكن تُريد أن تكون لحمًا يُقطِّعه».

اعترضَ الضِّفدع بنُعاس: «الملك الجزَّار ميت». هذه هي القصَّة التي سمعوها عندما نزلوا من السُّفن التي حملَتهم من (ڤولانتيس القديمة)، ويُفترَض أن كليون ثانيًا أخذَ التَّاج وماتَ بدوره، والآن تَحكُم الأستاپوريِّين عاهرة وحلَّاق مجنون يتقاتَل أتباعهما للسَّيطرة على المدينة.

ردَّ الرَّجل الكبير: «ربما كذبوا، أو أنه جزَّار آخَر. ربما عادَ الأول يَصرُخ من مقبرته ليَقتُل بعض اليونكيِّين. لا يهمُّ. ارتدِ درعك!». كانت الخيمة تتَّسع لعشرة، وقد نهضوا جميعًا بالفعل، يرتدون سراويلهم وينتعلون أحذيتهم، ويدسُّون أنفُسهم في سُتراتٍ طويلة من الحلقات المعدنيَّة، ويُثبِّتون واقيات الصُّدور ويُوثِقون أربطة واقيات السِّيقان والسَّواعد، ويتناوَلون الخُوذ والحِراب وأحزمة السُّيوف. أول من ارتدى درعه كاملةً جيريس بسرعته المعتادة، وسرعان ما لحقَ به آرش، ومعًا ساعَدا كوينتن على وضع عدَّته.

من بُعد ثلاثمئة ياردة كان مُطهَّرو (أستاپور) الجُدد يتدفَّقون من بوَّابتهم ويُشكِّلون صفوفهم أسفل أسوار مدينتهم القرميد الحمراء، يتألَّق ضوء الفَجر على خوذاتهم البرونز المدبَّبة ورؤوس حِرابهم الطَّويلة.

اندفعَ الدورنيُّون الثَّلاثة من الخيمة معًا لينضمُّوا إلى المُقاتلين المهرعين إلى صفوف الخيول. *المعركة*. تمرَّن كوينتن على الحربة والسَّيف والتُّرس منذ تعلَّم المشي، لكن ذلك لا يعني شيئًا الآن. ابتهلَ الضِّفدع: *امنحني القوَّة أيها (المُحارب)*، فيما دقَّت الطُّبول من بعيد، *بووم بووم بووم بووم بووم*. أشارَ له الرَّجل الكبير إلى الملك الجزَّار الجالس طويلًا متيبِّسًا على صهوة حصانه المدرَّع في بِزَّةٍ من الأقراص النُّحاس تسطع لمعتها في شمس الصُّبح. يَذكُر كيف اتَّخذ جيريس وضع القتال قبل أن تبدأ المعركة مباشرةً وقال له: «ابقَ قريبًا من آرش مهما حدثَ. تذكَّر أنك الوحيد منا الذي يستطيع الفوز بالفتاة». عندئذٍ كان الأستاپوريُّون يتقدَّمون.

حيًّا أو ميتًا، باغتَ الملك الجزَّار الأسياد الحُكماء بالهجوم. كان اليونكيُّون ما زالوا ينطلقون هنا وهناك في توكاراتهم المرفرِفة محاولين تنظيم جُنودهم العبيد ناقصي التَّدريب قدر الإمكان، وفي الآن نفسه هوت حِراب المُطهَّرين على خطوط الحصار. لولا حُلفاء الأسياد الحُكماء وأجيروهم المحتقَرون لاكتسحَهم العدوُّ، لكن رجال المذروِّين وجماعة القِطّ امتطوا خيولهم خلال دقائق معدودة وانقضُّوا كالرَّعد على جانبَي الأستاپوريِّين، في الوقت نفسه الذي تقدَّم فيه أحد فيالق (جيس الجديدة) عبر المعسكَر اليونكي من الجانب الآخَر وواجهَ المُطهَّرين حربةً بحربةٍ وتُرسًا بتُرس.

وما تلا هذا مذبحة، لكن هذه المرّة كان الملك الجزّار ضحيّة السّاطور. كاجو هو من فتكَ به أخيرًا، شقّ طريقه قتالًا عبر حُماة الملك على جواده الحربي الهائل وشقّ جسد كليون العظيم من الكتف إلى الوَرك بضربةٍ واحدة من أراخه الڤاليري. لم يشهد الضِّفدع ذلك بنفسه، لكن من رأوه يدّعون أن درع كليون النّحاس انشقّت كالحرير، ومن الدّاخل أتَت رائحة شنيعة وخرجَت مئات من ديدان القبر تتلوّى. اتّضح أن كليون كان ميتًا بالفعل، لكن الأستاپوريّين اليائسين نبشوا مقبرته وأخرَجوا جُثمانه وألبَسوه درعه وربطوه إلى حصانٍ على أمل أن يُشجّع منظره مُطهّريهم.

كتبَ سقوط كليون الميت نهاية ذلك الأمل. ألقى المُطهّرون الجُدد حِرابهم وتروسهم وفرّوا، فقط ليجدوا بوّابة (أستاپور) مغلقةً من خلفهم، ولعبَ الضِّفدع دوره في المذبحة التي تبعَت هذا وانطلق بحصانه يدوس المخصيّين المرعوبين مع رجال الجماعة الآخَرين. ركبَ مسرعًا إلى جوار الرّجل الكبير يضرب بسيفه ذات اليمين وذات الشّمال إذ اخترقوا المطهّرين كرأس الحربة، وحين انبثقوا من الجانب الآخَر دارَ بهم أمير الأسمال وقادَهم عبرهم ثانيةً. بدأ الضِّفدع الآن فقط يتذكّر أنه ألقى نظرةً مدقّقةً على الوجوه تحت الخُوذ البرونز المدبّبة، وأنه أدركَ أن أكثرهم لا يتعدّاه في السّنّ. فكّر: *صِبية خُضر يَصرُخون منادين أمّهاتهم*، لكنه رغم ذلك قتلَهم، وحين غادرَ ميدان المعركة أخيرًا كانت الدّماء تكسو سيفه بالحُمرة وذراعه متعَبةٌ يستطيع بالكاد أن يرفعها.

ومع ذلك لم يكن قتالًا حقيقيًا. القتال الحقيقي سيشتعل قريبًا، ويجب أن نرحل قبلها وإلّا وجدنا أنفسنا نُقاتِل مع الجانب الخطأ.

خيَّم المذروُّون اللَّيلة على ساحل (خليج النخَّاسين). وقعَت مناوَبة الحراسة الأولى في نصيب الضِّفدع وأُرسِلَ لحراسة صفوف الخيول، وهناك انضمَّ إليه جيريس بُعيد غروب الشَّمس فيما بدأ الهلال يُضيء صفحة الماء.

قال كوينتن: «المفترَض أن يكون الرَّجل الكبير هنا أيضًا».

قال جيريس: «ذهبَ يبحث عن بيل بون العجوز ويخسر ما تبقَّى من فضَّته. لنَترُكه خارج الأمر. سيفعل ما نقوله، مع أنه لن يُعجِبه كثيرًا».

- «نعم». أشياء كثيرة في الأمر لا تُعجِب كوينتن نفسه. الإبحار على سفينةٍ مكتظَّة بالمُسافرين تتقاذَفها الرِّيح والبحر البراح، وأكل الخُبز الجامد المسوَّس، وشُرب الرَّم الأسود القطراني ليغيب في عوالم النِّسيان الجميلة، والنَّوم على أكوام القشِّ العفِن فيما تملأ منخريه روائح الغُرباء... كلُّ هذا توقَّعه عندما وضعَ علامته على قطعة الورق في (ڤولانتيس) متعهِّدًا بسيفه لخدمة أمير الأسمال لمدَّة سنة. هذه مشاق محتمَلة، عماد المُغامرات كلِّها.

لكن ما عليهم أن يفعلوه لاحقًا خيانة بيِّنة. لقد جلبَهم اليونكيُّون من (ڤولانتيس القديمة) ليُقاتِلوا مع المدينة الصَّفراء، لكن الدورنيِّين ينوون الخروج عليهم والانضمام إلى الطَّرف الآخَر، ومعنى هذا بالضَّرورة أن يتخلُّوا عن إخوتهم في السِّلاح. ليس المذروُّون بالرِّفاق الذين كان كوينتن لينتقيهم، لكنه عبرَ معهم البحر وتقاسمَ طعامهم وشرابهم وقاتلَ إلى جانبهم وتبادلَ الحكايات مع القِلَّة التي يفهم كلامها... وإذا كانت كلُّ حكاياته أكاذيب فهذا هو ثَمن الرِّحلة إلى (ميرين).

ليست بوسيلةٍ تُوصَف بالشَّرف. هكذا نبَّههما جيريس في (بيت التُّجَّار).

قال كوينتن وهما سائران بين الخيول: «قد تكون دنيرس في منتصَف الطَّريق إلى (يونكاي) الآن ووراءها جيش».

قال جيريس: «ربما، لكنها ليست قادمةً. سمعنا كلامًا كهذا من قبل. كان الأستاپوريُّون على يقين بأنها ستأتي جنوبًا بتنانينها لتكسر الحصار، ولم تأتِ وقتها، ولن تأتي الآن».

- «لا يُمكننا الجزم بهذا. يجب أن نُغادِر قبل أن نجد أنفُسنا نُقاتِل المرأة التي أُرسِلتُ أتودَّدُ إليها».

- «انتظر حتى (يونكاي)»، وأشارَ جيريس إلى التِّلال متابعًا: «هذه الأراضي تنتمي إلى اليونكيِّين. لا أحد سيقبل أن يُطعِم ويُؤوي ثلاثة متهرِّبين، أمَّا شمال (يونكاي) فمنطقة لا تتبع أحدًا».

ليس مخطئًا، وعلى الرغم من هذا ظلَّ كوينتن قلِقًا، وقال: «الرَّجل الكبير كوَّن صداقاتٍ عدَّة. إنه يعرف أن الخطَّة كانت دائمًا أن نتسلَّل ونذهب إلى دنيرس، لكنه لن يستريح لفكرة التَّخلِّي عن رجالٍ قاتلَ معهم. إذا انتظرنا أطول من اللَّازم فسيَشعُر كأننا نتهرَّب منهم عشيَّة المعركة، ولن يفعل ذلك أبدًا. إنك تعرفه كما أعرفه».

- «إنه تهرُّب بغضِّ النَّظر عن حينه، وأمير الأسمال يستقبِح المتهرِّبين. سيُرسِل وراءنا صيَّادين، وليحمِنا (السَّبعة) جميعًا إذا قبضوا علينا. إذا كنا محظوظين فسيكتفون ببتر قدمٍ ليضمنوا عدم هروبنا ثانيةً، وإذا لم يُحالِفنا الحظُّ فسيُعطوننا لميريس الحسناء».

ألجمَ قوله الأخير كوينتن. ميريس الحسناء تُخيفه. إنها امرأة وستروسيَّة، لكنها أطول منه قامةً، بينها وبين الأقدام الستَّة طول إبهامه، وبعد عشرين عامًا وسط الجماعات الحُرَّة لم يتبقَّ لها أيُّ حُسنٍ من الدَّاخل أو الخارج.

أمسكَه جيريس من ذراعه قائلًا: «لننتظر بضعة أيامٍ أخرى فقط. لقد قطعنا نِصف العالم، فاصبر بضعة فراسخ إضافيَّة. في مكانٍ ما شمال (يونكاي) سنجد فُرصتنا».

قال الضِّفدع: «ما دامَ هذا رأيك»... لكن في هذه المرَّة النَّادرة كانت الآلهة تسمع، وحانَت فُرصتهم في وقتٍ أقرب كثيرًا.

بعد يومين توقَّف هيو هنجرفورد بحصانه أمام بؤرة نارهم قائلًا: «أيها الدورني، أنت مطلوب في خيمة القيادة».

سألَه جيريس: «أيُّنا؟ كلُّنا دورنيُّون».

- «كلُّكم إذن». هنجرفورد صارم عابس وله يد مشوَّهة، وكان قيِّم الأجور في الجماعة مُدَّةً، إلى أن ضبطَه أمير الأسمال يسرق من الخزينة وقطعَ ثلاثةً من أصابعه، والآن هو مجرَّد رقيب.

ما الأمر يا تُرى؟ حتى الآن لم يكن الضِّفدع يتصوَّر أن قائدهم الأعلى يعلم بوجوده من الأصل، لكن هنجرفورد كان قد ابتعدَ بالفعل ولا وقت للأسئلة، ولا يستطيعون إلَّا العثور على الرَّجل الكبير ويُلبُّوا الأمر.

قال كوينتن لصديقيه: «لا تُقرَّا بشيءٍ وتهيَّآ للقتال».

قال الرَّجل الكبير: «إنني متهيِّئ دومًا للقتال».

كان السُّرادق العظيم المصنوع من قُماش الأشرعة الرَّمادي -الذي يحبُّ أمير الأسمال أن يُسمِّيه قلعته القِنَّبيَّة- مزدحمًا عندما وصلَ الدورنيُّون. استغرقَ كوينتن لحظةً واحدةً ليتبيَّن أن معظم الحاضرين من (الممالك السَّبع) أو في عروقهم دماء وستروسيَّة. *منفيُّون أو أبناء منفيِّين*. زعمَ ديك سترو أن في الجماعة زُهاء ستِّين وستروسيًّا، والآن ثُلثهم هنا، بمَن فيهم ديك سترو وهيو هنجرفورد وميريس الحسناء، بالإضافة إلى لويس لنستر ذي الشَّعر الذَّهبي الذي يعدُّ أفضل رُماة الجماعة.

دنزو داهان حاضر أيضًا، وإلى جواره كاجو بجسده الضَّخم، أو كاجو قاتِل الجُثث كما يدعونه الآن، ولكن ليس في وجهه، فالرَّجل سريع الغضب، وسيفه الأسود المقوَّس هذا لا يقلُّ خطورةً عن صاحِبه. في العالم مئات من السُّيوف القاليريَّة الطَّويلة، أمَّا الأراخات القاليريَّة فمعدودة. لا كاجو ولا داهان وستروسي، لكن كلاهما قائد رفيع المكانة عند أمير الأسمال. *ذراعاه اليُمنى واليُسرى. شيء جسيم يَحدُث*.

بادرَ أمير الأسمال بالكلام إذ قال: «الأوامر أتَت من يوركاز. يبدو أن الأستاپوريِّين النَّاجين خرجوا من جحورهم. لم يتبقَّ داخل (أستاپور) إلَّا الجُثث، ولذا يتدفَّقون إلى الرِّيف بالمئات وربما بالآلاف، كلُّهم جائع مريض، واليونكيُّون لا يُريدونهم قُرب المدينة الصَّفراء. لقد أُمِرنا بمطاردتهم وتغيير مسارهم، ندفعهم إلى العودة إلى (أستاپور) أو شمالًا إلى (ميرين). إذا أرادَتهم ملكة التَّنانين فلتهنأ بهم. نِصفهم مصاب بالإسهال الدَّموي، وحتى الأصحَّاء أفواه يجب إطعامها».

قال هيو هنجرفورد معترضًا: «(يونكاي) أقرب من (ميرين). ماذا لو لم يُغيِّروا اتِّجاههم يا سيِّدي؟».

- «لهذا تحملون السُّيوف والرِّماح يا هيو، وإن كانت الأقواس تَصلُح أكثر. ابقوا بعيدًا عمَّن تبدو عليهم علامات المرض. سأرسلُ نِصف قُوَّاتنا إلى التِّلال. خمسون دوريَّةً قوام كلٍّ منها عشرون خيَّالًا. ذو اللِّحية الدَّمويَّة وصلَته الأوامر نفسها، أي أن القِططة سيكونون في الميدان أيضًا».

تبادلَ الرِّجال النَّظر وتمتمَ بعضهم بصوتٍ خافت. على الرغم من أن جماعتَي القِطّ والمذروِّين ملتزمتان بعقدٍ مع (يونكاي) الآن فقد تواجَهتا في ميدان المعركة في (أراضي النِّزاع) قبل عامٍ واحد، وما زالَت بين الجماعتين ضغينة. قائد القِططة الوحشي المسمَّى ذو اللِّحية الدَّمويَّة عملاق هدَّار نهِم في حُبِّه للقتل ولا يُخفي احتقاره لـ«المسنِّين لابسي الخِرق».

تنحنحَ ديك سترو، وقال: «معذرةً، لكننا جميعًا من مواليد (الممالك السَّبع) هنا. سيِّدي لم يقسم الجماعة حسب الدَّم أو اللُّغة من قبل، فلِمَ تُرسِلنا معًا؟».

- «سؤال عادل. ستركبون شرقًا إلى عُمق التِّلال، ثم تدورون دورةً واسعةً حول (يونكاي) وتتَّجهون إلى (ميرين). إذا صادَفتم أيَّ أستاپوريِّين فسوقوهم شمالًا أو اقتُلوهم... لكن اعلموا أن تلك ليست الغاية من مهمَّتكم. وراء المدينة الصَّفراء ستلتقون دوريَّات ملكة التِّنانين على الأرجح، الأبناء الثَّانين أو غِربان العاصفة. أيُّهما يَصلُح. انضمُّوا إليهم».

ردَّد الفارس النَّغل السير أورسون ستون: «ننضمُّ إليهم؟ تُريدنا أن ننشقَّ؟».

أجابَ أمير الأسمال: «نعم».

كادَت ضحكة عالية تفلت من كوينتن مارتل. *الآلهة مجنونة*.

اعتدلَ الوستروسيُّون في أماكنهم بتوتُّر، وحدَّق بعضهم إلى كؤوسهم كأنهم يأملون أن يجدوا في نبيذها حكمةً ما، وعقدَ هيو هنجرفورد حاجبيه قائلًا: «هل تحسب أن الملكة دنيرس ستقبلنا...».

- «نعم».

- «... ولكن ماذا إذا فعلَت؟ أنحن جواسيس؟ مغتالون؟ مبعوثون؟! هل تُفكِّر في تبديل فريقك؟».

قال كاجو عابسًا: «هذا قرار أميرنا يا هنجرفورد. دورك أن تفعل ما يُقال لك».

ردَّ هنجرفورد رافعًا يده ذات الإصبعين: «دائمًا».

قال الشَّاعر المُحارب دنزو داهان: «لنكن صُرحاء. اليونكيُّون لا يُوحون بالثِّقة. أيًّا كانت نتيجة هذه الحرب فيجب أن يكون للمذروِّين نصيب في غنائم النَّصر. حكمة من أميرنا أن يُبقي الطُّرق كلَّها مفتوحةً».

قال أمير الأسمال: «ستقودكم ميريس. إنها تعرف خُططي ونيَّتي... وقد يُيسِّر وجود امرأةٍ أخرى أن تتقبَّلكم دنيرس تارجاريَن».

ألقى كوينتن نظرةً إلى الوراء على ميريس الحسناء، ولمَّا وقعَت عيناه على عينيها الباردتين الميتتين اقشعرَّ جِلده. لا يروقني هذا.

علَّق ديك سترو الذي ما زالَت الشُّكوك تُساوِره أيضًا: «ستكون حماقة من الفتاة أن تثق بنا، حتى في وجود ميريس، بل تحديدًا في وجود ميريس. بحقِّ الجحيم، أنا نفسي لا أثقُ بميريس مع أني ضاجعتها بضع مرَّات»، وابتسمَ ابتسامةً عريضةً، لكن أحدًا لم يضحك، لا سيَّما ميريس الحسناء.

قال أمير الأسمال: «أظنُّك مخطئًا يا ديك. كلُّكم وستروسيُّون، أصدقاء من الوطن، تتكلَّمون لُغتها وتَعبُدون آلهتها. وبالنِّسبة إلى الدَّافع فقد تعرَّضتم جميعًا للأذى على يدي. ديك، لقد جلدتك أكثر من أيِّ رجلٍ آخَر في الجماعة، والبُرهان على ظَهرك. هيو فقدَ ثلاثة أصابع بسكِّيني على سبيل التَّأديب. ميريس اغتصبَها نِصف رجال الجماعة. ليس هذه الجماعة حقًّا لكن لا داعي لذِكر هذا. ويل ابن (الغابة)، أنت مجرَّد قمامة. السير أورسون يلومني على إرسال أخيه إلى (الويلات)، والسير لوسيفر لا يزال مغتاظًا بسبب الأَمة التي أخذَها كاجو منه».

قال لوسيفر لونج متذمِّرًا: «كان يُمكنه أن يُعيدها بعدما قضى وطره منها. لم يكن عنده سبب لقتلها».

ردَّ كاجو: «كانت قبيحةً. هذا سبب كافٍ».

تابعَ أمير الأسمال كأن أحدًا لم ينطق: «وِبر، أنت عندك أراضٍ مسلوبة تُطالِب بها في (وستروس). لنستر، أنا قتلتُ الفتى الذي كنت مغرمًا به. أنتم أيها الدورنيُّون الثَّلاثة تحسبون أننا كذبنا عليكم، الغنيمة من (أستاپور) كانت أقل بكثير مما وعدناكم به في (ڤولانتيس)، وأخذتُ منها نصيب الأسد».

قال السير أورسون: «الجزء الأخير صحيح».

- «أفضل الخُدع فيه دومًا بذرة من الحقيقة. كلٌّ منكم عنده سبب وجيه للتخلِّي عني، ودنيرس تارجاريَن تعلم أن المرتزِقة قوم متلوِّنون. أبناؤها الثَّانون وغِربانها أنفُسهم أخذوا ذهب اليونكيِّين لكنهم لم يتورَّعوا عن الانضمام إليها عندما بدأ تيَّار المعركة يتدفَّق في اتِّجاهها».

سألَ لويس لنستر: «متى نرحل؟».

- «في الحال. احذروا مَن قد تُقابِلون من القِططة أو الرِّماح الطَّويلة. لن يعرف أحد أن انشقاككم خُدعة إلَّا الموجودون هنا في الخيمة. عجِّلوا بإبداء نيَّاتكم الحقيقيَّة وستُشوَّهون باعتباركم متهرِّبين أو تُبقَر بطونكم باعتباركم مارِقين».

لاذَ ثلاثة الدورنيِّين بالصَّمت إذ غادَروا خيمة القيادة، وفكَّر كوينتن: عشرون *خيَّالًا يتكلَّمون اللُّغة العاميَّة جميعًا. أصبح الهمس أخطر مرارًا.*

صفعَه الرَّجل الكبير على ظَهره بقوَّةٍ قائلًا: «أليس هذا جميلًا أيها الضِّفدع؟ سنذهب لصيد التَّنانين».

كانت آشا جرايچوي جالسةً في قاعة جالبارت جلوڤر الطَّويلة تشرب نبيذ جالبارت جلوڤر عندما جاءَها مِايستر جالبارت جلوڤر بالرِّسالة.

كما يفعل دومًا حين يُحادِثها، قال المِايستر بنبرةٍ متوتِّرة: «سيِّدتي، طائر من (بلدة الرَّوابي)»، وكأنه لا يطيق الانتظار حتى يتخلَّص منه دسَّ الرَّقَّ في يدها. وجدَته مطويًّا بإحكامٍ ومختومًا بزرٍّ من الشَّمع الوردي الجامد.

(بلدة الرَّوابي). حاولَت آشا أن تتذكَّر من يَحكُم الآن في (بلدة الرَّوابي). *لورد شمالي ما، ليس صديقًا لي*. والختم... يَدخُل آل بولتون أولاد (معقل الخوف) المعركة تحت راياتٍ ورديَّة مرشوشة بقطراتٍ صغيرة من الدَّم، وبطبيعة الحال من المعقول أن يستخدموا شمع أختامٍ ورديًّا كذلك.

فكَّرت: *هذا الذي في يدي سُم. حريٌّ بي أن أحرقها*، لكنها كسرَت الختم بدلًا من ذلك، لتَسقُط قُصاصة من الجِلد في حِجرها. لمَّا قرأت الكلمات البنِّيَّة الجافَّة ازدادَ مزاجها المعتلُّ اعتلالًا. *أجنحة سوداء، أخبار سوداء*. لا تجلب الغِدفان أنباءً طيِّبةً أبدًا. آخِر رسالةٍ وصلَت إلى (ربوة الغابة) كانت من ستانيس باراثيون الذي يُطالِب بالبيعة، وهذه أسوأ. «الشَّماليُّون أخذوا (خندق كايلن)».

سألَها كارل الجالس إلى جوارها: «نغل بولتون؟».

- «*رامزي بولتون، سيِّد (وينترفل)* حسب توقيعه، لكن هناك أسماءً أخرى». الليدي داستن والليدي سروين وأربعة من آل ريزويل ذيَّلوا الرِّسالة بتوقيعاتهم تحت توقيعه، وإلى جوارها رسم بسيط لعملاق، علامة أحد أبناء أومبر.

التَّوقيعات مكتوبة بحبر المِايسترات المصنوع من السِّناج والفحم القاري، لكن الرِّسالة أعلاها شخبطة بنِّيَّة بخطٍّ محزَّز ضخم، تَذكُر سقوط (خندق كايلن)، وعودة حاكم الشَّمال المظفَّر إلى نطاق نفوذه، إضافةً إلى زيجةٍ قريبة. تقول افتتاحيَّتها: «*أكتبُ هذه الرِّسالة بدماء الحديديِّين*»، ويقول ختامها: «*أرسلُ إلى كلٍّ منكم قطعةً من الأمير. البثوا في أرضي تُشارِكونه مصيره*».

اعتقدَت آشا أن أخاها الصَّغير ماتَ. *الموت أفضل من هذا*. كانت قُصاصة الجِلد قد سقطَت في حِجرها، فالتقطَتها ورفعَتها إلى الشَّمعة وشاهدَت الدُّخان يتصاعَد منها إلى أن التهمَها اللَّهب تمامًا ولعقَ أصابعها.

كان مِايستر جالبارت جلوڤر يحوم عند مِرفقها منتظرًا، فأخبرَته: «لن نردَّ».

- «هل تسمحين بأن أُطلع الليدي سيبل على هذه الأنباء؟».

- «إذا أردت». تجهل آشا إن كانت سيبل جلوفر ستجد ما يسرُّ في سقوط (خندق كايلن). تُقيم الليدي سيبل في أيكة الآلهة طيلة الوقت تقريبًا، تُصلِّي من أجل طفليها وعودة زوجها الآمنة. *دُعاء آخَر بلا إجابةٍ على الأرجح. شجرة القلوب التي تُصلِّي لها صمّاء عمياء كإلهنا الغريق.* ركبَ روبت جلوفر مع أخيه جالبارت جنوبًا مع الذِّئب الصَّغير، وإذا صحَّ ولو نِصف ما سمعوه من حكاياتٍ عن الزِّفاف الأحمر فليس واردًا أن يعودا إلى الشَّمال أبدًا. *طفلاها حيَّان على الأقل، وهذا بفضلي.* تركَتهما آشا في (البروج العشرة) في رعاية خالاتها، فابنة الليدي سيبل لا تزال رضيعةً، وقد قدَّرت أن الفتاة أوهن من تعريضها لمشاق رحلةٍ بحريَّة عاصفة أخرى. دسَّت آشا الرِّسالة في يد المِايستر قائلةً: «هاك. دعها تجد شيئًا من العزاء هنا إذا استطاعَت. يُمكنك الانصراف».

حنى المِايستر رأسه وغادرَ، وبعد خروجه التفتَ تريس بوتلي إلى آشا، وقال: «إذا سقطَت (خندق كالين) فستتبعها (مربَّع تورين) قريبًا، ثم سيحين دورنا».

- «ليس في القريب العاجل. ذو الفكِّ المفلوق سيُريق دماءهم بغزارة». ليست (مربَّع تورين) خرابةً كـ(خندق كايلن)، وداجمر حديديٌّ قُح، يُفضِّل الموت على الاستسلام.

لو أن أبي حي لما سقطت (خندق كالين) أبدًا. كان بالون جرايچوي يعلم أن (الخندق) مفتاح الشَّمال، وهو ما يعلمه يورون أيضًا، لكنه -ببساطة- لا يُبالي، مِثلما لا يُبالي بما يَحدُث في (ربوة الغابة) أو (مربَّع تورين). «يورون ليس مهتمًّا بفُتوحات بالون. عمِّي رحلَ يُطارِد التَّنانين». استدعى عين الغُراب كامل قوَّة الأسطول الحديدي إلى (ويك القديمة) وخاضَ به عباب (بحر الغروب)، يتبعه أخوه ڤيكتاريون ككلبٍ مجلود بالسِّياط، ولم يتبقَّ في (پايك) أحد تلجأ إليه آشا باستثناء السيِّد زوجها. «إننا واقفون وحدنا».

قال كروم الذي لم يلتقِ قَطُّ امرأةً أحبَّها كما يحبُّ المعارك: «داجمر سيسحقهم سحقًا. إنهم مجرَّد ذئاب».

داعبَت آشا الشَّمع الوردي بظُفر إبهامها قائلةً: «الذِّئاب قُتِلوا. هؤلاء هُم السلَّاخون الذين قتلوهم».

استحثَّها كوينتون جرايچوي قائلًا: «يَجدُر بنا أن نذهب إلى (مربَّع تورين) وننضمَّ إلى القتال». كوينتون ابن عمومةٍ بعيد، ورُبَّان (الفتاة المالحة).

أيَّده ابن العمومة الأبعد داجون جرايچوي: «أجل». يُسمُّونه داجون السكِّير، لكن سواء أكان ثملًا أم مستفيقًا فإنه يهوى القتال. «لماذا يحتفظ ذو الفكِّ المفلوق بالمجد كلِّه لنفسه؟».

جلبَ اثنان من خدم جالبارت جلوڤر الشِّواء، لكن قُصاصة الجِلد سلبَت آشا شهيَّتها. قالت لنفسها بكآبة: *رجالي تخلَّوا عن كلِّ أملٍ في النَّصر. لا يتطلَّعون الآن إلَّا إلى ميتةٍ طيِّبة.* لا شكَّ لديها في أن هذا ما سينالونه من الذِّئاب الذين سيأتون عاجلًا أو آجلًا لاستعادة القلعة.

كانت الشَّمس تغوص وراء أشجار الصَّنوبر الطَّويلة في (غابة الذِّئاب) عندما صعدَت السَّلالم الخشب إلى غُرفة نومها التي كانت لجالبارت جلوڤر. أفرطَت في شُرب النَّبيذ جدًّا، ورأسها يدقُّ. تحبُّ آشا جرايچوي رجالها، الرَّبابنة والأطقُم على حدٍّ سواء، لكن نِصفهم حمقى. *حمقى شُجعان لكنهم حمقى. نذهب إلى ذي الفكِّ المخلوق، نعم، كأننا نستطيع*...

بين (ربوة الغابة) وداجمر فراسخ طويلة وتلال وعرة وغابات كثيفة وأنهار جامحة وشماليُّون أكثر مما تُريد أن تحسب، في حين أن مع آشا أربع سُفنٍ طويلة وأقل من مئتي رجل... بمَن فيهم تريستيفر بوتلي الذي لا تستطيع الاعتماد عليه. على الرغم من حديثه المستمر عن الحُبِّ لا تتخيَّل تريس يهرع إلى (مربَّع تورين) ليموت مع داجمر ذي الفكِّ المفلوق.

تبعَها كارل إلى غُرفة نوم جالبارت جلوڤر بالأعلى، فقالت له: «اخرُج. أريدُ الانفراد بنفسي».

ردَّ: «بل تُريدينني أنا»، وحاولَ أن يُقبِّلها.

دفعَته آشا قائلةً: «المسني ثانيةً وسـ...».

قاطعَها مستلًّا خنجره: «ماذا؟ اخلعي ثيابكِ يا فتاة».

- «انكح نفسك أيها الصَّبي الحليق».

- «أفضِّلُ أن أنكحكِ أنتِ». ضربة واحدة سريعة من خنجره حلَّت أربطة سُترتها الجِلد. مدَّت آشا يدها إلى فأسها، إلَّا أن كارل أسقطَ الخنجر وقبضَ على رُسغها لاويًا ذراعها إلى أن سقطَ السِّلاح من بين أصابعها، ثم دفعَها على ظَهرها إلى فِراش جلوڤر ممطرًا إياها بالقُبلات ومزَّق قميصها ليتحرَّر ثدياها، ولمَّا حاولَت أن تضربه برُكبتها في بين فخذيه التوى متفاديًا الضَّربة وأجبرَها على فتح ساقيها برُكبتيه قائلًا: «سأنالكِ الآن».

ردَّت كأنها تَبصُق: «افعلها وسأقتلك في نومك».

حين ولجَها كانت تتصبَّب بللًا، وراحَت تقول: «عليك اللَّعنة عليك اللَّعنة عليك اللَّعنة عليك اللَّعنة». مصَّ حلمتيها حتى صاحَت ألمًا ونشوةً في آنٍ واحد، واختُصِرَ العالم في ما بين ساقيها، ونسيَت (خندق كايلن) ورامزي بولتون وقِطعة الجِلد الصَّغيرة، نسيَت انتخاب الملك، نسيَت فشلها، نسيَت منفاها وأعداءها وزوجها. لا يهمُّ الآن إلَّا يداه، إلَّا فمه، إلَّا ذراعاه حولها ووجوده في داخلها. نكحَها حتى صرخَت، ومرَّةً أخرى حتى بكَت، قبل أن يُفرِغ نُطفته داخل رحِمها أخيرًا.

بعدها ذكَّرته قائلةً: «أنا امرأة متزوِّجة. لقد انتهَكت عِرضي أيها الصَّبي الحليق. سيقطع السيِّد زوجي خصيتيك ويُلبِسك فُستانًا».

تدحرجَ كارل من فوقها، وقال: «إذا استطاعَ النُّهوض من مقعده».

كانت الغُرفة باردةً. نهضَت آشا من فِراش جالبارت جلوڤر وخلعَت ثيابها الممزَّقة. ستحتاج السُّترة إلى أربطةٍ جديدة، لكن القميص تلفَ تمامًا. *لم يكن يُعجِبني على كلِّ حال*. ألقَته في النَّار وتركَت بقيَّة ملابسها مكوَّمةً عند الفِراش. أوجعَها ثدياها، وشعرَت بمني كارل تسيل ببُطءٍ على فخذها. عليها أن تعدَّ القليل من شاي القمر وإلَّا لخاطرَت بالمجيء بكراكِن آخَر إلى العالم. لا يهمُّ. *أبي ميت، وأمِّي تموت، وأخي يُسلَخ، وأنا عاجزة عن فعل أيِّ شيءٍ حيال أيِّ شيء. كما أنني متزوِّجة... زُفِفتُ وضُوجِعتُ... ولو أن هذا الرَّجل غير ذاك*.

وجدَت كارل غائبًا في النَّوم عندما دخلَت تحت الأغطية. «حياتك لي الآن. أين وضعتُ خنجري؟». ضغطَت آشا نفسها إلى ظَهره وطوّقته بذراعيها. في (جُزر الحديد) يُعرف بكارل البِكر، من ناحيةٍ للتَّمييز بينه وبين كارل شيپرد وكارل كنينج المُريب وكارل صاحِب الفأس السَّريعة وكارل القِن، لكن السَّبب الأهم وجنتاه الملساوان. في بداية لقائهما كان كارل يُحاوِل أن يُطلِق لحيةً وصفَتها آشا ضاحكةً بزغب الخوخ، ولمَّا اعترفَ كارل بأنه لم يرَ خوخةً من قبل قَطُّ قالت له إن عليه الانضمام إليها في رحلتها التَّالية إلى الجنوب.

كان الصَّيف لا يزال يبسط سُلطانه آنذاك؛ روبرت على العرش الحديدي، وبالون واجم على كُرسي حجر اليَم، والسَّلام يعمُّ (الممالك السَّبع). أبحرَت آشا بـ(الرِّيح السَّوداء) على السَّاحل ممارسةً التِّجارة، وتوقَّفوا في (الجزيرة القصيَّة) و(لانسپورت) ونحو عشرين من الموانِي الأصغر قبل بلوغهم (الكرمة)، حيث ثمار الخوخ حُلوة ضخمة دومًا. عندما وضعَت واحدةً على وجنةِ كارل أول مرَّةٍ قالت: «أرأيت؟»، وجعلَته يُجرِّب قضمةً ليسيل العصير على ذقنه، فنظَّفته بقُبلاتها.

أمضى كلاهما تلك اللَّيلة في التهام الخوخ وجسد الآخَر، ومع عودة ضوء النَّهار كانت آشا شبعانةً لزجةً وفي أسعد حالاتها. *اكان هذا منذ ستَّة أعوام أم سبعة؟* أمسى الصَّيف ذكرى خابيةً، ومرَّت ثلاثة أعوام منذ استمتعَت بمذاق الخوخ. على أنها لا تزال تستمتع بكارل. قد لا يُريدها الرَّبابنة والملوك، لكنه يُريدها.

عرفَت آشا عُشَّاقًا آخَرين، شاركَها بعضهم فِراشها نِصف سنةٍ وبعضهم نِصف ليلة، أمَّا كارل فيُرضيها أكثر من الآخَرين مجتمعين. ربما لا يحلق لحيته إلَّا مرَّةً كلَّ أسبوعين، لكن اللِّحية المشعثة لا تصنع الرَّجل، كما أنها تحبُّ ملمس بشرته النَّاعمة تحت أصابعها، وتحبُّ حين يلمس شَعره الطَّويل المفرود كتفيها؛ وتحبُّ قُبلاته، وتحبُّ ابتسامته العريضة حين يُداعِب حلمتيها بإبهاميه. الشَّعر بين ساقيه درجة أغمق من الرَّملي من الشَّعر على رأسه، لكنه ناعم كالرِّيش مقارنةً بالدَّغل الأسود الخشن حول عُضوها الأنثوي، وهذا تحبُّه أيضًا. لكارل جسد سبَّاحٍ طويل رشيق، ولا نَدبة واحدة عليه.

ابتسامة خجول، وذراعان قويَّتان، وأصابع ماهرة، وسيفان واثقان. وهل ترغب أيُّ امرأةٍ في ما هو أكثر؟ كانت لتتزوَّج كارل وبنفسٍ رضيَّة، لكنها ابنة اللورد بالون وهو من أولاد العوام وحفيد قِن. *أوضع ميلادًا من أن أتزوَّجه، ولكن ليس أوضع من أن أمصَّ قضيبه.* ثملةً مبتسمةً، زحفَت تحت الأغطية الفرو وأخذَته في فمها، فاختلجَ كارل في نومه وبعد قليلٍ بدأ ينتصب، ولمَّا أوصلَته إلى الانتصاب التَّام كان قد استيقظَ وابتلَّت هي. أسدلَت آشا الأغطية على كتفيها العاريتين وامتطَته ساحبةً إياه إلى داخلها إلى عُمقٍ لم تَعُد تُميِّز معه عُضوه من عُضوها، وهذه المرَّة بلغا الذُّروة معًا.

بعدها غمغمَ بصوتٍ ما زالَ النَّوم يُثقِله: «سيِّدتي الجميلة، مليكتي الجميلة».

لا، لستُ ملكةً، ولن أكون أبدًا. قالت له: «عُد إلى النَّوم»، وقبَّلته على وجنته ثم قطعَت غُرفة نوم جالبارت جلوفر وفتحَت النَّافذة على مصراعيها. يكاد القمر يكتمل، واللَّيلة صافية تمامًا حتى إنها ترى الجبال وذُراها المتوَّجة بالثَّلج. *باردة موحشة لا تصلُح للسُّكنى، لكنها* جميلة *في نور القمر.* قِممها المحزَّزة تتألَّق بشحوب، أمَّا التِّلال السَّفحيَّة والقِمم الأصغر فغائبة في الظِّلال.

البحر أقرب، يَبعُد خمسة فراسخ فقط إلى الشَّمال، لكن آشا لا تراه من هنا، فبينها وبينه تلال كثيرة للغاية. *وأشجار، أشجار بلا عدد.* يُسمِّيها الشَّماليُّون (غابة الذِّئاب)، وفي أغلب اللَّيالي يُمكنك أن تسمع الذِّئاب يُنادي بعضها بعضًا في الظَّلام. *محيط من أوراق الشَّجر. ليته كان محيطًا من الماء.*

قد تكون (ربوة الغابة) أقرب إلى البحر من (وينترفل)، لكنها أبعد من اللَّازم رغم ذلك. رائحة الهواء هنا صَنوبر لا ملح، وإلى الشَّمال الشَّرقي من هذه الجبال الرَّماديَّة الكئيبة يرتفع (الجِدار) حيث رفعَ ستانيس باراثيون راياته. يقول النَّاس: عدوُّ عدوِّي صديقي، لكن الوجه الآخَر من هذه العُملة مكتوب عليه: عدوُّ صديقي عدوِّي. الحديديُّون أعداء اللوردات الشَّماليِّين الذين يحتاج إليهم ابن باراثيون المدَّعي أمسَّ الحاجة. فكَّرت مزيحةً خُصلةً من الشَّعر عن عينيها: *يُمكنني أن أعرض عليه جسدي الشَّاب البض،* لكن ستانيس متزوِّج وكذا هي، وهو والحديديُّون أعداء قُدامى. خلال تمرُّد أبيها الأول حطَّم ستانيس الأسطول الحديدي عند (الجزيرة القصيَّة) وأخضعَ (ويك الكُبرى) باسم أخيه.

تُحيط أسوار (ربوة الغابة) المكسوّة بالطّحالب بتلّةٍ مستديرة واسعة مسطّحة القمّة تُتوّجها قاعة طويلة فسيحة في طرفها بُرج مراقبة يرتفع خمسين قدمًا، وأسفل التلّة الفِناء والاسطبلات ومضمار الخيل وورشة الحدادة والبئر وحظيرة الغنم، ويحميها خندق عميق وساتر تُرابي منحدِر وسياج من جذوع الأشجار. تصنع الدّفاعات الخارجيّة شكلًا بيضاويًا متّبعةً تضاريس الأرض، وثمّة بوّابتان يحمي كلًّا منهما بُرجان مربّعان من الخشب وممشى حول محيط الأسوار. على الجانب الجنوبي من القلعة تنمو الطّحالب بكثافةٍ على السّياج وتزحف إلى أعلى حتى منتصَف البُرجين، وإلى الشّرق والغرب حقول خالية كان ينمو فيها الشّوفان والشّعير عندما أخذَت آشا القلعة، وإن سحقَتها الأقدام خلال هجومها. قتلَت سلسلة من التّجمّدات القاسية المحاصيل التي زرعوها بعد ذلك ولم تَترُك إلّا الأوحال والرّماد والسّوق الذّابلة المتعفّنة.

قلعة قديمة، لكنها ليست قويّةً. من آل جلوڤر أخذَتها آشا، ومنها سيأخذها نغل بولتون... لكنه لن يَسلُخها، فآشا جرايچوي لا تنوي أن يأخذوها حيّةً. ستموت مِثلما عاشَت، بفأسٍ في يدها وضحكةٍ على شفتيها.

أعطاها السيّد والدها ثلاثين سفينةً طويلةً للاستيلاء على (ربوة الغابة)، تبقّت منها أربع بما فيها ريحها السّوداء، وواحدة تتبع تريس بوتلي الذي انضمّ إليها حينما كان كلُّ رجالها الآخَرين يفرُّون. *لا، ليس هذا عدلًا. لقد أبحروا إلى الوطن ليُقدّموا لملكهم البيعة. إذا فرَّ أحد فهو أنا*. ما زالَت الذّكرى تُخذيها.

- «ارحلي». هكذا حضّها القارئ فيما حملَ الرّبابنة عمّها يورون نازلين به (تل ناجا) ليضعوا تاج الخشب المجروف على رأسه.

- «الغُداف يُحدِّث الغُراب. تعالَ معي. أريدك أن تحشد رجال (هارلو)». حينئذٍ كانت تنوي القتال.

- «رجال (هارلو) هنا، مَن يُحسَبون منهم. بعضهم كان يهتف باسم يورون. لن أضع هارلو في مواجَهة هارلو».

- «يورون مجنون وخطِر. بوق الجحيم هذا...».

- «لقد سمعته. ارحلي يا آشا. ما إن يُتوَّج يورون سيبحث عنكِ، ولستِ تجروئين أن تدعي عينه تقع عليكِ».

- «إذا وقفتُ مع عمَّي الآخَريْن...».

- «... فستموتين منبوذةً وكلُّ يدٍ مرفوعة ضدكِ. حين وضعتِ اسمكِ أمام الرَّبابنة أخضَعتِ نفسكِ لحُكمهم، ولا تستطيعين أن تُخالِفي هذا الحُكم الآن. مرَّةً واحدةً فقط نُقِضَ قرار انتخاب الملك. اقرئي هايرج».

وحده رودريك القارئ يُمكنه أن يتكلَّم عن كتابٍ ما وحياتهما تتأرجَح على حدِّ السَّيف. قالت له بعناد: «إذا بقيتَ فسأبقى أيضًا».

- «لا تكوني حمقاء. اللَّيلة يورون يُري العالم عينه الباسمة، لكن بحلول الغد... آشا، إنكِ ابنة بالون ودعواكِ أقوى من دعواه، وما دُمتِ تتنفَّسين ستبقين خطرًا عليه. إذا بقيتِ فستُقتَلين أو تُزوَّجين بالملَّاح الأحمر، ولا أدري أيُّهما أسوأ. ارحلي. لن تنالي فُرصةً أخرى».

كانت آشا قد رسَت بـ(الرِّيح السَّوداء) على طرف الجزيرة البعيد من أجل هذا الاحتمال تحديدًا. ليست (ويك القديمة) كبيرةً، وكان بإمكانها أن تعود إلى متن سفينتها قبل شروق الشَّمس وتُبحِر إلى (هارلو) قبل أن يُدرِك يورون غيابها، وعلى الرغم من ذلك ترَدَّدت إلى أن قال خالها: «افعليها لأجل حُبِّكِ لي يا طفلتي. لا تجعليني أشاهدكِ تموتين».

وهكذا رحلَت، إلى (البُروج العشرة) أولًا لتُودِّع أمَّها وتُنبِّهها قائلةً: «قد يمرُّ وقت طويل قبل أن أرجع ثانيةً»، فلم تفهم الليدي ألانيس وسألَتها: «أين تيون؟ أين ولدي الصَّغير؟»، أمَّا الليدي جوينيس فأرادَت فقط أن تعرف متى سيعود اللورد رودريك، وقالت: «إنني أكبره بسبعة أعوام. المفترَض أن تكون (البُروج العشرة) لي».

وصلَ إلى آشا خبر زواجها وهي لا تزال في (البُروج العشرة) تُحمِّل المؤن، وبلغَها أن عين الغُراب قال: «ابنة أخي الجموح في حاجةٍ إلى ترويض، وأعرفُ الرَّجل الذي سيُروِّضها». زوَّجها يورون بإريك آيرونميكر وولّى محطِّم السَّنادين حُكم (جُزر الحديد) في أثناء رحيله لمطارَدة التَّنانين. كان إريك رجلًا عظيمًا في شبابه، مُغيرًا لا يعرف الخوف يتباهى بأنه أبحرَ مع جدِّ جدِّها داجون جرايچوي الذي سُمِّيَ داجون السكِّير تيمُّنًا به. ما زالَت المسنّات على (الجزيرة القصيَّة) يُخِفن أحفادهن بحكايات اللورد داجون ورجاله. جرحَت *كبرياء إريك في انتخاب الملك، ولا أظنُّه سينسى هذا.*

عليها أن تقرَّ بحذق عمِّها. بضربةٍ واحدة حوَّل يورون غريمًا إلى مؤيِّدٍ وأمَّن الجُزر في غيابه وأزاحَ تهديد آشا. *واستمتعَ بالضَّحك مِلء شِدقيه أيضًا*. أخبرَها تريس بوتلي بأن عين الغُراب استعانَ بكلب بحرٍ بديلًا لها في زفافها، فقالت: «آملُ أن إريك لم يصرَّ على إتمام الزِّيجة».

لا أستطيعُ العودة إلى الوطن، لكني لا أجسرُ على المكوث هنا طويلًا. كم يُوتِّرها هدوء الغابة. قضَت آشا حياتها على الجُزر والسُّفن. البحر لا يَصمُت أبدًا، وصوت الأمواج إذ تتكسَّر على ساحلٍ صخري في دمها، لكن ليست في (ربوة الغابة) أمواج... فقط الأشجار، أشجار بلا نهاية، صَنوبر جُندي وحارس، وزان ودَردار وسَنديان عتيق، وكستناء وصُلب وتنُّوب. الصَّوت الذي تُصدِره أنعم من صوت البحر، ولا يُسمَع إلَّا عندما تهبُّ الرِّيح، وحينها يبدو الهفيف كأنما يأتي من كلِّ جهةٍ حولها، كأن الأشجار تتبادَل الوشوشة بلُغةٍ لا تفهمها.

اللَّيلة تبدو الوشوشة أعلى من قبل. قالت آشا لنفسها: حفيف *الأوراق البنِّيَّة الميتة وصرير الفروع الجرداء في الرِّيح*، والتفتَت عن النَّافذة وعن الغابة مفكِّرةً: *أحتاجُ إلى سطح سفينةٍ تحت قدمَي ثانيةً، وإن لم يكن ذلك فإلى طعامٍ في بطني*. لقد أسرفَت في الشُّرب اللَّيلة، لكنها أكلَت القليل جدًّا من الخُبز ولا شيء من الشِّواء الشَّهي.

مكَّنها سطوع القمر من العثور على ثيابها. ارتدَت سراويلَ سوداء سميكةً وقميصًا مبطَّنًا وسُترةً جِلديَّةً خضراء مغطَّاة بصفائح الفولاذ المتداخلة، ثم تركَت كارل لأحلامه ونزلَت سلالم الحصن الخارجية سامعةً الدَّرجات تصرُّ تحت قدميها الحافيتين. لمحَها أحد الواقفين حراسةً على الأسوار ورفعَ حربته لها، فردَّت آشا بصفير، وإذ قطعَت السَّاحة الدَّاخليَّة إلى المطابخ بدأت كلاب جالبارت جلوڤر تنبح، ففكَّرت: *عظيم، سيكتم نباحها صوت الأشجار*.

كانت تقتطِع مثلَّثًا من الجُبنة الصَّفراء من قالبٍ كبير كعجلة العربة حين دخلَ تريس بوتلي المطبخ متدثِّرًا بمعطفٍ سميك من الفرو وخاطبَها قائلًا: «مليكتي».

- «لا تسخر مني».

- «ستَحكُمين قلبي دومًا. لا قدر من الحمقى الهاتفين في انتخاب ملكٍ سيُغيِّر هذا».

ماذا أفعلُ بهذا الصَّبي؟ لا تُشكِّك آشا في إخلاصه، ذلك أنه لم يكتفِ بالوقوف نصيرًا لها على (تل ناجا) والهتاف باسمها فقط، بل عبرَ البحر أيضًا للانضمام إليها في ما بعدُ هاجرًا ملكه وأهله وداره. *كأنه كان يجرؤ على تحدِّي يورون في وجهه*. حين أخذَ عين الغُراب الأسطول إلى البحر تلكَّأ تريس ببساطةٍ ولم يُبدِّل مساره إلَّا عندما غابَت السُّفن الأخرى عن الأنظار. لكن حتى هذا التَّصرُّف استلزمَ نوعًا معيَّنًا من الشَّجاعة، فالآن لا يستطيع العودة إلى الجُزر أبدًا. قالت له: «جُبنة؟ هناك لحم خنزير مملَّح أيضًا، وخردل».

- «ليس الطَّعام ما أريدُ يا سيِّدتي، تعرفين هذا». أطلقَ تريس لحيةً بنِّيَّةً كثَّةً في (ربوة الغابة)، ويَزعُم أنها تُساعِد على تدفئة وجهه. «رأيتكِ من بُرج المراقَبة».

- «إذا كانت هذه مناوَبتك فماذا تفعل هنا؟».

- «كروم بالأعلى، وهاجن البوق. كم عينًا نحتاج إليها لنُشاهِد أوراق الشَّجر تهتزُّ في ضوء القمر؟ يجب أن نتكلَّم».

زفرَت قائلةً: «ثانيةً؟ أنت تعرف ابنة هاجن الصَّهباء، أليس كذلك؟ إنها تقود السُّفن ببراعة أيِّ رجلٍ ولها وجه مليح، في السَّابعة عشرة، وقد رأيتها تَنظُر إليك».

ردَّ: «لا أريدُ ابنة هاجن»، وهمَّ بلمسها، قبل أن يُعيد النَّظر ويقول: «آشا، حانَ وقت الرَّحيل. (خندق كايلن) كانت الشَّيء الوحيد الذي يقينا من الفيضان. إذا ظللنا هنا سيَقتُلنا الشَّماليُّون عن آخِرنا، تعرفين هذا».

- «تُريدني أن أهرب؟».

- «أريدكِ أن تعيشي. إنني أحبُّكِ».

لا، بل تحبُّ فتاةً بريئةً تعيش في عقلك فقط، طفلةً خائفةً نحتاج إلى حمايتك. بلا موارَبةٍ قالت له: «أنا لا أحبُّك، ولا أهربُ».

- «ما الذي تتمسَّكين به هنا غير الأشجار والأوحال والأعداء؟ إن عندنا سُفنًا. أبحِري معي وسنبني حياةً جديدةً في البحر».

- «كقُرصانيْن؟». تكاد الفكرة تُغويها. *دَعي الذِّئاب يستعيدون غابتهم العَبوس واستردِّي أنتِ البحر الرَّحب*.

أجابَ بإصرار: «كتاجريْن. سنُبحِر إلى الشَّرق مِثل عين الغُراب، لكننا سنعود بالحرير والتَّوابل بدلًا من بوق تنانين. رحلة واحدة إلى (بحر اليَشب) ونصير ثريَّيْن كالآلهة، لنا إيوان في (البلدة القديمة) أو إحدى المُدن الحُرَّة».

سألَته: «أنت وأنا وكارل؟»، فرأته يجفَل لذِكر اسم كارل، ثم أردفَت: «قد ترغب ابنة هاجن في الذَّهاب معك إلى (بحر اليَشب). إنني ما زلتُ ابنة الكراكِن، ومكاني...».

- «... أين؟ لا يُمكنكِ العودة إلى الجُزر ما لم تكوني تنتوين الخضوع لزوجكِ».

حاولَت آشا أن تتصوَّر نفسها في الفِراش مع إريك آيرونميكر، ترزح تحت وزنه الهائل وتُكابِد أحضانه. هو *أفضل من الملَّاح الأحمر أو لوكاس كود الأعسر.* في الماضي كان محطِّم السَّنادين عملاقًا هدَّارًا عاتي القوَّة شديد الإخلاص وبلا ذرَّة خوف. قد لا يكون الأمر بهذا السُّوء. *غالبًا سيموت أول مرَّةٍ يُحاوِل أن يقوم بواجبه الزَّوجي.* وهو ما سيجعلها أرملة إريك بدلًا من زوجة إريك، وهو ما قد يكون أفضل أو أسوأ كثيرًا، الأمر مرهون بأحفاده. وعمِّي. *في النِّهاية تدفعني كلُّ ريحٍ في اتِّجاه يورون.* ذكَّرته قائلةً: «إن عندي رهينتين في (هارلو)، ثم إن هناك (رأس التنِّين البحري)... إذا لم أستطِع نيْل مملكة أبي فلِمَ لا أقيمُ واحدةً لنفسي؟». لم يكن (رأس التنِّين البحري) فقير السُّكَّان دومًا كما هو الآن، وما زالَت وسط التِّلال والمستنقعات أطلال قديمة، بقايا معاقل البَشر الأوائل العتيقة، وفي البقاع العالية دوائر من أشجار الويروود تركَها أطفال الغابة.

- «تتشبَّثين بـ(رأس التنِّين البحري) كما يتشبَّث الغريق بقطعةٍ من حُطام. ما الذي يرغب فيه أيُّ أحدٍ في (رأس التنِّين البحري)؟ ليست هناك مناجم أو ذهب أو فضَّة، ولا صفيح أو حديد حتى، والأرض أكثر ابتلالًا من أن تَصلُح لزراعة القمح أو الذُّرة».

لستُ أنوي زراعة القمح أو الذُّرة. «ما الذي هناك؟ سأخبرك. خطَّان ساحليَّان طويلان، ومئات الكهوف الخفيَّة، وثعالب ماء في البُحيرات، وسلمون في الأنهار، ومحار على الشَّواطئ، ومستعمَرات من الفقمات قُربها، وشجر صَنوبر طويل لبناء السُّفن».

- «ومَن سيبني تلك السُّفن يا مليكتي؟ أين ستجد صاحِبة الجلالة رعايا لمملكتها إذا ترككِ الشَّماليُّون تحظين بها من الأساس؟ أم أنكِ تنوين حُكم مملكةٍ من الفقمات وثعالب الماء؟».

أطلقَت ضحكةً ساخرةً مريرةً، وقالت: «حُكم ثعالب الماء أسهل من حُكم البَشر، والفقمات أذكى. لا، لعلَّك على حق. ما زالَت العودة إلى (پايك) أفضل سبيلٍ أسلكه. هناك في (هارلو) من سيُرحِّبون بعودتي، وفي (پايك) أيضًا، ويورون لم يكسب أصدقاءً في (بلاكتايد) حين قتلَ اللورد بيلور. يُمكنني أن أجد عمِّي آرون وأستنهِض الجُزر». لم يرَ أحد ذا الشَّعر الرَّطب منذ انتخاب الملك، لكن رجاله الغرقى يَزعُمون أنه مختبئ في (ويك الكُبرى) وسيظهر قريبًا ليستَنزِل غضبة الإله الغريق على يورون وتابعيه.

- «محطِّم السَّنادين يبحث عن ذي الشَّعر الرَّطب أيضًا، ويُلاحِق الرِّجال الغرقى. بيرون بلاكتايد الأعمى قُبِضَ عليه وخضعَ للاستجواب، وحتى النَّورس الرَّمادي العجوز قُيِّدَ بالأصفاد. كيف ستجدين الرَّاهب ورجال يورون كلُّهم عاجزون عن إيجاده؟».

- «إنه دمي، أخو أبي». إجابة واهية، وآشا تعلم هذا.

- «هل تعرفين رأيي؟».

- «أظنُّ أنني على وشك أن أعرفه».

- «رأيي أن ذا الشَّعر الرَّطب ماتَ، رأيي أن عين الغُراب ذبحَه بالفعل. بحث آرونميكر عنه ما هو إلَّا حيلة لجعلنا نظنُّ أن الرَّاهب فرَّ. يورون يخشى أن يراه النَّاس كقاتِل أقربين».

- «إياك أن تدع عمِّي يسمعك تقول هذا. قُل لعين الغُراب إنه يخشى قتل الأقربين وسيَقتُل أحد أبنائه لمجرَّد أن يُثبِت خطأك». عندها كانت آشا تَشعُر أنها استفاقَت تقريبًا. لتريستيفر بوتلي هذا التَّأثير عليها.

- «حتى إذا وجدتِ عمَّكِ ذا الشَّعر الرَّطب فستفشلان. كلاكما كان جزءًا من انتخاب الملك، فلا يُمكنكما أن تقولا إن الدَّعوة إليه كانت غير شرعيَّة مِثلما فعلَ تورجون. أنتما مقيَّدان بقراره حسب كلِّ قوانين الآلهة والبَشر. إنكِ...».

قطَّبت آشا جبينها وقاطعَته متسائلةً: «مهلًا. تورجون؟ تورجون مَن؟».

- «تورجون المتأخِّر».

- «كان ملكًا في عصر الأبطال». تَذكُر هذا عنه، لكنها نسيَت ما عداه. «ماذا عنه؟».

- «تورجون جرايآيرون كان ابن الملك الأكبر، لكن الملك كان مسنًّا وتورجون لا يحبُّ المكوث في مكانٍ واحد طويلًا، فصادفَ موت الملك غيابه في الإغارة على شواطئ (الماندر) من معقله في (الثُّرس الرَّمادي). لم يُرسِل إليه إخوته خبرًا، وبدلًا من ذلك سارَعوا بالدَّعوة إلى انتخاب الملك حاسبين أن أحدهم سيُختار لاعتمار تاج الخشب المجروف، لكن الرَّبابنة والملوك اختاروا أوراجون جودبراذر للحُكم. أول ما فعلَه الملك الجديد أنه أمرَ بقتل جميع أبناء الملك القديم، وقد كان، وبعدها لقَّبه النَّاس بالأخ الطَّالح، مع أنهم لم يكونوا من ذوي قُرباه في الحقيقة، وقد حكمَ سنتين تقريبًا».

قالت آشا وقد تذكَّرت: «عادَ تورجون إلى الوطن...».

- «... وقال إن انتخاب الملك غير شرعي لأنه لم يحضره ليُقدِّم دعواه. كان الأخ الطَّالح قد أثبتَ أن خِسَّته لا تقلُّ عن قسوته ولم يتبقَّ له على الجُزر أصدقاء كُثر، فندَّد به الرُّهبان وثارَ عليه اللوردات وقطَّعه ربابنته أنفُسهم أشلاءً، وأصبحَ تورجون المتأخِّر الملك وحكمَ أربعين عامًا».

أمسكَت آشا تريس بوتلي من أُذنيه وقبَّلته على شفتيه مباشرةً، ولمَّا تركَته كان وجهه قد تورَّد وتقطَّعت أنفاسه، وسألَها: «ما هذا؟».

- «اسمها قُبلة. أغرِقني لأنني حمقاء يا تريس. كان عليَّ أن أتذكَّر...». بترَت آشا عبارتها بغتةً، وحين حاولَ تريس أن يتكلَّم أسكتَته مصغيةً. «صوت بوق حربي. هاجن». أول ما خطرَ لها زوجها. هل قطعَ إريك آيرونميكر هذه المسافة كلَّها ليظفر بعروسه الجَموح؟ «الإله الغريق يحبُّني رغم كلِّ شيء. كنتُ أتساءلُ ماذا أفعلُ فأرسلَ إليَّ أعداءً أقاتلهم»، ونهضَت آشا ودسَّت سكِّينها في غِمده مضيفةً: «جاءَتنا المعركة».

كانت تُهَروِل لدى بلوغها فِناء القلعة وفي أعقابها مباشرةً تريس، وعلى الرغم من هذا وصلَت متأخِّرةً. انتهى القتال بالفعل، ووجدَت آشا رجلين شماليَّيْن ينزفان عند السُّور الشَّرقي على مقربةٍ من البوَّابة الجانبيَّة، ويقف فوقهما لورن ذو الفأس الطَّويلة وهارل أبو ست أصابع قدم، وجريمتونج الذي أخبرَها: «كروم وهاجن رأياهم يتسلَّقون السُّور».

سألَته آشا: «هذان الاثنان فقط؟».

- «خمسة. قتلنا اثنين قبل أن يستطيعوا العبور، وقتلَ هارل الثَّالث فوق الممشى. هذان بلغا السَّاحة».

أحدهما ميت، يُلوِّث دمه وخلايا مُخِّه فأس لورن الطَّويلة، لكن الثَّاني ما زالَ يتنفَّس بخشونةٍ مع أن حربة جريمتونج تُثبِّته إلى الأرض في بِركة دماءٍ تتَّسع. كلاهما يرتدي الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي ومعطفًا مرقَّعًا من البنِّي والأخضر والأسود، وحول رأسيهما وكتفيهما غصون وأوراق شجر مخيطة.

سألَت آشا الجريح: «مَن أنت؟».

- «مِن رجال فلينت. مَن أنتِ؟».

- «آشا سليلة عائلة جرايچوي. هذه قلعتي».

- «(ربوة الغابة) مقرُّ جالبارت جلوڤر، ليست دارًا للحبابير».

سألَته: «هل هناك المزيد منكم؟»، فلمّا لم يُجِب أطبقَت على حربة جريمتونج ودوّرتها، ليَصرُخ الشّمالي توجُّعًا وينبثق المزيد من الدّم من جرحه. «ماذا كنتم تفعلون هنا؟».

أجابَ مرتعدًا: «الليدي. بحقِّ الآلهة توقَّفي. جئنا من أجل الليدي، لنُنقِذها. كنا نحن الخمسة فقط».

نظرَت آشا في عينيه ورأت ما فيهما من زور، فضغطَت على الحربة مدوِّرةً إياها، وقالت: «كم غيركم؟ أخبِرني وإلّا جعلتُ احتضارك يدوم حتى الفَجر».

أخيرًا أجاب منتحبًا بين الصّرخات: «كثيرون، آلاف، ثلاثة آلاف، أربعة... آيييي! أرجوكِ...».

انتزعَت الحربة من جسده ورزخَته بها بكلتا يديها في حَلقه الكاذب. لقد ادّعى مِايستر جالبارت جلوڤر أن عشائر الجبال أكثر مشاكسةً من أن يتّحدوا دون أن يقودهم أحد من آل ستارك. *ربما م يكذب، ربما كان مخطئًا فقط*. هذا ما تعلّمت مذاقه عند انتخاب عمِّها ملكًا. «هؤلاء الخمسة أُرسِلوا لفتح البوّابة قبل الهجوم الأساسي. لورن، هارل، اجلِبا لي الليدي جلوڤر والمِايستر».

سألَها لورن ذو الفأس الطّويلة: «سليميْن أم داميَيْن؟».

- «سليميْن دون أذى. جريمتونج، اذهب إلى هذا البُرج الملعون ثلاثًا وأوصِ كروم وهاجن باليقظة. أريدُ أن أعرف إذا رأيا ولو أرنبًا».

سرعان ما امتلأ فِناء (ربوة الغابة) بالخائفين. كان رجالها يُجاهِدون لارتداء دروعهم والصُّعود إلى مماشي الأسوار، وشاهدَهم قوم جالبارت جلوڤر بنظراتٍ وجِلة وتبادَلوا الهمس. اضطرُّوا إلى حمل وكيل جلوڤر من القبو بما أنه فقدَ ساقًا عند استيلاء آشا على القلعة، واعترضَ المِايستر بصخبٍ إلى أن وكزَه لورن بشدَّةٍ في وجهه بمجمع قبضته المقفَّزة بالمعدن، في حين خرجَت الليدي جلوڤر من أيكة الآلهة مستندةً إلى ذراع خادمتها، وحين رأت الجثَّتين على الأرض قالت: «أنذرتكِ من مجيء هذا اليوم يا سيِّدتي».

تقدَّم المِايستر قائلًا والدَّم يَقطُر من أنفه المكسور: «ليدي آشا، أتوسَّلُ إليكِ، أنزِلي راياتكِ ودعيني أتفاوَضُ على حياتكِ. لقد استخدمتِنا بعدلٍ وشَرف. سأخبرهم بهذا».

وبعينين محمرَّتين من فرط الدَّمع والأرق قالت سيبل جلوڤر: «سنُبادِلكِ بالطِّفلين. جاون في الرَّابعة الآن. فاتَني يوم ميلاده. وابنتي الحبيبة... أعيدي إليَّ طفلَي ولا داعي لأن يمسَّكِ سوء أو يمسَّ رجالكِ».

تعلم آشا أن الجزء الأخير مكذوب. قد يُبادِلونها هي، نعم، يشحنونها على سفينةٍ إلى (جُزر الحديد) وأحضان زوجها المُحب، ووارد أيضًا أن تُدفَع فدية ابنَي عمومتها، وكذا تريس بوتلي وقِلَّة أخرى من رفاقها ممَّن يملك أهاليهم مالًا يكفي لشراء حياتهم، أمَّا الباقون فمصيرهم الفأس أو حبل المشنقة أو (الجِدار). *لكن لهم حقًّا في الاختيار رغم ذلك.*

صعدَت آشا فوق برميلٍ كي يراها الجميع، وخاطبَتهم قائلةً: «الذِّئاب يُهاجِموننا مكشِّرين عن أنيابهم. سيكونون عند بوَّابتنا قبل مطلع الشَّمس. هل نُلقي حِرابنا وفؤوسنا ونستجديهم أن يعفوا عنا؟».

امتشقَ كارل البِكر سيفه هاتفًا: «لا»، وردَّد لورن ذو الفأس الطَّويلة: «لا»، وهدرَ رولف القزم الذي يفوق رجال طاقمها جميعًا طولًا: «لا، مُحال»، ودوَّى بوق هاجن ثانيةً من أعلى ليرنَّ صوته في أرجاء السَّاحة.

آهـوووووووووووووووووووووووو! تردَّد صوت البوق طويلًا واطئ النَّغمة، صوت يُخثِّر الدَّم في الأوردة. بدأت آشا تكره صوت الأبواق. في (ويك القديمة) جهرَ بوق الجحيم الذي أتى به عمُّها بموت أحلامها، والآن يُطلِق هاجن دفقةً تُعلِن ما سيكون ساعتها الأخيرة على الأرض على الأرجح. *إذا كان الموت مقبلًا لا ريب فسأموتُ بفأسٍ في يدي وشتيمة على شفتَي.*

قالت آشا جرايچوي لرجالها: «إلى الأسوار»، واتَّجهت هي إلى بُرج الحراسة ووراءها تريس بوتلي.

أ

بُرج المراقبة الخشبي أعلى بناء على هذا الجانب من الجبال، يرتفع عشرين قدمًا فوق أكبر شجرة حارس أو صَنوبر في الغابة المحيطة. عندما بلغَت المنصَّة أشارَ كروم قائلًا: «هناك أيتها الرُّبَّان»، لكن آشا لم ترَ إلَّا الأشجار والظِّلال والتِّلال التي يُنيرها القمر والقِمم الثَّلجيَّة البعيدة. ثم إنها أدركَت أن الأشجار تزحف مقتربةً، فقالت ضاحكةً: «أوهو، كباش الجبال كسوا أنفُسهم بغصون الصَّنوبر». كانت الغابة تتحرَّك، تدنو من القلعة كمدٍّ أخضر بطيء، وقد جعلَها المنظر تستعيد في ذاكرتها حكايةً سمعَتها في طفولتها عن أطفال الغابة ومعاركهم مع البَشر الأوائل، وكيف حوَّل الأنبياء الخُضر الأشجار إلى مُحاربين.

قال تريس بوتلي: «لا يُمكننا أن نُقاتِل هذه الأعداد».

ردَّ كروم: «يُمكننا أن نُقاتِل كلَّ من يأتي أيًّا كان العدد أيها الجرو. كلَّما كثروا ازدادَ المجد. سيُغنِّي عنا النَّاس».

أجل، ولكن هل سيُغنُّون عن شَجاعتك أم حماقتي؟ البحر يَبعُد خمسة فراسخ طويلة. هل فُرصتهم أفضل إذا صمدوا وقاتَلوا من وراء خندق (ربوة الغابة) العميق وأسوارها الخشب؟ ذكَّرت نفسها: *أسوار (ربوة الغابة) الخشب لم تنفع آل جلوفر كثيرًا حين أخذتُ قلعتهم، فلِمَ تنفعني؟*

ملَّس كروم على فأسه كأنه لا يطيق الانتظار، وقال: «غدًا نحتفل تحت البحر».

خفضَ هاجن بوقه قائلًا: «إذا متنا بأقدامٍ جافَّة فكيف سنجد طريقنا إلى أبهاء الإله الغريق المائيَّة؟».

قال كروم مُطَمئِنًا: «الغابة ملأى بالجداول الصَّغيرة، كلُّها يقود إلى أنهار، وكلُّ الأنهار يقود إلى البحر».

ليست آشا مستعدَّةً للموت، ليس هنا، ليس بعدُ. هكذا قالت: «الحي يستطيع العثور على البحر بسهولةٍ عن الميت. فليحتفظ الذِّئاب بغابتهم الموحشة. سنذهب إلى السُّفن».

تساءلَت مَن يقود أعداءها. *لو كنتُ في مكانه لاحتلَلتُ الشَّاطئ وأشعلتُ النَّار في سُفننا الطَّويلة قبل الهجوم على (ربوة الغابة).* لم ترسُ آشا بأكثر من نِصف سُفنها، وتركَت النِّصف الآخَر آمنًا في البحر ومعه أوامر برفع القلوع والذَّهاب إلى (رأس التنِّين البحري) إذا احتلَّ الشَّماليُّون الشَّاطئ. قالت: «هاجن، انفُخ في بوقك وزلزِل الغابة. تريس، ارتدِ درعًا. حانَ الوقت لتجربة سيفك الأنيق هذا»، ولمَّا رأت امتقاع وجهه قرصَت خدَّه مضيفةً: «انثُر الدَّم على وجه القمر معي وأعدك بقُبلةٍ لقاء كلِّ قتْلة».

قال تريستيفر: «مليكتي، هنا نحن وراء الأسوار، لكن إذا وصلنا إلى البحر ووجدنا أن الذِّئاب أخذوا سُفننا أو طردوها...».

أتمَّت عبارته بمرح: «... فسنموت، لكن على الأقل سنموت بأقدامٍ مبتلَّة. حديديُّو الميلاد يُحسِنون القتال أكثر ورائحة الرَّذاذ المالح في أنوفهم وصوت الموج إلى ظهورهم».

أطلقَ هاجن ثلاث دفقاتٍ قصيرة متواترة، إشارة عودة الحديديِّين إلى سُفنهم، ومن أسفل تردَّد الصِّياح وصليل الحِراب والسُّيوف وصهيل الخيول. خيول *قليلة جدًّا وراكبون قليلون جدًّا.* نزلَت آشا السَّلالم، وفي السَّاحة وجدَت كارل البِكر منتظرًا بفَرسها الكستنائيَّة وخوذتها الحربيَّة وفؤوسها، ورأت الرِّجال يقودون الخيول من اسطبلات جالبارت جلوڤر.

زعقَ صوت من فوق الأسوار: «مِدَك! معهم مِدَك!».

سألَت آشا ممتطيةً فَرسها: «أيُّ البوَّابتين؟».

أتاها الجواب: «الشَّماليَّة!»، ومن وراء أسوار (ربوة الغابة) المكسوَّة بالطَّحالب دوّى بغتة صوت أبواق نُحاسيَّة.

أبواق نُحاسيَّة؟ ذئاب يحملون أبواقًا نُحاسيَّةً؟ خطأ هذا، لكن آشا لا تملك وقتًا للتَّفكير. أمرَتهم: «افتحوا البوَّابة الجنوبيَّة»، في اللَّحظة نفسها التي ارتجَّت فيها الشَّماليَّة بضربة المِدَك. سحبَت فأسًا قصيرة المقبض من الحزام المعلَّق على كتفها بالعرض قائلةً: «ولَّت ساعة البومة يا أصدقائي وحانَت ساعة الحربة والسَّيف والفأس. اتَّخذوا تشكيلكم. إننا عائدون إلى الوطن».

ومن مئة حَلقٍ خرجَت هتافات «*الوطن!*» و«*آشا!*».

هرولَ تريس بوتلي إلى جوارها على متن فحلٍ أغبر طويل، وفي الفِناء تضامَّ رجالها حاملين التُّروس والحِراب، وأخذَ كارل البِكر -الذي لا يُجيد الرُّكوب- موضعه بين جريمتونج ولورن ذي الفأس الطَّويلة. بينما نزلَ هاجن سلالم بُرج الحراسة مسرعًا أصابَه أحد سهام الذِّئاب في بطنه وأسقطَه على رأسه أرضًا، وهرعَت إليه ابنته مولولةً فقالت آشا آمرةً: «أحضِروها». ليس هذا وقت الحِداد. سحبَ رولف القزم الفتاة إلى صهوة حصانه وشَعرها الأحمر يطير، وسمعَت آشا البوَّابة الشَّماليَّة تئنُّ تحت ضربة المِدَك، وفكَّرت والبوَّابة الجنوبيَّة تُفتَح أمامهم: *قد نضطرُّ إلى شقِّ طريقنا عبرهم بالقتال.* هذا الطَّريق خالٍ. *ولكن إلى متى؟*

همزَت آشا فَرسها بكعبيها صائحةً: «إلى الخارج!».

كان الرِّجال والدَّواب على حدٍّ سواء يخبُّون حين بلغوا الطَّرف البعيد من الحقل المخضَّل حيث تتعفَّن سنابل القمح الشَّتوي الميتة تحت القمر. كلَّفت آشا خيَّالتها بحراسة المؤخِّرة للحفاظ على حركة النَّازحين والتَّأكُّد من عدم تركهم أحدًا، وقد أطبقَت عليهم أشجار الصَّنوبر الجُندي والسَّنديان العتيقة الملتوية من كلِّ جانب. (ربوة الغابة) جديرة باسمها، فالأشجار ضخمة قاتمة وبشكلٍ ما تُنذِر بالويل، يتشابَك بعض فروعها مع بعضٍ وتصرُّ مع كلِّ تنهيدة ريح، وتخدش أغصانها العُليا وجه القمر. *كلَّما عجَّلنا بالخروج من هنا كان أفضل. الأشجار تكرهنا جميعًا في أعماق قلوبها الخشبيَّة.*

أسرعوا في جهة الجنوب والجنوب الغربي إلى أن غابَت أبراج القلعة الخشبيَّة عن أنظارهم وابتلعَت الغابة أصوات الأبواق النُّحاس. *الذِّئاب استعادوا قلعتهم. لعلَّهم يقنعون ويَترُكوننا نرحل.*

لحقَ بها تريس بوتلي، وقال مشيرًا إلى القمر اللَّائح عبر مظلَّة الغصون: «إننا نتحرَّك في الاتِّجاه الخطأ. يجب أن ننعطف شمالًا إلى السُّفن».

ردَّت بإصرار: «غربًا أولًا، غربًا حتى تُشرِق الشَّمس، ثم شمالًا»، والتفتَت إلى رولف القزم وروجون ذي اللِّحية الصَّدئة، أفضل خيَّالتها، وقالت: «اسبقانا واستطلِعا الطَّريق وتأكَّدا من خلوِّه. لا أريدُ مفاجآتٍ حين نَبلُغ السَّاحل. إذا رأيتما ذئابًا فعودا وأبلِغاني».

أكَّد لها روجون من تحت لحيته الحمراء الضَّخمة: «إذا لزِمَ الأمر».

بعد غياب الكشَّافيْن بين الأشجار استأنفَ الحديديُّون مسيرتهم ولكن ببُطء. الأشجار تُخفي عنهم القمر والنُّجوم، وأرض الغابة تحت أقدامهم سوداء خدَّاعة. قبل أن يقطعوا نِصف ميلٍ تعثَّرت فَرس ابن عمومتها كوينتون في حُفرةٍ وانكسرَت قائمتها الأماميَّة، واضطرَّ كوينتون إلى ذبحها ليُخرِس صراخها.

حثَّها تريس قائلًا: «ينبغي أن نُوقِد مشاعل».

ردَّت آشا: «النَّار ستلفت أنظار الشَّماليِّين إلى مكاننا»، وأطلقَت سبابًا بصوتٍ خفيض متسائلةً إن كان الصَّواب قد جانبَها بمغادَرة القلعة. لا. *لو بقينا وقاوَمنا لكنا جميعًا موتى الآن.* لكن التَّوغُّل في الظَّلام كالعميان لن يُجديهم نفعًا كذلك. *ستَقتُلنا هذه الأشجار إن استطاعَت.* خلعَت خوذتها وأزاحَت شَعرها المبلَّل عن آخِره بالعَرق، وقالت: «الشَّمس ستُشرِق خلال ساعاتٍ قليلة. سنتوقَّف هنا ونستريح حتى بزوغ الفَجر».

التَّوقُّف سهل، أمَّا الرَّاحة فصعبة. لم ينَم أحد، ولا حتى دايل ذو الجفن المتدلِّي، الملَّاح المعروف بالغفو بين كلِّ ضربتَي مجذاف. تقاسمَ بعض الرِّجال قِربةً من خمر تُفَّاح جالبارت جلوڤر ممرِّرين إياها من يدٍ إلى يد، ومن جلبوا طعامًا تقاسَموه مع من لم يجلبوا، وأطعمَ الخيَّالة خيلهم وسقوها، وأرسلَ ابن عمومتها كوينتون جرايچوي ثلاثة رجالٍ يتسلَّقون الأشجار ليترصَّدوا ظهور أيِّ مشاعل في الغابة، في حين شحذَ كروم فأسه وكارل البِكر سيفه، ورعَت الخيول في العُشب البنِّي الميت والحشائش، وقبضَت ابنة هاجن الصَّهباء على يد تريس بوتلي لتسحبه بين الشَّجر، فلمَّا رفضَ ذهبَت مع هارل أبي ست أصابع قدم بدلًا منه.

ليتني أستطيعُ أن أفعل مِثلها. كم سيكون جميلًا لو فقدَت نفسها بين ذراعَي كارل مرَّةً أخيرةً. خامرَ آشا إحساس سيِّئ في بطنها. هل ستَشعُر بسطح ريحها السَّوداء تحت قدميها مجدَّدًا؟ وإذا فعلَت فأين تُبحِر بها؟ *الجُزر مغلقة في وجهي ما لم أركع وأفتح ساقَي وأتحمَّل أحضان إريك آيرونميكر، ولا مكان في (وستروس) سيُرحِّب بابنة الكراكِن*. يُمكنها أن تحترف التِّجارة كما يبدو أن تريس يُريد، أو تتَّجه إلى (الأعتاب) وتنضمَّ إلى القراصنة هناك. *أو*...

تمتمَت: «أرسلُ إلى كلٍّ منكم قطعةً من الأمير».

ابتسمَ كارل ابتسامةً واسعةً، وهمسَ: «أوثرُ أن آخذ قطعةً منكِ، القطعة الحُلوة التي...».

بترَ كلامه الشَّيء الذي حلَّق من الدَّغل ليقع بينهما بصوتٍ مكتوم ويرتدَّ، شيء مستدير داكن مبتل، له شَعر طويل خفقَ حوله إذ تدحرجَ، وحينما استقرَّ وسط جذور سَنديانةٍ قال جريمتونج: «لم يعد رولف القزم طويلًا كما كان». كان نِصف رجالها قد نهضوا بالفعل ويتناوَلون تُروسهم وحِرابهم وفؤوسهم. وجدَت وقتًا يكفي لأن تُفكِّر: *هُم أيضًا لم يُوقِدوا المشاعل، ويعرفون هذه الغابة أفضل منا بمراحل*، قبل أن تتفجَّر الأشجار من كلِّ حدبٍ وصوبٍ حولهم، ويتدفَّق الشَّماليُّون يعوون. *ذئاب*، يعوون *كالذِّئاب اللَّعينة، هتاف الحرب في الشَّمال*.

صرخَ حديديُّوها فيهم، واندلعَ القتال.

لن يُؤلِّف مطرب أغنيَّةً عن هذه المعركة أبدًا، ولن يُدوِّن مِايستر حكايتها لأجل أحد كُتب القارئ الحبيبة. لا رايات خفقَت، ولا أبواق حربٍ أنَّت، ولا دعا لورد عظيم رجاله إليه ليسمعوا كلماته الأخيرة الرنَّانة. تقاتَلوا في عتمة ما قبل الفَجر، ظلالًا في مواجهة ظلال، يتعثَّرون في الحُفر والجذور وتحت أقدامهم الطِّين وورق الشَّجر المتعفِّن. يرتدي الحديديُّون حلقات المعدن والجِلد المبقَّع بالملح، والشَّماليُّون الفرو والجلود وغصون الصَّنوبر، ومن أعلى تطلَّع القمر والنُّجوم إلى صراعهم، يتسلَّل نوره ونورها الشَّاحب مكرَّرًا عبر شبكة الفروع الجرداء الملتوية من فوقهم.

ماتَ أول رجلٍ هاجمَ آشا جرايچوي عند قدميها بفأسٍ بين عينيه، وهو ما منحها فُرصة أن تُثبِّت تُرسها إلى ذراعها. نادَت: «إليّ!»، لكن سواء أوجَّهت النِّداء إلى رجالها أم أعدائها فآشا نفسها لا تستطيع الجزم. وجدَت شماليًّا طويلًا يحمل فأسًا في مواجهتها، يُلوِّح بسلاحه بكلتا يديه عاويًا بغضبةٍ بلا كلمات، فرفعَت آشا تُرسها تصدُّ الضَّربة، ثم اندفعَت مقتربةً لتَبقُر بطنه بخنجرها، واتَّخذ عُواؤه نغمةً مختلفةً إذ سقطَ. دارَت ووجدَت ذئبًا آخَر خلفها وشقَّت جبهته أسفل خوذته، وأصابَتها ضربته تحت ثديها لكن قميصها المعدني صدَّها، فغرسَت رأس خنجرها في حَلقه وتركَته يتشحَّط ويغرق في دمه. أطبقَت يد على شَعرها، لكن قِصره حالَ دون أن يستطيع صاحِبها أن يسحب رأس آشا إلى الوراء، فهوَت بكعب حذائها على مُشط قدمه وانتزعَت نفسها من قبضته حين صاحَ ألمًا، ولمَّا التفتَت كان الرَّجل قد سقطَ ويُحتضَر وهو لا يزال قابضًا على خُصلةٍ من شَعرها، وقد وقفَ كارل فوقه والدَّم يَقطُر من سيفه الطَّويل ونور القمر يسطع في عينيه.

كان جريمتونج يعدُّ الشَّماليِّين الذين يَقتُلهم صائحًا: «أربعة» مع سقوط أحدهم، ثم: «خمسة» بعد لحظةٍ واحدة. صرخَت الخيول ورفسَت وزاغَت أعيُنها رُعبًا وقد أثارَ الذَّبح والدَّم جنونها... جميعها باستثناء فحل تريس بوتلي الأغبر الكبير. اعتلى تريس سَرجه وراحَت مطيَّته ترفع قائمتيها الأماميَّتين وتدور فيما ضربَ بسيفه هنا وهناك. *قد أدينُ له بقُبلةٍ أو ثلاث بالفعل قبل ذهاب اللَّيل.*

صاحَ جريمتونج: «سبعة»، لكن إلى جواره افترشَ لورن ذو الفأس الطَّويلة الأرض وقد التوَت ساقه تحته، وظلَّت الظِّلال تُهاجِم مصدرةً الصِّياح والحفيف. فكَّرت آشا إذ قتلَت رجلًا تكسوه أوراق أكثر من معظم الأشجار المحيطة: *إننا نُقاتِل الأدغال*، وجعلَها هذا تضحك، واجتذبَت ضحكتها مزيدًا من الذِّئاب إليها، فقتلَتهم أيضًا متسائلةً إن كان يُمكنها أن تبدأ عدَّ القتلى بدورها. *أنا امرأة متزوِّجة، وهذا طفلي الرَّضيع*. أغمدَت خنجرها في صدر رجلٍ شمالي عبر الفرو والصُّوف والجِلد، وكان وجهه دانيًا للغاية منها حتى إنها شمَّت أنفاسه الكريهة، لكن يده أحاطَت بحَلقها، وشعرَت آشا بالحديد يحتكُّ بالعظم إذ انزلقَ رأس خنجرها على أحد ضلوعه، ثم ارتعدَ الرَّجل وماتَ، وعندما تركَته أحسَّت بضعفٍ كادَ يُسقِطها فوقه.

بعدها وقفَت بظَهرها إلى ظَهر كارل يُصغِيان إلى الأنين والسِّباب من حولهما وإلى أصوات الرِّجال الشُّجعان الزَّاحفين وسط الظِّلال يُنادون أمَّهاتهم باكين. انقضَّ عليها دغل بحربةٍ يكفي طولها لاختراق بطنها وظَهر كارل في آنٍ واحد وتثبيتهما ليموتا معًا. قالت لنفسها: *أفضل من الموت وحدي*، لكن كوينتون ابن عمومتها قتلَ حامل الحربة قبل أن يَبلُغها، وفي اللَّحظة التَّالية قتلَ دغل آخَر كوينتون غارسًا فأسًا في قاعدة جمجمته.

من ورائها زعقَ جريمتونج: «تسعة، وبئسًا لكم جميعًا»، واندفعَت ابنة هاجن عاريةً من بين الأشجار وفي أعقابها ذئبان، فانتزعَت آشا فأسًا وألقَتها تدور في الهواء لتُصيب أحدهما في ظَهره، وما إن سقطَ هوَت ابنة هاجن على رُكبتيها واختطفَت سيفه وطعنَت به الرَّجل الثَّاني، ثم نهضَت من جديدٍ ملطَّخةً بالدَّم والطَّمي وقد استرسلَ شَعرها الأحمر الطَّويل، واقتحمَت القتال.

في مكانٍ ما خلال كرِّ المعركة وفرِّها فقدَت آشا كارل، وفقدَت تريس، فقدَتهم جميعًا، واختفى خنجرها أيضًا، ونفدَت فؤوسها كلُّها، وبدلًا من ذلك وجدَت في يدها سيفًا قصيرًا عريض النَّصل سميكه كأنه ساطور جزَّار، ولعَمرها لا تدري كيف حصلَت عليه. أوجعَتها ذراعها، وملأ مذاق الدِّماء فمها، وبدأت ساقاها ترتجفان. كانت خيوط ضوء الفَجر تتسلَّل من بين الأشجار، فتساءلَت في أعماقها: *هل مرَّ كلُّ هذا الوقت؟ كم قضينا في القتال؟*

عدوُّها الأخير كان شماليًّا يحمل فأسًا، رجلًا كبيرًا ملتحيًا أصلع يرتدي سُترةً مرقَّعةً من الحقات المعدنيَّة الصَّدئة لا تعني إلَّا أنه أحد الزُّعماء أو الأبطال. لم يسرَّ الرَّجل أن يجد نفسه يُقاتِل امرأةً، وكلَّما سدَّد إليها ضربةً هدرَ واللُّعاب يتناثَر من فمه على وجنتيها: «قحبة! قحبة! قحبة!».

أرادَت آشا أن تردَّ له الصِّياح، لكن شيئًا لم يَخرُج من حَلقها الجاف كالصَّحراء غير أنينٍ خشن. هشَّمت فأسه تُرسها، شقَّت الخشب بضربةٍ سُفليَّة ومزَّقته إلى شظايا طويلة شاحبة حين انتزعَها، وسرعان ما لن تجد إلَّا كُتلةً من الهشيم على ذراعها. تراجعَت ونفضَت التُّرس المحطَّم، ثم تراجعَت أكثر ورقصَت يسارًا ويمينًا ثم يسارًا ثانيةً تتفادى الفأس الهاوية عليها.

واصطدمَ ظَهرها بجذع شجرةٍ ولم يَعُد بإمكانها الرَّقص. رفعَ الذِّئب فأسه فوق رأسه توطئةً لشجِّ رأسها، وحاولَت الانزلاق يمينًا لكن قدمها علقَت ببعض الجذور المتشابكة وأسقطَتها. التوَت آشا وفقدَت توازُنها، وارتطمَ رأس الفأس بصُدغها ليَصرُخ الفولاذ على الفولاذ، واحمرَّ العالم في عينيها واسودَّ ثم احمرَّ من جديد، وطقطقَ الألم في ساقها كالبرق. من بعيدٍ سمعَت الشَّمالي يقول: «أيتها القحبة الحقيرة» وهو يرفع فأسه استعدادًا للضَّربة التي ستُجهِز عليها.

ثم دوَّى بوق نُحاسي.

خطأ هذا. ليست هناك أبواق نُحاسيَّة في أبهاء الإله الغريق المائيَّة. تحت الأمواج يُحيِّي عرسان البحر سيِّدهم بالنَّفخ في الأصداف.

وحلمَت آشا بقلوبٍ حمراء أجَّاجة ووعلٍ أسود في غابةٍ ذهبيَّة تُرَفرِف ألسنة اللَّهب من قرونه.

لدى وصولهما إلى (ڤولانتيس) كانت السَّماء أرجوانيَّةً إلى الشَّرق سوداء إلى الغرب والنُّجوم بدأت تظهر.

قال تيريون لانستر لنفسه متأمِّلًا: *النُّجوم نفسها في (وستروس)*.

ربما كان ليجد شيئًا من السَّلوى في هذا لو لم يكن مقيَّد الأطراف كإوزَّةٍ وموثَقًا إلى سَرج، وقد كفَّ عن التَّلوِّي محاولًا التَّملُّص من قيوده المحكَمة، وبدلًا من ذلك ارتخى جسده تمامًا كجوالٍ من الجريش. *أدَّخرُ قوَّتي*. هكذا أخبرَ نفسه، مع أنه لا يدري لأيِّ شيءٍ يدَّخرها.

تُغلِق (ڤولانتيس) بوَّاباتها عند حلول الظَّلام، فراحَ الحَرس الواقفون على البوَّابة الشَّماليَّة يُدَمدِمون بصبرٍ نافد في العابرين. انضمَّا إلى الطَّابور وراء عربةٍ محمَّلة باللَّيمون الأخضر والبُرتقال، وأشارَ الحَرس للعربة بالمرور بمشاعلهم، وإن ألقوا نظرةً أكثر تفحُّصًا على الأندالي الكبير فوق جواده الحربي بسيفه الطَّويل وقميصه المعدني، ثم استدعوا قائدهم، وبينما تبادلَ القائد مع الفارس بعض الكلام باللُّغة الڤولانتينيَّة خلعَ أحد الحَرس قُفَّازه الفولاذ ذا المخالب وفركَ رأس تيريون، فأخبرَه القزم: «إنني مليء بالحظِّ السَّعيد. أطلِق سراحي يا صديقي وسأحرصُ على أن تنال مكافأةً سخيَّةً».

سمعَه آسِره، ولمَّا أشارَ لهما الڤولانتينيُّون بالمرور قال له: «وفِّر أكاذيبك لمن يتحدَّثون لُغتك أيها العِفريت».

عادا يتحرَّكان، مرورًا من البوَّابة وأسفل أسوار المدينة الهائلة.

ردَّ تيريون: «أنت تتحدَّث لُغتي. هل يُمكنني تغيير رأيك أم أنك عازم على شراء اللورديَّة برأسي؟».

- «كنتُ لورد بالفعل بحقِّ الميلاد. لا أريدُ ألقابًا جوفاء».

- «إنها كلُّ ما ستناله من أختي على الأرجح».

- «مع أنني سمعتُ أن اللانستر يُسدِّد ديونه دائمًا».

- «أوه، كلَّ بنس... ولكن لا جروت إضافيًّا يا سيِّدي. ستُقدَّم لك الوجبة التي تترقَّبها، لكنها لن تكون متبَّلةً بالعرفان، وفي النِّهاية لن تُغذِّيك».

- «ربما لا أريدُ إلَّا أن أراك تدفع ثَمن جرائمك. قاتِل الأقربين ملعون في أعيُن الآلهة والبَشر».

- «الآلهة عمياء، والبَشر لا يرون إلَّا ما يُريدون رؤيته».

قال الفارس: «أراك بوضوحٍ كافٍ أيها العِفريت»، وتسلَّل شيء قاتم غامض إلى نبرته إذ أردفَ: «لقد فعلتُ أشياء لستُ فخورًا بها، أشياء جلبَت العار على عائلتي واسم أبي... لكن تَقتُل أباك؟ كيف يستطيع إنسان أن يفعل هذا؟».

- «أعطِني نُشَّابيَّةً وأنزِل سراويلك وسأريك». *بكلِّ سرور.*

- «أتظنُّها نُكتةً؟».

- «أظنُّ الحياة نُكتةً، حياتك وحياتي وحياة الجميع».

مرًّا داخل المدينة بمقار رابطات عُمَّال وأسواق وحمَّامات، وبنوافير تَنثُر مياهها وتتغنَّى في منتصَف ميادين واسعة، حيث يجلس النَّاس إلى طاولاتٍ حجريَّة يُحرِّكون قِطع السايقاس ويشربون النَّبيذ من كؤوسٍ زُجاجيَّة طويلة رفيعة، فيما يُشعِل العبيد القناديل المنمَّقة لطرد الظَّلام. بطول الطَّريق ينمو النَّخيل وشجر الأَرز، وعند كلِّ رُكنٍ تقف الأنصاب التَّذكاريَّة، وإن لاحظَ القزم أن كثيرًا من التَّماثيل بلا رؤوس، ولكن حتى في غياب رؤوسها لا تفتقر إلى المهابة في أرجوان الغسق.

إذ مضى الجواد الحربي جنوبًا بمحاذاة النَّهر بدأت المحال تصير أصغر حجمًا وأكثر تواضُعًا، وأصبحَت الأشجار بطول الشَّارع صفًّا من الجذوع المبتورة، وأفسحَت حجارة الرَّصف الطَّريق للعُشب الشَّيطاني تحت حوافر حصانهما، ثم أفسحَ العُشب الشَّيطاني الطَّريق بدوره لطميٍ طريٍّ مبتل له لون فضلات الرُّضَّع. صرَّت الجسور الصَّغيرة الممتدَّة فوق النُّهيرات التي تصبُّ في (الروين) تحت ثقلهم، وحيث كان حصن يطلُّ على النَّهر في الماضي لم يتبقَّ الآن إلَّا بوَّابة محطَّمة مفغورة كفم شيخٍ يخلو من الأسنان، ولمحَ تيريون بعض الماعز تَنظُر من الشُّرفات.

أ

(ڤولانتيس) العجوز، ابنة (ڤاليريا) البِكر. (ڤولانتيس) الأبيَّة، ملكة (الروين) وسيِّدة (بحر الصَّيف)، موطن السَّادة النُّبلاء والسيِّدات الجميلات، أصحاب الدِّماء الضَّاربة في القِدم. ولا عليك بقُطعان الأطفال العُراة الذين يجوبون الأزقَّة صارخين بأصواتٍ حادَّة تَثقُب الآذان، أو بمُبارزي البراڤو الواقفين على أبواب الخمَّارات مداعبين مقابض سيوفهم، أو بالعبيد بظهورهم المحنيَّة ووجوههم الموشومة المهرعين في كلِّ مكانٍ كالصَّراصير. *(ڤولانتيس) القويَّة، أعظم المُدن الحُرَّة التِّسع وأعمرها بالسُّكَّان*. على أن الحروب العتيقة أنقصَت أعدادًا كبيرةً من أهل المدينة، وبدأت قطاعات واسعة منها تغوص في الطَّمي الذي كانت تقف عليه في ما سبقَ. *(ڤولانتيس) الجميلة، مدينة النَّوافير والأزهار*. لكن نِصف النَّوافير جفَّ ونِصف أحواض السِّباحة تصدَّع وملأته المياه العكِرة، وزحفَت فروع النَّباتات المعترشة المزهرة من كلِّ شَقٍّ في سورٍ أو رصيف، وغرسَت الأشجار الشَّابَّة جذورها في جُدران المحال المهجورة والمعابد المكشوفة.

ثم إن هناك الرَّائحة الفوَّاحة في الهواء السَّاخن الرَّطب، قويَّة نفَّاذة متغلغلة. *فيها أسماك وزهور، والقليل من روث الأفيال ايضًا. شيء عطِر وشيء أرضي وشيء ميت متعفِّن*. أعلنَ تيريون: «رائحة هذه المدينة كالعاهرة العجوز، كبغي مترهِّلة أغرقَت عورتها بالعطر لتقضي على الرَّائحة النَّتنة بين ساقيها. لستُ أشكو. مع العاهرات، الشَّابَّات رائحتهن أفضل، لكن العجائز يعرفن حيلًا أكثر».

- «تعرف عن هذا أكثر مني».

- «آه، بالطَّبع. والماخور الذي التقينا فيه، هل حسبته سِيئًا؟ التي كانت تتلوَّى في حِجرك أختك العذراء؟».

دفعَه قوله إلى العبوس، وقال: «احفظ لسانك هذا ما لم تكن تُريدني أن أربطه لك كالعُقدة».

ابتلعَ تيريون ردَّه. ما زالَت شفته متورِّمةً منذ آخِر مرَّةٍ بالغَ فيها في استفزاز الفارس. *اليدان الصُّلبتان وغياب حسِّ الفُكاهة مزيج لا يأتي منه خير*. تعلَّم هذا على الطَّريق من (سلهوريس). ذهبَت أفكاره إلى حذائه والفطر المخبَّأ في الإصبع الكبير. لم يُفتِّشه آسِره بالدِّقَّة التي يحسبها. *هذا المهرب متاح دومًا. على الأقل لن تنالني سرسي حيًّا*.

مع توغُّلهما جنوبًا بدأت علامات الازدهار تظهر من جديد. قلَّت المباني المهجورة، واختفى الأطفال العُراة، وارتدى مُبارزو البراڤو الواقفون في المداخل ثيابًا أكثر أناقةً، وبدا بعض الخانات التي مرَّا بها كأمكنةٍ يستطيع المرء أن ينام فيها بلا خوفٍ من الذَّبح. على طريق النَّهر تتدلَّى القناديل من قوائم حديديَّة وتتأرجَح في مهبِّ الرِّيح، والشَّوارع أعرض والبنايات أفخم، بعضها متوَّج بقِبابٍ عظيمة من الزُّجاج الملوَّن، وفي الغسق ومع إشعال النَّار أسفلها تتوهَّج القِباب بالأزرق والأحمر والأخضر والأرجواني.

وعلى الرغم من هذا أصابَ شيء ما في الهواء تيريون بالتَّوتُّر. يعلم أن غرب (الروين) تكتظُّ أرصفة (ڤولانتيس) بالبحَّارة والرَّقيق والتُّجَّار الذين تخدمهم الخمَّارات والخانات والمواخير، لكن شرق النَّهر لا يُرى الأغراب القادمون من وراء البحار إلَّا نادرًا. *ليس مرغوبًا في وجودنا هنا*.

أول مرَّةٍ مرًّا بفيلٍ لم يستطِع تيريون أن يمنع نفسه من الحملقة. في صِغره كان في معرض الوحوش في (لانسپورت) فيل، لكنه ماتَ وهو في السَّابعة... وهذا العملاق الرَّمادي الجسيم يبدو أكبر منه مرَّتين. بعد قليلٍ وجدا نفسيهما وراء فيلٍ آخَر أصغر حجمًا، أبيض كالعظام القديمة ويجرُّ عربةً منمَّقة الزُّخرف. سألَ تيريون آسِره: «هل تظلُّ عربة الثِّيران عربة ثيران بلا ثيران؟»، فلمَّا لم يجد استجابةً لدُعابته عادَ يلوذ بالصَّمت متأمِّلًا كفل الفيل القزم الأبيض الذي يترجرَج أمامهما.

تعجُّ (ڤولانتيس) بالأفيال القزمة البيضاء، ومع دنوِّهما من (السُّور الأسود) والقطاعات المزدحمة قُرب (الجسر الطَّويل) رأيا دستةً منها. كما أن الأفيال الرَّماديَّة الكبيرة ليست نادرةً، بل موجودة هنا وهناك وعلى ظهورها الضَّخمة الهوادج. في ضوء المساء الخافت تَخرُج عربات الرَّوث التي يجرُّها عبيد نِصف عُراة مهمَّتهم أن يجرفوا الأكوام السَّاخنة التي تُخلِّفها الأفيال صغيرها وكبيرها، ولأن أسراب الذُّباب تتبع العربات فوجوه هؤلاء العبيد موشومة بالذُّباب لتمييز عملهم. *حِرفة تَصلُح لأختي. كم ستبدو جميلةً بجاروفٍ في يدها وذُباباتٍ موشومة على وجنتيها الغضَّتين المتورِّدتين.*

عندئذٍ كانت حركتهما قد تباطأت كثيرًا. تَخنُق طريق النَّهر حركة المرور التي تتدفَّق كلُّها تقريبًا جنوبًا، وقد مضى معها الفارس كجذع شجرةٍ في تيَّار الماء. رمقَ تيريون الجموع المارَّة ملاحظًا أن تسعةً من كلِّ عشرة على وجوههم علامات الرِّق.

«عبيد كثيرون للغاية... أين يذهبون؟».

- «الرُّهبان الحُمر يُشعِلون نيرانهم اللَّيليَّة عند الغروب. سيتكلَّم الرَّاهب الأعلى. كنتُ لأتفاداه إن استطعت، ولكن لبلوغ (الجسر الطَّويل) علينا المرور بالمعبد الأحمر».

بعد ثلاث بنايات انفتحَ الشَّارع أمامهما على ساحةٍ ضخمة تُضيئها المشاعل، وها هو ذا. *ليُنقِذني (السَّبعة)، لا بُدَّ أنه أكبر ثلاث مرَّات من (سِپت بيلور الكبير)*. يرتفع (معبد إله الضِّياء) كـ(تل إجون العالي)، صرح من الأعمدة والسَّلالم والدِّعامات والجسور والقِباب والبروج، جميعها متداخل متشابك كأنها منحوتة من صخرةٍ عملاقة واحدة. على جُدران المعبد تلتقي مئة درجةٍ من الأحمر والأصفر والذَّهبي والبُرتقالي وتمتزج، يذوب بعضها في بعضٍ كالسَّحاب عند غروب الشَّمس، وتلتوي الأبراج الرَّفيعة إلى أعلى كأنها لهب مجمَّد يمتدُّ إلى السَّماء. *النَّار وقد استحالَت إلى حجر*. على جانبَي درجات المعبد تشتعل نيران ليليَّة ضخمة، وبينها بدأ الرَّاهب الأعلى يتكلَّم.

بنيرو. وقفَ الرَّاهب على قمَّة عمودٍ حجري أحمر يربطه جسر رفيع بشُرفةٍ شامخة يقف فيها الرُّهبان والمُعاونون الأدنى مرتبةً، وقد ارتدى المُعاونون الأصفر الباهت والبُرتقالي الصَّارخ، والرُّهبان والرَّاهبات الأحمر.

تكاد السَّاحة أمامهما تكون مصمتةً من فرط الزِّحام. كان كثيرون جدًّا من المتعبِّدين يُثبِّتون قُصاصاتٍ من القُماش الأحمر إلى أكمامهم أو يربطونها حول جباههم، وانصرفَت الأعيُن كلُّها إلى الرَّاهب باستثناء أعيُنهما. دمدمَ الفارس وحصانه يتقدَّم بصعوبةٍ عبر الأعداد الغفيرة: «أفسِحوا الطَّريق، دعونا نمرُّ»، فأذعنَ القولانتينيُّون باستياءٍ تصحبه الهمهمات والنَّظرات الغاضبة.

تردّد صوت بنيرو العالي بوضوح. الرَّجل طويل ناحل، له وجه مسحوب وبشرة بيضاء كالحليب، وعلى وجنتيه وذقنه ورأسه الأصلع تصنع وشوم اللَّهب قناعًا أحمر زاهيًا يُحيط بعينيه ويلتفُّ إلى أسفل محيطًا بشفتيه الرَّفيعتين للغاية. سألَ تيريون: «أهذا وشم عبوديَّة؟».

أومأ الفارس برأسه مجيبًا: «المعبد الأحمر يشتريهم وهُم أطفال ويجعل منهم رُهبانًا أو بائعي هوى أو مُحاربين. انظُر هناك»، وأشارَ إلى الدَّرجات حيث يقف صفٌّ من الرِّجال في دروعٍ منمَّقة ومعاطف بُرتقاليَّة أمام باب المعبد، يقبضون على حِرابٍ تتَّخذ رؤوسها شكل اللَّهب المتلوِّي. «اليد النَّاريَّة، جُند إله الضِّياء المقدَّسون وحُماة المعبد».

فُرسان النَّار. «وكم إصبعًا في هذه اليد يا تُرى؟».

- «ألف، لا أكثر ولا أقل. كلَّما انطفأ لهب أحدهم أُشعِلَ لهب جديد في مكانه».

أشارَ بنيرو بإصبعه إلى القمر بحدَّةٍ ثم كوَّر قبضته ثم بسطَ يديه عن آخِرهما، وحين تعاظمَت نبرته وثبَ اللَّهب من أصابعه بصوتٍ جيَّاش مباغت جعلَ الجمهور يشهق، وبعدها بدأ الرَّاهب يَكتُب حروفًا ناريَّةً في الهواء. *أبجديَّة ڤاليريَّة*. تعرَّف تيريون كلمتين من عشرة ربما، إحداهما «الهلاك» والثَّانية «الظَّلام».

تفجَّر الصِّياح من المحتشدين، وانتحبَت النِّساء ولوَّح الرِّجال بقبضاتهم. *يُساوِرني شعور سيِّئ.* ذكَّر المشهد القزم بيوم أبحرَت مارسلا إلى (دورن) والشَّغب الذي اندلعَ وهُم يشقُّون طريق العودة إلى (القلعة الحمراء).

تذكَّر تيريون كلام هالدون النِّصف مِايستر عن استغلال الرَّاهب الأحمر لصالح جريف الصَّغير، لكن الآن وقد رأى وسمعَ الرَّجل بنفسه وجدَها فكرةً في غاية السُّوء، وأملَ أن يكون جريف أكثر حصافةً. *بعض الحُلفاء أخطر من الأصدقاء، لكن على اللورد كونُنجتون أن يكتشف هذا بنفسه، لأنني سأكونُ رأسًا على خازوق على الأرجح.*

كان الرَّاهب يُشير إلى (السُّور الأسود) وراء المعبد ويُلوِّح بيده نحو شُرفاته حيث تقف مجموعة صغيرة من الحُرَّاس المسلَّحين تُشاهِد، فسألَ تيريون الفارس: «ماذا يقول؟».

- «إن دنيرس في خطر، إن عين الظَّلام وقعَت عليها وأعوان اللَّيل يُخطِّطون لدمارها، يُصلُّون لآلهتهم الزَّائفة في معابد الخديعة... يتآمَرون على الخيانة مع الأجانب الكافرين...».

بدأت الشُّعيرات الصَّغيرة على مؤخِّرة عُنق تيريون تنتصب. *لن يجد الأمير إجون أصدقاءَ هنا*. تكلَّم الرَّاهب عن نبوءةٍ عتيقة، نبوءة تُبشِّر بمجيء بطلٍ يُنقِذ العالم من الظُّلمات. *بطل واحد لا بطلان. دنيرس لديها تنانين، أمَّا إجون فلا*. ليس القزم محتاجًا إلى أن يكون نبيًّا ليتكهَّن بردَّة فعل بنيرو وأتباعه حيال ظهور تارجاريَن آخَر في الصُّورة. فكَّر مندهشًا من قدر اهتمامه بالأمر: مؤكَّد *أن جريف سيرى هذا أيضًا*.

عندئذٍ كان الفارس قد شقَّ طريقهما قسرًا عبر أغلب الزِّحام في طرف السَّاحة متجاهلًا اللَّعنات التي انصبَّت عليهما. وقفَ أمامهما رجل، لكن آسِره أمسكَ مقبض سيفه وسحبَه مظهرًا قدمًا فقط من الفولاذ المجرَّد، ليختفي الرَّجل في لحظةٍ وينفتح زُقاق أمامهما فجأةً. همزَ الفارس حصانه ليتحرَّك خببًا وتركا الجماهير وراءهما، وللحظاتٍ سمعَ تيريون صوت بنيرو يخفت شيئًا فشيئًا من ورائهما والهدير الذي تُفجِّره كلماته كالرَّعد.

بلغا اسطبلًا. ترجَّل الفارس ودقَّ الباب بعُنفٍ إلى أن جاءَ عبد على وجنته رأس حصان مسرعًا، ثم أُنزِل القزم بخشونةٍ من فوق السَّرج ورُبِطَ إلى عمودٍ فيما أيقظَ آسِره مالك الاسطبل وساومَه على ثَمن حصانه وسَرجه. *بيع الحصان أرخص من شحنه عبر العالم*. توقَّع تيريون سفينةً في مستقبله القريب. قد يكون نبيًّا بالفعل.

عندما انتهَت المساوَمة علَّق الفارس أسلحته وتُرسه وجِراب سَرجه على ظَهره واستعلمَ عن الاتِّجاه إلى أقرب ورشة حدادة، وحين بلغاها اتَّضح أنها مغلقة أيضًا، وإن انفتحَت على إثر صيحةٍ من الفارس. رمقَ الحدَّاد تيريون مضيِّقًا عينيه ثم أومأ برأسه وقبلَ حفنةً من العُملات، وقال الفارس لأسيره: «تعالَ هنا»، وسحبَ خنجره وقطعَ قيود القزم الذي قال فاركًا معصميه: «أشكرك»، لكن الفارس ضحكَ قائلًا: «وفِّر امتنانك لمن يستحقُّه أيها العِفريت. لن يُعجِبك الجزء التَّالي».

ولم يكن مخطئًا.

الأغلال من الحديد الأسود السَّميك الثَّقيل، وزن كلٍّ منها رطلان إذا أحسنَ القزم التَّقدير، وأضافَت السَّلاسل مزيدًا من الوزن. قال تيريون والحدَّاد يدقُّ مغلقًا الحلقات الأخيرة: «مؤكَّد أنني مخيف أكثر مما حسبتُ». أصابَت كلُّ دقَّةٍ ذراعه بصدمةٍ سرَت فيها حتى الكتف تقريبًا. «أم أنك تخشى أن أندفع هاربًا على ساقَي الصَّغيرتين ناقصتَي النُّمو هاتين؟».

لم يرفع الحدَّاد بصره عن عمله إطلاقًا، لكن الفارس ضحكَ بقتامة، وقال: «ما يهمُّني فمك لا ساقاك. في الأصفاد ستكون عبدًا، ولن يُصغي أحد إلى كلمةٍ تقولها، حتى من يتكلَّمون لُغة (وستروس)».

قال تيريون معترضًا: «لا داعي لهذا. سأكونُ سجينًا مطيعًا، حقًّا، حقًّا».

- «أثبِت هذا إذن واخرس».

وهكذا أطرقَ تيريون برأسه وابتلعَ لسانه إذ ثُبِّتَت السَّلاسل من المعصم إلى المعصم ومن المعصم إلى الكاحل ومن الكاحل إلى الكاحل. *هذه الأشياء اللَّعينة وزنها أثقل مني*. على الأقل ما زالَ يتنفَّس. كان بإمكان آسِره أن يقطع رأسه بالسُّهولة ذاتها، فهذا هو كلُّ ما تتطلَّبه سرسي في النِّهاية، لكن خطأ آسِره الأول أنه لم يضرب عُنقه في الحال. *بين (ڤولانتيس) و(كينجز لاندنج) نِصف عالم، وثمَّة أشياء كثيرة قد تَحدُث في الطَّريق أيها الفارس*.

أكمَلا طريقهما سيرًا على الأقدام، يرنُّ تيريون ويُصَلصِل مكافحًا لمجاراة خُطى آسِره الواسعة العَجول، وكلَّما بدا أنه سيتخلَّف أطبقَ الفارس على سلاسله وشدَّها بخشونةٍ ليمضي القزم متوثِّبًا متعثِّرًا إلى جواره. *كان يُمكن أن يكون الأمر أسوأ لو حثَّني على الحركة بالكُرباج*.

تمتدُّ (ڤولانتيس) فوق أحد مصبَّات (الروين) حيث يُقبِّل النَّهر البحر، ويربط نِصفيها معًا (الجسر الطَّويل). أقدم مناطق المدينة وأغناها شرق النَّهر، لكن المرتزِقة والبرابرة وغيرهم من الأجانب الأجلاف لا يجدون ترحيبًا هناك، وعليه فيجب أن يَعبُروا الجسر إلى الغرب.

مدخل (الجسر الطَّويل) قنطرة من الحجر الأسود المنقوشة عليه صُور آباء الهول والمانتيكورات[45] والتَّنانين وكائنات أخرى أغرب، ووراء القنطرة الامتداد العظيم الذي شيَّده الڤاليريُّون في أوج مجدهم وتحمل ركائز عملاقة طريقه الحجري الأملس المصمت. لا يتَّسع الطَّريق لمرور أكثر من عربتين متجاورتين، ولذا كلَّما تلتقي عربة متَّجهة غربًا واحدةً ذاهبةً شرقًا تضطرُّ كلتاهما إلى خفض سرعتها حدَّ الزَّحف.

جيِّد أنهما ماشيان، فبعد أن قطعا ثُلث الطَّريق وجدا عربةً محمَّلةً بالشمَّام اشتبكَت عجلاتها مع عجلات واحدةٍ تتكدَّس عليها البُسط الحرير، وهو ما تسبَّب في تعطيل حركة العربات الأخرى كلِّها. توقَّف كثيرون من المارَّة أيضًا ليُشاهِدوا السَّائقين يتبادَلان الزَّعيق والشَّتائم، لكن الفارس قبضَ على سلسلة تيريون، وشقَّ لهما طريقًا عنوةً بين الجموع. في منتصَف الزِّحام حاولَ صبيٌّ أن يمدَّ يده داخل صُرَّة نقوده، لكن ضربةً قويَّةً بمِرفق الفارس حالَت دون ذلك وطبقَت أنف اللِّص الدَّامي على وجهه.

على جانبيهما ترتفع بنايات شتَّى؛ محال ومعابد، وحانات وخانات، وصالات سايقاس ومواخير. أكثرها من ثلاثة أو أربعة طوابق، وينتأ كلُّ طابقٍ عن الذي أسفله، فيما تتقارَب الطَّوابق العُليا بشدَّةٍ حتى تكاد تتبادَل القُبل. شعرَ تيريون في أثناء عبور الجسر كأنه يمضي في ممرٍّ مضاء بالمشاعل. على الامتداد محال وأكشاك من كلِّ صنف، يعرض النسَّاجون والخيَّاطون بضائعهم جنبًا إلى جنب نافخي الزُّجاج والشمَّاعين والسمَّاكات بائعات ثعابين الماء والمحار. يضع كلُّ صائغٍ حارسًا على بابه، فيما يضع كلُّ عطَّارٍ حارسين، ذلك أن بضائعهم أثمن من الذَّهب مرَّتين. هنا وهناك بين المحال يستطيع العابر أن يرى لمحةً خاطفةً من النَّهر. إلى الشَّمال (الروين) شريط أسود عريض مزدان بانعكاسات النُّجوم، أعرض خمس مرَّاتٍ من (النَّهر الأسود) في (كينجز لاندنج)، وجنوب الجسر ينفتح النَّهر ليُعانِق البحر المالح.

في منتصَف الجسر وبطول الطَّريق تُعلَّق أيدي اللُّصوص والنشَّالين كحُزم البصل من قوائم حديديَّة، وقد عُلِّقت ثلاثة رؤوس أيضًا، رجلان وامرأة جرائمهم مكتوبة على ألواحٍ تحتهم. عند الرُّؤوس يقف حارسان بخوذتين مصقولتين وقميصين من حلقات الفضَّة، وعلى وجناتهما خطوط نمرٍ خضراء كاليَشب. بين الحين والآخَر يُلوِّح الحارسان بحربتيهما لطرد العواسق والنَّوارس وغِربان الجيف التي أتَت تتودَّد إلى الموتى، لكن الطُّيور تعود دومًا إلى الرُّؤوس خلال دقائق معدودة.

تساءلَ تيريون ببراءة: «ماذا فعلوا؟».

رمقَ الفارس المدوَّن على الألواح، ثم أجابَ: «المرأة كانت أَمةً رفعَت يدها على سيِّدتها، والرَّجل الأكبر سِنًّا اتُّهِمَ بالتَّحريض على التَّمرُّد والتَّجسُّس لحساب ملكة التَّنانين».

- «والأصغر سِنًّا؟».

- «قتلَ أباه».

ألقى تيريون نظرةً ثانيةً على الرَّأس المتعفِّن، وفكَّر: *تكاد شفتاه تبتسمان*.

بعد مسافةٍ توقَّف الفارس فترةً وجيزةً يستعرض عصابة رأسٍ محلَّاة بالجواهر معروضةً على وسادةٍ من المخمل الأرجواني، ثم تركَها وتوقَّف بعد بضع خُطواتٍ أخرى عند كُشك دبَّاغ ليُساوِم على ثَمن زوجين من القُفَّازات الجِلد. شعرَ تيريون بالامتنان لتوقُّفهما، إذ تقطَّعت أنفاسه وراحَ يلهث من الحركة المتعجِّلة، وسحجَت الأصفاد معصميه.

من طرف (الجسر الطَّويل) القصي سارا مسافةً قصيرةً عبر قطاعات الضفَّة الغربيَّة المزدحمة المطلَّة على الماء، وفي شوارع مضاءة بالمشاعل تعجُّ بالبحَّارة والعبيد والمحتفلين السَّكارى. مرَّ بهما فيل يمشي متثاقلًا وعلى متنه دستة من الأَمات شِبه العاريات أخذن يُلوِّحن من الهودج على ظَهره ويُداعِبن المارَّة بكشف أثدائهن صائحات: «مالاكو، مالاكو!»، وكان منظرهن فاتنًا لدرجة أن تيريون كادَ يدوس كومة الرَّوث السَّاخن التي خلَّفها الفيل وارءه، لكن الفارس أنقذَه في اللَّحظة الأخيرة إذ سحبَه جانبًا بجذب سلسلته بقوَّةٍ جعلَته يترنَّح ويتعثَّر.

سألَ القزم: «كم تبقَّى؟».

- «هناك، (ميدان السمَّاكين)».

اتَّضح أن وجهتهما (بيت التُّجَّار)، مبنى هائل يرتفع أربعة طوابق ويجثم بين المخازن والمواخير والحانات المشرفة على الماء كرجلٍ بدين ضخم يُحيط به الأطفال، قاعته العامَّة أوسع من القاعات الكُبرى في نِصف قلاع (وستروس)، متاهة خفيضة الإضاءة تضمُّ مئةً من التَّجاويف الخاصَّة والأركان المنعزلة، تتردَّد على عوارضها المسودَّة وسقوفها المتصدِّعة جلبة البحَّارة والتُّجَّار والقباطنة ومبدِّلي العُملة والسقَّانين والنخَّاسين، يكذبون ويلعنون ويغشُّ بعضهم بعضًا بِنصفمئة لغةٍ مختلفة.

استحسنَ تيريون اختيار مكان المبيت. مؤكَّد أن (العذراء الخجول) سيَبلُغ (ڤولانتيس) عاجلًا أو آجلًا، وهذا أكبر خانٍ في المدينة، الاختيار الأول للسقَّانين والرَّبابنة والتُّجَّار. أعمال كثيرة تُجرى في هذا الجُحر الفسيح المسمَّى قاعةً عامَّةً، وهو يعرف عن (ڤولانتيس) ما يكفي لأن يعرف هذا. فليأتِ جريف ومعه البطَّة وهالدون وسرعان ما سيعود حُرًّا من جديد.

وفي تلك الأثناء عليه أن ينتظر حتى تأتي فُرصته.

الغُرف بالأعلى لا تمتُّ للفخامة بصِلة، لا سيَّما الرَّخيص منها في الطَّابق الرَّابع. غُرفة النَّوم التي استأجرَها آسِره محشورة في زاوية المبنى تحت سطحٍ مائل، وتضمُّ سقفًا واطئًا، وفِراشًا مرتخيًا محشوًّا بالرِّيش له رائحة قبيحة، وأرضيَّةً مائلةً من ألواح الخشب ذكَّرت تيريون بإقامته في (العُش). *على الأقل لهذه الغُرفة جُدران*. ولها نافذتان أيضًا، وهذا أبرز مميِّزاتها، بالإضافة إلى الحلقة الحديد المثبَّتة في الحائط، النَّاجعة تمامًا إذا أرادَ أحدهم أن يُسَلسِل عبده. توقَّف آسِره فقط ليُشعِل شمعةً من الشَّحم قبل أن يُثبِّت سلاسل تيريون إلى الحلقة.

اعترضَ القزم قائلًا وهو يهزُّ سلاسله بوهن: «أهذا ضروري؟ أين سأذهبُ؟ هل سأخرجُ من النَّافذة؟».

- «ربما».

- «إننا على ارتفاع أربعة طوابق، ولا أستطيعُ الطَّيران».

- «يُمكنك أن تُلقي نفسك، وأنا أريدك حيًّا».

أجل، ولكن لماذا؟ سرسي لن تُبالي. هزَّ تيريون سلاسله ثانيةً، وقال: «أعرفُ من أنت أيها الفارس». لم يكن الاستنتاج صعبًا. الدُّب على سُترته، والرَّمز على تُرسه، واللورديَّة المفقودة التي ذكرَها. «وأعرفُ ماذا تكون، وإذا كنت تعرف من أنا فمؤكَّد أنك تعرف أيضًا أنني كنتُ يد الملك وكنتُ عضوًا في مجلسٍ واحد مع العنكبوت. هل يهمُّك أن تعلم أن الخصيّ هو من أرسلَني في هذه الرِّحلة؟». هو وچايمي، *لكني سأتركُ أخي خارج الأمر*. «إنني مخلوقه مِثلك تمامًا، ولا يَجدُر بنا أن نتنازَع».

لم يُرض قوله الفارس الذي ردَّ: «لقد أخذتُ مال العنكبوت، لن أنكر هذا، لكنني لم أكن مخلوقه قَطُّ، وولائي لفريق آخَر الآن».

- «لسرسي؟ إذن فأنت أحمق كبير. أختي لا تتطلَّب إلَّا رأسي، وأنت تحمل سيفًا بتَّارًا، فلِمَ لا تُنهي هذه المهزلة الآن وتُريحنا في آنٍ واحد؟».

قال الفارس ضاحكًا: «أهذه حيلة أقزامٍ ما؟ تتوسَّل الموت على أمل أن أتركك تعيش؟»، وذهبَ إلى الباب مستطردًا: «سأجلبُ لك شيئًا من المطبخ».

- «يا للُطفك. سأنتظرُ هنا».

- «أعرفُ هذا». ورغم ذلك أوصدَ الفارس الباب وراءه حين غادرَ بمفتاحٍ حديدي ثقيل. (بيت التُّجَّار) شهير بأقفاله.

فكَّر القزم بمرارة: *الغُرفة مؤمَّنة كزنزانة، لكن على الأقل فيها نافذتان.*

يعرف تيريون أن فُرص تخلُّصه من سلاسله أقل من معدومة، وعلى الرغم من هذا وجدَ نفسه مجبرًا على المحاولة، فلم يُفضِ المجهود الذي بذلَه في محاولة سحب إحدى يديه من أصفادها إلَّا إلى كشط المزيد من الجِلد عنها وإغراق معصمه بالدَّم اللَّزج، ولم يُفلِح كلُّ ما أقدمَ عليه من شدٍّ وليٍّ في فصل الحلقة الحديد عن الحائط، وهكذا قال لنفسه وهو يتهاوى أرضًا بقدر ما تسمح له السَّلاسل: *سُحقًا لهذا.* بدأت ساقاه تتشنَّجان. *ستكون ليلةً جحيميَّةً. الأولى من كثيرات لا شك.*

الغُرفة خانقة، ولذا فتحَ الفارس مصاريع النَّافذتين كي يَدخُل النَّسيم من جهتين. الحقيقة أن على الرغم من كونها محشورةً في زاوية المبنى تحت الإفريز فالغُرفة محظوظة بتمتُّعها بنافذتين دُفعةً واحدةً. تطلُّ إحداهما على (الجسر الطَّويل) وقلب (ڤولانتيس القديمة) المسوَّر بالأسود عبر النَّهر، والثَّانية تُفتَح على السُّوق بالأسفل. قال مورمونت إن اسمه (ميدان السمَّاكين)، ورغم قِصر السَّلاسل وجدَ تيريون أنه يستطيع الرُّؤية من النَّافذة الثَّانية إذا مالَ جانبًا وتركَ الحلقة الحديد تدعم وزنه. *ليست سقطةً طويلةً كالسَّقطة من زنازين لايسا آرن السَّماويَّة، لكنها ستقودني إلى حتفي هي الأخرى. ربما إذا كنتُ نملًا...*

حتى في هذه السَّاعة الميدان مزدحم بالبحَّارة المشاغبين والعاهرات الباحثات عن زبائن والتُّجَّار المنصرفين إلى أعمالهم. رأى راهبةً حمراء تمرُّ مسرعةً وفي صُحبتها دستة من المُعاونين حاملي المشاعل تخفق أرديتهم حول كواحلهم، وفي بقعةٍ أخرى انغمسَ لاعبا سايڤاس في الحرب خارج حانة وقد وقفَ إلى جوار طاولتهما عبد يرفع مصباحًا فوق الرُّقعة. سمعَ تيريون امرأةً تُغنِّي بكلماتٍ غريبة على لحنٍ ناعم شجي. *لو عرفتُ عمَّ تُغنِّي لبكيتُ*. في بُقعةٍ أقرب اجتمعَت جمهرة حول حاوييْن يتبادَلان قذف المشاعل الموقدة.

عادَ آسِره بعد قليلٍ حاملًا دورقيْن وبطّةً مشويّةً. ركلَ الباب مغلقًا إياه ومزَّق البطّة نِصفين ألقى أحدهما لتيريون، الذي كان ليتلقّفه في الهواء لولا أن سلاسله لم تَكفُل له ذلك عندما حاولَ أن يرفع ذراعيه، وبدلًا من ذلك صدمَ الطّائر صُدغه وانزلقَ بدُهنه وسخونته على وجهه، واضطرَّ القزم إلى الإقعاء ومدِّ ذراعيه عن آخِرهما وسلاسله تُصَلصِل، وأخيرًا مع المحاولة الثّالثة ظفرَ بالطّائر وغرسَ أسنانه فيه بسعادة، ثم قال: «القليل من المِزر لأبلع طعامي؟».

قال مورمونت مناولًا إياه دورقًا: «نِصف (ڤولانتيس) يسكر اللَّيلة، فلِمَ ليس أنت أيضًا؟».

وجدَ المِزر حُلوًا فيه مذاق فاكهة. أخذَ تيريون جرعةً كبيرةً وتجشّأ بسعادة، ثم رمقَ الدّورق القصدير الثّقيل مفكّرًا: *أفرِغه وألقِه على رأسه. إذا حالفَني الحظُّ فقد يكسر جمجمته، وإذا حالفَني الحظُّ بشدَّةٍ فسأخطئ الرَّمية ويُكيل لي اللَّكمات حتى الموت*. أخذَ جرعةً أخرى، وتساءلَ: «أهذا عيد ديني ما؟».

- «اليوم الثّالث من انتخاباتهم. تدوم عشرة أيام، عشرة أيام من الجنون. مسيرات على ضوء المشاعل، وخُطب وممثّلون وموسيقيُّون، وراقصون ومُبارزو براڤو يتنازَلون حتى الموت على شَرف مرشَّحيهم، وأفيال مكتوبة على جوانبها بالطِّلاء أسماء من يُريدون الفوز بالقنصلة. هذان الحاويان يُؤدِّيان عرضهما من أجل ميثيسو».

قال تيريون: «ذكِّرني بأن أصوِّت لأحدٍ غيره»، ولعقَ الدُّهن عن أصابعه. بالأسفل كان الجمهور يُلقي قِطع العُملة للحاويَيْن. «هل يُموِّل كلُّ من يرغبون في الفوز بالقنصلة عروض ممثِّلين؟».

أجابَ مورمونت: «يفعلون كلَّ ما يحسبونه سيُكسِبهم الأصوات أيًّا كان؛ الطَّعام والشَّراب والعروض المبهرة... آليوس أرسلَ مئة أَمة إلى الشَّوارع لينمن مع المصوِّتين».

قال تيريون وقد اتَّخذ قراره: «سأصوِّتُ له. اجلب لي أَمةً».

- «إنهن للقولانتينيِّين الأحرار أصحاب الأملاك الكافية للتَّصويت. غرب النَّهر المصوِّتون قلائل للغاية».

سألَ تيريون: «ويستمرُّ هذا عشرة أيام؟»، وضحكَ متابعًا: «قد أستمتعُ بهذا، ولو أن ثلاثة ملوك يعني وجود اثنين أكثر من اللَّازم. أحاولُ أن أتخيَّل حُكم (الممالك السَّبع) مع أختي الجميلة وأخي الشُّجاع إلى جواري. مؤكَّد أن أحدنا سيَقتُل الاثنين الآخَريْن خلال أقل من عام. يُدهِشني أن هؤلاء القناصل لا يفعلون ذلك».

- «بعضهم حاولَ. قد يكون القولانتينيُّون هُم الأذكياء والوستروسيُّون الحمقى. (قولانتيس) نالَت قسطًا من الحماقات، لكنها لم تسمح قَطُّ بأن يَحكُمها قُنصل صبي، ومتى انتُخِبَ رجل مجنون حجرَ عليه زميلاه إلى أن تنتهي سنتهم في الخدمة. فكِّر في الموتى الذين كانوا ليعيشوا حتى الآن لو أن إيرس المجنون اقتسمَ الحُكم مع ملكين آخَريْن».

قال تيريون في نفسه: *وبدلًا من ذلك كان معه أبي*.

واصلَ الفارس: «بعض أهالي المُدن الحُرَّة يحسبوننا جميعًا همجيِّين على جانبنا من (البحر الضيِّق)، ومن لا يحسبون ذلك يظنُّوننا أطفالًا نرفع عقيرتنا مطالبين بيدٍ أبويَّة قويَّة».

- «أو يدٍ أموميَّة؟». *ستحبُّ سرسي هذا، خصوصًا عندما يُقدَّم إليها رأسي*. «يبدو أنك تعرف المدينة جيِّدًا».

قال الفارس مدوِّرًا ثُمالة شرابه في قعر دورقه: «قضيتُ ما يَقرُب من عامٍ هنا. حين دفعَني ستارك إلى المنفى هربتُ إلى (لِيس) مع زوجتي الثَّانية. كانت (براڤوس) لتُناسِبني أكثر، لكن لينيس أرادَت مكانًا دافئًا، وبدلًا من خدمة البراڤوسيِّين قاتلتهم على ضفاف (الروين)، لكن مقابل كلِّ قطعةٍ فضِّيَّة كسبتها أنفقَت زوجتي عشرًا، ولدى عودتي إلى (لِيس) كانت قد اتَّخذت لنفسها عشيقًا أخبرَني بمرحٍ أنه سيستعبدني تسديدًا لديوني ما لم أتنازَل عنها وأرحل من المدينة. هكذا جئتُ (ڤولانتيس) سابقًا العبوديَّة بخُطوة، لا أملكُ شيئًا إلَّا سيفي والثِّياب التي أرتديها».

- «والآن تُريد أن تهرع إلى الوطن».

أفرغَ الفارس ما تبقَّى من مِزره في جوفه، وقال: «غدًا سأجدُ لنا سفينةً. الفِراش لي. يُمكنك أن تنام على قطعة الأرض التي تسمح لك سلاسلك ببلوغها. نم إن استطعت، وإن لم تستطِع فاحصِ جرائمك. ستجد ما يكفي من وقتٍ لهذا حتى الصَّباح».

فكَّر القزم: *أنت أيضًا ارتكبت جرائم عليك أن تدفع ثَمنها يا چورا مورمونت*، ولكن خطرَ له أن الحكمة تقتضي أن يحتفظ بالفكرة لنفسه.

علَّق السير چورا حزام سيفه على أحد أعمدة السَّرير وخلعَ حذاءه ركلًا، ثم خلعَ قميصه المعدني وما يرتديه من صوفٍ وجِلد وسُترته التَّحتيَّة المبقَّعة بالعَرق ليكشف جذعًا نديبًا متينًا مغطًّى بالشَّعر الدَّاكن. قال تيريون لنفسه إذ رمى مورمونت نفسه على الفِراش المرتخي كريه الرَّائحة: *لو أنني أستطيعُ أن اسلخه لبعتُ جِلدته هذه باعتبارها معطفًا من الفرو.*

خلال لحظاتٍ راحَ الفارس يغطُّ في نومٍ عميق تاركًا غنيمته المسلسَلة وحدها. مع فتح النَّافذتين على مصاريعهما ترقرقَ نور القمر المُحاق داخل الغُرفة وتصاعدَت الأصوات من الميدان بالأسفل؛ شذرات من أغنيَّة سكارى، وعويل قِطَّةٍ تُعاني الاحترار، ورنين الفولاذ على الفولاذ من بعيد. *أحدهم على شفا الموت*.

كان معصمه ينبض ألمًا حيث مزَّق جِلده، وجعلَت أصفاده الجلوس مستحيلًا، ناهيك بأن يتمدَّد. أفضل ما استطاعَه أنه التوى جانبًا وأسندَ نفسه إلى الحائط، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يبدأ في فقدان إحساسه بيديه، وحين تحرَّك محاولًا تخفيف الشَّدِّ عنهما تدفَّق الإحساس إليهما من جديدٍ ومعه الألم، واضطرَّ إلى الكزِّ على أسنانه كي لا يَصرُخ. تساءلَ كم تألَّم أبوه عندما اخترقَ السَّهم عانته، وما شعرَت به شِاي عندما لوى السِّلسلة حول حَلقها الكاذب، وما شعرَت به تايشا وهُم يغتصبونها. يعلم أن معاناته لا شيء مقارنةً بمعاناتهم، لكن هذا لم يُخفِّف ألمه. *أريده أن يتوقَّف*.

كان السير چورا قد انقلبَ على جانبه، فلم يرَ تيريون منه إلَّا ظَهره المُشعر العضلي العريض. *حتى لو استطعتُ الخلاص من هذه السَّلاسل فعليَّ أن أمرَّ من فوقه لأبلغ حزام السَّيف. ربما إذا استطعتُ سحب الخنجر ببُطء*... أو يُمكنه أن يُحاوِل أخذ المفتاح وفتح الباب والتَّسلُّل على السَّلالم وعبر القاعة العامَّة... *وأين أذهبُ؟ إنني بلا أصدقاء أو مال، ولا أتكلَّمُ اللُّغة المحلِّيَّة حتى*.

في النِّهاية طغى الإنهاك على الألم وغابَ تيريون في نومٍ مضطرب، ولكن كلَّما استفحلَ تشنُّج آخَر داخل رَبلة ساقه صاحَ القزم في نومه مرتجفًا.

استيقظَ وكلُّ عضلةٍ في جسده تُؤلِمه ليجد ضوء النَّهار ينهمر من النَّافذتين ساطعًا ذهبيًّا كأسد عائلة لانستر، ومن أسفل سمعَ صياح بائعي الأسماك وقعقعة العجلات المؤطَّرة بالحديد على حجارة الرَّصف.

كان چورا مورمونت واقفًا فوقه يسأله: «إذا خلعتك من الحلقة فهل ستفعل كما يُقال لك؟».

- «هل سيتضمَّن هذا الرَّقص؟ قد أجدُ الرَّقص صعبًا. إنني لا أشعرُ بساقَي، ربما سقطَتا. لكن بخلاف ذلك أنا تحت أمرك، أقسمُ بشَرفي كلانستر».

قال السير چورا: «آل لانستر لا شَرف لهم»، لكنه خلعَه من الحلقة على كلِّ حال.

أخذَ تيريون خُطوتين راجفتين وسقطَ، وجعلَ الدَّم المتدفِّق عائدًا إلى معصميه عينيه تدمعان، فعضَّ شفته وقال: «أينما سنذهب فعليك أن تُدَحرِجني إلى هناك».

وبدلًا من ذلك حملَه الفارس رافعًا إياه من السِّلسلة بين يديه.

قاعة (بيت التُّجَّار) العامَّة متاهة معتمة من التَّجاويف والمغارات المبنيَّة حول ساحةٍ مركزيَّة، حيث تُلقي تعريشة من النَّباتات المتسلِّقة المزهرة نقوشًا متشابكةً على الأرض المبلَّطة وتنمو الطَّحالب الخضراء والأرجوانيَّة بين الأحجار. هرعَت الأَمات في الضَّوء والظِّلِّ حاملاتٍ أباريق المِزر والنَّبيذ ومشروبٍ أخضر مثلَّج تفوح منه رائحة النَّعنع. في هذه السَّاعة من الصَّباح كانت مائدة واحدة من كلِّ عشرين مشغولةً.

إحدى الموائد يحتلُّها قزم حليق الوجه متورِّد الوجنتين، له شَعر كستنائي وجبهة ثقيلة وأنف مفلطح، ويجلس على مقعدٍ عالٍ وفي يده ملعقة خشبيَّة يَنظُر إلى وعاءٍ من العصيدة بعينين محاطتين بالأحمر. *بائس صغير قبيح.*

شعرَ القزم الآخَر بنظرته، ولمَّا رفعَ رأسه ورأى تيريون سقطَت الملعقة من يده.

نبَّه تيريون مورمونت قائلًا: «لقد رآني».

- «وماذا في هذا؟».

- «إنه يعرفني، يعرف مَن أنا».

قال الفارس: «هل أحشرك في جوالٍ لئلا يراك أحد؟»، ومسَّ مقبض سيفه الطَّويل مردفًا: «إذا أرادَ أن يأخذك فله أن يُحاوِل».

فكَّر تيريون: *تعني له أن يموت. هل يُشكِّل مخلوق مِثله تهديدًا لرجلٍ كبير مِثلك؟ إنه مجرَّد قزم.*

جلسَ السير چورا إلى مائدةٍ في رُكنٍ هادئ وطلبَ طعامًا وشرابًا. أفطَرا على خُبزٍ مدوَّر ساخن طري وبطارخ سمكٍ ورديَّة وسجق بالعسل وجرادٍ محمَّر، وشربا مع وجبتهما مِزرًا أسود حُلوًا مُرًّا. أكلَ تيريون كرجلٍ يتضوَّر جوعًا، فعلَّق الفارس: «شهيَّتك مفتوحة هذا الصَّباح».

ردَّ تيريون: «سمعتُ أن الطَّعام في الجحيم رديء»، وألقى نظرةً على الباب، حيث دخلَ للتَّوِّ رجل طويل محنيُّ الظَّهر له لحية مدبَّبة مصبوغة بالأرجواني الملطَّخ. *تاجر تايروشي ما.* من الخارج هبَّت معه الأصوات؛ صياح النَّوارس وضحك امرأةٍ ونداء باعة الأسماك على صيدهم، ولأقل من لحظةٍ حسبَ القزم أنه رأى إليريو موپاتيس، لكنه كان أحد تلك الأفيال القزمة البيضاء يمرُّ أمام الباب.

فردَ مورمونت القليل من البطارخ على شريحةٍ من الخُبز وأخذَ قضمةً، ثم قال: «هل تنتظر أحدًا؟».

هزَّ تيريون كتفيه قائلًا: «لا أحد يدري مَن قد تذروه الرِّيح إلى هنا، سواء أكان حُبِّي الحقيقي الوحيد أم شبح أبي أم بطَّةً»، وألقى جرادةً في فمه ومضغَها، ثم قال: «ليست سيِّئةً... بالنِّسبة إلى حشرة».

- «ليلة أمس كان كلُّ الحديث هنا عن (وستروس). لورد منفي ما استأجرَ الجماعة الذَّهبيَّة لتستردَّ له أراضيه. نِصف ربابنة (ڤولانتيس) يتسابَقون قاطعين النَّهر إلى (ڤولون ثيريس) ليعرضوا عليه سُفنهم».

كان تيريون قد ابتلعَ جرادةً أخرى فكادَت تسدُّ حَلقه وتَخنُقه. *هل يسخر مني؟ كم يُمكنه أن يعرف عن جريف وإجون؟* قال: «تبًا. كنتُ أنوي استئجار الجماعة الذَّهبيَّة عن نفسي لتظفر لي بـ(كاسترلي روك)». *هل يُحتمَل أن تكون هذه حيلةً ما من جريف؟ أنه يَنشُر الأخبار الكاذبة عمدًا؟ إلَّا إذا*... أيُمكن أن الأمير الصَّغير الوسيم ابتلعَ الطُّعم؟ اتَّجه بهم إلى الغرب بدلًا من الشَّرق متخلِّيًا عن أمله في الزَّواج بالملكة دنيرس؟ *متخلِّيًا عن التَّنانين... أمن الممكن أن يسمح جريف بذلك؟* «يسرُّني أن أستأجرك أيضًا أيها الفارس. إن مقرَّ أبي لي شرعًا. أقسِم لي بسيفك وحالما أستردُّه سأغرقك بالذَّهب».

- «رأيتُ رجلًا يغرق بالذَّهب ذات مرَّة، ولم يكن منظرًا جميلًا. إذا نلت سيفي أبدًا فسيكون بغرسه في أحشائك».

قال تيريون: «علاج أكيد للإمساك. سَل أبي»، وتناولَ دورقه وأخذَ رشفةً بطيئةً من المِزر تُساعِده على إخفاء التَّعبير البادي على وجهه أيًّا كان. لا بُدَّ أنها حيلة مقصودة لتهدئة شكوك القُولانتينيِّين. *يضع الرِّجال على متون السُّفن تحت ذريعةٍ زائفة ثم يستولي عليها بعدما يَخرُج الأسطول إلى البحر. أهذه خطَّة جريف؟* قد تنجح. الجماعة الذَّهبيَّة قوامها عشرة آلاف رجل متمرِّس منضبط. *لكن لا أحد منهم ملَّاح. على جريف أن يضع سيفًا على كلِّ رقبة، وإذا بلغوا (خليج النخَّاسين) ووجدوا أنفُسهم مضطرِّين إلى القتال...*

عادَت الخادمة، وقالت: «الأرملة ستراك بعد ضيفها الحالي أيها الفارس النَّبيل. هل جلبت لها هديَّةً؟».

أجابَ السير چورا: «نعم. أشكرك»، ووضعَ عُملةً في كفِّ الفتاة وصرفَها.

عقدَ تيريون حاجبيه متسائلًا: «أرملة مَن هذه؟».

- «أرملة الضفَّة. شرق (الروين) يدعونها بعاهرة ڤوجارو، ولكن ليس في وجهها أبدًا».

قال القزم الذي لم يفهم: «وڤوجارو كان...؟».

- «فيلَّا، انتُخِبَ قُنصلًا سبع مرَّاتٍ وكان فاحش الثَّراء وله نفوذ لا يُستهان به في الميناء. بينما شيَّد رجال آخَرون السُّفن وأبحَروا بها شيَّد هو الأرصفة والمخازن وتوسَّط في شحن البضائع وبدَّل العُملات وأبرمَ عقود التَّأمين لأصحاب السُّفن ضد مخاطر البحار، وتاجرَ في العبيد أيضًا. حين فُتِنَ بواحدةٍ منهم، وكانت أَمة فِراشٍ مدرَّبة على فنِّ التَّنهُّدات السَّبعة، كانت فضيحةً كُبرى... وفضيحةً أكبر حين أعتقَها وتزوَّجها. بعد موته واصلَت ممارسة تجارته، ولكن لأن المعتَقين ليس مسموحًا لهم بالسُّكنى وراء (السُّور الأسود) اضطرَّت إلى بيع إيوان ڤوجارو واتَّخذت (بيت التُّجَّار) محلَّ إقامتها. كان ذلك منذ اثنين وثلاثين عامًا، وهي باقية هنا حتى اليوم. إنها هي الجالسة وراءك عند السَّاحة، تُزاوِل مهنتها من مائدتها المعتادة. لا، لا تَنظُر. أحدهم معها الآن. بعد فروغه سيحين دورنا».

- «وكيف ستُساعِدك هذه الحيزبون العجوز؟».

نهضَ السير چورا قائلًا: «شاهِد وسترى. إنه راحل».

قفزَ تيريون من فوق مقعده وسلاسله تُصَلصِل مفكِّرًا: قد يَنوِّرني هذا.

في الطَّريقة التي تجلس بها المرأة في رُكنها عند السَّاحة شيء ثعلبي، وفي عينيها شيء ذكَّره بالسَّحالي. شَعرها الأبيض خفيف لدرجة أنه يرى فروة رأسها الورديَّة من تحته، وتحت إحدى عينيها ما زالَت النُّدوب الباهتة تلوح حيث قُطِعَت دموعها بسكِّين، وقد تناثرَت بقايا وجبتها الصَّباحيَّة على المائدة؛ رؤوس سردين ونوى زيتون وقِطع من الخُبز المدوَّر. لم يَفُت تيريون أن يلحظ حُسن اختيارها «مائدتها المعتادة»، فإلى ظَهرها حجر مصمت، وثمَّة تجويف مورق على جانبٍ واحد للدُّخول والخروج، وموقعها مثالي لرؤية باب الخان الأمامي، لكنه في الآن نفسه غارق في الظِّلال حتى إنها هي نفسها تكاد تكون خفيَّةً.

ابتسمَت العجوز لمرأى تيريون، وبصوتٍ امتزجَت في نبرته النُّعومة بالوعيد قرقرَت: «قزم». لا تشوب لُغتها العاميَّة إلَّا لكنة طفيفة للغاية. «يبدو أن الأقزام اجتاحوا (ڤولانتيس) في الفترة الأخيرة. هل يُؤدِّي هذا حيلًا؟».

أرادَ تيريون أن يقول: نعم. *أعطيني تُشَّابيَّةً وسأريكِ حيلتي المفضَّلة*.

أجابَ السير چورا: «لا».

- «مؤسف. كان عندي قرد يُؤدِّي مختلف أنواع الحيل الذَّكيَّة. قزمك يُذكِّرني به. أهو هديَّة؟».

قال السير چورا: «لا. جلبتُ لك هذين»، وأخرجَ زوجَي القُفَّازات ووضعَهما على المائدة إلى جوار الهدايا الأخرى التي تلقَّتها الأرملة هذا الصَّباح، وتضمُّ كأسًا فضِّيَّةً، ومروحةً مزخرفةً منحوتةً على شكل أوراق شجر يَشبيَّة شديدة الرِّقَّة تكاد تكون شفَّافةً، وخنجرًا عتيقًا من البرونز عليه نقوش بأبجديَّةٍ قديمة. إلى جانب هذه الكنوز بدا القُفَّازان هديَّةً رخيصةً سقيمةَ الذَّوق.

قالت الأرملة: «قُفَّازان ليدَي المتغضِّنتين المسكينتين»، لكنها لم تُحاوِل لمسهما.

- «ابتعتهما على (الجسر الطَّويل)».

- «يستطيع المرء أن يبتاع أيَّ شيءٍ تقريبًا على (الجسر الطَّويل)؛ القُفَّازات أو العبيد أو القرَدة». حنَت السِّنون عمود الأرملة الفقري وحدَّبت ظَهرها، لكن عينيها تظلَّان لامعتين سوداوين. «والآن أخبِر هذه الأرملة العجوز كيف يُمكنها أن تخدمك».

- «نحتاج إلى السَّفر سريعًا إلى (ميرين)».

كلمة واحدة وانقلبَ عالم تيريون لانستر رأسًا على عقب.

كلمة واحدة. *(ميرين)*. أم أنه أخطأَ السَّمع؟

كلمة واحدة. *(ميرين)، قال (ميرين)، سيأخذني إلى (ميرين)*. (ميرين) تعني الحياة، أو -على الأقل- الأمل في الحياة.

سألَت الأرملة: «ولِمَ تأتيني أنا؟ إنني لا أملكُ سُفنًا».

- «ثمَّة ربابنة كثيرون مدينون لكِ».

يقول سيأخذني إلى الملكة، أجل، ولكن إلى أيِّ ملكة؟ لن يبيعني لسرسي، بل سيُعطيني لدنيرس تارجارين. لهذا لم يقطع رأسي. إننا ذاهبان شرقًا، وجريف وأميره غربًا، الأحمقان.

أوه، كثير هذا حقًّا. *مؤامرات داخل مؤامرات، لكن كلّ الطُّرق تقود إلى حُلقوم التنِّين.* تفجّرت قهقهة من بين شفتيه، وفجأةً لم يَعُد تيريون يستطيع التَّوقُّف عن الضَّحك.

علَّقت الأرملة: «قزمك مصاب بنوبة».

- «قزمي سيلزم الصَّمت وإلَّا كمَّمتُ فمه».

وغطَّى تيريون فمه بيديه. *(ميرين)!*

قرَّرت أرملة الضفَّة أن تتجاهَله، وسألَت الفارس: «هل نتناوَل شرابًا؟». سبحَت ذرَّات الغُبار في الهواء فيما ملأَت خادمة كأسين من الزُّجاج الأخضر للسير چورا والأرملة. كان حَلق تيريون جافًّا، لكن شرابًا لم يُصَبّ له. أخذَت الأرملة رشفةً ودوَّرت النَّبيذ في فمها وابتلعَته، ثم قالت: «كلُّ المنفيِّين الآخَرين مبحرون غربًا، أو أن هذا ما سمعَته هاتان الأُذنان العجوزان، وكلُّ الرَّبابنة المدينين لي يدوس بعضهم بعضًا ليأخذوهم إلى هناك ويستنزفوا بعض الذَّهب من خزائن الجماعة الذَّهبيَّة. قناصلنا النُّبلاء تعهَّدوا باثنتي عشرة سفينةً حربيَّةً تُرافِق الأسطول بأمانٍ حتى (الأعتاب)، وحتى دونيفوس العجوز وافقَ. مغامرة مجيدة، ومع ذلك تُريد أن تذهب في الاتِّجاه الآخَر أيها الفارس».

- «شأني في الشَّرق».

- «وما هذا الشَّأن يا تُرى؟ ليس الرَّقيق، فقد وضعَت الملكة الفضِّيَّة نهايةً لذلك. كما أنها أغلقَت حلبات القتال، فلا يُمكن أن يكون السَّبب شهوة الدَّم. ماذا تُقدِّم (ميرين) غير ذلك لفارسٍ وستروسي؟ القرميد؟ الزَّيتون؟ التَّنانين؟ آه، بالضَّبط»، واكتسبَت بسمة العجوز مسحةً شرسةً إذ أضافَت: «سمعتهم يقولون إن الملكة الفضِّيَّة تُطعِمها لحم الصِّغار فيما تستحمُّ هي بدماء العذارى وتُعاشِر عشيقًا مختلفًا كلَّ ليلة».

ردَّ السير چورا بفمٍ مضغوط: «اليونكيُّون يصبُّون السُّموم في أُذنيكِ. لا يَجدُر بسيِّدتي أن تُصدِّق تلك القاذورات».

- «لستُ سيِّدةً، لكن حتى عاهرة ڤوچارو تتعرَّف طَعم الزِّيف. لكن الجزء التَّالي صحيح تمامًا... ملكة التَّنانين لها أعداء... (يونكاي)، (جيس الجديدة)، (تولوس)، (كارث)... أجل، وقريبًا جدًّا (ڤولانتيس). تُريد السَّفر إلى (ميرين)؟ انتظر بعض الوقت إذن أيها الفارس. عمَّا قريب سيحتاجون إلى السُّيوف عندما تتوجَّه السُّفن الحربيَّة شرقًا للإطاحة بالملكة الفضِّيَّة. النُّمور تحبُّ كشف مخالبها، وحتى الفيَلة تَقتُل حين تَشعُر بالتَّهديد. مالاكو ظمآن لمذاق المجد، ونييسوس مدين بالكثير من ثروته لتجارة العبيد. فليَفُز آليوس أو پاركلو أو بليتشو بالقنصلة وستُبحِر الأساطيل».

قال السير چورا متجهِّمًا: «إذا عادَ دونيفوس...».

- «سيعود ڤوچارو أولًا، وزوجي الحبيب ميت منذ ثلاثين عامًا».

من ورائهم كان بحَّار ما يصيح بصوتٍ جهوري: «تُسمُّون هذا مِزرًا؟ تبًّا! القرود تتبوَّل مِزرًا أفضل».

ردَّ صوت آخَر: «وكنت لتشربه».

التفتَ تيريون يُلقي نظرةً آملًا رغم غياب الأمل أن من سمعَهما هما البطّة وهالدون، لكن من رآهما غريبان... والقزم الواقف على بُعد بضعة أقدامٍ يُحدِّق إليه باهتمامٍ شديد، وقد بدا مألوفًا بشكلٍ ما.

رشفَت الأرملة من نبيذها بأناقة، وقالت: «بعض الأفيال الأوائل كُن نساءً، وهن من أسقَطن الثُّمور ووضَعن أوزار الحروب القديمة. تريانا عادَت أربع مرَّات، لكن ذلك كان منذ ثلاثمئة عامٍ للأسف. لم تعرف (ڤولانتيس) قُنصلًا أنثى منذ ذلك الحين، وإن كان التَّصويت يحقُّ لبعض النِّساء، لكنهن نساء كريمات الأصل مقيمات في القصور العتيقة وراء (السُّور الأسود) ولسن مخلوقاتٍ من أمثالي. أصحاب الدِّماء القديمة سيسمحونَ لكلابهم وأطفالهم بالتَّصويت قبل أن يسمحوا به للمعتَقين. لا، الذي سيُنتخَب هو بليتشو، أو ربما آليوس، لكن في كلتا الحالتين ستقوم الحرب... أو أن ذلك رأيهم».

سألَها السير چورا: «وما رأيكِ أنتِ؟».

فكَّر تيريون: *عظيم، السُّؤال الصَّحيح*.

أجابَت العجوز: «أوه، رأيي أن الحرب ستقوم أيضًا، لكنها لن تكون الحرب التي يُريدونها»، ومالَت إلى الأمام وعيناها السَّوداوان تتألَّقان، وتابعَت: «رأيي أن لراهلور الأحمر عبادًا في هذه المدينة أكثر من جميع الآلهة الأخرى مجتمعةً. هل سمعت بنيرو يَخطُب؟».

- «ليلة البارحة».

- «بنيرو يرى الغد في لهبه. هل تعلم أن القُنصل مالاكو حاولَ استئجار الجماعة الذَّهبيَّة؟ كان ينوي تطهير المعبد الأحمر وقتل بنيرو. إنه لا يجرؤ على استخدام ذوي معاطف النُّمور، فنِصفهم يَعبُد إله الضِّياء أيضًا. أوه، إنها أيام عصيبة في (ڤولانتيس القديمة)، حتى بالنِّسبة إلى أرملةٍ عجوز متغضِّنة، لكن الأوضاع أسوأ كثيرًا في (ميرين) في ظنِّي. أخبِرني إذن أيها الفارس... لِمَ تسعى إلى الملكة الفضِّيَّة؟».

- «هذا شأني. أستطيعُ أن أدفع ثَمن رحلتنا وأدفع جيِّدًا. إنني أملكُ الفضَّة».

فكَّر تيريون: *أيها الأحمق، ليست النُّقود ما تُريد، بل الاحترام. ألم تسمع كلمةً مما قالت؟* عادَ يُلقي نظرةً من فوق كتفه ليرى القزم وقد دنا من مائدتهم أكثر، ويبدو أنه يحمل سكِّينًا.

وبدأ الشَّعر على مؤخِّرة عُنق تيريون ينتصب.

قالت الأرملة: «احتفِظ بفضَّتك. إنني أملكُ الذَّهب. وأعفِني من نظراتك السَّوداء أيها الفارس، إنني أكبر من أن تُرهِبني الملامح العابسة. أرى أنك رجل صُلب، ولا ريب أنك موهوب في استعمال سيفك الطَّويل هذا، لكن هذه مملكتي. بإشارةٍ واحدة من إصبعي قد تجد نفسك مسافرًا إلى (ميرين)، ولكن مقيَّدًا بالسَّلاسل إلى مجذافٍ في بطن قادس»، ورفعَت مروحتها اليَشبيَّة وفتحَتها، وسمعَ تيريون حفيف أوراق، وخرجَ رجل من المدخل المقنطَر الزَّاخر بالنَّباتات إلى يسارها، وجهه كُتلة من النُّدوب وفي يده سيف قصير ثقيل كالسَّاطور. تابعَت الأرملة: «أحدهم أخبرَك: *اذهب إلى أرملة الضفَّة*، وكان عليه أن يُنذِرك أيضًا: *احذر أبناء الأرملة*. لكنه صباح جميل، ولذا سأسألك مرَّةً أخرى. لماذا تسعى إلى دنيرس تارجاريَن التي يرغب نِصف العالم في موتها؟».

اربدَّ وجه چورا مورمونت غضبًا، لكنه أجابَ: «لأخدمها، لأدافع عنها، لأموت في سبيلها إذا لزمَ الأمر».

أضحكَ جوابه الأرملة، وقالت: «تُريد أن تُنقِذها؟! من أعداء أكثر من أن أذكر أسماءهم جميعًا وسيوفهم لا تُحصى... أهذا ما تُريد أن تعتقده الأرملة المسكينة؟ أنك فارس وستروسي مخلص شهم تقطع نِصف العالم لتُعين هذه الـ... إنها ليست عذراء، لكنها لا تزال جميلةً»، وضحكَت ثانيةً قبل أن تُضيف: «هل تحسب أن قزمك سيسرُّها؟ هل ستستحمُّ بدمه في ظنِّك أم تقنع بقطع رأسه فحسب؟».

قال السير چورا بتردُّد: «القزم...».

قاطعَته: «أعرفُ من يكون القزم، وماذا يكون»، والتفتَت بعينها السَّوداوين إلى تيريون ورمقَته بنظراتٍ قاسية كالحجر مردفةً: «قاتِل أقربين وقاتِل ملك، سفَّاح ومارِق، لانستر!». جعلَت الكلمة الأخيرة سبابًا. «وما الذي تنوي عرضه على ملكة الثّنانين أيها الرَّجل الصَّغير؟».

أرادَ تيريون أن يقول: *كراهيتي*، لكنه بسطَ يديه بقدر ما تُتيح له أصفاده قائلًا: «ما تُريده مني أيًّا كان. النَّصيحة الحكيمة أو السُّخرية القاسية أو شيء من ألعاب المهرِّجين، قضيبي إن رغبَت فيه، ولساني إن لم ترغب. سأقودُ جيوشها أو أدلِّك قدميها، كما تشاء. المكافأة الوحيدة التي أطلبها أن تسمح لي بأن أغتصب أختي وأقتلها».

أعادَت إجابته الابتسامة إلى وجه العجوز، وأعلنَت: «إنه صادق على الأقل، أمَّا أنت أيها الفارس... لقد عرفتُ عددًا من الفُرسان الوستروسيِّين وآلافًا ممَّن هُم على شاكلتهم، لكن أحدًا منهم لم يكن بالنَّقاء الذي تدَّعيه. البَشر وحوش أنانيَّة غاشمة، ومهما كانت كلماتهم رقيقةً فإنها تُخفي تحتها دوافع سوداء. لستُ أثقُ بك أيها الفارس»، ولوَّحت بمروحتها طاردةً إياهما كأنهما مجرَّد ذُبابتين تطنَّان حول رأسها، وأضافَت: «إذا أردت الذَّهاب إلى (ميرين) فاسبح. ليس عندي ما أساعدك به».

ثم انفتحَت أبواب الجحائم السَّبع في آنٍ واحد.

بدأ السير چورا ينهض، وأغلقَت الأرملة مروحتها بحدَّة، وخرجَ رجلها نديب الوجه من الظِّلال... ومن ورائهم صرخَت فتاة.

دارَ تيريون في الوقت المناسب ليرى القزم ينقضُّ عليه. أدركَ في الحال أنها فتاة. *فتاة ترتدي ثياب الرِّجال، وتُريد بقر بطني بهذا السكِّين*.

لأقل من لحظةٍ وقفَ السير چورا والأرملة والرَّجل النَّديب ثابتين كالحجر، وشاهدَ الزَّبائن الكسالى من الموائد القريبة راشفين المِزر والنَّبيذ دون أن يُحاوِل أحدهم التَّدخُّل. حرَّك تيريون كلتا يديه في آنٍ واحد، لكن سلاسله لم تسمح له إلَّا ببلوغ الإبريق على المائدة، فأطبقَ عليه ودارَ على عقبيه ورمى محتوياته في وجه القزمة المنقضَّة عليه، ثم ألقى نفسه جانبًا يتفادى سكِّينها. تحطَّم الإبريق تحته إذ ارتفعَت الأرض تضربه في رأسه، ثم عادَت الفتاة تنقضُّ عليه، وتدحرجَ تيريون مبتعدًا لينغرس نصل السكِّين في الأرض الخشبيَّة، لكنها انتزعَته ورفعَته ثانيةً...

... وفجأةً ارتفعَت عن الأرض راكلةً بقدميها بشراسةٍ محاولةً التَّملُّص من قبضة السير چورا، وبعاميَّة (وستروس) ولولَت: «لا! اترُكني!»، وسمعَ تيريون قميصها يتمزَّق في محاولتها تحرير نفسها.

أمسكَها مورمونت من ياقتها بيدٍ واحدة، وبالأخرى انتزعَ السكِّين من قبضتها قائلًا: «كفى».

عندها ظهرَ صاحِب الخان ممسكًا نبُّوتًا، ولمَّا رأى الإبريق المحطَّم أطلقَ سبابًا غاضبًا وطالبَ بمعرفة ما حدثَ هنا، فأجابَه التايروشي ذو اللِّحية الأرجوانيَّة مقهقهًا: «شجار أقزام».

رفعَ تيريون عينيه إلى الفتاة المبتلَّة المتلوِّية في الهواء، وسألَها: «لماذا؟ ماذا فعلتُ بكِ؟».

لحظتها تسرَّبت منها قُدرتها على المقاوَمة تمامًا، وتدلَّت مرتخيةً من قبضة مورمونت وملأَت الدُّموع عينها إذ أجابَت: «لقد قتَلوه، أخي، أخذوه وقتَلوه».

سألَها مورمونت: «مَن قتلَه؟».

- «بحّارة، بحّارة من (الممالك السَّبع). كانوا خمسةً، سكرانين. رأونا نتنازَل في الميدان وتبعونا، ولمّا أدرَكوا أنني فتاة تركوني، لكنهم أخذوا أخي وقتَلوه، قطعوا رأسه!».

أحسَّ تيريون بصدمةٍ مباغتة وقد تعرَّفها. *رأونا نتنازَل في الميدان*. الآن يعرف هُويَّة الفتاة. سألَها: «أكنتِ تركبين الخنزير أم الكلب؟».

أجابَت منتحبةً: «الكلب. كان أوپو يركب الخنزير دومًا».

القزمان من زفاف چوفري. عرضهما هو ما بدأ المتاعب كلَّها ليلتها. غريبٌ حقًّا أن *ألقاهما ثانيةً على الجانب الآخَر من العالم*. ولو أن الأمر ليس بهذه الغرابة. *إذا كانا يتمتَّعان بنِصف ذكاء خنزيرهما فقد فرَّا من (كينجز لاندنج) ليلة ماتَ چوف، قبل أن تُلقي سرسي عليهما جزءًا من اللَّوم على موت ابنها*. قال لچورا مورمونت: «أنزِلها أيها الفارس. إنها لن تُؤذينا».

ألقى السير چورا القزمة على الأرض قائلًا: «آسفٌ لما جرى لأخيكِ... لكننا لم نلعب دورًا في قتله».

قالت الفتاة: «هو لعبَ»، ودفعَت نفسها إلى الجلوس على رُكبتيها ضامَّةً قميصها الممزَّق الغارق بالنَّبيذ إلى ثديين صغيرين شاحبين. «لقد أرادوه هو، حسبوا أوپو هو!». كانت الفتاة تبكي، تتوسَّل المساعدة من أيِّ أحدٍ يُصغي. «يجب أن يموت كما ماتَ أخي المسكين. أرجوكم، ليُساعِدني أحد، ليَقتُله أحد».

أمسكَها صاحِب الخان بخشونةٍ وجذبَها لتنهض صائحًا بالڤولانتينيَّة يسأل عمَّن سيدفع ثَمن هذه الأضرار.

رمقَت أرملة الضفَّة مورمونت بنظرةٍ فاترة، وقالت: «يقولون إن الفُرسان يُدافِعون عن الضُّعفاء ويحمون الأبرياء، وأنا أبرع العذراوات حُسنًا في (ڤولانتيس) كلِّها»، وأطلقَت ضحكةً ملأى بالتَّهكُّم، ثم سألَت الفتاة: «بِمَ يدعونكِ يا صغيرتي؟».

- «پني».

خاطبَت العجوز مالك الخان بلُغة (ڤولانتيس القديمة) التي يعرف تيريون منها ما يكفي أن يفهم أنها تأمر الرَّجل بأن يأخذ الفتاة إلى مسكنها ويسقيها نبيذًا ويجد لها ثيابًا ترتديها.

بعد ذهابهما حدجَت الأرملة تيريون بعينين تَبرُقان قائلةً: «المفترَض أن تكون الوحوش أكبر حجمًا في رأيي. إن قيمتك لورديَّة دُفعةً واحدةً في (وستروس) أيها الرَّجل الصَّغير، أمَّا هنا فأخشى أنها أدنى بعض الشَّيء. لكن يبدو لي أن الأفضل أن أساعدكما رغم كلِّ شيء، فلا يبدو أن (ڤولانتيس) مكان آمِن للأقزام».

منحَها تيريون أعذب ابتساماته، وقال: «أنتِ في غاية اللُّطف. هلَّا خلعتِ هذه الأساور الحديد السَّاحرة أيضًا؟ هذا الوحش له نِصف أنف فقط، ويستحكُّه على نحوٍ شنيع. السَّلاسل أقصر من أن أستطيع حكَّه. يسرُّني أن أهديها إليكِ».

- «يا لكرمك. لكنني ارتديتُ الحديد في شبابي، والآن أفضِّلُ الذَّهب والفضَّة. ويُؤسِفني أن أقول إن هذه (ڤولانتيس)، حيث الأصفاد والسَّلاسل أرخص من الخُبز البائت، كما أن مساعدة عبدٍ على الهرب محرَّمة».

- «لستُ عبدًا».

قالت: «كلُّ مَن أخذَه النخَّاسون يُردِّد هذه الأغنيَّة الحزينة نفسها. لستُ أجرؤُ على مساعدتك... هنا»، وعادَت تميل إلى الأمام متابعةً: «بعد يومين من الآن سيُبحِر الكوج (السِّلياسوري كوران) إلى (كارث) عن طريق (جيس الجديدة) حاملًا صفيحًا وحديدًا ولفائف من الصُّوف والحرير وخمسين بساطًا مايريًّا وجثَّةً محفوظةً في محلولٍ ملحي وعشرين برطمانًا من فلفل التنِّين وراهبًا أحمر. كونا على متنه حين يُبحِر».

قال تيريون: «سنفعل، وشُكرًا لكِ».

قال السير چورا مقطِّبًا وجهه: «(كارث) ليست وجهتنا».

ردَّت الأرملة بابتسامةٍ ثعلبيَّة ماكرة: «السَّفينة لن تَبلُغ (كارث) أبدًا. بنيرو رأى هذا في نيرانه».

بابتسامةٍ عريضة قال تيريون: «كما تقولين. لو كنتُ ڤولانتينيًّا وحُرًّا ومن نسل الدِّماء القديمة لانتخبتكِ قُنصلًا يا سيِّدتي».

قالت الأرملة: «لستُ سيِّدةً، بل عاهرة ڤوجارو وحسب. عليكما الذَّهاب من هنا قبل مجيء الثُّمور. إذا وصلتما إلى ملكتكما بالفعل فبلِّغاها رسالةً من عبيد (ڤولانتيس القديمة)»، ومسَّت النَّدبة الباهتة على تجاعيد وجنتها حيث قُطِعَت دموعها، وأتبعَت: «قولا لها إننا منتظرون، قولا لها أن تأتي قريبًا».

---

(45) المانتيكور في الأساطير الفارسيَّة حيوان له رأس إنسان وجسم أسد وجناحان كالوطواط وثلاثة صفوف من الأسنان الحادَّة كسمكة القِرش. أمَّا في عالم الرواية فيُطلَق على حشرةٍ لها رأس ووجه شبيه بالإنسان وذيل شائك مقوَّس مليء بالسُّم، وتستطيع أن تطوي أجنحتها كالجعران. (المُترجم).

حين سمعَ السير أليسر الأمر التوى فمه في ما يُشبِه الابتسامة، لكن عينيه ظلّتا باردتين قاسيتين كالصوّان، وقال: «إذن سيُرسِلني النَّغل لأموت».

صاحَ غُداف مورمونت: «*أموت، أموت، أموت، أموت!*».

خاطبَ چون الطّائر في داخله: *لست تُساعِدني*، وطردَه بضربةٍ من يده قائلًا للفارس: «النَّغل يُرسِلك لتتقصّى، لتَعثُر على أعدائنا وتَقتُلهم إذا دعَت الحاجة. إنك بارع في القتال بالسَّيف، وكنت قيِّم السِّلاح هنا وفي (القلعة الشَّرقيَّة)».

مسَّ ثورن مقبض سيفه الطَّويل، وقال: «أجل، بدَّدتُ ثُلث حياتي في محاولة تعليم الأجلاف والأغبياء والأوباش مبادئ المبارَزة. لن ينفعني هذا كثيرًا في تلك الغابة».

- «دايوين سيكون معك، وجوّال آخَر محنَّك».

قال دايوين لثورن ضاحكًا: «سنُلقِّنك ما تحتاج إلى معرفته أيها الفارس، ونُعلِّمك كيف تمسح مؤخِّرتك الكريمة بأوراق الشَّجر، تمامًا مِثل الجوّال الأصيل».

ضحكَ كِدچ ذو العين البيضاء، وبصقَ چاك بولوار الأسود، أمّا السير أليسر فقال: «تودُّ أن أرفض، وعندها ستقطع رأسي كما فعلت بسلينت. لن أعطيك فُرصة التَّلذُّذ بذلك أيها النَّغل، لكن يُستحسَن أن تدعو أن يَقتُلني أحد نصال الهَمج، فمَن يَقتُلهم (الآخَرون) لا يظلُّون موتى... ويتذكَّرون. إنني عائد أيها اللورد سنو».

- «أتمنَّى أن تعود». لن يعدَّ چون السير آليسر ثورن من أصدقائه أبدًا، لكنه لا يزال أخًا. *لم يقل أحد قَطُّ إن على المرء أن يحبَّ إخوته.*

ليس سهلًا عليه إن يُرسِل رجالًا إلى البراري عالمًا أن احتمال ألَّا يرجعوا قائم. أخبرَ چون نفسه: *إنهم رجال مخضرَمون*... لكن عمَّه بنچن وجوَّالته كانوا رجالًا مخضرَمين أيضًا، ومع ذلك ابتلعَتهم (الغابة المسكونة) بلا أثر، ولمَّا عادَ اثنان منهم أخيرًا إلى (الجِدار) عادا جثَّتين حيَّتين. ليس للمرَّة الأولى، ولا الأخيرة، يتساءَل چون سنو عمَّا جرى لبنچن ستارك. قال لنفسه: *قد يَعثُر الجوَّالة على أثرٍ لهم*، غير أنه لم يُصدِّق ذلك حقًّا.

سيقود دايوين إحدى الجولات، وچاك بولوار الأسود وكِدچ ذو العين البيضاء الاثنين الأخريَيْن. هؤلاء على الأقل متحمِّسون لأداء واجبهم. عند البوَّابة قال دايوين وهو يمصُّ أسنانه الخشبيَّة: «جميل أن أشعر بحصانٍ تحتي ثانيةً. عُذرًا يا سيِّدي، لكن مؤخِّراتنا جميعًا امتلأت بشظايا الخشب من كثرة الجلوس». لا أحد في (القلعة السَّوداء) يعرف الغابة مِثلما يعرفها دايوين؛ الأشجار والجداول، والنَّباتات الصَّالحة للأكل، وسِكك الضَّواري والفرائس. *ثورن بين يدين أفضل مما يستحقُّ.*

شاهدَ چون الرَّاكبين يرحلون من فوق قمَّة (الجِدار)، ثلاث فِرق يتألَّف كلٌّ منها من ثلاثة رجالٍ يحملون زوجين من الغِدفان. من هذا الارتفاع الشَّاهق لم تبدُ خيولهم أكبر من النَّمل، ولم يستطِع چون التَّمييز بين جوَّالٍ وآخَر... لكنه يعرفهم، وكلُّ اسمٍ من أسمائهم منقوش على قلبه. *ثمانية رجال صالحون، وواحد... سنرى.*

عندما غابوا بين الأشجار ركبَ چون سنو القفص إلى السَّفح مع إد الكئيب. كانت نُدف ثلجٍ قليلة متفرِّقة تَسقُط في أثناء نزولهما البطيء وتتراقَص في الرِّيح العاصفة، وقد تبعَت إحداها القفص إلى أسفل طافيةً في الهواء خارج القضبان مباشرةً، سقوطها أسرع من نزولهما وبين الحين والآخَر تختفي تحتهما، ثم تلحق بها هبَّة ريحٍ وتدفعها إلى أعلى من جديد. كان بإمكان چون أن يمد يده بين القضبان ويقبض عليها إذا أرادَ.

اعترفَ له إد الكئيب قائلًا: «رأيتُ حُلمًا مخيفًا ليلة البارحة يا سيِّدي. كنت وكيلي، تجلب لي طعامي وتُنظِّف فضلاتي، وكنتُ أنا القائد، لا أعرفُ لحظة سلام».

لم يبتسم چون وقال: «كابوسك حياتي».

منذ مُدَّةٍ تُرسِل قوادس كوتر پايك تقارير بأعدادٍ تتزايَد من الأحرار على السَّواحل المشجرة شمال (الجِدار) وشرقه. شُوهِدَت مخيَّمات عدَّة، وأطواف تُبنى، بل وبدن كوج قديم محطَّم بدأ أحدهم يُصلِحه. دائمًا يختفي الهَمج في الغابة حين يُشاهَدون، وبلا شكٍّ يُعاوِدون الظُّهور بمجرَّد مرور سُفن پايك. وفي تلك الأثناء لا يزال السير دينس ماليستر يرى نيرانًا في اللَّيل شمال (الغور).

وكلا القائدين يَطلُب مزيدًا من الرِّجال.

وأين أجدُ مزيدًا من الرِّجال؟ أرسلَ چون لكلٍّ منهما عشرةً من هَمج (بلدة المناجذ)، صِبيةً خُضرًا ومسنِّين وبعض الجرحى والعاجزين، لكن جميعهم قادر على أداء عملٍ أو آخَر، إلّا أن هذا لم يسرَّ پايك وماليستر على الإطلاق، وردَّ كلاهما يشتكي. كتبَ السير دينس: «*حين طلبتُ رجالًا كنتُ أعني رجال حَرس اللَّيل، رجالًا مدرَّبين منضبطين لا أجدُ سببًا للتَّشكيك في ولائهم*». أمَّا رسالة كوتر پايك فكانت أكثر فظاظةً، وكتبَ المِايستر هارميون نيابةً عنه قائلًا: «*يُمكنني أن أشنقهم على (الجِدار) تحذيرًا للهَمج الآخَرين من الاقتراب، لكنني لا أرى جدوى أخرى منهم. لستُ أأتمنُ أمثالهم على تنظيف وعاء فضلاتي، وعشرة عدد لا يكفي!*».

تحرَّك القفص إلى أسفل معلَّقًا من سلسلته الطَّويلة، يصرُّ ويُصَلصِل إلى أن توقَّف بحركةٍ حادَّة على ارتفاع قدمٍ عند قاعدة (الجِدار)، ففتحَ إد الكئيب الباب ووثبَ إلى الأرض ليكسر حذاؤه قشرة الثَّلج الذي سقطَ في الفترة الأخيرة، وتبعَه چون.

خارج مستودَع السِّلاح كان إميت الحديدي يُوجِّه متدرِّبيه في السَّاحة. أيقظَت أغنيَّة الفولاذ على الفولاذ جوعًا في نفس چون، ذكَّرته بأيامٍ أبسط وأكثر دفئًا حين كان صبيًّا صغيرًا في (وينترفل) يُقارِع روب تحت عين السير رودريك كاسل اليقِظة. سقطَ السير رودريك أيضًا، قتلَه المارِق ثيون ورجاله الحديديُّون عندما حاولَ استعادة (وينترفل)، والآن معقل عائلة ستارك العظيم خراب محروق.

لمحَه إميت الحديدي فرفعَ يده ليتوقَّف القتال، وقال: «حضرة القائد، كيف نخدمك؟».

- «بأفضل ثلاثة رجال عندك».

ابتسمَ إميت ابتسامةً واسعةً قائلًا: «أرون، إمريك، چايس».

جلبَ الجواد وروبن النطّاط بطانةً لحضرة القائد، ومعها قميصًا من الحلقات المعدنيَّة يرتديه فوقها، وواقي ساقين وواقي عُنق وخوذةً قصيرةً، بالإضافة إلى تُرسٍ أسود مؤطَّر بالحديد لذراعه اليُسرى، وسيفٍ طويل مثلوم ليده اليُمنى. في ضوء الفَجر التمعَ السَّيف بالرَّمادي الفضِّي كأنه جديد. *أحد آخِر الأسلحة التي خرجَت من ورشة دونال. مؤسفٌ أنه لم يعِش حتى يشحذه.* السَّيف أقصر من (المخلب الطَّويل)، لكنه مصنوع من الفولاذ التَّقليدي، وهو ما يجعله أثقل، أي أن ضرباته ستكون أبطأ بعض الشَّيء. قال چون: «لا بأس به»، والتفتَ إلى خصومه قائلًا: «هيا».

سألَه أرون: «مَن تُريد أولًا؟».

- «ثلاثتكم معًا».

قال چايس بارتياب: «ثلاثة ضد واحد؟ لن يكون هذا منصفًا». إنه واحد من آخِر من جنَّدهم كونوي، ابن إسكاف من (الجزيرة القصيَّة). قد يُفسِّر هذا الأمر.

- «صحيح. هلمَّ إذن».

ولمَّا فعلَ هوى چون بنصله على رأسه طارحًا إياه أرضًا، وفي غمضة عينٍ وجدَ الصَّبي حذاءً على صدره ورأس سيفٍ على عُنقه.

قال له چون: «الحرب لا تعرف العدل. اثنان ضد واحد الآن، وأنت ميت».

حين سمعَ الحصى ينسحِق عرفَ أن التَّوأمين ينقضَّان عليه. *سَيَبلُغ هذان الاثنان مصاف الجوَّالة*. دارَ على عقبيه يصدُّ ضربة أرون بحافة تُرسه ويُعيق ضربة إمريك بسيفه، ثم صاحَ: «لسنا نتقاتَل بالحِراب. اقتربا»، وكرَّ عليهما يُريهما أصول القتال.

إمريك أولًا. سدَّد چون ضرباته إلى رأسه وكتفيه، يمينًا ويسارًا ويمينًا ثانيةً، ورفعَ الصَّبي تُرسه وحاولَ تسديد ضربةٍ مضادَّة خرقاء، فصدمَ چون تُرسه بتُرسه وأسقطَه بضربةٍ على قصبة ساقه... وفي اللَّحظة المناسبة تمامًا، لأن أرون انقضَّ عليه بضربةٍ ساحقة على مؤخِّرة فخذه أسقطَته على رُكبته. *ستترُك كدمةً*. صدَّ الضَّربة التَّالية بتُرسه، ثم هبَّ واقفًا وأجبرَ أرون على التَّراجُع عبر السَّاحة، وإذ تبادلَ السَّيفان الطَّويلان قُبلةً واثنتين وثلاثًا قال لنفسه. *إنه سريع، ولكن عليه أن يُصبِح أقوى*. عندما رأى الارتياح في عينَي أرون عرفَ أن إمريك وراءه، فدارَ وهوى بضربةٍ على مؤخِّرة كتفيه دفعَته إلى الارتطام بأخيه، وعندئذٍ كان چايس قد نهضَ، فطرحَه چون أرضًا من جديدٍ قائلًا: «أكرهُ أن ينهض الموتى من رقدتهم. هذا ما ستَشعُر به أيضًا يوم تلتقي جثَّةً حيَّةً»، ثم تراجعَ وخفضَ سيفه.

دمدمَ صوت من ورائه: «يستطيع الغُراب الكبير أن يَنقُر الغِربان الصَّغيرة، لكن هل يقوى على قتال الرِّجال؟».

كان ذو القميص المُخشخِش مستندًا إلى حائط، تُغطِّي لحية قصيرة خشنة وجنتيه الغائصتين ويطير الشَّعر البنِّي الخفيف على عينيه الصَّفراوين الصَّغيرتين.

قال چون: «إنك تُطري على نفسك».

- «أجل، لكنني أستطيعُ أن أسوِّي بك الأرض».

- «ستانيس أحرقَ الرَّجل الخطأ».

ابتسمَ له الهمجي ابتسامةً عريضةً بفمٍ من الأسنان البنِّيَّة والمكسورة، وقال: «لا، بل أحرقَ الرَّجل الذي عليه أن يُحرِقه على مرأى من العالم كلِّه. جميعنا نفعل ما علينا أن نفعله يا سنو، حتى الملوك».

- «إميت، جِد له درعًا. أريده مرتديًا الفولاذ لا العظام القديمة».

ما إن تدرَّع بحلقات وصفائح المعدن بدَت قامة سيِّد العظام أكثر انتصابًا نوعًا، وبدا أطول أيضًا، وكتفاه أغلظ وأقوى مما توقَّع چون. قال لنفسه: *إنها الدِّرع لا الرَّجل. سام نفسه كان ليبدو أقرب إلى الهيبة إذا تدرَّع من رأسه إلى قدميه بفولاذ دونال نوي.* رفضَ الهمجي التُّرس الذي عرضَه عليه الجواد، وبدلًا منه طلبَ سيفًا يُحمل باليدين، ولمَّا نالَه راحَ يشقُّ به الهواء قائلًا: «صوت عذب. حلِّق إليَّ يا سنو. سأطيِّرُ ريشك».

وانقضَّ عليه چون بكلِّ قوَّته.

تراجعَ خصمه خُطوةً ولاقى الهجمة بضربةٍ بكلتا يديه، ولولا أن چون اعترضَها بتُرسه لاخترقَت واقي صدره وكسرَت نِصف ضلوعه، لكن وقعها العنيف جعلَه يترنَّح لحظةً وأصابَ ذراعه بلسانٍ من البرق سرى فيها. *ضرباته أقوى مما ظننتُ*. وسرعته مفاجأة أخرى لا تسرُّ. دارَ كلاهما حول الآخَر يتبادَلان الضَّربات ويُسدِّد سيِّد العظام منها كما يتلقَّى. الحقيقة أن سيفه العظيم الذي يُحمَل باليدين كان يجب أن يكون أثقل وأكثر إرهاقًا من سيف چون الطَّويل، لكن الهمجي سيطرَ عليه بسرعةٍ تُعمي.

في البداية هتفَ متدرِّبو إميت الحديدي الصِّغار لقائدهم، لكن سرعان ما أرغمَتهم سرعة هجوم ذي القميص المُخشخِش العنيدة على الصَّمت. قال چون لنفسه وهو يصدُّ ضربةً أخرى: *لا يُمكنه أن يستمرَّ على هذه الحال طويلًا*. جعلَته صدمتها يئنُّ، وعلى الرغم من أنه مثلوم فقد شقَّق السَّيف العظيم تُرسه المصنوع من خشب الصَّنوبر وثنى حافته الحديد. *سيتعب قريبًا، حتمًا سيتعب*. هوى چون بسيفه على وجه الهمجي فسحبَ رأسه إلى الوراء، وهوى به على رَبلة ساقه ليثب فوق النَّصل برشاقة، ثم نزلَ السَّيف العظيم على كتف چون بقوَّةٍ قرعَت واقي كتفه وخدَّرت ذراعه من تحته. تقهقرَ چون، وأقبلَ سيِّد العظام ضاحكًا بجذل. قال چون لنفسه مذكِّرًا: *إنه لا يحمل تُرسًا، وسيف الوحوش هذا أثقل من أن يصدَّ به الضَّربات. المفترَض أن اسدِّد له ضربتين مقابل كلِّ واحدة*.

على أنه بشكلٍ ما لم يستطِع، والضَّربات التي أصابَت هدفها لم تُحدِث أثرًا. طوال الوقت بدا أن الهمجي يبتعد أو ينزلق جانبًا، فلم يَحدُث أكثر من احتكاك سيف چون الطَّويل بكتفه أو ذراعه، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يجد نفسه يتراجَع أكثر فأكثر محاولًا تفادي ضربات الآخَر العنيفة ويفشل نِصف الوقت. تحوَّل تُرسه إلى هشيمٍ فنفضَه عن ذراعه، وشعرَ بالعَرق يجري على وجهه ويلسع عينيه تحت خوذته. *إنه قويٌّ وسريع للغاية، وبهذا السَّيف العظيم يتفوَّق عليَّ في الوزن والمدى*. كان القتال ليختلف لو أن چون مسلَّح بمخلبه الطَّويل، ولكن...

جاءَت فُرصته مع ضربة خصمه المعاكسة التَّالية. ألقى چون نفسه إلى الأمام منقضًّا بكامل وزنه على الرَّجل الآخَر، ومعًا سقطا وقد تشابكَت سيقانهما، وارتطمَ الفولاذ بالفولاذ، وفقدَ كلاهما سيفه إذ تدحرَجا على الأرض الصُّلبة. ضربَه الهمجي بزُكبته بين ساقيه، وردَّ چون الضَّربة بقبضةٍ مقفَّزة بالمعدن، وبشكلٍ ما انتهى الأمر بذي القميص المُخشخِش فوقه وبرأس چون بين يديه، يضرب به الأرض مرَّةً ثم يفتح مقدِّمة خوذته بحركةٍ خاطفة ويُزَمجِر: «لو كنتُ أحملُ خنجرًا لنقصَت عيناك واحدةً الآن»، قبل أن يجرَّه الجواد وإميت الحديدي من فوق القائد وهو يهدر: «دعوني أيها الغِربان الملاعين!».

اعتدلَ چون جالسًا على رُكبته بصعوبة. كان رأسه يدقُّ وفمه مليئًا بالدَّم، فبصقَه ثم قال: «أحسنت القتال».

- «تُثني على نفسك أيها الغُراب. لم تسِل مني قطرة عَرق واحدة».

قال إميت الحديدي: «سيِّدي، لقد هدَّدك، كلُّنا سمعناه. قال إنه لو كان يحمل خنجرًا...».

- «إنه يحمل خنجرًا بالفعل، هناك في حزامه». ذات مرَّةٍ قال السير رودريك لچون وروب: *هناك من هو أسرع وأقوى دائمًا، وهو الرَّجل الذي تُريدان مواجهته في السَّاحة قبل أن تُواجِها أمثاله في ميدان المعركة.*

قال صوت هادئ: «لورد سنو؟».

التفتَ ليرى كلايداس واقفًا تحت قنطرةٍ مكسورة وفي يده ورقة، فسألَه: «مِن ستانيس؟». كان چون يأمل أن يصل خبر ما من الملك. حَرس اللَّيل لا يتدخَّلون، وهو يعلم هذا، ولا ينبغي أن يهمَّه أيُّ ملكٍ ينتصر، وعلى الرغم من هذا يجد نفسه مهتمًّا. «أهي (ربوة الغابة)؟».

أجابَ كلايداس: «لا يا سيِّدي»، ومدَّ يده بالرَّقِّ المطويِّ بإحكامٍ والمختوم بزرٍّ من الشَّمع الوردي الجامد. *وحدها (معقل الخوف) تستخدم شمع أختام ورديًّا*. خلعَ چون قُفَّازه وتناولَ الرِّسالة وكسرَ الختم، وحين رأى التَّوقيع نسيَ الضَّرب الذي انهالَ به عليه سيِّد العظام.

بخطٍّ محزَّز ضخم كُتِبَ: *رامزي بولتون، سيِّد (هورنوود)*. تقشَّر الحبر البنِّي عندما تحسَّسه چون بإبهامه، وتحت توقيع بولتون وجدَ أن كلًّا من الليدي داستن والليدي سروين وأربعةً من آل ريزويل ذيَّلوا الرِّسالة بتوقيعاتهم ومهروها بأختامهم، وإلى جوارها رسم بسيط لعملاق عائلة أومبر.

سألَه إميت الحديدي: «هل لنا أن نعرف ماذا تقول يا سيِّدي؟».

لم يرَ چون ما يمنع أن يُخبِره، فقال: «(خندق كايلن) سقطَت، وجُثث الحديديِّين المسلوخة معلَّقة على أعمدةٍ على (طريق الملوك). رووس بولتون يستدعي جميع اللوردات المخلصين إلى (بلدة الرَّوابي) ليُؤكِّدوا ولاءهم للعرش الحديدي وحضور زفاف ابنه إلى...». أحسَّ كأن قلبه توقَّف لحظةً. *لا، غير ممكن، لقد ماتَت في (كينجزلاندنج) مع أبي*.

رمقَه كلايداس بإمعانٍ بعينيه المحمرَّتين الغائمتين قائلًا: «لورد سنو؟ هل أنت... معتل؟ تبدو...».

- «سيتزوَّج آريا ستارك، أختي الصَّغيرة». كادَ چون يراها أمامه في هذه اللَّحظة، بوجهها الطَّويل وخرَقها ورُكبتيها المتورِّمتين ومِرفقيها الحادَّين، بوجهها المتَّسخ وشَعرها المتشابك. لا شكَّ أنهم سيغسلون هذا ويُمشِّطون ذاك، لكنه لا يتخيَّل آريا في فُستان زفاف أو في فِراش رامزي بولتون. *مهما كانت خائفةً فلن تُبدي خوفها، وإذا حاولَ أن يضع يده عليها فستُقاوِمه*.

قال إميت: «أختك. كم عُمـ...».

أجابَ چون في سريرته: *بلغَت الحادية عشرة، لا تزال طفلةً*، ثم إنه قال: «ليست لي أخت. لي إخوة فقط، أنتم فقط». كانت الليدي كاتلين لتطرب لسماع هذه الكلمات، لكن ذلك لم يجعل نُطقها أسهل. انغلقَت أصابعه على الورقة مفكِّرًا: *ليتني أستطيعُ أن أسحق رقبة رامزي بولتون بهذه السُّهولة*.

تنحنحَ كلايداس، وسأله: «هل سنردُّ؟».

هزَّ چون رأسه نفيًا وابتعدَ.

بحلول المساء كانت الكدمات التي أصابَه بها ذو القميص المُخشخِش قد اصطبغَت بالأرجواني، فقال لغُداف مورمونت: «ستصفرُّ قبل أن تختفي. سأبدو شاحبًا كسيِّد العظام».

أيَّده الطَّائر مردِّدًا: «*عظام، عظام، عظام!*».

تناهَت إلى مسامعه من الخارج همهمة الأصوات الخافتة، لكنها أضعف من أن يُميِّز ما تقول. *كأنهم يَبعُدون ألف فرسخ*. إنها الليدي مليساندرا وأتباعها عند نارهم اللَّيليَّة. كلَّ ليلةٍ عند الغسق تقود المرأة الحمراء أتباعها في صلاة الشَّفق، تسأل إلهها الأحمر أن يحميهم من الظَّلام. *فاللَّيل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال*. بعد رحيل ستانيس وأكثر رجال الملكة انخفضَ عدد رعيَّتها كثيرًا، فلم يتبقَّ منهم إلَّا نحو نِصفمئة من الأحرار الذين أتوا من (بلدة المناجذ)، ومجموعة الحُرَّاس الصَّغيرة التي تركَها الملك معها، وزُهاء دستةٍ من الإخوة السُّود الذين اعتنَقوا ديانة إلهها الأحمر.

أحسَّ چون بجسده متيبِّسًا كأنه شيخ في السِّتين. *الأحلام المظلمة، والذَّنب*. ظلَّت أفكاره تعود إلى آريا. *إنني عاجز عن مساعدتها*. *حين حلفتُ يميني نحَّيتُ أهلي جميعهم جانبًا*. *إذا اخبرَني أحد رجالي بأن أخته في خطرٍ لقلتُ له إن هذا ليس من شأنه*. حالما حلفَ الرَّجل اليمين أمسَت دماؤه سوداء. *سوداء كقلوب التُّغول*. يَذكُر عندما جعلَ ميكن يصنع سيفًا لآريا، سيف مُبارزي براڤو صغيرًا يُلائِم يدها. *(الإبرة)*. تساءلَ إن كانت لا تزال محتفظةً به. قال لها: *اطعنيهم بالطَّرف المدبَّب*، ولكن إذا حاولَت أن تطعن النَّغل فقد يُكلِّفها ذلك حياتها.

تمتمَ غُداف اللورد مورمونت: «*سنو، سنو، سنو!*».

وفجأةً لم يَعُد چون يطيق الاحتمال لحظةً أخرى.

وجدَ جوست خارج بابه يقضم عظمة ثورٍ ليَبلُغ النُّخاع، فسألَه: «متى عُدت؟»، ونهضَ الذِّئب الرَّهيب متخلِّيًا عن العظمة ليمضي في أعقاب چون.

كان مولي وكِجز واقفيْن داخل باب مستودَع السِّلاح مستنديْن إلى حربتيهما، ونبَّهه مولي قائلًا من تحت لحيته البُرتقاليَّة المتشابكة: «البرد قارس بالخارج يا سيِّدي. هل ستغيب طويلًا؟».

أجابَه: «لا، أريدُ القليل من الهواء الطَّلق فقط»، وخرجَ إلى اللَّيل. السَّماء مرصَّعة بالنُّجوم، والرِّيح تعصف بطول (الجِدار)، وحتى القمر يبدو باردًا، تجتاح وجهه القشعريرة. ثم أطبقَت عليه هبَّة الرِّيح الأولى ونفذَت من طبقات الصُّوف والجِلد على جسده جاعلةً أسنانه تصطكُّ. تحرَّك عبر السَّاحة واضعًا نفسه بين أسنان الرِّيح ليخفق معطفه بإزعاجٍ على كتفيه، وتبعَه جوست. *أين أذهبُ؟ ماذا أفعلُ؟* (القلعة السَّوداء) ساكنة هادئة، قاعاتها وأبراجها مظلمة، وقال چون سنو لنفسه متأمِّلًا أرجاءها: *مقرِّي، مثواي، داري، قيادتي... خراب.*

في ظلِّ (الجِدار) مسَّ الذِّئب الرَّهيب أصابعه، وللحظةٍ أوْ دونها دبَّت الحياة في اللَّيل بألف رائحة، وسمعَ چون سنو طقطقة قشرة رُقعة ثلجٍ قديمة تتكسَّر، وأدركَ فجأةً أن أحدهم خلفه، أحدًا دافئ الرَّائحة كنهارٍ صيفي.

ولمَّا التفتَ رأى إيجريت.

كانت واقفةً أسفل حجارة (بُرج القائد) المسفوعة، متَّشحةً بالظَّلام والذِّكريات، في شَعرها نور القمر، شَعرها الأحمر الذي قبَّلته النَّار، ولمرآه وثبَ قلب چون إلى فمه، وقال: «إيجريت».

أجابَه صوت مليساندرا: «لورد سنو».

جعلَته المفاجأة يَنكُص منها، وأخذَ خُطوةً إلى الوراء قائلًا: «ليدي مليساندرا، حسبتكِ أحدًا آخَر». *في اللَّيل كلُّ الثِّياب رماديَّة.* ومع ذلك رأى ثوبها فجأةً أحمر. لا يدري كيف حسبَها إيجريت. إنها أطول قامةً وأنحل قوامًا وأكبر سِنًّا، ولو أن نور القمر غسلَ من وجهها سنينًا. تصاعدَ البُخار من طاقتَي أنفها ومن يديها الشَّاحبتين المكشوفتين للَّيل، فحذَّرها قائلًا: «ستتجمَّد أصابعكِ».

- «إذا كانت هذه مشيئة راهلور. قُوى اللَّيل لا تمسُّ مَن تدثَّر فؤاده بنار الإله المقدَّسة».

- «فؤادكِ ليس من شأني، بل يداكِ فقط».

- «الفؤاد كلُّ ما يهمُّ. لا تيأس أيها اللورد سنو، فاليأس سلاح العدوِّ الذي يجب ألَّا يُذكَر اسمه. أختك لم تضِع منك».

- «ليست لي أخت». كلمات كالخناجر. *ماذا تعرفين عن فؤادي أيتها الرَّاهبة؟ ماذا تعرفين عن أختي؟*

لاحَ الاستمتاع على مليساندرا إذ سألَته: «وما اسم تلك الأخت الصَّغيرة التي ليست لك؟».

أجابَها بصوتٍ مبحوح: «آريا. إنها أختي غير الشَّقيقة في الواقع...».

- «... لأنك نغل المولد. لم أنسَ. لقد رأيتُ أختك في نيراني، تفرُّ من هذه الزِّيجة التي رتَّبوها لها، آتيةً هنا، إليك. فتاة ترتدي الرَّمادي على حصانٍ يُحتضَر، رأيتها بوضوح النَّهار. لم يَحدُث ذلك بعدُ، لكنه سيَحدُث»، ثم رمقَت مليساندرا جوست متسائلةً: «هل لي أن ألمس... ذئبك؟».

وتَّرت الفكرة چون، فقال: «الأفضل ألَّا تفعلي».

- «لن يُؤذيني. تدعوه بجوست، أليس كذلك؟».

- «بلى، ولكن...».

قالت مليساندرا: «جوست» جاعلةً الكلمة أغنيَّةً.

أقبلَ إليها الذِّئب الرَّهيب، وبحذرٍ دارَ حولها في دائرةٍ متشمِّمًا، ولمَّا مدَّت يدها تشمَّمها أيضًا، ثم دسَّ أنفه في أصابعها.

وأطلقَ چون نفسًا أبيض قائلًا: «ليس دائمًا بهذا...».

- «... الدِّفء؟ الدِّفء يُنادي الدِّفء يا چون سنو». عيناها نجمتان حمراوان تَبرُقان في الظُّلمة، وعلى عُنقها تلتمع الياقوتة كعينٍ ثالثة أسطع من الأخريَيْن. سبقَ أن رأى چون عينَي جوست متوقِّدتين بالحُمرة ذاتها حين يَسقُط عليهما الضَّوء بزاويةٍ معيَّنة.

نادى: «جوست، إليَّ».

ونظرَ إليه الذِّئب الرَّهيب كأنه غريب.

قطَّب چون وجهه مصدومًا، وغمغمَ: «هذا... غريب».

قالت: «أتظنُّ هذا؟»، وانحنَت وحكَّت جوست وراءه أُذنه متابعةً: «جِداركم مكان غريب، لكن ثمَّة قوَّة هنا إذا أقدمت على استغلالها، قوَّة فيك وفي هذا الحيوان. إنك تُقاوِمها، وهذه غلطتك. اعتنِقها، استخدِمها».

لستُ ذئبًا. «وكيف أفعلُ ذلك؟».

قالت مليساندرا: «يُمكنني أن أريك»، وطوَّقت جوست بذراعٍ نحيلة فلعقَ وجهها. «إله الضِّياء بحكمته خلقَنا ذكرًا وأنثى، جزأين من كيانٍ أعظم، وفي اتِّحادنا قوَّة، قوَّة لصُنع الحياة، قوَّة لإشعال النُّور، قوَّة لإلقاء الظِّلال».

- «الظِّلال». بدا العالم أشدَّ حلكةً حين قالها.

- «كلُّ امرئ يمشي على أديم الأرض يُلقي على العالم ظِلًّا. بعض الظِّلال رقيق ضعيف، وبعضها طويل داكن. انظُر وراءك أيها اللورد سنو. لقد قبَّلك القمر ونقشَ ظِلَّك على الجليد بارتفاع عشرين قدمًا».

نظرَ چون من وراء كتفه. الظِّلُّ هناك، تمامًا كما قالت، منقوش في نور القمر على (الجِدار). *فتاة ترتدي الرَّمادي على حصانٍ يُحتضَر، آتية هنا، إليك. آريا*. عادَ يلتفت إلى الرَّاهبة الحمراء شاعرًا بدفئها. *إنها تتمتَّع بقوَّة*. خطرَت له الفكرة بلا حيلةٍ منه أو دعوة، وأطبقَت عليه بأسنانٍ من حديد، لكن هذه ليست امرأةً يُريد أن يدين لها بشيء، ولا حتى من أجل أخته الصَّغيرة. قال لها: «ذات مرَّةٍ أخبرَتني دالا بشيء، أخت ڤال، زوجة مانس رايدر. قالت إن الشَّعوذة سيف بلا مقبض، ليست هناك وسيلة آمنة للقبض عليه».

نهضَت مليساندرا قائلةً: «امرأة حكيمة. لكن سيفًا بلا مقبض يظلُّ سيفًا، ومفيد للغاية أن تحمل سيفًا حين يُحيط بك الأعداء. اسمعني الآن يا چون سنو. تسعة غِربان طاروا إلى الغابة البيضاء ليَعثُروا لك على أعدائك. ثلاثة منهم أموات. إنهم لم يموتوا بعدُ، لكن موتهم في انتظارهم، ويركبون الآن لملاقاته. أرسلتهم ليكونوا أعيُنك في الظَّلام، لكن عندما يعودون إليك سيكونون بلا أعيُن. لقد رأيتُ وجوههم الميتة الممتقعة في لهبي، محاجر جوفاء تبكي دمًا»، وأزاحَت شَعرها الأحمر وتألَّقت عيناها الحمراوان إذ واصلَت: «لست تُصدِّقني، لكنك ستفعل، وتكلفة هذا التَّصديق حياتهم. قد يقول بعضهم إنه ثَمن بخس لشراء الحكمة... لكنك لم تكن مضطرًّا إلى دفعه. تذكَّر هذا حين ترى وجوه موتاك العمياء المشوَّهة، وحين يأتي هذا اليوم خُذ يدي». تصاعدَ البُخار من بشرتها الشَّاحبة، وللحظةٍ بدا كأن لهبًا سحريًّا باهتًا يتراقَص حول أصابعها، وثانيةً قالت: «خُذ يدي... ودَعني أنقذُ أختك».

حتى في عتمة (عرين الذِّئاب) كان باستطاعة داقوس سيوورث أن يَشعُر بأن شيئًا ما في غير محلِّه صبيحة اليوم.

استيقظَ على وقع الأصوات وذهبَ إلى باب زنزانته، لكن الخشب السَّميك لم يُمكِّنه من تمييز الكلام الدَّائر بالخارج. كان الفَجر قد بزغ، وإن لم يأتِه جارث بثريد الإفطار كما يفعل كلَّ صباح، وقد وتَّره هذا. داخل (عرين الذِّئاب) تمضي الأيام جميعًا على الوتيرة نفسها، وعادةً إذا تغيَّر شيء في هذا فهو تغييرٍ إلى الأسوأ. قد يكون *اليوم يوم مماتي، قد يكون جارث جالسًا الآن* بمشحذه يُزيد *(الليدي لو)* حدَّةً.

لم ينسَ فارس البصل كلمات وايمان ماندرلي الأخيرة له. قال اللورد البدين: *خُذ هذا المخلوق إلى (عرين الذِّئاب) واقطع رأسه ويديه. أريدُ أن تُوضَع أمامي قبل أن أتناول عَشائي. لن أستطيع ان آكل قضمةً واحدةً حتى أرى رأس هذا المهرِّب على خازوق، وبين أسنانه الكذوب بصلة*. كلَّ ليلةٍ يَخلُد داقوس إلى النَّوم وهذه الكلمات تتردَّد في رأسه، وكلَّ صباحٍ يستيقظ عليها، وإذا نسيَ فمن دواعي سرور جارث دومًا أن يُذكِّره، إذ لا يدعو السجَّان داقوس إلَّا بالرَّجل الميت، فكلَّما أتى صباحًا قال: «هاك، ثريد للرَّجل الميت»، وليلًا يقول: «أطفئ الشَّمعة أيها الرَّجل الميت».

في مرَّةٍ جلبَ امرأتيه يُعرِّف الرَّجل الميت إليهما، وقال مداعبًا قضيبًا من الحديد الأسود البارد: «(العاهرة) لا تبدو مثيرةً للإعجاب، لكن حين أسخِّنها حتى تحمرَّ وأدعها تلمس ذَكرك ستَصرُخ مناديًا أمَّك»، وأشارَ إلى امرأته الأخرى متابعًا: «وهذه هي (الليدي لو). إنها مَن ستقطع رأسك ويديك حين يُرسِل اللورد وايمان الأوامر». لم يرَ داقوس قَطُّ فأسًا أكبر من (الليدي لو) أو أمضى. يقول السجَّانون الآخَرون إن جارث يقضي جُلَّ وقته في شحذها. قال داقوس لنفسه بتصميم: *لن أتوسَّل الرَّحمة*. سيذهب إلى حتفه فارسًا، ولن يَطلُب إلَّا أن يقطعوا رأسه قبل يديه. حتى جارث لن يكون بتلك القسوة ويأبى عليه هذا، أو هكذا يأمل.

الأصوات الآتية من خلال الباب خافتة مكتومة. نهضَ داقوس وشرعَ يذرع زنزانته ذهابًا وإيابًا. بالنِّسبة إلى ما خبرَه من الزَّنازين فهذه واسعة مريحة على نحوٍ مدهش، وقدَّر أنها كانت غُرفة نوم أحد اللوردات الصِّغار في الماضي. إنها أكبر ثلاث مرَّات من قمرة الرُّبَّان على سفينته (بِثا السَّوداء)، بل وأكبر أيضًا من القمرة التي يتمتَّع بها سالادور سان على متن قادسه (قاليريان)، وعلى الرغم من أن نافذتها الوحيدة مسدودة بالحجارة منذ أعوام فعند أحد جُدرانها مستوقَد كبير بما يكفي لأن يضع فوقه مرجلًا، وفي أحد الأركان مرحاض. الأرضيَّة من ألواح الخشب الملتوية الملأى بشُدف الخشب، وفي سريره المتواضع رائحة عفونة، لكن هذه المضايَقات طفيفة مقارنةً بما كان داقوس يتوقَّعه.

فاجأه الطَّعام أيضًا، فبدلًا من العصيدة والخُبز البائت واللَّحم الفاسد -طعام الزَّنازين المعتاد- يجلب له سجَّانوه أسماكًا طازجةً وخُبزًا دافئًا وضأنًا متبَّلًا ولفتًا وجزرًا، وحتى سرطان البحر. على أن جارث ناقم عليه لما يأتيه من أطعمةٍ جيِّدة، وأكثر من مرَّةٍ قال متذمِّرًا: «لا يُفترَض أن يأكل الموتى أفضل من الأحياء». يحظى داڤوس بأغطيةٍ فرو يستدفئ بها ليلًا، وحطبٍ يُطعِم به النَّار، وملابس نظيفة يرتديها، وشمعةٍ من الشَّحم، وحين طلبَ ورقةً وريشةً وحبرًا جلبَها ثِري في اليوم التَّالي، وحين طلبَ كتابًا كي يُواظِب على القراءة أحضرَ له ثِري نُسخةً من (النَّجمة السُّباعيَّة).

ولكن على الرغم من كلِّ سُبل الرَّاحة هذه تظلُّ زنزانته زنزانةً. الجُدران من الحجر المصمت السَّميك لدرجةٍ لا تُتيح له أن يسمع شيئًا من العالم الخارجي، والباب من خشب السَّنديان والحديد، ويضع السجَّانون عليه مزلاجًا طيلة الوقت، ومن السَّقف تتدلَّى أربع مجموعاتٍ من الأغلال الحديديَّة الثَّقيلة، تنتظر يوم يأمر اللورد ماندرلي بتقييده وإعطائه لـ(العاهرة). قد يكون *اليوم هذا اليوم. عندما يفتح جارث بابي المرَّة التَّالية قد لا يكون آتيًا بالثَّريد.*

كان بطنه يُقَرقِر، وهي علامة أكيدة على أن الصَّباح يمرُّ، وما زالوا لم يجلبوا له طعامًا. *أسوأ ما في الأمر ليس الموت نفسه، وإنما جهلي متى أو كيف.* لقد نزلَ بعددٍ من الزَّنازين في أيام التَّهريب، إلَّا أن سُجناء آخَرين شارَكوه إياها دومًا، وهكذا وجدَ من يُكلِّمه ويبوح له بمخاوفه وآماله، ولكن ليس هنا. باستثناء سجَّانيه فداڤوس سيوورث وحيد في (عرين الذِّئاب) تمامًا.

يعلم أن في أقبية القلعة زنازين حقيقيَّةً؛ دياميس[46] وغُرف تعذيب وحُفر رطبة تتخبَّط فيها الجرذان السَّوداء الضَّخمة في الظَّلام. يدَّعي سجَّانوه أن جميعها شاغر في الوقت الرَّاهن، وقال له السير بارتيموس: «نحن فقط هنا أيها البصلة». إنه رئيس السجَّانين، فارس مهزول له ساق واحدة ووجه نديب وعين عمياء. حين يسكر السير بارتيموس -والسير بارتيموس يسكر كلَّ يومٍ تقريبًا- يحبُّ أن يتباهى بإنقاذه حياة اللورد وايمان في معركة (الثَّالوث)، وكيف كافأه ماندرلي بـ(عرين الذِّئاب).

تتكوَّن بقيَّة «نحن» من طاهٍ لم يرَه داڤوس قَطُّ، وستَّة حُرَّاس في ثُكنات الطَّابق الأرضي، وامرأتين تتولَّيان غسل الثِّياب، وسجَّانيْن يعتنيان بالسَّجين. ثِري أصغر الاثنين سِنًّا، ابن إحدى الغسَّالتيْن، صبي في الرَّابعة عشرة، وأكبرهما جارث الأصلع الضَّخم قليل الكلام، الذي يرتدي السُّترة الجِلد المبقَّعة بالشَّحم نفسها كلَّ يومٍ وتبدو الجهامة على ملامحه على الدَّوام.

زوَّدت أعوام التَّهريب داڤوس سيوورث بحاسَّةٍ تُخوِّل له أن يعرف إذا كان أحدهم سيِّئًا، وجارث سيِّئ، ولذا يحرص فارس البصل على أن يصون لسانه في حضوره. أمَّا مع ثِري والسير بارتيموس فهو أقل تحفُّظًا، يَشكُرهما على الطَّعام، ويُشجِّعهما على الحديث عن آمالهما وتاريخهما، ويُجيب عن أسئلتهما بتهذيب، ولا يلحُّ عليهما بأسئلته، وحين يَطلُب منهما شيئًا يكون شيئًا صغيرًا، كحوض ماء وقطعةٍ من الصَّابون، أو كتابٍ يقرأه، أو المزيد من الشَّمع، وهي الطَّلبات التي يُلبَّى معظمها فيُبدي داڤوس خالص امتنانه.

لا هذا ولا ذاك يتكلَّم عن اللورد ماندرلي أو الملك ستانيس أو أبناء فراي، لكنهما يتكلَّمان عن أشياء أخرى. يُريد ثِري أن يذهب إلى الحرب حين يكبر، ليُشارِك في المعارك ويصير فارسًا، ويحبُّ أيضًا الشَّكوى من أمِّه التي تُضاجِع اثنين من الحَرس. كلٌّ منهما مناوَبته مختلفة ولا يدري بالآخَر، لكن يومًا سيأتي ويستنتج أحدهما ما يَحدُث، وعندها ستُراق الدِّماء. في بعض اللَّيالي يجلب الصَّبي قِربةً من النَّبيذ إلى الزِّنزانة ويسأل داڤوس عن حياة المهرِّبين فيما يشربان.

والسير بارتيموس ليس مهتمًّا بالعالم في الخارج أو بأيِّ شيءٍ حدثَ فيه منذ فقدَ ساقه بسبب حصانٍ بلا راكب ثم منشار المِايستر، لكنه أحبَّ (عرين الذِّئاب) مع الوقت، ولا يروقه أكثر من أن يتحدَّث عن تاريخها الدَّامي الطَّويل. أخبرَ الفارس داڤوس بأن القلعة أقدم من (الميناء الأبيض)، وقد شيَّدها الملك چون ستارك للدِّفاع عن مصبِّ (السكِّين الأبيض) ضد مُغيري البحر، وبعدها اتَّخذها كثير من أبناء الملك في الشَّمال الأصغر مقرًّا لهم، وكثير من الإخوة، وكثير من الأعمام، وكثير من أبناء العمومة، كما ورَّث بعضهم أبناءه وأحفاده القلعة، فتشعَّبت فروع جديدة من شجرة عائلة ستارك، منها آل جرايستارك الذين بقوا زمنًا أطول من غيرهم وحافَظوا على (عرين الذِّئاب) خمسة قرون، إلى أن تجرَّأوا على الانضمام إلى (معقل الخوف) في التَّمرُّد على آل ستارك أولاد (وينترفل).

بعد أن انقطعَ دابرهم تنوقِلَت القلعة بين أيادٍ أخرى عديدة، فحكمَها آل فلينت قرنًا، وآل لوك قرنين تقريبًا، وكان لكلٍّ من آل سليت ولونج وهولت وآشوود نفوذ هنا إذ كلَّفتهم (وينترفل) بتأمين النَّهر. ذات مرَّةٍ استولى مُغيرون من (الثَّلاث أخوات) على القلعة وجعلوها موطئ قدمهم في الشَّمال، وخلال الحروب بين (وينترفل) و(الوادي) حاصرَها الصَّقر العجوز أوزجود آرن وأحرقَها ابنه الذي يَذكُره النَّاس بلقب البرثن، وحين باتَ الملك العجوز إدريك ستارك أوهن من أن يُدافِع عن مملكته استولى على (عرين الذِّئاب) نخَّاسون من (الأعتاب) اعتادوا وسم أسراهم بالحديد السَّاخن وكسر إرادتهم بالجَلد قبل أن يشحنوهم عبر (البحر الضيِّق)، وهذه الأحجار السَّوداء عينها تشهد.

قال السير بارتيموس: «ثم جاءَ شتاء قارس طويل. تجمَّدَ (السكِّين الأبيض) عن آخِره، وحتى اللِّسان البحري تجلَّد. هبَّتِ الرِّيح تعوي من الشَّمال ودفعَت النخَّاسين إلى الدَّاخل ليجثموا حول نيرانهم، وبينما دفَّأوا أنفُسهم هاجمَهم الملك الجديد على حين غرَّة. كان براندون ستارك، ابن حفيد إدريك لحية الثَّلج الملقَّب بعين الجليد، وقد استعادَ (عرين الذِّئاب) وجرَّد النخَّاسين من ثيابهم وأعطاهم للعبيد الذين وجدَهم مسلسَلين فيَ الزَّنازين. يُقال إنهم علَّقوا أحشاءهم على فروع شجرة القلوب قُربانًا للآلهة، الآلهة القديمة لا تلك الآلهة الجديدة من الجنوب. سبعتكم لا يعرفون الشِّتاء، والشِّتاء لا يعرفهم».

لم يستطِع داڤوس أن يُجادِله في هذه الحقيقة، فبعد ما رآه في (القلعة الشَّرقيَّة) لا يرغب هو أيضًا في معرفة الشِّتاء. سألَ الفارس ذا السَّاق الواحدة: «مَن الآلهة التي تَعبُدها؟».

أجابَ السير بارتيموس بابتسامته العريضة التي تجعله أشبه بالجمجمة: «القديمة. أنا وأهلي كنا هنا قبل آل ماندرلي، وعلى الأرجح علّق أسلافي تلك الأحشاء على الشَّجرة».

- «لم أكن أعرف أن الشَّماليِّين يُقدِّمون قرابين الدَّم لأشجار القلوب».

- «ثمَّة أشياء كثيرة جدًا لا تعرفونها عن الشَّمال أيها الجنوبيُّون».

وليس الرَّجل مخطئًا.

جلسَ داڤوس عند شمعته ونظرَ إلى الرَّسائل التي خطَّها كلمةً كلمةً خلال أيام الحبس. كتبَ لزوجته: *كنتُ مهرِّبًا أفضل من فارس، وفارسًا أفضل من يد ملك، ويد ملك أفضل من زوج. آسفٌ للغاية يا ماريا. لقد أحببتكِ. أرجوكِ اغفري لي إساءاتي إليكِ. إذا خسرَ ستانيس الحرب فستضيع أراضينا أيضًا. خُذي الصَّبيَّين عبر (البحر الضيِّق) إلى (براڤوس) وعلِّميهما أن يَذكُراني بالخير. وإذا ظفرَ ستانيس بالعرش الحديدي فستستمرُّ عائلة سيوورث ويبقى دڤان في البلاط. سيُساعِدكِ على إيجاد موقعٍ مناسب للصَّبيَّين الآخرَين عند لوردات نُبلاء، حيث يخدمان كوصيفَين ومُرافقَين ويفوزان بالفُروسيَّة.* إنها أفضل نصيحةٍ لها عنده، مع أنه يتمنَّى لو كانت أكثر حكمةً.

كتبَ لكلٍّ من أبنائه الثَّلاثة الباقين على قيد الحياة أيضًا ليُساعِدهم على تذكُّر الأب الذي اشترى لهم أسماءهم بأطراف أصابعه. رسالتاه لستفون وستانيس الصَّغير قصيرتان جامدتان تعوزهما البلاغة، والحقيقة أنه لا يعرفهما جيِّدًا مِثلما عرفَ أبناءه الآخَرين الأكبر، الذين احترقوا أو غرقوا في معركة (النَّهر الأسود). أمَّا دقان فكتبَ له أكثر، يُخبِره كم هو فخور برؤية ابنه مُرافقًا لملكٍ ويُذكِّره باعتباره الابن الأكبر أن يحمي السيِّدة والدته وأخويه الصَّغيرين، وختمَ رسالته كاتبًا: *بلِّغ جلالته أنني بذلتُ أفضل ما بوسعي. آسفٌ لأنني خذلته. لقد فقدتُ حظِّي مع عظم أصابعي يوم احترقَ النَّهر أسفل (كينجز لاندنج).*

تصفَّح داڤوس الرَّسائل بأناةٍ معيدًا قراءة كلٍّ منها مرَّاتٍ عدَّة، متسائلًا إن كان عليه أن يُغيِّر كلمةً هنا أو يُضيف كلمةً هناك، وقد جالَ بباله أن من المفترَض أن تكون عند المرء أشياء أكثر يقولها حينما يُواجِه نهاية حياته، لكن الكلمات أتَته بصعوبة. حاولَ أن يقول لنفسه: *لم أبلِ بلاءً سيِّئًا، ارتقَيتُ من (جُحر البراغيث) لأصبح يد ملك، وتعلَّمتُ القراءة والكتابة.*

كان لا يزال مائلًا فوق رسائله عندما سمعَ صوت مفاتيحِ حديد تُصَلصِل في حلقة، وبعد أقل من لحظةٍ انفتحَ باب زنزانته.

ليس الذي دخلَ أحد سجَّانيه، بل رجل معروق طويل القامة له وجه تنتشر فيه التَّجاعيد وشَعر بنِّي شائب، يُعلِّق على وَركه سيفًا طويلًا ويُثبِّت معطفه المصبوغ بالقرمزي دبُّوس فضِّي ثقيل على شكل قبضةٍ مقفَّزة بحلقات المعدن. قال الرَّجل: «لورد سيوورث، لسنا نملك وقتًا طويلًا. تعالَ معي من فضلك».

حدجَ داڤوس الغريب بحذر، وقد حيَّرته كلمة «من فضلك». مَن يُوشِكون على فقدان رؤوسهم وأيديهم لا يُعامَلون بهذه الكياسة. «مَن أنت؟».

- «روبت جلوڤر، بعد إذن سيِّدي».

- «جلوڤر. كان مقرُّك في (ربوة الغابة)».

- «مقرُّ أخي جالبارت. كان كذلك وما زالَ بفضل ملكك ستانيس. لقد استردَّ (ربوة الغابة) من الحديديَّة الحقيرة التي سرقَتها ويعرض أن يُعيدها إلى أصحابها الشَّرعيِّين. أشياء كثيرة حدثَت منذ احتجَزوك في هذه الزِّنزانة أيها اللورد داڤوس. (خندق كايلن) سقطَت، ورووس بولتون عادَ إلى الشَّمال ومعه ابنة نِد ستارك الصَّغيرة، وصاحبَه جيش من آل فراي. بولتون أرسلَ الغِدفان يستدعي جميع لوردات الشَّمال إلى (بلدة الرَّوابي)، ويُطالِب بالبيعة والرَّهائن... وبالشُّهود على زفاف آريا ستارك إلى نغله رامزي سنو، وهي الزِّيجة التي ينوي آل بولتون عن طريقها المطالَبة بحقٍّ في (وينترفل). والآن، هل ستأتي معي أم لا؟».

- «وهل أملك خيارًا يا سيِّدي؟ أذهبُ معك أو أبقى مع جارث و(الليدي لو)؟».

تساءلَ جلوڤر: «مَن هذه؟ إحدى الغسّالات؟»، ثم أردفَ وقد بدأ صبره ينفد: «ستفهم كلَّ شيءٍ إذا أتيت».

نهضَ داڤوس قائلًا: «إذا كنتُ سأموتُ فألتمسُ من سيِّدي أن يحرص على توصيل رسائلي».

- «لك كلمتي... مع أنك إذا مُتَّ فلن يكون ذلك بيد جلوڤر أو اللورد وايمان. هيا بسرعةٍ معي».

قادَه جلوڤر عبر رُواقٍ معتم وأعلى سلالم بالية، ثم مرَّا من أيكة آلهة القلعة حيث تعاظمَ حجم شجرة القلوب وتشابكَت فروعها حتى إنها خنقَت جميع أشجار السَّنديان والدَّردار والبَتولة النَّامية في الأيكة، واخترقَت أغصانها السَّميكة الشَّاحبة الجُدران والنَّوافذ التي تطلُّ عليها. جذورها غليظة كخاصرة رجل، وجذعها عريض لدرجة أن الوجه المحفور عليه يبدو سمينًا غاضبًا. وراء الويروود فتحَ جلوڤر بوَّابةً حديديَّةً صدئةً وتوقَّف يُوقِد مشعلًا، ولمَّا تأجَّجت النَّار نزلَ بداڤوس مجموعةً أخرى من السَّلالم إلى قبوٍ مقنطَر السَّقف حيث يكسو الجُدران الباكية الملح الأبيض ويتناثَر ماء البحر تحت أقدامهما مع كلِّ خُطوة. مرَّا من عدَّة أقبيةٍ وبصفٍّ من الزَّنازين الصَّغيرة الرَّطبة كريهة الرَّائحة تختلف بشدَّةٍ عن الغُرفة التي حُبِسَ بها داڤوس، ثم بلغا جِدارًا من الحجر الأسود تحرَّك عندما دفعَه جلوڤر ليكشف عن نفقٍ طويل ضيِّق، ثم المزيد من السَّلالم التي تقود إلى أعلى هذه المرَّة.

سألَ داڤوس وهما يصعدان: «أين نحن؟»، ليتردَّد صدى سؤاله بخفوتٍ في الظَّلام.

- «السَّلالم تحت السَّلالم. الممرُّ يمضي تحت (سلالم القلعة) إلى (القلعة الجديدة). إنه طريق سرِّي. لن ينفع أن يراك أحد يا سيِّدي. المفترَض أنك ميت».

واصلَ داڤوس الصُّعود مفكِّرًا: *تريد للرَّجل الميت*.

خرجا من جِدارٍ آخَر، لكن وجهه المواجه للنَّاحية الأخرى من الجصّ وشرائح الخشب الرَّقيقة، والغُرفة وراءه وثيرة دافئة فاخرة الأثاث، يفترش أرضها بساط مايري وثمَّة شمعة مشتعلة على منضدة. ترامَت إلى مسامع داڤوس أنغام مزامير وكمنجات من مكانٍ ليس ببعيد، ورأى على الحائط فروة خروفٍ مرسومة عليها خريطة الشَّمال بألوانٍ باهتة، وتحت الخريطة يجلس وايمان ماندرلي سيِّد (الميناء الأبيض) ضخم الجثَّة.

قال اللورد ماندرلي: «تفضَّل بالجلوس». يرتدي الرَّجل ثيابًا أنيقةً؛ سُترته من المخمل الأخضر المزرق الهادئ، وموشَّاة بخيطٍ ذهبي عند الحاشية والكُمَّين والياقة، ومعطفه من فرو القاقوم المثبَّت عند الكتف بزُمحٍ ثُلاثي الشُّعب من الذَّهب. «أأنت جائع؟».

- «لا يا سيِّدي. سجَّانوك أطعَموني جيِّدًا».

- «هناك نبيذ إذا كنت ظمآن».

- «سأتعاملُ معك يا سيِّدي، فقد أمرَني مليكي بهذا، لكنني لستُ مضطرًّا إلى الشُّرب معك».

تنهَّد اللورد وايمان، وقال: «أعلمُ أنني عاملتك معاملةً مخزيةً. كانت لي أسبابي، ولكن... أرجوك، اجلس واشرب، أتوسَّلُ إليك. اشرب نخب عودة ولدي آمنًا، وايليس ابني الأكبر ووريثي. لقد عادَ إلى بيته. ما تسمعه مأدبة استقباله. في (بلاط عريس البحر) يأكلون فطائر الشَّلق ولحم الغزلان بالكستناء المشويَّة، وتَرقُص واينافريد مع ابن فراي الذي ستتزوَّجه، ويرفع أبناء فراي الآخَرون كؤوس النَّبيذ ويشربون نخب صداقتنا».

تحت الموسيقى سمعَ داڤوس همهمة أصواتٍ عديدة وجلبة الأكواب والأطباق، لكنه لم يُعلِّق.

تابعَ اللورد وايمان: «كنتُ جالسًا لتوِّي إلى المائدة العالية. أسرفتُ في الأكل كالمعتاد، و(الميناء الأبيض) كلُّها تعرف أن أمعائي معتلَّة. نأمل أن أصدقاءنا أبناء فراي لن يرتابوا في زيارةٍ طويلة مني إلى المرحاض»، وقلبَ كوبه مواصلًا: «حسن، اشرب أنت ولن أشرب أنا. اجلس. الوقت قصير وثمَّة أشياء كثيرة يجب أن تُقال. روبت، نبيذ لليد إذا سمحت. لورد داڤوس، لست تعلم هذا، لكنك ميت».

ملأ روبت جلوڤر كوبًا بالنَّبيذ وناولَه لداڤوس، فأخذَه وتشمَّمه وشربَ، قبل أن يسأل: «وكيف مِتُّ إذا سمحت لي بالسُّؤال؟».

- «بالفأس. علَّقنا رأسك ويديك فوق (بوَّابة الفقمات) بحيث تَنظُر عيناك عبر المرفأ. حاليًا تعفَّنت إلى حدٍّ كبير، ولو أننا غمسنا رأسك في القار قبل أن نضعه على خازوق. يقولون إن غِربان الجيف وطور البحر تشاجرَت على عينيك».

اعتدلَ داڤوس بتوتُّر. شعور غريب أن يكون ميتًا. «بعد إذن سيِّدي، مَن ماتَ بدلًا مني؟».

- «وهل يهمُّ هذا؟ إن لك وجهًا تقليديًّا يا لورد داڤوس. آملُ ألَّا يُسيء إليك قولي هذا. كان للرَّجل لون بشرتك وشكل أنفك وأُذنان متماثلتان ولحية طويلة شُذِّبَت لتُشبِه لحيتك. لك أن تثق بأننا طليناه جيِّدًا بالقار، والبصلة المحشورة بين أسنانه ساعدَت على تحريف ملامحه، كما أن السير بارتيموس حرصَ على تقصير أصابع اليد اليُسرى لتكون كيدك تمامًا. كان الرَّجل مجرمًا إذا كان في هذا عزاء لك، وقد يُحقِّق موته خيرًا أكثر من أيِّ شيءٍ فعلَه في حياته. إنني لا أكنُّ لك ضغائن على الإطلاق يا سيِّدي، والعداوة التي أظهرتها لك في (بلاط عريس البحر) كانت مسرحيَّةً أدَّيناها لإرضاء أصدقائنا أبناء فراي».

قال داقوس: «يَجدُر بحضرة اللورد أن يحترف التَّمثيل. أنت وأهلك كنتم مقنعين لأقصى درجة. بدا أن زوجة ابنك ترغب في موتي بشدَّة، والفتاة الصَّغيرة...».

مبتسمًا قال اللورد وايمان: «وايلا. هل رأيت شَجاعتها؟ حتى عندما هدَّدتُ بقطع لسانها ذكَّرتني بدين (الميناء الأبيض) لآل ستارك أولاد (وينترفل)، وهو الدَّين الذي لا يُمكن أن يُسدَّد أبدًا»، وبعد لحظةٍ تابعَ: «وايلا تكلَّمت من القلب، مِثلها مِثل الليدي ليونا. سامِحها إن استطعت يا سيِّدي. إنها امرأة حمقاء خائفة، ووايليس حياتها كلُّها. ليس من شأن كلِّ رجلٍ أن يكون الأمير إيمون الفارس التنِّين أو سيميون ذا العينين النَّجمتين، ولا يُمكن لكلِّ امرأةٍ أن تكون بشَجاعة عزيزتي وايلا أو أختها واينافريد... التي كانت تعلم بالتَّمثيليَّة ولعبَت دورها بمنتهى الإقدام. حتى الصَّادقين عليهم أن يكذبوا عند التَّعامُل مع الكاذبين. لم أجرؤ على تحدِّي (كينجز لاندنج) ما دامَ ابني الحي الأخير أسيرًا. اللورد تايوين لانستر كتبَ لي بنفسه أن وايليس سجينه، وقال إنني إذا أردتُ إطلاق سراحه دون أذى فعليَّ أن أثوب عن خيانتي وأسلِّم مدينتي وأعلن ولائي للملك الصَّبي على العرش الحديدي... وأركع لرووس بولتون الذي عيَّنه حاكمًا للشَّمال. إذا رفضتُ فسيموت وايليس ميتة الخونة وتُقتحَم (الميناء الأبيض) وتُنهَب وينال قومي مصير آل راين أولاد (كاستامير). إنني بدين، ويعتقد كثيرون أن هذا يجعلني ضعيفًا أحمق، وربما كان تايوين لانستر من هؤلاء. أرسلتُ له غُدافًا أخبره بأنني سأركعُ وأفتحُ بوَّاباتي بعد عودة ابني وليس قبلها، وكان الأمر معلَّقًا عند هذا الحدِّ حين ماتَ تايوين. بعدها جاءَ أبناء فراي بزُفات وندل... لعقد صُلحٍ وإبرامه باتِّفاق زواجٍ كما ادَّعوا، لكنني لم أنوِ أن أعطيهم ما يُريدون إلى أن يرجع وايليس سليمًا آمنًا، ولم ينووا هُم إعطائي وايليس حتى أبرهن على إخلاصي. وصولك مدَّني بالوسيلة لفعل ذلك. هذا هو سبب الفظاظة التي عاملتك بها في

(بلاط عريس البحر)، وسبب الرَّأس واليدين التي تتعفَّن الآن فوق (بوَّابة الفقمات)».

قال داقوس: «خاطرت مخاطرةً عظيمةً يا سيِّدي. إذا استشفَّ أبناء فراي أنك تخدعهم...».

- «لم أخاطر على الإطلاق. إذا أرادَ أيٌّ من أبناء فراي أن يتسلَّق بوَّابتي ليُلقي نظرةً من كثبٍ على الرَّجل ذي البصلة في فمه للمث سجَّانيّ على الخطأ وجلبتك لإرضائهم».

شعرَ داقوس برعدةٍ في عموده الفقري، وقال: «مفهوم».

- «آملُ هذا. قلت إن لك أبناءً عن نفسك».

فكَّر داقوس: *ثلاثة، لكنني أنجبتُ سبعةً*.

واصلَ ماندرلي: «عليّ أن أعود قريبًا إلى المأدبة لأشرب نخب أصدقائي أبناء فراي. إنهم يُراقِبونني أيها الفارس، ليل نهار أعيُنهم عليّ وأنوفهم تتشمّم بحثًا عن أيّ نفحةٍ من الخيانة. أنت رأيتهم بنفسك، السير چارد المتعجرف وريجار ابن أخيه، ذلك الدُّودة المغرورة التي تحمل اسم تنِّين، ووراءهما يقف سايموند ملوِّحًا بصُرر النُّقود. لقد اشترى عددًا كبيرًا من خدمي واثنين من فُرساني، ووجدَت إحدى وصيفات زوجته طريقها إلى فِراش مهرِّجي. إذا كان ستانيس يتساءَل لِمَ تقول رسائلي أقل القليل فالسَّبب أنني لا أثق بمِايستري نفسه. ثيومور عقل بلا قلب. أنت سمعته يتكلَّم في قاعتي. المفترَض أن يُنحِّي المِايسترات ولاءاتهم القديمة جانبًا حين يضعون سلاسلهم، لكنني لا أستطيعُ أن أنسى أن ثيومور من مواليد آل لانستر أولاد (لانسپورت)، ويمتُّ بصِلة قرابةٍ بعيدة لآل لانستر أولاد (كاسترلي روك). الأعداء والأصدقاء الزَّائفون يُحيطون بي من كلِّ جهةٍ يا لورد داڤوس، يغزون مدينتي كالصَّراصير وأشعرُ بهم يزحفون عليّ ليلًا»، وكوَّر الرَّجل البدين قبضته وارتجفَت ذقونه إذ أكملَ: «ابني وندل ذهبَ إلى (التَّوأمتين) ضيفًا، أكلَ عيش اللورد والدر وملحه وعلَّق سيفه على الحائط ليحتفل مع أصدقائه... وقتلوه غيلةً، أقول قتلوه غيلةً وعسى أن يختنق آل فراي بخُرافاتهم. إنني أشربُ مع چارد وأمزحُ مع سايموند وأعدُ ريجار بيد حفيدتي الحبيبة... لكن لا تحسب أبدًا أن هذا يعني أنني نسيتُ. الشَّمال يَذكرُ أيها اللورد داڤوس، الشَّمال يَذكرُ وهذه المهزلة على وشك الانتهاء. لقد عادَ ابني إلى بيته».

شيء ما في أسلوب اللورد وايمان جمَّد النُّخاع في عظم داڤوس الذي قال: «إذا كنت تَنشُد العدالة يا سيِّدي فتطلَّع إلى الملك ستانيس، فلا أحد أعدل منه».

تدخَّل روبت جلوڤر ليُضيف: «إخلاصك يُشرِّفك يا سيِّدي، لكن ستانيس باراثيون يبقى ملكك أنت لا ملكنا».

ذكَّرهما داڤوس قائلًا: «ملككم مات، اغتيلَ في الزِّفاف الأحمر مع ابن اللورد وايمان».

قال ماندرلي: «الذِّئب الصَّغير ماتَ، لكن ذلك الفتى الشُّجاع لم يكن ابن اللورد إدارد الوحيد. روبت، اجلب الصَّبي».

قال جلوڤر: «حالًا يا سيِّدي»، وخرجَ من الباب.

الصَّبي؟ أيُمكن أن أحد أخوَي روب ستارك نجا من دمار (وينترفل)؟ هل يُخبِّئ ماندرلي وريثًا لعائلة ستارك في قلعته؟ *اهو صبيٌّ عثروا عليه أم لفَّقوا هُويَّته؟* سيثور الشَّمال من أجل هذا أو ذاك على ما يظنُّ... لكن ستانيس باراثيون لن يتحالَف مع مدَّعٍ أبدًا.

الصَّبي الذي تبعَ روبت جلوڤر إلى الدَّاخل ليس من آل ستارك ولا يُمكن أن يحسبه أحد منهم على الإطلاق. إنه أكبر سِنًّا من أخوَي الذِّئب الصَّغير القتيليْن، في الرَّابعة أو الخامسة عشرة من العُمر كما يُوحي منظره، وعيناه أكبر سِنًّا. تحت لحيةٍ من الشَّعر البنِّي الدَّاكن المتشابك يكاد وجهه يبدو بهيميًّا بفمه العريض وأنفه الحاد وذقنه المدبَّب.

سألَه داڤوس: «مَن أنت؟».

نظرَ الغريب إلى روبت جلوڤر الذي قال: «الصَّبي أخرس، لكننا نُعلِّمه الحروف. إنه سريع التَّعلُّم»، وسحبَ من حزامه خنجرًا ناوله للصَّبي قائلًا: «اكتُب اسمك للورد سيوورث».

ليس في الغُرفة ورق، وهكذا نقشَ الصَّبي اسمه على عارضةٍ خشبيَّة في الحائط. وِ... كـ... س. ضغطَ بشدَّةٍ على الحرف الأخير، ولمَّا فرغ ألقى الخنجر في الهواء والتقطَه، ثم وقفَ يتطلَّع بإعجابٍ إلى عمل يده.

قال جلوڤر: «وِكس حديدي الميلاد، كان مُرافق ثيون جرايچوي. وِكس كان في (وينترفل)»، وجلسَ متسائلًا: «كم يعرف اللورد ستانيس عمَّا وقعَ في (وينترفل)؟».

استعادَ داڤوس الحكايات التي سمعوها، وقال: «أن (وينترفل) احتلَّها ثيون جرايچوي الذي كان ربيب اللورد ستارك، وأمرَ بقتل ابنَي ستارك الصَّغيريْن وعلَّق رأسيهما فوق أسوار القلعة، ولمَّا جاءَ الشَّماليُّون يَطرُدونه قتلَ أهل القلعة حتى آخِر طفلٍ قبل أن يُقتَل هو نفسه بيد نغل اللورد بولتون».

- «لم يُقتَل، بل أُسِرَ وأُخِذَ إلى (معقل الخوف). النَّغل يَسلُخه».

أومأَ اللورد وايمان برأسه قائلًا: «الحكاية التي تحكيها سمعناها جميعًا، لكنها ملأى بالأكاذيب امتلاء الغابة بالأشجار. نغل بولتون هو من قتلَ أهل (وينترفل)... رامزي سنو كما كان اسمه آنذاك قبل أن يجعله الملك الصَّبي بولتون. سنو لم يَقتُلهم جميعًا، بل أبقى على النِّساء وقيَّدهن معًا وساقهن إلى (معقل الخوف) من أجل تسليته».

- «تسليته؟».

قال وايمان ماندرلي: «إنه صيَّاد عظيم، والنِّساء فرائسه المفضَّلة. يُجرِّدهن من ثيابهن ويُطلِقهن في الغابة ويُعطيهن نِصف يومٍ قبل أن يَخرُج يُطارِدهن بكلاب الصَّيد والأبواق. بين الحين والآخَر تتمكَّن فتاة ما من الهرب وتعيش لتحكي الحكاية، لكن أكثرهن لسن محظوظات. حين يقبض عليهن رامزي يغتصبهن ويَسلُخهن ويُطعِم جُثثهن لكلابه ويعود بجلودهن إلى (معقل الخوف) كتذكار. إذا سلَّينه بما فيه الكفاية فإنه يذبحهن قبل سلخهن، لكن إذا لم يفعلن فإنه يفعل العكس».

امتقعَ وجه داڤوس، وقال: «يا للآلهة. كيف يستطيع أحد أن...».

قاطعَه روبت جلوڤر: «الشَّرُّ في دمائه. إنه نغل وليد الاغتصاب، سنو، الثَّلج فيه مهما قال الملك الصَّبي».

قال اللورد وايمان: «وهل من ثلجٍ بهذا السَّواد؟ رامزي أخذَ أراضي اللورد هورنوود عندما تزوَّج أرملته بالإكراه، ثم حبسَها في بُرجٍ ونسيَ أمرها. يُقال إنها التهمَت أصابعها قُرب النِّهاية... وفكرة آل لانستر عن عدالة الملك أن يُكافِئوا قاتِلها بابنة ند ستارك الصَّغيرة».

قال جلوڤر: «لطالما كان آل بولتون قُساةً ماكرين، لكن رامزي هذا يبدو وحشًا في هيئة إنسان».

مالَ سيِّد (الميناء الأبيض) إلى الأمام قائلًا: «وآل فراي ليسوا أفضل. إنهم يتكلَّمون عن الأوْراج ومبدِّلي الجِلدة ويُؤكِّدون أن روب ستارك هو من قتلَ ولدي وندل. يا للغطرسة! ليسوا يتوقَّعون أن يُصدِّق الشَّمال أكاذيبهم حقًّا، لكن رأيهم أن علينا التَّظاهُر بالتَّصديق أو الموت. رووس بولتون يكذب بشأن دوره في الزِّفاف الأحمر، ونغله يكذب بشأن سقوط (وينترفل)، ومع ذلك ما دامَ وايليس في أيديهم لم أكن أملك خيارًا إلَّا أن آكل خراءهم وأمدح الطَّعم».

سألَه داڤوس: «والآن يا سيِّدي؟».

كان يأمل أن يسمع اللورد وايمان يقول: *والآن سأعلنُ تأييدي ستانيس*، لكن بدلًا من ذلك تلألأت ابتسامة غريبة على شفتَي الرَّجل البدين، وقال: «والآن عندي زفاف أحضره. إنني أسمن من أن أركب حصانًا كما يرى كلُّ من له عينان. في صِباي أحببتُ الرُّكوب، وفي شبابي أجدته لدرجة استحقاق القليل من الاستحسان في مضامير النِّزال، لكن تلك الأيام ولَّت، وأصبحَ جسدي سجنًا ألعن من (عرين الذِّئاب). وعلى الرغم من هذا لا مناص من ذهابي إلى (وينترفل). رووس بولتون يُريدني على رُكبتَي، ومن تحت كياسته المخمليَّة يُظهِر قبضةً من حديد. سأذهبُ بالزَّورق والنقَّالة وفي صُحبتي مئة فارس وأصدقائي الأعزَّاء من (التَّوأمتين). أبناء فراي أتوا بحرًا وليست معهم خيول، ولذا سأقدِّمُ لكلٍّ منهم حصانًا على سبيل هديَّة الضِّيافة. أما زالَ المضيفون يُعطون ضيوفهم هدايا في الجنوب؟».

- «بعضهم يفعل يا سيِّدي يوم يُغادِر ضيوفهم».

قال ماندرلي: «لعلَّك تفهم إذن»، ونهضَ بحركةٍ ثقيلة مردفًا: «إنني أبني السُّفن الحربيّة منذ أكثر من عام. بعضها رأيته، لكن أكثرها مخبَّأ في أعالي (السكِّين الأبيض). على الرغم من الخسائر التي مُنيتُ بها ما زالَت تحت إمرتي خيول ثقيلة أكثر من أيِّ لورد آخَر شمال (العُنق)، وأسواري قويَّة وخزائني ملأى بالفضَّة. ستأخذ (القلعة العتيقة) و(قلعة الأرملة) زمام المبادَرة مني، وحمَلة رايتي يتضمَّنون دستةً من صغار اللوردات ومئةً من الفُرسان مُلَّاك الأرض. بإمكاني أن أمنح ستانيس ولاء جميع الأراضي شرق (السكِّين الأبيض)، من (قلعة الأرملة) إلى (بوَّابة الكباش) إلى (تلال رأس الخروف) ومنابع (الفرع المكسور). كلُّ هذا أتعهَّدُ به إذا استطعت دفع الثَّمن الذي أطلبه».

- «يُمكنني أن أنقل شروطك إلى الملك، ولكن...».

قاطعَه اللورد وايمان: «قلتُ إذا استطعت دفع الثَّمن الذي أطلبه، أنت لا ستانيس. لستُ محتاجًا إلى ملكٍ وإنما إلى مهرِّب».

التقطَ منه روبت جلوڤر طرف الحديث قائلًا: «قد لا نعلم كلَّ ما جرى في (وينترفل) أبدًا حين حاولَ السير رودريك كاسل استعادة القلعة من حديديِّي ثيون جرايچوي. نغل بولتون يدَّعي أن جرايچوي اغتالَ السير رودريك في أثناء مفاوَضة، ووِكس يقول لا. إلى أن يتعلَّم مزيدًا من الحروف لن نعرف أكثر من نِصف الحقائق... لكنه أتانا يعرف «نعم» و«لا»، ومن شأن هاتين الكلمتين أن تقوداك إلى الكثير ما إن تجد الأسئلة الصَّحيحة».

قال اللورد وايمان: «النَّغل هو من قتلَ السير رودريك ورجال (وينترفل)، وقتلَ حديديِّي جرايچوي أيضًا. وِكس رأى رجالًا يُقتَّلون فيما يُحاوِلون الاستسلام، ولمَّا سألناه كيف هربَ أخذَ قطعةً من الطَّباشير ورسمَ شجرةً لها وجه».

فكَّر داڤوس لحظةً، ثم سألَ: «الآلهة أنقذَته؟».

- «بشكلٍ ما. لقد تسلَّق شجرة القلوب وأخفى نفسه بين الأوراق. رجال بولتون فتَّشوا أيكة الآلهة مرَّتين وقتلوا الرِّجال الذين وجدوهم هناك، لكن أحدًا منهم لم يَخطُر له أن يبحث فوق الأشجار. أهذا ما حدثَ يا وِكس؟».

ألقى الصَّبي خنجر جلوڤر في الهواء والتقطَه، ثم أومأَ برأسه إيجابًا.

قال جلوڤر: «وظلَّ فوق الشَّجرة وقتًا طويلًا، نامَ بين الفروع لا يجرؤ على النُّزول، وأخيرًا سمعَ أصواتًا من أسفل».

أضافَ وايمان ماندرلي: «أصوات الموتى».

رفعَ وِكس خمسة أصابع ونقرَ على كلٍّ منها بالخنجر، ثم طوى أربعةً ونقرَ على الإصبع الأخير ثانيةً.

قال داڤوس: «ستَّة، كانوا ستَّةً».

- «اثنان منهما ولدا ند ستارك القتيلان».

- «كيف تسنَّى لأخرس أن يُخبِركم بهذا؟».

- «بالطَّباشير. رسمَ صبيَّين... وذئبين».

قال جلوڤر: «الصَّبي من (جُزر الحديد)، ففكَّر أن الأفضل ألَّا يُريهم نفسه، وظلَّ في مكانه يُنصِت. لم يَمكُث السِّتَّة طويلًا بين أطلال (وينترفل). أربعة منهم ذهبوا في اتِّجاهٍ واثنان في اتِّجاهٍ آخَر، فتسلَّل وِكس وراء الاثنين، امرأة وصبي. مؤكَّد أنه بقيَ في اتِّجاه الرِّيح كي لا يشمَّ الذِّئب رائحته».

قال اللورد وايمان: «إنه يعرف أين ذهبا».

فهمَ داقوس، وقال: «تُريد الصَّبي».

- «رووس بولتون لديه ابنة اللورد إدارد، ولإحباط مخطَّطه لا بُدَّ من أن يكون لدى (الميناء الأبيض) ابن ند... والذِّئب الرَّهيب. سيُثبِت الذِّئب أن الصَّبي هو مَن يقول حقًّا إذا حاولَت (معقل الخوف) إنكاره. هذا ثَمني أيها اللورد داقوس. هرِّب لي وليَّ أمري وسأقبلُ ستانيس باراثيون ملكًا لي».

ساقَت الغريزة القديمة داقوس سيوورث إلى رفع يده إلى عُنقه. كان عظم أصابعه حظَّه، وبشكلٍ ما يَشعُر بأنه سيحتاج إلى الحظِّ ليُنفِّذ ما يَطلُبه منه وايمان ماندرلي. لكن العظام ضاعَت، وهكذا قال: «في خدمتك رجال أفضل مني، فُرسان ولوردات ومِايسترات. لماذا تحتاج إلى مهرِّب؟ إن عندك سُفنًا».

- «عندي السُّفن، لكن رجال أطقُمي ملَّاحون نهريُّون أو صيَّادون لم يتجاوَزوا (الخليج الطَّويل) قَطُّ. لأجل هذه المهمَّة أحتاجُ إلى رجلٍ سبقَ له أن خاضَ مياهًا أخطر ويعرف كيف ينسلُّ مبتعدًا عن المخاطر من دون أن يراه أو يتعرَّض له أحد».

- «وأين الصَّبي؟». بوسيلةٍ ما يعلم داقوس أن الجواب لن يروقه. «أين تُريدني أن أذهب يا سيِّدي؟».

قال روبت جلوڤر: «وِكس، أرِه».

ألقى الأخرس الخنجر في الهواء من جديدٍ والتقطَه، ثم صوَّبه إلى خريطة فروة الخروف التي تُزيِّن حائط اللورد وايمان وألقاه، لينغرس فيها مهتزًّا ويبتسم الصَّبي ابتسامةً واسعةً.

لأقل من لحظةٍ خطرَ لداڤوس أن يَطلُب من وايمان ماندرلي أن يُعيده إلى (عرين الذِّئاب)، إلى السير بارتيموس بحكاياته وجارث بامرأتيه المميتتين، ففي (عرين الذِّئاب) يأكل السُّجناء الثَّريد في الصَّباح، لكن في العالم أماكن أخرى معروفة بأهلها الذين يُفطِرون على اللَّحم البَشري.

---

(46) الدِّيماس زنزانة رأسيَّة شديدة الضِّيق لا يُمكن الوصول إليها إلَّا من فتحةٍ في السَّقف، وكانت شائعة الاستخدام في قلاع القرون الوُسطى. (المُترجم).

كلَّ صباحٍ تَنظُر الملكة من شُرفتها الغربيَّة وتعدُّ الأشرعة في (خليج النخَّاسين).

اليوم أحصَت خمسةً وعشرين، وإن كان بعضها بعيدًا ويتحرَّك، فلم يُمكنها التَّأكُّد من العدد. أحيانًا يفوتها واحد، وأحيانًا تعدُّ واحدًا مرَّتين. *وما الفرق؟ كلُّ ما يلزم الخنَّاق أصابع عشرة*. كسدَت التِّجارة تمامًا، وصيَّادوها لا يَجسُرون على الخروج إلى الخليج. ما زالَ أجرأهم يُلقي صنانير قليلةً في النَّهر على الرغم من أن هذه في حدِّ ذاتها مخاطرة، في حين تبقى قوارب أكثرهم مربوطةً إلى المراسي أسفل أسوار (ميرين) القرميد عديدة الألوان.

في الخليج سُفن ميرينيزيَّة أيضًا، سُفن حربيَّة وقوادس تجاريَّة أخذَها ربابنتها إلى البحر حين حاصرَ جيش داني المدينة، والآن عادَت لتُعزِّز أساطيل (كارث) و(تولوس) و(جيس الجديدة).

وكانت نصيحة أميرالها أردأ من رديئة إذ قال لها: «أريهم تنانينكِ، أذيقي اليونكيِّين النَّار وستعود حركة التِّجارة من جديد».

قالت داني: «هذه السُّفن تَخنُقنا خنقًا وكلُّ ما بوسع أميرالي أن يتكلَّم عن التَّنانين؟ إنك أميرالي، أليس كذلك؟».

- «أميرال بلا سُفن».

- «ابنِ سُفنًا».

- «السُّفن الحربيَّة لا تُبنى بالقرميد. النخَّاسون أحرَقوا كلَّ خشبةٍ على مدى عشرين فرسخًا».

- «اركب اثنين وعشرين فرسخًا إذن. سأعطيك عرباتٍ وعاملين وبغالًا، أيًا كان ما تتطلَّبه».

- «أنا بحّار لا سقَّان. لقد أُرسِلتُ لآخذ جلالتكِ إلى (پنتوس)، وبدلًا من ذلك جئتِ بنا هنا وحطَّمتِ سفينتي (سادوليون) من أجل بعض المسامير وقِطع الخشب. لن أرى لها مثيلًا أبدًا، وربما لا أرى وطني ثانيةً أبدًا، ولا زوجتي العجوز. ليس أنا من رفضَ الشُّفن التي عرضَها داكسوس هذا، ولا أستطيعُ أن أقاتل الكارثين بقوارب الصَّيد».

روَّعت مرارته داني لدرجة أنها وجدَت نفسها تتساءَل إن كان الپنتوشي الأشيب أحد الخائنين الثَّلاثة. *لا، إنه مجرَّد رجلٍ مُسن سقيم القلب بعيد عن وطنه*. «لا بُدَّ أن هناك شيئًا نفعله».

- «أجل، وقد أخبرتكِ به. هذه الشُّفن مصنوعة من الحبال والقار والقنَّب، من الصَّنوبر الكوهوري والسَّاج السوثوريوسي والسَّنديان القديم من (نورقوس الكُبرى)، من أخشاب الطُّقسوس والدَّردار والتَّنُّوب. خشب يا جلالة الملكة. الخشب يحترق. التَّنانين...».

- «لن أسمع المزيد عن تنانيني. اترُكني. اذهب وادعُ آلهتك الپنتوشيَّة أن تُرسِل عاصفةً تُغرِق أعداءنا».

- «لا بحّار يسأل الآلهة العواصف يا صاحِبة الجلالة».

- «تعبتُ من سماع ما لن تفعله. اذهب».

مكثَ السير باريستان الذي قال لها مذكّرًا: «مؤننا وفيرة في الوقت الحالي، وجلالتكِ زرعتِ الحبوب والعنب والقمح، ورجالكِ الدوثراكي أجلوا النخَّاسين من التِّلال وضربوا قيود عبيدهم. إنهم يزرعون أيضًا، وسيأتون بمحاصيلهم إلى الأسواق في (ميرين)، كما أنكِ ستحظين بصداقة (لازار)».

داريو ظفرَ لي بها على الرغم من قيمتها الزَّهيدة. «شعب الحملان. ألا ليت للحملان أسنان».

- «لا شكَّ أن ذلك سيجعل الذِّئاب أكثر حذرًا».

أضحكَها قوله، وسألَته: «كيف حال أيتامنا أيها الفارس؟».

ابتسمَ الفارس العجوز مجيبًا: «بخير يا صاحِبة الجلالة. لُطف منكِ أن تسألي». هؤلاء الصِّبية مفخرته. «أربعة أو خمسة منهم يملكون مقوِّمات الفُرسان، وربما دستة كاملة».

- «واحد فقط يكفي إن كان مخلصًا مِثلك». قد يأتي يوم قريب تحتاج فيه إلى كلِّ فارس. «هل سيتبارون من أجلي؟ سيروقني هذا». حكى لها ڤسيرس عن دورات المباريات التي شهدَها في (الممالك السَّبع)، لكن داني لم ترَ نزالًا على الطِّراز الوستروسي قَطُّ.

- «ليسوا مستعدِّين بعدُ يا جلالة الملكة. حين يستعدُّون سيسرُّهم أن يستعرضوا كفاءتهم».

- «آملُ أن يأتي ذلك اليوم سريعًا». كانت لتطبع قُبلةً على خدِّ فارسها النَّبيل لولا أن ميسانداي ظهرَت في المدخل المقنطَر، فقالت: «ميسانداي؟».

- «جلالة الملكة، سكاهاز ينتظر أن تأذني له في اللِّقاء».

- «أرسِليه».

رافقَ الرَّأس الحليق اثنان من وحوشه النُّحاسيَّة، يضع أحدهما قناع صقرٍ والثَّاني قناع ابن آوى، ولا يُرى من تحت النُّحاس الأصفر إلَّا أعيُنهما. قال سكاهاز: «صاحِبة الرَّونق، هيزدار شُوهِدَ يَدخُل هرم زاك مساء أمس، وغادرَ بعد حلول الظَّلام بفترةٍ طويلة».

سألَته داني: «كم هرمًا زارَ؟».

- «أحد عشر».

- «وكم مضى منذ آخِر جريمة قتل؟».

قال الرَّأس الحليق وعيناه تقدحان شررًا: «ستَّة وعشرون يومًا». كان تتبُّع الوحوش النُّحاس خطيبها في تحرُّكاته وتسجيلهم كلَّ ما يُقدِم عليه من بنات أفكار سكاهاز.

- «حتى الآن أوفى هيزدار بوعوده».

- «كيف؟! أبناء الهارپي وضعوا سكاكينهم، لكن لماذا؟ لأن النَّبيل هيزدار سألَهم بلُطف؟ إنه واحد منهم، أؤكِّدُ لكِ، ولذا يُطيعونه، بل وقد يكون الهارپي نفسه».

- «إذا كان هناك هارپي». سكاهاز على يقينٍ بأن لأبناء الهارپي سيِّدًا أعلى من ذوي الحسب والنَّسب في مكانٍ ما في (ميرين)، لواءً سرِّيًا يقود جيشًا من الظِّلال، لكن داني لا تُشارِكه اعتقاده. لقد قبضَ الوحوش النُّحاس على عشراتٍ من أبناء الهارپي، ومن نجوا من عمليَّة الاعتقال أدلوا بأسماء عند استجوابهم بالشِّدَّة... أسماء كثيرة جدًّا في رأيها. لكانت فكرة سارَّة أن كلَّ هذا الموت عمل عدوٍّ واحد يُمكن التَّوصُّل إليه وقتله، لكن داني تظنُّ أن الواقع مختلف. *أعدائي جحافل.* «هيزدار زو لوراك رجل مُقنع له أصدقاء كُثر، كما أنه ثري. ربما اشترى لنا هذا السَّلام بذهبه، أو أقنعَ النُّبلاء الآخَرين بأن زواجنا في صالحهم».

- «إن لم يكن الهارپي فإنه يعرفه. أستطيعُ اكتشاف الحقيقة بسهولة. اسمحي لي باستجواب هيزدار وسأجلبُ لك اعترافًا».

- «كلَّا. لستُ أثقُ بهذه الاعترافات. لقد جلبت لي كثيرًا جدًّا منها، وجميعها عديم القيمة».

- «صاحِبة الرَّونق...».

- «قلتُ كلَّا».

زادَ عبوس الرَّأس الحليق وجهه القبيح قبحًا، وقال: «خطأ. السيِّد العظيم هيزدار يستحمِق صاحِبة العبادة. هل تُريدين أفعوانًا في فِراشكِ؟».

أريدُ داريو في فِراشي، لكنني صرفته من أجلك أنت وقومك.

«لك أن تستمرَّ في مراقَبة هيزدار زو لوراك، لكن أذًى لن يمسَّه، مفهوم؟».

قال سكاهاز: «لستُ أصمَّ يا صاحِبة الشمو. سأطيعُ الأمر»، وأخرجَ رَقًّا مطويًّا من كُمِّه مستطردًا: «على صاحِبة العبادة أن تُلقي نظرةً على هذه. إنها قائمة بالسُّفن الميرينيزيَّة المشاركة في الحصار وأسماء ربابنتها. جميعهم من الأسياد العظام».

قرأت داني الورقة التي تضمُّ أسماء جميع العائلات الحاكمة في (ميرين): هازكار، ميريك، كوازار، زاك، رازدار، پال، وحتى رزناك ولوراك. «ماذا أفعلُ بقائمة أسماء؟».

- «لكلِّ رجلٍ على هذه القائمة أقرباء في المدينة؛ أبناء وإخوة، وزوجات وبنات، وأمَّهات وآباء. دَعي الوحوش النُّحاس يقبضون عليهم. بحياتهم ستستردِّين تلك السُّفن».

قالت داني: «إذا أرسلتُ الوحوش النُّحاس إلى الأهرامات فسيعني هذا حربًا مفتوحةً داخل المدينة. يجب أن أثق بهيزدار، يجب أن آمل أن يقوم السَّلام»، ووضعَت الورقة فوق شمعةٍ وشاهدَت الأسماء تحترق فيما حدَّق إليها سكاهاز بتجهُّم.

بعدها قال لها السير باريستان إن أخاها ريجار كان ليفخر بها، وتذكَّرت داني قول السير چورا في (أستاپور): *ريجار قاتلَ ببسالة، ريجار قاتلَ بنُبل، ريجار قاتلَ بشَرف... وماتَ ريجار.*

حين نزلَت إلى القاعة الرُّخام الأرجوانيَّة وجدَتها خاليةً تقريبًا، فسألَت رزناك مو رزناك: «لا ملتمسون اليوم؟ لا أحد يصبو إلى العدالة أو ثَمن خروفٍ فضَّةً؟».

- «لا أحد يا صاحِبة العبادة. المدينة خائفة».

- «ليس هناك ما يستدعي الخوف».

على أن ثمَّة أشياء كثيرة تستدعي الخوف كما أدركَت داني هذا المساء. بينما وضعَت أمامها رهينتاها الصَّغيرتان ميكلاز وكِزميا عَشاءً بسيطًا من الخضراوات الخريفيَّة وحَساء الزَّنجبيل جاءَتها إيري تقول إن جالازا جالار عادَت ومعها ثلاث من ذوات النِّعم الزَّرقاء من المعبد، وأضافَت: «الدُّودة الرَّمادي أتى أيضًا يا گاليسي. إنهم يَطلُبون الإذن في لقاءٍ عاجل».

- «خُذيهم إلى قاعتي، واستدعي رزناك وسكاهاز. هل ذكرَت ذات النِّعمة الخضراء السَّبب؟».

أجابَت إيري: «(أستاپور)».

بادرَ الدُّودة الرَّمادي بحكاية القصَّة: «خرجَ من ضباب الصَّباح، راكب يُحتضَر على متن حصانٍ شاحب. كانت فَرسه تترنَّح إذ اقتربَت من بوَّابة المدينة، جانباها ورديَّان من الدَّم والرَّغوة[47]، وعيناها تدوران في محجريهما رُعبًا. صاحَ راكبها: *إنها تحترق، إنها تحترق*، ثم سقطَ من فوق سَرجه. استدعى الحَرس هذا الواحد فأمرَ بأخذ الرَّاكب إلى ذوات النِّعم الزَّرقاء، ولمَّا حملَه خدمكِ إلى داخل المدينة صاحَ ثانيةً: *إنها تحترق*. تحت توكاره كان هيكلًا عظميًا، جِلدًا محمومًا على عظم».

التقطَت منه إحدى ذوات النِّعم الزَّرقاء طرف الكلام قائلةً: «أخذَ المُطهَّرون هذا الرَّجل إلى المعبد، حيث خلعنا ثيابه وحمَّمناه بالماء الفاتر. كانت ثيابه ملوَّثةً ووجدَت أخواتي نِصف سهمٍ في فخذه، ورغم أنه كسرَ القناة فقد ظلَّ الرَّأس في داخله، وتعفَّن الجرح ليملأ جسده بالسُّم. ماتَ خلال ساعةٍ وهو لا يزال يصيح أنها تحترق».

ردَّدت دنيرس: «إنها تحترق... مَن التي تحترق؟».

أجابَتها أخرى من ذوات النِّعم الزَّرقاء: «(أستاپور) يا صاحِبة الرَّونق. قالها مرَّةً، قال: *(أستاپور) تحترق*».

- «ربما قال هذا بسبب الحُمَّى».

قالت جالازا جالار: «صاحِبة الرَّونق تتكلَّم بحكمة، لكن إزارا رأت شيئًا آخَر».

طوَت ذات النِّعمة الزَّرقاء المسمَّاة إزارا يديها، وغمغمَت: «مليكتي، لم يكن السَّهم السَّبب في الحُمَّى. لقد قضى حاجته على نفسه، ليس مرَّةً بل عدَّة مرَّات. بلغَت البُقع رُكبتيه، وكان في برازه دم جاف».

- «الدُّودة الرَّمادي قال إن حصانه كان ينزف».

أمَّن الخصيُّ على تعليقها قائلًا: «هذا صحيح يا جلالة الملكة، كانت الفَرس الشَّاحبة داميةً من مهمازيْه».

قالت إزارا: «قد يكون هذا صحيحًا يا صاحِبة الرَّونق، لكن الدَّم كان مختلطًا ببرازه ولوَّث ملابسه الدَّاخليَّة».

أضافَت جالازا جالار: «كان ينزف من أحشائه».

قالت إزارا: «لا نستطيع الجزم بهذا، ولكن قد يكون في مواجَهة (ميرين) ما تخافه أكثر من حِراب اليونكيِّين».

قالت ذات النِّعمة الخضراء: «علينا أن نُصلِّي. الآلهة أرسلَت إلينا هذا الرَّجل. لقد جاءَنا نذيرًا، جاءَنا آيةً».

سألَتها داني: «آيةً لماذا؟».

- «آيةً للثُّبور والدَّمار».

لم تُرِد أن تُصدِّق ذلك، فقالت: «كان رجلًا واحدًا، رجلًا واحدًا مريضًا بسهمٍ في ساقه. ما أتى به هنا حصان لا إله». *فَرس شاحبة*. نهضَت داني فجأةً قائلةً: «أشكركن على نصيحتكن وعلى كلِّ ما فعلتن من أجل الرَّجل المسكين».

لثمَت ذات النِّعمة الخضراء أصابع داني قبل أن تنصرف، وقالت: «سنُصلِّي من أجل (أستاپور)».

ومن أجلي. أوه، صلِّي من أجلي يا سيِّدتي. إذا سقطَت (أستاپور) فلا شيء يمنع (يونكاي) عن التَّوجُّه شمالًا. التفتَت داني إلى السير باريستان، وقالت: «أرسِل رجالًا إلى التِّلال ليجدوا خيَّالة دمي، واستدعِ بن البنِّي والأبناء الثَّانين أيضًا».

- «وغِربان العاصفة يا جلالة الملكة؟».

داريو. «نعم، نعم». منذ ثلاث ليالٍ فقط حلمَت بداريو ميتًا على جانب الطَّريق، يَرمُق السَّماء بلا بصرٍ فيما تشاجرَت الغِربان على جثَّته. في ليالٍ أخرى تتقلَّب في فِراشها متخيِّلةً أنه خانَها كما خانَ زميليه قائدَي غِربان العاصفة من قبل. *أتاني برأسيهما*. ماذا لو أخذَ جماعته إلى (يونكاي) ليبيعها لقاء جرَّةٍ من الذَّهب؟ لا يُمكنه *أن يفعلها، أليس كذلك؟* «غِربان العاصفة أيضًا. أرسِل خيَّالةً وراءهم على الفور».

عادَ الأبناء الثَّانون أولًا، بعد ثمانية أيام من إرسال الملكة في استدعائهم، وحين أخبرَها السير باريستان بأن قائدها يرغب في لقائها حسبَت لحظةً أنه يعني داريو، واختلجَ قلبها في صدرها، لكن القائد المقصود كان بن پلوم البنِّي.

لبن البنِّي وجه متغضِّن لوَّحته الأجواء وبشرة بلون خشب السَّاج القديم وشَعر أبيض وتجاعيد عند أركان عينيه. فرحَت داني للغاية لرؤية وجهه البنِّي المتين لدرجة أنها عانقَته، فالتمعَت عيناه استمتاعًا إذ قال: «سمعتُ كلامًا عن اتِّخاذ جلالتكِ زوجًا، لكن أحدًا لم يُخبِرني بأنه أنا»، وضحكا معًا فيما همهمَ رزناك استهجانًا، لكن الضَّحك توقَّف عندما قال بن: «قبضنا على ثلاثة أستاپوريِّين. الأفضل أن تسمع صاحِبة العبادة ما لديهم».

- «أحضِرهم».

استقبَلتهم دنيرس في أبَّهة قاعتها والشُّموع الطَّويلة مشتعلة بين الأعمدة الرُّخام، وعندما رأتهم يتضوَّرون جوعًا أرسلَت تَطلُب لهم طعامًا في الحال. هؤلاء الثَّلاثة هُم الباقون من دستةٍ من الأستاپوريِّين خرجوا معًا من المدينة الحمراء، بنَّاء ونسَّاجة وإسكاف. سألَتهم الملكة: «ماذا جرى لبقيَّة مجموعتكم؟».

أجابَها الإسكاف: «قُتِلوا. مرتزِقة (يونكاي) يجوبون التِّلال شمال (أستاپور) ويتصيَّدون الهاربين من النِّيران».

- «هل سقطَت المدينة إذن؟ كانت أسوارها سميكةً».

قال البنَّاء ذو الظَّهر المحني والعينين الدَّامعتين: «صحيح، لكنها كانت قديمةً تتفتَّت أيضًا».

رفعَت النسَّاجة رأسها قائلةً: «كلَّ يومٍ قال بعضنا لبعضٍ إن ملكة التَّنانين عائدة». للمرأة شفتان رفيعتان وعينان فاترتان ميتتان في وجهٍ ضيِّق ممصوص. «قيلَ إن كليون أرسلَ يَطلبُكِ وإنكِ ستأتين».

فكَّرت داني: *أرسلَ يَطلبُني. هذا الجزء صحيح على الأقل.*

واصلَ الإسكاف: «خارج أسوارنا أتى اليونكيُّون على محاصيلنا وذبحوا قُطعاننا، وداخل المدينة تضوَّرنا جوعًا. أكلنا القِطط والجرذان والجِلد، وكانت جِلدة الحصان بمثابة وليمة. الملك سفَّاح والملكة عاهرة تبادَلا الاتِّهامات بالتهام لحم القتلى، في حين اجتمعَ الرِّجال والنِّساء سرًّا للسَّحب بالقُرعة وأكل لحم من يسحب الحجر الأسود، ونُهِبَ هرم نوكلوز وأحرقَه من زعموا أن كرازنس مو نوكلوز هو الملام على كلِّ مصائبنا».

أضافَت النسَّاجة: «ولامَ آخَرون دنيرس، لكن أكثرنا ظلُّوا يُحبُّونكِ، وقال بعضنا لبعض: *إنها في الطَّريق، إنها قادمة على رأس جيشٍ جرَّار ومعها طعام للجميع*».

أستطيعُ إطعام قومي بالكاد. لو زحفتُ على (أستاپور) لفقدتُ (ميرين).

حكى لهم الإسكاف كيف نُبِشَ قبر الملك الجزَّار ودُرِّعَت جثَّته بالبرونز بعد أن رأته ذات النِّعمة الخضراء الأستاپوريَّة في رؤيا يُخلِّصهم من اليونكيِّين، وهكذا رُبِطَت جثَّة كليون العظيم المدرَّعة نتنة الرَّائحة على ظَهر حصانٍ أعجف لتقود بقايا مُطهَّريه الجُدد في غارة، لكنهم وجدوا أنفُسهم بين أسنان أحد فيالق (جيس الجديدة) الحديديَّة وقُتِّلوا حتى آخِر رجل.

- «بعد ذلك عُلِّقَت ذات النِّعمة الخضراء على خازوق في (ساحة العقاب) وتُرِكَت حتى ماتَت، وفي هرم أولهور أقامَ النَّاجون مأدبةً عظيمةً دامَت نِصف اللَّيل، وبلعوا آخِر طعامهم بالنَّبيذ المسموم كي لا يستيقظ أحدهم ثانيةً عند طلوع النَّهار. بعدها بفترةٍ قصيرة بدأ المرض، إسهال دموي قتلَ ثلاثةً من كلِّ أربعة، إلى أن جُنَّ جنون مجموعةٍ من المحتضرين وقتلوا الحُرَّاس على البوَّابة».

تدخَّل البنَّاء العجوز قائلًا: «لا، من فعلَ هذا أصحَّاء أرادوا الفرار من المرض».

ردَّ الإسكاف: «وهل يهمُّ هذا؟ الحُرَّاس مُزِّقوا إربًا إربًا وفُتِحَت البوَّابة على مصراعيها. تدفَّقت فيالق (جيس الجديدة) إلى داخل (أستاپور)، وتبعَها اليونكيُّون والمرتزِقة على خيولهم. ماتَت الملكة عاهرة وهي تُقاتِلهم لاعنةً إياهم، واستسلمَ الملك سفَّاح وألقوه في إحدى حلبات القتال حيث مزَّقه قطيع من الكلاب الجائعة».

قالت النسَّاجة: «ورغم كلِّ هذا قال بعضهم إنكِ قادمة، أقسَموا أنهم رأوكِ على متن تنِّين، تُحلِّقين عاليًا فوق معسكَرات اليونكيِّين. كلَّ يومٍ تطلَّعنا إلى مجيئكِ».

فكَّرت الملكة: *لم أستطِع أن آتي، لم أجرؤ.*

سألَ سكاهاز: «ولمَّا سقطَت المدينة؟ ماذا حدثَ عندئذٍ؟».

- «بدأت المجزرة. كان (معبد ذوات النِّعم) مليئًا بالمرضى الذين ذهبوا يدعون الآلهة أن تشفيهم، فأوصدَت الفيالق الباب وأضرمَت النَّار في المعبد بالمشاعل، وخلال ساعةٍ شبَّت الحرائق في جميع أنحاء المدينة، ومع انتشارها امتزجَت معًا. كانت الشَّوارع مليئة بالأهالي الهاربين في هذا الاتِّجاه وذاك من النِّيران، ولكن لم يكن هناك مخرج مع سيطرة اليونكيِّين على البوَّابات».

قال الرَّأس الحليق: «لكنكم هربتم، فكيف؟».

أجابَه العجوز: «إن حرفتي صناعة القرميد كما كانت حرفة أبي وأبيه من قبلي، وقد بنى جدِّي منزلنا عند سور المدينة، فكان سهلًا أن أخلخل بعض قِطع القرميد كلَّ ليلة، وحين أخبرتُ أصدقائي ساعَدوني على وضع دعاماتٍ في النَّفق كي لا ينهار. كلُّنا اتَّفقنا على أن في صالحنا أن يكون لنا طريقنا الخاص للخروج».

فكَّرت داني: *لقد تركتُ لكم مجلسًا يَحكُمكم، نِطاسيًّا ومعلِّمًا وراهبًا*. ما زالَت تَذكُر المدينة الحمراء كما رأتها أول مرَّة، جافَّة مترِبة وراء أسوارها القرميد الحمراء، تَحلُم أحلامًا قاسيةً ولكن ملأى بالحياة. *كانت في (النَّهر الدُّودي) جُزر يتبادَل فيها العُشَّاق القُبلات، لكن في (ساحة العقاب) كانوا يُجرِّدون النَّاس من جِلدهم ويَترُكونهم عُراةً للذُّباب*. قالت للأستاپوريِّين: «أحسنتم بالمجيء. ستكونون آمنين في (ميرين)».

شكرَها الإسكاف، ولثمَ البنَّاء العجوز قدمها، إلَّا أن النسَّاجة رشقَتها بنظرةٍ قاسية كالحجر، فقالت الملكة لنفسها: *تعلم أنني اكذبُ، تعلمُ أنني لا أستطيعُ الحفاظ على أمنهم. (أستاپور) نحترق، و(ميرين) التَّالية*.

بعدما خرجَ الحَرس بالأستاپوريِّين أعلنَ بن پلوم البنِّي: «المزيد منهم في الطَّريق. هؤلاء الثَّلاثة ركبوا الخيول، لكن أكثرهم سائرون».

سألَه رزناك: «كم عددهم؟».

هزَّ بن البنِّي كتفيه قائلًا: «مئات، آلاف. بعضهم مريض، بعضهم محروق، بعضهم جريح. القِططة والمذروُّون يطوفون التِّلال بالرُّمح والسَّوط، يسوقونهم شمالًا ويَقتُلون المتلكِّئين».

فركَ رزناك يديه معًا، وقال بتوتُّر: «أفواه على أقدام. وتقول إنهم مرضى؟ يجب ألَّا تسمح صاحِبة العبادة بدخولهم المدينة».

قال بن پلوم البنِّي: «لم أكن لأسمح بذلك عن نفسي. إنني لستُ مِايستر بالطَّبع، لكنني أعرفُ أن على المرء أن يفصل التُّفَّاح التَّالف عن السَّليم».

ردَّت داني: «إنهم ليسوا تُفَّاحًا يا بن، بل رجال ونساء، مرضى وجياع وخائفون». *أطفالي*. «كان واجبي أن أذهب إلى (أستاپور)».

قال السير باريستان: «لم تكوني تستطيعين إنقاذهم يا جلالة الملكة. لقد حذَّرتِ الملك كليون من الحرب مع (يونكاي). كان الرَّجل أحمق تُلوِّث يديه الدِّماء».

وهل يداي أنظف؟ تذكَّرت ما قاله داريو، إن الملوك جميعًا إمَّا جزَّارون وإمَّا لحم. «كليون كان عدوَّ عدوِّنا. لو انضمَمتُ إليه عند (قرون هازات) لسحقنا اليونكيِّين بيننا».

خالفَها الرَّأس الحليق بقوله: «لو أخذتِ المُطهَّرين جنوبًا إلى (هازات) لكان أبناء الهارپي...».

- «أعرفُ، أعرفُ! إنها إيرو من جديد».

سألَها بن پلوم البنِّي حائرًا: «مَن إيرو؟».

- «فتاة حسبتُني أنقذتها من الاغتصاب والتَّعذيب، لكن كلَّ ما فعلته أني سوَّأتُ عليها الأمور قُرب النِّهاية، وكلُّ ما فعلته في (أستاپور) أني صنعتُ عشرة آلاف إيرو».

- «لم تكن صاحِبة الجلالة تعلم...».

- «إنني الملكة. المفترَض أن أعلم».

قال رزناك: «ما حدثَ حدثَ. صاحِبة العبادة، أتوسَّلُ إليكِ أن تتزوَّجي النَّبيل هيزدار في الحال. يُمكنه أن يتكلَّم مع الأسياد الحُكماء ويُقيم لنا السَّلام».

- «بأيِّ شروط؟». قالت كويث: *احذري القهرمان العاطِر*، وتنبَّأت المرأة المقنَّعة بمجيء الفَرس الشَّاحبة، فهل هي محقَّة بشأن النَّبيل رزناك أيضًا؟ «قد أكونُ فتاةً صغيرةً لا أفقهُ شيئًا عن الحرب، لكنني لستُ حمَلًا يثغو لأدخل وكر الهارپي طواعيةً. ما زالَ لديَّ المُطهَّرون، ولديَّ غِربان العاصفة والأبناء الثَّانون، ولديَّ ثلاث جماعاتٍ من المعتَقين».

أضافَ بن پلوم البنِّي بابتسامةٍ عريضة: «هُم والتَّنانين».

ولولَ رزناك مو رزناك: «في الجُبِّ، اثنان منها مقيَّدان بالسَّلاسل. ما جدوى تنانين لا يُمكن التَّحكُّم فيها؟ المُطهَّرون أنفُسهم ينتابهم الخوف حين يفتحون الأبواب لإطعامهما».

التمعَت عينا بن البنِّي استمتاعًا إذ سألَ: «مِمَّ؟ من حيوانات الملكة الأليفة الصَّغيرة؟». قائد الأبناء الثَّانين الأشيب من مخلوقات الجماعات الحُرَّة، هجين تجري في عروقه دماء دستةٍ من الشُّعوب المختلفة، ولكن لطالما كان مولعًا بتنانينها، وهُم به.

زعقَ رزناك: «حيوانات أليفة؟ إنها وحوش، وحوش تلتهم الأطفال. لا يُمكننا أن...».

صاحَت دنيرس: «صمتًا. لن نتطرَّق إلى ذلك».

انكمشَ رزناك منها وأجفلَه الحنق في صوتها، وقال: «سامِحيني يا صاحِبة السُّمو، لم...».

قاطعَه بن مخاطبًا الملكة: «صاحِبة الجلالة، اليونكيُّون لديهم ثلاث جماعات حُرَّة ضد جماعتينا، وثمَّة كلام عن إرسالهم مبعوثين إلى (ڤولانتيس) لاستئجار الجماعة الذَّهبيَّة. هؤلاء الأوغاد قوامهم عشرة آلاف رجل. كما أن (يونكاي) حصلَت على أربعة فيالق جيسكاريَّة، وربما أكثر، وسمعتُ أنهم أرسلوا خيَّالةً عبر (بحر الدوثراكي) ليأتوا بكالاسار كبير يُهاجِمنا. إننا في حاجة إلى التَّنانين في رأيي».

تنهَّدت داني، وردَّت: «آسفةٌ يا بن، لا أستطيعُ أن أطلق التَّنانين»، فرأت أنه ليس الجواب الذي رغبَ فيه.

حكَّ پلوم لحيته الموخوطة بالشَّيب قائلًا: «إن لم يكن في ميزان القُوى تنانين... فعلينا أن نرحل قبل أن يُحكِم الأوغاد اليونكيُّون الفخَّ... لكن عليكِ أولًا أن تجعلي النخَّاسين يدفعون ثَمن رحيلنا. إنهم يدفعون للكالات ليدعوا مُدنهم وشأنها، فلِمَ ليس نحن أيضًا؟ بيعيهم (ميرين) وابدئي الرِّحلة غربًا بعرباتٍ محمَّلة بالذَّهب والجواهر وما شابهَ».

- «تُريدني أن أنهب (ميرين) وأفرَّ؟ لا، لن أفعل ذلك. أيها الدُّودة الرَّمادي، هل معتَقيَّ جاهزون للمعركة؟».

عقدَ الخصيُّ ذراعيه على صدره مجيبًا: «إنهم ليسوا مُطهَّرين، لكنهم لن يُخزوكِ. هذا الواحد يُقسِم بالحربة والسَّيف يا صاحِبة العبادة».

قالت دنيرس: «جيِّد، هذا جيِّد»، وتطلَّعت إلى وجوه الرِّجال المحيطين بها... الرَّأس الحليق العابس، والسير باريستان بتجاعيد وجهه وعينيه الزَّرقاوين الحزينتين، ورزناك مو رزناك بشحوبه وعَرقه، وبن البنِّي بشَعره الأبيض ومتانته كالجِلد القديم، والدُّودة الرَّمادي بوجنتيه النَّاعمتين وتبلُّده وغياب أيِّ تعبيرٍ عن ملامحه. *المفترَض أن يكون داريو هنا، وخيَّالة دمي أيضًا. إذا كانت المعركة ستندلع فيجب أن يكون دم دمي معي.* وتفتقد السير چورا مورمونت أيضًا. *كذبَ وتجسَّس عليَّ، لكنه احبَّني، ودائمًا منحَني مشورةً سديدةً.* «لقد هزمتُ اليونكيِّين مرَّةً وسأهزمهم ثانيةً. لكن أين؟ كيف؟».

قال الرَّأس الحليق بصوتٍ أفعمَته الصَّدمة: «تنوين النُّزول إلى الميدان؟ إنها حماقة. أسوارنا أعلى وأغلظ من أسوار (أستاپور)، والمُدافعون عنها أشجع. لن يأخذ اليونكيُّون هذه المدينة بسهولة».

خالفَه السير باريستان: «لا أظنُّ أن علينا السَّماح لهم بمحاصَرتنا. إن جيشهم جيش مرقَّع في أحسن الأحوال. هؤلاء النخَّاسون ليسوا جنودًا. إذا داهَمناهم على حين غرَّة...».

قاطعَه الرَّأس الحليق: «فُرصة ضعيفة. لليونكيِّين أصدقاء كُثر داخل المدينة، وسيعرفون».

سألَت داني: «ما حجم الجيش الذي نستطيع حشده؟».

أجابَها بن البنِّي: «ليس كبيرًا بما فيه الكفاية، بعد إذن صاحِبة السُّمو الملكي. ماذا يقول نهاريس؟ إذا كنا سنخوض المعركة فسنحتاج إلى غِربانه».

- «ما زالَ داريو في الخارج». *أوه، ماذا فعلتُ بحقِّ الآلهة؟ هل ارسلته إلى حتفه؟* «بن، أريدُ أن يستطلع أبناؤك الثَّانون أخبار أعدائنا، أين هُم وبأيِّ سرعةٍ يتقدَّمون وكم رجلًا لديهم وكنه تجهيزاتهم».

- «سنحتاج إلى مؤن، وإلى خيولٍ جديدة أيضًا».

- «بالطَّبع. سيتولَّى السير باريستان هذا».

حكَّ بن البنِّي ذقنه قائلًا: «قد نستطيع شراء بعضهم. إذا استغنَت صاحِبة الجلالة عن بعض صُرر الذَّهب والجواهر... فقط لنُري قادتهم عيِّنةً... مَن يدري؟».

قالت داني: «نشتريهم، ولِمَ لا؟». تعلم أن هذا ما يَحدُث طول الوقت بين الجماعات الحُرَّة في (أراضي النِّزاع). «نعم، لا بأس. رزناك، تولَّ هذا. ما إن يَخرُج الأبناء الثَّانون أغلِق البوَّابة وضاعِف الحراسة على الأسوار».

قال رزناك مو رزناك: «أمر صاحِبة السُّمو. وماذا عن الأستاپوريِّين؟».

أطفالي. «إنهم قادمون ناشدين المساعدة والغوث والحماية، ولا يُمكننا أن نُدير لهم ظهورنا».

قطَّب السير باريستان وجهه قائلًا: «جلالة الملكة، لقد شهدتُ الإسهال الدَّموي يُدمِّر جيوشًا بأكملها حين يُترَك للانتشار بلا رقيب. القهرمان محقٌّ، لا يُمكننا السَّماح للأستاپوريِّين بدخول (ميرين)».

رمقَته داني بلا حولٍ ولا قوّة. جيِّد أن التَّنانين لا تبكي. «كما تقول. ستُبقيهم خارج الأسوار إلى أن تجري هذه... هذه اللَّعنة مجراها. أقِم لهم مخيَّمًا على ضفَّة النَّهر غرب المدينة، وسنُرسِل إليهم ما نستطيع من طعام، وقد نستطيع فصل الأصحَّاء عن المرضى». كانوا يَنظُرون إليها جميعًا، فقالت: «هل ستجعلونني أقولها مرَّتين؟ اذهبوا ونفِّذوا أوامري»، ثم نهضَت متجاوزةً بن البنِّي وصعدَت الدَّرجات إلى عُزلة شُرفتها الجميلة.

مئتا فرسخ تفصل (ميرين) عن (أستاپور)، ومع ذلك بدا لها أن السَّماء أغمق إلى الشَّمال الغربي، ملطَّخة مغبشة بدُخان المدينة الحمراء الهالكة. رنَّت الأنشودة القديمة في عقلها: *من الدَّم والقرميد قُدَّت (أستاپور)، ومن الدَّم والقرميد أهلها قُدُّوا*، وفكَّرت مضيفةً إليها: *رمادًا وعظمًا صارَت (أستاپور)، ورمادًا وعظمًا أهلها صاروا*. حاولَت أن تتذكَّر وجه إيرو، لكن ملامح الفتاة الميتة ما انفكَّت تتحوَّل إلى دُخان.

حين التفتَت دنيرس أخيرًا وجدَت السير باريستان واقفًا قُربها محتميًا بمعطفه الأبيض من برد المساء، فسألَته: «هل نستطيعَ أن نخوض هذه المعركة؟».

- «يستطيع البَشر القتال دومًا يا جلالة الملكة. سَليني إن كنا نستطيع الفوز بالأحرى. الموت سهل، لكن النَّصر يأتي بصعوبة. معتَقوكِ لم يكتمل تدريبهم ولم يُختبَروا، ومرتزِقتكِ كانوا يخدمون أعداءكِ من قبلكِ، وما إن يُبدِّل المرء ولاءه فلن يتورَّع عن تبديله ثانيةً. إن لديكِ تنِّينيْن لا يُمكن التَّحكُّم فيهما وتنِّينًا ثالثًا ربما ضاعَ منكِ، ووراء هذه الأسوار أصدقاؤكِ الوحيدون هُم اللازارين الذين لا يستسيغون الحرب».

- «لكن أسواري قويَّة».

- «ليست أقوى مما كانت ونحن خارجها، وأبناء الهارپي في الدَّاخل معنا، وكذا الأسياد العظام، مَن لم تَقتُليهم وأبناء مَن قتلتِهم».

زفرَت الملكة قائلةً: «أعرفُ. ما نصيحتك أيها الفارس؟».

أجابَ السير باريستان: «المعركة. (ميرين) شديدة الازدحام وملأى بالأفواه الجائعة، وداخلها تُواجِهين أعداء كثيرين للغاية. أخشى أننا لا نستطيع احتمال الحصار طويلًا. دعيني أقابلُ العدوَّ حين يأتي شمالًا على أرضٍ من اختياري».

- «تُقابِل العدوَّ... بالمعتَقين الذين قلت إن تدريبهم لم يكتمل ولم يُختبَروا».

- «كلُّنا كنا كذلك ذات يومٍ يا جلالة الملكة. سيُساعِد المُطهَّرون على تعضيدهم. لو كان لديَّ خمسمئة فارس...».

- «أو خمسة... وإذا أعطيتك المُطهَّرين فلن يبقى إلَّا الوحوش النُّحاس للدِّفاع عن (ميرين)»، فلمَّا لم يُعارِضها السير باريستان أغلقَت داني عينيها وصلَّت: *آلهتي، لقد أخذتِ الكَال دروجو الذي كان شمسي ونجومي، وأخذتِ ابننا الباسل قبل أن يلتقط نفسًا واحدًا. لقد نلتِ قسطكِ من دمي، فساعِديني الآن أرجوكِ، امنحيني الحكمة لأرى الطَّريق أمامي والقوَّة لأفعل ما عليَّ أن أفعله للحفاظ على أمن أطفالي.*

ولم تُجِب الآلهة.

عندما فتحَت دنيرس عينيها ثانيةً قالت: «لا يُمكنني أن أحارب عدوَّين أحدهما بالدَّاخل والثَّاني بالخارج. إذا أردتُ الحفاظ على (ميرين) فيجب أن تكون المدينة ورائي، المدينة كلُّها. إنني محتاجة إلى... محتاجة إلى...». بترَت عبارتها غير قادرةٍ على قولها.

استحثَّها السير باريستان برفق: «جلالة الملكة؟».

الملكة ليست مِلك نفسها وإنما مِلك شعبها. «محتاجة إلى هيزدار زو لوراك».

---

(47) عندما تعرق الخيول نتيجةً للمجهود الشَّديد تَخرُج من مسامِّها مادَّة رغويَّة يتسبَّب بروتين معيَّن في إفرازها. (المُترجم).

لا يعرف الظَّلام الدَّامس سبيلًا إلى مسكن مليساندرا أبدًا.

على عتبة النَّافذة تتَّقد ثلاث شموعٍ من الشَّحم لتدرأ أهوال اللَّيل، وعلى جانبَي فِراشها يرتعش لهب أربعٍ أخريات، وفي المستوقَد تضطرم النَّار طيلة النَّهار واللَّيل. أول درسٍ يتعلَّمه من يخدمونها ألَّا يسمحوا للنَّار بالانطفاء أبدًا وتحت أيِّ ظرف.

أغلقَت الرَّاهبة الحمراء عينيها وردَّدت صلاةً، ثم عادَتِ تفتحهما لتُواجِه نار المستوقَد. *مرّة أخرى*. يجب أن تتيقَّن. رُهبان كثيرون وراهبات كثيرات من قبلها أودَت بهم الرُّؤى الزَّائفة إلى التَّهلُكة، إذ رأوا ما أرادوا أن يروه بدلًا من رؤية ما أرسلَه إليهم إله الضِّياء. ستانيس يزحف جنوبًا إلى الخطر، الملك الذي يحمل مصير العالم على عاتقه، آزور آهاي المولود من جديد. مؤكَّد أن راهلور سيُنعِم عليها بلمحةٍ مما ينتظره. *أرِني ستانيس يا إلهي، أرِني ملكك، أداتك*.

تراقصَت الرُّؤى أمامها ذهبيَّةً وقرمزيَّةً، تتذبذَب، تتكوَّن وتذوب ويُخالِط بعضها بعضًا، أشكال غريبة ومرعبة وفاتنة. رأت الوجوه عديمة الأعيُن ثانيةً، تُحدِّق إليها من محاجر خالية تبكي دمًا، ثم الأبراج على البحر تتهاوى إذ يكتسحها الطُّوفان الأسود الفائر من الأعماق. ظلال على شكل جماجم، وجماجم تستحيل إلى سديم، وجُثث متعانقة تتلوَّى وتتدحرَج وتخمش بشهوة، وعبر حُجب النِّيران ظلال مجنَّحة عظيمة تدور في سماء زرقاء قاسية.

الفتاة، يجب أن أجد الفتاة ثانيةً، الفتاة الرَّماديَّة على الحصان المائت. هذا ما سيتوقَّعه چون سنو منها، وقريبًا. لن يكفي أن تقول إن الفتاة هاربة. سيُريد المزيد، سيُريد أن يعرف الزَّمان والمكان، وذلك لا تعلمه بعدُ. لقد رأت الفتاة مرَّةً واحدةً فقط. *فتاة بلون الرَّماد، وبينما أشاهدُ تفتَّتت وذابَت*.

تجسَّد وجه في نار المستوقَد، وللحظةٍ لا أكثر تساءلَت: *ستانيس؟* لكن لا، ليست هذه ملامحه. *وجه خشبي، أبيض كالجُثث*. أهذا هو العدوُّ؟ في اللَّهب المتأجِّج سبحَت ألف عينٍ حمراء، فقالت لنفسها: *إنه يراني*، وإلى جواره ألقى صبيٌّ برأس ذئبٍ رأسه إلى الوراء وراحَ يعوي.

ارتجفَت الرَّاهبة الحمراء، وسالَ الدَّم على فخذها قطرةً قطرةً، أسود يتصاعَد منه الدُّخان. النَّار في داخلها، عذاب وحَرقة، نشوة ووجْد، تُفعِمها، تلفحها، تُحوِّلها. رسمَ وميض الحرارة أشكالًا منتظمةً على جِلدها بإصرار يد العاشق، ونادَتها أصوات غريبة من أيامٍ أدبرَت وولَّت. سمعَت امرأةً تصيح: «ميلوني»، وصوت رجلٍ يزعق: «الدُّفعة 7». كانت تبكي، ودموعها لهب، ولم تزَل تتشرَّبه.

نزلَت رقائق الثَّلج تدور من سماءٍ مدلهمَّة وارتفعَ الرَّماد يُلاقيها، يدور الرَّمادي حول الأبيض والأبيض حول الرَّمادي فيما تُحلِّق السِّهام النَّارية فوق سورٍ خشبي، وتتقدَّم أشياء ميتة بخُطى ثقيلة صامتة عبر البرد أسفل جُرفٍ رمادي حيث تشتعل النَّار داخل مئة كهف. ثم اشتدَّت الرِّيح وجاءَ الضَّباب الأبيض يكتسح الموجودات، برودته مستحيلة، وواحدةً تلو الأخرى همدَت النِّيران، وبعدها لم يبقَ إلَّا الجماجم.

الموت، الجماجم تعني الموت.

طقطقَ اللَّهب بنعومة، وفي طقطقته سمعَت اسم چون سنو يُهمَس، وسبحَ وجهه أمامها مرسومًا بألسنةٍ من الأحمر والبُرتقالي، يتبدَّى ويتلاشى ثانيةً، ظِلٌّ شِبه مرئي وراء ستارٍ مهزوز. الآن هو رجل، والآن ذئب، والآن رجل من جديد. لكن الجماجم هنا، الجماجم تُحيط به من كلِّ اتِّجاه. رأت مليساندرا الخطر المحدق بالفتى من قبل، وحاولَت أن تُحذِّره منه. *أعداء يُطوِّقونه، خناجر في الظَّلام*. غير أنه رفضَ أن يُصغي.

لا يُصغي غير المؤمنين أبدًا إلَّا بعد فوات الأوان.

سألَها الصَّبي بخفوت: «ماذا ترين يا سيِّدتي؟».

جماجم، ألف جمجمة، والفتى النَّغل ثانيةً، چون سنو. متى سُئِلَت عمَّا تراه في نيرانها تُجيب مليساندرا: «الكثير»، لكن الرُّؤية ليست بالبساطة التي تُوحي بها الكلمة إطلاقًا. إنه فنٌّ، وككلِّ الفنون يستلزم إتقانًا وانضباطًا ودراسةً. *وألمًا أيضًا*. يُحدِّث راهلور مختاريه من خلال النَّار المبارَكة بلُغةٍ من رمادٍ وجمرٍ ولهبٍ يتلوَّى، لُغةٍ لا يستطيع امتلاك مفاتيحها سوى إله. منذ سنين لا تُحصى تُمارِس مليساندرا فنَّها، وقد دفعَت الثَّمن. لا أحد على الإطلاق -حتى في طائفتها- يتمتَّع بمهارة رؤية الأسرار نِصف المنجلية نِصف الخبيئة في اللَّهب المقدَّس.

لكن الآن لا يبدو أنها تستطيع العثور على ملكها حتى. *أصلِّي من أجل لمحةٍ من آزور آهاي فلا يُريني راهلور إلَّا سنو*. نادَت: «دقان، شراب». حَلقها جاف تمامًا وعطشها شديد.

قال الصَّبي: «نعم يا سيِّدتي»، وصبَّ لها كوبًا من الماء من الإبريق الحجري الموضوع عند النَّافذة وجلبَه لها.

قالت مليساندرا: «أشكرك»، وأخذَت رشفةً وابتلعَتها ومنحَت الصَّبي ابتسامةً خضَّبت وجهه بالحُمرة. تعلم أنه شِبه واقع في غرامها. *يخشاني ويُريدني ويَعبُدني*.

وعلى الرغم من هذا لا يَشعُر دقان بالرِّضا عن وجوده هنا. من دواعي فخر الصَّبي العظيم أن يخدم كمُرافقٍ للملك، وقد جرحَه أن أمرَه ستانيس بالبقاء في (القلعة السَّوداء)، فككلِّ صبيٍّ في سِنِّه يمتلئ عقله بأحلام المجد، ولا ريب أنه كان يتخيَّل البسالة التي سيُبديها في (ربوة الغابة). صِبيان آخَرون في سِنِّه ذهبوا جنبوًا ليخدموا كمُرافقين لفُرسان الملك ويَدخُلوا المعركة إلى جانبهم، ومؤكَّد أن استبعاد دقان بدا كتبكيت، كعقابٍ على فشلٍ ما منه، أو ربما على فشلٍ ما من أبيه.

لكن الحقيقة أنه هنا لأن مليساندرا طلبَته. لقد ماتَ أبناء داقوس سيوورث الأربعة الكبار في معركة (النَّهر الأسود)، حين التهمَت النَّار الخضراء أسطول الملك، ودقان هو الابن الخامس، وفي أمانٍ أكثر هنا معها من جانب الملك. لن يَشكُرها اللورد داقوس على هذا، مِثلما لن يَشكُرها الصَّبي نفسه، ومع ذلك بدا لها أن سيوورث قاسى ما يكفي من أحزان، وعلى الرغم من ضلاله فإخلاصه لستانيس لا يرقى إليه الشَّكُّ، وقد رأت هذا في لهبها.

دقان سريع وذكي وبارع أيضًا، وهذا أكثر مما يُمكن أن يُقال عن معظم تابعيها. تركَ ستانيس دستةً من رجاله لخدمتها عندما تحرَّك جنوبًا، لكن أكثرهم عديم الفائدة. جلالته في حاجةٍ إلى كلِّ مُقاتل، فلم يستطِع الاستغناء إلَّا عن المسنِّين والمُعاقين. أحد الرِّجال أعمَته ضربة على رأسه خلال المعركة عند سفح (الجِدار)، وآخَر كسَّحه سقوط حصانه عليه محطِّمًا ساقيه، ورقيبها أفقدَته ذراعه هراوة عملاق، وثلاثة من حُرَّاسها مخصيُّون عقابًا من ستانيس على اغتصاب نساءٍ همجيَّات، وفي خدمتها سكِّيران وفتى جبان أيضًا. كان المفروض أن يُشنَق هذا الأخير -كما أقرَّ الملك نفسه- لكنه من عائلةٍ نبيلة، وأبوه وإخوته ثابتون على العهد من البداية.

تعلم الرَّاهبة أن الاحتفاظ بحراسةٍ حولها سيجعل الإخوة السُّود يلزمون الاحترام المطلوب، لكن أحدًا من الرِّجال الذين أعطاهم ستانيس لها لن يكون ذا عونٍ كبير إذا وجدَت نفسها في خطر. لا يهمُّ، فمليساندرا الآشايِيَّة لا تخاف على نفسها، وسيحميها راهلور.

أخذَت رشفةً أخرى من الماء ووضعَت الكوب جانبًا، ثم أغمضَت عينيها وفتحَتهما عدَّة مراتٍ وتمطَّت ونهضَت من مقعدها محسَّةً بتيبُّس عضلاتها. بعد التَّطلُّع إلى اللَّهب طويلًا استغرقَت بضع لحظاتٍ حتى تكيَّف بصرها مع الظَّلام. عيناها جافَّتان متعَبتان، لكن إذا فركَتهما فسيزداد الألم.

رأت أن نارها خمدَت، فقالت: «المزيد من الحطب يا دقان. ما السَّاعة؟».

- «قُبيل الفَجر يا سيِّدتي».

الفَجر. مُنِحنا نهارًا آخَر بنعمة راهلور. أهوال اللَّيل تنجلي. أمضَت مليساندرا اللَّيلة في مقعدها عند النَّار كما تفعل أكثر الوقت. بعد رحيل ستانيس لم تَعُد تستخدم فِراشها إلَّا قليلًا، فليس لديها وقت للنَّوم الآن وهموم العالم كلِّه على كاهلها. كما أنها تخشى أن تَحلُم. *النَّوم موت صغير، والأحلام همس (الآخَر) الذي يودُّ أن يجرَّنا جميعًا إلى ليله السَّرمدي.* تُؤثِر أن تتحمَّم بالوهج المحمر الذي يبعثه لهب ربِّها الأحمر المبارَك، تحتقن وجنتاها من اللَّهيب كأن حبيبًا يغمرهما بالقُبلات. في بعض اللَّيالي تغفو، لكن غفوتها لا تدوم أكثر من ساعة، وتدعو مليساندرا أن يأتي يوم وتنتهي حاجتها إلى النَّوم تمامًا. *ميلوني. الدُّفعة 7.*

أذكى دقان النَّار بقطع الحطب إلى أن استعرَّ لهبها من جديدٍ بعتوٍّ وشراسةٍ دافعًا الظِّلال إلى الانسحاب إلى أركان الغُرفة وملتهمًا أحلامها المرفوضة. *الظَّلام ينحسر مجدَّدًا... لبعض الوقت، لكن وراء (الجِدار) يزداد العدوُّ قوَّةً، وإذا انتصرَ فلن يطلع الفَجر ثانيةً أبدًا.* تساءلَت إن كان وجهه ما رأت يُحدِّق إليها من اللَّهب. *لا، قطعًا لا*. مؤكَّد أن *مُحيَّاه أكثر إثارةً للخوف، بارد وأسود وأشنع من أن يقع عليه بصر إنسان ويعيش.* أمَّا الرَّجل الخشبي الذي رأته والصَّبي ذو وجه الذِّئب... لا شكَّ أنهما خادماه... نصيراه، كما أن ستانيس نصيرها.

ذهبَت مليساندرا إلى نافذتها وفتحَت مصراعيها. في الخارج بدأ الشَّرق يُنير، ولا تزال نجوم الصُّبح تُرصِّع السَّماء الحالكة. بدأت (القلعة السَّوداء) تتحرَّك بالفعل إذ قطعَ الرِّجال ذوو المعاطف السَّوداء السَّاحة ليُفطِروا على أوعية الثَّريد قبل أن يحلُّوا محلَّ إخوتهم على قمَّة (الجِدار). كانت نُدف ثلجٍ قليلة تتطايَر عند النَّافذة المفتوحة محمولةً على الرِّيح.

سألَها دڤان: «هل تُريد سيِّدتي أن تتناوَل الإفطار؟».

الطَّعام. نعم، عليّ أن آكل. في بعض الأيام تنسى. يمدُّها راهلور بكلِّ ما يحتاج إليه جسدها من غذاء، لكن الأفضل أن يبقى شيء كهذا مجهولًا للفانين.

إنها محتاجة إلى چون سنو، لا إلى الخُبز المحمَّر واللَّحم المقدَّد، ولكن لا جدوى من إرسال دڤان إلى حضرة القائد، فلن يُلبِّي استدعاءها. ما زالَ سنو مقيمًا وراء مستودَع السِّلاح في مسكنٍ متواضع من غُرفتين كان يحتلُّهما حدَّاد حَرس اللَّيل الرَّاحل. ربما لا يحسب نفسه جديرًا بـ(بُرج الملك)، وربما لا يكترث. هذه هي غلطته، تواضُع الشَّباب الزَّائف الذي يعدُّ في حدِّ ذاته نوعًا من الغرور. ليس من الحكمة أبدًا أن يتجنَّب القائد زُخرف السُّلطة، فالسُّلطة نفسها تنساب بقدرٍ ليس بالقليل من هذا الزُّخرف.

على أن الفتى ليس ساذجًا بالكامل. إنه أذكى من أن يأتي مليساندرا في مسكنها مستجديًا، ويصرُّ على ذهابها إليه بدلًا من ذلك إذا أرادَت أن تتحدَّث معه، وفي أغلب الأحيان إذا ذهبَت إليه يَترُكها منتظرةً أو يَرفُض رؤيتها. على الأقل يتمتَّع في هذا بالفطنة.

- «سأشربُ شاي القُرَّاص[48] وآكلُ بيضةً مسلوقةً وخُبزًا بالزُّبدة، خُبزًا طازجًا وليس محمَّرًا إذا سمحت. جِد الهمجي أيضًا. قُل له إنني أريدُ أن أتكلَّم معه».

- «ذو القميص المُخشخِش يا سيِّدتي؟».

- «وبسرعة».

بعد ذهاب الصَّبي اغتسلَت مليساندرا وبدَّلت ثيابها. تملأ كُمَّيها الجيوب الخفيَّة، وقد تفقَّدتها بعنايةٍ كما تفعل كلَّ صباحٍ لتتأكَّد من أن مساحيقها كلَّها في مكانها. لديها مساحيق تُكسِب النَّار لونًا أخضر أو أزرق أو فضِّيًا، ومساحيق تجعل اللَّهب يتأجَّج ويفحُّ وتثب ألسنته أعلى من قامة أيِّ رجل، ومساحيق لعمل الأدخنة، منها دُخان للحقيقة، ودُخان للشَّهوة، ودُخان للخوف، والدُّخان الأسود الثَّقيل القادر على أن يَقتُل إنسانًا. تُسلِّح الرَّاهبة الحمراء نفسها بحفنةٍ من كلٍّ من هذه المساحيق.

فرغ أكثر من ثلاثة أرباع الصُّندوق المنقوش الذي جلبَته معها عبر (البحر الضيِّق)، ولئن كانت مليساندرا تتمتَّع بالمعرفة لعمل المزيد من المساحيق فإنها تفتقر إلى الكثير من المكوِّنات النَّادرة. ستكفي *تعاويذي*. إنها أقوى عند (الجِدار)، أقوى مما كانت في (آشاي) نفسها. كلُّ كلمةٍ وحركةٍ منها أكثر فاعليَّةً، وبإمكانها أن تفعل أشياء لم تكن تقدر عليها من قبل. *الظِّلال التي سأتمخَّض عنها هنا ستكون رهيبةً، ولن يقوى أيٌّ من مخلوقات الظَّلام على الصُّمود أمامها*. في وجود شعوذةٍ كهذه تحت إمرتها فمن المفترَض أن تنتفي حاجتها قريبًا إلى حيل الخيميائيِّين والپايرومانسرات[49] الواهية.

أغلقَت الصُّندوق وأوصدَت القفل وخبَّأت المفتاح داخل تنُّورتها في جيبٍ سرِّي آخَر. ثم إنها سمعَت طرقةً على الباب، فخمَّنت من وقعها الواجف أنه رقيبها ذو الذِّراع الواحدة، الذي قال لها: «ليدي مليساندرا، سيِّد العظام أتى».

قالت: «أدخِله»، وعادَت تستقرُّ على مقعدها عند المستوقَد.

يرتدي الهمجي سُترةً بلا كُمَّين من الجِلد المقوَّى المطعَّم بالبرونز، تحت معطفٍ رث تختلط في أقمشته درجات الأخضر والبنِّي. *لا عظام*. ويتَّشح بالظِّلال أيضًا، بخيوطٍ ممزَّقة من الضَّباب الرَّمادي، شِبه مرئيَّة، تنزلق على وجهه وقدِّه مع كلِّ خُطوةٍ يخطوها. *أشياء قبيحة، قبيحة قُبح عظامه*. مقدِّمة شَعره مسحوبة إلى الوراء، وعيناه داكنتان متقاربتان، ووجنتاه ممصوصتان، وفوق فمه المليء بالأسنان البنِّيَّة المكسورة يتلوَّى شاربه كالدُّودة.

شعرَت مليساندرا بالدِّفء في تجويف حَلقها إذ اهتزَّت ياقوتتها لدى قُرب عبدها، وعلَّقت: «خلعت العظام».

- «الخشخشة كانت على وشك إصابتي بالجنون».

- «العظام تحميك. الإخوة السُّود لا يُحبُّونك. دقان أخبرَني بأنك تشاحَنت مع بعضهم على العَشاء ليلة البارحة».

قال الهمجي: «مع بعضهم. كنتُ أشربُ حَساء الفاصوليا واللَّحم المقدَّد فيما راحَ باون مارش يُثَرثِر عن الموقع العالي. حسبَني الرُّمَّانة العجوز أتجسَّسُ عليه، وأعلنَ أنه لن يسمح للقتَلة بسماع مداولاتهم، فقلتُ له إنه لو كان ذلك صحيحًا فلا يَجدُر بهم أن يتداوَلوا عند النَّار. احتقنَ وجه باون وأصدرَ صوتًا مخنوقًا ما، لكن الأمر لم يتعدَّ هذا»، وجلسَ على حافة النَّافذة وسحبَ خنجره من غِمده مضيفًا: «إذا أرادَ أحد الغِربان أن يغرس سكِّينًا بين ضلوعي وأنا أتناولُ عَشائي فله أن يُحاوِل. سيكون طعم عصيدة هوب أطيب إذا تُبِّلَت بقطرةٍ من الدَّم».

لم تُعِر مليساندرا الفولاذ المجرَّد اهتمامًا. لو كان الهمجي يُضمِر لها الأذى لرأت هذا في لهبها. الخطر على شخصها أول شيءٍ تعلَّمت رؤيته وهي لا تزال طفلةً صغيرةً، أَمةً مرهونةً بالمعبد الأحمر العظيم مدى الحياة، وما زالَ هذا أول شيءٍ تترصَّده متى حدَّقت إلى النَّار. نبَّهته قائلةً: «أعيُنهم هي ما يُفترَض أن يهمَّك، لا سكاكينهم».

- «السِّحر، نعم». بدَا كأن الياقوتة الصَّغيرة في الصَّفد الحديدي الأسود حول معصمه تنبض، وقد نقرَ عليها الهمجي بحافة الخنجر ليَصدُر رنين خافت من التقاء الفولاذ والحجر الكريم، وقال: «أشعرُ بها في نومي، دافئةً على جِلدي، يتخلَّل دفئها الحديد، ناعمةً كقُبلة امرأة، كقُبلتكِ. لكن أحيانًا في أحلامي تبدأ تلسعني، وتتحوَّل شفتاكِ إلى أسنان. كلَّ يومٍ أفكِّرُ أن نزعها في منتهى السُّهولة، وكلَّ يومٍ لا أنزعها. أيجب أن أرتدي العظام اللَّعينة أيضًا؟».

- «التَّعويذة قوامها الظِّلال والإيحاء. النَّاس يرون ما يتوقَّعون رؤيته، والعظام جزء من هذا». *هل جانبَني الصَّواب بالإبقاء عليه؟* «إذا خابَ السِّحر فسيَقتُلونك».

بدأ الهمجي يكشط الوسخ من تحت أظفاره بطرف خنجره قائلًا: «لقد غنَّيتُ أغانيَّ وخضتُ معاركي وشربتُ نبيذ الصَّيف وذقتُ زوجة الدورني. المفترَض أن يموت الرَّجل كما عاشَ، وبالنِّسبة إليَّ يعني هذا أن أموت وفي يدي الفولاذ».

هل يَحلُم بالموت؟ أيُمكن أن العدوَّ مسَّه؟ إن الموت ملكوته، والموتى جُنده. «ستجد عملًا لفولاذك قريبًا. العدوُّ يتحرَّك، العدوُّ الحقيقي، وجوَّالة اللورد سنو سيعودون قبل آخِر النَّهار بأعيُنهم العمياء الدَّامية».

ضيَّق الهمجي عينيه، عينين رماديَّتين، عينين خضراوين، ترى مليساندرا لونهما يتبدَّل مع كلِّ نبضةٍ من الياقوتة. قال الرَّجل: «اقتلاع الأعيُن عمل البكَّاء. يحبُّ أن يقول إن الغُراب الأعمى أفضل الغِربان. أحيانًا يَخطُر لي أنه يودُّ أن يقتلع عينيه هو من جرَّاء نضوحهما وحُكاكهما الدَّائميْن. سنو افترضَ أن الأحرار سيقصدون تورموند ليقودهم، لأن هذا ما كان ليفعله. لقد أحبَّ تورموند وأحبَّه المحتال العجوز أيضًا. لكن إذا كان البكَّاء... ليس هذا جيِّدًا، لا له ولا لنا».

أومأَت مليساندرا برصانةٍ كأنها أصغَت إليه بكلِّ جوارحها، لكن البكَّاء لا يهمُّ حقًّا، لا أحد من الأحرار يهمُّ. إنهم شعب ضائع، شعب هالك، مصيرهم الانقراض من على وجه البسيطة كما انقرضَ أطفال الغابة. على أنه لن يرغب في أن يسمع كلامًا كهذا، ولا تستطيع أن تُغامِر بخسارته الآن، وهكذا سألَته: «ما مدى معرفتك بالشَّمال؟».

دسَّ خنجره في غِمده مجيبًا: «كأيِّ مُغير. بعض البقاع أفضل من غيرها. الشَّمال كبير. لماذا؟».

قالت: «الفتاة، فتاة ترتدي الرَّمادي على ظَهر حصانٍ مائت، أخت چون سنو». ومَن يُمكن أن تكون غيرها؟ إنها تهرع إليه بُغية الحماية كما رأت ميليساندرا بوضوح. «لقد رأيتها في لهبي، لكن مرَّةً فقط. يجب أن نكسب ثقة حضرة القائد، والسَّبيل الوحيد إلى ذلك أن نُنقِذها».

قال: «تعنين أن أنقذها أنا؟ سيِّد العظام؟»، وضحكَ متابعًا: «لم يَحدُث قَطُّ أن وثقَ أحد بذي القميص المُخشخِش إلَّا الحمقى، وسنو ليس أحمق. إذا كانت أخته في حاجةٍ إلى إنقاذ فسيُرسِل غِربانه. هذا ما كنتُ لأفعله».

- «إنه ليس أنت. لقد حلفَ يمينه ويعزم على الحياة بها. حَرس اللَّيل لا يتدخَّلون، لكنك لست من حَرس اللَّيل، وتستطيع أن تفعل ما لا يستطيعه».

- «إذا سمحَ قائدكِ المتزمِّت بذلك. هل أرتكِ ناركِ أين أجدُ هذه الفتاة؟».

- «رأيتُ مياهًا عميقةً زرقاء ساكنةً تكوَّنت عليها طبقة رقيقة من الجليد للتَّوِّ. بدا كأنها تمتدُّ إلى ما لا نهاية».

- «(البُحيرة الطَّويلة). ماذا رأيتِ غيرها حول الفتاة؟».

- «تلالًا وحقولًا وأشجارًا. رأيتُ غزالًا، ورأيتُ أحجارًا. إنها تُحافِظ على مسافةٍ لا بأس بها بينها وبين القُرى. حين تستطيع تمضي مع الجداول الصَّغيرة كي تُضلِّل الصيَّادين عن أثرها».

قطَّب وجهه قائلًا: «سيُصعِّب هذا الأمر. قلتِ إنها آتية شمالًا. هل كانت البُحيرة إلى شرقها أم غربها؟».

أغلقَت ميليساندرا عينيها متذكِّرةً، ثم أجابَت: «غربها».

- «ليست آتيةً على (طريق الملوك) إذن. فتاة ذكيَّة. الحُرَّاس أقل على الجانب الآخر، والتَّغطية أكثر، وثمَّة بعض المخابئ التي استخدمتها عن نفسي بين الحين...». بترَ الهمجي عبارته مع صوت البوق الحربي الذي تردَّد وهبَّ واقفًا، وعلمَت مليساندرا أن الصَّمت المفاجئ نفسه رانَ على جميع أنحاء (القلعة السَّوداء)، وأن كلَّ رجلٍ وصبيٍّ التفتَ إلى (الجِدار) يُنصِت، ينتظر. دفقة واحدة طويلة من البوق تعني عودة الجوَّالة، ودفقتان...

فكَّرت الرَّاهبة الحمراء: *أتى اليوم، وسيُصغي اللورد سنو إليَّ رغمًا عنه الآن.*

بعد خفوت صيحة البوق النَّائحة الطَّويلة بدا كأن الصَّمت استمرَّ ساعةً، وأخيرًا بترَه الهمجي بقوله: «نفخة واحدة إذن. جوَّالة».

قالت مليساندرا: «جوَّالة موتى»، ونهضَت بدورها مردفةً: «اذهب وارتدِ عظامك وانتظر. سأعودُ».

- «عليَّ أن أذهب معكِ».

- «لا تكن أبله. ما إن يجدوا ما سيجدونه سيُحنِقهم منظر أيِّ همجي. ابقَ هنا حتى تبرد دماؤهم».

وجدَت دقان يصعد سلالم (بُرج الملك) وهي نازلة بين اثنين من الحَرس الذين تركَهم لها ستانيس. كان الصَّبي يحمل الإفطار الذي نسيَته تقريبًا على صحفة، وقد خاطبَها قائلًا: «انتظرتُ حتى أخرجَ هوب الأرغفة الطَّازجة من الفُرن يا سيِّدتي. ما زالَ الخُبز ساخنًا».

- «اترُكه في مسكني». سيأكله الهمجي على الأرجح. «اللورد سنو في حاجةٍ إليَّ وراء (الجِدار)». *ليس يعرف هذا بعدُ، ولكن قريبًا...*

كان ثلج خفيف قد بدأ يتساقَط بالخارج، وتجمهرَ بعض الغِربان عند البوَّابة لدى وصول مليساندرا وحارسيها، لكنهم أفسحوا الطَّريق للرَّاهبة الحمراء. سبقَها حضرة القائد عبر الجليد، يصحبه باون مارش وعشرون من حاملي الحِراب، وعلاوةً على هذا أرسل سنو دستةً من الرُّماة إلى قمَّة (الجِدار) تحسُّبًا لاختباء عدوٍّ ما في الغابة القريبة. ليس الحَرس على البوَّابة من رجال الملكة، لكنهم سمحوا لها بالمرور رغم ذلك.

تحت الجليد برد وظلام، في الممرِّ الضيِّق الذي يتعرَّج عبر (الجِدار). مضى مورجان أمامها بمشعلٍ ومريل خلفها بفأس. كلا الرَّجلين سكِّير لا أمل في شفائه من داء الخمر، لكنهما مستفيقان في هذه السَّاعة من الصَّباح، وكلاهما من رجال الملكة -اسمًا على الأقل- وكلاهما يخشاها إلى حدٍّ بعيد، ومريل تحديدًا مرعب حين لا يكون سكرانَ. لن تحتاج مليساندرا إليهما اليوم، إلَّا أنها تحرص على الاحتفاظ باثنين من الحُرَّاس حولها أينما ذهبَت، ففي هذا رسالة معيَّنة. زُخرف *السُّلطة*.

لدى خروج ثلاثتهم شمال (الجِدار) كان الثَّلج يَسقُط بثبات، وغطَّى بساط ممزَّق من الأبيض الأرض الخراب الممتدَّة من (الجِدار) إلى حافة (الغابة المسكونة)، وقد التفَّ چون سنو وإخوانه السُّود حول ثلاث حِرابٍ تَبعُد عشرين ياردةً أو نحوها.

تَبلُغ الحِراب المصنوعة من خشب الدَّردار الأقدام الثَّمانية طولًا. الموضوعة على اليسار فيها اعوجاج بسيط، لكن الأخريَيْن ملساوان مستقيمتان، وفوق كلٍّ منها رأس مقطوع. اللِّحى مليئة بالجليد، وكسا الثَّلج المتساقط الرُّؤوس بقلنسواتٍ بيضاء، وحيث كانت الأعيُن لم يبقَ إلَّا محاجر خاوية، ثقوب سوداء دامية تَنظُر من أعلى باتِّهامٍ صامت.

سألَت مليساندرا الغِربان: «مَن كانوا؟».

أجابَها باون مارش بجمود: «چاك بولوار الأسود وهال المُشعر وجارث جرايفيذر. الأرض شِبه متجمِّدة. لا بُدَّ أن الهَمج استغرَقوا نِصف اللَّيل في غرس الحِراب على هذا العُمق. وارد أنهم ما زالوا قريبين، يُراقِبوننا». قالها قيِّم الوُكلاء وزرَّ عينيه متطلِّعًا إلى خطِّ الأشجار.

قال الأخ الأسود ذو الوجه الكالح: «قد يكون مئات منهم قريبين، أو آلاف».

ردَّ چون سنو: «لا. لقد تركوا هديَّتهم في جوف اللَّيل ثم فرُّوا». دارَ الذِّئب الرَّهيب الأبيض الضَّخم حول الحِراب متشمِّمًا، ثم رفعَ ساقه وبالَ على التي تحمل رأس چاك بولوار الأسود. «كان جوست ليشمَّهم لو أنهم ما زالوا في الجوار».

قال الكالح المسمَّى إد الكئيب: «آملُ أن البكّاء أحرقَ الجُثث، وإلَّا لأتت تبحث عن رؤوسها».

أطبقَ چون سنو على الحربة التي تحمل رأس جارث جرايفيذر واجتثَّها بعُنفٍ من الأرض قائلًا: «اخلعوا الأخريَيْن»، فأسرعَ أربعة من الغِربان يُلبُّون الأمر.

قال باون مارش بوجنتين محمرَّتين بردًا: «ما كان يجب أن نُرسِل جوَّالةً إطلاقًا».

- «ليس هذا الوقت أو المكان المناسب لنكء ذلك الجرح. ليس هنا يا سيِّدي، ليس الآن»، ثم قال سنو للرِّجال الذين ينتزعون الحِراب بصعوبة: «خُذوا الرُّؤوس وأحرِقوها. لا تَترُكوا إلَّا العظام العارية»، وعندها فقط بدا أنه لاحظَ مليساندرا، فخاطبَها قائلًا: «سيِّدتي، امشي معي إذا سمحتِ».

أخيرًا. «كما يرغب حضرة القائد».

تأبَّطت ذراعه إذ بدآ يمشيان تحت (الجِدار)، يمضي مورجان ومريل وراءهما وجوست في أعقابهما. لم تتكلَّم الرَّاهبة، لكنها أبطأَت حركتها عمدًا ليبدأ الجليد في الذَّوبان مع مرورها. *لن يفوته هذا!*.

تحت الشَّبكة الحديديَّة لكُوَّة دفاعٍ بترَ چون سنو صمته كما توقَّعت، وقال: «ماذا عن الستَّة الآخَرين؟».

- «لم أرَهم».

- «هلَّا بحثتِ؟».

- «بالطَّبع يا سيِّدي».

أخبرَها چون سنو: «وصلَ إلينا غُداف من السير دينس ماليستر في (بُرج الظِّلال). رجاله رأوا نيرانًا في الجبال على الجانب البعيد من (الغور). يعتقد السير دينس أن الهَمج يحتشدون، ويظنُّ أنهم سيُحاوِلون عبور (جسر الجماجم) ثانيةً».

- «قد يُحاوِل بعضهم». هل تُشير الجماجم في رؤياها إلى هذا الجسر؟ بشكلٍ ما لا تظنُّ مليساندرا ذلك. «إذا وقعَ ذلك الهجوم فلن يكون أكثر من تشتيتٍ للانتباه. لقد رأيتُ أبراجًا على البحر، أبراجًا يُغرِقها طوفان أسود دموي. هناك ستهوي الضَّربة الأثقل».

- «(القلعة الشَّرقيَّة)؟».

أكانت هي؟ رأت مليساندرا (القلعة الشَّرقيَّة) على البحر مع الملك ستانيس، وهناك تركَ صاحِب الجلالة الملكة سيليس وابنتهما شيرين حين حشدَ فُرسانه للزَّحف على (القلعة السَّوداء). كانت الأبراج في نارها مختلفةً، لكن هذا هو سمت الرُّؤى في أغلب الأحيان. «نعم، (القلعة الشَّرقيَّة) يا سيِّدي».

- «متى؟».

بسطَت يديها قائلةً: «غدًا، خلال دورة قمر، خلال عام... وإذا تصرَّفت فقد تتحاشى ما رأيته بالكامل». *وإلّا فما جدوى الرُّؤى؟*
قال سنو: «جيِّد».
كان عدد الغِربان الواقفين عند البوَّابة قد ارتفعَ إلى نحو أربعين لدى خروجهم من تحت (الجِدار)، وتجمَّع حولهم الرِّجال. بعضهم مليساندرا تعرفه اسمًا؛ الطَّاهي هوب ذو الثَّلاثة أصابع، ومولي بشَعره البُرتقالي الدُّهني، والصَّبي بطيء الفهم المسمَّى أوين الجحش، والسِّپتون سلادور السكِّير.
سألَ هوب ذو الثَّلاثة أصابع: «هل ما سمعناه صحيح يا سيِّدي؟».
وسألَ أوين الجحش: «مَن؟ ليس دايوين، أليس كذلك؟».
- «ولا جارث»، قال الرَّجل الذي تعرفه باسم آلف ابن (مجرى الطَّمي)، أحد أول من استبدَلوا آلهتهم السَّبعة الزَّائفة بحقيقة راهلور. «جارث أذكى من هؤلاء الهَمج بكثير».
سألَ مولي: «كم؟».
أخبرَهم چون: «ثلاثة. چاك الأسود وهال المُشعر وجارث».
أطلقَ آلف ابن (مجرى الطَّمي) عويلًا خليقًا بإيقاظ النِّيام في (بُرج الظِّلال)، فقال چون لهوب: «ضعه في فِراشٍ واسقِه القليل من النَّبيذ المتبَّل».
قالت له مليساندرا بهدوء: «لورد سنو، هلّا ذهبت معي إلى (بُرج الملك)؟ عندي أشياء أخرى أخبرك بها».
تطلَّع إلى وجهها لحظةً طويلةً بهاتين العينين الرَّماديَّتين الباردتين، وانغلقَت يده اليُمنى وانفتحَت وانغلقَت ثانيةً، ثم قال: «كما تُريدين. إد، خُذ جوست إلى مسكني».

اعتبرَتها علامةً وصرفَت حارسيها بدورها. قطعا السَّاحة معًا، هما الاثنان فقط، والثَّلج يَسقُط حولهما، وسارَت مليساندرا على أقرب مسافةٍ تجرؤ عليها من چون سنو، قريبة بما يكفي للشُّعور بسوء الظُّنون ينصبُّ منه كضبابٍ أسود. *ليس يُحبُّني ولن يُحبَّني ابدًا، لكنه سيستغلُّني. لا بأس.* سبقَ أن رقصَت مليساندرا الرَّقصة نفسها مع ستانيس باراثيون في البداية. الحقيقة أن القائد الشَّاب ومليكها يشتركان في أشياء كثيرة على الرغم من رفضهما الاعتراف بهذا. كان ستانيس أخًا أصغر يعيش في ظلِّ أخيه الكبير، مِثلما احتُجِبَ چون سنو ابن الزِّنى وراء أخيه الشَّرعي، البطل القتيل الذي كانوا يدعونه بالذِّئب الصَّغير. كما أن كلا الرَّجلين غير مؤمن بطبيعته، ظَنون، شكَّاك، لا يَعبُد من آلهةٍ حقًّا إلَّا الشَّرف والواجب.

قالت مليساندرا فيما صعدا سلالم (بُرج الملك) الملتفَّة: «لم تسأل عن أختك».

- «قلتُ لكِ إن لا أخت لي. إننا نُنحِّي أهلنا جانبًا حين نحلف اليمين، ولا يُمكنني أن أساعد آريا بقدر ما...».

قطعَ كلامه إذ دخلا مسكنها. كان الهمجي هناك، جالسًا إلى منضدتها يفرد الزُّبدة بخنجره على قطعةٍ ممزَّقة من الخُبز الدَّافئ. سرَّها أنه ارتدى الدِّرع العظميَّة، وقد استقرَّت جمجمة العملاق المكسورة التي يستخدمها كخوذةٍ على مقعد النَّافذة خلفه.

توتَّر چون سنو، وقال: «أنت».

قال الهمجي: «لورد سنو»، وابتسمَ لهما ابتسامةً واسعةً بفمه المليء بالأسنان البنِّيَّة المكسورة، والتمعَت الياقوتة على معصمه في ضوء الصَّباح كنجمةٍ حمراء خابية.

- «ماذا تفعل هنا؟».

- «أفطرُ. يُمكنك أن تُشارِكني طعامي».

- «لن آكل معك عيشًا».

قال الهمجي: «أنت الخسران. ما زالَ الرَّغيف دافئًا. هوب يُجيد الخَبز على الأقل»، ومزَّق لُقمةً متابعًا: «أستطيعُ أن أزورك بالسُّهولة نفسها يا سيِّدي. الحَرس على بابك دُعابة رديئة. مَن تسلَّق (الجِدار) عشرات المرَّات يستطيع الدُّخول من نافذةٍ ببساطة. لكن ما الجدوى من قتلك؟ سيختار الغِربان أحدًا أسوأ لا محالة»، ومضغَ وابتلعَ، ثم أضافَ: «سمعتُ بما جرى لجوَّالتك. كان عليك أن تُرسِلني معهم».

- «كي تخونهم لصالح البكَّاء؟».

- «هل نتكلَّم عن الخيانة؟ ماذا كان اسم زوجتك الهمجيَّة يا سنو؟ إيجريت، أليس كذلك؟»، والتفتَ الهمجي إلى مليساندرا قائلًا: «سأحتاجُ إلى خيول، نِصف دستةٍ من الخيول القويَّة، وليس هذا شيئًا أستطيعُ أن أفعله بمفردي. ستَصلُح بعض الزَّوجات الحِراب المحتجَزات في (بلدة المناجذ). النِّساء أفضل في هذه الحالة. أرجحيَّة أن تثق بهن الفتاة أكبر، وسيُساعِدنني على تنفيذ حيلةٍ معيَّنة أفكِّرُ بها».

سألَها اللورد سنو: «عمَّ يتكلَّم؟».

وضعَت مليساندرا يدها على ذراعه مجيبةً: «أختك. لست تستطيع مساعدتها، لكنه يستطيع».

انتزعَ سنو ذراعه قائلًا بحدَّة: «لا أظنُّ. حتى إذا غسلَ ذو القميص المُخشخِش يديه مئة مرَّةٍ يوميًّا فستظلُّ تحت أظفاره دماء. الأرجح أنه سيغتصب آريا ويَقتُلها من أن يُنقِذها. لا. إن كان هذا ما رأيتِ في ناركِ يا سيِّدتي فمؤكَّد أن على عينيكِ غشاوة. إذا حاولَ أن يُغادِر (القلعة السَّوداء) دون إذني فسأضربُ عُنقه بنفسي».

لم يَترُك لي خيارًا. ليكن. قالت: «دقان، اترُكنا»، فخرجَ المُرافق وأغلقَ الباب وراءه.

ومسَّت ميليساندرا الياقوتة على رقبتها ولفظَت كلمةً.

تردَّدت أصداء الصَّوت على نحوٍ عجيب من أركان الغُرفة وتلوَّت كدودةٍ في آذانهم. سمعَ الهمجي كلمةً، وسمعَ الغُراب أخرى، وكلتاهما ليست الكلمة التي خرجَت من بين شفتيها. انطفأَت الياقوتة على معصم الهمجي، وتمعَّجت خيوط الضَّوء والظِّلِّ حوله وخبَت.

ظلَّت العظام؛ الضُّلوع المُخشخِشة، والمخالب والأسنان على الذِّراعين والكتفين، والتَّرقوة المصفرَّة الكبيرة عبر كتفيه، وبقيَت جمجمة العملاق المكسورة جمجمة عملاقٍ مكسورةً مصفرَّةً، تبتسم ابتسامتها الملوَّثة الشَّرسة.

لكن الشَّعر المسحوب ذابَ، والشَّارب البنِّي، والذَّقن البارز، والبشرة المصفرَّة الشَّاحبة، والعينين القاتمتين الصَّغيرتين، وزحفَت أصابع رماديَّة عبر شَعرٍ بنِّي طويل، وظهرَت تجاعيد الضَّحك عند رُكني فمه، وعلى حين غرَّةٍ أصبحَ أكبر حجمًا مما كان، وأعرض صدرًا وكتفين، وأطول قامةً وأرشق، ووجهه حليق لوَّحته الرِّيح.

واتَّسعت عينا چون سنو الرَّماديَّتان إذ قال مشدوهًا: «مانس؟!».

ردَّ مانس رايدر دون أن يبتسم: «لورد سنو».

- «لقد أحرقَتك!».

- «بل أحرقَت سيِّد العظام».

التفتَ چون سنو إلى مليساندرا قائلًا: «ما هذه الشَّعوذة؟».

- «سمِّها كما تشاء؛ سحرًا، إيحاءً، وهمًا. راهلور إله الضِّياء يا چون سنو، يُخوِّل لخدمه أن ينسجوا بالنُّور كما ينسج آخَرون بالخيوط».

قهقهَ مانس رايدر، وقال: «أنا أيضًا ساورَتني الشُّكوك يا سنو، ولكن لِمَ لا أدعها تُجرِّب؟ كان إمَّا هذا وإمَّا أن أترك ستانيس يشويني».

قالت مليساندرا: «العظام تُساعِد، العظام تتذكَّر. أقوى السِّحر قائم على أشياء شبيهة؛ حذاء رجلٍ ميت أو خُصلة من الشَّعر أو جراب من عظم الأصابع. بالكلمات المهموسة والصَّلاة من الممكن أن يُسحَب ظِلُّ المرء من شيءٍ كهذا ويُسربَل به امرؤ آخَر كالمعطف. جوهر اللَّابس لا يتغيَّر، بل مظهره فقط».

جعلَت الأمر يبدو بسيطًا سهلًا. لا داعي لأن يعرفا كم كان صعبًا أو كم جشَّمها. إنه درس تعلَّمته مليساندرا قبل (آشاي) بزمنٍ طويل: كلَّما بدا السِّحر هيِّنًا خافَ النَّاس السَّاحر أكثر. عندما لعقَت ألسنة اللَّهب ذا القميص المُخشخِش تلظَّت الياقوتة على حَلقها لدرجة أنها خشيَت أن يسودَّ جِلدها ويَخرُج منه الدُّخان، لكن الفضل للورد سنو إذ أنقذَها من هذا الألم الممض بسهامه، وبينما استشاطَ ستانيس غضبًا من التَّحدِّي ارتجفَت هي الصُّعداء.

خاطبَت مليساندرا چون سنو قائلةً: «ملكنا الزَّائف شائك الطِّباع، لكنه لن يخونك. تذكَّر أن ابنه عندنا، كما أنه مدين لك بحياته ذاتها».

مندهشًا قال سنو: «أنا؟».

قالت مليساندرا: «ومَن غيرك يا سيِّدي؟ قوانينكم تقول إن دماءه وحدها يُمكنها أن تُكفِّر عن جرائمه، وستانيس باراثيون ليس بالرَّجل الذي يُخالِف القانون... لكن كما قلت أنت نفسك بمنتهى الحكمة، قوانين البَشر تنتهي عند (الجِدار). قلتُ لك إن إله الضِّياء سيسمع دُعاءك. لقد أردت وسيلةً لإنقاذ أختك الصَّغيرة وفي الآن نفسه تتمسَّك بالشَّرف الذي يعني لك الكثير، بالقَسم الذي أقسمته أمام إلهك الخشبي»، وأشارَت بإصبعٍ شاحبٍ متابعةً: «ها هو ذا أيها اللورد سنو، خلاص آريا، هديَّة من إله الضِّياء... ومني».

---

(48) القُرَّاص نبات عُشبي معمِّر يُستخدَم كدواء منظِّف للمعدة. (المُترجم).

(49) الپايرومانسر كلمة يونانيَّة تعني «كاهن النَّار»، وكانت تُستخدَم قديمًا للإشارة إلى كلِّ من يحترف فنَّ التَّعامل مع النَّار لمختلف الأغراض. (المُترجم).

سمعَ نباح الفتيات أولًا وهن يَركُضن عائدات، ثم دفعَه وقع الحوافر على البلاط إلى الهبوب ناهضًا بسرعةٍ وسلاسله تُصَلصِل. تلك المربوطة بين كاحليه لا تتجاوَز القدم طولًا، وهو ما يُقصِّر خُطواته ويُصعِّب الحركة السَّريعة، لكنه حاولَ قدر الإمكان إذ نزلَ من فوق سريره الحقير ومشى حجلًا. لقد عادَ رامزي بولتون، وسيُريد مخلوقه ريك على مقربةٍ ليخدمه.

تحت السَّماء الخريفيَّة الباردة بالخارج كان الرَّاكبون يتدفَّقون من البوَّابة. قادَ بن بونز الطَّريق وحوله الفتيات ينبحن ويعوين، ووراءه السلَّاخ وآلن الفظ وديمون ارقُص-لي بسوطه المشحَّم الطَّويل، ثم الوالدران على ظَهرَي المُهرين الرَّماديَّين اللذين تلقَّيانهما هديَّةً من الليدي داستن، أمَّا حضرة اللورد فقد امتطى دَم، الفحل الأحمر الضَّخم ذا المزاج الذي يتماشى مع مزاجه. كان يضحك، وعلى حدِّ علم ريك فقد يكون هذا جيِّدًا للغاية أو سيِّئًا للغاية.

قبل أن يستنتج أيُّهما انقضَّت عليه الكلبات وقد اجتذبَتهن رائحته. إنهن مولعات بريك، إذ ينام معهن أكثر الوقت، وأحيانًا يسمح له بن بونز بمشاركتهن عَشاءهن. انطلقَ القطيع على البلاط ينبح ويدور حوله ويثب ليلعق وجهه المتَّسخ ويُعَضعِض ساقيه، وأطبقَت هليسنت على يده اليُسرى بأسنانها وجذبَتها بشراسةٍ لدرجة أنه خشيَ أن يفقد إصبعين آخَريْن، وارتطمَت چاين الحمراء بصدره بعُنفٍ مسقطةً إياه على ظَهره. إنها كلبة رشيقة قويَّة العضلات، في حين أن ريك جِلد رمادي رخو على عظمٍ هش، مهزول أبيض الشَّعر.

كان الرَّاكبون يترجَّلون حين دفعَ چاين الحمراء عنه واعتدلَ على رُكبتيه بصعوبة. دستتان من الخيَّالة خرجوا ودستتان من الخيَّالة عادوا، وهو ما يعني أن البحث فشلَ. سيِّئ هذا. رامزي لا يحبُّ مذاق الفشل. *سيُريد أن يُؤذي أحدًا*.

في الفترة الأخيرة وجدَ سيِّده أن عليه أن يكبح جماح نفسه، فـ(بلدة الرَّوابي) ملأى بالرِّجال الذين تحتاج إليهم عائلة بولتون، ورامزي يعلم أن عليه اتِّخاذ الحذر في حضور آل داستن وآل ريزويل وأنداده من صغار اللوردات، وهكذا يُعامِلهم دومًا بدماثةٍ وابتسامة، أمَّا ما يفعله وراء الأبواب المغلقة فمسألة أخرى.

يرتدي رامزي بولتون ثيابًا تليق بسيِّد (هورنوود) ووريث (معقل الخوف)؛ معطفه مخيط من فراء الذِّئاب، وتُغلِقه وقايةً من برد الخريف الأسنان المصفرَّة البارزة من رأس الذِّئب على كتفه اليُمنى. على أحد وَركيه يُعلِّق مِنجليًّا[50] نصله سميك ثقيل كالسَّاطور، وعلى الآخَر يُعلِّق خنجرًا طويلًا وسكِّين سلخٍ صغيرًا رأسه معقوف وشفرته حادَّة كالموسى، وللأسلحة الثَّلاثة مقابض متماثلة من العظم الأصفر. ناداه سيِّده من فوق سَرج دَم العالي قائلًا: «رائحتك بشعة يا ريك. يُمكنني أن أشمَّها عبر السَّاحة بوضوح».

ردَّ ريك مضطرًّا: «أعرفُ يا سيِّدي. أستميحك العُذر».

قال رامزي: «جلبتُ لك هديَّةً»، والتوى ومدَّ يده وراءه وأخرجَ شيئًا من جراب سَرجه، ثم ألقاه مردفًا: «القف!».

جعلَت السَّلاسل والأصفاد والأصابع المفقودة ريك أكثر خرقًا مما كان قبل أن يتعلَّم اسمه، فارتطمَ الرَّأس بيديه المشوَّهتين وارتدَّ عن جَدعات أصابعه وسقطَ عند قدميه ممطرًا اليرقات، وقد غطَّته الدِّماء الجافَّة تمامًا جاعلةً تمييز الملامح مستحيلًا.

قال رامزي: «قلتُ لك أن تتلقَّفه. التقطه».

حاولَ ريك أن يرفع الرَّأس من أُذنه لكنه لم يُفلِح، فاللَّحم أخضر متعفِّن، وتمزَّقت الأُذن بين أصابعه. ضحكَ والدر الصَّغير، وبعد لحظةٍ انضمَّ إليه الآخَرون في الضَّحك، وقال رامزي: «أوه، دعه. اعتنِ بدَم فقط. لقد أجهدتُ الوغد بشدَّة».

ردَّ ريك: «حاضر يا سيِّدي، سأفعلُ»، وهرعَ إلى الحصان تاركًا الرَّأس المبتور للكلبات.

قال رامزي: «رائحتك كخراء الخنازير اليوم يا ريك».

قال ديمون ارقُص-لي وهو يلفُّ سوطه: «بالنِّسبة إليه هذا تطوُّر».

ترجَّل والدر الصَّغير قائلًا: «اعتنِ بحصاني أيضًا يا ريك، وبحصان ابن عمِّي الصَّغير».

قال والدر الكبير: «أستطيعُ العناية بحصاني بنفسي». أصبحَ والدر الصَّغير صبيَّ اللورد رامزي المفضَّل، وكلَّ يومٍ يتمثَّل به أكثر، لكن فراي الآخَر الأصغر حجمًا من معدنٍ مختلف، ونادرًا ما يُشارِك في ألعاب ابن عمِّه وأفعاله القاسية.

لم يُعِر ريك المُرافقيْن انتباهًا وقادَ دَم إلى الاسطبلات، ووثبَ جانبًا حين حاولَ الفحل الأحمر أن يَرفُسه، فيما توجَّه الصيَّادون إلى القاعة، جميعهم باستثناء بن بونز الذي راحَ يشتم الكلبات ليمنعهن من الشِّجار على الرَّأس المقطوع.

تبعَه والدر الكبير إلى الاسطبلات قائدًا حصانه بنفسه، واختلسَ ريك النَّظر إليه وهو يخلع حديدة لجام دَم، وتساءلَ بخفوتٍ كي لا يسمعه العُمَّال الآخَرون: «مَن كان؟».

أجابَ والدر الكبير وهو يخلع السَّرج عن مُهره الرَّمادي: «لا أحد، مجرَّد رجلٍ عجوز قابَلناه على الطَّريق. كان يسوق معزاةً عجوزًا وأربعة جِديان».

- «حضرة اللورد قتلَه من أجل الماشية؟».

- «حضرة اللورد قتلَه لأنه دعاه باللورد سنو. لكن الماشية كانت طيِّبة المذاق. حلبنا المعزاة وشوينا الجِديان».

اللورد سنو. أومأَ ريك برأسه فيما حلَّ أحزمة سَرج دَم بصعوبة. *بأيِّ اسمٍ ليس رامزي رجلًا يُريد المرء أن يكون في حضرته وهو غاضب... أو وهو هادئ*. «هل عثرتم على أبناء عمومتك يا سيِّدي؟».

- «لا. لم أحسب قَطُّ أننا سنجدهم. لقد ماتوا. اللورد وايمان أمرَ بقتلهم. هذا ما كنتُ لأفعله لو أني في مكانه».

لم يُعلِّق ريك. ثمَّة أشياء معيَّنة ليس قولها مأمونًا، حتى هنا في الاسطبل وفي وجود حضرة اللورد في القاعة. كلمة واحدة خطأ من شأنها أن تُكلِّفه إصبع قدمٍ آخَر، أو إصبع يد. *ولكن ليس لساني. لن يقطع لساني أبدًا. إنه يحبُّ أن يسمعني أتوسَّلُ إليه أن يعفيني من الألم، يحبُّ أن يجعلني أقولها*.

أمضى الرَّاكبون ستَّة عشر يومًا في الصَّيد، وباستثناء جديٍ مسروق من هنا أو هناك لم يأكلوا إلَّا الخُبز الجامد واللَّحم البقري المملَّح، وهكذا أمرَ اللورد رامزي ليلتها بإقامة مأدبةٍ احتفالًا بعودته إلى (بلدة الزّوابي). كان مضيفهم، اللورد الصَّغير المسنُّ ذو الذّراع الواحدة المسمَّى هاروود ستاوت، أعقل من أن يَرفُض، ولو أن من المؤكّد أن مؤنه على وشك النَّفاد، وقد سمعَ ريك بالفعل خدم ستاوت يُهَمهِمون أن النَّغل ورجاله يستهلكون مؤن الشِّتاء، وفي مرّةٍ قالت طاهية ستاوت بتذمُّرٍ غير مدركةٍ أن ريك يسمعها: «يقولون إنه سيُضاجِع ابنة اللورد إدارد، لكننا نحن من سنُناك حين تبدأ الثُّلوج في السُّقوط. سترون أنني محقَّة».

لكن اللورد رامزي أمرَ بمأدبة، ولا مناص من إقامتها، فنُصِبَت الموائد في قاعة ستاوت، وذُبِحَ ثور، وليلتها مع غروب الشَّمس أكلَ الصيَّادون الذين عادوا خاليي الوفاض اللَّحم المشوي والضُّلوع وخُبز الشَّعير وهريس الجزر والبازلاء، وشربوا مع كلٍّ هذا كمّيَّاتٍ هائلة من المِزر.

كُلِّفَ والدر الصَّغير بالحفاظ على امتلاء كأس اللورد رامزي، في حين صبَّ والدر الكبير الشَّراب للآخَرين على المائدة العالية، وقُيِّدَ ريك بالسَّلاسل عند الباب بعيدًا عن المحتفلين كي لا تُفقِدهم رائحته شهيَّتهم. سيأكل لاحقًا من البقايا التي يُرسِلها إليه اللورد رامزي. أمَّا الكلبات فقد استمتَعن بالحركة الطَّليقة في القاعة، وكن أفضل مصدرٍ للتَّسلية خلال اللَّيلة، حين هاجمَت مود وچاين الشَّهباء أحد كلاب صيد اللورد ستاوت بسبب عظمةٍ عليها قدر أكثر من المعتاد من اللَّحم ألقاها ويل شورت. كان ريك الرَّجل الوحيد في القاعة الذي لم يُشاهِد شجار الكلاب الثَّلاثة، إذ أبقى ناظريه على رامزي بولتون.

لم ينتهِ القتال حتى ماتَ كلب مضيفهم. لم يكن كلب صيد ستاوت العجوز يملك فُرصةً في الفوز على الإطلاق. كان واحدًا ضد اثنتين، وكلبات رامزي صغيرات قويّات ضاريات. سبقَ أن قال بن بونز -الذي يحبُّ الكلبات أكثر من سيِّدهن نفسه- لريك إنهن يحملن جميعًا أسماء فتياتٍ فلّاحات اصطادَهن رامزي واغتصبَهن وقتلَهن عندما كان نغلًا يُصاحِب ريك الأول. «مَن سلَّينه كفايةً على الأقل. اللاتي يبكين ويتوسَّلن ويَرفُضن الجري لا يَعُدن ككلبات». لا يشكُّ ريك في أن مجموعة الجِراء الجديدة التي ستُولَد في أوجرة (معقل الخوف) ستضمُّ واحدةً اسمها كايرا. أخبرَه بن بونز: «لقد درَّبها على قتل الذِّئاب أيضًا»، ولم يُعلِّق ريك، فهو يعلم أيَّ ذئابٍ المفترَض أن تَقتُلها الفتيات، لكنه لا يرغب في مشاهدة الكلبات يتشاجَرن على إصبع قدمه المبتور.

كان خادمان يحملان جثَّة الكلب النَّافق، وجلبَت امرأة عجوز ممسحةً ومدمَّةً ودلوًا لتنظيف الحصائر الغارقة بالدَّم، حين انفتحَ باب القاعة فجأةً لتتدفَّق الرِّيح إلى الدَّاخل، وتقدَّمت دستة من الرِّجال مرتديي حلقات المعدن الرَّماديَّة والخوذ القصيرة الحديد، مارين بحَرس ستاوت الشُّبَّان بوجوههم الشَّاحبة وسُتراتهم الجِلد ومعاطفهم بلونيها الذَّهبي والخمري. خيَّم صمت مباغت على المحتفلين... جميعهم باستثناء اللورد رامزي، الذي ألقى العظمة التي كانت في فمه جانبًا ومسحَ فمه بكُمِّه ورسمَ على شفتيه المبتلَّتين ابتسامةً لزجةً، وقال: «أبتِ».

بفتورٍ رمقَ سيِّد (معقل الخوف) بقايا الوليمة والكلب الميت والمنسوجات المعلَّقة على الجُدران وريك بسلاسله وأغلاله، ثم قال للمحتفلين بنبرةٍ ناعمة كالهمس: «اخرُجوا، الآن، جميعكم».

نهضَ رجال اللورد رامزي متخلِّين عن أكوابهم وأطباقهم، وزعقَ بن بونز في الفتيات فذهبن في أعقابه وبين فكوك بعضهن عظام، وانحنى هاروود ستاوت بجمودٍ وتنازلَ عن قاعته دون كلمةٍ واحدة.

دمدمَ رامزي لآلن الفظ: «حلَّ وثاق ريك وخُذه معك»، إلَّا أن أباه لوَّح بيده الشَّاحبة قائلًا: «لا، اترُكه».

انسحبَ رجال اللورد رووس أنفُسهم مغلقين الباب وراءهم، ولمَّا تلاشى وقع أقدامهم وجدَ ريك نفسه وحده في القاعة مع الأب والابن بولتون.

- «لم تَعثُر على أبناء فراي المفقودين». قالها رووس بولتون بلهجة الإقرار لا السُّؤال.

- «ركبنا حتى البُقعة التي يدَّعي اللورد شِلق أنهم افترقوا عندها، لكن الفتيات لم يجدن أثرًا لهم».

- «وسألت عنهم في القُرى والمعاقل».

قال رامزي: «مضيعة للكلام. هؤلاء الفلَّاحون لا يرون شيئًا أبدًا، كأنهم عميان»، وهزَّ كتفيه مضيفًا: «وهل يهمُّ هذا؟ لن يفتقد العالم بضعة رجالٍ من آل فراي. هناك المزيد منهم في (التَّوأمتين) في حال احتياجنا إلى أحدهم».

مزَّق اللورد رووس قطعةً صغيرةً من رغيف خُبز وأكلَها قائلًا: «هوستين وإينس مغتمَّان».

- «فليذهبا ويبحثا إذا أرادا».

- «اللورد وايمان يلوم نفسه. حسب كلامه فقد أصبحَ مغرمًا بريجار تحديدًا».

بدأ اللورد رامزي يغضب، ورأى ريك هذا في فمه، في التواءة هاتين الشَّفتين ونفور الأوتار في عُنقه. «كان يَجدُر بالحمقى البقاء مع ماندرلي».

هزَّ رووس بولتون كتفيه، وقال: «نقَّالة اللورد وايمان تتحرَّك بمنتهى البُطء... وبالطَّبع لا تُتيح صحَّة حضرة اللورد وحجمه أن يتحرَّك أكثر من ساعاتٍ قليلة في اليوم، كما أنه يتوقَّف باستمرارٍ لتناوُل وجباته. كان أبناء فراي يتوقون إلى بلوغ (بلدة الرَّوابي) واجتماع شملهم بأقربائهم. هل يُمكنك أن تلومهم على سبق الآخَرين؟».

- «إذا كان ذلك ما فعلوه حقًّا. هل تُصدِّق ماندرلي؟».

التمعَت عينا أبيه الباهتتان، وأجابَه: «هل أعطيتك هذا الانطباع؟ على كلِّ حال، حضرة اللورد مهموم للغاية».

- «ليس مهمومًا لدرجة الامتناع عن الطَّعام. لا بُدَّ أن اللورد خنزير جلبَ معه نِصف ما في (الميناء الأبيض) من طعام».

- «أربعون عربةً من الأطعمة. براميل من النَّبيذ والهيپوكراس(51)، وبراميل من سمك الشِّلق الطَّازج، وقطيع من الماعز، ومئة خنزير، وصناديق من السَّرطان والمحار، وسمكة قُد عملاقة... اللورد وايمان يحبُّ الأكل. ربما لاحظت هذا».

- «ما لاحظته أنه لم يجلب رهائن».

- «لاحظتُ هذا أيضًا».

- «وماذا تنوي أن تفعل؟».

قال اللورد رووس: «إنها ورطة»، ووجدَ كوبًا خاليًا ومسحَه بمفرش المائدة وملأه من إبريقٍ مردفًا: «ليس ماندرلي الوحيد الذي يُقيم المآدب على ما يبدو».

ردَّ رامزي بتبرُّم: «كان ينبغي أن تُقيم أنت المأدبة ترحيبًا بعودتي، وكان ينبغي أن تكون في (بهو الرَّوابي) لا في هذه القلعة الشَّبيهة بالمبولة».

قال أبوه بكياسة: «(بهو الرَّوابي) ومطابخها ليست ملكي لأتصرَّف فيها. إنني مجرَّد ضيفٍ هناك. القلعة والبلدة تنتميان إلى الليدي داستن، وهي لا تطيقك».

اربدَّ وجه رامزي إذ قال: «إذا قطعتُ ثدييها وأطعمتهما لفتياتي فهل ستطيقني؟ هل ستطيقني إذا جرَّدتها من جِلدها لأصنع لنفسي حذاءً؟».

قال رووس بولتون: «غير وارد، وستدفع في هذا الحذاء ثمنًا باهظًا. سيُكلِّفنا (بلدة الرَّوابي) وعائلة داستن وعائلة ريزويل»، وجلسَ إلى المائدة قُبالة ابنه متابعًا: «باربري داستن أخت زوجتي الثَّانية الصَّغيرة، وابنة رودريك ريزويل وأخت روچر وريكارد وسميِّي رووس، وابنة عمومة آل ريزويل الآخَرين. كانت مولعةً بابني الرَّاحل، وتشكُّ في أنك لعبت دورًا في موته. الليدي باربري امرأة تعرف كيف تُغذِّي ضغائنها، وحريٌّ بك أن تمتنَّ لهذا. السَّبب الأكبر في وفاء (بلدة الرَّوابي) لعائلة بولتون أنها ما زالَت تلوم ند ستارك على موت زوجها».

قال رامزي وقد اشتعلَ غضبه: «وفاء؟! إنها تَبصُق عليَّ فحسب. سيأتي يوم أوقدُ فيه النَّار في بلدتها الخشبيَّة الغالية. فلتَبصُق عليها حينئذٍ ولنرَ إن كانت تستطيع إخماد الحريق».

لاحَ الامتعاض على رووس كأن المِزر الذي يشربه فسدَ فجأةً، وقال: «أحيانًا تجعلني أتساءلُ إن كنت من صُلبي حقًّا. أسلافي كانت عيوبهم كثيرةً، لكنهم لم يكونوا حمقى قَطُّ. لا، صمتًا، لقد سمعتُ ما يكفي. إننا نبدو أقوياء في الوقت الحالي، نعم، ولنا أصدقاء قديرون في آل لانستر وآل فراي، ونحظى بدعم الشَّمال على مضض... لكن ما الذي تحسبه سيَحدُث عندما يظهر أحد أبناء ند ستارك؟».

فكَّر ريك: *أبناء ند ستارك ماتوا جميعًا. روب اغتيلَ في (التَّوأمتين)، وبران وريكون... غمسنا رأسيهما في القطران*... كان رأسه يدقُّ. لا يُريد أن يُفكِّر في أيِّ شيءٍ حدثَ قبل أن يتعلَّم اسمه. ثمَّة أشياء أكثر إيلامًا من أن يتذكَّرها، أفكار تُداني سكِّين سلخ رامزي في الوجع...

صبَّ رامزي المزيد من المِزر في كأسه قائلًا: «ذئبا ستارك الصَّغيران ماتا، وسيبقيان ميتيْن. فليُريا وجهيهما القبيحين وستُمزِّق فتياتي ذئبيهما أشلاءً. متى ظهرا سأقتلهما ثانيةً».

تنهَّد بولتون الكبير، وقال: «ثانيةً؟ مؤكَّد أنك أسأت التَّعبير. إنك لم تَقتُل ابنَي اللورد إدارد، هذين الصَّبيَّين العزيزين اللذين أحببناهما جميعًا. ثيون المارِق هو من فعلَها، أتَذكُر؟ كم من أصدقائنا المكرَهين تخالنا سنحتفظ به إذا عُرِفَت الحقيقة؟ فقط الليدي باربي التي تُريد أن تصنع منها حذاءً... حذاءً رديئًا. جِلد الإنسان ليس بمتانة جِلد الأبقار، وليس مريحًا مِثله. أنت بولتون الآن بمرسومٍ ملكي، فحاول أن تتصرَّف على هذا الأساس. ثمَّة حكايات تُحكى عنك يا رامزي، أسمعها في كلِّ مكان».

- «جيِّد».

- «أنت مخطئ. ليس جيِّدًا. لا حكايات تُحكى عني أبدًا. أتحسبني كنت لأجلس هنا الآن لو كان الأمر غير ذلك؟ تسليتك تخصُّك، ولن أوبِّخك بشأنها، لكن عليك أن تتوخَّى التَّحفُّظ. أرض مسالمة وشعب هادئ. لطالما كانت هذه قاعدتي. اجعلها قاعدتك».

- «ألهذا تركت الليدي داستن وزوجتك الخنزيرة البدينة؟ لتأتي هنا وتقول لي أن ألزم الهدوء؟».

- «إطلاقًا. هناك أخبار عليك أن تسمعها. اللورد ستانيس تركَ (الجِدار) أخيرًا».

دفعَ قوله رامزي إلى النُّهوض بابتسامةٍ على شفتيه العريضتين المبتلَّتين، وسألَ أباه: «هل يزحف على (معقل الخوف)؟».

- «لا للأسف. آرنولف لا يفهم، ويُقسِم أنه بذلَ كلَّ ما بوسعه كي يبتلع ستانيس الطُّعم».

- «أشكُّ في ذلك. إذا خدشت كارستارك فستجد ستارك».

- «لم يَعُد هذا صحيحًا كما كان قبل أن يخدش الذِّئب الصَّغير اللورد ريكارد. على كلِّ حال، اللورد ستانيس أخذَ (ربوة الغابة) من الحديديِّين وأعادَها إلى عائلة جلوفر. الأدهى أن عشائر الجبال انضمَّت إليه، وول ونوري وليدل والبقيَّة. قوَّته تنمو».

- «قوَّتنا أكبر».

- «حاليًّا».

- «الآن الوقت المناسب لدحره. دَعني أزحف إلى (ربوة الغابة)».

- «بعد زفافك».

هوى رامزي بكأسه على المائدة لتُغرِق ثُمالة شرابه المفرش، وقال: «سئمتُ الانتظار. إن عندنا فتاةً وعندنا شجرةً وعندنا لوردات كافين للشَّهادة. سأتزوَّجها غدًا وأزرعُ ابنًا بين ساقيها وأرحلُ قبل أن يجفَّ دم بِكارتها».

فكَّر ريك: *ستُصلِّي الفتاة أن ترحل ولا تعود إلى فِراشها أبدًا.*

قال رووس بولتون: «ستزرع ابنًا في بطنها، ولكن ليس هنا. لقد قرَّرتُ أن تُزَفَّ إليك الفتاة في (وينترفل)».

بدا أن الفكرة لم تُرضِ اللورد رامزي الذي قال: «لقد خرَّبتُ (وينترفل) تخريبًا، أم أنك نسيت؟».

- «لا، لكن يبدو أنك أنت من نسيَ... الحديديُّون هُم الذين خرَّبوا (وينترفل) وقتَّلوا أهلها، ثيون المارِق».

رمقَ رامزي ريك بارتياب، ثم قال: «نعم، هو من فعلَها، ولكن... زفاف في تلك الأطلال؟».

- «حتى بعد خرابها وانكسارها تظلُّ (وينترفل) دار الليدي آريا. هل من مكانٍ أفضل للزَّواج بها ومضاجعتها ووضع ركيزةٍ قويَّة لدعواك؟ لكن هذا نِصف المسألة لا أكثر. سنكون حمقى إذا زحفنا على ستانيس. فليزحف ستانيس علينا. إنه أشدُّ حذرًا من أن يأتي إلى (بلدة الرَّوابي)... لكن لا مفرَّ من ذهابه إلى (وينترفل). رجال العشائر لن يتخلُّوا عن ابنة عزيزهم ند لشخصٍ مِثلك، أي أن على ستانيس أن يزحف وإلَّا خسرَهم... ولأنه قائد حذِر فسيستدعي جميع أصدقائه وحُلفائه حين يزحف، سيستدعي آرنولف كارستارك».

لعقَ رامزي شفتيه المشقَّقتين قائلًا: «وعندها سننال منه».

قال رووس: «إذا شاءَت الآلهة»، ونهضَ مردفًا: «سيُعقَد قرانك في (وينترفل). سأخبرُ اللوردات بأننا سنتحرَّك خلال ثلاثة أيام وأدعوهم لاصطحابنا».

- «أنت حاكم الشَّمال. مُرهم».

- «الدَّعوة ستُحقِّق الشَّيء ذاته. مذاق السُّلطة أطيب حين تُحلَّى بالكياسة. خيرٌ لك أن تتعلَّم هذا إذا كنت تأمل أن تَحكُم يومًا»، ورمقَ سيِّد (معقل الخوف) ريك مضيفًا: «أوه، وحلَّ وثاق حيوانك المدلَّل. سآخذه».

- «تأخذه؟ إلى أين؟ إنه ملكي. لا يُمكنك أن تأخذه».

بدا أن رووس وجد الرَّدَّ طريفًا، وقال: «كلُّ ما تملكه أعطيتك إياه. من صالحك أن تتذكَّر هذا أيها النَّغل. وبالنِّسبة إلى... ريك هذا... إذا لم تكن قد دمَّرته بلا رجعةٍ فقد يكون ذا نفعٍ لنا. أحضِر المفاتيح واخلع سلاسله قبل أن تجعلني أندم على اليوم الذي اغتصبتُ فيه أمَّك».

رأى ريك كيف التوى فم رامزي والتمعَ اللُّعاب بين شفتيه، وخشيَ أن يقفز من فوق المائدة رافعًا خنجره، لكن بدلًا من ذلك احتقنَ وجهه وغضَّ عينيه الشَّاحبتين عن عينَي أبيه الأكثر شحوبًا وذهبَ يُحضِر المفاتيح. غير أنه حين انحنى يحلُّ الأصفاد حول معصمَي ريك وكاحليه مالَ عليه وهمسَ: «لا تُخبِره بشيءٍ وتذكَّر كلَّ كلمةٍ يقولها. سأستعيدك مهما قالت لك زوجة داستن الحقيرة. مَن أنت؟».

- «ريك يا سيِّدي، رجلك، أنا ريك، على قافية شريك».

- «نعم. حين يُعيدك أبي سآخذُ إصبعًا آخَر. سأتركك تختاره».

رغمًا عنه بدأت الدُّموع تسيل على وجنتيه، وصاحَ بصوتٍ منكسِر: «لماذا؟! لم أطلب منه أن يأخذني منك. سأفعلُ كلَّ ما تُريده، سأخدمُ وأطيعُ... إنني... أرجوك، لا...».

لطمَه رامزي على وجهه، وقال لأبيه: «خُذه. إنه ليس رجلًا حتى. رائحته تُقرفني».

كان القمر يرتفع فوق أسوار (بلدة الرَّوابي) الخشبيَّة حين خرجا، وسمعَ ريك الرِّيح تكنس السُّهول المائجة وراء البلدة. المسافة أقل من ميلٍ بين (بهو الرَّوابي) وقلعة هاروود ستاوت المتواضعة عند البوَّابة الشَّرقيَّة. قدَّم إليه اللورد بولتون حصانًا متسائلًا: «هل يُمكنك الرُّكوب؟».

- «أنا... سيِّدي، إنني... أظنُّ هذا».

- «والتون، ساعِده على الرُّكوب».

حتى بعد خلع أغلاله تحرَّك ريك كرجلٍ عجوز. جِلده رخو على عظمه، ويقول آلن الفظ وبن بونز إنه يختلج، كما أن رائحته... حتى الفَرس التي جلبوها له نكصَت منه حين حاولَ امتطاءها.

على أنها فَرس طيِّبة، وتعرف الطَّريق إلى (بهو الرَّوابي). لحقَ به اللورد بولتون إذ خرجا من البوَّابة، وتراجعَ الحُرَّاس وراءهما محافظين على مسافةٍ مناسبة. سألَه اللورد إذ خبَّا عبر شوارع (بلدة الرَّوابي) المستقيمة العريضة: «بأيِّ اسمٍ تُريدني أن أدعوك؟».

ريك، أنا ريك، على قافية أُرديك. «ريك، بعد إذن سيِّدي».

- «سِيدِي». قالها بولتون وافترقَت شفتاه كاشفتين عن رُبع بوصةٍ لا أكثر من أسنانه في ما قد يكون ابتسامةً.

لم يفهم ريك، وقال: «سيِّدي؟ قلتُ...».

- «قلت: «سيِّدي» فيما كان عليك أن تقول «سِيدِي». لسانك يشي بميلادك مع كلِّ كلمةٍ تقولها. إذا أردت أن تتكلَّم كفلَّاحٍ حقيقي فقُلها كأن في فمك طينًا أو كأنك أغبى من أن تنطقها نُطقًا صحيحًا».

- «كما يأمر... سِيدِي».

- «هذا أفضل. رائحتك شنيعة حقًّا».

- «نعم يا سِيدِي. أرجو المغفرة يا سِيدِي».

- «لماذا؟ رائحتك من صُنع ابني لا صُنعك. أعي هذا جيِّدًا».
مرَّا باسطبلٍ وخانٍ مغلق النَّوافذ على لافتته سُنبلة قمح، وسمعَ ريك موسيقى آتيةً من الدَّاخل. «لقد عرفتُ ريك الأول. كانت رائحته فظيعةً، ولو أن السَّبب لم يكن الحاجة إلى الاستحمام. الحقيقة أنني لم أعرف مخلوقًا أنظف منه قَطُّ. اعتادَ أن يستحمَّ ثلاث مرَّاتٍ يوميًّا ويضع الزُّهور في شَعره كالفتيات، وذات مرَّة، حين كانت زوجتي الثَّانية على قيد الحياة، ضُبِطَ يسرق العطر من غُرفة نومها، فأمرتُ بمعاقبته باثنتي عشرة جَلدةً. رائحة دمه نفسها كانت سيِّئةً. في العام التَّالي حاولَ ثانيةً، وتلك المرَّة شربَ العطر وكادَ يموت. لم يصنع هذا فرقًا، فقد وُلِدَ بتلك الرَّائحة. قال العموم إنها لعنة، إن الآلهة خلقَته برائحته النَّتنة كي يعرف النَّاس أن روحه تتعفَّن. أكَّد مِايستري القديم أنها دلالة على مرض، لكن باستثناء هذا كان الفتى قويًّا كثورٍ شاب. لم يكن أحد يطيق البقاء على مقربةٍ منه، فكان ينام مع الخنازير... إلى أن أتى اليوم الذي ظهرَت فيه أمُّ رامزي على بابي مطالبةً بأن أزوِّد نغلي بخادم لأنه أصبحَ مشاغبًا عنيفًا، فأعطيتها ريك. كان المفترَض أن يكون الأمر طريفًا، لكن علاقةً وطيدةً نشأت بينه وبين رامزي. على أنني أتساءلُ... هل أفسدَ رامزي ريك أم أفسدَ ريك رامزي؟»، وحدجَ حضرة اللورد ريك الجديد بعينين شاحبتين غريبتين كقمرين أبيضين، وسألَه: «بِمَ همسَ لك حين حلَّ سلاسلك؟».

- «قال... قال...». *قال ألَّا أخبرك بشيء*. احتبسَت الكلمات في حلقه، وبدأ يَسعُل ويختنق.

قال بولتون: «خُذ نفسًا عميقًا. أعرفُ ما قاله. ستتجسّس عليّ وتحفظ أسراره»، وقهقهة مواصلًا: «كأن له أسرارًا. آلن الفظ ولوتون والسلّاخ والآخَرون، من أين يحسبهم أتوا؟ أيُصدِّق حقًّا أنهم رجاله هو؟».

بدا لريك أن اللورد ينتظر منه تعليقًا ما، لكنه لم يدرِ ماذا يقول، فردَّد: «رجاله».

- «هل حكى لك نغلي كيف أنجبته؟».

أراحه أن عرفَ إجابة هذا السؤال، وقال: «نعم يا ســ... سِيدِي. التقيت أمَّه في أثناء رحلة ركوبٍ وفتنَك جَمالها».

ضحكَ بولتون قائلًا: «فتنَني؟ هل استخدمَ هذه الكلمة؟ يبدو أن الفتى يتمتَّع بروح مغنٍّ... لكن إذا كنت تُصدِّق هذه الأغنيَّة فأنت أغبى كثيرًا من ريك الأول. حتى الجزء الخاص بالرُّكوب خطأ. كنتُ أصطادُ ثعلبًا على ضفاف (النَّهر الباكي) حين صادفتُ طاحونةً ورأيتُ امرأةً شابَّةً تغسل الملابس في الماء. كان الطحَّان العجوز قد اتَّخذ لنفسه زوجةً جديدةً، فتاةً لا تَبلُغ نِصف سِنِّه. كانت مخلوقةً فارعةً هيفاء، وتبدو في صحَّةٍ ممتازة، ساقاها طويلتان وثدياها صغيران بضَّان كبرقوقتين ناضجتين، جميلة جَمال نسوة العوام. لحظة أن وقعَ عليها بصري رغبتُ فيها، وكان هذا حقِّي. سيقول لك المِايسترات إن الملك چهيرس أبطلَ حقَّ اللورد في اللَّيلة الأولى إرضاءً لملكته المتطاولة، لكن حيث تَحكُم الآلهة القديمة يبقى التَّقليد القديم. ما زالَ آل أومبر يُمارِسون حقَّ اللَّيلة الأولى مهما أنكَروا هذا، وبعض عشائر الجبال أيضًا، وفي (سكاجوس)... وحدها أشجار القلوب ترى نِصف ما يفعلونه في (سكاجوس). عُقِدَ قران الطحَّان دون إذني أو معرفتي، أي أن الرَّجل غشَّني، وهكذا أمرتُ بشنقه وأخذتُ حقِّي تحت الشَّجرة التي تدلَّى منها. الحقيقة أن قيمة الفتاة كانت أدنى من الحبل، وهربَ الثَّعلب أيضًا، وفي طريق العودة إلى (معقل الخوف) كُسِرَت قائمة حصاني المفضَّل، فكان يومًا سيِّئًا إجمالًا. بعد عامٍ تمتَّعت الفتاة نفسها بالسَّلاطة الكافية للمجيء إلى (معقل الخوف) بوحشٍ صغير صارخ أحمر الوجه، وقالت إنه ابني. كان حريًّا بي أن آمر بجَلد الأُم وإلقاء الصَّغير في بئر... لكنني رأيتُ أن له عينَي بالفعل. أخبرَتني بأن شقيق زوجها الميت رأى هاتين العينين فضربَها حتى أدماها وطردَها من الطَّاحونة. ضايقَني هذا، فأعطيتها الطَّاحونة وأمرتُ بقطع

لسان الأخ كي أضمن ألَّا يهرع إلى (وينترفل) بحكاياتٍ قد تُزعِج اللورد ريكارد. كلَّ عامٍ اعتدتُ أن أرسل إلى المرأة بعض الخنازير الصَّغيرة والدَّجاج وصُرَّةً من النُّجوم النُّحاسيَّة، بشرط ألَّا تُخبِر الولد بهُويَّة أبيه الحقيقي أبدًا. أرض مسالمة وشعب هادئ. لطالما كانت هذه قاعدتي».

- «قاعدة موفَّقة يا سِيدِي».

- «لكن المرأة عصَتني. إنك ترى رامزي. إنه صنيعتها، هي وريك. كانا يهمسان في أُذنيه دائمًا بكلامٍ عن حقوقه، ولكن كان عليه أن يقنع بطحن الذُّرة. هل يحسب حقًّا أنه يستطيع أن يَحكُم الشَّمال؟».

اندفعَ ريك يقول: «إنه يُقاتِل من أجلك. إنه قوي».

- «الثِّيران قويَّة، والدِّببة. لقد رأيتُ نغلي يُقاتِل. ليس اللَّوم عليه بالكامل. ريك كان معلِّمه، ريك الأول، وريك لم يتمرَّن على السِّلاح قَطُّ. رامزي شرس، أعترفُ بهذا، لكنه يضرب بالسَّيف كجزَّارٍ يُقطِّع اللَّحم».

- «إنه لا يخاف أحدًا يا سِيدِي».

- «يَجدُر به أن يخاف. الخوف هو ما يُبقي المرء حيًّا في عالم الخيانة والخداع هذا. حتى هنا في (بلدة الرَّوابي) تدور الغِربان منتظرةً أن تلتهم وليمةً من لحمنا. آل سروين وآل تولهارت لا يُعتمَد عليهم، وصديقي البدين اللورد وايمان يكيد لي، وباقِر العاهرة... قد يبدو آل أومبر بُسطاء، لكنهم لا يفتقرون إلى نوعٍ معيَّن من اللُّؤم. المفترَض أن يخافهم رامزي جميعًا مِثلما أخافهم. أخبِره بهذا عندنا تراه المرَّة القادمة».

- «أخبره... أخبره بأن يخاف؟». أشعرَت الفكرة المحضة ريك بالغثيان. «سِيدِي، إنني... إذا فعلتُ ذلك فسـ...».

زفرَ اللورد بولتون قائلًا: «أعرفُ. إن دماءه ملوَّثة، ويحتاج إلى أن يُعلَّق له العَلق[52]. العَلقات تمتصُّ الدِّماء الملوَّثة وكلَّ الغضب والألم. لا أحد يقوى على التَّفكير القويم وهو مفعم بالغضب. أمَّا رامزي... أخشى أن دماءه الملوَّثة ستُسمِّم العَلق نفسه».

- «إنه ابنك الوحيد».

- «في الوقت الرَّاهن. كان لي ابن آخَر من قبل، دومريك. كان ولدًا هادئًا لكن متفوِّقًا لأقصى حد، خدمَ كوصيف عند الليدي داستن أربعة أعوام، ثم أمضى ثلاثة أعوام في (الوادي) كمُرافق اللورد ردفورت. كان يعزف على القيثارة السَّامية[53] ويقرأ التَّاريخ ويركب الخيل بسرعة الرِّيح. الخيل... كان الولد مجنونًا بها كما ستُخبِرك الليدي داستن. ابنة اللورد ريكارد نفسها لم تستطِع قَطُّ أن تسبقه، وقد كانت هي نفسها نِصف حصان. قال ردفورت إن إنجازاته في مضمار النِّزال تُبشِّر بمستقبلٍ واعد. على المُنازل العظيم أن يكون خيَّالًا عظيمًا أولًا».

- «نعم يا سِيدِي. دومريك، لقد... لقد سمعتُ اسمه...».

- «رامزي قتلَه. المِايستر أوثور يقول إنه كان داءً في الأمعاء، لكنني أقولُ إنه السُّم. في (الوادي) استمتعَ دومريك برِفقة أبناء ردفورت. أرادَ أخًا إلى جانبه، فركبَ على ضفَّة (النَّهر الباكي) سعيًا إلى نغلي. نهيته، لكن دومريك كان رجلًا بالغًا يحسب أنه أعقل من أبيه، والآن يَرقُد رُفاته تحت (معقل الخوف) إلى جوار إخوته الذين ماتوا في المهد، ولم يتبقَّ لي إلَّا رامزي. أخبِرني يا سيِّدي... إذا كان قاتِل الأقربين ملعونًا، فماذا يفعل الأب حين يَقتُل أحد أبنائه أخاه؟».

أرعبَه السُّؤال. لقد سمعَ السلّاخ مرّةً يقول إن النَّغل قتلَ أخاه الشَّرعي، لكنه لم يَجسُر على تصديقه. قد يكون مخطئًا. *الإخوة يموتون أحيانًا، ولا يعني هذا بالضَّرورة أنهم قُتِلوا. أخواي ماتا ولم أقتلهما*. «لسيِّدي زوجة جديدة تمنحه أبناءً».

- «ولكم سيحبُّ نغلي هذا. الليدي والدا من آل فراي، ويبدو أنها تتمتَّع بالخصوبة. لقد أصبحتُ مولعًا على نحوٍ غريب بزوجتي الصَّغيرة البدينة. الاثنتان الأخريان لم تُصدِرا صوتًا في الفِراش قَطُّ، لكن هذه تَصرُخ وترتجف، وهو ما أجده حميميًّا للغاية. إذا أنجبَت الأبناء كما تلتهم الكعك فقريبًا ستمتلئ (معقل الخوف) بأبناء بولتون الصِّغار. سيَقتُلهم رامزي جميعًا بالطَّبع، وهذا خير، فلن أعيش حتى أشهد بلوغ أبنائي الجُدد مبلغ الرِّجال، واللوردات الصِّغار آفة عائلتي، لكن والدا ستحزن لرؤيتهم يموتون».

كان حَلق ريك جافًّا، وسمعَ الرِّياح تهزُّ فروع أشجار الدَّردار العارية المزروعة على جانبَي الشَّارع. «سيِّدي، إنني...».

- «سِيدِي، أتَذكُر؟».

- «سِيدِي، إذا كان لي أن أسأل... لماذا تُريدني؟ إنني لستُ ذا نفعٍ لأيِّ أحد، لستُ رجلًا حتى، إنني مكسور، و... الرَّائحة...».

- «حالما تستحمُّ وتُبدِّل ثيابك ستتحسَّن رائحتك».

قال ريك وقد انقلبَت معدته: «أستحمُّ؟ أ... أفضِّلُ ألّا أستحمَّ يا سيِّدي. أرجوك، إنني مصاب... بجروح... وهذه الثِّياب أعطاها لي اللورد رامزي، وقال... قال ألّا أخلعها أبدًا إلّا بأمره...».

قال اللورد بولتون بمنتهى الصَّبر: «إنك ترتدي أسمالًا، أسمالًا قذرةً ممزَّقةً ومبقَّعةً ورائحتها دم وبول. كما أنها خفيفة. مؤكَّد أنك بردان. سنُلبِسك صوف الحملان النَّاعم الثَّقيل، وربما معطفًا مبطَّنًا بالفرو. هل تحبُّ هذا؟».

- «كلا». لا يُمكنه أن يدعهم يأخذون الملابس التي أعطاها له اللورد رامزي، لا يُمكنه أن يدعهم يرونه.

- «هل تُفضِّل ارتداء الحرير والمخمل؟ أذكرُ أنك كنت شغوفًا بهما في الماضي».

قال بإصرارٍ حاد: «كلا، كلا، أريدُ هذه الثِّياب فقط، ثياب ريك. أنا ريك، على قافية أشويك». كان قلبه يدقُّ كالطَّبل وارتفعَ صوته واكتسبَ صريرًا مذعورًا. «لا أريدُ أن أستحمَّ. أرجوك يا سِيدِي، لا تأخذ ثيابي».

- «هلَّا تركتنا نغسلها على الأقل؟».

- «كلا، كلا يا سِيدِي، أرجوك!». ضمَّ سُترته إلى صدره بكلتا يديه وانكمشَ على نفسه فوق سَرجه، يكاد يخشى أن يأمر رووس بولتون حَرسه بخلع ملابسه قسرًا هنا في الشَّارع.

- «كما تُريد». بدَت عينا بولتون الباهتتان خاويتين في نور القمر، كأن لا نفس وراءهما على الإطلاق. «لستُ أريدُ أن أوذيك. إنني مدين لك بالكثير».

- «حقًّا؟». كان جزء في داخله يَصرُخ: *هذا فخ، إنه يتلاعَب بك، ما الابن إلَّا ظِلٌّ لأبيه*. طوال الوقت يتلاعَب اللورد رامزي بآماله. «بِمَ... بِمَ تدين لي يا سِيدِي؟».

أجابَ بولتون: «الشَّمال. آل ستارك انتهوا وهلكوا ليلة أخذت (وينترفل)»، ولوَّح بيده الشَّاحبة بلا مبالاةٍ مضيفًا: «كلُّ هذا ليس إلَّا صراعًا على الغنائم».

بلغَت رحلتهما القصيرة نهايتها عند أسوار (بهو الرَّوابي) الخشبيَّة. على أبراج القلعة الطَّويلة ترتفع الرَّايات وتخفق في الرِّيح؛ رجل (معقل الخوف) المسلوخ، وفأس سروين الحربيَّة، وصَنوبرات تولهارت، وعريس بحر ماندرلي، ومفتاحا اللورد لوك العجوز المتقاطعان، وعملاق أومبر، ويد فلينت الحجريَّة، وموظ هورنوود. راية عائلة ستاوت مرفوعة أيضًا بشرائطها الخمريَّة والذَّهبيَّة، وراية عائلة سليت بإطاريها الأبيضين على خلفيَّةٍ رماديَّة، في حين تُعبِّر أربعة رؤوس خيول عن أربعة آل ريزويل أولاد (الغُدران)؛ رمادي وأسود وذهبي وبنِّي. الطَّريف أن آل ريزويل لا يتَّفقون على مجرَّد لون رايتهم. وفوق الجميع يرتفع الوعل والأسد، راية الصَّبي الجالس على العرش الحديدي على بُعد ألف فرسخ.

أصغى ريك إلى ريشات طاحونة الهواء القديمة تدور إذ دخلا من مبنى البوَّابة إلى ساحةٍ معشوشبة، حيث هرعَ عاملو الاسطبلات لأخذ حصانيهما. قال اللورد بولتون: «من هنا من فضلك»، وقادَه إلى الحصن الذي ترتفع عليه رايتا اللورد داستن الرَّاحل وزوجته. رايته تاج مدبَّب الأطراف فوق فأسين طويلتين متقاطعتين، ورايتها مقسومة إلى أربع خانات، اثنتين فيهما رمز زوجها واثنتين فيهما رأس حصان رودريك ريزويل الذَّهبي.

في أثناء صعودهما السَّلالم الخشب العريضة إلى القاعة بدأت ساقا ريك ترتجفان، فتوقَّف رغمًا عنه ليُثبِّتهما وقد رفعَ عينيه إلى منحدرات (الرَّابية العُظمى) العُشبيَّة، التي يَزعُم بعض النَّاس أنها قبر الملك الأول الذي قادَ البَشر الأوائل إلى (وستروس)، فيما يقول آخَرون إن حجمها يُرجِّح أن أحد ملوك العمالقة هو المدفون هناك، ويقول غيرهم إن لا قبر هنالك على الإطلاق، بل هي مجرَّد رابية، لكن إن كانت كذلك فهي رابية وحيدة، ذلك أن أكثر أراضي الرَّوابي مسطَّح سوَّته الرِّيح.

داخل القاعة كانت امرأة واقفةً إلى جوار المستوقَد تُدفِّئ يديها فوق جِمار نارٍ هامدة. ترتدي المرأة الأسود من رأسها إلى قدميها، ولا تتحلَّى بذهبٍ أو جواهر، وإن بدا بوضوحٍ أنها كريمة المحتد، وعلى الرغم من التَّجاعيد عند رُكني فمها وحول عينيها فلا تزال طويلة القامة مشدودتها، ولا يزال في ملامحها حُسن. شَعرها بنِّي ورمادي بالتَّساوي، وقد عقصَته وراء رأسها على غرار الأرامل.

قالت المرأة: «مَن هذا؟ أين الفتى؟ هل رفضَ نغلك التَّخلِّي عنه؟ أهذا العجوز... أوه، بحقِّ الآلهة، ما هذه الرَّائحة؟! هل قضى هذا المخلوق حاجته على نفسه؟».

- «لقد كان مع رامزي. ليدي باربري، اسمحي لي بأن أقدِّم لك سيِّد (جُزر الحديد) الشَّرعي، ثيون سليل عائلة جرايچوي».

لا، لا، لا تقل ذلك الاسم، سيسمعك رامزي، سيعرف، سيعرف، سيؤذيني.

زمَّت فمها قائلةً: «ليس كما توقَّعته».

- «إنه ما لدينا».

- «ماذا فعلَ به نغلك؟».

- «جرَّده من القليل من جِلده على ما أظنُّ، وبضعة أعضاء صغيرة، لا شيء حيويًّا».

- «أهو مجنون؟».

- «ربما. هل يهمُّ هذا؟».

لم يَعُد ريك يقوى على سماع المزيد، فقال: «أرجوك يا سِيدِي، أرجوكِ يا سيِّدتي، هناك خطأ»، وخرَّ على رُكبتيه مرتجفًا كورقةٍ في مهبّ عاصفةٍ شتويَّة والدُّموع تنهمر على وجنتيه المشوَّهتين، وتابعَ: «لستُ هو، لستُ المارِق. لقد ماتَ في (وينترفل). إن اسمي ريك». عليه أن يتذكَّر اسمه. «ريك، على قافية ركيك».

---

(50). المِنجليُّ سيف معقوف عريض النَّصل، وكان أحد السُّيوف التي يستخدمها المغول. (المُترجم).

(51). الهيبوكراس مشروب صحِّي يعدُّ من النَّبيذ المخلوط بالسُّكَّر والتَّوابل، وعادةً ما يتضمَّن القرفة، ابتكرَه أبقراط وسُمِّيَ نسبةً إليه. (المُترجم).

(52). العَلَقات كائنات طفيليَّة تُشبِه الدِّيدان وتمتصُّ الدِّماء، وبدأ استخدامها قبل ألفي عام بغرض تطهير الجسد من الدَّم الفاسد بعمليَّة كانت تُعرَف بتعليق العَلق، بالإضافة إلى الحفاظ على الدَّم من التَّجلُّط في أثناء الجراحة. (المُترجم).

(53). القيثارة السَّامية آلة موسيقيَّة من خيال المؤلِّف. (المُترجم).

سبعة أيام كاملة مرَّت على إقلاع (السِّلياسوري كُوران) من (ڤولانتيس) قبل أن تبرح پني قمرتها أخيرًا وتنسلَّ إلى السَّطح كمخلوق غاباتٍ خجول خارج من بياتٍ شتوي طويل.

كان الوقت غسقًا. أشعلَ الرَّاهب الأحمر ناره اللَّيليَّة في المستوقَد الحديدي الكبير في منتصَف السَّفينة، واجتمعَ أفراد الطَّاقم حوله للصَّلاة. لموكورو صوت جهير مدوٍّ يَنبُع من مكانٍ ما في أعماق جذعه الهائل، وقد رفعَه يُصلِّي: «نَشكُرك على شمسك التي تُدفِّئنا، نَشكُرك على نجومك السَّاهرة علينا ونحن مبحرون في هذا البحر الأسود البارد». الرَّاهب رجل ضخم، أطول قامةً من السير چورا وأعرض منه مرَّتين، يرتدي ثوبًا قرمزيًّا مطرَّزًا عند الكُمَّين والحاشية والياقة بألسنة لهبٍ بُرتقاليَّة من الساتان. بشرته سوداء كالقار، وشَعره أبيض كالثَّلج، واللَّهب الموشوم على وجنتيه وجبهته أصفر وبُرتقالي. تُماثِله عصاه الحديد التي يُتوِّجها رأس تنِّين طولًا، وحين يدقُّ بكعبها سطح السَّفينة ينفث فم التنِّين لهبًا أخضر يُطَقطِق.

قادَ حَرسه الإجابة، خمسة عبيد مُحاربين من اليد النَّاريَّة يُنشِدون بلُغة (ڤولانتيس القديمة)، لكن تيريون سمعَ الصَّلوات مرَّاتٍ تكفي لأن يفهم مغزاها. *أشعِل نارنا واحمِنا من الظَّلام، إلخ إلخ، أنِر طريقنا ودفِّئنا كالخُبز المحمَّص، اللَّيل مظلم ومفعم بالأهوال، أنقِذنا من الأشياء المخيفة، إلخ إلخ إلخ وما إلى ذلك.*

على أنه أعقل من أن يُحوِّل هذه الأفكار إلى ألفاظ. عند تيريون لانستر لا قيمة لأيِّ إله، لكن على متن هذه السَّفينة من الحكمة أن يُبدي قدرًا معيَّنًا من الاحترام لراهلور الأحمر. كان چورا مورمونت قد خلعَ سلاسله وأصفاده ما إن تحرَّكوا من الميناء، ولا يُريد القزم أن يُعطيه سببًا لتكبيله بها مرَّةً أخرى.

(السِّلياسوري كُوران) كوج ضخم متمايل يزن خمسمئة طن، له مخزن عميق وسلوقيَّتان[54] عاليتان في المقدِّمة والمؤخِّرة بينهما شراع واحد. عند سلوقيَّته الأماميَّة يقف تمثال مقدِّمة منفِّر الشَّكل، شخص مهم ما من الخشب الذي نخرَه الدُّود، يبدو على ملامحه كأنه يُعاني الإمساك، وتحت إبطه رقوق ملفوفة. لم يرَ تيريون سفينةً أقبح من هذه على الإطلاق... وليس طاقمها أجمل بحال، فرُبَّانها رجل سليط اللِّسان غليظ الطِّباع ممتلئ البطن له عينان متقاربتان طمَّاعتان، خائب في لعب السايڤاس وأخيب في تقبُّل الهزيمة. تحته يخدم أربعة وُكلاء معتَقون من العبوديَّة جميعًا، وخمسون عبدًا مقيَّدًا بالعمل على السَّفينة، على وجه كلٍّ منهم وشم بدائي لتمثال المقدِّمة القبيح. تحلو للبحَّارة دعوة تيريون بـ«لا أنف» مهما كرَّر أن اسمه هيوجور هيل.

ثلاثة من الوُكلاء وأكثر من ثلاثة أرباع البحَّارة عباد متعصِّبون لإله الضِّياء، وإن لم يكن تيريون متأكِّدًا من ميول الرُّبَّان الدِّينيَّة، إذ يظهر الرَّجل دائمًا ليشهد صلاة المساء، لكنه لا يُشارِك فيها أبدًا. غير أن موكورو هو سيِّد (السِّلياسوري كُوران) الحقيقي، على الأقل خلال هذه الرِّحلة.

دوَّى صوت الرَّاهب الأحمر: «أيا إله الضِّياء، بارِك عبدك موكورو وأنِر طريقه في أصقاع العالم المظلمة، ودافِع عن عبدك البار بنيرو. هَب له الشَّجاعة، هَب له الحكمة، املأ قلبه بالنَّار».

عندها لاحظَ تيريون پني التي وقفَت تُشاهِد التَّمثيليَّة على السُّلَّم الخشبي شديد الانحدار الذي يقود إلى أسفل السَّلوقيَّة الخلفيَّة. كانت واقفةً على إحدى الدَّرجات السُّفليَّة، فلم يظهرَ منها إلَّا قمَّة رأسها، وتحت قلنسوتها التمعَت عيناها الكبيرتان البيضاوان في ضوء نار اللَّيل، وقد جلبَت كلبها معها، كلب الصَّيد الرَّمادي الكبير الذي تركبه في النِّزالات الفُكاهيَّة. ناداها تيريون بهدوء: «سيِّدتي»، مع أن الحقيقة أنها ليست سيِّدةً، لكنه لا يستطيع أن يدفع نفسه إلى نُطق اسمها السَّخيف، كما أنه لن يدعوها بـ«يا فتاة» أو «أيتها القزمة».

جفلَت منه قائلةً: «لم... لم أرَك».

- «إنني صغير الحجم».

قالت: «كنتُ... كنتُ متوعِّكةً...»، ونبحَ كلبها.

تعنين أنكِ كنتِ سقيمةً حُزنًا. «إذا كان بإمكاني أن أساعد...».

قاطعَته: «لا»، ولم تلبث أن اختفَت ثانيةً، انسحبَت إلى أسفل حيث قمرتها التي تقتسمها مع كلبها وخنزيرتها. لم يستطِع تيريون أن يلومها. بالنِّسبة إليه سُرَّ طاقم (السِّلياسوري كوران) حين صعدَ إلى متن سفينتهم، فالأقزام يجلبون الحظَّ السَّعيد رغم كلِّ شيء، وقد فُرِكَ رأسه مرارًا وبقوَّةٍ لدرجة أنها أعجوبة أن الصَّلع لم يُصِبه. أمَّا ردَّة الفعل على وجود پني فشابَها القلق. قد تكون قزمةً، لكنها امرأة كذلك، والنِّساء على متن السُّفن طالع سيِّئ، ومقابل كلِّ رجلٍ يُحاوِل أن يَفرُك رأسها يُمطِرها ثلاثة بلعناتهم همسًا عندما تمرُّ.

ومؤكّد أن مجرّد منظري يصبُّ الملح على جرحها. لقد قطعوا رأس أخيها على أمل أنه رأسي أنا، وهأنذا ما زلت هنا ككَرَجلٍ(55) *لعين، أعرضُ عليها التّعازي الجوفاء. لو كنتُ في مكانها لما أردتُ شيئًا أكثر من إلقائي في البحر.*

لا يَشعُر نحو الفتاة إلّا بالشّفقة. إنها لا تستحقُّ الرُّعب الذي نزلَ بها في (ڤولانتيس)، ولا استحقّه أخوها. آخِر مرّةٍ رآها قُبيل إقلاعهم من الميناء وجدَ عينيها ملتهبتين من البُكاء، ثقبين أحمرين مريعين في وجهٍ شاحبٍ ذابل، ولدى رفع شراع الكوج كانت قد حبسَت نفسها في قمرتها مع كلبها وخنزيرتها، وإن كان بإمكانهم سماع نحيبها في اللّيل. البارحة فقط سمعَ أحد الوُكلاء يقول إن عليهم أن يُلقوها في الماء قبل أن تُغرِق دموعها السّفينة، وليس تيريون واثقًا تمامًا بأن الرّجل كان يمزح.

انتهَت صلاة المساء وانصرفَ أفراد الطّاقم إلى حال سبيلهم من جديد، بعضهم إلى مناوَبته وبعضهم إلى الطّعام والرّم والأسرّة، فيما ظلّ موكورو إلى جوار ناره كما يفعل كلّ ليلة. ينام الرّاهب الأحمر نهارًا ويظلُّ ساهرًا طيلة ساعات الظّلام ليُعنى بلهبه المقدّس حتى تعود إليهم الشّمس فَجرًا.

أقعى تيريون قُبالته يُدفّئ يديه من برد اللّيل، ولم ينتبه موكورو إليه لعدّة دقائق إذ حدّق إلى اللّهب المتذبذب غائبًا في رؤيا ما. هل *يرى المستقبل حقًّا كما يَزعُم؟* إن صحّ هذا فإنها لموهبة مخيفة. بعد مُدّةٍ رفعَ الرّاهب عينيه لتُلاقي نظراته نظرات القزم، وحنى رأسه برزانةٍ قائلًا: «هيوجور هيل، هل جئت تُصلّي معي؟».

- «أحدهم أخبرَني بأن اللّيل مظلم ومفعم بالأهوال. ماذا ترى في هذا اللّهب؟».

أجابَ موكورو بعاميَّة (وستروس): «تنانين». يتكلَّمها الرَّاهب بطلاقةٍ ودون أثرٍ للُكنةٍ تقريبًا، ولا ريب أن هذا أحد الأسباب التي حدَت بالرَّاهب الأعلى بنيرو إلى اختياره لتبشير دنيرس تارجاريَن بديانة راهلور. «تنانين عجوزًا وصغيرةً، حقيقيَّةً وزائفةً، فاقعةً وقاتمةً. وأراك أيضًا، رجلًا صغيرًا يُلقي ظلًّا كبيرًا ويُزَمجِر في خضمِّ كلِّ هذا».

- «أزمجرُ؟ شخص وديع مِثلي؟». كادَ تيريون يعدُّه إطراءً. ولا *شكَّ أن هذه بالضَّبط نيَّته. كلُّ أحمق يحبُّ أن يسمع أنه مهمٌّ.* «ربما رأيت پني. إننا في حجمٍ واحدٍ تقريبًا».

- «لا يا صديقي».

صديقي؟ *تُرى متى حدثَ هذا؟* «هل رأيت كم سنستغرق حتى نَبلُغ (ميرين)؟».

- «أأنت متشوِّق إلى مرأى مخلِّصة العالم؟».

نعم ولا، فقد تقطع مخلِّصة العالم رأسي أو تُعطيني لتنانينها على سبيل فاتح الشَّهيَّة. «ليس أنا. بالنِّسبة إليَّ لا يهمُّني إلَّا الزَّيتون، ولو أنني أخشى أن أهرم وأموت قبل أن أذوق واحدةً. يُمكنني أن أعوم عوم الكلاب أسرع من هذه السَّفينة. أخبِرني، هل كان سِلياسوري كوران هذا قُنصلًا أم سُلحفاةً؟».

قهقهَ الرَّاهب الأحمر مجيبًا: «لا هذا ولا ذاك. الكوران... ليس حاكمًا، بل شخص يخدم الحاكم ويُشير عليه ويُساعِده على مزاولة أعماله، ما قد يُعادِل الوكيل أو الماچستر عندكم أيها الوستروسيُّون».

يد *الملك*؟ وجدَ هذا طريفًا. «وسِلياسوري؟».

مسَّ موكورو أنفه قائلًا: «المشبَّع بالأريج. كيف تقولونها؟ ذاكٍ؟ زهري؟».

- «إذن فـ«السّلياسوري كوران» معناها تقريبًا «الوكيل الزّنخ»؟».

- «بل «الوكيل الذّاكي» بالأحرى».

منحه تيريون ابتسامةً معوجّةً قائلًا: «أعتقدُ أنني سألتزمُ قول «الزّنخ»، لكنني أشكرك على الدّرس».

- «يسرُّني أنني نوّرتك. أتمنّى أن تدعني أعلّمك حقيقة راهلور أيضًا ذات يوم».

- «ذات يوم». *عندما أكونُ رأسًا على خازوق*.

يُسمّى السّكن الذي يتقاسَمه مع السير چورا قمرةً من باب المجاملة لا أكثر، فليست في الخزانة المظلمة الرّطبة كريهة الرّائحة مساحة إلّا لتعليق شبكتي نوم، إحداهما فوق الأخرى. وجدَ مورمونت متمدّدًا فوق الشفلى التي تتأرجح ببُطءٍ مع حركة السّفينة، وأخبرَه: «الفتاة ظهرَت أخيرًا على السّطح. نظرة واحدة إليّ وهرعَت عائدةً إلى أسفل».

- «ليس منظرك جذّابًا».

- «ليس جميعنا بهيّ الطّلعة مِثلك. الفتاة ضائعة. لن يُدهِشني إن كان غرض المسكينة أن تتسلّل إلى السّطح لتلقي نفسها من فوق الحاجز وتغرق».

- «المسكينة اسمها پني».

- «أعرفُ اسمها». ويكره اسمها. كان أخوها معروفًا باسم جروت، ولو أن اسمه الحقيقي كان أوپو. *البِني والجروت، أصغر العُملات على الإطلاق وأقلُّها قيمةً، والأسوأ أنهما اختارا الاسمين بنفسيهما*. خلّفت هذه الحقيقة مذاقًا سيّئًا في فم تيريون. «بأيّ اسم، الفتاة محتاجة إلى صديق».

اعتدلَ السير چورا جالسًا على شبكته، وقال: «صادِقها إذن، أو تزوَّجها. لستُ أبالي».

خلَّف هذا أيضًا مذاقًا سيِّئًا في فمه. «القرين للقرين، أهذه فكرتك؟ وهل تنوي أن تجد لنفسك دُبَّةً أيها الفارس؟».

- «أنت من أصرَّ على أن نجلبها معنا».

- «قلتُ إنه لا يَجدُر بنا أن نتخلَّى عنها في (ڤولانتيس). ليس معنى هذا أنني أريدُ أن أنكحها. هل نسيت أنها ترغب في موتي؟ إنني آخِر شخصٍ تُريد أن تتَّخذه صديقًا».

- «كلاكما قزم».

- «نعم، وكذا كان أخوها الذي قُتِلَ لأن بعض الحمقى السَّكارى حسبوه أنا».

- «هل تَشعُر بالذَّنب؟».

أجابَ تيريون مغضبًا: «كلا. إن لي خطايا كافيةً أكفِّرُ عنها، لكن هذه لا دور لي فيها. ربما شعرتُ بشيءٍ من الحقد عليها هي وأخيها للدَّور الذي لعباه ليلة زفاف چوفري، لكني لم أتمنَّ لهما الأذى قَطُّ».

قال السير چورا: «أنت مخلوق حليم حقًّا، بريء براءة الحملان»، ونهضَ مضيفًا: «القزمة عبؤك أنت. قبِّلها أو اقتُلها أو تحاشاها، كما ترغب. الأمر برُمَّته لا يعني لي شيئًا»، وتجاوزَ تيريون مغادرًا القمرة.

منفيٌّ مرّتين ولا غرو في هذا. كنتُ لأنفيه أيضًا لو أن الأمر بيدي. الرَّجل بارد نكِد جهيم، لا يملك مقدار خردلةٍ من حسِّ الدُّعابة، وهذه هي صفاته الحميدة. يقضي السير چورا أكثر ساعات يقظته ذارعًا السَّلوقيَّة الأماميَّة جيئةً وذهابًا أو مستندًا إلى الحاجز يتطلَّع إلى البحر. *يبحث عن ملكته الفضِّيَّة، يبحث عن دنيرس، يُناشِد السَّفينة بالإبحار أسرع. ربما كنتُ لأفعل مِثله لو أن تايشا في (ميرين).*

أيُمكن أن (خليج النخَّاسين) المكان الذي تذهب إليه العاهرات؟ لا يبدو ذلك محتملًا. حسب ما سمعَه فمُدن النِّخاسة هي المكان الذي تُصنَع فيه العاهرات. *كان حريًّا بمورمونت أن يشتري لنفسه واحدةً.* كانت أَمة حسناء لتصنع المعجزات لتحسين مزاجه... تحديدًا واحدة يميل لون شَعرها إلى الفضِّي، كالعاهرة التي رآها جالسةً على قضيبه في (سلهوريس).

خلال الرِّحلة النَّهريَّة كان تيريون مرغمًا على تحمُّل جريف، لكنه -على الأقل- وجدَ ما يُلهيه في لُغز هُويَّة الرُّبَّان الحقيقيَّة، وفي الرِّفقة الأكثر وُدًّا لأفراد مجموعة القارب الصَّغيرة الآخَرين، أمَّا على متن هذا الكوج فالجميع للأسف كما يبدون، ولا أحد منهم يُبدي له وُدًّا خاصًّا، ووحده الرَّاهب الأحمر يُثير اهتمامه. *هو وپني ربما، لكن الفتاة تمقتني، ويَجدُر بها أن تمقتني.*

وجدَ تيريون الحياة على (السّلياسوري كُوران) رتيبةً مملَّةً. أكثر الأوقات إثارةً في يومه حين يخز أصابع يديه وقدميه بسكّين. في النَّهر كانت هناك عجائب يُشاهِدها؛ سلاحف عملاقةً ومدائن خربةً وبَشرًا متحجّرين وسِپتوات عاريات، ولم يكن المرء يدري أبدًا ما قد يكون قابعًا في انتظاره عند المنعطف التَّالي. أمَّا في البحر فاللَّيالي والأنهُر كلُّها واحد. عندما أقلعوا من (ڤولانتيس) أبحرَ الكوج على مرأى من اليابسة في البداية، فتفرَّج تيريون على الألسنة الأرضيَّة، وشاهدَ سحابات الطُّيور البحريَّة تُحلِّق من الجروف الحجريَّة وأبراج المراقبة المتهدِّمة، وأحصى الجُزر البنِّيَّة الجرداء التي مرُّوا بها، ورأى سُفنًا كثيرةً أخرى أيضًا؛ قوارب صيدٍ وسُفنًا تجاريَّةً ثقيلةً وقوادس فخورًا تضرب مجاذيفها الموج محوِّلةً إياه إلى رغوةٍ بيضاء... لكن ما إن توغَّلوا في المياه الأعمق لم يَعُد هناك إلَّا البحر والسَّماء والماء والهواء. يبدو الماء كالماء، والسَّماء كالسَّماء، وأحيانًا يرى سحابةً.

أزرق كثير جدًّا.

واللَّيل أسوأ. في أفضل الأحوال لا يحظى تيريون بنومٍ جيِّد، والنَّوم هنا أبعد ما يكون عن ذلك. النَّوم يعني الأحلام في أغلب الأحيان، وفي أحلامه تنتظره (الويلات)، وملك متحجِّر له وجه أبيه. كالشحَّاذ الذي لا يملك خيارًا وجدَ نفسه يتمدَّد فوق شبكته ويُصغي إلى غطيط چورا مورمونت من تحته، أو يبقى فوق السَّطح يتأمَّل البحر. في اللَّيالي التي يغيب فيها القمر يُصبح البحر بسواد حِبر المِايسترات من الأُفق إلى الأُفق، مظلمًا سحيقًا منذرًا بالويل، جميلًا جَمالًا مخيفًا، لكن حين يتطلَّع إليه طويلًا يجد تيريون لانستر نفسه يُفكِّر كم من السَّهل أن يتسلَّق الحاجز ويُلقي نفسه في الظُّلمات. وثبة واحدة صغيرة وتنتهي الحكاية الصَّغيرة الحزينة التي كانت حياته. *لكن ماذا لو أن هناك جحيمًا وكان أبي ينتظرني هناك؟*

العَشاء أفضل جزءٍ من كلِّ أمسية. ليس الطَّعام جيِّدًا على نحوٍ خاص، لكنه وافر، وهكذا ذهبَ القزم يأكل. مطبخ السَّفينة الذي يتناوَل فيه وجباته ضيِّق غير مريح، يُعرِّض سقفه الواطئ للغاية المُسافرين الأطول قامةً لخطر خبط رؤوسهم، وهو الخطر المحدق تحديدًا بجنود اليد النَّاريَّة العبيد الفارعين. بقدر ما استمتعَ تيريون بالضَّحك سخريةً من هذا فقد جنحَ إلى تناوُل وجباته وحده، فالجلوس إلى مائدةٍ مزدحمة مع رجالٍ لا يتحدَّثون لُغته، وسماعهم يتكلَّمون ويتمازَحون دون أن يفهم كلمةً، سرعان ما أصبحَ متعبًا، خصوصًا منذ بدأ يتساءَل إن كان هو موضوع المزاح والضَّحك.

المطبخ هو المكان الذي تُحفَظ فيه الكُتب أيضًا. بما أن الرُّبَّان محبٌّ كبير للقراءة فالسَّفينة تحمل ثلاثة كُتب؛ ديوانًا من أشعار الملَّاحين التي تنحدر من سيِّئٍ إلى أسوأ، ومجلَّدًا متفسِّخ الصَّفحات عن المُغامرات الجنسيَّة لأَمةٍ شابَّة في بيت هوى لايسيني، والمجلَّد الرَّابع والأخير من (حياة القُنصل بليتشو)، وهو مناضل ڤولانتيني شهير انتهَت سلسلة غزواته وانتصاراته فجأةً حين أكلَه العمالقة. فرغ تيريون من قراءة ثلاثة الكُتب في يومهم الثَّالث في البحر، ولأنها الوحيدة على متن السَّفينة شرعَ في قراءتها من جديد. قصَّة الأَمة هي الأردأ كتابةً لكنها الأكثر استحواذًا على الانتباه، وقد أخذَها معه هذا المساء ليُطالِعها فيما يتناوَل عَشاءً من البنجر بالزُّبدة ويخنة السَّمك الباردة والبسكويت الذي يَصلُح من فرط صلابته لدقِّ المسامير.

كان يقرأ حكاية الفتاة عن اليوم الذي وقعَت فيه مع أختها في براثن النخَّاسين حين دخلَت پني المطبخ، ولمَّا رأته قالت: «أوه، حسبتُ... لم أقصد أن أزعج سيِّدي. سـ...».

- «لستِ تُزعِجينني. آملُ أنكِ لن تُحاوِلي قتلي ثانيةً».

أشاحَت بوجهها الذي بدأ يحتقن قائلةً: «نعم».

قال تيريون: «في هذه الحالة أرحبُ بالصُّحبة. إنها قليلة على هذه السَّفينة»، وأغلقَ الكتاب مردفًا: «تعالي، اجلسي وكُلي». كانت الفتاة قد تركَت أكثر وجباتها خارج باب قمرتها دون أن تأكل منها شيئًا، ومؤكَّد أنها تتضوَّر جوعًا الآن. «اليخنة شِبه صالحة للأكل. السَّمك طازج على الأقل».

- «لا. لقد... لقد اختنقتُ بشوكة سمكةٍ ذات مرَّة. لا يُمكنني أن آكل السَّمك».

قال: «اشربي القليل من النَّبيذ إذن»، وملأ كوبًا ودفعَه نحوها مضيفًا: «تحيَّة من رُبَّاننا. الحقيقة أنه أقرب إلى البول من نبيذ (الكرمة) الذَّهبي، لكن حتى البول أفضل مذاقًا من ذلك الرَّم الأسود القطراني الذي يشربه البحَّارة. قد يُساعِدكِ على النَّوم».

لم تُحاوِل الفتاة أن تمسَّ الكوب، وقالت متراجعةً: «أشكرك يا سيِّدي، لكن لا. لا يَجدُر بي أن أزعجك».

سألَها تيريون قبل أن تَخرُج من الباب: «هل تنوين قضاء بقيَّة حياتكِ في الفرار؟».

أوقفَها سؤاله، وتخضَّبت وجنتاها بالوردي الزَّاهي. خشيَ تيريون أن تُجهِش بالبُكاء مجدَّدًا، لكنها مطَّت شفتها بتحدٍّ، وقالت: «أنت أيضًا تفرُّ».

- «صحيح، لكنني فارٌّ إلى، وأنتِ فارَّة مِن، وشتَّان ما بين هذا وذاك».

- «لولاك لما اضطررنا إلى الفرار من الأصل».

تطلَّب قولها هذا في وجهي قدرًا من الشَّجاعة. «هل تتكلَّمين عن (كينجز لاندنج) أم (ڤولانتيس)؟».

التمعَت العبرات في عينيها إذ قالت: «عن الاثنتين، عن كلِّ شيء. لماذا لم تأتِ تتنازَل معنا كما أرادَ الملك؟ لم يكن ليصيبك أذى. ما الضَّرر الذي كان لينال سيِّدي لو ركبَ الكلب إرضاءً للصَّبي؟ كان قليلًا من المرح فقط. كانوا ليضحكوا منك لا أكثر».

ردَّد تيريون: «كانوا ليضحكوا مني». وبدلًا من ذلك *أضحكتهم من جوف*. *أولم تكن هذه حيلةً بارعةً؟*

- «أخي يقول إن هذا شيء حسن، إضحاك النَّاس، شيء نبيل شريف. أخي يقول... إنه...». لحظتها غادرَت الدُّموع مُقلتيها وسالَت على وجهها.

- «آسفٌ لما حدثَ لأخيكِ». قال لها تيريون الكلمات نفسها من قبل في (ڤولانتيس)، لكنها كانت مستغرقةً في لوعتها تمامًا هناك حتى إنه شكَّ أنها سمعَتها.

على أنها سمعَتها الآن، وقالت: «آسف، أنت آسف». كانت شفتاها ترتعدان، ووجنتاها مبتلَّتين، وعيناها ثقبين مؤطَّرين بالأحمر. «لقد تركنا (كينجز لاندنج) في اللَّيلة نفسها. قال أخي إن هذا أفضل، قبل أن يتساءَل أحدهم إن كنا لعبنا دورًا في موت الملك ويُقرِّر أن يُعذِّبنا ليعرف الحقيقة. ذهبنا إلى (تايروش) أولًا. حسبَ أخي أنها بعيدة بما فيه الكفاية، لكنها لم تكن كذلك. كنا نعرف حاويًا هناك. طوال أعوامٍ وأعوامٍ اعتادَ أن يُمارِس حيله يوميًا عند (نافورة الإله السكِّير). كان عجوزًا، فلم تَعُد يداه بالرَّشاقة التي كانتا عليها من قبل، وأحيانًا كان يُسقِط كُراته ويُطارِدها عبر الميدان، ورغم ذلك كان التايروشيُّون يضحكون ويُلقون له قطع العُملة. ثم جاءَ صباح وسمعنا أنهم عثروا على جثَّته عند (معبد تريوس). كانت لتريوس ثلاثة رؤوس، وله تمثال كبير أمام باب المعبد. وجدوا العجوز مقطَّعًا إلى ثلاث قطعٍ مدسوسة في أفواه تريوس الثَّلاثة، لكن حين خاطوا القطع معًا كان رأسه مفقودًا».

- «هديَّة لأختي الجميلة. كان قزمًا آخَر».

- «كان رجلًا صغيرًا، أجل، مِثلك ومِثل أوپو، جروت. أأنت آسف لما حدثَ للحاوي أيضًا؟».

- «لم أكن أعرفُ أن الحاوي كان له وجود حتى هذه اللَّحظة... لكن نعم، إنني آسف لموته».

- «لقد ماتَ من أجلك. دمه على يديك».

لدغَه الاتِّهام لدغًا إذ جاءَ في أعقاب كلام چورا مورمونت مباشرةً. قال تيريون: «دمه على يدَي أختي وأيدي البهائم الذين قتلوه. يداي أنا...»، وقلبَهما وأمعنَ النَّظر إليهما ثم كوَّرهما متابعًا: «... يداي ملطَّختان بدماءٍ قديمة، أجل. يُمكنكِ دعوتي بقاتِل الأقربين ولن تكوني مخطئةً، أو بقاتِل الملك وسأجيبُ عن هذا أيضًا. لقد قتلتُ أمَّهاتٍ وآباءً وأولاد إخوة وأحبَّاءً، رجالًا ونساءً، ملوكًا وعاهرات، وذات مرَّةٍ ضايقَني مطرب فطبختُ الوغد في يخنة، لكنني لم أقتل حاويًا أو قزمًا قَطُّ، ولستُ الملام على ما جرى لأخيكِ اللَّعين».

أمسكَت پني كوب النَّبيذ الذي صبَّه لها وألقَته في وجهه. *تمامًا مِثل أختي الجميلة*. سمعَ باب المطبخ يُصفَق لكنه لم يرَها تُغادِر. كانت عيناه تلسعانه والعالم مشوَّشًا. *هيهات أن أصادقها*.

أ

خبرة تيريون لانستر بالأقزام الآخَرين محدودة للغاية. لم يكن السيِّد والده يُرحِّب بأيِّ تذكرةٍ بتشوُّهات ابنه، وسرعان ما تعلَّم الممثِّلون الذين تضمُّ فِرقهم أقزامًا أن يبقوا على مبعدةٍ من (لانسپورت) و(كاسترلي روك) خشية إثارة نقمته. في أثناء نشأته سمعَ تيريون أخبارًا عن مهرِّجٍ قزم في مقرِّ اللورد الدورني فاولر، وعن مِايستر قزم يخدم في (الأصابع)، وعن قزمةٍ ضمن الأخوات الصَّامتات، لكنه لم يَشعُر بأدنى حاجةٍ إلى زيارتهم. تناهَت إلى مسامعه أيضًا حكايات لا يُعوَّل عليها كثيرًا عن ساحرةٍ قزمة تَسكُن تلًّا في أراضي النَّهر، وعن عاهرةٍ قزمة في (كينجز لاندنج) مشهورة بجماع الكلاب. أخته الجميلة هي من أخبرَته عن تلك الأخيرة، بل وعرضَت أن تجد له كلبةً تُعاني الاحترار إذا أرادَ أن يُجرِّب، ولمَّا سألَها بأدبٍ إن كانت تقصد نفسها ألقَت سرسي كوبًا من النَّبيذ في وجهه. *كان أحمر على ما أذكرُ، وهذا ذهبي.* جفَّف تيريون وجهه بكُمِّه، وإن ظلَّ يَشعُر باللَّسعة في عينيه.

لم يرَ پني ثانيةً حتى يوم العاصفة.

في ذلك الصَّباح كان الهواء المالح خاملًا ثقيلًا، لكن سماء الغرب حمراء ناريَّة موخوطة بسُحبٍ خفيضة تتوهَّج كقرمز راية لانستر. هرعَ البحَّارة هنا وهناك يسدُّون المنافذ والكُوى ويشدُّون الحبال ويُخلون السَّطح ويُثبِّتون كلَّ ما هو غير مثبَّت، وأنذرَ أحدهم تيريون قائلًا: «ريح سيِّئة تقترب. على لا-أنف أن ينزل إلى قمرته».

تذكَّر العاصفة التي كابدَها وقت عبوره (البحر الضيِّق)، وكيف كان السَّطح يثب تحت قدميه، والصَّرير الشَّنيع الذي أصدرَته السَّفينة، ومذاق النَّبيذ والقيء. «لا-أنف سيقى هنا». إذا أرادَته الآلهة فإنه يُؤثِر أن يموت غرقًا لا اختناقًا بقيئه. من فوقه تموَّج شراع الكوج القنَّبي بتؤدةٍ كفرو حيوانٍ عظيم بدأ يتحرَّك قيامًا من نومٍ طويل، ثم ملأه الهواء بصوتٍ حاد مباغت أدارَ كلَّ رأسٍ على متن السَّفينة.

ساقَت الرِّيح الكوج أمامها بعيدًا عن مساره المختار، ومن ورائهم تكوَّمت السُّحب السَّوداء بعضها فوق بعض في سماءٍ بحُمرة الدَّم، ومع انتصاف النَّهار رأوا البرق يسطع في الغرب، يتبعه هزيم الرَّعد البعيد. هاجَ البحر وماجَ، وارتفعَت الأمواج القاتمة تتكسَّر على بدن (الوكيل الزَّنخ)، وفي هذا الوقت تقريبًا بدأ الطَّاقم يُنزِل الشِّراع. كان تيريون بين الأقدام في منتصَف السَّفينة، فصعدَ إلى السَّلوقيَّة الأماميَّة وجلسَ القرفصاء هناك مستمتعًا بسياط المطر البارد الهاوية على وجهه. ارتفعَ الكوج وانخفضَ، يتقلَّب بضراوةٍ أشد من أيِّ حصانٍ ركبَه في حياته، تنهض به كلُّ موجةٍ قبل أن ينزلق إلى غورٍ بين أترابها فيرتجُّ تيريون ارتجاجًا حتى النُّخاع، وعلى الرغم من هذا أفضل له أن يبقى هنا حيث يُمكنه أن يرى من أن يحبس نفسه بالأسفل في قمرةٍ بلا تهوية.

حين انجابَت العاصفة أخيرًا كان المساء يدنو وابتلَّ تيريون لانستر حتى ثيابه الدَّاخليَّة، ومع ذلك أحسَّ بالانتشاء... وانتشى أكثر لاحقًا عندما وجدَ چورا مورمونت سكرانَ في بِركةٍ من القيء في قمرتهما.

مكثَ القزم في المطبخ بعد العَشاء، يحتفل بنجاته بمشاركة بضع جرعاتٍ من الرَّم الأسود القطراني مع طاهي السَّفينة، وهو رجل ڤولانتيني ضخم جلف ملوَّث بالشَّحم دومًا، يعرف كلمةً واحدةً فقط من اللُّغة العاميَّة هي «نكاح»، لكن براعته في لعب السايڤاس عظيمة، لا سيَّما حين يكون ثملًا. لعبا ثلاث مبارياتٍ ليلتها، كسبَ تيريون أولاها وخسرَ الاثنتين الأخريَيْن، وبعدها قرَّر أنه اكتفى وصعدَ متعثِّرًا إلى السَّطح كي يُصفِّي رأسه من الرَّم والأفيال على حدٍّ سواء.

وجدَ پني فوق السَّلوقيَّة الأماميَّة، حيث تعوَّد أن يجد السير چورا واقفًا عند الحاجز إلى جوار تمثال مقدِّمة السَّفينة البشع شِبه المتعفِّن، شاخصًا ببصره إلى البحر الحِبر.

من الوراء بدَت الفتاة كطفلةٍ صغيرة مستضعَفة. خطرَ لتيريون أن الأفضل ألَّا يُزعِجها، لكنها كانت قد سمعَته بالفعل، والتفتَت إليه قائلةً: «هيوجور هيل».

- «إذا أردتِ». *كلانا يعلم الحقيقة*. «آسفٌ لاقتحامي خُلوتكِ. سأخلدُ إلى النَّوم».

- «لا». رأى صحيفة وجهها شاحبةً حزينةً، وإن لم يبدُ أنها كانت تبكي. «أنا أيضًا آسفة لأني سكبتُ النَّبيذ في وجهك. ليس أنت من قتلَ أخي أو ذلك العجوز المسكين في (تايروش)».

- «لقد لعبتُ دورًا، وإن لم يكن باختياري».

- «أفتقده للغاية، أخي. إنني...».

- «مفهوم». وجدَ نفسه يُفكِّر في چايمي، وقال لها في سريرته: *اعتبري نفسكِ محظوظةً. أخوكِ ماتَ قبل أن يخونكِ*.

قالت: «ظننتُ أنني أريدُ أن أموت، لكن اليوم عندما ضربَتنا العاصفة وحسبتُ أن السَّفينة ستغرق...».

- «... أدركتِ أنك تُريدين الحياة رغم كلِّ شيء». *مررتُ بهذا أيضًا. شيء آخَر نشترك فيه.*

لِيني أسنان معوجَّة، وهو ما يجعلها تخجل من الابتسام، لكنها ابتسمَت الآن، وسألَته: «هل طهوت مطربًا في يخنةٍ حقًّا؟».

- «مَن؟ أنا؟ لا، لستُ أطهو».

حين قهقهَت لِيني بدَت كنفسها، كفتاةٍ عذبة صغيرة... في السَّابعة عشرة أو الثَّامنة عشرة، في التَّاسعة عشرة على الأكثر. «ماذا فعلَ هذا المطرب؟».

- «كتبَ أغنيَّةً عني». *هي عاره ونعيمه، هي كنزه وسِرُّ الأسرار. وهل تُقارَن سلسلة من الأيدي وقلعة بقُبلة امرأة؟* أدهشَته السُّرعة التي استعادَ بها الكلمات. ربما لم ينسَها قَطُّ. *الأيدي الذَّهب دومًا باردة، لكن يدَي المرأة تشعَّان دفئًا.*

- «مؤكَّد أنها كانت أغنيَّةً رديئةً للغاية».

- «ليس بالضَّبط. لم تكن (أمطار كاستامير) طبعًا، لكن بعض أبياتها كان...».

- «ماذا كانت تقول؟».

ضحكَ مجيبًا: «لا، لستِ تُريدين سماعي أغنِّي».

- «في طفولتنا تعوَّدت أمِّي الغناء لنا، أنا وأخي. قالت دومًا إن صوتك لا يهمُّ ما دُمت تحبُّ الأغنيَّة».

- «هل كانت...؟».

- «... شخصًا صغيرًا؟ لا. لكن أبي كان كذلك. حين كان في الثَّالثة باعَه أبوه لنخَّاس، لكنه كبرَ وأصبحَ ممثِّلًا شهيرًا واشترى حرِّيَّته. سافرَ إلى جميع المُدن الحُرَّة، وإلى (وستروس) أيضًا. في (البلدة القديمة) كانوا يدعونه بالفولة النطَّاطة».

طبعًا! حاولَ تيريون ألَّا يُبدي امتعاضه من الاسم.

تابعَت پني: «لقد ماتَ، وأمّي أيضًا. أوپو... كان آخِر من تبقّى من أسرتي، والآن ماتَ أيضًا»، وأشاحَت بوجهها تتطلّع إلى البحر، وقالت: «ماذا أفعلُ؟ أين أذهبُ؟ إنني لا أعرفُ أيَّ حِرفة، فقط استعراض النِّزال الذي يحتاج إلى شخصين».

فكَّر تيريون: *لا، ليس هذا شيئًا تُريدين التَّطرُّق إليه يا فتاة. لا تَطلُبيه مني. لا تُفكِّري فيه حتى.* قال على سبيل الاقتراح: «جدي لنفسكِ فتًى يتيمًا ملائمًا».

لم يبدُ أن پني سمعَته، إذ واصلَت: «كان النِّزال فكرة أبي. لقد درَّب الخنزيرة الأولى بنفسه، لكن المرض كان قد اشتدَّ عليه ولم يستطِع أن يركبها، فأخذَ أوپو مكانه، وركبتُ أنا الكلب دائمًا. قدَّمنا عرضًا أمام أمير البحر في (براڤوس) مرَّةً، وضحكَ بشدَّةٍ حتى إنه أعطى كلًّا منا لاحقًا... آه، هديَّةً فاخرةً».

- «وهناك وجدَتكما أختي؟ في (براڤوس)؟».

تساءلَت الفتاة حائرةً: «أختك؟».

- «الملكة سرسي».

هزَّت رأسها نفيًا، وقالت: «إنها لم... مَن جاءَنا رجل، في (پنتوس). أوزموند. لا، أوزوالد. شيء من هذا القبيل. أوپو قابلَه وليس أنا. أوپو هو مَن كان يُرتِّب اتِّفاقاتنا كلَّها. كان أخي يعرف ما يفعله دائمًا، وأين وجهتنا التَّالية».

- «(ميرين) وجهتنا التَّالية».

رمقَته باستغرابٍ قائلةً: «تعني (كارث). إننا ذاهبون إلى (كارث) عن طريق (جيس الجديدة)».

- «(ميرين). ستركبين كلبكِ أمام ملكة التَّنانين وتَخرُجين بوزنكِ ذهبًا. عليكِ أن تأكلي المزيد من الطَّعام كي تمتلئي وتبدي لائقةً وقت نزالكِ أمام جلالتها».

لم تردَّ پني الابتسامة التي منحَها إياها، وقالت: «كلُّ ما يُمكنني أن أفعله بمفردي أن أدور في دوائر. وحتى إذا ضحكَت الملكة، فأين أذهبُ بعدها؟ إننا لا نُطيل البقاء في مكانٍ واحد. أول مرَّةٍ يُشاهِدوننا يضحكون ويضحكون، لكن مع المرَّة الرَّابعة أو الخامسة يكونون قد عرفوا ما سنفعله قبل أن نفعله، وعندها يكفُّون عن الضَّحك، ونضطرُّ إلى الذَّهاب إلى مكانٍ جديد. نجني أكثر المال في المُدن الكبيرة، لكنني أحببتُ البلدات الصَّغيرة أكثر دومًا. في تلك الأماكن لا يملك النَّاس فضَّةً، لكنهم يُطعِموننا على موائدهم ويتبعنا الأطفال في كلِّ مكان».

لأنهم لم يروا قزمًا من قبل في بلداتهم البائسة القذرة. لو ظهرَت معزاة برأسين لتبعَها الصِّغار الملاعين أيضًا، إلى أن يملُّوا ثُغاءها ويذبحوها للعَشاء. على أن تيريون لا يرغب في جعلها تبكي ثانيةً، فبدلًا من الإفصاح عن أفكاره قال: «دنيرس طيِّبة القلب ومعطاءة بطبيعتها». هذا ما تحتاج إلى سماعه. «لا أشكُّ في أنها ستجد مكانًا لكِ في البلاط، مكانًا آمنًا بعيدًا عن متناول أختي».

عادَت تلتفت إليه قائلةً: «وأنت ستكون هناك أيضًا».

ما لم تُقرِّر دنيرس أنها تُريد أن تسفك القليل من دماء لانستر ثمنًا لدماء تارجاريَن التي سفكَها أخي. «نعم».

بعدها بدأت القزمة تُشاهَد على سطح السَّفينة أكثر. في اليوم التَّالي صادفَها تيريون ومعها خنزيرتها المرقَّطة في منتصَف السَّفينة عند انتصاف الظَّهيرة، وقت دفء الهواء وهدأة البحر. أخبرَته الفتاة بخجل: «اسمها الجميلة».

الخنزيرة الجميلة والفتاة پني. على أحدهم أن يدفع الثَّمن غاليًا. ناولَت پني تيريون بعض جوزات البلُّوط، وتركَ الجميلة تأكلها من يده، وبينما خنَّت الخنزيرة الكبيرة وقبعَت فكَّر: لا *تحسبي أني لا أرى ما تفعلينه يا فتاة*.

سرعان ما بدأ يتناوَلان وجباتهما معًا. في بعض اللَّيالي يجلسان وحدهما، وفي بعضها يُزاحِمان حَرس موكورو، الذين يُسمِّيهم تيريون «الأصابع النَّاريَّة»، بما أنهم من رجال اليد النَّاريَّة وهناك خمسة منهم. ضحكَت پني لمَّا سمعَت هذا، وكان صوتًا حُلوًا، ولو أنه لا يسمعه كثيرًا. ما زالَ جرحها حديثًا، وما زالَ حُزنها عميقًا.

لم يستغرق وقتًا طويلًا حتى جعلَها تُسمِّي السَّفينة (الوكيل الزَّنخ) بدورها، وإن اغتاظَت منه نوعًا متى دعى الجميلة بـ«اللَّحم المقدَّد»، وكي يُكفِّر تيريون عن هذا حاولَ أن يُعلِّمها لعب السايڤاس، لكنه أدركَ بعد قليل أنها قضيَّة خاسرة. مرارًا قال لها: «لا، التنِّين يطير، لا الأفيال».

في اللَّيلة نفسها سألَته بلا مواربةٍ إن كان يُريد أن يُواجِهها في النِّزال، فأجابَها: «لا»، ولم يَخطُر له إلَّا لاحقًا أنها ربما لم تعنِ بـ«النِّزال» نزالًا فعليًّا. لم تكن إجابته لتختلف، ولكن لكانت أقل فظاظةً.

في القمرة التي يقتسمها مع چورا مورمونت ظلَّ تيريون يتقلَّب فوق شبكته ساعاتٍ في نومٍ متقطِّع. امتلأت أحلامه بأيادٍ رماديَّة متحجِّرة تمتدُّ إليه من الضَّباب، وبسُلَّمٍ يقود إذا صعدَه إلى أبيه.

بعد لأيٍ كفَّ عن المحاولة وصعدَ إلى السَّطح طلبًا لهواء اللَّيل النَّقي. كانت (السِّلياسوري كُوران) قد طوَت شراعها المخطَّط الكبير وخلا سطحها تقريبًا. يقف أحد الوُكلاء فوق السَّلوقيَّة الأماميَّة، وفي منتصَف السَّفينة يجلس موكورو عند المستوقَد، حيث تتراقَص ألسنة لهبٍ قليلة بين الجذوات.

ليس جليًّا من النُّجوم إلَّا أسطعها، وكلُّها إلى الغرب، أمَّا السَّماء إلى الشَّمال الشَّرقي فيُنيرها وهج أحمر باهت ككدمةٍ دامية. في حياته لم يرَ تيريون قمرًا أكبر قَطُّ، قمرًا هائلًا يبدو كأنه ابتلعَ الشَّمس ابتلاعًا واستيقظَ مصابًا بحُمَّى، فيما يتوهَّج توأمه المنعكس على صفحة الماء وراء السَّفينة بالحُمرة مع كلِّ موجة.

سألَ موكورو: «ما السَّاعة؟ لا يُمكن أن يكون هذا شروق الشَّمس ما لم يكن الشَّرق قد تحرَّك. لماذا تتوهَّج السَّماء بالأحمر؟».

- «السَّماء حمراء دائمًا فوق (ڤاليريا) يا هيوجور هيل».

شعرَ بقشعريرةٍ باردة تسري على ظَهره، وقال: «أنحن قريبون؟».

أجابَ موكورو بصوته العميق: «أقرب مما يُريد الطَّاقم. هل تعرفون القصص في (ممالك غروب الشَّمس)؟».

- «أعرفُ أن بعض البحَّارة يقول إن من كلِّ من يقع ناظراه على هذا السَّاحل هالك». لا يُصدِّق تلك الحكايات عن نفسه، تمامًا مِثلما لم يُصدِّقها عمُّه. حين كان تيريون في الثَّامنة عشرة أبحرَ جيريون لانستر إلى (ڤاليريا) عازمًا على استعادة سيف عائلة لانستر المتوارَث المفقود وأيِّ كنوزٍ أخرى ربما نجَت من الهلاك. أرادَ تيريون بشدَّةٍ شديدة أن يذهب معه، لكن السيِّد والده دعا الرِّحلة بـ«المسعى الأحمق» وحرَّج عليه الاشتراك فيها.

وربما لم يكن مخطئًا. عقد كامل تقريبًا مرَّ منذ أقلعَت (الأسد الضَّاحك) من (لانسپورت)، ولم يَعُد جيريون. اقتفى الرِّجال الذين أرسلَهم اللورد تايوين للبحث عنه أثره حتى (ڤولانتيس)، حيث هجرَه نِصف أفراد طاقمه فاشترى عبيدًا لاستبدالهم، إذ لم يجد رجلًا حُرًّا مستعدًّا للالتحاق بطاقم سفينةٍ يتكلَّم رُبَّانها علنًا عن نيَّته الإبحار إلى (بحر الدُّخان). تساءلَ تيريون: «ما نراه منعكسًا على السُّحب إذن نيران (الأربع عشرة شُعلة)؟».

- «أربع عشرة شُعلةً أو أربعة عشر ألفًا. مَن يجرؤ على عدِّها؟ ليس من الحكمة أن يتطلَّع الفانون طويلًا إلى تلك النِّيران يا صديقي. إنها نيران غضبة الإله، ومُحال أن يُضاهيها لهب بَشري. إننا بنو الإنسان مخلوقات ضئيلة».

- «بعضنا أضأل من غيره». *(ڤاليريا)*. مكتوب أن في يوم الهلاك انشطرَ كلُّ تلٍّ على مسافة خمسمئة ميلٍ وامتلأ الهواء بالرَّماد والدُّخان والنَّار، بسعيرٍ جحيمي جائع ابتلعَ التَّنانين نفسها في السَّماء والتهمَها. انفتحَت في الأرض فلوق عظيمة مبتلعةً القصور والمعابد وبلداتٍ بأكملها، وغلَت مياه البُحيرات أو تحوَّلت إلى حمض، وتفجَّرت الجبال، ونفثَت نوافير ناريَّة صخرًا مصهورًا على ارتفاع ألف قدمٍ في الهواء، وانهمرَت من السَّحاب الأحمر أمطار من زُجاج التنِّين ودماء الشَّياطين السَّوداء، وإلى الشَّمال تشقَّقت الأرض وتهاوَت وانهارَت على نفسها وتدفَّق البحر الغاضب يملأها. زالَت دُرَّة مدائن العالم في لحظة، واختفَت إمبراطوريَّتها الأسطوريَّة في يوم، واحترقَت (أراضي الصَّيف الطَّويل) وغرقَت وبارَت.

إمبراطوريَّة مبنيَّة على الدَّم والنَّار. الڤاليريُّون حصدوا ما زرعوه. «هل ينوي رُبَّاننا اختبار اللَّعنة؟».

- «رُبَّانَنا يُحبِّذ أن يتوغَّل خمسين فرسخًا أخرى في البحر بعيدًا عن هذا السَّاحل الملعون، لكنني أمرته بأن يسلك الطَّريق الأقصر. ثمَّة آخَرون غيرنا يسعون إلى (دنيرس)».

جريف *وأميره الشَّاب*. أيُمكن أن حكايات إبحار الجماعة الذَّهبيَّة غربًا خدعة؟ عنَّ لتيريون أن يقول شيئًا لكنه أحجمَ، إذ بدا له أن النُّبوءة التي تُحرِّك الرُّهبان الحُمر تتَّسع لبطلٍ واحدٍ فحسب، ولن يُفضي وجود تارجاريَن ثانٍ إلَّا إلى إرباكهم. بحذرٍ سألَ: «هل رأيت هؤلاء الآخَرين في نيرانك؟».

أجابَه موكورو: «ظلالهم فقط، أحدها أكثر من غيره، شيء طويل شائه له عين سوداء واحدة وعشر أذرُع طويلة، يَمخُر عباب بحرٍ من الدَّم».

---

(54). كانت السُّفن القديمة، خصوصًا الحربي منها، تُجهَّز ببناءيْن محصَّنين في المقدِّمة والمؤخِّرة، يُطلَق على كلٍّ منهما سَلوقيَّة. (المُترجم).

(55). الكَراجِل مخلوقات أسطوريَّة ذات مظهرٍ مشوَّه مخيف مصوَّرة في منحوتاتٍ عدَّة، وبالأخص على الجدران الخارجيَّة لعديدٍ من كنائس العصور الوُسطى، حيث تتَّخذ شكل ميزاب ناتئ. (المُترجم).

القمر هلال رفيع حاد كنصل السكّين. تطلع شمس شاحبة وتَغرُب وتطلع من جديد، وتُوَشوِش الأوراق الحمراء في الرِّيح، ويملأ السَّحاب القاتم السَّماوات ويستحيل إلى عواصف، ويسنى البرق ويُقَعقِع الرَّعد، وحول صدعٍ في جانب التَّلِّ يحوم موتى سود الأيدي زُرق الأعيُن لكنهم لا يقدرون على الدُّخول.

وتحت التَّلِّ يجلس الصَّبي المكسور على عرشٍ من الويرِوود، يُصغي إلى الهمس في الظَّلام فيما تتمشَّى الغِدفان على ذراعيه.

قطعَ الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث له وعدًا حين قال: «لن تمشي ثانيةً أبدًا، لكنك ستطير».

أحيانًا ينساب صوت أغنيَّةٍ من مكانٍ ما بعيد بالأسفل. كانت العجوز نان لتدعو المغنِّين بأطفال الغابة، إلَّا أن الاسم الذي يُطلِقونه على أنفُسهم يعني «الذين يترنَّمون بأغنيَّة الأرض» في اللُّغة الحقَّة التي لا يستطيع أن يتكلَّمها إنسان.

لكن الغِدفان تتكلَّمها. أعيُنها السَّوداء الصَّغيرة زاخرة بالأسرار، وعندما تسمع الأغاني تنعق في وجهه وتَنقُر جِلده.

القمر بدر تام. تدور النُّجوم في سماءٍ سوداء، ويَسقُط المطر ويتجمَّد، وتنقصِم فروع الأشجار تحت وطأة الجليد. اختلقَ بران وميرا لمن يترنَّمون بأغنيَّة الأرض أسماءً على غرار رماد وورقة الشَّجر وحراشف والسكِّين الأسود وخُصل الثَّلج وفحم، بعد أن ذكرَت لهم ورقة الشَّجر أن أسماءهم الحقيقيَّة أطول من أن تلفظها ألسنة البَشر. وحدها تتكلَّم اللُّغةالعاميَّة، فلم يعرف بران قَطُّ رأي الآخَرين في أسمائهم الجديدة.

بعد ما عانوه في أراضي ما وراء (الجِدار) من بردٍ يطحن العظم طحنًا وجدوا الكهوف تتنعَّم في الدِّفء، وحين تتسلَّل البرودة من الصَّخر يُشعِل المغنُّون نارًا تَطرُدها من جديد. هنا بالأسفل لا ريح ولا ثلج ولا جليد، لا أشياء ميتة تمدُّ أيديها باغيةً القبض عليك، فقط الأحلام وضوء المشاعل وقُبلات الغِدفان.

والهامس في الظَّلام.

يدعوه المغنُّون بآخِر الأنبياء الخُضر، لكنه لا يزال في أحلام بران غُرابًا ذا أعيُنٍ ثلاث. عندما سألَته ميرا ريد عن اسمه الحقيقي أطلقَ صوتًا مريعًا ربما كان قهقهةً، وقال: «حملتُ أسماء كثيرةً حين كنتُ قادرًا على الحركة، لكن حتى أنا كانت لي أُم ذات يوم، والاسم الذي أطلقَته عليَّ رضيعًا هو برايندن».

قال بران: «لي عمٌّ اسمه برايندن. إنه عمُّ أميِّ في الحقيقة، يُسمَّى برايندن السَّمكة السَّوداء».

- «ربما سُمِّيَ عمُّك على اسمي. ما زالَ بعضهم يُسمَّى هكذا، ولكن ليس كثيرًا كما من قبل. النَّاس ينسون. وحدها الأشجار تَذكُر». صوته خفيض للغاية حتى إن بران يُرهِف إليه سمعه كلَّه كي يسمع.

شرحَت له المغنِّية التي تُسمِّيها ميرا ورقة الشَّجر: «أكثره ذهبَ إلى داخل الشَّجرة. لقد تجاوزَ سِنِي عُمره البَشري، ورغم ذلك ما زالَ باقيًا، من أجلنا ومن أجلكم ومن أجل بلدان البَشر. ما تبقَّى في جسده من قوَّةٍ زهيد. إن له ألف عينٍ وعين، لكن ما عليه أن يُشاهِده كثير. يومًا ما ستعلم».

بعدها جاءَ الأخوان ريد وفي يد كلٍّ منهما مشعل وهَّاج ليحملاه إلى التَّجويف الصَّغير عند الغار الكبير، حيث أعدَّ لهم المغثُّون أسرَّةً ينامون عليها. عندئذٍ سألَهما: «ماذا سأعلمُ؟ ما الذي تَذكُره الأشجار؟».

أجابَه چوچن ريد: «أسرار الآلهة القديمة». ردَّ الطَّعام والدِّفء والرَّاحة إليه عافيته بعد صعاب رحلتهم، وإن بدا الآن أكثر حُزنًا، مكتئبًا، في عينيه نظرة تعِبة مسكونة بالأسى. «حقائق عرفَها البَشر الأوائل ومنسيَّة الآن في (وينترفل)... ولكن ليس في البراري البليلة. إننا نعيش أدنى إلى الخُضرة في مستنقعاتنا وبِركنا، ونَذكُر. الأرض والماء، والتُّربة والحجارة، والسَّنديان والدَّردار والصَّفصاف، كلُّها هنا من قبلنا جميعًا وستبقى هنا بعد رحلينا».

قالت ميرا: «وكذلك أنت».

أحزنَ قولها بران، وكادَ يسألها: *وماذا لو أنني لا أريدُ أن أبقى بعد رحيلكم؟* لكنه ابتلعَ الكلمات قبل أن يلفظها. إنه على شفا بلوغ مبلغ الرِّجال، ولا يُريد أن تحسبه ميرا طفلًا بكَّاءً، وهكذا قال بدلًا من ذلك: «قد يُمكنكما أن تصيرا من الأنبياء الخُضر أيضًا».

هذه المرَّة كانت نبرة ميرا هي الحزينة إذ ردَّت: «لا يا بران».

أضافَ چوچن: «قلائل يُمنَحون فُرصة أن يشربوا من هذه النَّافورة الخضراء وهُم أحياء في أجسادهم الفانية، أن يسمعوا همس ورق الأشجار ويرون كما ترى، كما ترى الآلهة. أكثر النَّاس ليس ميمونًا هكذا. الآلهة أعطَتني الأحلام الخضراء وحسب. كانت مهمَّتي أن آتي بك هنا، وبعد ذلك انتهى دوري».

القمر ثقب أسود في السَّماء. تعوي الذِّئاب في الغابة وتقتفي آثار الأشياء الميتة بأنوفها عبر أكوام الثَّلج، وينبثق سرب من الغِدفان من جانب التَّلِّ بأجنحةٍ سوداء تخفق فوق عالمٍ أبيض، وتُشرِق شمس حمراء وتغيب وتُشرِق مجدَّدًا صابغةً الثُّلوج بدرجات الوردي والقرنفلي، وتحت التَّلِّ يجلس چوچن بوجومٍ وتتملمَل ميرا ويجول هودور في الأنفاق المظلمة بسيفٍ في يُمناه ومشعلٍ في يُسراه. أم أن بران هو من يجول؟

يجب ألَّا يعرف أحد أبدًا.

الغار العظيم الذي ينفتح على الهاوية أسود كالقار، أسود كالقطران، أحلك سوادًا من ريش الغِربان، يَدخُله الضَّوء متطفِّلًا فقط، غير مرغوب فيه وغير مرحَّب به، وسرعان ما يغيب ثانيةً. تشتعل بؤر الطَّهو والشُّموع وأوراق نبات الأسَلة فترةً قصيرةً ثم تنطفئ من جديدٍ وقد بلغَت حياتها الوجيزة منتهاها.

صنعَ المغنُّون لبران عرشه الخاص، كذلك الذي يجلس عليه اللورد برايندن، عرشًا من خشب الويرووود المبرقش بالأحمر، تنفذ فيه الفروع الميتة من الجذور الحيَّة، ووضعوه في الغار العظيم عند الهاوية، حيث تتردَّد في الهواء الأسود أصداء مياهٍ تجري بعيدًا بالأسفل. وصنعوا له وسادةً من الطَّحالب الخضراء النَّاعمة، وما إن أنزَلوه في مكانه دثَّروه بالأغطية الفرو الثَّقيلة.

وهناك يجلس يُصغي إلى همسات معلِّمه المبحوحة. «إياك أن تخاف الظُّلمة يا بران». يصحب كلام اللورد حفيف الأوراق الخافت، وميل خفيف في رأسه. «أشد الأشجار بأسًا جذوره موغلة في بقاع الأرض المظلمة. ستكون الظُّلمة معطفك وتُرسك ولبن أمِّك. الظُّلمة ستجعلك قويًّا».

القمر هلال رفيع حاد كنصل السكِّين. من السَّماء تنزل نُدف الثَّلج بلا صوتٍ لتكسو شجر الحارس والصَّنوبر الجُندي بالأبيض، وتتراكَم الثُّلوج حتى تُغطِّي مدخل الكهوف تاركةً جِدارًا أبيض يضطرُّ سَمر إلى الحفر فيه متى خرجَ لينضمَّ إلى قطيعه ويصطاد. في تلك الأيام لا يُرافِق بران الذِّئاب، لكنه يُشاهِدها في بعض اللَّيالي من أعلى.

الطَّيران أفضل من التَّسلُّق حقًّا.

أصبحَ تلبُّس سَمر بسهولة ارتداء سراويله قبل انكسار ظَهره، أمَّا تبديل جِلدته بريش غُدافٍ أسود كاللَّيل فأصعب، ولكن ليس بالصُّعوبة التي خشيَها، ليس مع هذه الغِدفان التي قال عنها اللورد برايندن: «الفحل البرِّي يُقاوِم ويَرفُس عندما يُجرِّب رجل امتطاءه، ويُحاوِل أن يعضَّ اليد التي تضع حديدة اللِّجام بين أسنانه، لكن الحصان الذي عرفَ راكبًا واحدًا سيقبل غيره. كبيرها وصغيرها، هذه الطُّيور كلُّها عرفَت راكبين سابقين. اختَر أحدها الآن وطِر».

اختارَ طائرًا ثم آخَر بلا نجاح، لكن الغُداف الثَّالث رمقَه بعينين سوداوين نبيهتين وحنى رأسه جانبًا ونعبَ، وفي غمضة عينٍ لم يَعُد بران صبيًّا يَنظُر إلى غُدافٍ وإنما صارَ غُدافًا يَنظُر إلى صبي. تعاظمَت أنشودة النَّهر فجأةً، وتأجَّج وهج المشاعل، وأفعمَت الهواء روائح غريبة. حين حاولَ أن يتكلَّم خرجَ كلامه صرخةً، وانتهَت تجربة طيرانه الأولى باصطدامه بحائطٍ وعودته إلى جسده المكسور. لم يتأذَّ الغُداف، وحلَّق إليه وحطَّ على ذراعه، ليُملِّس بران على ريشه ويتلبَّسه من جديد، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يجد نفسه طائرًا في أنحاء الغار متفاديًا الأسنان الحجريَّة الطَّويلة المتدلِّية من السَّقف، بل وحلَّق فوق الهاوية وغاصَ في أعماقها السَّوداء الباردة.

ثم إنه أدركَ أنه ليس وحده، ولمَّا عادَ إلى جِلدته أخبرَ اللورد برايندن: «أحد آخَر كان في داخل الغُداف، فتاة ما. لقد شعرتُ بها».

قال معلِّمه: «إنها امرأة ممَّن يترنَّمون بأغنيَّة الأرض، ماتَت منذ زمنٍ طويل، لكن جزءًا منها يبقى، تمامًا كما سيبقى جزء منك في سَمر إذا ماتَ جسدك الصَّبي غدًا. إنه ظِلٌّ على الرُّوح. لن تُؤذيك».

- «هل داخل جميع الطُّيور مغنُّون؟».

أجابَ اللورد برايندن: «جميعها. المغنُّون هُم من علَّموا البَشر الأوائل إرسال الرَّسائل عن طريق الغِدفان... لكن في تلك الأيام كانت الطُّيور تنقل الرِّسالة شفاهةً. الأشجار تَذكُر، أمَّا البَشر فينسون، والآن يكتبون رسائلهم على ورقٍ ويربطونها حول أرجُل طيورٍ لم يُشارِكوها جِلدتها قطُّ».

يَذكُر بران أن العجوز نان حكَت له هذه القصَّة من قبل، لكن حين سألَ روب عن صحّتها ضحكَ أخوه وسألَه إن كان يعتقد في وجود الجرامكِنات أيضًا. كم يتمنّى لو كان روب معهم الآن. *كنتُ لأخبره بأنني أستطيعُ الطَّيران. ما كان ليُصدِّقني، وكنتُ لأُريه. أراهِنُ أنه كان ليستطيع الطَّيران أيضًا، هو وآريا وسانزا، وحتى ريكون الصَّغير وجون سنو. لأصبحنا غِدفانًا جميعًا وعشنا في مِغدفة المِايستر لوين.*

مجرَّد حُلمٍ سخيف آخَر. في بعض الأيام يُسائِل بران نفسه إن كان كلُّ هذا أضغاث أحلام. ربما غابَ في النَّوم على الثَّلج بالخارج ويَحلُم بنفسه في مكانٍ آمن دافئ. عندها يقول لنفسه: *يجب أن تستيقظ، يجب أن تستيقظ الآن وإلَّا ظللت تَحلُم حتى الموت.* مرَّةً أو مرَّتين قرصَ ذراعه بشدَّةٍ فآلمَها لا أكثر. في البداية حاولَ عدَّ الأيام بملاحظة متى ينام ومتى يصحو، لكن ها هنا يتمازَج النَّوم واليقظة، فأمسَت الأحلام دروسًا، والدُّروس أحلامًا، والأشياء تَحدُث في آنٍ واحدٍ أو لا تَحدُث على الإطلاق. هل فعلَ هذا أو ذاك حقًّا أم رآه في المنام فقط؟

ذات يومٍ بعد أن تعلَّم بران الطَّيران قال اللورد برايندن: «إنسان واحد في الألف يُولَد مبدِّل جِلدة، ومبدِّل جِلدة واحد في الألف يُصبِح نبيًّا أخضر».

- «ظننتُ أن الأنبياء الخُضر سحرة الأطفال، أعني المغنِّين».

- «بشكلٍ ما. مَن تُسمِّيهم أطفال الغابة لهم أعيُن ذهبيَّة كالشَّمس، لكن كلَّ حينٍ من الدَّهر يُولَد أحدهم بعينين حمراوين كالدَّم أو خضراوين كالطُّحلب على شجرةٍ في قلب الغابة. بهذه الأمارة تَسِم الآلهة من اختارَتهم لتلقِّي الهبة. ليس المختارون أقوياء، وسِنِي حياتهم على الأرض معدودة، فلا بُدَّ لكلِّ أغنيَّةٍ من ميزان، ولكن حالما يذهبون إلى داخل الأشجار تمتدُّ حياتهم طويلًا حقًّا. ألف عين، ومئة جسد، وحكمة عميقة كجذور الأشجار الضَّاربة في القِدم. إنهم الأنبياء الخُضر».

لم يفهم بران، وهو ما قادَه إلى استفسار الأخوين ريد، فسألَه چوچن: «هل تحبُّ قراءة الكُتب يا بران؟».

- «بعضها. أحبُّ قِصص القتال. أختي سانزا تحبُّ قِصص التَّقبيل، لكنها قِصص بلهاء».

قال چوچن: «القارئ يعيش ألف حياةٍ قبل أن يموت، ومن لا يقرأ أبدًا يعيش حياةً واحدةً. لم يكن عند مغنيِّي الغابة كُتب أو أحبار أو رقوق أو لُغة مكتوبة، وبدلًا منها كانت عندهم الأشجار، وعلى رأسها الويرwood. حين يموتون يذهبون إلى داخل الأشجار، إلى داخل الأوراق والأغصان والجذور، والأشجار تَذكُر أغانيهم وتمائمهم وتواريخهم وصلواتهم كلَّها، تَذكُر كلَّ ما عرفوه عن هذا العالم. المِايسترات يقولون إن أشجار الويرwood مقدَّسة عند الآلهة القديمة، والمغنُّون مؤمنون بأنها هي نفسها الآلهة القديمة، وعندما يموتون يصيرون جزءًا من هذه الألوهيَّة».

اتَّسعت عينا بران، وتساءلَ: «سيَقتُلونني؟».

أجابَته ميرا: «لا. چوچن، إنك تُخيفه».

- «ليس هو من عليه أن يخاف».

القمر بدر تام. يجوب سَمر الغابة الصَّامتة، ظِلٌّ رمادي طويل يزداد هزالًا مع كلِّ رحلة صيدٍ لانعدام الفرائس الحيَّة. ما زالَت الحماية على مدخل الكهوف راسخةً، والموتى لا يستطيعون الدُّخول، وقد دفنَت الثُّلوج أكثرهم ثانيةً، لكنهم لا يزالون هناك، مخبَّئين، متجمِّدين، منتظرين. أشياء ميتة أخرى أتَت تنضمُّ إليهم، أشياء كانت من قبل رجالًا ونساءً وأطفالًا أيضًا. على الفروع البنِّيَّة الجرداء تجثم غِدفان ميتة يكسو أجنحتها الجليد، وجاءَ دُبُّ ثلوجٍ ضخم مهزول مقتحمًا الدَّغل، نِصف لحم رأسه مفقود يكشف عن الجمجمة أسفله. انقضَّ سَمر وقطيعه عليه ومزَّقوه أشلاءً، وبعدها التهموه مع أن اللَّحم كان متعفِّنًا شِبه متجلِّد، وراحَ يتحرَّك حتى وهُم يأكلونه.

عندهم تحت التَّلِّ طعام يأكلونه. هنا ينبت مئة نوع مختلف من الفطر، وتسبح أسماك بيضاء عمياء في النَّهر الأسود، لكن مذاقها حين تُطهى لا يقلُّ جودةً عن مذاق الأسماك ذات الأعيُن، كما أنهم يأتون بالجُبنة والحليب من الماعز التي تُشارِك المغنِّين سُكنى الكهوف، ووجدوا أيضًا القليل من الشُّوفان والشَّعير والفواكه المجفَّفة وغيرها من المؤن التي ادُّخِرَت خلال الصَّيف الطَّويل. كلَّ يومٍ تقريبًا يأكلون يخنة الدَّم المثخَّنة بالشَّعير والبصل وقطع من اللَّحم الذي يرى چوچن أنه لحم سناجب، فيما تقول ميرا إنه لحم جرذان، لكن بران لا يُبالي. إنه لحم وطيِّب المذاق، وقد جعلَه الطَّهو البطيء طريًّا.

الكهوف سرمديّة شاسعة صامتة، تُؤوي أكثر من ستّين من المغنّين الأحياء وعظام ألفٍ من الموتى، وتمتدُّ بعيدًا تحت التّلّ الأجوف. حذّرتهم ورقة الشّجر قائلةً: «لا ينبغي أن يتجوّل البَشر بلا هدى في هذه الكهوف. النّهر الذي تسمعونه أسود سريع، ويتدفّق إلى أسفل وأسفل نحو بحرٍ لا يرى الشّمس. وثمّة ممرّات أعمق من هذا، حُفر بلا قرار وآبار لا تتوقّعون وجودها، طُرق منسيّة تقود إلى مركز الأرض ذاته. قومي أنفُسهم لم يستكشفوها كلّها مع أننا نعيش هنا منذ ألف ألف عامٍ من أعوامكم البَشريّة».

على الرغم من أن بَشر (الممالك السّبع) يدعونهم بأطفال الغابة فإن ورقة الشّجر وقومها أبعد ما يكون عن الطّفولة. ربما كان اسم «قوم الغابة الحُكماء الصّغار» أدنى إلى الصّواب. إنهم صغار الحجم مقارنةً بالبَشر، كالذّئب العادي الذي يقلُّ حجمه عن الذّئب الرّهيب، لكن هذا لا يعني أنه جرو. لهم بشرة بنّيّة كالجوز مبرقشة ببقاعٍ أبهت كجِلد الغزلان، وآذان كبيرة تسمع ما لا يسمعه الإنسان، وأعيُن كبيرة أيضًا، أعيُن قِططيّة ذهبيّة مستديرة ترى في ممرّاتٍ لا يُبصِر الصّبي فيها إلّا ظلامًا، وفي أيدي كلٍّ منهم ثلاثة أصابع وإبهام فقط، ومنها تَبرُز مخالب سوداء حادّة بدلًا من الأظفار.

كما أنهم يُغنُّون... يُغنُّون باللُّغة الحقّة فلا يفهم بران كلماتهم، لكن أصواتهم نقيّة كهواء الشّتاء.

في مرّةٍ سألَ ورقة الشّجر: «ماذا جرى لبقيّتكم؟».

أجابَته: «ذهبوا إلى باطن الأرض، إلى الأحجار والأشجار. قبل مجيء البَشر الأوائل كانت كلُّ هذه الأرض التي تُسمُّونها (وستروس) وطننا، لكن حتى في تلك الأيام كنا قليلين. الآلهة منحَتنا الأعمار الطَّويلة ولكن ليس الأعداد الغفيرة، وإلَّا لاجتحنا العالم كما تجتاح الغزلان غابةً عندما لا تُوجَد ذئاب تصطادها. كان ذلك في فَجر العصور وقت أن كانت شمسنا في مشرقها، لكنها تغوص الآن في الغرب، وهذا هو اضمحلالنا الطَّويل. يكاد العماليق يختفون أيضًا، هؤلاء الذين كانوا بليَّتنا وإخوتنا، وأُسود الثِّلال الغربيَّة العظيمة قُتِلَت، واليونيكورنات تكاد تنقرض، والماموثات انخفضَت أعدادها لبضع مئات. ستبقى الذِّئاب الرَّهيبة بعدنا جميعًا، لكن أجلها سيأتي أيضًا. في العالم الذي بناه الإنسان لا مكان لها أو لنا».

بدَت حزينةً حين قالت هذا، وأحزنَ حُزنها بران بدوره، ولاحقًا فقط فكَّر: *ما كان البَشر ليحزنوا. كان البَشر ليغضبوا ويبغضوا ويُقسِموا على الانتقام الدَّامي. المغنُّون يُردِّدون الأغاني الحزينة، والبَشر يُقاتِلون ويَقتُلون*.

في أحد الأيام قرَّرت ميرا وچوچن الذَّهاب لرؤية النَّهر على الرغم من تحذيرات ورقة الشَّجر، فقال بران: «أريدُ أن آتي أيضًا».

رمقَته ميرا بأسى، وشرحَت له أن النَّهر يَبعُد ستَّمئة قدمٍ بالأسفل، تقود إليه منحدرات حادَّة وممرَّات ملتوية، والجزء الأخير يتطلَّب استخدام الحبال. «لن يستطيع هودور النُّزول بك على ظَهره أبدًا. آسفة يا بران».

تذكَّر بران الماضي حين لم يكن أحد يُباريه في التَّسلُّق، حتى روب وچون. أرادَ جزء منه أن يزعق فيهما لتركه، وأرادَ جزء آخَر أن يبكي، لكنه يكاد يُصبِح رجلًا بالغًا، فلم يقل شيئًا. فقط بعد ذهابهم انسلَّ إلى داخل هودور وتبعَهما.

لم يَعُد عامل الاسطبلات الكبير يُقاوِمه كما فعلَ أول مرَّة في بُرج البُحيرة خلال العاصفة، وككلبٍ أفرغَه صاحِبه من المقاومة بالسَّوط يتكوَّر هودور على نفسه ويختبئ كلَّما مدَّ بران نفسه إليه. في مكانٍ ما في أعماقه يختبئ، في حُفرةٍ لا يستطيع بران نفسه أن يمسَّه فيها. قال بصمتٍ للرَّجل الطِّفل الذي استولى على جسده: *لا أحد يُريد أن يُؤذيك يا هودور. أريدُ فقط أن أشعر بالقوَّة ثانيةً لبعض لوقت. سأعيده إليك كما أفعل دومًا.*

لا أحد يعرف أبدًا حين يتلبَّس هودور. ما على بران إلَّا أن يبتسم ويفعل ما يُقال له ويُتمتِم: «هودور» بين الحين والآخَر، وبإمكانه أن يتبع ميرا وچوچن مبتسمًا بسعادةٍ دون أن يشكَّ أحد في أنه هو في الحقيقة. غالبًا ينضمُّ إليهما سواء أكان مرغوبًا في وجوده أم لا، وفي النِّهاية سُرَّ الأخوان ريد لمجيئه. نزلَ چوچن على الحبل بسهولة، لكن بعد أن صادَت ميرا سمكةً بيضاء عمياء برُمح الضَّفادع وحانَ وقت التَّسلُّق بدأت ذراعاه ترتجفان ولم يقوَ على بلوغ القمَّة، فربطَته بالحبل وجعلَت هودور يسحبه إلى أعلى، وكلَّما شدَّ همهمَ: «هودور، هودور، هودور، هودور».

القمر هلال رفيع حاد كنصل السكّين. نبشَ سَمر الأرض وأخرجَ ذراعًا مبتورةً سوداء مكسوّةً بالصّقيع، تنفتح أصابعها وتنغلق إذ تسحب نفسها على الثّلج المتجلّد. وجدَ فيها لحمًا يكفي لمَلء معدته الفارغة، وبعدها كسرَ العظم ليمتصّ النُّخاع، وعندئذٍ فقط تذكَّرت الذِّراع أنها ميتة.

يأكل بران مع سَمر وقطيعه كذئب، وكغُدافٍ يطير مع السِّرب، يدور حول التّلِّ عند الغروب ويترصّد الأعداء ويَشعُر بلمسة الهواء الجليديّة، وكهودور يستكشف الكهوف. وجدَ حُجراتٍ ملأى بالعظام وآبارًا طبيعيّةً سحيقةً غائرةً في باطن الأرض، ومكانًا تتدلّى فيه هياكل خفافيش عملاقة بالعكس من السّقف، كما عبرَ الجسر الحجري الرّفيع الذي يمتدّ مقوّسًا فوق الهوّة واكتشفَ مزيدًا من الحُجرات والممرّات على الجانب الآخر. كانَ أحدها مليئًا بالمغنّين المعشّشين مِثل برايندن على عروشٍ من جذور الويروود الملتوية تحت وعبر وحول أجسادهم. بدا له معظمهم ميتًا، لكن إذ مرّ أمامهم انفتحَت أعيُنهم وتبعَت ضوء المشعل، وفتحَ أحدهم فمه وأغلقَه كأنه يُحاوِل الكلام، فقال له بران: «هودور»، وشعرَ بهودور الحقيقي يتحرّك في حُفرته.

جالسًا على عرش الجذور في الغار العظيم، نِصف جثّةٍ ونِصف شجرة، يبدو اللورد برايندن أقرب إلى تمثالٍ مخيف من الأخشاب الملتوية والعظام القديمة والصّوف البالي. الشّيء الوحيد الذي تلوح فيه حياة في خراب وجهه الشّاحب هو عينه الواحدة الحمراء، تتّقد كالجمرة الأخيرة في نارٍ محتضرة، وتُحيط بها الجذور وقطع الجِلد اليابس العالقة بجمجمةٍ مصفرّة.

ما زالَ منظره يُخيف بران... جذور الويرووود السَّاعية كالحيَّة من لحمه الذَّاوي وإليه، والفطر النَّابت من وجنتيه، والدُّودة الخشبيَّة البيضاء البارزة من محجر عينه الخاوي. يرتاح بران أكثر عندما تنطفئ المشاعل، ففي الظَّلام يُمكنه أن يتظاهَر بأن محدِّثه هو الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث لا جثَّة متكلِّمة رهيبة.

يومًا ما سأكونُ مِثله. أفعمَ الخاطر بران بالخوف. سيِّئ بما فيه الكفاية أنه مكسور، أن ساقيه عديمتا الفائدة، فهل محكوم عليه بأن يفقد البقيَّة أيضًا ويقضي ما تبقَّى من حياته مع شجرة ويرووود تنمو في داخله ومن خلاله؟ أخبرَته ورقة الشَّجر بأن اللورد برايندن يستمدُّ حياته من الشَّجرة، وبأنه لا يأكل أو يشرب، بل ينام ويَحلُم ويُشاهِد. *كنتُ سأصبحُ فارسًا. اعتدتُ أن أجري وأتسلَّق وأقاتل*. كأن ألف سنةٍ مرَّت منذ ذلك الحين.

وماذا يكون الآن؟ بران الصَّبي المكسور فحسب، براندون سليل عائلة ستارك، أمير مملكةٍ مفقودة، سيِّد قلعةٍ محروقة، إرثه أطلال. لقد حسبَ أنه سيجد الغُراب ذا الأعيُن الثَّلاث مشعوذًا، ساحرًا عجوزًا حكيمًا يستطيع أن يشفي ساقيه، لكنه يُدرِك الآن أن ذلك كان حُلم طفلٍ سخيف. *كبرتُ على تلك الخيالات. ألف عين، ومئة جسد، وحكمة عميقة كجذور الأشجار الضَّاربة في القِدم*. كأنه في حُكم الفارس. *أو أدنى إليه على كلِّ حال*.

القمر ثقب أسود في السّماء. خارج الكهف يمضي العالم، خارج الكهف تطلع الشّمس وتغيب ويدور القمر وتعوي الرّياح الباردة، وتحت التّلّ باتَ چوچن ريد أكثر وجومًا وانعزالًا. كثيرًا ما تجلس أخته المكروبة مع بران عند نارهم الصّغيرة تتكلّم عن كلّ شيءٍ ولا شيء، تُداعِب سَمر حين ينامٍ بينهما فيما يجوب أخوها الكهوف بمفرده. تعوّد چوچن أيضًا أن يتسلّق إلى مدخل الكهوف إذا كان النّهار ساطعًا، وهناك يقف ساعاتٍ يتطلّع إلى الغابة وقد تدثّر بالفرو، ومع ذلك يرتجف.

أخبرَت ميرا بران: «يُريد أن يعود إلى الدّيار. إنه يَرفُض أن يُقاوِم مصيره حتى، ويقول إن الأحلام الخضراء لا تكذب».

ردّ بران: «إنه يتصرّف بشَجاعة». ذات مرّةٍ منذ ردحٍ من الزّمن قال له أبوه: *ليس من الممكن أن يكون الرّجل شُجاعًا إلّا وهو خائف*. كان هذا يوم عثروا على جِراء الذّئبة الرّهيبة في ثلوج الصّيف. ما زالَ يَذكُر.

قالت ميرا: «إنه يتصرّف بحماقة. كنتُ آملُ حين نجد غُرابك ذا الأعيُن الثّلاث أن... الآن أتساءلُ لِمَ أتينا من الأصل».

فكّر بران: *من أجلي*، وقال: «أحلامه الخضراء».

ردّدت ميرا بمرارة: «أحلامه الخضراء».

وقال هودور: «هودور».

وأجهشَت ميرا بالبُكاء.

كرةَ بران إعاقته لحظتها، وقال لها: «لا تبكي». أرادَ أن يحتويها بين ذراعيه، أن يضمَّها إليه بشدَّةٍ كما كانت أمُّه تضمُّه في (وينترفل) عندما يُؤذي نفسه. إنها هناك، أمامه مباشرةً، لا يفصل بينهما إلَّا أقدام قليلة، ولكن بعيدة عن متناوله كأن بينهما مئة فرسخ. لكي يمسَّها عليه أن يسحب نفسه على الأرض بيديه ويجرَّ ساقيه خلفه، والأرض صُلبة وغير مستوية، وستكون رحلته طويلةً ملأى بالاحتكاك والارتطام. *يُمكنني أن أضع جِلدة هودور. سيحتضنها هودور ويُربِّت على ظَهرها*. أشعرَت الفكرة بران بالغرابة، لكنه كان لا يزال يُفكِّر فيها عندما اندفعَت ميرا مبتعدةً عن النَّار إلى ظُلمة الأنفاق، وسمعَ خُطواتها تَخفُت إلى أن غابَت وتبقَّت أصوات المغنِّين.

القمر هلال رفيع حاد كنصل السكِّين. تتوالى الأيام واحدًا تلو الآخَر، كلُّ نهارٍ أقصر من سابقه وكلُّ ليلةٍ أطول. لا يصل ضوء الشَّمس إلى الكهوف تحت التَّلِّ أبدًا، ولا يَبلُغ ضوء القمر هذه الأبهاء الحجريَّة أبدًا، وحتى النُّجوم هنا كالغُرباء. تلك الأشياء تنتمي إلى العالم بالأعلى، حيث يمضي الزَّمن في دوائره الحديديَّة من نهارٍ إلى ليلٍ إلى نهارٍ إلى ليلٍ إلى نهار.

قال اللورد برايندن: «حانَ الوقت».

أرسلَ شيء ما في صوته أصابع جليديَّةً تجري على ظَهر بران الذي تساءلَ: «حانَ الوقت لماذا؟».

- «للخُطوة التَّالية، أن تتجاوزَ تبديل الجِلدة وتتعلَّم معنى أن تكون نبيًّا أخضر».

قالت ورقة الشَّجر: «الأشجار ستُعلِّمه»، وأشارَت لتتقدَّم واحدة أخرى من المغنِّين، ذات الشَّعر الأبيض التي تدعوها ميرا بخُصل الثَّلج، في يدها وعاء من خشب الويرووود منقوشة عليه دستة من الوجوه كأشجار القلوب، وفي الوعاء معجون أبيض ثخين ثقيل تتخللهُ عروق حمراء قانية. قالت ورقة الشَّجر: «يجب أن تأكل هذا»، وناولَت بران ملعقةً خشبيَّةً.

حدجَ الصَّبي الوعاء بريبةٍ متسائلًا: «ما هذا؟».

- «معجون من بذور الويرووود».

أشعرَ شيء ما في منظر المعجون بران بالغثيان. العروقُ الحمراء هي نُسغ الويرووود على ما يبدو، لكنها تُشبِه الدَّم للغاية في ضوء المشاعل. غمسَ الملعقة في المعجون، ثم تردَّد لحظةً ليسأل: «هل سيجعلني هذا نبيًّا أخضر؟».

قال اللورد برايندن: «دماؤك تجعلك نبيًّا أخضر، أمَّا هذا فسيُساعِدك على إيقاظ مواهبك وتزويجك بالأشجار».

لا يُريد بران أن يتزوَّج شجرةً... ولكن مَن غيرها يتزوَّج صبيًّا مكسورًا مِثله؟ *ألف عين، ومئة جسد، وحكمة عميقة كجذور الأشجار الضَّاربة في القِدم. نبي أخضر.*

وأكلَ بران.

للمعجون مذاق مُر، ولكن ليس بمرارة معجون جوز البلُّوط. كانت الملعقة الأولى الأصعب في الابتلاع وكادَ يتقيَّأها، لكنه وجدَ الثَّانية أفضل، والثَّالثة أقرب إلى الحلاوة، والبقيَّة التهمَها بنهم. لماذا حسبَ المعجون مُرًّا؟ إن له طَعم العسل والثَّلج السَّاقط لتوِّه، طَعم الفلفل والقرفة وآخِر قُبلةٍ ذاقَها من أمِّه. انزلقَ الوعاء الخالي من يده وسقطَ على أرض الغار، وقال بران: «لا أشعرُ باختلاف. ما المفترَض أن يَحدُث الآن؟».

مسَّت ورقة الشَّجر يده، وقالت: «الأشجار ستُعلِّمك، الأشجار تَذكُر»، ورفعَت يدها، وبدأ المغنُّون الآخَرون يتحرَّكون في أرجاء الغار مطفئين المشاعل، واشتدَّت الظُّلمة وزحفَت نحوهم.

قال الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث: «أغلِق عينيك واخرُج من جِلدتك كما تفعل عندما تتوحَّد مع سَمر، لكن هذه المرَّة اذهب إلى داخل الجذور، اتبعها إلى أعلى عبر التُّربة، إلى الأشجار فوق التَّلِّ، وأخبِرني بما تراه».

أغلقَ بران عينيه وخرجَ من جسده مفكِّرًا: *إلى داخل الجذور، إلى داخل الويروود*. للحظةٍ رأى الغار الملتحف بالأسود وسمعَ النَّهر المتدفِّق بعيدًا بالأسفل.

وعلى حين غرَّةٍ عادَ إلى داره.

كان اللورد إدارد ستارك جالسًا على صخرةٍ إلى جوار البِركة السَّوداء العميقة في أيكة الآلهة، تلتوي جذور شجرة القلوب الشَّاحبة حوله كأذرُع رجلٍ عجوز متغضِّنة، وقد استقرَّ السَّيف العظيم (جليد) على حِجر اللورد إدارد وهو يُنظِّف النَّصل بقطعةٍ من القُماش المشمَّع.

همسَ بران: «(وينترفل)!».

رفعَ أبوه رأسه، وسألَ ملتفتًا: «مَن هناك؟»... وانسحبَ بران مذعورًا. تلاشى أبوه والبِركة السَّوداء وأيكة الآلهة، وعادَ إلى الغار وجذور عرش الويرووود الشَّاحبة تحتضن أطرافه كأمٍّ وطفلها، ودبَّت الحياة في مشعلٍ أمامه.

- «أخبِرنا بما رأيت». من بعيدٍ تكاد ورقة الشَّجر تبدو كفتاةٍ بَشريَّة لا تتعدَّى بران أو إحدى أختيه في السِّنِّ، لكنها تبدو أكبر من قريب. سبقَ أن زعمَت أنها شهدَت مئتي عام على قيد الحياة.

أحسَّ بران بحَلقه جافًّا تمامًا، فازدردَ لُعابه قائلًا: «(وينترفل)، كنتُ في (وينترفل). رأيتُ أبي. إنه لم يَمُت، لم يَمُت! لقد رأيته. إنه في (وينترفل)، ما زالَ حيًّا».

قالت ورقة الشَّجر: «لا. لقد رحلَ أيها الصَّبي. لا تُحاوِل أن تستدعيه من الموت».

بإصرارٍ قال بران شاعرًا بجذرٍ خشن يضغط على خدِّه: «لقد رأيته، كان يُنظِّف (جليد)».

- «بل رأيت ما تمنَّيت أن تراه. قلبك يحنُّ إلى أبيك ودارك، ولذا رأيت ما رأيت».

قال اللورد برايندن: «على الإنسان أن يتعلَّم كيف يَنظُر قبل أن يأمل في الرُّؤية. ما رأيته ظلال الأيام الخوالي يا بران. كنت تَنظُر من خلال عينَي شجرة القلوب في أيكة الآلهة في قلعتكم. بين الزَّمن عند الشَّجرة وعند الإنسان فرق. الشَّمس والثُّربة والماء، هذه هي الأشياء التي تفهمها شجرة الويروود، وليس الأيام والسِّنين والقرون. بالنِّسبة إلى البَشر الزَّمن نهر ونحن سُجناء في تيَّاره، نتدفَّق من الماضي إلى الحاضر في الاتِّجاه عينه دومًا. حيوات الأشجار تختلف. إنها تغرس جذورها وتنمو وتموت في مكانٍ واحد، والنَّهر لا يُحرِّكها. السَّنديانة هي الجوزة، والجوزة هي السَّنديانة. والويروود... ألف من سنين الإنسان عند الويروود لحظة، وعبر تلك البوَّابات نستطيع أنا وأنت اختلاس النَّظر إلى الماضي».

قال بران: «لكنه سمعَني!».

- «بل سمعَ همسةً في الرِّيح، حفيف الأوراق. لا يُمكنك أن تُكلِّمه مهما حاولت. إنني أعرفُ. إن لي أشباحي أيضًا يا بران؛ أخًا أحببته، وأخًا كرهته، وامرأةً رغبتُ فيها. ما زلتُ أراهم من خلال الأشجار، لكن كلمةً مني لم تصل إليهم قَطُّ. الماضي يبقى الماضي، نستطيع أن نتعلَّم منه، ولا نستطيع أن نُغيِّره».

- «هل سأرى أبي ثانيةً؟».

- «ما إن تُتقِن استخدام مواهبك سيُمكنك أن تَنظُر حيثما شئت وترى ما رأته الأشجار، سواء أكان البارحة أم العام الماضي أم قبل ألف سنة. البَشر يقضون حياتهم حبيسي حاضرٍ دائم بين غيوم الذِّكريات وبحر الظِّلال الذي لا نرى مما هو آتٍ إلّاه. ثمَّة أنواع معيَّنة من العُثّ تدوم حياتها كلُّها يومًا واحدًا، ولكن من المؤكَّد أن بالنِّسبة إليها تبدو تلك المُدَّة القصيرة كما تبدو لنا الأعوام والعقود. شجرة السَّنديان تعيش حتى ثلاثمئة عام، وشجرة الخشب الأحمر حتى ثلاثة آلاف، وشجرة الويروود تعيش أبد الدَّهر إذا تُرِكَت وشأنها. بالنِّسبة إليها تمرُّ الفصول كخفقةٍ من جناح عُثَّة، والماضي والحاضر والمستقبل واحد. ثم إن رؤيتك لن تقتصر على الويروود. لقد نقشَ المغثُّون أعيُنًا في أشجار القلوب ليُوقِظوها، وهي أول أعيُن يتعلَّم التَّبي الأخضر أن يرى بها... لكن مع الوقت ستتجاوَز رؤيتك الأشجار نفسها».

سألَ بران: «متى؟».

- «خلال عامٍ أو ثلاثة أو عشرة. لم أبصر ذلك. أعدُك بأنك ستتعلَّم مع الوقت. لكنني متعَب الآن، والأشجار تُناديني. سنستأنف غدًا».

حملَ هودور بران إلى تجويفه متمتمًا بهَوْدَراته بصوتٍ خفيض فيما قادَتهما ورقة الشَّجر بمشعل. كان يأمل أن يجد ميرا وچوچن هناك كي يحكي لهما ما رآه، لكن تجويفهما الصَّغير في الصَّخر خالٍ بارد. أنزلَ هودور بران بهدوءٍ على سريره ودثَّره بالأغطية ثم أشعلَ له نارًا. *ألف عين، ومئة جسد، وحكمة عميقة كجذور الأشجار الضَّاربة في القِدم.*

بينما يُشاهِد اللَّهب قرَّر بران أن يظلَّ مستيقظًا حتى ترجع ميرا. يعلم أن چوچن سيكون محزونًا، لكن ميرا ستسعد من أجله.

لا يَذكُر متى غمضَت عيناه...

... لكنه عادَ بوسيلةٍ ما إلى (وينترفل)، إلى أيكة الآلهة يَنظُر إلى أبيه. بدا اللورد إدارد أصغر كثيرًا هذه المرَّة، شَعره بنِّي بلا أثر للرَّمادي، ورأسه محني، وكان يُصلِّي: «... اجعليهما يكبران كأخوين لا يجمع بينهما إلَّا الحُب، واجعلي السيِّدة زوجتي تجد في قلبها القُدرة على المغفرة...».

- «أبي». كان صوت بران همسةً في الرِّيح، حفيف أوراق. «أبي، إنه أنا، بران، براندون».

رفعَ إدارد ستارك رأسه وتطلَّع طويلًا إلى شجرة الويروود مقطِّبًا وجهه، لكنه لم يتكلَّم، وقال بران لنفسه بيأس: *لا يُمكنه أن يراني*. يُريد أن يمدَّ يده ويلمسه، لكنه لا يقدر إلَّا على النَّظر والسَّمع. *إنني في الشَّجرة، داخل شجرة القلوب، أنظرُ عبر عينيها الحمراوين، لكن الويروود لا تتكلَّم، فلا يُمكنني أن أتكلَّم.*

واصلَ إدارد ستارك صلاته، وأحسَّ بران بالدُّموع تملأ عينيه، لكن أهي دموعه أم دموع الويروود؟ *إذا بكيتُ فهل ستذرف الشَّجرة الدَّمع؟*

فجأةً أغرقَت بقيَّة كلمات أبيه قرقعة الخشب على الخشب، وذابَ إدارد ستارك كالضَّباب في شمس الصَّباح، والآن يَرقُص طفلان في أنحاء أيكة الآلهة ويتبادَلان الصِّياح وهما يتبارَزان بغُصنين مكسورين. الفتاة أطول قامةً وأكبر سِنًّا من الصَّبي. *آريا!* ومضَ الاسم في خاطره إذ شاهدَها تثب فوق صخرةٍ وتهوي بضربةٍ على الصَّبي، ولكن لا يُمكن أن يكون هذا صحيحًا. إذا كانت الفتاة آريا فالصَّبي هو بران نفسه، وبران لم يَترُك شَعره يطول هكذا قَطُّ. *وآريا لم تغلبني في اللَّعب بالسَّيف من قبل كما تغلبه هذه الفتاة*. ضربَت الصَّبي على فخذه بقوَّةٍ أفقدَته توازُنه وأسقطَته في البِركة، فبدأ يَنثُر الماء ويصيح، لكن الفتاة ألقَت غُصنها جانبًا وقالت له: «اهدأ أيها الأحمق. إنه ماء فقط. هل تُريد أن تسمعك العجوز نان وتهرع لتُخبِر أبانا؟»، وركعَت وسحبَت أخاها من البِركة، لكن قبل أن تُخرِجه اختفى كلاهما.

بعدها تسارعَت اللَّمحات وتسارعَت حتى شعرَ بران بالدُّوار والضَّياع. لم يرَ أباه ثانيةً، ولا الفتاة التي تُشبِه آريا، لكن امرأةً بطنها ثقيل بالحمل خرجَت عاريةً من البِركة السَّوداء وركعَت أمام الشَّجرة وتوسَّلت إلى الآلهة القديمة أن تمنَّ عليها بابنٍ يثأر لها.

وبعدها رأى فتاةً بنِّيَّة الشَّعر رفيعةً كالحربة تقف على أطراف أصابع قدميها لتُقبِّل شفتَي فارس شاب يُعادِل هودور طولًا.

وبترَ شاب داكن العينين يبدو عليه الشُّحوب والقوَّة ثلاثةً من أغصان الويروود وصنعَ منها سهامًا.

كانت الشَّجرة نفسها تتقلَّص، تصغر مع كلِّ رؤيا، فيما استحالَت الأشجار الأخرى الأدنى شأنًا إلى شتلات واختفَت، فقط لتحلَّ محلَّها أشجار أخرى تضاءلَت واختفَت بدورها. والآن اللوردات الذين يراهم بران طوال قُساة، رجال صارمون يرتدون الفرو وحلقات المعدن. بعضهم يَذكُر وجهه من التَّماثيل في السَّراديب، لكنهم اختفوا قبل أن يستعيد أسماءهم.

ثم، وبينما يُشاهِد، أجبرَ رجل ملتحٍ أسيرًا على الرُّكوع على رُكبتيه أمام شجرة القلوب، وتقدَّمت منهما امرأة بيضاء الشَّعر عبر فجوةٍ في الأوراق الحمراء القانية وفي يدها منجل من البرونز.

قال بران: «لا، لا، لا تفعلا هذا!»، لكنهما لم يسمعاه مِثلما لم يسمعه أبوه. أمسكَت المرأة الأسير من شَعره ووضعَت المنجل المعقوف على حَلقه ونحرَته، وعبر سديم القرون ما كان بإمكان الصَّبي المكسور إلَّا أن يُشاهِد إذ دقَّت قدما الرَّجل الأرض... ولكن إذ تدفَّقت حياته منه في نهرٍ أحمر شعرَ براندون ستارك بمذاق دمائه على لسانه.

نفذَت أشعَّة الشَّمس من السُّحب قُرب منتصَف النَّهار، بعد سبعة أيامٍ من تلبُّد السَّماء بالغيوم وانهمار الثُّلوج. بعض أكوام الثَّلج أطول من قامة رجل، لكن الوُكلاء عملوا على جرفها طوال النَّهار، وصارَت طُرق القلعة في أنظف حالةٍ ممكنة. التمعَت الانعكاسات على (الجِدار)، وبرقَ كلُّ شَقٍّ وصدعٍ في وجهه بالأزرق الباهت.

وعلى ارتفاع سبعمئة قدمٍ وقفَ چون سنو يتطلَّع إلى (الغابة المسكونة)، حيث تدور ريح شرقيَّة بين الأشجار مطيِّرةً أعمدةً من بلَّورات الثَّلج من أعلى الأغصان كراياتٍ من الجليد، لكن باستثناء هذا فلا حركة في الغابة. *لا علامة على الحياة*. ليس هذا مُطَمْئِنًا تمامًا، فليست الكائنات الحيَّة ما يخشى، ومع ذلك...

الشَّمس ظهرَت والثُّلوج توقَّفت. قد يدور القمر دورةً كاملةً قبل أن نجد فُرصةً مواتيةً كهذه ثانيةً، بل قد يمرُّ فصل بأكمله. قال چون لإد الكئيب آمرًا: «اجعل إميت يجمع مجنَّديه. سنحتاج إلى حراسةٍ معنا، عشرة جوَّالة مسلَّحين بزُجاج التنِّين. أريدهم جاهزين للرَّحيل خلال ساعة».

- «نعم يا سيِّدي. ومَن سيقودهم؟».

- «أنا».

انقلبَ فم إد أكثر من المعتاد، وقال: «قد يرى بعضهم أن الأفضل أن يبقى القائد آمنًا دافئًا جنوب (الجِدار). لن أقول ذلك عن نفسي، لكن قد يقوله بعضهم».

قال چون مبتسمًا: «خيرٌ لبعضهم ألَّا يقول هذا في حضوري».

جعلَت هبَّة ريحٍ مفاجئة معطف إد يُرَفرِف بصوتٍ مزعِج، فقال: «يُستحسَن أن ننزل يا سيِّدي. هذه الرِّيح كفيلة بدفعنا من فوق (الجِدار)، وأنا لم أتعلَّم ملَكة الطَّيران قَطُّ».

ركبا القفص إلى السَّفح والرِّيح تهبُّ ببرودة أنفاس تنِّين الجليد في الحكايات التي تعوَّدت العجوز نان حكايتها في صِغر چون. كان القفص الثَّقيل يتأرجَح، وبين الحين والآخَر يحتكُّ بـ(الجِدار) مسبِّبًا سيولًا بلَّوريَّةً صغيرةً من الجليد تلألأت في ضوء الشَّمس إذ سقطَت كشظايا الزُّجاج المكسور.

حدَّث چون نفسه متأمِّلًا: *قد يكون الزُّجاج مفيدًا هنا. (القلعة السَّوداء) محتاجة إلى صوبةٍ زُجاجيَّة خاصَّة بها، كتلك التي في (وينترفل). يُمكننا أن نزرع الخضراوات حتى في قلب الشِّتاء.* أجود الزُّجاج يأتي من (مير)، لكن اللَّوح الجيِّد النَّقي يُباع بما يُعادِل وزنه من التَّوابل، والزُّجاج الأخضر والأصفر لا يَصلُحان مِثله. *ما نحتاج إليه هو الذَّهب. بما يكفي من مالٍ نستطيع أن نشتري عُمَّالًا لنفخ الزُّجاج وتركيبه من (مير)، ونأتي بهم شمالًا ونعرض عليهم حرِّيَّتهم مقابل أن يُعلِّموا بعض مجنَّدينا فنَّهم.* هذا هو السَّبيل الأمثل. *إذا كنا نملك الذَّهب، ونحن لا نملكه.*

وجدَ چوست عند قاعدة (الجِدار) يتمرَّغ في كومة ثلج. يبدو أن الذِّئب الرَّهيب الأبيض الكبير يحبُّ الثَّلج الطَّازج، لكن حين رأى چون هبَّ على أقدامه ونفضَ الثَّلج عن نفسه.

سألَ إد الكئيب: «هل سيذهب معك؟».

- «سيذهب معي».
- «ذئب ذكي. وأنا؟».
- «لن تذهب معي».

- «قائد ذكي. جوست اختيار أفضل. لم تَعُد لديَّ أسنان قويَّة أعضُّ بها الهَمج».

- «إذا شاءَت الآلهة فلن نُصادِف أيَّ هَمج. سأريدُ الحصان الرَّمادي المخصي».

انتشرَ الخبر سريعًا في (القلعة السَّوداء). كان إد ما زالَ يضع السَّرج على الحصان الرَّمادي عندما تقدَّم باون مارش بخُطى قويَّة عبر السَّاحة ليُواجِه چون في الاسطبلات، حيث قال: «أتمنَّى أن تُعيد النَّظر يا سيِّدي. الرِّجال الجُدد يستطيعون حلف اليمين في السِّپت ببساطة».

- «السِّپت بيت الآلهة الجديدة، أمَّا القديمة فمكانها الغابة، ومن يتعبَّدون إليها يحلفون يمينهم بين أشجار الويروود. إنك تعلم هذا مِثلي تمامًا».

- «ساتان أتى من (البلدة القديمة)، وأرون وإمريك من أراضي الغرب. الآلهة القديمة ليست آلهتهم».

- «لستُ أفرضُ على الرِّجال أيُّ آلهةٍ يَعبُدون. إنهم أحرار في اختيار (السَّبعة) أو إله المرأة الحمراء، لكنهم اختاروا الأشجار بما يتضمَّنه هذا من مخاطر».

- «قد يكون الرَّجل الباكي ما زالَ هناك، يُشاهِد».

- «البُستان لا يَبعُد أكثر من ساعتين من الرُّكوب، حتى في الثَّلج. سنعود في حدود منتصَف اللَّيل».

- «مُدَّة طويلة للغاية. ليس تصرُّفًا حكيمًا».

قال چون: «ليس حكيمًا، لكنه ضروري. هؤلاء الرِّجال على وشك التَّعهُّد بحياتهم لحَرس اللَّيل والانضمام إلى أخوَّةٍ تعود بلا انفصامٍ إلى آلاف السِّنين. القسم مهمٌّ، وكذا التَّقاليد. إنها تربطنا جميعًا معًا، علية القوم وعمومهم، والصِّغار والكبار، والنُّبلاء والوُضعاء، تجعلنا إخوانًا»، وربَّت على كتف مارش مضيفًا: «أعدك بأننا سنعود».

قال قيِّم الوُكلاء: «أجل يا سيِّدي، ولكن هل ستعودون رجالًا أحياء أم رؤوسًا على حِرابٍ بأعيُنٍ مقلوعة؟ ستقطعون رحلة العودة في سواد اللَّيل. أكوام الثَّلج ترتفع حتى الخصر في بعض البقاع. أرى أنك ستأخذ معك رجالًا مخضرمين، وهذا جيِّد، لكن چاك بولوار الأسود كان يعرف هذه الغابة جيِّدًا أيضًا، وحتى عمُّك بنچن ستارك نفسه...».

ردَّ چون: «إن معي شيئًا لم يكن معهم»، والتفت برأسه وصفرَ ونادى: «جوست، إليَّ»، فنفضَ الذِّئب الرَّهيب الثَّلج عن ظَهره وهرولَ إلى چون. أفسحَ له الجوَّالة الطَّريق، ولو أن فَرسًا صهلَت ونكصَت إلى أن شدَّ روري عِنانها بحدَّة. قال چون: «(الجِدار) تحت قيادتك أيها اللورد باون»، وجذبَ حصانه من لجامه وسارَ به حتى البوَّابة والنَّفق الجليدي الذي يتمعَّج عبر (الجِدار).

وراء الجليد تقف الأشجار الطَّويلة الصَّامتة متَّشحةً بمعاطف بيضاء سميكة. مضى جوست إلى جوار حصان چون فيما اتَّخذ الجوَّالة والمجنَّدون تشكيلهم، ثم توقَّف وتشمَّم الهواء الذي يتجمَّد فيه زفيره، فسألَه چون: «ما الخطب؟ هل هناك أحد بالجوار؟». الغابة خالية على مدى بصره، لكن مدى بصره ليس بعيدًا.

اندفعَ جوست نحو الأشجار، ودخلَ من بين صَنوبرتين ملتحفتين بالأبيض واختفى في سحابةٍ من الثَّلج. *يُريد أنْ يصطاد، ولكن يصطاد ماذا؟* لا يخشى چون على الذِّئب الرَّهيب بقدر ما يخشى على أيِّ همجيٍّ قد يُقابِله. *ذئب أبيض في غابةٍ بيضاء، صامت كالظِّلال. لن يَشعُروا بقدومه أبدًا.* لا حاجة إلى أن يُطارِده، فجوست سيعود حين يُريد العودة وليس قبلها. همزَ چون حصانه بكعبيه وانتظمَ رجاله حوله لتكسر حوافر أحصنتهم قشرة الجليد المتكوِّنة فوق الثَّلج الطَّري، وإلى الغابة ذهبوا بمشيةٍ ثابتة فيما تضاءلَ (الجِدار) من ورائهم.

يرتدي شجر الصَّنوبر الجُندي والحارس معاطف بيضاء ثقيلةً، وتتدلَّى كُتل الجليد كالسَّتائر من فروع الأشجار عريضة الأوراق؛ وإن غابَت الأوراق تمامًا الآن تاركةً الفروع بنِّيَّةً جرداء. أرسلَ چون توم بارليكورن يسبقهم للاستطلاع، مع أن الطَّريق إلى البُستان الأبيض مطروق ومألوف، في حين انسلَّ ليدل الكبير ولووك ابن (البلدة الطَّويلة) إلى الأدغال شرقًا وغربًا، ليتقدَّما على جانبَي الرَّكب ويُحذِّراه من اقتراب أيِّ أعداء. جميعهم جوَّالة محنَّكون مسلَّحون بالزُّجاج البُركاني علاوةً على الفولاذ، ويُعلِّق كلٌّ منهم بوقًا حربيًّا من سَرجه تحسُّبًا لاحتياجهم إلى طلب الغوث.

الآخَرون رجال صالحون أيضًا. *رجال صالحون للقتال على الأقل، ومخلصون لإخوتهم.* يجهل چون ما كانوه قبل وصولهم إلى (الجِدار)، لكنه لا يشكُّ في أن لأكثرهم ماضيًا أحلك سوادًا من معاطفهم. ها هنا هُم نوع الرِّجال الذي يُريده وراء ظَهره. كانوا قد رفعوا قلنسواتهم وقايةً من الرِّيح القارسة، ولفَّ بعضهم وجوههم بوشاحاتٍ تُخفي ملامحهم. إلَّا أن چون يعرفهم أجمعين، وكلُّ اسمٍ من أسمائهم منقوش على قلبه. إنهم رجاله، إخوته.

ركبَ ستَّة آخَرون معهم، مزيج من الشُّبَّان والشُّيوخ وصغار الحجم وكباره والمتمرِّسين والمستجدِّين. *ستَّة سيحلفون اليمين.* الجواد وُلِدَ ونشأ في (بلدة المناجذ)، وأرون وأمريك جاءا من (الجزيرة القصيَّة)، وساتان من مواخير (البلدة القديمة) في طرف (وستروس) الآخَر، وكلُّهم صِبية. ليذرز وچاكس أكبر سِنًّا، تجاوَزا الأربعين بعدَّة سنوات، ابنا (الغابة المسكونة)، ولكلٍّ منهما أبناء وأحفاد. الاثنان من الثَّلاثة وستِّين همجيًّا الذين تبعوا چون سنو إلى (الجِدار) يوم ناشدَهم، وحتى الآن هما الاثنان الوحيدان اللذان قرَّرا أنهما يُريدان معطفًا أسود. قال إميت الحديدي إنهم جميعًا مستعدُّون، أو في أتمِّ درجة استعدادٍ يُمكنهم بلوغها، وقد قيَّم هو وچون وباون مارش كلًّا منهم بدوره وألحقَه بجماعة؛ ليذرز وچاكس وإمريك بالجوَّالة، والجواد بالبنَّائين، وأرون وساتان بالوُكلاء.

والآن حانَ وقت حلف اليمين.

ركبَ إميت الحديدي في مقدِّمة الطَّابور على صهوة أقبح حصانٍ رآه چون على الإطلاق، حيوان أشعث لا يظهر منه إلَّا شَعره الكثيف وحوافره. قال قيِّم السِّلاح: «ثمَّة كلام عن متاعب في (بُرج المومسات) ليلة أمس».

- «(بُرج هاردين)». من الثَّلاثة والستِّين الذين عادوا معه من (بلدة المناجذ) هناك تسع عشرة امرأةً وفتاةً، وقد أسكنَهن چون البُرج المهجور نفسه الذي نامَ فيه في بداية مجيئه إلى (الجِدار). اثنتا عشرة منهن زوجات حِراب، قادرات وأكثر على الدِّفاع عن أنفُسهن وعن البنات الأصغر سِنًّا ضد تجاوُزات الإخوة السُّود، وبعض الرِّجال الذين رفضنهم هُم من أطلَقوا على (بُرج هاردين) اسمه الملهب الجديد، وهي السُّخرية التي قرَّر چون أنه لن يتغاضى عنها. «ثلاثة حمقى سكرانين حسبوا (بُرج هاردين) ماخورًا لا أكثر. إنهم في زنازين الجليد الآن، يُفكِّرون مليًّا في غلطتهم».

كشَّر إميت الحديدي قائلًا: «الرِّجال رجال، واليمين كلام، والكلام هواء. عليك أن تضع حراسةً على النِّساء».

- «ومَن سيَحرُس الحُرَّاس؟». *لستَ تعلم شيئًا يا* چون سنو. لكنه تعلَّم، وكانت إيجريت معلِّمته. إذا لم يستطِع هو التَّمسُّك بقَسمه فكيف يتوقَّع المزيد من إخوته؟ لكن في العبث مع نسوة الهَمج خطرًا. ذات مرَّةٍ أخبرَته إيجريت: *من الممكن أن يمتلك الرَّجل امرأةً، ومن الممكن أن يمتلك سكِّينًا، لكن لا رجل يُمكنه أن يمتلك الاثنين*. على أن باون مارش لم يكن مخطئًا بالكامل، فـ(بُرج هاردين) هشيم ينتظر شرارةً فحسب. قال چون: «إنني أنوي فتح ثلاث قلاعٍ أخرى، (البُحيرة العميقة) و(بهو السمُّور) و(الرَّابية الطَّويلة)، حامياتها كلُّها من شعب الأحرار تحت قيادة ضُبَّاطنا. (الرَّابية الطَّويلة) ستُقيم بها النِّساء فقط، باستثناء القائد وكبير الوُكلاء». لا يشكُّ في أن شيئًا من الاختلاط سيَحدُث، لكن المسافات أبعد بما فيه الكفاية لتصعيب ذلك على الأقل.

- «ومَن الأحمق المسكين الذي سيُولَّى تلك القيادة الممتازة؟».

- «إنني راكبٌ إلى جواره».

استحقَّت النَّظرة التي اختلطَ فيها الرُّعب بالسُّرور على وجه إميت أكثر من جوال ذهب، وسأله: «ما الذي فعلته لأجعلك تكرهني هكذا يا سيِّدي؟».

ضحكَ چون قائلًا: «لا تخف، لن تكون وحدك. سأعطيك إد الكئيب ليكون نائبك ووكيلك».

- «ستسعد الزَّوجات الحِراب للغاية. قد يَجدُر بك أن تمنح الماجنَر قلعةً».

ماتَت ابتسامة چون، وقال: «ربما إذا استطعتُ أن أثق به. أخشى أن سيجورن يلومني على موت أبيه، والأدهى أنه ترعرعَ وتمرَّن على إلقاء الأوامر لا تلقِّيها. لا تخلط بين الثِّنِّيين والأحرار. «ماجنَر» تعني «لورد» في اللُّغة القديمة كما قيلَ لي، لكن ستنير كان أقرب إلى إلهٍ عند قومه، وابنه من الطِّينة نفسها. لستُ أطلبُ من أحدٍ أن يركع، ولكن عليهم أن يُطيعوا».

- «أجل يا سيِّدي، لكن الأفضل أن تفعل شيئًا بشأن الماجنَر. سيُسبِّب لك الثِّنِّيون المتاعب إذا تجاهلتهم».

كان چون ليقول: *المتاعب نصيب القائد*. زيارته إلى (بلدة المناجذ) ولَّدت له الكثير منها بالفعل، والنِّساء أهون ما في الأمر. اتَّضح أن هاليك بالشَّراسة التي خشيَها چون بالفعل، وثمَّة بعض الرِّجال بين الإخوة السُّود يَمقُتون الأحرار حتى النُّخاع. أحد أتباع هاليك قطعَ أُذن بنَّاء في السَّاحة، وهذه على الأرجح مجرَّد عيِّنة من الدِّماء التي ستُسفَك بعد ذلك. يجب أن يفتح القلاع القديمة قريبًا كي يُرسِل أخا هارما لإقامة حاميةٍ في (البُحيرة الطَّويلة) أو (بهو السقُّون)، لكن في الوقت الرَّاهن لا هذه ولا تلك صالحة لسُكنى البَشر، وأوثيل ياروِيك وبنَّاؤوه ما زالوا غائبين في محاولة تجديد (قلعة اللَّيل). ثمَّة ليالٍ يتساءَل فيها چون إن كان قد ارتكبَ خطأً فادحًا لمَّا منعَ ستانيس من الفتك بالهَمج جميعًا. *لستُ أعلمُ شيئًا يا إيجريت، وربما لن أعلم أبدًا*.

على بُعد نِصف ميل من البُستان كانت خيوط شمس الخريف الحمراء الطَّويلة تترقرَق من بين فروع الأشجار العارية ملوِّنةً أكوام الثَّلج بالوردي. عبرَ الرَّاكبون جدولًا متجمِّدًا بين صخرتينَ محزَّزتين مدرَّعتين بالجليد، ثم اتَّبعوا درب فرائس متعرِّج إلى الشَّمال الشَّرقي، ومتى اشتدَّت الرِّيح ملأ رذاذ الثَّلج المتناثر الهواء ولسعَ أعيُنهم. غطَّى چون فمه وأنفه بوشاحه ورفعَ قلنسوته على رأسه، وقال لرجاله: «اقتربنا»، لكن أحدًا لم يردَّ.

شمَّ چون توم بارليكورن قبل أن يراه. أم أن جوست هو من شمَّه؟ في الفترة الأخيرة يَشعُر چون سنو كأنه والذِّئب الرَّهيب واحد، حتى في يقظته. ظهرَ الذِّئب الأبيض الكبير أولًا نافضًا الثَّلج عن جسمه، وبعد لحظاتٍ قليلة تلاه توم الذي أخبرَ چون: «هَمج في البُستان».

أوقفَ چون الرَّاكبين متسائلًا: «كم؟».

- «أحصيتُ تسعةً. لا حراسة. بعضهم ميت، أو نائم. يبدو أن أكثرهم نساء. طفل واحد، لكن معهم عملاقًا أيضًا. رأيتُ واحدًا فقط. عندهم نار مشتعلة يرتفع دُخانها بين الأشجار. حمقى».

تسعة، ومعي سبعة عشر. لكن أربعةً منهم صِبيان، وليس بينهم عمالقة.

غير أن چون لا ينوي أن يعودوا أدراجهم إلى (الجِدار) خاليي الوفاض. *إذا كان الهَمج أحياءً فقد يُمكننا أن نأخذهم معنا، وإذا كانوا موتى... فيُمكننا الاستفادة بجثّةٍ أو اثنتين.* قال واثبًا بخفّةٍ إلى الأرض المتجلِّدة حيث يرتفع الثَّلج إلى كاحله: «سنُواصِل على الأقدام. روري، پايت، ابقيا مع الخيول». كان بإمكانه أن يُكلِّف المجنَّدين الجُدد بهذا الواجب، لكنهم في حاجةٍ إلى الخضوع للاختبار قريبًا، والوقت مناسب تمامًا. «انتشروا وشكِّلوا هلالًا. أريدُ أن نُقبِل على البُستان من ثلاث جهات. ابقوا على مرأى من الرِّجال إلى يمينكم ويساركم كي لا تتَّسع الثَّغرات. سيكتم الثَّلج وقع خُطواتنا. ستُراق دماء أقل إذا داهَمناهم دون أن ينتبهوا لاقترابنا».

كان اللَّيل يدنو بسرعة. اختفَت خيوط الضَّوء حين ابتلعَ غرب الغابة آخِر شريحةٍ من الشَّمس، وبدأت الأكوام الورديَّة النَّاعمة تستردُّ بياضها، يتسرَّب منها اللَّون مع إظلام العالم، واصطبغَت سماء المساء بالرَّمادي الباهت كمعطفٍ قديم غُسِلَ مرارًا وتكرارًا، وبدأت النُّجوم الخجول الأولى تطلع.

لمحوا أمامهم جذعًا أبيض شاحبًا لا يُمكن أن يكون إلَّا لشجرة ويروود، يُتوِّجه رأس من الأوراق الحمراء الدَّاكنة. مدَّ چون سنو يده وراء ظَهره واستلَّ مخلبه الطَّويل، ونظرَ إلى يمينه ويساره مومئًا لساتان والجواد، وشاهدهما يُومِئان بدورهما للرِّجال الآخَرين. ثم انقضُّوا على البُستان معًا راكلين أكوام الثَّلج القديم دون أن يَصدُر منهم صوت إلَّا أنفاسهم، وركضَ معهم جوست كظلٍّ أبيض إلى جانب چون.

النَّار في مركز البُستان صغيرة بائسة، رماد وجذوات وغصون مكسورة مشتعلة بوهجٍ خفيض وتبثُّ دُخانًا أكثر من الحرارة، وعلى الرغم من هذا فيها حياة أكثر من الهَمج المتلملمين حولها. واحد فقط منهم صدرَت منه ردَّة فعلٍ حين خرجَ چون من الدَّغل، الطِّفل الذي بدأ يُوَلوِل متمسِّكًا بمعطف أمِّه المهترئ. رفعَت المرأة عينيها وشهقَت، وعندها كان الجوَّالة قد طوَّقوا البُستان وانسلُّوا من بين الأشجار البيضاء كالعظم، يلتمع الفولاذ في أيديهم المقفَّزة بالأسود آخذًا وضع القتل.

آخِر من شعرَ بهم العملاق الذي كان نائمًا متكوِّرًا على نفسه إلى جوار النَّار، لكن شيئًا أيقظَه؛ بُكاء الطِّفل أو انسحاق الثَّلج تحت الأحذية السَّوداء أو الشَّهيق المفاجئ. بدا لهم عندما تحرَّك كأنه جُلمود دبَّت فيه الحيَّاة. سحبَ العملاق نفسه إلى وضع الجلوس مطلقًا نخيرًا، وراحَ يَفرُك النُّعاس من عينيه بيدين ضخمتين... إلى أن رأى إميت الحديدي بسيفه البرَّاق، وهادرًا هبَّ يقف وأطبقَت إحدى هاتين اليدين الضَّخمتين على مطرقةٍ واختطفَتها.

كشَّر جوست عن أنيابه جوابًا، لكن چون أمسكَ الذِّئب من قفاه قائلًا: «لسنا نُريد قتالًا هنا». يعلم أن رجاله قادرون على إسقاط العملاق، ولكن ليس دون ثَمن. ما إن تُراق قطرات الدَّم الأولى سينضمُّ الهَمج إلى القتال، وسيموت أكثرهم إن لم يكن كلُّهم هنا، وبعض إخوته كذلك. «هذا مكان مقدَّس. استسلموا و...».

هدرَ العملاق ثانيةً بصوتٍ هزَّ الأوراق على الشَّجر، ودقَّ الأرض بمطرقته. مقبضها ستَّة أقدام من خشب السَّنديان الملتوي، ورأسها حجر بحجم رغيف خُبز، فرجَّت الصَّدمة الأرض، وهرعَ بعض الهَمج الآخَرين إلى أسلحتهم.

كان چون سنو على وشك القبض على مخلبه الطَّويل حين بدأ ليذرز يتكلَّم من طرف البُستان القصي. خرجَت كلماته بوقعٍ حَلقي غليظ، لكن چون سمعَ ما فيها من موسيقى وتعرَّف اللُّغة القديمة. تكلَّم ليذرز مُدَّةً طويلةً، ولمَّا فرغ أجابَه العملاق، فبدا كلامه كزمجرةٍ يتخلَّلها خوار، ولم يفهم چون كلمةً. ثم إن ليذرز أشارَ إلى الأشجار وقال شيئًا آخَر، وأشارَ العملاق إلى الأشجار وكزَّ على أسنانه وأفلتَ مطرقته.

قال ليذرز: «قُضِيَ الأمر. ليسوا يُريدون القتال».

- «أحسنت. ماذا قلت له؟».

- «إنها آلهتنا أيضًا، إننا جئنا للصَّلاة».

- «سنفعل. أغمِدوا أسلحتكم جميعًا. لن تُسفَح دماء هنا اللَّيلة».

قال توم باريليكورن إنهم تسعة، وهُم تسعة، لكن اثنين منهم موتى وواحدة في غاية الوهن حتى إن الصَّباح كان سيطلع على جثَّتها. يتضمَّن السِّتَّة الباقون أمًّا وطفلها، ورجلين مسنَّين، وثنِّيًّا جريحًا يرتدي البرونز المنبعج، وواحدًا من ذوي الحوافر أتلفَت قضمة الصَّقيع قدميه الحافيتين للغاية، حتى إن چون أيقنَ بأنه لن يمشي ثانيةً أبدًا. علمَ لاحقًا أن معظمهم كانوا أغرابًا حين وصلوا إلى البُستان. عندما حطَّم ستانيس جيش مانس رايدر لاذوا بالفرار من المعمعة إلى الغابة وجالوا هنا وهناك بعض الوقت وفقدوا أصدقاءً وأهلًا بسبب البرد والجوع، وأخيرًا أخذَهم الطَّريق إلى هنا وقد صاروا أضعف وأشد تعبًا من أن يُواصِلوا. قال أحد المسنَّين: «الآلهة هنا. مكان مناسب جدًّا للموت».

قال چون: «(الجِدار) يَبعُد ساعاتٍ قليلة. لماذا لم تسعوا إلى المأوى هناك؟ آخَرون استسلَموا، حتى مانس نفسه».

تبادلَ الهَمج النَّظرات، ثم قال أحدهم: «الغِربان أحرَقوا كلَّ من استسلمَ».

أضافَت المرأة: «حتى مانس نفسه».

ميلساندرا، عليكِ وإلهكِ الأحمر أن تدفعا ثَمن أشياء كثيرة.

«نحن نُرحِّب بكلِّ من يرغب في العودة معنا. في (القلعة السَّوداء) طعام ومأوى، و(الجِدار) سيحميكم من الأشياء التي تَسكُن هذه الغابة. لكم كلمتي، لا أحد سيحترق».

قالت المرأة محتضنةً طفلها: «كلمة غُراب، لكن مَن يدري إن كنت ستفي بها؟ مَن أنت؟».

أجابَها: «قائد حَرس اللَّيل وابن إدارد ستارك سيِّد (وينترفل)»، والتفتَ إلى توم باريليكورن قائلًا: «اجعل روري وپايت يجلبان الخيول. لا أنوي أن نبقى هنا لحظةً أطول مما يجب».

- «كما تقول يا سيِّدي».

شيء واحد تبقَّى قبل أن يرحلوا، الشَّيء الذي أتوا من أجله في المقام الأول. أمرَ إميت الحديدي المجنَّدين بالتَّقدُّم، وإذ شاهدَت بقيَّة المجموعة من مسافةٍ محترمة ركعوا أمام أشجار الويروود. كانت خيوط النَّهار الأخيرة قد اختفَت، والضَّوء الوحيد الآن يأتي من نجوم السَّماء ووهج النَّار المحتضرة الأحمر الباهت في مركز البُستان.

بقلنسواتهم السّوداء السّميكة بدا السّتّة كأنما نُحِتوا من ظلال. ارتفعَت أصواتهم معًا صغيرةً في فسحة اللّيل، وقالوا كما قال آلاف من قبلهم: «*اللّيل يزداد حلكةً، والآن تبدأ حراستي، ولن تنتهي حتى مماتي*». صوت ساتان عذب كأغنيّة، وصوت الجواد مبحوح ومتلعثم، وصوت أرون صرير عصبي.

عسى أن يتأخّر مماتكم طويلًا. جثا چون سنو على رُكبته في الثّلج، وصلّى: *يا آلهة أبي، احمي هؤلاء الرّجال، وآريا أيضًا، أختي الصّغيرة، أينما كانت. أتضرّعُ إليكِ أن تجعلي مانس يجدها ويأتيني بها آمنةً*.

تعهّد المجنّدون بأصواتٍ تردّدت أصداؤها عبر السّنين والقرون: «*لن أتّخذ لنفسي زوجةً، أو أملك أرضًا، أو أنجب أبناءً، ولن أعتمر تاجًا أو أظفر بمجد، وسأعيشُ في موقعي وأموتُ فيه*».

وصلّى چون سنو بصمت: *يا آلهة الغابة، امنحيني القوّة لأفعل المِثل، امنحيني الحكمة لأعرف ما يجب أن يُفعَل والشّجاعة لأفعله*.

قال السّتّة وقد بدا لچون أن أصواتهم تتغيّر، تقوى وترسخ: «*أنا السّيف في الظّلمات، أنا الحارس على الأسوار، أنا النّار التي تشتعل لتَطرُد البرد، الضّوء الذي يأتي بالفَجر، النّفير الذي يُوقِظ النّيام، الدّرع التي تقي بلدان البَشر*».

الدِّرع التي تقي بلدان البشر. مرَّغ جوست أنفه في كتفه وأحاطَه چون بذراعه. شمَّ سراويل الجواد المتَّسخة، والعطر الباذخ الذي يضعه ساتان في لحيته حين يُمشِّطها، ورائحة الخوف الزَّنخة النفَّاذة، ومسك العملاق الطَّاغي، وسمعَ دقَّات قلبه في صدره، وحين تطلَّع عبر البُستان إلى المرأة وطفلها والشَّيخين ورجل ذوي الحوافر بقدميه الشَّائهتين لم يرَ إلَّا بَشرًا.

- «*لحرس اللَّيل أتعهَّدُ بحياتي وشرفي، بدايةً من اللَّيلة وطوال جميع اللَّيالي القادمة*».

نهضَ چون سنو أولًا قائلًا: «انهضوا الآن رجالًا في حَرس اللَّيل»، ومدَّ يده للجواد يُساعِده على النُّهوض.

كانت الرِّيح تشتدُّ، وآنَ أوان الرَّحيل.

استغرقَت رحلة العودة من البُستان وقتًا أطول من رحلة الذَّهاب. تحرَّك العملاق بخُطى بطيئة للغاية على الرغم من طول ساقيه ومحيطهما، وما برحَ يتوقَّف ليُسقِط الثَّلج عن الفروع الواطئة بمطرقته. ركبَت المرأة مع روري، وابنها مع توم بارليكورن، والعجوزان مع الجواد وساتان، في حين خافَ الثِّني أن يركب حصانًا وفضَّل أن يمشي ويعرج على الرغم من جروحه، أمَّا رجل ذوي الحوافر فلم يكن بإمكانه أن يعتلي سَرجًا فربطوه على ظَهر حصانٍ كجوالٍ من الحبوب، وكذا الشَّمطاء الشَّاحبة ذات الأطراف الرَّفيعة كالعصا التي لم يستطيعوا أن يُوقِظوها.

وفعلوا المِثل بالجثَّتين، وهو ما أدهشَ إميت الحديدي، فقال لچون: «ستُبطِئان حركتنا لا أكثر يا سيِّدي. علينا أن نُقطِّعهما ونُحرِقهما».

ردَّ القائد: «لا، اجلبهما. إن عندي استخدامًا لهما».

لم يكن في السّماء قمر يهديهم في طريق العودة، وأحيانًا تظهر كوكبة من النُّجوم هنا أو هناك. العالم أسود وأبيض وساكن؛ والرِّحلة بطيئة طويلة لا نهائيَّة. التصق الثَّلج بأحذيتهم وسراويلهم، ورجَّت الرِّيح شجر الصَّنوبر ومضغَت معاطفهم مضغًا. لمحَ چون النَّجم المسمَّى (الرحَّال الأحمر) بالأعلى، يُشاهِدهم من بين فروع الأشجار العظيمة الخالية من الأوراق التي يمرُّون أسفلها. يُسمِّيه الأحرار (اللِّص)، ولطالما زعمَت إيجريت أن أفضل وقتٍ لاختطاف امرأةٍ حين يقع (اللِّص) في (عذراء القمر)، لكنها لم تَذكُر أنه أفضل وقتٍ لاختطاف عملاق.

او رجلين ميتين.

كان الفَجر يُوشِك على البزوغ عندما رأوا (الجِدار) من جديد.

لدى اقترابهم حيَّاهم بوق حارسٍ من أعلى كصيحة طائرٍ ضخم قوي الحنجرة، دفقة واحدة طويلة تعني عودة الجوَّالة، وحلَّ ليدل الكبير بوقه الحربي ونفخَ الرَّدَّ. عند البوَّابة اضطرُّوا إلى الانتظار قليلًا حتى ظهرَ إد توليت ليفتح التَّرابيس والبوَّابة الحديد، ولمَّا رأى إد مجموعة الهَمج البائسة زمَّ شفتيه ورمقَ العملاق بنظرةٍ طويلة، ثم قال: «قد نحتاج إلى دهانه بالزُّبدة ليستطيع الانزلاق في النَّفق يا سيِّدي. هل أرسلُ أحدهم إلى مخزن المؤن؟».

- «أوه، أظنُّه سيَدخُل بلا زُبدة».

وقد فعلَ... زاحفًا على يديه وركبتيه. *صبي كبير، أربعة عشر قدمًا على الأقل، أضخم من ماج الجبّار.* ماتَ ماجَ تحت هذا الجليد ذاته في قتالٍ فتّاك مع دونال نوي. *رجل صالح. حرس اللّيل خسروا رجالًا صالحين كثرًا.* انتحى چون بليذرز جانبًا، وقال له: «تولَّ أمره. إنك تتحدَّث لُغته. احرص على إطعامه وجِد له مكانًا دافئًا قُرب النّار. ابقَ معه ولا تدع أحدًا يستفزُّه».

قال ليذرز: «نعم»، وتردَّد لحظةً قبل أن يُضيف: «يا سيِّدي».

أرسلَ چون الهَمج الأحياء لمداواتهم من الجروح وقضمة الصَّقيع، آملًا أن يُعيد الطَّعام السَّاخن والدِّفء إلى أكثرهم عافيته، ولو أن رجل ذوي الحوافر سيفقد كلتا قدميه غالبًا. أمَّا الجثَّتين فأودعَهما زنازين الجليد.

بينما يُعلِّق معطفه على مشجبٍ مجاور للباب لاحظَ چون أن كلايداس جاءَ وذهبَ، إذ وجدَ رسالةً على المنضدة في غُرفته الشَّمسيَّة. خمَّن من أول نظرةٍ أنها من (القلعة الشَّرقيَّة) أو (بُرج الظِّلال)، لكنه رأى أن الشَّمع ذهبي لا أسود، وعلى الختم رأس وعلٍ داخل قلبٍ ملتهب. *ستانيس.* كسرَ الشَّمع المتصلِّب وبسطَ الورقة المطويَّة وقرأ. *خطُّ مِايستر، لكنه كلام الملك.*

استولى ستانيس على (ربوة الغابة)، وانضمَّت إليه عشائر الجبال؛ وول وفلينت ونوري وليدل والآخرون جميعًا.

أ

ونلنا عونًا آخَر غير متوقَّع لكننا قبلناه على الرَّحب والسَّعة، من ابنةٍ لـ(جزيرة الدِّببة). أخفَت أليسان مورمونت، التي يدعوها رجالها بالدُّبَّة، مُحاربين داخل مجموعةٍ من المراكب الشِّراعيَّة وباغتَت الحديديِّين بالهجوم حيث رسَوا عند السَّاحل. احترقَت سُفن جرايجوي الطَّويلة أو أُخِذَت، وقُتِلَ بحَّارتها أو استسلموا. سنَطلُب فديةً مقابل الرَّبابنة والفُرسان والمُحاربين البارزين وغيرهم من أبناء الأعيان أو نجد لهم استخدامًا آخَر، والباقون انوي أن أشنقهم...

حَرس اللَّيل مقسمون على عدم التَّدخُّل في صراعات ونزاعات البلاد، وعلى الرغم من هذا شعرَ چون سنو رغمًا عنه بنوعٍ معيَّن من الرِّضا.

وواصلَ القراءة.

... مزيد من الشَّماليِّين ينضمُّون إلينا مع انتشار خبر انتصارنا، صيَّادون ومُحاربون غير نظاميِّين وسُكَّان تلال، ومُزارعون من اعماق (غابة الذِّئاب)، وقرويُّون خرجوا من بيوتهم على (السَّاحل الحجري) هربًا من الحديديِّين، وناجون من المعركة التي دارَت خارج (وينترفل)، ورجال كانوا مقسمين على الولاء لعائلات هورنوود وسروين وتولهارت. بينما أكتبُ عددنا خمسة آلاف، ويزداد كلَّ يوم. وبلغَنا خبر بأن رووس بولتون يتحرَّك نحو (وينترفل) بقوَّاته كلِّها، ليُزوِّج نغله بأختك غير الشَّقيقة هناك. يجب ألَّا نسمح له بإعادة القلعة إلى قوَّتها السَّابقة. إننا نزحف عليه. آرنولف كارستارك ومورس أومبر سينضمَّان إلينا. سأُنقذُ اختك إن استطعتُ، وأجِدُ لها زوجًا أفضل من رامزي سنو. عليك وإخوتك أن تُحافِظوا على (الجِدار) حتى عودتي.

وجدَ الرِّسالة موقَّعةً بخطٍّ آخَر.

تمَّ في نور الإله ممهورًا بتوقيع وختم ستانيس الأول سليل عائلة باراثيون، ملك الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، سيِّد الممالك السَّبع وحامي البلاد.

لحظة أن وضعَ چون الرِّسالة جانبًا انطوَت الورقة على نفسها ثانيةً كأنها تبغي حماية ما فيها من أسرار. ليس متأكِّدًا على الإطلاق من مشاعره نحو ما قرأه. سبقَ أن دارَت معارك عند (وينترفل) من قبل، ولكن لم يَحدُث قَطُّ أن غابَ ابن لعائلة ستارك عن طرفٍ أو الآخَر. «القلعة هيكل فارغ، ليست (وينترفل) بل شبحها». مؤلمٌ أن يُفكِّر في هذا مجرَّد تفكير، ناهيك بأن يقوله بصوتٍ مسموع. ورغم ذلك...

تساءلَ كم رجلًا يستطيع أن يَدخُل بهم أكل الغُراب العجوز القتال، وكم سيفًا بإمكان آرنولف كارستارك أن يستحضِر. نِصف رجال أومبر سيكونون على الجانب الآخَر من ميدان المعركة مع باقِر العاهرة، يُقاتِلون تحت راية رجل (معقل الخوف) المسلوخ، والسَّواد الأعظم من قوَّات كلتا العائلتين ذهبَ جنوبًا مع روب بلا رجعة. حتى في خرابها ستمنح (وينترفل) المسيطِر عليها أيًّا كان أفضليَّةً لا يُستهان بها. كان روبرت باراثيون ليرى هذا في الحال ويتحرَّك سريعًا لتأمين القلعة، وقد اشتهرَ بإجبار جنوده على الزَّحف والرُّكوب خلال منتصَف اللَّيل، فهل يتمتَّع أخوه بالجرأة نفسها؟

ليس محتملًا. ستانيس قائد متمهِّل، وجيشه وجبة نِصف مهضومة من رجال العشائر والفُرسان الجنوبيِّين ورجال الملك ورجال الملكة، مملَّحة بالقليل من لوردات الشَّمال. *عليه أن يُسرِع بالذَّهاب إلى (وينترفل) أو لا يذهب على الإطلاق.* ليس له أن ينصح الملك، ولكن...

عادَ يَنظُر إلى الرِّسالة. *سأنقذُ أختك إن استطعتُ*. عاطفة رقيقة مدهشة من رجلٍ كستانيس، ولكن يُضعِفها إتباعها بـ«*إن استطعتُ*» القاسية، وإضافة «*وأجدُ لها زوجًا أفضل من رامزي سنو*» في النِّهاية. ولكن ماذا لو لم تكن آريا هناك ليُنقِذها؟ ماذا لو قالت نيران الليدي مليساندرا الحقيقة؟ أيُمكن أن أخته فرَّت من سجَّانيها حقًّا؟ وكيف تفرُّ؟ *لطالما كانت آريا ذكيَّةً سريعةً، لكنها مجرَّد فتاةٍ صغيرة في النِّهاية، ورووس بولتون ليس رجلًا يتهاوَن في الحفاظ على غنيمةٍ عظيمة القيمة مِثلها*.

ماذا لو لم تكن أخته عند بولتون من الأصل؟ قد يكون الزِّفاف مجرَّد حيلةٍ لاستدراج ستانيس إلى شَرك. على حدِّ علم چون لم يملك إدارد ستارك سببًا للشَّكوى من سيِّد (معقل الخوف) قَطُّ، وعلى الرغم من ذلك لم يثق به البتَّة، بصوته الهامس وعينيه بالغتَي الشُّحوب.

فتاة رماديَّة على حصانٍ مائت تفرُّ من زواجها. استنادًا إلى هذه الكلمات وحدها أطلقَ چون مانس رايدر وستَّ زوجاتٍ حِراب على الشَّمال. قال مانس: «أريدهن شابَّات وحسناوات»، وزوَّده الملك الذي لم يحترِق ببعض الأسماء، وتولَّى إد الكئيب البقيَّة وهرَّبهن من (بلدة المناجذ). يبدو له الأمر جنونيًّا الآن. ربما كان الأفضل أن يفتك بمانس لحظة أن أفصحَ عن نفسه. يَشعُر چون بنوعٍ من الإعجاب على مضض بملك ما وراء الجِدار السَّابق، لكن الرَّجل مارِق حانث بالقَسم. أمَّا مليساندرا فثقته بها أقل، ومع ذلك ها هو ذا يُعلِّق آماله عليهما. *كلُّ هذا لأنقذ أختي، لكن رجال حَرس اللَّيل ليست لهم أخوات*.

حينما كان چون صبيًّا في (وينترفل) كان بطله المفضَّل التنِّين الصَّغير، الملك الصَّبي الذي فتحَ (دورن) في سِنِّ الرَّابعة عشرة، وعلى الرغم من نغولته -أو ربما بسببها- حلمَ چون سنو بقيادة الرِّجال إلى المجد كما فعلَ الملك دايرون، بأن يكبر ليُصبِح فاتحًا. والآن ها هو ذا رجل بالغ و(الجِدار) تحت قيادته، ولكن ما من شيءٍ يملكه إلَّا الشُّكوك، وحتى هذه لا يبدو أنه قادر على التَّغلُّب عليها.

انبعثَت من المخيَّم رائحة شنيعة لدرجة أن داني منعَت نفسها من إفراغ معدتها بصعوبة.

تقلَّص أنف السير باريستان، وقال: «لا يَجدُر بجلالتكِ أن تكوني هنا وتتنفَّسي هذه السُّموم».

ردَّت تُذكِّره: «أنا دم التنِّين. هل رأيت تنِّينًا مصابًا بالإسهال من قبل؟». كثيرًا ما زعمَ ڤسيرس أن آل تارجاريَن آمنون من الأمراض التي يُبتلى بها غيرهم من البَشر التَّقليديِّين، وهذا صحيح على حدِّ خبرتها. إنها تَذكُر معاناتها البرد والجوع والخوف، ولكن ليس المرض قَطُّ.

قال الفارس العجوز: «ولو، سأطمئنُّ أكثر إذا عادَت جلالة الملكة إلى المدينة». كانت أسوار (ميرين) بألوانها المتنوِّعة وراءهم بنِصف ميل. «الإسهال الدَّموي آفة كلِّ جيشٍ في العالم منذ فَجر العصور. دَعينا نحن نُوزِّع الطَّعام يا جلالة الملكة».

قالت داني: «غدًا. إنني هنا. أريدُ أن أرى»، وهمزَت فَرسها الفضِّيَّة بكعبيها وتحرَّكت، وخبَّ الآخَرون وراءها. ركبَ چوجو أمامها وآجو وراگارو وراءها مباشرةً، في أيديهم سياط الدوثراكي الطَّويلة لإبعاد المرضى والمحتضرين، وإلى يمينها السير باريستان على متن حصانٍ رمادي أرقط، وإلى يسارها سايمون ذو الظَّهر المخطَّط من الإخوة الأحرار ومارسلن من رجال الأُم، وعلى مسافةٍ قصيرة وراء القادة تقدَّم ستُّون من الجنود لحماية عربات الأطعمة. جميعهم على صهوات الخيول، الدوثراكي والوحوش النُّحاس والمعتَقون، ولا يُوحِّدهم إلَّا نفورهم من أداء هذا الواجب.

تحرَّك الأستاپوريُّون في أعقابهم في طابورٍ رهيب يزداد طولًا مع كلِّ ياردة يقطعونها، يتكلَّم بعضهم بلُغاتٍ تجهلها في حين لم يَعُد آخَرون يقوون على الكلام. رفعَ كثيرون منهم أيديهم لداني أو ركعوا إذ مرَّت بهم فَرسها الفضِّيَّة، ونادوها: «أمَّاه». بلهجات (أستاپور) و(لِيس) و(ڤولانتيس القديمة)، بلُغة الدوثراكي الحلقيَّة وألفاظ (كارث) المائعة، وحتى بلُغة (وستروس) العاميَّة نادوها: «أمَّاه، أرجوكِ... أمَّاه، ساعِدي أختي، إنها مريضة... أعطيني طعامًا لصغاري... أرجوكِ، أبي العجوز... أغيثيه... أغيثيها... أغيثيني...».

بيأسٍ أجابَتهم في قرارة نفسها: *لستُ أملكُ شيئًا آخَر أغيثكم به*. لا مكان يذهب إليه الأستاپوريُّون، وما زالَ آلاف منهم باقين خارج أسوار (ميرين) المتينة؛ رجال ونساء وأطفال، شيوخ وفتيات ورُضَّع. كثيرون منهم مرضى، وأكثرهم يتضوَّر جوعًا، وجميعهم محكوم عليه بالفَناء. لا تَجسُر دنيرس على فتح بوَّاباتها وإدخالهم إلى المدينة، لكنها حاولَت أن تفعل ما بمقدورها من أجلهم، فأرسلَت لهم مُعالجين، فتيات من ذوات النِّعم الزَّرقاء ومرنِّمي تعاويذ وحلَّاقين جرَّاحين[56]، لكن بعض هؤلاء مرضَ بدوره، ولم ينجح أيٌّ من فنونهم في عرقلة الانتشار الحثيث للوباء الذي أتى على متن الفَرس الشَّاحبة. واتَّضح أيضًا أن فصل المرضى عن الأصحَّاء غير فعَّال، رغم أن رجالها من الثُّروس المقدامة حاوَلوا، وانتزَعوا أزواجًا من زوجاتهم وأطفالًا من أمَّهاتهم فيما انتحبَ الأستاپوريُّون ورفسوا ورجَموهم بالحجارة. بعد أيامٍ قليلة كان المرضى قد ماتوا والأصحَّاء مرضوا، ولم يُسفِر تقسيمهم عن فائدة.

حتى إطعامهم باتَ صعبًا. كلَّ يومٍ تُرسِل إليهم ما تستطيع، لكن كلَّ يومٍ تتعاظَم أعدادهم ويتناقَص ما تُعطيهم إياه من طعام. وأصبحَ العثور على حوذيِّين يقبلون توصيل الطَّعام أصعب أيضًا، فكثيرون من الرِّجال الذين أرسَلوهم إلى المخيَّم أصابَهم الإسهال الدَّموي، وآخَرون هوجِموا في طريق العودة إلى المدينة. البارحة قُلِبَت عربة وقُتِلَ جُنديَّان، ولذا عزمَت الملكة على أن تجلب الطَّعام بنفسها، وهو القرار الذي عارضَه مُستشاروها جميعًا بحرارة، من رزناك والرَّأس الحليق إلى السير باريستان، إلَّا أن دنيرس لم تتزحزَح، وقالت بعناد: «لن أنصرف عنهم. يجب أن تعلم الملكة ما يُعانيه شعبها».

والمعاناة هي الشَّيء الوحيد الذي لا يفتقرون إليه.

أبلغَها مارسلن: «تكاد لا تتبقَّى عندهم خيول أو بغال، مع أن كثيرين جاءوا من (أستاپور) راكبين. لقد أكلوها يا صاحِبة الجلالة، هي وكلَّ جرذٍ وكلبٍ ضال استطاعوا الإمساك به. والآن بدأ بعضهم يأكلون موتاهم».

قال آجو: «يجب ألَّا يأكل الإنسان لحم الإنسان».

أيَّده راگارو: «هذا معلوم. ستحلُّ بهم اللَّعنة».

قال سايمون ذو الظَّهر المخطَّط: «لقد تجاوَزوا اللَّعن بالفعل».

جرجرَ أطفال ببطونٍ منتفخة أنفُسهم وراءهم، صغار أضعف أو أكثر خوفًا من أن يتوسَّلوا، وقرفصَ مسنُّون مهزولون بأعيُنٍ غائصة وسط الرِّمال والحجارة يتبرَّزون حياتهم في سيولٍ نتنة من البنِّي والأحمر. كثير منهم الآن يتبرَّز حيث ينام، وقد صاروا أوهن من أن يزحفوا إلى المصارف التي أمرَتهم بحفرها. رأت امرأتين تتشاجَران على عظمةٍ متفحِّمة، يقف قُربهما صبيٌّ في العاشرة يأكل جرذًا بيدٍ واحدة، فيما قبضَت الأخرى على عصا مدبَّبة خشية أن يُحاوِل أحد اختطاف غنيمته. في كلِّ مكانٍ موتى غير مدفونين. رأت داني رجلًا منطرحًا في الوسخ تحت معطفٍ أسود، لكن إذ مرَّت به استحالَ معطفه إلى ألف ذُبابة، وعلى الأرض جلسَت نساء ضاويات يضمِّن ولدانهن المحتضرين. تبعَتها أعيُنهن، ومن قوين على الكلام نادينَها: «أمَّاه... أرجوكِ يا أمَّاه... بُوركتِ يا أمَّاه».

بمرارةٍ قالت داني لنفسها: *بُوركتُ حقًّا. مدينتكم أصبحَت رمادًا وعظامًا، وقومكم يموتون حولكم. ليس عندي لكم ملجأ، أو دواء، أو أمل. فقط الخُبز البائت واللَّحم الفاسد والجُبنة الجامدة والقليل من الحليب. بُوركتُ، بُوركتُ.*

ما الأُم التي لا تملك لبنًا لتسقي أطفالها؟

قال آجو: «الموتى كثيرون للغاية. يجب أن يُحرَقوا».

علَّق السير باريستان: «ومَن سيُحرِقهم؟ الإسهال الدَّموي في كلِّ مكان، وكلَّ ليلةٍ يموت مئة».

قال چوجو: «ليس خيرًا أن نلمس الموتى».

وافقَه آجو وراگارو معًا: «هذا معلوم».

قالت داني: «قد يكون هذا صحيحًا، ولكن علينا أن نُحرِقهم رغم كلِّ شيء»، وفكَّرت لحظةً ثم أضافَت: «المُطهَّرون لا يخشون الجُثث. سأكلِّمُ الذّودة الرَّمادي».

قال السير باريستان: «جلالة الملكة، المُطهَّرون أفضل مُقاتليكِ. لسنا نجرؤ على المخاطرة بانتشار هذا الوباء بينهم. اجعلي الأستاپوريِّين يدفنون موتاهم».

ردَّ سايمون: «إنهم ضُعفاء للغاية».

قالت داني: «قد يجعلهم المزيد من الطَّعام أقوى».

هزَّ سايمون رأسه نفيًا، وقال: «لا ينبغي تبديد الطَّعام على المحتضرين يا صاحِبة العبادة. ليس عندنا ما يكفي لإطعام الأحياء».

تعلم أنه ليس مخطئًا، لكن هذا لم يُهوِّن عليها قوله. قرَّرت الملكة أنهم تقدَّموا بما فيه الكفاية، وقالت: «سنُطعِمهم هنا»، ورفعَت يدها لتتوقَّف العربات من ورائها وينتشر خيَّالتها حولها لمنع الأستاپوريِّين من الاندفاع نحو الطَّعام. ما كادوا يتوقَّفون حتى بدأ الزِّحام يشتدُّ من حولهم إذ أقبل المزيد والمزيد من الموبوئين البائسين يعرجون ويتعثَّرون، لكن الخيَّالة حالوا دونهم والعربات زاعقين: «انتظروا دوركم. لا تدافُع. إلى الخلف. ارجعوا إلى الخلف. الخُبز للجميع. انتظروا دوركم».

لم تكن بيد داني حيلة إلَّا أن تجلس وتُشاهِد. ثم إنها التفتَت إلى باريستان سلمي متسائلةً: «ألا يُمكننا أن نفعل المزيد أيها الفارس؟ إن عندك مؤنًا».

- «إنها مؤن لجنود جلالتكِ. قد نضطرُّ إلى الخضوع لحصارٍ طويل. غِربان العاصفة والأبناء الثَّانون يستطيعون الإغارة على اليونكيِّين، لكنهم لا يقدرون على إجبارهم على الانسحاب. إذا سمحَت لي صاحِبة الجلالة بأن أحشد جيشًا...».

قاطعَته الملكة: «إذا كانت المعركة محتَّمةً فأوثرُ أن أخوضها من وراء أسوار (ميرين). فليُحاوِل اليونكيُّون اقتحام تحصيناتي»، وجاسَت ببصرها في المشهد حولها، وقالت: «إذا تقاسَمنا الطَّعام بالتَّساوي...».

- «... فسيأتي الأستاپوريُّون على حصَّتهم خلال أيام، الحصَّة التي ستَنقُصنا وقت الحصار».

تطلَّعت داني عبر هواء المخيَّم المليء بالصِّياح والذُّباب إلى قرميد (ميرين) بألوانه العديدة قائلةً: «الآلهة أرسلَت هذا الوباء لإذلالي. موتى كثيرون للغاية... لن أتركهم يأكلون الجُثث»، وأشارَت إلى آجو بالاقتراب، وأخبرَته: «اركب إلى البوَّابة وائتني بالدُّودة الرَّمادي وخمسين من مُطهَّريه».

أجابَ آجو: «گاليسي، على دم دمكِ الطَّاعة»، وهمزَ حصانه بكعبيه وهرولَ مبتعدًا.

راقبَ السير باريستان بوجلٍ لم ينجح في إخفائه، وقال: «يجب ألَّا تُطيلي البقاء هنا يا جلالة الملكة. الأستاپوريُّون يتلقُّون الطَّعام كما أمرتِ. لا يُمكننا أن نفعل المزيد من أجل هؤلاء المساكين. علينا أن نعود إلى المدينة».

ردَّت داني: «اذهب إذا أردت أيها الفارس. لن أمنعك. لن أمنع أيًّا منكم»، ووثبَت من فوق فَرسها مواصلةً: «لا أستطيعُ أن أشفيهم، لكنني أستطيعُ أن أريهم أن أمَّهم تعبأ بهم».

شهقَ چوجو، وصاحَ: «گاليسي، لا»، ورنَّ الجرس في جديلته بخفوتٍ إذ ترجّل متابعًا: «يجب ألّا تقتربي. لا تدعيهم يلمسونك! لا تدعيهم!».

مرّت به بلا اهتمام. على بُعد أقدامٍ قليلة على الأرض رجل عجوز يتأوّه محملقًا إلى بطون السُّحب الرَّماديَّة، وقد ركعَت داني إلى جواره بأنفٍ تقلّص من الرّائحة، وأزاحت الشَّعر الشّائب المتَّسخ عن جبهته وتحسَّستها، ثم قالت: «إنه مشتعل. أريدُ ماءً لغسله. لا بأس بماء البحر. مارسلن، هلّا جلبت لي ماءً؟ وأريدُ زيتًا أيضًا للمحرقة. مَن سيُساعِدني على إحراق الموتى؟».

لدى عودة آجو بالدُّودة الرَّمادي وخمسين من المطهَّرين مسرعين في أعقابه كانت داني قد أخجلَتهم جميعًا بمبادرتها حتى بدأوا يُساعِدونها. شرعَ سايمون ذو الظَّهر المخطّط ورجاله يسحبون الموتى من بين الأحياء ويرصُّون الجُثث، في حين عاونَ چوجو وراگارو والدوثراكي مَن ما زالوا قادرين على المشي على الذَّهاب إلى الشّاطئ للاستحمام وغسل ملابسهم. حدَّق آجو إليهم كأنما انتابهم الجنون عن بكرة أبيهم، لكن الدُّودة الرَّمادي ركعَ إلى جوار الملكة قائلًا: «هذا الواحد يُريد أن يُساعِد».

قبل انتصاف النَّهار كانت دستة من المحارق مشتعلةً، وارتفعَت أعمدة الدُّخان الدُّهني الأسود تُلطِّخ وجه السَّماء الزَّرقاء التي لا تعرف الرَّحمة. حين تراجعَت داني عن النِّيران وقد اتَّسخت ثياب ركوبها واسودّت قال لها الدُّودة الرّمادي: «صاحِبة العبادة، هذا الواحد وإخوته يلتمسون إذنكِ في الاستحمام في البحر المالح عندما نَفرُغ من عملنا، لنُطهِّر أنفُسنا حسب شرائع إلهتنا العُظمى».

لم تكن الملكة تعرف أن للمخصيِّين إلهتهم الخاصَّة، فسألَته: «مَن هي؟ إحدى آلهة (جيس)؟».

لاحَ الاضطراب على الدُّودة الرَّمادي إذ جاوبَ: «للإلهة أسماء عدَّة. إنها سيِّدة الحِراب وعروس المعارك وأُم الجيوش، لكن اسمها الحقيقي مقصور على هؤلاء الآحاد المساكين الذين أحرَقوا ذكورتهم على مذبحها. ليس مسموحًا لنا أن نُحدِّث عنها الآخَرين. هذا الواحد يستميحكِ العُذر».

- «كما تُريد. نعم، يُمكنكم الاستحمام إذا أردتم. شكرًا على مساعدتكم».

- «هؤلاء الآحاد يحيون لخدمتكِ».

حين عادَت داني إلى هرمها مضعضعة الأوصال سقيمة القلب وجدَت ميسانداي تقرأ مخطوطةً قديمةً فيما تجادلَت إيري وچيكوي حول راگارو. كانت چيكوي تقول: «أنتِ نحيلة للغاية، أقرب إلى صبي. راگارو لا يُضاجِع الصَّبية. هذا معلوم»، فردَّت إيري مغضبةً: «المعلوم أنكِ أقرب إلى بقرة. راگارو لا يُضاجِع البقر».

أخبرَتهما داني: «راگارو دم دمي، حياته تنتمي إليَّ لا إليكما». خلال غيابه عن (ميرين) ازدادَ طول راگارو نحو نِصف قدم، وعادَ بذراعين وساقين غليظتَي العضلات وأربعة أجراس في شَعره، والآن يشمخ فوق آجو وچوجو، وهو ما لم يَفُت الوصيفتين. «والآن صمتًا. أريدُ أن أستحمَّ». لم تَشعُر من قبل بأنها ملوَّثة هكذا. «چيكوي، ساعِديني على خلع هذه الثِّياب ثم خُذيها وأحرِقيها. إيري، قولي لكِزا أن تجد لي شيئًا خفيفًا أرتديه. النَّهار كان حارًّا للغاية».

كانت رياح فاترة الحرارة تهبُّ في شُرفتها، وتنهّدت داني مسرورةً إذ نزلَت في مياه البِركة، وبأمرها خلعَت ميساندای ثيابها وانضمَّت إليها. قالت المُترجمة الصَّغيرة وهي تغسل ظَهر داني: «هذه الواحدة سمعَت الأستاپوريِّين يخدشون الأسوار ليلة أمس».

تبادلَت إيري وچيكوي نظرةً، وقالت الثَّانية: «لا أحد كان يخدش. يخدشون... كيف يخدشون؟».

أجابَت ميساندای: «بأيديهم. القرميد قديم ومتفتّت. إنهم يُحاوِلون أن يَحفُروا طريقًا إلى داخل المدينة».

قالت إيري: «سيستغرق هذا منهم سنينًا عدَّةً. الأسوار سميكة جدًّا. هذا معلوم».

ردّدت چيكوي: «هذا معلوم».

أمسكَت داني يد ميساندای قائلةً: «أنا أيضًا أحلمُ بهم. المخيَّم يَبعُد نِصف ميلٍ كامل عن المدينة يا حُلوتي. لم يكن أحد يخدش الأسوار».

قالت ميساندای: «صاحِبة الجلالة خير العارفين. هل أغسلُ شَعركِ؟ حانَ الوقت تقريبًا. رزناك مو رزناك وذات النِّعمة الخضراءَ قادمان لمناقشة...».

- «... تجهيزات الزِّفاف». اعتدلَت داني جالسةً تَنثُر الماء، وقالت: «كدتُ أنسى». *ربما أردتُ أن أنسى*. «وبعدها سأتناوَلُ العشاء مع هيزدار»، وتنهَّدت مردفةً: «إيري، اجلبي التوكار الأخضر الحرير المهذّب بشرائط الزِّينة المايريَّة».

- «الخيَّاطات يُصلِحنه يا گاليسي. كانت شرائط الزِّينة ممزَّقةً. التوكار الأزرق نظيف».

- «الأزرق إذن. هذا أيضًا سيسرُّهم».

لم تكن مخطئةً، لكنها لم تكن مصيبةً تمامًا كذلك. سعدَت الكاهنة والقهرمان لرؤيتها ترتدي توكارًا وتبدو كسيِّدةٍ ميرينيزيَّة أصيلة هذه المرَّة، لكن ما أراداه حقًّا أن يُجرِّداها من ثيابها تمامًا. أنصتَت دنيرس إليهما مصدومةً، ولمَّا فرغا قالت: «لا أقصدُ إساءةً، لكنني لن أقدِّم نفسي عاريةً لأُم هيزدار وأخواته».

قال رزناك مو رزناك محدِّقًا: «لكن... لكن يجب أن تفعلي هذا يا صاحِبة العبادة. التَّقاليد تنصُّ على أن تفحص نساء بيت الزَّوج رحم العروس قبل الزَّواج و، آه... وأعضاءها الأنثويَّة، للتَّأكُّد من أنها مكتملة التَّكوين و، آه...».

أتمَّت جالازا جالار عبارته: «... خصيبة. إنه طقس عريق يا صاحِبة الرَّونق. ستحضر ثلاث من ذوات النِّعم للشَّهادة على الفحص وأداء الصَّلوات اللَّازمة».

قال رزناك: «نعم، وبعدها ثمَّة كعكة خاصَّة، كعكة نسائيَّة تُخبَز خصِّيصًا بمناسبة الخِطبة. ليس مسموحًا للرِّجال بتذوُّقها. قيلَ لي إنها شهيَّة، ساحرة».

وإذا كانت رحمي ذابلةً وأعضائي الأنثويَّة ملعونةً فهل ثمَّة كعكة خاصَّة لهذه المناسبة أيضًا؟ «يستطيع هيزدار زو لوراك أن يفحص أعضائي الأنثويَّة بعد زواجنا». *الكال دروجو لم يجد فيها عيبًا، فلِمَ يجد هيزدار؟* «فلتفحص أمُّه وأخواته بعضهن بعضًا ويتقاسَمن الكعكة الخاصَّة، فلن آكل منها، ولن أغسل قدمَي النَّبيل هيزدار النَّبيلتين!».

ردَّ رزناك معترضًا: «يا صاحِبة السُّمو، لستِ تفهمين. غسل الأقدام تقليد مقدَّس يدلُّ على أنكِ صرتِ وصيفة زوجكِ. ثوب الزِّفاف حافل بالمعاني أيضًا. العروس تضع براقع حمراء داكنة فوق توكار من الحرير الأبيض مهدَّب باللَّآلئ الصَّغيرة».

لا يجب أن تتزوَّج ملكة الأرانب دون أذنيها الرَّخوتين. «كلُّ هذا اللُّؤلؤ سيجعلني أخشخشُ حين أمشي».

- «اللُّؤلؤ يرمز للخصوبة. كلَّما وضعَت صاحِبة العبادة لآلئ أكثر أنجبَت أطفالًا أصحَّاء أكثر».

سألَت داني: «ولِمَ قد أريدُ مئة طفل؟»، والتفتَت إلى ذات النِّعمة الخضراء قائلةً: «إذا تزوَّجنا بالشَّعائر الوستروسيَّة...».

- «... فلن تعدَّه آلهة (جيس) قرانًا حقيقيًّا». كان وجه جالازا جالار مختفيًا وراء بُرقعٍ حريري أخضر، ولا يبدو منه إلَّا عيناها الخضراوان الحكيمتان الحزينتان. «في أعيُن المدينة ستكونين محظيَّة النَّبيل هيزدار لا زوجته الشَّرعيَّة، وسيكون أطفالكما نغولًا. يجب أن تتزوَّج صاحِبة العبادة هيزدار في (معبد ذوات النِّعم) في حضور نُبلاء (ميرين) جميعًا لشهادة قرانكما».

سبقَ أن قال لها داريو: *أخرِجي زُعماء العائلات النَّبيلة جميعًا من أهرامهم بحُجَّةٍ ما.* قالت لنفسها: *النَّار والدَّم كلمات التِّنين،* لكنها أزاحَت الخاطر الذي لا يليق بها جانبًا، وزفرَت قائلةً: «كما ترغبان. سأتزوَّجُ هيزدار في (معبد ذوات النِّعم) ملفوفةً بتوكار أبيض مهذَّب باللَّآلئ الصَّغيرة. هل من شيءٍ آخَر؟».

قال رزناك: «مسألة واحدة صغيرة يا صاحِبة العبادة. احتفالًا بالعُرس سيكون مستحسَنًا للغاية أن تسمحي بفتح حلبات القتال ثانيةً. ستكون هديَّة زفافكِ لهيزدار وشعبكِ المحب، دلالةً على أنكِ اعتنَقتِ عادات وتقاليد (ميرين) العريقة».

أضافَت ذات النِّعمة الخضراء بصوتها النَّاعم الرَّخيم: «ومرضاةً عُظمى للآلهة أيضًا».

ثَمن العروس المدفوع دمًا. سئمَت دنيرس من خوض هذه المعركة. حتى السير باريستان لا يظنُّ أنها تقدر على الفوز بها، وأخبرَها: «لا حاكم يستطيع أن يجعل شعبه صالحًا. بيلور المبارَك صلَّى وصامَ وشيَّد لـ(السَّبعة) معبدًا رائعًا يتمنَّاه أيُّ إله، لكنه لم يستطِع أن يضع نهايةً للحرب والفاقة». قالت داني لنفسها مذكِّرةً: *على الملكة أن تُصغي لشعبها*. «بعد الزِّفاف سيُصبِح هيزدار الملك. فليُعِد فتح حلبات القتال إذا شاءَ. لا أريدُ أن تكون لي صِلة بالأمر». *فلتُلوِّث الدِّماء يديه لا يدَي*. نهضَت قائلةً: «إذا أرادَني زوجي أن أغسل قدميه فليغسل قدمَي أولًا. سأخبره بهذا مساء اليوم».

تساءلَت كيف ستكون ردَّة فعل خطيبها، ولكن لم يكن هناك داعٍ للقلق. وصلَ هيزدار زو لوراك بعد ساعةٍ من غروب الشَّمس، يرتدي توكارًا خمريًّا بشريطٍ ذهبي وحاشيةٍ من الخرز الذهبي، وبينما صبَّت له داني النَّبيذ أخبرَته بمحادثتها مع رزناك وذات النِّعمة الخضراء، فأعلنَ: «إنها طقوس فارغة، بالضَّبط الشَّيء علينا أن نطرحه جانبًا. (ميرين) استغرقَت في هذه التَّقاليد الحمقاء القديمة زمنًا طويلًا للغاية»، ولثمَ يدها، وأردفَ: «دنيرس يا مليكتي، يسرُّني أن أغسلكِ من رأسكِ إلى قدميكِ إن كان هذا ما عليّ أن أفعله لأكون ملككِ وزوجكِ».

- «ما عليك لتكون ملكي وزوجي إلَّا أن تأتيني بالسَّلام. سكاهاز أبلغَني بوصول رسائل إليك في الآونة الأخيرة».

قال هيزدار: «صحيح»، ووضعَ ساقًا طويلةً على ساقٍ طويلةٍ وقد بدا مسرورًا بنفسه، وتابعَ: «ستمنحنا (يونكاي) السَّلام، ولكن مقابل ثَمن. تعطيل تجارة العبيد سبَّب أضرارًا عظيمةً في أنحاء العالم المتحضِّر. (يونكاي) وحُلفاؤها سيَطلُبون منا تعويضًا يُدفَع بالذَّهب والأحجار الكريمة».

الذَّهب والأحجار الكريمة شرط سهل. «وماذا أيضًا؟».

- «سيستأنف اليونكيُّون النِّخاسة كما من قبل، وسيُعاد بناء (أستاپور) كمدينة عبيد، ولن تتدخَّلي».

- «اليونكيُّون استأنَفوا النِّخاسة قبل أن أبتعد فرسخين عن مدينتهم، فهل عدتُ؟ الملك كليون ناشدَني أن أنضمَّ إليه ضدهم، وصممتُ أُذنَي عن مناشدته. لستُ أريدُ حربًا مع (يونكاي)! كم مرَّةً يجب أن أقولها؟ ما الوعود التي يَطلُبونها؟».

قال هيزدار زو لوراك: «آه، هنا تَكمُن أشواك الزَّهرة يا مليكتي. يُؤسِفني أن أقول إن (يونكاي) لا تثق بوعودكِ. إنهم لا يكفُّون عن العزف على وتر القيثارة نفسه، عن مبعوثٍ ما أحرقَته تنانينكِ».

قالت داني بازدراء: «لم يحترق إلَّا توكاره».

- «على كلِّ حال، إنهم لا يثقون بكِ، وهذا هو شعور رجال (جيس الجديدة) أيضًا. الكلام هواء كما قلتِ بنفسك مرارًا، ولا كلام منكِ سيؤمِّن هذا السَّلام لـ(ميرين). أعداؤكِ يَطلُبون أفعالًا. يُريدوننا أن نتزوَّج، ويُريدون رؤيتي متوَّجًا ملكًا أحكمُ إلى جانبكِ».

أعادَت داني مَلء كأسه راغبةً بشدَّةٍ في أن تَسكُب الإبريق على رأسه لتُغرِق ابتسامته الرَّاضية القانعة هذه، وقالت: «الزَّواج أو المعمعة، الزِّفاف أو الحرب. أهذان خياراي؟».

- «أرى خيارًا واحدًا فقط يا صاحِبة الرَّونق. لتُردِّد نذورنا أمام آلهة (جيس) ونبني (ميرين) جديدةً معًا».

كانت الملكة تصوغ جوابها في عقلها حين سمعَت خُطوةً خلفها، ففكَّرت: *الطَّعام*. كان طهاتها قد وعدوا بتقديم وجبة النَّبيل هيزدار المفضَّلة، لحم الكلاب بالعسل، محشوًّا بالبرقوق المجفَّف والفلفل. لكن حين التفتَت رأت السير باريستان واقفًا وراءها وقد تحمَّم وارتدى الأبيض، وعلى جانبه سيفه الطَّويل. قال منحنيًا: «جلالة الملكة، آسفٌ لإزعاجكِ، لكن خطرَ لي أنكِ ستُريدين أن تعرفي في الحال. غِربان العاصفة عادوا إلى المدينة بأخبار عن العدوّ. اليونكيُّون يزحفون كما خشينا».

ومضَ الضِّيق لحظةً على وجه هيزدار زو لوراكْ النَّبيل، وقال: «الملكة تتناوَل عَشاءها. فلينتظر المرتزِقة».

تجاهلَه السير باريستان، وتابعَ: «سألتُ اللورد داريو أن يُقدِّم تقريره لي كما أمرَت صاحِبة الجلالة، فضحكَ وقال إنه سيَكتُبه بدمه إذا أرسلَت جلالة الملكة مُترجمتها الصَّغيرة لتُريه كيف يَكتُب الحروف».

مذعورةً قالت داني: «بدمه؟ أهذه دُعابة؟ لا، لا، لا تُخبِرني. يجب أن أراه بنفسي». إنها فتاة صغيرة، ووحيدة، والصَّغيرات يُغيِّرن آراءهن. «استدعِ قادتي. هيزدار، أعلمُ أنك ستُسامِحني».

ابتسمَ هيزدار بكياسةٍ قائلًا: «يجب أن تأتي (ميرين) أولًا. سنحظى بليالٍ أخرى، ألف ليلة».

قالت داني: «السير باريستان سيصحبك إلى الخارج»، وأسرعَت تُنادي وصيفاتها. لم ترغب في التَّرحيب بعودة قائدتها مرتديةً التوكار، وفي النِّهاية جرَّبت دستةً من الفساتين قبل أن تجد واحدًا أعجبَها، لكنها رفضَت التَّاج الذي عرضَته چيكوي عليها.

وثبَ قلبها في صدرها حين جثا داريو نهاريس أمامها، شَعره متلبِّد بالدَّم الجاف، وعلى صُدغه جرح بليغ يلمع بالأحمر، وكمُّه الأيمن دامٍ حتى المِرفق تقريبًا. قالت لاهثةً: «أنت جريح».

مسَّ داريو صُدغه قائلًا: «هذا؟ رامي نُشَّابيَّة حاولَ أن يغرس سهمًا في عيني، لكني سبقته بحصاني. كنتُ مسرعًا إلى ملكتي لأتنعَّم بدفء بسمتها»، ونفضَ كُمَّه ناثرًا قُطيراتٍ حمراء، وأضافَ: «الدَّم ليس دمي. أحد رُقبائي قال إن علينا أن ننقلب إلى اليونكيِّين، فمددتُ يدي في حَلقه وانتزعتُ قلبه. أردتُ أن أجلبه هديَّةً لمليكتي الفضِّيَّة، لكن أربعةً من القِططة قطعوا عليَّ الطَّريق وهاجَموني مزمجرين. كادَ أحدهم يقبض عليَّ، فألقيتُ القلب في وجهه».

- «يا لشهامتك»، قال السير باريستان بنبرةٍ تُوحي بأنه لا يظنُّ هذا على الإطلاق. «هل لديك أخبار لصاحِبة الجلالة؟».

- «أخبار صعبة يا جدِّي الفارس. (أستاپور) ضاعَت، والنخَّاسون قادمون شمالًا بأعدادٍ غفيرة».

دمدمَ الرَّأس الحليق: «أخبار قديمة بائتة».

ردَّ داريو: «هذا ما قالته أمُّك عن قُبلات أبيك»، والتفتَ إلى داني قائلًا: «أيتها الملكة العذبة، كنتُ لأعجِّل بالمجيء، لكن التِّلال تعجُّ بمرتزِقة اليونكيِّين، أربع جماعاتٍ حُرَّة. غِربان العاصفة اضطرُّوا إلى شقِّ طريقهم بينها جميعًا تقتيلًا. هناك المزيد، وأسوأ. اليونكيُّون يزحفون بجيشهم على الطَّريق السَّاحلي وقد انضمَّت إليهم أربعة فيالق من (جيس الجديدة). إن معهم أفيالًا، مئةً من الأفيال المدرَّعة ذات الأبراج. ومعهم نبَّالة تولوسيُّون أيضًا، وكتيبة من سلاح الجِمال الكارثيني. وثمَّة فيلقان جيسكاريَّان آخَران ركبا سُفنًا في (أستاپور). إذا قال أسرانا الحقيقة فإنهم ينتوون إرسالهم وراء (السكاهازاذان) لقطع الطَّريق بيننا وبين (بحر الدوثراكي)».

بينما حكى حكايته سقطَت منه بين الحين والآخَر قطرة من الدَّم الأحمر على الأرض الرُّخام لتجفل داني، وعندما فرغ سألَته: «كم رجلًا قُتِلوا؟».

- «منا؟ لم أتوقَّف لأحصي. لكننا كسبنا أكثر مما فقدنا».

- «مزيد من المارِقين؟».

- «مزيد من الشُّجعان الذين اجتذبَتهم قضيَّتكِ النَّبيلة. سيُعجِبون مليكتي. أحدهم مُقاتِل فؤوس من (جُزر البازيليسق)، بهيمة أكبر من بلواس. يَجدُر بكِ أن تريه. وبعض الوستروسيِّين أيضًا، عشرون أو أكثر، متهرِّبون من المذروِّين، لم يَشعُروا بالرِّضا عن اليونكيِّين. سيكونون غِربان عاصفةٍ صالحين».

- «إذا كان هذا رأيك». لن تُجادِله داني، فقد تحتاج (ميرين) قريبًا إلى كلِّ رجل.

رمقَ السير باريستان داريو عابسًا، وقال: «أيها القائد، ذكرت أربع جماعاتٍ حُرَّة، لكننا نعرف بوجود ثلاث فقط. المذرؤُون والرِّماح الطَّويلة وجماعة القِط».

قال داريو: «جدِّي الفارس يعرف العدَّ. الأبناء الثَّانون انقلبوا إلى اليونكِّيين»، وأشاحَ بوجهه وبصقَ، ثم أردفَ: «هذه لبن پلوم البنِّي. حين أرى وجهه القبيح ثانيةً سأشقُّه من الحلق إلى العانة وأقتلعُ قلبه الأسود».

حاولَت داني أن تتكلَّم لكنها لم تجد كلمات. تذكَّرت وجه بن كما رأته آخِر مرَّة. *كان وجهًا دافئًا، وجهًا وثقث به*. البشرة الدَّاكنة والشَّعر الأبيض، والتَّجاعيد عند أركان عينيه. حتى التَّنانين كانوا مولعين ببن البُنِّي العجوز الذي أحبَّ أن يزهو بأن في عروقه قطرةً من دماء التنِّين أيضًا. *ثلاث خياناتٍ ستعرفين، واحدة من أجل الذَّهب وواحدة من أجل الدَّم وواحدة من أجل الحُب*. هل پلوم الخيانة الثَّالثة أم الثَّانية؟ وفي هذه الحالة ماذا يكون السير چورا دبُّها الغليظ؟ ألن تحظى أبدًا بصديقٍ يُمكنها أن تُودِعه ثقتها؟ *ما جدوى النُّبوءات إن كنتُ لا أستطيعُ أن أدرك المغزى منها؟ إذا تزوَّجتُ هيزدار قبل شروق الشَّمس فهل ستذوب تلك الجيوش كندى الصَّباح وتتركني أحكمُ في سلام؟*

أشعلَ إعلان داريو الهرج والمرج. كان رزناك يُوَلوِل، والرَّأس الحليق يُتمتِم بجهامة، وخيَّالة دمها يُقسِمون على الانتقام، ودقَّ بِلواس القوي بطنه النَّديب بقبضته وأقسمَ أن يأكل قلب بن البنِّي مطهوًّا بالبرقوق والبصل. قالت داني: «أرجوكم»، ولكن لم يسمعها إلَّا ميسانداي، فنهضَت الملكة ورفعَت عقيرتها قائلةً: «صمتًا! سمعتُ ما يكفي».

جثا السير باريستان على رُكبته قائلًا: «جلالة الملكة، نحن رهن إشارتكِ. ماذا تُريدينا أن نفعل؟».

- «واصِلوا كما خطَّطنا. اجمعوا كلَّ ما تقدرون عليه من طعام». *إذا نظرتُ ورائي فأنا ضائعة*. «علينا أن نُغلِق البوَّابات ونضع كلَّ رجلٍ مُقاتل على الأسوار. لا أحد يَدخُل ولا أحد يَخرُج».

رانَ الصَّمت على القاعة لحظةً إذ تبادلَ الرِّجال النَّظر، ثم سألَها رزناك: «وماذا عن الأستاپوريِّين؟».

أرادَت أن تَصرُخ، أن تكزَّ على أسنانها وتُمزِّق ثيابها وتدقَّ على الأرض، لكنها بدلًا من ذلك قالت: «أغلِقوا البوَّابات. هل ستجعلونني أقولها ثلاثًا؟». إنهم أطفالها، إلَّا أنها لا تستطيع أن تمدَّهم بالعون الآن. «اترُكوني. داريو، ابقَ. لا بُدَّ من غسل هذا الجرح، ولديَّ أسئلة أخرى لك».

انحنى الآخَرون وانصرَفوا، وأخذَت داني داريو نهاريس إلى مسكنها بالأعلى، حيث غلسَت إيري جرحه بالخلِّ وضمَّدته چيكوي بالكتَّان، وبعدها صرفَت وصيفاتها أيضًا، ثم قالت لداريو: «ثيابك ملوَّثة بالدِّماء. اخلعها».

قال: «بشرط أن تخلعي ثيابكِ أيضًا»، وقبَّلها.

في شَعره روائح الدَّم والدُّخان والخيول، وشعرَت داني بفمه قويًّا حارًّا على فمها. ارتجفَت بين ذراعيه، ولمَّا افترَقا قالت: «حسبتك أنت خائني. الدجَّالون قالوا مرَّةً من أجل الذَّهب ومرَّةً من أجل الدَّم ومرَّةً من أجل الحُب. تصوَّرتُ... لم أتصوَّر قَطُّ أن يكون بن پلوم. حتى تنانيني بدا أنهم يثقون به»، وأمسكَت قائدها من كتفيه مردفةً: «عِدني بأنك لن تنقلب عليَّ أبدًا. لن أحتمل ذلك. عِدني».

- «مستحيل يا حبيبتي».

وصدَّقته داني، وقالت: «أقسمتُ أن أتزوَّج هيزدار زو لوراك إذا منحَني تسعين يومًا من السَّلام، لكن الآن... لقد أردتك منذ رأيتك أول مرَّة، لكنك كنت مرتزِقًا خدَّاعًا خوَّانًا، وتباهيت بأنك جامعت مئة امرأة».

قهقهَ داريو من تحت لحيته الأرجوانيَّة قائلًا: «مئة؟ كذبتُ يا مليكتي الجميلة. كُنَّ ألفًا، ولكن ولا واحدة منهن كانت تنِّينةً».

رفعَت شفتيها إلى شفتيه متسائلةً: «ماذا تنتظر؟».

---

(56) الحلَّاق الجرَّاح مهنة تعود إلى العصور الوُسطى في أوروبا. في ذلك الحين لم يكن الأطبَّاء عمومًا يُجرون العمليَّات الجراحيَّة وإنما كان يُجريها الحلَّاقون الذين اعتادوا أن يحملوا معهم أدوات الحلاقة والجراحة في آنٍ واحد. (المُترجم).

الرَّماد الأسود متكتِّل في المستوقَد، ولا حرارة في الغُرفة إلَّا تلك المنبعثة من الشُّموع التي متى انفتحَ باب تراقصَ لهبها وارتجفَ. كانت العروس ترتجف أيضًا. ألبَسوها فُستانًا من صوف الحملان الأبيض المزركش بشرائط الزِّينة وعلى كُمَّيه وصدره لآلئ المياه العذبة، وانتعلَت خُفَّين من جِلد الظِّباء الأبيض، جميل شكلهما لكنهما لا يُدفِّئان قدميها.

وجهها ممتقع غاضَت منه الدِّماء، وقد فكَّر ثيون جرايچوي وهو يضع معطفًا مزيَّنًا بالفرو على كتفيها: *وجه منحوت من الجليد، جثَّة مدفونة في الثَّلج*. «حان الوقت يا سيِّدتي». كانت الموسيقى تُناديهما من وراء الباب، العود والمزمار والطَّبلة.

رفعَت العروس عينيها، عينين بنِّيَّتين تلمعان في ضوء الشُّموع، وقالت: «سأكونُ زوجةً صالحةً له، ومخلصةً. سـ... سأرضيه وأنجبُ له أبناءً. سأكونُ زوجةً أفضل من آريا الحقيقيَّة، سيرى».

مِثل هذا الكلام سيُؤدِّي بكِ إلى القتل أو أسوأ. لقد تعلَّم هذا الدَّرس وهو ريك. «أنتِ آريا الحقيقيَّة يا سيِّدتي، آريا سليلة عائلة ستارك، ابنة اللورد إدارد، وريثة (وينترفل)». *اسمها، يجب ان تعرف اسمها*. «آريا المُداسة. أختكِ اعتادت دعوتكِ بآريا وجه الحصان».

قالت: «أنا مَن ابتكرتُ هذا الاسم. كان وجهها طويلًا كوجوه الخيل. وجهي ليس كذلك. كنتُ جميلةً»، وانسكبَت الدُّموع من عينيها أخيرًا إذ واصلَت: «لم أكن بحُسن سانزا قَطُّ، لكنهم قالوا جميعًا إنني جميلة. هل يراني اللورد رامزي جميلةً؟».

أجابَ كاذبًا: «نعم، لقد أخبرَني بنفسه».

- «لكنه يعرف مَن أنا، مَن أنا حقًّا. أرى هذا كلَّما نظرَ إليَّ. يبدو غاضبًا جدًّا، حتى وهو مبتسم، لكنها ليست غلطتي. يقولون إنه يحبُّ إيذاء النَّاس».

- «لا يَجدُر بسيِّدتي أن تُصغي إلى هذه... الأكاذيب».

- «يقولون إنه آذاك. يداك و...».

قال بفمٍ جاف: «اسـ... استحقَقتُ هذا. لقد أغضبته. يجب ألَّا تُغضِبيه. اللورد رامزي رجل... حليم وعطوف. أرضيه وسيُعامِلك بلُطف. كوني زوجةً صالحةً».

قالت متشبِّثةً به: «ساعِدني، أرجوك. لقد اعتدتُ مشاهدتك في السَّاحة تلعب بالسُّيوف. كنت وسيمًا للغاية»، واعتصرَت ذراعه متابعةً: «إذا فررنا فيُمكنني أن أكون زوجتك أو... أو عاهرتك... كما تُريد. يُمكنك أن تكون رجلي».

انتزعَ ثيون ذراعه قائلًا: «لستُ... لستُ رجل أحد». *كان رجل يُساعِدها*. «فقط... فقط كوني آريا، كوني زوجته. أرضيه وإلَّا... أرضيه فقط، وكفِّي عن هذا الكلام عن كونكِ واحدةً أخرى». *چين، اسمها چين، على قافية حزين*. كانت الموسيقى ترتفع بإصرار، فقال لها: «حانَ الوقت. امسحي هذه الدُّموع من عينيكِ». عينان بنِّيَّتان. *المفترَض أن تكونا رماديَّتين. أحدهم سيرى، أحدهم سيتذكَّر*. «عظيم. والآن ابتسمي».

حاولَت الفتاة. اختلجَت شفتاها وانفرجَتا وتجمَّدتا على هذا الوضع فرأى أسنانها. *أسنان بيضاء نضيدة، لكن إذا أغضبَته فلن نظلَّ نضيدةً طويلًا*. حين فتحَ الباب انطفأَت ثلاث من الشَّمعات الأربع، وقادَ ثيون العروس إلى الضَّباب حيث ينتظر ضيوف الزِّفاف.

عندما أخبرَته الليدي داستن بأن عليه تسليم العروس سألَها: «لماذا أنا؟».

- «أبوها وإخوتها ماتوا جميعًا، وأمُّها قُتِلَت في (التَّوأمتين)، وعمَّاها أحدهما مفقود والثَّاني ميت، وخالها أسير».

- «ما زالَ لها أخ». كان ليقول: *ما زالَ لها ثلاثة إخوة*. «چون سنو مع حَرس اللَّيل».

- «أخ غير شقيق ونغل ومرهون بـ(الجِدار). أنت كنت ربيب أبيها، أقرب شيءٍ إلى ذي قُربى حي. واجبك أن تُسلِّم يدها للزَّواج».

أقرب شيءٍ إلى ذي قُربى حي. ثيون جرايچوي نشأ مع آريا ستارك، وكان ليعرف إن كانت الفتاة زائفةً، وإذا شُوهِدَ يقبل فتاة بولتون باعتبارها آريا فلن يجد اللوردات الشَّماليُّون الذين اجتمعوا لشهادة الزِّفاف أساسًا للتَّشكيك في شرعيَّتها. ستاوت وسليت، وباقِر العاهرة أومبر، وآل ريزويل المشاكسون، ورجال هورنوود وأبناء عمومة سروين، واللورد البدين وايمان ماندرلي... لا أحد منهم يعرف ابنة ند ستارك كما يعرفها ثيون، وإذا كانت الشُّكوك تُساوِر بعضهم فمؤكَّد أنهم بالحكمة الكافية للاحتفاظ بها لأنفُسهم.

يستغلُّونني لستر خديعتهم، يضعون وجهي على كذبتهم. لهذا السَّبب ألبسَه رووس بولتون ثياب السَّادة ثانيةً، ليلعب دوره في هذه التَّمثيليَّة الهزليَّة، وما إن يتمَّ هذا، ما إن تُزَفَّ آريا الزَّائفة إلى رامزي ويُضاجِعها، فلن تعود لدى بولتون حاجة إلى ثيون المارِق. كان حضرة اللورد قد أخبرَه بصوته النَّاعم المخلوق للهمسات والأكاذيب: «اخدمنا في هذه المسألة، وحين يُهزَم ستانيس سنُناقش أفضل وسيلةٍ لاستعادتك مقرِّ أبيك». لم يُصدِّق ثيون كلمةً، لكنه سيَرقُص هذه الرَّقصة من أجلهم لأنه لا يملك خيارًا، وبعدها... *سيُعيدني إلى رامزي، وسيأخذ رامزي بضعة أصابع أخرى ويُحوِّلني إلى ريك ثانيةً*. ما لم تتكرَّم الآلهة ويَهجُم ستانيس باراثيون على (وينترفل) ويَقتُلهم جميعًا، بمَن فيهم هو. ذلك أقصى ما يُمكنه أن يتمنَّى.

من الغريب أن الجوّ أدفأ في أيكة الآلهة، لكن وراء تُخومها يُغشِّي (وينترفل) تجمُّد أبيض صلد. الطُّرقات خدَّاعةٌ مكسوَّة بالجليد الأسود، والصَّقيع يَبرُق في ضوء القمر المنعكس على ألواح الصُّوبة الزُّجاجيَّة المكسورة، وقد ارتفعَت أكوام الثَّلج القديم عند الجُدران مالئةً كلَّ تجويفٍ وشَق، بعضها عالٍ لدرجة أنها تُخفي الأبواب وراءها. تحت الثَّلج رماد وخَبَث، وهنا وهناك عارضة سقفٍ مسودَّة أو كومة من العظام المزوَّقة ببقايا الجِلد والشَّعر. من الشُّرفات تتدلَّى كُتل جليدٍ طويلة كالرِّماح وتُهدِّب الأبراج كشوارب رجلٍ عجوز بيضاء يابسة، لكن داخل أيكة الآلهة لم تتجلَّد الأرض، والبُخار يتصاعَد من البِرك السَّاخنة دافئًا كأنفاس رضيع.

ارتدَت العروس الأبيض والرّمادي، اللّونين اللذين كانت آريا الحقيقيّة لترتديهما لو عاشَت لتتزوّج، في حين ارتدى ثيون الأسود والذّهبي، وثبّت معطفه إلى كتفه دبُوس غير متقَن الصُّنع لكراكِن من الحديد صنعَه له حدّاد (بلدة الرّوابي). لكن تحت قلنسوته شَعره أبيض خفيف، ولبشرته لون رمادي باهت كالهرِمين. *من آل ستارك أخيرًا*. متأبّطةً ذراعه، مرّت العروس معه من بابٍ حجري مقنطَر فيما تراقصَت خيوط الضّباب حول أقدامهما. صوت الطّبل واجف كقلب فتاةٍ صغيرة، والمزامير عالية عذبة تجتذبك إليها. فوق قمم الأشجار يطفو هلال في السّماء المظلمة ويُواري الضّباب نِصفه، كعينٍ تَنظُر عبر حجابٍ من الحرير.

ليست أيكة الآلهة هذه غريبةً على ثيون جرايچوي. لقد لعبَ هنا في صِباه، يُنطّط الأحجار على سطح البِركة السّوداء تحت شجرة الويروود، ويُخبّئ كنوزه في جذع سنديانةٍ عتيقة، ويتربّص بالسّناجب بقوسٍ صنعَه بنفسه. ولاحقًا، وقد كبرَ بعض الشّيء، كثيرًا ما كان يغمس رضوضه في الينابيع السّاخنة بعد التّدريب في السّاحة مع روب وچوري وچون سنو. وسط أشجار الكستناء والدّردار والصّنوبر الجُندي هذه وجدَ أماكن سرّيّةً يختفي فيها حين يبغي العُزلة، وأول مرّةٍ قبّل فتاةً كانت هنا، ولاحقًا جعلَت فتاة مختلفة منه رجلًا فوق لحافٍ رث في ظلّ شجرة الحارس الطّويلة هذه.

بيد أنه لم يرَ أيكة الآلهة في هذه الصُّورة قَطُّ، رماديَّة شاحبة ملأى بالغيوم الدَّافئة والأضواء الطَّافية والأصوات الهامسة التي تأتي في آنٍ واحدٍ من كلِّ مكانٍ ولا مكان. تحت الأشجار تبعث الينابيع السَّاخنة بُخارها، وترتفع أبخرة دافئة من الأرض مكفِّنةً الأشجار بأنفاسها الرَّطبة وزاحفةً على الجُدران تُسدِل ستائر رماديَّةً على النَّوافذ المطلَّة.

ثمَّة طريق -نوعًا- هنا، ممشى من الحجارة المتشقِّقة التي تنمو منها الطَّحالب بكثافة ويدفنها جُزئيًا التُّراب المذروُّ والأوراق السَّاقطة، وتجعلها خدَّاعةً الجذور البنِّيَّة الغليظة البارزة من أسفل. قادَ ثيون العروس على الممشى مفكِّرًا: چين، *اسمها چين، على قافية حزين*. لكن يجب ألَّا يُفكِّر في ذلك. إذا خرجَ الاسم من بين شفتيه فقد يُكلِّفه إصبعًا أو أُذنًا. مشى على مهلٍ حارصًا على كلِّ خُطوة، فأصابع قدميه المفقودة تجعله يعرج إذا أسرعَ، ولن يَصلُح أن يتعثَّر. أفسِد زفاف اللورد رامزي بزلَّةٍ وقد يتدارَك اللورد رامزي ذلك الخرَق بسلخ القدم المخطئة.

الضَّباب كثيف للغاية حتى إن المرئيَّ من الأشجار أقربها فقط، ووراءها ظلال طويلة وأضواء واهنة، وعلى جانب الممشى وبين الأشجار تتذبذَب الشُّموع كيَراعاتٍ شاحبة طافية في حَساءٍ رمادي دافئ. شعرَ كأنه في عالمٍ سُفلي غريب، في مكانٍ ما بين العوالم لا يعرف الزَّمن، حيث يتسكَّع الملعونون الحزانى بعض الوقت قبل أن ينزلوا إلى الجحيم التي أفضَت بهم إليها خطاياهم. *أنحن موتى جميعًا إذن؟ هل جاءَ ستانيس وقتلَنا ونحن نائمون؟ هل ستقوم المعركة أم أنها قامَت بالفعل وانتهَت بالهزيمة؟*

هنا وهناك يتّقد مشعل بجوعٍ ملقيًا وهجًا محمرًّا على وجوه حاضري الزّفاف، وقد جعلَ الضّوء المتبدّل المنعكِس على الضّباب ملامحهم تبدو حيوانيّةً، شِبه بَشريّة، مشوّهةً. أصبحَ اللورد ستاوت دِرواسًا، واللورد لوك عُقابًا، وباقِر العاهرة أومبر كَرجَلًا، ووالدر فراي الكبير ثعلبًا، ووالدر الصّغير تورًا أحمر يفتقر فقط إلى خاتمٍ في أنفه. أمّا وجه رووس بولتون فقناع باهت، وحيث يجب أن تكون عيناه ثمّة رُقاقتان من الثّلج المتّسخ.

فوق رؤوسهم تمتلئ الأشجار بالغِدفان الجاثمة بريشٍ منفوش على الفروع البنّيّة الجرداء تُشاهِد الاحتفال بالأسفل. *طيور المِايستر لوين*. مات لوين واحترقَ بُرج المِايستر، لكن الغِدفان باقية. *هذا موطنها*. تساءلَ ثيون عن كنه ذلك الإحساس، أن يكون له موطن.

ثم انشقّ الضّباب كستارٍ يُفتَح في مسرحيّةٍ ليكشف عن مشهدٍ جديد. ظهرَت شجرة القلوب أمامهما باسطةً أطرافها العظميّة المتشعّبة، تتراكَم أوراقها السّاقطة حول الجذع الأبيض في أكوامٍ من الأحمر والبنّي، وفوق الشّجرة الغِدفان كثرة كاثرة، تتبادَل التّمتمة بلُغة السّرب السرّيّة. وقفَ رامزي بولتون تحتها منتعلًا حذاءً طويل الرّقبة من الجِلد الرّمادي اللّدن، ومرتديًا سُترةً من المخمل الأسود المشرّط بالحرير الوردي الذي تلتمع عليه قطرات دموعٍ من العقيق الأحمر. تلاعبَت ابتسامة على وجهه فوق عُنقه الأحمر البارز من ياقته، وبشفتين رطبتين سألَ: «مَن يأتي؟ مَن يأتي أمام الآلهة؟».

أجابَ ثيون: «آريا سليلة عائلة ستارك أتَت هنا تتزوّج، امرأة بالغة مزهرة وابنة شرعيّة نبيلة أتَت تتوسّل بركات الآلهة. مَن يأتي يَطلُبها؟».

أجابَ رامزي: «أنا، رامزي سليل عائلة بولتون، سيِّد (هورنوود) ووريث (معقل الخوف). أنا أطلبها. من يُسلِّمها؟».

- «ثيون سليل عائلة جرايچوي، الذي كان ربيب أبيها»، والتفتَ إلى العروس متسائلًا: «ليدي آريا، هل تقبلين هذا الرَّجل؟».

رفعَت عينيها إليه. *عيناها بنِّيَّتان لا رماديَّتان. أهُم عُمي جميعًا؟* للحظةٍ طويلة لم تتكلَّم، لكن الضَّراعة لاحَت في هاتين العينين. *ها هي ذي فُرصتكِ. أخبِريهم، أخبِريهم الآن، ارفعي صوتكِ باسمكِ الحقيقي أمام الجميع، قولي لهم إنكِ لستِ آريا ستارك، أخبِري الشَّمال كلَّه كيف أجبَروكِ على لعب هذا الدَّور.* سيعني هذا موتها حتمًا، وموته أيضًا، ولكن قد يَقتُلهما رامزي سريعًا في غضبته. قد تهب لهما آلهة الشَّمال القديمة هذه العطيَّة الصَّغيرة.

أجابَت العروس هامسةً: «أقبلُ هذا الرَّجل».

في كلِّ اتِّجاهٍ حولهم تُومِض الأضواء عبر الغيوم، مئة شمعةٍ شاحبة كالنُّجوم المحتجبة. تراجعَ ثيون، وأمسكَ رامزي يد عروسه وركعا أمام شجرة القلوب خافضيْن رأسيهما دلالةً على الخضوع، وحدَّقت إليهما عينا الويروود الحمراوان المنقوشتان، فمها الأحمر الكبير مفتوح كأنما يضحك، ووسط الفروع بالأعلى نعقَ غُداف.

بعد لحظةٍ من الصَّلاة الصَّامتة نهضَ الرَّجل والمرأة، وخلعَ رامزي المعطف الذي وضعَه ثيون على كتفَي العروس قبل دقائق، المعطف الصُّوف الأبيض الثَّقيل المؤطَّر بالفرو الرَّمادي والمزيَّن بذئب عائلة ستارك الرَّهيب، وبدلًا منه وضعَ معطفًا ورديًّا مزيَّنًا بالعقيق الأحمر كسُترته، على ظَهره رجل (معقل الخوف) المسلوخ المطرَّز بجِلدٍ أحمر يابس يبدو كالحًا قبيحًا.

وبهذه السُّرعة قُضِيَ الأمر. تستغرق الزِّفافات وقتًا أقصر في الشَّمال، ويظنُّ ثيون أن هذا يرجع إلى عدم وجود رُهبان، لكن أيًّا كان السَّبب فإنها تبدو له رحمةً. حملَ رامزي بولتون زوجته بين ذراعيه وتقدَّم بها مقتحمًا الضَّباب، وتبعَه اللورد بولتون وزوجته الليدي والدا ثم الآخَرون. بدأ الموسيقيُّون يعزفون من جديد، وشرعَ الشَّاعر إيبل يُغنِّي (قلبان ينبضان كواحد)، وانضمَّت إليه اثنتان من نسوته ليصنعوا معًا لحنًا متناغمًا عذبًا.

وجدَ ثيون نفسه يتساءَل إن كان عليه أن يُصلِّي. *هل ستسمعني الآلهة القديمة إذا صلَّيتُ؟* ليست هذه آلهته ولم تكن كذلك قَطُّ. إنه حديدي الميلاد، ابن (پايك)، إلهه إله الجُزر الغريق... لكن (وينترفل) تَبعُد فراسخ طويلةً عن البحر. لقد مضى عُمر كامل منذ سمعَه إله، ولا يدري من يكون وماذا يكون ولِمَ لا يزال حيًّا ولِمَ وُلِدَ من الأصل.

ثم خُيِّلَ إليه أن صوتًا يهمس: «ثيون».

بحدَّةٍ رفعَ رأسه سائلًا: «مَن قال هذا؟»، ولم يرَ إلَّا الأشجار والضَّباب الذي يكسوها. كان الصَّوت خافتًا كحفيف الأوراق، باردًا كالكراهية. صوت *إله، أو* صوت *شبح*. كم شخصًا ماتَ يوم استولى على (وينترفل)؟ وكم يوم فقدَها؟ يوم *ماتَ ثيون جرايچوي ليُولَد ثانيةً في صورة ريك. ريك، ريك، على قافية أرديك*.

فجأةً لم يَعُد يُريد البقاء هنا.

فور أن خرجَ من أيكة الآلهة انقضَّ عليه البرد كذئبٍ مفترس وأطبقَ عليه بأسنانه، فخفضَ رأسه في الرِّيح وشقَّ طريقه نحو القاعة الكُبرى مسرعًا وراء طابور الشُّموع والمشاعل الطَّويل. انسحقَ الجليد تحت حذائه، ودفعَت هبَّة مفاجئة قلنسوته كأن شبحًا انتزعَها بأصابع متجلِّدةٍ متجوِّعًا لرؤية وجهه.

(وينترفل) ملأى بالأشباح في عين ثيون جرايچوي.

هذي ليست القلعة التي يَذكرُها من صيف شبابه. المكان مشوَّه مكسور، خراب أكثر من معقل، مثوى للغِدفان والجُثث. ما زالَ السُّور الواقي المزدوَج العظيم قائمًا، فالجرانيت لا يستسلم بسهولةٍ للنَّار، لكن غالبيَّة الأبراج والحصون بالدَّاخل بلا سقوف، وبعضها انهارَ. التهمَت النِّيران القشَّ والأخشاب كليًّا أو جزئيًّا، وتحت ألواح الصُّوبة الزُّجاجيَّة المحطَّمة الخضراوات التي كانت لتُطعِم القلعة خلال الشِّتاء ميتة وسوداء ومتجمِّدة. تملأ السَّاحة الخيام شِبه المدفونة في الثَّلج، إذ جلبَ رووس بولتون جيشه إلى داخل القلعة ومعه أصدقاءه أبناء فراي، فتزاحمَ الآلاف بين الأطلال شاغلين كلَّ باحةٍ وفِناء، ينامون في الأقبية وتحت أبراجٍ عديمة السُّقوف وداخل مبانٍ مهجورة منذ قرون.

تصاعدَت أعمدة الدُّخان الرَّمادي من المطابخ المعاد بنائها والثُّكنات المزوَّدة بسقوفٍ جديدة، وتُوِّجت الشُّرفات والشُّرَّافات[57] بالثَّلج وتدلَّت منها كُتَل الجليد، فغابَت الألوان كلُّها من (وينترفل) حتى تبقَّى الأبيض والرَّمادي وحدهما. *لونا عائلة ستارك*. لا يدري ثيون إن كان حريًّا به أن يجد في هذا مدعاةً للتَّشاؤم أم التَّفاؤل. حتى السَّماء رماديَّة. *رمادي هنا وهناك وفي كلِّ مكان. العالم كلُّه رمادي أينما نظرت، كلُّ شيءٍ رمادي باستثناء عينَي العروس*. عينا العروس بنِّيَّتان. *كبيرتان وبنِّيَّتان ومفعمتان بالخوف*. لم تكن فكرةً سديدةً أن تتطلَّع إليه ليُنقِذها. ماذا كانت تحسب؟ أنه سيُطلِق صفيرًا يُنادي حصانًا مجنَّحًا ويطير بها من هنا كأحد أبطال القِصص التي أحبَّتها سانزا؟ إنه لا يستطيع أن يُساعِد نفسه حتى. *ريك، ريك، على قافية ركيك*.

في كلِّ أنحاء السَّاحة يتدلَّى الموتى شِبه متجمِّدين من حبال القنَّب، وجوههم المنتفخة مبيضَّة من الصَّقيع. كانت (وينترفل) تعجُّ بواضعي اليد حين بلغَت طليعة جيش بولتون القلعة. طُرِدَ أكثر من دستتين منهم بحدِّ الحربة من الأعشاش التي صنعوها بين الحصون والأبراج الخربة، وشُنِق أجرأهم وأشرسهم وكُلِّف الباقون بالعمل، وقال لهم اللورد بولتون أن يُحسِنوا الخدمة وسيُعامِلهم برحمة. الأحجار والأخشاب وفيرة في (غابة الذِّئاب) القريبة، فقامَت بوَّابات جديدة قويَّة أولًا بدلًا من تلك التي احترقَت، ثم أزيلَ سقف القاعة الكُبرى المتهاوي ووُضِع واحد جديد في مكانه على عجل، وحين انتهى العمل شنق اللورد بولتون العُمَّال، وقد برَّ بكلمته وأبدى الرَّحمة ولم يَسلُخ أحدًا منهم.

في ذلك الحين كانت بقيّة جيش بولتون قد وصلَت. رُفِعَ وعل تومن وأسده فوق أسوار (وينترفل) فيما هبَّت الرِّيح تعوي من الشَّمال، وتحت راية الملك رُفِعَ رجل (معقل الخوف) المسلوخ. وصلَ ثيون مع موكب باربري داستن، مع حضرة الليدي نفسها وجُند (بلدة الرَّوابي) والعروس، إذ أصرَّت الليدي داستن على أن تظلَّ الليدي آريا تحت وصايتها حتى الزِّفاف، وقد تمَّ هذا. *إنها تنتمي إلى رامزي الآن. لقد ردَّدت النُّذور.* بهذه الزَّيجة يُصبِح رامزي سيِّد (وينترفل)، وما دامَت چين حريصةً على عدم إغضابه فمن المفترَض ألَّا يجد سببًا لإيذائها. *آريا، اسمها آريا.*

حتى في قُفَّازيهما المبطَّنيْن بالفرو بدأت يدا ثيون تنبضان ألمًا. غالبًا ما يحسُّ بأسوأ الألم في يديه، بالذَّات في أصابعه المفقودة. هل كان هناك وقت حقًّا اشتاقَت فيه النِّساء إلى لمسته؟ *جعلتُ نفسي أمير (وينترفل)، ومن ذلك جاءَ كلُّ هذا.* لقد تصوَّر أن النَّاس سيُغنُّون عنه مئة عامٍ ويحكون الحكايات عن جراءته، لكن إذا تكلَّموا عنه الآن فإنهم يَذكُرونه باعتباره ثيون المارِق، وحكاياتهم عن خيانته. *لم تكن هذه داري قَطُّ. كنتُ رهينةً هنا.* لم يُعامِله اللورد ستارك بقسوة، ولكن لطالما ظلَّ ظلُّ سيفه الفولاذي العظيم بينهما. *عاملَني بكياسةٍ ولكن ليس بدفءٍ إطلاقًا. كان يعلم أنه قد يضطرُّ إلى قتلي ذات يوم.*

أبقى ثيون عينيه منخفضتين وهو يقطع السَّاحة شاقًّا طريقه بين الخيام. *تعلَّمتُ القتال في هذه السَّاحة*. تذكَّر الأيام الصَّيفيَّة الدَّافئة التي قضاها في النِّزال مع روب وچون سنو تحت عينَي السير رودريك اليقظتين. كان ذلك وهو كامل يستطيع الإمساك بمقبض سيفٍ كأيِّ رجلٍ طبيعي. إلَّا أن السَّاحة تحمل له ذكرياتٍ سيِّئةً أيضًا. هنا جمعَ قوم ستارك ليلة فرار بران وريكون من القلعة. كان رامزي هو ريك آنذاك، يقف إلى جانبه ويهمس أن عليه أن يَسلُخ بعض أسراه ليجعلهم يُخبِرونه بمكان الصَّبيَّين، فردَّ ثيون: *لن يُسلَخ أحد هنا ما دمتُ أمير (وينترفل)*، ولم يكن يخال كم سيكون عهده قصيرًا. *لم يتحرَّك أحد منهم ليُساعِدني. عرفتهم نِصف حياتي ولم يتحرَّك أحد منهم قيد أُنملة ليُساعِدني*. وعلى الرغم من ذلك بذلَ قصارى جهده ليُساعِدهم، ولكن بمجرَّد أن خلعَ رامزي قناع ريك قتلَ الرِّجال جميعًا وحديديِّي ثيون أيضًا. *وأشعلَ النَّار في حصاني*. كان ذلك آخِر مشهدٍ رآه يوم سقطَت القلعة، سمايلر يحترق، يرتفع اللَّهب من لبدته إذ رفعَ قائمتيه الأماميَّتين يَرفُس ويَصرُخ وقد ابيضَّت عيناه رُعبًا. *هنا في هذه السَّاحة*.

لاحَ باب القاعة الكُبرى أمامه، باب جديد حلَّ محلَّ الذي احترقَ، وبدَت له ألواح الخشب الخام المثبَّتة معًا على عجلٍ بدائيَّةً قبيحةً. يقف حاملا حِراب حراسةً، وقد انكمشا على نفسيهما وراحا يرتجفان تحت معطفيهما الفرو السَّميكين واكتسَت لحيتاهما بقشرةٍ من الجليد. رمقا ثيون بامتعاضٍ وهو يحجل صاعدًا السَّلالم، قبل أن يدفع مصراع الباب الأيمن ويخطو إلى الدَّاخل.

وجدَ القاعة دافئةً على نحوٍ محبَّب وتسطع في أرجائها أضواء المشاعل، وأشد ازدحامًا من أيِّ مرَّةٍ رآها فيها. تركَ ثيون الحرارة تغمره ثم شقَّ طريقه إلى مقدِّمة القاعة. جلسَ الرِّجال محشورين على الدِّكك، ملتزِّين لدرجة أن الخدم يمرُّون من بينهم بعُسر، وحتى الفُرسان واللوردات فوق الملح تمتَّعوا بمساحةٍ أضيق من المعتاد.

قُرب المنصَّة كان إيبل يَنقُر على أوتار عوده ويُغنِّي (حسناوات الصَّيف). *يُسمِّي نفسه شاعرًا، والحقيقة أنه أقرب إلى قوَّاد*. جلبَ اللورد ماندرلي معه موسيقيِّين من (الميناء الأبيض)، لكن أحدًا منهم لا يُغنِّي، وهكذا حين ظهرَ إيبل عند البوَّابة ومعه عود وستُّ نساء قُوبِلَ بالتَّرحاب. «أختان وابنتان وزوجتي وأمِّي العجوز». هكذا ادَّعى المغنِّي، ولو أن ولا واحدة منهن تُشبِهه. «بعضهن راقصات، بعضهن مغنِّيات، وإحداهن تعزف على المزمار وأخرى على الطَّبلة. إنهن غسَّالات جيِّدات أيضًا».

سواء أكان شاعرًا أم قوَّادًا فصوت إيبل مقبول وعزفه طيِّب، وهذا أفضل ما يُمكن أن يتوقَّعه المرء بين الأطلال.

على الجُدران رايات معلَّقة: رؤوس خيول آل ريزويل بالذَّهبي والبنِّي والرَّمادي والأسود، وعملاق عائلة أومبر الهادر، ويد آل فلينت أولاد (إصبع فلينت) الحجريَّة، وموظ عائلة هورنوود وعريس بحر عائلة ماندرلي، وفأس سروين الحربيَّة السَّوداء وصَنوبرات تولهارت... لكن ألوانها الزَّاهية لم تُفلِح في إخفاء الجُدران المسودَّة وراءها تمامًا، ولا الألواح التي تُغلِق الفتحات التي كانت من قبل نوافذ. حتى السَّقف خطأ، ألواحه الخام الجديدة فاتحة اللَّون، على عكس العوارض القديمة التي سوَّدها الدُّخان عن آخِرها تقريبًا على مرِّ القرون.

أكبر الرَّايات وراء المنصَّة، حيث عُلِّق ذئب (وينترفل) الرَّهيب ورجل (معقل الخوف) المسلوخ وراء العروس والعريس. أصابَ مشهد راية ستارك ثيون بضربةٍ أعنف مما توقَّع. *خطأ، هذا خطأ، خطأ كعينيها*. راية عائلة پوول طبق أزرق على خلفيَّةٍ بيضاء داخل إطارٍ رمادي مثلَّث. تلك هي الرَّاية التي كان عليهم تعليقها.

بينما مرَّ قال أحدهم: «ثيون المارِق»، وأشاحَ بعضهم بوجهه لمرآه، وبصق آخَر. *ولِمَ لا؟* إنه الخائن الذي استولى على (وينترفل) غدرًا وقتلَ أخويه بالتَّربية وقادَ قومه إلى السَّلخ في (خندق كايلن) وسلَّم أخته بالتَّربية إلى فِراش اللورد رامزي. قد يستغلُّه رووس بولتون، لكن مؤكَّد أن الشَّماليِّين الحقيقيِّين يحتقرونه.

جعلَت الأصابع المفقودة من قدمه اليُسرى مشيته منحرفةً خرقاء هزليَّة المنظر. من ورائه سمعَ امرأةً تضحك. حتى هنا في هذه القلعة المقبرة شِبه المتجمِّدة، ووسط الثُّلوج والجليد والموت، ما زالَت هناك نساء. *غسَّالات*. إنها الطَّريقة المهذَّبة لقول «تابعات معسكَرات»، وهي الطَّريقة المهذَّبة لقول «عاهرات».

لا يدري ثيون من أين يأتين، ويبدو له أنهن يظهرن فحسب، كاليرقات على جثَّةٍ أو الغِدفان بعد معركة. كلُّ جيش يجتذبهن. بعضهن عاهرات متمرِّسات يستطعن مضاجعة عشرين رجلًا في اللَّيلة ومباراتهم في الشُّرب حدَّ العمى، وأخريات تبدو عليهن براءة العذارى لكنها مجرَّد واحدةٍ من حيل مهنتهن، وبعضهن عرائس معسكَرات مرتبطات بالجنود الذين يتبعنهم بكلماتٍ هُمِسَت لإلهٍ أو غيره، ولكن محكوم عليهن بالنِّسيان حالما تضع الحرب أوزارها. أولئك يُدفِّئن سرير الرَّجل ليلًا، ويرتقن حذاءه المثقوب صباحًا، ويَطبُخن عشاءه عند الغسق، ويسرقن متعلِّقاته من جثَّته بعد المعركة، وبعضهن يغسل الثِّياب أيضًا. في أغلب الأحيان يأتي معهن أطفال نغول، مخلوقات قذرة بائسة مولودة في معسكَرٍ أو آخَر... وحتى أمثالهن يسخرن من ثيون المارِق. *فليضحكوا!* لقد ماتَت كبرياؤه هنا في (وينترفل)، فلا مجال لها في زنازين (معقل الخوف). إن خبزَ المرء قُبلة سكِّين السَّلخ فقدَ الضَّحك قُدرته كلَّها على إيلامه.

منحَه دمه وميلاده مكانًا على المنصَّة في طرف المائدة العالية عند الحائط. جلسَت إلى يساره الليدي داستن متَّشحةً كدأبها بالصُّوف الأسود المحتشم الخالي من الزِّينة، وإلى يمينه لا أحد. يخشون جميعًا *أن يُصابوا بعدوى العار*. لو يجرؤ لضحكَ.

اتَّخذت العروس موضع الشَّرف الأسمى بين رامزي وأبيه، وجلسَت خافضةً عينيها فيما طلبَ رووس بولتون من ضيوفه أن يشربوا نخب الليدي آريا، وقال: «في أطفالها ستُصبِح عائلتانا العريقتان واحدةً وتنتهي العداوة الطَّويلة بين ستارك وبولتون». صوته خفيض لدرجة أن القاعة لاذَت بالصَّمت وأرهفَ الرِّجال آذانهم ليسمعوا. واصلَ: «يُؤسِفني أن صديقنا العزيز ستانيس لم ينضمَّ إلينا بعدُ»، فتفجَّر الضَّحك. «أعلمُ أن رامزي كان يأمل أن يُقدِّم رأسه لليدي آريا هديَّةً»، وتضاعفَ الضَّحك. «حين يصل سنُرحِّب به ترحيبًا عظيمًا، ترحيبًا يليق بالشَّماليِّين الحقيقيِّين. حتى ذلك الحين دعونا نأكل ونشرب ونمرح... فالشِّتاء على الأبواب أيها الأصدقاء، وكثيرون منا هنا لن يعيشوا حتى يروا الرَّبيع».

زوَّد سيِّد (الميناء الأبيض) المأدبة بالمأكولات والمشروبات. كان قد جلبَ معه بيرةً سوداء وبيرةً صفراء وخمورًا حمراء وذهبيَّةً وأرجوانيَّةً مشحونةً من الجنوب الدَّفيء على سُفنٍ واسعة المخازن ومعتَّقةً في أقبيةٍ عميقة، والتهمَ ضيوف الزِّفاف كعكات سمك القُد والقرع الشَّتوي، وتلالًا من الكرنب وقوالب دائريَّةً ضخمةً من الجُبنة، وشرائح الضَّأن المدخَّن وضلوع البقر المسفوعة حتى الاسوداد، وأخيرًا ثلاث كعكات زفافٍ هائلة قُطرُ كلٍّ منها كعجلة العربة، قشرتها الهشَّة محشوَّة حتى الانفجار بالجزر البُرتقالي والأبيض والبصل واللِّفت والفطر وقطع لحم الخنزير المتبَّل السَّابحة في مرقٍ بنِّي شهي. قطَّع رامزي من الكعكات بمِنجليِّه، وقدَّم وايمان ماندرلي الأطباق بنفسه حاملًا الحصَّة السَّاخنة الأولى إلى رووس بولتون وزوجته ابنة فراي البدينة، ثم إلى السير هوستين والسير إينس ابنَي والدر فراي، وأعلنَ اللورد السَّمين: «أفضل كعكةٍ ستأكلونها في حياتكم كلِّها أيها السَّادة. اشربوا معها نبيذ (الكرمة) الذَّهبي واستمتعوا بكلِّ قطعةٍ مِثلما سأستمتعُ».

مخلصًا لكلمته، أتى ماندرلي على ستِّ حصصٍ كاملة، اثنتين من كلِّ كعكة، طوال الوقت يتلمَّظ ويُربِّت على بطنه ويُتخِم نفسه إلى أن تلطَّخ وجه سُترته ببُقع المرق واتَّسخت لحيته بالفُتات، وحتى والدا فراي السَّمينة لم تستطِع أن تُباريه في شراهته، وإن أكلَت ثلاث قطعٍ وحدها. أكلَ رامزي بشهيَّةٍ أيضًا، أمَّا عروسه الشَّاحبة فلم تفعل أكثر من التَّحديق إلى القطعة الموضوعة أمامها، ولمَّا رفعَت رأسها ترنو إلى ثيون رأى الخوف في عينيها البنِّيَّتين الكبيرتين.

لم يُسمَح بالسُّيوف الطَّويلة داخل القاعة، لكن مع كلِّ رجلٍ خنجر، حتى ثيون جرايچوي، وإلَّا فكيف يُقطِّع اللَّحم؟ كلَّما نظرَ إلى الفتاة التي كانت چين پوول شعرَ بحضور هذا الفولاذ على جانبه. *لا أملكُ وسيلةً لمساعدتها، لكنني أستطيعُ أن أقتلها بسهولة. لن يتوقَّع أحد ذلك. يُمكنني أن ألتمس منها شَرف رقصةٍ وأشقَّ حَلقها. ستكون رحمةً، أليس كذلك؟ وإذا سمعَت الآلهة القديمة دُعائي فقد يفتك بي رامزي في خضمِّ غضبته أيضًا.* لا يخشى ثيون أن يموت، فلقد تعلَّم في أعماق (معقل الخوف) أن ثمَّة أشياء أنكى كثيرًا من الموت. لقَّنه رامزي هذا الدَّرس إصبعًا إصبعًا من يديه وقدميه، درسًا مُحال أن ينساه أبدًا.

علَّقت الليدي داستن قائلةً: «لست تأكل».

- «نعم». الأكل صعب عليه، إذ كسرَ رامزي كثيرًا من أسنانه حتى إن مجرَّد المضغ أصبحَ عذابًا. الشُّرب أسهل، مع أن عليه إمساك الكوب بكلتا يديه كي لا يُسقِطه.

قالت: «ألا تحبُّ كعك الخنزير يا سيِّدي؟ أفضل كعك خنزيرٍ أكلناه على الإطلاق كما يقول صديقنا البدين»، وأشارَت نحو اللورد ماندرلي بكوبها مردفةً: «هل رأيت رجلًا بدينًا بهذه السَّعادة من قبل؟ يكاد يَرقُص، ويُقدِّم الطَّعام بيديه».

إنها محقَّة. يبدو سيِّد (الميناء الأبيض) اللَّيلة نموذجًا للرَّجل البدين المرح، يضحك ويبتسم ويمزح مع اللوردات الآخَرين ويُربِّت على أكتافهم ويُنادي المغنِّين آمرًا بأن يعزفوا هذا اللَّحن أو ذاك. بصوتٍ جهوري قال ماندرلي: «أعطِنا (اللَّيل الذي انتهى) أيها المغنِّي. أعرفُ أنها ستروق العروس. أو غنِّ لنا عن الشَّابَّة الشُّجاعة داني فلينت وأبكِنا». كان المرء ليتصوَّر إذا نظرَ إليه أنها ليلة عُرسه هو.

قال ثيون: «إنه سكران».

- «يُغرِق مخاوفه. هذا الرَّجل جبان حتى النُّخاع».

حقًّا؟ ليس ثيون متأكِّدًا. كان ابناه بدينين أيضًا، لكنهما لم يُهينا نفسيهما في ميدان المعركة. قال: «حديديُّو الميلاد يُقيمون وليمةً قبل المعركة أيضًا. مذاق أخير من الحياة في حال كان الموت منتظرًا. إذا أتى ستانيس...».

قاطعَته الليدي داستن: «سيأتي، لا بُدَّ أن يأتي»، وقهقهَت متابعةً: «وعندما يأتي سيبول الرَّجل البدين على نفسه. لقد ماتَ ابنه في الزِّفاف الأحمر، وعلى الرغم من هذا تقاسمَ عيشه وملحه مع أبناء فراي ورحَّب بهم تحت سقفه ووعدَ أحدهم بحفيدته، بل ويُقدِّم لهم الكعك. سبقَ أن فرَّ آل ماندرلي من الجنوب وقد طردَهم أعداؤهم من أراضيهم ومعاقلهم. الدَّم لا يتبدَّل. لا أشكُّ في أن الرَّجل البدين يودُّ أن يَقتُلنا جميعًا، لكنه لا يملك الشَّجاعة رغم حجمه. تحت هذا اللَّحم المتصبِّب عرقًا ينبض قلب جبان ذليل كـ... كقلبك».

كانت كلمتها الأخيرة بمثابة جَلدة كُرباج، لكن ثيون لم يجرؤ على ردِّ الإهانة بالإهانة، فذلك خليق بأن يُكلِّفه شيئًا من جِلده. قال: «إذا كانت سيِّدتي تعتقد أن اللورد ماندرلي يُريد أن يخوننا فعليها إخبار اللورد بولتون».

- «أتحسب أن رووس لا يعلم؟ يا لك من سخيف. انظُر إليه، شاهِد كيف يُراقِب ماندرلي. لا صنف يمسُّ شفتَي رووس حتى يرى اللورد وايمان يأكل منه أولًا، ولا يأخذ رشفةً من النَّبيذ حتى يرى ماندرلي يشرب من البرميل نفسه. أظنُّه سيبتهج إذا بدَت من الرَّجل البدين بادرة خيانة. سيُسلِّيه ذلك. رووس عديم المشاعر كما ترى. تلك العَلقات التي يهواها امتصَّت عواطفه كلَّها منذ سنوات. إنه لا يحبُّ ولا يكره ولا يحزن. هذه بالنِّسبة إليه لُعبة مُلهية قليلًا. بعض الرِّجال يُمارس القنص وبعضهم الصَّيد وبعضهم يلعب النَّرد، أمَّا رووس فيلعب بالنَّاس. أنت وأنا، وأبناء فراي هؤلاء، واللورد ماندرلي، وزوجته الجديدة السَّمينة، وحتى نغله، كلُّنا لُعبه». مرَّ خادم، فمدَّت الليدي داستن كوبها وجعلَته يملأه بالنَّبيذ، ثم أشارَت له أن يملأ كوب ثيون أيضًا، وبعدها تابعَت: «الحقيقة أن اللورد بولتون يطمح إلى ما هو أكثر من مجرَّد اللورديَّة. لِمَ لا يصير ملكًا في الشَّمال؟ تايوين لانستر ماتَ، وقاتِل الملك فقدَ يده، والعِفريت هارب. آل لانستر قوَّة مثخنة بالجراح، علاوةً على أنك تلطَّفت بتخليصه من آل ستارك أيضًا. لن يعترض والدر فراي العجوز على أن تُصبِح ابنته البدينة والدا ملكةً. قد تتسبَّب (الميناء الأبيض) في المتاعب إذا نجا وايمان ماندرلي من المعركة المقبلة... لكنني واثقة تمامًا بأنه لن يفعل، لا هو ولا ستانيس. كلاهما سيُزيحه رووس كما أزاحَ الذِّئب الصَّغير. مَن يتبقَّى عندها إذن؟».

قال ثيون: «أنت، هناك أنتِ، سيِّدة (بلدة الرَّوابي)، من آل داستن بالزَّواج ومن آل ريزويل بالميلاد».

سرَّها قوله. أخذَت رشفةً من النَّبيذ، ثم قالت وعيناها الدَّاكنتان تلمعان: «أرملة (بلدة الرَّوابي)... ونعم، إذا اخترتُ فيُمكنني أن أكون مصدر إزعاج. بالطَّبع يرى رووس هذا أيضًا، ولذا يحرص على إرضائي».

كانت لتقول المزيد لولا أنها أبصرَت المِايسترات في هذه اللَّحظة. كان ثلاثة منهم قد دخلوا معًا من باب اللورد خلف المنصَّة؛ أحدهم طويل والثَّاني ممتلئ والثَّالث في ريعان الشَّباب، لكنهم بدوا متماثلين بأرديتهم الرَّماديَّة وسلاسلهم. قبل الحرب خدمَ مدريك اللورد هورنوود، ورودري اللورد سروين، وهنلي اليافع اللورد سليت، وقد أحضرَ رووس بولتون ثلاثتهم معه إلى (وينترفل) ليعتنوا بغِدفان المِايستر لوين كي ترجع حركة الرَّسائل إلى القلعة من جديد.

بينما جثا المِايستر مدريك ليهمس في أُذن بولتون التوى فم الليدي داستن ازدراءً، وقالت: «لو أني ملكة لأمرتُ أول ما أمرتُ بقتل هؤلاء الجرذان الرَّماديَّة جميعًا. إنهم يزحفون في كلِّ مكانٍ ويعيشون على فضلات موائد اللوردات، يصرُّ بعضهم لبعضٍ ويهمسون في آذان سادتهم. لكن من السَّادة ومن الخدم حقًّا؟ لكلِّ لورد كبير مِايستر، وكلُّ لورد صغير يطمع في واحد. إن لم يكن عندك مِايستر فالنَّاس يأخذون هذا على محمل ضآلة أهميَّتك. الجرذان الرَّماديَّة يقرأون ويَكتُبون رسائلنا، بعضهم للوردات لا يعرفون القراءة، فمَن يُمكنه أن يقول يقينًا إنهم لا يُحرِّفون الكلام لأغراضهم الخاصَّة؟ دَعني أسألك، ما جدواهم؟».

أجابَ ثيون وقد بدا الجواب متوقَّعًا منه: «إنهم يُعالِجون».

- «يُعالِجون، نعم. لم أقل إنهم يفتقرون إلى الحذق. إنهم يعتنون بنا حين نكون مرضى أو جرحى أو مضطربين لمرض أبٍ أو ولد. متى كنا في أضعف حالاتنا وأوهاها ها هُم أولاء. أحيانًا يُعالِجوننا ونُبدي لهم الامتنان، ولمَّا يفشلون يُواسوننا في حُزننا ونُبدي امتناننا لهذا أيضًا. على سبيل العرفان بالجميل نُعطيهم مكانًا تحت سقفنا ونُطلِعهم على عيوبنا وأسرارنا ونجعلهم جزءًا من كلِّ مجلس، ولا يمضي وقت طويل قبل أن يُمسي الحاكم المحكومَ. هكذا كان الأمر مع اللورد ريكارد ستارك. كان اسم جرذه الرَّمادي المِايستر واليس. أوليس ذكاءً أن المِايسترات يُعرَفون باسمٍ واحد، حتى الذين كان لهم اسمان لدى التحاقهم بـ(القلعة)؟ بهذه الطَّريقة لا يُمكننا أن نعلم مَن يكونون حقًّا ومِن أين أتوا... لكن المرء يستطيع أن يعرف إذا تحلَّى بالإصرار الكافي. قبل تكوين سلسلته كان المِايستر واليس معروفًا باسم واليس فلاورز. فلاورز، هيل، ريفرز، سنو... إننا نُطلِق تلك الأسماء على أولاد الزِّنى بمثابة العلامة، لكنهم سرعان ما يتخلَّصون منها دومًا. واليس فلاورز كانت أمُّه فتاةً من عائلة هايتاور... وأشيعَ أن أباه كان مِايستر رئيسًا في (القلعة). الجرذان الرَّماديَّة ليسوا بالعفَّة التي يُريدون أن نعتقدها. مِايسترات (البلدة القديمة) أسوأهم. ما إن كوَّن سلسلته لم يُهدِر أبوه السرِّي وأصدقاؤه وقتًا قبل إرساله إلى (وينترفل) ليملأ أُذنَي اللورد ريكارد بالسُّم المدسوس في الكلام المعسول. كانت مصاهَرة عائلة تَلي فكرته، إياك أن تشكَّ في...».

بترَت عبارتها إذ نهضَ رووس بولتون وعيناه الباهتتان تلمعان في ضوء المشاعل، وبدأ يتكلَّم قائلًا: «أيها الأصدقاء»، لينزل على القاعة صمت شامل تام لدرجة أن ثيون سمعَ الرِّيح بالخارج تُحاوِل اقتلاع ألواح النَّوافذ. «ستانيس وفُرسانه تركوا (ربوة الغابة) رافعين راية إلهه الأحمر الجديد، ورجال عشائر التِّلال الشَّماليَّة يتحرَّكون معه على خيولهم المشعثة الصَّغيرة. إذا استمرَّ الطَّقس على حالته فقد يصلون إلينا في غضون أسبوعين. وأكل الغُراب أومبر يزحف على (طريق الملوك) فيما يقترب كارستارك من الشَّرق. إنهما ينويان الانضمام إلى اللورد ستانيس هنا وأخذ هذه القلعة منا».

قامَ السير هوستين قائلًا: «علينا أن نَخرُج لمواجهتهم. لماذا نسمح لهم بضمِّ قُوَّاتهم؟».

فكَّر ثيون: *لأن آرنولف كارستارك ينتظر إشارة اللورد بولتون قبل أن ينقلب*، في حين رفعَ اللوردات الآخَرون عقائرهم بالنَّصائح، إلَّا أن اللورد بولتون رفعَ يده طالبًا الصَّمت، وقال: «ليست القاعة المكان المناسب لهذا النِّقاش أيها السَّادة. لنذهب إلى الغُرفة الشَّمسيَّة فيما يتمُّ ابني زيجته، وليبقَ بقيَّتكم ويستمتعوا بالطَّعام والشَّراب».

مع خروج سيِّد (معقل الخوف) في صُحبة ثلاثة المِايسترات نهضَ اللوردات والقادة الآخَرون يتبعونه. ذهبَ هوثر أومبر العجوز الضَّاوي المسمَّى بائِقِر العاهرة بوجهٍ متجهِّم ونظرةٍ عابسة، وكان اللورد ماندرلي ثملًا لدرجة أنه احتاجَ إلى مساعدة أربعة رجالٍ أقوياء للخروج من القاعة، وبينما مرَّ بثيون مترنِّحًا متَّكئًا على فُرسانه تمتمَ: «علينا أن نسمع أغنيَّةً عن الطَّاهي الجرذ. أيها المغنِّي، غنِّ لنا عن الطَّاهي الجرذ».

كانت الليدي داستن من أواخر من قاموا، وحين ذهبَت شعرَ ثيون بالقاعة خانقةً على حين غرَّة. لم يُدرِك كم شربَ حتى دفعَ نفسه ناهضًا، ولمَّا تركَ المائدة متعثِّرًا أسقطَ إبريقًا من يدَي إحدى الخادمات، ليتناثَر النَّبيذ على حذائه وسراويله كسيلٍ أحمر قانٍ.

أطبقَت يد على كتفه وانغرسَت خمسة أصابع صُلبة كالحديد في لحمه، وقال آلن الفظ بأنفاسه الكريهة من أسنانه المتعفِّنة: «أنت مطلوب يا ريك». كان القضيب الأصفر وديمون ارقُص-لي معه. «رامزي يقول أن تأخذ عروسه إلى فِراشه».

سرَت في جسده رعدة خوف، وقال لنفسه: *لقد أذَّيتُ دوري. لماذا أنا؟* غير أنه أعقل من أن يعترض.

كان اللورد رامزي قد غادرَ القاعة بالفعل، أمَّا عروسه فجلسَت كأنها منسيَّة، بائسةً صامتةً منكمشةً على نفسها تحت راية ستارك، تُمسِك كأسًا فضِّيَّةٍ بكلتا يديها. قدَّر من الطَّريقة التي نظرَت بها إليه عندما اقتربَ أنها أفرغَت هذه الكأس في جوفها أكثر من مرَّة. ربما أملَت أن تتجاهَلها بلواها إذا شربَت بما فيه الكفاية، لكن ثيون يعلم عبث هذا. قال: «ليدي آريا، تعالي. حان الوقت لأداء واجبكِ».

اصطحبَهما ستَّة من صِبيان النَّغل إذ قادَها ثيون من مؤخِّرة القاعة وعبر السَّاحة قارسة البرودة إلى (الحصن الكبير). تقودُ ثلاث مجموعات من السَّلالم الحجريَّة إلى غُرفة نوم اللورد رامزي، وهي واحدة من الغُرف التي لم تمسَّها النَّار إلَّا قليلًا، وفي أثناء صعودهما أخذَ ديمون ارقُص-لي يصفر وقال السَّلاخ بتباهٍ إن اللورد رامزي وعدَه بقطعةٍ من الملاءة الدَّامية علامةً على صنيعٍ خاص.

جُهِّزَت غُرفة النَّوم جيِّدًا. الأثاث كلُّه جديد، جاءَ من (بلدة الزَّوابي) في قافلة الأمتعة. للفِراش المظلَّل حشيَّة مبطَّنة بالرِّيش وستائر من المخمل الأحمر الدَّموي، والأرض الحجريَّة مغطَّاة بفراء الذِّئاب، وفي المستوقَد نار مشتعلة، وعلى المنضدة المجاورة للفِراش شمعة، وعلى الخوان إبريق نبيذ وكوبان ونِصف قالبٍ مستدير من الجُبنة البيضاء المعرَّقة.

في الغُرفة أيضًا مقعد منحوت من السَّنديان الأسود له وسادة من الجِلد الأحمر، وحين دخلوا كان اللورد رامزي جالسًا عليه. التمعَ اللُّعاب على شفتيه، وقال: «ها هي ذي فتاتي الجميلة. أحسنتم يا أولاد. يُمكنكم تركنا الآن. ليس أنت يا ريك. ابقَ».

ريك، ريك، على قافية شريك. أحسَّ بأصابعه المفقودة تتشنَّج، اثنان في يُمناه وواحد في يُسراه، وعلى وَركه يستقرُّ خنجره نائمًا في غِمده الجِلدي لكن ثقيلًا، أوه، كم هو ثقيل. *لم أفقد من يدي اليُمنى إلَّا الخنصر. ما زلتُ أستطيعُ أن أمسك سكِّينًا*. «سيِّدي، كيف أخدمك؟».

- «أنت سلَّمتني الفتاة، فمَن أفضل منك يفضُّ غلاف الهديَّة؟ لتلقِ نظرةً على ابنة ند ستارك الصَّغيرة».

كادَ ثيون يقول: *ليست تمتُّ للورد إدارد بصِلة قرابة*، ثم إنه فكَّر: *رامزي يعرف، مؤكَّد أنه يعرف. ما هذه اللُّعبة الوحشيَّة الجديدة؟* كانت الفتاة واقفةً عند عمود الفِراش ترتجف كظبيةٍ صغيرة. «ليدي آريا، إذا سمحتِ بأن تُديري لي ظَهركِ لأحلَّ أربطة فُستانكِ».

قال اللورد رامزي وهو يصبُّ لنفسه كوبًا من النَّبيذ: «لا. الأربطة تستغرق وقتًا طويلًا. مزِّق الفُستان عنها».

سحبَ ثيون خنجره. *ما عليَّ إلَّا أن أدور وأطعنه. السكّين في يدي.* لكنه أصبحَ عليمًا باللُّعبة، وأخبرَ نفسه متذكِّرًا كايرا ومفاتيحها: *فخٌّ آخر. يُريدني أن أحاول أن أقتله، وعندما أفشلُ سيَسلُخ جِلد اليد التي حملت بها السكّين.* قبضَ على جزءٍ من تنُّورة العروس قائلًا: «قفي بثباتٍ يا سيِّدتي». الفُستان فضفاض أسفل الخصر، وهناك دسَّ النَّصل قاطعًا إلى أعلى بتؤدةٍ كي لا يجرحها، فهمسَ الفولاذ شاقًّا الصُّوف والحرير بصوتٍ خافتٍ ناعم. كانت الفتاة ترتعش، واضطرَّ ثيون إلى إمساك ذراعها لتثبت. *چين، چين، على قافية حزين.* شدَّ قبضته أكثر بقدر ما سمحَت له يُسراه المشوَّهة، وقال لها: «اثبتي».

أخيرًا سقطَ الفُستان في كومةٍ باهتة حول قدميها، فقال رامزي آمرًا: «ثيابها الدَّاخليَّة أيضًا»، وأطاعَ ثيون.

لمَّا فرغَ وقفَت العروس عاريةً، ثياب زفافها الفاخرة كومة من الخِرق البيضاء والرَّماديَّة عند قدميها. ثدياها صغيران مدبَّبان، ووَركاها ضيِّقان، وساقاها رفيعتان كسيقان الطُّيور. *طفلة.* كان ثيون قد نسيَ كم هي صغيرة. *في سِنِّ سانزا، وآريا أصغر.* على الرغم من النَّار في المستوقَد سادَت البرودة غُرفة النَّوم، واقشعرَّ جِلد چين الشَّاحب. مرَّت لحظة رفعَت فيها يديها كأنما تُريد أن تَستُر ثدييها، إلَّا أن ثيون حرَّك شفتيه بـ«لا» صامتة، فرأت وتوقَّفت من فورها.

سألَ اللورد رامزي: «ما رأيك فيها يا ريك؟».

- «إنها...». *ما الإجابة التي يُريدها؟* ما الذي قالته الفتاة قبل أيكة الآلهة؟ *قالوا جميعًا إنني جميلة.* لكنها ليست جميلةً الآن، ويرى على ظَهرها شبكةً من الخطوط الباهتة الرَّفيعة حيث جلدَها أحدهم. «... إنها جميلة... رائعة الجَمال».

ابتسمَ رامزي ابتسامته المبتَّلة قائلًا: «هل تجعل قضيبك ينتصب يا ريك؟ هل يضغط على أربطة سراويلك؟ هل ترغب في نكاحها أولًا؟»، وضحكَ مردفًا: «المفترَض أن يكون لأمير (وينترفل) هذا الحقُّ كاللوردات قديمًا، اللَّيلة الأولى. لكنك لست من اللوردات، أليس كذلك؟ فقط ريك. لست رجلًا من الأصل في الحقيقة»، وأخذَ جرعةً أخرى من النَّبيذ ثم ضربَ بكوبه عرض الحائط ليتحطَّم ويسيل الأحمر على الحجر، وأتبعَ: «ليدي آريا، على الفِراش. نعم، على الوسائد. زوجة صالحة أنتِ. والآن افتحي ساقيكِ. دعينا نرى فرجكِ».

أطاعَته الفتاة دون أن تنبس ببنت شفة، وتراجعَ ثيون خُطوةً نحو الباب. جلسَ اللورد رامزي إلى جوار عروسه وحرَّك يده على فخذها من الدَّاخل، ثم دسَّ إصبعين في داخلها، وأطلقَت الفتاة شهقة ألم. قال رامزي: «إنكِ جافَّة كالعظام القديمة»، وسحبَ يده وصفعَها مضيفًا: «قيلَ لي إنكِ تعرفين كيف تسرِّينني، فهل كانت هذه كذبةً؟».

- «لـلا يا سيِّدي. إنني مـمدرَّبة».

نهضَ رامزي قائلًا والنَّار تتوهَّج على وجهه: «ريك، تعالَ هنا. جهِّزها لي».

للحظةٍ لم يفهم، وغمغمَ: «إنني... هل تعني... سِيدِي، إنني بلا... أنا...».

قال اللورد رامزي: «بفمك، وأسرِع. إذا لم أجدها مبتلَّةً حين أفرغ من خلع ثيابي فسأقطعُ لسانك هذا وأسمره في الحائط».

في مكانٍ ما في أيكة الآلهة صرخَ غُداف.

كان الخنجر لا يزال في يده.

ودسَّه في غِمده.

وقال ريك لنفسه: *ريك، ريك، على قافية ركيك*، وانحنى يُلبِّي الأمر.

---

(57) الشُّرَّافات هي الزَّوائد الحجريَّة التي تُبنى وبينها فراغات تُسمَّى الثُّلمات على قمم الأبراج والأسوار والحصون. (المُترجم).

قال الأمير آمرًا: «فلنُلقِ نظرةً على هذا الرَّأس».

دون أن يكفَّ عن المراقبة لحظةً مرَّر آريو هوتا يده على قناة فأسه الطَّويلة الملساء، زوجته المصنوعة من خشب الدَّردار والحديد. راقبَ الفارس الأبيض السير بالون سوان والآخَرين الذين أتوا معه، وراقبَ أفاعي الرِّمال الجالسات إلى موائد مختلفة، وراقبَ اللوردات والليديهات والخدم، والقهرمان العجوز الضَّرير، والمِايستر مايلز الشَّاب بلحيته الحريريَّة وابتسامته الصَّاغرة. من حيث يقف، نِصفه في الضَّوء ونِصفه في الظِّلِّ، رآهم جميعًا. *اخدِم، احمِ، أطِع*. هذه مهمَّته.

كلُّ الأعيُن الأخرى كانت على الصُّندوق المنحوت من الأبنوس والمزوَّد بأبازيم ومفصلات من الفضَّة. صندوق أنيق بلا شك، لكن حسب محتوياته فقد يكون الموت مصير كثيرين من المجتمعين ها هنا في (القصر القديم) بـ(صنسپير).

قطعَ المِايستر كاليوت القاعة نحو السير بالون سوان، يُصدِر خُفَّاه صوتًا هامسًا مع احتكاكهما بالأرض، وقد بدا الرَّجل الصَّغير المستدير بهيًّا في ردائه الجديد، بشرائطه العريضة بلونيها البنِّي الدَّاكن والجوزي الرَّمادي وشرائطه الرَّفيعة بلونها الأحمر. منحنيًا، تناولَ الصُّندوق من الفارس الأبيض وحملَه إلى المنصَّة، حيث يجلس دوران مارتل على مقعده المتحرِّك بين ابنته آريان وخليلة أخيه الميت الحبيبة إلاريا. تُطيِّب مئة شمعةٍ معطَّرة الهواء، وتلتمع الأحجار الكريمة على أصابع اللوردات ونطاقات وشباك شَعر الليديهات، وكان آريو هوتا قد لمَّع قميصه المصنوعَ من أقراص النُّحاس حتى صارَ كالمرآة، كي يتألَّق هو الآخَر في ضوء الشُّموع.

رانَ الصَّمت على القاعة. *(دورن) تحبس أنفاسها*. وضعَ المِايستر كاليوت الصُّندوق على الأرض عند مقعد الأمير دوران، وعلى الرغم من ثبات أصابعه ورشاقتها عادةً فقد لاحَ عليها الخرَق إذ فتحَ الرِّتاج ورفعَ الغطاء ليكشف عن الجمجمة بالدَّاخل. سمعَ هوتا أحدهم يتنحنَح، وهمسَ أحد التَّوأمين فاولر بشيءٍ ما للآخَر، وأغلقَت إلاريا ساند عينيها وتمتمَت بصلاة.

لاحظَ قائد الحَرس أن السير بالون سوان مشدود كوتر القوس. ليس الفارس الأبيض الجديد طويلًا أو وسيمًا كالقديم، لكنه أعرض صدرًا وأضخم جثَّةً وذراعاه مفتولتا العضلات. يُثبِّت معطفه الثَّلجي النَّاصع عند الحَلق مشبك فضِّي على شكل بجعتين، إحداهما من العاج والثَّانية من الجزْع، وقد بدا لآريو هوتا كأنهما مشتبكتان في قتال، كما أن الرَّجل الذي يضعهما يبدو مُقاتلًا أيضًا. *لن يموت هذا بسهولةٍ كالآخَر، لن ينقضَّ على فأسي كما فعلَ السير آريس، بل سيقف وراء تُرسه ويدعني انقضُّ عليه*. إذا بلغَت الأمور ذلك الحد فسيكون هوتا مستعدًّا. فأسه الطَّويلة حادَّة ماضية تَصلُح لأن يحلق بها.

سمحَ لنفسه بنظرةٍ عابرة على الصُّندوق. تستقرُّ الجمجمة على وسادةٍ من اللُّباد الأسود مبتسمةً ابتسامةً عريضةً. الجماجم كلُّها تبتسم، لكن هذه تبدو أسعد من المعتاد. *وأكبر*. لم يرَ قائد الحَرس جمجمةً أكبر قَطُّ، جبهتها غليظة ثقيلة، وفكُّها هائل، وقد التمعَ عظمها في ضوء الشُّموع ببياض معطف السير بالون.

قال الأمير والدُّموع تتلألأ في عينيه: «ضعها فوق العمود».

العمود من الرُّخام الأسود، يفوق كاليوت طولًا بثلاثة أقدام، وقد وقفَ المِايستر الصَّغير البدين على أطراف أصابع قدميه ومع ذلك لم يستطِع أن يصل إلى قمَّة العمود. كان آريو هوتا على وشك الذَّهاب لمساعدته، لكن أوبارا ساند تحرَّكت أولًا. حتى من دون سوطها وتُرسها ما زالَت محتفظةً بمظهرها الغاضب المسترجل. بدلًا من الفُستان ترتدي سراويل الرِّجال وسُترةً طويلةً من الكتَّان تَبلُغ رَبلتَي ساقيها، يربطها عند الخصر حزام من الشُّموس النُّحاس، وشَعرها البنِّي معقوص وراء رأسها. اختطفَت أوبارا الجمجمة من يدَي المِايستر المتورِّدتين النَّاعمتين، ووضعَتها على قمَّة العمود الرُّخام.

أعلنَ الأمير بجهامة: «لم يَعُد الجبل يركب».

تساءلَت تايين ساند: «هل كانت ميتته طويلةً قاسيةً أيها السير بالون؟»، وكانت نبرتها نبرة فتاةٍ صغيرة تسأل إن كان فُستانها أنيقًا.

أجابَها الفارس الأبيض: «ظلَّ يَصرُخ أيامًا يا سيِّدتي»، وإن بدا عليه بوضوحٍ أنه ليس مسرورًا بالجواب. «سمعناه في جميع أنحاء (القلعة الحمراء)».

سألَته الليدي نيم: «هل يُزعِجك هذا أيها الفارس؟». ترتدي نايميريا فُستانًا من الحرير الأصفر شديد النُّعومة والشَّفافية حتى إن ضوء الشُّموع يتخلَّلهُ كاشفًا عن الذَّهب المغزول والجواهر من تحته، والحقيقة أن ثيابها فاضحة لدرجة أن الارتباك من مجرَّد النَّظر إليها لاحَ على الفارس الأبيض، لكن هوتا استحسنَ هذا، فنايميريا أقل خطورةً حين تكاد تكون عاريةً، أمَّا فيما عدا ذلك فمن المؤكَّد أنها تُخفي دستةً من الأسلحة. «الكلُّ يعلم أن السير جريجور كان رجلًا غاشمًا دمويًا. إذا استحقَّ أحد أن يُعاني فهو كليجاين».

قال بالون سوان: «قد يكون هذا صحيحًا يا سيِّدتي، لكن السير جريجور كان فارسًا، والمفترَض أن يموت الفارس بسيفٍ في يده. السُّم وسيلة دنيئة قذرة للقتل».

ابتسمَت الليدي تايين لقوله. فُستانها بلوني القشدة والعُشب، كُمَّاه الطَّويلان من شرائط الزِّينة، بالغ الاحتشام والبراءة لدرجةٍ تجعل أيَّ أحدٍ يَنظُر إليها يحسبها أشد الفتيات تبتُّلًا، لكن آريو هوتا يعرف حقيقتها تمام المعرفة، أن يديها النَّاعمتين الشَّاحبتين هاتين مميتتان كيدَي أوبارا الخشنتين، إن لم يكن أكثر، ولذا راقبَها مراقبةً لصيقةً منتبهًا لكلِّ خلجةٍ ضعيفة من أصابعها.

قطَّب الأمير دوران وجهه قائلًا: «ما تقوله صحيح أيها السير بالون، لكن الليدي نيم محقَّة. إذا استحقَّ أحد أن يموت صارخًا فهو جريجور كليجاين. لقد فتكَ بأختي الكريمة وحطَّم رأس رضيعها على حائط. أدعو فقط أنه يحترق الآن في جحيمٍ ما، وأن تَرقُد إليا وطفلاها في سلام. هذه هي العدالة التي تعطَّشت لها (دورن)، ويسرُّني أنني عشتُ لأذوقها. أخيرًا أثبتَ آل لانستر حقيقة قولهم المزهو وسدَّدوا دين الدَّم القديم».

تركَ الأمير لقهرمانه الكفيف ريكاسو أن ينهض ويرفع النَّخب قائلًا: «أيها السَّادة والسيِّدات، لنشرب جميعًا في صحَّة تومن الأول، ملك الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، وسيِّد (الممالك السَّبع)».

بينما تكلَّم القهرمان بدأ الخدم يتحرَّكون بين الضُّيوف مالئين أكوابهم من الأباريق. النَّبيذ دورني قوي، قانٍ كالدَّم وحُلو كالانتقام، لكن القائد لم يشرب منه، ذلك أنه لا يشرب في أثناء المآدب أبدًا. كما أن الأمير نفسه لم يُشارِك في الشُّرب أيضًا، فله نبيذه الخاص الذي يعدُّه المِايستر مايلز ويُضيف إليه عصير الخشخاش لتهدئة الألم في مفاصله الملتهبة.

شربَ الفارس الأبيض على سبيل التَّهذيب، وكذا رفاقه والأميرة آريان والليدي چورداين وسيِّد (عطيَّة الآلهة) وفارس (غابة اللَّيمون) وسيِّدة (تل الأشباح)... وحتى إلاريا ساند خليلة الأمير أوبرين الحبيبة، التي كانت معه في (كينجز لاندنج) عندما ماتَ. انتبهَ هوتا أكثر لمن لم يشربوا: السير ديمون ساند واللورد تريموند جارجالن والتَّوأمين فاولر وداجوس مانوودي وآل أولر سادة (هضبة الجحيم) وآل وايل سادة (طريق العظام). *إذا وقعَت متاعب فقد تبدأ بأحدهم.* (دورن) أرض غاضبة منقسمة، وقبضة الأمير دوران عليها ليست محكمةً كما ينبغي، وكثيرون من لورداته يعدُّونه ضعيفًا وكانوا ليُرحِّبوا بحربٍ مفتوحة مع آل لانستر والملك الصَّبي على العرش الحديدي.

من أبرز هؤلاء أفاعي الرِّمال، نغلات الأُفعوان الأحمر أوبرين شقيق الأمير الرَّاحل، اللائي تحضر ثلاث منهن المأدبة اللَّيلة. دوران مارتل أحكم الأمراء، وليس لقائد حَرسه أن يُراجِعه في قراراته، غير أن آريو هوتا يتساءَل لماذا اختارَ إطلاق سراح الليديهات أوبارا ونايميرا وتايين من وحدة زنازينهن في (بُرج الحربة).

رفضَت تايين نخب ريكاسو بغمغمةٍ خفيضة، والليدي نيم بتلويحةٍ من يدها، أمَّا أوبارا فتركَت كوبها يمتلئ حتى الحافة ثم قلبَته لتَسكُب النَّبيذ الأحمر على الأرض، ولمَّا انحنَت خادمة تمسح النَّبيذ المسكوب غادرَت أوبارا القاعة، وبعد لحظةٍ استأذنَت الأميرة آريان وذهبَت في أعقابها. *لن تصبَّ أوبارا غضبتها على الأميرة الصَّغيرة. إنهما ابنتا عم، وتحبُّها حُبًّا جمًّا.*

أ

استمرَّت المأدبة حتى ساعةٍ متأخِّرة من اللَّيل، تُشرِف عليها الجمجمة الباسمة من فوق العمود الرُّخامي الأسود. قُدِّمَت سبعة أصناف تكريمًا للآلهة السَّبعة وإخوة الحَرس الملكي السَّبعة. الحَساء من البيض واللَّيمون، والفلفل الأخضر الطَّويل محشو بالجُبنة والبصل، وثمَّة فطائر شِلق، وديوك بالعسل، وسمكة قُرموط من قاع (الدَّم الأخضر) ضخمة لدرجة أن أربعة رجالٍ حملوها معًا إلى المائدة، وبعدها قُدِّمَت يخنة مشهِّية تحتوي على قطعٍ من سبعة أنواع من الثَّعابين مطبوخة بالطَّهو البطيء مع فلفل التنِّين والبُرتقال الدَّموي، بالإضافة إلى قدرٍ قليل من الزُّعاف يمنحها لذعةً طيِّبةً. يعرف هوتا أن اليخنة حرِّيفة ناريَّة مع أنه لم يَذُقها. بعدها قُدِّمَ الشَّربات لتخفيف الحرارة على اللِّسان، وبالنِّسبة إلى طبق الحُلو قُدِّمَت إلى كلِّ ضيفٍ جمجمة من السُّكَّر المعقود، وحين كسروا قشرتها وجدوها محشوَّةً بالكاسترد المحلَّى وقطع البرقوق والكرز.

عادَت الأميرة آريان مع تقديم الفلفل المحشو. فكَّر هوتا: *اميرتي الصَّغيرة*. لكن آريان امرأة الآن. الحرير القرمزي الذي ترتديه لا يدع مجالًا للشَّكِّ في هذا. في الفترة الأخيرة تغيَّرت في نواحٍ أخرى كذلك. مؤامرتها لتتويج مارسلا افتضحَت وقُمِعَت، وماتَ فارسها الأبيض ميتةً دمويَّةً بيد هوتا، واحتُجِزَت هي نفسها في (بُرج الحربة) وحُكِمَ عليها بالانزواء والصَّمت. كلُّ هذا هذَّبها، لكن هناك شيئًا آخَر أيضًا، سرًّا ما باحَ لها به أبوها قبل أن يُطلِق سراحها، إلَّا أن القائد يجهل ماهيته.

أجلسَ الأمير ابنته بينه وبين الفارس الأبيض في موضع شَرفٍ سامٍ، وابتسمَت آريان إذ اتَّخذت مقعدها من جديد وغمغمَت بشيءٍ ما في أُذن السير بالون، غير أن الفارس اختارَ ألَّا يستجيب. لاحظَ هوتا أنه أكلَ القليل؛ ملعقةً من الحَساء وقضمةً من الفلفل وساق ديكٍ والقليل من السَّمك، لكنه لم يمسَّ فطير الشِّلق وجرَّب ملعقةً صغيرةً واحدةً من اليخنة، وعلى الرغم من هذا راحَت جبهته تتصبَّب عرقًا، وهو ما جعلَ هوتا يتعاطَف معه، ففي بداية مجيئه إلى (دورن) كان الطَّعام الحرِّيف يقلب معدته ويحرق لسانه. على أن ذلك كان منذ أعوامٍ طويلة، والآن ابيضَّ شَعره ويستطيع أن يأكل أيَّ شيءٍ يأكله الدورنيُّون.

عند تقديم جماجم السُّكَّر المعقود توتَّر فم الفارس ورمقَ الأمير بنظرةٍ طويلة ليرى إن كان يتعرَّض للسُّخرية. لم يلحظ دوران مارتل، لكن ابنته فعلَت، وقالت آريان: «إنها دُعابة صغيرة من الطَّاهي. حتى الموت ليس مقدَّسًا عند الدورنيِّين. أتمنَّى ألَّا تستاء منا»، ومسَّت ظَهر كفِّ الفارس الأبيض بأصابعها مضيفةً: «آملُ أنك استمتعت بوقتك في (دورن)».

- «الجميع كانوا في غاية الكرم يا سيِّدتي».

لمسَت مشبك البجعتين المتقاتلتين الذي يُثبِّت معطفه قائلةً: «لطالما كنتُ مغرمةً بالبجع. لا طائر آخَر يُضاهيه جَمالًا على هذا الجانب من (جُزر الصَّيف)».

- «قد تحتجُّ طواويسكم على ذلك».

- «وارد، لكن الطَّواويس مخلوقات مغرورة مختالة تمشي تتبختَر بألوانها المبهرجة. أوثرُ البجع الأبيض الرَّائق أو الأسود الجميل».

أومأ السير بالون برأسه ورشفَ من نبيذه. *هذا الرَّجل لا يقع بسهولةٍ في حبائل الإغراء كأخيه المحلِّف. السير آريس كان صبيًّا على الرغم من سِنّه، أمَّا هذا فرجل حذِر.* ما على القائد إلَّا أن يَنظُر إلى الفارس الأبيض ليرى ارتباكه. *المكان غريب عليه، ولا يروقه إلَّا قليلًا.* يتفهَّم هوتا هذا، إذ بدَت له (دورن) مكانًا غريبًا أيضًا حين وصلَ إليها مع أميرته قبل سنواتٍ عديدة. كان الرُّهبان الملتحون قد لقَّنوه لُغة (وستروس) العاميَّة قبل إرساله، لكنه وجدَ كلام الدورنيِّين أسرع من أن يستوعبه، ووجدَ النِّساء الدورنيَّات خليعات والنبيذ الدورني لاذعًا والطَّعام الدورني مليئًا بالتَّوابل الغريبة الحارَّة، كما أن الشَّمس الدورنيَّة أحمى من شمس (نورڤوس) الشَّاحبة الوديعة، تتوهَّج في سماءٍ زرقاء يومًا بعد يوم.

يعلم القائد أن رحلة السير بالون كانت أقصر من رحلته ولكن مكدَّرة على طريقتها الخاصَّة. ثلاثة فُرسان وثمانية مُرافقين وعشرون جُنديًّا وعدد من السَّائسين والخدم اصطحبَوه من (كينجز لاندنج)، لكن ما إن عبروا الجبال إلى (دورن) أبطأت حركتهم سلسلة من المآدب ورحلات الصَّيد والاحتفالات في كلِّ قلعةٍ تصادفَ أن عرجوا بها، والآن وقد بلغوا (صنسپيير) أخيرًا لم يجدوا الأميرة مارسلا أو السير آريس أوكهارت في استقبالهم. *الفارس الأبيض يعرف أن شيئًا ما ليس على ما يُرام، لكن الأمر لا يقتصِر على هذا.* ربما يُزعِجه وجود أفاعي الرِّمال، وإن صحَّ ذلك فمؤكَّد أن عودة أوبارا إلى القاعة صبَّت على جرحه خلًّا. عادَت تستقرُّ في مكانها دون كلمة، وجلسَت هناك واجمةً عابسةً، لا تبتسم ولا تتكلَّم.

كان منتصَف اللَّيل يدنو عندما التفتَ الأمير دوران إلى الفارس الأبيض، وقال: «سير بالون، لقد قرأتُ الرِّسالة التي جلبتها لي من ملكتنا السَّمحة. هل لي أن أفترض أنك مطَّلع على محتواها؟».

رأى هوتا الفارس يتوتَّر إذ أجابَ: «نعم يا سيِّدي. صاحِبة الجلالة أخبرَتني بأن أصطحب ابنتها إلى (كينجز لاندنج). الملك تومن مشتاق إلى أخته ويرغب في عودة الأميرة إلى البلاط في زيارةٍ قصيرة».

ارتسمَ الحُزن على وجه الأميرة آريان، وقالت: «أوه، لكننا أُغرَمنا جميعًا بمارسلا أيها الفارس. هي وأخي تريستان أصبحا لا ينفصلان».

ردَّ السير بالون: «مرحبًا بالأمير تريستان أيضًا في (كينجز لاندنج). إنني واثق بأن الملك تومن يرغب في لقائه. لجلالته رفاق قلائل للغاية في سِنِّه».

قال الأمير دوران: «من شأن روابط الصِّبا أن تدوم مدى الحياة. حين يتزوَّج تريستان ومارسلا سيكون هو وتومن كالإخوة. الملكة سرسي محقَّة، يجب أن يلتقي الصَّبيّان ويُكوِّنا صداقةً. لا ريب أن (دورن) ستفتقده، لكن حانَ الوقت لأن يرى تريستان العالم وراء أسوار (صنسپير)».

- «أعرفُ أن (كينجز لاندنج) ستستقبله بمنتهى التَّرحاب».

تساءلَ القائد في نفسه وهو يُراقِب: *لماذا يتصبَّب عرقًا الآن؟ القاعة فاترة الحرارة، كما أنه لم يمسّ اليخنة*.

كان الأمير دوران يقول: «بالنِّسبة إلى المسألة الأخرى التي تطرحها الملكة سرسي فهذا صحيح، مقعد (دورن) في المجلس الصَّغير شاغر منذ موت أخي، وآنَ أوان أن يشغله أحد من جديد. إنني ممتن لشعور جلالتها بأن نصيحتي قد تكون مفيدةً لها، غير أنني أتساءلُ إن كنتُ أتمتَّعُ بالقوَّة الكافية لاحتمال الرِّحلة. ربما إذا سافَرنا بحرًا؟».

بدا أن السير بالون بُوغِتَ بالقول، وردَّ: «بالسَّفينة؟ هذا... هل سيكون هذا آمنًا يا سموَّ الأمير؟ عواصف الخريف سيِّئة، أو أن هذا ما سمعته... القراصنة في (الأعتاب)، إنهم...».

قال الأمير دوران: «القراصنة، بالتَّأكيد. لعلَّك محقٌّ أيها الفارس. أكثر أمنًا أن تعود من الطَّريق الذي جئت منه»، وابتسمَ ببشاشةٍ مضيفًا: «لنتكلَّم ثانيةً غدًا. يُمكننا أن نُخبِر مارسلا حين نصل إلى (الحدائق المائيَّة). أعرفُ أنها ستتحمَّس للغاية. لا أشكُّ في أنها تفتقد أخاها أيضًا».

قال السير بالون: «إنني متشوِّق إلى رؤيتها ثانيةً، وإلى زيارة (الحدائق المائيَّة). سمعتُ أنها في غاية الجَمال».

قال الأمير: «في غاية الجَمال والسَّلام. نسيم بارد ومياه رقراقة وأطفال ضاحكون. (الحدائق المائيَّة) مكاني المفضَّل في هذا العالم أيها الفارس. أحد أسلافي شيَّدها لإسعاد عروسه ابنة تارجاريَن وعتقها من غُبار (صنسپير) وحرِّها. كان اسمها دنيرس، أخت الملك دايرون الصَّالح، وزواجها هو ما جعلَ (دورن) جزءًا من (الممالك السَّبع). كانت البلاد أجمعها تعلم أن الفتاة تحبُّ ديمون بلاكفاير أخا دايرون النَّغل وأنه يحبُّها، لكن الملك تحلَّى بالحكمة الكافية لرؤية أن صالح الألوف يجب أن يسبق رغبات اثنين، حتى إذا كانا غاليَيْن عليه. دنيرس هي من ملأت الحدائق بالأطفال الضَّاحكين، أطفالها هي في البدء، ولاحقًا ضمَّت إليهم أبناء وبنات اللوردات والفُرسان مُلَّاك الأراضي ليكونوا رفاقًا للبنين والبنات أصحاب الدِّماء الأميريَّة. ثم في يومٍ صيفي حين كان القيظ شديدًا أشفقَت على أطفال سائسيها وطهاتها وخدمها ودعَتهم لاستخدام المسابح والنَّوافير بدورهم، وهو التَّقليد المستمرُّ حتى يومنا هذا»، وأمسكَ الأمير عجلتَي مقعده المتحرِّك ودفعَ نفسه عن المائدة مستطردًا: «لكن أرجو أن تَعذُرني الآن أيها الفارس. كلُّ هذا الكلام أرهقَني، وعلينا أن نتحرَّك عند مطلع الفَجر. أوبارا، هلَّا تلطَّفتِ بمساعدتي على الذَّهاب إلى فِراشي؟ نايميريا، تايين، تعالَيا أيضًا وتمنَّيا لعمِّكما العجوز ليلةً طيِّبةً».

وهكذا وقعَ على عاتق أوبارا ساند أن تدفع مقعد الأمير من قاعة مآدب (صنسپير) وتقوده عبر رُواقٍ طويل إلى غُرفته الشَّمسيَّة. تبعَهما هوتا وأختاها، بالإضافة إلى الأميرة آريان وإلاريا ساند، وأسرعَ المِايستر كاليوت وراءهم منتعلًا خُفَّيه ومحتضنًا الجمجمة كأنها طفل.

قالت أوبارا وهي تدفع الأمير: «لا يُمكن أنك تنوي إرسال تريستان ومارسلا إلى (كينجز لاندنج) حقًّا». خُطواتها طويلة غاضبة، وأسرع من اللّازم، فأخذَت عجلتا المقعد الخشبيَّتان الكبيرتان تُطَقطِقان بصخبٍ على الأرض الحجريَّة. «افعل ذلك ولن نرى الفتاة ثانيةً أبدًا، وسيقضي ابنك حياته رهينةً للعرش الحديدي».

تنهَّد الأمير قائلًا: «هل تحسبينني أبله يا أوبارا؟ هناك أشياء كثيرة لا تعرفينها، أشياء يُفضَّل ألَّا تُناقَش هنا حيث يُمكن لأيِّ أحدٍ أن يسمع. اعتصِمي بالصَّمت وقد أنوِّركِ»، وجفلَ مردفًا بألم: «تمهَّلي بحقِّ حُبِّكِ لي. الرجَّة الأخيرة غرسَت سكِّينًا في رُكبتي».

خفضَت أوبارا سرعتها إلى النِّصف سائلةً: «ماذا ستفعل إذن؟».

أجابَت أختها تايين كهرَّةٍ تُخَرخِر: «ما يفعله دومًا، يُسوِّف ويتكتَّم ويُراوِغ. أوه، لا أحد يُجيد هذا كعمِّنا الشُّجاع».

قالت الأميرة آريان: «أنتِ مخطئة».

وقال الأمير بنبرةٍ آمرة: «صمتًا جميعًا».

لم يَدُر بمقعده مواجهًا النِّساء حتى أُغلِقَ باب غُرفته الشَّمسيَّة عليهم، لكن حتى هذا المجهود المحدود أعياه، وعلقَ الدِّثار المايري الذي يُغطِّي به ساقيه بين اثنين من أشعَّة إحدى العجلتين، فتشبَّث به كي لا يتمزَّق. تحت الغطاء ساقاه شاحبتان خرعِتان شنيعتا المنظر، وكلتا رُكبتيه ملتهبة محمرَّة، وأصابع قدميه متورِّمة إلى ضِعف حجمها الطَّبيعي وتكاد تكون أرجوانيَّةً. رأى هوتا آثار النِّقرس هذه آلاف المرَّات، ومع ذلك ما زالَ يجد النَّظر إليها صعبًا.

تقدَّمت الأميرة آريان قائلةً: «دعني أساعدك يا أبي».

ردَّ الأمير مخلِّصًا الدِّثار: «ما زلتُ أستطيعُ تحريك دثاري، أستطيعُ هذا على الأقل». وهو قليل. ساقاه عديمتا الفائدة منذ ثلاث سنوات، لكن في يديه وكتفيه شيئًا من القوَّة حتى الآن.

سأَلَ المِايستر كاليوت: «هل أحضرُ لأميري كوبًا صغيرًا من حليب الخشخاش؟».

- «مع هذا الألم سأحتاجُ إلى دلو. أشكرك، لكن لا. أريدُ الاحتفاظ بعقلي. لن أحتاج إليك ثانيةً اللَّيلة».

قال المِايستر كاليوت: «رهن إشارتك يا أميري»، وانحنى وهو لا يزال ممسكًا رأس السير جريجور بيديه المتورِّدتين النَّاعمتين.

قالت أوبارا ساند: «سآخذُ هذه»، واختطفَت منه الجمجمة ومدَّت ذراعها رافعةً إياها، وتساءلَت: «ماذا كان شكل الجبل؟ كيف نعلم أن هذا هو حقًّا؟ كان بإمكانهم أن يغمسوا الرَّأس في القار. لماذا يُجرِّدونه حتى العظم؟».

أجابَت الليدي نيم فيما خرجَ المِايستر كاليوت: «كان القار ليُفسِد الصُّندوق. لا أحد رأى الجبل يموت، ولا أحد رأى رأسه يُقطَع. أعترفُ بأن هذا يُزعِجني، لكن ما الذي قد تأمل الملكة الحقيرة في تحقيقه بخداعنا؟ إذا كان جريجور كليجاين حيًّا فعاجلًا أو آجلًا ستنكشِف الحقيقة. الرَّجل كان يَبلُغ الأقدام الثَّمانية طولًا، ولا أحد مِثله في (وستروس) كلِّها. إذا ظهرَ رجل كهذا ثانيةً فسيفتضح كذب سرسي أمام (الممالك السَّبع) أجمع. إنها في غاية الحماقة إذا خاطرَت بشيءٍ كهذا. ما الذي قد تأمل في كسبه؟».

قال الأمير: «الجمجمة كبيرة بما فيه الكفاية بلا شك، ونحن نعلم أن أوبرين أصابَ جريجور بجروحٍ بليغة. كلُّ تقريرٍ بلغَنا منذ ذلك الحين يقول إن كليجاين ماتَ ببُطءٍ وألمٍ ممض».

قالت تايين: «تمامًا كما انتوى أبونا. حقًّا يا أختَي، إنني أعرفُ السُّمَّ الذي استخدمَه أبونا. إذا خدشَت الحربة جِلد الجبل مجرَّد خدشٍ فهو ميت لا محالة، ولا أبالي كم كان حجمه. لكما أن تشكَّا في أختكما الصَّغيرة إذا أردتما، لكن إياكما أن تشكَّا في أبينا».

ردَّت أوبارا مغضبةً: «لم ولن أفعل ذلك أبدًا»، وقبَّلت الجمجمة هازئةً، ثم قالت: «إنها بداية، أقرُّ بهذا».

مذهولةً قالت إلاريا ساند: «بداية؟! حاشا للآلهة، لعلَّها النِّهاية. تايوين لانستر ماتَ، وكذا روبرت باراثيون وآموري لورك، والآن جريجور كليجاين، كلُّ من كانت لهم يد في مقتل إليا وطفليها، وحتى چوفري الذي لم يكن قد وُلِدَ بعدُ حين ماتَت إليا. لقد رأيتُ الصَّبي يموت بأُم عيني، يخمش حَلقه محاولًا التقاط أنفاسه. مَن تبقَّى ليُقتَل؟ هل يجب أن تموت مارسلا وتومن ليعرف شبحا ريينس وإجون السَّلام؟ أين ينتهي كلُّ هذا؟».

قالت الليدي نيم: «ينتهي بالدَّم كما بدأ، ينتهي عندما تُفلَق (كاسترلي روك) لتسطع الشَّمس على اليرقات والدِّيدان في قلبها، ينتهي بالدَّمار التَّام لتايوين لانستر وصنائعه جميعًا».

ردَّت إلاريا بحدَّة: «الرَّجل ماتَ بيد ابنه. ما الذي تتمنَّينه أكثر من هذا؟».

أجابَت الليدي نيم: «أتمنَّى لو أنه ماتَ بيدي أنا»، واستقرَّت في مقعدٍ وانسدلَت ضفيرتها السَّوداء الطَّويلة من فوق كتفها إلى حِجرها. لنايميريا مقدِّمة شَعر أبيها المسحوبة، وأسفلها عيناها واسعتان نيِّرتان. ارتسمَت على شفتيها الخمريَّتين بسمة حريريَّة إذ أردفَت: «لو حدثَ ذلك لما كانت ميتته سهلةً».

قالت تايين بصوت السِّبتوات العذب: «السير جريجور يبدو وحيدًا. سيُرحِّب بالصُّحبة، إنني واثقة».

كانت الدُّموع تُبلِّل عينَي إلاريا وتلمع في عينيها الدَّاكنتين. حتى في *بُكائها تبدو عليها القوَّة*. قالت: «أوبرين أرادَ الثَّأر لإليا، والآن تُريد ثلاثتكن الثَّأر له. أذكِّركن بأن لي أربع بنات، أخواتكن. إليا في الرَّابعة عشرة، تكاد تَبلُغ مبلغ النِّساء. أوبلا في الثَّانية عشرة، على وشك أن تُزهِر. إنهما تَعبُدانكن كما تَعبُدهما دوريا ولوريزا. إذا هلكتن فهل على إل وأوبلا السَّعي إلى الثَّأر لكن؟ ثم دوريا ولوري لهما؟ أهكذا تدور الدَّائرة إلى الأبد؟ أسألكن ثانية، أين ينتهي كلُّ هذا؟»، ووضعَت إلاريا يدها على رأس الجبل متابعةً: «لقد رأيتُ أباكن يموت، وها هو ذا قاتِله. هل يُمكنني أن آخذ جمجمةً معي إلى الفِراش لتُواسيني في ساعات اللَّيل؟ هل ستُضحِكني وتَكتُب لي الأغاني وتعتني بي وأنا عجوز مريضة؟».

سألَتها الليدي نيم: «ماذا تُريديننا أن نفعل يا سيِّدتي؟ نضع حِرابنا ونبتسم وننسى كلَّ ما تعرَّضنا إليه من إساءات؟».

قالت أوبارا: «الحرب ستقوم سواء أأردنا هذا أم لم نُرِده. العرش الحديدي يجلس عليه ملك صبي، واللورد ستانيس على (الجِدار) ويجمع الشَّماليِّين لدعم قضيَّته، والملكتان تتشاجَران على تومن ككلبتين على عظمةٍ طريَّة، والحديديُّون استولوا على (الثُّروس) ويُغيرون على ضفاف (الماندر) في قلب (المرعى)، أي أن (هايجاردن) ستكون ملهيَّةً أيضًا. أعداؤنا مشتَّتون والفُرصة سانحة».

سألَت إلاريا: «سانحة لماذا؟ لعمل المزيد من الجماجم؟»، والتفتت إلى الأمير قائلةً: «يَرفُضن أن يرين. لا يُمكنني أن أسمع مزيدًا من هذا».

أخبرَها الأمير: «عودي إلى بناتكِ يا إلاريا. أقسمُ لكِ أن أذًى لن يمسَّهن».

قالت: «أميري»، وقبَّلته على جبهته ثم انصرفَت، وشعرَ آريو هوتا بالحُزن لرؤيتها تذهب. *إنها امرأة صالحة.*

عندما غادرَت إلاريا قالت الليدي نيم: «أعرفُ أنها كانت تهيم حُبًّا بأبينا، لكن من الواضح أنها لم تفهمه قَطُّ».

رمقَها الأمير بفضولٍ قائلًا: «إنها تفهم أكثر مما ستفهمين في حياتك كلِّها يا نايميريا، ولقد أسعدَت أباكِ. في النِّهاية قد تكون للقلب الطيِّب قيمة أعلى من الكبرياء أو الشَّجاعة. على كلِّ حال، ثمَّة أشياء لا تعرفها إلاريا ولا ينبغي أن تعرفها. الحرب بدأت بالفعل».

قالت أوبارا ضاحكةً: «أجل، عزيزتنا آريان حرصَت على هذا».

احتقنَ وجه الأميرة، ورأى هوتا وجه أبيها يتقلَّص حنقًا لحظةً قبل أن يقول: «آريان فعلَت ما فعلَته من أجلكن كما من أجل نفسها. لو كنتُ في مكانكِ لما أسرعتُ بالسُّخرية منها».

ردَّت أوبارا بإصرار: «كان هذا ثناءً. سوِّف وتكتَّم وراوِغ وتصنَّع وأجِّل كما تشاء يا عمَّاه، لكن في النِّهاية سيُواجِه السير بالون مارسلا في (الحدائق المائيَّة)، وحين يفعل فسيرى أن أُذنًا تَنقُصها، ولمَّا تحكي له الفتاة كيف شقَّ قائدك آريس أوكهارت من العُنق إلى الخصر بزوجته الفولاذيَّة هذه...».

- «لا»، قالت الأميرة آريان ناهضةً من على الوسادة التي جلسَت عليها، ووضعَت يدها على ذراع هوتا مضيفةً: «ليس ذلك ما حدثَ يا ابنة العم. السير آريس قتلَه چيرولد داين».

تبادلَت أفاعي الرِّمال النَّظرات، وتساءَلن: «النَّجم المظلم؟».

قالت الأميرة الصَّغيرة: «النَّجم المظلم فعلَها، وحاولَ أن يَقتُل الأميرة مارسلا، كما ستُخبِر السير بالون».

ابتسمَت نيم قائلةً: «هذا الجزء صحيح على الأقل».

قال الأمير بجفلة ألم: «كلُّ ما قيلَ صحيح». *هل يُؤلِمه النِّقرس أم الكذبة؟* «والآن فرَّ السير چيرولد إلى (الصَّومعة العالية) بعيدًا عن متناولنا».

غمغمَت تايين بضحكةٍ مكتومة: «النَّجم المظلم، ولِمَ لا؟ هو من ارتكبَ كلَّ شيء. لكن هل سيُصدِّق السير بالون هذا؟».

أجابَت آريان: «سيُصدِّقه إذا سمعَه من مارسلا».

نخرَت أوبارا غير مصدِّقة، وقالت: «قد تكذب اليوم وغدًا؛ لكنها ستقول الحقيقة عاجلًا أو آجلًا. إذا سُمِحَ للسير بالون بحمل الكلام إلى (كينجز لاندنج) فستدقُّ طبول الحرب وتسيل الدِّماء. يجب ألَّا نسمح له بالرَّحيل».

قالت تايين: «يُمكننا أن نَقتُله بالتَّأكيد، ولكن سيكون علينا أن نَقتُل بقيَّة وفده أيضًا، بما فيها المُرافقون اليافعون الجذَّابون. سيكون ذلك... أوه، فوضويًّا جدًّا».

أغلقَ الأمير دوران عينيه وعادَ يفتحهما، ورأى هوتا ساقيه ترتجفان تحت الدِّثار إذ قال: «لو لم تكن بنات أخي لأعدت ثلاثتكن إلى الزَّنازين واحتفظت بكن هناك حتى تشتعل رؤوسكن شيبًا، لكن بدلًا من ذلك أنوي أن آخذكن معنا إلى (الحدائق المائيَّة). ثمَّة دروس تتعلَّمنها هناك إذا تمتَّعتن بالعقل لرؤيتها».

قالت أوبارا: «دروس؟ لم أرَ هناك إلَّا الأطفال العُراة».

قال الأمير: «أجل. لقد حكيتُ القصّة للسير بالون، ولكن ليس بأكملها. بينما لعبَ الأطفال في المسابح شاهدَتهم دنيرس من بين أشجار البُرتقال وأدركَت شيئًا، أنها لا تستطيع التّمييز بين أولاد الأعيان وأولاد العوام. وهُم عُراة كلُّهم أطفال فقط، كلُّهم بريء، كلُّهم هش، كلُّهم يستحقُّ الحياة الطّويلة والحُبّ والحماية. ثم إنها قالت لابنها ووريثها: هؤلاء *بلدك. تذكَّرهم في كلِّ ما نفعله*. الكلام نفسه قالته لي أمّي حين كبرتُ وتركتُ المسابح. ما أسهل أن يستدعي الأمير حِرابه، لكن في النّهاية يدفع الأطفال الثّمن. لأجلهم لا يشنُّ الأمير الحكيم حربًا دون سببٍ وجيه، ولا حربًا لا يأمل في الانتصار فيها. لستُ أعمى ولا أصمّ. أعرفُ أنكن جميعًا تعتقدنني ضعيفًا خائفًا عاجزًا، لكن أباكن عرفَني أفضل. لطالما كان أوبرين أُفعوانًا، مميتًا خطرًا، لا يستطيع أحد التّكهُّن بأفعاله ولا يجرؤ أحد على أن يدوسه. أمّا أنا فكنتُ العُشب، سارًّا ليِّنًا طيِّب الرّائحة، أتمايلُ في النّسيم. مَن يخشى المشي على العُشب؟ لكن العُشب هو ما يُخفي الأُفعوان عن أعدائه ويُؤويه حتى يضرب ضربته. أنا وأبوكن عملنا معًا عن كثبٍ أكثر مما تُدرِكن... لكنه رحلَ، والسُّؤال الآن، هل أستطيعُ أن أثق ببناته ليخدمنني بدلًا منه؟».

أمعنَ هوتا النّظر إلى كلٍّ منهن بدورها، إلى أوبارا بأظفارها الصّدئة وجِلدها المقوّى وعينيها المتقاربتين الغاضبتين وشَعرها البنّي كالجرذان، ونايميريا برقّتها وأناقتها وبشرتها الزّيتونيّة وضفيرتها السّوداء الطّويلة المربوطة بسلكٍ من الذّهب الأحمر، وتايين بعينيها الزّرقاوين وشَعرها الأشقر، امرأة طفلة بيديها النّاعمتين وضحكاتها.

أجابَت تايين نيابةً عن ثلاثتهن: «العسير ألَّا نفعل شيئًا يا عمَّاه. كلِّفنا بمهمَّة، بأيِّ مهمَّة، وستجدنا بالإخلاص والامتثال اللذين يتمنَّاهما أيُّ أمير».

قال الأمير: «يسرُّني أن أسمع هذا، لكن الكلام هواء. أنتن بنات أخي وأحبُّكن، لكنني تعلَّمتُ أنني لا أستطيعُ الثِّقة بكن. أريدُ منكن قَسمًا. هل تُقسِمن على خدمتي وفعل ما آمركن به؟».

قالت الليدي نيم: «إذا دعَت الحاجة».

- «أقسِمن على هذا الآن إذن بقبر أبيكن».

اربدَّ وجه أوبارا، وقالت: «لو لم تكن عمِّي...».

- «أنا عمُّكِ، وأميركِ. أقسِمن أو ارحلن».

قالت تايين: «أقسمُ بقبر أبي».

ثم الليدي نيم: «أقسمُ بأوبرين مارتل، أُفعوان (دورن) الأحمر ورجل أفضل منك».

ثم أوبارا: «أجل، وأنا أيضًا، بأبي، أقسمُ».

تسرَّب شيء من التَّوتُّر من الأمير، ورآه هوتا يرتخي في مقعده ويمدُّ يده، فتقدَّمت الأميرة أريان تقف إلى جانبه لتُمسِكها، وقالت: «أخبِرهن يا أبي».

أخذَ الأمير دوران نفسًا متهدِّجًا، وقال: «لم يزل لـ(دورن) أصدقاء في البلاط، أصدقاء يُخبِروننا بأشياء لم يكن يجب أن نعرفها. الدَّعوة التي بعثَت بها سرسي إلينا حيلة. المفترَض ألَّا يصل تريستان إلى (كينجز لاندنج) أبدًا. في طريق العودة، في مكانٍ ما في (غابة الملوك)، سيُهاجِم الخارجون عن القانون وفد السير بالون ويموت ابني، وقد طُلِبَ مني الذَّهاب إلى البلاط فقط كي أشهد الهجوم بعيني ومن ثمَّ أبرأ الملكة من أيِّ لوم. أوه، وهؤلاء الخارجون عن القانون سيهتفون: *النِّصف رجل، النِّصف رجل* في أثناء هجومهم، وقد يرى السير بالون لمحةً عابرةً من العِفريت، ولو أن أحدًا آخَر لن يفعل».

ما كان آريو هوتا ليتصوَّر أن شيئًا في العالم من شأنه أن يصدم أفاعي الرِّمال، ولكان مخطئًا.

همسَت تايين: «ليُنقِذنا (السَّبعة). تريستان؟! لماذا؟».

وقالت أوبارا: «مؤكَّد أن تلك المرأة مخبولة. إنه مجرَّد صبي».

وقالت الليدي نيم: «إنها وحشيَّة. لم أكن لأصدِّق أن فارسًا في الحَرس الملكي يُمكنه أن يفعل هذا».

قال الأمير: «إنهم مقسمون على الطَّاعة، تمامًا كقائدي. كانت الشُّكوك تُساوِرني، لكنكم رأيتم جميعًا كيف اضطربَ السير بالون حين اقترحتُ السَّفر بحرًا. كان ركوب السَّفينة ليُفسِد ترتيبات الملكة كلَّها».

بوجهٍ محتقن قالت أوبارا: «أعِد لي حربتي يا عمَّاه. سرسي أرسلَت إلينا رأسًا، ويَجدُر بنا أن نُرسِل إليها جوالًا من الرُّؤوس».

رفعَ الأمير دوران يدًا مفاصلها قاتمة كالكرز وتكاد ثُماثِله حجمًا، وقال: «السير بالون ضيف تحت سقفي وأكل عيشي وملحي. لن أمسَّه بسوء، لا. سنسافِر إلى (الحدائق المائيَّة) حيث سيسمع قصَّة مارسلا ويُرسِل إلى ملكته غُدافًا. ستطلُب منه الفتاة أن يُطارِد الرَّجل الذي آذاها، وإذا كان كما قدَّرته فلن يتمكَّن سوان من الرَّفض. أوبارا، ستقودينه إلى (الصَّومعة العالية) لمواجهة النَّجم المظلم في وكره. لم يحن الوقت بعدُ لأن تتحدَّى (دورن) العرش الحديدي علانيةً، ولذا فلا مفرَّ من أن نُعيد مارسلا إلى أمِّها، لكني لن أصحبها. تلك مهمَّتك يا نايميريا. لن يروق هذا آل لانستر مِثلما لم يَرُقهم إرسالي أوبرين إليهم، لكنهم لا يجرؤون على الرَّفض. إننا في حاجةٍ إلى صوتٍ في المجلس وأُذنٍ في البلاط. لكن عليكِ بتوخِّي الحذر. (كينجز لاندنج) جُحر ثعابين».

ابتسمَت الليدي نيم قائلةً: «وأنا أحبُّ الثَّعابين يا عمَّاه».

سألَته تايين: «وماذا عني؟».

- «كانت أمُّكِ سِپتة. ذات مرَّةٍ أخبرَني أوبرين بأنها اعتادَت القراءة لكِ في المهد من (النَّجمة السَّباعيَّة). أريدكِ في (كينجز لاندنج) أيضًا، ولكن على التَّلِّ الآخَر. جماعتا السُّيوف والنُّجوم شُكِّلتا ثانيةً، والسِّپتون الأعلى الجديد ليس الدُّمية التي كانها سابقوه. حاولي أن تتقرَّبي إليه».

- «ولِمَ لا؟ الأبيض يُناسِب لوني، أبدو فيه... نقيَّةً».

قال الأمير: «جيِّد، جيِّد»، وتردَّد لحظةً ثم أضافَ: «إذا... إذا حدثَت أشياء معيَّنة فسأرسلُ إلى كلٍّ منكن خبرًا. الظُّروف تتبدَّل بسرعةٍ في لُعبة العروش».

قالت آريان: «أعلمُ أنكن لن تخذلننا يا بنات عمّي»، وذهبَت إلى كلٍّ منهن بدورها وأمسكَت يديها وطبعَت قُبلةً صغيرةً على شفتيها، ثم قالت لهن: «أوبارا العتيدة، ونايميرا أختي، وتايين العذبة، أحبُّكن جميعًا. صحبَتكن شمس (دورن)».

معًا قالت ثلاثة أفاعي الرِّمال: «لا ننحني، لا نخضع، لا ننكسِر».

مكثَت الأميرة آريان بعد ذهاب بنات عمِّها، وكذا آريا هوتا، فمكانه مع أميره.

قال الأمير: «إنهن بنات أبيهن».

ابتسمَت الأميرة الصَّغيرة، وقالت: «ثلاثة من أوبرين بأثداء».

ضحكَ الأمير دوران، وكان زمن طويل للغاية قد انقضى منذ سمعَ هوتا ضحكته حتى إنه كادَ ينسى صوتها.

قالت آريان: «ما زالَ رأيي أن عليّ أنا الذَّهاب إلى (كينجز لاندنج) وليس الليدي نيم».

- «خطر جدًّا. أنتِ وريثتي، مستقبل (دورن)، ومكانكِ إلى جانبي. قريبًا ستُكلَّفين أيضًا بمهمَّة».

- «الجزء الأخير، بخصوص الرَّسائل. هل بلغتك أنباء؟».

منحَها الأمير دوران ابتسامته السرِّيَّة، وأجابَ: «من (لِيس)، حيث رسا أسطول عظيم يتزوَّد بالماء، أغلبه سُفن ڤولانتينيَّة تحمل جيشًا. لا خبر عن هُويَّته أو وجهته، لكن هناك كلامًا عن وجود أفيال».

- «لا تنانين؟».

- «أفيال، لكن من السَّهل أن يُخبِّئ المرء تنِّينًا صغيرًا في مخزن كوج كبير. دنيرس في أوهن حالاتها في البحر. لو كنتُ في مكانها لأخفيتُ نفسي ونيَّاتي أطول مُدَّةٍ ممكنة حتى أباغت (كينجز لاندنج) بالهجوم».

- «هل تظنُّ أن كوينتن سيكون معهم؟».

- «ربما، وربما لا. سنعرف حين يرسون إذا كانت (وستروس) وجهتهم بالفعل. سيأتي بها كوينتن عبر (الدَّم الأخضر) إذا استطاعَ. لكن لا فائدة من الكلام عن هذا الآن. قبِّليني. سنرحل إلى (الحدائق المائيَّة) مع أول خيوط الفَجر».

فكَّر هوتا: *قد نرحل مع انتصاف النَّهار إذن.*

لاحقًا، بعد خروج الأميرة آريان، وضعَ فأسه وحملَ الأمير دوران إلى فِراشه، وغمغمَ الأمير فيما سحبَ هوتا الغطاء عليه: «حتى حطَّم الجبل جمجمة أخي لم يَمُت دورني واحد في حرب الملوك الخمسة هذه. أخبِرني أيها القائد، أهذا عاري أم مجدي؟».

أجابَ هوتا: «ليس لي أن أقول يا أميري». *اخدِم، احمِ، أطِع. نذر بسيط لرجلٍ بسيط*. هذا هو كلُّ ما يعرفه.

انتظرَته ڤال عند البوّابة في برد ما قبل الفَجر متدثِّرةً بمعطفٍ ضخم من فرو الدِّببة كان ليُناسِب سام، إلى جوارها حصان مجهَّز بالسَّرج واللِّجام، رمادي صغير إحدى عينيه بيضاء، وقد وقفَ معها حارسان متنافران هما مولي وإد الكئيب، وخرجَت أنفاس ثلاثتهم تتجلَّد في الهواء الأسود البارد.

سألَ چون الرَّجلين مندهشًا: «أعطيتماها حصانًا أعمى؟».

أجابَ مولي: «نِصف أعمى فقط يا سيِّدي، لكنه سليم كفايةً باستثناء هذا»، وربَّت على عُنق الحصان.

قالت ڤال: «الحصان نِصف أعمى، أمَّا أنا فلا، وأعرفُ أين عليَّ أن أذهب».

- «سيِّدتي، لستِ مضطرَّةً إلى أن تفعلي هذا. المخاطرة...».

- «... مخاطرتي أيها اللورد سنو. ولستُ واحدةً من سيِّدات الجنوب وإنما امرأة من شعب الأحرار. إنني أعرفُ الغابة أفضل من جميع جوّالتك ذوي المعاطف السَّوداء، ولا أرى فيها أشباحًا».

آملُ هذا! وهذا ما يعتمد عليه چون، ويثق بنجاح ڤال في ما فشلَ فيه چاك بولوار الأسود ورفاقه. يأمل ألَّا تجد داعيًا للخوف من أن يمسَّها الأحرار بأذى... إلَّا أن كليهما يعلم تمام العلم أن الهَمج ليسوا الوحيدين المنتظرين في الغابة. سألَها: «هل معكِ طعام كافٍ؟».

- «خُبز جامد وجُبنة جامدة وكعكات شوفان وقُد مملَّح ولحم بقري مملَّح وضأن مملَّح، وقِربة من النَّبيذ المحلَّى لأغسل فمي من كلِّ هذا الملح. لن أموت جوعًا».

- «حانَ وقت ذهابكِ إذن».

قالت ڤال: «لك كلمتي يا لورد سنو، سأعودُ بتورموند أو بدونه»، ورفعَت عينيها إلى الهلال في السَّماء مضيفةً: «ترقَّب عودتي في اليوم الأول من البدر التَّام».

- «سأفعلُ». *لا تخذليني وإلَّا قطعَ ستانيس رأسي*. كان الملك قد سألَه: «هل تُعطيني كلمتك بأن تُحافِظ على أميرتنا؟»، ووعدَه چون بأن يفعل. *لكن ڤال ليست أميرةً. أخبرته بهذا عشرات المرَّات*. إنه نوع واهٍ من الموارَبة، خرقة بائسة يلفُّ بها كلمته الجريحة. لم يكن أبوه ليُجيز هذا إطلاقًا. قال چون لنفسه مذكِّرًا: *أنا السَّيف الذي يَحرُس بلدان البَشر، وفي النِّهاية لا بُدَّ من ان تكون لهذا قيمة أثمن من شَرف رجلٍ واحد*.

الطَّريق تحت (الجِدار) قاتم بارد كبطن تنِّين الجليد وملتوٍ كالأفعى. قادَهم إد الكئيب عبره حاملًا مشعلًا، وحملَ مولي مفاتيح البوَّابات الثَّلاث، حيث تُغلِق النَّفق قضبان من الحديد الأسود غليظة كذراع رجل. مسَّ حاملو الحِراب عند كلِّ بوَّابةٍ جباههم تحيَّةً لچون سنو، لكنهم حملَقوا جهرًا إلى ڤال وحصانها.

حين خرجوا شمال (الجِدار) من بابٍ سميك مصنوع من الخشب الأخضر المقطَّع حديثًا توقَّفت الأميرة الهمجيَّة لحظةً تتطلَّع عبر الأرض المغطَّاة بالثُّلوج حيث انتصرَ الملك ستانيس في معركته، وبعدها تنتظر (الغابة المسكونة) المظلمة الصَّامتة، وقد صبغَ ضوء الهلال شَعر ڤال الأشقر العسلي بالفضِّي الشَّاحب ووجنتيها بنصوع الثَّلج. أخذَت نفسًا عميقًا، وقالت: «مذاق الهواء حُلو».

- «الخدر في لساني يمنعني من إدراك ذلك. لستُ أذوقُ إلَّا البرد».

أطلقَت ضحكةً قصيرةً قائلةً: «البرد؟ لا. عندما يكون الطَّقس باردًا سيُؤلِمك التَّنفُّس، عندما يأتي (الآخَرون)...».

فكرة مزعجة. ما زالَ ستَّة من الجوَّالة الذين أرسلَهم چون مفقودين. قال لنفسه: *الوقت مبكِّر للغاية. قد يرجعون*، لكن جزءًا آخَر منه ردَّ بتصميم: *لقد ماتوا جميعًا. أرسلتهم ليموتوا، والآن نُكرِّر الشَّيء نفسه مع ڤال*. «أخبِري تورموند بما قلته».

قالت ڤال: «قد لا يُصغي إلى كلامك، لكنه سيسمعه»، وطبعَت قُبلةً خفيفةً على خدِّه، وأردفَت: «أشكرك أيها اللورد سنو، على الحصان نِصف الأعمى والقُد المملَّح والهواء الطَّلق، على الأمل».

امتزجَت أنفاسهما مكوِّنةً سديمًا أبيض في الهواء، ثم تراجعَ چون سنو قائلًا: «الشُّكر الوحيد الذي أريده هو...».

- «... تورموند بليَّة العماليق، أجل»، ورفعَت ڤال قلنسوة معطف فرو الدِّببة الذي يمتزج فيه البنِّي بالرَّمادي، وقالت: «سؤال واحد قبل أن أذهب. هل قتلت چارل يا سيِّدي؟».

- «(الجِدار) قتلَ چارل».

- «هذا ما سمعته، إلَّا أنني أردتُ أن أتأكَّد».

- «لكِ كلمتي، لم أقتله». *ولكن ربما كنتُ لأقتله لو اختلفَت الأمور*.

قالت بلهجةٍ أقرب إلى العبث: «إنه الوداع إذن».

غير أن چون سنو لم يكن في مزاجٍ يسمح بهذا. *البرد أشدُّ والظَّلام أحلك من أن نلعب، والسَّاعة متأخِّرة جدًّا*. «لفترةٍ من الوقت فقط. سوف تعودين، من أجل الصَّبي إن لم يكن لسببٍ آخَر».

هزَّت ڤال كتفيها قائلةً: «ابن كراستر؟ إنه ليس من أهلي».

- «سمعتكِ تُغنِّين له».

ردَّت: «كنتُ أغنِّي لنفسي. أأنا الملامة إذا سمعَني؟»، وداعبَت ابتسامة وانية شفتيها إذ أضافَت: «الغناء يُضحِكه. أوه، حسن، إنه وحش صغير جميل».

- «وحش؟».

- «اسم الرِّضاعة[58]. كان يجب أن أدعوه بشيءٍ ما. احرص على أن يبقى آمنًا ودافئًا لأجل خاطر أمِّه وخاطري، وأبعِده عن المرأة الحمراء. إنها تعرف من هو. إنها ترى أشياء في نارها».

فكَّر متمنِّيًا أن يكون هذا صحيحًا: *آريا*، وأجابَ ڤال: «ترى رمادًا وجذوات».

- «بل ترى ملوكًا وتنانين».

التَّنانين مرَّةً أخرى. للحظةٍ كادَ چون يراها أيضًا، تلتفُّ على أنفُسها في اللَّيل ويُحدِّد أجنحتها بحر من لهب. «لو كانت تعرف لأخذَت الصَّبي منا، ابن دالا لا وحشكِ. كلمة واحدة في أُذن الملك كانت كفيلةً بإنهاء الأمر». *وإنهائي. كان ستانيس ليعدُّها خيانةً*. «لماذا تَترُك ما حدثَ يَحدُث لو كانت تعرف؟».

أجابَت ڤال: «لأنه يُناسِبها. النَّار خدَّاعة، لا أحد يدري في أيِّ اتِّجاهٍ يتمايَل اللَّهب»، ووضعَت قدمها في الرِّكاب واعتلَت ظَهر الحصان، ثم نظرَت من فوق السَّرج متسائلةً: «هل تَذكُر ما أخبرَتك به أختي؟».

- «نعم». *سيف بلا مقبض، ليست هناك وسيلة آمنة للقبض عليه*. لكن مليساندرا محقَّة. حتى سيف بلا مقبض أفضل من يدٍ خالية حين يُحيط بك الأعداء.

دارَت ڤال بالحصان نحو الشَّمال قائلةً: «عظيم. اللَّيلة الأولى من البدر التَّام إذن».

شاهدَها چون سنو تبتعد متسائلًا إن كان سيرى وجهها ثانيةً، وسمعَها بأُذن الخيال تقول: *لستُ واحدةً من سيِّدات الجنوب وإنما امرأة من شعب الأحرار*.

غمغمَ إد الكئيب فيما اختفَت ڤال وراء مجموعةٍ من شجر الصَّنوبر الجُندي: «لا أبالي بما قالته. الهواء بارد لدرجة أن أنفاسي تُؤلِمني. كنتُ لأكفَّ عن التَّنفُّس لولا أن ذلك يُؤلِم أكثر»، وفركَ يديه معًا مضيفًا: «لن ينتهي هذا على خير».

- «هذا ما تقوله عن كلِّ شيء».

- «أجل يا سيِّدي، وعادةً ما أكونُ محقًّا».

تنحنحَ مولي، وقال: «سيِّدي، الأميرة الهمجيَّة، تركها ترحل هكذا. قد يقول الرِّجال...».

- «... إنني نِصف همجي عن نفسي، مارِق يُريد أن يبيع البلاد للهجَّانة والعمالقة وأكَلة البَشر». لا يحتاج چون إلى النَّظر في النَّار ليعرف ما يُقال عنه. أسوأ ما في الأمر أنهم ليسوا مخطئين بالكامل. «الكلام هواء، والهواء شديد دومًا على (الجِدار). هيا بنا».

كانت السَّماء لا تزال مظلمةً عندما عادَ چون إلى مسكنه وراء مستودَع السِّلاح ورأى أن جوست لم يرجع بعدُ. *ما زالَ يصطاد*. في الفترة الأخيرة يغيب الذِّئب الرَّهيب الأبيض أكثر مما يحضر، إذ يقطع مسافاتٍ أبعد وأبعد بحثًا عن الفرائس. بين رجال حرس اللَّيل والهَمج في (بلدة المناجذ) صيدَ كلُّ ما في التِّلال والحقول القريبة من (القلعة السَّوداء) من الحيوانات التي كانت قليلةً من البداية. *الشِّتاء قادم قريبًا، قريبًا جدًّا*. تساءلَ إن كانوا سيشهدون مجيء الرَّبيع.

ذهبَ إد الكئيب إلى المطابخ وسرعان ما عادَ بدورقٍ من المِزر البنِّي وصحفةٍ مغطَّاة. تحت الغطاء وجدَ چون ثلاث بيضات بطٍّ مقليَّةً في بقايا دُهن الشِّواء، وشريحةً من اللَّحم المقدَّد، وإصبعين من السُّجق التَّقليدي وواحدًا من السُّجق الدَّموي، ونِصف رغيفٍ من الخُبز الطَّازج الدَّافئ. أكلَ الخُبز ونِصف بيضة، وكان ليأكل اللَّحم المقدَّد أيضًا لولا أن الغُداف اختطفَه قبل أن ينال الفُرصة. قال چون فيما حلَّق الطَّائر إلى عتبة الباب العُلويَّة ليلتهم غنيمته: «لِص».

ردَّد الغُداف مؤيِّدًا: «*لِص!*».

أخذَ چون قضمةً من السُّجق، وكان يغسل فمه من الطَّعم برشفة مِزر حين عادَ إد يُخبِره بأن باون مارش في الخارج، وأضافَ: «أوثيل والسِّپتون سلادور معه».

كان هذا سريعًا. تساءلَ من يحكي الحكايات بين الرِّجال، وإن كان هناك أكثر من حكاية. «أدخِلهم».

- «حاضر يا سيِّدي، لكن عليك أن تنتبه إلى سجقك مع هؤلاء. الجوع يبدو عليهم».

ليست «الجوع» الكلمة التي كان چون ليستخدمها. بدا السِّپتون سلادور مرتبكًا مهزوزًا وفي حاجةٍ ماسَّة إلى ما يُخفِّف عنه مصابه، في حين بدا البنَّاء الأول أوثيل يارويك كأنه ابتلعَ شيئًا لم يستطِع أن يهضمه تمامًا، أمَّا باون مارش فبدا غاضبًا، وقد رأى چون هذا في نظرة عينيه وتوتُّر فمه واحتقان وجنتيه المستديرتين. *ليس هذا الاحمرار من البرد*. قال: «تفضَّلوا بالجلوس. هل أقدِّمُ لكم طعامًا أو شرابًا؟».

أجابَ مارش: «تناوَلنا فطورنا في القاعة العامَّة».

وقال ياروِيك: «يُمكنني أن آكل المزيد»، واتَّخذ مقعدًا بهدوءٍ مضيفًا: «لُطف منك أن تعرض».

وقال السِّپتون سلادور: «القليل من النَّبيذ ربما؟».

وصرخ الغُداف من فوق عتبة الباب: «*ذُرة، ذُرة، ذُرة!*».

خاطبَ چون إد قائلًا: «نبيذ للسِّپتون وطبق لبنَّائنا الأول. لا شيء للطَّائر»، وعادَ يلتفت إلى زائريه قائلًا: «أنتم هنا بشأن قال».

قال باون مارش: «وشؤون أخرى. الرِّجال قلقون يا سيِّدي».

ومَن كلَّفك بالكلام نيابةً عنهم؟ «وأنا أيضًا. أوثيل، ما أخبار العمل في (قلعة اللَّيل)؟ جاءَتني رسالة من السير آكسل فلورنت الذي يُلقِّب نفسه بيد الملكة. يُخبِرني بأن الملكة سيليس ليست مسرورةً بمسكنها في (القلعة الشَّرقيَّة) وترغب في الانتقال إلى مقرِّ زوجها الجديد في الحال. هل سيكون هذا ممكنًا؟».

هزَّ ياروِيك كتفيه مجيبًا: «لقد رمَّمنا معظم الحصن ووضعنا سقفًا فوق المطبخ. ستحتاج إلى طعامٍ وأثاثٍ وحطبٍ بالطَّبع، ولكن قد يَصلُح المكان للسُّكنى. إنه لا يضمُّ سُبل الرَّاحة المتوفِّرة في (القلعة الشَّرقيَّة) بالتَّأكيد، كما أنه بعيد عن السُّفن في حال أرادَت جلالتها أن تَترُكنا، ولكن... أجل، يُمكنها أن تَسكُن هناك، ولو أن المكان لن يبدو كقلعةٍ حقيقيَّة قبل أعوام. إذا حظيتُ بالمزيد من البنَّائين فقد يَحدُث ذلك في وقتٍ أقرب».

- «يُمكنني أن أعرض عليك عملاقًا».

أفزعَ هذا أوثيل الذي قال: «الوحش الذي في السَّاحة؟».

- «اسمه وَن وِج وَن دار وَن كما أخبرَني ليذرز. اسم ثقيل جدًّا على اللِّسان، أعرفُ. ليذرز يدعوه بوَن وَن، ويبدو أن هذا يكفي».
يمتُّ وَن وَن بصِلةٍ بعيدة للغاية إلى العمالقة في حكايات العجوز نان، تلك المخلوقات الضَّخمة المتوحِّشة التي تخلط الدَّم بثريد الصَّباح وتلتهم ثيرانًا بأكملها بشَعرها وجِلدها وقرونها. هذا العملاق لا يأكل اللَّحم على الإطلاق، وإن كان زُعبًا رهيبًا حين تُقدِّم إليه سلَّة من الجذور، فيسحق البصل والفجل وحتى اللِّفت النِّيء بين أسنانه المربَّعة الكبيرة. «إنه مستعدٌّ للعمل، ولو أن إفهامه ما تُريده منه ليس سهلًا دائمًا. إنه يتحدَّث اللُّغة القديمة إلى حدٍّ ما ولا يعرف شيئًا من العاميَّة، لكنه لا يكلُّ، وقوَّته مذهلة. يُمكنه أن يُؤدِّي عمل دستةٍ من الرِّجال وحده».

- «إنني... سيِّدي، الرِّجال لن... العمالقة يأكلون لحم البَشر على ما أظنُّ... لا يا سيِّدي، أشكرك، لكن ليس عندي ما يكفي من رجالٍ لمراقبة مخلوقٍ كهذا. إنه...».

لم يندهش چون سنو، وقال: «كما تشاء. سنحتفظ بالعملاق هنا». الحقيقة أنه يكره الاستغناء عن وَن وَن. كانت إيجريت لتقول: *لست تعلم شيئًا يا* چون سنو، غير أن چون يتكلَّم مع العملاق متى استطاعَ من خلال ليذرز أو أحد الأحرار الذين أتوا بهم من البُستان، ويتعلَّم أشياء كثيرةً عن قومه وتاريخهم. ليت سام كان هنا ليُدوِّن هذه القِصص. لكن هذا لا يعني أنه معميٌّ عن الخطر الذي يُمثِّله وَن وَن، فالعملاق يُهاجِم بعُنف إذا هُدِّدَ، وهاتان اليدان الضَّخمتان قويَّتان بما فيه الكفاية لتمزيق رجلٍ إربًا إربًا. إنه يُذكِّر چون بهودور. هودور *بضِعف الحجم وضِعف القوَّة ونِصف العقل. فكرة من شأنها أن تجعل السِّپتون سلادور نفسه يستفيق. لكن إذا كان مع تورموند عمالقة فقد يُساعِدنا وَن وِج وَن دار وَن على التَّعامُل معهم.*

تمتمَ غُداف مورمونت بضيقٍ إذ انفتحَ الباب من تحته معلنًا عن عودة إد الكئيب بإبريقٍ من النَّبيذ وطبقٍ من البيض والشُّجق. انتظرَ باون مارش بنفاد صبرٍ بيِّن فيما صبَّ إد الشَّراب، ولم يستأنف الحديث إلَّا بعد خروجه قائلًا: «تولَيت رجل صالح ومحبوب، وإميت الحديدي قيِّم سلاحٍ بارع، لكن هناك كلامًا عن نيَّتك صرفهما».

- «نحتاج إلى رجالٍ صالحين في (الرَّابية الطَّويلة)».

قال مارش: «بدأ الرِّجال يُسمُّونها (رابية العاهرات)، لكن على كلِّ حال، أصحيحٌ أنك تنوي استبدال إميت بذلك الوحشي ليذرز كقيِّم السِّلاح؟ هذا المنصب يُحفَظ غالبًا للفُرسان، أو الجوَّالة على الأقل».

أجابَ چون بكياسة: «ليذرز وحشي حقًّا، أشهدُ على هذا، فقد جرَّبته في ساحة التَّدريب. إنه خطير بفأسٍ حجريَّة كأكثر الفُرسان بالفولاذ المطرَّق في قلعة. أعترفُ بأنه ليس بالصَّبر الذي أفضِّله، وبعض الصِّبية مرعوب منه... لكن هذا ليس سيِّئًا بالضَّرورة. يومًا ما سيجدون أنفُسهم في قتالٍ حقيقي، وسيُفيدهم أن يكون الرُّعب مألوفًا لديهم نوعًا حينئذٍ».

- «إنه همجي!».

- «كان كذلك حتى حلفَ اليمين، والآن هو أخونا، أخ يستطيع أن يُعلِّم الصِّبية ما هو أكثر من المبارزة. لن يضرَّهم أن يتعلَّموا بضع كلماتٍ من اللُّغة القديمة وشيئًا عن عادات شعب الأحرار».

تمتمَ الغُداف: «*أحرار، ذُرة، ملك!*».

- «الرِّجال لا يثقون به».

كان چون ليسأله: *أيُّ الرِّجال؟ كم عددهم؟* لكن ذلك كان ليقوده إلى طريقٍ لا يُريد أن يَسلُكه، فقال: «يُؤسِفني أن أسمع هذا. أهناك المزيد؟».

تكلَّم السِّپتون سلادور قائلًا: «هذا الفتى ساتان، يُقال إنك تنوي أن تجعله وكيلك ومُرافقك بدلًا من توليت. سيِّدي، إنه بائع هوى... إنه... غُلام مأبون من مواخير (البلدة القديمة)».

وأنت سكران. «لا شأن لنا بما كانه في (البلدة القديمة). إنه سريع التَّعلُّم والبديهة. المجنَّدون الآخرون بدأوا باحتقاره، لكنه كسبَهم وصادقَهم جميعًا. إنه لا يعرف الخوف في القتال، كما يُجيد القراءة والكتابة إلى حدٍّ ما، والمفترَض أن يكون قادرًا على إحضار وجباتي ووضع السَّرج على حصاني، أليس كذلك؟».

قال باون مارش بوجهٍ من حجر: «على الأرجح، لكن الأمر لا يُعجِب الرِّجال. لقد جرى التَّقليد على أن يكون مُرافقو القائد فتيةً من علية القوم يُمرَّنون على القيادة. هل يعتقد سيِّدي أن رجال حَرس اللَّيل سيتبعون بائع هوى في المعركة؟».

ردَّ چون وقد اشتعلَت غضبته: «لقد تبعوا من هُم أسوأ. الدُّب العجوز ترك بضع ملاحظاتٍ تحذيريَّة لخليفته عن رجالٍ بعينهم. في (بُرج الظِّلال) طبَّاخ كان يهوى اغتصاب السِّپتوات، وكلَّما اغتصبَ واحدةً وسمَ جسده بنجمةٍ سُباعيَّة. على ذراعه اليُسرى نجوم من المعصم إلى المِرفق، وعلى رَبلتَي ساقيه أيضًا. وفي (القلعة الشَّرقيَّة) رجل أضرمَ النَّار في منزل أبيه وأوصدَ الباب، واحترقَت أسرته كلُّها حتى الموت، أفرادها التِّسعة جميعًا. أيًّا كان ما فعلَه ساتان في (البلدة القديمة) فهو أخونا الآن، وسيُصبِح مُرافقي».

شربَ السِّپتون سلادور قليلًا من النَّبيذ، وطعنَ أوثيل ياروِيك إصبعًا من الشُّجق بخنجره، وجلسَ باون مارش محتقن الوجه، وخفقَ الغُداف بجناحيه قائلًا: «*ذُرة، ذُرة، اقتُل!*».

وأخيرًا تنحنحَ قيِّم الوُكلاء، وقال: «حضرة اللورد يعرف الأصلح، إنني واثق. هل لي أن أسأل عن الجثَّتين في زنازين الجليد؟ إنهما تُوتِّران الرِّجال. وتضعهما تحت الحراسة؟ مؤكَّد أن هذا تبديد لرجلين صالحين، ما لم تكن تخشى أن...».

- «... تنهضا؟ أتمنَّى هذا».

امتقعَ وجه السِّپتون سلادور، وسالَ النَّبيذ على ذقنه في خطٍّ أحمر إذ قال: «ليُنقِذنا (السَّبعة). حضرة القائد، الجُثث الحيَّة كائنات متوحِّشة غير طبيعيَّة، مسوخ في أعيُن الآلهة. لا... لا يُمكن أنك تنوي أن تُحاوِل الكلام معها، أليس كذلك؟».

قال چون سنو: «هل يُمكنها الكلام؟ لا أظنُّ، لكنني لا أدَّعي المعرفة. ربما تكون كائناتٍ وحشيَّةً، لكنها كانت بَشرًا قبل أن تموت. كم يتبقَّى من بَشريَّتها؟ الجثَّة التي قتلتها كانت مصمِّمةً على الفتك بحضرة القائد مورمونت، ومن الجليِّ أنها تذكَّرت مَن هو وأين تجده». لا يشكُّ چون في أن المِايستر إيمون كان ليُدرِك ضالَّته، وكان سام تارلي ليرتجف فرَقًا لكنه كان ليفهم أيضًا. «السيِّد والدي اعتادَ أن يقول لي إن على الرَّجل أن يعرف أعداءه، ونحن نفهم القليل عن الجُثث الحيَّة وأقل عن (الآخَرين). إننا في حاجةٍ إلى أن نعرف».

لم يُرضِهم جوابه. داعبَ السِّپتون سلادور البلَّورة المتدلِّية من رقبته، وقال: «أظنُّه تصرُّفًا تعوزه الحكمة تمامًا أيها اللورد سنو. سأدعو (العجوز) أن ترفع مصباحها المنير وتهديك إلى سبيل الحكمة».

كان صبر چون سنو قد نفدَ. «إنني واثق بأننا جميعًا في حاجةٍ إلى المزيد من الحكمة». *لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو*. «والآن، هل نتكلَّم عن ڤال؟».

قال مارش: «أهذا صحيح إذن؟ أنك أطلقت سراحها؟».

- «وراء (الجِدار)».

شهقَ السِّپتون سلادور، وقال: «غنيمة الملك. سيغضب جلالته للغاية عندما يجدها رحلَت».

- «ڤال ستعود». *قبل ستانيس بمشيئة الآلهة*.

سألَه باون مارش: «وكيف تعلم هذا؟».

- «هي قالت إنها ستعود».

- «وإذا كذبَت؟ إذا وقعَ لها مكروه؟».

أجابَ چون: «إذن فستنالون فُرصة اختيار قائدٍ يُعجِبكم أكثر، لكن حتى ذلك الحين أخشى أن عليكم احتمالي»، ورشفَ من مِزره قبل أن يُضيف: «لقد أرسلتها لتجد تورموند بليَّة العماليق وتطرح عليه عرضي».

- «وما هذا العرض إن كان لنا أن نعرف؟».

- «العرض نفسه الذي قدَّمته في (بلدة المناجذ)، الطَّعام والمأوى والسَّلام إذا ضمَّ قوَّته إلى قوَّتنا لقتال عدوِّنا المشترَك ومساعدتنا على الدِّفاع عن (الجِدار)».

لم يبدُ على باون مارش الاندهاش، وقال بنبرةٍ تشي بأنه كان يعلم طوال الوقت: «تنوي أن تَترُكه يمرُّ، أن تفتح بوَّاباتنا له ولأتباعه، مئات، آلاف».

- «إن كان هذا العدد قد تبقَّى معه».

رسمَ السِّپتون سلادور علامة النَّجمة، وأطلقَ أوثيل ياروِيك أنينًا، وقال باون مارش: «قد يُسمِّي بعضهم هذا خيانةً. إنهم هَمج، برابرة، هجَّانة، مغتصبون، وحوش أكثر من بَشر».

قال چون: «تورموند ليس شيئًا من هذا، تمامًا كمانس رايدر، لكن حتى لو كانت كلُّ كلمةٍ قلتها صحيحةً فإنهم ما زالوا بَشرًا، بَشرًا أحياء، أناسًا مِثلي ومِثلكم. الشِّتاء قادم أيها السَّادة، وحين يأتي علينا نحن الأحياء أن نتآزَر معًا ضد الموتى».

صرخَ غُداف چيور مورمونت: «*سنو، سنو، سنو!*».

تجاهلَه چون متابعًا: «لقد استجوَبنا الهَمج الذين جلبناهم من البُستان، وقد حكى كثيرون منهم حكايةً مثيرةً للاهتمام عن ساحرة غابات اسمها الأم خُلد».

قال باون مارش: «الأم خُلد؟ اسم عجيب!».

- «يُقال إنها اتَّخذت لنفسها جُحرًا تحت شجرةٍ جوفاء، لكن سواء أصحَّ هذا أم لم يصحّ فقد رأت في رؤيا أسطولًا من السُّفن يصل ليحمل شعب الأحرار إلى الأمان عبر (البحر الضيِّق). آلاف من الذين فرُّوا من المعركة كانوا باليأس الكافي لتصديقها، وقادَتهم الأم خُلد جميعًا إلى (هاردهوم) للصَّلاة وانتظار الخلاص الآتي عبر البحر».

قطَّب أوثيل يارويك جبينه قائلًا: «لستُ جوّالًا، ولكن... يُقال إن (هاردهوم) مكان دنِس ملعون. عمُّك نفسه كان يقول هذا أيها اللورد سنو. لماذا يذهبون إلى هناك؟».

كانت أمام چون على المنضدة خارطة، فأدارَها ليُريهم، وقال: «(هاردهوم) تطلُّ على خليجٍ محمي وتضمُّ ميناءً طبيعيًّا عميقًا بما فيه الكفاية لأكبر السُّفن، والأخشاب والأحجار وفيرة قُربها، والمياه تعجُّ بالأسماك، وثمَّة مستعمرات من الفقمات وأبقار البحر على مقربة».

ردَّ ياروِيك: «لا أشكُّ في صحَّة كلِّ هذا، لكنه ليس بالمكان الذي أرغبُ أن أقضي فيه اللَّيل. إنك تعرف الحكاية».

يعرف چون الحكاية بالفعل. كانت (هاردهوم) في منتصَف الطَّريق إلى أن تُصبِح بلدةً، البلدة الحقيقيَّة الوحيدة وراء (الجِدار)، حتى تلك اللَّيلة قبل ستِّمئة عامٍ عندما ابتلعَها الجحيم. حسب النُّسخة التي تُصدِّقها من القصَّة فقد اختُطِفَ أهلها إلى العبوديَّة أو قُتِّلوا لأكل لحمهم، وأتى على بيوتهم وقاعاتهم حريق هائل تأجَّج لدرجة أن الحَرس على (الجِدار) بعيدًا في الجنوب حسبوا أن الشَّمس تُشرِق من الشَّمال، وبعدها انهمرَت أمطار الرَّماد على (الغابة المسكونة) و(البحر الرَّاجف) طيلة نِصف عام. روى التُّجَّار أنهم وجدوا دمارًا كابوسيًّا حيث كانت (هاردهوم) من قبل، صفحة الأرض مأساة من الأشجار المتفحِّمة والعظام المحترقة، والمياه مخنوقة بالجُثث المنتفخة، ومن مداخل الكهوف المنتشرة في الجُرف العظيم المرتفع فوق المستوطَنة يتردَّد صريخ يُجمِّد الدِّماء في العروق.

ستَّة قرون كاملة مرَّت منذ تلك اللَّيلة، لكن (هاردهوم) لا تزال منبوذةً. قيلَ لچون إن البراري استردَّت المكان، لكن الجوَّالة يدَّعون أن الأطلال مسكونة بالغيلان والشَّياطين والأشباح المشتعلة المولعة بمذاق الدِّماء.

قال چون: «إنه ليس المأوى الذي كنتُ لأختاره أيضًا، لكن الأُم خُلد سمِعَت تقول إن الأحرار سيجدون الخلاص حيث لاقوا من قبل الهلاك».

زمَّ السِّپتون سلادور شفتيه قائلًا: «الخلاص لا يُوجَد إلَّا عن طريق (السَّبعة). تلك السَّاحرة حكمَت عليهم جميعًا بالفَناء».

قال باون مارش: «وأنقذَت (الجِدار) ربما. إننا نتكلَّم عن أعداء. فليُصلُّوا بين الأطلال، وإذا أرسلَت إليهم آلهتهم سُفنًا تحملهم إلى عالمٍ أفضل فلا بأس، ففي هذا العالم ليس عندي طعام لهم».

قال چون وهو يبسط أصابع يد سيفه ويثنيها: «قوادس كوتر پايك تمرُّ بـ(هاردهوم) بين الحين والآخَر، وقد أخبرَني بأن لا مأوى هنالك إلَّا الكهوف التي يدعوها رجاله بـ«الكهوف الصَّارخة». الأُم خُلد ومن تبعوها سيموتون هناك من البرد والجوع، مئات منهم، آلاف».

- «آلاف من الأعداء، آلاف من الهَمج».

آلاف من البَشر، رجال ونساء وأطفال. تصاعدَ الغضب من أعماق چون، لكن حين تكلَّم خرجَ صوته هادئًا باردًا: «أأنت أعمى أم أنك لا تُريد أن ترى؟ ما الذي تحسبه سيَحدُث حين يُدرِك هؤلاء الأعداء الموت؟».

ردَّد الغُداف من فوق الباب: «*الموت، الموت، الموت!*».

واصلَ چون: «دَعني أخبرك بما سيَحدُث. سينهض الموتى من جديدٍ بالمئات والآلاف، سينهضون كجُثثٍ حيَّة بأيدٍ سوداء وأعيُنٍ زرقاء شاحبة، وسيُهاجِموننا!»، ونهضَ وأصابع يده تنفتح وتنغلق، وأردفَ: «لكم إذني في الانصراف».

نهضَ السِّپتون سلادور بوجهٍ مربد وجبين متعرِّق، وأوثيل ياروِيك بجمود، وباون مارش بشفتين مزمومتين ووجهٍ شاحب، وقال الأخير: «نَشكُرك على وقتك أيها اللورد سنو»، وغادَروا دون كلمةٍ أخرى.

(58). اسم الرِّضاعة تقليد استمدَّه المؤلِّف من الثَّقافة الصِّينيَّة على الأرجح، حيث كان الآباء ينتظرون مئة يوم قبل أن يُطلِقوا اسمًا فعليًّا على المواليد، مِثلما ينتظر الهَمج عامين قبل إطلاق اسمٍ فعلي على مواليدهم. (المُترجم).

للخنزيرة طبع أهدأ من بعض الخيول التي سبقَ لتيريون ركوبها. وجدَها صبورًا ثابتة القوائم، وقد قبلَته دون قباعٍ تقريبًا عندما اعتلى ظَهرها، وظلَّت هادئةً إذ مدَّ يده إلى التُّرس والرُّمح، لكن حين شدَّ عِنانها وهمزَ جانبيها بقدميه تحرَّكت على الفور. اسمها الجميلة، اختصارًا للخنزيرة الجميلة، ومدرَّبة على السَّرج واللِّجام منذ صَغرها.

خشخشَت الدِّرع الخشبيَّة الملوَّنة مع هرولة الخنزيرة على سطح السَّفينة. كان تيريون يحسُّ بوخزٍ في إبطيه من الرُّطوبة، وسالَت قطرات العَرق على نَدبته تحت الخوذة الكبيرة التي لا تُناسِب مقاس رأسه، وعلى الرغم من هذا، وللحظةٍ عبثيَّة واحدة، شعرَ كأنه چايمي راكبًا في مضمار النِّزال حاملًا رُمحًا وتُومِض دِرعه الذَّهبيَّة في ضوء الشَّمس.

حينما بدأ الضَّحك ذابَ الحُلم. إنه ليس بطلًا، بل مجرَّد قزمٍ على ظَهر خنزيرة، يُمسك عصا ويُؤدِّي عرضًا فُكاهيًّا لتسلية بعض البحَّارة الضَّجرين السَّكرانين بالرَّم على أمل تحسين مزاجهم. في مكانٍ ما في الجحيم يتميَّز أبوه غيظًا ويستغرِب چوفري ضحكًا. شعرَ تيريون بأعيُنهما الميتة الباردة تُشاهِد هذه المهزلة بنفس حماسة طاقم (السِّلياسوري كوران).

والآن تأتي خصمه. ركبَت پني كلبها الرَّمادي الكبير ولوَّحت برُمحها المقلَّم إذ انطلقَ الحيوان على السَّطح. تُرسها ودرعها مطليَّان بالأحمر، ولو أن الطِّلاء باهت متقشِّر، أمَّا درعه هو فزرقاء. *ليست درعي، بل درع جروت. أرجو ألَّا تكون لي أبدًا.*

ركلَ تيريون كفل الخنزيرة يحثُّها على الإسراع منقضَّةً فيما شجَّعه البحّارة بالتَّهليل والصِّياح، ومع أنه لم يعرف يقينًا إن كانوا يُشجِّعونه حقًّا أم يتهكَّمون عليه فإن عنده فكرةً لا بأس بها. *كيف سمحتُ لنفسي بالاقتناع بالاشتراك في هذه المهزلة؟*

غير أنه يعرف الإجابة. منذ اثني عشر يومًا تطفو السَّفينة في مياه (خليج الثُّبور) في غيابٍ تام للرِّيح. صارَ مزاج أفراد الطَّاقم قبيحًا، ومتوقَّع أن يصير أقبح حين تَنضُب حصَّتهم اليوميَّة من الرَّم. كم ساعةً في اليوم يستطيع المرء أن يُكرِّسها لرتق الشِّراع وسدِّ الثَّغرات وصيد الأسماك على كلِّ حال؟ سمعَهم چورا مورمونت يُهَمهِمون أن حظَّ الأقزام خذلَهم، ولئن كان طاهي السَّفينة لا يزال يَفرُك رأس تيريون بين الحين والآخَر آملًا أن يُحرِّك هذا الرِّيح، فقد بدأ الآخَرون يَرشُقونه بنظراتٍ تطقُّ شررًا متى صادفَهم. ونصيب پني أسوأ، منذ نشرَ الطَّاهي فكرة إن اعتصار ثدي فتاةٍ قزمة قد يكون المطلوب تحديدًا لاستعادة حظِّهم، كما أنه بدأ يدعو الخنزيرة الجميلة باللَّحم المقدَّد، وهي الدُّعابة التي بدَت أطرف كثيرًا حين كان تيريون يُردِّدها.

تذرَّعت إليه پني قائلةً: «يجب أن نُضحِكهم، يجب أن نجعلهم يُحبُّوننا. إذا قدَّمنا لهم عرضًا فسيُساعِدهم على النِّسيان. أرجوك يا سيِّدي».

وبشكلٍ ما، بوسيلةٍ ما، بصورةٍ ما وافقَ. مؤكَّد *أن الرَّم السَّبب*. نبيذ الزُّبَّان أول ما نفدَ، واكتشفَ تيريون لانستر أن السُّكر بالرَّم أسرع بكثيرٍ من السُّكر بالنَّبيذ.

وهكذا وجدَ نفسه مرتديًا درع جروت الخشبيَّة الملوَّنة على متن خنزيرة جروت فيما لقَّنته أخت جروت أهمَّ النِّقاط الخاصَّة بالنِّزال الهزلي الذي كان مصدر رزقهما. في الأمر نوع معيَّن من السُّخرية اللَّذيذة، باعتبار أن تيريون كادَ يفقد رأسه من قبل عندما رفضَ امتطاء الكلب تلبيةً لرغبات ابن أخته الشاذَّة، وعلى الرغم من ذلك وجدَ تقدير ما في المسألة من فُكاهةٍ صعبًا وهو على ظَهر الخنزيرة.

نزلَ رُمح پني في الوقت المناسب لأن يمسَّ رأسه المثلوم كتفه، أمَّا رُمحه هو فتقلقلَ إذ أنزلَه وضربَ به رُكن تُرسها بصوتٍ مزعج. نجحَت هي في الاحتفاظ بوضعها، وسقطَ تيريون، وإن كان هذا هو المطلوب أن يَحدُث.

بسهولة السُّقوط من فوق خنزير... ولو أن السُّقوط من فوق هذه الخنزيرة أصعب مما يبدو. متذكِّرًا درسه، تكوَّر تيريون على نفسه لحظة سقوطه، ومع ذلك ارتطمَ بالسَّطح بصوتٍ عنيف مكتوم وعضَّ لسانه بقوَّةٍ حتى إنه ذاقَ دمًا في فمه. أحسَّ كأنه في الثَّانية عشرة من عُمره من جديد، يدور على يديه وقدميه فوق مائدة العَشاء في القاعة الكُبرى بـ(كاسترلي روك). في ذلك الحين كان عمُّه جيريون موجودًا ليُثني على مجهوده بدلًا من هؤلاء البحَّارة الأجلاف، الذين بدَت ضحكاتهم زهيدةً متصنَّعةً مقارنةً بعواصف الضَّحك التي حيَّت طرائف جروت وپني في مأدبة زفاف چوفري. هسهسَ بعضهم في وجهه غضبًا، وصاحَ أحدهم من فوق السَّلوقيَّة الخلفيَّة: «لا-أنف، نزالك كهيئتك، قبيح. أكيد أنك بلا خصيتين، تركت الفتاة تغلبك». قال تيريون لنفسه: *لا بُدَّ أنه راهنَ عليَّ بنقود*. تجاهلَ الإهانة، فقد سبقَ أن سمعَ ما هو أسوأ.

عسَّرت الدِّرع الخشبيَّة النُّهوض، ووجدَ نفسه يُلوِّح بيديه وقدميه كسُلحفاةٍ مقلوبة على ظَهرها، لكن هذا -على الأقل- أضحكَ بعض البحَّارة. مؤسفٌ أنني لم أكسر ساقي. *كان ذلك سيجعلهم يعوون ضحكًا. ولو كانوا موجودين في المرحاض حيث اصبتُ أبي في أحشائه فلربما ضحكوا بقوَّةٍ تجعلهم يتبرَّزون في سراويلهم معه. أي شيء للحفاظ على رضا هؤلاء الأوباش الملاعين على كلِّ حال.*

أخيرًا أشفقَ چورا مورمونت على تيريون في معاناته وسحبَه لينهض وهو يقول: «بدوت أحمق».

هذه هي *النِّيَّة*. «صعب أن تبدو بطلًا وأنت تمتطي خنزيرًا».

- «لا بُدَّ أن هذا هو السَّبب الذي يجعلني لا أركبُ الخنازير».

حلَّ تيريون أبازيم خوذته وخلعَها وبصقَ كُتلةً من البلغم الدَّامي من فوق الحاجز، ثم قال: «أحسُّ كأنني قضمتُ نِصف لساني».

قال السير چورا: «المرَّة القادمة عُضَّ بقوَّةٍ أكبر»، وهزَّ كتفيه مضيفًا: «الحقيقة أنني رأيتُ مُنازلين أسوأ».

أهذا مديح؟ «لقد سقطتُ من فوق الخنزيرة اللَّعينة وعضضتُ لساني. ما الأسوأ من هذا؟».

- «أن تخزق شظية عينك وتموت».

قالت پني التي ترجَّلت عن كلبها الرَّمادي الكبير المسمَّى كرَنش: «الفكرة ألَّا تُحسِن النِّزال يا هيوجور». دائمًا تحرص على مخاطبته باسم هيوجور على مسمعٍ من أيِّ أحد. «الفكرة أن تُضحِكهم وتجعلهم يُلقون لك النُّقود».

فكَّر تيريون: *ثَمن بخس نظير الدَّم والرُّضوض*، لكنه احتفظَ بهذا الخاطر لنفسه أيضًا، وقال: «فشلنا في هذا أيضًا. لا أحد ألقى نقودًا». لا پني ولا جروت.

- «سيفعلون حين نتحسَّن». قالتها پني وخلعَت خوذتها لينسدل شَعرها البنِّي الفئراني إلى أُذنيها. عيناها بنِّيَّتان أيضًا تحت جبهتها الغليظة البارزة، ووجنتاها ناعمتان متورِّدتان. أخرجَت حفنةً من جوز البلُّوط من كيسٍ جِلدي للخنزيرة الجميلة، فأكلَتها من يدها قابعةً بسعادة. «عندما نُؤدِّي عرضنا أمام الملكة دنيرس ستهطل الفضَّة علينا كالمطر، سترى».

كان بعض البحَّارة يصيحون فيهما ويدقُّون السَّطح بكعوبهم مطالبين بنزالٍ آخَر، أصخبهم طاهي السَّفينة كالمعتاد. تعلَّم تيريون أن يزدري هذا الرَّجل، على الرغم من أنه لاعب السايڤاس شِبه الجيِّد الوحيد على متن الكوج.

قالت پني بابتسامةٍ صغيرة آملة: «أترى؟ لقد أعجبناهم. هل نتنازَل ثانيةً يا هيوجور؟».

كان على وشك الرّفض عندما أعفَته صيحة من أحد الوُكلاء من ذلك. إنه منتصَف الصّباح، والرُّبّان يُريد إنزال القوارب مرّةً أخرى. كما هي الحال منذ أيام، يتدلّى شراع الكوج المخطّط الضّخم مرتخيًا من الصّاري، لكن الرّجل يأمل أن يَعثُروا على ريحٍ في مكانٍ ما إلى الشّمال، ومعنى هذا التّجذيف. على أن القوارب صغيرة والكوج كبير، وجرّه عمل حار شاق مرهِق يُصيب أيدي الملّاحين بالقروح وظهورهم بالألم ولا يُثمِر شيئًا. يكره أفراد الطّاقم هذا العمل، ولا يستطيع تيريون أن يلومهم. غمغمَ بحدّة: «كان على الأرملة أن تضعنا على متن قادس. سأكونُ ممتنًّا إذا ساعدَني أحد على خلع هذه الألواح اللّعينة. أظنُّ أن في عانتي شظيةً».

أدّى مورمونت هذا الواجب وإنما على مضض، وأخذَت پني الكلب والخنزيرة وقادَتهما إلى قمرتها بالأسفل. بينما حلّ السير چورا أبازيم الأحزمة التي تربط واقي الصّدر بواقي الظّهر أخبرَ تيريون: «الأفضل أن تقول لسيّدتك أن تُغلِق بابها وتُوصِده وهي بالدّاخل. إنني أسمعُ كلامًا كثيرًا عن الضُّلوع والأفخاذ واللّحم المقدّد».

- «هذه الخنزيرة نِصف معاشها».

خلعَ مورمونت واقيَي الصّدر والظّهر قائلًا: «لو كان الطّاقم جيسكاريًّا لأكلَ الكلب أيضًا. أخبِرها فحسب».

- «كما تُريد». كانت سُترته مبتلّةً عن آخِرها بالعَرق وملتصقةً بصدره، فشدَّها تيريون متمنّيًا القليل من النّسيم. الدّرع الخشبيّة خانقة ثقيلة لا تُريح، نِصفها طلاء قديم، طبقة فوق طبقةٍ فوق طبقةٍ من إعادة دهانها مئة مرّة. يَذكُر تيريون أن في مأدبة زفاف چوفري حملَ أحد القزمين رمز ذئب روب ستارك الرّهيب والثّاني رمز وألوان عائلة باراثيون. «سنحتاج إلى كلا الحيوانين إذا أردنا النّزال أمام الملكة دنيرس». إذا قرّر البحّارة أن يذبحوا الخنزيرة الجميلة فلا أمل له أو لپني في منعهم... لكن قد يجعلهم سيف السير چورا الطّويل يتردّدون على الأقل.

- «أهكذا تأمل أن تحتفظ برأسك أيها العِفريت؟».

- «السير عِفريت إذا سمحت. والإجابة نعم. حالما تعرف جلالتها قيمتي الحقيقيّة ستُقدِّرني. إنني شخص صغير محبّب في النّهاية، وأعرفُ أشياء مفيدةً كثيرةً عن أهلي، لكن الأفضل أن أسلّيها حتى ذلك الحين».

- «توثّب وتراقَص كما تشاء، فلن يمحو هذا جرائمك. دنيرس تارجاريَن ليست طفلةً سخيفةً تُلهيها الدُّعابات والألعاب. ستُعامِلك بالعدل».

أوه، لا آملُ هذا. تفرّس تيريون في وجه مورمونت بعينيه غير المتماثلتين، وقال: «وكيف ستستقبلك هذه الملكة العادلة؟ بعناقٍ دافئ؟ ضحكة فتاةٍ صغيرة؟ فأس جلّاد؟»، وابتسمَ ابتسامته العريضة لمرأى ارتباك الفارس الواضح، وتابعَ: «هل توقّعت حقًّا أن أصدّق أنك كنت تؤدّي مهمّة للملكة في ذلك الماخور؟ أنك تُدافِع عنها وبينكما نِصف عالم؟ أم أنك كنت هاربًا بعد أن صرفَتك ملكة التّنانين من خدمتها؟ لكن لماذا... آه، مهلًا. لقد كنت تتجسّس عليها!»، وقهقهَ تيريون قبل أن يُواصِل: «إنك تنوي شراء حظوتها من جديدٍ بتقديمي إليها. خطّة عقيمة في رأيي، وقد يقول المرء إنه تصرّف ترتّب على اليأس والسُّكر. ربما لو كنتُ چايمي... لكن چايمي قتلَ أباها، وأنا قتلتُ أبي فقط. تظنُّ أن دنيرس ستُعدِمني وتعفو عنك، إلّا أن العكس وارد أيضًا. ربما عليك أن تمتطي تلك الخنزيرة أيها السير چورا. ارتدِ بِزّةً من الحديد الملوّن مِثل فلوريان الـ...».

أدارَت الضّربة التي هوى بها الفارس عليه رأسه وطرحَته إلى الجانب بعُنفٍ جعلَ رأسه يرتدّ عن السّطح. ملأ الدّم فمه إذ قامَ مترنّحًا على رُكبةٍ واحدة، وبصقَ سِنًّا مكسورةً. *أزدادُ وسامةً كلَّ يوم، لكنني أعتقدُ أنني نكأتُ جرحًا.* مسحَ تيريون فقاقيع الدّم عن شفته المشقوقة بظَهر كفّه متسائلًا: «هل قال القزم ما يُسيء أيها الفارس؟».

قال مورمونت: «سئمتُ فمك هذا أيها القزم. ما زالَت لديك أسنان متبقّية. إذا أردتَ الاحتفاظ بها فابتعد عني حتى نهاية هذه الرّحلة».

- «سيكون هذا صعبًا. إننا نتقاسَم قمرةً».

- «يُمكنك أن تجد مكانًا آخَر تنام فيه، في المخزن بالأسفل أو على السَّطح، لا يعنيني. ابتعد عن نظري فحسب».

سحبَ تيريون نفسه ناهضًا، وردَّ بفمٍ مليء بالدَّم: «كما تُريد»، لكن الفارس الكبير كان قد رحلَ بالفعل، يدقُّ حذاؤه ألواح السَّطح بقوَّة.

وجدَته پني في المطبخ بالأسفل يغسل فمه بالرَّم والماء وتتقلَّص ملامحه من لسعة الألم، وخاطبَته قائلةً: «سمعتُ بما حدثَ. أوه، هل جُرِحت؟».

هزَّ كتفيه مجيبًا: «القليل من الدَّم وسِن مكسورة». *لكنني أعتقدُ أنني جرحته أكثر.* «وهو الفارس. يُؤسِفني أن أقول إننا لا نستطيع الاتِّكال على السير چورا في حال احتياجنا إلى حماية».

قالت: «ماذا فعلت؟ أوه، شفتك تنزف»، وأخرجَت منديلًا من كُمِّها وضغطَت به على الشَّفة برفقٍ متسائلةً: «ماذا قلت؟».

- «بضع حقائق لم يرغب السير حصوة في سماعها».

- «يجب ألَّا تسخر منه. ألا تعرف شيئًا؟! لا يُمكنك أن تُحدِّث شخصًا كبيرًا هكذا. إنهم قادرون على إيذائك! كان يُمكن أن يُلقيك السير چورا في البحر، ولضحكَ البحَّارة لرؤيتك تغرق. عليك اتِّخاذ الحذر مع الأشخاص الكبار. كُن مرحًا مازحًا معهم، اجعلهم يبتسمون ويضحكون. هذا ما كان أبي يقوله دومًا. ألم يُعلِّمك أبوك كيف تتصرَّف مع الأشخاص الكبار؟».

قال تيريون: «كان الجميع صغارًا عند أبي، ولم يكن بالرَّجل الذي يُمكنكِ وصفه بالمرح»، وأخذَ رشفةً أخرى من الرَّم المخفَّف بالماء ودوَّره في فمه ثم بصقَه، وتابعَ: «لكنني أفهمُ قصدكِ. ما زالَت أمامي أشياء كثيرة أتعلَّمها عن حياة الأقزام. هلَّا تفضَّلتِ بتعليمي بين النِّزالات وركوب الخنازير؟».

- «سأفعلُ يا سيِّدي، بكلِّ سرور... لكن ما تلك الحقائق؟ لماذا ضربَك السير چورا بهذا العُنف؟».

- «من أجل الحُبِّ بالطَّبع، السَّبب نفسه الذي جعلَني أطبخُ المغنِّي في يخنة». فكَّر في شِاي والنَّظرة في عينيها إذ ضيَّق خناق السِّلسلة حول عُنقها ولواها بقبضته، سلسلة الأيدي الذَّهب. *فالأيدي الذَّهب دومًا باردة، لكن يدَي المرأة تشعَّان دفئًا*. «أأنتِ عذراء يا پني؟».

تخضَّب وجهها خجلًا مجيبةً: «نعم، بالطَّبع. مَن عساه...».

- «ابقي هكذا. الحُبُّ جنون، والشَّهوة سُم. احتفظي بعُذريَّتكِ. ستكونين أسعد، ولن تجدي نفسكِ في ماخورٍ قذر على ضفاف (الروين) مع عاهرةٍ تُشبِه حبيبتكِ المفقودة نوعًا». *أو تقطعي نِصف العالم في مطاردةٍ آملةً أن تعرفي أين تذهب العاهرات*. «السير چورا يَحلُم بإنقاذ ملكة التَّنانين والتَّنعُّم بعرفانها، لكنني أعرفُ شيئًا أو شيئين عن عرفان الملوك، وأوثرُ أن يكون لي قصر في (ڤاليريا)». بترَ تيريون كلامه فجأةً ليقول: «هل شعرتِ بهذا؟ السَّفينة تحرَّكت».

قالت پني وقد أضاءَ وجهها فرحًا: «نعم، إننا نتحرَّك مجدَّدًا. الرِّيح...»، وهرعَت إلى الباب مردفةً: «أريدُ أن أرى. هلمَّ، سأسابقك إلى أعلى»، وانطلقَت.

بينما اندفعَت پني من المطبخ صاعدةً السَّلالم الخشب بأقصى سرعةٍ تُتيحها لها ساقاها القصيرتان ذكَّر تيريون نفسه مرغمًا: *إنها صغيرة، أقرب إلى طفلة*، وعلى الرغم من هذا دغدغَته رؤية حماستها، وتبعَها إلى أعلى.

دبَّت الحياة من جديدٍ في الشِّراع، ينتفخ ويَفرُغ وينتفخ ثانيةً، وتتلوَّى الشَّرائط الحمراء على قُماشه كالثَّعابين. اندفعَ البحَّارة على السَّطح يشدُّون الحبال فيما زعقَ الوُكلاء بالأوامر بلُغة (ڤولانتيس القديمة)، وحلَّ المجذِّفون في القوارب حبال الجرِّ وبدأوا يعودون أدراجهم إلى الكوج مجذِّفين بقوَّة.

كانت الرِّيح تهبُّ شديدةً من الشَّرق قابضةً على الحبال والمعاطف كطفلٍ مشاغب، وعادَت (السِّلياسوري كُوران) إلى الحركة.

قد نَبلُغ (ميرين) في النِّهاية رغم كلِّ شيء.

لكن حين تسلَّق سُلَّم السَّلوقيَّة الخلفيَّة ونظرَ من المؤخِّرة تذبذبَت ابتسامته. *سماء زرقاء وبحر أزرق هنا، لكن إلى الغرب... لم أرَ سماءً بهذا اللَّون قَطُّ.* في الأُفق رُكام رعدي[59] كثيف، وقال تيريون مشيرًا إليه: «ابن الطَّبيعة الحرام».

- «ما معنى هذا؟».

- «معناه أن وغدًا كبيرًا يزحف علينا من الخلف».

أدهشَه انضمام موكورو واثنين من أصابعه النَّاريَّة إليهم على السَّلوقيَّة الخلفيَّة الآن في منتصَف النَّهار، فالرَّاهب الأحمر ورجاله لا يظهرون عادةً حتى الغسق. حيَّاه الرَّاهب بإيماءةٍ رصينة قائلًا: «ها أنت ذا تراها الآن يا هيوجور هيل، غضبة الإله. إله الضِّياء لا يسمح بالسُّخرية منه».

قال تيريون وقد خامرَه شعور سيِّئ: «الأرملة قالت إن السَّفينة لن تَبلُغ وجهتها أبدًا. حسبتُ معنى هذا أن الرُّبَّان سيُبدِّل الاتِّجاه إلى (ميرين) ما إن نَخرُج إلى البحر بعيدًا عن متناول القناصل، أو أنك ستستولي على السَّفينة بيدك النَّاريَّة وتأخذنا إلى دنيرس، لكن ليس هذا ما رآه راهبكم الأعلى إطلاقًا، أليس كذلك؟»

دقَّ صوت موكورو العميق بوقار ناقوس جنازةٍ إذ أجابَ: «هذا هو ما رآه»، ورفعَ الرَّاهب عصاه وأشارَ بها إلى الغرب.

حائرةً قالت پني: «لستُ أفهمُ. ما معني هذا؟».

- «معناه أن علينا أن ننزل إلى أسفل. السير چورا نفاني من قمرتنا. هل تسمحين بأن أختبئ في قمرتكِ عندما يحين الوقت؟».

- «نعم، سيكون هذا... أوه...».

طوال ثلاث ساعاتٍ تقريبًا سبقوا الرِّيح فيما ظلَّت العاصفة تدنو بإصرار. اخضرَّت سماء الغرب ثم ارمدَّت ثم اسودَّت، وارتفعَ جِدار من السَّحاب القاتم من ورائهم ممخوضًا كالحليب إذا تُرِكَ في المرجل على النَّار وقتًا أطول من اللَّازم. شاهدَ تيريون وپني من فوق السَّلوقيَّة الأماميَّة وقد قبعا عند تمثال المقدِّمة بيدين متعانقتين وحرصا على الابتعاد عن طريق الرُّبَّان والطَّاقم.

العاصفة السَّابقة كانت مثيرةً مُسكرةً، زوبعةً مباغتةً طهَّرته وأنعشَته، أمَّا هذه فيَشعُر من البداية بأنها مختلفة، وهو ما شعرَ به الرُّبَّان أيضًا، فغيَّر مسارهم إلى الشَّمال والشَّمال الشَّرقي محاولًا الابتعاد عن طريقها.

على أن جهده ذهبَ هدرًا، فالعاصفة هائلة. هاجَ البحر وماجَ من حولهم، وبدأت الرِّيح تعوي، وارتفعَت (الوكيل الزَّنخ) وانخفضَت إذ اعتلجَت الأمواج وتكسَّرت على بدنها، ومن ورائهم هوى البرق من السَّماء يطعن البحر بألسنةٍ أرجوانيَّة مُعمية تراقصَت على الماء في شباكٍ من الضَّوء، وبعد البرق دوَّى الرَّعد. أخذَ تيريون پني من ذراعها وقادَها إلى أسفل قائلًا: «حانَ وقت الاختباء».

أصابَ الخوف الجميلة وكرَنش بالجنون. كان الكلب ينبح وينبح وينبح، ولدى دخولهما طرحَ تيريون أرضًا، وكانت الخنزيرة تتبرَّز في كلِّ مكان. نظَّف تيريون الغائط قدر المستطاع فيما حاولَت پني تهدئة الحيوانين، ثم إنهما ربطا أو خبَّآ كلَّ شيءٍ مفكوك. قالت پني معترفةً: «أنا خائفة». بدأت القمرة تتمايَل وتقفز في هذا الاتِّجاه وذاك من جرَّاء تلاطُم الأمواج التي ما برحَت تدقُّ بدن السَّفينة دقًّا.

ثمَّة سُبل للموت أسوأ من الغرق. هذا ما تعلَّمه أخوكِ والسيِّد والدي، وكذا شِاي، تلك الكاذبة السَّافلة. الأيدي الذَّهب دومًا باردة، لكن يدَي المرأة تشعَّان دفئًا. قال تيريون على سبيل الاقتراح: «علينا أن نلعب لُعبةً. قد يُساعِد هذا في إلهائنا عن العاصفة».

قالت في الحال: «ليس السايڤاس».

أيَّدها قائلًا والأرض ترتفع من تحته: «ليس السايڤاس». لن يُفضي هذا إلَّا إلى تطايُر القِطع في أنحاء القمرة وسقوطها على الخنزيرة والكلب. «هل لعبتِ (تعالَ إلى قلعتي) في صِغركِ؟».

- «لا. هلَّا علَّمتني؟».

هل يستطيع؟ تردَّد تيريون. *أيها القزم الأحمق. بالطَّبع لم تلعب (تعالَ إلى قلعتي) من قبل. إنها لم تَسكُن في قلعةٍ قَطُّ.* (تعالَ إلى قلعتي) لُعبة لأولاد علية القوم، الغرض منها تعليمهم الذَّوق ورموز النَّبالة وشيئًا أو اثنين عن أصدقاء وأعداء آبائهم اللوردات. بدأ يقول: «لن...»، إلَّا أن القمرة ارتفعَت ثانيةً بعُنفٍ ليرتطم بپني التي أطلقَت صرخة رُعب. ضاغطًا على أسنانه قال تيريون: «لن تَصلُح تلك اللُّعبة. آسفٌ، لا أدري أيَّ لُعبةٍ...».

قاطعَته پني: «أنا أدري»، وقبَّلته.

كانت القُبلة مندفعةً خرقاء، لكنها باغتَته تمامًا. ارتفعَت يداه بحركةٍ حادَّة وأطبقَتا على كتفيها لتدفعاها بعيدًا عنه، غير أنه تردَّد بدلًا من ذلك، ثم جذبَها إليه واعتصرَها بين ذراعيه. وجدَ تيريون شفتيها جافَّتين جامدتين مغلقتين بإحكام كيس نقود البخيل، ففكَّر: *رحمة صغيرة*. ليس هذا شيئًا أرادَه. إنه يستلطِف پني، يُشفِق على پني، بل ومعجب بپني إلى حدٍّ ما أيضًا، لكنه لم يرغب فيها قَطُّ. لكنه لا يُريد أن يجرحها، فقد أصابَتها الآلهة وأخته الجميلة بما يكفي من ألمٍ بالفعل، وهكذا تركَ القُبلة تستمرُّ وقد أمسكَ كتفيها برفق، وإن ظلَّت شفتاه مغلقتين عن آخِرهما.

وتمايلَت (السِّلياسوري كوران) وارتجَّت من حولهما.

أخيرًا سحبَت وجهها بوصةً أو اثنتين، ورأى تيريون انعكاسه في عينيها اللَّامعتين. قال لنفسه: *عينان جميلتان*، إلَّا أنه رأى فيهما أشياء أخرى أيضًا. *الكثير من الخوف، القليل من الأمل... ولا ذرَّة من الشَّهوة. إنها لا تُريدني مِثلما لا أُريدها*.

حين خفضَت رأسها وضعَ يده تحت ذقنها ورفعَه ثانيةً قائلًا: «لا يُمكننا أن نلعب هذه اللُّعبة يا سيِّدتي».

وبالأعلى دوَّى هزيم الرَّعد الذي يدنو أكثر فأكثر.

- «لم أقصد... لم أقبِّل صبيًّا من قبل، ولكن... خطرَ لي فقط... ماذا لو غرقنا ولم... لم...».

كاذبًا قال: «كانت قُبلةً حُلوةً، لكنني متزوِّج. لقد كانت معي في المأدبة. لعلَّك تَذكُرينها، الليدي سانزا».

- «أهي زوجتك؟ كانت... كانت رائعة الجَمال...».

وغادرةً. سانزا، شِاي، نسائي جميعًا... تايشا الوحيدة التي احبَّتني حقًّا. أين تذهب العاهرات؟ «فتاة فاتنة، وقد عُقِدَ قراننا على مرأى من الآلهة والبَشر. ربما ضاعَت مني، لكن عليَّ أن أبقى مخلصًا لها إلى أن أعلم ذلك يقينًا».

أشاحَت بوجهها قائلةً: «مفهوم».

فكَّر تيريون بمرارة: *امرأتي المثاليَّة، الصَّغيرة التي ما زالَت تُصدِّق هذه الأكاذيب البيِّنة.*

كان بدن السَّفينة يصرُّ والسَّطح يتحرَّك والخنزيرة تَصرُخ مذعورةً. زحفَت پني على أرض القمرة على يديها ورُكبتيها وأحاطَت رأس الجميلة بذراعيها وتمتمَت لها ببعض كلمات الطَّمأنة. بالنَّظر إليهما وجدَ صعبًا أن يُميِّز مَن تُواسي مَن، منظرهما عجيب لدرجة أنه من المفترَض أن يكون في غاية الطَّرافة، لكن تيريون لم يستطِع أن يبتسم مجرَّد ابتسامة. *الفتاة تستحقُّ ما هو أفضل من خنزيرة، تستحقُّ قُبلةً صادقةً والقليل من الحنان. كلُّ إنسانٍ يستحقُّ هذا مهما كان كبيرًا أو صغيرًا.*

تلفَّت باحثًا عن كوب النَّبيذ، ولمَّا وجده كان الرَّم كلُّه قد انسكبَ، فقال لنفسه بجهامة: *الغرق سيِّئ بما فيه الكفاية، لكن أن أغرق حزينًا مستفيقًا فهذه قسوة بالغة.*

في النّهاية لم يغرقوا... ولو أن في أوقاتٍ معيّنة كانت لفكرة الغرق بهدوءٍ وسلام جاذبيّة معيّنة. زأرَت العاصفة طيلة ما تبقّى من النّهار وبعد حلول اللّيل بساعاتٍ عدّة، وعوَت ريح صرصر بليلة حولهم وارتفعَت الأمواج كقبضات عمالقةٍ غرقى لتتكسّر على السّفينة. لاحقًا عرفَ تيريون وپني أن العاصفة ابتلعَت أحد وُكلاء الرُّبّان واثنين من البحّارة، وفقدَ الطّاهي بصره عندما طارَت قِدر من الشّحم السّاخن في وجهه، وسقطَ الرُّبّان من فوق السّلوقيّة الخلفيّة إلى السّطح الرّئيس بعُنفٍ كسرَ كلتا ساقيه. بالأسفل عوى كرَنش وعضّ الهواء في وجه پني، وبدأت الخنزيرة الجميلة تتبرّز من جديدٍ محوّلةً القمرة الضيّقة الرّطبة إلى زريبة. استطاعَ تيريون تحاشي إفراغ معدته خلال كلّ هذا بفضل غياب النّبيذ في الغالب، أمّا پني فلم يُحالِفها الحظُّ مِثله، لكنه أمسكَها على كلّ حالٍ فيما صرَّ بدن السّفينة وأنَّ على نحوٍ مروّع كبرميلٍ على وشك الانفجار.

قُرب منتصَف اللّيل خمدَت الرّيح أخيرًا وهدأ البحر بما فيه الكفاية لصعود تيريون إلى السّطح، وما رآه هناك لم يُطَمئِنه. الكوج طافٍ في بحرٍ من زُجاج التنّين تحت صفحةٍ من النّجوم، لكن في كلّ مكانٍ حولهم ما زالَت العاصفة ثائرةً. شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا، أينما نظرَ رأى السّحب ترتفع كجبالٍ سوداء دبَّت الحياة في منحدراتها المتقوّضة وجروفها الهائلة بالبرق الأزرق والأرجواني. لم يكن المطر يَسقُط، لكن السّطح مبتلٌّ زلق تحت قدميه.

سمعَ تيريون أحدهم يَصرُخ من أسفل بصوتٍ عالٍ رفيع مسعور من فرط الخوف، وسمعَ موكورو أيضًا. كان الرَّاهب الأحمر واقفًا فوق السّلوقيَّة الأماميَّة في مواجهة العاصفة، عصاه مرفوعة فوق رأسه إذ ردَّد صلاةً بصوته الجهوري، وفي منتصَف السَّفينة كافحَت دستة من البحَّارة وإصبعان ناريَّان لحلِّ الحبال المنعقدة وإرخاء قُماش القنَّب المشبَّع بالماء، وإن لم يدرِ القزم إن كانوا يُحاوِلون رفع الشِّراع أم إنزاله. أيًّا كان ما يفعلونه فقد بدَت له فكرةً سيِّئةً للغاية، وهي كذلك.

عادَت الرِّيح تهبُّ كتهديدٍ مهموس، باردةً رطبةً تمسُّ وجنتيه وتُحرِّك الشِّراع المبتلَّ وتدور وتشدُّ ثوب موكورو القرمزي. دفعَت غريزة ما تيريون إلى التَّمسُّك بأقرب حاجز، وفي الوقت المناسب تمامًا. خلال ثلاث نبضات قلبٍ استحالَ النَّسيم الهادئ إلى ريحٍ هوجاء. صاحَ موكورو بشيءٍ ما، وانطلق لسان من اللَّهب الأخضر من فم التنّين على رأس عصاه ليختفي في اللَّيل. ثم عادَ المطر الأسود المُعمي ينهمر، واختفَت السّلوقيَّتان الأماميَّة والخلفيَّة معًا وراء حائطٍ من المياه. رفرفَ شيء ما ضخم بالأعلى، ورفعَ تيريون عينيه في اللَّحظة المناسبة ليرى الشِّراع يطير برجلين ما زالا متدلِّيين من الحبال. ثم إنه سمعَ قرقعةً، ولم يجد وقتًا إلَّا ليُفكِّر: بحقِّ *الجحيم، مؤكَّد أنه الصَّاري.*

وجدَ حبلًا وتشبَّث به مناضلًا للوصول إلى الكُوَّة كي يبتعد عن العاصفة، لكن هبَّةً من الرِّيح أسقطَت ساقيه من تحته وضربَته أخرى بالحاجز، وهناك تمسَّك ليجلد المطر وجهه جَلدًا ويحجب الرُّؤية تمامًا. امتلأ فمه بالدِّماء مرَّةً أخرى، وأنَّت السَّفينة وزمجرَت من تحته كرجلٍ بدين مصاب بالإمساك يُحاوِل إفراغ أحشائه.

ثم انفلقَ الصَّاري.

لم يرَه تيريون، لكنه سمعَه. تلك القرقعة ثانيةً، ثم صرخة الخشب المعذَّب، وفجأةً امتلأ الهواء بالشُّدف والشَّظايا. أخطأت إحداها عينه بنِصف بوصة، وأصابَت ثانية عُنقه، وانغرسَت الثَّالثة في رَبلة ساقه مخترقةً جِلد الحذاء وقُماش السَّراويل. صرخَ تيريون، لكنه ظلَّ متشبِّثًا بالحبل بقوَّةٍ كان يجهل أنه يملكها. قال لنفسه متذكِّرًا: *الأرملة قالت إن السَّفينة لن تَبلُغ وجهتها أبدًا*، ثم انفجرَ يضحك ويضحك بضراوةٍ وجنون والرَّعد يهزم والخشب يئنُّ والأمواج تتكسَّر في كلِّ جهةٍ حوله.

عندما هجعَت العاصفة أخيرًا، وصعدَ النَّاجون من المُسافرين والطَّاقم إلى السَّطح كديدانٍ ورديَّة شاحبة تَخرُج إلى أديم الأرض بعد المطر، كانت (السِّلياسوري كوران) قد صارَت كيانًا مكسورًا طافيًا في الماء وتميل عشر درجاتٍ إلى اليسار، وقد تحطَّم بدنها في غير موضعٍ وأصبحَ صاريها قطعة خشبٍ خربة لا تتجاوَز القزم طولًا، وحتى تمثال المقدِّمة لم ينجُ، فانكسرَت ذراعه التي تحمل اللَّفائف. تسعة رجالٍ فُقِدوا، بمَن فيهم أحد وُكلاء الرُّبَّان وإصبعان ناريَّان وموكورو نفسه.

تساءلَ تيريون في داخله عندما أدركَ ضياع الرَّاهب الأحمر: *هل رأى بنيرو هذا في ناره؟ هل رآه موكورو؟*

قال لچورا مورمونت متذمِّرًا: «النُّبوءة مِثل البغلة الذي لم يكتمل تدريبها، تبدو لك مفيدةً، لكن لحظة أن تثق بها تَرفُسك في رأسك. تلك الأرملة الملعونة كانت تعلم أن السَّفينة لن تصل إلى وجهتها أبدًا، وقد نبَّهتنا إلى هذا، قالت إن بنيرو رآه في ناره، لكنني حسبتُ أن معنى هذا... لا يهمُّ»، والتوى فمه متابعًا: «معناه الحقيقي أن عاصفةً شعواء لعينةً ستُحوِّل الصَّاري إلى هشيمٍ كي نطفو بلا هدفٍ في (خليج الثُّبور) إلى أن ينفد طعامنا ونبدأ في أكل بعضنا بعضًا. مَن تحسبهم سيأكلونه أولًا... الخنزيرة أم الكلب أم أنا؟».

- «أشدُّكم جلبةً».

ماتَ الرُّبّان في اليوم التَّالي، وطاهي السَّفينة بعد ثلاث ليالٍ. بذلَ أفراد الطَّاقم المتبقُّون أقصى ما بوسعهم للحفاظ على الحُطام طافيًا، وخمَّن الوكيل الذي تولَّى القيادة أنهم في مكانٍ ما قُرب طرف (جزيرة الأرز) الجنوبي، ولمَّا أنزلَ اثنين من القوارب لجرِّهم إلى أقرب يابسةٍ غرقَ أحدهما وقطعَ الرِّجال في الثَّاني الحبال ويمَّموا نحو الشَّمال متخلِّين عن الكوج ورفاقهم.

قال چورا مورمونت باحتقار: «يا للعبيد».

حسب كلام الفارس الكبير فقد ظلَّ نائمًا خلال العاصفة، وهو ما يرتاب فيه تيريون، لكنه احتفظَ بريبته لنفسه، فقد يضطرُّ يومًا ما إلى عضِّ أحدهم في ساقه، ولأجل هذا سيحتاج إلى أسنانه. بدا مورمونت قانعًا بتجاهُل خلافهما، وقرَّر تيريون أن يتظاهَر بأنه لم يقع.

طوال تسعة عشر يومًا ظلُّوا طافين فيما تناقصَ الطَّعام والماء وانهالَت عليهم الشَّمس بحرارتها بلا رحمة. قبعَت پني في قمرتها مع كلبها وخنزيرتها، وجلبَ لها تيريون الطَّعام، يعرج على رَبلة ساقه المضمَّدة ويتشمَّم الجرح ليلًا، وحين لا يجد شيئًا آخَر يفعله يخز أصابع يديه وقدميه أيضًا. واظبَ السير چورا على شحذ سيفه كلَّ يومٍ وصقله حتى البريق، وواظبَ رجال اليد النَّاريَّة الثَّلاثة على إشعال النَّار اللَّيلية عندما تميل الشَّمس إلى المغيب، وإن ارتدوا دروعهم المنمَّقة وهُم يقودون الطَّاقم في الصَّلاة، واحتفظوا بحِرابهم في متناول اليد.

ولم يُحاوِل بحّار واحد أن يَفرُك رأس القزم أو القزمة.

في ليلةٍ سألَت پني: «هل نُقدِّم لهم عرضًا آخَر؟».

أجابَ تيريون: «الأفضل ألَّا نفعل وإلَّا ذكَّرناهم بأن لدينا خنزيرةً سمينةً». مع أن الحقيقة أن الجميلة تفقد مزيدًا من وزنها كلَّ يوم، وأضحى كرَنش فروًا على عظم.

ليلتها رأى في المنام أنه عادَ إلى (كينجز لاندنج) وفي يده نُشَّابيَّة. قال اللورد تايوين: «أينما تذهب العاهرات»، لكن حين انضغطَ إصبع تيريون ورنَّ الوتر ألفى پني أمامه بالسَّهم في بطنها.

ثم استيقظَ على صوت صياح.

كان السَّطح يتحرَّك من تحته، ولبُرهةٍ شعرَ بالارتباك البالغ حتى إنه حسبَ أنه على متن (العذراء الخجول)، لكن نفحةً من خراء الخنازير ردَّت إليه صوابه. (الويلات) وراءه، بينها وبينه نِصف عالم، ومسرَّات تلك الفترة أيضًا. تذكَّر كم كانت ليمور تبدو أخَّاذةً بعد سباحتها الصَّباحيَّة وقطرات الماء تلتمع على بشرتها العارية، لكن الأنثى الوحيدة هنا هي المسكينة پني، الصَّغيرة القزمة ناقصة النُّمو.

على أن شيئًا ما يَحدُث. نزلَ تيريون من فوق شبكة النَّوم متثائبًا وبحثَ عن حذائه، وعلى الرغم مما في هذا من جنونٍ بحثَ عن النُّشَّابيَّة أيضًا، لكنه لم يجدها بالطَّبع. *يا للخسارة. كانت لتنفعني نوعًا عندما يأتي الكبار لأكلي*. انتعلَ حذاءه وصعدَ إلى السَّطح ليرى سبب الصِّياح، ووجدَ پني سبقَته إلى هناك وقد اتَّسعت عيناها عجبًا، ولمَّا رأته صاحَت: «شراع، هناك، هناك، هل تراه؟ شراع. لقد رأونا، رأونا. شراع!».

هذه المرَّة قبَّلها هو... مرَّةً على كلِّ وجنةٍ ومرَّةً على جبهتها وأخيرًا على شفتيها، ومع القُبلة الأخيرة كان وجهها قد تورَّد وراحَت تضحك وقد عادَ إليها خجلها. لكن لا يهمُّ، فالسَّفينة الأخرى تدنو، وقد رأى أنها قادس كبير تُخلِّف مجاذيفه أثرًا أبيض طويلًا وراءه.

خاطبَ تيريون السير چورا مورمونت متسائلًا: «ما هذه السَّفينة؟ هل يُمكنك أن تقرأ اسمها؟».

قال مورمونت: «لستُ محتاجًا إلى قراءة اسمها. إننا في اتِّجاه الرِّيح، ويُمكنني أن أشمَّها»، واستلَّ سيفه مضيفًا: «هذه سفينة نخَّاسين».

(59). الرُّكام الرَّعدي نوع من السَّحاب يتشكَّل على نحوٍ عمودي كثيف ويحمل المطر ويتزامَن مع هبوب العواصف الرَّعديَّة. (المُترجم).

بدأت الرَّقائق الأولى تنزل من السَّماء حين آبَت الشَّمس في الغرب، ومع هبوط اللَّيل كان الثَّلج يتساقَط بكثافةٍ أخفَت القمر وراء حجابٍ من الأبيض.

وفي الصَّباح التَّالي، والرِّجال مجتمعون على الإفطار في قاعة (وينترفل) الكُبرى، أعلنَ رووس بولتون: «آلهة الشَّمال أنزلَت باللورد ستانيس غضبتها. إنه غريب هنا، ولن تسمح له الآلهة القديمة بالبقاء حيًّا».

هدرَ رجاله مؤيِّدين وأخذوا يدقُّون الموائد الخشبيَّة الطَّويلة بقبضاتهم. قد تكون (وينترفل) منكوبةً، لكن أسوارها وجُدرانها الجرانيت كفيلة بوقاية مَن في داخلها من السَّواد الأعظم من الرِّيح والطَّقس السيِّئ، علاوةً على أن عندهم مخزونًا كافيًا من الطَّعام والشَّراب، ونارًا تُدفِّئهم في أوقات الرَّاحة من الواجب، ومكانًا يُجفِّفون فيه ثيابهم، وأركانًا مريحةً يستلقون فيها وينامون، كما أن اللورد بولتون خزَّن حطبًا يكفي لإطعام النَّار طيلة نِصف عام، فلا يعوز القاعة الكُبرى الدِّفء أو الرَّاحة أبدًا.

أمَّا ستانيس فلا يتمتَّع بشيءٍ من هذا.

لم يُشارِك ثيون جرايچوي في الضجَّة، ولم يَفُته أن يلحظ أن رجال عائلة فراي لم يُشارِكوا كذلك. قال لنفسه مراقبًا السير إينس وأخاه غير الشَّقيق السير هوستين: *هُم أيضًا غُرباء هنا*. لم يشهد أبناء فراي الذين وُلِدوا ونشأوا في أراضي النَّهر ثلوجًا كهذه من قبل قَطُّ. *الشَّمال اقتنصَ ثلاثةً من ذويهم بالفعل*. يَذكُر ثيون الرِّجال الذين بحثَ عنهم رامزي عبثًا على إثر ضياعهم بين (الميناء الأبيض) و(بلدة الرَّوابي).

على المنصَّة جلسَ اللورد وايمان ماندرلي بين اثنين من فُرسان (الميناء الأبيض) يحشو وجهه السَّمين بالثَّريد، وإن لم يبدُ أنه يستمتع به كما استمتعَ بفطائر لحم الخنزير يوم الزِّفاف، وفي بُقعةٍ أخرى انهمكَ هاروود ستاوت ذو الذِّراع الواحدة في حوارٍ هادئ مع باقِر العاهرة أومبر الأعجف.

اتَّخذ ثيون مكانه مع الرِّجال في طابور الثَّريد، الذي يُغرَف في آنيةٍ خشبيَّة من صفٍّ من القدور النُّحاس. رأى اللوردات والفُرسان يُحلُّون حصصهم بالعسل والحليب، بل والزُّبدة أيضًا، إلَّا أن شيئًا من هذا لن يُعرَض عليه. كان عهده كأمير (وينترفل) وجيزًا، وقد لعبَ دوره في التَّمثيليَّة وسلَّم آريا المزيَّفة للزَّواج، والآن لم تَعُد له عند رووس بولتون فائدة.

قال أحد رجال هورنوود في الطَّابور أمامه: «في أول شتاءٍ أذكره ارتفعَ الثَّلج فوق رأسي».

ردَّ خيَّال من (الغُدران): «أجل، لكن طولك كان ثلاثة أقدام فقط آنذاك».

ليلة البارحة، عاجزًا عن الرُّقود، وجدَ ثيون نفسه يُسهِب في التَّفكير في الهرب، في الانسلال دون أن يراه أحد في وقتٍ يكون فيه انتباه رامزي والسيِّد والده منصبًّا على شيءٍ آخَر. لكن كلَّ بوَّابةٍ في القلعة مغلقة ومزلجة وتحت حراسةٍ مشدَّدة، وليس مسموحًا لأحدٍ بالدُّخول أو الخروج إلَّا بإذن اللورد بولتون. وحتى إذا وجدَ ثيون طريقًا سرِّيًّا للخروج فلن يُمكنه أن يثق به. إنه لم ينسَ كايرا ومفاتيحها. وإذا خرجَ فأين يذهب؟ أبوه ميت، ولا حاجة إليه عند أعمامه، و(پايك) ضاعَت منه. أقرب شيءٍ إلى الدِّيار تبقَّى له موجود هنا بين عظام (وينترفل).

رجل خرِب وقلعة خرِبة. هذا مكاني.

كان ينتظر حصَّته من الثَّريد حين دخلَ رامزي القاعة مع صِبيان النَّغل وصاحَ آمرًا بالموسيقى، ففركَ إيبل آثار النَّوم من عينيه والتقطَ عوده وشرعَ يُغنِّي (زوجة الدورني)، فيما دقَّت إحدى غسَّالاته الإيقاع على طبلتها. على أن المغنِّي غيَّر الكلمات، وبدلًا من تذوُّق زوجة الدورني غنَّى عن تذوُّق ابنة الشَّمالي.

فكَّر ثيون وإناؤه يُملأ بالثَّريد: *يُمكن أن يفقد لسانه لأجل هذا. إنه مجرَّد مغنٍّ، يستطيع اللورد رامزي أن يَسلُخ جِلد يديه الاثنتين ولن يقول أحد كلمةً.* لكن اللورد بولتون ابتسمَ للبيت وضحكَ رامزي بصخب، وعندها عرفَ الآخَرون أن ضحكهم أيضًا مأمون، ووجدَ القضيب الأصفر الأغنيَّة في غاية الطَّرافة حتى إن النَّبيذ تطايرَ من أنفه.

لم تكن الليدي آريا حاضرةً لتُشارِك في المرح. منذ ليلة زفافها لم تُرَ خارج غرفة نومها، وقد ردَّد آلن الفظ أن اللورد رامزي يَترُك عروسه عاريةً مقيَّدةً إلى أحد أعمدة الفِراش، لكن ثيون يعلم أن هذا هُراء. ليست هناك سلاسل -على الأقل من النَّوع الذي يُرى بالعين- وليس هناك سوى حارسين خارج باب الفتاة لمنعها من التَّجوال. *ولا تتعرَّى إلَّا عندما تستحمُّ.*

والفتاة تستحمُّ كلَّ ليلةٍ تقريبًا، فاللورد رامزي يحبُّ زوجته نظيفةً. كان قد قال لثيون: «المسكينة بلا وصيفات، أي أنك الوحيد المتاح يا ريك. هل أُلبِسك فُستانًا؟»، وضحكَ متابعًا: «ربما إذا توسَّلت إليَّ، لكن في الوقت الحالي يكفي أن تُساعِدها على الاستحمام. لستُ أريدُ أن تكون رائحتها كرائحتك». وهكذا متى طابَ لرامزي أن يُباشِر زوجته وقعَ على عاتق ثيون أن يستعير بعض الخادمات من الليدي والدا أو الليدي داستن لإحضار الماء السَّاخن من المطابخ. على الرغم من أن آريا لا تُحدِّثهم أبدًا فلم تَفُتهم رؤية كدماتها. *إنها غلطتها. لم تُرضِه*. في مرَّةٍ أخبرَ الفتاة وهو يُساعِدها على النُّزول في الماء: «كوني آريا فحسب. اللورد رامزي لا يُريد أن يُؤذيكِ. إنه لا يُؤذينا إلَّا... إلَّا عندما ننسى. لم يجرحني دون سببٍ من قبل».

همسَت منتحبةً: «ثيون...».

قاطعَها: «ريك»، وأمسكَ ذراعها وهزَّها مردفًا: «أنا هنا ريك. يجب أن تتذكَّري يا آريا». لكن الفتاة ليست من آل ستارك حقًّا، بل مجرَّد بنت وكيل. *چين، اسمها چين، ولا يجب أن تتطلَّع إليَّ لأنقذها*. في الماضي كان ثيون جرايچوي ليُحاوِل أن يُساعِدها، لكن ثيون كان حديديَّ الميلاد ورجلًا أشجع من ريك. *ريك، ريك، على قافية ركيك*.

عند رامزي أُلعوبة جديدة تُسلّيه، أُلعوبة لها ثديان وفرج... لكن سرعان ما ستفقد دموع چين نكهتها ويُريد رامزي مخلوقه ريك ثانيةً. *سيَسلُخني بوصةً بوصةً، وحين تنفد أصابعي تمامًا سيأخذ يدَي، وبعدها أصابع قدمَي ثم القدمين، لكن فقط إذا تضرَّعتُ إليه، عندما يسوء الألم لدرجة أن أتوسَّل أن يمنحني شيئًا من الرَّاحة*. لا حمّامات ساخنة لريك. سيتقلَّب في الخراء مجدَّدًا ويُحرَّم عليه الاغتسال، وتتحوَّل ثيابه إلى أسمال متَّسخة كريهة الرَّائحة، ويُجبَر على ارتدائها إلى أن تتعفَّن. أفضل ما يُمكن أن يأمله أن يُعيدوه إلى وجار الكلاب وصُحبة فتيات رامزي. *كايرا، يُسمِّي الكلبة الجديدة كايرا*.

أخذَ إناءه إلى مؤخِّرة القاعة ووجدَ مكانًا على دكَّةٍ شاغرة على بُعد ياردات من أقرب مشعل. نهارًا أو ليلًا لا يخلو أكثر من نِصف الدِّكك تحت الملح، حيث يجلس الرِّجال يشربون أو يلعبون النَّرد أو يتكلَّمون أو ينامون بثيابهم في الأركان الهادئة. عندما يحين وقت ارتداء معاطفهم من جديدٍ وحراسة الأسوار يُوقِظهم رُقباؤهم بركلة، لكن أحدًا منهم لا يُرحِّب برِفقة ثيون المارِق، ولا هو يحبُّ رِفقتهم.

وجدَ الثَّريد رماديًّا مائعًا، وقد دفعَه بعيدًا عقب الملعقة الثَّالثة وتركَه يتخثَّر في الإناء. على المائدة المجاورة كان الرِّجال يتناقَشون بشأن العاصفة ويتساءَلون كم سيستمرُّ الثَّلج في السُّقوط. بإصرارٍ قال رامٍ كبير الحجم أسود اللِّحية على صدره فأس سروين: «طوال النَّهار وطوال اللَّيل، وقد يستمرُّ مُدَّةً أطول»، وتكلَّم بعض الرِّجال الأكبر سِنًّا عن عواصف ثلجيَّةٍ سابقة وأكَّدوا أن هذه ليست أكثر من مسحوقٍ خفيف مقارنةً بما رأوه في أشتية شبابهم، وهو ما روَّع رجال أراضي النَّهر. لا يحبُّ *هؤلاء الجنود الجنوبيُّون الثَّلج والبرد*. كان الدَّاخلون إلى القاعة يذهبون ليقبعوا عند بؤر النَّار أو يَفرُكوا أيديهم فوقَ المستوقَدات المتَّقدة بعد تعليق معاطفهم المبلَّلة على المشاجب.

كان الهواء ثقيلًا مليئًا بالدُّخان وقد تكوَّنت قشرة على وجه ثريده عندما قال صوت امرأةٍ من ورائه: «ثيون جرايجوي».

كادَ يقول: *اسمي ريك*، وسألَها: «ماذا تُريدين؟».

جلسَت إلى جواره واضعةً الدِّكَّة بين ساقيها، وأزاحَت شَعرها البنِّي المحمر الثَّائر عن عينيها قائلةً: «لماذا تأكل وحدك يا سيِّدي؟ هلمَّ، انهض، انضمَّ إلى الرَّقصة».

قال عائدًا إلى ثريده: «لستُ أرقصُ». كان أمير (وينترفل) راقصًا رشيقًا، لكن منظر ريك بأصابع قدميه المفقودة سيكون شاذًّا. «دَعيني وشأني. لستُ أملكُ مالًا».

ابتسمَت ابتسامةً معوجَّةً، وقالت: «هل تحسبني عاهرةً؟». إنها واحدة من غسَّالات المغنِّي، الفارعة المهزولة، أنحل وأخشن من أن تُوصَف بالجَمال... ومع ذلك في زمنٍ سابق كان ثيون ليعتليها رغم كلِّ شيءٍ ليختبر شعور أن تلفَّه بهاتين السَّاقين الطَّويلتين. «ما فائدة المال هنا؟ ماذا أشتري به؟ الثَّلج؟»، وضحكَت مضيفةً: «يُمكنك أن تدفع لي بابتسامة. لم أرَك تبتسم من قبل، ولا حتى في مأدبة زفاف أختك».

ردَّ: «الليدي آريا ليست أختي»، وكان ليُخبِرها: *ولستُ أبتسم. رامزي كرة ابتساماتي، فضربَني في أسناني بمطرقة. أستطيعُ الأكل بالكاد*. «لم تكن أختي قَطُّ».

- «لكنها فتاة جميلة».

لم أكن بحسن سانزا قَطُّ، لكنهم قالوا جميعًا إنني جميلة. تردَّدت أصداء عبارة چين في ذهنه على إيقاع الطَّبلتين اللَّتين تدقُّهما اثنتان من نسوة إيبل. كانت واحدة ثالثة قد سحبَت والدر فراي الصَّغير إلى فوق المائدة لتُعلِّمه الرَّقص، وارتفعَت ضحكات الجميع. كرَّر ثيون: «دَعيني وشأني».

قالت المرأة: «ألا أعجبُ سيِّدي؟ يُمكنني أن أرسل إليك ميرتل إذا أردت. أو هولي، قد تُعجِبك أكثر. كلُّ الرِّجال يُحبُّون هولي. إنهما ليستا أختَي أيضًا، لكنهما لطيفتان»، ومالَت عليه ليشمَّ رائحة النَّبيذ في أنفاسها، وواصلَت: «إن لم تكن ستبتسم لي فأخبِرني كيف استوليت على (وينترفل). سيؤلِّف إيبل من الحكاية أغنيَّةً تُخلِّدك إلى الأبد».

- «باعتباري خائنًا، باعتباري ثيون المارِق».

- «ولِمَ ليس ثيون الفذ؟ كانت مأثرةً جريئةً حسبما سمعنا. كم رجلًا كان معك؟ مئة؟ خمسون؟».

أقل. «كانت لوثة جنون».

- «لوثة جنونٍ مجيدة. يقولون إن مع ستانيس خمسة آلاف رجل، لكن إيبل يَزعُم أن عشرة أضعاف هذا العدد لا تستطيع اختراق هذه الأسوار. كيف دخلت إذن يا سيِّدي؟ هل استخدمت طريقًا سرِّيًّا؟».

استخدمتُ الحبال والكُلّابات، استخدمتُ الظَّلام وعامل المفاجأة. كانت الحراسة على القلعة مخفَّفةً، وباغتُّهم بالهجوم. لم يَبُح بشيءٍ من هذا. إذا ألَّف إيبل أغنيَّةً عنه فعلى الأرجح سيفقع رامزي طبلتَي أُذنيه ليضمن ألَّا يسمعها ثيون أبدًا.

- «يُمكنك أن تثق بنا يا سيِّدي. إيبل يثق بنا». وضعَت الغسَّالة يدها على يد ثيون. يداه مقفَّزتان بالصُّوف والجِلد، ويداها مكشوفتان طويلتا الأصابع خشنتان، وأظفارهما مقضومة حتى اللَّحم. «لم تسألني عن اسمي. إنه روان».

انتزعَ ثيون يده. هذه خدعة، إنه واثق. *رامزي أرسلَها. إنها واحدة أخرى من دُعاباته، مِثل كايرا بمفاتيحها. دُعابة مرحة، هذا كلُّ ما في الأمر. يُريدني أن أهرب ليُعاقِبني.*

أرادَ أن يضربها، أن يُحطِّم هذه الابتسامة السَّاخرة على وجهها. أرادَ أن يُقبِّلها، أن ينكحها هنا على المائدة ويجعلها تَصرُخ باسمه. لكنه يعلم أنه لا يستطيع أن يمسَّها غضبًا أو شهوةً. *ريك، ريك، اسمي ريك*. يجب *ألَّا أنسى اسمي*. هبَّ واقفًا وشقَّ طريقه إلى الباب بلا كلام، يعرج على قدميه المشوَّهتين.

كان الثّلج لا يزال يَسقُط بالخارج، وقد تراكمَ مبتلًّا ثقيلًا صامتًا حتى بدأ يُغطّي آثار أقدام الدّاخلين إلى القاعة والخارجين منها، والآن ترتفع الأكوام حتى قمّة حذائه. مؤكّد أن الثلوج أعمق في (غابة الذّئاب)... وعلى (طريق الملوك)، حيث تعصف الرّيح، لن يكون هناك مفرٌّ منها. في السّاحة تدور معركة بين صِبية (بلدة الزّوابي) وأترابهم من آل ريزويل الذين يقذفونهم بكُرات الثّلج، وبالأعلى رأى ثيون مُرافقين يصنعون رجالًا ثلجيّين فوق الأسوار ويُسلّحونهم بالحِراب والتّروس ويضعون خُوذًا حديديّةً قصيرةً على رؤوسهم ويرصّونهم بطول السّور الدّاخلي في صفٍّ من الحرس المثلجين. قال له أحد الحُرّاس خارج القاعة الكُبرى مازحًا: «اللورد شتاء انضمّ إلينا بجنوده»... قبل أن يرى وجه ثيون ويُدرِك مَن يُحدِّث، ثم يُشيح بوجهه ويَبصُق.

وراء الخيام كانت الجياد الحربيّة الكبيرة، التي أحضرَها الفُرسان من (الميناء الأبيض) و(التّوأمتين)، ترتجف في صفوفها. حين نهبَ رامزي (وينترفل) أحرقَ الاسطبلات، فبنى أبوه على عجلٍ اسطبلاتٍ جديدةً أكبر من القديمة مرّتين لتسع خيول فُرسانه واللوردات حمَلة رايته، أمّا بقيّة الخيول فمربوطة في الأفنية، يتحرّك بينها ساسة يرتدون القلنسوات ويُغطّونها بالدّثر لتدفئتها.

توغَّل ثيون أكثر في البقاع الخربة من القلعة، وبينما شقَّ طريقه عبر الحجارة المحطَّمة التي كانت بُرج المِايستر لوين نظرَت إليه الغِدفان من الفجوة في الحائط بالأعلى وراحت تتبادَل الثَّمتمة، وبين الفينة والفينة يُطلِق أحدها صرخةً صاخبةً. وقفَ في مدخل الغُرفة التي كانت غُرفة نومه وقد غاصَ حتى الكاحل في الثَّلج الذي نفخَته الرِّيح عبر النَّافذة المكسورة، وزارَ أنقاض ورشة ميكن وسِيت الليدي كاتلين، وأسفل (البُرج المحروق) مرَّ بريكارد ريزويل الذي يُمرِّغ أنفه في عُنق واحدةٍ أخرى من غسَّالات إيبل، الممتلئة ذات الوجنتين التُّفَّاحيَّتين والأنف الأفطس. كانت الفتاة حافية القدمين في الثَّلج وملتحفةً بمعطفٍ فرو، وخطرَ له أنها قد تكون عاريةً تحته. لمَّا رأته قالت شيئًا ما لريزويل أضحكَه بشدَّة.

ابتعدَ ثيون عنهما بخُطى ثقيلة. وراء الاسطبلات سُلَّم نادرًا ما يُستعمَل، وإلى هناك أخذَته قدماه. الدَّرجات عالية خطرة، فصعدَ بحذرٍ ليجد نفسه في شُرفة السُّور الدَّاخلي بعيدًا بمسافةٍ لا بأس بها عن المُرافقين ورجالهم الثَّلجيِّين. لم يسمح له أحد بحرِّيَّة التَّجوُّل، لكن أحدًا لم يُحرِّجها عليه كذلك، ويستطيع أن يذهب أينما شاء داخل القلعة.

سور (وينترفل) الدَّاخلي أقدم وأعلى الاثنين، ترتفع شُرَّافاته الرَّماديَّة العتيقة مئة قدم، وفي كلِّ زاويةٍ بُرج، والسُّور الخارجي الذي شُيِّد بعد قرونٍ أقصر بعشرين قدمًا، لكنه أمتن وأفضل ترميمًا، وتَبرُز منه أبراج ثمانيَّة الأضلاع بدلًا من المربَّعة. بين السُّوريْن الخندق العميق العريض... والمتجمِّد. بدأت أكوام الثَّلج تزحف على سطحه الجليدي، كما بدأت تتراكَم في الشُّرفات أيضًا وتملأ الثُّلمات بين الشُّرَّافات وتضع قبَّعةً شاحبةً ناعمةً على رأس كلِّ بُرج.

وراء الأسوار، وعلى مدى بصره، كان العالم يستحيل إلى الأبيض. الغابة والحقول والطَّريق، الثُّلوج تُغطِّيها جميعًا بغلافٍ شاحبٍ ناعم، وتدفن بقايا (البلدة الشَّتويَّة) مخفيةً الجُدران المسودَّة التي خلَّفها رجال رامزي بعدما أشعَلوا النَّار في البيوت. فكَّر ثيون: *الجراح التي أحدثَها سنو يطمرها سميُّه الثَّلج*... لكن هذا خطأ. رامزي يحمل اسم بولتون الآن وليس سنو، ليس سنو أبدًا.

على مسافةٍ أبعد كان (طريق الملوك) المحفَّر قد اختفى، ضاعَ بين الحقول والتِّلال المائجة، كلُّها حيِّز واحد شاسع من الأبيض. وما زالَ الثَّلج يتساقَط بصمتٍ من السَّماء السَّاكنة. *ستانيس باراثيون في مكانٍ ما بالخارج يتجمَّد*. ثُرى هل يُحاوِل اللورد ستانيس اقتحام (وينترفل)؟ *إذا فعلَ فقد حكمَ على قضيَّته بالفشل*. القلعة قويَّة للغاية، وحتى مع تجمُّد الخندق تظلُّ دفاعات (وينترفل) منيعةً. ثيون استولى على القلعة خلسةً، أرسلَ أفضل رجاله يتسلَّقون الأسوار ويَعبُرون الخندق سباحةً تحت جنح الظَّلام، ولم يُدرِك المُدافعون أنهم تحت الهجوم إلَّا بعد فوات الأوان. تلك الخديعة ليست متاحةً لستانيس بتاتًا.

قد يُفضِّل أن يقطع القلعة عن العالم الخارجي ويُجوِّع المُدافعين عنها حتى يستسلموا. مخازن (وينترفل) وأقبيتها خالية. صحيحٌ أن قافلةً طويلةً من المؤن جاءَت مع بولتون وأصدقائه أبناء فراي عبر (العُنق)، وجلبَت الليدي داستن طعامًا وعلفًا من (بلدة الرَّوابي)، ووصلَ اللورد ماندرلي بقدرٍ وافر من المؤن من (الميناء الأبيض)... إلَّا أن الجيش كبير، ومع كثرة الأفواه التي يجب إطعامها لن يدوم مخزونهم طويلًا. مؤكَّد *أن اللورد ستانيس ورجاله جياع أيضًا، ويُعانون البرد وأوجاع الأقدام، وليسوا في حالةٍ تسمح بالقتال... لكن العاصفة ستجعلهم متلهِّفين إلى دخول القلعة.*

يَسقُط الثَّلج على أيكة الآلهة أيضًا، ويذوب حين يمسُّ الأرض. تحت الأشجار المتدثِّرة بالأبيض تحوَّلت الأرض إلى وحل، وعلقَت خيوط من الضَّباب في الهواء كشرائط شبحيَّة. *لماذا جئتُ هنا؟ ليست هذه آلهتي، ليس هذا مكاني.* أمامه ترتفع شجرة القلوب كعملاقٍ شحاب، لها وجه منقوش وأوراق كأيادٍ دامية.

تُغطِّي طبقة رقيقة من الجليد البِركة المجاورة لشجرة الويروود، وقد خرَّ ثيون على رُكبتيه إلى جانبها، وغمغمَ عبر أسنانه المكسورة: «أرجوكِ. لم تكن نيَّتي قَطُّ...». احتبسَت الكلمات في حَلقه، وأخيرًا استطاعَ أن يقول: «أنقِذيني. امنحيني...». *ماذا؟ القوَّة؟ الشَّجاعة؟ الرَّحمة؟* سقطَ الثَّلج حوله باهتًا صامتًا متجاهلًا إياه، والصَّوت الوحيد في المكان نحيب خفيض. چين، *إنها هي، تبكي في فِراش العروس. مَن غيرها؟* الآلهة لا تبكي. *أم أنها تبكي؟*

كان الصَّوت أشد إيلامًا من أن يحتمله. أمسكَ ثيون فرعًا واتَّكأ عليه لينهض، ثم نفضَ الثَّلج عن ساقيه وعادَ يعرج نحو الأضواء.

في (وينترفل) أشباح، وأنا أحدها.

عندما رجعَ ثيون جرايچوي إلى السَّاحة وجدَ مزيدًا من الرِّجال الثَّلجيِّين. لقيادة الحَرس الثَّلجيِّين على الأسوار صنعَ المُرافقون دستةً من اللوردات الثَّلجيِّين. واضح تمامًا أن أحدها اللورد ماندرلي، فهو أسمن رجلٍ ثلجي رآه ثيون على الإطلاق، واللورد ذو الذِّراع الواحدة لا يُمكن أن يكون إلَّا هاروود ستاوت، والليدي الثَّلجيَّة هي باربري داستن، وهذا الأقرب إلى الباب بلحيته المصنوعة من كُتل الجليد مؤكَّد أنه باقِر العاهرة أومبر.

بالدَّاخل كان الطُّهاة يغرفون يخنةً من اللَّحم البقري والشَّعير فيها الكثير من الجزر والبصل، ومقدَّمة في أرغفةٍ مفرَّغة من خُبز أمس. ألقى الطُّهاة أيضًا بقايا اللَّحم على الأرض لتلتهمها فتيات رامزي والكلاب الأخرى.

تعرفه الفتيات من رائحته، وقد سُرِرن لرؤيته. وثبَت چاين الحمراء لتلعق يده، ونزلَت هليسنت تحت المائدة وتكوَّرت على نفسها عند قدمه وبين فكَّيها عظمة. إنهن كلبات طيِّبات، ويَسهُل نسيان حقيقة أن كلًّا منهن تحمل اسم فتاةٍ طاردَها رامزي وقتلَها.

على الرغم من إرهاقه كانت شهيَّة ثيون تسمح بأكل القليل من اليخنة وشُرب القليل من المِزر. عندئذٍ كانت الضجَّة قد سادَت القاعة، بعد عودة اثنين من كشَّافة رووس بولتون إلى القلعة عبر (بوَّابة الصيَّادين) لإبلاغه بأن تقدُّم اللورد ستانيس قد تباطأ إلى حدِّ الزَّحف. يركب فُرسانه جيادًا حربيَّةً كبيرةً تَعرُج في الثَّلج، أمَّا خيول عشائر الجبال الصَّغيرة واثقة الخُطى فتُبلي بلاءً أحسن، لكن رجال العشائر لا يُريدون أن يسبقوا البقيَّة وإلَّا تفكَّك الجيش بأكمله. أمرَ اللورد رامزي إيبل بأن يُغنِّي لهم أغنيَّةً عسكريَّةً على شَرف اللورد ستانيس المتخبِّط في الثُّلوج، فشرعَ الشَّاعر يعزف على عوده، فيما لاطفَت إحدى غسَّالاته آلن الفظ لتأخذ سيفه، وراحَت تُحاكي ستانيس يُقاتِل نُدف الثَّلج.

كان ثيون يُحدِّق إلى ثُمالة المِزر في دورقه الثَّالث عندما دخلَت الليدي باربري داستن القاعة وأرسلَت اثنين من حَرسها الشَّخصيِّين يجلبونه إليها، ولمَّا وقفَ أمام المنصَّة تطلَّعت إليه من أعلى إلى أسفل، وتنشَّقت قائلةً: «هذه هي الملابس نفسها التي كنت ترتديها في الزِّفاف».

- «نعم يا سيِّدتي. إنها الملابس التي أُعطيتُ إياها». أحد الدُّروس التي تعلَّمها في (معقل الخوف) أن يأخذ ما يُعطى إياه ولا يَطلُب المزيد أبدًا.

ترتدي الليدي داستن الأسود كالمعتاد، ولو أن كُمَّيها مبطَّنان بالفرو، ولفُستانها ياقة عالية جامدة تصنع لرأسها إطارًا. «أنت تعرف هذه القلعة».

- «فيما سبقَ».

- «في مكانٍ ما تحتنا السَّراديب التي يجلس فيها ملوك ستارك القُدامى في الظَّلام. لم يتمكَّن رجالي من العثور على طريق النُّزول إليها. لقد بحثوا في جميع الحُجرات السُّفليَّة والأقبية، وحتى في الزَّنازين، ولكن...».

- «الزَّنازين لا تقود إلى السَّراديب يا سيِّدتي».

- «هل يُمكنك أن تُريني طريق النُّزول؟».

- «ليس هناك شيء بالأسفل إلَّا...».

- «... موتى آل ستارك؟ أجل، وجميع المفضَّلين عندي من آل ستارك موتاهم. هل تعرف الطَّريق أم لا؟».

- «أعرفه». لا يحبُّ ثيون السَّراديب ولم يُحبَّها قَطُّ، لكنها ليست غريبةً عليه.

- «أرِني. أيها الرَّقيب، قنديل».

- «ستحتاج سيِّدتي إلى معطفٍ ثقيل. علينا أن نَخرُج».

كان الثَّلج يَسقُط بكثافةٍ شديدة حين غادَروا القاعة، وقد التفَّت الليدي داستن بفرو السَّمُّور. بالخارج يكاد التَّمييز بين الحُرَّاس القابعين بمعاطفهم المقلنَسة والرِّجال الثَّلجيِّين يكون مستحيلًا، الدَّليل الوحيد على أنهم ما زالوا أحياءً هو أنفاسهم التي تُغشِّي الهواء. فوق الأسوار تشتعل نيران المشاعل في محاولةٍ عقيمة لطرد الظَّلام. وجدَ أفراد مجموعتهم الصَّغيرة أنفُسهم يتحرَّكون بعناءٍ في مساحةٍ ممتدَّة من الأبيض الأملس النَّظيف الذي يرتفع فوق الكاحل، ورأوا الخيام في السَّاحة نِصف مدفونة ومرتخيةً تحت وزن الثَّلج المتكدِّس.

يقع مدخل السَّراديب في أقدم قطاعات (وينترفل)، قُرب قدم (القلعة الأولى) المهجورة منذ قرون. كان رامزي قد أحرقَ الحصن العتيق حين نهبَ (وينترفل)، وما لم يُحرِقه انهارَ معظمه، فلم يتبقَّ إلَّا هيكل أحد جوانبه مكشوف لعوامل التَّعرية ويمتلئ بالثَّلج، وقد تناثرَ الرُّكام في كلِّ مكانٍ حوله، قطع ضخمة من الحجارة المكسورة وعوارض محروقة وكَراجِل محطَّمة. كان الثَّلج المتساقط قد دفنَها كلَّها تقريبًا، لكن جزءًا من أحد الكَراجِل لم يزل بارزًا، يُزمجِر وجهه الأعمى البشع للسَّماء.

هنا وجدوا بران بعد سقطته. كان ثيون يصطاد يومها في صُحبة اللورد إدارد والملك روبرت، بلا أدنى فكرةٍ عن الخبر الأليم الذي ينتظرهم في القلعة. تذكَّر وجه روب حين أخبَروه. لم يتوقَّع أحد أن يعيش الصَّبي المكسور. *لم تستطِع الآلهة أن تَقتُل بران مِثلما لم أستطِع.* وجدَه خاطرًا غريبًا، وخاطرًا أغرب حين تذكَّر أن بران قد يكون حيًّا ما زالَ.

قال ثيون مشيرًا إلى حيث ترتفع كومة ثلجٍ عند جِدار الحصن: «هناك، تحت. انتبها للأحجار المكسورة».

استغرقَ رجلا الليدي داستن ما يَقرُب من ساعةٍ في جرف الثَّلج ونقل الحجارة حتى كشفا المدخل، ولمَّا فعلا وجدا الباب مغلقًا متجمِّدًا، واضطرَّ الرَّقيب إلى الذَّهاب والعثور على فأس ليفتحه.

صرخَت المِفصلات مفصحةً عن السَّلالم الحجريَّة التي تلتفُّ نازلةً إلى الظُّلمة، وقال ثيون منبِّهًا: «الطَّريق إلى أسفل طويل يا سيِّدتي».

بالعزم نفسه قالت الليدي داستن: «بيرون، الضَّوء».

الطَّريق ضيِّق منحدِر، وقد أبلَت الأقدام الصَّاعدة والنَّازلة على مرِّ القرون الدَّرجات من المنتصَف. تحرَّكوا في طابور؛ الرَّقيب بالقنديل ثم ثيون والليدي داستن ووراءهما رجلها الآخَر. لطالما عدَّ السَّراديب باردةً، وهكذا تبدو في الصَّيف بالفعل، لكن الآن مع نزولهم ازدادَ الهواء دفئًا. ليس دافئًا، فهنا لا يعرف الهواء الدِّفء أبدًا، لكنه أدفأ من أعلى. يبدو أن البرد تحت الأرض يثبت ولا يتبدَّل.

قالت الليدي داستن وهُم ينزلون بحذرٍ خُطوةً خُطوةً: «العروس تبكي، سيِّدتنا الصَّغيرة آريا».

حذارِ الآن، حذارِ، حذارِ. جعلَ ضوء القنديل المتبدِّل الدَّرجات تبدو كأنها تتحرَّك تحت قدميه، فوضعَ يده على الحائط وقال: «كما... كما تقولين يا سيِّدتي».

- «رووس ليس مسرورًا. أخبِر نغلك بهذا».

أرادَ أن يقول: *ليس نغلي*، لكن صوتًا آخَر في داخله قال: *بل هو كذلك، هو كذلك. ريك ينتمي إلى رامزي، ورامزي ينتمي إلى ريك. يجب ألَّا تنسى اسمك.*

- «لا جدوى من إلباسها الرَّمادي والأبيض إذا تُرِكَت الفتاة تبكي. قد لا يُبالي أبناء فراي، لكن الشَّماليِّين... إنهم يخشون (معقل الخوف)، لكنهم يُحبُّون آل ستارك».

علَّق ثيون: «أنتِ لا تُحبِّينهم».

قالت سيِّدة (بلدة الرَّوابي): «أنا لا أحبُّهم، لكن الآخَرين نعم. باقِر العاهرة العجوز هنا فقط لأن چون الكبير أسير عند آل فراي. وهل تخال أن رجال هورنوود نسوا زيجة النَّغل الأخيرة وكيف جوَّع السيِّدة زوجته حتى قضمَت أصابعها؟ ما الذي تحسبه يدور بخلدهم حين يسمعون بُكاء العروس الجديدة، فتاة الصِّنديد ند الصَّغيرة الغالية؟».

لا، الفتاة ليست من دم اللورد إدارد. اسمها چين، مجرَّد ابنة وكيل. إنه واثق بأن الليدي داستن تُساوِرها الشُّكوك، ورغم ذلك...

- «بُكاء الليدي آريا يضرُّنا أكثر من سيوف وحِراب اللورد ستانيس كلِّها. إذا أرادَ النَّغل أن يبقى سيِّد (وينترفل) فخيرٌ له أن يُعلِّم زوجته الضَّحك».

قاطعَها ثيون: «وصلنا يا سيِّدتي».

علَّقت: «الدَّرجات تنزل إلى أسفل أكثر».

قال ثيون: «ثمَّة مستويات أدنى وأقدم. سمعتُ أن المستوى السُّفلي منهار جزئيًا. لم أنزل إلى هناك من قبل»، ودفعَ الباب وقادَهم إلى نفقٍ مقنطَر طويل، حيث تتوغَّل الأعمدة الجرانيت الشامخة أزواجًا في الظَّلام.

رفعَ رقيب الليدي داستن القنديل لتتحرَّك الظِّلال وتتبدَّل. ضوء صغير في *ظُلمةٍ عظيمة*. لم يَشعُر ثيون بالارتياح في السَّراديب قَطُّ. رأى الملوك الحجر يَرمُقونه بأعيُنهم الحجر وقد التفَّت أيديهم الحجر حول مقابض سيوفهم الطَّويلة الصَّدئة.

لا أحد من هؤلاء كان يكنُّ حُبًّا للحديديِّين، وهو ما أفعمَ ثيون بإحساسٍ مألوف بالخوف.

قالت الليدي داستن: «كثيرون للغاية. هل تعرف أسماءهم؟».

أجابَ ثيون: «كنتُ... لكن ذلك كان منذ زمنٍ طويل»، وأشارَ مضيفًا: «الذين على هذا الجانب كانوا ملوكًا في الشَّمال. تورين آخِرهم».

- «الملك الذي ركعَ».
- «أجل يا سيِّدتي. بعده أصبحوا لوردات فقط».
- «حتى الذِّئب الصَّغير. أين مقبرة ند ستارك؟».
- «في النِّهاية. من هنا يا سيِّدتي».

تردَّدت أصداء خُطواتهم على القناطر إذ شقُّوا طريقهم بين صفَّي الأعمدة. بدا كأن أعيُن الموتى الحجريَّة تتبعهم، وأعيُن ذئابهم الرَّهيبة أيضًا. حرَّكت الوجوه ذكرياتٍ خابيةً، وبلا دعوةٍ استعادَ بعض الأسماء، يهمسها صوت المِايستر لوين الشَّبحي. الملك إدريك لحية الثَّلج الذي حكمَ الشَّمال مئة عام، وبراندون السفَّان الذي أبحرَ إلى ما وراء مغرب الشَّمس، والذِّئب الجائع ثيون ستارك. سميِّي. واللورد بيرون ستارك الذي تحالفَ مع (كاسترلي روك) في الحرب ضد داجون جرايچوي سيِّد (پايك)، في العصر الذي حكمَ فيه (الممالك السَّبع) فعلًا وإن لم يكن اسمًا النَّغل المشعوذ الذي لقَّبوه بغُداف الدَّم.

علَّقت الليدي داستن: «سيف هذا الملك مفقود».

المرأة محقَّة. لا يَذكُر ثيون أيَّ ملكٍ هذا، لكن السَّيف الطَّويل الذي يُفترَض أن يُمسِكه غير موجود، لم يتبقَّ منه إلَّا خطوط الصَّدأ حيث كان. أزعجَه المنظر. لطالما سمعَ أن حديد السُّيوف يُبقي أرواح الموتى حبيسةً في قبورها، فإذا كان أحد السُّيوف مفقودًا...

في (وينترفل) أشباح، وأنا أحدها.

واصَلوا المشي، وبدا له أن ملامح الليدي داستن تقسو مع كلِّ خُطوة. *مِثلي، ليست تحبُّ هذا المكان*. سمعَ نفسه يسأل: «سيِّدتي، لماذا تكرهين آل ستارك؟».

أمعنَت النَّظر إليه مجيبةً: «للسَّبب ذاته الذي تحبُّهم من أجله».

تعثَّر ثيون، وقال: «أحبُّهم؟ إنني لم... لقد أخذتُ هذه القلعة منهم يا سيِّدتي، و... وأمرتُ بقتل بران وريكون ووضعتُ رأسيهما على خازوقيْن. لقد...».

- «... ركبت جنوبًا مع روب ستارك، وقاتلت إلى جانبه في (الغابة الهامسة) وعند (ريفررَن)، ورجعت إلى (جُزر الحديد) كمندوبٍ عنه لتتفاوَض مع أبيك. (بلدة الرَّوابي) أيضًا أرسلَت رجالًا مع الذِّئب الصَّغير. أعطتيه أقل عددٍ أجرؤُ عليه، لكنني علمتُ أن عليّ أن أعطيه بعض الرِّجال وإلَّا أثرتُ حفيظة (وينترفل)، وهكذا كانت لي أعيُني وآذاني في جيشه، واطَّلعتُ على الأخبار أولًا بأول. إنني أعرفُ من تكون، وأعرفُ ماذا تكون. والآن أجِب عن سؤالي، لماذا تحبُّ آل ستارك؟».

وضعَ ثيون يدًا مقفَّزةً على عمودٍ قائلًا: «إنني... أردتُ أن أكون واحدًا منهم...».

- «ولم تستطِع قَطُّ. إن بيننا أشياء مشتركةً أكثر مما تظنُّ يا سيِّدي. لكن تعالَ».

بعد مسافةٍ قصيرة وجدوا ثلاث مقابر مرتصَّةً معًا، وهناك توقَّفوا، وقالت الليدي داستن رامقةً التِّمثال الأوسط: «اللورد ريكارد». يرتفع التِّمثال فوقهم طويل الوجه ملتحيًا وقورًا، له نفس العينين الحجريَّتين كالآخَرين، غير أن في هاتين نظرة حُزن. «سيفه أيضًا مفقود».

- «أحدهم كان هنا يسرق السُّيوف. سيف براندون اختفى أيضًا».

قالت: «كان ليكره هذا»، وخلعَت قُفَّازها ومسَّت رُكبة براندون ستارك، بشرة شاحبة على حجرٍ داكن. «أحبَّ براندون سيفه، أحبَّ أن يشحذه. اعتادَ أن يقول: *أريده حادًّا بما فيه الكفاية لحلاقة شَعر عانة امرأة*. ولكم أحبَّ استخدامه. ذات مرَّةٍ أخبرَني: *السَّيف الدَّامي شيء جميل*».

قال ثيون: «كنتِ تعرفينه».

قالت وضوء القنديل المنعكس في عينيها يُصوِّرهما كأنهما مشتعلتان نارًا: «براندون نشأ في (بلدة الرَّوابي) عند اللورد داستن القديم، والد الآخَر الذي تزوَّجته لاحقًا، لكنه أمضى أكثر وقته في الرُّكوب في (الغُدران). أحبَّ الرُّكوب، واحتذَت أخته الصَّغيرة مثاله في هذا. كانا قنطوريْن[60] هذان الاثنان. والسيِّد والدي كان مسرورًا دومًا باستضافة وريث (وينترفل). كانت لأبي طموحات عظيمة لعائلة ريزويل، وكان ليُقدِّم عُذريَّتي لأيِّ ابنٍ لستارك يتصادَف أن يمرَّ بنا، لكنه لم يجد داعيًا. براندون لم يخجل قَطُّ من أخذ ما يُريده. إنني عجوز يابسة الآن، أرملة منذ سنين طويلة، لكنني ما زلتُ أذكرُ منظر دماء بكارتي على قضيبه يوم أخذَني، وأظنُّ أن براندون أحبَّ المنظر أيضًا. السَّيف الدَّامي شيء جميل، نعم. تألَّمتُ، لكنه كان ألمًا حُلوًا. لكن يوم أن عرفت أن براندون سيتزوَّج كاتلين تَلي... لم تكن في ذلك الألم حلاوة. إنه لم يُرِدها قَطُّ، أؤكِّدُ لك، وقد أخبرَني بهذا في ليلتنا الأخيرة معًا... إلَّا أن ريكارد ستارك كانت له طموحات عظيمة أيضًا، طموحات جنوبيَّة ما كان ليخدمها زواج وريثه بإحدى بنات أتباعه. بعدها راودَ أبي شيء من الأمل في تزويجي بإدارد شقيق براندون، لكن كاتلين تَلي نالَته أيضًا، وتُرِكتُ للورد داستن الصَّغير، إلى أن أخذَه ند ستارك مني».

- «ثورة روبرت...».

- «لم يكن نِصف عام قد مرَّ على زواجي باللورد داستن عندما ثارَ روبرت واستدعى ند ستارك راياته. توسَّلتُ إلى زوجي ألَّا يذهب. كان له أقارب بإمكانه إرسالهم بدلًا منه؛ عمٌّ شهير ببراعته في القتال بالفأس، وعمٌّ كبير قاتلَ في حرب ملوك التِّسعة البنسات. لكنه كان رجلًا مفعمًا بالكبرياء، ولم يُرضِه إلَّا أن يقود جنود (بلدة الرَّوابي) بنفسه. أهديتُ إليه حصانًا يوم رحلَ، فحلًا أحمر له لبدة ناريَّة، فخر قُطعان السيِّد والدي، وأقسمَ سيِّدي أنه سيركبه إلى الدِّيار بعد انتهاء الحرب. أعادَ ند ستارك إليَّ الحصان في طريق عودته إلى (وينترفل)، وأخبرَني بأن السيِّد زوجي ماتَ ميتةً مشرِّفةً، وبأن جُثمانه مدفون في جبال (دورن) الحمراء. جلبَ رُفات أخته معه أيضًا، وها هي ذي... لكنني أعدك بأن رُفات اللورد إدارد لن يستقرَّ إلى جانبها أبدًا. إنني أنوي إطعامه للكلاب».

تساءَل ثيون الذي لم يفهم: «رُ... رُفاته؟».

التوَت شفتاها في ابتسامةٍ قبيحة، ابتسامةٍ ذكَّرته برامزي، وقالت: «كاتلين تَلي أرسلَت رُفات اللورد إدارد شمالًا قبل الزِّفاف الأحمر، لكن عمَّك الحديدي استولى على (خندق كايلن) وسدَّ الطَّريق. إنني أراقبُ منذ ذلك الحين. إذا خرجَ هذا الرُّفات من المستنقعات في أيِّ وقتٍ فإنه لن يتجاوَز (بلدة الرَّوابي)»، وألقَت نظرةً أخيرةً مطوَّلةً على تمثال إدارد ستارك، واستطردَت: «انتهينا هنا».

وجدوا العاصفة لا تزال ثائرةً حين خرجوا من السَّراديب. ظلَّت الليدي داستن صامتةً طوال صعودهم، لكن عندما وقفوا عند أطلال (القلعة الأولى) ثانيةً قالت مرتجفةً: «خيرٌ لك ألَّا تُردِّد شيئًا مما قلته بالأسفل، أهذا مفهوم؟».

مفهوم. «أحفظُ لساني وإلَّا فقدته».

قالت: «رووس أحسنَ تدريبك»، وتركَته هناك.

---

(60) القنطور مخلوق أسطوري نِصفه السُّفلي حصان والعُلوي إنسان. (المُترجم).

غادرَ جيش الملك (ربوة الغابة) في ضوء الفَجر الذَّهبي منبسطًا من وراء المتاريس الخشبيَّة كأفعى فولاذيَّة طويلة تَخرُج من جُحرها.

خرجَ الفُرسان الجنوبيُّون على خيولهم مدرَّعين بصفائح وحلقاتٍ معدنيَّة بعجَتها وشوَّهتها المعارك التي خاضوها، وإن كانت لا تزال لامعةً كفايةً للتَّألُّق متى سقطَت عليها أشعَّة الشَّمس المشرقة. وعلى الرغم من أن راياتهم وسُتراتهم باهتة متَّسخة مرتوقة فقد صنعَت مهرجانًا من الألوان وسط الغابة الشَّتويَّة؛ سماوي وبُرتقالي، وأحمر وأخضر، وأرجواني وأزرق وذهبي، كلُّها بهي بين الجذوع البنِّيَّة العارية وأشجار الصَّنوبر والحارس الخضراء الرَّماديَّة وأكوام الثَّلج المتَّسخ.

لكلِّ فارسٍ مُرافقوه وخدمه ورجاله المدجَّجون بالسِّلاح، وبعدهم يأتي الحدَّادون والطُّهاة والسَّائسون، وأرتال من حاملي الفؤوس والحِراب والرُّماة، منهم مُحاربون قُدامى خاضوا مئة معركةٍ ومنهم صِبية خُضر في الطَّريق إلى معركتهم الأولى. أمامهم يمضي رجال عشائر التِّلال، زُعماء وأبطال يمتطون أحصنةً صغيرةً مشعثةً، ويخبُّ مُقاتلوهم المُشعرون إلى جوارهم مرتدين الفرو والجِلد المقوَّى وحلقات المعدن القديمة، وقد طلى بعضهم وجهه بالبنِّي والأخضر وربطَ حول نفسه حزمًا من ورق الشَّجر ليستطيع الاختفاء في الأدغال.

تتبع قافلة الأمتعة الطَّابور الأساسي؛ بغال وخيول وثيران، وميل كامل من العربات المدفوعة والمجرورة المحمَّلة بالأطعمة والعلف والخيام وغيرها من المؤن والعتاد، وأخيرًا حَرس المؤخِّرة، المزيد من الفُرسان المدرَّعين بالمعدن، تتبعهم مجموعة من الكشَّافة المتخفِّين لضمان ألَّا يُباغِتهم عدوٌّ ما بالهجوم من الخلف.

تركب آشا جرايچوي في قافلة الأمتعة في عربةٍ مغطَّاة لها عجلتان ضخمتان مؤطَّرتان بالحديد، معصماها وكاحلاها مقيَّدان بالأصفاد، وتُراقِبها ليل نهار دُبَّة غطيطها ألعن من غطيط أيِّ رجل. لم يُخاطِر جلالة الملك ستانيس بأن تفرَّ غنيمته من أسرها، إذ ينوي أن يأخذها إلى (وينترفل) ويعرضها مكبَّلةً بالحديد هناك ليراها لوردات الشَّمال جميعًا، ابنة الكراكِن المكتوفة المكسورة، بُرهان قوَّته.

تُصاحِب الأبواق النُّحاسيَّة الجيش في طريقه، وتلتمع رؤوس الحِراب في ضوء الشَّمس المشرقة، وبطول جانبَي الطَّريق يَبرُق صقيع الصَّباح على أعواد الكلأ. بين (ربوة الغابة) و(وينترفل) مئة فرسخٍ من الغابة، ثلاثمئة ميل بسُرعة طيران الغُداف، «خمسة عشر يومًا» كما قال بعض الفُرسان لبعض.

سمعَت آشا اللورد فِل يقول مزهوًّا: «كان روبرت ليفعلها في عشرة». قتلَ روبرت جدَّ فِل عند (قلعة الصَّيف)، وبشكلٍ ما رفعَ هذا قاتِله إلى مصاف الآلهة في عينَي الحفيد. «لكان روبرت داخل (وينترفل) منذ أسبوعين بالفعل، يغيظ بولتون من فوق الأسوار».

ردَّ چاستن ماسي: «الأفضل ألَّا تَذكُر هذا لستانيس وإلَّا جعلَنا نزحف ليلًا علاوةً على النَّهار».

متى حاولَت أن تضع ثقلها على كاحلها أحسَّت فيه بطعنة ألم، ولا تشكُّ آشا في أن هناك شيئًا ما مكسورًا في داخله. كان التَّورُّم قد خفَّ في (ربوة الغابة)، لكن الألم باقٍ. لو أنه التواء في مفصلٍ لكان قد شُفِيَ بالفعل. كلَّما تحرَّكت صلصلَت سلاسلها الحديد وراحَت الأصفاد تسحج معصميها وكبرياءها، غير أن هذا هو ثَمن الاستسلام.

ذات مرَّةٍ أخبرَها أبوها: «لم يَحدُث أن ماتَ أحد قَطُّ من الرُّكوع. مَن يركع يستطيع أن ينهض ثانيةً بسيفٍ في يده، ومَن يأبى الرُّكوع يظلُّ ميتًا متخشِّب السَّاقين». أثبتَ بالون جرايچوي حقيقة قوله هذا حين فشلَ تمرُّده الأول وركعَ الكراكِن للوعل والذِّئب الرَّهيب، فقط لينهض ثانيةً بعد موت روبرت باراثيون وإدارد ستارك.

وهكذا فعلَت ابنة الكراكِن المِثل في (ربوة الغابة) عندما ألقوها أمام الملك مقيَّدةً تَعرُج -وإن لم تُغتصَب لحُسن الحظِّ- وكاحلها مشتعل ألمًا. قالت: «أستسلمُ يا جلالة الملك. افعل بي ما شئت. لا أطلبُ إلَّا أن تصفح عن رجالي». كارل وتريس والآخَرون الذين نجوا من (غابة الذِّئاب) هُم كلُّ ما تبقَّى لها وتهتمُّ بأمره، وهؤلاء تسعة فقط. *نحن التِّسعة المُضنَون*، كما سمَّاهم كروم الذي عانى أبلغ الإصابات.

أبقى ستانيس على حياتهم، لكنها لم تستشعِر رحمةً حقيقيَّةً في الرَّجل. إنه قويُّ الإرادة بما لا يدع مجالًا للشَّكِّ، ولا يفتقر إلى الشَّجاعة، ويقول النَّاس إنه عادل... وإذا كان عدله قاسيًا متجرِّدًا من المشاعر فهذا ما عوَّدت الحياة في (جُزر الحديد) آشا جرايچوي إياه. وعلى الرغم من ذلك لا تجد في نفسها القُدرة على الإعجاب بهذا الملك. عيناه الزَّرقاوان الغائصتان هاتان تبدوان مفعمتين بالارتياب دومًا، تعتمل تحت سطحهما ثورة باردة، كما أن حياتها لا تعني له شيئًا يُذكَر، فهي رهينته لا أكثر، غنيمة يُري بها الشَّمال أنه استطاعَ قمع الحديديِّين.

حماقة. ليس مرجَّحًا أن تُذهِل الإطاحة بامرأةٍ الشَّماليِّين حسب ما تعرفه عنهم، وقيمتها كرهينة أقل من صِفر. عمُّها يَحكُم (جُزر الحديد) الآن، ولن يعبأ عين الغُراب بحياتها أو موتها. قد يُبالي نوعًا الزَّوج الخرب المأفون الذي ابتلاها به يورون، إلَّا أن إريك آيرونميكر لا يملك مالًا يدفع به فديتها. لكن لا طائل من شرح هذه الأشياء لستانيس باراثيون، إذ يبدو أن أنوثتها في حدِّ ذاتها تُسيء إليه. إنها تعلم أن رجال الأراضي الخضراء يحبُّون نسوتهم ناعماتٍ خانعاتٍ يرتدين الحرير وليس الحلقات المعدنيَّة والجِلد المقوَّى وفي كلِّ يدٍ فأس، على أن معرفتها القصيرة بالملك في (ربوة الغابة) أقنعَتها بأنه لم يكن ليحبَّها أكثر ولو ارتدَت فُستانًا. حتى مع الليدي سيبل زوجة جالبارت جلوڤر الورِعة تعاملَ بانضباطٍ وكياسة، وإن بدا عليه عدم الرَّاحة بوضوح. يبدو أن هذا الملك الجنوبي من الرِّجال الذين يعدُّون النِّساء جنسًا آخَر غريبًا مبهمًا كالجرامكِنات والعمالقة وأطفال الغابة، حتى إن الدُّبَّة نفسها أيضًا تجعله يكزُّ على أسنانه حتى تصرَّ.

ثمَّة امرأة واحدة يُنصِت إليها ستانيس، ولقد تركَها على (الجِدار). كان السير چاستن ماسي، الفارس الأشقر الذي يقود قافلة الأمتعة، قد أخبرَها: «ولو أنني أفضِّلُ لو كانت معنا. آخِر مرَّةٍ دخلنا المعركة دون الليدي مليساندرا كانت يوم (النَّهر الأسود)، حين انقضَّ علينا شبح اللورد رنلي وأغرقَ نِصف جيشنا في الخليج».

سألَته آشا: «آخِر مرَّة؟ هل كانت تلك المشعوذة في (ربوة الغابة)؟ لم أرَها».

أجابَها السير چاستن مبتسمًا: «كانت تلك معركةً بالكاد. رجالكِ الحديديُّون قاتَلوا بشَجاعةٍ يا سيِّدتي، لكن أعدادنا فاقَتكم مرارًا، وأخذناكم على حين غرَّة. أمَّا (وينترفل) فستعرف أننا قادمون، ومع رووس بولتون أعداد مماثلة لنا».

أو أكثر.

حتى السُّجناء لهم آذان، وقد سمعَت آشا الكلام الذي دارَ في (ربوة الغابة) عندما ناقشَ الملك ستانيس وقادته هذا الزَّحف. من البداية عارضَه السير چاستن ومجموعة كبيرة من الفُرسان واللوردات الذين أتوا مع ستانيس من الجنوب، في حين أصرَّ الذِّئاب قائلين إنهم لن يسمحوا لرووس بولتون بالاحتفاظ بـ(وينترفل)، وإن عليهم إنقاذ ابنة الند من براثن نغله، وهو ما ردَّده مورجان ليدل وبراندون نوري والدَّلو الكبير وول وأبناء فلينت والدُّبَّة أيضًا، وليلة احتدام النِّقاش في قاعة چالبارت جلوڤر الطَّويلة قال آرتوس فلينت: «مئة فرسخٍ من (ربوة الغابة) إلى (وينترفل)، ثلاثمئة ميل بسرعة طيران الغُداف».

علَّق فارس اسمه كورليس پني: «رحلة طويلة».

بإصرارٍ قال السير جودري، الفارس الكبير الذي يُلقِّبونه بقاتِل العمالقة: «ليست بذلك الطُّول. لقد قطعنا شوطًا طويلًا بالفعل، وسيُنير إله الضِّياء لنا طريقًا».

قال السير چاستن: «ولمَّا نصل إلى (وينترفل)؟ ثمَّة سوران بينهما خندق، والسُّور الدَّاخلي يرتفع مئة قدم. بولتون لن يَخرُج لمواجهتنا في الميدان أبدًا، ونحن لا نملك ما يكفي من ذخيرةٍ وعتاد لحصار القلعة».

قال هاروود فِل: «لا تنسَ أن آرنولف كارستارك سيضمُّ قوَّته إلى قوَّتنا، وموِرس أومبر أيضًا. سنحظى بأعدادٍ من الشَّماليِّين كالتي مع اللورد بولتون، والغابة كثيفة شمال القلعة. سنبني أبراج حصار ومدكَّات...».

وتموتون بالآلاف.

اقترحَ اللورد پيزبوري: «قد يكون الأفضل لنا أن نقضي الشِّتاء هنا».

هدرَ الدُّلو الكبير: «نقضي الشِّتاء هنا؟! كم خزَّن جالبارت جلوڤر من الطَّعام والعلف في تقديرك؟».

عندها التفت السير ريتشارد هورپ، الفارس ذو الوجه المجدور وعُثث رأس الموت على سُترته، إلى ستانيس قائلًا: «جلالة الملك، أخوك...».

قاطعَه الملك: «كلُّنا نعلم ما كان أخي ليفعله. كان روبرت ليُهَروِل إلى بوَّابة (وينترفل) بمفرده ويُحطِّمها بمطرقته ويركب عبر الأنقاض ليَقتُل رووس بولتون بيُسراه ونغله بيُمناه»، ونهضَ ستانيس مضيفًا: «لستُ روبرت، لكننا سنزحف، وسنُحرِّر (وينترفل)... أو نموت ونحن نُحاوِل».

أيًّا كانت الشُّكوك التي تُساوِر لورداته فرجال ستانيس العوام مؤمنون بمليكهم. لقد دحرَ ستانيس هَمج مانس رايدر عند (الجِدار)، ونظَّف (ربوة الغابة) من آشا ورجالها الحديديِّين، كما أنه أخو روبرت الذي انتصرَ في معركةٍ بحريَّة شهيرة قُرب (الجزيرة القصيَّة)، والرَّجل الذي استطاعَ الحفاظ على (ستورمز إند) طيلة ثورة روبرت، وبالإضافة إلى كلِّ هذا يحمل سيف بطلٍ سحريًّا، (جالِب الضِّياء) الذي يُنير وهجه اللَّيل.

في اليوم الأول للزَّحف أكَّد السير چاستن لآشا قائلًا: «أعداؤنا ليسوا بالهيبة التي تبدو عليهم. رووس بولتون يحظى بالخوف وليس الحُب، وأصدقاؤه أبناء فراي... الشَّمال لم ينسَ الزِّفاف الأحمر. كلُّ لورد في (وينترفل) فقدَ قريبًا هناك. ما على ستانيس إلَّا أن يُدمي بولتون وسيتخلَّى عنه الشَّماليُّون».

هذا ما تأمله، لكن على الملك أن يُدميه أولًا. لا يتخلَّى عن الجانب الرَّابح إلَّا أحمق.

زارَ السير چاستن عربتها عدَّة مرَّاتٍ في ذلك اليوم الأول، ليجلب لها الطَّعام والشَّراب وأخبار الزَّحف. إنه رجل سهل الابتسام لا يكفُّ عن المزاح، كبير الحجم مكتنز له وجنتان متورِّدتان وعينان زرقاوان وشَعر نفشَته الرِّيح، أشقر أبيض باهت كألياف الكتَّان. الحقيقة أنه سجَّان مراعٍ دائم الحرص على راحة سجينته.

بعد زيارته الثَّالثة قالت لها الدُّبَّة: «إنه راغب فيكِ».

اسمها الحقيقي أليسان سليلة عائلة مورمونت، لكنها تحمل الاسم الآخَر بسهولة ارتدائها حلقات المعدن. وريثة (جزيرة الدِّببة) قصيرة ممتلئة غليظة العضلات، فخذاها كبيرتان ونهداها كبيران ويداها كبيرتان متكلِّستان. حتى في نومها ترتدي قميصًا من الحلقات المعدنيَّة تحت الفرو، وتحته الجِلد المقوَّى، وتحت الجِلد فروة خروفٍ قديمة مقلوبة طلبًا للدِّفء، وقد جعلَت كلُّ هذه الطَّبقات عرضها يُناهِز طولها. *إنها ضارية أيضًا*. أحيانًا يَصعُب على آشا جرايچوي أن تتذكَّر أنها والدُّبَّة في سِنٍّ واحدةٍ تقريبًا.

ردَّت آشا: «بل راغب في أرضي، في (جُزر الحديد)». إنها تعرف هذه العلامات التي رأتها من قبل في خُطَّابٍ آخَرين. بعيدًا في الجنوب ضاعَت من ماسي أملاكه الموروثة، وعليه يجب أن يجد زيجةً تدرُّ عليه منفعةً أو يقنع بحقيقة أنه مجرَّد فارسٍ ضمن أهل بيت الملك. كان ستانيس قد أحبطَ آمال ماسي في الزَّواج بالأميرة الهمجيَّة التي سمعَت عنها آشا الكثير، وهكذا يُسلِّط نظره عليها الآن. لا شكَّ أنه يَحلُم بأن يضعها على كُرسي حجر اليم في (پايك) ويَحكُم من خلالها باعتباره سيِّدها وزوجها، وهو ما يتطلَّب تخليصها من سيِّدها وزوجها الحالي بالتَّأكيد... بغضِّ النَّظر عن العمِّ الذي زوَّجها به. غير *وارد*. *عين الغُراب يستطيع أن يأكل السير چاستن على الإفطار دون أن يتجشَّأ حتى*.

لا يهمُّ، فلن تصير أراضي أبيها لها أبدًا أيًّا كان زوجها. الحديديُّون ليسوا شعبًا متسامحًا، وآشا هُزِمَت مرَّتين، مرَّةً في انتخاب الملك على يد عمِّها يورون ومرَّةً في (ربوة الغابة) على يد ستانيس، أكثر مما يكفي لوسمها بالعجز عن الحُكم. الزَّواج بچاستن ماسي أو أيٍّ من رجال ستانيس باراثيون سيضرُّ أكثر مما ينفع، وسيقول الرَّبابنة والملوك: *اتَّضح أن ابنة الكراكِن مجرَّد امرأةٍ في النِّهاية. انظروا كيف تفتح ساقيها لابن الأراضي الخضراء الخرِع.*

لكن إذا كان السير چاستن راغبًا في التَّودُّد إليها بالطَّعام والنَّبيذ والكلام فلن تُثبِّط همَّته، فصُحبته أفضل من الدُّبَّة الصَّموت، وباستثنائهما آشا وحيدة بين خمسة آلاف من الأعداء، فقد تُرِكَ تريس بوتلي وكارل البِكر وكروم وروجون والباقون من مجموعتها المثخنة بالجراح في (ربوة الغابة) في زنازين جالبارت جلوڤر.

قطعَ الجيش اثنين وعشرين ميلًا في اليوم الأول طبقًا للأدلَّة الذين زوَّدتهم بهم الليدي سيبل، مقتصُّو أثر وصيَّادون مقسمون على الولاء لـ(ربوة الغابة) ويحملون أسماء عشائر على غرار وودز وفورستر وبرانش وبول. في اليوم الثَّاني قطعَ الجيش أربعةً وعشرين ميلًا إذ تجاوزَت الطَّليعة أراضي جلوڤر ودخلَت (غابة الذِّئاب) الكثيفة، وليلتها اجتمعَ المؤمنون حول نارٍ أجَّاجة أمام سُرادق الملك، وصلُّوا: «*أيا راهلور، أرسِل إلينا ضياءك يهدينا في هذا الظَّلام*». فُرسان وجنود جنوبيُّون كافَّةً، وكانت آشا لتدعوهم برجال الملك لولا أن رجال أراضي العواصف وأراضي التَّاج الآخَرين يدعونهم برجال الملكة... وإن كانت الملكة التي يتبعونها هي تلك المرأة الحمراء في (القلعة السَّوداء) وليست الزَّوجة التي تركَها ستانيس باراثيون في (القلعة الشَّرقيَّة). ترنَّم رجال الملكة للَّهب: «*أيا إله الضِّياء، نتضرَّع إليك أن تَنظُر إلينا بعينك النَّاريَّة وتحفظنا وتُدفِّئنا، فاللَّيل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال*».

قادَهم الفارس الكبير المدعو بجودري فارنج. جودري *قاتِل العمالقة. اسم كبير لرجلٍ ضئيل*. لفارنج صدر عريض وعضلات مفتولة تحت درعه، وإن بدا لآشا أنه مغرور متغطرس، متجوِّع للمجد يصمُّ أُذنيه عن الحذر، يشتهي الثَّناء ويحتقر العوام والذِّئاب... والنِّساء. في الجزء الأخير لا يختلف عن مليكه.

عندما زارَ السير چاستن عربتها حاملًا نِصف فخذ خنزير قالت له: «ضَعني على حصان. إنني أفقدُ عقلي في هذه الأغلال. لن أحاول الهرب، لك كلمتي».

- «ليتني أستطيعُ يا سيِّدتي. إنكِ أسيرة الملك لا أسيرتي».

- «ملكك يَرفُض أن يقبل كلمة امرأة».

دمدمَت الدُّبَّة: «لِمَ نثق بكلمة أيِّ حديديٍّ بعد ما فعلَه أخوكِ في (وينترفل)؟».

ردَّت آشا بإصرار: «أنا لستُ ثيون»... لكن الأغلال بقيَت.

بينما ابتعدَ السير چاستن وجدَت نفسها تتذكَّر آخِر مرَّةٍ رأت أمَّها. كان هذا في (البروج العشرة) في (هارلو)، وقد اشتعلَت شمعة وحيدة في غُرفة أمِّها لكن الفِراش الكبير المزخرَف كان خاليًا تحت مظلَّته المتربة. جلسَت الليدي ألانيس عند النَّافذة تَنظُر إلى البحر، وبفمٍ واجفٍ سألَت: «هل أحضرتِ ولدي الصَّغير؟»، فأجابَتها آشا: «لم يستطِع ثيون أن يأتي»، وتطلَّعت إلى حُطام المرأة التي ولدَتها، إلى أمٍّ فقدَت اثنين من أبنائها، والثَّالث...

أرسلُ إلى كلٍّ منكم قطعةً من الأمير.

أيًّا كان ما جرى حينما اندلعَت المعركة عند (وينترفل) فآشا جرايچوي لا تظنُّ أن أخاها نجا منها. *ثيون المارِق. حتى الدُّبَّة تُريد رأسه على خازوق.*

سألَت آشا حارستها: «ألكِ إخوة؟».

أجابَت أليسان مورمونت بفظاظتها المعهودة: «أخوات. كنا خمسًا، بنات جميعًا. ليانا في (جزيرة الدِّببة)، ولايرا وچوري مع أمِّنا، وداسي قُتِلَت».

- «الزِّفاف الأحمر».

قالت أليسان: «أجل»، وحدَّقت إلى آشا لحظةً، ثم أردفَت: «عندي ابن في الثَّانية، وابنتي في التَّاسعة».

- «بدأتِ مبكِّرًا».

- «مبكِّرًا للغاية، لكن هذا أفضل من الانتظار طويلًا».

طعنة موجَّهة إليَّ، لكن تجاهَليها. «أنتِ متزوِّجة إذن».

مبتسمةً قالت أليسان: «لا. لقد أنجبتُ طفلَي من دُب». أسنانها معوجّة، إلّا أن في هذه الابتسامة شيئًا يبعث السُّرور في النَّفس. «نساء عائلة مورمونت مبدِّلات جِلدة، نتحوَّل إلى دُبَّات ونجد أزواجًا في الغابة. الكلُّ يعلم هذا».

ابتسمَت آشا بدورها قائلةً: «نساء عائلة مورمونت مُقاتلات أيضًا».

خبَت ابتسامة المرأة الأخرى، وقالت: «نحن كما جعلتمونا. في (جزيرة الدِّببة) يتعلَّم كلُّ طفلٍ أن يخشى صعود الكَراكِن من البحر».

النَّهج القديم. أشاحَت آشا بوجهها وسلاسلها تُصَلصِل بخفوت.

في اليوم الثَّالث أطبقَت عليهم الغابة، واستحالَت الطُّرق المحقَّرة إلى دروب فرائس سرعان ما اتَّضح أنها أضيق من أن تَعبُرها العربات الكبيرة. هنا وهناك مرُّوا بمعالم مألوفة؛ تل حجري يُشبِه رأس الذِّئب نوعًا حين يُرى من زاويةٍ معيَّنة، وشلَّال شِبه متجمِّد، وقنطرة حجريَّة طبيعيَّة ملتحية بالطَّحالب الخضراء الرَّماديَّة. تعرفها آشا كلَّها، فقد قطعَت هذا الطَّريق من قبل وقت أن ذهبَت إلى (وينترفل) لإقناع أخيها ثيون بالعدول عن غزوته والعودة معها إلى أمان (ربوة الغابة). *هذا أيضًا فشلتُ فيه*.

في ذلك اليوم قطعوا أربعة عشر ميلًا وعدُّوا أنفُسهم محظوظين.

حين حلَّ الغسق أوقفَ الحوذي العربة تحت شجرة، وخبَّ السير چاستن إلى آشا وحلَّ أصفاد كاحليها بنفسه، ثم قادَها مع الدُّبَّة عبر المعسكَر إلى خيمة الملك. قد تكون أسيرةً، لكنها من آل جرايچوي أولاد (پايك)، ويسرُّ ستانيس باراثيون أن يُطعِمها بقايا مائدته، حيث يتناوَل العشاء مع لورداته وقادته.

يُناهِز سُرادق الملك القاعة الطَّويلة في (ربوة الغابة) حجمًا، لكن باستثناء حجمه فلا يُمكن وصفه بالفخامة. الحوائط اليابسة المصنوعة من قُماش القنَّب الأصفر السَّميك باهتة جدًّا ويُلوِّثها الوحل والماء، وثمَّة بقاع يلوح فيها العفن، وعلى السَّارية الوُسطى تُرَفرِف الرَّاية الملكيَّة الذَّهبيَّة ذات رأس الوعل داخل القلب النَّاري. تُحيط بالسُّرادق من ثلاث جهاتٍ خيام اللوردات الجنوبيِّين الذين أتوا مع ستانيس شمالًا، وفي الجهَّة الرَّابعة تضطرم النَّار اللَّيليَّة جالدةً السَّماء المظلمة بألسنة اللَّهب.

حين وصلَت آشا تَعرُج على كاحلها مع حارسيها رأت دستةً من الرِّجال يُقطِّعون الحطب لإذكاء النَّار. *رجال الملكة*. إلههم راهلور الأحمر، ويا له من إلهٍ غيور. في أعيُنهم إلهها إله الجُزر الغريق شيطان، وإذا لم تعتنِق مِلَّة إله الضِّياء هذا فإنها ملعونة هالكة. *سيسرُّهم إحراقي كما يُحرِقون هذا الحطب والفروع المكسورة*. أحدهم حضَّ الملك على هذا تحديدًا بالفعل على مسمعٍ منها، لكن ستانيس رفَض.

وجدَت الملك واقفًا خارج خيمته يُحدّق إلى النّار اللّيليّة. *ماذا يرى فيها؟ النّصر؟ الويل؟ وجه ربّه الأحمر الجائع؟* عيناه غائصتان في حُفرتين عميقتين، ولحيته المشذّبة لا تتعدّى ظلًّا على وجنتيه الجوفاويْن وفكّه النّاحل... لكن في نظرته قوّةً، عزمًا حديديًّا أكّد لآشا أن هذا الرّجل لن يحيد عن طريقه أبدًا ومهما حدثَ.

جثَت على رُكبتها أمامه قائلةً: «مولاي». *هل ذُلِلتُ بما فيه الكفاية يا صاحِب الجلالة؟ هل يُعجِبك انهزامي وانحنائي وانكساري؟* «أتوسّلُ إليك أن تخلع هذه السّلاسل عن معصمَي. دَعني أركبُ. لن أحاول الهرب».

رمقَها ستانيس كأنما يَرمُق كلبًا تجرّأ على حكِّ ذَكره بساقه، وقال: «لقد استحقَقتِ هذه القيود».

- «استحقَقتها. والآن أعرضُ عليك رجالي وسُفني وعقلي».

- «سُفنكِ لي أو احترقَت، ورجالكِ... كم تبقّى منهم؟ عشرة؟ اثنا عشر؟».

تسعة. ستّة إذا حسبت من يقوون على القتال فقط. «داجمر ذو الفكِّ المفلوق يُسَيطِر على (مربّع تورين). إنه مُقاتل فتّاك وخادم مخلص لعائلة جرايچوي. أستطيعُ أن أعطيك تلك القلعة وحاميتها أيضًا». كانت لتسبق وعدها بـ«قد»، ولكن لن ينفعها أن تُبدي الشّكّ أمام الملك.

- «(مربّع تورين) لا تستأهِل الوحل تحت حذائي. (وينترفل) هي المهمّة».

- «اخلع هذه السّلاسل ودَعني أساعدك على أخذها يا مولاي. كان أخو جلالتك الملك مشهورًا بتحويل الأعداء المهزومين إلى أصدقاء. اجعلني رجلك».

ردَّ ستانيس: «الآلهة لم تَخلُقكِ رجلًا، فكيف أجعلك أنا واحدًا؟»، وعادَ يلتفت إلى ناره اللَّيليَّة وما يراه يتراقَص هناك بين ألسنة اللَّهب البُرتقالي.

أمسكَ السير چاستن ماسي آشا من ذراعها وسحبَها إلى داخل الخيمة الملكيَّة قائلًا: «أسأتِ التَّقدير يا سيِّدتي. لا تُحدِّثيه عن روبرت أبدًا».

كان عليَّ أن أكون أعقل من هذا. تعرف آشا مجريات الأمور بين الإخوة. تذكَّرت ثيون في صِباه وكيف كان طفلًا خجولًا يعيش في انبهارٍ -وخوف- من رودريك ومارون. *لا يتجاوَزون هذا أبدًا مهما طالَت أعمارهم. قد يَبلُغ الأخ الصَّغير مئة عامٍ من العُمر لكنه يظلُّ أخًا صغيرًا*. هزَّت جواهرها الحديديَّة وتخيَّلت كم سيكون سارًّا إذا وقفَت وراء ستانيس وخنقَته بالسِّلسلة بين معصميها.

ليلتها أكلوا يخنةً مطبوخةً من ذَكر أيلٍ هزيل اقتنصَه كشَّاف اسمه بنچيكوت برانش، لكن هذه الوجبة اقتصرَت على السُّرادق الملكي فقط، أمَّا وراء هذه الحوائط القُماش فقد نالَ كلُّ رجلٍ قطعةً من الخُبز وأخرى من السُّجق الأسود لا تتجاوَز الإصبع طولًا، وشربَ آخِر ما تبقَّى من مِزر جالبارت جلوڤر.

مئة فرسخٍ من (ربوة الغابة) إلى (وينترفل)، ثلاثمئة ميل بسرعة طيران الغُداف. في اليوم الرَّابع من الزَّحف، يوم بدأ الثَّلج يَسقُط، قال چاستن ماسي: «ليتنا كنا غِدفانًا». في البدء سقطَ الثَّلج خفيفًا متقطِّعًا. أي نعم كان باردًا مبتلًّا، غير أنه لم يُشكِّل عائقًا لا يُمكنهم اجتيازه.

لكنه سقطَ ثانيةً في اليوم التَّالي، واليوم التَّالي، واليوم الذي تلاه، وسرعان ما اكتسَت لحى الذِّئاب الكثَّة بالجليد حيث تجمَّدت أنفاسهم، وبدأ كلُّ صبيٍّ جنوبي حليق يُطلِق لحيته لأجل تدفئة وجهه. لم يمضِ وقت طويل قبل أن تتدثَّر الأرض أمام الطَّابور بالأبيض، لتتوارى الأحجار والجذور الملتوية والأشجار السَّاقطة وتتحوَّل كلُّ خُطوةٍ إلى مُغامرة. اشتدَّت الرِّيح أيضًا دافعةً الثَّلج أمامها، واستحالَ جيش الملك إلى طابورٍ من الرِّجال الثَّلجيِّين، يتقدَّم بصعوبةٍ عبر أكوامٍ من الثَّلج ترتفع حتى الرُّكبة.

في اليوم الثَّالث من سقوط الثَّلج بدأ جيش الملك يتفكَّك، ولئن عانى الفُرسان واللوردات الجنوبيُّون فقد أبلى رجال التِّلال الشَّماليَّة بلاءً أحسن. أحصنتهم الصَّغيرة حيوانات واثقة الخُطى تأكل أقل من خيول الرُّكوب التَّقليديَّة وأقل كثيرًا من الجياد الحربيَّة الكبيرة، والرِّجال الذين يمتطونها في موطنهم وسط الثُّلوج. يُضيف كثير من الذِّئاب إلى أحذيتهم نعالًا غريبةً يُسمُّونها «كفوف الدِّببة»، أشياء مطوَّلة مصنوعة من الأخشاب الملويَّة وشرائط الجِلد، يربطونها أسفل أحذيتهم فتُتيح لهم بشكلٍ ما أن يمشوا فوق الثَّلج دون أن يكسروا قشرته ويغوصوا فيه حتى أفخاذهم.

كما أنهم وضعوا كفوف الدِّببة لبعض خيولهم أيضًا، وقد انتعلَتها الأحصنة المشعثة بسهولة انتعال الخيل الأخرى الحدوات... لكن الخيل الأخرى رفضَتها تمامًا، وعندما جرَّب بعض فُرسان الملك تركيبها على أقدامها نكصَت الخيول الجنوبيَّة الكبيرة ورفضَت الحركة أو حاولَت خلعها، وكسرَ أحد الجياد الحربيَّة كاحله لمَّا حاولَ المشي بها.

سرعان ما بدأ الشَّماليُّون بكفوفهم يسبقون بقيَّة الجيش. أولًا سبقوا الفُرسان في الطَّابور الأساسي، ثم السير جودري وطليعته، وفي تلك الأثناء كانت عربات قافلة الأمتعة تتخلَّف أكثر فأكثر حتى إن رجال حَرس المؤخِّرة أخذوا يحثُّونها باستمرارٍ على الإسراع.

في اليوم الخامس من العاصفة عبرَت قافلة الأمتعة مساحةً مائجةً من أكوام الثَّلج المرتفعة حتى الخصر تُخفي بِركةً متجمِّدةً، ولمَّا تشقَّق الجليد المخفي تحت وزن العربات ابتلعَت المياه قارسة البرودة ثلاثة حوذيِّين وأربعة أحصنة، بالإضافة إلى رجلين ممَّن حاوَلوا إنقاذهم. كان أحدهما هاروود فِل الذي انتشلَه فُرسانه قبل أن يغرق، ولكن ليس قبل أن تزرقَّ شفتاه وتمتقِع بشرته حتى حاكَت الحليب، وبعدها لم ينجح شيءٌ مما فعلوه في تدفئته، وراحَ فِل يرتجف بعُنفٍ لساعات، حتى بعد أن مزَّقوا ثيابه المبتلَّة وخلعوها ودثَّروه بالفرو الثَّقيل ووضعوه عند النَّار. ليلتها غابَ في نومٍ محموم ولم يستيقظ ثانيةً.

وتلك هي اللَّيلة التي سمعَت فيها آشا رجال الملكة يُهَمهِمون بكلامٍ عن قُربان، عن تضحيةٍ لإلههم الأحمر كي يُنهي العاصفة.

قال السير كورليس پني: «آلهة الشَّمال أطلقَت هذه العاصفة علينا».

ردَّ السير جودري قاتِل العمالقة بإصرار: «آلهة زائفة».

وقال السير كلايتون سوجز: «راهلور معنا».

فردَّ چاستن ماسي: «مليساندرا ليست معنا».

لم يقل الملك شيئًا، لكنه سمعَ. آشا موقنة من هذا. جلسَ ستانيس إلى المائدة العالية وأمامه يَبرُد طبق من حَساء البصل لم يمسّ شيئًا منه تقريبًا، يُحدّق إلى لهب أقرب شمعةٍ بهاتين العينين الظّليلتين متجاهلًا الكلام الدّائر حوله. بدلًا منه تكلّم نائبه، الفارس الطّويل النّحيل السير ريتشارد هورپ الذي قال: «مؤكّد أن العاصفة ستنجلي قريبًا».

إلّا أن العاصفة ساءَت، وأضحَت الرّيح كُرباجًا يُنافِس سياط النخّاسين. حسبَت آشا أنها عرفَت البرد في (پايك) حين كانت الرّيح تهبُّ عاويةً من البحر، لكن ذلك لا شيء مقارنةً بهذا. برد يدفع *المرء إلى الجنون*.

حتى عندما يرتفع هتاف التّخييم عبر الطّابور فليس من السّهل أن يجد المرء الدّفء، فالخيام رطبة ثقيلة، نصبها صعب وتفكيكها أصعب، كما أنها عُرضة للانهيار المفاجئ إذا تراكمَ ثلج أكثر من اللّازم فوقها. جيش الملك يزحف في أغوار أضخم غابةٍ في (الممالك السّبع)، ومع ذلك يتعذّر عليه العثور على خشبٍ جاف. الآن في كلِّ معسكرٍ تشتعل نيران أقل، وتلك المشتعلة تبعث دُخانًا أكثر من الدّفء، وفي أغلب الأحيان يُؤكَل الطّعام باردًا نيئًا. حتى النّار اللّيليّة تقلّصت ووهنَت مروّءةً رجال الملكة، فقادَهم السير جودري قاتِل العمالقة في الصّلاة بصوته العميق: *«أيا إله الضّياء، احفظنا من هذا الشّر، أرِنا شمسك السّاطعة من جديدٍ وهدّئ هذه الرّيح وأذِب هذه الثّلوج لكي نَبلُغ أعداءك ونقهرهم. اللّيل مظلمٌ وباردٌ ومفعمٌ بالأهوال، لكن النّور سُلطانك ومجدك. املأنا بنارك يا راهلور».*

لاحقًا، حين تساءلَ السير كورليس پني إن كان جيش بأكمله قد تجمَّد من قبل في عاصفةٍ شتويَّة، ضحكَ الذِّئاب وأعلنَ الدَّلو الكبير وول: «ليس هذا شتاءً. في التِّلال بالأعلى نقول إن الخريف يُقبِّلك، أمَّا الشِّتاء فينكحك. ما هذه إلَّا مجرَّد قُبلة خريفيَّة».

لا تجعلني أعرفُ الشِّتاء الحقيقي أبدًا إذن يا إلهي. على أن آشا نفسها جُنِّبَت أسوأ ما في الأمر، فهي غنيمة الملك رغم كلِّ شيء. بينما جاعَ الآخَرون أُطعِمَت، وبينما ارتجفَ الآخَرون تدفَّأت، وبينما قاسى الآخَرون في عبور الثُّلوج على متون خيولٍ منهَكة تتمدَّد هي على سريرٍ من الفراء داخل عربة، يقيها سقف من القنَّب اليابس الثَّلج ويَترُكها مستريحةً في سلاسلها.

أعظم المعاناة من نصيب الخيول والعوام. طعنَ مُرافقان من أراضي العواصف جُنديًا حتى الموت في شجارٍ حول أقرب من يجلس عند النَّار، وفي اللَّيلة التَّالية تسبَّب بعض الرُّماة الرَّاغبين بيأسٍ في الدِّفء في إشعال النَّار بخيمتهم، وهو ما أفضى على الأقل إلى تدفئة الخيام المجاورة. بدأت الجياد الحربيَّة تَنفُق إرهاقًا وبردًا، وبدأ بعض الرِّجال يُحاجي بعضًا قائلين: «ما الفارس بلا حصان؟ رجل تلجي بسيف». كلُّ حصانٍ يموت يُذبَح في التَّوِّ واللَّحظة من أجل لحمه، ذلك أن المؤن بدأت تَنضُب أيضًا.

حثَّ پيزبوري وكوب وفوكسجلوف وغيرهم من اللوردات الجنوبيِّين الملك على التَّخييم حتى تمرَّ العاصفة، لكن ستانيس رفضَ رفضًا قاطعًا، ولم يُصغِ إلى رجال الملكة عندما أتوا يُناشِدونه تقديم قُربانٍ لإلههم الأحمر الجائع.

سمعَت هذه الحكاية من چاستن ماسي الذي لا يتَّسم بتديُّن أكثر الرِّجال. قال كلايتون سوجز: «القُربان سيُثبِت أن إيماننا ما زالَ مشتعلًا مخلصًا يا مولاي»، وقال جودري قاتِل العمالقة: «آلهة الشَّمال القديمة أطلقَت هذه العاصفة علينا، ووحده راهلور يستطيع أن يردعها. يجب أن نُعطيه كافرًا».

ردَّ ستانيس: «نِصف جيشي من الكافرين. لن أحرق أحدًا. أخلِصوا أكثر في الصَّلاة».

لا حرق اليوم أو غدًا... لكن إذا استمرَّ الثَّلج فكم من الوقت قبل أن يبدأ عزم الملك يَضعُف؟ لم تُشارِك آشا عمَّها آرون إيمانه بالإله الغريق قَطُّ، لكنها في تلك اللَّيلة صلَّت لإلهها السَّاكن تحت الأمواج بحرارة ذي الشَّعر الرَّطب.

ولم تهجع العاصفة. واصل الجيش تقدُّمه بتؤدةٍ ثم بزحفٍ فعلي. إذا قطعوا خمسة أميالٍ في اليوم عدُّوه إنجازًا، ثم أصبحَت الأميال الخمسة ثلاثةً، ثم ميليْن.

بحلول اليوم التَّاسع شهدَ كلُّ معسكرٍ قادته يَدخُلون خيمة الملك مبتلِّين متعَبين ليجثوا أمامه ويُبلِغوه بخسائر اليوم.

- «رجل واحد ميت وثلاثة مفقودون».

- «فقدنا ستَّة خيول، منها حصاني».

- «ثلاثة موتى، أحدهم فارس. أربعة خيول سقطَت. استطعنا إسعاف أحدها، الآخَرون ماتوا. جوادان حربيَّان وواحد للرُّكوب».

سمَّته آشا «تعداد البرد». عانَت قافلة الأمتعة أكثر الخسائر، من الخيل الميتة إلى الرِّجال المفقودين إلى العربات المقلوبة التَّالفة. أخبرَ چاستن ماسي الملك: «الخيول تنهار في الثَّلج، والرِّجال يبتعدون ويتوهون أو يجلسون في أماكنهم ليموتوا».

ردَّ الملك ستانيس محتدًّا: «فليفعلوا. سنُواصِل التَّقدُّم».

الشَّماليُّون حالهم أفضل كثيرًا بخيولهم الصَّغيرة وكفوف الدِّببة. دونل فلينت الأسود وأخوه غير الشَّقيق آرتوس فقدا معًا رجلًا واحدًا، أمَّا وول وليدل ونوري فلم يفقدوا أحدًا على الإطلاق، وضلَّ أحد بغال مورجان ليدل الطَّريق، لكنه يحسب أن رجال فلينت سرقوه.

مئة فرسخٍ من (ربوة الغابة) إلى (وينترفل)، ثلاثمئة ميل بسرعة طيران الغُداف، خمسة عشر يومًا. حلَّ اليوم الخامس عشر ومرَّ ولم يقطعوا بعدُ نِصف المسافة، والآن يمتدُّ وراءهم أثر من العربات المكسورة والجُثث المتجمِّدة مدفونًا تحت الثَّلج، وغابَت الشَّمس والقمر والنُّجوم تمامًا حتى إن آشا بدأت تتساءَل إن كان وجودها من قبل حُلمًا رأته.

في اليوم العشرين من الزَّحف حُرِّرَت أخيرًا من قيود كاحليها. في ساعةٍ متأخِّرة من الظَّهيرة يومها نفقَ أحد الخيول التي تجرُّ عربتها وهو ماشٍ، ولم يستطيعوا العثور على بديل، فخيول الجرِّ المتبقِّية ضروريَّة لسحب العربات التي تحمل الأطعمة والعلف. حين انضمَّ إليهم السير چاستن ماسي أمرَهم بذبح الحصان لأجل لحمه وتفكيك العربة لأجل الحطب، ثم حلَّ القيود عن كاحلَي آشا المتيبِّسيْن ودلَّكهما قائلًا: «ليس عندي حصان أعطيه لكِ يا سيِّدتي، وإذا ركبتِ معي فستكون هذه نهاية حصاني أيضًا. يجب أن تمشي».

نبضَ كاحل آشا ألمًا تحت ثقلها مع كلِّ خُطوة، فأخبرَت نفسها: *سيُخدِّره البرد قريبًا. في غضون ساعةٍ لن أحسَّ بقدمَي نهائيًّا.* لكنها كانت مخطئةً جزئيًّا، إذ استغرقَ فقدانها الإحساس بقدميها أقل من ساعة، ولمَّا أوقفَ الظَّلام الجيش كانت تتعثَّر بالفعل وتحنُّ إلى راحة سجنها المتحرِّك. *الحديد أضعفَني*. وقت العَشاء غلبَها إرهاقها تمامًا لدرجة أنها نامَت وهي جالسة إلى المائدة.

في اليوم السَّادس والعشرين من مسيرة الخمسة عشر يومًا استُهلِكَ آخِر الخضراوات، وفي اليوم الثَّاني والثَّلاثين آخِر الحبوب والعلف. تساءلَت آشا كم يستطيع الإنسان أن يعيش على لحم الخيول النَّيء شبه المتجمِّد.

ليلتها بعد تعداد البرد أخبرَ السير ريتشارد هورپ الملك: «برانش يُقسِم أن (وينترفل) تَبعُد ثلاثة أيامٍ فقط».

قال كورليس پني: «هذا إذا تركنا أضعف الرِّجال وراءنا».

ردَّ هورپ بإصرار: «لا سبيل لإنقاذ أضعف الرِّجال. على مَن ما زالوا يتمتَّعون بالقوَّة أن يَبلُغوا (وينترفل) أو يموتوا أيضًا».

قال السير جودري فارنج: «سيُؤتينا إله الضِّياء القلعة. لو كانت الليدي مليساندرا معنا...».

أخيرًا، بعد يومٍ كابوسي تقدَّم فيه الجيش ميلًا واحدًا وفقدَ دستةً من الخيول وأربعة رجال، انقلبَ اللورد پيزبوري على الشَّماليِّين، وزعقَ فيهم: «هذا الزَّحف كان جنونًا من البداية. المزيد يموتون كلَّ يوم، ومن أجل ماذا؟ فتاة ما؟».

قال مورجان ليدل: «فتاة ند». إنه ثاني ثلاثة أبناء، ولذا يدعوه الذِّئاب الآخَرون بليدل الأوسط، ولكن ليس في وجهه أبدًا. مورجان هو مَن كادَ يَقتُل آشا في المعركة بعد خروجها من (ربوة الغابة)، ولاحقًا أتاها في أثناء المسيرة يعتذر إليها عن دعوتها بالقحبة في خضمِّ شهوة القتال، وليس عن محاولته فلق رأسها بفأسه.

ردَّد الدَّلو الكبير وول: «فتاة ند»، وأضافَ: «ولكنا نلناها هي والقلعة بالفعل لو لم تُبلِّلوا سراويلكم الحرير بسبب القليل من الثَّلج أيها الجنوبيُّون السُّفهاء».

التوى فم پيزبوري الأنثوي النَّاعم غضبًا، وقال: «القليل من الثَّلج؟! إنها نصيحتك الفاسدة التي أجبرَتنا على الزَّحف يا وول. بدأتُ أشكُّ في أنك مخلوق بولتون من البداية، أليس كذلك؟ هل أرسلَك لبثِّ السُّموم في أُذن الملك؟».

ضحكَ الدَّلو الكبير في وجهه قائلًا: «اللورد فاصوليا. لو كنت رجلًا لقتلتك لما قلته، لكن فولاذ سيفي أجود من أن ألوِّثه بدمك أيها الجبان»، وأخذَ رشفةً من المِزر ومسحَ فمه قبل أن يُردِف: «أجل، الرِّجال يموتون، وسيموت منهم المزيد قبل أن نرى (وينترفل). وماذا في هذا؟ إنها حرب. الرِّجال يموتون في الحرب. هكذا طبيعتها كما كانت دومًا».

رمقَ السير كورليس پني زعيم العشيرة مصدومًا، وسألَه: «هل تُريد أن تموت يا وول؟».

قال الشَّمالي الذي وجدَ السُّؤال طريقًا: «أريدُ أن أحيا إلى الأبد في أرضٍ يدوم فيها الصَّيف ألف عام، أريدُ قلعةً في السَّماء أنظرُ منها إلى العالم بالأسفل، أريدُ أن أرجع إلى سِنِّ السَّادسة والعشرين. حين كنتُ في السَّادسة والعشرين كان بإمكاني القتال طوال النَّهار والنِّكاح طوال اللَّيل. ما يُريده الإنسان لا يهمُّ. الشِّتاء آزِف أيها الصَّبي، والشِّتاء موت. أوثرُ أن يموت رجالي وهُم يُقاتِلون من أجل ابنة الند الصَّغيرة بدلًا من أن يموتوا جائعين وحيدين في الثَّلج، يذرفون دمعًا يتجمَّد على وجوههم. لا أحد يُغنِّي عمَّن يموتون هكذا. أمَّا أنا فعجوز، وسيكون هذا شتائي الأخير. فلأتحمَّم بدماء بولتون قبل أن أموت. أريدُ أن أشعر به يتناثَر على وجهي عندما تنغرس فأسي في جمجمة بولتون، أريدُ أن ألعقه عن شفتَي وأموت بمذاقه على لساني».

هتفَ مورجان ليدل: «نعم! الدَّم والمعركة!»، وانضمَّ إليه رجال العشائر جميعًا، يهتفون ويدقُّون الموائد بالأكواب وقرون الشَّراب مالئين خيمة الملك ضجيجًا.

عن نفسها، تُرحِّب آشا جرايچوي بالقتال. *معركة واحدة تضع نهايةً لهذا البؤس. فولاذ على فولاذ، وثلوج مخضَّبة بالوردي، وتروس محطَّمة وأطراف مبتورة، وينتهي كلُّ شيء.*

في اليوم التَّالي صادفَ كشَّافة الملك قرية مُزارعين مهجورةً بين بُحيرتين، مكانًا صغيرًا فقيرًا لا يضمُّ أكثر من بضعة أكواخ وقاعةٍ طويلة وبُرج مراقبة. أمرَ ريتشارد هورپ بالتَّوقُّف مع أن الجيش لم يتقدَّم أكثر من نِصف ميلٍ هذا النَّهار وما زالَت تفصلهم عن الظَّلام ساعات.

حين وصلَت قافلة الأمتعة ومعها آشا أخيرًا كان القمر قد طلعَ منذ مُدَّةٍ ليست بالقصيرة.

أخبرَ هورپ الملك: «في هاتين البُحيرتين أسماك. سنصنع حُفرًا في الجليد. الشَّماليُّون يعرفون الطَّريقة».

حتى في معطفه الفرو السَّميك ودرعه الثَّقيلة يبدو ستانيس كرجلٍ إحدى قدميه في القبر، وقد ذوى خلال الزَّحف ما بدا من لحمٍ قليل على هيكله الطَّويل النَّحيل في (ربوة الغابة). تستطيع آشا أن ترى شكل جمجمته تحت الجِلد، وترى فكَّه مكبوسًا بقوَّةٍ خيَّلت إليها أن أسنانه ستتحطَّم تحطيمًا. قال الملك لافظًا كلَّ كلمةٍ بحدَّة: «اصطادوا إذن. سنتحرَّك مع أول خيوط الفَجر».

لكن مع أول خيوط الفَجر استيقظَ المعسكَر على الثَّلج والصَّمت وسماءٍ استحالَت من الأسود إلى الأبيض ومع ذلك لا تبدو أسطع. صحَت آشا جرايچوي بردانةً متشنِّجة العضلات تحت كومة الأغطية وأصغَت إلى غطيط الدُّبَّة. لم تعرف قَطُّ امرأةً تغطُّ بهذا الصَّوت العالي، إلَّا أنها اعتادَته خلال الزَّحف، حتى إنه يبثُّ فيها شيئًا من الرَّاحة الآن. الصَّمت هو ما أزعجَها. لم تدوِّ أبواق نُحاس تُوقِظ الرِّجال وتحثُّهم على امتطاء الخيول واتِّخاذ تشكيلهم والاستعداد للحركة، ولم تدوِّ أبواق الحرب التَّقليديَّة من الشَّماليِّين. *شيء ما على غير ما يُرام*.

خرجَت آشا من تحت الأغطية وغادرَت الخيمة بعد أن هدمَت جِدار الثَّلج الذي أغلقَها خلال اللَّيل، وصلصلَ حديدها إذ نهضَت وأخذَت نفسًا من هواء الصَّباح الجليدي. ما زالَ الثَّلج يتساقَط بكثافةٍ أشد من ليلة البارحة لمَّا دخلَت الخيمة، واختفَت البُحيرتان والغابة أيضًا. رأت أشكال خيامٍ أخرى والوهج البُرتقالي الباهت الصَّادر من المنارة المشتعلة على قمَّة بُرج المراقبة، لكنها عجزَت عن رؤية البُرج نفسه.

والبقيَّة ابتلعَتها العاصفة.

في مكانٍ ما أمامهم ينتظرهم رووس بولتون خلف أسوار (وينترفل)، لكن جيش ستانيس باراثيون حبيس لا يتحرَّك، محاط بالجليد والثَّلج من كلِّ حدبٍ وصوب، ويتضوَّر جوعًا.

الشَّمعة على وشك الانطفاء، تبقَّى منها أقل من بوصةٍ بارزة من الشَّمع الذَّائب الدَّافئ، تُلقي ضوءها على فِراش الملكة وقد بدأ لهبها يتذبذَب.

سرعان ما ستنطفئ، وعند انطفائها ستنتهي ليلة أخرى.

دائمًا يستعجِل الفَجر المجيء.

لم تنَم داني، لم تستطِع أن تنام، ولم تُرِد أن تنام. لم تجرؤ حتى على إغلاق عينيها خشية أن تجد الصُّبح طلعَ حين تفتحهما ثانيةً. لو أنها تملك القُدرة لجعلَت لياليهما تدوم إلى الأبد، لكن أفضل ما بوسعها أن تظلَّ مستيقظةً وتُحاوِل الاستمتاع بكلِّ اللَّحظات الجميلة قبل أن يُحيلها الفَجر إلى ذكرياتٍ خابية.

إلى جوارها ينام داريو نهاريس بسلام طفلٍ حديث الولادة. كان قد أخبرَها متباهيًا بأنه موهوب في النَّوم، وقد ابتسمَ ابتسامته الواثقة إياها، وزعمَ أنه ينام راكبًا حصانه في الميدان معظم الوقت ليكون قد نالَ قسطًا من الرَّاحة في حال اندلاع قتال. سواء أكان الطَّقس مشمسًا أم عاصفًا فلا فرق. «المُحارب الذي لا ينام تخور قواه سريعًا ولا يقوى على القتال». والكوابيس لا تُكدِّره كذلك. حين حكَت له داني أن أشباح الفُرسان الذين قتلَهم سروين ذو التُّرس المرآة كانت تُلاحِقه في منامه ضحكَ داريو قائلًا: «إذا جاءَ مَن قتلتهم يُزعِجونني فسأقتلهم ثانيةً». لحظتها أدركَت داني أن له ضمير مرتزِق. *أي انه بلا ضميرٍ على الإطلاق.*

استلقى داريو على بطنه، الأغطية الكتَّان الخفيفة معقودة حول ساقيه الطَّويلتين، ووجهه شِبه مدفون بين الوسائد.

مرَّرت داني يدها على ظَهره متَّبعةً خطَّ عموده الفقري. بشرته ملساء تحت لمستها، لا شَعر فيها تقريبًا. *بشرته حرير وساتان*. تحبُّ ملمسه تحت أصابعها، وتحبُّ مداعبة شَعره بهذه الأصابع، وتدليك ساقيه من الألم بعد يومٍ طويل من الرُّكوب، واحتواء ذَكره بكفِّها والشُّعور به يَصلُب.

لو أنها امرأة تقليديَّة لأسعدَها أن تقضي حياتها كلَّها في لمس داريو وتتبُّع ندوبه وجعله يروي لها كيف أصيبَ بكلِّ واحدة. *سأتخلَّى عن تاجي إذا سألَني*... لكن داريو لم يسألها ذلك ولن يفعل أبدًا. قد يهمس لها بكلمات الحُبِّ عندما يكونان واحدًا، لكنها تعلم أن من يُحبُّها هي ملكة التَّنانين. *إذا تخلَّيتُ عن تاجي فلن يُريدني*. كما أن الملوك الذين يفقدون تيجانهم يفقدون رأسهم أيضًا في أغلب الأحيان، وليست ترى سببًا يجعل الأمر يختلف مع الملكات.

تذبذبَت الشَّمعة مرَّةً أخيرةً وانطفأت غارقةً في شمعها الذّائب، وابتلعَت الظُّلمة الفِراش الوثير وشاغلَيْه وملأَت كلَّ رُكنٍ في الغُرفة. طوَّقت داني قائدها بذراعيها وضغطَت نفسها إلى ظَهره، تتشرَّب رائحته وتتلذَّذ بدفء بشرته والشُّعور بها على بشرتها. أخبرَت نفسها: *تذكَّري، تذكَّري ملمسه*، وقبَّلته على كتفه.

انقلبَ داريو على جانبه نحوها بعينين مفتوحتين، وقال بابتسامةٍ كسول: «دنيرس». واحدة أخرى من مواهبه أنه يستيقظ في الحال كالقِطط. «أهو الفَجر؟».

- «ليس بعدُ. ما زالَ أمامنا بعض الوقت».

- «كاذبة. إنني أرى عينيكِ. هل كنتُ لأراهما لو أنه اللَّيل؟»، وركلَ داريو الأغطية واعتدلَ جالسًا، وأضافَ: «عتمة ما قبل الفَجر. سيحلُّ النَّهار قريبًا».

- «لا أريدُ لهذه اللَّيلة أن تنتهي».

- «حقًّا؟ ولِمَ يا مولاتي؟».

- «أنت تعرف».

قال ضاحكًا: «الزِّفاف؟ تزوَّجيني بدلًا منه».

- «تعلم أنني لا أستطيعُ».

تحسَّس ساقها قائلًا: «إنكِ ملكة، تستطيعين أن تفعلي ما شئتِ. كم ليلةً تبقَّت لنا؟».

اثنتان، اثنتان فقط. «أنت تعرف مِثلما أعرفُ. هذه اللَّيلة واللَّيلة التَّالية، وبعدها يجب أن نُنهي هذا».

- «تزوَّجيني وسنحظى بكلِّ اللَّيالي إلى الأبد».

ليتني أقدرُ. كان الگال دروجو شمسها ونجومها، لكن وقتًا طويلًا جدًّا مرَّ منذ وفاته حتى إن داني كادَت تنسى معنى أن تُحِبَّ وتُحَبَّ، ولقد ساعدَها داريو على التَّذكُّر. *كنتُ ميتةً وأحياني، كنتُ نائمةً وأيقظَني. قائدي الشُّجاع*. ومع ذلك أصبحَ داريو أجرأ من اللَّازم في الفترة الأخيرة. يوم رجعَ من آخِر غاراته ألقى رأس أحد السَّادة اليونكيِّين عند قدميها وقبَّلها في القاعة على مرأى من الجميع، إلى أن أبعدَه السير باريستان عنها، وكانت غضبة الجدِّ الفارس عظيمةً حتى إن داني خشَت أن تُراق الدِّماء. «لا يُمكننا أن نتزوَّج يا حبيبي. أنت تعرف السَّبب».

نزلَ من فِراشها قائلًا: «تزوَّجي هيزدار إذن. سأعطيه قرنين أنيقين على سبيل هديَّة الزِّفاف. الرِّجال الجيسكاريُّون يحبُّون البخترة بالقرون، يصنعونها من شَعرهم بالأمشاط والشَّمع والحديد». وجدَ داريو سراويله وارتداها دون ثيابٍ داخليَّة، فتلك لا يُفضِّلها.

سحبَت داني الأغطية على ثدييها، وقالت: «ما إن أتزوَّج ستكون خيانةً عُظمى أن تشتهيني».

- «سأكونُ خائنًا إذن». ارتدى قميصًا أزرق من الحرير وسوَّى شُعب لحيته بأصابعه. كان قد صبغها مجدَّدًا من أجلها، معيدًا إياها من الأرجواني إلى الأزرق كما كانت حين التقَته داني أول مرَّة. قال متشمِّمًا أصابعه ومبتسمًا ابتسامةً عريضةً: «رائحتكِ عالقة بي».

تحبُّ داني التماعة سِنِّه الذَّهب حين يبتسم، وتحبُّ الشَّعر النَّاعم على صدره، وتحبُّ قوَّة ذراعيه، ووقع ضحكته، وكيف يَنظُر دائمًا في عينيها وينطق اسمها وهو يلجها. بينما شاهدَته ينتعل حذاء الرُّكوب ويعقد أربطته اندفعَت تقول: «أنت جميل!». في بعض الأيام يَترُكها تفعل هذا من أجله، ولكن ليس اليوم على ما يبدو. *هذا أيضًا انتهى*.

قال داريو متناولًا حزام سيفه من على المشجب حيث علَّقه: «لستُ بالجَمال الكافي للزَّواج بي».

- «أين ستذهب؟».

- «إلى المدينة لأشرب برميلًا أو اثنين وأشاكس أحدًا. مضى وقت طويل منذ قتلتُ رجلًا. ربما عليَّ أن أسعى إلى خطيبكِ».

ألقَته داني بوسادةٍ قائلةً: «دَع هيزدار وشأنه!».

- «كما تأمر مولاتي. هل ستعقدين البلاط اليوم؟».

- «لا. غدًا سأكونُ امرأةً متزوِّجةً وهيزدار ملكًا. فليعقد هو البلاط. هؤلاء قومه».

- «بعضهم قومه وبعضهم قومكِ، أنتِ التي حرَّرتِهم».

- «هل تُؤنِّبني؟».

- «الذين تدعينهم بأطفالكِ. إنهم يُريدون أمَّهم».

- «نعم، أنت تُؤنِّبني».

- «قليلًا فقط يا ذات القلب الوضَّاء. هلَّا عقدتِ البلاط؟».

- «بعد زفافي ربما، بعد السَّلام».

- «هذا الـ«بعد» الذي تتكلَّمين عنه لا يأتي أبدًا. يَجدُر بكِ أن تعقدي البلاط. رجالي لا يُصدِّقون أنكِ حقيقيَّة، هؤلاء الذين انضمُّوا إلينا من المذروِّين. أكثرهم وُلِدَ في (وستروس)، ولديهم حكايات كثيرة عن آل تارجاريَن. يُريدون أن يروا أحدهم بأعيُنهم. الضِّفدع معه هديَّة لكِ».

سألَته مقهقهةً: «الضِّفدع؟ ومَن هذا؟».

هزَّ كتفيه مجيبًا: «فتى دورني ما، مُرافق الفارس الكبير الذي يدعونه بالمُصران الأخضر. قلتُ له أن يُعطيني الهديَّة لأسلِّمها إليكِ لكنه رفضَ».

قالت: «أوه، ضفدع ذكي. *أعطِني الهديَّة*»، وألقَته بوسادةٍ أخرى مضيفةً: «هل كنتُ لأراها أبدًا؟».

ملَّس داريو على شاربه المذهَّب قائلًا: «وهل يُمكنني أن أسرق من مليكتي الفاتنة؟ لو كانت هديَّةً تليق بكِ لوضعتها في يديكِ النَّاعمتين بنفسي».

- «كأمارةٍ على حُبِّك؟».

- «لن أردَّ على هذا، لكنني أخبرته بأنه يستطيع أن يُعطيكِ إياها بنفسه. لن تجعلي داريو نهاريس يبدو كاذبًا، أليس كذلك؟».

قالت داني عاجزةً عن الرَّفض: «كما تشاء. اجلب ضفدعك إلى البلاط غدًا، والآخَرين أيضًا، الوستروسيِّين». سيكون لطيفًا أن تسمع اللُّغة العاميَّة من أحدٍ بخلاف السير باريستان.

قال داريو: «كما تأمر مولاتي»، وانحنى بشدَّةٍ مبتسمًا ابتسامته العريضة، ثم غادرَ ومعطفه يُرَفرِف من ورائه.

جلسَت داني بين أغطية السَّرير المتجعِّدة محتضنةً رُكبتيها بذراعيها وشاعرةً ببؤسٍ حالَ دون سماعها ميسانداي حين دخلَت حاملةً الخُبز والحليب والتِّين. قالت الفتاة: «جلالة الملكة، أأنتِ بخير؟ هذه الواحدة سمعتكِ تَصرُخين ليلًا».

تناولَت داني حبَّة تين سوداء ممتلئةً ما زالَ عليها ندى الصَّباح، وتساءلَت في قرارة نفسها: *هل سيجعلني هيزدار أصرخُ؟* ردَّت: «سمعتِ الرِّيح تَصرُخ»، وأخذَت قضمةً، لكن الفاكهة فقدَت لذَّتها بعد ذهاب داريو. تنهَّدت داني ونادَت إيري تَطلُب معطفًا، ثم خرجَت إلى الشُّرفة.

أعداؤها يُحيطون بها من كلِّ جهة. لا يقلُّ عدد السُّفن الرَّاسية على السَّاحل عن دستةٍ أبدًا، وفي بعض الأيام ترى منها مئةً تُنزِل الجنود إلى اليابسة. كما أن اليونكيِّين يجلبون الأخشاب عن طريق البحر، ووراء خنادقهم يبنون المجانيق والعرَّادات والمقاذيف الطَّويلة. في اللَّيالي الهادئة تسمع داني رنين المطارق في الهواء الدَّافئ الجاف. *لكن لا أبراج حصار ولا مدكَّات.* لن يُحاوِلوا الاستيلاء على (ميرين) بالاقتحام، بل سينتظرون خلف خطوط الحصار ويرمونها بالحجارة إلى أن تذلَّ المجاعة والأمراض شعبها وتُخضِعه.

سيجتلِب لي هيزدار السَّلام، لا مناص من أن يفعل.

ليلتها شوى لها طهاتها جديًا بالتَّمر والجزر، إلَّا أن داني لم تستطِع أن تأكل ولو قضمةً. أعياها احتمال أن تخوض صراعًا آخَر مع (ميرين)، وجانبَ النَّوم مضجعها حتى عندما عادَ داريو ثملًا لدرجة أنه بالكاد استطاعَ الوقوف. تحت أغطيتها تقلَّبت وتلوَّت حالمةً بهيزدار يُقبِّلها... لكن شفتيه كانتا زرقاوين مكدومتين، ولمَّا ولجَها كان ذَكره باردًا كالجليد. اعتدلَت جالسةً بشَعرٍ منفوش وقد انعقدَت الأغطية على جسدها. قائدها نائم إلى جانبها، لكنها وحيدة. أرادَت أن تهزَّه، تُوقِظه، تجعله يحتضنها، ينكحها، يُساعِدها على النِّسيان، لكنها تعلم أنها إذا فعلَت فسيكتفي بالابتسام ويتثاءَب ويردُّ: «كان مجرَّد حُلمٍ يا مولاتي. عودي إلى النَّوم». وهكذا، بدلًا من ذلك، ارتدَت معطف نومٍ مزوَّدًا بقلنسوة وخرجَت إلى الشُّرفة ووقفَت وراء سورها تتطلَّع إلى المدينة كما فعلَت من قبل مئات المرَّات. *لن تكون مدينتي أبدًا، لن تكون وطني أبدًا.*

طلعَ ضوء الفَجر الوردي الشَّاحب عليها وهي لا تزال في الشُّرفة، نائمة على العُشب تحت دثارٍ من النَّدى، وحين أيقظَتها وصيفاتها أخبرَتهن دنيرس: «وعدتُ داريو بأن أعقد البلاط اليوم. ساعِدنني على العثور على تاجي. أوه، وبعض الثِّياب، شيء خفيف».

بعد ساعةٍ نزلَت إلى القاعة، حيث أعلنَت ميسانداي: «ليركع الجميع لدنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترِق، ملكة (ميرين)، ملكة الأندالِيِّين والروينار والبَشر الأوائل، گاليسي بحر العُشب العظيم، محطِّمة الأصفاد، وأُم التَّنانين».

انحنى لها رزناك مو رزناك، وقال متهلّل الأسارير: «كلَّ يومٍ تزدادين حُسنًا يا صاحِبة السُّمو. أظنُّ أن زفافكِ المرتقَب أضفى عليكِ وهجًا، آه يا مليكتي البهيَّة!».

تنهَّدت داني قائلةً: «استدعِ الملتمس الأول».

كان وقت طويل جدًّا قد مضى منذ عقدَت البلاط حتى إن غمرة الدَّعاوى استبدَّت بها. مؤخِّرة القاعة بنيان مرصوص من النَّاس الذين نشبَت بين بعضهم شجارات على الأسبقيَّة. لزامًا، جالازا جالار هي من تقدَّمت برأسٍ مرفوع ووجهٍ مختفٍ وراء بُرقعٍ أخضر برَّاق، وقالت: «صاحِبة الرَّونق، الأفضل أن نتحدَّث على انفراد».

ردَّت داني بعذوبة: «ليتني أملكُ الوقت. إن زفافي غدًا». لم يكن لقاؤها الأخير بذات النِّعمة الخضراء قد مضى على ما يُرام. «فيمَ ترغبين مني؟».

- «أريدُ أن أحدِّثكِ عن اجتراء قائد جماعة مرتزِقة معيَّن».

فكَّرت داني وقد اشتعلَ مرجل الغضب في أعماقها: كيف *نجرؤ على قول هذا في البلاط المفتوح؟ إنها شُجاعة، أقرُّ بهذا، لكن إذا كانت تحسب أنني سأسمحُ بتوبيخٍ آخَر فقد جانبَها الصَّواب تمامًا*. قالت: «خيانة بن پلوم البنِّي صدمَتنا جميعًا، لكن أوان تحذيركِ فاتَ. والآن أعلمُ أنكِ تُريدين العودة إلى معبدكِ لتُصلِّي من أجل السَّلام».

انحنَت ذات النِّعمة الخضراء قائلةً: «سأصلِّي من أجلكِ أيضًا».

قالت داني لنفسها والدِّماء تصعد إلى وجهها: *صفعة أخرى*.

تألَّفت البقيَّة من الملل الذي تعرفه الملكة جيِّدًا. جلسَت على وسائدها تُصغي مؤرجحةً ساقها بصبرٍ قليل، وفي منتصَف النَّهار جلبَت لها چيكوي طبقًا من التِّين ولحم الخنزير. بدَت الالتماسات بلا نهاية، ومقابل كلِّ فردين انصرَفا مبتسميْن غادرَ واحد محمرَّ العينين أو يُرغي ويُزبِد.

كان الغروب يدنو حين ظهرَ داريو نهاريس ومعه غِربان العاصفة الجُدد، الوستروسيُّون الذين تركوا المذرِّين وانضمُّوا إليه. وجدَت داني نفسها تختلس النَّظر إليهم فيما تكلَّم ملتمس آخَر وتكلَّم. هؤلاء قومي. *أنا ملكتهم الشَّرعيَّة*. يبدون ثُلَّةً وضيعةً، لكن هذا هو المتوقَّع من المرتزِقة بطبيعة الحال. أصغرهم لا يُمكن أنه يكبرها بأكثر من عام، أمَّا أكبرهم فمؤكَّد أنه شهدَ ستِّين يوم ميلادٍ على الأقل، وتلوح على بعضهم علامات الثَّروة، من حلقات الأذرُع الذَّهبيَّة إلى القمصان الحرير إلى أحزمة السُّيوف المطعَّمة بالفضَّة. *غنائم*. غالبيَّة ثيابهم تقليديَّة ويبدو عليها الاهتراء.

عندما تقدَّم بهم داريو رأت أن إحداهم امرأة شقراء كبيرة الحجم ترتدي الحلقات المعدنيَّة. دعاها القائد بميريس الحسناء، ولو أن الحُسن آخِر ما يُمكن أن تصفها به داني. تَبلُغ المرأة ستَّة أقدامٍ طولًا وكلتا أُذنيها مبتورتان، ولها أنف مشقوق وندوب عميقة على وجنتيها كلتيهما وأبرد عينين رأتهما الملكة في حياتها كلِّها. والآخَرون...

هيو هنجرفورد نحيل جاد الملامح، طويل السَّاقين وطويل الوجه، ويرتدي ثيابًا أنيقةً بهتَت ألوانها، ووِبر قصير القامة مفتول العضلات، وعلى رأسه وصدره وذراعيه وشوم عناكب. ادَّعى أورسون ستون ذو الوجه الأحمر أنه فارس، وكذا لوسيفر لونج النَّحيف، ورمقَها ويل ابن (الغابة) بشبقٍ وهو يجثو أمامها. لديك سترو عينان بزُرقة زهرة الذُّرة وشَعر أبيض كألياف الكتَّان وابتسامة مزعجة، ويختفي وجه چاك الزَّنجبيل وراء لحيةٍ بُرتقاليَّة شعثاء وينطق كلامًا غير مفهوم، وهو ما فسَّره لها هنجرفورد بقوله: «في معركته الأولى قضمَ نِصف لسانه».

بدا الدورنيُّون مختلفين، وقد قدَّمهم داريو قائلًا: «بعد إذن صاحِبة الجلالة، هؤلاء الثَّلاثة هُم المُصران الأخضر وچيرولد والضِّفدع».

المُصران الأخضر ضخم وأصلع كالحجر، ذراعاه غليظتان تُنافِسان ذراعَي بِلواس القوي، وچيرولد شاب طويل نحيل، في شَعره خطوط بلون الشَّمس وله عينان خضراوان مزرقَّتان ضاحكتان. *أراهنُ أن هذه الابتسامة ظفرَت له بقلوب فتياتٍ عدَّة*. معطفه من الصُّوف البنِّي النَّاعم المبطَّن بالحرير الرَّملي، رداء فاخر.

المُرافق المسمَّى الضِّفدع أصغر الثَّلاثة سِنًّا وأقلهم إثارةً للإعجاب. الفتى مكتنز كئيب الملامح، بنِّي الشَّعر والعينين، وجهه مربَّع وجبهته عالية وفكُّه ثقيل وأنفه عريض، والزَّغب على وجنتيه وذقنه يجعله يبدو كصبيٍّ يُحاوِل إطلاق لحيته الأولى. لم تفهم داني إطلاقًا لِمَ يدعونه بالضِّفدع. *ربما يستطيع القفز أبعد من الآخَرين*.

خاطبَتهم الملكة: «انهضوا. داريو يُخبِرني بأنكم أتيتمونا من (دورن). مرحبًا دومًا بالدورنيِّين في بلاطي. (صنسپير) ظلَّت مخلصةً لأبي حين سرقَ الغاصِب عرشه. مؤكَّد أنكم واجَهتم أخطارًا كثيرةً حتى تصلوا إليَّ».

قال السير چيرولد الوسيم: «كثيرة للغاية. كنا ستَّة حين غادَرنا (دورن) يا جلالة الملكة».

ردَّت الملكة: «آسفة لخسارتكم»، والتفتَت إلى رفيقه الكبير قائلةً: «المُصران الأخضر اسم عجيب».

- «إنها دُعابة يا صاحِبة الجلالة، من السُّفن. كانت مصاريني مقلوبةً طوال الطَّريق من (ڤولانتيس)، وظللتُ أتقيَّأ و... لا يَجدُر بي أن أقول».

قهقهَت داني، وقالت: «أظنُّ أنني أستطيعُ التَّخمين أيها الفارس. اللَّقب صحيح، أليس كذلك؟ داريو أخبرَني بأنك فارس».

- «بعد إذن صاحِبة الجلالة، ثلاثتنا فُرسان».

رمقَت داني داريو فرأت الغضب يُومِض على وجهه. *لم يكن يعرف*. «إنني محتاجة إلى فُرسان».

قال السير باريستان الذي استيقظَت شكوكه: «من السَّهل الظَّفر بالفروسيَّة بعيدًا عن (وستروس). أأنتم مستعدُّون للدِّفاع عن هذا الادِّعاء بالسَّيف والرُّمح؟».

أجابَ چيرولد: «إذا لزمَ الأمر، ولو أنني لا أدَّعي أن أحدنا صِنو لباريستان الباسل. أستميحكِ العُذر يا جلالة الملكة، لكننا جئناكِ بأسماء زائفة».

قالت داني: «عرفتُ شخصًا آخَر فعلَ هذا مرَّةً، رجلًا اسمه آرستان ذو اللِّحية البيضاء. أخبِروني بأسمائكم الحقيقيَّة إذن».

- «بكلِّ سرور... لكن إن كان لنا أن نستجدي رحابة صدر الملكة، أهناك مكان للكلام فيه أعيُن وآذان أقل؟».

ألاعيب داخل ألاعيب. «كما ترغبون. سكاهاز، أخلِ البلاط».

رفعَ الرَّأس الحليق عقيرته بالأوامر، وأدَّى الوحوش النُّحاس الباقي سائقين الوستروسيِّين الآخَرين وسائر ملتمسي اليوم من القاعة، ومكثَ مُستشاروها.

قالت داني: «والآن أسماؤكم».

انحنى چيرولد الشَّاب الوسيم قائلًا: «السير جيريس درينكووتر يا صاحِبة الجلالة. سيفي لكِ».

وعقدَ المُصران الأخضر ذراعيه على صدره، وقال: «ومطرقتي. أنا السير آرشيبولد يرونوود».

سألَت الملكة الفتى المسمَّى الضِّفدع: «وأنت أيها الفارس؟».

- «بعد إذن صاحِبة الجلالة، هل لي أن أقدِّم هديَّتي؟».

أجابَت دنيرس بحذر: «إذا أردت»، لكن إذ تقدَّم الضِّفدع قطعَ عليه داريو نهاريس الطَّريق ومدَّ يده المقفَّزة قائلًا: «أعطِني هذه الهديَّة».

بوجهٍ حجري انحنى الفتى المكتنز وحلَّ أربطة فردة حذائه وأخرجَ رَقًّا مصفرًّا من جيبٍ سرِّي بالدَّاخل.

قال داريو: «هذه هديَّتك؟ قطعة ورق؟»، واختطفَ الرَّقَّ من يد الدورني وبسطَه، ثم ضيَّق عينيه رامقًا الأختام والتَّوقيعات، وغمغمَ: «جميل جدًّا الذَّهب والشَّرائط، لكني لا أقرأ شخبطتكم الوستروسيَّة».

قال السير باريستان آمرًا: «أعطِه للملكة، فورًا».

شاعرةً بالغضب المعتمِل في القاعة قالت داني بخفَّة: «أنا مجرَّد فتاةٍ صغيرة، والفتيات الصَّغيرات يجب أن ينلن هداياهن. داريو، أرجوك، لا تُعابِثني. أعطِني إياها».

وجدَت الملكة الرَّقَّ مكتوبًا باللُّغة العاميَّة، وبسطَته ببُطءٍ متفحِّصةً الأختام والتَّوقيعات، ولمَّا رأت اسم السير ويلم داري تسارعَت نبضات قلبها بعض الشَّيء. قرأت المكتوب مرَّةً ثم أعادَت قراءته.

سألَها السير باريستان: «هل لنا أن نعلم ما تقوله الورقة يا جلالة الملكة؟».

أجابَت داني: «إنه اتِّفاق سرِّي جرى في (براڤوس) حين كنتُ طفلةً، وقَّعه نيابةً عنا السير ويلم داري، الرَّجل الذي هرَّبني وأخي من (دراجونستون) قبل أن يقبض علينا رجال الغاصِب. الأمير أوبرين مارتل وقَّع ممثِّلًا (دورن)، ووقَّع أمير بحر (براڤوس) باعتباره شاهدًا»، وناولَت الرَّقَّ للسير باريستان ليقرأه بنفسه متابعةً: «يقول إن التَّحالُف سيُبرَم بزواج. لقاء مساعدة (دورن) في الإطاحة بالغاصِب سيتَّخذ أخي ڤسيرس آريان ابنة الأمير دوران ملكةً له».

قرأ الفارس العجوز نصَّ الاتِّفاق بتؤدة، ثم قال: «لو علمَ روبرت بهذا لدمَّر (صنسپير) كما دمَّر (پايك) من قبل وقطعَ رأسَي الأمير دوران والأُفعوان الأحمر... وغالبًا رأس الأميرة الدورنيَّة أيضًا».

قالت دنيرس: «لا شكَّ أن الأمير دوران اختارَ الحفاظ على سرِّيَّة الاتِّفاق لهذا السَّبب. لو علمَ أخي ڤسيرس أن في انتظاره أميرة دورنيَّة لعبرَ البحر إلى (صنسپير) بمجرَّد بلوغه سِنَّ الزَّواج».

قال الضِّفدع: «ومن ثمّ كانت مطرقة روبرت لتهوي عليه وعلى (دورن) أيضًا، لكن أبي قنعَ بالانتظار حتى يجد الأمير ڤسيرس جيشه».

- «أبوك؟».

جثا على رُكبته قائلًا: «الأمير دوران. جلالة الملكة، يُشرِّفني أن أكون الأمير الدورني كوينتن مارتل وتابعكِ المخلص».

وضحكَت داني.

احتقنَ وجه الأمير الدورني فيما حدجَها مُستشاروها بنظرات الدَّهشة، وتساءلَ الرَّأس الحليق سكاهاز: «صاحِبة الرَّونق، لماذا تضحكين؟».

قالت: «يدعونه بالضِّفدع، والآن نعرف السَّبب. في (الممالك السَّبع) حكايات أطفال عن ضفادع تتحوّل إلى أمراء مسحورين حين تُقبِّلهم حبيبتهم الحقيقيَّة»، وابتسمَت للفُرسان الدورنيِّين وعادَت تتكلَّم العاميَّة متسائلةً: «أخبِرني أيها الأمير كوينتن، أأنت مسحور؟».

- «لا يا جلالة الملكة».

- «كما خشيت». *ليس مسحورًا ولا ساحرًا للأسف. مؤسف أنه هو الأمير وليس الآخَر عريض الكتفين رملي الشَّعر.* «لكنك أتيت راغبًا في قُبلة. تُريد أن تتزوَّجني، أليس كذلك؟ الهديَّة التي جلبتها لي هي نفسك. بدلًا من ڤسيرس وأختك فعلينا أنا وأنت إبرام الاتِّفاق إذا أردتُ (دورن)».

- «أبي أملَ أن تجدينني مقبولًا».

أطلقَ داريو ضحكةً ساخرةً، وقال: «أقولُ إنك جرو صغير. الملكة محتاجة إلى رجلٍ إلى جوارها لا إلى صبيٍّ باكٍ. أنت لا تَصلُح زوجًا لامرأةٍ مِثلها. حين تلعق شفتيك أما زلت تذوق لبن أمِّك؟».

ردَّ السير جيريس درينكووتر بصرامة: «احفظ لسانك أيها المرتزِق. إنك تُخاطِب أميرًا دورنيًّا».

قال داريو: «ومُرضعته أيضًا على ما أظنُّ»، ومسَّ مقبضَي سلاحيه بإبهاميه مبتسمًا بخطورة.

عبسَ سكاهاز عبوسه المعهود قائلًا: «قد يَصلُح الفتى لـ(دورن)، لكن (ميرين) تحتاج إلى ملكٍ من الدَّم الجيسكاري».

قال رزناك مو رزناك: «سمعتُ عن (دورن) هذه. (دورن) رمال وعقارب وجبال حمراء مقفرة تحرقها الشَّمس».

ردَّ عليه الأمير كوينتن: «(دورن) خمسون ألف حربةٍ وسيف تحت إمرة مليكتنا».

متهكِّمًا قال داريو: «خمسون ألفًا؟ عددتُ ثلاثةً فحسب».

قاطعَتهم دنيرس: «كفى! الأمير كوينتن قطعَ نِصف العالم ليُقدِّم لي هديَّته، ولا أسمحُ بمعاملته بامتهان»، والتفتَت إلى الدورنيِّين قائلةً: «ليتكم جئتم قبل عام. لقد نذرتُ نفسي للزَّواج بالنَّبيل هيزدار زو لوراك».

قال السير جيريس: «لم يَفُت أوان...».

قاطعَته دنيرس: «أنا الحَكم في هذا. رزناك، احرص على إعطاء الأمير ورفيقيه مسكنًا يليق بمقامهم العالي وتلبيه حاجاتهم».

- «كما تأمرين يا صاحِبة الرَّونق».

نهضَت الملكة قائلةً: «انتهينا الآن إذن».

تبعَها داريو والسير باريستان إلى مسكنها بالأعلى، حيث قال الفارس العجوز: «هذا يُغيِّر كلَّ شيء».

ردَّت داني وإيري تخلع تاجها: «بل لا يُغيِّر شيئًا. ما جدوى ثلاثة رجال؟».

قال سلمي: «ثلاثة فُرسان».

وعقَّب داريو بجهامة: «ثلاثة كذَّابين. لقد خدَعوني».

قالت: «واشتروك أيضًا لا ريب»، فلم يُحاوِل الإنكار.

بسطَت داني الرَّقَّ وفحصَته ثانيةً. *(براڤوس)، هذا الاتِّفاق أجرِيَ في (براڤوس)، حين كنا نقطن بالمنزل ذي الباب الأحمر.* لماذا يُشعِرها هذا بغرابةٍ بالغة؟

وجدَت نفسها تتذكَّر كابوسها. *في الأحلام حقائق أحيانًا.* أيُمكن أن هيزدار يعمل لحساب الدجَّالين؟ أهذا هو المغزى من الحُلم؟ أيُمكن أن الحُلم كان مرسلًا إليها؟ هل تُخبِرها الآلهة بأن تنبذ هيزدار وتتزوَّج هذا الأمير الدورني بدلًا منه؟ داعبَ شيء ما ذاكرتها، فتساءلَت: «سير باريستان، ما رمز عائلة مارتل؟».

- «شمس ساطعة تخترقها حربة».

ابن الشَّمس. سرَت في جسدها رعدة، وغمغمَت: «ظلال وهمسات». ماذا قالت كويث أيضًا؟ *الفَرس الشَّاحبة وابن الشَّمس.* وذكرَت *أسدًا أيضًا، وتنِّينًا. أم أنني أنا التنِّين؟* «احذري القهرمان العاطِر». هذا تَذكُره. «الأحلام والنُّبوءات. لماذا تتَّخذ دومًا صورة الأحاجي؟ كم أكرهُ هذا. أوه، اتركني أيها الفارس. إن زفافي غدًا».

ليلتها أتاها داريو بكلِّ وضعٍ يأتي به رجل امرأةً، وسلَّمت نفسها إليه طواعيةً. في المرَّة الأخيرة، فيما بدأت الشَّمس تُشرِق، استعملَت فمها لتجعله ينتصب ثانيةً كما علَّمتها دوريا منذ زمن، ثم إنها اعتلَته بضراوةٍ جعلَت جرحه ينزف من جديد، وللحظةٍ واحدة حُلوة لم تَعُد تدري إن كان هو بداخلها أم هي التي بداخله.

لكن حين أشرقَت الشَّمس صبيحة يوم زفافها نهضَ داريو يرتدي ثيابه ويتمنطَق بحزامه بامرأتيه الذَّهبيَّتين اللَّعوبيْن.

خاطبَته داني: «أين ستذهب؟ أمنعك من أن تشنَّ غارةً اليوم».

ردَّ قائدها: «مليكتي قاسية. إذا لم أقتل أعداءكِ فكيف أسلِّي نفسي في أثناء زفافكِ؟».

- «بحلول المساء لن يكون لي أعداء».

- «الفَجر طلعَ لتوِّه يا مليكتي الجميلة. اليوم طويل، وقت يكفي لغارةٍ أخيرة. سآتيكِ برأس بن پلوم البنِّي كهديَّة زفاف».

بإصرارٍ قالت داني: «لا رؤوس. فيما سبقَ كنت تأتيني بالزُّهور».

- «فليأتيكِ هيزدار بالزُّهور. صحيحٌ أنه ليس من النَّوع الذي ينحني ليقطف نبتةً، لكن عنده خدمًا يسرُّهم أن يفعلوها بدلًا منه. هل تأذنين لي في الانصراف؟».

- «لا». تُريده أن يبقى ويحتضنها. *يومًا ما سيذهب ولا يعود، يومًا ما سيرميه قوّاس ما بسهمٍ في صدره، أو ينقضُّ عليه عشرة رجال بالسُّيوف والحِراب والفؤوس، عشرة يَنشُدون البطولة* . خمسة منهم سيموتون، لكن ذلك لن يُهوِّن لوعتها. *يومًا ما سأفقده كما فقدتُ شمسي ونجومي، لكن أرجوكِ أيتها الآلهة، ليس اليوم.* قالت: «عُد وقبِّلني». لا أحد من قبل قبَّلها مِثل داريو نهاريس. «أنا ملكتك، وآمرك بأن تُضاجِعني».

قالتها مازحةً، لكن قسوةً لاحَت في عينَي داريو، وقال: «مضاجعة الملكات عمل الملوك. يستطيع نبيلكِ هيزدار أن يفعل هذا ما إن تتزوَّجا، وإذا اتَّضح أنه أرقى من أن يُؤدِّي عملًا شاقًّا كهذا فإن عنده خدمًا يسرُّهم أن يُؤدُّوه من أجله أيضًا. أو يُمكنكِ أن تدعي صبيَّكِ الدورني إلى فِراشكِ، وصديقه الوسيم أيضًا، ولِمَ لا؟». قالها وغادرَ غُرفة نومها.

سيشنُّ غارةً، وإذا قطعَ رأس بن بلوم فسيَدخُل مأدبة الزِّفاف ويُلقيه عند قدمَي. ليُنقِذني (السَّبعة). لماذا لم يُولَد أعلى مقامًا؟

بعد رحيله جلبَت ميسانداي للملكة وجبةً بسيطةً من جُبنة الماعز والزَّيتون والزَّبيب، وقالت: «صاحِبة الجلالة محتاجة إلى ما هو أكثر من النَّبيذ على الإفطار. إنكِ صغيرة الحجم للغاية، ومؤكَّد أنكِ ستحتاجين إلى طاقتكِ كلِّها اليوم».

ضحكَت داني للقول الآتي من فتاةٍ صغيرة الحجم للغاية عن نفسها. إنها تعتمد كثيرًا على المُترجمة الصَّغيرة لدرجة أنها غالبًا ما تنسى أن ميسانداي بلغَت الحادية عشرة فقط لتوِّها. تقاسَمتا الطَّعام في شُرفتها، وبينما قضمَت داني من زيتونةٍ رمقَتها الفتاة النائيّة بعينين كالذَّهب المصهور قائلةً: «لم يَفُت أوان إخبارهم بأنكِ قرَّرتِ ألَّا تتزوَّجي».

فكَّرت الملكة بأسى: *لكنه فاتَ بالفعل*. «دماء هيزدار عريقة ونبيلة، وسيضمُّ قراننا معتَقيَّ إلى قومه. حين نُصبِح واحدًا كذا ستُصبِح مدينتنا».

- «صاحِبة الجلالة لا تحبُّ النَّبيل هيزدار. هذه الواحدة تظنُّ أنكِ تُفضِّلين أن تتزوَّجي أحدًا آخَر».

يجب *ألَّا أفكِّر في داريو اليوم*. قالت داني: «على الملكة أن تحبَّ مَن يجب أن تحبَّه وليس مَن تُريد أن تحبَّه»، ثم أتبعَت وقد فقدَت شهيَّتها: «ارفعي هذا الطَّعام. حانَ وقت حمَّامي».

بعدها، فيما جفَّفت چيكوي بدن دنيرس، جاءَتها إيري بتوكارها. غبطَت داني الوصيفتين الدوثراكيَّتين على سراويلهما الفضفاضة المفصَّلة من الحرير الرَّملي وصُدرتيهما الملوَّنتين، إذ ستَشعُران بحرارةٍ أفتر كثيرًا منها في التوكار الثَّقيل المهدَّب باللآلئ الصَّغيرة. قالت: «ساعِداني على لفِّ هذا الشَّيء حول نفسي. لا أستطيعُ التَّعامُل مع كلِّ هذا اللُّؤلؤ وحدي».

تعلم أن المفترَض أن تترقَّب زفافها واللَّيلة التي ستتبعه بلهفة. تذكَّرت ليلة زفافها الأول، عندما فضَّ الكال دروجو بِكارتها تحت النُّجوم الغريبة، وتذكَّرت كم كانت خائفةً ومستثارةً. هل سيَحدُث هذا مع هيزدار أيضًا؟ *لا، فلم أعُد الفتاة التي كنتها، وهو ليس شمسي ونجومي*.

عادَت ميسانداي من داخل الهرم قائلةً: «رزناك وسكاهاز يلتمسان شَرف مصاحبة جلالتكِ إلى (معبد ذوات النِّعم). رزناك أمرَ بتجهيز هودجكِ».

نادرًا ما يركب الميرينيزيُّون الخيل داخل مدينتهم، ويُفضِّلون الهوادج والمحفَّات والكراسي المحمولة على أكتاف عبيدهم. كان أحد رجال عائلة زاك قد أخبرَها: «الخيل تُلوِّث الشَّوارع، أمَّا العبيد فلا». حرَّرت داني العبيد، لكن الهوادج والمحفَّات والكراسي المحمولة لم تزل تَخنُق الشَّوارع، وليس منها ما يطفو في الهواء بفعل السِّحر.

قالت داني: «النَّهار أشدُّ حرارةً من أن أجلس حبيسةً في هودج. قولي لهم أن يُجهِّزوا فَرسي الفضِّيَّة. لن أذهب إلى السيِّد زوجي على ظهور الحاملين».

ردَّت ميسانداي: «جلالة الملكة، هذه الواحدة آسفة، لكنكِ لا تستطيعين الرُّكوب بالتوكار».

المُترجمة الصَّغيرة محقَّة كديدنها. التوكار ليس بالثَّوب الصَّالح للرُّكوب. أبدَت داني امتعاضها على ملامحها قائلةً: «كما تقولين. لكني لن أركب الهودج وإلَّا اختنَقتُ وراء السَّتائر. اجعليهم يُجهِّزون كُرسيًّا محمولًا». إذا كان عليها أن تضع أُذنيها الرَّخوتين فلترَها الأرانب جمعاء.

حين نزلَت داني خرَّ رزناك مو رزناك على رُكبتيه قائلًا بتزلُّف: «صاحِبة العبادة ساطعة لدرجة أنها ستُعمي أيَّ رجلٍ يجرؤ على النَّظر إليها». يرتدي القهرمان توكارًا من السَّميت الأحمر المصفر المهدَّب بالذَّهب. «هيزدار زو لوراك محظوظ للغاية بكِ... وأنتِ به، إذا سمحتِ لي. هذه الزِّيجة ستُنقِذ مدينتنا، سترين».

- «هذا ما أتمنَّاه. أريدُ أن أزرع أشجار الزَّيتون وأراها تُثمِر».

هل يهمُّ أن قُبلات هيزدار لا تسرُّني؟ السَّلام سيسرُّني. أأنا ملكة ام مجرَّد امرأة؟

قال الرَّأس الحليق: «سيكون الزِّحام شديدًا كأسراب الذُّباب اليوم». يرتدي سكاهاز تنُّورةً سوداء ذات طيَّات وواقي صدرٍ مطرَّقًا بحيث يبدو كأنه مفتول العضلات، وقد وضعَ تحت إبطه خوذةً نُحاسيَّةٍ على شكل رأس أفعى.

- «هل يُفترَض أن أخشى الذُّباب؟ وحوشك النُّحاسيَّة سيحمونني من أيِّ أذى».

الوقت غسق دومًا داخل قاعدة (الهرم الأكبر)، كما تَكتُم الجُدران التي يَبلُغ سُمكها الثَّلاثين قدمًا صخب الشَّوارع وتحجب الحرارة، فوجدَت داني المكان فاترًا معتمًا. كانت مجموعتها المصاحبة تتَّخذ تشكيل الخروج عند البوَّابة. في الجُدران الغربيَّة اسطبلات الخيول والبغال والحمير، وفي الشَّرقيَّة الأفيال، تلك الدَّواب الهائلة الغريبة التي حصلَت داني على ثلاثةٍ منها مع الهرم. تُذكِّرها بماموثات رماديَّة بلا شَعر، ولو أن أنياب هذه بُتِرَت وذُهِّبَت، وأعيُنها حزينة.

وجدَت بِلواس القوي يأكل العنب، فيما شاهدَ باريستان سلمي عامل اسطبلٍ يُوثِق حزام سَرج حصانه الرَّمادي الأرقط. رأت الدورنيِّين الثَّلاثة معه يتكلَّمون، لكنهم قطعوا كلامهم لمَّا ظهرَت الملكة، وجثا الأمير على رُكبته أمامها قائلًا: «صاحِبة الجلالة، لا مفرَّ من أن أستحلفكِ. قوَّة أبي تخور، إلَّا أن ولاءه لقضيَّتكِ ما زالَ في أوج قوَّته. إذا أثارَ أسلوبي أو شخصي استياءكِ فهذا ذنبي، ولكن...».

قاطعَته دنيرس: «إذا أردت أن تسرَّني أيها الفارس فاسعد من أجلي. إنه يوم زفافي. لا شكَّ أنهم يَرقُصون الآن في المدينة الصَّفراء»، وتنهَّدت مردفةً: «انهض يا أميري وابتسم. يومًا ما سأعودُ إلى (وستروس) لأستردَّ عرش أبي، وحينها سأتطلَّعُ إلى عون (دورن). لكن في يومنا هذا يُحاصِر اليونكيُّون مدينتي بالفولاذ. قد أموتُ قبل أن أرى ممالكي السَّبع، وقد يموت هيزدار، وقد يبتلع البحر (وستروس)»، ثم لثمَته داني على خدِّه مضيفةً: «هلمَّ. حانَ وقت زفافي».

ساعدَها السير باريستان على اعتلاء كُرسيِّها المحمول، وعادَ كوينتن إلى صديقيه الدورنيَّين، وزعقَ بِلواس آمرًا بفتح البوَّابة، وحُمِلَت دنيرس تارجاريَن إلى ضوء الشَّمس في الخارج، يتحرَّك سلمي إلى جوارها على صهوة حصانه الرَّمادي الأرقط.

قالت داني إذ انعطفَ الموكب في اتِّجاه (معبد ذوات النِّعم): «أخبِرني، لو كانت لأبي وأمِّي الحرِّيَّة في اتِّباع قلبيهما فمَن كانا ليختارا للزَّواج؟».

- «كان ذلك منذ زمنٍ طويل. جلالتكِ لن تعرفي عمَّن أتكلَّمُ».

- «لكنك عرفتهم. أخبِرني».

حنى الفارس المسنُّ رأسه إذعانًا، وقال: «أمُّكِ الملكة كانت دائمة الاهتمام بواجبها». يبدو سلمي وسيمًا في درعه بلونيها الذَّهبي والفضِّي ومعطفه الأبيض المنسدل من على كتفيه، وإن تكلَّم كرجلٍ يتألَّم، كأن كلَّ كلمةٍ حصوة عليه أن يتبوَّلها. «لكن حين كانت فتاةً صغيرةً... في مرَّةٍ فُتِنَت بفارسٍ شاب من أراضي العواصف وضعَ عطيَّتها على ذراعه في دورة مباريات وأعلنَها ملكة الحُبِّ والجَمال. كانت علاقةً عابرةً».

- «وماذا حدثَ لهذا الفارس؟».

- «تخلَّى عن رُمحه يوم زُفَّت السيِّدة والدتكِ إلى أبيكِ، وبعدها تنسَّك وسُمِعَ يقول إن (العذراء) وحدها تستطيع أن تحلَّ محلَّ الملكة ريبيلا في قلبه. كان عشقه مستحيلًا بالطَّبع. الفارس مالك الأراضي ليس زوجًا صالحًا لأميرةٍ من الدِّماء الملكيَّة».

وداريو نهاريس ليس إلَّا مرتزِقًا، لا يَصلُح حتى لوضع ركابٍ ذهبي لحصان فارسٍ مالك أراضٍ. «وأبي؟ هل كانت هناك امرأة أحبَّها أكثر من ملكته؟».

اعتدلَ السير باريستان فوق سَرجه قائلًا: «لم... لم يحبَّها. قد يكون «أرادها» التَّعبير الأصلح، ولكن... كانت تلك مجرَّد نميمة مطابخ، همس الغسَّالات وعاملي الاسطبلات...».

- «أريدُ أن أعلم. لم أعرف أبي قَطُّ، وأريدُ أن أعرف كلَّ شيءٍ عنه، الخير و... البقيَّة».

قال الفارس الأبيض منتقيًا كلماته بعناية: «كما تأمرين. الأمير إيرس... في شبابه انجذبَ إلى ليدي معيَّنة من (كاسترلي روك)، ابنة عمٍّ تايوين لانستر. يوم زفافها إلى تايوين أفرطَ أبوكِ في شُرب النَّبيذ خلال المأدبة وسُمِعَ يقول إنه من المؤسف للغاية أن حقَّ اللورد في اللَّيلة الأولى لم يَعُد ساريًا. كانت دُعابةً من جرَّاء السُّكر لا أكثر، لكن تايوين لانستر لم يكن بالرَّجل الذي ينسى كلماتٍ كهذه، أو الـ... الكُلفة التي رفعَها أبوكِ خلال مراسم الإضْجاع»، وأضافَ سلمي وقد احمرَّ وجهه: «قلتُ أكثر من اللَّازم يا جلالة الملكة. إنني...».

- «مرحبًا أيتها الملكة الكريمة!». كان موكب آخَر قد لحقَ بموكبها، ورأت هيزدار زو لوراك يبتسم لها من فوق كُرسيِّه المحمول. ملكي. تساءلَت داني أين داريو الآن وماذا يفعل. *لو كانت هذه قصَّةً لهرولَ إلى المعبد في اللَّحظة المناسبة ليتحدَّى هيزدار من أجل يدي.*

جنبًا إلى جنبٍ مضى موكبا الملكة وهيزدار زو لوراك ببُطءٍ عبر (ميرين) إلى أن لاحَ (معبد ذوات النِّعم) أمامهما أخيرًا بقبابه البرَّاقة في ضوء الشَّمس. حاولَت الملكة أن تقول لنفسها: يبدو *رائع الجَمال،* لكن بنتًا صغيرةً حمقاء في داخلها لم تستطِع أن تمنع نفسها من التَّلفُّت بحثًا عن داريو، وبتصميمٍ قالت لها هذه البنت: *لو أحبَّكِ لأتى يختطفكِ بحدِّ السَّيف كما اختطفَ ريجار تلك الفتاة الشَّماليَّة،* غير أن الملكة تعرف أنها حماقة. حتى إذا كان قائدها بالجنون الكافي للإقدام على شيءٍ كهذا فسيَقتُله رجال الوحوش النُّحاس قبل أن يدنو منها مئة ياردة.

انتظرَت جالازا جالار العريس والعروس خارج أبواب المعبد محاطةً بأخواتها مرتديات الأبيض والوردي والأحمر والأزرق والذَّهبي والأرجواني. عددهن *أقل مما كان.* جاسَت داني بعينيها بينهن بحثًا عن إزارا ولم تجدها. *هل أخذَها الإسهال الدَّموي بدورها؟* على الرغم من أن الملكة تركَت الأستاپوريِّين يموتون جوعًا خارج أسوارها للحيولة دون انتشار الإسهال الدَّموي في المدينة فإنه ما زالَ ينتشر. كثيرون أصابَهم الدَّاء؛ معتَقون ومرتزِقة ووحوش نُحاسيَّة، وحتى بعض الدوثراكي، ولو أنه لم يمسَّ أحدًا من المُطهَّرين حتى الآن. تأمل داني أن الأسوأ انقضى.

جلبَت ذوات النِّعم مقعدًا من العاج ووعاءً من الذَّهب، وبأناقةٍ أمسكَت دنيرس تارجاريَن توكارها لئلا تتعثَّر في أهدابه وجلسَت على وسادة المقعد القطيفة، وأمامها ركعَ هيزدار زو لوراكْ وخلعَ صندلها وغسلَ قدميها فيما غنَّى خمسون من المخصيِّين وشاهدَت عشرة آلاف عين. قالت لنفسها متأمِّلةٍ والزُّيوت العطرة الدَّافئة تسيل بين أصابع قدميها: *يداه رقيقتان. إذا كان قلبه رقيقًا أيضًا فقد أغرمُ به مع الوقت*.

عندما نظفَت قدماها جفَّفهما هيزدار بمنشفةٍ ناعمة وعادَ يعقد أربطة صندلها وساعدَها على القيام، وبيدين متعانقتين تبعا ذات النِّعمة الخضراء إلى داخل المعبد، حيث يُعبِّق البخور الهواء وتقف آلهة (جيس) متَّشحةً بالظِّلال في تجاويفها.

وبعد ساعاتٍ أربع خرجا ثانيةً زوجًا وزوجةً، مربوطين معًا من المعصم والكاحل بسلاسل من الذَّهب الأصفر.

حطَّت الملكة سيليس على (القلعة السَّوداء) مصطحبةً ابنتها ومهرِّج ابنتها وخادماتها ورفيقاتها وحاشيةً من الفُرسان والحُرَّاس الشَّخصيِّين وخمسين جُنديًا. علمَ چون سنو من فوره أنهم من رجال الملكة جميعًا. *يُرافِقون سيليس، لكن مخدومتهم ميليساندرا*. كانت الرَّاهبة الحمراء قد نبَّهته إلى مجيئهم قبل يومٍ تقريبًا من وصول الغُداف من (القلعة الشَّرقيَّة) بالرِّسالة نفسها.

قابلَ طُغمة الملكة عند الاسطبلات وفي صُحبته ساتان وباون مارش ونِصف دستةٍ من الحَرس في معاطف سوداء طويلة، فلم يكن ليَصلُح أبدًا أن يقف دون حاشيته الخاصَّة أمام هذه الملكة إذا صدقَ نِصف ما يُقال عنها، فلربما كانت لتحسبه عامل اسطبلٍ وتُناوِله زمام حصانها.

كانت الثُّلوج قد تجاوزَتهم إلى الجنوب أخيرًا مانحةً إياهم مُهلةً من الرَّاحة، بل وحملَ الهواء نزرًا يسيرًا من الدِّفء إذ جثا چون سنو أمام هذه الملكة الجنوبيَّة قائلًا: «(القلعة السَّوداء) تُرحِّب بكِ وبمن معكِ يا صاحِبة الجلالة».

نظرَت إليه الملكة سيليس من أعلى مجيبةً: «أشكرك. من فضلك اصحبني إلى قائدك».

- «إخوتي اختاروني لهذا الشَّرف. أنا چون سنو».

- «أنت؟ قالوا إنك صغير، لكن...». للملكة سيليس وجه ممصوص شاحب، وتضع على رأسها تاجًا من الذَّهب الأحمر تتَّخذ أطرافه شكل ألسنة اللَّهب، توأم التَّاج الذي يعتمره ستانيس. «... يُمكنك أن تنهض أيها اللورد سنو. هذه ابنتي شيرين».

قال چون للفتاة حانيًا رأسه: «سموُّ الأميرة». شيرين طفلة دميمة قبَّحها أكثر الدَّاء الأرمد الذي تركَ عُنقها وجزءًا من وجنتها متيبِّسيْن رماديَّيْن مشقَّقيْن. «أنا وإخوتي في خدمتكِ».

تورَّد وجه شيرين، وقالت: «أشكرك يا سيِّدي».

واصلَت الملكة: «أعتقدُ أنك تعرف قريبي السير آكسل فلورنت؟».

- «عن طريق الغِدفان فقط». *والتَّقارير*. احتوَت الرَّسائل التي تلقَّاها من (القلعة الشَّرقيَّة) على أشياء كثيرة قيلَت عن آكسل فلورنت، وقليل منها للغاية جيِّد. «سير آكسل».

- «لورد سنو». فلورنت رجل ممتلئ قصير السَّاقين ثخين الصَّدر، يُغطِّي الشَّعر الخشن وجنتيه ولُغده ويَبرُز من أُذنيه ومنخريه.

تابعَت الملكة: «فُرساني الأوفياء. السير ناربرت، السير بنيثون، السير بروس، السير پاتريك، السير دوردن، السير ميلجورن، السير لامبرت، السير پركين». انحنى كلٌّ من الفُرسان بدوره، أمَّا المهرِّج فلم تُجشِّم الملكة نفسها عناء تقديمه، لكن أجراس الأبقار المعلَّقة من قُبَّعته ذات القرون، علاوةً على الوشوم على وجنتيه المنتفختين، جعلَت إغفاله صعبًا. *ذو الوجه المرقَّع*. ذكرَته رسائل كوتر پايك أيضًا، وقال پايك إنه أبله.

ثم إن الملكة أشارَت إلى عضوٍ آخَر لافت للانتباه في حاشيتها، رجل طويل رفيع كالعصا، تُزيده طولًا قُبَّعة غريبة ثُلاثيَّة الصُّفوف من المخمل الأرجواني. «وهذا هو المحترم تايكو نستوريس، مفوَّض مصرف (براڤوس) الحديدي الذي أتى يتعامَل مع صاحِب الجلالة الملك ستانيس».

خلعَ الصَّيرفي قُبَّعته وانحنى بحركةٍ مسرحيَّة قائلًا: «حضرة القائد، أشكرك وإخوانك على كرم ضيافتكم». يتكلَّم اللُّغة العاميَّة بطلاقةٍ تشوبها لُكنة خفيفة للغاية. يفوق البراقوسي چون طولًا بنِصف قدم، وله لحية رفيعة كالحبل نابتة من ذقنه وتنسدِل حتى خصره تقريبًا، وثوبه أرجواني داكن موشًّى بفرو القاقوم، وتصنع ياقة طويلة جامدة إطارًا لوجهه الضيِّق. «آملُ ألَّا نُثقِل عليكم كثيرًا».

- «إطلاقًا يا سيِّدي. أهلًا بك ومرحبًا». *أكثر من هذه الملكة في الواقع*. كان كوتر پايك قد أرسلَ إليهم غُدافًا يُنبِّههم إلى قدوم الصَّيرفي أيضًا، ومنذ ذلك الحين لم يُفكِّر چون سنو في شيءٍ آخَر تقريبًا.

عادَ چون يلتفت إلى الملكة، وقال: «لقد جهَّزنا المسكن الملكي في (بُرج الملك) لإقامة جلالتكِ طيلة الفترة التي تشائينها. هذا هو قيِّم وُكلائنا باون مارش، سيجد مساكن لرجالكِ».

- «لُطف منكم أن تُفسِحوا لنا مكانًا». تكلَّمت الملكة بكياسةٍ لا بأس بها، لكن نبرتها قالت: *ليس هذا أكثر من واجبكم، وخيرٌ لكم أن يُرضيني هذا المسكن*. «لن نبقى معكم طويلًا، بضعة أيام على الأكثر. نيَّتنا أن نُواصِل الطَّريق إلى مقرِّنا الجديد في (قلعة اللَّيل) بمجرَّد أن نستريح. الرِّحلة من (القلعة الشَّرقيَّة) كانت متعِبةً».

- «كما تقولين يا جلالة الملكة. مؤكَّد أنكم بردانون وجائعون. ثمَّة وجبة ساخنة تنتظركم في قاعتنا العامَّة».

قالت الملكة: «عظيم»، وجاسَت بنظرها في السَّاحة مضيفةً: «لكن أولًا نُريد أن نتشاوَر مع الليدي مليساندرا».

- «بالتَّأكيد يا جلالة الملكة. مسكنها أيضًا في (بُرج الملك). تفضَّلي، من هنا».

أومأت الملكة سيليس برأسها وأخذَت ابنتها من يدها وسمحَت له بأن يقودهما من الاسطبلات، وتبعَهم السير آكسل والصَّيرفي البراقوسي والبقيَّة كأفراخ بطٍّ صغيرة ترتدي الصُّوف والفرو.

قال چون سنو: «صاحِبة الجلالة، لقد بذلَ بنَّاؤونا كلَّ ما بوسعهم لتجهيز (قلعة اللَّيل) لاستقبالكِ... لكن معظمها ما زالَ أطلالًا. إنها قلعة قديمة، الأكبر على (الجِدار)، ولم نتمكَّن إلَّا من ترميم جزءٍ منها. قد تكونين أكثر راحةً في (القلعة الشَّرقيَّة)».

تنشَّقت الملكة سيليس، وقالت: «لن نرجع إلى (القلعة الشَّرقيَّة). لم نحبَّ المكان هناك. المفترَض أن تكون الملكة الآمرة النَّاهية تحت سقفها. وجدنا أخاك كوتر پايك رجلًا سمجًا فظًّا، رجلًا مشاكسًا بخيلًا».

حريٌّ بكِ أن تسمعي ما يقوله كوتر عنكِ. «آسفٌ لهذا، لكنني أخشى أن الأوضاع في (قلعة اللَّيل) لن تُعجِب صاحِبة الجلالة أكثر. إننا نتكلَّم عن قلعةٍ لا قصر، مكان موحش بارد، في حين أن (القلعة الشَّرقيَّة)...».

قاطعَته الملكة: «(القلعة الشَّرقيَّة) ليست آمنةً!»، ووضعَت يدها على كتف ابنتها مضيفةً: «هذه هي وريثة الملك الشَّرعيَّة. يومًا ما سترتقي شيرين العرش الحديدي وتَحكُم (الممالك السَّبع). لا بُدَّ من حمايتها من الأذى، و(القلعة الشَّرقيَّة) هي النُّقطة التي سيقع عليها العُدوان. (قلعة اللَّيل) المكان الذي اختاره زوجي مقرًّا لنا، وهناك سنَسكُن. إننا... **أوه!**».

قاطعَها الظِّلُّ الهائل الذي خرجَ من وراء هيكل (بُرج القائد). صرخَت الأميرة شيرين، وشهقَ ثلاثة من فُرسان الملكة في آنٍ واحد، وصاحَ آخَر: «ليُنقِذنا (السَّبعة)!»، ناسيًا ربَّه الأحمر الجديد من الصَّدمة.

أخبرَهم چون: «لا تخافوا. إنه لا يُؤذي أحدًا يا جلالة الملكة. هذا وَن وَن».

قعقعَ صوت العملاق كجُلمودٍ ينهار على جانب جبل: «وَن وِج وَن دار وَن»، وجثا على رُكبته أمامهم، وإن ظلَّ مرتفعًا فوقهم حتى وهو راكع. «أركعُ ملكة. صغيرة ملكة». كلمات لقَّنه ليذرز إياها لا ريب.

اتَّسعت عينا الأميرة شيرين عن آخِرهما، وقالت: «إنه عملاق! عملاق حقيقي كما في القِصص. لماذا يتكلَّم بغرابة؟».

أجابَها چون: «لم يتعلَّم إلَّا كلماتٍ قليلة من العاميَّة حتى الآن. في أراضيهم يتكلَّم العمالقة اللُّغة القديمة».

- «هل يُمكنني أن ألمسه؟».

قالت أمُّها: «يُستحسَن ألَّا تفعلي. انظري إليه، إنه مخلوق قذر»، والتفتَت الملكة بوجهها العابس إلى چون متسائلةً: «لورد سنو، ما الذي يفعله هذا المخلوق الوحشي على جانبنا من (الجِدار)؟».

- «وَن وَن ضيف حَرس اللَّيل، مِثلكِ».

لم يَرُق الجواب الملكة ولا فُرسانها. كشَّر السير آكسل اشمئزازًا، وأصدرَ السير بروس ضحكةً عصبيَّةً مكتومةً، وقال السير ناربرت: «قيلَ لي إن العمالقة انقرضوا جميعًا».

- «جميعهم تقريبًا». وبكَّتهم إيجريت.

جرَّ ذو الوجه المرقَّع قدميه على الأرض في حركةٍ راقصة عجيبة قائلًا: «في الظُّلمات يَرقُص الموتى. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه». في (القلعة الشَّرقيَّة) خاطَ له أحدهم معطف مهرِّجين من فرو القنادس والأرانب وصوف الخراف، ومن قرون قُبَّعته تتدلَّى الأجراس وقطعتان طويلتان من فرو السَّناجب تُغطِّيان أُذنيه. كلُّ خُطوةٍ يأخذها تجعله يُجَلجِل.

حملقَ إليه وَن وَن بافتتان، لكن حين مدَّ العملاق يده إليه وثبَ المهرِّج متراجعًا، وصاحَ: «أوه، لا! أوه، لا! أوه، لا!»، وهو ما جعلَ وَن وَن يهبُّ واقفًا. أمسكَت الملكة شيرين وسحبَتها إلى الوراء، ومدَّ فُرسانها أيديهم إلى سيوفهم، ودارَ ذو الوجه المرقَّع مذعورًا وفقدَ توازُنه وسقطَ على وجهه في كومة ثلج.

بدأ وَن وَن يضحك، وإن ضحكَ عملاق بدا زئير التنِّين بالمقارنة كالهمسة. غطَّى ذو الوجه المرقَّع أُذنيه، ودفنَت الأميرة شيرين وجهها في معطف أمِّها، فيما تقدَّم أجرأ فُرسان الملكة مجرِّدًا فولاذه، لكن چون رفعَ ذراعه يسدُّ طريقه قائلًا: «لست تُريد إغضابه، صدِّقني. أغمِد سيفك أيها الفارس. ليذرز، خُذ وَن وَن إلى (بُرج هاردين)».

سألَ العملاق: «يأكل الآن وَن وَن؟».

أجابَه چون: «يأكل الآن»، وقال لليذرز: «سأرسلُ إليه سلَّةً من الخضراوات وإليك لحمًا. أشعِل نارًا».

قال ليذرز بابتسامةٍ واسعة: «سأفعلُ يا سيِّدي، لكن (بُرج هاردين) شديد البرودة. هلَّا أرسلَ سيِّدي القليل من النَّبيذ لنتدفَّأ؟».

- «لك أنت. هو لا». لم يَذُق وَن وَن النَّبيذ قَطُّ حتى وصلَ إلى (القلعة السَّوداء)، لكن ما إن ذاقَه راقَه لدرجةٍ مهولة. *لدرجةٍ لا تُطاق.* على كاهل چون الآن هموم تكفي دون أن يُضيف إليها عملاقًا سكِّيرًا. عادَ يلتفت إلى فُرسان الملكة قائلًا: «اعتادَ السيِّد والدي أن يقول إنه لا يَجدُر بالرَّجل أن يستلَّ سيفه إلَّا بنيَّة استخدامه».

- «كان استخدامه نيَّتي». للفارس وجه حليق لوَّحته الرِّيح، وتحت معطفٍ من الفرو الأبيض يرتدي سُترةً طويلةً من قُماش الفضَّة مزيَّنة بنجمةٍ خُماسيَّة زرقاء. «تصوَّرتُ أن حَرس اللَّيل يُدافِعون عن البلاد ضد هذه الوحوش، لكن أحدًا لم يَذكُر أنكم تحتفظون بها كحيواناتٍ أليفة».

أحمق جنوبي لعين آخَر. «أنت...؟».

- «السير پاتريك ابن (جبل الملك)، بعد إذن سيِّدي».

- «لا أدري كيف تُراعون حقَّ الضِّيافة على جبلكم أيها الفارس، لكنه مقدَّس عندنا في الشَّمال. وَن وَن ضيف هنا».

ابتسمَ السير پاتريك متسائلًا: «أخبِرني أيها القائد، إذا جاءَ (الآخَرون) فهل تنوي إعطاءهم حقَّ الضِّيافة أيضًا؟»، والتفتَ إلى ملكته قائلًا: «جلالة الملكة، ها هو ذا (بُرج الملك) هناك إن لم أكن مخطئًا. هل تسمحين لي بشَرف اصطحابكِ؟».

أجابَت الملكة: «كما ترغب»، وتأبَّطت ذراعه وغادرَت متجاوزةً رجال حَرس اللَّيل دون نظرةٍ أخرى.

ألسنة اللَّهب تلك في تاجها أدفأ ما فيها. نادى چون: «لورد تايكو، لحظة من فضلك».

توقَّف البراڤوسي قائلًا: «لستُ لورد، بل مجرَّد خادمٍ بسيط لمصرف (براڤوس) الحديدي».

- «كوتر پايك أخبرَني بأنك وصلت إلى (القلعة الشَّرقيَّة) بثلاث سُفن، ڤاليون وڤادس وكوج».

- «بالضَّبط يا سيِّدي. من شأن عبور البحر أن يكون خطرًا في هذا الفصل. قد تغرق سفينة واحدة، لكن ثلاثًا معًا يستطعن إعانة بعضهن بعضًا. (المصرف الحديدي) يتوخَّى الاحتراس دومًا في تلك المسائل».

- «هل لنا أن نتكلَّم على انفراد قبل أن ترحل؟».

- «أنا في خدمتك أيها القائد. وفي (براڤوس) نقول إن لا وقت أصلح من الحاضر. هل يُناسِبك هذا؟».

- «يُناسِبني تمامًا. هل نذهب إلى غُرفتي الشَّمسيَّة أم أنك ترغب في رؤية قمَّة (الجِدار)؟».

رفع الصَّيرفي ناظريْه إلى أعلى حيث يرتفع الجليد شاهقًا شاحبًا تحت السَّماء، وقال: «أخشى أن البرودة قارسة على القمَّة».

- «والرِّيح شديدة أيضًا. المرء يتعلَّم أن يمشي بعيدًا عن الحافة. حدثَ أن أطاحَت الرِّيح برجالٍ من أعلى. غير أن (الجِدار) لا يُشبِه شيئًا آخَر على وجه البسيطة، وقد لا تنال فُرصةً أخرى لرؤيته».

- «لا شكَّ أنني سأندمُ على حذري وأنا في فِراش الموت، لكن بعد يومٍ طويل من الرُّكوب أجدني أفضِّلُ غُرفةً دافئةً».

- «غُرفتي الشَّمسيَّة إذن. ساتان، نبيذ متبَّل إذا سمحت».

مسكن چون وراء مستودَع السِّلاح هادئ كفايةً، وإن لم يكن دافئًا بشكلٍ خاص. كانت النَّار قد همدَت منذ فترةٍ وقد أهملَها ساتان الذي لا يُواظِب على إذكائها مِثل إد الكئيب. حيَّاهما غُداف مورمونت صارخًا: «*ذُرة!*»، وعلَّق چون معطفه سائلًا الصَّيرفي: «جئتَ للقاء ستانيس، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيِّدي. الملكة سيليس اقترحَت أن نُرسِل غُدافًا إلى (ربوة الغابة) لإخبار جلالته بأنني أنتظرُ حضوره إلى (قلعة اللَّيل). المسألة التي أنوي طرحها عليه أدق من أن نأتمن عليها الرَّسائل».

- «دَين». *وماذا يُمكن أن يكون غير هذا؟* «دَينه أم دَين أخيه؟».

ضغطَ الصَّيرفي أصابعه معًا مجيبًا: «لا يحقُّ لي أن أناقش مديونيَّة اللورد ستانيس من عدمها. بالنِّسبة إلى الملك روبرت... كان من دواعي سرورنا حقًّا أن نُعين جلالته في حاجته. وقت أن كان روبرت حيًّا مضى كلُّ شيءٍ على ما يُرام، لكن الآن كفَّ العرش الحديدي عن سداد القروض».

أيُعقَل أن آل لانستر بهذه الحماقة فعلًا؟ «إنكم لن تُحمِّلوا ستانيس مسؤوليَّة ديون أخيه، أليس كذلك؟».

أعلنَ تايكو: «الدُّيون ديون العرش الحديدي، وعلى الجالس على ذلك الكُرسي أيًّا كان أن يُسدِّدها، وما دامَ الملك تومن ومُستشاروه يُعامِلوننا بهذا التَّعنُّت فإننا ننوي طرح المسألة على الملك ستانيس، فإذا أثبتَ أنه أجدر بثقتنا فسيسرُّنا للغاية بالطَّبع أن نمدَّه بما يحتاج إليه من عون».

صرخَ الغُداف: «*عون، عون، عون، عون!*».

جزء كبير من هذا استنتجَه چون بالفعل لحظة أن علمَ أن (المصرف الحديدي) أرسلَ مندوبًا إلى (الجِدار). «آخِر ما سمعناه أن جلالة الملك يزحف على (وينترفل) لمواجهة اللورد بولتون وحُلفائه. يُمكنك أن تسعى إليه هناك إذا أردت، ولو أن الرِّحلة تنطوي على مخاطرة. قد تجد نفسك في قلب حربه».

حنى تايكو رأسه قائلًا: «مَن يخدمون (المصرف الحديدي) مِثلنا اعتادوا مواجهة الموت كخدم العرش الحديدي مِثلكم».

أهذا ما أخدمه؟ لم يَعُد چون سنو متأكِّدًا. «يُمكنني أن أزوِّدك بخيولٍ ومؤن وأدلَّة، أيًّا كان ما يلزمك لبلوغ (ربوة الغابة)، ومن هناك عليك أن تجد طريقك إلى ستانيس». *ووارد أن تجد رأسه على خازوق.* «لكن هناك ثَمنًا».

صرخَ غُداف مورمونت: «*ثَمنًا، ثَمنًا، ثَمنًا!*».

ابتسمَ البراقوسي قائلًا: «هناك ثَمن دومًا، أليس كذلك؟ ما الذي يَطلُبه حَرس اللَّيل؟».

- «سُفنك كبداية، بأطقُمها».
- «الثَّلاث كلُّها؟ وكيف أعودُ إلى (براقوس)؟».
- «أريدها في رحلةٍ واحدة فقط».
- «أفترضُ أنها رحلة خطرة. قلت كبداية؟».
- «نحتاج إلى قرضٍ أيضًا، ما يكفي لإطعامنا حتى الرَّبيع، لشراء الطَّعام واستئجار سُفنٍ تنقله إلينا».

ردَّد تايكو: «الرَّبيع؟»، ثم تنهَّد وأضافَ: «غير ممكن يا سيِّدي».

ماذا قال له ستانيس ذات مرَّة؟ *تُساوِم كحيزبون تبيع الأسماك يا لورد سنو. هل أنجبَك اللورد إدارد من بائعة سَمك؟* ربما كان محقًّا.

استغرَقا ما يَقرُب من ساعةٍ حتى صارَ المُحال ممكنًا، وساعةً أخرى حتى اتَّفقا على الشُّروط. ساعدَهما إبريق النَّبيذ المتبَّل الذي أحضرَه ساتان على تسوية النِّقاط الشَّائكة، وحين وقَّع چون سنو الوثيقة التي خطَّها البراقوسي كان كلاهما شِبه سكران ولا يَشعُر بالرِّضا على الإطلاق، وهو ما عدَّه چون علامةً جيِّدةً.

سترفع السُّفن البراقوسيَّة قوام الأسطول الرَّاسي عند (القلعة الشَّرقيَّة) إلى إحدى عشرة سفينةً، بما فيها سفينة صيد الحيتان الإيبنيزيَّة التي صادرَها كوتر پايك بأمر چون، وقادس تجاري من (پنتوس) ساقَته إليهم الأجواء، وثلاث سُفن حربيَّة لايسينيَّة في حالةٍ مزرية، من بقايا أسطول سالادور سان السَّابق التي دفعَتها عواصف الخريف إلى الشَّمال من جديد. كانت سُفن سان الثَّلاث في حاجةٍ ماسَّة إلى تجديد، ولكن يُفترَض أن العمل عليها انتهى بالفعل.

إحدى عشرة سفينةً عدد لا يكفي، لكن إذا انتظرَ أكثر فسيكون الأحرار في (هاردهوم) قد ماتوا بالفعل حين يصل أسطول النَّجدة. *نُبحِر الآن أو لا نُبحِر على الإطلاق*. هذا إن كان اليأس قد استبدَّ بالأُم خُلد وقومها لدرجة ائتمان حَرس اللَّيل على حياتهم...

كان النَّهار قد أظلمَ لدى خروجه مع تايكو نستوريس من الغُرفة الشَّمسيَّة، وبدأ الثَّلج يَسقُط. أحكمَ چون شدَّ معطفه على جسده قائلًا: «يبدو أن مُهلة الرَّاحة كانت وجيزةً».

- «الشِّتاء يقترب. يوم غادرتُ (براقوس) كان هناك جليد على سطوح القنوات».

- «ثلاثة من رجالي مرُّوا من (براڤوس) قبل مُدَّةٍ قصيرة، مِايستر عجوز ومطرب ووكيل شاب. كانوا يصحبون فتاةً همجيَّةً وطفلها إلى (البلدة القديمة). لا أظنُّ أنك قابلتهم؟».

- «أخشى أنني لم أفعل يا سيِّدي. الوستروسيُّون يمرُّون من (براڤوس) كلَّ يوم، لكن أكثرهم يأتي ويذهب من (ميناء راجمان). سُفن (المصرف الحديدي) ترسو في (الميناء الأرجواني). أستطيعُ أن أتقصَّى عنهم بعد عودتي إذا أردت».

- «لا داعي. المفترَض أن يكونوا آمنين في (البلدة القديمة الآن».

- «لنأمل هذا. (البحر الضيِّق) خطر في هذا الوقت من العام، وثمَّة تقارير مزعجة في الفترة الأخيرة عن سُفنٍ غريبة في المياه بين جُزر (الأعتاب)».

- «سالادور سان؟».

- «القُرصان اللايسيني؟ بعضهم يقول إنه عادَ إلى وكره القديم، هذا صحيح. وأسطول اللورد ردواين مبحر عبر (الذِّراع المكسورة) أيضًا. لا شكَّ أنه في طريق العودة إلى الدِّيار. لكن هؤلاء الرِّجال وسُفنهم معروفون لنا. لا، تلك السُّفن الأخرى... إنها من مكانٍ أبعد في الشَّرق غالبًا... سمعنا كلامًا غريبًا عن التَّنانين».

- «ليت عندنا واحدًا هنا. كان تنِّين ليُدفِّئنا بعض الشَّيء».

- «سيِّدي يمزح، لكن سامِحني إذا لم أضحك. نحن معشر البراڤوسيِّين ننحدر ممَّن فرُّوا من (ڤاليريا) وغضبة سادة التَّنانين. التَّنانين ليست مزحةً عندنا».

نعم، أظنُّ هذا. «تقبَّل اعتذاري أيها اللورد تايكو».

- «لا داعي للاعتذار يا حضرة القائد. والآن أجدُ نفسي جوعانَ. إقراض هذا القدر الكبير من الذَّهب يفتح شهيَّة المرء. هلَّا دللتني على قاعة طعامكم؟».

أشارَ چون قائلًا: «سآخذك بنفسي. من هنا».

ما إن وصلا وجدَ چون أن من عدم اللِّياقة ألَّا يأكل مع الصَّيرفي، فأرسلَ ساتان يجلب لهما بعض الطَّعام. كلُّ من كانوا نائمين أو ليس عليهم واجبات تقريبًا خرجوا لمرأى الوافدين الجُدد، فازدحمَ القبو وشاعَ في أنحائه الدِّفء. كانت الملكة غائبةً، وكذا ابنتها، ويُفترَض أنهما مستقرَّتان الآن في (بُرج الملك)، لكن السير بروس والسير ميلجورن حاضران، يُسلِّيان الإخوة المجتمعين بآخِر الأنباء من (القلعة الشَّرقيَّة) ومن وراء البحر، كما جلسَت ثلاث من رفيقات الملكة معًا في صُحبة خادماتهن ودستة من المعجبين من رجال حَرس اللَّيل.

قُرب الباب انقضَّ يد الملكة على زوجين من الدُّيوك ممتصًّا اللَّحم عن العظم ومزدردًا كلَّ قضمةٍ بالمِزر. عندما لمحَ چون سنو ألقى آكسل فلورنت عظمةً جانبًا ومسحَ فمه بظَهر كفِّه ومشى الهُوينى في اتِّجاهه. للرَّجل مظهر هزلي بساقيه المقوَّستين وصدره الثَّخين وأُذنيه البارزتين، لكن چون أعقل من أن يضحك منه، ففلورنت عمُّ الملكة سيليس، ومن أوائل من تبعوها في اعتناق ديانة إله مليساندرا الأحمر. *إن لم يكن قاتِل أقربين فإنه قاب قوسين أو أدنى من هذا.* كان المِايستر إيمون قد أخبرَه بأن مليساندرا أحرقَت أخا آكسل فلورنت، لكنه لم يُحرِّك ساكنًا ليمنعها. *ما الرَّجل الذي يقف ويتفرَّج وأخوه يحترق حيًّا؟*

قال السير آكسل: «نستوريس وحضرة القائد، هل تسمحان بانضمامي إليكما؟»، واتَّخذ مكانًا على الدِّكَّة قبل أن يردَّا، وتابعَ: «لورد سنو، إذا سمحت لي بالسُّؤال... الأميرة الهمجيَّة التي كتبَ عنها جلالة الملك ستانيس... أين هي يا سيِّدي؟».

تَبعُد فراسخ وفراسخ عن هنا. إن شاءَت الآلهة فقد عثرَت على نورموند بليَّة العماليق بالفعل. «قال هي الأخت الصُّغرى لدالا التي كانت زوجة مانس رايدر وأمَّ ابنه. الملك ستانيس أسرَ ڤال والصَّغير بعد موت دالا في فِراش الولادة، لكنها ليست أميرةً، ليس كما تفهم».

هزَّ السير آكسل كتفيه، وقال: «أيًّا كانت، في (القلعة الشَّرقيَّة) زعمَ الرِّجال أنها حسناء. أريدُ أن أرى بنفسي. بعض تلك النِّساء الهمجيَّات... على الرَّجل أن يقلبهن على بطونهن ليُؤدِّي واجب الزَّوجيَّة. بعد إذن حضرة القائد، اجلبها، دَعنا نُلقي نظرةً».

- «إنها ليست حصانًا معروضًا للفحص أيها الفارس».

ابتسمَ السير آكسل مِلء شدقيه قائلًا: «أعدُك بألَّا أحصي أسنانها. أوه، لا تخف، سأعاملها بالكياسة التي تليق بها».

إنه يعلم أنها ليست هنا. في أيِّ قريةٍ لا تُوجَد أسرار، وفي (القلعة السَّوداء) كذلك. لا أحد يتكلَّم عن غياب ڤال جهرًا، لكن بعض الرِّجال يعلم، والإخوة يتكلَّمون في القاعة العامَّة ليلًا. *ماذا سمعَ؟ وكم منه يُصدِّق؟* «سامِحني أيها الفارس، لكن ڤال لن تنضمَّ إلينا».

- «سأذهبُ إليها. أين تحتفظ بها؟».

بعيدًا عنك. «في مكانٍ آمن. كفى أيها الفارس».

احتقنَ وجه فلورنت، وقال ورائحة المِزر والبصل تُصاحِب أنفاسه: «سيِّدي، هل نسيت مَن أنا؟ هل عليَّ أن أكلِّم الملكة؟ كلمة واحدة من جلالتها وسآتي بالهمجيَّة عاريةً إلى القاعة لنطَّلع عليها».

ستكون حيلةً متقنةً، حتى بالنِّسبة إلى ملكة. «الملكة لن تُثقِل على كرم ضيافتنا أبدًا». قالها چون آملًا أن يكون هذا صحيحًا، ثم أردفَ: «والآن أخشى أن عليَّ الاستئذان قبل أن أنسى واجباتي كمضيف. لورد تايكو، بعد إذنك».

قال الصَّيرفي: «نعم، بالطَّبع، سُرِرتُ بك».

كان الثَّلج ينهمر بكثافةٍ أكبر في الخارج، وعبر السَّاحة تحوَّل (بُرج الملك) إلى ظلٍّ جسيم، وقد حجبَت الثُّلوج المتساقطة الأضواء في نوافذه.

في غُرفته وجدَ چون غُداف الدُّب العجوز جاثمًا على ظَهر المقعد المصنوع من خشب السَّنديان والجِلد وراء المنضدة. بمجرَّد أن دخلَ بدأ الطَّائر يَصرُخ طالبًا الطَّعام، فأخذَ چون حفنةً من الحبوب المجفَّفة من الكيس عند الباب ونثرَها على الأرض، ثم جلسَ على المقعد.

تركَ تايكو نستوريس نُسخةً من اتِّفاقهما، وأعادَ چون قراءتها ثلاثًا مفكِّرًا: *كان الأمر بسيطًا، أبسط مما أملتُ، أبسط مما ينبغي*.

أشعرَه هذا بالقلق. سيُتيح المال البراڤوسي لحَرس اللَّيل شراء الطَّعام من الجنوب حينما تُنذِر مؤنهم بالنَّفاد، طعام يكفيهم خلال الشِّتاء مهما طالَ. قال لنفسه يُذكِّرها: *الشِّتاء القاسي الطَّويل سيَترُك حَرس اللَّيل في حُفرةٍ من الدُّيون لن نَخرُج منها أبدًا، لكن إذا كان الخيار بين الدَّين أو الموت فخيرٌ لك أن نستدين*.

ليس ضروريًّا أن يُعجِبه الأمر على كلِّ حال، ولن يُعجِبه أكثر عندما يأتي الرَّبيع ويحين وقت ردِّ كلِّ هذا الذَّهب. أعطاه تايكو نستوريس انطباع الرَّجل المتحضِّر الدَّمث، لكن لمصرف (براقوس) الحديدي سُمعةً مخيفةً حين يتعلَّق الأمر بتسديد الدُّيون. لكلٍّ من المُدن الحُرَّة التِّسع مصرفها الخاص، وفي بعضها أكثر من واحد، وتتشاجَر تلك المصارف جميعًا على كلِّ قطعة نقدٍ شجار الكلاب على عظمة، لكن (المصرف الحديدي) أثرى وأقوى من الأخرى كلِّها مجتمعةً. عندما يتخلَّف الأمراء عن الدَّفع للمصارف الأدنى شأنًا يبيع الصَّيرفيُّون المفلسون زوجاتهم وأبناءهم للنخَّاسين ويقطعون شرايينهم، وعندما يُهمِل الأمراء الدَّفع لـ(المصرف الحديدي) يَنبُت أمراء آخَرون من العدم ويأخذون عروشهم. *وهو ما قد يتعلَّمه تومن الممتلئ المسكين قريبًا*. لا شكَّ أن عند آل لانستر سببًا وجيهًا لرفض سداد ديون الملك روبرت، لكنها حماقة رغم ذلك. إذا لم يتعنَّت ستانيس في قبول شروطهم فسيُعطيه البراقوسيُّون كلَّ ما يحتاج إليه من ذهبٍ وفضَّة، مالًا يكفي لاستئجار دستةٍ من جماعات المرتزِقة، لرشوة مئة لورد، لدفع أجور رجاله وإطعامهم وإلباسهم وتسليحهم. *ما لم يكن ستانيس ميتًا أسفل أسوار (وينترفل) فلعلَّه ظفرَ بالعرش الحديدي بالفعل*. تساءلَ إن كانت مليساندرا قد رأت ذلك في نيرانها.

أسندَ چون ظَهره وتثاءبَ وتمطَّى. غدًا سيُحرِّر الأوامر إلى كوتر پايك. *إحدى عشرة سفينةً إلى (هاردهوم)*. *عُد بأكبر عددٍ ممكن*. *النِّساء والأطفال أولًا*. حانَ وقت الإبحار. *هل عليَّ أن اذهب بنفسي أم أترك الأمر لكوتر؟* الدُّب العجوز قادَ حملةً بنفسه. *ولم يرجع*.

أسبلَ چون جفنيه لحظةً فقط...

... ثم استيقظَ متيبِّس الأوصال كلوحٍ من الخشب. كان غُداف الدُّب العجوز يُتَمتِم: «*سنو، سنو!*»، ومولي يهزُّه قائلًا: «سيِّدي، حضورك مطلوب. معذرةً يا سيِّدي. لقد وجدوا فتاةً».

اعتدلَ چون جالسًا وفركَ عينيه من النَّوم متسائلًا: «فتاة؟ ڤال؟ هل عادَت ڤال؟».

- «ليست ڤال يا سيِّدي. كانت على هذا الجانب من (الجِدار)».

شدَّ چون قامته مفكِّرًا: *آريا*. مؤكَّد أنها هي.

صرخَ الغُداف: «*فتاة، فتاة، فتاة!*».

- «صادفَها تاي ودانل على بُعد فرسخين جنوب (بلدة المناجذ). كانا يُطارِدان مجموعةً من الهَمج هربَت على (طريق الملوك). عادا بهم أيضًا، لكنهما وجدا الفتاة بعدها. إنها نبيلة يا سيِّدي، وتسأل عنك».

سألَ مولي: «كم معها؟»، وذهبَ إلى الحوض ورشَّ وجهه بالماء. كم هو متعَب بحقِّ الآلهة.

- «لا أحد يا سيِّدي. جاءَت وحدها. كان حصانها يُحتضَر تحتها، كان جِلدًا على ضلوع، يعرج وغارقًا بالرَّغوة. تاي ودانل أطلقا سراحه وأخذا الفتاة للاستجواب».

فتاة رماديَّة على حصانٍ مائت. يبدو أن نار مليساندرا لم تكذب، لكن ماذا حدثَ لمانس رايدر والزَّوجات الحِراب؟ «أين الفتاة الآن؟».

- «مسكن المِايستر إيمون القديم يا سيِّدي». هكذا ما زالَ رجال (القلعة السَّوداء) يسمُّون المكان، وإن كان يُفترَض أن المِايستر الشَّيخ آمن دافئ في (البلدة القديمة) الآن بالفعل.

«كانت الفتاة مزرقَّةً من البرد وترتجف بعُنف، فأرادَ تاي أن يُلقي كلايداس عليها نظرةً».

- «عظيم». شعرَ جون كأنه في الخامسة عشرة من جديد. *أختي الصَّغيرة*. نهضَ وارتدى معطفه.

كان الثَّلج مستمرًّا في السُّقوط حين قطعَ السَّاحة مع مولي، وقد بدأ فَجر ذهبي يَبزُغ في الشَّرق، لكن وراء نافذة الليدي مليساندرا في (بُرج الملك) ما زالَ وهج أحمر يتذبذَب. *ألا تنام أبدًا؟ أيُّ لُعبةٍ تلعبين أيتها الرَّاهبة؟ هل عندكِ مهمَّة أخرى لمانس؟*

يُريد أن يُصدِّق أنها آريا، يُريد أن يرى وجهها ثانيةً، أن يبتسم لها وينفش شَعرها ويقول لها إنها في أمان. *لكنها لن تكون في أمان. (وينترفل) احترقَت وانكسرَت ولم تَعُد هنالك أمكنة آمنة*.

لا يستطيع إبقاءها هنا معه، فـ(الجِدار) ليس مكانًا لامرأة، ناهيك بفتاةٍ كريمة المحتد. كما أنه لن يُسلِّمها إلى ستانيس أو مليساندرا، إذ سيُريد الملك فقط أن يُزوِّجها أحد رجاله، هورپ أو ماسي أو جودري قاتِل العمالقة، والآلهة وحدها تعلم ما قد تُريد المرأة الحمراء أن تفعله بها.

أفضل حلٍّ يراه أن يُرسِلها إلى (القلعة الشَّرقيَّة) ويسأل كوتر پايك أن يضعها على سفينةٍ متَّجهة إلى مكانٍ ما عبر البحر بعيدًا عن متناول أولئك الملوك المتصارعين، لكن على ذلك أن ينتظر عودة السُّفن من (هاردهوم) بالطَّبع. *يُمكنها أن تعود إلى (براقوس) مع تايكو نستوريس، وقد يُمكن أن يُساعِد (المصرف الحديدي) على إيجاد عائلةٍ نبيلة ترعاها*. على أن (براقوس) أقرب المُدن الحُرَّة... وهو ما يجعلها أحسن الخيارات وأسوأها. قد تكون *(لورات) أو (ميناء إيبن) أكثر أمنًا*. أينما أرسلَها ستحتاج آريا إلى فضَّةٍ تُنفِق منها وسقفٍ فوق رأسها وأحدٍ يحميها. إنها مجرَّد طفلةٍ صغيرة.

وجدا مسكن المِايستر إيمون القديم دافئًا للغاية، حتى إن سحابة البُخار المباغتة التي استقبلَتهما لمَّا فتحَ مولي الباب أعمَتهما. بالدَّاخل نار مشتعلة في المستوقَد وحطب يُطَقطِق. خطا چون فوق كومةٍ من الثِّياب الرَّطبة، وسمعَ الغِدفان تُنادي من أعلى: «*سنو، سنو، سنو!*». كانت الفتاة متكوِّرةً على نفسها قُرب النَّار، ملتفَّةً بمعطفٍ أسود أكبر منها ثلاث مرَّات وغائبةً في سُباتٍ عميق.

بينها وبين آريا شبه جعلَه يتردَّد، ولكن لحظةً فقط. الفتاة فارعة ناحلة في ريعان الصِّبا، طويلة السَّاقين بارزة المِرفقين، شَعرها البنِّي معقوص في ضفيرةٍ كثيفة ومربوط بشرائط من الجِلد، ولها وجه طويل وذقن مدبَّب وأُذنان صغيرتان.

لكنها أكبر من آريا، أكبر كثيرًا. *الفتاة في سِنِّي تقريبًا*. سألَ چون مولي: «هل أكلَت؟».

نهضَ كلايداس قائلًا: «أكلَت الخُبز والمرق فقط يا سيِّدي. الأفضل إطعامها ببُطءٍ كما اعتادَ المِايستر إيمون القول. لم تكن لتستطيع ابتلاع أكثر من هذا».

أومأَ مولي برأسه، وقال: «دانل أكلَ إصبعًا من سجق هوب وعرضَ عليها قضمةً، لكنها لم تمسَّه».

لا يلومها چون على هذا. سجق هوب مصنوع من الدُّهن والملح وأشياء أخرى لا يُطيق التَّفكير فيها. «ربما علينا أن نَترُكها تستريح».

لحظتها اعتدلَت الفتاة ضامَّةً المعطف إلى ثدييها الصَّغيرين الشَّاحبين وقد بدا عليها الارتباك، وغمغمَت: «أين...».

- «(القلعة السَّوداء) يا سيِّدتي».

اغرورقَت عيناها بالدُّموع، وقالت: «(الجِدار)، أنا هنا».

دنا كلايداس منها متسائلًا: «كم عُمركِ أيتها الصَّغيرة المسكينة؟».

أجابَت: «ستَّة عشر عامًا يوم ميلادي المقبل. ولستُ صغيرةً، بل امرأة بالغة مزهرة»، وتثاءبَت وغطَّت فمها بالمعطف الذي تَبرُز رُكبة عارية من طيَّاته، ثم قالت: «لست تضع سلسلةً. أأنت مِايستر؟».

- «لا، لكنني خدمتُ واحدًا».

فكَّر چون: *تُشبِه آريا قليلًا حقًّا. جائعة ومهزولة، لكن لها لون الشَّعر نفسه، ولون العينين*. «قيلَ لي إنكِ تسألين عني. أنا...».

- «... چون سنو». ألقَت الفتاة ضفيرتها وراء ظَهرها، وقالت: «بين عائلتي وعائلتك أواصر دمٍ وشَرف. اسمعني يا قريبي. عمِّي كريجان في أعقابي. يجب ألَّا تسمح له بأن يُعيدني إلى (كارهولد)».

كان چون يُحدِّق إليها. *أعرفُ هذه الفتاة*. في عينيها شيء ما، وفي طريقتها المعتدَّة وأسلوب كلامها. للحظةٍ راوغَته الذِّكرى، ثم اقتنصَها. «آليس كارستارك».

رسمَ هذا شبح ابتسامةٍ على شفتيها، وقالت: «لم أكن واثقةً بأنك ستتذكَّر. آخِر مرَّةٍ رأيتك كنتُ في السَّادسة».

- «أتيتِ إلى (وينترفل) مع أبيكِ». *الأب الذي قطعَ روب رأسه*. «لا أذكرُ السَّبب».

قالت وقد تورَّد وجهها: «لأقابل أخاك. أوه، كان هناك مبرِّر آخَر، لكن هذا هو السَّبب الحقيقي. كنتُ في مِثل سِنِّ روب تقريبًا وفكَّر أبي أن يُزوِّجني به. أقيمَت مأدبة ورقصتُ معك ومع أخيك. كان في غاية الكياسة وقال إن رقصي جميل، وكنت أنت متجهِّمًا. قال أبي إن هذا هو المتوقَّع من نغل».

- «أذكرُ هذا». نِصف كذبةٍ لا أكثر.

قالت الفتاة: «ما زلت متجهِّمًا قليلًا، لكنني سأغفرُ لك هذا إذا أنقذتني من عمِّي».

- «عمُّكِ... تعنين اللورد آرنولف؟».

ردَّت آليس بازدراء: «ليس لورد. أخي هاري هو سيِّد (كارهولد) الشَّرعي، وأنا وريثته بالقانون. الابنة تسبق العم. العمُّ آرنولف أمين القلعة فقط. إنه عمِّي الكبير في الحقيقة، أي أنه عمُّ أبي، وكريجان ابنه. أظنُّ أن هذا يجعله ابن عمومة، لكننا دعوناه دومًا بالعمِّ. والآن يُريدونني أن أدعوه بزوجي»، وكوَّرت قبضتها متابعةً: «قبل الحرب كنتُ مخطوبةً لدارن هورنوود. كنا ننتظر إزهاري حتى نتزوَّج، لكن قاتِل الملك فتكَ بدارن في (الغابة الهامسة). كتبَ أبي قائلًا إنه سيجد أحدًا من لوردات الجنوب يتزوَّجني، لكنه لم يفعل. أخوك روب قطعَ رأسه لأجل قتله أفرادًا من آل لانستر»، والتوى فمها إذ أضافَت: «حسبتُ أن السَّبب الوحيد لزحفهم جنوبًا أن يَقتُلوا بعضًا من آل لانستر».

- «الأمر... لم يكن بهذه البساطة. اللورد كارستارك قتلَ سجينيْن يا سيِّدتي. كانا صبيَّين أعزليْن، مُرافقيْن في زنزانة».

لم تبدُ على الفتاة دهشة، وقالت: «لم يعتَد أبي الجعجعة مِثل چون الكبير قَطُّ، لكنه لم يكن أقل خطورةً حين يغضب. هو أيضًا ماتَ، وكذا أخوك، لكن أنا وأنت ما زلنا هنا على قيد الحياة. هل بيننا ثأر أيها اللورد سنو؟».

- «حين يرتدي الرَّجل أسود حَرس اللَّيل يَترُك عداواته وراءه. ليست بين حَرس اللَّيل و(كارهولد) خصومة، ولا بينهم وبينكِ».

- «عظيم. كنتُ خائفةً... توسَّلتُ إلى أبي أن يُعيِّن أحد إخوتي أمينًا للقلعة، لكن أحدًا منهم لم يُرِد أن يفوته الظَّفر بالمجد والغنائم في الجنوب، وهكذا ماتَ تور وإد، وآخِر ما سمعناه عن هاري أنه سجين في (بِركة العذارى)، لكن ذلك كان منذ سنةٍ تقريبًا. ربما ماتَ أيضًا. لم أعرف أين أذهبُ إلَّا لآخِر أبناء إدارد ستارك».

- «ولِمَ لم تذهبي إلى الملك؟ (كارهولد) أعلنَت تأييدها ستانيس».

- «بل إن عمِّي هو من أعلنَ تأييده ستانيس على أمل أن يستفزَّ هذا آل لانستر فيَقتُلوا هاري المسكين. إذا ماتَ أخي فمن المفترَض أن تنتقل (كارهولد) إليَّ، لكن عمَّي يُريدان حقِّي لنفسيهما. ما إن أنجب طفلًا لكريجان فلن يعود محتاجًا إليَّ. لقد دفنَ زوجتين بالفعل»، وكما كانت آريا لتفعل مسحَت آليس دموعها بغضب، وأضافَت: «هل ستُساعِدني؟».

- «الزَّواج والإرث مسائل تخصُّ الملك يا سيِّدتي. سأكتبُ لستانيس نيابةً عنك، ولكن...».

ضحكَت آليس كارستارك، لكنها ضحكة يأس، وقالت: «اكتُب، لكن لا تتوقَّع ردًّا. ستانيس سيموت قبل أن تَبلُغه رسالتك. سيحرص عمِّي على هذا».

- «ماذا تعنين؟».

قالت آليس: «آرنولف يهرع إلى (وينترفل)، هذا صحيح، لكن فقط ليغرس خنجره في ظَهر ملكك. لقد أرسى عطاءه على رووس بولتون منذ زمن... من أجل الذَّهب ووعدٍ بالعفو ورأس هاري المسكين. اللورد ستانيس في طريقه إلى مذبحة، أي أنه لا يستطيع أن يُساعِدني، ولن يُساعِدني إذا استطاعَ»، وركعَت أمام چون قابضةً على المعطف الأسود، وأتبعَت: «أنت أملي الوحيد أيها اللورد سنو. باسم أبيك أتوسَّلُ إليك أن تحميني».

تُضيء لياليها النُّجوم البعيدة وبريق نور القمر على الثَّلج، لكن كلَّما طلعَ الفَجر استيقظَت في ظلام.

فتحَت عينيها وحدَّقت بلا بصرٍ إلى الأسود المحيط بها، وقد بدأ حُلمها يتلاشى بالفعل. *كم كان جميلًا*. لعقَت شفتيها متذكِّرةً ثُغاء الخراف والرُّعب في عينَي الرَّاعي، والصَّوت الذي أصدرَته الكلاب إذ قتلَتها واحدًا تلو الآخَر، وزماجر قطيعها. أمسَت الفرائس أندر منذ بدأت الثُّلوج تَسقُط، لكنهم التهموا وليمةً ليلة البارحة، لحم حملان وكلاب وخراف ولحمًا بَشريًّا. بعض أولاد عمومتها الشُّهب الصِّغار يخشون البَشر، حتى البَشر الموتى، أمَّا هي فلا تخشاهم. اللَّحم هو اللَّحم، والبَشر فرائس، وإنها ذئبة اللَّيل.

لكن حين تَحلُم فقط.

انقلبَت الفتاة العمياء على جانبها، ثم اعتدلَت جالسةً وهبَّت واقفةً وتمطَّت. سريرها حشيَّة من الخِرق على رفٍّ من الحجر البارد، ودائمًا تستيقظ متيبِّسة العضلات مشدودتها. بصمت الظِّلال ذهبَت إلى الحوض على قدمين صغيرتين حافيتين متكلِّستين، ورشَّت وجهها بالماء الفاتر ثم جفَّفته مردِّدةً في قرارة نفسها: *السير جريجور، دانسن، راف المعسول، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي*. صلاتها الصَّباحيَّة. أم أنها ليست كذلك؟ نعم، *ليست صلاتي. أنا لا أحد. تلك صلاة ذئبة اللَّيل. يومًا ما ستجدهم وتُطارِدهم وتشمُّ خوفهم وتتذوَّق دماءهم، يومًا ما*.

وجدَت ثيابها الدَّاخليَّة مكوَّمةً وتشمَّمتها لتتأكَّد من أنها تَصلُح للارتداء، ثم ارتدَتها في ظُلمتها. وجدَت ثوب الخدم حيث علَّقته، سُترةً طويلةً من الصُّوف الخشن غير المصبوغ، ونفضَتها ثم أنزلَتها على بدنها من فوق رأسها بحركةٍ متمرِّسة واحدة. أخيرًا وضعَت جوربها، فردةً سوداء وفردةً بيضاء. في الفردة السَّوداء خياطة من أعلى، ولا خياطة في البيضاء، وهكذا تستطيع التَّمييز بينهما باللَّمس والتَّأكُّد من وضع كلٍّ واحدةٍ على السَّاق السَّليمة. على الرغم من نحولها تتمتَّع بساقين قويَّتين مرنتين تزدادان طولًا كلَّ يوم.

وهو ما يسرُّها، فراقص المياه يتطلَّب ساقين سليمتين. ليست بِث العمياء راقصة مياه، لكنها لن تبقى بِث إلى الأبد.

تعرف الطَّريق إلى المطابخ، غير أن أنفها كان ليقودها إلى هناك حتى لو لم تكن تعرفه. قطعَت الرُّواق متشمِّمةً، وفكَّرت: *فلفل حار وسمك مقلي وخُبز طازج من فُرن أوما*. قرقرَ بطنها من الرَّوائح. ذئبة اللَّيل أكلَت وليمةً، لكن طعامها لا يملأ بطن الفتاة العمياء التي تعلَّمت مبكِّرًا أن لحم الأحلام لا يُغذِّيها.

أفطرَت على السَّردين المقلي في زيت الفلفل، وكان ساخنًا لدرجة أنه لسعَ أصابعها، ثم غمَّست الزَّيت المتبقِّي بقطعةٍ من الخُبز قطعَتها من طرف رغيف أوما الصَّباحي، وشربَت مع طعامها كوبًا من النَّبيذ المخفَّف بالماء. تشرَّبت المذاقات والرَّوائح، وملمس قشرة الخُبز الخشن تحت أصابعها، ونعومة سيلان الزَّيت، ولسعة الفلفل الحار لمَّا لمسَ الخدش الذي لم يندمل بالكامل بعدُ على ظَهر كفِّها. قالت لنفسها تُذكِّرها: *اسمعي، تشمَّمي، تذوَّقي، تلمَّسي. الطَّرائق عديدة لمعرفة العالم عند مَن لا يرون*.

دخلَ أحدهم المطبخ من ورائها، يتحرَّك بهدوء الفئران منتعلًا خُفَّين طريَّين. اتَّسعت طاقتا أنفها. *الرَّجل الطيِّب*. للرِّجال روائح مختلفة عن النِّساء، وفي الهواء نفحة من البُرتقال أيضًا. الكاهن مغرم بمضع قشر البُرتقال لتعطير أنفاسه، وهو ما يفعله متى استطاعَ الحصول عليه.

سمعَته يسأل إذ اتَّخذ مقعده على رأس المائدة: «ومَن أنتِ هذا الصَّباح؟»، وسمعَت *طَق طَق*، ثم صوت شيءٍ يتشقَّق بخفوت. *يكسر بيضته الأولى*.

أجابَت: «لا أحد».

- «كاذبة. إنني أعرفكِ. أنتِ الشحَّاذة العمياء».

- «بِث». سبقَ لها أن عرفَت فتاةً اسمها بِث في (وينترفل) حينما كانت آريا ستارك، وربما لهذا السَّبب اختارَت الاسم، أو ربما لأنه يَصلُح جدًّا اسمًا لفتاةٍ عمياء.

قال الرَّجل الطيِّب: «أيتها الصَّغيرة المسكينة، هل تُريدين استعادة عينيكِ؟ سَلي وسترين».

يُلقي عليها السُّؤال عينه كلَّ صباح. أجابَته: «قد أريدهما غدًا، لكن ليس اليوم». ملامحها مياه ساكنة، تُخفي كلَّ شيءٍ ولا تبوح بشيء.

- «كما ترغبين». سمعَته يُقشِّر البيضة، ثم رنينًا فضِّيًّا خافتًا إذ التقطَ ملعقة الملح، فهو يحبُّ البيض مملَّحًا جيِّدًا. سألَها: «أين ذهبَت فتاتي العمياء المسكينة تتسوَّل ليلة أمس؟».

- «(خان ثُعبان الماء الأخضر)».

- «وما الأشياء الثَّلاثة الجديدة التي تعلَّمتِها ولم تكوني تعلمينها لمَّا تركتِنا؟».

- «ما زالَ أمير البحر مريضًا».

- «ليس شيئًا جديدًا. أمير البحر كان مريضًا أمس وسيكون مريضًا غدًا».

- «أو ميتًا».

- «حين يموت سيكون شيئًا جديدًا».

حين يموت *سيُقيمون انتخابًا وتَخرُج الخناجر من أغمدتها*. إنه طبع الأمور في (براقوس). في (وستروس) يخلف الملك الميت أكبر أبنائه، لكن البراقوسيِّين لا يَحكُمهم ملوك. «سيُصبِح تورمو فريجار أمير البحر الجديد».

- «أهذا ما يقولونه في (ثُعبان الماء الأخضر)؟».

- «نعم».

أخذَ الرَّجل الطيِّب قضمةً من بيضته، وسمعَته الفتاة يَمضُغ. لا يتكلَّم بفمٍ مليء أبدًا، وهكذا ابتلعَ أولًا قبل أن يقول: «يقول بعضهم إن في النَّبيذ حكمةً. هؤلاء حمقى. لا شكَّ أن الألسنة تُردِّد أسماءً مختلفةً في الخانات الأخرى»، وأخذَ قضمةً أخرى من البيضة ومضغَها وابتلعَها، ثم سألَها: «ما الأشياء الثَّلاثة الجديدة التي تعلمينها ولم تكوني تعلمينها من قبل؟».

- «أعلمُ أن بعضهم يؤكِّد أن تورمو فريجار سيُصبِح أمير البحر الجديد، بعض السَّكارى».

- «أفضل. وماذا تعلمين أيضًا؟».

همَّت بقول: *الثَّلج يَسقُط على أراضي النَّهر في (وستروس)*، لكنه كان ليسأل كيف علمَت هذا، وليست تظنُّ أن إجابتها ستروقه. مضغَت شفتها مستعيدةً ليلة البارحة في ذاكرتها، ثم أجابَت: «العاهرة سقرون حُبلى. ليست متأكِّدةً من الأب، لكنها تحسب أنه ربما المرتزِق التايروشي الذي قتلَته».

- «جيِّد أن نعلم هذا. وماذا أيضًا؟».

- «ملكة البحار اختارَت عروس بحرٍ جديدةً بدلًا من التي غرقَت، ابنة خادمةٍ عند عائلة پرستاين، في الثَّالثة عشرة ومفلسة لكنها جميلة».

قال الكاهن: «كلُّهن كذلك في البداية، لكن لا يُمكنكِ أن تعلمي أنها جميلة ما لم تكوني رأيتِها بعينيكِ، وأنتِ بلا عينين. مَن أنتِ أيتها الصَّغيرة؟».

- «لا أحد».

- «أرى أمامي بِث الشحَّاذة العمياء. إنها خائبة في الكذب. عليكِ بواجباتكِ. ڤالار مورجولِس».

ردَّت: «ڤالار دوهايرِس»، وجمعَت طبقها وكوبها وسكِّينها وملعقتها ونهضَت. آخِر شيءٍ تناولَته عصاها. طولها خمسة أقدام، رفيعة ومرنة وسميكة كإبهامها، ويُغلِّف قمَّتها الجِلد بطول قدمٍ كامل. كانت اللَّقيطة قد أخبرَتها: *أفضل من عينيكِ ما إن تتعلَّمي كيف تستخدمينها*.

وهذه كذبة. كثيرًا ما يكذبون عليها لاختبارها. لا عصا أفضل من العينين إطلاقًا، لكن من المفيد أن تحتفظ بها، وهكذا تُبقيها على مقربةٍ دومًا. بدأت أوما تدعو الفتاة بالعصا، لكن الأسماء لا تهمُّ. إنها هي. *لا أحد، أنا لا أحد، مجرَّد فتاةٍ عمياء، مجرَّد خادمةٍ ذي الوجوه العديدة*.

كلَّ ليلةٍ على العَشاء تأتيها اللَّقيطة بكوبٍ من الحليب وتقول لها أن تشربه. للمشروب طعم مُر غريب سرعان ما كرهَته الفتاة العمياء، وسرعان ما جعلَتها الرَّائحة الخفيفة التي تُنذِرها بكنهه قبل أن يمسَّ لسانها ترغب في القيء، لكنها تُفرِغ الكوب كاملًا في جوفها رغم ذلك.

تسأل: «كم عليَّ أن أبقى عمياء؟».

وتُجيب اللَّقيطة: «إلى أن يُصبِح الظَّلام عندكِ بحلاوة النُّور، أو إلى أن تَطلُبي منا عينيكِ. سَلي وسترين».

ثم تصرفونني. العمى أفضل. لن يُجبِروها على الاستسلام.

يوم استيقظَت عمياء أخذَتها اللَّقيطة من يدها وقادَتها عبر أقبية وأنفاق الصَّخرة المشيَّدة عليها (دار الأبيض والأسود)، وصعدَت بها السَّلالم الحجريَّة إلى المعبد نفسه، وأخبرَتها: «عدِّي الدَّرجات التي تصعدينها وتحسَّسي الحائط بأصابعكِ. ثمَّة علامات عليه، خفيَّة عن العين وواضحة للَّمسة».

كان هذا درسها الأول، وقد تعلَّمت غيره الكثير.

الأصيل مخصَّص للسُّموم والعقاقير. في هذا تُساعِدها حواسُّ الشَّمِّ واللَّمس والتَّذوُّق، ولو أن من شأن اللَّمس والتَّذوُّق أن يكونا خطريْن عند طحن المواد السَّامَّة، كما أن بعض خلطات اللَّقيطة الأشد سُمِّيَّةً تجعل الشَّمَّ غير مأمون كذلك. صارَت الحروق في أُنملتَي خنصريها والقروح في شفتيها مألوفةً، وفي مرَّةٍ أصابَت نفسها بغثيانٍ جعلَها لا تستطيع الاحتفاظ بطعامٍ في معدتها أيامًا.

العَشاء مخصَّص لدروس اللُّغات. تفهم الفتاة العمياء البراقوسيَّة وتتحدَّثها بشكلٍ مقبول، بل وفقدَت معظم لُكنتها البربريَّة كذلك، لكن الرَّجل الطيِّب لم يقنع بعدُ، وأصرَّ على أن تُحسِّن ڤاليريَّتها الفُصحى وتتعلَّم لُغتَي (لِيس) و(پنتوس) أيضًا.

في المساء تلعب لُعبة الأكاذيب مع اللَّقيطة، لكن اللُّعبة مختلفة بشدَّةٍ من دون عينين ترى بهما. أحيانًا لا يُرشِدها إلَّا النَّبرة وانتقاء الكلمات، وفي أحيانٍ أخرى تسمح لها اللَّقيطة بوضع يديها على وجهها. في البدء كانت اللُّعبة أصعب كثيرًا جدًّا، أقرب إلى المستحيل... لكن حين أصبحَت الفتاة على شفا الصُّراخ سخطًا صارَت اللُّعبة أسهل للغاية، وتعلَّمت أن تسمع الكذب وتَشعُر به في لعب العضلات حول الفم والعينين.

لم يتغيَّر كثير من واجباتها الأخرى، ولكن في أثناء أدائها إياها تتعثَّر في الأثاث وترتطم بالجُدران وتضلُّ طريقها داخل المعبد دون أملٍ في إيجاد سبيلٍ للخروج، وذات مرَّةٍ كادَت تَسقُط على وجهها على السَّلالم، لكن سيريو فورل علَّمها التَّوازُن في حياةٍ أخرى وقت أن كانت الفتاة المسمَّاة آريا، وبوسيلةٍ ما استعادَت توازُنها وضبطَت نفسها في الوقت المناسب.

كانت لتبكي حتى النَّوم في بعض اللَّيالي لو أنها لم تزل آري أو بنت عرس أو كات، أو حتى آريا سليلة عائلة ستارك... لكن لا أحد لا تبكي. دون بصرٍ صارَ أبسط المهام خطرًا. مرارًا لسعَت نفسها وهي تُساعِد أوما في المطابخ، وفي مرَّةٍ قطعَت إصبعها حتى العظم وهي تَفرُم البصل، ومرَّتين لم تستطِع العثور على غُرفتها في القبو ونامَت مضطرَّةً على الأرض عند قاعدة السَّلالم. كلُّ أركان المعبد المنعزلة وتجاويفه جعلَت الحركة فيه خدَّاعةً، حتى بعد أن تعلَّمت الفتاة العمياء استخدام أُذنيها. بينما تمشي تتردَّد خُطوات قدميها على السَّقف، ويرتفع صداها حول سيقان تماثيل الآلهة الحجريَّة الطَّويلة الثَّلاثين جاعلًا الجُدران نفسها كأنها تتحرَّك، علاوةً على أن بِركة المياه السَّوداء السَّاكنة تفعل أشياء غريبةً بالصَّوت أيضًا.

أخبرَها الرَّجل الطيِّب: «إن لديك خمس حواس. تعلَّمي استخدام الأربع الأخرى وستقلُّ جروحكِ وخدوشكِ وقروحكِ».

الآن تَشعُر بتيَّارات الهواء على جِلدها، وتستطيع العثور على المطابخ عن طريق رائحتها، وتُميِّز الرِّجال عن النِّساء بالرَّائحة، وتُفرِّق بين أوما والخدم والمُعاونين بوقع خُطواتهم، وتستطيع التَّفرقة بين كلٍّ منهم قبل أن يدنو بما فيه الكفاية وتشمَّه (باستثناء اللَّقيطة والرَّجل الطيِّب اللذين لا يُصدِران صوتًا تقريبًا إلَّا إذا أرادا). للشُّموع المشتعلة في المعبد روائح أيضًا، وحتى غير المعطَّر منها تبعث ذُبالته خيوط دُخانٍ خفيفةً. كأن الشُّموع تصيح معلنةً رائحتها، كما اكتشفَت ما إن تعلَّمت استخدام أنفها.

وللموتى أيضًا رائحتهم. أحد واجباتها أن تجدهم في المعبد كلَّ صباحٍ أينما اختاروا أن يستلقوا ويُغلِقوا أعيُنهم بعد الشُّرب من البِركة.

هذا الصَّباح وجدَت اثنين.

ماتَ الرَّجل عند قدمَي (الغريب)، فوقه شمعة وحيدة مشعَلة شعرَت بحرارتها وداعبَت رائحتها أنفها، فعلمَت أنها تحترق بلهبٍ أحمر داكن، وأن الجثَّة ستبدو غارقةً في وهجٍ محمر للمبصرين. قبل استدعاء الخادميْن لحمل الرَّجل ركعَت وتحسَّست وجهه متتبِّعةً خطَّ فكِّه ومتلمِّسةً وجنتيه وأنفه وشَعره. شَعر مجعَّد غزير. وجه وسيم *خالٍ من التَّجاعيد. كان شابًّا*. تساءلَت عمَّا ساقَه إلى هنا سعيًا لهديَّة الموت. كثيرًا ما يذهب مُبارزو البراقو المحتضرون إلى (دار الأبيض والأسود) للتَّعجيل بنهايتهم، لكنها لم تجد هذا الرَّجل مصابًا بأيِّ جروح.

الجثَّة الثَّانية لامرأةٍ عجوز. كانت قد خلدَت إلى النَّوم على واحدةٍ من أرائك الأحلام في أحد التَّجاويف الخفيَّة، حيث تُصوِّر شموع خاصَّة للمرء رؤًى عن أشيائه المحبوبة المفقودة. ميتة حُلوة رفيقة كما يُردِّد الرَّجل الطيِّب باستمرار. أخبرَتها أصابعها بأن العجوز ماتَت بابتسامةٍ على شفتيها، وبأن فترةً طويلةً لم تمرَّ على موتها، فما زالَ الجُثمان دافئًا. *بشرتها في غاية النُّعومة، كالجِلد القديم الرَّقيق الذي طُوِيَ وتجعَّد ألف مرَّة.*

عندما جاءَ الخادمان لحمل الجثَّة تبعَتهما الفتاة العمياء. تركَت خُطواتهم تُرشِدها، لكنها بدأت تعدُّ الدَّرجات إذ بدآ ينزلان. الآن تحفظ أعداد درجات السَّلالم المختلفة في المكان عن ظَهر قلب. تحت المعبد متاهة من الأقبية والأنفاق حيث يضلُّ المبصرون أنفُسهم الطَّريق، إلَّا أن الفتاة العمياء حفظَت كلَّ بوصةٍ منها، ومعها عصاها تُعينها على إيجاد الطَّريق إذا خانَتها الذَّاكرة.

تُوضَع الجُثث في القبو، وتذهب الفتاة العمياء إلى العمل في الظَّلام مجرِّدةً الموتى من أحذيتهم وملابسهم وغيرها من المتعلِّقات، ومفرغةً صُرر نقودهم لتُحصي ما معهم من عُملة. التَّمييز بين عُملةٍ وأخرى باللَّمس وحده أحد أول الأشياء التي تعلَّمتها من اللَّقيطة بعد أن أخذوا عينيها. العُملات البراقوسيَّة بمثابة أصدقاء قُدامى، وما عليها إلَّا أن تتحسَّس الوجوه عليها بأطراف أصابعها لتتعرَّفها، أمَّا عُملات الأقطار والمُدن الأخرى فأصعب، خاصَّةً البعيد منها. الأونَرات القولانتينيَّة أشيعها، عُملات صغيرة لا تتجاوَز البنس حجمًا، على أحد وجهيها تاج وعلى الآخَر جمجمة، واللايسينيَّة بيضاويَّة وعليها نساء عاريات، وثمَّة عُملات أخرى عليها سُفن أو فيَلة أو كباش، والعُملات الوستروسيَّة على وجهها رأس ملكٍ وعلى ظَهرها تنِّين.

لم تكن مع العجوز صُرَّة، لا ثروة على الإطلاق إلَّا خاتم يُحيط بإصبعٍ رفيع، ومع الرَّجل الوسيم وجدَت الفتاة أربعة تنانين ذهبيَّةً من (وستروس). كانت تُمرِّر عقلة إبهامها على أكثرها بِلًى محاولةً أن تُقرِّر شخصيَّة الملك الذي عليها حين سمعَت الباب يُفتَح بخفوتٍ من ورائها.

سألَت: «مَن هناك؟».

- «لا أحد». صوت عميق خشن بارد.

ويتحرَّك. خطَت إلى الجانب والتقطَت عصاها ورفعَتها بحدَّةٍ تحمي وجهها. طقطقَ الخشب على الخشب، وكادَت قوَّة الضَّربة تُسقِط العصا من يدها، لكنها تمسَّكت بها وضربَت... ولم تجد إلَّا هواءً خاليًا حيث كان يجب أن يكون صاحِب الصَّوت، الذي قال: «لستُ هناك. أأنتِ عمياء؟».

لم تُجِب، فمن شأن الكلام أن يُشوِّش أيَّ صوتٍ يُصدِره لا أكثر، وهي تعلم أنه يتحرَّك. *يمينًا أم يسارًا؟* قفزَت إلى اليسار وضربَت بالعصا يمينًا ولم تُصِب شيئًا، ثم أصابَتها ضربة لاسعة على مؤخِّرة ساقيها. «أأنتِ صمَّاء؟». دارَت على عقبيها والعصا في يدها اليُسرى وأخطأَت التَّسديد، ومن اليسار سمعَت ضحكةً فضربَت يمينًا.

وهذه المرَّة اصطدمَت عصاها بعصاه ليسري وقع الصَّدمة في ذراعها، وقال الصَّوت: «ممتاز».

لا تدري الفتاة العمياء صوت مَن هذا. أحد المُعاونين على حدِّ ظنِّها. لا تَذكُر أنها سمعَت صوته من قبل إطلاقًا، ولكن لِمَ تفترض أن خدم الإله عديد الوجوه لا يستطيعون تبديل أصواتهم بسهولة تبديل وجوههم؟ بخلافها تضمُّ (دار الأبيض والأسود) خادميْن وثلاثة مُعاونين وأوما الطبَّاخة والكاهنيْن اللذين تُسمِّيهما اللَّقيطة والرَّجل الطيِّب. هناك آخَرون يأتون ويذهبون، أحيانًا من طُرقٍ سرِّيَّة، لكن هؤلاء هُم الوحيدون القاطنون هنا، وقد يكون غريمها أيَّهم.

اندفعَت الفتاة جانبًا وعصاها تدور، ثم سمعَت صوتًا وراءها ودارَت في هذا الاتِّجاه وضربَت الهواء... وعلى حين غرَّةٍ وجدَت عصاه بين ساقيها تُشابِكهما إذ حاولَت الدَّوران ثانيةً، واحتكَّت بقصبة ساقها لتتعثَّر وتَسقُط على رُكبتها بعُنفٍ جعلَها تعضُّ لسانها.

وهنا توقَّفت. بجمود الحجر. *أين هو؟*

ضحكَ من خلفها، ونقرَها بخفَّةٍ على أُذنها ثم ضربَها على مفاصل أصابعها وهي تُحاوِل النُّهوض، فسقطَت عصاها على الأرض.

وهسهسَت الفتاة غيظًا.

- «هلمِّي، التقِطيها. فرغتُ من ضربكِ اليوم».

- «لا أحد ضربَني». زحفَت الفتاة على أربع حتى وجدَت عصاها، ثم هبَّت تقف مرضوضةً متَّسخةً، إلَّا أنها وجدَت القبو ساكنًا صامتًا والرَّجل غادرَ. أم أنه ما زالَ هنا؟ من الممكن أن يكون واقفًا إلى جوارها مباشرةً ولن تعرف أبدًا. أخبرَت نفسها: *اصغي إلى أنفاسه*، لكنها لم تسمع شيئًا. منحَت نفسها لحظةً أخرى، ثم وضعَت عصاها جانبًا واستأنفَت عملها. *لو أني أتمتَّعُ بعينَي لضربته حتى يسيل دمه*. يومًا ما سيُعيدهما الرَّجل الطيِّب وتُريهم جميعًا.

كانت جثَّة العجوز قد بردَت وجثَّة البراڤو تتخشَّب. تعوَّدت الفتاة هذا. في أكثر الأيام تقضي مع الموتى وقتًا أطول من الأحياء. كم تفتقد الأصدقاء الذين عرفَتهم حين كانت كات قطَّة القنوات؛ بروسكو العجوز بظَهره المعتل وابنتيه تاليا وبريا، وممثِّلي (السَّفينة)، ومِري وعاهراتها في (الميناء السَّعيد)، وكلَّ الأشقياء وحُثالة أرصفة الموانى الآخَرين. وفوقهم جميعًا تفتقد كات نفسها أكثر مما تفتقد بصرها. لقد أحبَّت كونها كات أكثر مما أحبَّت كونها مِلحة أو الكتكوت أو بنت عرس أو آري. *قتلتُ كات لمَّا قتلتُ ذلك المغنِّي*. أخبرَها الرَّجل الطيِّب بأنهم كانوا سيأخذون عينيها في جميع الأحوال، لمساعدتها على تعلُّم استخدام حواسِّها الأخرى، ولكن ليس قبل نِصف عام. المُعاونون العميان يتردَّدون بكثرةٍ إلى (دار الأبيض والأسود)، إلَّا أن قلائل منهم صغار مِثلها. رغم كلِّ شيءٍ ليست الفتاة نادمةً. داريون كان متهرِّبًا من حَرس اللَّيل واستحقَّ الموت.

وهذا مضمون ما قالته للرَّجل الطيِّب، الذي ردَّ عليها: «وهل أنتِ إله لتُقرِّري مَن يعيش ومَن يموت؟ إننا نُعطي الهديَّة لمَن وضعَ عليهم ذو الوجوه العديدة علامته، وبعد الصَّلاة وتقديم القرابين. هكذا جرَت العادة من البداية. لقد حكيتُ لكِ عن نشأة جماعتنا وكيف أجابَ أولنا أدعية العبيد الرَّاغبين في الموت. في البداية أُعطِيَت الهديَّة لمن يشتاقون إليها فحسب... لكن ذات يومٍ سمعَ أولنا عبدًا يُصلِّي طالبًا الموت، ليس لنفسه وإنما لسيِّده، وكانت رغبته في هذا محمومةً حتى إنه نذرَ كلَّ ما يملك ليُجاب دعاؤه، فبدا لأخينا الأول أن قُربانًا كهذا سيسرُّ الإله عديد الوجوه، وأجابَ الدُّعاء ليلتها، ثم إنه ذهبَ على العبد وقال له: *لقد نذرتَ كلَّ ما تملك لقاء موت هذا الرَّجل، لكن العبيد لا يملكون شيئًا إلَّا حياتهم، وهذا هو ما يُريده منك الإله. ما حييتَ على هذه الأرض ستخدمه*. ومنذ تلك اللَّحظة صِرنا اثنين»، وانغلقَت قبضته على ذراعها برفقٍ لا يعوزه الحزم، وأضافَ: «كلُّ البَشر يُدرِكهم الموت. إننا أدوات الموت فقط لا الموت نفسه. عندما قتلتِ ذلك المغنِّي اتَّخذتِ قُدرات الإله لنفسكِ. نحن نَقتُل النَّاس، لكننا لا نَحكُم عليهم أبدًا. هل تفهمين؟».

فكَّرت: *لا*، وقالت: «نعم».

- «تكذبين، ولذا عليكِ أن تمشي في الظُّلمة إلى أن تري الطَّريق. ما لم تكوني راغبةً في تركنا. ما عليكِ إلَّا أن تسألي وستستردِّين عينيكِ».

فكَّرت: *لا*، وقالت: «لا».

هذا المساء، بعد العَشاء ومباراةٍ قصيرة من لُعبة الأكاذيب، لفَّت الفتاة العمياء خرقةً حول رأسها لتُخفي عينيها التّالفتين، ثم وجدَت وعاء الشّحاذة وطلبَت من اللّقيطة أن تُساعِدها على وضع وجه بِت. كانت اللّقيطة قد حلقَت رأسها حين أخذوا عينيها، وقالت إن اسمها قَصّة الممثّلين، بما أن ممثّلين كُثرًا يفعلون هذا ليُناسِب شَعرهم المستعار رؤوسهم أكثر، لكنها تَصلُح للمتسوّلين أيضًا وتحمي رأسها من القمل والبراغيث. على أنها احتاجَت إلى ما هو أكثر من الشَّعر المستعار، فقالت لها اللّقيطة: «يُمكنني أن أغطّيكِ بالقروح المفتوحة، لكن في تلك الحالة سيَطرُدك أصحاب الخانات والحانات»، وبدلًا من ذلك أعطَتها ندوب جُدري وشامةً مستعارةً على خدّها تَنبُت منها شُعيرات داكنة. سألَتها الفتاة العمياء: «أهي قبيحة؟».

- «ليست جميلةً».

- «عظيم». إنها لم تُبالِ قَطُّ بكونها جميلةً أم لا، حتى عندما كانت الحمقاء آريا ستارك. وحده أبوها نعتَها بالجَمال. هو وجون *سنو أحيانًا*. واعتادَت أمُّها أن تقول إنها بإمكانها أن تكون جميلةً إذا اغتسلَت ومشّطت شَعرها واعتنَت أكثر بثيابها مِثل أختها. بالنّسبة إلى أختها وصديقات أختها والآخَرين كلّهم لم تكن إلّا آريا وجه الحصان. لكنهم موتى جميعًا الآن، حتى آريا، جميعهم باستثناء أخيها غير الشّقيق جون. في بعض اللّيالي تسمع كلامًا عنه في حانات ومواخير (ميناء راجمان)، نغل (الجِدار) الأسود كما دعاه أحدهم. فكّرت: *أراهنُ أن جون نفسه ما كان ليتعرَّف بِت العمياء*، وأحزنَتها الفكرة.

الثِّياب التي ترتديها أسمال باهتة مهترئة، لكنها أسمال ثقيلة نظيفة في الآن نفسه. تحتها تُخفي ثلاثة سكاكين، أحدها في فردة حذائها والثَّاني في كُمِّها والثَّالث على أسفل ظَهرها. البراقوسيُّون أناس طيِّبون على وجه العموم، الأرجح أن يُساعِدوا الشحّاذة العمياء المسكينة من أن يُحاوِلوا إيذاءها، لكن هناك دومًا بعض الطَّالحين الذين قد يرونها لُقمةً سائغةً تَصلُح للسَّرقة أو الاغتصاب. السَّكاكين من أجل هؤلاء، وإن لم تُرغَم الفتاة العمياء على استخدامها حتى الآن. أكملَت تنكُّرها بوعاء شحاذةٍ خشبي مشقَّق وحزامٍ من ليف القنَّب.

خرجَت فيما هدرَ (المارد) معلنًا مغيب الشَّمس، تعدُّ الدَّرجات من باب المعبد إلى أسفل، ثم تُطَقطِق بعصاها متَّجهةً إلى الجسر الذي يقودها من فوق القناة إلى (جزيرة الآلهة). أدركَت أن الضَّباب كثيف من التصاق ثيابها ببدنها بفعل النَّدى وشعورها بالرُّطوبة في الهواء على يديها المكشوفتين. كانت قد ألفَت أن ضباب (براقوس) يفعل أشياء غريبةً بالأصوات أيضًا. *نِصف المدينة سيكون شِبه أعمى اللَّيلة*.

بينما سلكَت طريقها مارَّةً بالمعابد سمعَت مُعاوني طائفة الحكمة النَّجميَّة على قمَّة بُرج الاستطلاع في معبدهم يُغنُّون لنجوم المساء، وشمَّت نفحةً من الدُّخان العطر في الهواء قادَتها إلى الطَّريق المتعرِّج، حيث أشعلَ الرُّهبان الحُمر المستوقَدات الحديد العظيمة خارج دار إله الضِّياء، وسرعان ما شعرَت بالحرارة في الهواء إذ رفعَ عابدو راهلور الأحمر عقائرهم بالصَّلاة مردِّدين: «*فاللَّيل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال*».

ليس ليلي. لياليها يغمرها نور القمر وتُفعِمها أغاني قطيعها، ومذاق اللَّحم الأحمر الممزَّق عن العظم، ورائحة أولاد عمومتها الشُّهب المألوفة الدَّافئة. ليست عمياء وحيدةً إلَّا نهارًا.

الضفَّة مألوفة لها، فقد اعتادَت كات أن تجوب أرصفة وأزقَّة (ميناء راجمان) وتبيع بلح البحر والمحار وأُم الخلول لحساب بروسكو. بأسمالها ورأسها المحلوق وشامتها المستعارة لم تَعُد تبدو كما كانت، ومع ذلك -على سبيل الاحتياط- ظلَّت بعيدًا عن (السَّفينة) و(الميناء السَّعيد) وغيرهما من الأماكن التي عُرِفَت فيها كات جيِّدًا.

تعرف كلَّ خانٍ وحانةٍ من رائحتها. لـ(التُّوتي الأسود) رائحة ملحيَّة، ولـ(خمَّارة پينتو) مزيج كريه من روائح النَّبيذ الحامض والجُبنة العفنة وپينتو نفسه، الذي لا يُبدِّل ثيابه أو يغسل شَعره أبدًا. في (رقَّاء القلوع) الهواء الدُّخاني متبَّل دومًا برائحة اللَّحم المشوي، و(دار القناديل السَّبعة) معطَّرة دومًا بالبخور، و(قصر الساتان) بأريج الشَّابَّات الحسناوات الحالمات بأن يصرن محظيَّات.

لكلِّ مكانٍ أصواته أيضًا. في (موروجو) و(ثُعبان الماء الأخضر) مطربون يُغنُّون في أغلب اللَّيالي، وفي (خان المنبوذين) يُغنِّي الزَّبائن أنفُسهم بأصواتٍ ثملة وعشرات اللُّغات، و(بيت الضَّباب) مزدحم دائمًا بملَّاحي القوارب الأُفعوانيَّة الذين يتجادَلون حول الآلهة والمحظيَّات وإن كان أمير البحر أبله. (قصر الساتان) أهدأ كثيرًا، مكان للغزل الهامس وحفيف الفساتين الحرير النَّاعم وضحكات الفتيات.

تتسوَّل بِث في مكانٍ مختلف كلَّ ليلة، ذلك أنها تعلَّمت مبكِّرًا أن أصحاب الخانات والحانات يميلون أكثر إلى التَّغاضي عن وجودها إذا لم يتكرَّر باستمرار. ليلة البارحة قضَتها خارج (ثُعبان الماء الأخضر)، وهكذا توجَّهت إلى اليمين بدلًا من الشِّمال بعد (الجسر الدَّامي) وشقَّت طريقها إلى (خمَّارة پينتو) الواقعة في طرف (ميناء راجمان) الآخَر على حافة (البلدة الغارقة) مباشرةً. قد يكون صاخبًا منفِّر الرَّائحة، لكن لپينتو قلبًا طيِّبًا تحت ثيابه الوسخة وفظاظته. في أغلب الأحيان يسمح لها بالدُّخول حيث الجو دافئ عندما لا يكون المكان شديد الازدحام، وبين الحين والآخَر يسقيها كوزًا من المِزر ويُطعِمها قطعةً من الخُبز فيما يُتحِفها بحكاياته. في شبابه كان پينتو أسوأ القراصنة سُمعةً في (الأعتاب) -حسب كلامه- ولا يحبُّ شيئًا أكثر من الكلام بإسهابٍ عن مناقبه.

حالفَها الحظُّ اللَّيلة. وجدَت الخمَّارة خاليةً تقريبًا، وتمكَّنت من الجلوس في رُكنٍ هادئ غير بعيد عن النَّار. لم تكد تستقرُّ هناك وتُربِّع ساقيها حتى احتكَّ شيء ناعم بفخذها. قالت الفتاة العمياء: «أنت ثانيةً؟»، وحكَّت رأسه وراء أُذنه، فوثبَ القِطُّ يجلس في حِجرها وشرعَ في الخرخرة. (براڤوس) ملأى بالقِطط، لا سيَّما (خمَّارة پينتو)، فالقُرصان العجوز يعتقد أنها تجلب حُسن الطَّالع وتحفظ مكانه من الهوام. همسَت: «أنت تعرفني، أليس كذلك؟». القِطط لا تنخدِع بالشَّامات المستعارة، وتَذكُر قطَّة القنوات.

اللَّيلة طيِّبة بالنِّسبة إلى الفتاة العمياء. كان پينتو في مزاجٍ حسن وأعطاها كوبًا من النَّبيذ المخفَّف بالماء وقطعةً من الجُبنة العفنة ونِصف فطيرة شِلق. أعلنَ: «پينتو رجل طيِّب جدًّا»، ثم جلسَ يحكي لها عن المرَّة التي استولى فيها على سفينة العطارة، وهي القصَّة التي سمعَتها مرارًا من قبل.

مرَّت السَّاعات وامتلأ المكان، وسرعان ما انشغلَ عنها پينتو، لكن عددًا كبيرًا من زبائنه المعتادين ألقى قطعًا من العُملة في وعائها. شغلَ المواد الأخرى غُرباء؛ صيَّادو حيتان إيبنيزيُّون تفوح منهم رائحة الدِّماء والشَّحم، وزوجان من مُبارزي البراڤو شَعرهما مصفَّف بزيتٍ معطَّر، ورجل سمين من (لوراث) اشتكى من أن مقصورات پينتو صغيرة للغاية على بطنه، ولاحقًا ثلاثة لايسينيِّين من بحَّارة (القلب الكريم)، قادس حطَّمته عاصفة ودخلَ (براڤوس) ليلة البارحة وصادرَه صبيحة اليوم حَرس أمير البحر.

أخذَ اللايسينيُّون المائدة الأقرب إلى النَّار وتكلَّموا بهدوءٍ وهُم يشربون الرَّم الأسود القطراني خافضين أصواتهم قدر الإمكان لئلا يسمعهم أحد... لكنها لا أحد، وسمعَت كلَّ كلمةٍ تقريبًا، ولفترةٍ بدا كأنها تراهم أيضًا من خلال عينين صفراوين مشقوقتين طوليًّا، عينَي القِطّ الذي يُخَرخِر في حِجرها. أحدهم عجوز وأحدهم شاب وأحدهم فقدَ أُذنًا، لكن لثلاثتهم شعر أشقر أبيض وبشرة ناعمة كأهل (لِيس)، حيث لا تزال دماء المعقل الحُر القديم تتدفَّق بقوَّة.

في الصَّباح التَّالي، حين سألَها الرَّجل الطيِّب عن الأشياء الثَّلاثة التي تعلمها ولم تكن تعلمها من قبل، كانت مستعدَّةً.

- «أعلمُ أن أمير البحر صادرَ (القلب الكريم). كانت السَّفينة تحمل عبيدًا، مئات العبيد، نساءً وأطفالًا مربوطين معًا بالحبال في مخزنها». (براقوس) أسَّسها العبيد الهاربون، والنِّخاسة محرَّمة هنا. «أعلمُ من أين أتى العبيد. إنهم هَمج من (وستروس)، من مكانٍ اسمه (هاردهوم)، مكان قديم مقفر ملعون». في (وينترفل) حكَت لها العجوز نان عن (هاردهوم) حين كانت آريا ستارك. «بعد المعركة الكُبرى التي قُتِلَ فيها ملك ما وراء الجِدار هربَ الهَمج، وقالت عرَّافة غابات إن سُفنًا ستأتي تحملهم إلى مكانٍ دافئ إذا ذهبوا إلى (هاردهوم)، لكن لا سُفن أتَت إلَّا سفينتا القراصنة (القلب الكريم) و(الفيل) اللتان جرفَتهما عاصفة شمالًا. رسَا القراصنة عند (هاردهوم) لإصلاح السَّفينتين ورأوا الهَمج، لكنهم كانوا بالآلاف ولم تكن عندهم مساحة لهم جميعًا، فقالوا إنهم سيأخذون النِّساء والأطفال فقط. لم يكن لدى الهَمج ما يأكلونه، فأرسلَ الرِّجال زوجاتهم وبناتهم، لكن ما إن خرجَت السَّفينتان إلى البحر ساقَهم القراصنة إلى أسفل وربطوهم بالحبال. كانوا ينوون بيعهم في (لِيس)، لكن عاصفةً أخرى قابلَتهم وفرَّقت السَّفينتين. كانت (القلب الكريم) تالفةً حتى إن رُبَّانها لم يجد خيارًا إلَّا الرَّسو هنا، أمَّا (الفيل) فربما استطاعَت العودة إلى (لِيس). اللايسينيُّون في (خمَّارة پينتو) يظنُّون أنها سترجع بالمزيد من السُّفن. يقولون إن أسعار العبيد ترتفع، وفي (هاردهوم) آلاف آخَرون من النِّساء والأطفال».

- «جيِّد أن نعلم هذا. هذان شيئان. أهناك ثالث؟».

أجابَت: «نعم. أعلمُ أنك أنت من تضربني»، وارتفعَت عصاها تضربه على أصابعه مسقطةً عصاه على الأرض.

لاحَ الألم على وجه الكاهن وانتزعَ يده متسائلًا: «وكيف تعلم فتاة عمياء ذلك؟».

لقد رأيتك. «أعطيتك ثلاثة أشياء. لستُ مضطرَّةً إلى إعطائك أربعةً». قد تُخبِره غدًا عن القِطّ التي تبعَها إلى المعبد ليلة البارحة من (خمّارة پينتو)، القِطّ الذي اختبأ بين عوارض السَّقف يَنظُر إليهما من أعلى. وقد لا *أ*خبره. إذا كان يستطيع الاحتفاظ بالأسرار فهي أيضًا تستطيع.

ليلتها قدَّمت أوما سرطان البحر المملَّح على العَشاء، وحين قُدِّمَ إليها الكوب تقلَّص أنف الفتاة العمياء وشربَته على ثلاث جرعاتٍ طويلة، ثم شهقَت وأسقطَت الكوب وقد اشتعلَ لسانها نارًا، ولمَّا جرعَت كوبًا من النَّبيذ انتشرَ الحريق إلى حَلقها وأنفها.

أخبرَتها اللَّقيطة: «النَّبيذ لن يُساعِدكِ، والماء سيُلهِب الحرارة. كُلي هذا»، ودسَّت قطعةً من الخُبز في يدها، فدسَّتها الفتاة العمياء في فمها ومضغَت وابتلعَت. خفَّف الخُبز الحرقان بالفعل، وخفَّفته قطعة ثانية أكثر.

وعندما أتى الصَّباح، عندما تركَتها ذئبة اللَّيل وفتحَت عينيها، رأت شمعةً من الشَّحم مشتعلةً حيث لم تكن هناك شمعة ليلة أمس، يتمايَل لهبها المتذبذب إلى الأمام والخلف كعاهرةٍ في (الميناء السَّعيد).

ولم يَحدُث من قبل أن رأت شيئًا بهذا الجَمال.

عُثِرَ على الرَّجل الميت عند قاعدة السُّور الدَّاخلي، مكسور العُنق ولا يظهر منه إلَّا ساقه اليُسرى البارزة فوق الثَّلج الذي دفنَه خلال اللَّيل.

لو لم تنبش كلبات رامزي الثَّلج فلربما ظلَّ مدفونًا حتى الرَّبيع. حين أبعدَهن بن بونز أخيرًا كانت چاين الشَّهباء قد نهشَت معظم وجه الميت، حتى إن نِصف النَّهار انقضى قبل أن يعلموا يقينًا أنه كان رجلًا مسلَّحًا في الرَّابعة والأربعين زحفَ شمالًا مع روچر ريزويل، الذي أعلنَ «سكِّير. أراهنُ أنه كان يتبوَّل من فوق السُّور وانزلقَ وسقطَ». لم يُعارِضه أحد، إلَّا أن ثيون جرايچوي وجدَ نفسه يتساءَل لِمَ قد يصعد أحد الدَّرجات المغطَّاة بالثَّلج الزَّلق إلى الشُّرفات في جوف اللَّيل لمجرَّد أن يُفرِغ مثانته.

صبيحة هذا اليوم، فيما أفطرَ رجال الحامية على الخُبز البائت المحمَّر في دُهن اللَّحم المقدَّد -وأكلَ اللوردات والفُرسان اللَّحم المقدَّد نفسه- انهمكَ أكثر الجالسين على الدِّكك في الكلام عن الجثَّة.

سمعَ ثيون أحد الرُّقباء يُغَمغِم: «ستانيس له أصدقاء داخل القلعة». الرَّجل عجوز من أتباع تولهارت، على سُترته الطَّويلة الرثَّة شارة الأشجار الثَّلاث. كانت المناوبة قد تبدَّلت لتوِّها والرِّجال يلوذون بالقاعة من البرد، يدقُّون الأرض بأقدامهم لينفضوا الثَّلج عن أحذيتهم وسراويلهم وقد بدأ تقديم وجبة منتصَف النَّهار، سُجق دموي وكُرَّاث وخُبز بنِّي دافئ.

ضحكَ أحد خيَّالة رووس ريزويل، وقال: «ستانيس؟ ستانيس محاصَر بالثُّلوج وسيهلك فيها، أو أنه فرَّ عائدًا إلى (الجِدار) وذيله متجمِّد بين قدميه».

قال رامٍ يرتدي ألوان سروين: «وقد يكون معسكِرًا على بُعد خمسة أقدام من أسوارنا ومعه مئة ألف رجل ولن نرى ولو واحدًا منهم بسبب العاصفة».

بلا نهايةٍ وبلا انقطاعٍ وبلا رحمةٍ ينهمر الثَّلج مدرارًا ليل نهار، والآن ترتفع أكوامه بطول الأسوار وتملأ ثُلمات الشُّرفات، وتكسو دُثر بيضاء السُّقوف، وترتخي الخيام تحت الثَّلج الذي أثقلَها. مُدَّت من قاعةٍ إلى قاعةٍ حبال للحيلولة دون ضلال الرِّجال طريقهم وهُم يقطعون الباحات والأفنية، وتزدحم أبراج الحراسة بالنَّواطير الذين يُدفِّئون أيديهم شِبه المتجمِّدة فوق نيران المستوقَدات، وقد تركوا مماشي الأسوار للحَرس الثَّلجيِّين الذين صنعَهم المُرافقون. يبدو هؤلاء أكبر حجمًا وأغرب شكلًا كلَّ ليلةٍ إذ يُعمِل فيهم الجوُّ العاصف إرادته، ونبتَت على الحِراب التي يقبضون عليها بأيديهم الثَّلجيَّة لحى شعثاء من الجليد. وعلاوةً على ذلك فإن هوستين فراي، الرَّجل الذي سُمِعَ يُدَمدِم بأنه لا يخشى القليل من الثَّلج، فقدَ أُذنًا من جرَّاء قضمة الصَّقيع.

أشد المعاناة من بخت الخيل في السَّاحات، إذ تبتلُّ الأغطية التي وضعوها عليها لتدفئتها عن آخِرها وتتجلَّد إذا لم تُبدَّل بانتظام، وإذا أُشعِلَت نار لوقايتها من البرد كان ضررها أكثر من نفعها، فالجياد الحربيَّة تخشى اللَّهب وتتلوَّى في صفوفها مقاتلةً للابتعاد عنه فتجرح نفسها وغيرها من الخيول. وحدها الخيول في الاسطبلات آمنة متدفِّئة، لكن الاسطبلات مكتظَّة تمامًا.

سَمِعَ اللورد لوك العجوز يقول في القاعة الكُبرى: «الآلهة انقلبَت علينا. هذه غضبتها، ريح باردة كالجحيم ذاتها وثلوج لا تنقطِع أبدًا. إننا ملعونون».

ردَّ أحد رجال (معقل الخوف) بإصرار: «ستانيس هو الملعون، إنه هو المحاصَر بالعاصفة بالخارج».

علَّق مُحارب غير نظامي أحمق: «ربما كان ستانيس ينعم بالدِّفء بالفعل ولا ندري. مشعوذته تلك تستطيع استدعاء النَّار، وقد يُذيب إلهها الأحمر هذه الثُّلوج».

أدركَ ثيون من فوره حماقة التَّصرُّف. تكلَّم الرَّجل بصوتٍ عالٍ وفي نطاق سمع القضيب الأصفر وآلن الفظ وبن بونز، ولمَّا بلغَ الكلام اللورد رامزي أمرَ صِبيان النَّغل بالقبض على الرَّجل وجرِّه إلى الثَّلج بالخارج، حيث أخبرَه: «ما دُمت مغرمًا بستانيس فسنُرسِلك إليه». هوى ديمون ارقُص-لي على المُحارب غير النِّظامي ببضع جَلداتٍ بسوطه المشحَّم، وبعدها أمرَ رامزي بجرِّ الرَّجل إلى (بوَّابة الشُّرفات) فيما تراهنَ السلَّاخ والقضيب الأصفر على المُدَّة التي سيستغرقها دمه حتى يتجمَّد.

بوَّابة (وينترفل) الرَّئيسة الكُبرى مغلقة وموصدة، وإضافةً إلى هذا مخنوقة بالجليد والثَّلج، حتى إن لا بُدَّ من تكسير ما حول الشَّبكة الحديديَّة من جليدٍ أولًا قبل رفعها. و(بوَّابة الصيَّادين) في حالٍ لا تختلف كثيرًا، وإن كان الجليد لا يصنع مشكلةً هناك بما أن البوَّابة استُخدِمَت في الآونة الأخيرة، على عكس (بوَّابة طريق الملوك) حيث جمَّد جليد بصلادة الصَّخر سلاسل الجسر المتحرِّك. تبقَّت إذن (بوَّابة الشُّرفات)، وهي بوَّابة جانبيَّة مقنطرة صغيرة في السُّور الدَّاخلي، نِصف بوَّابةٍ في الواقع، فجسرها المتحرِّك يمتدُّ فوق الخندق المتجلِّد، ولكن لا يُقابِله مخرج في السُّور الخارجي، وهو ما يسمح بالوصول إلى الشُّرفات الخارجيَّة فحسب وليس إلى العالم ورائها.

حُمِلَ المُحارب غير النِّظامي نازفًا محتجًّا عبر الجسر المتحرِّك وأعلى السَّلالم، ثم أطبقَ السلَّاخ وآلن الفظ على ذراعيه وساقيه وألقياه من فوق السُّور إلى الأرض على مسافة ثمانين قدمًا بالأسفل. كانت أكوام الثَّلج قد تعاظمَت لدرجة أنها ابتلعَت الرَّجل بالكامل... لكن الرُّماة في الشُّرفات زعموا أنهم رأوه بعد فترةٍ يجرّ ساقه المكسورة في الثَّلج، وأصابَه أحدهم بسهمٍ في أليته فيما تلوَّى مبتعدًا.

أعلنَ اللورد رامزي: «خلال ساعةٍ سيموت».

ردَّ باقِر العاهرة أومبر: «أو قبل أن تَغرُب الشَّمس سنجده عند ستانيس يمصُّ له قضيبه».

ضحكَ ريكارد ريزويل قائلًا: «خيرٌ له ألَّا يكسره. أيُّ رجلٍ بالخارج في هذا الطَّقس قضيبه متجمِّد عن آخِره».

قالت الليدي داستن: «اللورد ستانيس ضائع في العاصفة. إنه يَبعُد فراسخ عن هنا، إمَّا ماتَ بالفعل وإمَّا يموت. فليفعل الشِّتاء أسوأ ما عنده. بضع أيامٍ أخرى وستدفنه الثُّلوج هو وجيشه».

فكَّر ثيون متعجِّبًا من سذاجتها: *وتدفننا أيضًا*. الليدي باربري من الشَّمال والمفترَض أن تلمَّ أكثر بطبائع الأمور، وقد تكون الآلهة القديمة مصغيةً.

قُدِّمَ عَشاء من ثريد البازلاء وخُبز البارحة، وهو ما أدَّى إلى همهمةٍ بين الرِّجال العوام أيضًا، ففوق الملح شُوهِدَ اللوردات والفُرسان يأكلون لحم الخنزير.

كان ثيون مائلًا فوق وعاءٍ خشبي يُنهي ما تبقَّى من حصَّته من الثَّريد عندما جعلَته لمسة خفيفة على كتفه يُسقِط ملعقته.

قال: «إياكِ أن تلمسيني»، وانحنى يلتقط الملعقة السَّاقطة من على الأرض قبل أن تختطفها إحدى كلبات رامزي، وكرَّر: «إياكِ أن تلمسيني أبدًا».

جلسَت إلى جواره على مقربةٍ بالغة، واحدة أخرى من غسَّالات إيبل، شابَّة في الخامسة أو السَّادسة عشرة، شَعرها الأشقر أشعث وفي حاجةٍ إلى غسلة، وشفتاها الممتلئتان في حاجةٍ إلى قُبلة. قالت بابتسامةٍ صغيرة: «بعض الفتيات يحبِّن اللَّمس. بعد إذن سيِّدي، أنا هولي».

قال لنفسه: هولي *العاهرة*، لكنها حسناء بما فيه الكفاية. فيما سبقَ كان ليضحك ويشدَّها إلى حِجره، لكن تلك الأيام ولَّت.

«ماذا تُريدين؟».

قالت هولي: «أن أرى السَّراديب. أين هي يا سيِّدي؟ هلَّا أريتني؟»، وداعبَت خُصلةً من شَعرها ولفَّتها حول إصبعها مضيفةً: «يقولون إنها عميقة ومظلمة، مكان جيِّد للَّمس، والملوك الموتى يُشاهِدون».

- «هل أرسلَكِ إيبل؟».

- «ربما، وربما أرسلتُ نفسي. لكن إذا كنت تُريد إيبل فيُمكنني أن أحضره. سيُغنِّي أغنيَّةً جميلةً لسيِّدي».

كلُّ كلمةٍ لفظَتها أقنعَت ثيون بأن هذه حيلة ما. *لكن حيلة مَن؟ ولأيِّ غاية؟* فيمَ يُريده إيبل؟ الرَّجل مجرَّد مغنٍّ، قوَّاد يحمل عودًا وابتسامةً كذوبًا. *يُريد أن يعرف كيف أخذتُ القلعة، ولكن ليس لكي يُؤلِّف أغنيَّةً*. ثم إنه أدركَ الجواب. *يُريد أن يعرف كيف دخلنا من أجل أن يَخرُج*. لقد أحكمَ اللورد بولتون إغلاق (وينترفل) إحكام القِماط على الرَّضيع، ولا أحد يستطيع الدُّخول أو الخروج دون إذنه. *يُريد أن يفرَّ هو وغسَّالاته*. لا يُمكن لثيون أن يلومه، وعلى الرغم من هذا قال: «لا أريدُ أيَّ صلةٍ بإيبل أو بكِ أو بأخواتكِ. دعوني وشأني».

في الخارج كان الثَّلج يدور في دوَّاماتٍ راقصة. مسترشدًا بالحبال، ذهبَ ثيون إلى السُّور ثم اتَّبعه إلى (بوَّابة الشُّرفات). كان ليحسب الحارسيْن هناك زوجين من رجال والدر الصَّغير الثَّلجيِّين لو لم يرَ أنفاسهما البيضاء، وقد أخبرَهما وأنفاسه هو تتجمَّد في الهواء: «أريدُ المشي فوق الأسوار».

حذَّره أحدهما: «البرد قارس بالأعلى»، وقال الثَّاني: «البرد قارس هنا، لكن افعل ما تشاء أيها المارِق»، وأشارَ لثيون بالمرور من البوَّابة.

صعدَ الدَّرجات المكدَّس عليها الثَّلج الزَّلق، وما إن بلغَ الممشى لم يستغرق طويلًا حتى وجدَ البُقعة التي ألقوا منها المُحارب. هدمَ جِدار الثَّلج الطَّازج الذي بنى نفسه في الثُّلمة ومالَ إلى الخارج بين الشُّرَّافتين مفكِّرًا: *يُمكنني أن أقفز. هو عاشَ، فلِمَ لا أعيشُ أيضًا؟* يُمكنه أن يقفز و... *وماذا؟ أكسر ساقي وأموت تحت الثَّلج؟ أزحف حتى أموت متجمِّدًا؟*

إنه جنون. سيُطارِده رامزي ومعه فتياته، وستُمزِّقه چاين الحمراء وچِز وهليسنت إربًا إربًا، وهذا إذا ترفَّقت به الآلهة، إلَّا أن الأسوأ أن يقبضوا عليه ويعودوا به حيًّا. همسَ: «يجب أن أتذكَّر اسمي».

في الصَّباح التَّالي عُثِرَ على مُرافق السير إينس فراي العجوز عاريًا وميتًا من البرد في ساحة الأشنة القديمة، وقد أخفى الصَّقيع ملامحه فبدا كأنه يضع قناعًا. أدلى السير إينس بدلوه في الأمر قائلًا إن الرَّجل أسرفَ في الشُّرب وضلَّ طريقه في العاصفة، وإن لم يُفسِّر أحد لِمَ خلعَ ملابسه قبل أن يَخرُج. سكِّير آخِر. الخمر كفيلة بإغراق جيش عرمرم من الشُّكوك.

ثم قبل انقضاء النَّهار عُثِرَ على رامي نُشَّابيَّة مقسم على الولاء لآل فلينت في الاسطبل بجمجمةٍ مهشَّمة. أعلنَ اللورد رامزي أن حصانًا رفسَه، غير أن ثيون قال لنفسه بحزم: *بل هشَّمت رأسه هراوة على الأرجح.*

كلُّ هذا يبدو مألوفًا كتمثيليَّةٍ شاهدَها من قبل، مع فرق أن الممثِّلين تبدَّلوا. الآن يلعب رووس بولتون الدَّور الذي لعبَه ثيون آنفًا، والموتى يلعبون أدوار آجار وجاينير ذي الأنف الأحمر وجلمار العابس. *كان ريك أيضًا موجودًا، لكنه ريك مختلف، ريك آخَر دامي اليدين تَقطُر من شفتيه أكاذيب بحلاوة الشَّهد. ريك، ريك، على قافية لكيك.*

دفعَت الميتات الثَّلاث لوردات رووس بولتون إلى الشِّجار علانيةً في القاعة الكُبرى، وقد بدأ صبر بعضهم ينفد. قال السير هوستين فراي: «كم علينا أن نبقى هنا في انتظار هذا الملك الذي لا يأتي أبدًا؟ يجب أن نُبادِر ستانيس بالقتال ونُجهِز عليه».

بصوتٍ مبحوح قال هاروود ستاوت ذو الذِّراع الواحدة: «نَترُك القلعة؟»، لتشي نبرته بأنه يُؤثِر أن تُقطَع ذراعه الأخرى. «تُريدنا أن نخوض في الثَّلج كالعميان؟».

علَّق رووس ريزويل: «لنُقاتِل اللورد ستانيس علينا أن نجده أولًا. كشَّافتنا يَخرُجون من (بوَّابة الصيَّادين)، لكن أحدًا منهم لم يرجع في الفترة الأخيرة».

قال اللورد وايمان ماندرلي مربِّتًا على بطنه العظيم: «(الميناء الأبيض) لا تخشى الخروج معك أيها السير هوستين، وسيركب فُرساني وراءك».

التفتَ السير هوستين إلى الرَّجل البدين قائلًا: «على مقربةٍ تكفي لغرس رُمحٍ في ظَهري، أجل. أين أقاربي يا ماندرلي؟ أخبِرني، أين ضيوفك الذين أعادوا إليك ابنك؟».

غرسَ ماندرلي خنجره في قطعةٍ من اللَّحم، وقال: «تعني رُفاته. أذكرهم جيِّدًا. ريجار بكتفيه المستديرتين ولسانه اللَّبق، والسير چارد الجريء الذي لا يتردَّد في استلال سيفه، وسايموند ولي الجواسيس ورنين عُملاته المستديم. هؤلاء أعادوا رُفات وندل إلى دياره. تايوين لانستر هو مَن أعادَ إليَّ وايليس سليمًا سالمًا كما وعدَ. كان اللورد تايوين رجلًا بارًّا بكلمته، ليرحمه (السَّبعة)»، وألقى اللورد وايمان اللَّحم في فمه ومضغَه بصوتٍ مزعج، ثم تلمَّظ وتابعَ: «الطَّريق محفوف بالمخاطر أيها الفارس. لقد أعطيتُ إخوتك هدايا ضيافةٍ حين غادَرنا (الميناء الأبيض)، واتَّفقنا على اللِّقاء ثانيةً في الزِّفاف. كثيرون شهدوا افتراقنا».

سألَه إينس فراي ساخرًا: «كثيرون؟ أنت وأتباعك؟».

مسحَ سيِّد (الميناء الأبيض) فمه بكُمِّه، وقال: «إلامَ تُلمِّح يا فراي؟ لهجتك لا تُعجِبني أيها الفارس، لا تُعجِبني على الإطلاق».

قال السير هوستين: «اخرُج إلى السَّاحة يا جوال الشَّحم وسأريك ما لا يُعجِبك بحق».

ضحكَ وايمان ماندرلي، لكن نِصف دستةٍ من فُرسانه كانوا قد انتفضوا ناهضين بالفعل، ووقعَ على عاتق روچر ريزويل وباربري داستن تهدئتهم بكلماتٍ ملطِّفة، في حين لم ينبس رووس بولتون ببنت شفة... غير أن ثيون جرايچوي أبصرَ في عينيه الشَّاحبتين نظرةً لم يرَها فيهما من قبل، نظرة قلق، بل وشيء من الخوف.

ليلتها انهارَ الاسطبل الجديد تحت وطأة الثَّلج الذي تراكمَ فوقه، وقُتِلَ ستَّة وعشرون حصانًا وسائسان، سحقَهم السَّقف السَّاقط أو دفنَهم الثَّلج. استغرَقوا معظم الصَّباح في التَّنقيب عن الجُثث، وظهرَ اللورد بولتون مُدَّةً وجيزةً في السَّاحة الخارجيَّة ليفحص المشهد، ثم أمرَ بأخذ الخيول الباقية إلى الدَّاخل، بما فيها تلك المربوطة في الخارج.

وما كادَ الرِّجال يَفرُغون من إخراج السَّائسيْن وذبح الخيول الميتة حتى اكتُشِفَت جثَّة أخرى.

على أن العويص هذه المرَّة تفسيرها باستهانةٍ بأنها مجرَّد سقطةٍ بسبب السُّكر أو رفسةٍ من حصان. الرَّجل الميت أحد المفضَّلين عند رامزي، الرَّجل المسلَّح البغيض خنزيري الطِّباع المسمَّى القضيب الأصفر، ولو أن التَّيقُّن من كون قضيبه أصفر حقًّا عسيرًا، إذ بترَه أحدهم ودسَّه في فمه بعُنفٍ كسرَ ثلاثًا من أسنانه. حين وجدَه الطُّهاة خارج المطابخ مدفونًا حتى العُنق في كومة ثلجٍ كان القضيب وصاحِبه مزرقَّيْن من البرد. أمرَهم رووس بولتون قائلًا: «أحرِقوا الجثَّة، واحرصوا على عدم ذِكر الأمر. لن أسمح بانتشار هذه الحكاية».

لكن الحكاية انتشرَت رغم ذلك، ومع انتصاف النَّهار كانت قد بلغَت مسامع أكثر مَن في (وينترفل)، منهم كُثر سمعوها من رامزي بولتون نفسه، الذي كان القضيب الأصفر «صبيَّه». توعَّد اللورد رامزي قائلًا: «عندما نجد الرَّجل الذي فعلَ هذا سنَسلُخ جِلده ونشويه ونجعله يأكله قضمةً قضمةً»، وبعدها ذاعَ الخبر بأن اسم القاتل يُساوي تنِّينًا ذهبيًّا.

بحلول المساء كانت رائحة كريهة طاغية مستشريةً في القاعة الكُبرى. مع انحشار مئات الخيول والكلاب والرِّجال تحت سقفٍ واحد تحوَّلت الأرض إلى بِركةٍ زلقة من الوحل والثَّلج الذَّائب وبراز الخيول والكلاب والبَشر أيضًا، وفاحَت في الهواء روائح الكلاب المبتلَّة والصُّوف المبتل وأغطية الخيول المشبَّعة بالماء، وهو ما سلبَ الدِّكك المزدحمة كلَّ راحة، لكن هناك طعامًا. أكلوا شرائح كبيرةً من لحم الخيول الطَّازج قدَّمها الطبَّاخون مسفوعةً من الخارج وحمراء داميةً من الدَّاخل، مع البصل واللِّفت المشويَّيْن... وهذه المرَّة أكلَ عموم الجُند كاللوردات والفُرسان.

لحم الخيل أقسى من أن تطحنه بقايا أسنان ثيون، وأصابَته محاولة المضغ بألمٍ بليغ، فهرسَ اللِّفت والبصل معًا بالجانب المسطَّح من خنجره وصنعَ منهما وجبةً، ثم قطَّع اللَّحم قطعًا صغيرةً للغاية وامتصَّ كلَّ واحدةٍ ثم بصقَها. هكذا على الأقل ينال المذاق والقليل من التَّغذية من الدُّهن والدَّم. أمَّا العظمة فلا يستطيع أن يفعل بها شيئًا، فألقاها للكلاب وشاهدَ چاين الشَّهباء تهرب بها وتُطارِدها سارا وويلو.

أمرَ اللورد بولتون إيبل بالغناء لهم فيما يأكلون، فغنَّى الشَّاعر (الرِّماح الحديد) ثم (بنت الشِّتاء)، ولمَّا طلبَت باربري داستن شيئًا أكثر مرحًا غنَّى لهم (خلعَت الملكة صندلها، خلعَ الملك تاجه) و(الجميلة والدُّب). اشتركَ رجال فراي في الغناء، وكذا بعض الشَّماليِّين الذين دقُّوا الموائد بقبضاتهم مع اللَّازمة وهتفوا: «*دُب! دُب!*»، لكن الضَّوضاء روَّعت الخيول، وسرعان ما صمتَ المغنُّون وتوقَّفت الموسيقى.

اجتمعَ صِبيان النَّغل عند الحائط تحت مشعلٍ متَّقد، يلعب لوتون والسلَّاخ النَّرد، ويُداعِب جرونت امرأةً في حِجره ممسكًا ثديها، ويُشحِّم ديمون ارقُص-لي سوطه. ناداه هذا الأخير: «ريك»، ونقرَ بالسَّوط على ساقه كأنه يستدعي كلبًا، وتابعَ: «رائحتك بدأت تسوء ثانيةً يا ريك».

لم يُحِر ثيون جوابًا إلَّا «نعم» خافتةً.

قال ديمون ماسحًا السَّوط بخرقةٍ ملوَّثة بالشَّحم: «اللورد رامزي ينوي قطع شفتيك بعد انتهاء كلِّ هذا».

شفتاي كانتا بين ساقَي زوجته. لا يُمكن أن تمرَّ إساءة كهذه بلا عقاب. «كما تقول».

قهقهَ لوتون، وقال: «أظنُّه يُريد هذا».

قال السلَّاخ: «ابتعد يا ريك. رائحتك تقلب معدتي»، وضحكَ الآخَرون.

أسرعَ يهرب قبل أن يُغيِّروا رأيهم. لن يتبعه معذِّبوه إلى الخارج ما دامَ في الدَّاخل طعام وشراب ونساء راغبات ونار حامية. بينما غادرَ القاعة كان إيبل يُغنِّي (اللَّواتي يُزهِرن في الرَّبيع).

بالخارج ينهمر الثَّلج بكثافةٍ جعلَته لا يرى أبعد من ثلاثة أقدام. وجدَ نفسه وحيدًا في بيداء بيضاء، ترتفع على جانبيه جُدران من الثَّلج حتى صدره، ولمَّا رفعَ رأسه مسَّت رقائق الثَّلج وجنتيه كقُبلاتٍ ناعمة باردة، وتناهَت إلى مسامعه الموسيقى الآتية من القاعة ورائه، أنغام أغنيَّةٍ هادئة هذه المرَّة، أغنيَّة حزينة.

وللحظةٍ أحسَّ ثيون بشيءٍ أقرب إلى السَّكينة.

بعد مسافةٍ صادفَ رجلًا يمضي في الاتِّجاه المعاكس بخُطى واسعة فيُرَفرِف معطفه المقلنَس وراءه، وعندما تواجَها التقَت أعيُنهما لقاءً سريعًا، ووضعَ الرَّجل يده على مقبض خنجره قائلًا: «ثيون المارِق، ثيون قاتِل الأقربين».

- «لا، لستُ كذلك. إنني لم... كنتُ حديديَّ الميلاد».

- «لم تكن إلَّا خائنًا. كيف ما زلت تتنفَّس؟».

- «الآلهة لم تَفرُغ مني»، أجابَ ثيون متسائلًا إن كان هذا هو القاتِل، جوّال اللَّيل الذي دسَّ ذَكر القضيب الأصفر في فمه ودفعَ سائس روچر ريزويل من الشُّرفة. الغريب أنه لم يَشعُر بالخوف. خلعَ قُفَّاز يُسراه مضيقًا: «اللورد رامزي لم يَفرُغ مني».

نظرَ الرَّجل إلى يده، وقال ضاحكًا: «سأتركك له إذن».

واصلَ ثيون مشيته المجهِدة في العاصفة إلى أن غلَّف الثَّلج ذراعيه وساقيه وخدَّرت البرودة يديه وقدميه، ثم إنه صعدَ إلى شُرفة السُّور الدَّاخلي مجدَّدًا. هنا بالأعلى، على ارتفاع مئة قدم، تهبُّ ريح خفيفة محرِّكةً الثَّلج الذي ملأَ الثُّلمات كلَّها، واضطرَّ ثيون إلى هدم حائط الثَّلج لكمًا بقبضتيه ليصنع ثقبًا... فقط ليجد أنه لا يرى أبعد من الخندق. لم يتبقَّ من السُّور الخارجي إلَّا ظلٌّ مبهم وبضعة أضواء باهتة طافية في الظَّلام.

العالم اختفى. (كينجز لاندنج) و(ريڤررَن) و(پايك) و(جُزر الحديد)، (الممالك السَّبع) بأسرها، كلُّ مكانٍ عرفه، كلُّ مكانٍ قرأ عنه أو حلمَ به—كلُّ هذا اختفى ووحدها (وينترفل) تبقَّت.

إنه حبيس هنا مع الأشباح، الأشباح القديمة في السَّراديب والأشباح الجديدة التي صنعَها بنفسه، أشباح ميكن وفارلن وجاينير وآجار وجلمار وزوجة الطحّان عند (نهر البلُّوط) وابنيها والآخَرين جميعهم. *ما صنعَت يداي، أشباحي، إنها هنا، وإنها غاضبة*. ذهبَت أفكاره إلى السَّراديب والسُّيوف المفقودة.

عادَ ثيون إلى غُرفته، وكان يخلع ثيابه المبتلّة حين أتاه والتون ذو السَّاقين الفولاذ يقول: «تعالَ معي أيها المارِق. حضرة اللورد يُريد أن يُكلِّمك».

لم يجد ثيابًا نظيفةً جافَّةً، فعادَ يرتدي خِرقه نفسها وتبعَ والتون، الذي قادَه إلى (الحصن الكبير) والغُرفة الشَّمسيَّة التي كانت لإدارد ستارك. لم يكن اللورد بولتون وحده، إذ جلسَت معه الليدي داستن بوجهٍ شاحب قاسٍ، وروجر ريزويل بدبُّوس حديد على شكل رأس حصان يُثبِّت معطفه، فيما وقفَ إينس فراي قُرب النَّار وقد احمرَّ خدَّاه الممصوصان بردًا.

بادرَ اللورد بولتون بالكلام قائلًا: «قيلَ لي إنك تتجوَّل في أنحاء القلعة. أبلغَني الرِّجال برؤيتك في الاسطبلات والمطابخ والثُّكنات وفوق الأسوار، كما شوهِدتَ قُرب أطلال المباني المتهدِّمة وخارج سِپت الليدي كاتلين القديم، علاوةً على تردُّدك إلى أيكة الآلهة. هل تُنكِر هذا؟».

- «لا يا سِيدِي». حرصَ ثيون على نُطق الكلمة كالعوام عالمًا أن هذا يسرُّ اللورد بولتون. «لا أستطيعُ النَّوم يا سِيدِي، ولذا أتمشَّى». أبقى رأسه مطأطأً وركَّز بصره على الحصائر القديمة المفروشة على الأرض، فليس حكيمًا أن يَنظُر إلى حضرة اللورد في وجهه مباشرةً. «كنتُ صبيًّا هنا قبل الحرب، ربيب إدارد ستارك».

قال بولتون: «كنت رهينةً».

- «نعم يا سِيدِي، كنتُ رهينةً». *لكنه كان بيتي. لم يكن بيتًا حقيقيًا لكنه أفضل ما عرفتُ.*

- «أحدهم يَقتُل رجالي».

- «نعم يا سِيدِي».

بنبرةٍ أنعم قال بولتون: «ليس أنت بالتَّأكيد، أليس كذلك؟ لا يُعقَل أن تردَّ إحساني إليك بالخيانة».

- «نعم يا سِيدِي، ليس أنا، مستحيل. إنني... أتمشَّى فقط».

خاطبَته الليدي داستن قائلةً: «اخلع قُفَّازيك».

رفعَ ثيون عينيه بحدَّة، وقال: «أرجوكِ، لا. أنا... أنا...».

قال السير إينس: «افعل كما تقول. أرِنا يديك».

خلعَ ثيون قُفَّازيه ورفعَ يديه ليروها مفكِّرًا: *لستُ أقفُ أمامهم عاريًا، ليس الأمر بذلك السُّوء.* في يُسراه ثلاثة أصابع، وفي يُمناه أربعة. من الثَّانية أخذَ رامزي الخنصر فقط، ومن الأولى إصبع الخاتم والسبَّابة.

قالت الليدي داستن: «النَّغل فعلَ بك هذا».

- «بعد إذن سيِّدتي، لقد... لقد سألته هذا». دائمًا يجعله رامزي يسأل. *دائمًا يجعلني رامزي أستجدي.*

- «لماذا؟».

- «لم... لم أحتَج إلى أصابع كثيرة».

قال السير إينس فراي: «أربعة أصابع تكفي»، وداعبَ اللِّحية البنِّيَّة الخفيفة النَّابتة من ذقنه الضَّعيف كذيل جرذ، وأردفَ: «في يُمناه أربعة أصابع. ما زالَ يستطيع أن يُمسِك سيفًا أو خنجرًا».

ضحكَت الليدي داستن قائلةً: «أكلُّ آل فراي حمقى مِثلك؟ انظُر إليه. يُمسِك خنجرًا؟ إنه يقوى على الإمساك بملعقةٍ بالكاد. هل تظنُّ حقًّا أنه استطاعَ التَّغلُّب على مخلوق النَّغل المقزِّز إياه ودسِّ عُضوه في حَلقه؟».

قال روچر ريزويل: «القتلى كلُّهم كانوا رجالًا أقوياء، ولا أحدَ منهم ماتَ مطعونًا. المارِق ليس قاتِلنا المنشود».

سلَّط رووس بولتون عينيه الباهتتين على ثيون، ورشقَه بنظراتٍ حادَّة كسكِّين السلَّاخ قائلًا: «أميلُ إلى الموافقة. بغضِّ النَّظر عن القوَّة فإنه لا يقدر على خيانة ابني».

زمجرَ روچر ريزويل: «إن لم يكن هو فمَن؟ واضح أن لستانيس رجلًا ما داخل القلعة».

ريك ليس رجلًا. ليس ريك، ليس أنا. تساءلَ إن كانت الليدي داستن قد أخبرَتهم بشأن السَّراديب والسُّيوف المفقودة.

دمدمَ السير إينس فراي: «علينا أن نَنظُر إلى ماندرلي. اللورد وايمان لا يحبُّنا».

ردَّ ريزويل بغير اقتناع: «لكنه يحبُّ اللَّحم المشوي والفطائر. التَّجوال في القلعة في الظَّلام يتطلَّب أن يبرح المائدة، وهو لا يبرحها إلَّا للذَّهاب إلى المرحاض الذي يقضي فيه ساعةً كلَّ مرَّة».

- «لا أزعمُ أن اللورد وايمان يفعلها بنفسه. لقد جلبَ معه ثلاثمئة رجل، مئة فارس. قد يكون أيُّهم...».

قاطعَته الليدي داستن: «العمل في الخفاء ليس للفُرسان، واللورد وايمان ليس الوحيد الذي فقدَ قريبًا في زفافكم الأحمر يا فراي. هل تخال أن باقِر العاهرة يحبُّكم أكثر؟ لو لم يكن چون الكبير أسيرًا عندكم لأخرجَ أمعاءك من بطنك وجعلَك تأكلها كما أكلَت الليدي هورنوود أصابعها. آل فلينت وسروين وتولهارت وسليت... كلُّهم كان لهم رجال مع الذِّئب الصَّغير».

قال روچر ريزويل: «وآل ريزويل أيضًا».

أضافَت الليدي باربري: «وحتى رجال داستن من (بلدة الرَّوابي)»، وافترقَت شفتاها في ابتسامةٍ شاحبة شرسة مضيفةً: «الشَّمال يَذكُر يا فراي».

ارتعشَ فم إينس فراي حنقًا، وقال: «ستارك لوَّث شَرفنا. هذا هو ما عليكم أن تَذكُروه أيها الشَّماليُّون».

فركَ رووس بولتون شفتيه المشقَّقتين قائلًا: «لن ينفعنا هذا الشِّجار»، وأشارَ بإصبعه إلى ثيون مستطردًا: «يُمكنك الذَّهاب. انتبه إلى أماكن تجوالك وإلَّا عثرنا عليك أنت غدًا مبتسمًا ابتسامةً حمراء».

قال ثيون: «كما تقول يا سِيدِي»، ووضعَ قُفَّازيه على يديه المشوَّهتين من جديدٍ وخرجَ يحجل على قدميه المشوَّهتين.

حلَّت عليه ساعة الذِّئب وهو مستيقظ، وقد لفَّ نفسه بطبقاتٍ من الصُّوف الثَّقيل والفرو الملوَّث بالشَّحم، ليدور دورةً أخرى فوق السُّور الدَّاخلي آملًا أن يُتعِب نفسه بما فيه الكفاية لينام. كسا ساقيه الثَّلج حتى الرُّكبتين وغلَّف رأسه وكتفيه الأبيض. فوق هذا القطاع من السُّور كانت الرِّيح تهبُّ في وجهه والثَّلج الذَّائب ينثال على وجنتيه كدموعٍ جليديَّة.

ثم إنه سمعَ النَّفير.

أنين واطئ طويل تردّد فبدا عالقًا فوق الشُّرفات وأفعمَ الهواء الأسود متخلِّلًا عظام كلِّ مَن سمعَه. بطول أسوار القلعة التفتَ النَّواطير صوب الصَّوت شادّين الأيدي على قنوات جِرابهم، وفي قاعات وحصون (وينترفل) المتهدِّمة أسكتَ بعض اللوردات بعضًا وصهلَت الخيول واعتدلَ النِّيام في أركانهم المظلمة. ولم يكد صوت نفير الحرب يغيب حتى بدأت الطَّبلة تدقُّ، **بووم** *دووم* **بووم** *دووم* **بووم** *دووم*، وانتقلَ الاسم من شفتَي كلِّ رجلٍ إلى التَّالي مكتوبًا بسحاباتٍ بيضاء صغيرة من الأنفاس إذ همسوا: *ستانيس، ستانيس هنا، ستانيس أتى، ستانيس، ستانيس*.

ارتجفَ ثيون. لا فرق عنده بين باراثيون وبولتون. ستانيس تحالفَ مع چون سنو على (الجِدار)، ولن يتردَّد چون في ضرب عُنقه هنيهةً. *ينتزعونني من براثن نغلٍ لأموت بيد آخر. يا لها من دُعابة*. كان ليضحك لو أنه يَذكُر كيف.

بدا له أن دقَّات الطَّبلة آتية من (غابة الذِّئاب) وراء (بوَّابة الصيَّادين). *إنهم خارج الأسوار مباشرةً*. قطعَ ثيون الممشى، رجل واحد بين عشرين يفعلون المِثل، لكن حتى عندما وصلوا إلى البُرجين على جانبَي البوَّابة نفسها لم يروا شيئًا وراء السِّتار الأبيض.

دوَّى النَّفير ثانيةً، فقال أحد رجال فلينت مازحًا: «هل يُحاوِلون إسقاط أسوارنا نفخًا؟ ربما يحسب ستانيس أنه وجدَ بوق چورامون».

سألَ ناطور: «هل ستانيس بالحماقة الكافية لمحاولة اقتحام القلعة؟».

أعلنَ رجل من (بلدة الرَّوابي): «إنه ليس روبرت. سيجلس وينتظر، سترون. سيُحاوِل تجويعنا حتى الاستسلام».

قال ناطور آخَر: «سيتجمَّد أولًا».

علَّق أحد رجال فراي: «علينا أن نُبادِره بالقتال».

افعلوا هذا، اخرُجوا إلى الثَّلج وموتوا، اتُركوا (وينترفل) لي وللأشباح. يستشعِر ثيون أن رووس بولتون سيُرحِّب بقتالٍ كهذا. *إنه محتاج إلى وضع نهايةٍ لكلِّ هذا*. القلعة أشد ازدحامًا من الصُّمود أمام حصارٍ طويل، وكثيرون من اللوردات ها هنا ولاؤهم موضع شك. وايمان ماندرلي السَّمين، وباقِر العاهرة أومبر، ورجال عائلتَي هورنوود وتولهارت، وآل لوك وفلينت وريزويل، أجمعهم شماليُّون أقسَموا على الولاء لعائلة ستارك منذ قرونٍ لا تُحصى، وما أبقاهم هنا إلَّا الفتاة، ابنة اللورد إدارد ودمه، لكن الفتاة مجرَّد حيلةٍ زائفة، حَمل في فروة ذئبٍ رهيب، فلِمَ لا يُرسِل بولتون الشَّماليِّين لقتال ستانيس قبل انكشاف الحيلة؟ مذبحة في *الثَّلج، وكلَّما سقطَ رجل قلَّ خصوم (معقل الخوف) واحدًا*.

تساءلَ ثيون إن كان سيُسمَح له بالقتال. عندئذٍ على الأقل سيموت ميتة رجلٍ بسيفٍ في يده. تلك هديَّة لن يهبها له رامزي أبدًا، لكن اللورد رووس قد يفعل. *إذا توسَّلتُ إليه. لقد فعلتُ كلَّ ما طلبَه مني، لعبتُ دوري وسلَّمتُ الفتاة*.

الموت أحلى نجاةٍ يُمكنه أن يأملها.

في أيكة الآلهة لا يزال الثَّلج يذوب إذ يمسُّ التُّربة، والبُخار يتصاعَد من البِرك السَّاخنة معطَّرًا بروائح الطَّحالب والطَّمي والعفَن، وقد علقَ ضباب دافئ بالهواء محيلًا الأشجار إلى حُرَّاسٍ وجنودٍ طوال متَّشحين بالعتمة. في ساعات النَّهار تمتلئ الأيكة الدَّافئة بالشَّماليِّين الذين أتوا يتعبَّدون إلى الآلهة القديمة، بيد أن ثيون جرايچوي وجدَها في هذه السَّاعة خاليةً له وحده.

وفي قلب الأيكة تنتظر شجرة الويرووود بعينيها الحمراوين العليمتين. توقَّف ثيون عند حافة البِركة السَّوداء وخفضَ رأسه أمام الوجه الأحمر المنقوش. حتى هنا تترامى دقَّات الطَّبلة إلى مسامعه، *بووم* **دووم** *بووم* **دووم** *بووم* **دووم**. كهزيم رعدٍ بعيد يبدو الصَّوت كأنما يأتي من كلِّ جهةٍ في آنٍ واحد.

اللَّيلة بلا ريح، والثَّلج يَسقُط عموديًّا من سماءٍ سوداء باردة، لكن أوراق شجرة الويرووود تحفُّ رغم ذلك، كأنها تهمس له: *ثيون، ثيون*.

الآلهة القديمة، إنها تعرفني، تعرف اسمي. كنتُ ثيون سليل عائلة جرايچوي، كنتُ ربيب إدارد ستارك وصديقًا وأخًا لأولاده. خرَّ على رُكبتيه مبتهلًا: «أرجوكِ، لا أطلبُ إلَّا سيفًا. دعيني أموتُ وأنا ثيون لا ريك»، وسالَت الدُّموع على وجهه بدفءٍ مستحيل إذ أردفَ: «كنتُ حديديَّ الميلاد، ابنًا... ابنًا لـ(پايك) والجُزر».

انفصلَت ورقة عن غُصنٍ بالأعلى ومسَّت جبهته وحطَّت في البِركة لتطفو على صفحة الماء حمراء خُماسيَّة الأصابع كيدٍ دامية، وغمغمَت الشَّجرة: ... *بران*.

إنها تعلم، الآلهة القديمة تعلم، لقد رأت ما اقترفتُ. وللحظةٍ عجيبة خُيِّلَ إليه أن وجه بران هو المنقوش على جذع الشَّجرة الشَّاحب، يَرمُقه بعينين حمراوين حكيمتين حزينتين. فكَّر: *شبح بران،* لكن هذا جنون. لِمَ قد يُطارِده بران؟ لقد كان شغوفًا بالصَّبي ولم يمسَّه بسوءٍ قَطُّ. *لم يكن بران مَن قتلنا، لم يكن ريكون. كانا ابنَي الطحَّان فقط، من الطَّاحونة على (نهر البلُّوط).* «كان يجب أن أجد رأسين وإلَّا لسخروا مني... لضحكوا مني... كانوا...».

قال صوت: «مَن تُكلِّم؟».

دارَ ثيون على عقبيه مرعوبًا من أن رامزي وجدَه، لكنه لم يرَ إلَّا ثلاثًا من الغسَّالات، هولي وروان وثالثةً يجهل اسمها. اندفعَ يقول: «الأشباح. إنها تُوَشوِشني، إنها... تعرف اسمي».

أمسكَت روان أذنه ولوَتها قائلةً: «ثيون المارِق. كان يجب أن تجد رأسين، أليس كذلك؟».

قالت هولي: «وإلَّا لضحكوا منه».

لسن يفهمن. خلَّص ثيون نفسه بعُنفٍ متسائلًا: «ماذا تُردن؟».

أجابَته الغسَّالة الثَّالثة: «أنت». امرأة أكبر سِنًّا هذه، صوتها عميق وشَعرها وخطَه الشَّيب.

قالت هولي مبتسمةً: «قلتُ لك إنني أريدُ أن ألمسك أيها المارِق»، وظهرَ نصل في يدها.

فكَّر ثيون: *يُمكنني أن أصرخ. أحدهم سيسمعني. القلعة ملأى بالرِّجال المسلَّحين.* لكنه سيموت قبل أن تَبلُغه النَّجدة بالطَّبع، وستتشرَّب التُّربة دماءه لتسقي شجرة القلوب. *وما العيب في هذا؟* قال بصوتٍ طغى فيه اليأس على التحدِّي: «المسيني، اقتُليني. هيا، افتكن بي كما فتكتن بالآخَرين، القضيب الأصفر والبقيَّة. أنتن مَن فعلنها».

ضحكَت هولي قائلةً: «نحن؟ كيف؟ إننا نساء، أثداء وفروج، هنا لينكحونا وليس ليخافونا».

سألَته روان: «هل آذاك النَّغل؟ قطعَ أصابع يديك وسلخَ أصابع قدميك الجميلة؟ يا لك من مسكين»، وربَّتت على خدِّه متابعةً: «لن يَحدُث شيء كهذا ثانيةً، أعدُك. لقد صلَّيت فأرسلَتنا إليك الآلهة. تُريد أن تموت وأنت ثيون؟ سنمنحك هذا، ميتةً سريعةً نظيفةً لن تُؤلِمك على الإطلاق»، وابتسمَت مضيفةً: «ولكن ليس قبل أن تغنِّي لإيبل. إنه في انتظارك».

صاحَ الدلّال مفرقعًا بسوطه: «الدُّفعة 97، زوجان من الأقزام، مدرَّبان على تسليتكم».

نُصِبَت منصّة المزادات حيث يصبُّ (السكاهازاذان) البنِّي العريض في (خليج النخّاسين)، وكان باستطاعة تيريون لانستر أن يشمَّ الملوحة في الهواء ممتزجةً بالرّائحة الكريهة المنبعثة من المراحيض المحفورة وراء حظائر الرّقيق. لا يُزعِجه الحَرُّ بقدر ما تُزعِجه الرُّطوبة، وقد شعرَ كأن للهواء نفسه وطأةً تضغط عليه كدثارٍ مبتل ملقى فوق رأسه وكتفيه.

أعلنَ الدلّال: «الدُّفعة تتضمَّن كلبًا وخنزيرًا يركبهما القزمان. أبهِجوا ضيوفكم خلال مأدبتكم التّالية أو استخدموهما في عرضٍ هزلي».

جلسَ المُزايدون على دِكاكٍ خشبيّة يرشفون مشروباتٍ الفواكه، يُهوِّي العبيد بعضهم بالمراوح، ويرتدي كثيرون منهم التوكار، ذلك الملبس العجيب الذي يحبُّه أصحاب الدِّماء القديمة في (خليج النخّاسين)، أنيق لكنه غير عملي. يرتدي آخَرون ثيابًا أكثر تقليديّةً، رجال في سُتراتٍ طويلة ومعاطف مقلنَسة، ونساء في حرائر ملوّنة. عاهرات أو راهبات على الأرجح. هنا في الشَّرق البعيد تَصعُب التّفرقة.

وراء الدِّكك تقف زُمرة من الغربيِّين الذين راحوا يتبادَلون الدُّعابات ويسخرون من المزاد. علمَ تيريون أنهم مرتزِقة، ورأى معهم سيوفًا طويلةً وسكاكين وخناجر وزوجين من الفؤوس، ولمحَ حلقاتٍ معدنيَّةً تحت معاطفهم. لأكثرهم شَعر ولحى ووجوه تُميِّزهم كأبناء المُدن الحُرَّة، لكن هنا وهناك قلائل قد يكونون وستروسيِّين. *هل سيشترون أم أنهم أتوا يتفرَّجون على العرض فحسب؟*

- «مَن يفتتِح المزاد على هذين الاثنين؟».

ألقَت ناظِرة عطاءها من هودجٍ أثري: «ثلاثمئة».

وصاحَ رجل يونكي بالغ البدانة مستلقٍ على محفَّةٍ كالحوت: «أربعمئة». الرَّجل مغطًّى بالحرير الأصفر المهدَّب بالذَّهب، ويبدو كأربعةٍ من إليريو دُفعةً واحدةً، حتى إن تيريون أشفقَ على العبيد الذين يحملونه. *على الأقل سنُجنَّب ذلك الواجب. ما أمتع ان يكون المرء قزمًا.*

قالت شمطاء في توكار بنفسجي: «وواحد»، فحدجَها الدلَّال بنظرةٍ عابسة، لكنه لم يَرفُض العطاء.

بيعَ بحّارة (السّلياسوري كوران) العبيد فُرادى بأسعارٍ تراوحَت بين خمسمئة وتسعمئة قطعةٍ من الفضّة، فالملّاحون المحنّكون سلعة قيّمة. لم يُحاوِل أحدهم المقاومة البتّة حينما هاجمَ النخّاسون الكوج المشلول، فبالنّسبة إليهم لم يتعدَّ الأمر انتقال ملكيّتهم من سيّدٍ إلى سيّد. على عكسهم، كان وُكلاء الرُّبّان رجالًا أحرارًا، لكن أرملة الضفّة كتبَت لكلٍّ منهم وثيقة تعهُّد بدفع فديتهم في حالةٍ كهذه. لم يُبَع رجال اليد النّاريّة الثّلاثة النّاجون بعدُ، لكنهم من أتباع إله الضّياء، ولهم أن يعتمدوا على أن يشتريهم أحد المعابد الحمراء ثانيةً. وشوم اللّهب على وجوههم هي وثائقهم.

أمّا تيريون وپني فمحرومان من مِثل هذه الضّمانات.

- «أربعمئة وخمسون».

- «أربعمئة وثمانون».

- «خمسمئة».

بعض العطاءات أُلقِيَ بالقاليريّة الفُصحى وبعضها بلُغة (جيس) الهجينة، في حين أشارَ عدد من المشترين بإصبعٍ أو بلَيّة رُسغ أو لوّح بمروحته الملوّنة.

همسَت پني: «إنني مسرورة لأنهم سيُبقونا معًا».

رماهما تاجر الرّقيق بنظرةٍ ناريّة قائلًا: «لا كلام».

اعتصرَ تيريون كتف پني. كانت خُصل الشّعر الأشقر الباهت والأسود ملتصقةً بجبهته، وسُترته المهترئة بظَهره. جزء من هذا عَرق وجزء آخَر دماء جافّة. على الرغم من أنه لم يتصرَّف بطيشٍ ويُقاتِل النخّاسين كما فعلَ چورا مورمونت فإنه لم ينجُ من العقاب، وفي حالته كان فمه هو ما جلبَ عليه جَلدات الكرابيج.

- «ثمانمئة».

- «وخمسون».

- «وواحد».

متأمِّلًا قال تيريون لنفسه: *سعرنا كالبحّارة تقريبًا*، وإن كان واردًا أن بُغية المشترين الحقيقيَّة هي الخنزيرة الجميلة. *العثور على خنزيرٍ حسن التَّدريب صعب*. أكيد أنهم لا يُلقون عطاءاتهم بالرَّطل.

عند تسعمئة قطعةٍ من الفضَّة تباطأت العطاءات، وعند تسعمئة وإحدى وخمسين قطعةً -من الشَّمطاء- توقَّف. على أن الدلَّال كان عازمًا على بيعهما بسعرٍ أعلى، وهكذا قرَّر أن يُؤدِّي القزمان عرضهما أمام المتفرِّجين، وسيقَ كرَنش والخنزيرة الجميلة إلى المنصَّة. اتَّضحت صعوبة ركوبهما دون سَرجٍ أو لجام، ولحظة أن بدأت الخنزيرة الحركة انزلقَ تيريون من فوق مؤخِّرتها وحطَّ على مؤخِّرته مفجِّرًا عاصفة ضحكٍ بين المُزايدين.

زايدَ الرَّجل مفرط البدانة: «ألف».

والشَّمطاء مرَّةً أخرى: «وواحد».

رأى تيريون ابتسامةً متجمِّدةً على ثغر پني، ففكَّر: *مدرَّبة على تسليتكم*. أيًّا كانت الجحيم الصَّغيرة المحفوظة للأقزام فعلى أبيها أن يُكفِّر عن الكثير.

قال الحوت مرتدي الأصفر: «ألف ومئتان»، وتناولَ شرابًا من العبد الواقف إلى جواره. *ليمون لا ريب*. يُسلِّط الرَّجل هاتين العينين الصَّفراوين على المنصَّة بطريقةٍ تُزعِج تيريون.

- «ألف وثلاثمئة».

زايدَت الشَّمطاء: «وواحد».

لطالما قال أبي إن ابن لانستر يسوى عشرةً من أيِّ شخصٍ تقليدي.

عند ألفٍ وستِّمئة بدأت العطاءات تتباطأ ثانيةً، فدعا تاجر العبيد بعض المشترين إلى الصُّعود فوق المنصَّة ليفحصوا القزمين من كثب، وأكَّد لهم: «الأنثى شابَّة. يُمكنكم تزويجهما وبيع أولادهما بأسعارٍ جيِّدة».

ما إن ألقَت الشَّمطاء نظرةً من قُربٍ تقلَّص وجهها المتغضِّن استياءً وتذمَّرت قائلةً: «نِصف أنفه مقطوع». بشرتها بيضاء كاليرقات، وتبدو بتوكارها البنفسجي كحبَّة برقوقٍ مجفَّفة تعفَّنت. «وعيناه غير متماثلتين. نذير شؤمٍ هذا».

قال تيريون: «سيِّدتي لم ترَ أفضل جزء فيَّ بعدُ»، وأمسكَ ذَكره تأكيدًا لمقصده إن فاتَها.

هسهسَت الحيزبون غضبًا، ونالَ تيريون ضربةً لاسعةً من السَّوط على ظَهره أسقطَته على رُكبتيه، وملأ مذاق الدَّم فمه، لكنه رسمَ على شفتيه ابتسامةً عريضةً وبصقَ.

نادى صوت جديد من مؤخِّرة الدِّكك: «ألفان».

وما الذي يُريده مرتزِق من قزم؟ دفعَ تيريون نفسه إلى النُّهوض ليُلقي نظرةً أفضل. المُزايد الجديد رجل أكبر سِنًّا، أبيض الشَّعر لكنه طويل القامة ممشوق القوام، له بشرة بنِّيَّة متغضِّنة ولحية مشذَّبة سوداء موخوطة بالأبيض، ومن تحت معطفه الأرجواني الباهت يلوح سيف طويل وخنجران.

- «ألفان وخمسمئة». صوت أنثوي هذه المرَّة، فتاة قصيرة غليظة الخصر عامرة النَّهدين ترتدي درعًا منمَّقة النُّقوش، واقي صدرها المنحوت من الفولاذ الأسود مزخرف بالذَّهب وعليه هاربي ترتفع بسلاسل متدلِّية من مخالبها، ويرفعها جُنديَّان عبدان فوق تُرسٍ إلى مستوى الكتف.

تقدَّم بنِّي البشرة مزايدًا: «ثلاثة آلاف»، ودفعَ رفاقه المرتزِقة المشترين جانبًا مخلين له الطَّريق. *نعم، اقترِب*. يعرف تيريون كيف يتعامَل مع المرتزِقة، ولا يحسب لحظةً أن هذا الرَّجل يُريده ليُقدِّم العروض الفُكاهيَّة في المآدب. *إنه يعرفني، ويُريد أن يأخذني إلى (وستروس) ليبيعني لأختي*. فركَ القزم فمه ليُخفي ابتسامته. سرسي و(الممالك السَّبع) على الجانب الآخَر من العالم، ومن شأن أشياء كثيرة أن تقع قبل وصوله إلى هناك. *لقد قلبتُ برون. أعطِني نِصف فُرصةٍ وقد أستطيعُ أن أقلب هذا أيضًا*.

كفَّت الشَّمطاء والفتاة فوق التُّرس عن المُزايدة عند الألف الثَّالثة، ولكن ليس البدين الأصفر، الذي وزنَ المرتزِق بعينيه الصَّفراوين وتحسَّس أسنانه المصفرَّة بلسانه، وقال: «خمسة آلاف قطعة فضِّيَّة للدُّفعة».

وعبسَ المرتزِق وهزَّ كتفيه وانسحبَ.

بحقِّ الجحائم السَّبع! يثق تيريون تمامًا بأنه لا يُريد أن يكون من أملاك هذا اللورد الأصفر. مجرَّد منظره يجعل جِلد القزم يقشعرُّ، ببدنه المتهدِّل على المحفَّة كجبل لحمٍ شاحب له عينان خنزيريَّتان صفراوان وثديان بحجم الخنزيرة الجميلة يضغطان على حرير توكاره، كما أن رائحته النفَّاذة تَبلُغ المنصَّة ذاتها.

- «إن لم تكن هناك عطاءات أخرى...».

قاطعَه تيريون زاعقًا: «سبعة آلاف».

جرفَت موجة من الضَّحك الدِّكك، وعلَّقت الفتاة فوق التُّرس: «القزم يُريد أن يشتري نفسه».

منحَها تيريون ابتسامةً شهوانيَّةً واسعةً، وقال: «العبد الذَّكي يستحقُّ سيِّدًا ذكيًّا، وأنتم جميعًا تبدون حمقى».

استدعى قوله مزيدًا من ضحك المُزايدين وتكشيرةً من الدلَّال، الذي داعبَ سوطه بتردُّدٍ محاولًا أن يُقرِّر إن كان الأمر سيمضي في صالحه.

صاحَ تيريون: «خمسة آلاف إهانة! إنني أنازلُ وأغنِّي وأقولُ أشياء ظريفةً. سأنكحُ زوجتك وأجعلها تَصرُخ، أو زوجة عدوِّك إذا أردت، فهل من وسيلةٍ أفضل لإذلاله؟ إنني فتَّاك بالنُّشَّابيَّة، والرِّجال الذين يفوقونني حجمًا ثلاث مرَّاتٍ يتهيَّبون ويرتجفون حين نلتقي على طاولة السايقاس، كما أنني أطبخُ بين الحين والآخَر. أزايدُ بعشرة آلاف قطعة فضَّةٍ على نفسي! أستطيعُ أن أدفعها، حقًّا، حقًّا. أبي علَّمني أن أسدِّد ديوني دائمًا».

التفتَ إليه المرتزِق ذو المعطف الأرجواني، وعبر صفوف المُزايدين التقَت عيناه عينَي تيريون وابتسمَ. *ابتسامة دافئة هذه، ابتسامة ودود، لكن يا لبرودة هاتين العينين. ربما لا أريده أن يشترينا رغم كلِّ شيء.*

كان العملاق الأصفر يتململ فوق محفَّته وقد تصدَّرت وجهه المستدير الضَّخم نظرة ضيق، ثم إنه همهمَ مستاءً بشيءٍ ما بالجيسكاريَّة لم يفهمه تيريون، وإن كانت نبرته واضحةً بما فيه الكفاية. حنى القزم رأسه إلى الجانب قائلًا: «أهذا عطاء آخَر؟ أنا أعرضُ كلَّ ذهب (كاسترلي روك)».

سمعَ السَّوط قبل أن يَشعُر به. شقَّ صفير رفيع حاد الهواء، وأطلقَ تيريون آهةً من وقع الضَّربة، لكنه استطاعَ البقاء واقفًا على قدميه هذه المرَّة. استعادَ في مخيِّلته بداية رحلته، حين كان أثقل مشكلاته أن يُقرِّر نوع النَّبيذ الذي سيشربه مع طبقَ الحلزونات في منتصَف النَّهار. *أترى ما تُفضي إليه مطاردة التَّنانين؟* تفجَّرت من شفتيه ضحكة نثرَت الدَّم واللُّعاب على مُزايدي الصفِّ الأول.

أعلنَ الدلَّال: «بيعَت الدُّفعة»، وضربَه ثانيةً لمجرَّد أنه يستطيع، وهذه المرَّة سقطَ تيريون.

سحبَه أحد الحَرس يُوقِفه، وحثَّ آخَر پني على النُّزول من فوق المنصَّة بكعب حربته، في حين سيقَت القطعة التَّالية المعروضة للاقتناء لتحلَّ محلَّهما، فتاة في الخامسة أو السَّادسة عشرة، ليست من (السِّلياسوري كوران) ولا يعرفها تيريون. *في نفس سِنِّ دنيرس تارجاريَن أو أقرب إليها*. سرعان ما جرَّدها النخَّاس من ثيابها. *على الأقل جُنِّبنا هذه المذلَّة*.

تطلَّع تيريون عبر المعسكَر اليونكي إلى أسوار (ميرين). كم تبدو البوَّابة قريبةً... وإذا صدقَ الحديث في حظائر الرَّقيق فلا تزال (ميرين) مدينةً حُرَّةً حتى الآن. وراء هذه الأسوار العتيقة لا يزال تحريم النِّخاسة وتجارة العبيد ساريًا، وما عليه إلَّا أن يَبلُغ هذه البوَّابة ويَدخُل منها ليعود رجلًا حُرًّا من جديد.

لكن ذلك ليس ممكنًا ما لم يتخلَّ عن پني. *ستُريد أن نأخذ الكلب والخنزيرة معنا*.

همسَت پني: «لن يكون الأمر في غاية السُّوء، أليس كذلك؟ لقد دفعَ ثَمنًا باهظًا مقابلنا. سيُعامِلنا برأفة، أليس كذلك؟».

ما دُمنا نُسلِّيه. قال يُطَمئِنها: «إننا أقيم من أن يُسيء معاملتنا». كان الدَّم ما زالَ يَقطُر على ظَهره من جَلدتَي الكُرباج الأخيرتين. *لكن عندما يَقدُم عرضنا ويبدأ يُضجِره... ولسوف يَقدُم حتمًا ويُضجِره...*

كان مُشرف سيِّدهما في الانتظار لتولِّي مسؤوليَّتهما ومعه عربة تجرُّها البغال وجُنديَّان. للرَّجل وجه طويل ضيِّق ولحية نابتة من ذقنه ومربوطة بسلكٍ ذهبي، ومن صُدغيه يرتفع شَعره الأسود المحمر الخشن مكوِّنًا يدين تَبرُز منهما المخالب. خاطبَهما قائلًا: «يا لكما من مخلوقيْن صغيريْن عزيزيْن. إنكما تُذكِّرانني بأطفالي... أو كنتما لتُذكِّراني بهم لو لم يكن صغاري قد ماتوا. سأعتني بكما خير عناية. أخبِراني باسميكما».

- «پني». خرجَ صوتها همسةً رفيعةً وجِلةً.

تيريون سليل عائلة لانستر، سيِّد (كاسترلي روك) الشَّرعي أيها الدُّودة المتباكية. «يولو».

- «يولو الجريء وپني الحسناء، أنتما ملك للنَّبيل الأشوس يزان زو كاجاز، النَّطاسي والمُحارب المبجَّل بين أسياد (يونكاي) الحُكماء. عليكما أن تعدَّا نفسيكما محظوظيْن، فيزان سيِّد رؤوف معطاء. فكِّرا فيه كأنه أباكما».

فكَّر تيريون: *على الرَّحب والسِّعة*، لكنه أمسكَ لسانه هذه المرَّة. لا شكَّ أنهما سيؤدِّيان عرضهما أمام سيِّدهما الجديد قريبًا، ولن يتحمَّل جَلدةً أخرى.

كان المُشرف يقول: «أبوكما يحبُّ كنوزه الصَّغيرة أيَّما محبَّة، وسيعتزُّ بكما. وأنا، اعتبِراني كالمربِّية التي اعتنَت بكما في صِغركما. جميع أطفالي يدعونني بالمربِّي».

أعلنَ الدلَّال: «الدُّفعة 99، مُحارب».

بيعَت الفتاة سريعًا، ويسوقونها الآن إلى مالكها الجديد وقد ضمَّت ثوبها إلى ثدييها الصَّغيرين بحلمتيهما الورديَّتين، فيما جرَّ نخَّاسان چورا مورمونت إلى المنصَّة ليأخذ مكانها، وقد جُرِّدَ الفارس من ثيابه كلِّها باستثناء ثوبٍ داخلي قصير، ظَهره مسحوج من الجَلد، ووجه متورِّم لدرجةٍ تكاد تُخفي ملامحه، ومعصماه وكاحلاه مقيَّدان بالسَّلاسل. قال تيريون لنفسه: *عيِّنة صغيرة من الوجبة التي طبخَها لي*، وعلى الرغم من هذا لم يجد في نفسه القُدرة على التَّشفِّي في حال الفارس الكبير التَّعسة.

حتى وهو مكبَّل بالسَّلاسل يبدو مورمونت خطرًا بجسده الجريم وذراعيه الكبيرتين الغليظتين وكتفيه العريضتين، ناهيك بالشَّعر الدَّاكن الخشن على صدره الذي يجعله يبدو أقرب إلى وحشٍ من إنسان. كلتا عينيه مسودَّة، حُفرتان قاتمتان في وجهه المتورِّم المكدوم، وعلى إحدى وجنتيه وسم لقناع شيطان.

حين انقضَّ النخَّاسون على (السِّلياسوري كوران) واجهَهم السير چورا شاهرًا سيفه الطَّويل، وأجهزَ على ثلاثةٍ منهم قبل أن يقهره الآخَرون. كان رفاقهم ليَقتُلوه بأنفُسٍ رضيَّة، إلَّا أن رُبَّانهم منعَهم، فالمُقاتلون يسوون قدرًا لا بأس به من الفضَّة دومًا، وهكذا قُيِّدَ مورمونت بسلسلةٍ إلى مجذافٍ وضُرِبَ حتى كادَت روحه تُفارِقه وجُوِّعَ ووُسِمَ.

أعلنَ الدلَّال: «رجل كبير قوي هذا، يتمتَّع بعافيةٍ طيِّبة. سيُقدِّم عرضًا جيِّدًا في حلبات القتال. مَن يبدأ العطاء بثلاثمئة؟».

لكن أحدًا لم يفعل.

لم يُعِر مورمونت خليط المتزاحمين انتباهًا، إذ ركَّز عينيه وراء خطوط الحصار على المدينة البعيدة وأسوارها العتيقة عديدة الألوان، وقرأ تيريون نظرتهما بسهولةٍ كأنها كتاب. *قريبة للغاية وبعيدة للغاية*. تأخَّرت عودة البائس المسكين كثيرًا. أخبرَهم الحَرس الواقفون على الحظائر ضاحكين بأن دنيرس تارجاريَن تزوَّجت، اتَّخذت أحد نخَّاسي (ميرين) زوجًا، رجلًا نبيلًا ثريًّا، وعندما تُوقَّع معاهدة السَّلام ستُفتَح حلبات القتال من جديد. قال بعض العبيد بإصرارٍ إن الحَرس كاذبون، إن دنيرس تارجاريَن لا يُمكن أن تُهادِن النخَّاسين أبدًا. دعوها بـ«ميسا»، وأخبرَ أحدهم تيريون بأن الكلمة تعني «أمَّاه». قريبًا ستَخرُج الملكة الفضِّيَّة من مدينتها وتدحر اليونكيِّين وتُحطِّم أغلال العبيد. هكذا يهمس بعضهم لبعض.

ثم إنها ستخبز لنا جميعًا فطيرة ليمون وتُقبِّل جروحنا وتُشفيها. لا يُؤمِن القزم بذلك الإنقاذ الملكي المزعوم، وإذا دعَت الحاجة فسيحرص على خلاصه وپني بنفسه. من شأن الفطر المدسوس في إصبع حذائه أن يكفيهما معًا، لكن على الكلب والخنزيرة أن يجدا قوتهما بنفسيهما.

كان المربِّي لا يزال يُلقي تعليماته على غنيمتَي سيِّده الجديدتين: «افعلا كما تُؤمَران وليس أكثر وستعيشان كأنكما سيِّدان صغيران، مدلَّليْن ومحبوبيْن. اعصيا أمرًا و... لكنكما لن تفعلا ذلك أبدًا، أليس كذلك؟ ليس أنتما يا صغيرَي الحُلويْن»، ومدَّ يده وقرصَ خدَّ پني.

أعلنَ الدلَّال: «مئتان إذن. شخص كبير قوي مِثله يستحقُّ ثلاثة أضعاف هذا الثَّمن. كم سيكون حارسًا شخصيًّا ممتازًا! لن يجرؤ عدوٌّ على إزعاجكم أبدًا!».

قال المربِّي: «هلمَّا يا صديقَي الصَّغيرين، سآخذكما إلى بيتكما الجديد. في (يونكاي) ستَسكُنان في هرم كاجاز الذَّهبي وتأكلان من أطباقٍ فضِّيَّة، لكننا نحيا هنا حياةً بسيطةً في خيام الجنود المتواضعة».

صاحَ الدلَّال: «مَن يُعطيني مئةً؟».

أودى قوله إلى عطاءٍ أخيرًا، ولو أن الرَّجل النَّحيف ذا الإزار الجِلدي الذي ألقاه عرضَ خمسين قطعةً فقط.

زايدَت الشَّمطاء في التوكار البنفسجي: «وواحد».

بينما رفعَ أحد الجُنديَّين پني إلى مؤخِّرة العربة سألَه تيريون: «مَن العجوز؟».

أجابَه الرَّجل: «زاهرينا. مُقاتلوها رخيصو الثَّمن، لحم للأبطال. صديقك سيموت قريبًا».

فكَّر تيريون لانستر: *ليس صديقي*، ورغم هذا وجدَ نفسه يلتفت إلى المربِّي ويقول: «لا يُمكنك أن تسمح لها بأخذه».

ضيَّق المُشرف عينيه متسائلًا: «ما هذه الضجَّة التي تُصدِرها؟».

أشارَ تيريون قائلًا: «هذا الرَّجل جزء من عرضنا، الجميلة والدُّب. چورا هو الدُّب وپني هي الجميلة وأنا الفارس الشُّجاع الذي يُنقِذها. أرقصُ حوله وأضربه في خصيتيه. عرض طريف للغاية».

ظلَّ المُشرف مضيِّقًا عينيه إذ رمقَ منصَّة المزادات، وقال: «هو؟». كانت المُزايدة على چورا مورمونت قد ارتفعَت إلى مئتي قطعة من الفضَّة.

قالت الحيزبون ذات التوكار البنفسجي: «وواحد».

غمغمَ المربِّي: «دُبَّكما، مفهوم»، وخاضَ في الزِّحام ومالَ على اليونكي الأصفر الجسيم فوق محفَّته وهمسَ في أُذنه، فأومأ سيِّده برأسه ليهتزَّ ذقنه، ثم رفعَ مروحته وصاحَ بصوتٍ مبحوح: «ثلاثمئة».

تنشَّقت الحيزبون وأشاحَت بوجهها، وسألَت پني تيريون باللُّغة العاميَّة: «لماذا فعلت هذا؟».

سؤال عادل. لماذا فعلته؟ «عرضكِ بدأ يُصبح مملًّا. كلُّ ممثِّلٍ يحتاج إلى دُبٍّ راقص».

رمقَته بتأنيب، ثم انسحبَت إلى طرف العربة وجلسَت واضعةً ذراعيها حول كرَنش، كأن الكلب آخِر أصدقائها الحقيقيِّين في العالم. *ولعلَّه كذلك*.

عادَ المربِّي بچورا مورمونت، وألقاه اثنان من جنود سيِّدهم العبيد بين القزمين في مؤخِّرة العربة، ولم يُقاوِم الفارس. *نضبَت قُدرته على القتال تمامًا حين علمَ أن ملكته تزوَّجت*. كلمة واحدة مهموسة حقَّقت ما عجزَت عنه القبضات والسِّياط والهراوات، كسرَته. *كان عليَّ أن أترك الحيزبون تأخذه. لن يكون أكثر فائدةً من حلمتين على واقي الصَّدر*.

ركبَ المربِّي في مقدِّمة العربة وأمسكَ الزِّمام وتحرَّك بهم عبر معسكَر الحصار نحو نطاق سيِّدهم الجديد، النَّبيل يزان زو كاجاز، وسارَ معهم أربعة من الجنود العبيد، اثنان على كلِّ جانب.

لم تبكِ پني، لكنه رأى عينيها محمرَّتين بائستين، ولم ترفعهما عن الكلب على الإطلاق. *هل تحسب أن كلَّ هذا سيختفي إذا لم ننظُر؟*

ولم يَنظُر السير چورا مورمونت إلى أحدٍ أو شيء، وجلسَ بسلاسله واجمًا عابسًا.

أمَّا تيريون فنظرَ إلى كلِّ شخصٍ وكلِّ شيء.

ليس المعسكَر اليونكي معسكرًا واحدًا بل عشرات المعسكَرات المنصوبة جنبًا إلى جنبٍ في شكل هلالٍ حول أسوار (ميرين)، مدينة من الحرير وقُماش القنَّب لها جادَّاتها وأزقَّتها وحاناتها وبغاياها وقطاعاتها الجيِّدة والسيِّئة. بين خطوط الحصار والخليج نبتَت الخيام كالفطر الأصفر، بعضها صغير وضيع، ليس أكثر من سديلةٍ من القُماش القديم المتَّسخ لحجب المطر والشَّمس، لكن إلى جوارها تقف ثُكنات قُماشيَّة تسع مئة رجلٍ وسُرادقات حريريَّة ضخمة كالقصور فوق كلٍّ منها سارية ترتفع عليها هارپي برَّاقة. بعض المعسكَرات منظَّم، خيامه منصوبة في دوائر متَّحدة المركز حول بؤرة نار، والأسلحة والدُّروع مرصوصة حول الحلقة الدَّاخليَّة، وصفوف الخيول بالخارج.

وفي بقاعٍ أخرى للفوضى السِّيادة المطلقة.

السُّهول الجافَّة المسفوعة حول (ميرين) منبسطة جدباء لا تنمو فيها أشجار على مساحة فراسخ طويلة، لكن السُّفن اليونكيَّة جلبَت أخشابًا وجلودًا من الجنوب، ما يكفي لبناء ستَّة مجانيق ضخمة مصفوفة الآن حول المدينة من ثلاث جهات -باستثناء جهة النَّهر- وتُحيط بها أكوام من الحجارة المكسَّرة وبراميل القار والرَّاتنج التي تنتظر الإشعال. رأى أحد الجنود الماشين إلى جوار عربة البغال ما يتطلَّع إليه تيريون، فأخبرَه بفخرٍ بأنهم أطلقوا اسمًا على كلِّ منجنيق: (كاسِر الثَّنانين) و(السَّليطة) و(ابنة الهارپي) و(الأخت الخبيثة) و(شبح أستاپور) و(قبضة مازدان). ترتفع المجانيق فوق الخيام أربعين قدمًا تجعلها أبرز معالم معسكَر الحصار. قال الجُندي مزهوًّا: «مجرَّد منظرها أركعَ ملكة التَّنانين، وستبقى على رُكبتيها تمصُّ قضيب هيزدار النَّبيل وإلَّا حطَّمنا أسوارها».

لمحَ تيريون عبدًا يُجلَد ضربةً تلو الضَّربة إلى أن صارَ ظَهره دمًا ولحمًا مسحوجًا، ثم مرَّ بهم طابور من الرِّجال المقيَّدين بحديدٍ يُصَلصِل مع كلِّ خُطوة، يحملون الحِراب وتتدلَّى من أحزمتهم السُّيوف الطَّويلة، لكن بعضهم مربوط ببعضٍ بسلاسل من المعصم إلى المعصم والكاحل إلى الكاحل. الهواء يعبق برائحة اللَّحم المشوي، ورأى القزم رجلًا يَسلُخ كلبًا لطعامه.

ورأى الموتى أيضًا، وسمعَ الأموات. تحت الدُّخان ورائحة الخيول وملوحة الخليج اللَّاذعة شمَّ الدَّم والغائط، وبينما شاهدَ مرتزِقيْن يحملان جثَّة ثالثٍ من أحد الخيام أدركَ أن السَّبب إسهال دموي ما، وهو ما جعلَ أصابعه ترتعش وقد تذكَّر أنه سمعَ أباه يقول في مرَّةٍ إن المرض قادر على إبادة الجيوش أسرع من أيِّ معركة.

سبب أدعى للهرب، وقريبًا.

بعد رُبع ميلٍ وجدَ سببًا وجيهًا لإعادة النَّظر. كان الزِّحام يُحيط بثلاثة عبيدٍ قُبِضَ عليهم وهُم يُحاوِلون الهرب، وأشارَ إليهم المربِّي قائلًا: «أعرفُ أن كنزَي الصَّغيرَيْن سيكونان طيِّبيْن مطيعيْن. انظُرا ما يُصيب مَن يُحاوِلون الهرب».

رُبِطَ المقبوض عليهم إلى صفٍّ من العوارض المتقاطعة ليستعملهم اثنان من النبَّالة لاختبار مهارتهما. أخبرَهم أحد الحَرس: «التولوسيُّون أفضل نبَّالة في العالم، يقذفون كُراتٍ من الرَّصاص بدلًا من الحجارة».

لم يرَ تيريون جدوى من النِّبال قَطُّ في حين أن للأقواس مدًى أطول كثيرًا... لكنه لم يرَ التولوسيِّين يستخدمونها من قبل كذلك. أحدثَت الكُرات الرَّصاص أذًى أبلغ بكثيرٍ من الأحجار الملساء التي يستخدمها النبَّالة الآخَرون، وأبلغ من أيِّ قوسٍ أيضًا. أصابَت واحدة رُكبة أحد المقبوض عليهم ليتفجَّر منها الدَّم والعظم ويتدلَّى الجزء السُّفلي من ساقه من وترٍ أحمر قانٍ، وإذ بدأ الرَّجل يَصرُخ فكَّر تيريون: *لن يَهرُب ثانيةً*. امتزجَ صريخ العبد في هواء الصَّباح بضحك تابعات المعسكَرات وسباب مَن راهَنوا بمبالغ كبيرة على أن النبَّال سيُخطئ التَّسديد. أشاحَت پني بوجهها، لكن المربِّي أمسكَها من تحت ذقنها ولوى رأسها، وقال آمرًا: «شاهِدي. وأنت أيضًا أيها الدُّب».

رفعَ چورا مورمونت رأسه وحدَّق إلى المربِّي، ورأى تيريون شدَّة عضلات ذراعيه. *سيَخنُقه حتى الموت وتكون نهايتنا جميعًا*. لكن الفارس اكتفى بتكشيرةٍ ثم التفتَ يُشاهِد العرض الدَّموي.

إلى الشَّرق تتلألأ أسوار (ميرين) القرميد الشَّامخة في الهواء السَّاخن. هذا هو الملجأ الذي أملَ الحمقى المساكين أن يَبلُغوه. لكن *إلى متى ستظلُّ المدينة ملجأً؟*

قبل أن يُمسِك المربِّي الزِّمام ثانيةً كان ثلاثة الهاربين المقبوض عليهم قد ماتوا، وواصلَت عربة البغال طريقها.

يقع معسكَر سيِّدهم جنوب وشرق (السَّليطة)، قائمًا في الظِّلِّ تقريبًا وممتدًّا على مساحة فدادين عديدة. اتَّضح أن خيمة يزان زو كاجاز المتواضعة قصر من الحرير اللَّيموني ترتفع من سقوفه المدبَّبة التِّسعة سوارٍ تُكلِّل كلًّا منها هارپي مذهَّبة تلتمع في الشَّمس، وتُحيط بها خيام أقل فخامةً من كلِّ جانب. أخبرَهم المربِّي: «هذه مساكن طُهاة سيِّدنا النَّبيل ومحظيَّاته ومُحاربيه وبعض أقربائه الأقل تفضيلًا، لكنكما أيها العزيزان الصَّغيران ستحظيان بامتيازٍ نادر وتنامان في سُرادق يزان نفسه. إنه يحبُّ الاحتفاظ بكنوزه على مقربة»، وأضافَ عابسًا في وجه مورمونت: «ليس أنت أيها الدُّب. أنت كبير وقبيح. ستُربَط بالسَّلاسل في الخارج». لم يردَّ الفارس، وتابعَ المُشرف: «علينا أن نجد أطواقًا لكم أولًا».

الأطواق من الحديد المطلي بطبقةٍ رقيقة من الذَّهب تتألَّق في الضَّوء، وقد نُقِشَ اسم يزان على المعدن بالأبجديَّة القاليريَّة، وثُبِّتَ جرسان دقيقان تحت الأُذنين كي تُصدِر كلُّ خُطوةٍ يخطوها المغلول بالطَّوق رنينًا خفيفًا مرحًا. قبلَ چورا مورمونت طوقه بجهامةٍ صامتة، لكن يني أجهشَت بالبُكاء لمَّا بدأ الحدَّاد يُثبِّت طوقها في مكانه، وقالت شاكيةً: «ثقيل جدًّا».

اعتصرَ تيريون يدها، وقال كاذبًا: «إنه من الذَّهب الخالص. في (وستروس) تَحلُم بنات الحسب والنَّسب بقلائد كهذه». *الطَّوق ارحم من الوسم، الطَّوق قابل للخلع*. تذكَّر شِاي وكيف برقَت السِّلسلة الذَّهب إذ أحكمَ شدَّها أكثر فأكثر على رقبتها.

بعدها أمرَ المربِّي بتثبيت سلاسل السير چورا إلى قائمٍ قُرب بؤرة النَّار، ثم قادَ القزمين إلى داخل سُرادق السيِّد وأراهما مكان نومهما، حُجيرة مفروشة بالبُسط تفصلها عن الخيمة الأساسيَّة جُدران من الحرير الأصفر. سيتقاسَمان هذه المساحة مع كنوز يزان الأخرى؛ صبي له «ساقا كبش» ملويَّتان مشعرتان، وفتاة برأسين من (مانتاريس)، وامرأة ملتحية، ومخلوقة رشيقة غضَّة يسمُّونها حَلوى ترتدي الحرير المايري وتتحلَّى بأحجار القمر. حين قُدِّمَت حَلوى إلى القزمين خاطبَتهما قائلةً: «تُحاوِلان أن تُقرِّرا إن كنتُ رجلًا أم امرأةً»، ورفعَت تنُّورتها وأرَتهما ما تحتها مردفةً: «أنا الاثنين، والسيِّد يحبُّني أكثر من غيري».

قال تيريون لنفسه: مسخ. *في مكانٍ ما ثمَّة إله ما يضحك،* وقال لحَلوى ذات الشَّعر الأرجواني والعينين البنفسجيَّتين: «رائع، لكننا أملنا أن نكون الأجمل مرَّةً».

قهقهَت حَلوى، إلَّا أن المربِّي لم يجد تعليقه طريفًا، وقال: «ادَّخر نكاتك لهذا المساء حين تُؤدِّي عرضك أمام سيِّدنا النَّبيل. إذا أرضيته فستنال مكافأةً سخيَّةً، وإذا لم تفعل...»، ولطمَ تيريون على وجهه.

بعد رحيل المُشرف قالت الخُنثى: «عليكما توخِّي الحذر مع المربِّي. إنه السيِّد الحقيقي الوحيد هنا».

تَرطُن المرأة الملتحية بتنويعٍ غير مفهوم من الجيسكاريَّة، ويتحدَّث الصَّبي الكبش لُغةً حلقيَّةً هجينةً ما تُسمَّى لُغة التِّجارة، والفتاة ذات الرَّأسين ضعيفة العقل، أحد رأسيها لا يزيد حجمًا على بُرتقالةٍ ولا يتكلَّم على الإطلاق، والثَّاني له أسنان مدبَّبة ويُزَمجِر في وجه أيِّ أحدٍ يدنو أكثر من اللَّازم من قفصها، أمَّا حَلوى فتتكلَّم أربع لُغاتٍ بطلاقة، منها القاليريَّة الفُصحى.

سألَت پني بقلق: «هلَّا حدَّثتِنا عن السيِّد؟».

أجابَت حَلوى: «عيناه صفراوان ورائحته كريهة. قبل عشر سنوات ذهبَ إلى (سوثوريوس)، ومنذ ذلك الحين يتعفَّن من الدَّاخل. اجعلاه ينسى أنه يُحتضَر ولو مُدَّةً قصيرةً وسيُعامِلكما بمنتهى السَّخاء. لا تأبيا عليه شيئًا».

وجدا أمامهما فترة الأصيل فقط ليتعلَّما حياة المقتنيات. ملأ العبيد المكلَّفون بالعناية الشَّخصيَّة بيزان حوضًا بالمياه السَّاخنة وسُمِحَ للقزمين بالاستحمام، پني أولًا ثم تيريون، وبعدها دهنَ عبد آخَر مرهمًا لاذعًا على جروح ظَهره ليمنعها من التَّعفُّن وغطَّاها بضمادةٍ ملطِّفة، ثم قُصَّ شَعر پني وهُذِّبَت لحية تيريون، وأُعطِيَ كلٌّ منهما خُفَّين ليِّنين وثيابًا تقليديَّةً لكن نظيفةً.

مع حلول المساء عادَ المربِّي وأمرَهما بوضع درعيهما. اللَّيلة سيستضيف يزان القائد اليونكي الأعلى يوركاز زو يونزاك، وعليهما أداء عرضهما. سألَهما: «هل نحلُّ وثاق الدُّب؟».

أجابَ تيريون: «ليس اللَّيلة. دعنا نُؤدِّي النِّزال أمام سيِّدنا أولًا ونُقدِّم الدُّبَّ في مرَّةٍ أخرى».

- «ليكن. بعد فقرتكما ستُقدِّمان الطَّعام والشَّراب. إياكما وسكب شيءٍ على ضيوفنا وإلَّا عوقِبتما».

بدأت الأمسيَّة بحاوٍ، تلاه ثلاثة من البهلوانات المفعمين بالطَّاقة، وبعدهم خرجَ الصَّبي الكبش وأدَّى رقصةً عجيبةً فيما عزفَ أحد عبيد يوركاز على نايٍ عظمي. خطرَ لتيريون أن يسأله إن كان يعرف لحن (أمطار كاستامير). بينما انتظرا دورهما شاهدَ القزم يزان وضيوفه. بديهي أن البرقوقة البَشريَّة المجفَّفة الجالسة في موضع الشَّرف هي القائد اليونكي الأعلى الذي يبدو بمهابة قطعة خراء طريَّة، وقد أحاطَت به دستة من القادة اليونكيِّين الآخَرين، وحضرَ اثنان من قادة المرتزِقة أيضًا، يصحب كلٌّ منهما رجال من جماعته. أحدهما پنتوشي أنيق يرتدي ثيابًا كلَّها من الحرير باستثناء معطفه المخيط من عشرات قطع الأقمشة الممزَّقة الملوَّثة بالدِّماء، والثَّاني الرَّجل الذي حاولَ شراءهما هذا الصَّباح، المُزايد بنِّي البشرة ذو اللِّحية الشَّائبة.

أخبرَته حَلوى: «بن پلوم البنِّي، قائد الأبناء الثَّانين».

وستروسي، ومن آل پلوم. أفضل وأفضل.

قال لهما المربِّي: «أنتما التَّاليان. كونا مسلِّيَيْن أيها العزيزان الصَّغيران وإلَّا ندمتما».

لم يُجِد تيريون نِصف حيل جروت القديمة، لكنه يستطيع أن يركب الخنزيرة ويَسقُط من فوقها حين يجب أن يَسقُط ويتدحرَج ثم يهبُّ واقفًا. سُرَّ المتفرِّجون بما شاهَدوه، إذ يبدو أن منظر شخصين صغيرين يهرعان كالسَّكارى ويتبادَلان الضَّرب بأسلحةٍ خشبيَّة لايقلُّ فُكاهةً في معسكَر حصارٍ على (خليج النخَّاسين) عن مأدبة زفاف چوفري في (كينجز لاندنج). *المهانة لغة الأُمم أجمع.*

غلبَ سيِّدهما يزان سائر الآخَرين في قوّة الضَّحك وطوله كلَّما سقطَ أحد القزمين أو نالَ ضربةً، يرتجُّ جسده الهائل كلُّه كالشَّحم وقت زلزال، في حين انتظرَ ضيوفه ليروا استجابة يوركاز زو يونزاك أولًا قبل اشتراكهم في الضَّحك. يبدو القائد الأعلى واهنًا هشًّا لدرجة أن تيريون خشيَ أن يَقتُله الضَّحك، ولمَّا ضربَ خوذة پني وطوَّحها في حِجر يونكي عابس يرتدي توكارًا مخطَّطًا بالأخضر والذَّهبي قوقأ يوركاز كالدَّجاج. عندما مدَّ هذا السيِّد يده داخل الخوذة وأخرجَ بطِّيخةً أرجوانيَّةً كبيرةً متفسِّخة اللُّبِّ خرجَ منه صوت رفيع خشن واصطبغَ وجهه حتى حاكى لون حبَّة الفاكهة، ثم التفتَ إلى مضيفه وهمسَ له بشيءٍ جعلَه يُطلِق ضحكةً مكتومةً ويلعق شفتيه... وإن رأى تيريون لمحةً من الغضب في عينَي سيِّدهما الصَّفراوين المشقوقتين.

بعدها خلعَ القزمان درعيهما الخشب وثيابهما المبلَّلة بالعَرق وارتديا سُترتين طويلتين صفراوين لتقديم الشَّراب. أُعطِيَ تيريون إبريقًا من النَّبيذ الأرجواني وپني إبريقًا من الماء، وتحرَّكا في أنحاء الخيمة يملآن الأكواب وأخفافهما تحتكُّ هامسةً بالبُسط السَّميكة. وجدَ تيريون العمل أصعب مما يبدو، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يحسَّ بتشنُّجاتٍ مؤلمة في ساقيه ويبدأ أحد الجروح على ظَهره في النَّزيف ثانيةً ويتشبَّع كتَّان سُترته الأصفر بالدَّم، لكنه عضَّ لسانه وواصلَ الصَّبَّ.

لم يُعِرهما أكثر الضُّيوف اهتمامًا أكثر مما أعاروا سواهم من العبيد... لكن يونكيًّا ثملًا أعلنَ أن على يزان أن يجعل القزمين يتناكَحان، وسألَ آخَر تيريون كيف فقدَ أنفه، فكادَ يُجيبه: *دسسته في فرج زوجتك فقضَمَته*... غير أن العاصفة كانت قد أقنعَته بأنه لا يُريد الموت بعدُ، وهكذا قال: «قُطِعَ عقابًا لي على إساءتي الأدب أيها السيِّد».

ثم إن واحدًا من الأسياد يرتدي توكارًا أزرق مهدَّبًا بأحجار عين النَّمر الكريمة تذكَّر أن تيريون تباهى على منصَّة المزادات ببراعته في السايڤاس، وقال: «لنختبره»، فجيءَ في الحال بالطَّاولة والقطع، وبعد دقائق معدودة أطاحَ السيِّد بالطَّاولة غاضبًا محتقن الوجه لتتناثَر القطع على الأرض وسط ضحكات اليونكيِّين.

همسَت پني: «كان عليك أن تدعه يفوز».

رفعَ بن پلوم البنِّي الطَّاولة مبتسمًا، وقال: «جرِّبني أنا أيها القزم. في شبابي قاتلَ الأبناء الثَّانون لحساب (ڤولانتيس) وتعلَّمتُ اللُّعبة هناك».

قال تيريون: «أنا مجرَّد عبد. سيِّدي النَّبيل يُقرِّر مَن ألاعبُ ومتى»، والتفتَ إلى يزان متسائلًا: «سيِّدي؟».

بدا على اللورد الأصفر أن الفكرة راقَته، وقال: «ما الذي تقترحه رهانًا أيها القائد؟».

أجابَ پلوم: «إذا كسبتُ تُعطِني هذا العبد».

ردَّ يزان زو كاجاز: «لا، لكن إذا هزمت قزمي فسأعطيك ثَمنه ذهبًا».

قال المرتزِق: «اتَّفقنا»، وجُمِعَت القطع المبعثرة من على الأرض وجلسا ليبدأ اللَّعب.

فازَ تيريون بالمباراة الأولى، وپلوم بالثَّانية بعد مضاعَفة قيمة الرِّهان، وبينما رصَّا قطعهما توطئةً للمباراة الثَّالثة تفرَّس تيريون في خصمه. بشرته بنِّيَّة، وتكسو لحية شائبة مشذَّبة وجنتيه وفكَّه، وفي وجهه مئات التَّجاعيد وبضع ندوبٍ قديمة. إجمالًا، يبدو پلوم دمثًا أنيسًا، خصوصًا عندما يبتسم. *التَّابع المخلص، العمُّ المفضَّل عند أيِّ أحد، مفعم بالضَّحك والأمثال القديمة والحكمة الخام*. ما هي إلَّا خدعة. تلك الابتسامات لا تمسُّ عينَي پلوم أبدًا، عينَيه اللتين يتوارى فيهما الجشع خلف الاحتراس. *جائع ولكن حذِر*.

يُناهِز المرتزِق السيِّد اليونكي الذي سبقَه خيبةً في لعب السايڤاس، لكن أسلوبه يجنح إلى الحيطة البليدة عن الجرأة. كلَّ مباراةٍ رصَّ قطعه بترتيبٍ مختلف، لكن جميعها يظلُّ دفاعيًّا سلبيًّا متحفِّظًا. *لا يلعب ليربح، بل يلعب كي لا يخسر*. نفعَه هذا في المباراة الثَّانية حين تمادى الرَّجل الصَّغير في هجمةٍ غير حكيمة، لكنه لم ينفعه في الثَّالثة، أو الرَّابعة، أو الخامسة والأخيرة.

قُرب نهاية المباراة الأخيرة، وقد تهدَّمت قلعته وماتَت تنِّينته وحاصرَته الأفيال من الأمام والخيول الثَّقيلة من الخلف، رفعَ پلوم وجهه مبتسمًا، وقال: «يولو يفوز ثانيةً. الموت بعد أربع حركات».

نقرَ تيريون على تنّينته قائلًا: «ثلاث. لقد حالفَني الحظُّ. ربما عليك أن تَفرُك رأسي قبل المباراة القادمة أيها القائد ليلتصق القليل من هذا الحظّ بأصابعك». *ستخسر، لكن قد تُسلّيني بلعبٍ أفضل*. بابتسامةٍ واسعة دفعَ تيريون طاولة السايڤاس ونهضَ والتقطَ إبريق النَّبيذ ليُعاوِد الصَّبَّ للضُّيوف، وقد أمسى يزان زو كاجاز أثرى بمبلغٍ كبير وبن پلوم البنّي أفقر بمبلغٍ كبير. كان سيّده العملاق قد غابَ في سُبات السُّكر في أثناء المباراة الثَّالثة، وانزلقَت كأسه من أصابعه المصفرَّة لتنسكِب محتوياتها على البساط، لكن قد يسرُّه ما حدثَ عندما يستيقظ.

حين غادرَ القائد الأعلى يوركاز زو يونزاك مستندًا إلى عبدين متينَي البنيان كان هذا بمثابة إشارةٍ عامَّة للضُّيوف الآخَرين بالرَّحيل، وبعد فروغ الخيمة ظهرَ المربّي يُخبِر الخدم بأن يصنعوا وليمةً لأنفسهم من بقايا الطَّعام، وقال لهم: «كُلوا سريعًا. يجب تنظيف كلّ هذا قبل أن تناموا».

كان تيريون على رُكبتيه، تُوجِعه ساقاه ويَصرُخ ظَهره الدَّامي فيما يُحاوِل تنظيف بساط النَّبيل يزان من بُقعة النَّبيذ الذي سكبَه النَّبيل يزان، عندما نقرَ المُشرف على وجنته برفقٍ بطرف سوطه، وقال: «يولو، أبليت بلاءً حسنًا أنت وزوجتك».

- «ليست زوجتي».

- «عاهرتك إذن. انهضا».

نهضَ تيريون بغير ثباتٍ وإحدى ساقيه ترتعش، لكنه وجدَ فخذيه متيبّستين متشنّجتين حتى إن پني مدَّت إليه يدها تُعينه على النُّهوض، ثم إنه سألَ: «ماذا فعلنا؟».

أجابَ المُشرف: «الكثير. المربِّي قال إنكما ستُكافَآن إذا أرضيتما أباكما، أليس كذلك؟ كما رأيتما، النَّبيل يزان يكره أن يفقد كنوزه الصَّغيرة، لكن يوركاز زو يونزاك أقنعَه بأن من الأنانية أن يقصر طرائفكما على نفسه. افرَحا! احتفالًا بتوقيع معاهدة السَّلام ستنالان شَرف النِّزال في (حلبة دازناك الكبُرى). سيأتي آلاف يُشاهِدونكما! عشرات الآلاف! أوه، ولكم سنضحك!».

(شجرة الغِدفان) قلعة قديمة، تنمو الطَّحالب بكثافةٍ بين أحجارها العتيقة وتتسلَّق جُدرانها كشباك العناكب، فتبدو كالعروق في ساقَي عجوزٍ هرمة. يُحيط بُرجان ضخمان بالبوَّابة الرَّئيسة، وتُدافِع أبراج أصغر عن كلِّ زاويةٍ في الأسوار، وكلُّها أبراج مربَّعة. تتمتَّع الأبراج الدَّائرية ونِصف الدَّائريَّة بقابليَّةٍ أفضل للصُّمود أمام المجانيق، بما أن الحجارة الملقاة عُرضة أكثر للانحراف عن الجُدران المقوَّسة، إلَّا أن بناء (شجرة الغِدفان) سبقَ ظهور هذه الطَّفرة في حكمة البنَّائين.

تُشرِف القلعة على الوادي الواسع الخصيب الذي تُسمِّيه الخرائط والنَّاس (وادي بلاكوود). مما لا شكَّ فيه أنه وادٍ، لكن لا أشجار تنمو فيه منذ عدَّة آلاف من السِّنين، سواء أكانت سوداء أم خضراء أم بنِّيَّةً. في الماضي نعم، لكن البلطات أسقطَت الشَّجر منذ زمن، وقامَت المنازل والطَّواحين والمعاقل حيث كانت السَّنديانات الطَّويلة ترتفع، والآن الأرض عارية موحلة، ومبرقشة هنا وهناك بأكوام الثَّلج الذَّائب.

لكن جزءًا من الغابة يبقى وراء أسوار (شجرة الغِدفان). تَعبُد عائلة بلاكوود الآلهة القديمة كما عبدَها البَشر الأوائل قبل وصول الأنداليِّين إلى (وستروس)، ويُقال إن بعض الأشجار في أيكة الآلهة عريق كأبراج القلعة، لا سيَّما شجرة القلوب، وهي شجرة ويروود هائلة الحجم تُرى فروعها العُليا من بُعد فراسخ عديدة كأصابع عظميَّة تخدش السَّماء.

إذ شقَّ چايمي لانستر ومجموعته المصاحبة طريقهم عبر التِّلال المتموِّجة إلى الوادي رأى قليلًا باقيًا من الحقول والمَزارع والبساتين التي كانت تُحيط بـ(شجرة الغِدفان) فيما مضى، والآن ليس حول القلعة إلَّا الأوحال والرَّماد، وهنا وهناك بعض هياكل البيوت والطَّواحين المتفحِّمة. في هذه الأرض القاحلة تنبت الحشائش والأشواك والقُرَّاص، لكن لا شيء هنالك من شأنه أن يُعَدَّ محصولًا. أينما نظرَ چايمي رأى يدَي أبيه، حتى في العظام التي رأوها أحيانًا على جانب الطَّريق. أكثرها عظام خراف، لكن هناك أيضًا عظام خيولٍ وأبقار، وبين الحين والآخَر جمجمة إنسان، أو هيكل عظمي بلا رأسٍ تَبرُز الحشائش من قفصه الصَّدري.

على عكس (ريقررَن)، لا تُطوِّق جيوش جرَّارة (شجرة الغِدفان)، فهذا الحصار مسألة أشد حميميَّةً، الخُطوة الأخيرة في رقصةٍ ضاربة في القِدم قرونًا. على أفضل تقديرٍ يُحاوِط چونوس براكن القلعة بخمسمئة رجل، ولم يرَ چايمي أبراج حصارٍ أو مِدكَّاتٍ أو مجانيق. لا ينوي براكن تحطيم بوَّابات (شجرة الغِدفان) أو اقتحام أسوارها العالية السَّميكة، وما دامَ لا يتوقَّع عونًا في وقتٍ قريب فقد قنعَ بتجويع خصمه حتى الاستسلام . لا ريب أن في بداية الحصار شُنَّت غارات ووقعَت مناوشات وطارَت سهام في الاتِّجاهين، لكن بعد مضيّ نِصف عامٍ سئمَ الجميع من هذه التُّرهات، واستحوذَ الملل والرَّتابة -عدوَّا الانضباط- على الموقف.

فكَّر چايمي لانستر: *آنَ أوان انتهاء هذا*. بعد أن أصبحَت (ريڤررَن) آمنةً في أيدي لانستر لا يتبقَّى من مملكة الذِّئب الصَّغير الزَّائلة إلَّا (شجرة الغِدفان)، وفور استسلامها سينتهي عمله على ضفاف (الثَّالوث) ويستطيع العودة إلى (كينجز لاندنج). *إلى الملك*. هكذا أخبرَ نفسه، لكن جزءًا آخَر في داخله همسَ: *إلى سرسي*.

عليه أن يُواجِهها على ما يظنُّ، بفرض أن السِّپتون الأعلى لن يكون قد أعدمَها بالفعل قبل رجوعه إلى المدينة. في الرِّسالة التي أمرَ پك بإحراقها في (ريڤررَن) كتبَت له: «*تعالَ في الحال. ساعِدني. أنقِذني. إنني محتاجة إليك الآن كما لم أحتَج إليك من قبل قَطُّ. أحبُّك، أحبُّك، أحبُّك. تعالَ في الحال*». لا يشكُّ چايمي في حقيقة حاجتها، لكن من ناحيةٍ أخرى... *كانت تُضاجِع لانسل وأوزموند كِتلبلاك وربما فتى القمر أيضًا*... حتى إذا عادَ فلا أمل له في إنقاذها. إنها مذنبة بكلِّ خيانةٍ متَّهمة بها، وهو يفتقر إلى يد سيفه.

حين ظهرَ الرَّتل مهرولًا من الحقول رمقَ النَّواطير الوافدين بفضولٍ أكثر من الخوف، ولم يُطلِق أحدهم إنذارًا، وهو ما ناسبَ چايمي تمامًا. لم يجد صعوبةً في العثور على سُرادق اللورد براكن، فهو الأكبر في المعسكَر، ويتَّخذ الموقع الأفضل فوق مرتفَعٍ واطئ يُجاوِر جدول ماء، فيُشرِف بلا حواجز على اثنتين من بوَّابات (شجرة الغِدفان). الخيمة بنِّيَّة كالرَّاية المرتفعة فوق ساريتها الوُسطى، حيث يرفع فحل عائلة براكن الأحمر قائمتيه الأماميَّتين على خلفيَّةٍ ذهبيَّة. أمرَ چايمي رجاله بالتَّرجُّل وقال لهم أن يختلطوا بالآخَرين إذا أرادوا، وإن أخبرَ حاملَي رايته: «ليس أنتما. ابقيا قريبًا، فلن أستغرق طويلًا»، ثم إنه وثبَ من فوق حصانه أونَر وتقدَّم من خيمة براكن بخُطى واسعة وسيفه يُصَلصِل في غِمده.

تبادلَ الحارسان خارج باب الخيمة نظرةً متوتِّرةً مع اقترابه، وسألَه أحدهما: «هل نُعلِن مجيئك يا سيِّدي؟».

قال چايمي: «سأعلنه بنفسي»، وأزاحَ سديلة الباب بيده الذَّهبيَّة وحنى رأسه داخلًا.

ألفاهما منهمكيْن تمامًا في تطارُح الغرام حتى إن كليهما لم يلحظ دخوله على الإطلاق. كانت عينا المرأة مغلقتين، وقد تشبَّثت يداها بالشَّعر البنِّي الخشن على ظَهر براكن وشهقَت كلَّما دفعَ نفسه في داخلها، ودفنَ حضرة اللورد وجهه بين نهديها وقبضَ بيديه على وَركيها. تنحنحَ چايمي، وقال: «لورد چونوس».

انفتحَت عينا المرأة في الحال وأطلقَت صرخةً مفزوعةً، وتدحرجَ چونوس براكن من فوقها ومدَّ يده إلى غِمده وجرَّد فولاذه مطلقًا سبابًا. صاحَ: «بحقِّ الجحائم السَّبع! مَن يجرؤ...»، ثم إنه رأى معطف چايمي الأبيض وواقي صدره الذَّهبي، فخفضَ رأس سيفه مغمغمًا: «لانستر؟».

قال چايمي ببسمةٍ صغيرة: «آسفٌ لإزعاجك في ساعة انبساطك يا سيِّدي، لكنني متعجِّل نوعًا. هل لنا أن نتكلَّم؟».

دسَّ اللورد چونوس سيفه في غِمده قائلًا: «نتكلَّم، أجل». ليس براكن طويل القامة كچايمي، لكنه أثقل وله كتفان وذراعان تُثير حسد أيِّ حدَّادٍ من فرط غلظتها. يُغطِّي الشَّعر البنِّي القصير وجنتيه وذقنه، وفي عينيه البنِّيَّتين نظرة غاضبة لم يُفلِح في إخفائها. «لقد باغتَّني يا سيِّدي. لم يُخبِرني أحد بوصولك».

ردَّ چايمي: «ويبدو أنني منعتُ وصولك أنت»، وابتسمَ للمرأة في الفِراش، التي وضعَت يدًا على نهدها الأيسر والأخرى بين ساقيها، وهو ما تركَ نهدها الأيمن مكشوفًا. حلمتاها أدكن من حلمتَي سرسي وأكبر منهما ثلاث مرَّات، ولمَّا شعرَت بنظرة چايمي غطَّت حلمتها اليُمنى، لكن هذا كشفَ جبل زهرتها. تساءلَ چايمي: «أكلُّ تابعات المعسكَرات بهذه الحشمة؟ إذا أرادَ أحد أن يبيع اللِّفت فعليه أن يعرضه على الزَّبائن».

قالت المرأة: «إنك تَنظُر إلى لفتي منذ دخلت أيها الفارس»، ووجدَت الغطاء وسحبَته تُغطِّي به نفسها حتى الخصر، ثم رفعَت يدها تُزيح شَعرها عن عينيها مضيفةً: «كما أنه ليس للبيع».

هزَّ چايمي كتفيه معلِّقًا: «أعتذرُ إذا أسأتُ فيكِ الظَّنَّ. لقد عرفَ أخي الصَّغير مئة عاهرة، لكنني لم أضاجع إلَّا واحدةً فقط».

تناولَ براكن سراويله من على الأرض ونفضَها قائلًا: «إنها غنيمة حرب. كانت تنتمي إلى أحد رجال بلاكوود إلى أن فلقت رأسه نِصفين. أنزِلي يديك يا امرأة. سيِّدي لانستر يُريد أن يُلقي نظرةً جيِّدةً على ثدييكِ».

تجاهلَ چايمي القول، وأخبرَ براكن: «إنك ترتدي سراويلك بالعكس يا سيِّدي»، وبينما سبَّ چونوس ولعنَ نزلَت المرأة من الفِراش لتختطف ثيابها المبعثرة، تتنقَّل أصابعها بعصبيَّةٍ بين نهديها وفرجها وهي تنحني وتتلفَّت وتمدُّ يدها هنا وهناك. الغريب أنه وجدَ سعيها لستر نفسها أشد استثارةً بكثيرٍ مما كان ليجده لو أنها تحرَّكت عاريةً تمامًا. سألَها: «ألكِ اسم يا امرأة؟».

أجابَته: «أمِّي سمَّتني هيلدي أيها الفارس»، وأنزلَت قميصًا ملوَّثًا من فوق رأسها ونفضَت شَعرها. وجهها متَّسخ كقدميها تقريبًا، وبين ساقيها شَعر غزير كفيل بجعله يظنُّها أخت براكن، لكن فيها شيئًا ما جذَّابًا على الرغم من ذلك؛ هذا الأنف الأفطس أو الشَّعر الثَّائر... أو ربما انحناءتها الصَّغيرة أمامه بعد أن ارتدَت تنُّورتها. تساءلَت: «هل رأيت فردة حذائي الأخرى يا سيِّدي؟».

بدا أن السُّؤال ضايقَ اللورد براكن، الذي قال: «أأنا وصيفتكِ اللَّعينة لأجلب لكِ حذاءكِ؟ اذهبي حافيةً إذا لزمَ الأمر، فقط اذهبي».

قالت هيلدي: «أيعني هذا أن سيِّدي لن يأخذني معه إلى الدِّيار لأصلِّي مع زوجته الصَّغيرة؟»، وضحكَت رامقةً چايمي بنظرةٍ صفيقة، وسألَته: «ألك زوجة صغيرة أيها الفارس؟».

لا، لي أخت. «ما لون معطفي؟».

- «أبيض، لكن يدك من الذَّهب الخالص. أحبُّ هذا في الرَّجل. وما الذي تحبُّه في المرأة يا سيِّدي؟».

- «البراءة».

- «قلتُ في المرأة لا في ابنتك».

فكَّر في مارسلا قائلًا لنفسه: *عليَّ أن أخبرها أيضًا*. لن يروق هذا الدورنيِّين. لقد اختطبَها دوران مارتل لابنه معتقدًا أنها من دم روبرت. *عُقد وشباك*. يتمنَّى چايمي لو أنه يستطيع أن يقطعها جميعًا بضربةٍ واحدة سريعة من سيفه. قال لهيلدي بضجر: «لقد حلفتُ يمينًا مقدَّسةً».

ردَّت عابثةً: «لا لفت لك إذن».

هدرَ فيها اللورد چونوس: «اخرُجي!».

وقد فعلَت، لكن إذ مرَّت بچايمي ممسكةً فردة حذاءٍ واحدةً وكومةً من ملابسها مدَّت يدها الأخرى واعتصرَت ذَكره من فوق سراويله، وأخبرَته مذكِّرةً: «هيلدي»، قبل أن تندفع نِصف عاريةٍ من الخيمة.

هيلدي. بعد خروجها سألَ اللورد چونوس: «وكيف حال السيِّدة حرمك؟».

- «وأنَّى لي أن أعرف؟ سَل سِپتونها. عندما أحرقَ أبوك قلعتنا قرَّرت أن الآلهة تُعاقِبنا، والآن لا تفعل شيئًا إلَّا الصَّلاة». كان چونوس قد ارتدى سراويله على النَّحو الصَّحيح أخيرًا، وبينما يعقد أربطتها من الأمام سألَ: «ما الذي أتى بك يا سيِّدي؟ السَّمكة السَّوداء؟ سمعنا أنه هربَ».

استقرَّ چايمي على كُرسي معسكراتٍ قائلًا: «حقًّا؟ سمعتم هذا من الرَّجل نفسه؟».

- «السير برايندن أعقل من أن يهرع إليّ. لن أنكر أنني مولع بالرَّجل، لكن هذا لن يمنعني من تقييده بالسَّلاسل إذا أظهرَ وجهه قُربي أو قُرب رجالي. إنه يعلم أنني ركعتُ. كان يَجدُر به أن يفعل المِثل، لكن لطالما اتَّسم هذا الرَّجل بالعناد. كان أخوه ليُخبِرك بهذا».

علَّق چايمي: «تايتوس بلاكوود لم يركع. هل يُمكن أن يبحث السَّمكة السَّوداء عن مأوى في (شجرة الغِدفان)؟».

- «قد يبحث عنه، لكن ليجده عليه أن يتجاوَز خطوط حصاري. آخِر ما سمعته أن الرَّجل لم يَنبُت له جناحان. سرعان ما سيحتاج تايتوس نفسه إلى مأوى. لم يتبقَّ لهم بالدَّاخل من طعامٍ إلَّا الجرذان والجذور. سيستسلم قبل اكتمال القمر».

- «سيستسلم قبل غروب الشَّمس. إنني أنوي أن أعرض عليه شروطًا وأقبله في سلام الملك من جديد».

غمغمَ اللورد چونوس: «مفهوم»، وارتدى سُترةً بنِّيَّةً من الصُّوف على وجهها تطريز لفحل براكن الأحمر، وسألَ: «هل يشرب سيِّدي قرنًا من المِزر؟».

- «لا، لكن لا تُعطِش نفسك بسببي».

ملأ براكن قرنًا لنفسه وشربَ نِصفه، ثم مسحَ فمه قائلًا: «ذكرت شروطًا. أيُّ نوعٍ من الشُّروط؟».

- «النَّوع المعتاد. على اللورد بلاكوود أن يقرَّ بخيانته ويتبرَّأ من ولائه لعائلتَي ستارك وتَلي، وأن يحلف يمينًا مقدَّسةً أمام الآلهة والبَشر بأن يبقى من الآن فصاعدًا تابعًا مخلصًا لـ(هارنهال) والعرش الحديدي، وسأمنحه عفوًا باسم الملك. سنأخذ جرَّةً أو اثنتين من الذَّهب بالطَّبع. إنه ثَمن التَّمرُّد. سآخذُ رهينةً أيضًا لضمان ألَّا تتمرَّد (شجرة الغِدفان) ثانيةً».

قال براكن: «ابنته. لبلاكوود ستَّة أبناء لكن ابنة واحدة مغرم بها، مخلوقة صغيرة سائلة الأنف لا تتجاوَز السَّابعة».

- «صغيرة، لكن عساها تَصلُح».

أفرغ اللورد چونوس ما تبقَّى من المِزر في جوفه، ثم ألقى القرن جانبًا، وقال: «وماذا عن الأراضي والقلاع التي وُعِدنا إياها؟».

- «وما تلك الأراضي؟».

- «الضفَّة الشرقيَّة لـ(غرين الأرملة)، من (أخدود النُّشَّاب) إلى (المرج المحفَّر)، وجميع الجُزر في الجدول، وأيضًا (طاحونة الذُّرة) و(طاحونة اللورد) وأطلال (بهو الوحل) و(المسلبة) و(وادي المعركة) و(الورشة القديمة)، وقُرى (الحزام) و(الحزام الأسود) و(الرَّجمة) و(بِركة الصَّلصال)، وبلدة السُّوق في (مقبرة الطَّمي)، وكذا (غابة الدَّبابير) و(غابة لورجن) و(التَّل الأخضر) و(ثديا باربا). آل بلاكوود يسمُّون التلَّين (ثديَي ميسي)، لكنهما كانا لباربا قبل ذلك. وأيضًا (شجرة العسل) بما فيها المناحل. هاك، لقد علَّمتها ليُلقي سيِّدي نظرةً»، ونقَّب براكن بين الأشياء الموضوعة على منضدةٍ ثم أخرجَ خريطةً من الرَّقوق.

تناولَها چايمي بيده السَّليمة، لكنه احتاجَ إلى الذَّهبيَّة ليبسطها ويُثبِّتها، ثم إنه علَّق: «مساحة كبيرة للغاية من الأراضي. ستُضيف إلى نطاق سُلطتك رُبعًا».

قال براكن زامًّا فمه بعناد: «كلُّ هذه الأراضي كانت تنتمي إلى (السِّياج الحجري) من قبل، وسرقَها آل بلاكوود منا».

نقرَ چايمي على الخريطة بمفصل إصبعٍ ذهبي متسائلًا: «وماذا عن هذه القرية بين (الثَّديين)؟».

- «(شجرة البنسات). كانت هذه ملكنا في الماضي أيضًا، لكنها إقطاعيَّة ملكيَّة منذ خمسمئة عام. اترُكها، فلسنا نَطلُب إلَّا الأراضي التي سرقَها آل بلاكوود. السيِّد والدك وعدَ بردِّها إلينا إذا أخضَعنا له اللورد تايتوس».

- «ومع ذلك في طريقي إلى هنا رأيتُ رايات تَلي فوق أسوار القلعة، وذئب ستارك الرَّهيب أيضًا، وهو ما يُوحي بأن اللورد تايتوس لم يخضع».

- «لقد طردناه وقومه من الميدان وحبسناهم داخل (شجرة الغِدفان). أعطِني عددًا يكفي من الرِّجال لاقتحام أسواره يا سيِّدي وسأخضعهم جميعًا وأرسلهم إلى قبورهم».

قال چايمي: «إذا أعطيتك ما يكفي من الرِّجال فهُم مَن سيُخضِعونهم لا أنت، وفي تلك الحالة عليَّ أن أكافئ نفسي»، وتركَ الخريطة تنطوي ثانيةً، وأضافَ: «سأحتفظُ بهذه إذا سمحت».

- «الخريطة لك، لكن الأراضي لنا. يُقال إن اللانستر يُسدِّد ديونه دائمًا. لقد قاتَلنا لحسابكم».

- «وقاتَلتم ضدنا مُدَّةً أطول مرَّتين».

- «الملك عفا عنا. لقد فقدتُ ابن أخي بسيوفكم، وابني الطَّبيعي، وسرقَ جبلكم محاصيلي وأحرقَ كلَّ ما لم يستطِع حمله، وأضرمَ النَّار في قلعتي واغتصبَ إحدى بناتي. سأنالُ تعويضًا».

أخبرَه چايمي: «الجبل ماتَ، وكذا أبي، وقد يقول بعضهم إن رأسك تعويض كافٍ. لقد أعلنت تأييدك ستارك، وظللت مخلصًا له حتى قتلَه اللورد والدر».

قال اللورد چونوس: «اغتالَه ومعه دستة من الرِّجال الصَّالحين من دمي»، وأدارَ رأسه وبصقَ قبل أن يُردِف: «أجل، ظللتُ مخلصًا للذِّئب الصَّغير كما سأظلُّ مخلصًا لكم ما دُمتم تُعامِلونني بالعدل. لقد ركعتُ لأنني لم أرَ جدوى من الموت في سبيل الموتى أو إراقة دماء براكن من أجل قضيَّةٍ خاسرة».

- «رجل حصيف». *ولو أن بعضهم قد يقول إن اللورد بلاكوود* اشرف. «ستَحصُل على أراضيك، بعضها على الأقل، بما أنك أخضعت آل بلاكوود جزئيًّا».

بدا أن هذا أرضى اللورد چونوس، الذي قال: «سنقنع بالقسمة التي يراها سيِّدي عادلةً. إن كان لي أن أشير عليك فلن يَصلُح أن تُبالِغ في الرَّأفة في التَّعامُل مع آل بلاكوود هؤلاء. الخيانة تجري في دمائهم. قبل مجيء الأنداليِّين إلى (وستروس) كانت عائلة براكن تَحكُم هذا النَّهر. كنا ملوكًا وآل بلاكوود أتباعنا، لكنهم خانونا واغتصَبوا التَّاج. كلُّ بلاكوود يُولَد مارِقًا. خيرٌ لك أن تتذكَّر هذا فيما تعرض عليهم شروطك».

وعدَه چايمي: «أوه، سأتذكَّره».

حين ركبَ من معسكَر حصار براكن إلى بوَّابة (شجرة الغِدفان) سبقَه پِك رافعًا راية سلام، وقبل بلوغهما البوَّابة كان عشرون زوجًا من الأعيُن يُشاهِدهما من وراء متاريس مبنى البوَّابة. أوقفَ چايمي أونَر عند حافة الخندق العميق المحدَّد بالحجارة الذي يَختنُق الغُثاء ماءه الأخضر، وكان على وشك أن يأمر السير كينوس بإطلاق بوق هيروك عندما بدأ الجسر المتحرِّك ينزل.

قابلَه اللورد تايتوس بلاكوود في السَّاحة الخارجيَّة ممتطيًا جوادًا حربيًّا مهزولًا مِثله. سيِّد (شجرة الغدفان) مديد القامة شديد النُّحول، وله أنف معقوف وشَعر طويل ولحية مشعثة بياضها أكثر من سوادها، ويرتدي درعًا قرمزيَّةً على واقي صدرها المزخرف بالفضَّة صورة لشجرةٍ بيضاء جرداء ميتة يُحيط بها سرب مشغول بالجزْع من الغِدفان المحلِّقة، ومن على كتفيه ينسدل معطف من ريش الغِدفان الأسود.

خاطبَه چايمي قائلًا: «لورد تايتوس».

- «أيها الفارس».

- «أشكرك على السَّماح لي بالدُّخول».

- «لن أقول مرحبًا بك، لكنني لن أنكر أنني أملك أن تأتي. أنت هنا من أجل سيفي».

- «أنا هنا لأضع نهايةً للأمر. لقد قاتلَ رجالك ببسالة، لكنكم خسرتم الحرب. أأنت مستعدٌّ للاستسلام؟».

- «للملك لا لچونوس براكن».

- «مفهوم».

تردَّد بلاكوود لحظةً، ثم قال: «هل تُريدني أن أترجَّل وأركع أمامك هنا والآن؟».

كانت مئة عينٍ تتطلَّع إليهما. أجابَ چايمي: «الرِّيح باردة والسَّاحة موحلة. يُمكنك أن تركع على البساط في غُرفتك الشَّمسيَّة حالما نتَّفق على الشُّروط».

قال اللورد تايتوس: «هذه شهامة منك. تفضَّل أيها الفارس. قد تفتقر قاعتي إلى الطَّعام، لكنها لا تفتقر إلى الكياسة أبدًا».

تقع غُرفة بلاكوود الشَّمسيَّة في الطَّابق الثَّاني من حصنٍ خشبي فسيح. حين دخلا كانت في المستوقَد نار مشتعلة، ووجدَ چايمي الغُرفة واسعةً حسنة التَّهوية، تحمل سقفها عوارض ضخمة من خشب السَّنديان القاتم. تُغطِّي المعلَّقات الصُّوف الجُدران، ويطلُّ بابان عريضان منقوشان بالأشكال الشَّجريَّة على أيكة الآلهة. عبر ألواح الزُّجاج الصَّفراء السَّميكة ذات الشَّكل الماسي لمحَ چايمي الفروع الملتوية للشَّجرة التي اتَّخذت منها القلعة اسمها، شجرة ويرووود عتيقة عملاقة تفوق تلك التي في (الحديقة الحجريَّة) بـ(كاسترلي روك) حجمًا عشر مرَّات، وإن كانت هذه الشَّجرة جرداء ميتةً.

قال مضيفه: «آل براكن سمَّموها. لم تَنبُت منها ورقة منذ ألف عام، ويقول المِايسترات إن بعد ألفِ أخرى ستكون قد تحجَّرت. شجر الويرووود لا يتعفَّن أبدًا».

سألَه چايمي: «والغِدفان؟ أين هي؟».

أجابَ بلاكوود: «تأتي عند الغسق وتجثم طوال اللَّيل، مئات منها، تُغطِّي الشَّجرة كأوراقٍ سوداء، كلَّ فرعٍ وكلَّ غُصن. منذ آلاف السِّنين تأتي، ولا أحد يدري كيف أو لماذا، لكن الشَّجرة تجتذبها كلَّ ليلة»، واستقرَّ على مقعدٍ عالي الظَّهر مستطردًا: «دواعي الشَّرف تُلزِمني بالسُّؤال عن اللورد وليِّ أمري».

- «السير إدميور في الطَّريق إلى (كاسترلي روك) باعتباره أسيري. ستبقى زوجته في (التَّوأمتين) حتى تضع طفلهما، ثم سينضمَّان إليه. ما دامَ لن يُحاوِل الفرار أو يُخطِّط للتَّمرُّد فسيعيش إدميور حياةً طويلةً».

- «طويلةً ومريرةً، حياةً بلا شَرف. حتى مماته سيقول النَّاس إنه خشيَ القتال».

هذا ظُلم. إدميور خشيَ على طفله. لقد عرفَ ابن مَن أنا، افضل من عمّتي نفسها. «كان الخيار خياره. كان عمُّه ليسفك دماءنا».

قال بلاكوود بنبرةٍ لا تُفصِح عن شيء: «على هذا نتَّفق. إن كان لي أن أسأل، ماذا فعلتم بالسير برايندن؟».

أجابَ چايمي: «عرضتُ عليه أن يلتحق بحَرس اللَّيل، وبدلًا من ذلك فرَّ»، وابتسمَ سائلًا: «أهو هنا؟».

- «لا».

- «وهل كنت لتُخبِرني لو أنه هنا؟».

هذه المرَّة كانت الابتسامة من نصيب تايتوس بلاكوود.

شبَّك چايمي يديه واضعًا أصابعه الذَّهبيَّة بين تلك اللَّحميَّة، وقال: «ربما يَجدُر بنا أن نتكلَّم عن الشُّروط».

- «هل يُفترَض أن أركع الآن؟».

- «إذا سمحت، أو يُمكننا أن نقول إنك فعلت».

ظلَّ اللورد بلاكوود جالسًا، وسرعان ما اتَّفقا على النِّقاط الأساسيَّة الخاصَّة بالاعتراف والقَسم على الولاء والعفو ومبلغٍ معيَّن يُدفَع ذهبًا وفضَّةً، وبعدها سألَ اللورد تايتوس: «ما الأراضي التي تَطلُبها؟»، ولمَّا ناولَه چايمي الخارطة ألقى نظرةً واحدةً وقهقهَ قائلًا: «بالطَّبع، لا بُدَّ من أن ينال المارِق مكافأته».

- «نعم، لكنها مكافأة أصغر مما يتخيَّل مقابل خدمةٍ أصغر. أيُّ تلك الأراضي تقبل الاستغناء عنه؟».

فكَّر اللورد تايتوس لحظةً، ثم قال: «(السِّياج الخشبي) و(أخدود النُّشَّاب) و(الحزام)».

- «أطلال وأخدود وبضعة أكواخ؟ بحقِّك يا سيِّدي. يجب أن تُعاني لقاء خيانتك. سيُريد واحدةً من الطَّواحين على الأقل».
الطَّواحين مصدر قيِّم للضَّرائب، واللورد يتلقَّى عُشر ما تطحنه من حبوب.
- «(طاحونة اللورد) إذن. (طاحونة الذُّرة) لنا».
- «وإحدى القُرى. (الرَّجمة)؟».
ردَّ بلاكوود: «إن لي أسلافًا مدفونين تحت صخور (الرَّجمة)»، وعادَ يَنظُر إلى الخارطة، ثم قال: «أعطِه (شجرة العسل) ومناحلها. كلُّ هذه الحُلويات ستُسمِنه وتُسوِّس أسنانه».
- «اتَّفقنا إذن، لكن هناك مسألةً أخيرةً».
- «رهينة».
- «نعم يا سيِّدي. أعتقدُ أن لك ابنةً».
لاحَ الذُّعر على اللورد تايتوس إذ قال: «بِثاني. إن لي أخوين وأختًا أيضًا، وعمَّتين مترمِّلتين، وأبناء وبنات إخوة، وأولاد عمومة. خطرَ لي أنك قد تقبل...».
- «يجب أن تكون الرَّهينة من صُلبك».
- «بِثاني في الثَّامنة فحسب، فتاة رقيقة ضحوك. إنها لم تبتعد عن داري قَطُّ مسافةً أطول من يومٍ من الرُّكوب».
- «لِمَ لا تدعها ترى (كينجز لاندنج) إذن؟ جلالة الملك في سِنِّها تقريبًا، وسيسرُّه أن يحظى بصديقةٍ أخرى».
سألَه اللورد تايتوس: «صديقة يُمكنه أن يَشنُقها إذا أغضبَه أبوها؟»، ثم إنه قال: «إن لي أربعة أبناء. هل تقبل أحدهم بدلًا منها؟ بن في الثَّانية عشرة ومتعطِّش إلى المُغامرة. يُمكنه أن يكون مُرافق سيِّدي إذا سمحَ».

- «عندي مُرافقون أكثر من اللّازم بالفعل. متى تبوَّلتُ يتشاجَرون على شَرف إمساك قضيبي. وأنت لك ستَّة أبناء يا سيِّدي لا أربعة».

- «كان لي. روبرت كان أصغر أبنائي ولم يتمتَّع بالقوَّة يومًا. لقد ماتَ بالإسهال قبل تسعة أيام. ولوكاس قُتِلَ في الزِّفاف الأحمر. زوجة والدر فراي الرَّابعة كانت من آل بلاكوود، لكن صِلة القُربى لا اعتبار لها في (التَّوأمتين)، مِثلها مِثل حقِّ الضِّيافة. أتمنَّى لو أدفن لوكاس تحت الشَّجرة، لكن آل فراي لم يتكرَّموا بإعادة رُفاته إليَّ بعدُ».

- «سأحرصُ على أن يفعلوا. هل كان لوكاس أكبر أبنائك؟».

- «ابني الثَّاني. برايندن أكبرهم ووريثي، ويليه هوستر. أخشى أنه يهوى القراءة».

- «إن لديهم كُتبًا في (كينجز لاندنج). أذكرُ أن أخي الصَّغير اعتادَ مطالعتها من حينٍ إلى آخَر، وقد يحبُّ ابنك أن يقرأها. سأقبلُ هوستر رهينةً».

تنفَّس بلاكوود الصُّعداء، وقال: «أشكرك يا سيِّدي»، ثم أردفَ بعد لحظة تردُّد: «إن كان لي أن أتجرَّأ، خيرٌ لك أن تَطلُب رهينةً من اللورد چونوس أيضًا، إحدى بناته. على الرغم من معاشرته المستمرَّة للنِّساء فإنه لم يُثبِت رجولته بإنجاب ابن».

- «كان له ابن نغل قُتِلَ في الحرب».

ردَّ اللورد تايتوس: «حقًّا؟ كان هاري نغلًا، صحيح، لكن السُّؤال الشَّائك إن كان چونوس قد أنجبَه حقًّا. كان فتى وسيمًا فاتح الشَّعر، وچونوس لا هذا ولا ذاك»، ونهضَ سائلًا چايمي: «هلَّا شرَّفتني بتناوُل العَشاء معي؟».

- «مرَّةً أخرى يا سيِّدي». القلعة تتضوَّر جوعًا بالفعل، ولا خير يُرجى من سرقة چايمي الطَّعام من أفواه أهلها. «لا أستطيعُ البقاء. (ريڤررَن) تنتظرني».

- «(ريڤررَن) أم (كينجز لاندنج)؟».

- «كلتاهما».

لم يُحاوِل اللورد تايتوس إثناءه، وقال: «سيستعدُّ هوستر للرَّحيل خلال ساعة».

وقد كان. التقى الفتى چايمي عند الاسطبلات، وقد وضعَ لفافة نومٍ على كتفه ودسَّ حزمةً من المخطوطات تحت إبطه. لا يتعدَّى هوستر بلاكوود السَّادسة عشرة، لكنه أطول قامةً من أبيه، زُهاء سبعة أقدام، يبدو عليه الهزال والخرَق، وله خُصلة طويلة من الشَّعر تتدلَّى على جبهته. خاطبَ الفتى چايمي بابتسامةٍ واسعة: «حضرة القائد، أنا رهينتك هوستر. يدعونني بهوس».

هل يحسبها مزحةً؟ «مَن هُم؟».

- «أصدقائي، إخوتي».

ردَّ چايمي: «لستُ صديقك ولستُ أخاك»، وهو ما نظَّف وجه الفتى من الابتسامة، ثم التفتَ چايمي إلى اللورد تايتوس قائلًا: «سيِّدي، دَعنا نتلافى سوء الفهم تمامًا. اللورد بريك دونداريون وثوروس المايري وساندور كليجاين وبرايندن تَلي وتلك المرأة قلب الحجر... كلُّ هؤلاء خارجون عن القانون ومتمرِّدون، أعداء الملك وجميع رعاياه الأوفياء. إذا سمعتُ أنك أو آلك تُخفونهم أو تحمونهم أو تُعاوِنونهم بأيِّ شكلٍ فلن أتردَّد في أن أرسل إليك رأس ابنك. آملُ أنك تستوعِب هذا. واستوعِب هذا أيضًا: أنا لستُ رايمان فراي».

زالَ كلُّ أثرٍ للدِّفء من فم اللورد بلاكوود، الذي قال: «نعم. إنني أعرفُ مع مَن أتعاملُ يا قاتِل الملك».

قال چايمي: «عظيم»، وامتطى أونَر ودارَ به نحو البوَّابة مضيفًا: «أتمنَّى لك حصادًا وفيرًا ومسرَّة العيش في سلام الملك».

لم يبتعد كثيرًا. كان اللورد چونوس براكن في انتظاره خارج (شجرة الغِدفان) خارج مدى النُّشَّابيّات القديرة، يمتطي جوادًا حربيًّا مدرعًا، وقد ارتدى درعه أيضًا واعتمرَ خوذةً عظيمةً من الفولاذ الرَّمادي لها ريشة من شَعر الخيل. عندما بلغَه چايمي قال: «رأيتهم يُنزِلون راية الذِّئب الرَّهيب. هل انتهى الأمر؟».

- «انتهى. عُد إلى ديارك وازرع حقولك».

رفعَ اللورد براكن مقدِّمة خوذته قائلًا: «مؤكَّد أن الحقول التي سأزرعها أكثر مما كانت حين دخلتَ هذه القلعة».

قال چايمي: «(الحزام) و(السِّياج الخشبي) و(شجرة العسل)»، وأضافَ بعد أن تذكَّر: «أوه، و(أخدود النُّشَّاب)».

قال براكن: «والطَّاحونة؟ يجب أن آخذ طاحونةً».

- «(طاحونة اللورد)».

أطلقَ اللورد چونوس نخير سخرية، وغمغمَ: «نعم، لا بأس بها... في الوقت الحالي»، وأشارَ إلى هوستر بلاكوود الرَّاكب مع پِك قائلًا: «أهذه هي الرَّهينة التي أعطاك إياها؟ لقد خُدِعت أيها الفارس. هذا الفتى رعديد، في عروقه ماء بدلًا من الدَّم. لا عليك بقامته الفارعة، فأيٌّ من بناتي تستطيع أن تكسرة كغُصينٍ متعفِّن».

سألَه چايمي: «كم بنتًا لديك يا سيِّدي؟».

- «خمس، اثنتان من زوجتي الأولى وثلاث من الثَّالثة». بعد فوات الأوان أدركَ براكن أنه تكلَّم أكثر من اللَّازم.

- «أرسِل واحدةً منهن إلى البلاط. ستتمتَّع بامتياز خدمة الملكة الوصيَّة على العرش».

اربدَّ وجه براكن إذ استوعبَ مدلول الكلام، وقال: «أهكذا تردُّ صداقة (السِّياج الحجري)؟».

قال چايمي لحضرة اللورد: «خدمة الملكة شَرف عظيم. ربما عليك أن تُرسِّخ هذا في ذهنها. سنتطلَّع إلى قدوم الفتاة قبل نهاية العام»، ولم ينتظر ردًّا من اللورد براكن، بل مسَّ أونَر بخفَّةٍ بمهمازيه الذَّهبيَّين وخبَّ مبتعدًا.

اتَّخذ رجاله تشكيلهم وتبعوه براياتٍ خفَّاقة، وسرعان ما تركوا القلعة والمعسكَر وراءهم وقد أخفاهما ما أثارَته حوافر خيولهم من غُبار.

لم يُزعِجهم الخارجون عن القانون أو الذِّئاب في طريقهم إلى (شجرة الغِدفان)، فقرَّر چايمي أن يعودوا من طريقٍ آخَر. إذا شاءَت الآلهة فقد يُصادِف السَّمكة السَّوداء أو يستدرج بريك دونداريون إلى هجمةٍ متهوِّرة.

كانوا يتبعون (غرين الأرملة) حين نفدَ منهم النَّهار، فنادى چايمي رهينته وسألَ الفتى أين يجدون أقرب مخاضة، وقادَهم الفتى إلى هناك. بينما خاضوا في المياه الضَّحلة غابَت الشَّمس وراء تلَّين معشوشبيْن أشارَ إليهما هوستر بلاكوود قائلًا: «(الثَّديان)».

قال چايمي متذكِّرًا خريطة اللورد براكن: «ثمَّة قرية بين هذين التلَّين».

أمَّن الفتى على قوله: «(شجرة البنسات)».

- «سنُخيِّم هناك اللَّيلة». إذا كان في القرية سُكَّان فلعلَّهم يعرفون شيئًا عن السير برايندن أو الخارجين عن القانون. فيما ركبوا صوب التلَّين اللذين بدآ يصطبغان بالظُّلمة في آخِر خيوط الضَّوء قال لابن بلاكوود: «اللورد چونوس ذكرَ شيئًا ما عن صاحِبة هذين الثَّديين. آل براكن يدعونهما باسمٍ وآل بلاكوود بآخَر».

- «أجل يا سيِّدي، منذ مئة عامٍ أو أكثر. قبل ذلك كان اسمهما (تديا الأُم)، أو (الثَّديان) وحسب. إنهما اثنان، ورأى النَّاس أنهما يُشبِهان...».

- «أرى ما يُشبِهانه». وجدَ چايمي نفسه يستعيد في ذاكرته المرأة في الخيمة وكيف حاولَت ستر حلمتيها الدَّاكنتين الكبيرتين. «ما الذي تغيَّر قبل مئة عام؟».

أجابَ الفتى هاوي القراءة: «إجون غير الجدير اتَّخذ باربا براكن عشيقةً. يقولون إنها كانت عامرة الصَّدر، وذات يومٍ في أثناء زيارة الملك (السِّياج الحجري) خرجَ للصَّيد ورأى (الثَّديين) فـ...».

- «... سمَّاهما تيمُّنًا بعشيقته». ماتَ إجون الرَّابع قبل مولد چايمي بزمنٍ طويل، لكنه يَذكُر ما يكفي من تاريخ حُكمه ليُخمِّنَ ما حدثَ بعد ذلك. «لكنه نبذَ ابنة براكن لاحقًا واتَّخذ ابنةً لبلاكوود عشيقةً، أليس كذلك؟».

أجابَ هوستر: «الليدي ميليسا، ميسي كما دعوها. إن لها تمثالًا في أيكة الآلهة عندنا. كانت أجمل من باربا براكن كثيرًا لكن نحيفةً، وسُمِعَت باربا تقول إن ميسي مسطَّحة الصَّدر كالصِّبية، ولمَّا سمعَ الملك إجون هذا...».

قاطعَه چايمي ضاحكًا: «... أعطاها تديَي باربا»، ثم إنه سألَ: «كيف بدأ كلُّ هذا بين بلاكوود وبراكن؟ أهو مدوَّن؟».

- «نعم يا سيِّدي، لكن بعض التَّواريخ دوَّنه مِايستراتهم وبعضها دوَّنه مِايستراتنا بعد قرونٍ من الأحداث التي يُفترَض أنهم أرَّخوها. الخصومة تعود إلى عصر الأبطال. كان آل بلاكوود ملوكًا في ذلك الزَّمان وآل براكن لوردات صغارًا مشهورين باستيلاد الخيول، وبدلًا من أن يدفعوا لملكهم حقَّه بالتي هي أحسن استخدَموا الذَّهب الذي جنوه من خيولهم في استئجار المرتزِقة للإطاحة به».

- «متى حدثَ هذا؟».

- «قبل خمسمئة عامٍ من مجيء الأنداليِّين، أو ألف إذا صدقَ (التَّاريخ الحقيقي). المشكلة أن أحدًا لا يعرف متى عبرَ الأنداليُّون (البحر الضيِّق). (التَّاريخ الحقيقي) يقول إن أربعة آلاف عام مرَّت منذ ذلك الحين، لكن بعض المِايسترات يَزعُم أنها ألفان فقط. بعد مرحلةٍ معيَّنة تختلط التَّواريخ كلُّها ويُشوِّشها الغموض، ويستحيل وضوح التَّاريخ إلى غيوم الأساطير».

كان تيريون ليحبَّ هذا الفتى. يُمكنهما أن يتكلَّما من الغسق إلى الفَجر ويتناقَشا حول الكُتب. للحظةٍ نسيَ ما يَشعُر به من مرارةٍ نحو أخيه، إلى أن تذكَّر ما فعلَه العِفريت. قال چايمي: «إذن فأنتم تتصارَعون على تاجٍ أخذَه أحدكم من الآخَر حين كان آل كاسترلي ما زالوا سادة (كاسترلي روك)، أليس كذلك؟ تاج مملكةٍ لم يَعُد لها وجود منذ آلاف السِّنين؟»، وقهقهَ متابعًا: «كثرة كثراء من السِّنين والحروب والملوك... كان المرء ليتصوَّر أن أحدهم أقامَ السَّلام يومًا».

- «أحدهم فعلَ يا سيِّدي، كثيرون. لقد أقمنا السَّلام عشرات المرَّات مع آل براكن، كثير منها أُبرِمَ بالزَّواج. في عروق كلِّ براكن دماء بلاكوود وفي عروق كلِّ بلاكوود دماء براكن. سلام الملك العجوز دامَ نِصف قرن، لكن نزاعًا جديدًا نشبَ وانفتحَت الجروح القديمة وبدأت تنزف ثانيةً. هكذا جرَت الأمور دومًا كما يقول أبي. ما دامَ النَّاس يَذكُرون ما تعرَّض إليه أسلافهم من إساءاتٍ فلا سلام سيدوم أبدًا، وهكذا نمضي قرنًا بعد قرنٍ نكره آل براكن ويكرهوننا. أبي يقول إن ما من نهايةٍ لهذا أبدًا».

- «لعلَّ هناك نهاية».

- «كيف يا سيِّدي؟ أبي يقول إن الجراح القديمة لا تندمِل أبدًا».

- «كان لأبي قول أيضًا: لا تجرح عدوًّا بإمكانك أن تَقتُله. الموتى لا يسعون للانتقام».

بلهجةٍ اعتذاريَّة قال هوستر: «أبناؤهم يسعون له».

- «ما لم تَقتُل الأبناء أيضًا. سَل آل كاسترلي عن هذا إن كنت تشكُّ في كلامي، سَل اللورد والليدي تاربك، أو آل راين أولاد (كاستامير)، سَل أمير (دراجونستون)». لبُرهةٍ ذكَّرته السُّحب الحمراء القانية التي تُكلِّل التِّلال الغربيَّة بطفلَي ريجار الملفوفيْن بمعطفين قرمزيَّين.

- «ألهذا قضيتم على آل ستارك جميعًا؟».

- «ليس جميعهم. ما زالَت ابنتا اللورد إدارد حيَّتين. إحداهما تزوَّجت لتوِّها، والأخرى...». *بِريان، أين أنتِ؟ هل عثرتِ عليها؟* «... إذا تكرَّمت الآلهة فستنسى أنها كانت من آل ستارك وتتزوَّج حدَّادًا قويًّا ما أو صاحِب خانٍ سمين الوجه وتملأ داره بالأطفال ولا تخشى أبدًا أن يأتي فارس ما يُهشِّم رؤوسهم على حائط».

قال الفتى الرَّهينة بتردُّد: «الآلهة كريمة».

فكَّر چايمي: *استمرَّ في اعتقادك هذا*، وهمزَ أونَر مبتعدًا.

اتَّضح أن (شجرة البنسات) قرية أكبر كثيرًا من توقُّعه. هذه أيضًا نالَت منها الحرب، كما تشهد البساتين المحروقة وهياكل البيوت المتهدِّمة المسودَّة، لكن مقابل كلِّ منزلٍ خرب أعيدَ بناء ثلاثة، وعبر الغسق الأزرق المتوغِّل أبصرَ چايمي قشًّا جديدًا فوق عشرين من السُّقوف وأبوابًا من الخشب الأخضر الخام. بين بِركة بطٍّ وورشة حدادةٍ وجدَ الشَّجرة التي أكسبَت القرية اسمها، سَنديانةً عتيقةً باسقةً تلتوي جذورها كثيرة العُقد من داخل التُّربة إلى خارجها كجُحرٍ للأفاعي البنِّيَّة البطيئة، وقد ثُبِّتَت مئات البنسات النُّحاسيَّة القديمة بالمسامير إلى جذعها الضَّخم.

حدَّق پِك إلى الشَّجرة ثم إلى البيوت، وتساءلَ: «أين النَّاس؟».

أخبرَه چايمي: «مختبئون».

داخل المنازل أُطفِئَت النِّيران كلُّها، لكن بعضها لا يزال يُصدِر دُخانًا، وكلُّها لم يَبرُد. المخلوق الحي الوحيد الذي رأوه هو المعزاة التي وجدَها هاري مريل السَّاخن ترعى في حديقة خضراوات... لكن للقرية معقلًا لا يقلُّ قوَّةً عن أيٍّ من أقرانه في أراضي النَّهر، جُدرانه حجريَّة سميكة ترتفع اثني عشر قدمًا، وعلمَ چايمي أنه سيجد أهل القرية هناك. *وراء هذه الجُدران اختبأوا حين أتى المُغيرون، ولذا لا يزال للقرية وجود، وها هُم اولاء يختبئون هناك ثانيةً، هذه المرَّة مني*.

تقدَّم بأونَر إلى بوَّابة المعقل، ورفعَ عقيرته قائلًا: «أنتم بالدَّاخل، لسنا نُضمِر لكم أذًى. إننا رجال الملك».

ظهرَت وجوه فوق البوَّابة، وردَّ أحدهم: «رجال الملك هُم من أحرَقوا قريتنا، وقبلها أخذَ رجال ملكٍ آخَرون مواشينا. كانوا رجال ملكٍ مختلف، لكن ذلك لم يصنع فرقًا بينهم وبين غيرهم عند المواشي. رجال الملك قتلوا هارسلي والسير أوزموند، واغتصَبوا ليسي حتى ماتَت».

قال چايمي: «ليس رجالي. هل ستفتحون بوَّابتكم؟».

- «سنفعل حين ترحلون».

دنا السير كينوس مخاطبًا چايمي: «يُمكننا أن نُحطِّم البوَّابة بسهولةٍ أو نُشعِل فيها النَّار».

هزَّ رأسه نفيًا، وقال: «فيما يُمطِروننا بالحجارة والسِّهام. عمل دامٍ، ولأجل ماذا؟ هؤلاء النَّاس لم يُؤذونا. سنقضي اللَّيل في المنازل، لكنني لن أسمح بالسَّرقة. إن معنا مؤننا».

بينما زحفَ الهلال في السَّماء ربطوا الخيول في قاعات القرية العامَّة وتناوَلوا عَشاءً من الضَّأن المملَّح والتُّفَّاح المجفَّف والجُبنة الجامدة. أكلَ چايمي باقتصادٍ وتقاسمَ قِربة نبيذٍ مع پِك والرَّهينة هوس، وحاولَ أن يُحصي البنسات المثبَّتة إلى السَّنديانة القديمة، لكنه وجدَها كثيرةً للغاية وظلَّ يُخطئ العدَّ. *لماذا يفعلون هذا؟* سيُخبِره ابن بلاكوود إذا سألَه، لكن ذلك سيُفسِد اللُّغز.

عيَّن حراسةً لضمان ألَّا يُغادِر أحد حدود القرية، وأرسلَ كشَّافةً أيضًا حرصًا على عدم مباغتة عدوٍّ ما إياهم بالهجوم.

كانت السَّاعة قُرب منتصَف اللَّيل عندما عادَ اثنان منهم راكبيْن بامرأةٍ أسَراها، وأخبرَه أحدهما: «اقتربَت منا بمنتهى الجرأة يا سيِّدي مطالبةً بالكلام معك».

أسرعَ چايمي ينهض قائلًا: «سيِّدتي، لم أتوقَّع رؤيتكِ ثانيةً بهذه السُّرعة». *يا للآلهة، تبدو أكبر عشرة أعوامٍ مما رأيتها آخِر مرَّة. وماذا دها وجهها؟* «هذه الضِّمادة... لقد جُرِحتِ...».

قالت: «إنها عضَّة»، ومسَّت مقبض سيفها، السَّيف الذي أعطاه لها. (*حافِظ العهد*). «سيِّدي، لقد كلَّفتني بمهمَّة».

- «الفتاة، هل عثرتِ عليها؟».

أجابَت بِريان عذراء (تارث): «نعم».

- «أين هي؟».

- «على بُعد يومٍ من الرُّكوب. يُمكنني أن آخذك إليها أيها الفارس... لكن عليك أن تأتي وحدك وإلَّا قتلَها كلب الصَّيد».

ترنَّمت مليساندرا رافعةً ذراعيها في الثَّلج المتساقط: «أيا راهلور، أنت الضَّوء في أعيُننا، النَّار في قلوبنا، الحرارة في أقطاننا، شمسك الشَّمس التي تُدفِّئ نهاراتنا، نجومك النُّجوم التي تحمينا في ظُلمة اللَّيل».

في جوقةٍ خشنة ردَّ ضيوف الزِّفاف: «*التَّحيَّة لراهلور إله الضِّياء*»، قبل أن تعصف هبَّة من الرِّيح القارسة كالجليد بكلماتهم.

رفعَ چون سنو قلنسوة معطفه. يَسقُط الثَّلج خفيفًا اليوم، تَرقُص في الهواء نُدفه الرَّقيقة المبعثرة هنا وهناك، لكن الرِّيح تهبُّ على (الجِدار) من الشَّرق باردةً برودة أنفاس تنِّين الجليد في حكايات العجوز نان القديمة. حتى نار مليساندرا ترتجف، يُطَقطِق لهبها الواهن في الحُفرة العميقة بنعومةٍ فيما تُنشِد الرَّاهبة الحمراء. وحده جوست يبدو أنه لا يَشعُر بالبرد.

مالَت آليس كارستارك على چون قائلةً: «الثَّلج خلال الزِّفاف يعني زيجةً باردةً. لطالما قالت السيِّدة والدتي هذا».

رمقَ الملكة سيليس مفكِّرًا: مؤكَّد *إذن أن عاصفةً ثلجيَّةً هاجَت يوم زُفَّت إلى ستانيس*. تحت معطفها المفصَّل من فرو القاقوم، ومحاطةً برفيقاتها وخادماتها وفُرسانها، تبدو الملكة الجنوبيَّة مخلوقةً هشَّةً شاحبةً منكمشةً، وقد تجمَّدت ابتسامة متكلَّفة على شفتيها الرَّفيعتين، لكن عينيها تنضحان بالإكبار. *تكره البرد لكنها تحبُّ اللَّهب*. ما عليه إلَّا أن يَنظُر إليها ليرى هذا. *كلمة واحدة من مليساندرا وستُلقي نفسها في النَّار بمحض إرادتها وتُعانِقها كأنها محبوبها*.

لكن لا يتراءى له أن كلَّ رجال الملكة يُشارِكونها حميَّة إيمانها. السير بروس يبدو شِبه سكران، والسير ميلجورن يضع يده المقفَّزة على رِدف الليدي المجاورة له، والسير ناربرت يتثاءَب، والسير پاتريك ابن (جبل الملك) يلوح عليه الغضب. بدأ چون سنو يفهم لماذا تركَهم ستانيس مع ملكته.

ترنَّمت مليساندرا وحريرها القرمزي يدور ويتموَّج مع كلِّ هبَّة ريح: «اللَّيل مظلمٌ وزاخرٌ بالأهوال. وحدنا نُولَد ووحدنا نموت، ولكن فيما نجتاز هذا الوادي الأسود يستمدُّ بعضنا القوَّة من بعضٍ ومنك يا إلهنا. اليوم يتقدَّم اثنان مقرنيْن حياتيهما معًا ليُواجِها ظُلمات هذا العالم سويَّةً، فاملأ قلبيهما بالنَّار يا إلهي ليسيرا في سبيلك المنير يدًا بيدٍ إلى الأبد».

صاحَت الملكة سيليس: «احمِنا أيا إله الضِّياء»، وردَّدت أصوات أخرى صيحتها، أتباع مليساندرا المؤمنون من سيِّداتٍ شاحبات وخادماتٍ راجفات إلى السير آكسل والسير ناربرت والسير لامبرت، إلى الرِّجال المسلَّحين المدرَّعين بحلقات الحديد والثِّنِّيين المدرَّعين بالفولاذ، وحتى بعض إخوان چون السُّود. «بارِك أطفالك أيا إله الضِّياء».

كان ظَهر مليساندرا إلى (الجِدار)، تقف على أحد جانبَي الحُفرة العميقة التي تشتعل فيها النَّار، ويقف الزَّوجان المرتقبان على الجانب الآخَر قُبالتها، ووراءهما الملكة مع ابنتها والمهرِّج الموشوم. تلتحِف الأميرة شيرين بفراءٍ كثيرة للغاية حتى إنها تبدو مستديرة التَّكوين، وتَخرُج أنفاسها سحاباتٍ بيضاء من خلال الوشاح الذي يُغطِّي معظم وجهها. بالطُّغمة الملكيَّة يُحيط السير آكسل فلورنت ورجال الملكة.

على الرغم من أن رجالًا قلائل من حَرس اللَّيل اجتمَعوا حول حُفرة النَّار فقد شاهدَ عدد أكبر المراسم من السُّطوح والنَّوافذ والسَّلالم المتعرِّجة الضَّخمة، ولحظَ چون بعنايةٍ الحاضرين والغائبين. بعض الرِّجال عليهم واجبات، وكثيرون في فترة الرَّائحة وغائبون في نومٍ عميق، لكن آخَرين اختاروا التَّغيُّب إبداءً لاستنكارهم. من الغائبين أوثيل يارويك وباون مارش، أمَّا السِّيتون سلادور فقد خرجَ فترةً وجيزةً من السِّبت مداعبًا البلَّورة السُّباعيَّة المتدلِّية من شريطٍ حول عُنقه، قبل أن ينسحب إلى الدَّاخل ثانيةً ما إن بدأت الصَّلوات.

رفعَت مليساندرا يديها، ووثبَت نار الحُفرة إلى أعلى صوب أصابعها ككلبٍ أحمر هائل يثب لالتقاط مكافأةٍ من صاحِبه، وارتفعَت دوَّامة من الشَّرارات تُقابِل رقائق الثَّلج النَّازلة من السَّماء. أنشدَت الرَّاهبة الحمراء للَّهب الجائع: «نَشكُرك أيا إله الضِّياء، نَشكُرك على ستانيس الشُّجاع الذي هو بنعمتك مليكنا. اهدِه ودافِع عنه أيا راهلور، احمِه من دسائس الأشرار وامنحه القوَّة لدحر خدم الظَّلام».

ردَّت الملكة سيليس وفُرسانها ورفيقاتها: «*امنحه القوَّة، امنحه الشَّجاعة، امنحه الحكمة*».

تأبَّطت آليس كارستارك ذراع چون قائلةً: «كم تبقَّى أيها اللورد سنو؟ إذا كنتُ سأدفَنُ تحت هذا الثَّلج فأودُّ أن أموت امرأةً متزوِّجةً».

أجابَها مُطَمْئِنًا: «قريبًا يا سيِّدتي، قريبًا».

أنشدَت الملكة: «نَشكُرك على الشَّمس التي تُدفِّئنا، نَشكُرك على النُّجوم التي تَحرُسنا في اللَّيل البهيم، نَشكُرك على المواقد والمشاعل التي تَطرُد الظَّلام الآبد، نَشكُرك على أنفُسنا المتَّقدة والنِّيران في أقطاننا وأفئدتنا».

وقالت مليساندرا: «فليتقدَّم الصَّابيان إلى القِران». على (الجِدار) من خلفها يُلقي اللَّهب ظلَّها، وعلى عُنقها الشَّاحب تَبرُق ياقوتتها الحمراء.

التفتَ چون إلى آليس كارستارك سائلًا: «مستعدَّة يا سيِّدتي؟».

- «نعم، أوه، نعم».

- «ألستِ خائفةً؟».

ابتسمَت الفتاة ابتسامةً ذكَّرت چون بأخته الصَّغيرة على نحوٍ كاد يفطر قلبه، وقالت: «فليخَفني هو». كانت عيناها تتألَّقان، ورقائق الثَّلج تذوب على وجنتيها المتورِّدتين، وإن التفَّ شَعرها بدوَّامةٍ من الحرير عثرَ عليها ساتان في مكانٍ ما، وبدأ الثَّلج يتجمَّع هناك مكلِّلًا رأسها بتاجٍ أبيض.

اعتصرَ چون يدها قائلًا: «سيِّدة الشِّتاء».

وقفَ ماجنَر (ثِن) منتظرًا عند النَّار، يرتدي الفرو والجِلد والأقراص البرونز كأنه في طريقه إلى المعركة، وعلى وَركه سيف برونزي. يجعله شَعره المنحسر عن جبهته يبدو أكبر من سِنِّه الفعليَّة، لكن إذ التفتَ يُشاهِد عروسه تدنو رأى چون الصَّبي في نظرة عينيه الكبيرتين كحبَّتين من الجوز، وإن لم يُدرِك إن كان منبع خوفه النَّار أم الرَّاهبة أم المرأة. *كانت آليس محقَّةً أكثر مما نحسب.*

سألَت مليساندرا: «مَن يُسلِّم هذه المرأة للزَّواج؟».

أجابَ چون: «أنا. الآن تأتي آليس سليلة عائلة كارستارك، امرأة بالغة مزهرة وابنة شرعيّة نبيلة»، واعتصرَ يدها مرّةً أخيرةً ثم تراجعَ ينضمُّ إلى الآخَرين.

سألَت مليساندرا: «مَن يأتي يَطلُب هذه المرأة؟».

دقَّ سيجورن على صدره مجيبًا: «أنا، ماجنَر (ثِن)».

سألَت مليساندرا: «سيجورن، هل ستتقاسَم نارك مع آليس وتُدفِّئها في اللَّيل المظلم المفعم بالأهوال؟».

- «أقسمُ أنا». خرجَ نذر الماجنَر سحابةً بيضاء في الهواء، وقد برقشَ الثَّلج كتفيه واحمرَّت أُذناه. «بلهب الإله الأحمر أدفِّئها طول الأيام».

- «آليس، هل تُقسِمين أن تتقاسَمي نارِكِ مع سيجورن وتُدفِّئيه في اللَّيل المظلم المفعم بالأهوال؟».

أجابَت: «حتى يغلي دمه». معطف عُذريَّة العروس من صوف حَرس اللَّيل الأسود الذي خيطَت شمس كارستارك المتفجِّرة على ظَهره بالفرو الأبيض نفسه الذي يُبطِّنه.

توهَّجت عينا مليساندرا كالياقوتة على حَلقها، وقالت: «تعاليا إليَّ إذن وكونا واحدًا»، وأشارَت ليثب حائط من اللَّهب إلى أعلى لاعقًا نُدف الثَّلج بألسنةٍ بُرتقاليَّة ساخنة، وأمسكَت آليس كارستارك الماجنَر من يده.

وجنبًا إلى جنبٍ قفزا من فوق الحُفرة.

قالت المرأة الحمراء: «اثنان دخلا اللَّهب...»، ورفعَت هبَّة من الرِّيح تنُورتها القرمزيَّة إلى أن ضغطَتها منزلةً إياها ثانيةً، وتراقصَ شَعرها النُّحاسي حول رأسها إذ تابعَت: «... وواحد خرجَ. ما وصلَته النَّار ما فصمَ عُراه أحد».

ردَّد رجال الملكة والثِّنّيون وبعض الإخوة السُّود: «*ما وصلَته النَّار ما فصمَ عُراه أحد*».

فكَّر چون سنو: *باستثناء الملوك والأعمام*.

ظهرَ كريجان كارستارك بعد يومٍ من ابنة ابن أخيه، ومعه جاءَ أربعة رجال مسلَّحون وقنَّاص وقطيع من الكلاب يتشمَّم أثر الليدي آليس كأنها غزالة، وقابلَهم چون سنو على (طريق الملوك) على بُعد نِصف فرسخٍ جنوب (بلدة المناجذ) قبل أن يصلوا إلى (القلعة السَّوداء) وينالوا حقَّ الضِّيافة أو يَطلُبوا التَّفاوُض. أطلقَ أحد رجال كارستارك سهم نُشَّابيَّةٍ على تاي وماتَ لهذا، وهو ما تركَ أربعةً بالإضافة إلى كريجان نفسه.

لحُسن الحظِّ أن عندهم دستةً من زنازين الجليد. *مساحة للجميع*.

كأشياء أخرى كثيرة تنتهي رموز النَّبالة عند (الجِدار). ليس للثِّنّيين رمز عائلةٍ على غرار نُبلاء (الممالك السَّبع)، فقال چون للوُكلاء أن يرتجلوا، وفكَّر بعدها أنهم أحسنوا صُنعًا. على معطف العروس الذي ثبَّته سيجورن حول كتفَي الليدي آليس قُرص برونزي على خلفيَّةٍ من الصُّوف الأبيض، تُحيط به ألسنة لهبٍ مصنوعة من خيوط الحرير القرمزي، في محاكاةٍ واضحة لمن يرى لشمس كارستارك المتفجِّرة، مع اختلافٍ لائق يُميِّز رمز عائلة ثِن.

انتزعَ الماجنَر معطف العُذريَّة عن كتفَي آليس بقوَّةٍ كانت لتُمزِّقه، لكن حين ألبسَها معطف العروس كان أقرب إلى الرِّقَّة، وإذ مالَ عليها يلثم خدَّها تمازجَت أنفاسهما. تأجَّج اللَّهب مجدَّدًا، وبدأ رجال الملكة يُغنُّون أغنيَّة ثناء. سمعَ چون ساتان يهمس: «هل انتهَت المراسم؟».

تمتمَ مولي: «انتهَت والشُّكر للآلهة. هما تزوَّجا وأنا شِبه متجمِّد». يرتدي اللَّيلة أفضل ثيابه السَّوداء، أصوافًا جديدةً للغاية حتى إنها لم تبدأ تبهت بعدُ، لكن الرِّيح جعلَت وجنتيه بحُمرة شَعره. «هوب تبِّل القليل من النَّبيذ بالقرفة والقرنفل. سيُدفِّئنا هذا بعض الشَّيء».

سألَ أوين الجحش: «أي قرنفل؟».

بدأ الثَّلج ينهمر بكثافةٍ أشد والنَّار في الحُفرة تتذبذَب توطئةً للانطفاء، وبدأ الحشد يتفرَّق ويتحرَّك من السَّاحة، رجال الملكة ورجال الملك والأحرار على حدّ سواء، كلُّهم تائق إلى ملاذٍ من الرِّيح والبرد. سألَ مولي چون سنو: «هل سيحتفل سيِّدي معنا؟».

- «بعد قليل». قد يعدُّها سيجورن إهانةً إذا لم يظهر. *وهذه الزِّيجة من ترتيبي في النِّهاية*. «عندي مسائل أخرى أعنى بها أولًا».

قطعَ چون السَّاحة نحو الملكة سيليس وإلى جواره جوست، يسحق حذاؤه أكوام الثَّلج القديم. أصبحَ جرف الثَّلج عن الطُّرق من مبنى إلى آخَر يستهلك وقتًا أطول، وفي الفترة الأخيرة بدأ الرِّجال يلجأون أكثر فأكثر إلى الممرَّات الواقعة تحت الأرض التي يُسمُّونها المسالك الدُّوديَّة.

كانت الملكة تقول: «... طقوس في غاية الجَمال. كان بإمكاني الشُّعور بنظرة ربِّنا النَّاريَّة إلينا. أوه، لستم تعلمون كم مرَّةً توسَّلتُ إلى ستانيس أن نتزوَّج ثانيةً في قرانٍ حقيقي للجسد والرُّوح يُبارِكه إله الضِّياء. أعرفُ أنني سأنجبُ لجلالته مزيدًا من الأطفال إذا جمعَت بيننا النَّار».

لتُنجبي له مزيدًا من الأطفال عليكِ أن تُدخِليه فِراشكِ أولًا.

حتى هنا على (الجِدار) يُعَدُّ نبذ ستانيس باراثيون زوجته معرفةً عامَّةً، وليس باستطاعة المرء إلَّا أن يتخيَّل ردَّ جلالته على فكرة زفافٍ ثانٍ في غمار حربه.

انحنى چون قائلًا: «بعد إذن صاحِبة الجلالة، المأدبة تنتظرنا».

رمقَت الملكة جوست بارتياب، ثم رفعَت رأسها إلى چون، وقالت: «بالتَّأكيد. الليدي مليساندرا تعرف الطَّريق».

قالت الرَّاهبة الحمراء: «عليَّ أن أعنى بناري يا جلالة الملكة، فقد يُنعِم راهلور عليَّ بلمحةٍ عن صاحِب الجلالة، لمحةٍ من نصرٍ عظيم ربما».

لاحَ الاضطراب على الملكة سيليس، وقالت: «أوه، بالتَّأكيد... لنصلِّ طلبًا لرؤيا من إلهنا...».

قال چون: «ساتان، اصحب جلالتها إلى مكانها».

تقدَّم السير ميلجورن قائلًا: «سأصحبُ جلالة الملكة إلى المأدبة. لن نحتاج إلى هذا... الوكيل». أنبأَ الأسلوب الذي نطقَ به الكلمة الأخيرة چون بأنه كان يُفكِّر في قول شيءٍ آخَر. *الغُلام؟ الحيوان الأليف؟ بائع الهوى؟*

عادَ چون ينحني، وقال: «كما ترغب. سألحقُ بكم بعد قليل».

مدَّ السير ميلجورن ذراعه وأخذَتها الملكة سيليس بجمود، واستقرَّت يدها الأخرى على كتف ابنتها، وإذ شقُّوا طريقهم عبر السَّاحة انتظمَت البطَّات الملكيَّة وراءهم سائرةً على أنغام أجراس قُبَّعة المهرِّج، وبينما ذهبوا أعلنَ ذو الوجه المرقَّع: «تحت البحر يشرب عرسان البحر حَساء نجوم البحر، وكلُّ الخدم سراطين. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه».

اربدَّ وجه مليساندرا، وقالت: «هذا المخلوق خطر. مرَّاتٍ عديدةً رأيته في لهبي. أحيانًا تُحيط به الجماجم وتسيل الدِّماء من شفتيه».

إنها لأعجوبة أنكِ لم تُحرِقي المسكين. لن يتطلَّب الأمر أكثر من كلمةٍ في أُذن الملكة ليُطعِم ذو الوجه المرقَّع النَّار. «ترين المهرِّجين في ناركِ ولكن ليس ستانيس؟».

- «عندما أبحثُ عنه لا أرى إلَّا الثُّلوج».

نفس الإجابة عديمة الفائدة. كان كلايداس قد أرسلَ غُدافًا إلى (ربوة الغابة) لتحذير الملك من خيانة آرنولف كارستارك، إلَّا أن چون لا يدري إن كان الطَّائر قد بلغَ جلالته في الوقت المناسب. والصَّيرفي البراقوسي غادرَ بحثًا عن ستانيس أيضًا، يصحبه الأدلَّة الذين زوَّده بهم چون، لكن بين الحرب والطَّقس ستكون أعجوبةً إذا وجدَه. سألَ الرَّاهبة الحمراء: «إذا ماتَ الملك فهل ستعلمين؟».

- «الملك لم يَمُت. ستانيس مُختار الإله، قدره أن يقود القتال ضد الظُّلمة. لقد رأيتُ هذا في اللَّهب وقرأتُ عنه في نبوءةٍ قديمة. عندما ينزف النَّجم الأحمر ويزداد الظَّلام حلكةً سيُولَد آزور آهاي من جديدٍ وسط الدُّخان والملح ليُوقِظ التَّنانين من الحجر. (دراجونستون) موطن الدُّخان والملح».

قال چون الذي سمعَ كلَّ هذا من قبل: «ستانيس باراثيون كان سيِّد (دراجونستون)، لكنه لم يُولَد هناك، بل في (ستورمز إند) كأخويه»، وعقدَ حاجبيه متابعًا: «وماذا عن مانس؟ أهو مفقود أيضًا؟ ماذا تُريكِ نيرانكِ؟».

- «أخشى أنها تُريني الشَّيء نفسه، الثُّلوج».

الثُّلوج. يعرف چون أنها تَسقُط بكثافةٍ بالغة في الجنوب، ويُقال إن (طريق الملوك) مسدود تمامًا على بُعد يومين فحسب من الرُّكوب. *مليساندرا تعرف هذا أيضًا*. وإلى الشَّرق تضرب عاصفة عاتية (خليج الفقمات)، وحسب التَّقرير الأخير ما زالَ الأسطول المرقَّع الذي جمعَه لإنقاذ الأحرار من (هاردهوم) راسيًا عند (القلعة الشَّرقيَّة)، يُجبِره البحر الثَّائر على البقاء في المرفأ. «ما ترينه رماد يَرقُص في التيَّار».

- «بل أرى جماجم، وأراك. كلَّما نظرتُ في اللَّهب رأيتُ وجهك. الخطر الذي حذَّرتك منه يدنو بشدَّةٍ الآن».

- «خناجر في الظَّلام، أعرفُ. اغفِري لي شكوكي يا سيِّدتي. *فتاة رماديَّة على حصانٍ مائت تفرُّ من زيجة*. هذا ما قلتِه».

- «لم أكن مخطئةً».

- «ولم تكوني مصيبةً. آليس ليست آريا».

- «الرُّؤيا كانت سليمةً. الخطأ كان في قراءتي. إنني فانية مِثلك يا چون سنو، وكلُّ الفانين يهفون».

- «بمَن فيهم القادة». لم يرجع مانس رايدر وزوجاته الحِراب، وما بيد چون حيلة إلَّا أن يتساءَل إن كانت المرأة الحمراء قد كذبَت لغرضٍ في نفسها. *هل تلعب لُعبتها الخاصَّة؟*

- «خيرٌ لك أن تُبقي هذا الذِّئب قريبًا منك يا سيِّدي».

- «نادرًا ما يبتعد جوست». رفعَ الذِّئب الرَّهيب رأسه لدى ذِكر اسمه، فحكَّه چون وراء الأُذنين مستطردًا: «لكن عليكِ أن تَعذُريني الآن. جوست، معي».

تتراوَح زنازين الجليد المحفورة في قاعدة (الجِدار) والمغلقة بأبوابٍ خشبيَّة ثقيلة من صغيرةٍ إلى أصغر. بعضها كبير بما فيه الكفاية ليُتيح لشاغلها أن يتحرَّك جيئةً وذهابًا، وبعضها صغير لدرجة إجبار السَّجين على الجلوس، وأصغرها لا يسمح بهذا حتى.

كان چون قد وضعَ سجينه الأهمَّ في أكبر الزَّنازين، وأعطاه دلوًا يتبرَّز فيه وأغطيةً من الفرو تحول دون تجمُّده بردًا وقِربةً من النَّبيذ. استغرقَ الحُرَّاس بعض الوقت في فتح باب زنزانته إذ تكوَّن الجليد داخل القفل، وصرخَت المفصلات الصَّدئة كالأرواح الملعونة عندما شدَّ ويك المهزول الباب باتِّساعٍ يكفي لدخول چون، لتستقبله رائحة غائطٍ خفيفة، أخف مما توقَّع في الحقيقة. حتى البراز يتجمَّد في هذه البرودة القارسة.

رأى چون سنو انعكاسه المبهم على الجُدران الجليديَّة، ونظرَ إلى رُكن الزِّنزانة حيث تتكوَّم الأغطية بارتفاع قامة رجلٍ تقريبًا، وقال: «كارستارك، استيقِظ».

تحرَّكت الأغطية. كان بعضها قد تجمَّد والتصقَ ببعض، والتمعَ الصَّقيع الذي يُغطِّيها مع حركتها. ظهرَت ذراع، ثم وجه... شَعر بنِّي متشابك متلبِّد وخطَه الشَّيب، وعينان قاسيتان وأنف وفم ولحية. يكسو الجليد وكُتل من المُخاط المتجمِّد شارب السَّجين الذي قال: «سنو»، لتَخرُج أنفاسه حارَّةً في الهواء وتُغشِّي الجليد وراء رأسه. «ليس لك الحق في حبسي. قوانين الضِّيافة...».

- «لست ضيفي. لقد جئت إلى (الجِدار) مسلَّحًا دون إذني لتأخذ ابنة ابن أخيك ضد إرادتها. الليدي آليس أكلَت عيشنا وملحنا. إنها ضيفة، وأنت سجين»، وتركَ چون كلامه معلَّقًا لحظةً، ثم أردفَ: «ابنة ابن أخيك تزوَّجت».

انزاحَت شفتا كريجان كارستارك عن أسنانه، وقال: «آليس كانت موعودةً لي». على الرغم من أنه تجاوزَ الخمسين فقد كان رجلًا قويًّا حين دخلَ الزِّنزانة، لكن البرد سلبَه تلك القوَّة وتركَه ضعيفًا متيبِّسًا. «السيِّد والدي...».

- «والدك أمين القلعة لا سيِّدها، وليس من حقِّ أمين القلعة ترتيب الزِّيجات».

- «أبي آرنولف سيِّد (كارهولد)».

- «الابن يسبق العمَّ حسب كلِّ القوانين التي أعرفها».

دفعَ كريجان نفسه إلى النُّهوض وركلَ الأغطية المعقودة حول كاحليه جانبًا، وقال: «هاريون ماتَ».

أو سيموت قريبًا. «الابنة أيضًا تسبق العمَّ. إذا ماتَ أخوها فـ(كارهولد) من حقِّ الليدي آليس، ولقد سلَّمت يدها في الزَّواج إلى سيجورن ماجنَر (ثِن)».

- «همجي، همجي قاتِل قذر». كوَّر كريجان قبضتيه. القُفَّازان اللذان يُغلِّفانهما من الجِلد المبطَّن بالفرو كالمعطف الذي ينسدل متلبِّدًا متيبِّسًا من على كتفيه، وسُترته الصُّوف السَّوداء مزيَّنة بشمس عائلته المتفجِّرة. «أراك على حقيقتك يا سنو. نِصف ذئبٍ ونِصف همجي، ابن زنى أنجبَه خائن وعاهرة، تُسلِّم فتاةً كريمةَ المحتد إلى فِراش بربريٍّ وسِخ. هل جرَّبتها بنفسك أولًا؟»، وضحكَ متابعًا: «إذا كنت تنوي قتلي فافعلها ولتحلَّ بك اللَّعنة كقاتِل أقربين. ستارك وكارستارك دم واحد».

- «اسمي سنو».

- «نغل!».

- «مذنب، في هذا على الأقل».

- «فليأتِ هذا الماجنَر إلى (كارهولد). سنقطع رأسه وندسُّه في مرحاضٍ كي نتبوَّل في فمه».

- «سيجورن يقود مئتي رجل، والليدي آليس تعتقد أن (كارهولد) ستفتح لها بوَّابتها. اثنان من رجالك تعهَّدا إليها بالخدمة بالفعل وأكَّدا ما قالته عن الخُطط التي وضعَها أبوك مع رامزي سنو. إن لك أقرباءً في (كارهولد) كما قيلَ لي. من شأن كلمةٍ منك أن تُنقِذ حياتهم. سلِّم القلعة وستعفو الليدي آليس عن النِّساء اللواتي خُنَّها وتسمح للرِّجال بالانخراط في حَرس اللَّيل».

هزَّ كريجان رأسه رفضًا، وقال: «أبدًا. أبدًا، أبدًا، أبدًا». كانت كُتل من الجليد قد تكوَّنت في شَعره المتشابك وترنُّ معًا بخفوتٍ لمَّا يتحرَّك.

فكَّر چون: *خليق بي أن أقدِّم رأسه هديَّةً إلى الليدي آليس والماجنَر*، لكنه لا يجرؤ على هذه المجازفة، فحَرس اللَّيل لا يتدخَّلون في صراعات البلاد، وقد يقول بعضهم إنه أعانَ ستانيس أكثر من اللَّازم بالفعل. *اقطع رأس هذا الأحمق وسيقولون إنني أقتلُ الشَّماليِّين لأعطي أراضيهم للهَمج. أطلِق سراحه وسيبذل أقصى ما بوسعه لإفساد ما فعلته مع الليدي آليس والماجنَر*. تساءلَ چون عمَّا كان أبوه ليفعله، وكيف كان عمُّه ليتعامَل مع المسألة، لكن إدارد ستارك ماتَ، وبنچن ستارك مفقود في مفازة الجليد وراء (الجِدار). *لست تعلم شيئًا يا چون سنو*.

قال چون: «الأبد زمن طويل. قد يتبدَّل رأيك غدًا، أو بعد عام، لكن عاجلًا أو آجلًا سيعود الملك ستانيس إلى (الجِدار)، وحين يفعل سيأمر بموتك... ما لم تكن ترتدي معطفًا أسود عندئذٍ. حين يرتدي الرِّجال أسود حَرس اللَّيل تُمحى جرائمهم». حتى *أمثالك*.

«والآن بعد إذنك، فعندي مأدبة أحضرها».

بعد برودة زنازين الجليد الطَّاغية وجدَ چون القبو المزدحم شديد السُّخونة حتى إنه شعرَ بالاختناق لحظة أن نزلَ السَّلالم، وقد عبَّقت الهواء روائح الدُّخان واللَّحم المشوي والنَّبيذ المتبَّل. بينما اتَّخذ چون مكانه على المنصَّة كان آكسل فلورنت يقدِّم نخبًا، وبصوتٍ جهوري هتفَ: «نخب الملك ستانيس وزوجته الملكة سيليس، نور الشَّمال! نخب راهلور إله الضِّياء، عسى أن يُدافِع عنا جميعًا! أرض واحدة، إله واحد، ملك واحد!».

ردَّد رجال الملكة: «*أرض واحدة، إله واحد، ملك واحد!*».

شربَ چون مع البقيَّة. لا يدري إن كانت آليس كارستارك ستجد في زواجها هناءً، لكن ينبغي أن تكون اللَّيلة على الأقل ليلة احتفال.

بدأ الوُكلاء يُقدِّمون الطَّبق الأول، مرق البصل المنكَّه بقطع لحم الماعز والجزر. ليس صنفًا ملكيًّا بالضَّبط لكنه مغذٍّ يُدفِّئ المعدة ولا بأس بمذاقه. عزفَ أوين الجحش على الكمنجة، وانضمَّ إليه الأحرار بالطُّبول والمزامير. *الطُّبول والمزامير نفسها التي عزفوا عليها لإعلان اعتداء مانس رايدر على (الجِدار)*. خطرَ لچون أن صوتها أحلى الآن. مع المرق قُدِّمَت أرغفة من الخُبز البنِّي الخشن الدَّافئ، ووُضِعَ الملح والزُّبدة على الموائد، وهو المنظر الذي نغَّص على چون وجبته. كان باون مارش قد أخبرَه بأن لديهم مخزونًا وافرًا من الملح، لكن الزُّبدة ستنفد قبل دورة القمر الجديدة.

أُعطِيَ فلينت العجوز والنوري موضع شَرفٍ عاليًا أسفل المنصَّة مباشرةً. كلا الرَّجلين طاعن في السِّنِّ ولا يقوى على الزَّحف مع ستانيس، فأرسَلا أبناءهما وأحفادهما بدلًا منهما، وإن سارَعا بالمجيء إلى (القلعة السَّوداء) لحضور الزِّفاف. جلبَ كلاهما معه مُرضعةً إلى (الجِدار) أيضًا. امرأة نوري في الأربعين، ولها أكبر تديين رآهما چون سنو على الإطلاق، وفتاة فلينت في الرَّابعة عشرة ومسطَّحة الصَّدر كالصِّبية، لكنها لا تفتقر إلى اللَّبن، وبين الاثنتين يبدو أن صحَّة الرَّضيع الذي تدعوه ڤال بالوحش تتحسَّن.

وهو ما يُشعِر چون بالامتنان... ولو أنه لا يُصدِّق لحظةً أن هذين المُحاربين الشَّيخين نزلا من تلالهما لهذا السَّبب وحده. مع كلٍّ منهما أتَت حاشية من المُقاتلين، خمسة مع فلينت العجوز واثنا عشر مع النوري، يرتدون جميعًا الفراء الرثَّة والجلود المطعَّمة بالحديد، وجميعهم مهيب كوجه الشِّتاء. لبعضهم لحى طويلة ولبعضهم ندوب ولبعضهم هذه وتلك، وكلُّهم يَعبُدون آلهة الشَّمال القديمة، الآلهة ذاتها التي يَعبُدها شعب الأحرار وراء (الجِدار)، ومع ذلك ها هُم أولاء جالسون يشربون نخب قرانٍ عقدَه إله أجنبي أحمر من وراء البحار.

أفضل من ألَّا يشربوا. لا فلينت ولا نوري قلبَ كوبه ليَسكُب نبيذه على الأرض، وهو ما قد يدلُّ على نوعٍ معيَّن من القبول. *أو ربما يكرهان فقط أن يُبدِّدا النَّبيذ الجنوبي الممتاز. مؤكَّد أنهما لم يذوقاه كثيرًا في تلالهما الحجريَّة تلك*.

بين صنفين قادَ السير آكسل فلورنت الملكة سيليس في رقصة، وتبعَهما آخَرون... فُرسان الملكة أولًا ومعهم رفيقاتها. رقصَ السير بروس مع الأميرة شيرين رقصتها الأولى، ثم أخذَ دورًا مع أمِّها، ورقصَ السير ناربرت مع كلٍّ من رفيقات سيليس بدورها.

يفوق رجال الملكة رفيقاتها عددًا ثلاثة إلى واحد، وهكذا وجدَت أكثر الخادمات تواضُعًا أنفُسهن مطلوباتٍ للرَّقص. بعد بعض الأغاني تذكَّر عدد من الإخوة السُّود مهاراتٍ تعلَّموها في بلاطات وقلاع شبابهم قبل أن تُرسِلهم خطاياهم إلى (الجِدار)، فنزلوا إلى حلبة الرَّقص أيضًا. أثبتَ الشَّقي العجوز أولمر ابن (غابة الملوك) أن براعته في الرَّقص لا تقلُّ عن براعته في الرِّماية، ولا شكَّ أنه سلَّى شريكاته بحكاياته عن أخوَّة غابة الملوك، وقت أن ركبَ مع سايمون توين وبن ذي البطن الكبير وساعدَ الظَّبية البيضاء وندا على وسم أرداف أسراها النُّبلاء. رقصَ ساتان بأناقةٍ مع ثلاث من الخادمات ولكن دون أن يتجرَّأ على الدُّنو من أيِّ ليدي رفيعة المقام، وقد عدَّ چون هذا حكمةً، إذ لم تُعجِبه الطَّريقة التي يَنظُر بها بعض فُرسان الملكة إلى الوكيل، تحديدًا السير پاتريك ابن (جبل الملك). *يُريد أن يُريق القليل من الدَّم، ويتطلَّع إلى أن يستفزَّه أحد.*

عندما بدأ أوين الجحش يَرقُص مع المهرِّج ذي الوجه المرقَّع تردَّدت أصداء الضَّحك على السَّقف المقنطَر، ودفعَ المنظر الليدي آليس إلى الابتسام متسائلةً: «هل تَرقُصون كثيرًا هنا في (القلعة السَّوداء)؟».

- «متى أقمنا زفافًا يا سيِّدتي».

- «يُمكنك أن تَرقُص معي على سبيل الكياسة. سبقَ أن رقصت معي في سالف الزَّمان».

ردَّد چون مداعبًا: «في سالف الزَّمان؟».

قالت: «في طفولتنا»، ومزَّقت قطعةً من الخُبز وألقته بها مضيفةً: «كما تعلم جيِّدًا».

- «المفترَض أن تَرقُص سيِّدتي مع زوجها».

- «أخشى أن الماجنَر ليس مخلوقًا للرَّقص. ما دُمت لن تَرقُص معي فصُبَّ لي القليل من النَّبيذ المتبَّل على الأقل».

قال: «كما تأمرين»، وأشارَ طالبًا إبريقًا.

بينما صبَّ چون قالت آليس: «إذن فأنا امرأة متزوِّجة الآن، زوجي همجي له جيشه الصَّغير الخاص من الهَمج».

- «يُسمُّون أنفُسهم شعب الأحرار، أكثرهم على الأقل، أمَّا الثِّنِّيون فشعب مختلف، شعب عريق». إيجريت هي مَن أخبرَته بهذا. *لستَ تعلم شيئًا يا* چون *سنو*. «يأتون من وادٍ خفي في طرف (أنياب الصَّقيع) الشَّمالي تُحيط به الذُّرى الشَّاهقة، وطوال آلاف السِّنين تعامَلوا مع العمالقة أكثر من البَشر الآخَرين، وجعلَهم هذا مختلفين».

علَّقت: «مختلفين، لكن أقرب إلينا».

- «أجل يا سيِّدتي. للثِّنِّيين لوردات وقوانين». *ويعرفون كيف يركعون*. «ويُنقِّبون عن الصَّفيح والنُّحاس لعمل البرونز، ويصنعون أسلحتهم ودروعهم بدلًا من سرقتها. إنهم قوم معتدُّون بأنفُسهم وشُجعان. مانس رايدر اضطرَّ إلى غلبة الماجنَر القديم ثلاث مرَّات قبل أن يقبله ستير ملكًا وراء الجِدار».

قالت آليس: «والآن أصبحوا هنا على جانبنا من (الجِدار)، سيقوا من معاقلهم الجبليَّة إلى غُرفة نومي»، وأضافَت بابتسامةٍ ساخرة متجهِّمة: «إنها غلطتي. أبي أكَّد عليَّ أن أفتن أخاك روب، لكنني كنتُ في السَّادسة فحسب ولم أعرف كيف».

أجل، لكنك في السَّادسة عشرة تقريبًا الآن، ولنأمل أن تعرفي كيف تفتنين زوجكِ الجديد. «سيِّدتي، ما وضع مخزونكم من الطَّعام في (كارهولد)؟».

زفرَت مجيبةً: «ليس جيِّدًا. أبي أخذَ معه رجالًا كثيرين للغاية إلى الجنوب، ولم يبقَ إلَّا النِّساء والصِّبية الصِّغار لحصاد الزَّرع، هُم والمسنُّون والمُعاقون الذين لم يقدروا على الذَّهاب إلى الحرب، فماتَت المحاصيل في الحقول أو أغرقَتها أمطار الخريف. والآن ينزل الثَّلج. سيكون شتاءً شاقًّا. شيوخ قليلون سينجون منه، وأطفال عدَّة سيموتون أيضًا».

الحكاية التي يعرفها كلُّ شماليٍّ تمام المعرفة.

أخبرَها چون: «جدَّة أبي لأمِّه كانت من آل فلينت أولاد الجبال. يُسمُّون أنفُسهم آل فلينت الأوائل. يقولون إن أولاد فلينت الآخَرين ينحدرون من أبناءٍ أصغر تركوا الجبال ليجدوا الطَّعام والأرض والزَّوجات. لطالما كانت الحياة قاسيةً هناك في أعالي الجبال. حين تَسقُط الثُّلوج ويَندُر الطَّعام يُسافِر شُبَّانهم إلى (البلدة الشَّتويَّة) أو يلتحقوا بالخدمة في قلعةٍ أو أخرى، ويستجمع المسنُّون ما تبقَّى لهم من عافيةٍ ويُعلِنون أنهم ذاهبون للصَّيد. بعضهم يجدونه عند حلول الرَّبيع وبعضهم لا يُرى ثانيةً أبدًا».

- «إنها الحال نفسها في (كارهولد)».

لم يُدهِشه هذا، وقال لها: «حينما تبدأ مؤنكم تتناقَص تذكَّرينا يا سيِّدتي. أرسِلي مسنِّيكم إلى (الجِدار) ليحلفوا يميننا. هنا على الأقل لن يموتوا وحيدين في الثَّلج، لا يُدفِّئهم إلَّا اجترار الذِّكريات. أرسِلي إلينا الصِّبية أيضًا إن كان عندكم صِبيةٌ تستغنون عنهم».

مسَّت يده قائلةً: «كما تقول. (كارهولد) تَذكُر».

عند تقطيع الإلكة المشويَّة بلغَت رائحتها أنف چون ليجدها أشهى كثيرًا مما توقَّع. أرسلَ قطعةً إلى ليذرز في (بُرج هاردين) مع ثلاثة أطباق كبيرة من الخضراوات المشويَّة إلى وَن وَن، ثم أكلَ شريحةً مشبعةً مفكِّرًا: *أحسنَ هوب ذو الثَّلاثة أصابع صُنعًا*. كان هذا سببًا للقلق، إذ أتاه هوب قبل ليلتين يقول شاكيًا إنه انضمَّ إلى حَرس اللَّيل ليَقتُل الهَمج لا ليَطبُخ لهم، وأضافَ: «كما أنني لم أعدَّ وليمة زفاف من قبل قَطُّ يا سيِّدي. الإخوة السُّود لا يتزوَّجون. هكذا يقول القَسم اللَّعين، أؤكِّدُ لك».

كان چون يبلع الشِّواء برشفةٍ من النَّبيذ المتبَّل عندما ظهرَ كلايداس عند مِرفقه قائلًا: «طائر»، ودسَّ رقًّا في يده. الرِّسالة مختومة بقطرةٍ من الشَّمع الأسود الجامد، وقبل أن يكسر الختم عرفَ چون أنها من (القلعة الشَّرقيَّة). كتبَها المِايستر هارميون، فكوتر پايك لا يقرأ أو يَكتُب، لكن الكلام كلام پايك، مكتوب كما نطقَه باقتضابٍ وإيجاز.

البحر هادئ اليوم. إحدى عشرة سفينةً أبحرَت إلى (هاردهوم) في تيَّار الصَّباح، ثلاث من (براڤوس) وأربع من (لِيس) وأربع من سُفننا. اثنتان من السُّفن اللايسينيَّة تَصلُحان للإبحار بالكاد. قد نُغرِق هَمجًا أكثر مما نُنقِذ. الأمر أمرك. معنا عشرون غُدافًا والمِايستر هارميون. سنُرسِل تقارير. القيادة لي على متن (البرثن). ذو الأسمال المالحة وكيلي على (الطَّائر الأسود). القيادة في (القلعة الشَّرقيَّة) للسير جلندون.

سألَته آليس كارستارك: «أجنحة سوداء، أخبار سوداء؟».

- «لا يا سيِّدتي. كنتُ أنتظرُ هذا الخبر منذ وقتٍ طويل». *ولو ان الجزء الأخير يُقلِقني*. جلندون هيوبيت رجل مخضرم قوي، اختيار موفَّق للقيادة في غياب كوتر پايك، لكنه كذلك صديق أليسر ثورن الصَّدوق، وكان من أصحاب چانوس سلينت ولو لفترةٍ وجيزة. ما زالَ چون يَذكُر كيف جرَّه هيوبيت من سريره، وشعوره بحذائه إذ ركلَه في ضلوعه. *ليس الرَّجل الذي كنتُ لأختاره*. طوى الرِّسالة ودسَّها في حزامه.

بعدها قُدِّمَ طبق السَّمك، ولكن بينما أزيلَ من سمكة الكراكي شوكها سحبَت الليدي آليس الماجنَر من يده إلى حلبة الرَّقص. من الطَّريقة التي تحرَّك بها كان جليًّا أن سيجورن لم يَرقُص في حياته قَطُّ، لكنه شربَ نبيذًا متبَّلًا يكفي لجعله يتجاهَل هذه الحقيقة.

احتلَّ السير آكسل فلورنت مكان الليدي آليس الشَّاغر، وقال: «فتاة شماليَّة ومُحارب همجي جمعَ بينهما إله الضِّياء. جلالتها تستحسِن هذا. إنني مقرَّب إليها يا سيِّدي، ولذا أعرفُ ما تُفكِّر فيه. الملك ستانيس سيستحسِن الزِّيجة أيضًا».

ما لم يكن رووس بولتون قد علَّق رأسه على حربة.

- «لكن ليس الجميع موافقين للأسف». لحية السير آكسل دغل مشعث تحت ذقنه المترهِّل، ويَنبُت الشَّعر الخشن من أُذنيه ومنخريه. «السير پاتريك يرى أنه كان ليُصبِح زوجًا أفضل لليدي آليس. لقد فقدَ أراضيه حين أتى شمالًا».

قال چون: «كثيرون في هذه القاعة فقدوا ما هو أكثر، وأضعافهم بذلوا أنفُسهم في خدمة البلاد. حريٌّ بالسير پاتريك أن يعدَّ نفسه محظوظًا».

ابتسمَ السير آكسل قائلًا: «لو كان الملك هنا فلربما قال المِثل، لكن لا بُدَّ بالتَّأكيد من أن يكون لفُرسان جلالته الأوفياء نصيب، أليس كذلك؟ لقد قطعوا وراءه شوطًا طويلًا وكلَّفهم هذا الكثير، كما أن علينا أن نربط هؤلاء الهَمج بالملك والبلاد. الزَّواج خُطوة أولى جيِّدة، لكنني أعلمُ أن الملكة ستُسَرُّ لرؤية الأميرة الهمجيَّة أيضًا تتزوَّج».

تنهَّد چون. لقد سئمَ من محاولته الشَّرح أن ڤال ليست أميرةً حقًّا. لا يهمُّ كم مرَّةً أخبرَهم، فلا يبدو أنهم يسمعونه أبدًا. «أنت لحوح أيها السير آكسل، أعترفُ بهذا».

- «وهل تلومني يا سيِّدي؟ الظَّفر بغنيمةٍ مِثلها ليس سهلًا. سمعتُ أن الفتاة في سِنِّ الزَّواج، وجميلة الطَّلعة، وَركاها قويَّان وثدياها كبيران، مخلوقة لوضع الأطفال».

- «ومَن يُنجِب هؤلاء الأطفال؟ السير پاتريك؟ أنت؟».

- «ومَن أفضل؟ نحن آل فلورنت في عروقنا دماء ملوك آل جاردنر القُدامى. تستطيع الليدي مليساندرا أداء المراسم كما فعلَت مع الليدي آليس والماجنَر».

- «كلُّ ما يَنقُصك العروس».

بابتسامةٍ بدَت مؤلمةً من فرط التَّصنُّع قال فلورنت: «وهو ما يَسهُل علاجه. أين هي يا لورد سنو؟ هل نقلتها إلى إحدى قلاعكم الأخرى؟ (الحارس الرَّمادي) أو (بُرج الظِّلال)؟ (رابية العاهرات) مع النِّسوة الأخريات؟»، ومالَ دانيًا، وواصلَ: «بعضهم يقول إنك تُخبِّئها لمتعتك الخاصَّة. لا يهمُّني هذا ما دامَت لم تحبل. سأجعلها تحبل بأبنائي أنا. إذا كنت قد فتحتها فـ... كلانا رجل عركَته الحياة، أليس كذلك؟».

ردَّ چون الذي سمعَ ما فيه الكفاية: «سير آكسل، إذا كنت يد الملكة حقًّا فإني أشفقُ على جلالتها».

احتقنَ وجه فلورنت غيظًا، وقال: «ما يُقال صحيح إذن! تنوي الاحتفاظ بها لنفسك، أرى هذا الآن. النَّغل يُريد مقرَّ أبيه».

النَّغل رفضَ مقرَّ أبيه. لو أرادَ النَّغل قال فما كان عليه إلَّا أن يَطلُبها. قال چون: «أرجو أن تَعذُرني أيها الفارس. أحتاجُ إلى هواءٍ طلق». *الرَّائحة خانقة هنا*. ثم إنه التفتَ برأسه مغمغمًا: «صوت بوق».

سمعَه الآخَرون أيضًا، وصمتَت الموسيقى والضَّحك في الحال، وتجمَّد الرَّاقصون في أماكنهم مصغين، وحتى جوست أرهفَ أُذنيه.

سألَت الملكة سيليس فُرسانها: «هل سمعتم هذا؟».

قال السير ناربرت: «بوق حربي يا صاحِبة الجلالة».

ارتفعَت يد الملكة مرتعشةً إلى حَلقها، وقالت: «أنتعرَّض لعُدوان؟».

أجابَها أولمر ابن (غابة الملوك): «لا يا جلالة الملكة. إنهم الحَرس فوق (الجِدار) لا أكثر».

فكَّر چون سنو: *نفخة واحدة، جوَّالة عائدون*.

ثم دوَّى البوق ثانيةً، وأفعمَ صوته القبو.

قال مولي: «نفختان».

الإخوة السُّود والشَّماليُّون والأحرار والثِّنّيون ورجال الملكة، جميعهم لاذَ بالصَّمت يُصغي. نبضات قلبٍ خمس مرَّت، عشر، عشرون، ثم أطلقَ أوين الجحش ضحكةً مكتومةً، والتقطَ چون سنو أنفاسه، وأعلنَ: «نفختان. إنهم الهَمج». *قال*.

قد أتى تورموند بليَّة العماليق أخيرًا.

لعلعَت في القاعة ضحكات اليونكيِّين وأغاني اليونكيِّين وصلوات اليونكيِّين. رقصَ الرَّاقصون، وعزفَ الموسيقيُّون ألحانًا عجيبةً على الأجراس والكمنجات والقِرب، وغنَّى المطربون أغاني الهوى العريقة بلُغة (جيس القديمة) المعقَّدة، وتدفَّقت أنهار الخمر... ليس شراب (خليج النخَّاسين) الباهت الخفيف، وإنما أصناف حُلوة معتَّقة من (الكرمة) ونبيذ الأحلام الكارثيني المنكَّه بتوابل غريبة. أتى اليونكيُّون تلبيةً لدعوة الملك هيزدار لتوقيع معاهدة السَّلام وشهادة الميلاد الجديد لحلبات قتال (ميرين) ذائعة الصِّيت، وفتحَ زوجها النَّبيل (الهرم الأكبر) للاحتفال.

وساءلَت دنيرس تارجاريَن نفسها: *كم أمقتُ هذا. كيف حدثَ هذا؟ كيف أشربُ وأتبادلُ الابتسامات مع رجالٍ أوثرُ أن اسلخهم؟*

قُدِّمَت أنواع عدَّة من اللُّحوم والأسماك؛ جِمال وتماسيح وحبابير صادحة ويرقان شوكي[61] وبط بالعسل، بالإضافة إلى لحم ماعز وخنازير وخيول لأصحاب الأذواق الأقل غرابةً، والكلاب بالطَّبع، فلا وليمة جيسكاريَّة تكتمل دون طبق الكلاب الذي يعدُّه طُهاة هيزدار بأربع وصفاتٍ مختلفة. كان داريو قد نبَّهها: «الجيسكاريُّون يأكلون أيَّ كائنٍ يسبح أو يطير أو يزحف ما عدا الإنسان والتنِّين، وأراهنُ أنهم سيأكلون لحم التنِّين أيضًا إذا نالوا ولو نِصف فُرصة». على أن اللَّحم وحده لا يصنع وجبةً، فقُدِّمَت الفواكه والحبوب والخضراوات أيضًا، وأرجَ الهواء بروائح الزَّعفران والقرفة والقرنفل والفلفل وغيرها من التَّوابل النَّفيسة.

فكَّرت داني التي لم تمسَّ شيئًا من الطَّعام تقريبًا: *هذا هو السَّلام. إنه ما أردتُ، ما عملتُ لأجله، ما تزوَّجتُ هيزدار لأحقِّقه، فلِمَ أحسُّ بأن له مذاق الهزيمة؟*

كان هيزدار قد أكَّد لها: «مُدَّة قصيرة فقط يا حبيبتي وسرعان ما سيرحل اليونكيُّون ومعهم حُلفاؤهم وأجيروهم. سننال كلَّ ما صبينا إليه، السَّلام والطَّعام والتِّجارة. ميناؤنا فُتِحَ من جديد، ومسموح للسُّفن بالذَّهاب والمجيء».

ردَّت: «مسموح لها، نعم، لكن سُفنهم الحربيَّة باقية، وباستطاعتهم إغلاق أصابعهم على رقابنا ثانيةً متى عنَّ لهم. لقد فتحوا سوق رقيقٍ أمام أسواري!».

- «خارج أسوارنا يا مليكتي الجميلة. كان هذا أحد شروط السَّلام، أن تكون لليونكيِّين حرِّيَّة التِّجارة في العبيد كالسَّابق دون تدخُّل».

- «في مدينتهم وليس حيث أراهم رغم أنفي». كان الأسياد الحُكماء قد أقاموا حظائر العبيد ومنصَّة المزادات جنوب (السكاهازاذان) مباشرةً، حيث يصبُّ النَّهر البنِّي الواسع في (خليج النخَّاسين). «إنهم يهزأون بي في وجهي، يستعرضون عجزي عن ردعهم».

قال زوجها النَّبيل: «ادِّعاء وتمثيل، استعراض كما قلتِ. دَعيهم لمهزلتهم. حين يرحلون سُنقيم سوق فواكه بما يَترُكونه خلفهم».

- «حين يرحلون. ومتى سيرحلون؟ لقد شُوهِدَ خيَّالة على الجانب الآخَر من (السكاهازاذان)، قال راگارو إنهم كشَّافة دوثراكي ووراءهم گالاسار كامل. سيكون معهم أسرى، رجال ونساء وأطفال، هدايا للنخَّاسين». لا يبيع الدوثراكي أو يشترون، بل يمنحون الهدايا ويتلقُّونها. «لهذا أقامَ اليونكيُّون هذه السُّوق. سيرحلون من هنا بألوف العبيد الجُدد».

هزَّ هيزدار زو لوراك كتفيه قائلًا: «لكنهم سيرحلون. هذا هو الجزء المهم يا حبيبتي. (يونكاي) ستُتاجِر في العبيد و(ميرين) لن تفعل. هكذا اتَّفقنا. احتمِلي مُدَّةً أطول قليلًا وسينتهي كلُّ هذا».

وهكذا جلسَت دنيرس صامتةً خلال الوجبة، متَّشحةً بتوكار أحمر فاقع وأفكار سوداء، لا تُخاطِب أحدًا إلَّا إذا خاطبَها، تُفكِّر مليًّا في مَن يُباعون خارج أسوارها من رجالٍ ونساء في هذه اللَّحظة تحديدًا فيما تُقام المأدبة داخل المدينة. فليُلقي زوجها النَّبيل الخُطب ويضحك على دُعابات اليونكيِّين الرَّكيكة. إنه حقُّ الملك وواجبه.

جُل الكلام حول المائدة عن المباريات المزمعة غدًا. ستُواجِه بارسينا ذات الشَّعر الأسود خنزيرًا برِّيًا، أنيابه ضد خنجرها، وسيُقاتِل كراز والقِطُّ الأرقط أيضًا، وفي مباراة اليوم الأخيرة سيُواجِه جوجهور الجبَّار بيلاكو كاسِر العظام، وقبل مغيب الشَّمس سيموت أحدهما. أخبرَت داني نفسها: *ما من ملكةٍ نظيفة اليدين*. ذهبَت أفكارها إلى دوريا وكوارو وإيرو... وإلى فتاةٍ صغيرة لم تلقَها قَطُّ كان اسمها هازيا. خيرٌ *أن تموت قِلَّة في الحلبة من أن يموت آلاف على البوَّابة*. *هذا هو ثَمن السَّلام*، عن *طيب خاطرٍ أدفعه*. *إذا نظرتُ ورائي فأنا ضائعة*.

القائد اليونكي الأعلى يوركاز زو يونزاك في أرذل العُمر، يُعطي ظَهره المحنيّ وتجاعيده وفمه الخالي من الأسنان إيحاءً بأنه عاصرَ غزوة إجون، وقد حملَه إلى المائدة عبدان قويَّا البنية. وليس السيِّدان اليونكيّان الآخَران أشد هيبةً أو إثارةً للإعجاب. أحدهما قصير ناقص النُّمو، وإن كان الجنود العبيد الذين يُرافِقونه بالغي الطُّول والنُّحول، والثَّاني شاب رشيق أنيق، لكنه ثمِل لدرجة أن داني لم تفهم كلمةً نطقَها تقريبًا. *كيف انسَقتُ إلى التَّورُّط مع مخلوقاتٍ كهذه؟*

على أن المرتزِقة مسألة أخرى. أرسلَت كلٌّ من الجماعات الحُرَّة الأربع في خدمة (يونكاي) قائدها. مثَّل المذروِّين النَّبيل الپنتوشي المعروف بأمير الأسمال، والرِّماح الطَّويلة جايلو ريجان الذي يبدو أقرب إلى صانع أحذيةٍ من جُندي ويتكلَّم وشوشةً. أمَّا ذو اللِّحية الدَّمويَّة من جماعة القِطّ فقد أصدرَ ضجيجًا كدستةٍ من الرِّجال في آنٍ واحد. الرَّجل ضخم، لحيته عظيمة ونهمه للنَّبيذ والنِّساء فادح، وقد جعجعَ وتجشَّأ وأطلقَ ضراطًا كهزيم الرَّعد، وقرصَ كلَّ خادمةٍ طالَتها يداه، وبين الحين والآخَر يسحب واحدةً إلى حِجره ويعجن تدييها ويدسُّ يده بين ساقيها.

وللأبناء الثَّانين ممثِّلهم أيضًا. *لو كان داريو هنا لانتهَت هذه الوجبة بالدَّم*. لا وعد بالسَّلام كان ليُقنِع قائدها أبدًا بالسَّماح لبن پلوم البنِّي بدخول المدينة ثانيةً ومغادرتها حيًّا. أقسمَت داني أن أذًى لن يمسَّ سبعة المبعوثين والقادة، لكن اليونكيِّين لم يقنعوا بذلك وطلبوا منها رهائن أيضًا. موازنةً للنُّبلاء اليونكيِّين الثَّلاثة وقادة المرتزِقة الأربعة أرسلَت (ميرين) سبعةً من قومها إلى معسكَر الحصار، أخت هيزدار واثنين من أولاد عمومته، وچوجو خيَّال دم داني، وأميرالها جروليو، وهيرو أحد قادة المُطهَّرين، وداريو نهاريس.

ناولَها قائدها حزام سيفه بامرأتيه الخليعتين الذَّهبيَّتين قائلًا: «سأتركُ فتاتَي معكِ. حافِظي على سلامتهما من أجلي يا محبوبتي. لسنا نُريدهما أن تعيثا فسادًا داميًا بين اليونكيِّين».

الرَّأس الحليق غائب أيضًا. أول شيءٍ فعلَه هيزدار لدى تتويجه ملكًا أنه سرَّحه من قيادة الوحوش النُّحاس، وعيَّن مكانه ابن عمِّه الممتلئ الشَّاحب مارجاز زو لوراك. هكذا *أفضل. ذات النِّعمة الخضراء تقول إن هناك دمًا بين لوراك وكانداك، والرَّأس الحليق لم يُوارِ قَطُّ ازدراءه السيِّد زوجي. وداريو...*

ازدادَ داريو جموحًا منذ زفافها. لم يسرَّه سلامها، ولم يسرَّه زواجها بطبيعة الحال، كما أثارَ خداع الدورنيِّين إياه حفيظته بشدَّة. عندما أخبرَهم الأمير كوينتن بأن الوستروسيِّين الآخَرين انقلبوا إلى غِربان العاصفة بأمر أمير الأسمال لم ينجح إلَّا تدخُّل الدُّودة الرَّمادي ومُطهَّريه في منع داريو من قتلهم جميعًا. سُجِنَ المتهرِّبون الزَّائفون في أمان أعماق الهرم... لكن غضبة داريو ما برحَت تتعاظَم.

سيكون أكثر أمنًا كرهينة. قائدي لم يُخلَق للسَّلام. لا تستطيع داني المخاطرة بأن يَقتُل داريو بن پلوم البنِّي أو يسخر من هيزدار أمام البلاط أو يستفزَّ اليونكيِّين أو يفعل شيئًا آخَر من شأنه إفساد الاتِّفاق الذي دفعَت ثَمنًا باهظًا لكي تظفر به. داريو هو الحرب والويل، ومن الآن فصاعدًا عليها أن تُبقيه خارج فِراشها وخارج قلبها وخارج جسدها. إذا لم يَخُنها فلسوف يُهَيمِن عليها، وليست تدري أيُّ هذين الاحتمالَيْن تخشى أكثر.

حين انتهَت البِطنة ورُفِعَت بقايا الطَّعام -لتُعطى للفُقراء المجتمعين بالأسفل كما أصرَّت الملكة- مُلِئَت كؤوس زجاجيَّة طويلة بخمرٍ كَارثينيَّة متبَّلة داكنة كالكهرمان، ثم بدأت فقرات التَّسلية.

غنَّت لهم فِرقة من المطربين اليونكيِّين المخصيِّين يملكها يوركاز زو يونزاك بلُغة الإمبراطوريَّة القديمة الغابرة، أصواتهم عالية عذبة ليس لنقائها مثيل. سألَها هيزدار: «هل سمعتِ غناءً كهذا من قبل يا حبيبتي؟ إن لهم أصوات آلهة، أليس كذلك؟».

أجابَت: «بلى، ولو أنني أتساءلُ إن كانوا يُفضِّلون أن يحظوا بثمار البَشر».

جميع المؤدِّين عبيد. كان هذا جزءًا من اتِّفاق السَّلام، أن يُسمَح لمالكي العبيد بالإتيان بمقتنياتهم البَشريَّة إلى (ميرين) دون أن يخشوا عتقها، وفي المقابل وعدَ اليونكيُّون باحترام حقوق وحرِّيَّات العبيد السَّابقين الذين أعتقَتهم داني. قال هيزدار إنها صفقة عادلة، إلَّا أن المذاق الذي خلَّفته في فم الملكة كريه، وهكذا شربَت كأسًا أخرى من النَّبيذ لتغسله.

قال زوجها النَّبيل: «إذا شئتِ فلا أشكُّ في أن يوركاز سيسرُّه أن يُعطينا المغنِّين هديَّةً لإبرام السَّلام وزينةً لبلاطنا».

سيُعطينا هؤلاء المخصيِّين ثم يعود إلى دياره ويصنع المزيد. العالم مليء بالصِّبية.

لم يُفلِح البهلوانات في الفقرة التَّالية في التَّأثير فيها أيضًا، حتى عندما كوَّنوا هرمًا بَشريًّا من تسعة مستويات على قمَّته فتاة صغيرة عارية. تساءلَت الملكة: *هل يقصدون محاكاة هرمي؟ أيُفترَض أن هذه الفتاة على القمَّة أنا؟*

بعدها قادَ السيِّد زوجها ضيوفه إلى الشُّرفة السُّفليَّة ليرى الزُّوَّار من المدينة الصَّفراء (ميرين) ليلًا، وفي مجموعاتٍ صغيرة جالَ اليونكيُّون ممسكين كؤوس النَّبيذ في الحديقة تحت أشجار اللَّيمون وبين الزُّهور المتفتِّحة مساءً، ووجدَت داني نفسها في مواجهة بن پلوم البنِّي.

انحنى بشدَّةٍ قائلًا: «صاحِبة العبادة، تبدين في غاية الجَمال. هكذا بدوتِ دومًا. ولا واحدة من اليونكيّات تتمتَّع بنِصف جَمالكِ. أردتُ أن آتيكِ بهديَّة زفاف لكن العطاءات فاقَت قُدرة بن پلوم العجوز».

- «لا أريدُ منك هدايا».

- «كنتِ لتُريدين هذه. إنها رأس عدوٍّ قديم».

سألَته بعذوبة: «أي رأسك؟ لقد خُنتني».

قال بن: «طريقة قاسية للتَّعبير عن الأمر، إذا سمحتِ لي»، وحكَّ لحيته الشَّائبة متابعًا: «لقد ذهبنا إلى الطَّرف الرَّابح لا أكثر، تمامًا كما فعلنا من قبل. ولم يكن القرار قراري وحدي، بل طرحته على رجالي».

- «إذن فهُم الذين خانوني، أهذا ما تقوله؟ لماذا؟ هل أسأتُ معاملة الأبناء الثَّانين؟ هل غششتكم في أجوركم؟».

قال بن البنِّي: «على الإطلاق، لكنها ليست مسألة مالٍ فقط يا صاحِبة السُّمو والعظمة. تعلَّمتُ هذا منذ زمنٍ طويل في معركتي الأولى. في الصَّباح التَّالي للقتال كنتُ أنقِّبُ بين الموتى، أبحثُ عن غنيمةٍ صغيرة أو أخرى إن جازَ التَّعبير. ثم إنني رأيتُ تلك الجثَّة. كانت فأس ما قد بترَت ذراعها من الكتف، والرَّجل مغطَّى بالذُّباب ومضرَّج بالدِّماء الجافَّة. ربما لهذا السَّبب لم يلمسه أحد، لكنه كان يرتدي سُترةً جِلديَّةً مطعَّمةً بالحديد، وبدا أنه جِلد ممتاز. خطرَ لي أنها قد تُناسِب مقاسي، فطردتُ الذُّباب ونزعتها عنه، لكن وزن السُّترة اللَّعينة كان أثقل كثيرًا مما يجب. تحت البطانة وجدتُ ثروةً مخبَّأةً، ذهبًا يا صاحِبة العبادة، ذهبًا أصفر جميلًا، ما يكفي لأن يحيا المرء كاللوردات ما تبقَّى له من عُمر، لكن بِمَ نفعَه هذا؟ ها هو ذا بماله المدَّخر، منطرح على الأرض في الدَّم والوحل وذراعه مبتورة. وهذا هو الدَّرس، أليس كذلك؟ الفضَّة جميلة والذَّهب أمُنا، لكن ما إن يأتي الموت تصير قيمتهما أقل من آخِر قطعة خراء تَخرُج من المرء وهو يُحتضَر. لقد أخبرتكِ من قبل، ثمَّة مرتزِقة مسنُّون ومرتزِقة شُجعان، لكن لا يُوجَد مرتزِقة شُجعان مسنُّون. كلُّ ما في الأمر أن فِتياني لم يُريدوا أن يموتوا، ولمَّا قلتُ لهم إنكِ لن تُطلِقي التَّنانين على اليونكيِّين...».

رأيتني مهزومةً، ومَن أنا لأقول إنك مخطئ؟ قالت: «مفهوم»، وكانت لتُنهي الكلام عند هذا الحدِّ، لكنها سألَته مدفوعةً بالفضول: «قلت ما يكفي لأن يحيا المرء كاللوردات. ماذا فعلت بتلك الثَّروة؟».

ضحكَ بن البنِّي قائلًا: «كنتُ صبيًّا أحمق وأخبرتُ رجلًا حسبته صديقي، وأخبرَ هو رقيبنا، وجاءَ إخوتي في السِّلاح وأراحوني من ذلك العبء. قال الرَّقيب إنني صغير جدًّا وسأبدِّدُ المبلغ كلَّه على العاهرات وما إلى ذلك، لكنه تركَني أحتفظُ بالسُّترة»، وبصقَ ثم أردفَ: «إياكِ والوثوق بمرتزِقٍ أبدًا يا سيِّدتي».

- «تعلَّمتُ هذا. يومًا ما عليَّ أن أشكرك على الدَّرس».

ضيَّق بن البنِّي عينيه، وقال: «لا داعي. إنني أعرفُ نوع الشُّكر الذي في بالكِ»، وانحنى ثانيةً وابتعدَ.

التفتَت داني تتطلَّع إلى مدينتها. وراء أسوارها تقف خيام اليونكيِّين في صفوفٍ منتظمة على شاطئ البحر، تحميها الخنادق التي حفرَها عبيدهم، وعبر النَّهر إلى الشَّمال يُعَسكِر فيلقان من (جيس الجديدة) مدرَّبان ومسلَّحان على غرار المُطهَّرين، ويُعَسكِر فيلقان جيسكاريَّان آخَران شرقًا قاطعيْن الطَّريق إلى (ممر كايزاي)، وإلى الجنوب صفوف خيول الجماعات الحُرَّة وبؤر نار. بالنَّهار تعلق أعمدة رفيعة من الدُّخان في الهواء تحت السَّماء كشرائط بنِّيَّة مهترئة، وباللَّيل تُرى النِّيران البعيدة. وعلى الخليج مباشرةً السَّوءة الكُبرى، سوق العبيد المقامة على عتبة بابها. لا تراها الآن وقد غربَت الشَّمس، لكنها تعلم أنها هناك، وزادَها هذا حنقًا.

قالت بخفوت: «سير باريستان؟».

ظهرَ الفارس الأبيض من فوره قائلًا: «جلالة الملكة».

- «كم سمعت؟».

- «ما يكفي. ليس مخطئًا. إياكِ والوثوق بمرتزِق».

أو بملكة. «أهناك رجل ما من الأبناء الثَّانين قابل للإقناع بأن... يُزيح... بن البنِّي؟».

لاحَ الانزعاج على الفارس العجوز، وقال: «كما أزاحَ داريو نهاريس قائدَي غِربان العاصفة الآخَريْن قبلًا؟ ربما. لا أدري يا جلالة الملكة».

نعم، إنك أصدق وأشرف من أن تعرف شيئًا كهذا. «إن لم يكن فاليونكيُّون استأجَروا ثلاث جماعاتٍ أخرى».

قال السير باريستان منذرًا: «إنهم مجرمون وسفَّاحون، حُثالة عشرات المعارك، قادتهم خوَّانون تمامًا كپلوم».

- «إنني مجرَّد فتاةٍ صغيرة وأعرفُ القليل عن تلك الأشياء، لكن يبدو لي أننا نُريدهم أن يكونوا خوَّانين. تَذكُر أنني أقنعتُ الأبناء الثَّانين وغِربان العاصفة بالانضمام إلينا من قبل».

- «إذا كانت صاحِبة الجلالة ترغب في كلمةٍ على انفراد مع جايلو ريجان أو أمير الأسمال فيُمكنني أن آتي بهما إلى مسكنكِ».

- «ليس هذا الوقت المناسب. الأعيُن والآذان كثيرة للغاية. سيُلاحَظ تغيُّبهم حتى إذا فصلتهم خلسةً عن اليونكيِّين. يجب أن نجد وسيلةً أهدأ للتَّواصُل معهم... ليس اللَّيلة، لكن قريبًا».

قال سلمي: «كما تأمرين، لكني أخشى أنني لستُ مؤهَّلًا لهذه المهمَّة. في (كينجز لاندنج) كان هذا النَّوع من العمل من اختصاص الإصبع الصَّغير أو العنكبوت. نحن الفُرسان المسنُّون رجال بُسطاء، لا نَصلُح إلَّا للقتال»، وربَّت على مقبض سيفه.

قالت داني: «سُجناؤنا، الوستروسيُّون الذين انقلبوا من المذروِّين مع الدورنيِّين الثَّلاثة. ما زالوا في الزَّنازين، أليس كذلك؟ استخدِمهم».

- «تعنين أطلقُ سراحهم؟ أهذا تصرُّف حكيم؟ لقد أُرسِلوا إلى هنا ليُداهِنوكِ ويكسبوا ثقتكِ ثم يخونوا جلالتكِ عند أول فُرصة».

- «إذن فقد فشلوا. لستُ أثقُ بهم ولن أثق بهم أبدًا». الحقيقة أن داني بدأت تنسى كيف تثق. «ما زال بإمكاننا استغلالهم. كانت إحداهم امرأةً، ميريس. أرسِلها كـ... كـ... علامةٍ على احترامي. إذا كان قائدهم ذكيًا فسيفهم».

- «تلك المرأة أسوأهم».

ردَّت داني: «أحسن وأحسن»، وفكَّرت لحظةً قبل أن تُضيف: «علينا أن نجسَّ نبض الرِّماح الطَّويلة أيضًا، وجماعة القِط».

ازدادَت ملامح السير باريستان عبوسًا، وقال: «ذو اللِّحية الدَّمويَّة. بعد إذنكِ يا جلالة الملكة، لسنا نُريد التَّعامُل معه. صاحِبة الجلالة أصغر من أن تَذكُر ملوك التِّسعة بنسات، لكن ذا اللِّحية الدَّمويَّة هذا من الطِّينة القذرة نفسها. إنه لا يتمتَّع بأيِّ شَرف، بل بالجوع فقط... للذَّهب، للمجد، للدَّم».

- «أنت أعلم مني بأمثاله أيها الفارس». إذا كان ذو اللِّحية الدَّمويَّة أحطَّ المرتزِقة وأجشعهم حقًّا فقد يكون أسهلهم استمالةً، لكنها تكره مخالفة نصائح السير باريستان في تلك المسائل. «افعل ما تراه الأفضل، لكن افعله قريبًا. إذا انفطرَ سلام هيزدار فأريدُ أن أكون على أهبة الاستعداد. لستُ أثقُ بالنخَّاسين». *لستُ أثقُ بزوجي*. «سينقلبون علينا مع أول بادرة ضعف».

- «اليونكيُّون أيضًا يزدادون ضعفًا. يُقال إن الإسهال الدَّموي استشرى بين التولوسيِّين وانتشرَ عبر النَّهر إلى الفيلق الجيسكاري الثَّالث».

القَرس الشَّاحبة. تنهَّدت دنيرس. كويث حذَّرتني من مجيء *القَرس الشَّاحبة، وأخبرَتني عن الأمير الدورني أيضًا، ابن الشَّمس. أخبرَتني بالكثير، لكنها غلَّفت كلامها كلَّه بالأحاجي*. «لا أستطيعُ الاعتماد على الوباء في إنقاذي من أعدائي. أطلِق سراح ميريس الحسناء فورًا».

- «كما تأمرين. ولو أن... جلالة الملكة، إذا سمحتِ لي، ثمَّة سبيل آخَر...».

- «السَّبيل الدورني؟». تنهَّدت داني ثانيةً. حضرَ الدورنيُّون الثَّلاثة المأدبة كما يليق بمكانة الأمير كوينتن، لكن رزناك حرصَ على إجلاسهم بعيدًا قدر الإمكان عن زوجها. لا يبدو أن لهيزدار طبيعةً غيورًا، لكن لا رجل يطيب له أن يجلس خاطب وُدٍّ منافس قُرب عروسه الجديدة. «الفتى يبدو لطيفًا فصيحًا، ولكن...».

- «عائلة مارتل نبيلة عريقة، وظلَّت صديقةً صدوقًا لعائلة تارجاريَن لأكثر من قرنٍ من الزَّمان يا صاحِبة الجلالة. لقد تشرَّفتُ بالخدمة مع عمِّ الأمير كوينتن الكبير في حَرس أبيكِ السَّبعة. كان الأمير ليوين أخًا جسورًا في السِّلاح يتمنَّاه أيُّ مُقاتل، وكوينتن مارتل من الدِّماء نفسها، بعد إذن جلالة الملكة».

- «ليته جاءَ ومعه الخمسون ألف سيف التي ذكرَها. بدلًا من ذلك جلبَ فارسيْن وورقةً. هل ستقي ورقة شعبي من اليونكيِّين؟ لو أنه جاءَ بأسطول...».

- «(صنسپير) لم تكن قوَّةً بحريَّةً قَطُّ يا جلالة الملكة».

- «نعم». تعلّمت داني ما يكفي من التّاريخ الوستروسي لأن تعرف هذا. رسَت نايميريا بعشرة آلاف سفينة على سواحل (دورن) الرّمليّة، لكن حين تزوّجت أميرها الدورني أحرقَتها جميعًا وأعطَت البحر ظَهرها إلى الأبد. «(دورن) بعيدة جدًّا. لأرضي هذا الأمير عليّ أن أهجر قومي جميعًا. عليك أن تُرسِله إلى دياره».

- «الدورنيُّون مشهورون بعنادهم الشَّديد يا صاحِبة الجلالة. لقد قاتلَ أسلاف الأمير كوينتن أسلافكِ قُرابة المئتي عام. لن يرحل من دونكِ».

فكَّرت دنيرس: *سيموت هنا إذن، ما لم يكن يتمتَّع بمزيَّةٍ لا أراها*. «أما زالَ بالدّاخل؟».

- «يشرب مع فارسيْه».

- «ائتِ به إليّ. حانَ الوقت لأن يلتقي طفلَي».

ومضَ الشَّكُّ لحظةً على وجه باريستان سلمي الطَّويل الرَّصين، لكنه قال: «أمركِ».

كان ملكها يضحك مع يوركاز زو يونزاك واليونكيِّين الآخَرين. لم تحسب داني أنه سيفتقدها، لكنها -على سبيل الاحتياط- أمرَت وصيفاتها بإبلاغه بأنها ذهبَت تُلبِّي نداء الطَّبيعة في حال سؤاله عنها.

وجدَت السير باريستان ينتظرها عند السَّلالم مع الأمير الدورني. كان وجه مارتل المربّع متورِّدًا، فاستنتجَت أنه شربَ نبيذًا كثيرًا، ولو أنه بذلَ قُصارى جهده لإخفاء هذا. بعيدًا عن صفِّ الشُّموس النُّحاس الذي يُزيِّن حزامه يرتدي الدورني ثيابًا تقليديَّةً. يدعونه *بالضِّفدع*. وترى داني السَّبب، فهو ليس رجلًا وسيمًا.

ابتسمَت قائلةً: «أميري، الطَّريق طويل إلى أسفل. أواثق بأنك تُريد أن تفعل هذا؟».

- «بعد إذن صاحِبة الجلالة».

- «هلمَّ إذن».

نزلَ اثنان من المُطهَّرين السَّلالم قبلهما حاملَيْن مشعلَيْن، ووراءهما تحرَّك اثنان من الوحوش النُّحاس، أحدهما بقناع سمكة والآخَر بقناع صقر. حتى هنا في هرمها، وفي ليلة السَّلام والاحتفال هذه، أصرَّ السير باريستان على أن تُلازِمها حراسة أينما ذهبَت. نزلَت المجموعة الصَّغيرة السَّلالم الطَّويلة في صمت، وتوقَّفوا ثلاث مرَّاتٍ لإنعاش أنفُسهم بالشَّراب. عند مجموعة الدَّرجات الأخيرة قالت داني: «للتنِّين ثلاثة رؤوس. ليس زواجي نهاية آمالكِ كلِّها بالضَّرورة. إنني أعلمُ لِمَ جئت هنا».

بشهامةٍ خرقاء قال كوينتن: «من أجلكِ».

ردَّت داني: «لا، بل من أجل النَّار والدَّم».

أطلقَ أحد الأفيال نهيمًا من مربطه لدى مرورهم، ثم ردَّ عليه زئير من أسفل حقنَها بحرارةٍ مباغتة.

رفعَ الأمير كوينتن عينيه جافلًا، فأخبرَه السير باريستان: «التَّنانين تعلم حين تكون قريبةً».

كلُّ طفلٍ يعرف أمّه. عندما تجفُّ البحور وتعصف الرِّيح بالجبال كأنها أوراق الشَّجر... قالت: «إنهما يُناديانِي. تعالَ»، وأخذَت الأمير كوينتن من يده وقادَته إلى الجُبِّ حيث حبسَت اثنين من تنانينها، وبينما فتحَ المُطهَّرون الباب الحديدي الضَّخم أخبرَت السير باريستان: «ابقَ بالخارج. الأمير كوينتن سيحميني»، وسحبَت الأمير الدورني معها إلى الدَّاخل ليقفا على شفير الجُبِّ.

أدارَ التنِّينان عُنقيهما يَنظُران إليهما بأعيُنٍ ملتهبة. كان ڤسيريون قد حطَّم إحدى سلاسله وأذابَ الأخريات، ويتمسَّك الآن بسقف الجُبِّ كخُفَّاشٍ أبيض عملاق، وقد أنشبَ مخالبه في القرميد المتفتِّت المحروق. أمَّا ريجال فلم يزل مقيَّدًا بالسَّلاسل، ويلتهم جثَّة ثور. العظام على أرض الجُبِّ أغزر مما كانت حين أتَت داني آخِر مرَّة، والجُدران والأرضيَّات سوداء ورماديَّة، رماد أكثر من قرميد. لن تحتمل طويلًا... لكن وراءها تُربةً وحجارةً فحسب. *هل تستطيع التَّنانين الحفر في الصَّخر كديدان النَّار في (ڤاليريا) قديمًا؟* لا تأمل ذلك.

قال الأمير الدورني الذي غاضَت الدِّماء من وجهه تمامًا: «سمعتُ... سمعتُ أن هناك ثلاثة تنانين».

- «دروجون يصطاد». لا داعي لأن يسمع البقيَّة. «الأبيض ڤسيريون والأخضر ريجال. سمَّيتهما تيمُّنا بأخوَي». ردَّدت الجُدران الحجريَّة المحروقة صدى صوتها، فبدا لها كصوت فتاةٍ صغيرة لا صوت ملكةٍ وغازية أو صوت عروسٍ جديدة تُفعِمه السَّعادة.

زأرَ ريجال ردًّا وملأت ناره الجُبَّ، حربة من الأحمر والأصفر، وردَّ عليه ڤسيريون بلهبٍ ذهبي وبُرتقالي، وخفقَ بجناحيه لتملأ سحابة من الرَّماد الهواء وتتناثَر السَّلاسل المحطَّمة وترنُّ عند قدميه.

ونطَّ كوينتن مارتال قدمًا إلى الخلف.

لو كانت امرأةً أقسى لضحكَت منه، لكن داني اعتصرَت يده قائلةً: «إنهما يُخيفانني أيضًا. لا عار في هذا. لقد أصبحَ طفلاي ضاريَيْن غاضبَيْن في الظَّلام».

- «هل... هل تنوين ركوبهم؟».

- «أحدهم. لا أعلمُ عن التَّنانين إلَّا ما أخبرَني به أخي في صِغري وبعض ما قرأته في الكُتب، لكن يُقال إن إجون الفاتِح نفسه لم يجرؤ إطلاقًا على ركوب ڤاجهار أو ميراكسس، ولا ركبَت أختاه الرُّعب الأسود بالريون. التَّنانين تعيش أطول من البَشر، بعضها مئات السِّنين، وهكذا عرفَ بالريون راكبين آخَرين بعد وفاة إجون... لكن لا راكبَ طارَ بتنِّينيْن من قبل قَطُّ».

- «إنها... إنها كائنات مخيفة».

قالت داني: «إنها تنانين يا كوينتن!»، ووقفَت على أطراف أصابعها وطبعَت قُبلةً خفيفةً على كلٍّ من خدَّيه، وأضافَت: «وكذا أنا».

ازدردَ الأمير الشَّاب ريقه، وقال: «أنا... أنا أيضًا في عروقي دماء التنِّين يا جلالة الملكة. نسبي يعود إلى دنيرس الأولى، الأميرة ابنة عائلة تارجاريَن التي كانت أخت الملك دايرون الصَّالح وزوجة أمير (دورن). لقد بنى (الحدائق المائيَّة) من أجلها».

- «(الحدائق المائيَّة)؟». الواقع أنها تعرف أقل القليل عن (دورن) وتاريخها.

- «قصر أبي الأثير. من دواعي سروري أن أريكِ إياه يومًا. الحدائق كلُّها من المرمر الوردي، وفيها مسابح ونوافير تطلُّ على البحر».

قالت: «تبدو مكانًا جميلًا»، وسحبَته خارجةً من الجُبِّ. *ليس هذا مكانه. ما كان يجب أن يأتي*. «يَجدُر بك أن ترجع إلى هناك. أخشى أن بلاطي ليس مكانًا آمنًا لك. إن لك أعداءً أكثر مما تحسب. لقد جعلت داريو يبدو أحمق، وهو ليس بالرَّجل الذي ينسى إهانةً كهذه».

- «إن معي فارسَي، حارسَي الشَّخصيَّين».

- «فارسان. داريو معه خمسمئة من غِربان العاصفة. وخيرٌ لك أن تحذر السيِّد زوجي أيضًا. أعرفُ أنه يبدو رجلًا وديعًا دمثًا، لكن لا يخدعنَّك هذا. هيزدار يستمدُّ تاجه من تاجي، ويحظى بولاء بعض خيرة المُحاربين في العالم. إذا خطرَ لأحدهم أن يكسب محاباته بالتَّخلُّص من منافس...».

- «أنا أمير دورني يا صاحِبة الجلالة. لن أهرب من العبيد والمرتزِقة».

إذن فأنت أحمق حقًّا أيها الأمير الضِّفدع. ألقَت داني نظرةً مطوَّلةً أخيرةً على طفليها الضَّاريَيْن، وبينما قادَت الفتى إلى الباب سمعَت التِّنينَيْن يَصرُخان ورأت انعكاس نيرانهما يتلاعَب على القرميد. *إذا نظرتُ ورائي فأنا ضائعة*. «سيكون السير باريستان قد طلبَ كُرسيَّيْن لحملنا إلى الحفل بالأعلى، لكن الصُّعود بهما متعِب أيضًا». من خلفهما انغلقَ مصراعا الباب الحديديَّان الضَّخمان برنينٍ صاخب. «احكِ لي عن دنيرس الأخرى هذه. إنني أعرفُ أقل مما ينبغي عن مملكة أبي. لم أحظَ بمِايستر في أثناء نشأتي».

قال كوينتن: «بكلِّ سرورٍ يا جلالة الملكة».

كان اللَّيل قد انتصفَ منذ ساعاتٍ عندما انصرفَ ضيوفهما وخلدَت داني إلى مسكنها لتنضمَّ إلى سيِّدها وملكها. هيزدار على الأقل سعيد، غير أنه ثمِل بعض الشَّيء، وبينما ألبسَته إيري وچيكوي ثياب النَّوم قال لها: «إنني أفي بوعودي. نشدتِ السَّلام وباتَ لكِ».

فكَّرت داني: *ونشدتَ الدِّماء وقريبًا يجب أن أنوِّلك إياها*، لكنها اكتفَت بقول: «أنا ممتنَّة».

ألهبَت إثارة اليوم عاطفة زوجها، وما كادَت وصيفاتها يذهبن للخلود إلى النَّوم حتى انتزعَ معطفها ودفعَها إلى الفِراش على ظَهرها، وطوَّقته داني بذراعيها وتركَته يقضي وطره. تعلم أنه لن يبقى بداخلها طويلًا بسُكره هذا.

ولم يفعل. بعدها مرَّغ أنفه في أُذنها، وهمسَ: «بمشيئة الآلهة صنعنا ابنًا اللَّيلة».

دقَّت كلمات ميري ماز دور في وجدانها. *عندما تُشرِق الشَّمس من الغرب وتَغرُب في الشَّرق، عندما تجفُّ البحور وتعصف الرِّيح بالجبال كأنها أوراق الشَّجر، عندما ينتفخ بطنكِ من جديدٍ وتحملين طفلًا حيًّا في رحمكِ... عندها فقط سيعود وليس قبل ذلك*. المعنى واضح كفايةً: احتمال حملها طفلًا حيًّا يُساوي احتمال عودة الكال دروجو من الموت. لكن هناك أسرارًا لا تستطيع دفع نفسها إلى البوح بها، حتى لزوجها، وهكذا تركَت هيزدار زو لوراك يستأثِر بآماله.

سرعان ما غابَ زوجها النَّبيل في النَّوم، وراحَت دنيرس تتلوّى وتتقلَّب إلى جواره. أرادَت أن تهزَّه وتُوقِظه، تجعله يحتضنها، يُقبّلها، يُضاجِعها ثانيةً، لكن حتى إذا فعل فلن يمضي وقت طويل قبل أن يغيب في النَّوم ثانيةً ويَترُكها وحيدةً في الظَّلام. تساءلَت عمَّا يفعله داريو الآن. أهو قلِق أرِق أيضًا؟ هل يُفكّر فيها؟ هل يُحبُّها بحق؟ هل يكرهها لزواجها بهيزدار؟ *لم يكن يجب أن آخذه إلى فِراشي أبدًا*. إنه مجرَّد مرتزِق، ليس صاحبًا يليق بملكة، ومع ذلك...

كنتُ أعلمُ هذا طوال الوقت، لكنني فعلتها على كلِّ حال.

قال صوت خافت في الظَّلام: «مليكتي؟».

جفلَت داني متسائلةً: «مَن هناك؟».

- «ميسانداي فقط»، ودنَت الفتاة الناثيَّة من الفِراش مردفةً: «هذه الواحدة سمعتكِ تبكين».

- «أبكي؟ لم أكن أبكي. لماذا أبكي؟ لقد حظيتُ بالسَّلام وحظيتُ بملكي، حظيتُ بكلِّ ما تتمنّاه ملكة. أنتِ رأيتِ حُلمًا سيِّئًا لا أكثر».

قالت الفتاة: «كما تقولين يا صاحِبة الجلالة»، وانحنَت والتفتَت تُغادِر.

قالت داني: «انتظِري. لا أريدُ أن أكون وحدي».

أشارَت ميسانداي معلِّقةً: «جلالته معكِ».

ردَّت داني: «جلالته يَحلُم، لكنني لا أستطيعُ النَّوم. غدًا سأتحمَّمُ بالدِّماء، ثَمن السَّلام»، وابتسمَت بشحوبٍ وربَّتت على الفِراش قائلةً: «تعالي، اجلسي، تكلَّمي معي».

جلسَت ميسانداي إلى جوارها، وقالت: «كما تأمرين. عمَّ نتكلَّم؟».

- «الوطن، (ناث)، الفراشات والإخوة. أخبِريني عن الأشياء التي تُسعِدكِ، الأشياء التي تُضحِككِ، احكي لي أحلى ذكرياتكِ، ذكِّريني بأن في هذا العالم خيرًا باقيًا».

بذلَت ميسانداي أفضل ما بوسعها، وكانت لا تزال تتكلَّم حين غابَت داني في النَّوم أخيرًا لتَحلُم أحلامًا غريبةً مبهمةً ملأى بالدُّخان والنَّار.

وسريعًا جدًّا أتى الصَّباح.

---

(61). الحبَّار الصَّادح واليرقان الشَّوكي مخلوقان بحريَّان من خيال المؤلِّف. (المُترجم).

تمامًا مِثل ستانيس، زحفَ عليهم النَّهار دون أن يُرى.

استيقظَت (وينترفل) منذ ساعات، وتعجُّ شُرفاتها وبروجها برجالٍ يرتدون الصُّوف وحلقات المعدن والجِلد وينتظرون هجومًا لا يأتي أبدًا. لمَّا بدأت السَّماء تُنير كانت دقَّات الطُّبول قد همدَت، وإن سُمِعَت الأبواق الحربيَّة تُدوِّي ثلاث مرَّاتٍ أخرى، كلَّ مرةٍ أدنى قليلًا إلى القلعة.

ولم تزل الثُّلوج تنهمِر.

أعلنَ أحد عاملي الاسطبلات النَّاجين بإصرار: «ستنتهي العاصفة اليوم. الشِّتاء لم يحلَّ بعدُ». كان ثيون ليضحك لو جرؤَ. تذكَّر حكايات العجوز نان لهم عن عواصف تزأر أربعين يومًا وأربعين ليلةً، أو عامًا، أو عشرةً... عواصف تدفن قلاعًا ومدائن وممالك بأكملها تحت مئة قدمٍ من الثَّلج.

جلسَ في مؤخِّرة القاعة الكُبرى، ليس بعيدًا عن الخيول، يُراقِب إيبل وروان وغسَّالةً بنِّيَّة الشَّعر تُذكِّره بالفئران تُسمَّى السِّنجابة يفتكون بقطعٍ من الخُبز البنِّي البائت المحمَّر في دُهن اللَّحم المقدَّد. أفطرَ ثيون على دورقٍ من المِزر الدَّاكن معكَّر بالخميرة وتخين لدرجة أنه قابل للمضغ. بضعة دوارق أخرى وقد تبدو خطَّة إيبل أقل جنونًا.

دخلَ رووس بولتون باهت العينين يتثاءَب، تصحبه زوجته اللَّحيمة الحُبلى والدا السَّمينة. كان عدد كبير من اللوردات والقادة قد سبقَه، منهم باقِر العاهرة أومبر وإينس فراي وروچر ريزويل، وعلى مسافةٍ أبعد يجلس وايمان ماندرلي إلى المائدة يلتهم السُّجق والبيض المسلوق، فيما يغرف اللورد لوك العجوز الجالس إلى جواره العصيدة في فمه الخالي من الأسنان.

بعد قليلٍ ظهرَ اللورد رامزي بدوره رابطًا حزام سيفه وهو يشقُّ طريقه إلى مقدِّمة القاعة. تبيَّن ثيون أنه في مزاجٍ فاسد هذا الصَّباح، وقال لنفسه مخمِّنًا: *الطُّبول حرمَته الرُّقود طوال اللَّيل، أو أن أحدهم أغضبَه*. كلمة واحدة خطأ، نظرة واحدة متهوِّرة، ضحكة واحدة في غير محلِّها... من شأن أيٍّ من هذا أن يُثير حفيظة حضرة اللورد ويُكلِّف المرء شريحةً من جِلده. *ارجوك يا سِيدِي، لا تَنظُر في هذا الاتِّجاه*. نظرة واحدة قمينة بأن يعرف رامزي كلَّ شيء. *سيرى ما نُدبِّره مكتوبًا على وجهي، وسيعرف. دائمًا يعرف*.

التفتَ ثيون إلى إيبل قائلًا: «لن ينجح الأمر». تكلَّم بصوتٍ بالغ الخفوت حتى إن الخيول أنفُسها ما كانت لتسمعه. «سيقبضون علينا قبل أن نَخرُج من القلعة. وحتى إذا هربنا فسيُطارِدنا اللورد رامزي، هو وبن بونز والفتيات».

ردَّ إيبل وأصابعه تتراقَص على أوتار عوده: «اللورد ستانيس خارج الأسوار، وليس بعيدًا حسب الأصوات. ما علينا إلَّا أن نَبلُغه». لحية المغنِّي بنِّيَّة، وإن شابَ معظم شَعره. «إذا طارَدنا النَّغل بالفعل فقد يعيش ليندم على هذا».

اعتقِد هذا، صدِّقه، أخبِر نفسك بأنه صحيح. قال للمغنِّي: «سيجعل رامزي من نسوتك فرائس، سيُطارِدهن ويغتصبهن ويُطعِم جُثثهن لكلابه. إذا سلَّينه بما فيه الكفاية فقد يُطلِق أسماءهن على مجموعة الجروات الوليدة التَّالية. أمَّا أنت فسيَسلُخك، هو والسلَّاخ وديمون ارقُص-لي سيجعلونها لُعبةً. ستتوسَّل إليهم أن يَقتُلوك»، وقبضَ على ذراع المغنِّي بيدٍ مشوَّهة متابعًا: «لقد أقسمتَ أنك لن تدعني أسقطُ في يده ثانيةً، أعطيتني كلمتك». يحتاج إلى سماعها مرَّةً أخرى.

قالت السِّنجابة: «كلمة إيبل قويَّة كالسَّنديان».

وهزَّ إيبل نفسه كتفيه قائلًا: «مهما حدثَ يا أميري».

على المنصَّة كان رامزي يتجادَل مع أبيه. يجلسان أبعد من أن يُميِّز ثيون شيئًا مما يُقال، لكن الخوف على وجه والدا السَّمينة المتورِّد المستدير باحَ بالكثير. سمعَ وايمان ماندرلي يَطلُب مزيدًا من الشُّجق وضحك روچر ريزويل على مزحةٍ ما من هاروود ستاوت ذي الذِّراع الواحدة.

تساءلَ ثيون إن كان سيرى أبهاء الإله الغريق المائيَّة أم أن شبحه سيَمكُث هنا في (وينترفل). *الموت واحد مهما تعدَّدت السُّبل، الموت أفضل من ريك*. إذا فشلَت خطَّة إيبل فسيجعل رامزي ميتتهم شاقَّةً طويلةً. *سيَسلُخني من قمَّة رأسي حتى اخمص قدمَي هذه المرَّة، ومهما توسَّلتُ لن يضع نهايةً للعذاب*. لا ألم خبرَه ثيون يُداني الكرب الذي يستدرُّه السلَّاخ بسكِّينه الصَّغير. قريبًا سيتعلَّم إيبل هذا الدَّرس، ومن أجل ماذا؟ جين، *اسمها جين، ولون عينيها خطأ*. الفتاة مجرَّد ممثِّلةٍ تلعب دورًا. *اللورد بولتون ورامزي يعلمان، لكن الآخَرين عميان، حتى هذا الشَّاعر الملعون بابتساماته الخبيثة. لست الخادع هنا يا إيبل وإنما المخدوع، أنت وبغاياك القاتلات. ستموتون في سبيل الفتاة الخطأ*.

كان على شفا إخبارهم بالحقيقة عندما أوصلَته روان إلى إيبل في أطلال (البُرج المحروق)، لكنه أمسكَ لسانه في اللَّحظة الأخيرة، إذ بدا المغنِّي عاقدًا العزم على الرَّحيل بابنة إدارد ستارك، ولو عرفَ أن عروس اللورد رامزي مجرَّد ابنة وكيل...

انفتحَ باب القاعة الكُبرى على مصراعيه بصوتٍ مدوٍّ.

هبَّت ريح باردة دوَّارة من الخارج، وتلألأَت سحابة من بلَّورات الجليد بالأبيض المزرق في الهواء، وعبرها جاءَ السير هوستين فراي مكسوًّا بالثَّلج حتى الخصر وبين ذراعيه جُثمان. بطول القاعة وضعَ الرِّجال أكوابهم وملاعقهم والتفتوا يُحدِّقون إلى المشهد المريع، وخيَّم الصَّمت على الجميع.

قتيل آخَر.

انزلقَ الثَّلج من على معطف السير هوستين إذ تقدَّم من المائدة العالية وخُطاه ترنُّ على الأرض، ودخلَت وراءه دستة من فُرسان وجنود عائلة فراي. أحدهم يعرفه ثيون، والدر الكبير -الصَّغير- بملامحه الثَّعلبيَّة ونحوله الشَّديد، يُلطِّخ الدَّم صدره وذراعيه ومعطفه.

ساقَت الرَّائحة الخيول إلى الصُّراخ، وخرجَت الكلاب من تحت الموائد تتشمَّم، ونهضَ الرِّجال عن الدِّكك. بين ذراعيَ السير هوستين التمعَت جثَّة الصَّبي المغلَّفة بالصَّقيع الوردي في ضوء المشاعل، وقد جمَّد البرد بالخارج دماءه. وضعَ هوستين فراي الجثَّة على الأرض أمام المنصَّة قائلًا: «ابن أخي ميريت، ذُبِحَ كالخنزير ودُفِنَ تحت كومة ثلج. صبي!».

والدر الصَّغير، الكبير. رمقَ ثيون روان متذكِّرًا: *إنهن ست. كان بإمكان أيِّهن أن تفعل هذا*. غير أن الغسَّالة شعرَت بنظرته، وقالت: «ليس هذا عملنا».

خاطبَها إيبل قائلًا: «صَهْ!».

نزلَ اللورد رامزي من فوق المنصَّة ليقف عند الصَّبي الميت، وقامَ أبوه بتؤدةٍ باهت العينين جامد الملامح وقورًا، وقال: «عمل قذر». هذه المرَّة رفعَ رووس بولتون صوته ليسمعه كلُّ مَن في القاعة. «أين عُثِرَ على الجثَّة؟».

أجابَ والدر الكبير الذي يُلوِّث قُفَّازيه دم ابن عمه: «تحت الحصن المتهدِّم يا سيِّدي، حيث الكَراجِل القديمة. قلتُ له ألَّا يَخرُج وحده، لكنه قال إن عليه أن يجد رجلًا يدين له بالفضَّة».

قال رامزي: «مَن هذا الرَّجل؟ أعطِني اسمه، أشِر إليه أيها الصَّبي وسأصنعُ لك معطفًا من جِلده».

- «لم يقل مَن يا سيِّدي. قال فقط إنه ربحَ النُّقود من لعب النَّرد»، وتردَّد ولد فراي لحظةً، ثم تابعَ: «بعض رجال (الميناء الأبيض) كان يُعلِّم النَّرد. لا أدري مَن، لكنهم هُم».

بصوتٍ جهير قال هوستين فراي: «سيِّدي، إننا نعرف الرَّجل الذي فعلَها، الذي قتلَ هذا الصَّبي والآخَرين. ليس بيده، لا، فهو أبدن وأجبن من أن يَقتُل بيده، ولكن بأمره»، والتفتَ إلى وايمان ماندرلي سائلًا: «أتُنكِر؟».

قضمَ سيِّد (الميناء الأبيض) إصبعًا من السُّجق نِصفين، وقال: «أعترفُ...»، ومسحَ الدُّهن عن شفتيه بكُمِّه مواصلًا: «أعترفُ بأني أعرفُ القليل عن هذا الصَّبي المسكين. كان مُرافق اللورد رامزي، أليس كذلك؟ كم كان عُمره؟».

- «بلغَ التَّاسعة في يوم ميلاده الأخير».

قال وايمان ماندرلي: «صغير للغاية. لكن لعلَّها رحمة، فلو عاشَ لكبرَ وصارَ من آل فراي».

رفعَ السير هوستين قدمه يَركُل سطح المائدة ويُسقِطه من فوق حوامله على بطن اللورد وايمان المنتفخ. تطايرَت الأكواب والأطباق، وتبعثرَ السُّجق في كلِّ مكان، وهبَّ رجال ماندرلي يقفون لاعنين، والتقطَ بعضهم سكاكين أو أطباقًا أو أباريق، أيَّ شيءٍ يَصلُح سلاحًا.

انتزعَ السير هوستين فراي سيفه من غِمده ووثبَ نحو وايمان ماندرلي. حاولَ سيِّد (الميناء الأبيض) أن يلتوي مبتعدًا، لكن سطح المائدة ثبَّته إلى مقعده، وبضعَ النَّصل ثلاثةً من ذقونه الأربعة ناثرًا دمه القاني اللَّامع. صرخَت الليدي والدا وقبضَت على ذراع السيِّد زوجها، وزعقَ رووس بولتون: «كفى، كفى! جنونًا!»، واندفعَ رجاله نحو الفوضى إذ قفزَ رجال ماندرلي من فوق الدِّكك ينقضُّون على رجال فراي. هاجمَ أحدهم السير هوستين بخنجر، لكن الفارس الكبير دارَ على عقبيه وبترَ ذراع الرَّجل من الكتف.

دفعَ اللورد وايمان نفسه إلى النُّهوض، فقط ليتهاوى أرضًا، وزعقَ اللورد لوك العجوز يَطلُب مِايستر فيما تشحَّط ماندرلي على الأرض في بِركةٍ تتَّسع من الدَّم، وحوله تشاجرَت الكلاب على السُّجق.

تطلَّب الفصل بين المتقاتلين ووضع نهايةٍ للاشتباك نحو أربعين من حاملي حِراب (معقل الخوف)، وقد انطرحَ ستَّة من رجال (الميناء الأبيض) واثنان من رجال فراي موتى على الأرض. أسفرَ القتال عن دستةٍ من الجرحى أيضًا، وخلَّف صبي التَّغل المسمَّى لوتون يُحتضَر بجلبةٍ مناديًا أمَّه وهو يُحاوِل أن يُعيد أحشاءه اللَّزجة إلى داخل بطنه المبقور، إلى أن أخرسَه اللورد رامزي منتزعًا حربةً من أحد رجال ذي السَّاقين الفولاذ وغرسَها في صدر لوتون. وعلى الرغم من ذلك ظلَّ مزيج من الصِّياح والدُّعاء والسِّباب يتردَّد على عوارض السَّقف، وارتفعَ صريخ الخيول المذعورة وزمجرة كلبات رامزي، فاضطرَّ والتون ذو السَّاقين الفولاذ إلى دقِّ الأرض بكعب حربته عدَّة مرَّاتٍ قبل أن تهدأ القاعة بما فيه الكفاية لسماع رووس بولتون.

قال سيِّد (معقل الخوف): «أرى أنكم جميعًا تُريدون الدَّم».
إلى جواره وقفَ المِايستر رودري بغُدافٍ على ذراعه، يلتمع ريشه الأسود في ضوء المشاعل كالنِّفط. أدركَ ثيون أن الطَّائر مبتل. وفي يد حضرة اللورد ورقة. *ستكون مبتلَّةً أيضًا. أجنحة سوداء، اخبار سوداء.* تابعَ اللورد بولتون: «بدلًا من استخدام سيوف بعضنا ضد بعضٍ يُمكنكم تجربتها ضد اللورد ستانيس»، وبسطَ الرَّقَّ متبعًا: «جيشه يَبعُد أقل من ثلاثة أيامٍ من الرُّكوب، محاصَرًا بالثَّلج ويتضوَّر جوعًا، وعن نفسي سئمتُ من انتظار وصوله. سير هوستين، احشد فُرسانك وجنودك عند البوَّابة الرَّئيسة. ما دُمت متشوِّقًا إلى المعركة فالضَّربة الأولى لك. لورد وايمان، اجمع رجال (الميناء الأبيض) عند البوَّابة الشَّرقيَّة. ستَخرُجون للقتال أيضًا».

كان سيف هوستين فراي أحمر حتى المقبض تقريبًا، وقطرات الدَّم تُبَرقِش وجنتيه كالنَّمش. خفضَ سلاحه قائلًا: «كما يأمر سيِّدي، لكن بعد أن آتيك برأس ستانيس باراثيون فإنني أنوي أن أكمل قطع رأس اللورد خنزير».

كان أربعة من فُرسان (الميناء الأبيض) قد كوَّنوا حلقةً حول اللورد وايمان فيما انحنى المِايستر مدريك عليه مكافحًا لإيقاف النَّزيف. تكلَّم أكبرهم سِنًّا قائلًا: «عليك أولًا أن تشقَّ طريقك بيننا أيها الفارس». الرَّجل مسنٌّ أشيب اللِّحية قاسي الملامح، على سُترته الطَّويلة الملوَّثة بالدَّم ثلاث عرائس بحرٍ فضِّيَّات على خلفيَّةٍ بنفسجيَّة.

- «بكلِّ سرور. فُرادى أو جميعكم في آنٍ واحد، لا فرق».

هدرَ رامزي بولتون ملوِّحًا بحربته الدَّامية: «كفى! تهديد آخَر وسأبقرُ بطونكم جميعًا بنفسي. السيِّد والدي قال كلمته! ادَّخروا غضبكم للمدَّعي ستانيس».

أومأَ رووس بولتون برأسه مؤيِّدًا، وقال: «كما يقول. سنجد وقتًا يكفي ليُقاتِل بعضنا بعضًا حين نَفرُغ من ستانيس»، وأدارَ رأسه وجاسَ بعينيه الباهتتين الباردتين في القاعة حتى وجدَتا الشَّاعر إيبل إلى جوار ثيون، فناداه: «أيها المغنِّي، تعالَ وغنِّ لنا شيئًا مهدِّئًا».

انحنى إيبل قائلًا: «أمر حضرة اللورد»، وماسكًا عوده توجَّه متَّئدًا إلى المنصَّة، وقفزَ برشاقةٍ من فوق جثَّةٍ أو اثنتين، ثم جلسَ مربِّعًا ساقيه فوق المائدة العالية، وإذ شرعَ في غناء أغنيَّةٍ حزينة ناعمة (لم يتعرَّفها ثيون جرايچوي) بدأ السير هوستين والسير إينس وأتباعهما من رجال فراي يقودون خيولهم من القاعة.

أطبقَت روان على ذراع ثيون قائلةً: «الحمَّام، حالًا».

قال منتزعًا ذراعه من لمستها: «بالنَّهار؟ سيروننا».

- «الثُّلوج ستُخفينا. أأنت أصم؟ بولتون سيُرسِل رجاله إلى القتال. يجب أن نَبلُغ الملك ستانيس قبلهم».

- «لكن... إيبل...».

غمغمَت السِّنجابة: «إيبل يستطيع العناية بنفسه».

هذا جنون. خطَّتكن يائسة، حمقاء، مصيرها الفشل. أفرغَ ثيون ثُمالة شرابه في جوفه ونهضَ على مضضٍ قائلًا لها: «جِدي أخواتكِ. نحتاج إلى ماءٍ كثير لمَلء حوض سيِّدتي».

انسلَّت السِّنجابة مبتعدةً بخُطواتٍ خافتة خفيفة كعادتها، وخرجَت روان بثيون من القاعة. منذ وجدنَه في أيكة الآلهة تُلازِمه إحداهن في كلِّ خُطوةٍ ولا تَترُكه يُبارِح ناظريْها أبدًا. واضح أنهن لا يثقن به. *ولِمَ يفعلن؟ كنتُ ريك من قبل وقد أعودُ ريك ثانيةً. ريك، ريك، على قافية شريك.*

ما زالَ الثَّلج يَسقُط بالخارج، حيث تحوَّل الرِّجال الثَّلجيُّون الذين بناهم المُرافقون إلى عمالقةٍ مشوَّهين يُناهِزون الأقدام العشرة طولًا. ارتفعَت حوائط بيضاء على جانبَي ثيون وروان وهما يشقَّان طريقهما إلى أيكة الآلهة، وقد استحالَت الطُّرقات بين الحصون والبروج والقاعات إلى متاهةٍ من الخنادق الجليديَّة تُجرَف منها الثُّلوج كلَّ ساعة. من السَّهل أن يضيع المرء في هذا التِّيه، إلَّا أن ثيون جرايچوي يعرف كلَّ زاويةٍ ومنعطف.

حتى أيكة الآلهة بدأت تستحيل إلى الأبيض. تكوَّنت طبقة من الصَّقيع على سطح البِركة تحت شجرة القلوب، ونبتَ للوجه المنقوش على جذعها الشَّاحب شارب من كُتل الجليد الصَّغيرة. في هذه السَّاعة لا أمل في أن يختليا بنفسيهما في الأيكة. سحبَت روان ثيون بعيدًا عن الشَّماليِّين المصلِّين للشَّجرة نحو بُقعةٍ منزوية عند حائط الثُّكنات، إلى جوار بِركةٍ من الطَّمي الدَّافئ رائحتها كالبيض المتعفِّن. رأى ثيون أن الجليد بدأ يتكوَّن حول حواف الطَّمي نفسه، فغمغمَ: «الشِّتاء قادم...».

رمقَته روان بقسوةٍ قائلةً: «لا يحقُّ لك أن تُردِّد كلمات اللورد إدارد، ليس أنت، إياك. بعد ما فعلت...».

- «أنتن أيضًا قتلتن صبيًّا».

- «لم يكن هذا عملنا، لقد أخبرتك».

- «الكلام هواء». *لسن أفضل مني. إننا سواسية*. «أنتن قتلتن الآخَرين، فلِمَ ليس هو أيضًا؟ القضيب الأصفر...».

- «... كان كريه الرَّائحة مِثلك، رجلًا خنزيرًا».

- «ووالدر الصَّغير كان خنزيرًا صغيرًا. قتله أدَّى إلى إشهار رجال فراي ومانـدرلي خناجرهم في وجه بعضهم بعضًا. دهاءَ منكن. لقد...».

كرَّرت بتصميم: «لم يكن عملنا»، وأطبقَت على حَلقه ودفعَته ليرتطم ظَهره بحائط الثُّكنات، وقالت وبين وجهها ووجهه بوصة: «قُلها ثانيةً وسأقتلعُ لسانك الكذَّاب من جذوره يا قاتِل الأقربين».

ابتسمَ لتلوح أسنانه المكسورة، وقال: «لن تفعلي. إنكن محتاجات إلى لساني للمرور من الحُرَّاس، محتاجات إلى أكاذيبي».

بصقَت روان في وجهه، ثم أفلتَته ومسحَت يديها المقفَّزتين على ساقيها كأن مجرَّد لمسه دنَّسها.

يعلم ثيون أن عليه ألَّا يستفزَّها، فعلى طريقتها الخاصَّة لا تقلُّ هذه المرأة خطورةً عن السلَّاخ أو ديمون ارقُص-لي. لكنه بردان تعِب، ورأسه يدقُّ، ولم يغمض له جفن منذ أيام. «لقد فعلتُ أشياء فظيعةً... خنتُ قومي وارتدَدتُ عنهم وأمرتُ بقتل رجالٍ وثقوا بي... لكنني لستُ قاتِل أقربين».

- «لم يكن ابنا ستارك أخوَيك قَطُّ، نعم، نعرف».

هذا صحيح، لكنه ليس ما عناه ثيون. *لم يكونا من دمي، لكني لم أمسَّهما بأذى. اللذان قتلناهما كانا مجرَّد ابنَي طحّان*. لا يُريد ثيون أن تذهب أفكاره إلى أمِّهما. لقد عرفَ زوجة الطحّان لسنين، وضاجعَها أيضًا. *نهدان عامران ثقيلان بحلمتين داكنتين كبيرتين، ثغر عذب، ضحكة مرحة. مسرّات لن أذوقها ثانيةً أبدًا*.

لكن لا جدوى من إخبار روان بشيءٍ من هذا، فلن تُصدِّق إنكاره مِثلما لا يُصدِّق إنكارها. قال بإعياء: «على يدَي دماء حقًّا، لكنها ليست دماء إخوة، ولقد عُوقِبتُ».

ردَّت روان: «ليس كفايةً»، وأعطَته ظَهرها.

حمقاء. قد يكون مخلوقًا مكسورًا، لكن ثيون ما زالَ مسلَّحًا بخنجر، ولكان سهلًا أن يستلَّه ويُغمِده بين لوحَي كتفيها. لم يزل قادرًا على هذا الرغم من أسنانه المكسورة والمفقودة. ولربما كانت رحمةً أيضًا، نهايةً أسرع وأنظف من التي ستنالها وأخواتها حين يقبض عليهن رامزي.

ربما كان ريك ليفعلها، ولفعلَها حقًّا على أمل إرضاء اللورد رامزي. هؤلاء العاهرات يسعين لاختطاف عروس رامزي، ولا يُمكن أن يسمح ريك بذلك... غير أن الآلهة القديمة عرفَته ودعَته بثيون. حديدي *الميلاد، كنتُ حديدي الميلاد، ابن بالون جرايچوي ووريث (بايك) شرعًا*. استحكَّته جَدعات أصابعه وارتعشَت، لكنه أبقى خنجره في غِمده.

عادَت السِّنجابة ومعها الأربع الأخريات؛ ميرتل الشَّائبة الهزيلة، وويلو عين السَّاحرة بضفيرتها السَّوداء الطَّويلة، وفرينيا ذات الخصر الغليظ والثَّديين العظيمين، وهولي بسكِّينها. ترتدي كلٌّ منهن طبقاتٍ من الخيش الرَّمادي كالخادمات تحت معاطف بنِّيَّة من الصُّوف مبطَّنة بفرو الأرانب الأبيض. *لا سيوف، لا فؤوس، لا مطارق، لا أسلحة إلَّا السَّكاكين.* يُثبِّت معطف هولي مشبك فضِّي، وتتمنطَق فرينيا بلفَّةٍ من حبال القنَّب حول وسطها من وَركيها إلى ثدييها، وهو ما يجعلها تبدو أضخم مما هي بالفعل.

ناولَت ميرتل روان ثوب خادمات، ونبَّهتهم قائلةً: «السَّاحات تعجُّ بالحمقى. إنهم ينوون الخروج».

علَّقت ويلو بنخير احتقار: «يا للرُّكَّع. قال سيِّدهم ومولاهم كلمته ويجب أن يُطيعوا».

قالت هولي بسعادة: «إنهم ذاهبون إلى حتفهم».

ردَّ ثيون: «هُم ونحن. حتى إذا تجاوَزنا الحُرَّاس فكيف ستُخرِجن الليدي آريا؟».

انفرجَت شفتا هولي في ابتسامة، وقالت: «ستُّ نساءٍ سيَدخُلن وستٌّ سيَخرُجن. مَن يَنظُر إلى الخادمات؟ سنُلبِس ابنة ستارك ثياب السِّنجابة».

رمقَ ثيون السِّنجابة مفكِّرًا: *لا فرق بينهما في الحجم تقريبًا. قد يَصلُح هذا.* «وكيف ستَخرُج السِّنجابة؟».

أجابَت السِّنجابة عن نفسها: «من النَّافذة وإلى أيكة الآلهة مباشرةً. كنتُ في الثَّانية عشرة حين أخذَني أخي للإغارة جنوب جِداركم. هكذا حصلتُ على اسمي هذا. قال أخي إنني أبدو كسنجابةٍ تتسلَّق شجرةً. لقد تسلَّقتُ ذلك (الجِدار) ستَّ مرَّاتٍ ذهابًا وإيابًا، وأظنُّ أنني أستطيعُ نزول بُرجٍ حجري».

قالت روان: «سعيد أيها المارِق؟ هيا بنا».

يحتلُّ مطبخ (وينترفل) الفسيح مبنًى مستقلًّا، على مسافةٍ لا بأس بها من قاعات وحصون القلعة الأساسيَّة تحسُّبًا للحرائق. بالدَّاخل تتبدَّل الرَّوائح على مدار السَّاعة، عطور دائمة التَّغيُّر من اللُّحوم المشويَّة والكُرَّات والبصل والخُبز الطَّازج. كان رووس بولتون قد وضعَ حراسةً على باب المطبخ، ففي وجود كلِّ هذه الأفواه التي يجب إطعامها أصبحَت كلُّ حبَّة فُتات ثمينةً، وحتى الطُّهاة وعُمَّال المطبخ خاضعون لمراقبةٍ لصيقة. على أن الحُرَّاس يعرفون ريك، ومع أنهم يحبُّون الاستهزاء به عندما يأتي لأخذ الماء لحمَّام الليدي آريا فلا أحد منهم يجرؤ على التَّمادي عن هذا، فمعروف أن ريك حيوان اللورد رامزي الأليف.

حين ظهرَ ثيون والخادمات أعلنَ أحدهم: «أمير النَّتانة أتى يأخذ الماء السَّاخن»، وفتحَ لهم الباب مضيفًا: «أسرِعوا قبل أن يتسرَّب الهواء الدَّافئ الجميل».

بالدَّاخل أمسكَ ثيون عامل مطبخٍ مارًّا من ذراعه، وأخبرَه آمرًا: «ماء ساخن لسيِّدتي يا ولد. ستَّة دلاء مليئة، واحرص على كونه ساخنًا. اللورد رامزي يُريدها متورِّدةً نظيفةً».

قال الصَّبي: «نعم يا سيِّدي، فورًا يا سيِّدي».

استغرقَت «فورًا» وقتًا أطول مما يُفضِّل ثيون. كانت الغلّايات الكبيرة كلُّها متَّسخةً، واضطرَّ العامل إلى تنظيف إحداها أولًا قبل ملئها بالماء، وبعدها بدا أن الماء استغرقَ أبديَّةً حتى الغليان وأبديَّتيْن لمَلء ستَّة دلاء خشبيَّة. طوال كلِّ هذا انتظرَت نساء إيبل وقد ظلَّلت قلنسواتهن وجوههن. *يُسِئن التَّصرُّف تمامًا*. الخادمات الحقيقيَّات يُداعِبن عاملي المطبخ ويتدلَّلن على الطُّهاة ويتملَّقنهم لأجل عيِّنةٍ من هذا أو قضمةٍ من ذاك. لم تُرِد روانْ وأخواتها المتآمرات جذب الانتباه، لكن سرعان ما أفضى صمتهن الواجم إلى تلقِّيهن نظرات الاستعجاب من الحُرَّاس، الذين سألَ أحدهم ثيون: «أين مايزي وچِز والأخريات؟ الفتيات المعتادات؟».

أجابَ كاذبًا: «الليدي آريا غير راضيةٍ عنهن. المرَّة السَّابقة بردَ ماؤها قبل أن يصل إلى الحوض».

ملأ الماء السَّاخن الهواء بسحاباتٍ من البُخار مذيبًا رقائق الثَّلج المتساقطة إذ مضَت المجموعة عبر متاهة الخنادق المحوَّطة بالجليد، مع كلِّ خُطوةٍ يتناثَر الماء من الدِّلاء ويَبرُد قليلًا. وجدوا الممرَّات مكتظَّةً بالعسكر، من فُرسانٍ مدرَّعين يرتدون السُّترات الصُّوف والمعاطف الفرو، إلى جنودٍ على أكتافهم الحِراب ورُماة يحملون أقواسًا مرخيَّة الأوتار وحزمًا من السِّهام، إلى مُحاربين غير نظاميِّين وسائسين يقودون الجياد الحربيَّة. يضع رجال فراي شارة البُرجين، ورجال (الميناء الأبيض) شارة عريس البحر والرُّمح ثُلاثي الشُّعب، وقد خاضَ هؤلاء وأولئك في العاصفة في اتِّجاهين متعارضين متبادلين النَّظرات الحذرة، لكن لا سيوف استُلَّت، ليس هنا. *قد يختلف الأمر في الغابة بالخارج*.

على باب (الحصن الكبير) يقف نِصف دستةٍ من رجال (معقل الخوف) حراسةً، ولمّا رأى رقيبهم دلاء الماء السَّاخن قال: «حمَّام لعين آخَر؟». كانت يداه مدسوستيْن تحت إبطيه وقايةً من البرد. «كم يُمكن أن تتَّسخ امرأة واحدة في سريرها؟».

تذكَّر ثيون ليلة الزِّفاف والأشياء التي أُجبِرَ وچين على فِعلها، وأجابَ الرَّجل في قرارة نفسه: *تتَّسخ أكثر مما تحسب حين تُشارِك رامزي ذلك السَّرير.* «إنه أمر اللورد رامزي».

قال الرَّقيب: «ادخُلوا إذن قبل أن يتجمَّد الماء»، ودفعَ اثنان من الحَرس مصراعَي الباب.

وجدوا المدخل أقرب برودةً إلى الهواء بالخارج. نفضَت هولي القليل من الثَّلج عن حذائها ركلًا، وأنزلَت قلنسوتها قائلةً: «حسبتُ الأمر سيكون أصعب»، لتتحوَّل أنفاسها إلى صقيعٍ في الهواء.

- «هناك المزيد من الحَرس بالأعلى عند غُرفة نوم سِيدِي، رجال رامزي». لا يجرؤ على دعوتهم بصِبيان النَّغل هنا. لا أحد يدري مَن عساه يتنصَّت. «اخفضن رؤوسكن وارفعن قلنسواتكن».

قالت روان: «افعلي كما يقول يا هولي. قد يتعرَّف بعضهم وجهكِ، ولسنا نُريد متاعب».

قادَ ثيون الطَّريق إلى أعلى. *صعدتُ هذه السَّلالم ألف مرَّةٍ من قبل*. في صِباه تعوَّد الصُّعود جريًا والنُّزول وثوبًا ثلاث درجاتٍ في المرَّة. في إحدى تلك المرَّات ارتطمَ بالعجوز نان مباشرةً وطرحَها أرضًا، لينال بعدها أسوأ ضربٍ تلقَّاه في (وينترفل) على الإطلاق، وإن كان أقرب إلى الرِّقَّة مقارنةً بالضَّرب المبرِّح الذي اعتادَه من أخويه في (پايك). على هذه السَّلالم خاضَ ضد روب عديد المعارك البطوليَّة بسيفيهما الخشبيَّين، وهو ما يعدُّ تدريبًا جيِّدًا، إذ علَّمهما بنجاحٍ صعوبة أن يُقاتِل المرء صاعدًا سلالم حلزونيَّةً ضد مقاومةٍ راسخة. أحبَّ السير رودريك أن يقول إن رجلًا واحدًا قويًّا يستطيع أن يصدَّ مئةً يُهاجِمونه من أسفل.

لكن ذلك كان منذ زمنٍ طويل. كلُّهم موتى الآن. چوري، والسير رودريك العجوز، واللورد إدارد، وهاروين وهالن، وكاين ودزموند وتوم السَّمين، وآلن بأحلامه عن الفُروسيَّة، وميكن الذي أعطاه سيفه الحقيقي الأول، وحتى العجوز نان على الأرجح.

وروب، روب الذي كان لثيون أخًا أكثر من أيِّ ولدٍ أنجبَه بالون جرايچوي من صُلبه. *اغتيلَ في الزِّفاف الأحمر، ذبحَه آل فراي. كان يجب أن أكون معه. أين كنتُ؟ كان يجب أن أموت معه*.

توقَّف ثيون بغتةً حتى إن ويلو كادَت تصطدم بظَهره. أمامه باب غُرفة نوم رامزي، يَحرُسه اثنان من صِبيان النَّغل، آلن الفظ وجرونت.

أخبرَهما ثيون: «معي ماء ساخن لليدي آريا».

قال آلن الفظ: «حاوِل أن تستحمَّ يا ريك. رائحتك كبول الخيول».

زمجرَ جرونت مؤيِّدًا، أو ربما كان الصَّوت الذي أصدرَه ضحكةً. على أن آلن فتحَ رتاج الباب، وأشارَ ثيون للنِّساء بالدُّخول.

لم يطلع نهار داخل هذه الغُرفة. كلُّ شيءٍ مسربَل بالظِّلال. بين الجذوات المحتضرة في المستوقَد تُطَقطِق قطعة أخيرة من الحطب، وإلى جوار الفِراش الخالي تتذبذَب شمعة وحيدة على المنضدة. فكَّر ثيون: *رحلَت الفتاة، ألقَت نفسها من النَّافذة يأسًا*. لكن النَّوافذ مغلقة في وجه العاصفة وموصدة بقشور الثَّلج المذروِّ والصَّقيع. سألَت هولي: «أين هي؟». أفرغَت أخواتها الدِّلاء في الحوض الخشبي المستدير الكبير، وأغلقَت فرينيا باب الغُرفة وأسندَت ظَهرها إليه، وعادَت هولي تسأل بإصرار: «أين هي؟».

بالخارج دوَّى بوق. *بوق نُحاسي. جنود فراي يحتشدون استعدادًا للمعركة*. أحسَّ ثيون بحكَّةٍ في أصابعه المفقودة.

ثم إنه رآها رابضةً في أحلك أركان الغُرفة ظلامًا، متكوِّرةً على الأرض تحت كومةٍ من فراء الذِّئاب. ربما لم يكن ثيون ليلمحها لولا الطَّريقة التي ترتجف بها. كانت چين قد سحبَت الأغطية على نفسها لتختبئ. *منا؟ أم أنها كانت تتوقَّع السيِّد زوجها؟* مجرَّد فكرة أن رامزي قد يأتي جعلَه يُريد الانفجار صارخًا. قال ثيون: «سيِّدتي». لم يستطِع أن يجعل نفسه يُناديها بآريا ولم يجرؤ على دعوتها بچين. «لا داعي للاختباء. إنهن صديقات».

تحرَّكت الأغطية، وظهرَت عين تَبرُق فيها الدُّموع. *داكنة، داكنة جدًّا، عين بنِّيَّة*. «ثيون؟».

دنَت روان قائلةً: «ليدي آريا، يجب أن تأتي معنا وبسرعة. لقد أتينا نأخذكِ إلى أخيكِ».

برزَ وجه الفتاة من تحت الفراء، وقالت: «أخي؟ إنني... ليس لي إخوة».

نسيَت مَن هي، نسيَت اسمها. قال ثيون: «صحيح، لكن كان لكِ من قبل، ثلاثة، روب وبران وريكون».

- «لقد ماتوا. ليس لي إخوة الآن».

قالت روان: «لكِ أخ غير شقيق، اللورد غُراب».

- «چون سنو؟».

- «سنأخذكِ إليه، لكن يجب أن تأتي في الحال».

سحبَت چين الأغطية إلى ذقنها قائلةً: «لا. هذه خدعة. إنه هو، إنه... سيِّدي، سيِّدي الجميل، هو أرسلَكم، هذا مجرَّد اختبار ليتأكَّد من أنني أحبُّه. إنني أحبُّه، أحبُّه حقًّا، بكلِّ جوارحي»، وسالَت عبرة على وجنتها إذ واصلَت: «أخبِروه، أخبِروه. سأفعلُ ما يُريد... أيًّا كان... معه أو... أو مع الكلاب أو... أرجوكم... لا داعي لأن يقطع قدمَي. لن أحاول الهرب أبدًا. سأمنحه أبناءً، أقسمُ، أقسمُ...».

أصدرَت روان صفيرًا خافتًا، وقالت: «عليه لعنة الآلهة».

منتحبةً قالت چين: «أنا فتاة صالحة. لقد درَّبوني».

قالت ويلو عابسةً: «فليُوقِف أحد بُكاءها. ذلك الحارس كان أخرس لا أصمَّ. سيسمعان».

ظهرَ سكِّين هولي في يدها، وقالت: «أنهِضها أيها المارِق، أنهِضها وإلَّا فعلتها أنا. يجب أن نذهب! أنهِض المومس الصَّغيرة وشجِّعها بأيِّ شكل».

سألَت روان: «وإذا صرخَت؟».

كلُّنا أموات إذن. قلتُ لهم إنها حماقة ولم يسمعني أحد. حكمَ عليهم إيبل بالهلاك. كلُّ المغنِّين أنصاف مجانين. في الأغاني يُنقِذ البطل العذراء من قلعة الوحش دومًا، لكن الحياة ليست أغنيَّةً، وچين ليست آريا ستارك. *لون عينيها خطأ، ولا أبطال هنا، بل عاهرات فقط*. وعلى الرغم من هذا ركعَ إلى جوارها وأنزلَ الأغطية ومسَّ خدَّها قائلًا: «أنتِ تعرفينني. أنا ثيون. تَذكُرينني. وأنا أيضًا أعرفكِ، أعرفُ اسمكِ».

هزَّت رأسها، وقالت: «اسمي؟ اسمي... إنه...».

وضعَ إصبعه على شفتها مقاطعًا: «لنتكلَّم عن هذا لاحقًا. يجب أن تلوذي بالصَّمت الآن. تعالي معي، معنا. سنأخذكِ بعيدًا عن هنا، بعيدًا عنه».

اتَّسعت عيناها، وهمسَت: «أرجوك، أوه، أرجوك».

عانقَ ثيون يدها بيده، ودغدغَته جَدعات أصابعه المفقودة إذ سحبَ الفتاة لتنهض. سقطَت عنها فراء الذِّئاب، وتحتها كانت عاريةً، ورأى ثدييها الصَّغيرين الشَّاحبين مغطَّييْن بآثار الأسنان. سمعَ إحدى النِّساء تشهق، وألقَت روان كومةً من الثِّياب بين يديه قائلةً: «ألبِسها. البرد قارس بالخارج». كانت السِّنجابة قد تجرَّدت من ثيابها كلِّها إلَّا الدَّاخليَّة، وتُنقِّب في صندوقٍ منقوش من خشب الأَرز عن شيءٍ أثقل ترتديه، وفي النِّهاية استقرَّت على إحدى سُترات اللورد رامزي المبطَّنة وسراويل بالية خفقَت حول ساقيها كشراع سفينةٍ في عاصفة.

بمساعدة روان ألبسَ ثيون چين پوول ثياب السِّنجابة مفكِّرًا: *إذا تكرَّمت الآلهة وأعمَت الحُرَّاس فقد تمرُّ دون أن يتعرَّفها أحد.* أخبرَ الفتاة: «والآن سنَخرُج وننزل السَّلالم. اخفِضي رأسكِ وارفعي قلنسوتكِ. اتبعي هولي. لا تجري ولا تبكي ولا تتكلَّمي ولا تَنظُري إلى أحدٍ في عينه».

قالت چين: «ابقَ قريبًا مني، لا تَترُكني».

وعدَها ثيون فيما دخلَت السِّنجابة فِراش الليدي آريا وسحبَت الأغطية على نفسها: «سأكونُ إلى جواركِ مباشرةً».

فتحَت فرينيا باب غُرفة النَّوم، وإذ خرجوا سألَ آلن الفظ: «هل حمَّمتها جيِّدًا يا ريك؟»، واعتصرَ جرونت ثدي ويلو لدى مرورها. كانوا محظوظين باختياره، فلو فعلَ هذا مع چين لصرخَت، ثم كانت هولي لتشقَّ حَلقه بالسكِّين المخبَّأ في كُمِّها. أمَّا ويلو فتملَّصت ببساطةٍ وتجاوزَته.

وللحظةٍ أفعمَ ثيون إحساس أقرب إلى الحبور. *لم يُلقيا ولو نظرةً، لم يريا. الفتاة مرَّت بهما مباشرةً!*

على أن الخوف عادَ على السَّلالم. ماذا لو قابَلوا السلَّاخ أو ديمون ارقُص-لي أو والتون ذا السَّاقين الفولاذ؟ أو رامزي نفسه؟ *تُنقِذني الآلهة، ليس رامزي، أي أحد غيره.* ما الفائدة من تهريب الفتاة إلى خارج غُرفة نومها؟ ما زالوا داخل قلعةٍ جميع بوَّاباتها مغلقة ومزلجة وشُرفاتها تعجُّ بالنَّواطير. على الأرجح سيُوقِفهم الحَرس خارج الحصن، ولن يُجدي سكِّين هولي الصَّغير نفعًا في مواجهة ستَّة رجالٍ يرتدون الحلقات المعدنيَّة ويحملون السُّيوف والحِراب.

لكن الحَرس بالخارج كانوا جاثمين عند الباب وقد أداروا ظهورهم للرِّيح الجليديَّة والثَّلج المذرِّ، وحتى الرَّقيب لم يُعطِهم أكثر من نظرةٍ عابرة. شعرَ ثيون بطعنةٍ من الشَّفقة عليه هو ورجاله. سيَسلُخهم رامزي جميعًا حينما يعلم أن عروسه هربَت، ولا يحتمل ثيون مجرَّد التَّفكير في ما سيفعله بجرونت وآلن الفظ.

قبل أقل من عشر ياردات من الباب أفلتَت روان دلوها الفارغ وحذَت أخواتها حذوها. كان (الحصن الكبير) قد غابَ عن الأنظار وراءهم بالفعل، والسَّاحة صحراء بيضاء ملأى بأصوات شِبه مسموعة تتردَّد أصداؤها الغريبة في خضمِّ العاصفة. من حولهم ارتفعَت الخنادق الجليديَّة حتى الرُّكبة ثم حتى الخصر ثم أعلى من رؤوسهم، كأنهم ضائعون في (أرض الشِّتاء السَّرمدي) على بُعد ألف فرسخٍ وراء (الجِدار).

قالت چين پوول متأوِّهةً وهي تمضي متعثِّرةً إلى جوار ثيون: «البرد شديد».

وقريبًا سيغدو أشد. وراء أسوار القلعة ينتظر الشِّتاء بأسنانه الجليديَّة. *هذا إذا تجاوَزناها*. حين بلغوا بُقعةً تتقاطَع عندها ثلاثة خنادق قال: «من هنا».

قالت روان: «فرينيا، هولي، اذهبا معهما. سنلحق بكم مع إيبل. لا تنتظرونا»، ثم دارَت وخاضَت في الثُّلوج صوب القاعة الكُبرى، وأسرعَت ويلو وميرتل في أعقابها ومعاطفهن تُرَفرِف بقوَّةٍ في الرِّيح.

فكَّر ثيون جرايچوي: *جنون مطبق*. بدا الهروب مستبعَدًا في وجود نسوة إيبل السِّت دُفعةً واحدةً، والآن في وجود اثنتين فقط يبدو مستحيلًا. لكنهم تمادوا كثيرًا بالفعل ولا يستطيعون إعادة الفتاة إلى غُرفة نومها متظاهرين بأن شيئًا لم يكن، وهكذا بدلًا من ذلك أمسكَ چين من ذراعها وجذبَها عبر الممرِّ المفضي إلى (بوَّابة الشُّرفات). *نِصف بوَّابةٍ فقط. حتى إذا تركَنا الحَرس نمرُّ فلا سبيل لاجتياز السُّور الخارجي*. في ليالٍ أخرى سمحَ الحَرس لثيون بالمرور، لكنه كان بمفرده كلَّ مرَّة، أمَّا في صُحبة ثلاث خادماتٍ فلن يمرَّ بالسُّهولة نفسها، وإذا نظرَ الحَرس تحت قلنسوة چين وتعرَّفوا عروس اللورد رامزي...

انعطفَ الممرُّ يسارًا، وهناك أمامهم، خلف ستارٍ من الثَّلج السَّاقط، تَفغُر (بوَّابة الشُّرفات) فاها بين زوجين من الحُرَّاس يُشبِهان الدِّببة بما يرتديان من صوفٍ وفروٍ وجِلد، ويُمسِك كلٌّ منهما حربةً طولها ثمانية أقدام. نادى أحدهما: «مَن هناك؟»، فلم يتعرَّف ثيون الصَّوت. معظم ملامح الرَّجل يُخفيها الوشاح المحيط بوجهه، ولا يظهر منه إلَّا العينان. «ريك، أهذا أنت؟».

كانت نيَّته أن يقول: *نعم*، لكنه سمعَ نفسه يردُّ: «ثيون جرايچوي. لقد... لقد جلبتُ لكما بعض النِّساء».

قالت هولي: «مؤكَّد أنكما متجمِّدان أيها المسكينان. دَعني أدفِّئك»، وتجاوزَت رأس حربة الرَّجل ومدَّت يدها إلى وجهه خالعةً الوشاح شِبه المتجمِّد لتطبع قُبلةً على فمه، وإذ تماسَّت شفاههما انغرسَ نصل سكِّينها في لحم عُنقه تحت أُذنه مباشرةً. رأى ثيون عينَي الرَّجل تتَّسعان، ودمًا على شفتَي هولي عندما تراجعَت، ودمه يَقطُر من فمه وهو يَسقُط.

كان الحارس الثَّاني لا يزال يُحَملِق بارتباكٍ حين أطبقَت فرينيا على قناة حربته. تصارعا لحظةً إلى أن انتزعَت المرأة السِّلاح من قبضته وضربَته بالكعب على صُدغه، وبينما تراجعَ إلى الوراء متعثِّرًا دوَّرت الحربة وأغمدَت رأسها في بطنه مطلقةً صوتًا كقباع الخنازير.

وأطلقَت چين پوول صرخةً حادَّةً مدوِّيةً.

قالت هولي: «أوه، تبًّا. مؤكَّد أن الرُّكَّع سيأتون حالًا. اركُضوا!».

وضعَ ثيون يدًا على فم چين والأخرى على خصرها وسحبَها متجاوزًا الحارس الميت والحارس المحتضر واجتازَ بها البوَّابة ثم الخندق المتجلِّد. وربما كانت الآلهة القديمة ما زالَت تَحرُسهم، إذ وجدوا الجسر المتحرِّك منزَلًا للسَّماح للمدافعين عن (وينترفل) بعبورٍ أسرع إلى الشُّرفات الخارجيَّة ومنها. من ورائهم سمعوا إنذارًا وخُطوات أقدامٍ تعدو، ثم نفخةً في بوقٍ من متاريس السُّور الدَّاخلي.

وعلى الجسر المتحرِّك توقَّفت فرينيا ودارَت قائلةً: «اذهبوا. سأصدُّ الرُّكَّع هنا».

كان ثيون يترنَّح لدى بلوغهم قدم السَّلالم. ألقى الفتاة على كتفه وبدأ يتسلَّق، وكانت چين قد كفَّت عن المقاومة، بالإضافة إلى حجمها الصَّغير... لكن السَّلالم زلقة من الجليد تحت الثَّلج النَّاعم كالمسحوق، وفي منتصَف الطَّريق إلى أعلى زلَّت قدمه وهوى بقوَّةٍ على رُكبته. اجتاحَه ألم بليغ كادَ يجعله يُسقِط الفتاة، ولنِصف لحظةٍ خشيَ أنه بلغَ آخِر المشوار، إلَّا أن هولي ساعدَته على النُّهوض، وتعاونَ الاثنان على الصُّعود بچين إلى الشُّرفة أخيرًا.

بينما استندَ ثيون إلى شُرَّافةٍ لاهثًا ترامى إلى مسامعه الصِّياح من أسفل، حيث تُقاتِل فرينيا نِصف دستةٍ من الحَرس في الثَّلج. زعقَ في هولي: «مِن أين؟ أين نذهب الآن؟ كيف نَخرُج؟!».

تحوَّلت الثَّورة على وجه هولي إلى رُعب، وقالت: «أوه، فلتحلَّ بي اللَّعنة. الحبل»، وأطلقَت ضحكةً كالمخابيل مضيفةً: «الحبل مع فرينيا!». ثم إنها أنَّت وأمسكَت بطنها حيث نبتَ سهم من معدتها، وحين أطبقَت عليه بيديها تسرَّب الدَّم من بين أصابعها. «رُكِّع على السُّور الدَّاخلي...». قالتها وشهقَت قبل أن يظهر سهم آخَر بين ثدييها. مدَّت هولي يدها إلى أقرب شُرَّافةٍ وسقطَت، ودفنَها الثَّلج الذي أسقطَته بصوتٍ مكتوم.

ارتفعَ الصِّياح من يسارهما، وحدَّقت چين پوول إلى هولي بالأسفل إذ اصطبغَ الدِّثار الثَّلجي الذي يُغطِّيها بالحُمرة. علمَ ثيون أن رامي النُّشَّابيَّة يُعيد التَّلقيم بالفعل، ونظرَ إلى يمينه لكنه رأى رجالًا قادمين من هذا الاتِّجاه أيضًا، يهرعون نحوهما شاهرين السُّيوف.

بعيدًا إلى الشَّمال سمعَ بوقًا حربيًّا، ففكَّر بضراوة: *ستانيس، ستانيس أملنا الوحيد إن استطعنا بلوغه*. كانت الرِّيح تعوي، وهو والفتاة بين شِقَّي الرَّحى.

رنَّ وتر النُّشَّابيَّة، ومرَّ السَّهم على بُعد قدمٍ واحدٍ منه محطِّمًا قشرة الثَّلج التي تسدُّ أقرب ثُلمة.

لا أثر لإيبل أو روان أو السِّنجابة أو الأخريات. هو والفتاة وحدهما. *إذا قبضوا علينا حيَّين فسيأخذوننا إلى رامزي*.

وأمسكَ ثيون چين من خصرها وقفزَ.

زُرقة السَّماء معدومة الزَّحمة، بلا سحابةٍ واحدة على مدى البصر. *سرعان ما ستلفح الشَّمس القرميد بلهيبها، وعلى الرِّمال سيَشعُر المُقاتلون بالحرارة تنفذ من نعال صنادلهم.*

خلعَت چيكوي معطف النَّوم الحرير عن كتفَي داني، وساعدَتها إيري على النُّزول إلى بِركة الاستحمام، حيث يتلألأ ضوء الشَّمس المشرقة على صفحة المياه، يتخللهُ ظلُّ شجرة التِّين الكاكي. بينما تغسل شَعرها سألَت ميسانداي الملكة: «إذا كان فتح الحلبات حتميًّا فهل يجب أن تذهب صاحِبة الجلالة بنفسها؟».

- «نِصف أهل (ميرين) سيكونون هناك لرؤيتي يا ذات القلب الرَّقيق».

قالت ميسانداي: «جلالة الملكة، هذه الواحدة تلتمس الإذن في أن تقول إن نِصف أهل (ميرين) سيكونون هناك لمشاهدة المُقاتلين ينزفون ويموتون».

ليست مخطئةً، لكن لا يهمُّ.

عندما نظفَت داني تمامًا بعد قليلٍ نهضَت ناثرةً الماء بنعومةٍ ليسيل على ساقيها ويلتمع كحبَّات الخرز على ثدييها. الشَّمس ترتفع في السَّماء بالفعل، ولن يطول الوقت قبل أن يحتشِد قومها. تُؤثِر حقًّا لو بقيَت تسبح في البِركة العطِرة طوال النَّهار، تأكل الفواكه المثلَّجة من أطباقٍ فضَّة وتَحلُم بمنزلٍ بابه أحمر، لكن الملكة تنتمي إلى شعبها لا إلى نفسها.

جلبَت چيكوي منشفةً ناعمةً تُجفِّفها بها، وسألَتها إيري: «گاليسي، أيُّ توكار تُريدين اليوم؟».

- «الحريري الأصفر». لا يُمكن أن تُرى ملكة الأرانب دون أُذنيها الرَّخوتين. التوكار الحرير الأصفر خفيف فاتر، والحرارة ستكون صاليةً في الحلبة. *ستحرق الرِّمال الحمراء نعال مَن يُشارِفون حتفهم.* «وفوقه البُرقع الأحمر الطَّويل». سيحول البُرقع دون أن تذرو الرِّياح الرَّمل في فمها. *والأحمر سيُخفي الدِّماء المنثورة.*

فيما مشَّطت چيكوي شَعر الملكة وطلَت إيري أظفارها انهمكَتا في ثرثرةٍ سعيدة عن مباريات اليوم، وعادَت ميسانداي قائلةً: «صاحِبة الجلالة، الملك يَطلُب منكِ الانضمام إليه بعدما ترتدين ثيابكِ. والأمير كوينتن أتى مع رجليه الدورنيَّيْن. يستأذِنون في الكلام معكِ بعد رضاكِ».

قليل اليوم سيُرضيني. «يومًا آخَر».

انتظرَهم السير باريستان في قاعدة (الهرم الأكبر) إلى جوار هودجٍ مفتوح منمَّق الزَّخارف يُحيط به رجال الوحوش النُّحاس. جدِّي *الفارس.* على الرغم من سِنِّه المتقدِّمة يبدو وسيمًا مشدود القامة في الدِّرع التي أهدَتها إليه. بينما ذهبَ هيزدار يُحيِّي ابن عمِّه قال الفارس العجوز: «كان ليُريحني أكثر أن يُحيط بكِ حَرس من المُطهَّرين اليوم يا جلالة الملكة. نِصف هؤلاء الوحوش النُّحاس معتَقون لم يُختبَروا»، وأحجمَ عن إضافة: *والنِّصف الآخَر ميرينيزيُّون مشكوك في ولائهم.* يرتاب سلمي في الميرينيزيِّين أجمع، بمَن فيهم الرُّؤوس الحليقة.

- «وسيبقون بلا اختبارٍ إلى أن نختبرهم».

- «الأقنعة تُخفي أشياء كثيرة يا صاحِبة الجلالة. هذا الرَّجل وراء قناع البومة، أهو البومة نفسها التي حرسَتك أمس وأول من أمس؟ كيف نعلم؟».

قالت داني: «كيف تثق (ميرين) بالوحوش النُّحاس إذا لم أثقْ بهم؟ هناك رجال صالحون شُجعان تحت هذه الأقنعة. إنني أضعُ حياتي في أيديهم»، وابتسمَت له مردفةً: «تقلق كثيرًا أيها الفارس. أنت ستكون إلى جواري، فما حاجتي إلى حمايةٍ أخرى؟».

- «أنا رجل عجوز واحد يا جلالة الملكة».

- «بِلواس القوي سيكون معي أيضًا».

قال السير باريستان: «كما تقولين»، وخفضَ نبرته مستطردًا: «جلالة الملكة، لقد أفرَجنا عن تلك المرأة ميريس كما أمرتِ. قبل ذهابها طلبَت أن تتكلَّم معكِ، لكنني قابلتها بنفسي. ادَّعت أن المسمَّى أمير الأسمال كان ينوي أن ينشقَّ بالمذروِّين ويُؤازِر قضيَّتكِ من البداية، إنه أرسلَها إلى هنا لتتعامَل معكِ سرًّا، لكن الدورنيِّين خانوهم وفضحوهم قبل أن تُحاوِل التَّواصُل معكِ بنفسها».

فكَّرت الملكة بإرهاق: *خيانة على خيانة. أما لها من آخِر؟* «كم من هذا تُصدِّق أيها الفارس؟».

- «أقل القليل يا صاحِبة الجلالة، لكن هذا كلامها».

- «هل سينقلبون إلينا إذا دعَت الحاجة؟».

- «تقول إنهم سيفعلون، لكن مقابل ثَمن».

- «ادفعه». (ميرين) محتاجة إلى الحديد وليس الذَّهب.

- «أمير الأسمال سيُريد ما هو أكثر من المال يا جلالة الملكة. ميريس تقول إنه يُريد (پنتوس)».

زرَّت عينيها قائلةً: «(پنتوس)؟ وكيف أعطيه (پنتوس)؟ إن بيننا وبينها نِصف العالم».

- «تلك المرأة ميريس لمَّحت إلى أنه مستعدٌّ للانتظار حتى نبدأ الرِّحلة إلى (وستروس)».

وإذا لم أرحل إلى (وستروس) أبدًا؟ «(پنتوس) تنتمي إلى الپنتوشيِّين، والماچستر إليريو في (پنتوس)، الرَّجل الذي رتَّب زواجي بالكال دروجو وأهدى إليَّ بيضات التَّنانين، الذي أرسلَك إليَّ أنت وبِلواس وجروليو. إنني مدينة له بالكثير، وقطعًا لن أردَّ ذلك الدَّين بإعطاء مدينته لمرتزِق. لا».

حنى السير باريستان رأسه، وقال: «صاحِبة الجلالة حكيمة».

حين عادَت تنضمُّ إليه سألَها هيزدار: «أشهدتِ مثيلًا لهذا النَّهار الميمون من قبل يا حبيبتي؟»، وساعدَ داني على ركوب الهودج، حيث يستقرُّ عرشان طويلان جنبًا إلى جنب.

- «ميمون بالنِّسبة إليك ربما، وليس بالنِّسبة إلى من سيُدرِكهم الموت قبل أن تَغرُب الشَّمس».

قال هيزدار: «كلُّ البَشر يُدرِكهم الموت، لكن ليس مصيرهم جميعًا أن يموتوا ميتةً مجيدةً وهتافات المدينة ترنُّ في آذانهم»، ورفعَ يده للجنود على الباب قائلًا: «افتحوا».

السَّاحة المقابلة لهرمها معبَّدة بالقرميد متعدِّد الألوان، وقد ارتفعَت منه الحرارة في موجاتٍ برَّاقة. أعداد النَّاس غفيرة، بعضهم يركب النقَّالات أو الكراسي المحمولة وبعضهم يركب الحمير، وأكثرهم يمشي، يمضي تسعة من كلِّ عشرةٍ منهم غربًا في الطَّريق القرميدي العريض نحو (حلبة دازناك). عندما لمحوا الهودج يَخرُج من الهرم رفعَ أقربهم عقائرهم بهتافٍ سرعان ما استشرى في أرجاء السَّاحة. *عجبًا! يُهلِّلون لي في السَّاحة نفسها التي خوزقتُ فيها مئةً وثلاثةً وستِّين من الأسياد العظام.*

قادَت طبلة عظيمة الموكب الملكي لإخلاء الطَّريق عبر الشَّوارع، وبين كلِّ دقَّتين زعقَ حاجب من الرُّؤوس الحليقة يرتدي قميصًا من الأقراص النُّحاس المصقولة آمرًا المتزاحمين بإفساح الطَّريق. بووم. «إنهما قادمان!». بووم. «أفسِحوا الطَّريق!». بووم. «الملكة!». بووم. «الملك!». بووم. وراء الطَّبلة مضى رجال الوحوش النُّحاس أربعةً أربعةً، يحمل بعضهم الهراوات وبعضهم النَّبابيت، وينتعلون جميعًا الصَّنادل الجِلد ويرتدون التَّنانير ذات الثَّنيات والمعاطف المفصَّلة من مربَّعات القُماش مختلفة الألوان لمحاكاة قرميد (ميرين)، وتتألَّق أقنعتهم في الشَّمس؛ خنازير برِّيَّة وثيران، وصقور وبَلَشونات، وأُسود ونمور ودببة، وبازيليسقات[62] بشعة الخلقة وحيَّات مشقوقة الألسنة.

لا يحبُّ بِلواس القوي الخيول، ولذا سارَ أمامهما بصُدرته المطعَّمة بالحديد وبطنه البنِّي النَّديب يترجرَج مع كلِّ خُطوة، وتبعَتهما چيكوي وإيري مع آجو وراگارو، ثم رزناك على كُرسيٍّ محمول مزخرَف مزوَّد بمظلَّةٍ تقيه من أشعَّة الشَّمس. إلى جانب داني ركبَ السير باريستان سلمي بدرعٍ تَبرُق في الشَّمس، ينسدل من على كتفيه معطف طويل مبيَّض حتى صارَ ببياض العظم، وعلى ساعِده الأيسر تُرس أبيض كبير، وعلى مسافةٍ أبعد وراءهم ركبَ الأمير الدورني كوينتن مارتل ورفيقاه.

مضى الموكب ببُطءٍ في الشَّارع القرميدي الكبير. بووم. «إنهما قادمان!». بووم. «ملكتنا وملكنا!». بووم. «أفسِحوا الطَّريق!».

تناهى إلى أذنَي داني نقاش وصيفتيها من ورائها وجدلهما حول الفائز في المباراة الأخيرة. تتحيَّز چيكوي إلى العملاق المسمَّى جوجهور الجبَّار الذي يبدو أقرب إلى ثورٍ من رجل، بما في ذلك الحلقة البرونز في أنفه، وتجزم إيري بأن مِدراس[(63)] بيلاكو كاسِر العظام سيفتك فتكًا بالجبَّار. *وصيفتاي من الدوثراكي. الموت يركب مع كلِّ گالاسار.* يوم زواجها بالگال دروجو ومضَت الأراخات في احتفال زفافها وماتَ بعضهم فيما شربَ آخَرون وتجامَعوا. يمشي الموت والحياة جنبًا إلى جنب بين سادة الخيول، الذين يعتقدون أن رشَّةً من الدَّم تُبارِك الزَّواج. قريبًا ستغمر الدِّماء زيجتها الجديدة، ولكم ستكون مباركةً.

بووم بووم بووم بووم بووم. تسارعَت دقَّات الطَّبلة وقد انتابها فجأةً الغضب والتَّبرُّم، وامتشقَ السير باريستان سيفه إذ توقَّف الموكب دون سابق إنذارٍ بين هرم پال الوردي والأبيض وهرم ناكان الأخضر والأسود.

التفتَت داني متسائلةً: «لماذا توقَّفنا؟».

نهضَ هيزدار قائلًا: «الطَّريق مسدود».

في الشَّارع بالعرض أمامهم هودج مقلوب، سقطَ أحد حامليه على القرميد مغشيًّا عليه من شدَّة الحرِّ. قالت داني آمرةً: «ساعِدوه. أبعِدوه عن قارعة الطَّريق قبل أن يُداس وأعطوه طعامًا وماءً. الرَّجل يبدو كأنه لم يأكل منذ أسبوعين».

في الشُّرفات كانت وجوه الجيسكاريِّين ظاهرةً تتفرَّج بأعيُنٍ باردة لا لمحة فيها للتَّعاطُف. تلفَّت السير باريستان بتوتُّرٍ يمينًا وشِمالًا، وقال: «جلالة الملكة، هذه الوقفة لا تُعجِبني. قد يكون هذا فخًّا ما. أبناء الهارپي...».

قاطعَه هيزدار زو لوراك: «... رُوِّضوا. لِمَ قد يبتغون أذيَّة مليكتي بعد أن اتَّخذتني ملكًا وزوجًا؟ والآن ساعِد هذا الرَّجل كما أمرَت مليكتي الجميلة»، وأمسكَ يد داني وابتسمَ.

لبَّى الوحوش النُّحاس الأمر، وفيما شاهدَتهم داني يُؤدُّون التَّكليف قالت: «هؤلاء الحاملون كانوا عبيدًا قبل مجيئي. لقد حرَّرتهم، لكن وزن هذا الهودج لم يخفَّ».

قال هيزدار: «حقيقي، لكن هؤلاء الرِّجال يتلقَّون أجرًا نظير حمله الآن. قبل مجيئكِ كان هذا الرَّجل الذي سقطَ ليجد مُشرفًا واقفًا فوقه يُجرِّد ظَهره من الجِلد بالكُرباج، وبدلًا من ذلك يتلقَّى الإسعاف».

ما يقوله صحيح. رأت الملكة وحشًا نُحاسيًّا بقناع خنزيرٍ برِّي يُقدِّم لحامل الهودج قِربة ماء، وقالت: «أظنُّ أن عليَّ أن أكون ممتنَّةً للانتصارات الصَّغيرة».

- «خُطوة واحدة ثم التَّالية وقريبًا سنَركُض ركضًا. معًا سنُشيِّد (ميرين) جديدةً». كان الشَّارع قد خلا أخيرًا فقال هيزدار: «هل نُواصِل طريقنا؟».

وهل بإمكانها إلَّا الإيماء إيجابًا؟ *خُطوة واحدة ثم التَّالية، ولكن إلى أين أنا ذاهبة؟*

عند بوَّابة (حلبة دازناك) يرتفع مُحاربان برونزيَّان شاهقان مشتبكيْن في قتالٍ مميت، يحمل أحدهما سيفًا والثَّاني فأسًا، وقد صوَّرهما المثَّال في وضعٍ يَقتُل فيه كلاهما الآخَر، فيُكوِّن سلاحاهما وجسداهما قنطرةً بالأعلى.

الفنُّ المميت.

سبقَت لها رؤية حلبات القتال مرَّاتٍ عدَّةً من شُرفتها. ثُرقِّط صغيرتها وجه (ميرين) كبثور الجُدري، وكبيرتها بمثابة قروحٍ نازفة، حمراء متقيِّحة، غير أن ولا واحدة منها تُقارَن بهذه. اصطفَّ بِلواس القوي والسير باريستان حول الملكة والسيِّد زوجها من الجانبين إذ مرَّا من تحت التِّمثالين البرونز ليَخرُجا على قمَّة صحنٍ عظيم من القرميد تُحيط به مدرَّجات هابطة لكلٍّ منها لون مختلف.

قادَها هيزدار زو لوراك إلى أسفل عبر الأسود والأرجواني والأزرق والأخضر والأبيض والأصفر والبُرتقالي إلى الأحمر، حيث يتَّخذ القرميد القرمزي لون رمال الحلبة. حولهما كان الباعة الجائلون يبيعون سجق الكلاب والبصل المشوي والجِراء الأجنَّة على أسياخ، لكن داني لا تحتاج إلى شيءٍ من هذا، فقد ملأ هيزدار مقصورتهما بأباريق النَّبيذ والماء العذب المبرَّديْن، وبالتِّين والتَّمر والشمَّام والرُّمَّان وجوز البقان والفلفل، بالإضافة إلى وعاءٍ كبير من الجراد المحلَّى بالعسل. جأرَ بِلواس: «جراد!»، واختطفَ الوعاء وبدأ يملأ قبضته بالجرادات ويُلقيها في فمه ماضغًا بنهم.

نصحَها هيزدار قائلًا: «الجراد لذيذ للغاية. عليكِ أن تُجرِّبي بعضه يا حبيبتي. إنه مدحرَج في البُهارات قبل تحليته بالعسل، حُلو وحار في آنٍ واحد».

قالت داني: «وهو ما يُفسِّر تعرُّق بِلواس. أعتقدُ أنني سأكتفي بالتِّين والتَّمر».

في النَّاحية الأخرى من الحلبة تجلس ذوات النِّعم في أرديةٍ فضفاضة متعدِّدة الألوان، محتشداتٍ حول جالازا جالار بوقارها المعهود وثوبها الأخضر الذي تنفرد به عن الأخريات. يحتلُّ أسياد (ميرين) العظام المدرَّجات الحمراء والبُرتقاليَّة، وجوه النِّساء مختبئة وراء البراقع وشعور الرِّجال ممشَّطة ومصقولة متَّخذةً أشكال قرونٍ وأيادٍ وأشواك. بدا لها أن أهل هيزدار المنحدرين من سُلالة لوراك العريقة يُفضِّلون التوكارات ذات اللَّونَ الأرجواني والنِّيلجي والبنفسجي الفاتح، في حين يرتدي بنو پال' توكارات مخطَّطةً بالوردي والأبيض. أمَّا مبعوثو (يونكاي) فيرتدون الأصفر فقط، وقد ملأوا المقصورة المجاورة لمقصورة الملك، كلٌّ منهم معه عبيده وخدمه. يزدحم الميرينيزيُّون الأدنى أصلًا في الصُّفوف العُليا على مسافةٍ أبعد من المذابح المزمعة، والمدرَّجات السَّوداء الأرجوانيَّة -الأعلى والأبعد عن الرِّمال- يحتلُّها المعتَقون وغيرهم من العوام. رأت دنيرس المرتزِقة جالسين هناك أيضًا، القادة بين الجنود، ولمحَت وجه بن البنِّي الذَّابل وذا اللِّحية الدَّمويَّة بشَعر وجهه النَّاري وجدائله الطَّويلة.

نهضَ السيِّد زوجها رافعًا يديه، وأعلنَ: «أيها الأسياد العظام! اليوم أتَت مليكتي تُريكم حُبَّها لكم، لشعبها. ببَركتها وإذنها أقدِّمُ لكم الآن فنَّكم المميت. (ميرين)! أسمِعي الملكة دنيرس مقدار حُبِّكِ لها!».

دوَّى الشُّكر من عشرة آلاف حنجرة، ثم عشرين ألفًا، ثم الجميع. لم يهتفوا باسمها الذي يستطيع قلائل منهم نُطقه، وبدلًا من ذلك هتفوا: «*أمَّاه!*» بلُغة (جيس) القديمة الميتة. دقُّوا الأرض بأقدامهم وصفعوا بطونهم مهلِّلين: «*ميسا! ميسا! ميسا!*»، إلى أن بدا كأن هديرهم يُزَلزِل الحلبة بأكملها. تركَت داني الصَّوت يغمرها راغبةً في أن تردَّ عليهم: *لستُ أمَّكم بل أنا أمُّ عبيدكم، أمُّ كلِّ صبيٍّ ماتَ على هذه الرِّمال فيما تحشون أشداقكم بالجراد المعسول*. من ورائها مالَ رزناك يهمس في أذنها: «أتسمعين كم يُحبُّونكِ يا صاحِبة السُّمو؟».

لا، بل يُحبُّون فنَّهم المميت. حين بدأ الهتاف ينحسِر سمحَت لنفسها بالجلوس. مقصورتهم في الظِّلِّ، لكن رأسها يدقُّ رغم ذلك. نادَت: «چيكوي، ماء عذب إذا سمحتِ. حَلقي جافٌّ للغاية».

أخبرَها هيزدار: «سيحظى كراز بشَرف أول قتْلةٍ اليوم. لم يعرف العالم مُقاتلًا أفضل منه قَطُّ».

عقَّب بِلواس بعناد: «بِلواس القوي كان أفضل».

كراز ميرينيزي متواضع النَّسب، رجل فارع القامة يُكلِّل شَعره الأسود المحمر اليابس منتصَف رأسه كمقشَّةٍ خشنة، وخصمه حامل حربةٍ أبنوسي البشرة من (جُزر الصَّيف)، وقد نجحَت الطَّعنات التي سدَّدها إلى كراز في دفعه إلى الفرِّ فترةً، لكن ما إن استطاعَ تجاوُز الحربة والكرَّ على خصمه بسيفه القصير لم يتبقَّ إلَّا المذبحة. بعدها قطعَ كراز قلب الرَّجل الأسود ورفعَه فوق رأسه أحمر يَقطُر دمًا ثم أخذَ منه قضمةً.

شرحَ هيزدار: «كراز يُؤمِن بأن قلوب الرِّجال الشُّجعان تُقوِّيه»، فغمغمَت چيكوي مؤمِّنةً على قوله. ذات مرَّةٍ أكلَت داني قلب فحلٍ لتبثَّ القوَّة في ابنها الجنين... إلَّا أن هذا لم يُنقِذ رييجو حين قتلَته المايجي في رحمها. *ثلاث خياناتٍ ستعرفين. كانت هي الأولى، وچورا الثَّانية، وبن پلوم البنِّي الثَّالثة*. هل اعتزلَتها الخيانة إذن؟

قال هيزدار مسرورًا: «آه، الدَّور على القِطِّ الأرقط. انظُري كيف يتحرَّك يا مليكتي. قصيدة على قدمين».

الخصم الذي وجدَه هيزدار للقصيدة السَّائرة يُماثِل جوجهور طولًا وبِلواس عرضًا، لكنه بطيء الحركة. كانا يتقاتلان على بُعد ستَّة أقدامٍ من مقصورة داني عندما قطعَ القِطُّ الأرقط عُرقوبه، وإذ تداعى الرَّجل على رُكبتيه وضعَ القِطُّ قدمًا على ظَهره ويدًا حول رأسه ونحرَه من الأُذن إلى الأُذن. تشرَّبت الرِّمال الحمراء دمه والرِّيح كلماته الأخيرة، وصرخَت الجماهير استحسانًا.

قال بِلواس: «قتال سيِّئ، ميتة حسنة. بِلواس القوي يكره أن يَصرُخوا». كان قد أتى على الجراد المعسول عن آخِره، وتجشَّأ وأخذَ جرعةً كبيرةً من النَّبيذ.

كارثين شاحبون، رجال سود من (جُزر الصَّيف)، دوثراكي نُحاسيُّو البشرة، تايروشيُّون زُرق اللِّحي، رجال من شعب الحملان، چوجوس نهاي، براڤوسيُّون متجهِّمون، أنصاف بَشرٍ مخطَّطو البشرة من أحراش (سوثوريوس)... من أطراف الأرض أقبَلوا ليموتوا في (حلبة دازناك).

قال هيزدار مومئًا برأسه نحو شاب لايسيني يخفق شَعره الأشقر الطَّويل في الرِّيح: «واعدٌ للغاية هذا يا جميلتي»... لكن خصمه قبضَ على خُصلةٍ من هذا الشَّعر وشدَّ الفتى مخلًّا توازُنه وبقرَ بطنه. في الموت بدا القتيل أصغر مما كان وهو حيٌّ بسيفٍ في يده.

قالت داني: «صبي، مجرَّد صبيٍّ صغير».

ردَّ هيزدار بإصرار: «كان في السَّادسة عشرة، رجلًا بالغًا اختارَ بكامل إرادته الحُرَّة أن يُخاطِر بحياته في سبيل الذَّهب والمجد. لا أطفال يموتون اليوم في (حلبة دازناك) كما قضَت مليكتي الرَّقيقة بحكمتها».

انتصار صغير آخَر. قد لا أستطيعُ أن أجعل قومي صالحين، لكن عليّ على الأقل أن أحاول أن أجعلهم أقل سوءًا. كانت دنيرس لتحظر المباريات بين النِّساء أيضًا، لكن بارسينا ذات الشَّعر الأسود احتجَّت قائلةً إن لها الحقَّ في المخاطرة بحياتها كأيِّ رجل. أرادَت الملكة كذلك أن تمنع الفقرات الهزليَّة التي يتقاتَل فيها المُعاقون والأقزام والمسنَّات بالسَّواطير والمشاعل والمطارق، وكلَّما افتقرَ المتقاتلون إلى البراعة صارَ العرض أطرف، لكن هيزدار قال إن قومه سيُحبُّونها أكثر إذا ضحكَت معهم، وأضافَ إلى حُجَّته أن من دون تلك الفقرات الهزليَّة سيجوع المُعاقون والأقزام والمسنَّات، وهكذا أذعنَت داني.

جرَت العادة في (ميرين) على الحُكم على المجرمين بالقتال في الحلبات، وهو العُرف الذي أجازَت استمراره، ولكن فقط مع جرائم معيَّنة. «فليُجبَر القتَلة والمغتصِبون على القتال، ومَن يصرُّون على العمل في النِّخاسة، أمَّا اللُّصوص والمديونون فلا».

على أن الحيوانات مسموح لها بالقتال. شاهدَت داني فيلًا يفتك بسهولةٍ بقطيعٍ من ستَّة ذئابٍ حمراء، وبعدها واجهَ ثور دُبًّا في معركةٍ دامية انتهَت بكلا الحيوانين مثخنًا بالجراح يُحتضَر. قال هيزدار: «اللَّحم لا يُبدَّد. الجزَّارون يستخدمون الجُثث في عمل يخنةٍ مغذِّية للجائعين. كلُّ مَن يُقدِّم نفسه عند (بوَّابة القدر) ينال وعاءً».

قالت داني: «قانون جيِّد». *وتلك قليلة للغاية عندكم.* «يجب أن نحرص على استمراريَّة هذا التَّقليد».

بعد قتالات الحيوانات دارَت معركة مصغَّرة بين ستَّة رجال على أقدامهم ضد ستَّة خيَّالة، الأولون مسلَّحون بالسُّيوف الطَّويلة والتُّروس، والآخِرون بأراخات الدوثراكي. ارتدى الفُرسان الزَّائفون سُتراتٍ طويلة من الحلقات المعدنيَّة، في حين لم يرتدِ الدوثراكي الزَّائفون دروعًا. في البداية بدا أن التَّفوُّق للخيَّالة إذ دعسوا اثنين من خصومهم وبتروا أُذن ثالث، لكن الفُرسان النَّاجين أقدَموا على مهاجمة الخيول، وواحدًا تِلو الآخَر أسقِطَ الخيَّالة عن متونها وقُتِلوا، وهو ما أثارَ قرف چيكوي البالغ، وقالت: «لم يكن هذا گالاسارًا حقيقيًّا».

قالت داني فيما حُمِلَ القتلى من الحلبة: «أتمنَّى ألَّا يكون مصير هذه الجُثث يخنتك المغذِّية».

ردَّ هيزدار: «الخيول نعم، الرِّجال لا».

قال بِلواس: «لحم الخيل والبصل يُقوِّيان المرء».

تبعَت المعركة الفقرة الهزليَّة الأولى، نزال بين قزمين قدَّمهما أحد الأسياد اليونكيِّين الذين دعاهم هيزدار لحضور المباريات. يمتطي أحدهما كلب صيدٍ والثَّاني خنزيرةً، وقد طُلِيَت درعاهما الخشبيَّتان حديثًا بحيث تحمل إحداهما وعل الغاصِب روبرت باراثيون والأخرى أسد عائلة لانستر الذَّهبي. واضح أن الفقرة معدَّة خصِّيصًا من أجلها. سرعان ما دفعَت طرائفهما بِلواس إلى الضَّحك المدوِّي، ولو أن الابتسامة على شفتَي داني كانت خافتةً مصطنعةً. سقطَ القزم الأحمر من فوق سَرجه وبدأ يُطارِد خنزيرته على الرَّمل، وهرولَ القزم راكب الكلب وراءه ضاربًا مؤخِّرته بسيفٍ خشبي، وحينها قالت: «هذا لطيف وسخيف، ولكن...».

قال هيزدار: «صبرًا يا جميلتي. إنهم على وشك إطلاق الأُسود».

رمقَته دنيرس باستغرابٍ مردِّدةً: «الأُسود؟».

- «ثلاثة. لن يتوقَّعها القزمان».

قالت مقطِّبةً وجهها: «القزمان سيفاهما ودرعاهما خشب. كيف تتوقَّع أن يُقاتِلا أُسودًا؟».

- «برداءة، ولكن قد يُفاجِئانا. على الأرجح سيَصرُخان ويَعدُوان هنا وهناك ويُحاوِلان الخروج من الحلبة. هذا ما يجعل الأمر فُكاهيًّا».

مستهجنةً قالت داني: «لا، إنني أمنعُ هذا».

- «أيتها الملكة الحليمة، لستِ تُريدين أن تُخيِّبي أمل شعبكِ».

- «لقد أقسمت لي أن المُقاتلين رجال بالغون وافَقوا بإرادتهم على المخاطرة بحياتهم في سبيل الذَّهب والشَّرف. هذان القزمان لم يُوافِقا على قتال أُسودٍ بسيفين خشب. ستُوقِف الأمر، وحالًا».

زمَّ الملك فمه، وللحظةٍ خُيِّلَ إلى داني أنها رأت ومضةً من الغضب في هاتين العينين الرَّائقتين، لكن هيزدار قال: «كما تأمرين»، وأشارَ إلى متعهِّد الحلبة الذي هرعَ إليه حاملًا سوطه، وأخبرَه: «لا أُسود».

- «ولا واحد يا صاحِب السُّمو؟ أين اللَّهو في هذا؟».

- «مليكتي قالت كلمتها. لن يُؤذى القزمان».

- «لن يُعجِب هذا الجمهور».

- «أنزِلوا بارسينا إذن. المفترَض أن يُرضيهم هذا».

قال متعهِّد الحلبة: «صاحِب العبادة خير العارفين»، وفرقعَ بسوطه وزعقَ بالأوامر، وسيقَ القزمان إلى الخارج بالكلب والخنزيرة فيما هسهسَ المتفرِّجون معلنين سُخطهم ورشقوهما بالحجارة والفواكه التَّالفة.

ضجَّت الحلبة بالهتاف إذ خرجَت بارسينا ذات الشَّعر الأسود إلى الرِّمال بخُطواتٍ واسعة، ليس على بدنها ملبس إلَّا مئزر قصير وصندل. امرأة سمراء بسيطة القامة هي، تَبلُغ من العُمر الثَّلاثين أو نحوها، وتتحرَّك برشاقة الفهود. قال هيزدار إذ استفحلَ الصَّوت مالئًا الحلبة: «بارسينا محبوبة جدًّا. أشجع امرأةٍ رأيتها في حياتي».

علَّق بِلواس القوي: «قتال الفتيات ليس شَجاعةً. الشَّجاعة قتال بِلواس القوي».

قال هيزدار: «اليوم ستُقاتِل خنزيرًا برِّيًا».

فكَّرت داني: *أجل، لأنك عجزت عن العثور على امرأةٍ تُواجِهها مهما كانت المكافأة سخيَّةً*. «وليس بسيفٍ خشبي على ما يبدو».

الخنزير البرِّي حيوان هائل، أنيابه تُعادِل سواعد الرِّجال طولًا وعيناه صغيرتان يطقُّ منهما شرر الغضب. تساءلَت إن كان الخنزير البرِّي الذي قتلَ روبرت باراثيون قد بدا بهذه الشَّراسة. *مخلوق رهيب وميتة رهيبة*. للحظةٍ أو دونها كادَت تَشعُر بالشَّفقة على الغاصِب.

قال رزناك: «بارسينا حثيثة الحركة جدًّا. ستَرقُص مع الخنزير يا صاحِبة السُّمو وتُشرِّحه حين يدنو منها. سيغرق في دمه قبل أن يَسقُط، سترين».

بدأ القتال كما قال بالضَّبط. انقضَّ الخنزير ودارَت بارسينا إلى الجانب متفاديةً الانقضاضة والتمعَ نصلها فضِّيًا في الشَّمس، وبينما وثبَت بارسينا فوق الحيوان تتفادى انقضاضته الثَّانية قال السير باريستان: «تلزمها حربة. ليست هذه وسيلةً لقتال خنزيرٍ برِّي». تكلَّم كجدٍّ عجوز متذمِّر، تمامًا كما قال داريو دومًا.

لطَّخ الأحمر نصل بارسينا، لكن سرعان ما توقَّف الخنزير. *إنه اذكى من الثِّيران. لن ينقضَّ ثانيةً*. أدركَت داني هذا وأدركَته بارسينا أيضًا، فصاحَت دانيةً من الخنزير بتؤدةٍ ومتقاذفةً سكِّينها بين يديها، ولمَّا تقهقرَ الحيوان شتمَته وهوَت على خطمه بضربةٍ تُحاوِل استفزازه... ونجحَت... وهذه المرَّة تأخَّرت وثبتها لحظةً واحدةً، ومزَّق ناب ساقها اليُسرى من الرُّكبة إلى ملتقى الفخذين.

ارتفعَ أنين من ثلاثين ألف حنجرة، وأمسكَت بارسينا ساقها الممزَّقة مسقطةً سكّينها وحاولَت أن تحجل مبتعدةً، لكن قبل أن تبتعد قدمين انقضَّ عليها الخنزير البرّي من جديد. أشاحَت داني بوجهها، وإذ دوَّت الصَّرخة على الرِّمال سألَت بِلواس: «أكانت هذه شَجاعةً كافيةً؟».

أجابَ الخصيُّ: «قتال الخنازير شَجاعة، لكن الصُّراخ الصَّاخب ليس شَجاعةً. إنه يُؤلِم أُذنَي بِلواس القوي»، وفركَ بطنه المنتفخ الذي تتقاطَع عليه النُّدوب البيضاء القديمة، وأضافَ: «ويُصيب بِلواس القوي بالغثيان أيضًا».

دفنَ الخنزير خطمه في بطن بارسينا وبدأ يقتلع أحشاءها، وكانت الرَّائحة أقوى وأشنع من أن تحتملها الملكة. الحرارة، والذُّباب، وهتاف الجماهير... *لا أستطيعُ التقاط أنفاسي*. رفعَت بُرقعها وتركَته يطير، وخلعَت توكارها أيضًا لتُخَشخِش اللّآلي بخفوتٍ وهي تحلُّ الحرير عن جسدها.

سألَتها إيري: «گاليسي، ماذا تفعلين؟».

- «أخلعُ أُذنَي الرَّخوتين». هرولَت دستة من حاملي الحِراب إلى الرِّمال لإبعاد الخنزير البرِّي عن الجثَّة وإعادته إلى زريبته، ومعهم متعهِّد الحلبة بسوطٍ شائك في يده، وإذ فرقعَ به في وجه الخنزير نهضَت الملكة قائلةً: «سير باريستان، هلّا أعدتني إلى حديقتي؟».

لاحَت الحيرة على هيزدار، وقال: «ما زالَ هناك المزيد، عرض فُكاهي لستِّ نساءٍ عجائز وثلاث مباريات أخرى. بيلاكو وجوجهور!».

أعلنَت إيري: «بيلاكو سيربح. هذا معلوم».

ردَّت چيكوي: «ليس معلومًا. بيلاكو سيموت».

قالت داني: «هذا أو ذاك سيموت، ومَن يعيش سيموت يومًا آخَر. كان هذا خطأً».

على وجه بِلواس البنّي العريض ظهرَت نظرة غثيان، وقال: «بِلواس القوي أكلَ جرادًا أكثر من اللّازم. بِلواس القوي يحتاج إلى حليب».

تجاهلَ هيزدار الخصيّ، وقال: «صاحِبة السُّمو، أهل (ميرين) أتوا للاحتفال بقراننا. لقد سمعتِهم يُهلِّلون لكِ. لا تنبذي حُبَّهم».

- «كان تهليلهم لأُذنَي الرَّخوتين لا لي. خُذني بعيدًا عن هذه المجزرة يا زوجي». تردَّد في أُذنيها قباع الخنزير البرّي وزعيق حاملي الحِراب وفرقعة سوط متعهِّد الحلبة.

- «سيِّدتي الجميلة، لا. ابقي فترةً قصيرةً فقط، شاهِدي العرض الهزلي ومباراةً أخيرةً. أغلِقي عينيكِ، لا أحد سيرى. ستكون أنظارهم على بيلاكو وجوجهور. ليس هذا وقتًا لـ...».

ثم تموَّج ذلك الظِّلُّ على وجهه.

همدَ الهياج والهتاف، انكتمَت عشرات آلاف الأصوات في الحلوق، وارتفعَت كلُّ عينٍ إلى السَّماء.

مسَّت رياح دافئة وجنتَي داني، وفوق صوت خفقان قلبها سمعَت خفقان جناحين. اندفعَ اثنان من حاملي الحِراب سعيًا إلى مهرب، وتجمَّد متعهِّد الحلبة في مكانه، وعادَ الخنزير البرّي ناخرًا إلى جُثمان بارسينا، وفي تلك اللَّحظة تأوَّه بِلواس القوي وتهاوى من مقعده ساقطًا على رُكبتيه.

فوقهم جميعًا دارَ التنِّين الأدهم تحت الشَّمس. حراشفه سوداء، وعيناه وقرناه وعُرفه الفقري[64] أحمر دموي. لطالما كان دروجون أكبر الثَّلاثة حجمًا، وفي البراري أضحى أكبر وأكبر. يمتدُّ جناحاه الأسودان كالسَّبج عشرين قدمًا من أقصاهما إلى أقصاهما، وقد خفقَ بهما مرَّةً إذ طارَ فوق الرِّمال فكان صوتهما كقصف الرَّعد. رفعَ الخنزير البرِّي رأسه قابعًا... وابتلعَه اللَّهب، نار سوداء مجزَّعة بالحُمرة لفحَت حرارتها داني من بُعد ثلاثين قدمًا كاملةً. أطلقَ الحيوان صرخة احتضارٍ وقعها شِبه بَشري، وحطَّ دروجون على الجثَّة وأنشبَ مخالبه في اللَّحم الذي يتصاعَد منه الدُّخان، وإذ شرعَ يأكل لم يُميِّز بين الخنزير وبارسينا.

ولولَ رزناك: «يا للآلهة! إنه يأكلها!»، وغطَّى القهرمان فمه. كان بِلواس القوي يتقيَّأ بصوتٍ صاخب، وترقرقَت نظرة غريبة على وجه هيزدار زو لوراك الشَّاحب الطَّويل، جزء منها خوف، وجزء منها شهوة، وجزء منها انتشاء. لعقَ زوجها شفتيه، ورأت داني بني ڤال يتدفَّقون صاعدين السَّلالم، ممسكين توكاراتهم ومتعثِّرين في أطرافها في غمرة تعجُّلهم الابتعاد. تبعَهم آخَرون تدافعَ بعضهم، لكن الأكثريَّة ظلَّت جالسةً في مقاعدها.

رجل واحد أخذَ على عاتقه أن يكون بطلًا.

كان أحد حاملي الحِراب الذين أُرسِلوا لإعادة الخنزير إلى زريبته. ربما كان ثملًا أو مجنونًا، أو ربما أحبَّ بارسينا ذات الشَّعر الأسود من بعيدٍ وسمعَ همسةً ما عن الصَّغيرة هازيا، أو ربما كان مجرَّد رجلٍ تقليدي يروم أن يُغنِّي عنه الشُّعراء. أيًّا كان فقد انطلقَ كالسَّهم مسدِّدًا حربته، يُبَعثِر الرَّمل الأحمر بنعليه وقد جلجلَ الصِّياح من المقاعد. رفعَ دروجون رأسه والدَّم يَقطُر من أسنانه، ووثبَ البطل على ظَهره وأغمدَ رأس الحربة الحديدي في قاعدة عُنق التنِّين الحرشفي الطَّويل.

وصرخَت داني ودروجون في آنٍ واحد.

ضغطَ البطل على حربته معتمدًا على ثِقله في غرس رأسها أكثر، وقوَّس دروجون جسمه مطلقًا فحيح ألم، وراحَ ذيله يضرب يمينًا ويسارًا. شاهدَت داني رأسه يدور في طرف عُنقه الأُفعواني الطَّويل، ورأت جناحيه الأسودين ينبسطان، ليختلَّ توازُن قاتِل التنِّين ويهوي على الرِّمال، وكان يُحاوِل النُّهوض مجدَّدًا عندما أطبقَت أسنان التنِّين على ساعِده. لم يجد الرَّجل وقتًا إلَّا ليَصرُخ: «**لا!**»، قبل أن ينتزع دروجون الذِّراع من الكتف ويُلقيها جانبًا كما تفعل الكلاب بالقوارض في حلبات الجرذان.(65)

صاحَ هيزدار زو لوراك في حاملي الحِراب الآخَرين: «اقتُلوه! اقتُلوا الوحش!».

قبضَ السير باريستان عليها بإحكامٍ قائلًا: «أشيحي ببصركِ يا جلالة الملكة».

صرخَت داني: «دَعني!»، وتملَّصت من قبضته. بدا لها كأن الزَّمن يتباطأ إذ قفزَت من فوق السُّور، ولمَّا حطَّت في الحلبة فقدَت فردة صندلها، وإذ اندفعَت تعدو شعرَت بالرِّمال ساخنةً خشنةً بين أصابع قدمها. كان السير باريستان يُناديها، وبِلواس القوي ما زالَ يتقيَّأ.

وجدَّت داني خُطاها.

كان حاملو الحِراب يعدون أيضًا، بعضهم صوب التنِّين رافعًا سلاحه وبعضهم بعيدًا عنه ملقيًا سلاحه. على الرَّمل انتفضَ البطل ودماؤه القانية تتدفَّق من جَدعة ذراعه المهلهَلة، وقد ظلَّت حربته مغروسةً في ظَهر دروجون تتأرجَح مع خفقان التنِّين بجناحيه، وتصاعدَ الدُّخان من الجرح. وإذ حاصرَته الحِراب الأخرى نفثَ التنِّين ناره غامرًا رجلين باللَّهب الأسود، وضربَ بذيله جانبًا ليُصيب متعهِّد الحلبة المتسلِّل من ورائه ويَشطُره نِصفين، وحاولَ مهاجم آخَر أن يطعنه في عينه إلى أن أمسكَه التنِّين بين فكَّيه ومزَّق بطنه. كان الميرينيزيُّون يَصرُخون ويلعنون ويندبون.

سمعَت داني أحدًا يَركُض وراءها، وصرخَت: «دروجون! دروجون!».

دارَ رأسه. من بين أسنانه يتصاعَد الدُّخان، ومن دمه أيضًا حيث يَقطُر على الأرض. ضربَ الهواء بجناحيه مرَّةً أخرى مهيِّجًا عاصفةً خانقةً من الرِّمال القرمزيَّة، وتعثَّرت داني ساعلةً في السَّحابة الحمراء السَّاخنة.

وفغرَ التنِّين فاه.

وجدَت الوقت لتقول فقط: «لا». *لا، ليس أنا. ألا تعرفني؟* وانطبقَت الأسنان السَّوداء على بُعد بوصاتٍ معدودة من وجهها. *أراد أن يجتثَّ رأسي.* كان الرَّمل في عينيها، وتعثَّرت في جثَّة متعهِّد الحلبة وسقطَت على رِدفيها.

زأرَ دروجون ليُفعِم الصَّوت الحلبة، وابتلعَتها ريح حامية كالأتون.

امتدَّت رقبة التنِّين الحرشفيَّة الطَّويلة نحوها، ولمَّا فتحَ فمه رأت قطعًا من العظم المكسور واللَّحم المتفحِّم بين أسنانه السُّود.

عيناه صهير. *إنني أنظرُ في الجحيم ولا أجسرُ على إبعاد بصري.* لم يَحدُث قَطُّ من قبل أن تملَّكها مِثل هذا اليقين. *إذا فررتُ منه فسيحرقني ويلتهمني.* في (وستروس) يتكلَّم السِّپتونات عن سبع جحائم وسبع جِنان، لكن (الممالك السَّبع) وآلهتها بعيدة بعيدة. تُرى إذا ماتت داني هنا فهل سيشقُّ إله الدوثراكي الجواد العُشب ويأخذها ويضمُّها إلى گالاساره النَّجمي لتجوب أراضي اللَّيل راكبةً إلى جوار شمسها ونجومها؟ أم سيُرسِل أرباب (جيس) الغاضبون هارپيَّاتهم للاستيلاء على روحها وجرِّها إلى عذاب الجحيم؟ هدرَ دروجون في وجهها مباشرةً، أنفاسه لظى يُقرِّح الجِلد، ومن مكانٍ ما إلى يسارها سمعَت داني السير باريستان سلمي يصيح: «أنا! جرِّبني أنا! هنا! أنا!».

في هُوَّتَي عينَي دروجون الحمراوين رأت داني انعكاسها، ولكم بدَت ضئيلةً، ولكم بدَت ضعيفةً هشَّةً خائفةً. *يجب ألَّا أدعه يرى خوفي*. تحسَّست الرِّمال دافعةً جثَّة متعهِّد الحلبة، ولمسَت أصابعها مقبض سوطه، وأشعرَها مجرَّد لمسه بشيءٍ من الشَّجاعة. كان الجِلد دافئًا حيًّا. عادَ دروجون يزأر بصوتٍ مدوٍّ كادَ يجعلها تُسقِط السَّوط، وعضَّت أسنانه الهواء في وجهها.

وضربَته داني. بكلِّ ما فيها من قوَّةٍ هوَت بالسَّوط صارخةً: «كلَّا!»، فأرجعَ التنِّين رأسه إلى الوراء بحدَّة، وصرخَت هي ثانيةً: «كلَّا! **كلَّا!**»، وخمشَت أطراف السَّوط الشَّائكة خطمه. ارتفعَ دروجون مغطِّيًا إياها بظِلِّ جناحيه، وهوَت داني بالضَّربات جيئةً وذهابًا على بطنه إلى أن بدأت ذراعها تُوجِعها. انثنَت رقبته الأُفعوانيَّة الطَّويلة كقوس الرَّامي، وبهسيسسسسسسسسٍ نفثَ عليها ناره السَّوداء، واندفعَت داني تنحني تحت لسان اللَّهب ملوِّحةً بالسَّوط وزاعقةً: «كلَّا، كلَّا، كلَّا! **انزل!**». جاوبَها بزئيرٍ مفعم بالخوف والثَّورة، مفعم بالألم، وخفقَ جناحاه مرَّةً، مرَّتين...

... وانطوَيا. أطلقَ التنِّين هسيسًا أخيرًا وتمدَّد على بطنه. كان الدَّم الأسود يسيل من جرح الحربة ويَقطُر داخنًا على الرِّمال المحروقة. *إنه النَّار وقد صارَت لحمًا، وكذلك أنا*.

وثبَت دنيرس تارجاريَن على ظَهر التنِّين وقبضَت على الحربة وانتزعَتها، فرأت رأسها شِبه ذائبٍ والحديد متوهِّجًا ملتهبًا كالسَّعير، ثم إنها ألقَتها جانبًا، والتوى دروجون من تحتها وتموَّجت عضلاته إذ استجمعَ قُواه. كان الرَّمل يملأ الهواء بكثافة، وداني عاجزة عن الرُّؤية، عن التَّنفُّس، عن التَّفكير. قرقعَ الجناحان الأسودان كأن الرَّعد يهزم، وفجأةً ألفَت الرِّمال القرمزيَّة تبتعد أسفلها.

بدُوارٍ مباغت أغلقَت داني عينيها، ولمَّا عادَت تفتحهما أبصرَت الميرينيزيِّين بالأسفل من خلال غشاوةٍ من الدَّمع والغُبار، يتدفَّقون على السَّلالم إلى الشَّوارع.

وجدَت الكُرباج في يدها ما زالَ، فضربَت به عُنق دروجون صائحةً: «أعلى!»، وسعَت أصابع يدها الأخرى تتشبَّث بحراشفه. ضربَ جناحا دروجون الأسودان العريضان الهواء، وشعرَت داني بحرارته بين فخذيها، وأحسَّت كأن قلبها على وشك الانفجار، وفكَّرت: *نعم، نعم، الآن، الآن، افعلها، افعلها، خُذني، خُذني، طِر!*

---

(62). البازيليسق مخلوق زاحف أسطوري، يتميَّز بالقُدرة على القتل بسُمِّه الزُّعاف، ويُقال إنه ملك الأفاعي. (المُترجم).

(63). المِدراس أداة يدويَّة قديمة كانت تُستخدَم في درس الحبوب الغلال الصَّغيرة، له مقبض خشبي طويل يربطه شريط من الجِلد بالمِدق، واستُخدِمَ كسلاحٍ أيضًا، مقبضه من المعدن تربطه سلسلة بكُرةٍ شائكة من الحديد. (المُترجم).

(64). قياسًا على تكوينٍ تشريحي مشابه في بعض أنواع الديناصورات، فيُمكن مقاربة هذا المصطلح إلى العُرف الفقري أو الشَّوكي، نسبةً إمَّا إلى العمود الفقري وإمَّا إلى الحبل الشَّوكي، وبما أنه في الغالب تكوين عظمي، فالأرجح أن تكون ترجمته العُرف الفقري. (المُترجم).

(65). حلبة الجرذان منطقة مغلقة توضَع فيها الجرذان لتَقتُلها الكلاب، وكان هذا النَّشاط يُمارَس في أوروبا حتى منعَه البرلمان البريطاني في منتصَف القرن التَّاسع عشر. (المُترجم).

ليس تورموند بليّة العماليق رجلًا طويلًا، لكن الآلهة وهبَت له صدرًا عريضًا وبطنًا عظيمًا. سمّاه مانس رايدر نافخ البوق لقوّة رئتيه، ودأبَ على القول بأن ضحكات تورموند قادرة على إسقاط الثُّلوج من فوق قمم الجبال، وفي ثورته يُذكِّر جُؤاره چون بنهيم الماموث.

في ذلك اليوم جأرَ طويلًا وكثيرًا، هدرَ وزعقَ ودقَّ المائدة بقبضته بعُنفٍ كفأَ إبريقًا وسكبَ ما فيه من ماء. في متناول يده طوال الوقت قرن من البِتع، فيتطايَر البُصاق من فمه حين يُلقي تهديداته محلًّى بالعسل. نعتَ تورموند چون سنو بالرِّعديد الكذَّاب المارِق، وصبَّ عليه لعناته قائلًا إنه راكع ذميم أسود القلب وسارق وغُراب جيف، واتَّهمه بالرَّغبة في نيك الأحرار في أدبارهم. مرَّتين رمى چون بقرن شرابه في رأسه، ولكن بعد أن أفرغَه أولًا، فليس تورموند بالرَّجل الذي يُهدِر بِتعًا ممتازًا. لم يُلقِ چون بالًا لكلِّ هذا، ولم يرفع صوته مرَّةً أو أجابَ التَّهديد بالتَّهديد، إلَّا أنه لم يتنازَل كذلك عمَّا هو أكثر مما جاءَ مستعدًّا لمنحه.

وأخيرًا، بينما استطالَت ظلال الأصيل خارج الخيمة، مدَّ تورموند بليَّة العماليق -المِهذار، نافخ البوق، كاسِر الجليد، قبضة الرَّعد، زوج الدِّببة، ملك البِتع في (البهو القاني)، كليم الآلهة، وأبو الجيوش- يده قائلًا: «اتَّفقنا إذن، ولتمنحني الآلهة المغفرة التي أعلمُ أني لن أنالها من مئة أُم».

صافحَ چون اليد الممدودة وكلمات قَسمه ترنُّ في خاطره. *أنا السَّيف في الظُّلمات، أنا الحارس على الأسوار، أنا النَّار التي تشتعل لتَطرُد البرد، الضَّوء الذي يأتي بالفَجر، النَّفير الذي يُوقِظ النِّيام، الدِّرع التي تقي بِلدان البَشر*. ولنفسه أضافَ مقطعًا جديدًا: *أنا الحارس الذي فتحَ البوَّابات وتركَ العدوَّ يَعبُر منها*. كان ليدفع ثَمنًا باهظًا لقاء أن يعلم يقينًا أن ما يفعله صواب، لكنه قطعَ شوطًا أطول من أن يعود أدراجه، وهكذا قال: «اتَّفقنا».

قبضة تورموند تسحق العظم. لم يتغيَّر هذا فيه. واللِّحية لم تتغيَّر أيضًا، ولو أن الوجه تحت أجمة الشَّعر الأبيض نحلَ إلى حدٍّ كبير، وفي هاتين الوجنتين المتورِّدتين تجاعيد غائرة. قال متفانيًا في محاولة هرس يد چون: «كان يجب أن يَقتُلك مانس حين نالَ الفُرصة. مقابل العصيدة ندفع ذهبًا وصِبيةً... ثمن فادح. ماذا دها الصَّبي اللَّطيف الذي عرفته؟».

جعلوه قائدًا. «سمعتُ أن الصَّفقة التي لا تُرضي كلا الطَّرفين عادلة. ثلاثة أيام؟».

أجابَ تورموند: «إذا عشتُ تلك المُدَّة. سيَبصُق بعض رجالي عليَّ حين يسمعون هذه الشُّروط»، وأفلتَ يد چون مواصلًا: «غِربانك سيشتكون ويتأفَّفون أيضًا إن كنتُ أعرفهم، وأنا أعرفهم. لقد قتلتُ أكثر مما أستطيعُ أن أحصي منكم أيها الملاعين السُّود».

- «الأفضل ألَّا تَذكُر هذا بصوتٍ مسموع عندما تأتي جنوب (الجِدار)».

ضحكَ تورموند صائحًا: «هار!». لم يتغيَّر هذا أيضًا. ما زالَ يضحك كثيرًا وبصخب. «كلام حكيم. لا أريدُ أن يَنقُرني غِربانك حتى الموت»، وربَّت على ظَهر چون قائلًا: «عندما يُصبِح قومي آمنين وراء جِداركم سنتقاسَم القليل من الطَّعام والشَّراب، وحتى ذلك الحين...». خلعَ الهمجي الحلقة المحيطة بذراعه اليُسرى وألقاها لچون، ثم فعلَ المِثل بتوأمتها حول ذراعه اليُمنى، وقال: «الدُّفعة الأولى. ورثتُ هاتين عن أبي وهو عن أبيه، والآن صارَتا لك أيها النَّغل الأسود اللِّص».

حلقتا الذِّراع من الذَّهب القديم الخالص الثَّقيل، منقوشتان بأبجديَّة البَشر الأوائل العتيقة، يضعهما تورموند بليَّة العماليق منذ عرفَه چون، وقد بدوَتا جزءًا منه كلحيته، ولذا أخبرَه: «سيصهرهما البراڤوسيُّون من أجل الذَّهب. يبدو لي هذا عيبًا. ربما عليك الاحتفاظ بهما».

قال تورموند: «لا. لن أترك النَّاس يقولون إن تورموند قبضة الرَّعد جعلَ الأحرار يتخلَّون عن كنوزهم واحتفظَ هو بكنزه»، وأضافَ بابتسامةٍ عريضة: «لكنني سأحتفظُ بالحلقة التي أضعها حول عُضوي. إنها أكبر كثيرًا من هاتين الصَّغيرتين. بالنِّسبة إليك تَصلُح طوقًا للعُنق».

رغمًا عنه ضحكَ چون قائلًا: «أنت لا تتغيَّر أبدًا».

ذابَت الابتسامة على وجه تورموند الكثّلج في الصَّيف، وقال: «أوه، لكنني أتغيَّرُ. إنني لستُ الرَّجل الذي كنته في (البهو القاني). لقد شهدتُ موتًا كثيرًا للغاية، وما هو أسوأ. ابناي...»، وقلبَت الحسرة سحنته إذ أردفَ: «دورموند قُتِلَ في المعركة عند (الجِدار). كان صبيًّا صغيرًا. فعلَها أحد فُرسان ملكك، وغد ما يرتدي الفولاذ الرَّمادي وعلى تُرسه عُثث. رأيتُ الضَّربة، لكن ولدي ماتَ قبل أن أبلغه. وتوروبند... البرد نالَ منه. لطالما كان سقيمًا. في ليلةٍ ماتَ فجأةً. الأسوأ أنه نهضَ بالعينين الزَّرقاوين إياهما قبل أن نعرف أنه ماتَ. اضطررتُ إلى تولِّي أمره بنفسه. كان هذا صعبًا يا چون»، والتمعَت الدُّموع في عينيه وهو يُردِف: «الحقيقة أنه لم يكن يتمتَّع برجولةٍ حقَّة، لكنه كان ولدي الصَّغير ذات يوم، ولقد أحببته».

قال چون واضعًا يده على كتفه: «أنا في غاية الأسف».

- «لماذا؟ لم يكن هذا من صُنعك. على يديك دماء، نعم، مِثلي، لكنها ليست دماءه»، وهزَّ تورموند رأسه مضيفًا: «ما زالَ لي ابنان قويّان».

- «وابنتك...؟».

- «موندا». أعادَ ذِكرها الابتسامة إلى وجه تورموند. «تزوَّجت رايك ذا الحربة الطَّويلة إن كنت تُصدِّق هذا. الفتى عُضوه أكبر من عقله إن طلبت رأيي، لكنه يُحسِن معاملتها. قلتُ له إنني سأقتلعُ عُضوه هذا وأضربه به حتى أدميه إذا آذاها»، ومرَّةً أخرى ربَّت على ظَهر چون بقوَّة، وقال: «حانَ الوقت لتعود. إذا أبقيناك وقتًا أطول فسيحسبون أننا أكلناك».

- «عند الفَجر إذن بعد ثلاثة أيام من الآن. الصِّبية أولًا».

ردَّ تورموند: «سمعتك أول عشر مرّات أيها الغُراب. كان المرء ليحسب أن لا ثقة بيننا»، وبصقَ ثم أردفَ: «الصِّبية أولًا، أجل. الماموثات ستقطع الطَّريق الطَّويل. تأكَّد من أن ينتظروها في (القلعة الشَّرقيَّة)، وسأتأكَّدُ من ألَّا يقع شجار أو تدافُع إلى بوَّابتكم اللَّعينة. سنكون لطافًا منظَّمين، بطّاتٍ صغيرة في طابور، وأنا البطَّة الأُم، هار!».

قادَ تورموند چون إلى خارج خيمته. بالخارج النَّهار صافٍ منقشع الغيوم، وقد عادَت الشَّمس إلى السَّماء بعد أسبوعين من الغياب، وإلى الجنوب يرتفع (الجِدار) أبيض مزرقًّا وضَّاءً. ثمَّة مقولة سمعَها چون من رجال (القلعة السَّوداء) الأكبر سِنًّا. أحيانًا يقولون: *لـ(الجِدار) أمزجة تتبدَّل أكثر من الملك المجنون إيرس*، وأحيانًا يقولون: *لـ(الجِدار) أمزجة تتبدَّل أكثر من امرأة*. في الأنهُر الغائمة يبدو الصَّرح من الصَّخر الأبيض، وفي اللَّيالي غير المقمرة يبدو بسواد الفحم، أمَّا في هذا النَّهار وأشباهه يَبرُق (الجِدار) كبلَّورة سِيتون ويُبرِز ضوء الشَّمس كلَّ شَقٍّ وصدعٍ فيما تتراقَص أقواس قزح المتجلِّدة وتتلاشى وراء تموُّجاتٍ شِبه شفَّافة. في أشباه هذا النَّهار يبدو (الجِدار) جميلًا.

وقفَ ابن تورموند الأكبر عند الخيول يتكلَّم مع ليذرز. اسمه بين الأحرار توريج الطَّويل، ومع أنه يفوق ليذرز طولًا ببوصةٍ على الأكثر فإنه أطول من أبيه بقدمٍ كامل. جلسَ هارث -فتى (بلدة المناجذ) قوي البنية المدعو بالجواد- قُرب النَّار معطيًا الاثنين الآخَريْن ظَهره. هو وليذرو الرَّجلان الوحيدان اللذان جلبَهم چون معه إلى المفاوَضة. كان عدد أكبر من هذا ليُرى كعلامة خوف، ولم يكن عشرون رجلًا آخَر ليصنعوا فرقًا لو كانت نيَّة تورموند سفك الدِّماء. جوست هو الحماية الوحيدة التي يحتاج إليها چون، فالذِّئب الرَّهيب يستطيع اشتمام الأعداء، حتى من يُدارون عداوتهم بالتَّبسُّم.

على أنه وجدَ جوست غائبًا. خلعَ چون قُفَّازًا أسود ووضعَ إصبعين في فمه وصفرَ ونادى: «جوست، إليَّ!».

من أعلى جاءَ صوت جناحين مفاجئ، وطارَ غُداف مورمونت من فرع سَنديانةٍ قديمة ليحطَّ على سَرج چون صائحًا: «*ذُرة، ذُرة، ذُرة!*».

قال چون: «أنت أيضًا تبعتني؟»، ومدَّ يده بنيَّة أن يَطرُد الطَّائر، إلَّا أنه مسَّد ريشه بدلًا من ذلك، ورمقَه الطَّائر بنظرةٍ عليمة وحرَّك رأسه من أعلى إلى أسفل متمتمًا: «*سنو!*». ثم خرجَ جوست من بين شجرتين ومعه ڤال.

يبدوان كأن مكانهما معًا. ترتدي ڤال أبيض على أبيض، سراويلها من الصُّوف الأبيض مدسوسة في حذاءٍ عالي الرَّقبة من الجِلد المبيَّض، ومعطفها فروة دُبٍّ بيضاء مثبَّتة عند الكتف بمشبكٍ على شكل وجه ويروود منحوت، وقميصها أبيض أبازيمه من العظم. أنفاسها بيضاء أيضًا... لكن عينيها زرقاوان، وضفيرتها الطَّويلة بلون عسل النَّحل الدَّاكن، ووجنتاها متورِّدتان من البرد. زمن طويل مرَّ منذ رأى چون سنو منظرًا بهذا الحُسن.

سألَها: «هل تُحاوِلين سرقة ذئبي؟».

- «ولِمَ لا؟ لو حظيَت كلُّ امرأةٍ بذئبٍ رهيب لأحسنَ الرِّجال الأدب، بمَن فيهم الغِربان».

ضحكَ تورموند بليَّة العماليق، وقال: «هار! لا تتراشَق معها بالألفاظ أيها اللورد سنو. إنها أذكى من أمثالك وأمثالي. خيرٌ لك أن تخطفها بسرعةٍ قبل أن يُفيق توريج ويأخذها أولًا».

ماذا قال ذلك الأبله آكسل فلورنت عن ڤال؟ *«الفتاة في سِنِّ الزَّواج، وجميلة الطَّلعة، وَركاها قويَّان وثدياها كبيران، مخلوقة لوضع الأطفال»*. كلُّ هذا صحيح، لكن المرأة الهمجيَّة أكثر من هذا بكثير، وقد برهنَت على هذا بعثورها على تورموند في حين أخفقَ جوَّالة مخضرمون من حَرس اللَّيل. *قد لا تكون أميرةً لكنها تصلُح زوجةً وجيهةً لأيِّ لورد*.

لكن ذلك الجسر احترقَ منذ زمن، وألقى چون المشعل بنفسه. هكذا أعلنَ: «هنيئًا لتوريج بها. لقد حلفتُ يمينًا».

- «لن تُمانِع. أليس كذلك يا فتاة؟».

ربَّتت ڤال على السكِّين العظمي الطَّويل على وَركها قائلةً: «مرحبًا باللورد غُراب إذا أرادَ أن يتسلَّل إلى فِراشي في أيِّ ليلة. ما إن أخصيه سيَسهُل عليه كثيرًا الحفاظ على تلك اليمين».

عادَ تورموند يُدوِّي: «هار! هل سمعت هذا يا توريج؟ ابقَ بعيدًا عنها. إن لي ابنةً ولا أحتاجُ إلى أخرى»، وهزَّ الزَّعيم الهمجي رأسه عائدًا إلى داخل خيمته.

بينما حكَّ چون جوست وراء أُذنه جلبَ توريج حصان ڤال. ما زالَت تركب الحصان الرَّمادي الذي أعطاه لها مولي يوم غادرَت (الجِدار)، الحصان الأشعث النَّحيل الضَّعيف ذا العين الكفيفة، وإذ دارَت به شطر (الجِدار) تساءلَت: «كيف حال الوحش الصَّغير؟».

أجابَها چون ممتطيًا حصانه: «منذ تركتِنا تضاعفَ حجمه مرَّتين وصخبه ثلاثًا. حين يُريد الرِّضاعة يُمكنكِ سماعه من (القلعة الشَّرقيَّة)».

تحرَّكت إلى جواره قائلةً: «حسنٌ... ها قد جلبت لك تورموند كما قلتُ إنني سأفعلُ. والآن ماذا؟ هل أرجعُ إلى زنزانتي القديمة؟».

- «زنزانتكِ القديمة مشغولة. الملكة سيليس اتَّخذت (بُرج الملك) لنفسها. هل تَذكُرين (بُرج هاردين)؟».

- «الذي يبدو على وشك الانهيار؟».

- «هكذا يبدو منذ مئة عام. لقد جهَّزتُ لكِ الطَّابق العُلوي يا سيِّدتي. ستتمتَّعين بمساحةٍ أكبر من (بُرج الملك)، ولكن قد لا تجدين الرَّاحة نفسها هناك. لا أحدَّ سمَّاه (قصر هاردين) من قبل».

- «أختارُ الحرِّيَّة فوق الرَّاحة كلَّ مرَّة».

- «لكِ حرِّيَّة الحركة في القلعة، لكن يُؤسِفني أن أقول إن عليكِ أن تبقي أسيرةً. يُمكنني أن أعدكِ بأنكِ لن تجدي إزعاجًا من زُوَّارٍ غير مرغوبين. رجالي لا رجال الملكة يَحرُسون (بُرج هاردين)، كما أن وَن وَن ينام في الرَّدهة».

- «عملاق يحميني؟ حتى دالا لم تعرف مفخرةً كهذه».

شاهدَهم هَمج تورموند يمرُّون ناظرين من داخل خيامهم المنصوبة تحت الأشجار الجرداء. مقابل كلِّ رجلٍ في سِنِّ القتال رأى چون ثلاث نساءٍ ومِثلهن من الأطفال، مخلوقاتٍ ضاوية الوجوه جوفاء الخدود محملقة الأعيُن. حين قادَ مانس رايدر شعب الأحرار في عُدوانه على (الجِدار) ساقَ تابعوه أمامهم قُطعانًا كبيرةً من الخراف والماعز والخنازير، إلَّا أن الحيوانات الوحيدة التي يراها چون الآن هي الماموثات، ولا شكَّ لديه في أنها كانت لتُذبَح أيضًا لولا جبروت العمالقة، ذلك أن اللَّحم وافر على عظامها.

رأى چون علامات مرضٍ أيضًا، وقد أقلقَه هذا أكثر مما يستطيع التَّعبير. إذا كانت جماعة تورموند جائعةً مريضةً فماذا عن الألوف الذين تبعوا الأُم خُلد إلى (هاردهوم)؟ المفترَض أن يَبلُغهم كوتر پايك قريبًا. *إذا ترفَّقت الرِّيح فقد يكون أسطوله في طريق العودة إلى (القلعة الشَّرقيَّة) بالفعل، ومعه أكبر عددٍ استطاعَ حشره من الأحرار على متون السُّفن.*

سألَته قال: «كيف أبليت مع تورموند؟».

- «سَليني بعد عامٍ من الآن. ما زالَ الجزء الصَّعب ينتظرني، الجزء الذي أقنعُ فيه قومي بأن يأكلوا الوجبة التي طبختها لهم. أخشى أن أحدًا منهم لن يُعجبه الطَّعم».

- «دَعني أساعدك».

- «لقد ساعدتِ بالفعل، جلبتِ إليَّ تورموند».

- «يُمكنني أن أفعل المزيد».

فكَّر چون: *ولِمَ لا؟ إنهم مقتنعون جميعًا بأنها أميرة*. قال تبدو كالأميرات حقًّا وتركب كأنها مولودة على صهوة حصان. *أميرة مُحاربة وليست مجرَّد مخلوقةٍ رقيقة تجلس في بُرجٍ تُصفِّف شَعرها وتنتظر وصول فارسٍ ما يُنقِذها*. قال: «عليَّ إبلاغ الملكة بهذا الاتِّفاق. مرحبًا بكِ إذا أردتِ المجيء معي للقائها، هذا إذا استطعتِ إرغام نفسكِ على الرُّكوع». لن يَصلُح أبدًا أن تُهين ڤال جلالتها قبل أن ينبس هو ببنت شفة.

- «هل لي أن أضحك حين أركعُ؟».

- «لا. ليست هذه لُعبةً. بين شعبينا يجري نهر من الدَّم، نهر قديم عميق أحمر. ستانيس باراثيون من القلائل الذين يُحبِّذون ضمَّ الهَمج إلى البلاد، وأحتاجُ إلى أن تدعم ملكته ما فعلته».

ماتَت ابتسامة ڤال العابثة، وقالت: «لك كلمتي أيها اللورد سنو. سأتصرَّفُ كما يليق بأميرةٍ همجيَّة أمام ملكتك».

كان ليردَّ: *ليست ملكتي. الحقيقة أن خير رحيلها عاجله، وإذا شاءَت الآلهة فستأخذ مليساندرا معها*.

ركبوا بقيَّة الطَّريق تحت مظلَّة الصَّمت وجوست يتواثَب في أعقابهم، وتبعَهم غُداف مورمونت حتى البوَّابة، ثم حلَّق إلى أعلى فيما ترجَّلوا، وتقدَّمهم الجواد حاملًا مشعلًا يُضيء الطَّريق عبر النَّفق الجليدي.

كانت مجموعة صغيرة من الإخوة السُّود في الانتظار عند البوَّابة حين خرجَ چون ورفاقه جنوب (الجِدار)، منهم أولمر ابن (غابة الملوك)، وقد تقدَّم الرَّامي العجوز يتكلَّم نيابةً عن البقيَّة: «بعد إذن سيِّدي، الفِتية يتساءَلون. أهو السَّلام يا سيِّدي أم الدَّم والحديد؟».

أجابَ چون سنو: «السَّلام. بعد ثلاثة أيام من الآن سيقود تورموند بليَّة العماليق قومه عبر (الجِدار)، كأصدقاء لا أعداء، وقد يرفع بعضهم أعدادنا كإخوةٍ أيضًا. سيكون علينا أن نُشعِرهم بالتَّرحيب. والآن عودوا إلى واجباتكم»، وناولَ ساتان زمام حصانه قائلًا: «يجب أن أرى الملكة سيليس». ستعدُّها جلالتها إهانةً إذا لم يذهب إليها في الحال. «وبعدها عندي رسائل سأكتبها. أحضِر ورقًا وريش كتابةٍ ودواةً من حبر المِايسترات الأسود إلى مسكني، ثم استدعِ مارش ويارويك والسِّپتون سلادور وكلايداس». سيكون سلادور شِبه سكران كالمعتاد، وكلايداس بديل رديء لمِايستر حقيقي، لكنهما ما لديه. *إلى أن يرجع سام.* «واستدعِ الشَّماليِّين أيضًا، فلينت ونوري. ليذرز، يُستحسَن أن تحضر أيضًا».

قال ساتان: «هوب يخبز فطائر البصل. هل أطلبُ أن ينضمُّوا إليك على العَشاء؟».

فكَّر چون لحظةً، ثم قال: «لا. اطلُب منهم الانضمام إليَّ على قمَّة (الجِدار) عند الغروب»، والتفتَ إلى ڤال قائلًا: «سيِّدتي، تفضَّلي معي إذا سمحتِ».

قالت بنبرةٍ عابثة: «الغُراب يأمر والأسيرة تُطيع. مؤكَّد أن ملكتك هذه عتيدة إذا كانت سيقان الرِّجال النَّاضجين تتداعى من تحتهم في حضرتها. أكان عليَّ ارتداء الحلقات المعدنيَّة بدلًا من الصُّوف والفرو؟ لقد أعطَتني دالا هذه الثِّياب، ولا أحبُّ أن ألوِّثها بالدَّم».

- «لو كان الكلام يُريق الدَّم لكان عندكِ سبب للخوف. أظنُّ أن ثيابكِ بخيرٍ يا سيِّدتي».

قالت ڤال فيما شقَّا طريقهما إلى (بُرج الملك) في الممرَّات المجروفة حديثًا بين أكوام الثَّلج المتَّسخ: «سمعتُ أن لملكتك لحيةً قاتمةً كثيفةً».

ابتسمَ چون رغم معرفته أنه لا يجب أن يبتسم، وقال: «لها شارب فقط، خفيف للغاية. يُمكنكِ أن تُحصي شُعيراته».

- «يا لخيبة الأمل».

على الرغم من كلِّ كلامها عن الرَّغبة في أن تكون سيِّدة مقرِّها الخاص لا يبدو أن سيليس باراثيون تستعجل هجران سُبل الرَّاحة في (القلعة السَّوداء) إلى ظلال (قلعة اللَّيل). تحتفظ الملكة بحراسةٍ حولها بالطَّبع؛ أربعة رجال على الباب واثنين بالخارج على السَّلالم واثنين بالدَّاخل عند المستوقَد، يقودهم السير پاتريك ابن (جبل الملك) مرتديًا ثيابه الفُرسانيَّة بألوانها البيضاء والزَّرقاء والفضِّيَّة، وتُزيِّن معطفه النُّجوم الخُماسيَّة. عندما قدَّمه چون إلى ڤال جثا الفارس على رُكبته ولثمَ قُفَّازها معلنًا: «إنكِ أبرع حُسنًا مما قيلَ لي أيتها الأميرة. جلالة الملكة أخبرَتني بالكثير عن جَمالكِ».

ردَّت ڤال: «غريب، مع أنها لم ترَني قَطُّ»، وربَّتت على رأس السير پاتريك مردفةً كأنها تُكلِّم كلبًا: «انهض أيها الفارس الرَّاكع، انهض، انهض».

بغاية جهده منعَ چون نفسه من الضَّحك، وبقسماتٍ حجريَّة أخبرَ الفارس بأنهما يَطلُبان المثول أمام الملكة، فأرسلَ السير پاتريك جُنديًّا يصعد السَّلالم ليستعلم إن كانت جلالتها تقبل استقبالهما، لكنه أضافَ بإصرار: «لكن الذِّئب سيبقى هنا».

وهو ما توقَّعه چون، فالذِّئب الرَّهيب يُوتِّر الملكة كما يُوتِّرها وَن وِج وَن دار وَن تقريبًا، وهكذا قال: «چوست، ابقَ».

وجدَ جلالتها جالسةً تحيك عند النَّار فيما يَرقُص مهرِّجها على موسيقى لا يسمعها إلَّاه وترنُّ أجراس الأبقار المعلَّقة من قرون قُبَّعته. لمَّا رأى ذو الوجه المرقَّع چون صاحَ: «الغُراب، الغُراب. تحت البحر الغِربان بيضاء كالثَّلج. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه». كانت الأميرة شيرين متكوِّرةً على نفسها على المقعد المجاور للنَّافذة، وقد رفعَت قلنسوتها تُخفي أغلب آثار الدَّاء الأرمد الذي مسخَ وجهها.

لم يرَ أثرًا لليدي مليساندرا، وهو ما أشعرَه بالامتنان. عاجلًا أو آجلًا سيُواجِه الرَّاهبة الحمراء، لكنه يُفضِّل ألَّا يَحدُث ذلك في حضرة الملكة. ركعَ قائلًا: «صاحِبة الجلالة»، وحذَت ڤال حذوه.

وضعَت الملكة سيليس حياكتها جانبًا، وقالت: «يُمكنكما النُّهوض».

- «بعد إذن صاحِبة الجلالة، هل لي أن أقدِّم الليدي ڤال؟ كانت أختها دالا...».

- «... أمَّ ذلك الرَّضيع المزعج الذي يحرمنا النَّوم ليلًا. أعرفُ مَن هي أيها اللورد سنو»، وتنشَّقت الملكة، وأضافَت: «من حُسن حظِّك أنها عادَت إلينا قبل زوجي الملك وإلَّا لدفعت الثَّمن غاليًا، غاليًا جدًّا».

سألَت شيرين ڤال: «أأنتِ الأميرة الهمجيَّة؟».

- «بعضهم يدعوني بهذا. كانت أختي زوجة مانس رايدر ملك ما وراء الجِدار، لكنها ماتَت وهي تضع ابنه».

أعلنَت شيرين: «أنا أيضًا أميرة، لكنني لم أحظَ بأختٍ قَطُّ. كان لي ابن عم قبل أن يُسافِر. كان نغلًا، لكنني أحببته».

قالت أمُّها: «حقًّا يا شيرين، إنني واثقة بأن حضرة القائد لم يأتِ هنا ليسمع عن أولاد روبرت غير الشَّرعيِّين. ذو الوجه المرقَّع، كُن مهرِّجًا مطيعًا وخُذ الأميرة إلى غُرفتها».

رنَّت أجراس قُبَّعته، ودندنَ المهرِّج: «لنرحل، لنرحل، لنرحل. تعالي معي تحت البحر. لنرحل، لنرحل، لنرحل»، وأخذَ الأميرة الصَّغيرة من يدها وخرجَ بها متوثِّبًا.

قال چون: «جلالة الملكة، قائد شعب الأحرار وافقَ على شروطي».

أومأت الملكة سيليس برأسها إيماءةً متناهية الصِّغر، وقالت: «لطالما كانت رغبة السيِّد زوجي أن يمنح هؤلاء البرابرة مأوًى. ما داموا يُحافِظون على سلام الملك ويُطيعون قوانينه فأهلًا وسهلًا بهم في بلادنا»، وزمَّت شفتيها مضيفةً: «بلغَني أن معهم المزيد من العمالقة».

أجابَتها ڤال: «نحو مئتين يا جلالة الملكة، وأكثر من ثمانين ماموثًا».

ارتعدَت الملكة قائلةً: «مخلوقات رهيبة»، وإن لم يُميِّز چون إن كانت تتكلَّم عن الماموثات أم العمالقة. «ولو أن تلك الحيوانات قد تنفع زوجي في معاركه».

قال چون: «ربما يا جلالة الملكة، لكن الماموثات أكبر من أن تمرَّ من بوَّابتنا».

- «ألا يُمكن توسيع البوَّابة؟».

- «ليس... ليس حكيمًا أن نفعل هذا في رأيي».

تنشَّقت سيليس، وقالت: «كما تقول. لا شكَّ أنك تعرف تلك الأشياء. أين تنوي توطين هؤلاء الهَمج؟ مؤكَّد أن (بلدة المناجذ) لن تسع... كم عددهم؟».

- «أربعة آلاف يا صاحِبة الجلالة. سيُساعِدوننا على إقامة حامياتٍ في قلاعنا المهجورة، وهو ما يُعيننا أكثر على الدِّفاع عن (الجِدار)».

- «ما فهمته أن تلك القلاع أطلال، أماكن موحشة مقفرة باردة، بالكاد أكثر من أكوامٍ من الرُّكام. في (القلعة الشَّرقيَّة) سمعنا كلامًا عن الجرذان والعناكب».

سيكون البرد قد قتلَ العناكب بالفعل، وقد تَصلُح الجرذان مصدرًا مفيدًا للَّحم في الشِّتاء. «كلُّ هذا صحيح يا صاحِبة الجلالة... لكن حتى الأطلال تَصلُح للإيواء نوعًا، وسيقف (الجِدار) بينها وبين (الآخَرين)».

- «أرى أنك فكَّرت مليًّا في الأمر كلِّه أيها اللورد سنو. إنني واثقة بأن الملك ستانيس سيُسَرُّ حين يعود مظفَّرًا من معركته».

بفرض أن يعود من الأصل.

واصلَت الملكة: «طبعًا على الهَمج أولًا الإقرار بستانيس ملكًا وبراهلور إلهًا».

وها نحن أولاء، وجهًا لوجهٍ في الدَّرب الضيِّق. «سامِحيني يا جلالة الملكة، لكن ذلك ليس من الشُّروط التي اتَّفقنا عليها».

قسَت ملامح الملكة إذ قالت: «إهمال جسيم»، واختفى ما كان في نبرتها من لمحةٍ خافتة من الدِّفء في الحال.

أخبرَتها قال: «الأحرار لا يركعون».

ردَّت الملكة: «لا مفرَّ من إركاعهم إذن».

- «افعلي ذلك يا صاحِبة الجلالة وسينهضون ثانيةً مع أول فُرصة، ينهضون شاهرين السِّلاح».

كبسَت الملكة فكَّها وارتجفَ ذقنها ارتجافةً صغيرةً، وقالت: «أنتِ صفيقة. أظنُّ أن هذا هو المتوقَّع من همجيَّة. علينا أن نجد لكِ زوجًا يُعلِّمكِ الأدب»، ونقلَت نظرتها النَّاريَّة إلى چون مردفةً: «لستُ أوافقُ أيها القائد، وكذا لن يُوافِق السيِّد زوجي. لا أستطيعُ أن أمنعك من فتح بوَّابتك كما يعلم كلانا تمام العلم، لكنني أعدك بأنك ستدفع ثَمن قرارك حين يعود الملك من المعركة. قد ترغب في إعادة النَّظر».

ركعَ چون ثانيةً قائلًا: «جلالة الملكة»، وهذه المرَّة لم تحذُ ڤال حذوه. «يُؤسِفني أن أفعالي كدَّرتكِ. لقد فعلتُ ما رأيته الأفضل. هل تأذنين لي في الانصراف؟».

- «نعم، على الفور».

بالخارج، وبعد أن ابتعدا عن رجال الملكة، نفَّست ڤال عن غضبتها قائلةً: «كذبت بشأن لحيتها. على ذقنها شَعر أكثر مما بين ساقَي. والابنة... وجهها...».

- «الدَّاء الأرمد».

- «نُسمِّيه الموت الأرمد».

- «ليس مميتًا دومًا في الأطفال».

- «هو كذلك شمال (الجِدار). الشَّوكران[66] علاج ناجع، لكن وسادةً أو نصلًا يَصلُحان أيضًا. لو كانت هذه الطِّفلة المسكينة ابنتي لمنحتها هديَّة الرَّحمة منذ زمن».

قال چون الذي لم يرَ هذا الجانب من ڤال من قبل قَطُّ: «الأميرة شيرين ابنة الملكة الوحيدة».

- «وا أسفاه على الاثنتين. الطِّفلة ليست نظيفةً».

- «إذا انتصرَ ستانيس في حربه فستُصبِح شيرين وريثة العرش الحديدي».

- «وا أسفاه على (الممالك السَّبع) إذن».

- «المِايسترات يقولون إن الدَّاء الأرمد ليس...».

- «فليُصدِّق المِايسترات ما يُريدون تصديقه. سَل ساحرة غاباتٍ إذا كنت راغبًا في معرفة الحقيقة. الموت الأرمد يَخمُل فترةً، فقط لينشط من جديد. الطِّفلة ليست نظيفةً!».

- «إنها تبدو فتاةً حُلوةً. لسنا نعلم...».

قاطعَته: «أنا أعلمُ، وأنت لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو»، وقبضَت على ذراعه متابعةً: «لا أريدُ الوحش هناك، هو ومُرضعاته. لا يُمكنك أن تَترُكهم في البُرج نفسه مع الفتاة الميتة».

أزاحَ يدها قائلًا: «ليست ميتةً!».

قالت قال: «بل ميتة. أمُّها لا ترى هذا، ولا تراه أنت أيضًا على ما يبدو، لكن الموت هنا»، وابتعدَت عنه، ثم توقَّفت والتفتَت مضيفةً: «لقد جلبتُ لك تورموند بليَّة العماليق، فاجلب لي وحشي».

- «سأفعلُ إذا استطعتُ».

- «افعل. إنك مدين لي يا چون سنو».

راقبَها چون تبتعد بخُطواتٍ واسعة مفكِّرًا: *إنها مخطئة، مؤكَّد انها مخطئة. الدَّاء الأرمد ليس مميتًا كما تدَّعي، ليس في الأطفال.*

كان جوست قد غابَ ثانيةً وانخفضَت الشَّمس في الغرب. كم سينفعني كوب من *النَّبيذ المتبَّل السَّاخن الآن، وكم سينفعني كوبان أكثر*. لكن على الشَّراب أن ينتظر. إن أمامه أعداءً يُواجِههم، أعداءً من أسوأ نوع: إخوته.

وجدَ ليذرز في انتظاره عند القفص، وركبا معًا إلى أعلى. كلَّما ارتفعا اشتدَّت الرِّيح، وعلى ارتفاع خمسين قدمًا بدأ القفص الثَّقيل يتأرجَح مع كلِّ هبَّة، ومن وقتٍ إلى آخَر احتكَّ بـ(الجِدار) بادئًا وابلًا بلَّوريًّا صغيرًا من الجليد يَسقُط متلألئًا في الشَّمس. ارتقَيا فوق أعلى أبراج القلعة، وعلى ارتفاع أربعمئة قدمٍ صارَت للرِّيح أسنان غرسَتها في معطفه الأسود وضربَت به القضبان الحديد بضجيج، وعلى ارتفاع سبعمئة قدمٍ انغرسَت الأسنان في جسده هو، وقال چون لنفسه يُذكِّرها فيما سحبَ عُمَّال الرَّافعة القفص: *(الجِدار) تحت قيادتي... لمُدَّة يومين آخَرين على الأقل*.

وثبَ چون إلى الجليد وشكرَ عُمَّال الرَّافعة وأومأ برأسه لحاملَي الحِراب الواقفيْن حراسةً. يضع كلاهما قلنسوةً من الصُّوف مرفوعةً على رأسه، فلم يرَ شيئًا من وجهيهما إلَّا الأعيُن؛ لكنه تعرَّف تاي عن طريق حبل الشَّعر الأسود الدُّهني المتشابك المنسدل على ظَهره، وأوين عن طريق إصبع الشُّجق المدسوس في الغِمد على وَركه، وربما كان ليتعرَّفهما على كلِّ حالٍ من طريقة وقوفهما. *على اللورد الصَّالح أن يعرف رجاله*. هكذا أخبرَه أبوه وروب ذات مرَّةٍ في (وينترفل).

سارَ إلى حافة (الجِدار) وتطلَّع إلى أرض المقتلة حيث ماتَ جيش مانس رايدر متسائلًا أين مانس الآن. *هل عثرَ عليكِ يا اختي الصَّغيرة أم أنكِ كنتِ مجرَّد حيلةٍ استخدمَها لأطلق سراحه؟*

زمن طويل جدًّا مرَّ منذ رأى آريا. كيف تبدو الآن؟ هل سيتعرَّفها؟ *آريا المُداسة. كان وجهها متَّسخًا دومًا*. أما زالَ معها السَّيف الصَّغير الذي جعلَ ميكن يصنعه لها؟ *اطعنيهم بالطَّرف المدبَّب*. نصيحة سديدة لليلة زفافها إن صحَّ ولو نِصف ما سمعَه عن رامزي بولتون. *أعِدها يا مانس. لقد أنقذتُ ابنك من مليساندرا، والآن أهمُّ بإنقاذ أربعة آلافٍ من شعبك الحُر. إنك مدين لي بهذه الفتاة الصَّغيرة الواحدة*.

في (الغابة المسكونة) إلى الشَّمال تزحف ظلال الأصيل بين الأشجار، وسماء الغرب وهيج أحمر، لكن إلى الشَّرق بدأت باكورة النُّجوم تلوح. ثنى چون أصابع يد سيفه وبسطَها متذكِّرًا كلَّ ما فقدَه. *سام أيها الأحمق البدين الجميل، دُعابة قاسية منك أن نجعلني القائد. القادة لا أصدقاء لهم*.

قال ليذرز: «لورد سنو، القفص يصعد».

ابتعدَ عن الحافة قائلًا: «أسمعه».

أول الصَّاعدين زعيما العشائر فلينت ونوري مرتديَيْن الفرو والحديد. يُشبِه النوري الثَّعلب العجوز، متغضِّن هزيل البنيان لكن ثاقب العينين خفيف الحركة. أمَّا تورجن فلينت فأقصر منه بنِصف رأسٍ لكنه يفوقه وزنًا مرَّتين، رجل غليظ مكتنز يداه كبيرتان حمراوتا المفاصل، ويتَّكئ بشدَّةٍ على عُكَّازٍ من خشب البرقوق إذ تقدَّم يعرج على الجليد. تبعَهما باون مارش ملتحفًا بفروة دُب وبعده أوثيل يارويك ثم السِّپتون سلادور شِبه السَّكران.

قال چون: «سيروا معي»، وساروا غربًا فوق قمَّة (الجِدار) على الطُّرقات المفروشة بالحصى صوب الشَّمس الرَّاحلة، ولمَّا أصبَحوا على بُعد خمسين ياردةً من سقيفة التَّدفئة قال لهم: «تعرفون لِمَ استدعيتكم. بعد ثلاثة أيام من الآن ستُفتَح البوَّابة عند مطلع الفَجر للسَّماح لتورموند وقومه بالمرور من (الجِدار). ثمَّة أشياء كثيرة علينا أن نفعلها استعدادًا».

استُقبِلَ إعلانه بالصَّمت، ثم إن أوثيل يارويك قال: «حضرة القائد، هناك الآلاف من...».

- «... الهَمج العِجاف المرهَقين الجياع البعيدين عن موطنهم»، وأشارَ چون إلى أضواء نيرانهم متبعًا: «ها هُم أولاء، أربعة آلاف طِبقًا لتورموند».

عقَّب باون مارش الذي يهوى الحساب والقياس: «أقدِّرهم بثلاثة آلاف حسب نيرانهم، أكثر من ضِعفَي العدد في (هاردهوم) مع ساحرة الغابات كما قيلَ لنا. والسير دينس كتبَ عن مخيَّماتٍ ضخمة في الجبال بعد (بُرج الظِّلال)...».

لم يُحاوِل چون الإنكار، وقال: «تورموند يقول إن البكَّاء ينوي الهجوم على (جسر الجماجم) ثانيةً».

تحسَّس الرُّمَّانة العجوز ندبته التي أصيبَ بها في أثناء الدِّفاع عن (جسر الجماجم) حين حاولَ الرَّجل الباكي أن يشقَّ طريقه قتالًا إلى (الغور). «مؤكَّد أن حضرة القائد لا ينوي السَّماح لهذا... هذا الشَّيطان بالمرور أيضًا، أليس كذلك؟».

- «ليس بنفسٍ رضيَّة». لم ينسَ چون الرُّؤوس التي تركَها له الرَّجل الباكي بمحاجر دامية حيث كانت أعيُنها. *چاك بولوار الأسود وهال المُشعر وجارث جرايفيذر. ليس بإمكاني أن أقتصَّ بهم، لكنني لن أنسى أسماءهم.* «لكن نعم يا سيِّدي، هو أيضًا. لا يُمكننا أن ننتقي ونصطفي من الأحرار قائلين مَن يمرُّ ومَن يبقى. السَّلام يعني السَّلام للجميع».

تنخَّع النوري وبصق، ثم قال: «كأني بك تُقيم السَّلام مع الذِّئاب وغِربان الجيف».

ودمدمَ فلينت العجوز: «زنازيني محفوفة بالسَّلام. أعطِني الرَّجل الباكي».

سألَ أوثيل يارويك: «كم جوَّالًا قتلَهم البكَّاء؟ كم امرأةً اغتصبَها أو قتلَها أو اختطفَها؟».

قال فلينت العجوز: «فعلَ هذا بثلاثٍ من عائلتي، ومَن لا يأخذهن يُعميهن».

ذكَّرهم چون قائلًا: «عندما يرتدي الرَّجل أسود الحَرس تُغفَر جرائمه. إذا أردنا أن يُقاتِل الأحرار إلى جانبنا فعلينا التَّجاوُز عن جرائمهم السَّابقة مِثلهم مِثل رجالنا».

ردَّ يارويك بإصرار: «لن يحلف البكَّاء اليمين ولن يرتدي المعطف الأسود. الهجَّانة الآخَرون أنفُسهم لا يثقون به».

- «ليس ضروريًّا أن تثق بامرئٍ لتستغلَّه». *وإلَّا فأنَّى لي أن استغلَّكم جميعًا؟* «إننا محتاجون إلى البكَّاء وأمثاله. مَن يعرف البراري أفضل من الهَمج؟ مَن يعرف عدوَّنا أفضل ممَّن قاتَلوه؟».

علَّق يارويك: «البكَّاء لا يعرف إلَّا الاغتصاب والقتل».

قال باون مارش: «حالما يمرُّون من (الجِدار) سيفوقنا الهَمج عددًا ثلاثة إلى واحد، وهذه جماعة تورموند فقط. أضِف رجال البكَّاء ومَن في (هاردهوم) وسيتمتَّعون بالقوَّة الكافية للقضاء على حَرس اللَّيل في ليلةٍ واحدة».

- «الأعداد وحدها لا تربح الحروب. أنتم لم تروهم. نِصفهم أقرب إلى الموت».

قال يارويك: «أوثرُ أن يكونوا موتى بالفعل، بعد إذن سيِّدي».

بصوتٍ بارد كالرِّيح التي تَمضُغ معاطفهم قال چون: «ليس هذا شيئًا آذنُ فيه. هناك أطفال في المخيَّم، مئات منهم، آلاف، ونساء أيضًا».

- «زوجات حِراب».

- «بعضهن، علاوةً على الأمَّهات والجدَّات والأرامل والصَّبايا... أترغب في الحُكم عليهن جميعًا بالموت يا سيِّدي؟».

تدخَّل السِّپتون سلادور قائلًا: «يجب ألَّا يتشاجَر الإخوة. فلنركع ونُصلِّي لـ(العجوز) أن تُنير سبيلنا إلى الحكمة».

قال النوري: «لورد سنو، أين تنوي أن تضع هَمجك هؤلاء؟ ليس في أرضي على ما آملُ».

وأعلنَ فلينت العجوز: «أجل. إذا كنت تُريدهم في (الهديَّة) فهذه حماقتك، لكن اعمل على ألَّا يشردوا هنا أو هناك وإلَّا أرسلتُ إليك رؤوسهم. الشِّتاء قريب، ولستُ أريدُ مزيدًا من الأفواه المحتاجة إلى طعام».

طمأنَهما چون قائلًا: «سيبقى الهَمج على (الجِدار)، معظمهم في قلاعنا المهجورة». لحَرس اللَّيل الآن حاميات في (باب الجليد) و(الرَّابية الطَّويلة) و(بهو السمُّور) و(الحارس الرَّمادي) و(البُحيرة العميقة)، كلُّها يفتقر بشدَّةٍ إلى الأيدي العاملة، لكن قلاعًا عشرًا لا تزال خاليةً مهجورةً. «الرِّجال ذوو الزَّوجات والأطفال، وجميع الأيتام صِبيةً وصبايا دون العاشرة، والنِّساء العجائز والأمَّهات المترمِّلات وكلُّ امرأةٍ لا تُريد أن تُقاتِل. الزَّوجات الحِراب سنُرسِلهن إلى (الرَّابية الطَّويلة) للانضمام إلى أخواتهن، والرِّجال العُزب إلى القلاع الأخرى التي أعدنا فتحها. مَن يرتدون الأسود سيبقون هنا أو يُكلَّفون بالخدمة في (القلعة الشَّرقيَّة) أو (بُرج الظِّلال). سيتَّخذ تورموند (درع البلُّوط) مقرًّا له ليبقى على مقربةٍ منا».

زفرَ باون مارش، وقال: «إذا لم يَقتُلونا بسيوفهم فسيفعلونها بأفواههم. تُرى كيف ينتوي حضرة القائد إطعام تورموند وآلافه؟».

أجابَ چون الذي توقَّع السُّؤال: «عن طريق (القلعة الشَّرقيَّة). سنجلب الطَّعام بالسُّفن، كلَّ ما نحتاج إليه، من أراضي النَّهر وأراضي العواصف و(وادي آرن)، ومن (دورن) و(المرعى) وعبر (البحر الضيِّق) من المُدن الحُرَّة».

- «وسيُدفَع ثَمن هذا الطَّعام... بماذا إذا سمحت لي بالسُّؤال؟».

كان چون ليُجيبه: بذهبٍ من *(المصرف الحديدي)* في *(براڤوس)*، لكنه بدلًا من ذلك قال: «لقد وافقتُ على أن يحتفظ الأحرار بفرائهم وجلودهم، فسيحتاجون إليها للدِّفء حين يأتي الشِّتاء، أمَّا جميع ثرواتهم الأخرى فعليهم التَّنازُل عنها؛ الذَّهب والفضَّة والكهرمان والأحجار الكريمة والمنحوتات، كلُّ ما له قيمة. سنشحن كلَّ هذا عبر (البحر الضيِّق) ليُباع في المُدن الحُرَّة».

قال النوري: «جميع ثروات الهَمج، ما يكفي لأن تشتري سلَّةً من الشَّعير، سلَّتين على الأكثر».

سأَل كلايداس: «حضرة القائد، لِمَ لا نُطالِب الهَمج بتسليم أسلحتهم أيضًا؟».

ضحكَ ليذرز من قوله، وردَّ: «تُريدون أن يُقاتِل الأحرار إلى جواركم ضد العدوِّ المشترك. كيف نفعل هذا دون أسلحة؟ هل نرمي الجُثث الحيَّة بكُرات الثَّلج أم أنكم ستُعطوننا عِصيًّا نضربها بها؟».

أسلحة الهَمج لا تفرق كثيرًا عن العِصي. أسلحتهم هراوات خشبيَّة وفؤوس حجريَّة ومطارق، وحِراب رؤوسها مقوَّاة بالنَّار، وسكاكين من العظم والحجر وزُجاج التنِّين، وتُروس من الخيزران ودروع من العظام، وجِلد مقوَّى بالزَّيت المغلي. يُطرِّق الثِّنِّيون البرونز، ويحمل الهجَّانة أمثال البكَّاء سيوفًا من الفولاذ والحديد مسروقةً من جثَّةٍ أو أخرى... لكن حتى هذه الأسلحة أكثرها عتيق، منبعجة من سنين الاستخدام القاسي ومبقَّعة بالصَّدأ.

قال چون: «تورموند بليّة العماليق لن يُجرِّد قومه من السِّلاح طوعًا أبدًا. إنه ليس الرَّجل الباكي، لكنه ليس جبانًا كذلك. لو طلبتُ ذلك منه لأريقَت الدِّماء»

داعبَ النوري لحيته قائلًا: «يُمكنك أن تضع هَمجك في تلك القلاع المهجورة أيها اللورد سنو، لكن كيف ستُبقيهم هناك؟ ما الذي يمنعهم من الرَّحيل جنوبًا إلى أراضٍ أفضل وأدفأ؟».

أضافَ فلينت العجوز: «أراضينا!».

- «تورموند أقسمَ لي أنه سيخدم معنا حتى الرَّبيع، وهو ما سيُقسِم عليه البكّاء والزُّعماء الآخَرون وإلّا فلن نسمح لهم بالمرور».

قال فلينت العجوز هازًّا رأسه: «سيخونوننا».

وقال أوثيل ياررويك: «كلمة البكّاء بلا قيمة».

وقال السِّپتون سلادور: «إنهم كفرة وحشيُّون. حتى في الجنوب يشتهر الهَمج بخيانتهم».

عقدَ ليذرز ذراعيه على صدره قائلًا: «المعركة التي درات بالأسفل، كنتُ على الجانب الآخَر خلالها، أتَذكُرون هذا؟ والآن أرتدي أسودكم وأدرِّبُ صِبيتكم على القتل. قد يدعونني البعض بالمارِق، وقد يكون هذا صحيحًا... لكنني لستُ أكثر وحشيَّةً منكم أيها الغِربان. إن لنا آلهتنا أيضًا، الآلهة نفسها التي يَعبُدونها في (وينترفل)».

قال چون: «آلهة الشَّمال المعبودة من قبل أن يُشيَّد هذا (الجِدار)، هذه هي الآلهة التي أقسمَ بها تورموند. سيصون كلمته. إنني أعرفه كما عرفتُ مانس رايدر. لقد زحفتُ معهم فترةً إن كنتم تَذكُرون».

أجابَ قيِّم الوُكلاء: «لم أنسَ».

نعم، لم أظنَّك نسيت.

واصلَ مارش: «مانس رايدر أقسمَ أيضًا، أقسمَ ألَّا يعتمر تاجًا أو يتَّخذ زوجةً أو يُنجِب أولادًا، ثم إنه انقلبَ وفعلَ كلَّ هذه الأشياء وقادَ جيشًا عرمرم ضد البلاد. فلول هذا الجيش هي المنتظرة وراء (الجِدار)».

- «فلول مكسورة».

- «السَّيف المكسور قابل للإصلاح، السَّيف المكسور يَقتُل».

- «ليس عند الأحرار لوردات أو قوانين، لكنهم يُحبُّون أطفالهم. هل تقرُّ بهذا القدر على الأقل؟».

- «ليس أطفالهم مَن يُقلِقونني. إننا نخشى الآباء لا الأبناء».

- «وأنا أيضًا، ولذا أصررتُ على رهائن». *لستُ أحمق نزَّاعًا إلى الثِّقة كما تحسبونني... ولا نِصف همجي بغضِّ النَّظر عمَّا نعتقدونه.* «مئة صبيٍّ بين سِنَّي الثَّامنة والسَّادسة عشرة، ابن من كلٍّ من زُعمائهم وقادتهم، والبقيَّة سيُختارون بالاقتراع. سيخدم الصِّبية كوُصفاء ومُرافقين، وهو ما يُخوِّل لرجالنا حرِّيَّة القيام بواجباتٍ أخرى. قد يختار بعضهم الانضمام إلينا يومًا ما. أشياء أغرب حدثَت. الباقون سيظلُّون رهائن لضمان ولاء آبائهم».

تبادلَ الشَّماليَّان نظرةً، ثم قال النوري متأمِّلًا: «رهائن؟ تورموند وافقَ على هذا؟».

كان إمَّا هذا وإمَّا يُشاهِد قومه يهلكون. قال چون سنو: «سمَّاه ثَمني الدَّموي، لكنه سيدفعه».

قال فلينت: «أجل، ولِمَ لا؟»، ودقَّ الجليد بعُكَّازه متابعًا: «لطالما دعوناهم بالأرِبَّاء حين كانت (وينترفل) تُطالِبنا بصِبية، لكنهم كانوا رهائن، ولم يُصِبهم سوء».

قال النوري: «باستثناء من أغضبَ أسلافهم ملوك الشِّتاء. هؤلاء عادوا ناقصين رأسًا. أخبِرني إذن يا ولد... إذا أثبتَ أصدقاؤك الهَمج غدرهم فهل تتحلّى بالشَّجاعة لفِعل ما يجب فِعله؟».

سَل چانوس سلينت. «تورموند بليَّة العماليق أعقل من أن يختبرني. قد أبدو صبيًّا أخضر في نظرك أيها اللورد نوري، لكنني ما زلتُ ابن إدارد ستارك».

لكن حتى هذا لم يُرضِ قيِّم الوكلاء، الذي قال: «تقول إن هؤلاء الصِّبية سيخدمون كمُرافقين. مؤكَّد أن حضرة القائد لا يعني أنهم سيُدرَّبون على القتال».

ردَّ چون وقد اتَّقدت غضبته: «لا يا سيِّدي، بل أنوي أن أكلِّفهم بخياطة الثِّياب الدَّاخليَّة الحرير. بالطَّبع سيُدرَّبون على السِّلاح، وسيمخضون الزُّبدة أيضًا ويقطعون الحطب ويُنظِّفون الاسطبلات ويُفرِغون أوعية الفضلات وينقلون الرَّسائل... وبين هذه الواجبات سيُدرَّبون على الحربة والسَّيف والقوس الطَّويل».

احتقنَ وجه مارش بدرجةٍ أقنى من الأحمر، وقال: «أرجو أن يغفر القائد فظاظتي، لكني لا أملكُ أسلوبًا أرفق أقولُ به هذا. ما تقترحه ليس أقل من خيانة. طوال ثمانية آلاف عامٍ وقفَ رجال حَرس اللَّيل على (الجِدار) وحارَبوا هؤلاء الهَمج، والآن تنتوي السَّماح لهم بالمرور، بإيوائهم في قلاعنا، بإطعامهم وكسوتهم وتعليمهم القتال. لورد سنو، أعليَّ أن أذكِّرك؟ لقد أقسمتَ قَسمًا!».

قال چون: «أعرفُ ما أقسمتُ عليه. *أنا السَّيف في الظُّلمات، أنا الحارس على الأسوار، أنا النَّار التي تشتعل لتَطرُد البرد، الضَّوء الذي يأتي بالفَجر، النَّفير الذي يُوقِظ النِّيام، الدِّرع التي تقي بِلدان البَشر*. أهذه هي الكلمات نفسها التي ردَّدتها حين أقسمت قَسمك؟».

- «هي كذلك كما يعلم حضرة القائد».

- «أواثقٌ أنت بأنني لم أنسَ جزءًا؟ الجزء الخاص بالملك وقوانينه وكيف علينا الدِّفاع عن كلِّ شبرٍ من أرضه والاستماتة على كلِّ قلعةٍ متهدِّمة؟ ماذا يقول هذا الجزء؟». انتظرَ چون جوابًا، فلمَّا لم يأتِ تابعَ: «*أنا الدِّرع التي تقي بِلدان البَشر*. هذه هي الكلمات. أخبِرني إذن يا سيِّدي... ماذا يكون هؤلاء الهَمج إن لم يكونوا بَشرًا؟».

فتحَ باون مارش فمه، ولم تَخرُج منه كلمة، وزحفَ الاحتقان على عُنقه.

التفتَ چون سنو عنهم. كان ضوء الشَّمس الأخير قد بدأ يخبو، وشاهدَ الشُّقوق في وجه (الجِدار) تستحيل من الأحمر إلى الرَّمادي إلى الأسود، من خطوطٍ من النَّار إلى أنهارٍ من الجليد الأسود. بالأسفل ستُشعِل الليدي مليساندرا نارها اللَّيليَّة وتترنَّم: *يا إله الضِّياء، دافِع عنا، فاللَّيل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال*.

أخيرًا قال چون كاسرًا الصَّمت المريب: «الشِّتاء قادم، ومعه المُشاة البِيض. عند (الجِدار) سنصدُّهم. (الجِدار) مبنيٌّ لصدِّهم... لكن (الجِدار) يلزمه مَن يُدافِعون عنه. هذا النِّقاش انتهى. أمامنا كثير نفعله قبل فتح البوَّابة. تورموند وقومه سيحتاجون إلى طعامٍ وملبسٍ ومأوى. بعضهم مرضى ومحتاجون إلى رعاية. عليك بهؤلاء يا كلايداس. أنقِذ العدد الذي تقدر عليه».

رمقَه كلايداس بعينيه الورديّتان ضعيفتا النَّظر قائلًا: «سأبذلُ قصارى جهدي يا چون، أعني يا سيِّدي».

- «سنحتاج إلى تجهيز كلِّ عربةٍ تُدفَع أو تُجَرّ لنقل الأحرار إلى مواطنهم الجديدة. أوثيل، ستتولّى هذا».

قال ياروِيك عابسًا: «نعم يا حضرة القائد».

- «لورد باون، ستجمع رسوم المرور؛ الذَّهب والفضَّة والكهرمان والأطواق وحلقات الأذرُع والقلائد. افرِز كلَّ شيءٍ واحصِه واحرص على بلوغه (القلعة الشَّرقيَّة) بأمان».

قال باون مارش: «نعم أيها اللورد سنو».

وفكَّر چون: *جليدًا أرى، قالت، وخناجر في الظَّلام، دماءً قانيةً متجمِّدةً عن آخِرها وفولاذًا مجرَّدًا.* انثنَت أصابع يد سيفه وانبسطَت.

وكانت الرِّيح تشتدُّ.

---

(66) الشَّوكران عُشبة سامّة تنبت بالقرب من الأماكن المأهولة لها أزهار بيضاء وسوق خضراء، ويُستخرَج منها سُم، وقد اشتهرَت لأن سقراط مات بها. (المُترجم).

كلُّ ليلةٍ تبدو أبرد من سابقتها.

لا مدفأة في الزِّنزانة ولا مستوقَد، والنَّافذة الوحيدة أعلى من أن تَنظُر منها وأضيق من أن تعتصر جسدها عبرها، لكن حجمها يكفي لدخول البرد ويزيد. كانت سرسي قد مزَّقت أول ثوبٍ أعطينَها إياه مطالبةً بإعادة ثيابها، لكنهن تركنَها عاريةً ترتجف، ولمَّا جلَبن لها ثوبًا آخَر ارتدَته وشكرَتهن والكلمات تختنق في حَلقها.

تُدخِل النَّافذة الأصوات أيضًا، وهي الوسيلة الوحيدة المتاحة للملكة لمعرفة ما يدور في المدينة، فالسِّپتوات اللاتي يُحضِرن لها الطَّعام لا يُخبِرنها بشيء.

تبغض هذا حقًّا. سيأتي چايمي لإنقاذها، لكن كيف تعرف حين يصل؟ تأمل سرسي فقط ألَّا يتصرَّف بحماقةٍ ويجيء سابقًا جيشه، فسيحتاج إلى كلِّ سيفٍ للتَّعامُل مع جمهرة الصَّعاليك الحقيرة المحيطة بـ(السِّپت الكبير). مرارًا سألَت عن توأمها، إلَّا أن سجَّاناتها لم يمنحنها جوابًا. وسألَت عن السير لوراس أيضًا. قال التَّقرير الأخير إن فارس الزُّهور يُحتضَر في (دراجونستون) متأثِّرًا بالجراح التي حاقَت به في أثناء الاستيلاء على القلعة. *فليَمُت، وليَمُت سريعًا*. سيعني موت الفتى شغور مكانٍ في الحَرس الملكي، وقد يكون في هذا خلاصها، لكن السِّپتوات يَلُذن بالصَّمت عن لوراس تايرل مِثلما يفعلن عن چايمي.

كان اللورد كايبرن زائرها الأخير والوحيد، وبعدها تلخَّص عالمها في أربع نَسمات، هي وسجّاناتها الورعات المتعنِّتات الثَّلاث. السِّپتة أونلا مسترجلة كبيرة العظام، لها يدان متكلِّستان وملامح قبيحة عابسة، والسِّپتة مويل لها شَعر أبيض يابس وعينان صغيرتان قاسيتان في حالةٍ دائمة من الشَّكِّ، تَنظُران من وجهٍ متغضِّن بحدَّة نصل الفأس، والسِّپتة سكوليرا قصيرة غليظة الخصر، ثدياها ثقيلان وبشرتها زيتونيَّة ورائحة حامضة كالحليب الذي يُوشِك على التَّلف. يجلبن لها الطَّعام والماء، ويُفرِغن وعاء فضلاتها، ويأخذن ثوبها ليُغسَل كلَّ بضعة أيام تاركاتٍ إياها رابضةً تحت غطائها إلى أن يُعِدنه. أحيانًا تقرأ لها سكوليرا من (النَّجمة السُّباعيَّة) أو (كتاب الصَّلوات المقدَّسة)، لكن فيما عدا هذا لا تُخاطِبها أيُّهن أو تُجيب عن أسئلتها.

الثَّلاث تكرههن وتحتقرهن كما تكره الرِّجال الذين خانوها وتحتقرهم.

أصدقاء زائفون، خدم مخادعون، رجال تصنَّعوا حُبَّها إلى أبد الآبدين، وحتى لحمها ودمها... كلُّهم جفوها في ساعة الاحتياج. ذلك الضَّعيف أوزني كِتلبلاك خارَت قُواه تحت جَلدات الكُرباج وملأ أُذنَي العُصفور الأعلى بأسرارٍ كان عليه أن يأخذها معه إلى القبر، ولم يُحرِّك أخواه ساكنًا. ثلاثتهم حُثالة شوارع رفعَتهم من الحضيض ورقَّتهم. وأميرالها أوران ووترز فرَّ إلى البحر بالدُّرمونات[67] التي بنَتها له. وأورتون ميريويذر هرعَ عائدًا إلى (الطَّاولة الطَّويلة) وأخذَ معه زوجته تاينا التي كانت صديقة الملكة الحقيقيَّة الوحيدة في هذه الأوقات العصيبة. وهاريس سويفت والمِايستر الأكبر پايسل تخلَّيا عنها في مصيدتها وقدَّما البلاد لنفس الرَّجل الذي دسَّ لها الدَّسائس. ومرين ترانت وبوروس بلاونت حاميا الملك المحلَّفان لا أثر لهما. حتى لانسل ابن عمِّها الذي ادَّعي حُبَّه لها من قبل واحد من متَّهِميها. وعمُّها رفضَ معاونتها على الحُكم وقد أرادَت أن تجعله يد الملك.

وچايمي...

لا، هذا ما لا تُصدِّقه ولن تُصدِّقه. بمجرَّد أن يعلم چايمي بمحنتها سيأتي. كتبَت له سرسي: «*تعالَ في الحال. ساعِدني. انقِذني. إنني محتاجة إليك الآن كما لم أحتَج إليك من قبل قَطُّ. أحبُّك، أحبُّك، أحبُّك. تعالَ في الحال*»، وأقسمَ كايبرن أنه سيحرص على وصول الرِّسالة إلى توأمها الغائب في أراضي النَّهر مع جيشه. على أن كايبرن لم يرجع، وعلى حدِّ علمها فقد يكون ميتًا ورأسه على خازوق فوق إحدى بوَّابات المدينة، أو ربما يَذبُل الآن في إحدى الزَّنازين السَّوداء تحت (القلعة الحمراء) دون أن ينال فُرصة إرسال رسالتها. مئة مرَّةٍ استعلمَت الملكة عنه، لكن آسراتها لم يلفظن كلمةً عنه. كلُّ ما تعلمه يقينًا أن چايمي لم يأتِ.

ليس بعدُ، لكن قريبًا، وحين يأتي سيُغرِّد العُصفور الأعلى وزبانيته بأغنيَّةٍ مختلفة.

كم تَمقُت الشُّعور بالعجز.

هدَّدت سرسي، وقُوبِلَت تهديداتها بوجوهٍ حجريَّة وآذان صمَّاء. أمرَت، وأُغفِلَت أوامرها. استنجدَت برحمة (الأُم) مستجديةً العطف الطَّبيعي لامرأةٍ على أخرى، لكن مؤكَّد أن السِّپتوات الذَّاويات الثَّلاث نحَّين أنوثتهن جانبًا حين ردَّدن نذورهن. جرَّبت الكياسة وخاطبَتهن برفقٍ وتقبَّلت كلَّ إهانةٍ منهن باستكانة، غير أنهن لم يتزحزَحن. عرضَت عليهن المكافآت ووعدَتهن بالمحاباة والتَّكريم والذَّهب ووظائف في البلاط الملكي، فعامَلن وعودها كوعيدها.

وصلَّت. أوه، لكم صلَّت. الصَّلاة ما أرَدن، وإليهن قدَّمتها، قدَّمتها على رُكبتيها كأنها بغي من عوام الشَّوارع لا بنت (الصَّخرة). صلَّت في سبيل الغوث، في سبيل الخلاص، في سبيل چايمي. جهرًا ترجَّت الآلهة أن تُدافِع عنها في براءتها، وسرًّا دعَت أن يلقى متَّهِموها ميتةً مفاجئةً مؤلمةً. صلَّت حتى دميَت رُكبتاها وانسحجَتا، حتى تورَّم لسانها وثَقُلَ وكادَت تختنق به. كلُّ الصَّلوات التي تعلَّمتها في صِغرها استعادَتها سرسي في سجنها، وتفتَّق ذهنها عن أخرى جديدةٍ حسب الحاجة، تبتهِل إلى (الأُم) و(العذراء)، إلى (الأب) و(المُحارب)، إلى (العجوز) و(الحدَّاد)، وحتى إلى (الغريب). *أيُّ إلهٍ في عاصفةٍ يَصلُح*. وصمَّ (السَّبعة) آذانهم عنها كما صمَّتها خادماتهم على الأرض. أعطَتهن سرسي كلَّ ما تعرف من كلمات، أعطَتهن كلَّ شيءٍ إلَّا الدُّموع. *تلك لن ينلنها أبدًا*.

كم تَمقُت الشُّعور بالضَّعف.

لو منحَتها الآلهة القوَّة كچايمي وذلك المأفون المختال روبرت لفرَّت وحدها دون حاجةٍ إلى عون. *ألا ليتني أملكُ سيفًا والمهارة لحمله*. إن لها قلب مُحارب، إلَّا أن الآلهة في نقمتها العمياء منحَتها جسد امرأةٍ ضعيفًا. حاولَت الملكة أن تُقاتِلهن في البداية، لكن السِّپتوات تغلَّبن عليها. إنهن كثيرات، وأقوى مما يُوحي منظرهن. نساء عجائز قبيحات جميعهن، لكن انكبابهن الدَّائم على الصَّلاة والتَّنظيف وضرب المترهبنات الجديدات بالعِصي أكسبَهن خشونة الجذور وصلابتها.

ولا يسمحن لها بالرَّاحة. ليلًا أو نهارًا، متى أسبلَت الملكة جفنيها لتنام تظهر إحدى آسراتها لتُوقِظها وتُطالِبها بالاعتراف بخطاياها. إنها متَّهمة بالزِّنى والفِسق والخيانة العُظمى، وحتى القتل، ذلك أن أوزني كِتلبلاك اعترفَ بخنق السِّپتون الأعلى السَّابق بأمرها. حين تهزُّ الملكة لتُوقِظها تُزَمجِر السِّپتة أونلا: «جئتُ أسمعكِ تعترفين بالقتل والفجور»، وتقول لها السِّپتة مويل إن ذنوبها السَّبب في حرمانها النَّوم. «وحدهم الأبرياء يعرفون سلام النَّوم الهنيء. اعترفي بخطاياكِ وستنامين كطفلةٍ حديثة الولادة».

من يقظةٍ إلى نومٍ إلى يقظةٍ تُكسِّر أيدي معذِّباتها الخشنة كلَّ ليلةٍ من لياليها قِطعًا، وكلُّ ليلةٍ أبرد وأقسى من السَّابقة. ساعة البومة، وساعة الذِّئب، وساعة العندليب، وطلوع القمر وأفوله، والغسق والفَجر، جميعها يمرُّ بها مترنِّحًا كأشخاصٍ سكارى. أيُّ ساعةٍ هذه؟ أيُّ يوم؟ أين هي؟ أهذا حُلم أم أنها صاحية؟ استحالَت شظايا النَّوم الصَّغيرة التي سمَحن لها بها إلى أمواس تُقطِّع عقلها تقطيعًا، ويطلع عليها كلُّ نهارٍ فيجدها أبلد من سابقه، مكدودةً محمومةً، حتى فقدَت كلَّ إحساسٍ بزمن وجودها في هذه الزِّنزانة المعزولة أعلى أحد أبراج (سِپت بيلور الكبير) السَّبعة، وقالت لنفسها بيأس: *سأشيخُ وأموتُ هنا*.

ولا يُمكن أن تسمح سرسي بذلك، فابنها في حاجةٍ إليها، البلاد في حاجةٍ إليها. يجب أن تُحرِّر نفسها مهما كانت المخاطرة. لقد تقلَّص عالمها إلى زنزانةٍ مساحتها ستَّة أقدامٍ مربَّعة ووعاء فضلات وسريرٍ متكتِّل القشِّ ودثارٍ من الصُّوف البنِّي ضئيل كالأمل يستحكُّ جِلدها، لكنها لا تزال وريثة اللورد تايوين وابنة (الصَّخرة).

محمومةً ساغبةً، مستنزَفةً من الاحتياج إلى النَّوم، ومرتجفةً من البرد الذي يتسلَّل إلى الزِّنزانة كلَّ ليلة، أدركَت سرسي أخيرًا أن عليها الاعتراف.

عندما جاءَت السِّپتة أونلا ليلتها تنتزعها من النَّوم وجدَت الملكة على رُكبتيها، وقالت سرسي: «لقد أذنَبتُ». لسانها ثقيل في فمها، وشفتاها مشقَّقتان موجوعتان. «ارتكبتُ ذنوبًا وآثامًا عظيمةً. أرى هذا الآن. كيف ظللتُ عمياء طوال هذا الوقت؟ (العجوز) أتَتني رافعةً مصباحها عاليًا، وفي نوره المقدَّس رأيتُ السَّبيل الذي عليَّ أن أسلكه. أريدُ أن أعود نظيفةً، أريدُ الغُفران فحسب. أرجوكِ أيتها السِّپتة الكريمة، أتوسَّلُ إليكِ، خُذيني إلى السِّپتون الأعلى لأعترف له بجرائمي وفِسقي».

قالت السِّپتة: «سأخبره يا جلالة الملكة. سيُسَرُّ صاحِب القداسة الأعلى أيما سرور. فقط من خلال الاعتراف والتَّوبة النَّصوح نستطيع إنقاذ أرواحنا الخالدة».

وطيلة ما تبقَّى من تلك اللَّيلة الطَّويلة تركنَها تنام، ساعات وساعات من نعمة النَّوم، وهذه المرَّة تجاوزَتها البومة والذِّئب والعندليب دون أن ترى مرورها أو تَشعُر به، فيما حلمَت سرسي حُلمًا طويلًا جميلًا كان چايمي فيه زوجها وما زالَ ابنهما على قيد الحياة.

ومع مجيء الصَّباح أحسَّت الملكة بأن شطرًا كبيرًا من نفسها رُدَّ إليها، ولمَّا جاءَتها آسراتها عادَت تُردِّد عليهن بعض اللَّغط الخاشع وأخبرَتهن بعزمها على الاعتراف بمعاصيها ونيل الصَّفح عمَّا اقترفَته.

قالت السِّپتة مويل: «يُبهِجنا أن نسمع هذا».

وقالت السِّپتة سكوليرا: «سيُرفَع عبء عظيم عن روحكِ، وستَشعُرين بتحسُّنٍ كبير بعدها يا جلالة الملكة».

جلالة الملكة. هزَّتها هاتان الكلمتان البسيطتان حماسةً. خلال سجنها الطَّويل لم تُكلِّف سجَّاناتها أنفُسهن مجرَّد مخاطبتها بهذه اللِّياقة البسيطة.

قالت السِّپتة أونلا: «صاحِب القداسة الأعلى ينتظركِ».

خفضَت سرسي رأسها بخنوعٍ وإذعانٍ قائلةً: «هل تسمحن لي بالاستحمام أولًا؟ لستُ في هيئةٍ تليق بالمثول أمامه».

أجابَت السِّپتة أونلا: «لكِ أن تستحمِّي لاحقًا إذا سمحَ صاحِب القداسة الأعلى. ما يجب أن يهمَّك الآن طهارة روحكِ الخالدة لا أباطيل اللَّحم الفاني».

قادَتها السِّپتوات الثَّلاث على سلالم البُرج، السِّپتة أونلا أمامها والسِّپتتان مويل وسكوليرا في أعقابها مباشرةً، كأنهن يخشين أن تُحاوِل الفرار. بينما ينزلن غمغمَت سرسي بنبرةٍ هادئة: «مضى وقت طويل جدًّا منذ جاءَني زائر. هل الملك بخير؟ أسألُ فقط بصفتي أمًّا خائفةً على طفلها».

أجابَتها السِّپتة سكوليرا: «جلالته في صحَّةٍ طيِّبة وتحت حمايةٍ لصيقة ليل نهار. الملكة معه دومًا».

أنا الملكة! ازدردَت لُعابها وابتسمَت وقالت: «يسرُّني أن أعلم هذا. تومن يُحبُّها كثيرًا. لم أصدِّق لحظةً الأشياء المشينة التي قيلَت عنها». هل استطاعَت مارچري تايرل بوسيلةٍ ما التَّنصُّل من اتِّهامها بالفسوق والزِّنى والخيانة العُظمى؟ «هل أقيمَت مُحاكمة؟».

قالت السِّپتة سكوليرا: «قريبًا، لكن شقيقها...».

قاطعَتها أونلا: «صَهْ!»، والتفتَت تحدج سكوليرا بعبوسٍ من فوق كتفها، وأضافَت: «تُثَرثِرين كثيرًا أيتها العجوز الحمقاء. ليس لنا أن نتكلَّم عن تلك الأشياء».

خفضَت سكوليرا رأسها قائلةً: «سامِحيني».

وأكمَلن النُّزول في صمت.

استقبلَها العُصفور الأعلى في معتكَفه، غُرفة متواضعة سُباعيَّة الجوانب، على جُدرانها الحجريَّة نقوش بدائيَّة لوجوه الآلهة السَّبعة تُحدِّق بتعبيراتٍ تُداني التَّعبير على وجه صاحِب القداسة الأعلى في الجهامة والاستنكار. حين دخلَت وجدَته يَكتُب جالسًا إلى طاولةٍ بسيطة غير مستوية السَّطح. لم يتغيَّر السِّپتون الأعلى منذ آخِر مرَّةٍ كانت في حضوره، يوم أمرَ بالقبض عليها وسجنها. ما زالَ رجلًا مهزولًا أشيب الشَّعر، يبدو عليه التَّقشُّف والصَّلابة والحاجة إلى الغذاء، وجهه حادُّ القسمات متغضِّن وعيناه شكَّاكتان، وبدلًا من الثِّياب الفاخرة التي رفلَ فيها أسلافه يرتدي سُترةً طويلةً بلا شكلٍ من الصُّوف غير المصبوغ تصل إلى كاحليه. خاطبَها قائلًا على سبيل التَّحيَّة: «صاحِبة الجلالة، بلغَني أنكِ راغبة في الاعتراف».

خرَّت سرسي على رُكبتيها قائلةً: «نعم يا صاحِب القداسة الأعلى. لقد جاءَتني (العجوز) في المنام رافعةً مصباحها عاليًا...».

قاطعَها: «بالتَّأكيد. أونلا، ستَمكُثين وتُدوِّنين أقوال جلالتها. سكوليرا، مويل، يُمكنكما الانصراف»، وشبَّك أصابع يديه معًا، اللَّفتة ذاتها التي رأتها من أبيها آلاف المرَّات.

جلسَت السِّپتة أونلا وراءها وبسطَت رقًّا وغمسَت ريشةً في دواةٍ من حِبر المِايسترات، وأحسَّت سرسي بطعنةٍ مباغتة من الذُّعر، فتساءلَت: «بعد أن أعترف هل سيُسمَح لي...».

- «التَّعامُل مع جلالتكِ سيكون وفقًا لذنوبكِ».

للمرَّة الثَّانية تُدرِك أن الرَّجل شديد العناد. استجمعَت هدوءها لحظةً، ثم قالت: «فلتشملني (الأُم) برحمتها إذن. لقد نمتُ مع رجالٍ خارج رباط الزَّواج، أعترفُ بهذا».

سألَها السِّپتون الأعلى مثبِّتًا عينيه على عينيها: «مَن؟».

سمعَت سرسي السِّپتة أونلا تَكتُب وراءها فتصنع ريشتها خربشةً ناعمةً خافتةً. أجابَت: «لانسل لانستر ابن عمِّي، وأوزني كِتلبلاك». كلا الرَّجلين اعترفَ بجماعها، ولن ينفعها إنكار هذا. «وأخواه أيضًا، كلاهما». لا سبيل لديها إلى معرفة ما قد يقوله أوزفريد وأوزموند، وعليه فاعترافها بما هو أكثر من اللَّازم أسهل من الاعتراف بما هو أقل من اللَّازم. «ليس هذا عُذرًا لخطيئتي يا صاحِب القداسة الأعلى، لكنني كنتُ وحيدةً وخائفةً. الآلهة أخذَت مني الملك روبرت حبيبي وحاميّ. كنتُ وحدي محاطةً بمتآمرين وأصدقاء زائفين وخونة تواطأوا على موت أطفالي. لم أدرِ بمَن أثق، فـ... فاستخدمتُ الأداة الوحيدة المتاحة لي لأضمن إخلاص الإخوة كِتلبلاك».

- «تعنين أعضاءكِ الأنثويَّة؟».

قالت: «لحمي»، وضغطَت يدها على وجهها مرتعدةً، ولمَّا خفضَتها ثانيةً كانت الدُّموع تُبلِّل عينيها. «نعم. عسى (العذراء) أن تغفر لي. لكنني فعلتها من أجل أطفالي، من أجل البلاد. لم أجد في الأمر أيَّ مُتعة. الإخوة كِتلبلاك... إنهم رجال قُساة غِلاظ، وقد استعمَلوني بخشونة، لكن ماذا كان بإمكاني أن أفعل؟ تومن كان محتاجًا إلى رجالٍ حوله أستطيعُ الثِّقة بهم».

- «رجال الحَرس الملكي يحمون جلالته».

- «رجال الحَرس الملكي وقفوا معدومي الحيلة عندما ماتَ أخوه چوفري، عندما اغتيلَ في مأدبة زفافه. لقد شاهدتُ ابنًا يموت، ولم أكن لأحتمل أن أفقد آخَر. نعم، أذنَبتُ وارتكَبتُ الفاحشة، لكنني فعلتها من أجل تومن. سامِحني يا صاحِب القداسة الأعلى، لكنني مستعدَّة لفتح ساقَي لكلِّ رجلٍ في (كينجز لاندنج) إن كان ذلك ما يتوجَّب عليَّ فِعله لحماية أطفالي».

- «السَّماح للآلهة وحدها. وماذا عن السير لانسل الذي كان ابن عمِّك ومُرافق السيِّد زوجكِ؟ هل أخذتِه إلى فِراشكِ لتظفري بولائه أيضًا؟».

- «لانسل». تردَّدت سرسي، وقالت لنفسها: *حذارِ، مؤكَّد أن لانسل أخبرَه بكلِّ شيء.* «لانسل أحبَّني. كان صبيًّا، لكنني لم أشكَّ في وفائه لي ولابني لحظةً».

- «ومع ذلك أفسدتِه».

كتمَت نشيجًا قائلةً: «كنتُ وحيدةً. لقد فقدتُ زوجي وابني والسيِّد والدي. كنتُ الوصيَّة على العرش، لكن الملكة تظلُّ امرأةً، والنِّساء ضعيفات سهلات الانسياق إلى الغواية... صاحِب القداسة الأعلى يعرف حقيقة هذا. حتى السِّپتوات الموقَّرات يُذنِبن. لقد وجدتُ في لانسل راحةً. كان رقيقًا حنونًا وكنتُ في حاجةٍ إلى أحد. أعرفُ أنني أخطأتُ، ولكن لم يكن لي غيره... المرأة تحتاج إلى الحُبِّ، إلى رجلٍ إلى جوارها. إنها... إنها...»، وأجهشَت ببُكاءٍ خارج سيطرتها.

لم يُحاوِل السِّپتون الأعلى مواساتها، بل ظلَّ في مكانه مسلِّطًا عينيه القاسيتين عليها، يُشاهِدها تنتحب متحجِّرًا كتماثيل (السَّبعة) في السِّپت بالأعلى. مرَّت لحظات طويلة، لكن في النِّهاية جفَّت دموعها تمامًا تاركةً عينيها محمرَّتين، وأحسَّت سرسي كأنها على وشك فقدان الوعي.

على أن العُصفور الأعلى لم يَفرُغ منها بعدُ، وهكذا قال: «هذه خطايا تقليديَّة. طلاح الأرامل معلوم للجميع، وكلُّ النِّساء خليعات في قلوبهن، يجنحن إلى استغلال حيلهن وجَمالهن لفرض إرادتهن على الرِّجال. لا خيانة في الأمر ما دُمتِ لم تشردي عن فِراش الزَّوجيَّة وقت أن كان جلالة الملك روبرت حيًّا».

همسَت مرتجفةً: «إطلاقًا، إطلاقًا، أقسمُ لك».

لم يُعِر ردَّها اهتمامًا، وقال: «ثمَّة اتِّهامات أخرى ضد جلالتكِ، جرائم أفدح من مجرَّد فسوقٍ بسيط. لقد أقرَرتِ بأن السير أوزني كِتلبلاك كان عشيقكِ، والسير أوزني يُؤكِّد أنه خنقَ سلفي بأمركِ، ويُؤكِّد كذلك أنه شهدَ زورًا ضد الملكة مارچري وبنات عمومتها وحكى عن فجورهن وزناهن وخيانتهن العُظمى بأمركِ أيضًا».

- «لا، غير صحيح. إنني أحبُّ مارچري كأنها ابنتي. والاتِّهام الآخَر... لقد أعربتُ عن استيائي من السِّپتون الأعلى، أعترفُ بهذا. الرَّجل كان مخلوق تيريون، كان ضعيفًا فاسدًا، وصمةً على عقيدتنا المقدَّسة. صاحِب القداسة الأعلى يعلم هذا مِثلي تمامًا. ربما خطرَ لأوزني أن موته سيسرُّني، وإن صحَّ هذا فجزء من اللَّوم عليَّ... لكن الاغتيال؟ لا، إنني بريئة من هذا. خُذني إلى السِّپت وسأقفُ أمام كُرسي حُكم (الأب) وأقسمُ على هذا».

قال السِّپتون الأعلى: «في الوقت المناسب. إنكِ متَّهمة أيضًا بالتَّآمُر على قتل السيِّد زوجكِ، ملكنا المحبوب الرَّاحل روبرت الأول».

لانسل. «روبرت قتلَه خنزير برِّي. هل يقولون إنني مبدِّلة جِلدة الآن؟ وارْج؟ أأنا متَّهمة بقتل چوفري أيضًا؟ ابني البِكري الجميل؟».

- «لا، زوجكِ فقط. هل تُنكِرين هذا؟».

- «أنكره، نعم، أمام الآلهة والبَشر أنكره جُملةً وتفصيلًا».

أومأَ برأسه، وقال: «آخِر الاتِّهامات وأسوأها، هناك مَن يقولون إن أطفالكِ ليسوا من صُلب الملك روبرت، وإنما نغول مولودون من زنى المحارم».

ردَّت سرسي من فورها: «ستانيس يقول هذا. إنها كذبة، كذبة، كذبة بيِّنة. ستانيس يُريد العرش الحديدي لنفسه، لكن أولاد أخيه يقفون في طريقه، ولذا عليه أن يدَّعي أنهم ليسوا أولاد أخيه. تلك الرِّسالة القذرة... لا ذرَّة حقيقة فيها. أنكرُ التُّهمة».

بسطَ السِّپتون الأعلى يديه على سطح الطَّاولة، ونهضَ قائلًا: «عظيم. لقد أعرضَ اللورد ستانيس عن حقيقة (السَّبعة) ليَعبُد شيطانًا أحمر، وليس لمِلَّته الزَّائفة مكان في (الممالك السَّبع)».

طمأنها قوله نوعًا، وأومأت سرسي برأسها مؤيِّدةً.

تابعَ صاحِب القداسة الأعلى: «وعلى الرغم من هذا تظلُّ الاتِّهامات مقذعة، ولا مناص من معرفة البلاد الحقيقة. إذا قالت صاحِبة الجلالة الحقيقة فلا شكَّ أن مثولكِ للمُحاكمة سيُثبِت براءتكِ».

مُحاكمة رغم كلِّ هذا! «لقد اعترفتُ...».

- «... بخطايا بعينها، نعم، لكنكِ تُنكِرين غيرها. ستفصل مُحاكمتكِ بين الحقيقة والادِّعاء. سأسألُ (السَّبعة) أن يغفروا لكِ الخطايا التي اعترفتِ بها وأدعوهم أن تَثبُت براءتكِ من الاتِّهامات الأخرى».

نهضَت سرسي من على رُكبتيها بتؤدةٍ قائلةً: «أحني هامتي لحكمة صاحِب القداسة الأعلى، لكن إن كان لي أن أتوسَّل قطرةً واحدةً من رحمة (الأُم)... لقد مرَّ وقت طويل جدًّا منذ رأيت ابني. أرجوك...».

بعينين من صوَّان قال العجوز: «لن يليق السَّماح لكِ بالاقتراب من الملك إلى أن تُطهِّري من ذنوبكِ كلِّها، لكنكِ أخذتِ الخطوة الأولى على طريق العودة إلى الصَّلاح، وفي ضوء هذا سأسمحُ لكِ بزائرين آخَرين، واحد في اليوم».

أجهشَت الملكة بالبُكاء مرَّةً أخرى، وهذه المرَّة كانت دموعها حقيقيَّةً. «أنت بالغ اللُّطف. أشكرك».

- «(الأُم) رحيمة. حريٌّ بكِ أن تَشكُريها هي».

كانت مويل وسكوليرا في انتظارها لأخذها إلى زنزانتها في البُرج، وتبعَتهن أونلا. بينما يصعَدن قالت مويل: «كلُّنا نُصلِّي لأجل جلالتكِ»، وأمَّنت سكوليرا على قولها: «نعم، ولا شكَّ أنكِ تحسِّين بخفَّةٍ شديدة الآن، بطهارة وبراءة عذراءٍ صبيحة زفافها».

صبيحة زفافي ضاجعتُ چايمي. «نعم. أحسُّ كأنني وُلِدتُ من جديد، كأن دُمَّلًا متقيِّحًا فُقِئَ ويُمكنني أخيرًا أن أبدأ أتعافى. أكادُ أطيرُ!». تخيَّلت كم سيكون رائعًا لو هوَت بمِرفقها على وجه السِّپتة سكوليرا فأسقطَتها على أُمِّ رأسها على السَّلالم الملتفَّة، ولو شاءَت الآلهة لارتطمَت الرَّذيلة العجوز المتغضِّنة بالسِّپتة أونلا وأسقطَتها معها.

قالت سكوليرا: «جميل أن نراكِ تبتسمين ثانيةً».

- «صاحِب القداسة الأعلى سمحَ لي بزيارات، أليس كذلك؟».

أجابَتها السِّپتة أونلا: «بلى. إذا أخبرَتنا صاحِبة الجلالة بمَن ترغب في رؤيتهم فسنُرسِل في طلبهم».

چايمي، أحتاجُ إلى چايمي. لكن إذا كان توأمها في المدينة فلِمَ لم يأتِ؟ قد يكون الأكثر حكمةً أن تنتظر چايمي ريثما تلمُّ بما يجري وراء جُدران (سِپت بيلور الكبير)، وهكذا قالت: «عمِّي، السير كيڤان لانستر، أخو أبي. أهو في المدينة؟».

قالت السِّپتة أونلا: «نعم. جناب الوصي مقيم في (القلعة الحمراء). سنُرسِل إليه في الحال».

- «أشكركِ». قالتها سرسي مفكِّرةً: *جناب الوصي، هَه؟* لا يُمكنها التَّظاهُر بالدَّهشة.

اتَّضح أن للقلب الصَّاغر التَّائب فوائد كثيرة تتخطَّى تطهير الرُّوح من الذُّنوب. ليلتها نُقِلَت الملكة إلى غُرفةٍ أكبر تحت السَّابقة بدورين، بها نافذة تستطيع النَّظر منها وأغطية ثقيلة ناعمة لسريرها، ولمَّا حانَ وقت العَشاء، وبدلًا من الخُبز البائت وثريد الشُّوفان، قدَّمن لها ديكًا مشويًّا ووعاءً من الخضراوات النَّضرة والجوز المسحوق، مع كومةٍ من اللِّفتوف المهروس السَّابح في الزُّبدة. ليلتها خلدَت إلى النَّوم ببطنٍ شبعان للمرَّة الأولى منذ اعتقالها، ونامَت ساعات اللَّيل السَّوداء بطولها دون إزعاج.

وفي اليوم التَّالي، مع الفَجر، أتى عمُّها.

كانت سرسي لا تزال تتناوَل إفطارها حين انفتحَ الباب ودخلَ السير كيڤان لانستر، الذي أخبرَ سجَّاناتها: «اترُكننا»، فأشارَت أونلا إلى مويل وسكوليرا بالخروج ثم أغلقَت الباب وراءهن، ونهضَت الملكة.

بدا لها السير كيڤان أكبر سِنًّا مما رأته آخِر مرَّة. عمُّها رجل كبير الحجم، عريض المنكبين غليظ الخصر، له لحية شقراء مشذَّبة بعنايةٍ تتبع خطَّ فكِّه وشَعر أشقر قصير منحسر عن جبهته، ويرتدي معطفًا ثقيلًا من الفرو المطلي بالقرمزي يُثبِّته إلى كتفه دبُّوس ذهبي على شكل رأس أسد.

قالت الملكة: «أشكرك لمجيئك».

قطَّب عمُّها جبينه قائلًا: «ينبغي أن تجلسي. ثمَّة أشياء عليَّ أن أخبركِ بها...».

ردَّت غير راغبةٍ في الجلوس: «ما زلت غاضبًا مني. أسمعُ هذا في نبرتك. سامِحني يا عمّاه. كان خطأ مني أن ألقي النَّبيذ في وجهك، لكن...».

- «أتظنّينني أبالي بكوب نبيذ؟ لانسل ابني يا سرسي! ابن عمِّكِ. إذا كنتُ غاضبًا منكِ فهذا هو السَّبب. كان عليكِ أن تشمليه برعايتكِ، أن تُرشِديه وتجدي له فتاةً مناسبةً من عائلةٍ طيِّبة، وبدلًا من ذلك...».

- «أعرفُ، أعرفُ». *لانسل أرادَني أكثر مما أردته يومًا، وأراهنُ انه لم يزل يُريدني.* «كنتُ وحيدةً وضعيفةً. أرجوك يا عمِّي. آهٍ يا عمِّي. يُسعِدني للغاية أن أرى وجهك، وجهك الجميل. لقد ارتكَبتُ أفعالًا شرِّيرةً، أعلمُ هذا، لكنني لا أحتملُ ألَّا تُسامِحني»، وألقَت ذارعيها حوله ولثمَته على وجنته مردفةً: «سامِحني، سامِحني».

تحمَّل السير كيڤان العناق بضع لحظاتٍ قبل أن يرفع ذراعيه أخيرًا ليردَّه، وكان حضنه قصيرًا أخرق، ثم إنه قال بصوتٍ ما زالَ جامدًا باردًا: «كفى. سامحتكِ. والآن اجلسي. إن عندي لكِ أخبارًا صعبةً يا سرسي».

أرعبَتها كلماته، وقالت: «هل جرى شيء لتومن؟ أرجوك لا. إنني عائشة في خوفٍ دائم على ابني ولا أحد يُخبِرني بشيء. أرجوك أخبِرني بأن تومن بخير».

قال السير كيڤان: «جلالته بخير»، ووضعَ يديه على كتفيها مبعدًا إياها عنه بطول ذراعيه.

- «چايمي إذن؟ أهو چايمي؟».

- «لا، چايمي ما زالَ في مكانٍ ما في أراضي النَّهر».

- «في مكانٍ ما؟». لم يُعجِبها وقع الكلمة.

أخبرَها عمُّها: «لقد أخذَ (شجرة الغِدفان) وقبلَ استسلام اللورد بلاكوود، لكن في طريق عودته إلى (ريڤررَن) تركَ حاشيته وذهبَ مع امرأة».

حدَّقت سرسي إليه بلا فهمٍ متسائلةً: «امرأة؟ مَن؟ لماذا؟ أين ذهبا؟».

- «لا أحد يدري. لم تَبلُغنا أخبار أخرى عنه. ربما كانت المرأة ابنة نجم المساء، الليدي بِريان».

هي. تَذكُر الملكة عذراء (تارث)، تلك المخلوقة الضَّخمة القبيحة الثَّقيلة التي ترتدي ملبس الرِّجال. لا يُمكن *أن يَهجُرني چايمي إلى مخلوقةٍ مِثلها أبدًا. غُدافي لم يصل إليه، وإلَّا لأتى*.

كان السير كيڤان يقول: «بلغَتنا تقارير عن مرتزِقة يرسون في جميع أنحاء الجنوب؛ (تارث)، (الأعتاب)، (رأس الغضب)... أودُّ حقًّا أن أعرف أين وجدَ ستانيس المال لاستئجار جماعةٍ حُرَّة. لستُ أملكُ القوَّة للتَّعامُل معهم، ليس هنا. مايس تايرل يملك القوَّة، لكنه يأبى أن يتحرَّك إلى أن تُسوَّى مسألة ابنته».

سيف الجلَّاد كفيل بتسوية مسألة مارچري تمامًا. لا تُبالي سرسي مقدار ذرَّةٍ بستانيس ومرتزِقته. *فليأخذه (الآخَرون) هو وآل تايرل في آنٍ واحد. فليُذبِّح بعضهم بعضًا وينفعوا البلاد*.

«أرجوك يا عمَّاه، أخرِجني من هنا».

سألَها السير كيڤان: «كيف؟ بقوّة السِّلاح؟»، وذهبَ إلى النَّافذة وتطلَّع إلى الخارج عابسًا، وتابعَ: «سيكون عليَّ تحويل هذا المكان المقدَّس إلى مجزر، وليست معي أعداد تكفي من الرِّجال. السَّواد الأعظم من قُوَّاتنا كان مع أخيكِ في (ريڤررَن)، ولم أجد وقتًا لحشد جيشٍ جديد»، وعادَ يلتفت إليها مضيفًا: «لقد تحدَّثتُ مع صاحِب القداسة الأعلى. لن يُطلِق سراحكِ حتى تتوبي عن خطاياكِ».

- «لقد اعترفتُ».

- «قلتُ تتوبي، أمام المدينة. مسيرة...».

- «لا». أدركَت ما أوشكَ عمُّها على قوله، ولم تُرِد أن تسمعه. «مستحيل. أخبِره بهذا إذا تكلَّمتما ثانيةً. إنني ملكة لا عاهرة على أرصفة ميناء».

- «لا أذى سيُصيبكِ، لن يمسَّـ...».

قاطعَته بحدَّةٍ أشد: «لا. أفضِّلُ الموت».

قال السير كيڤان دون تأثُّر: «إذا كانت هذه رغبتكِ فقد تنالينها قريبًا. صاحِب القداسة الأعلى عازم على مُحاكمتكِ بتُهم قتل الملك وقتل الإله وسفاح القُربى والخيانة العُظمى».

كادَت تضحك، وقالت: «قتل الإله؟ ومتى قتلتُ إلهًا؟».

أجابَ عمُّها: «السِّپتون الأعلى صوت (السَّبعة) على الأرض. مسِّيه بأذًى تمسِّين الآلهة أنفُسها»، ورفعَ يده قبل أن تحتجَّ مواصلًا: «لا فائدة من الكلام عن تلك الأشياء، ليس هنا. كلُّ هذا حينه المُحاكمة»، وجاسَ ببصره في زنزانتها وقد باحَت النَّظرة على مُحيَّاه بالكثير.

أحدهم يتنصَّت. حتى هنا وحتى الآن لا تجرؤ على الكلام بحرِّيَّة. أخذَت نفسًا، وسألَته: «مَن سيُحاكِمني؟».

- «العقيدة، ما لم تُصرِّي على مُحاكمةٍ بالنِّزال، وفي تلك الحالة يجب أن يكون نصيركِ فارسًا في الحَرس الملكي. أيًّا كانت النَّتيجة فقد انتهى حُكمكِ. سأخدمُ باعتباري الوصيَّ على تومن حتى يَبلُغ. مايس تايرل عُيِّنَ يدًا للملك، والمِايستر الأكبر پايسل والسير هاريس سويفت سيُواصِلان مهام وظيفتيهما، لكن پاكستر ردواين هو الأميرال الآن، وراندل تارلي تولَّى واجبات كبير القُضاة».

كلاهما من حمَلة راية تايرل. حُكم البلاد بأسرها يُسلَّم تسليمًا إلى أعدائها، أهل الملكة مارچري وخُلَّانها. «مارچري أيضًا متَّهمة، هي وبنات عمومتها. كيف أطلقَ العصافير سراحها وتركوني حبيسةً؟».

- «راندل تارلي أصرَّ. كان هو أول من وصلَ إلى (كينجز لاندنج) عندما ثارَت هذه العاصفة، وجلبَ معه جيشه. بنات تايرل سيُحاكَمن، لكن القضيَّة ضدهن ضعيفة كما أكَّد صاحِب القداسة الأعلى بنفسه. كلُّ مَن وردَت أسماؤهم كعُشَّاق الملكة أنكَروا الاتِّهام أو رجعوا عن اعترافهم، باستثناء مطربكِ المشوَّه الذي يبدو أن الخبال أصابَه، وهكذا سلَّم السِّپتون الأعلى الفتيات إلى عُهدة تارلي، وأقسمَ اللورد راندل قَسمًا مقدَّسًا بتسليمهن إلى المُحاكمة حين يأتي وقتها».

- «ومتَّهِموها؟ في عُهدة مَن هُم؟».

- «أوزني كِتلبلاك والشَّاعر الأزرق هنا تحت السِّپت، والتَّوأمان ردواين أُعلِنَت براءتهما، وهاميش ذو القيثارة ماتَ. الآخَرون في الزَّنازين تحت (القلعة الحمراء) في عُهدة رجلكِ كايبرن».

كايبرن. جيِّد هذا، قشَّة واحدة تستطيع التَّعلُّق بها على الأقل. إنهم عند اللورد كايبرن، واللورد كايبرن قادر على فِعل المُعجزات. *والأهوال، يستطيع ارتكاب الأهوال أيضًا*.

- «هناك المزيد، أسوأ. هلَّا جلستِ؟».

- «أجلسُ؟». هزَّت سرسي رأسها. ماذا يُمكن أن يكون أسوأ؟ سوف تُحاكَم بتُهمة الخيانة العُظمى في حين فرَّت الملكة الصَّغيرة وبنات عمومتها كالطَّير الحُرَّة. «أخبِرني، ما الخطب؟».

- «مارسلا. بلغَتنا أخبار وخيمة من (دورن)».

- «تيريون». قالتها في التَّوِّ واللَّحظة. تيريون أرسلَ بنتها الصَّغيرة إلى (دورن)، وأرسلَت هي السير بالون سوان لإعادتها. كلُّ الدورنيِّين ثعابين، وآل مارتل أسوأهم، حتى إن الأُفعوان الأحمر حاولَ الدِّفاع عن العِفريت وكان على قيد شعرةٍ من نصرٍ كان ليسمح للقزم بالتَّنصُّل من اغتيال چوفري. «إنه هو. كان في (دورن) طوال الوقت، وقبضَ على ابنتي».

رماها السير كيڤان بنظرةٍ عابسة أخرى، وقال: «مارسلا هاجمَها فارس دورني اسمه چيرولد داين. إنها حيَّة لكن مصابة. لقد جرحَها في وجهها و... أنا آسف... لقد فقدَت أُذنًا».

حملقَت سرسي إليه مصعوقةً، وردَّدت: «أُذنًا». *كانت مجرَّد طفلة، أميرتي الغالية. كانت رائعة الجَمال أيضًا*. «قطعَ أُذنها. والأمير دوران وفُرسانه الدورنيُّون، أين كانوا؟ ألم يستطيعوا الدِّفاع عن فتاةٍ صغيرة واحدة؟ أين كان آريس أوكهارت؟».

- «قُتِلَ دفاعًا عنها. قيلَ إن داين فتكَ به».

تَذكُر الملكة أن سيف الصَّباح كان من آل داين، لكنه ماتَ منذ زمن. مَن السير چيرولد هذا ولِمَ يرغب في إيذاء ابنتها؟ لا تستطيع أن تعقل شيئًا من هذا، إلَّا إذا... «تيريون فقدَ نِصف أنفه في معركة (النَّهر الأسود). جرحها في وجهها، قطع أُذنها... آثار أصابع العِفريت الصَّغيرة القذرة على الأمر كلِّه».

- «الأمير دوران لم يَذكُر شيئًا عن أخيكِ، وبالون سوان كتبَ أن مارسلا ألقَت اللَّوم كلَّه على چيرولد داين. يدعونه بالنَّجم المظلم».

أطلقَت ضحكة مرارة، وقالت: «أيًّا كان ما يدعونه به فهو أجير أخي. تيريون له أصدقاء بين الدورنيِّين. كانت هذه خطَّة العِفريت من البداية. تيريون هو مَن خطبَ مارسلا للأمير تريستان، والآن أرى السَّبب».

- «إنكِ ترين تيريون في كلِّ ظِل».

- «إنه مخلوق الظِّلال. لقد قتلَ چوفري وقتلَ أبي. هل تحسبه سيتوقَّف عند هذا الحد؟ كنتُ أخشى أن العِفريت لا يزال في (كينجز لاندنج) يُخطِّط لأذيَّة تومن، لكن مؤكَّد أنه ذهبَ إلى (دورن) بدلًا من ذلك ليَقتُل مارسلا أولًا»، وذرعَت سرسي عرض الزِّنزانة جيئةً وذهابًا متابعةً: «يجب أن أكون مع تومن. فُرسان الحَرس الملكي هؤلاء عديمو الفائدة كحلمتين على واقي الصَّدر»، ثم التفتَت إلى عمِّها بحدَّةٍ سائلةً: «تقول إن السير آريس قُتِلَ؟».

- «بيدَي ذلك النَّجم المظلم، نعم».

- «أي أنه ماتَ، ماتَ، أأنت واثق؟».

- «هذا ما قيلَ لنا».

- «إذن فهناك مكان شاغر في الحَرس الملكي. يجب أن يُشغَل في الحال. لا بُدَّ من حماية تومن».

- «اللورد تارلي يعدُّ قائمةً بالفُرسان الجديرين ليدرسها أخوكِ، لكن إلى أن يرجع چايمي...».

- «الملك يستطيع أن يخلع معطفًا أبيض على أيٍّ رجل. تومن صبيٌّ مطيع. قُل له من يُسمِّي وسيُسمِّيه».

- «ومَن تُريدينه أن يُسمِّي؟».

لم تجد له إجابةً جاهزةً. *سيحتاج نصيري إلى اسمٍ جديد كما احتاجَ إلى وجهٍ جديد.* «كايبرن سيعرف. ثِق به في هذه المسألة. إن بيني وبينك خلافاتٍ يا عمّاه، لكن لأجل الدَّم الواحد الذي يسري في عروقنا والحُبِّ الذي حملته لأبي، لأجل تومن وأخته المشوَّهة المسكينة، افعل ما أطلبه منك. اذهب إلى اللورد كايبرن نيابةً عني وأعطِه معطفًا أبيض وأخبِره بأن الوقت حانَ».

---

(67) الدُّرمونة من السُّفن الحربيَّة ذات الأشرعة والمجاذيف، تتميَّز بسُرعتها وحجمها الكبير وقُدرتها على حمل عددٍ كبير من الرِّجال. (المُترجم).

قال رزناك مو رزناك: «كنتَ رجل الملكة. الملك يرغب في رجاله هو حوله حين يعقد البلاط».

ما زلتُ رجل الملكة، اليوم وغدًا ودومًا، حتى النَّفس الأخير في صدري، أو في صدرها. يَرفُض باريستان سلمي رفضًا باتًّا أن يُصدِّق أن دنيرس تارجاريَن ماتَت.

ربما لهذا السَّبب يُقصونه. *واحدًا تلو الآخَر يُزيحنا هيزدار جميعًا*. لم يزل بِلواس القوي على عتبة الموت في المعبد تحت رعاية ذوات النِّعم الزَّرقاء... ولو أن سلمي مرتاب نوعًا في أنهن يُنهين العمل الذي بدأه الجراد المعسول. والرَّأس الحليق سكاهاز عُزِلَ عن قيادته، والمُطهَّرون انسحَبوا إلى ثُكناتهم، وچوجو وداريو نهاريس والأميرال جروليو والمُطهَّر هيرو ما زالوا رهائن عند اليونكيِّين، وأُرسِلَ آجو وراگارو وبقيَّة گالاسار الملكة عبر النَّهر بحثًا عن ملكتهم المفقودة. حتى ميسانداي استُبدِلَت، إذ رأى الملك أن من غير اللَّائق أن يستخدم طفلةً كحاجبته، ناهيك بكونها أَمةً ناثيَّةً سابقةً كذلك. *والآن أنا*.

في وقتٍ سابق كان ليعتبر إقصاءه لطخةً على شَرفه، لكن ذلك كان في (وستروس)، أمَّا هنا في جُحر الأفاعي المسمَّى (ميرين) فالشَّرف يبدو سخيفًا كثياب المهرِّجين. ثم إن غياب الثِّقة هذا متبادَل، فقد يكون هيزدار زو لوراك زوج مليكته، لكنه لن يُصبِح مليكه أبدًا. «إذا كانت رغبة صاحِب الجلالة أن أنحِّي نفسي من البلاط...».

قاطعَه القهرمان مصحّحًا: «صاحِب الرَّونق»، ثم إنه أضافَ: «لا، لا، لا. أسأت فهمي. صاحِب العبادة سيستقبل بعثةً من اليونكيِّين لمناقشة انسحاب جيوشهم، وقد يَطلُبون... آه... تعويضًا عمَّن فقدوا حياتهم في خضمِّ غضبة التنِّين. إنه موقف حسَّاس، ورأي الملك أن الأفضل أن يروا ملكًا ميرينيزيًّا على العرش يحميه مُحاربون ميرينيزيُّون. لا شكَّ أنك تفهم هذا أيها الفارس».

أفهمُ أكثر مما تحسب. «هل لي أن أعرف مَن الرِّجال الذين اختارَهم صاحِب الجلالة لحمايته؟».

انفرجَت شفتا رزناك مو رزناك عن ابتسامته اللَّزجة، وأجابَ: «مُحاربون مهيبون يُحبُّون صاحِب العبادة حُبًّا جمًّا. جوجهور الجبَّار، كراز، القِطُّ الأرقط، بيلاكو كاسِر العظام. جميعهم أبطال».

جميعهم *مُقاتلو حلبات.* لم يندهش السير باريستان، فثمَّة أشياء تقضُّ على هيزدار زو لوراك عرشه. لقد مضى ألف عامٍ منذ كان لـ(ميرين) ملك، وهناك بعض أصحاب الدِّماء القديمة الذين يرون في أنفُسهم خيارًا أفضل منه، وخارج المدينة يقبع اليونكيُّون ومرتزِقتهم وحُلفاؤهم، وداخلها أبناء الهارپي.

كما أن حُماة الملك يتناقَصون كلَّ يوم. هفوة هيزدار مع الدُّودة الرَّمادي كلَّفته المُطهَّرين، فحين حاولَ جلالته أن يضعهم تحت قيادة أحد أبناء عمومته -كما فعلَ مع الوحوش النُّحاس- أخبرَ الدُّودة الرَّمادي الملك بأنهم رجال أحرار يتلقُّون الأوامر من أمِّهم وحدها لا غير. أمَّا الوحوش النُّحاس فنِصفهم من المعتَقين والنِّصف الآخَر من الرُّؤوس الحليقة، وقد يكون ولاؤهم الحقيقي ما زالَ لسكاهاز مو كانداك. وهكذا يتبقَّى مُقاتلو الحلبات فقط سند الملك هيزدار الوحيد الذي يستطيع الاعتماد عليه ضد بحرٍ من الأعداء.

- «عسى أن يحموا صاحِب الجلالة من كلِّ تهديد». لم تُفصِح نبرة السير باريستان عن لمحةٍ من مشاعره الحقيقيَّة، فقد تعلَّم قبل سنواتٍ في (كينجز لاندنج) أن يُخفيها.

قال رزناك مو رزناك بتوكيد: «صاحِب السُّمو»، وأتبعَ: «لن تتبدَّل واجباتك الأخرى أيها الفارس. إذا فشلَ هذا السَّلام فما زالَ صاحِب الرَّونق يرغب في أن تقود قُوَّاته ضد أعداء مدينتنا».

يتمتَّع بهذا القدر من العقل على الأقل. قد يَصلُح بيلاكو كاسِر العظام وجوجهور الجبَّار حارسيْن لهيزدار، إلَّا أن فكرة أن يقود أيُّهما جيشًا في معركةٍ طريفة لدرجة أن الفارس العجوز كادَ يبتسم. قال سلمي: «أنا تحت أمر صاحِب الجلالة».

ردَّ القهرمان متذمِّرًا: «ليس «الجلالة». هذا اللَّقب وستروسي. صاحِب السُّمو، صاحِب الرَّونق، صاحِب العبادة».

صاحِب الكِبر لقب يُناسِبه أكثر. «كما تقول».

لعقَ رزناك شفتيه، وقال: «فرغنا إذن»، وهذه المرَّة دلَّت ابتسامته المتملِّقة على رغبته في انصراف سلمي، فغادرَ السير باريستان ممتنًّا لابتعاده عن رائحة عطر القهرمان الفاغمة. *المفروض أن تفوح من الرَّجل رائحة العَرق لا الأزهار.*

يرتفع هرم (ميرين) الأكبر ثمانمئة قدمٍ من السَّفح إلى القمَّة، وفي مستواه الثَّاني يقع مقرُّ القهرمان، أمَّا مسكن الملكة -الملحق به مسكن سلمي- فيحتلُّ الدَّرجة الأعلى. فكَّر السير باريستان بادئًا طريقه إلى أعلى: *مسافة طويلة يصعدها رجل في سِنِّي.* كان معروفًا عنه أن شؤون الملكة تدفعه إلى القيام بهذه الرِّحلة خمس أو ستَّ مرَّاتٍ يوميًّا، كما تشهد آلام رُكبتيه وأسفل ظَهره. *يومًا ما لن أعود قادرًا على مواجهة هذه الدَّرجات، وذلك اليوم أقرب مما أحبُّ.* وقبل أن يأتي عليه أن يستوثق من أن بعضًا من فِتيته على الأقل مستعدُّون لأخذ مكانه إلى جوار الملكة. *سأنصِّبهم فُرسانًا بنفسي حين يُثبِتون جدارتهم، وأعطي كلًّا منهم حصانًا ورِكابَين ذهبيَّين.*

وجدَ المسكن الملكي هادئًا ساكنًا. لم ينزل هيزدار هنا، إذ فضَّل إقامة جناحه الخاص من الغُرف في مكانٍ عميق في قلب (الهرم الأكبر)، حيث تُحيط به الجُدران القرميد الهائلة من كلِّ جهة، ومع الملك ذهبَت ميزارا وميكلاز وكِزا، سُقاة الملكة الصِّغار. إنهم رهائن في الحقيقة، لكن سلمي والملكة كليهما صارا شديدَي الشَّغف بهم لدرجةٍ تُصعِّب التَّفكير فيهم على هذا المحمل. إيري وجيكوي رحلَتا مع الدوثراكي الآخَرين، ووحدها ميسانداي بقيَت كشبحٍ صغير بائس يَسكُن جناح الملكة على قمَّة الهرم.

خرجَ السير باريستان إلى الشُّرفة. السَّماء فوق (ميرين) بلون بشرة الجُثث، بيضاء مطفأة ثقيلة، كُتلة من السَّحاب من الأفق إلى الأُفق، والشَّمس كامنة وراء حائطٍ من الغيوم، ستَغرُب محجوبةً كما أشرقَت محجوبةً هذا الصَّباح. ستكون اللَّيلة حارَّةً رطبةً خانقةً، واحدةً من تلك اللَّيالي اللَّزجة دون نفحة هواء. منذ ثلاثة أيامٍ والمطر يُنذِر بالسُّقوط، لكن قطرةً لم تنزل. *سيأتي المطر بمثابة انفراجة، وقد يغسل المدينة ويُنظِّفها*.

من هنا يرى أربعة أهرامٍ أقل فخامةً، وسور المدينة الغربي، ومعسكَر اليونكيِّين على ساحل (خليج النخَّاسين)، حيث يرتفع عمود سميك من الدُّخان المشبَّع بالشُّحوم ملتويًا كحيَّةٍ عملاقة. *اليونكيُّون يُحرِقون موتاهم. الفَرس الشَّاحبة ترمح في أرجاء معسكَرات الحصار*. على الرغم من كلِّ ما فعلَته الملكة انتشرَ المرض داخل المدينة وخارجها. أُغلِقَت أسواق (ميرين) وخلَت شوارعها، ومع أن الملك هيزدار سمحَ ببقاء حلبات القتال مفتوحةً فالجماهير شحيحة، كما ذكرَت التَّقارير أن الميرينيزيِّين بدأوا يمتنعون عن الذَّهاب إلى (معبد ذوات النِّعم) نفسه.

فكَّر السير باريستان بمرارة: *سيجد النخَّاسون وسيلةً ما للوم دنيرس على هذا أيضًا*. يكاد يسمعهم يتهامَسون، الأسياد العظام وأبناء الهاربي واليونكيِّين، يقول بعضهم لبعضٍ إن مليكته ماتَت! هذا ما يعتقده نِصف أهل المدينة، ولو أنهم لم يجدوا بعدُ الشَّجاعة ليقولوها على الملأ. *لكن قريبًا في ظنِّي*.

كم هو متعَب، كم هو شائخ. *أين ذهبَت السِّنين؟* في الفترة الأخيرة، متى انحنى ليشرب من بِركةٍ مياهها ساكنة رأى وجه غريبٍ يَنظُر إليه من الأعماق. متى ظهرَت هذه التَّجاعيد حول عينيه الزَّرقاوين الباهتتين؟ منذ متى حلَّ الثَّلج محلَّ ضوء الشَّمس في شَعره؟ *منذ أعوام أيها العجوز، منذ عقود.*

ورغم ذلك يبدو له كأنما رُقِّيَ البارحة فقط إلى الفُروسيَّة بعد دورة المباريات في (كينجز لاندنج). ما زالَ يَذكُر ملمس سيف الملك إجون على كتفه خفيفًا كقُبلة البَتول، وكيف تعثَّرت الكلمات في حَلقه عندما ردَّد النُّذور. في المأدبة ليلتها أكلَ ضلوع الخنزير البرِّي المطبوخة على الطَّريقة الدورنيَّة بفلفل التنِّين، وكانت حرِّيفةً لدرجة أنها حرقَت فمه. سبعة وأربعون عامًا وما زالَ الطَّعم في ذاكرته، ومع ذلك لا يُمكنه أن يقول ماذا أكلَ منذ عشرة أيام ولو كان مصير سبعة الممالك يعتمد على إجابته. *كان بيضًا مسلوقًا غالبًا، أو صنفًا كريهًا آخَر ليس أحسن مذاقًا.*

ليس للمرَّة الأولى يتعجَّب سلمي من الأقدار الغريبة التي ساقَته إلى هنا. إنه فارس وستروسي، رجل ينتمي إلى أراضي العواصف والتُّخوم الدورنيَّة، ومكانه في (الممالك السَّبع) لا هنا على سواحل (خليج النخَّاسين) القائظة. *جئتُ لآخذ دنيرس إلى الوطن.* لكنه فقدَها، تمامًا كما فقدَ أباها وأخاها. حتى *روبرت. هو أيضًا خذلته.*

لعلَّ هيزدار أكثر حكمةً مما يحسب. *قبل عشرة أعوامٍ كنتُ لأستشعر ما انتوَت دنيرس فِعله، قبل عشرة أعوامٍ كنتُ بالسُّرعة الكافية لمنعها*. وبدلًا من ذلك وقفَ مرتبكًا فيما وثبَت إلى الحلبة، يصيح باسمها ثم يَركُض وراءها عبثًا على الرِّمال القرمزيَّة. *أصبحتُ عجوزًا بطيئًا*. لا عجب أن نهاريس يدعوه ساخرًا بجدِّه الفارس. *هل كان داريو ليتحرَّك بسرعةٍ أكبر لو كان إلى جوار الملكة يومها؟* يظنُّ سلمي أنه يعرف الجواب، وإن لم يكن جوابًا يُعجِبه.

ليلة أمس حلمَ بالواقعة ثانيةً. بِلواس على رُكبتيه يتقيَّأ المِرَّة والدَّم، وهيزدار يستحثُّ قتَلة التَّنانين، ورجال ونساء يفرُّون مرعوبين، يتقاتَلون على السَّلالم ويتسلَّق بعضهم فوق بعض، يصيحون ويَصرُخون... ودنيرس...

كان شَعرها مشتعلًا. كانت تزعق والسَّوط في يدها، ثم إذا بها على ظَهر التنِّين طائرةً. لسعَت الرِّمال التي أثارَها دروجون إذ ارتفعَ إلى السَّماء عينَي السير باريستان، لكنه عبر حجاب الدُّموع رأى الوحش يطير من الحلبة ويضرب جناحاه الأسودان العظيمان أكتاف المُحاربيْن البرونزيَّيْن على البوَّابة.

البقيَّة علمَها لاحقًا. وراء البوَّابة كانت كتلة مصمتة من النَّاس، وبالأسفل ثارَت الخيول رُعبًا وقد جُنَّ جنونها من رائحة التنِّين، ورفعَت قوائمها ضاربةً هنا وهناك بحوافر تنتعل حدواتٍ من الحديد، وعلى حدٍّ سواء قُلِبَت أكشاك الطَّعام والهوادج، وسقطَ النَّاس ودُعِسوا تحت الأقدام. أُلقِيَت حِراب وأُطلِقَت سهام نُشَّابيَّات، وأصابَ بعضها هدفه ليتلوَّى التنِّين بعُنفٍ في الهواء والدُّخان ينبعث من جروحه والفتاة متشبِّثة بظَهره.

ثم إنه نفثَ نيرانه.

استغرقَ الوحوش النُّحاس بقيَّة النَّهار وأغلب اللَّيل في جمع الجُثث، وحسب الإحصاء الأخير فالقتلى مئتان وأربعة عشر، وثلاثة أضعافهم محروقون أو جرحى. عندها كان دروجون قد غادرَ المدينة، وآخِر مرَّةٍ شُوهِدَ فيها كان محلِّقًا فوق (السكاهازاذان) نحو الشَّمال. أمَّا دنيرس تارجاريَن فلم يُعثَر لها على أثر. أقسمَ بعضهم أنهم رأوها تَسقُط، وأكَّد آخَرون أن التنِّين اختطفَها ليلتهمها. *مخطئون.*

لا يعرف السير باريستان عن التَّنانين أكثر من الحكايات التي يسمعها كلُّ طفل، لكنه يعرف آل تارجاريَن. دنيرس كانت ممتطيةً ذلك التنِّين كما امتطى إجون بالريون قديمًا.

قال لنفسه بصوتٍ مسموع: «قد تكون طائرةً إلى الوطن».

غمغمَ صوت هادئ من ورائه: «لا، لن تفعل ذلك أيها الفارس، لن تعود إلى الوطن من دوننا».

التفتَ السير باريستان متسائلًا: «ميسانداي يا صغيرتي، منذ متى وأنتِ واقفة هنا؟».

أجابَت: «منذ قليل. هذه الواحدة آسفة إذا أزعجَتك»، وتردَّدت لحظةً، ثم قالت: «سكاهاز مو كانداك يرغب في كلمةٍ معك».

- «الرَّأس الحليق؟ تكلَّمتِ معه؟». تهوُّر هذا، تهوُّر. العداوة بين سكاهاز والملك عميقة، والفتاة بالذَّكاء الكافي لمعرفة هذا. لم يكتم سكاهاز معارضته زواج الملكة، وهي الحقيقة التي لم ينسَها هيزدار. «أهو هنا؟ في الهرم؟».

- «حين يُريد. إنه يأتي ويذهب أيها الفارس».

نعم، بإمكانه هذا. «مَن أخبرَكِ بأنه راغب في الكلام معي؟».

- «وحش نُحاس. كان يضع قناع بومة».

كان يضع قناع بومةٍ حين كلَّمك، أمّا الآن فقد يكون ابن آوى او نمرًا أو كسلانَ. من البداية يكره السير باريستان تلك الأقنعة، والآن بلغَ هذه الكُره ذُروته. لا يُفترَض أن يحتاج الصّادقون إلى إخفاء وجوههم أبدًا، والرَّأس الحليق...

فيمَ تُراه يُفكِّر؟ بعد أن ولَّى هيزدار ابن عمِّه مارجاز زو لوراك قيادة الوحوش النُّحاس عُيِّنَ سكاهاز مأمور النَّهر المسؤول عن العبَّارات وقوارب الكراءة وقنوات الرَّيِّ على مسافة خمسين فرسخًا من (السكاهازاذان)، لكن الرَّأس الحليق رفضَ ذلك المنصب العريق المبجَّل -كما وصفَه هيزدار- مفضِّلًا الاعتزال في هرم كانداك المتواضع. *يُخاطِر مخاطرةً عظيمةً بمجيئه هنا دون وجود الملكة لحمايته*. وإذا شُوهِدَ السير باريستان يتكلَّم معه فقد يُصبِح الفارس محلَّ شكٍّ أيضًا.

لا يروقه مذاق الأمر برُمَّته. رائحة الغشِّ والتَّدليس تفوح منه، والهمسات والأكاذيب والمكايد، جميع الأشياء التي أملَ أن يَترُكها وراءه للعنكبوت والإصبع الصَّغير وشاكلتهما. ليس باريستان سلمي محبًّا للقراءة، غير أنه كثيرًا ما تصفَّح (الكتاب الأبيض) المدوَّنة فيه سِيَر أسلافه. كان بعضهم أبطالًا وبعضهم ضعافًا أو أوغادًا أو جُبناءً، لكن أكثرهم كانوا مجرَّد بَشر... أسرع وأقوى من سائر الرِّجال، نعم، وأمهر في القتال بالسَّيف والتُّرس، لكنهم ظلُّوا ضحايا للغرور والطُّموح والشَّهوة والحُبِّ والغضب والغيرة والطَّمع في الذَّهب والتَّعطُّش إلى السُّلطة وجميع المثالب الأخرى التي تحيق بالفانين الأدنى شأنًا. أفلحَ أفضلهم في قهر عيوبهم وقاموا بواجبهم وماتوا بسيوفهم في أيديهم، وأسوأهم...

أسوأهم لعبوا لُعبة العروش. سألَ ميسانداي: «هل يُمكنكِ العثور على تلك البومة ثانيةً؟».

- «تستطيع هذه الواحدة أن تُحاوِل أيها الفارس».

- «أخبِريه بأنني سأتكلَّمُ مع... مع صديقنا... بعد حلول الظَّلام عند الاسطبلات». عند الغروب تُغلَق أبواب الهرم الرَّئيسة وتُزلَج، وستكون الاسطبلات هادئةً في تلك السَّاعة. «تأكَّدي من كونها البومة نفسها». لن يَصلُح أن يسمع وحش نُحاس خطأ هذا الكلام.

قالت ميسانداي: «هذه الواحدة تفهم»، ودارَت تُغادِر، ثم إنها توقَّفت لحظةً وقالت: «يُقال إن اليونكيِّين طوَّقوا المدينة بالعرَّادات لإطلاق القذائف الحديد في السَّماء في حال عودة دروجون».

قال السير باريستان الذي سمعَ هذا أيضًا: «قتل تنِّينٍ في السَّماء ليس عملًا بسيطًا. في (وستروس) حاولَ كثيرون إسقاط إجون وأختيه ولم ينجح أحد منهم».

أومأت ميسانداي برأسها، وإن استعصى عليه أن يتبيَّن إن كانت قد اطمأنَّت. سألَته: «هل تظنُّ أنهم سيجدونها أيها الفارس؟ أراضي العُشب شاسعة للغاية، والتَّنانين لا تَترُك آثارًا في السَّماء».

قال: «آجو وراگارو دم دمها... ومَن يعرف (بحر الدوثراكي) أفضل من الدوثراكي؟»، واعتصرَ كتفها مردفًا: «سيجدونها إذا كان إيجادها ممكنًا». *إذا كانت حيَّةً*. ثمَّة گالات آخَرون يجوبون العُشب، سادة خيولٍ وراءهم گالاسارات قوامها عشرات الألوف، لكن لا داعي لأن تسمع الفتاة هذا. «أعرفُ أنكِ تُحبِّينها كثيرًا. أقسمُ أنني سأحميها».

بدا أن كلامه بثَّ شيئًا من الطُّمأنينة في الفتاة، وإن فكَّر السير باريستان: *لكن الكلام هواء. كيف أحمي الملكة وأنا لستُ معها؟*

عرفَ باريستان سلمي ملوكًا كثيرين. كان قد وُلِدَ في العهدِ المضطرب لإجون المستبعَد الذي أحبَّه عموم النَّاس، وقلَّده الملك بنفسه الفُروسيَّة، ثم خلعَ عليه چهيرس بن إجون المعطف الأبيض في سِنِّ الثَّالثة والعشرين بعد أن قتلَ ميليز الوحش في حرب ملوك التِّسعة بنسات، وبذلك المعطف الأبيض نفسه وقفَ إلى جوار العرش الحديدي فيما استحوذَ الجنون على إيرس بن چهيرس. *وقفتُ ورأيتُ وسمعتُ ولم أفعل شيئًا.*

لكن لا، ليس هذا عدلًا. لقد أدَّى واجبه على أكمل وجه، حتى إنه في بعض اللَّيالي يُسائِل نفسه إن كان قد تمادى في أدائه. على مرأى ومسمعٍ من الآلهة والبَشر حلفَ السير باريستان اليمين، وما كان بإمكانه أن يُخالِف أصول الشَّرف ويَنكُثها... لكن الحفاظ على تلك اليمين باتَ أصعب في الأيام الأخيرة من عهد الملك إيرس. رأى سلمي أشياء يُؤلِمه تذكُّرها، وأكثر من مرَّةٍ تساءلَ كم من الدِّماء على يديه. لو لم يَدخُل (وادي الغسق) ليُنقِذ إيرس من زنازين اللورد داركلين فلربما ماتَ الملك هناك حين اقتحمَ تايوين لانستر البلدة ونهبَها، وعندها كان الأمير ريجار ليرتقي العرش الحديدي ويُداوي جراح البلاد. كانت (وادي الغسق) ساعته الأعظم، ولكن ما زالَ للذِّكرى في فمه طَعم مرير.

على أن إخفاقاته هي ما يقضُّ عليه مضجعه ليلًا. چهيرس، *إيرس، روبرت. ثلاثة ملوكٍ موتى. وريجار الذي كان ليُصبِح ملكًا اصلح منهم جميعًا. والأميرة إليا وطفلاها، إجون الرَّضيع ونيبيرس بهُريرها الصَّغير*. كلُّهم ماتوا ولم يزل هو حيًّا، هو الذي أقسمَ على حمايتهم. والآن دنيرس، ملكته الطِّفلة النَّيِّرة الوضَّاءة. *لم تَمُت. لن أصدِّق هذا*.

أتى الأصيل السير باريستان براحةٍ وجيزة من هواجسه، إذ قضاه في قاعة التَّدريب في مستوى الهرم الثَّالث، يعمل مع الفِتية ويُعلِّمهم فنَّ السَّيف والتُّرس والحصان والرُّمح... والفُروسيَّة، النَّاموس الذي يجعل الفارس أكثر من مجرَّد مُقاتل حلبات. سوف تحتاج دنيرس إلى حُماةٍ في سِنِّها حولها بعد رحيله، والسير باريستان عازم على إعطائها إياهم.

تتراوَح أعمار الفِتيان الذين يُدرِّبهم بين الثَّامنة والعشرين. كان قد بدأ بأكثر من ستِّين، إلَّا أن التَّدريب شقَّ على كثيرين منهم، والمتبقُّون الآن أقل من نِصف هذا العدد، لكن بعضهم يعد بمستقبلٍ باهر. *الآن دون ملكٍ أحرسه سأجدُ وقتًا أطول لأدرِّبهم*. جالَ هذا بباله وهو يمشي من زوجين إلى زوجين يُشاهِد سجالهم بالسُّيوف المثلومة والحِراب مدوَّرة الرُّؤوس. *فِتيةٌ شُجعان. وضيعو الميلاد، نعم، لكن منهم مَن سيغدون فُرسانًا عظامًا، كما أنهم يُحبُّون الملكة، فلولاها لانتهى المطاف بهم جميعًا في الحلبات. للملك هيزدار مُقاتلو الحلبات، لكن دنيرس سيكون لها فُرسان*.

- «ارفع تُرسك. أرِني ضرباتك. معًا الآن. تحت، فوق، تحت، تحت، فوق، تحت...».

ليلتها أخذَ سلمي عَشاءه البسيط إلى شُرفة الملكة وتناوَله فيما مالَت الشَّمس إلى المغيب، وفي الشَّفق الأرجواني شاهدَ النِّيران تستيقظ واحدةً تلو الأخرى في الأهرامات المدرَّجة العظيمة، وقد استحالَ قرميد (ميرين) بألوانه العديدة إلى الرَّمادي ثم الأسود، واحتشدَت الظِّلال في الشَّوارع والأزقَّة بالأسفل صانعةً بِركًا وأنهارًا. في الغسق تبدو المدينة مكانًا هادئًا رائقًا وجميلًا أيضًا، لكن الفارس العجوز قال لنفسه مع آخِر رشفةٍ من النَّبيذ: *هذا طاعون وليس سلامًا*.

لم يرغب في لفت الأنظار، ولذا حين فرغ من عَشائه خلعَ ثياب البلاط مبدِّلًا معطف الحَرس الملكي الأبيض بمعطف مُسافرين بنِّي مزوَّد بقلنسوة من الممكن أن يرتديه أيُّ رجلٍ عادي، لكنه احتفظَ بسيفه وخنجره. *قد يكون هذا فخًّا ما*. إنه لا يثق كثيرًا بهيزدار، وثقته برزناك مو رزناك أقل. وارد جدًّا أن يكون القهرمان العاطِر جزءًا من هذا، يُحاوِل أن يستدرجه إلى لقاءٍ سرِّي يُمكِّنه من الإطاحة به وبسكاهاز في آنٍ واحد واتِّهامهما بالتَّآمُر على الملك. *إذا كان غرض الرَّأس الحليق الخيانة فلن يَترُك لي خيارًا إلَّا القبض عليه. هيزدار زوج مليكتي أيًّا كانت مشاعري نحوه، وواجبي له لا لسكاهاز.*

أليس كذلك؟

أول واجبات الحارس الملكي أن يحمي الملك من الأذى أو التَّهديد، والفُرسان البِيض مقسمون أيضًا على طاعة أوامر الملك والحفاظ على أسراره، وإسداء النَّصيحة إليه إذا طُلِبَت والصَّمت إن لم تُطلَب، وتلبية حاجاته والدِّفاع عن اسمه وشَرفه. من النَّاحية العمليَّة البحتة يعدُّ شمول آخَرين بحماية الحَرس الملكي -حتى أصحاب الدَّم الملكي- خيار الملك وحده. بعض الملوك ارتأوا أن لا بأس بتكليف الفُرسان البيض بخدمة وحماية زوجاتهم وأطفالهم وإخوتهم وأعمامهم وعمَّاتهم وأولاد عمومتهم المقرَّبين وغير المقرَّبين، وأحيانًا حبيباتهم وعشيقاتهم ونغولهم أيضًا، وهناك ملوك آخَرون فضَّلوا الاستعانة بفُرسان وجنود أهل البيت في تلك الشُّؤون، واحتفظوا بحَرسهم السَّبعة حولهم قريبين طوال الوقت.

لو أمَرَتني الملكة بحماية هيزدار لما ملكتُ خيارًا إلَّا الطَّاعة. لكن دنيرس تارجاريَن لم تُؤسِّس حَرسًا ملكيًّا فعليًّا لنفسها أو تُصدِر أيَّ أوامر بخصوص زوجها. *كان العالم أبسط حين كان لي قائد يُقرِّر تلك الأمور، والآن أنا القائد وصعب علَيّ أن أعرف سبيل الصَّواب.*

عندما بلغَ قاعدة المجموعة الأخيرة من السَّلالم وجدَ نفسه بمفرده تقريبًا في الأروقة المضاءة بالمشاعل وراء جُدران الهرم القرميد الهائلة، والبوَّابة العظيمة مغلقةً ومزلجةً كما توقَّع. خارج هذه البوَّابة يقف أربعة من الوحوش النُّحاس، وبالدَّاخل أربعة آخَرون، وهؤلاء هُم من قابلَهم الفارس العجوز، رجال كبار الحجم مقنَّعون بوجوه خنزيرٍ برِّي ودُبٍّ وفأر حقلٍ ومانتيكور.

أخبرَه الدُّب: «كلُّ شيءٍ هادئ أيها الفارس».

- «حافِظوا على هذا». ليس غريبًا أن يتجوَّل السير باريستان ليلًا ليستوثق من تأمين الهرم.

في مكانٍ أعمق داخل الهرم يقف أربعة وحوش نُحاس آخَرون حراسةً على الباب الحديد العظيم خارج الجُبِّ المحبوس فيه قسيريون وريجال، يتوهَّج ضوء المشاعل على أقنعتهم؛ قرد وتيس وذئب وتمساح.

سألَ سلمي: «هل أُطعِما؟».

أجابَه القرد: «نعم أيها الفارس، خروف لكلٍّ منهما».

وتُرى كم سيكفي هذا؟ مع نموِّ التَّنانين تنمو شهيَّتها.

حانَ وقت العثور على الرَّأس الحليق، وهكذا شقَّ السير باريستان طريقه مارًّا بالأفيال وفَرس الملكة الفضِّيَّة إلى مؤخِّرة الاسطبلات. نهقَ حمار لدى مروره، وتحرَّك بعض الأحصنة على ضوء قنديله، لكن فيما عدا هذا كلُّ شيءٍ ساكن مظلم.

ثم إن ظِلًّا فصلَ نفسه من داخل مربطٍ فارغ وتحوَّل إلى وحشٍ نُحاس آخَر يرتدي تنُّورةً سوداء ذات ثنيات وواقيَي ساقين وواقي صدر. حين رأى باريستان سلمي القناع تحت القلنسوة قال: «قِط؟». وقت أن قادَ الرَّأس الحليق الوحوش النُّحاس كان يُفضِّل قناعًا مهيبًا مخيفًا على شكل رأس أفعى.

ردَّ صوت سكاهاز مو كانداك المألوف: «القِطط تذهب في كلِّ مكانٍ ولا أحد يَنظُر إليها أبدًا».

- «إذا علمَ هيزدار أنك هنا...».

- «ومَن سيُخبِره؟ مارجاز؟ مارجاز يعلم ما أريده أن يعلمه. الوحوش ما زالوا رجالي، لا تنسَ هذا». يَكتُم القناع صوت الرَّأس الحليق، ومع ذلك بإمكان سلمي أن يسمع الغضب في نبرته. «لقد قبضتُ على المسمِّم».

- «مَن؟».

- «حلواني هيزدار. لن يعني اسمه لك شيئًا. كان الرَّجل مجرَّد أداة. أبناء الهارپي أخذوا ابنته وأقسَموا أن يُعيدوها سليمةً فور موت الملكة. بِلواس والتنِّين أنقَذا دنيرس، لكن أحدًا لم يُنقِذ الفتاة. لقد أعادوها إلى أبيها في جوف اللَّيل مقطَّعةً تسع قطع، واحدة لكلِّ سنةٍ عاشَتها».

قال والشُّكوك تنهشه: «لماذا؟ الأبناء كفُّوا عن القتل. سلام هيزدار...».

- «... سراب. ليس في البداية، لا، لأن اليونكيِّين خائفين من الملكة، من مُطهَّريها وتنانينها. هذه الأرض عرفَت التَّنانين من قبل. يوركاز زو يونزاك قرأ التَّاريخ وعلمَ هذا، وهيزدار أيضًا. لِمَ ليس السَّلام؟ دنيرس أرادَته، وقد رأوا هذا، أرادَته بشدَّة. كان عليها أن تزحف على (أستاپور)»، ودنا سكاهاز متابعًا: «لكن ذلك كان في السَّابق. الحلبة غيَّرت كلَّ شيء. دنيرس رحلَت ويوركاز ماتَ، وبدلًا من أسدٍ عجوز واحد أصبحَ هناك قطيع من بنات آوى. ذو اللِّحية الدَّمويَّة... هذا الرَّجل لا يستعذِب مذاق السَّلام. وهناك المزيد، أسوأ. (ڤولانتيس) أطلقَت أسطولها ضدنا».

- «(ڤولانتيس)». أحسَّ سلمي بوخزٍ في يد سيفه. *السَّلام الذي أقمناه مع (يونكاي) لا مع (ڤولانتيس)*. «أأنت واثق؟».

- «واثق. الأسياد الحُكماء يعرفون، وكذا أصدقاؤهم، الهارپي ورزناك وهيزدار. حين يصل القولانتينيُّون سيفتح لهم الملك بوَّابات المدينة، وكلُّ من حرَّرتهم دنيرس سيُستعبدون من جديد، وحتى بعض مَن لم يكونوا عبيدًا قَطُّ سيُغلُّون بالسَّلاسل. قد تنتهي حياتك في حلبات القتال أيها العجوز. سيأكل كراز قلبك».

قال سلمي وقلبه هذا يدقُّ بعُنف: «لا بُدَّ من إبلاغ دنيرس».

ردَّ سكاهاز: «اعثُر عليها أولًا»، وأطبقَ على ساعِده بأصابع كالحديد مواصلًا: «لا يُمكننا انتظارها. لقد تحدَّثتُ مع الإخوة الأحرار ورجال الأُم والتُّروس المقدامة. إنهم لا يثقون بلوراك على الإطلاق. يجب أن نكسر اليونكيِّين، ولذا نحتاج إلى المُطهَّرين. الدُّودة الرَّمادي سيُصغي إليك. تحدَّث معه».

- «لأيِّ غرض؟». *يتكلَّم عن خيانة، عن مؤامرة.*

كانت عينا الرَّأس الحليق بِركتين سوداوين وراء قناع القِطِّ النُّحاسي. «الحياة. يجب أن نضرب ضربتنا قبل وصول القولانتينيِّين، نكسر الحصار ونَقتُل الأسياد النخَّاسين ونقلب مرتزِقتهم. اليونكيُّون لا يتوقَّعون هجومًا. إن لي جواسيسي في معسكَراتهم، ويقولون إن هناك مرضًا يتفاقَم كلَّ يوم. الانضباط دبَّ فيه العفن، والأسياد سكارى أغلب الوقت، يُتخِمون أنفُسهم في المآدب ويحكي بعضهم لبعضٍ عن الثَّروات التي سيقتسمونها عندما تَسقُط (ميرين) ويتشاجَرون على الأسبقيَّة. ذو اللِّحية الدَّمويَّة وأمير الأسمال يتبادَلان الاحتقار. لا أحد يتوقَّع قتالًا، ليس الآن. يعتقدون أن سلام هيزدار نوَّمنا».

قال السير باريستان: «دنيرس وقَّعت معاهدة السَّلام، وليس لنا أن نخرقها دون إذنها».

- «وإذا ماتَت؟ ماذا إذن أيها الفارس؟ أقولُ إنها كانت لتُريدنا أن نحمي مدينتها، نحمي أطفالها».

المعتَقون أطفالها. *دعوها بميسا، هؤلاء الذين حطَّمت سلاسلهم، أمَّاه.* ليس الرَّأس الحليق مخطئًا. كانت دنيرس لتُريد أن يبقى أطفالها محميِّين. «وماذا عن هيزدار؟ إنه ما زالَ رفيقها، ملكها، زوجها».

- «مسمِّمها».

حقًّا؟ «أين دليلك؟».

- «التَّاج الذي يعتمره دليل كافٍ، العرش الذي يجلس عليه! افتح عينيك أيها العجوز. هذا هو كلُّ ما احتاجَ إليه من دنيرس، كلُّ ما أرادَه، وما إن حازَه فلِمَ يتقاسَم الحُكم؟».

لِمَ حقًّا؟ كان الحرُّ شديدًا في الحلبة، وما زالَ بإمكانه أن يرى وميض الهواء فوق الرِّمال القرمزيَّة ويشمَّ الدِّماء التي سالَت من الرِّجال الذين ماتوا تسليةً للميرينيزيِّين... وما زالَ بإمكانه أن يسمع هيزدار يحضُّ الملكة على تذوُّق الجراد المعسول. *لذيذ جدًّا... حُلو وحار... لكنه لم يمسَّ واحدةً عن نفسه...* فركَ سلمي صُدغه. *لم أقسم على شيءٍ لهيزدار زو لوراك، ولو فعلتُ فقد نحّاني مِثله مِثل* چوفري. «هذا... هذا الحلواني، أريدُ أن أستجوبه بنفسي، وحدي».

قال الرَّأس الحليق: «هكذا إذن؟»، وعقدَ ذراعيه على صدره متبعًا: «لك هذا، استجوِبه كما تشاء».

- «إذا... إذا أقنعَتني أقواله... إذا انضمَمتُ إليك في هذه، هذه... أريدُ كلمتك بألَّا يمسَّ هيزدار زو لوراكْ أذى حتى... ما لم... يَثبُت أنه لعبَ دورًا في هذا».

- «لماذا تُبالي بهيزدار أيها العجوز؟ إن لم يكن هو الهارپي فإنه ابنه البِكري».

- «كلُّ ما أعلمه يقينًا أنه زوج الملكة. أريدُ كلمتك وإلَّا أقسمُ أنني سأعارضك».

قال سكاهاز بابتسامةٍ وحشيَّة: «لك كلمتي إذن. لا أذى سيمسُّ هيزدار حتى يَثبُت ذنبه، لكن حين نَحصُل على الدَّليل سأقتله بيدَي. أريدُ أن أقتلع أحشاءه من بطنه وأريها له قبل أن أتركه يموت».

فكَّر الفارس العجوز: *لا. إذا تآمَر هيزدار ضد مليكتي وخطَّط لموتها فسأقتله بنفسي، لكن موته سيكون سريعًا نظيفًا.* آلهة (وستروس) بعيدة للغاية، لكن سلمي صمتَ لحظةً يُردِّد دُعاءً صامتًا لـ(العجوز) سائلًا إياها الهُدى إلى سبيل الحكمة، وأخبرَ نفسه: *من أجل الأطفال، من أجل المدينة، من أجل مليكتي*، ثم إنه قال: «سأتكلَّمُ مع الدُّودة الرَّمادي».

ظهرَت (الثُّبور) وحدها عند مطلع الفَجر، قلوعها السَّوداء قاتمة تحت سماوات الصُّبح الورديَّة الشَّاحبة.

حين أيقَظوه فكَّر ڤيكتاريون بجهامة: *الرَّابعة والخمسون، ومبحرة وحدها*. صامتًا لعنَ الإله الغريق على نقمته بحنقٍ كحجرٍ أسود في بطنه. *أين سُفني؟*

كان قد أبحرَ من (الثُّروس) بثلاثٍ وتسعين من السُّفن المئة التي يتكوَّن منها الأسطول الحديدي، الأسطول الذي لا ينتمي إلى لورد واحد بل إلى كُرسي حجر اليَم نفسه، ربابنته وأطقُمه رجال من الجُزر كلِّها بلا استثناء. السُّفن أصغر من دُرمونات الأراضي الخضراء الحربيَّة العظيمة، نعم، لكنها تفوق السُّفن الطَّويلة التَّقليديَّة ثلاث مرَّاتٍ حجمًا، أبدانها عميقة وكباشها[(68)] مدمِّرة، مؤهَّلة لمواجهة أساطيل الملك شخصيًّا في المعركة.

في (الأعتاب) حمَّلوا حبوبًا وفرائس وماءً عذبًا بعد الرِّحلة الطَّويلة بمحاذاة ساحل (دورن) القاحل الكئيب بمياهه الضَّحلة ودوَّاماته، وهناك استولَت (النَّصر الحديدي) على سفينةٍ تجاريَّة ضخمة، الكوج العظيم (السيِّدة النَّبيلة) الذي كان في طريقه إلى (البلدة القديمة) عن طريق (بلدة النَّوارس) و(وادي الغسق) و(كينجز لاندنج)، وعلى متنه حمولة من سمك القُد المملَّح وزيت الحيتان والرِّنجة المحفوظة، فكان الطَّعام إضافةً مرحَّبًا بها إلى مخزونهم. ثم إنهم استولوا على خمس غنائم أخرى في (بوغاز ردواين) وعلى السَّاحل الدورني، ثلاثة أكواج وقاليون وقادس، وهو ما رفعَ عدد سُفنهم إلى تسعٍ وتسعين.

تسع وتسعون سفينةً أبحرَت من (الأعتاب) في مفخرةٍ من ثلاثة أساطيل، حاملةً أوامر باللِّقاء ثانيةً عند الطَّرف الجنوبي لـ(جزيرة الأَرز). والآن بلغَت أربع وخمسون سفينةً الجانب القصي من العالم، منها اثنتان وعشرون من أسطول ڤيكتاريون نفسه، وصلَت بعضهن ثلاثًا وأربعًا في آنٍ واحد وبعضهن وحدها، وأربع عشرة من أسطول رالف الأعرج، وتسع من التي أبحرَت مع رالف ستونهاوس الأحمر (ورالف الأحمر نفسه بين المفقودين). أضافَ الأسطول إلى عدده تسع غنائم جديدةً أُسِرَت في البحر، وهكذا أصبحَ العدد الإجمالي أربعًا وخمسين سفينةً... لكن المأسورة ليست سُفنًا حربيَّةً وإنما أكواج وقوارب صيد وسُفن تجاريَّة وسُفن نخاسة، وفي المعركة ستكون بديلًا رديئًا لسُفن الأسطول الحديدي المفقودة.

آخِر سفينةٍ ظهرَت كانت (لعنة العذراء) قبل أيامٍ ثلاثة، وقبلها بيومٍ جاءَت ثلاث سُفن من الجنوب معًا، أسيرته (السيِّدة النَّبيلة) المبحرة بثقلٍ بين (معلف الغِدفان) و(قُبلة الحديد). على أن شيئًا لم يظهر في اليوم السَّابق لهذا ولا اليوم السَّابق له، وقبلها أتَت (چين عديمة الرَّأس) و(الخوف) فقط، ثم مرَّ يومان آخَران من البحر الخالي والسَّماء الصَّحوة بعد ظهور رالف الأعرج ببقايا أسطوله؛ (اللورد كويلون) و(الأرملة البيضاء) و(المرثاة) و(الويل) و(اللَّوِياثان) و(السيِّدة الحديديَّة) و(ريح الحصاد) و(مطرقة الحرب)، ووراءها ستُّ سُفن أخرى منها اثنتان مجرورتان بعد أن حطَّمتهما العواصف.

عندما ذهبَ رالف الأعرج إلى ڤيكتاريون زاحفًا أخبرَه متمتمًا: «عواصف. ثلاث عواصف كبيرة، وريح خبيثة بينها، ريح حمراء من (ڤاليريا) محمَّلة بروائح الرَّماد والكبريت، وريح سوداء دفعَتنا صوب ذلك السَّاحل الموحش. هذه الرِّحلة ملعونة من بدايتها. عين الغُراب يخشاك يا سيِّدي، وإلَّا فلِمَ يُرسِلك إلى أقصى الأرض؟ إنه لا يُريدنا أن نرجع».

هذا ما خطرَ لڤيكتاريون أيضًا حين لاقى العاصفة الأولى بعد يومٍ من إبحاره من (ڤولانتيس القديمة)، وقال لنفسه وقد استغرقَ في التَّفكير: *لولا أن الآلهة تكره قتَلة الأقربين لكان يورون عين الغُراب قد ماتَ بيدي عشرات المرَّات*. بينما تلاطمَت أمواج البحر حوله وارتفعَ السَّطح وانخفضَ تحت قدميه رأى (وليمة داجون) ترتطم بـ(المد الأحمر) بعُنفٍ عاتٍ حطَّم الاثنتين عن آخِرهما، ففكَّر: *عمل أخي*. هاتان أول سفينتين فقدَهما من ثُلثه من الأسطول، لكنهما لم تكونا الأخيرتيْن.

وهكذا صفعَ الأعرج على وجهه مرَّتين، وقال له: «الأولى للسُّفن التي فقدتها، والثَّانية لكلامك عن اللَّعنات. اذكُرها ثانيةً وسأمَسمِر لسانك إلى الصَّاري. إذا كان عين الغُراب يستطيع أن يجعل رجاله بُكمًا فأنا أيضًا أستطيعُ». من جرَّاء نبض الألم في يده اليُسرى خرجَت كلماته أقسى مما كانت لتَخرُج في ظرفٍ آخَر، لكنه عنى ما قاله. «سيأتي مزيد من السُّفن. العواصف سكنَت في الوقت الحالي. سيكتمل أسطولي».

فوق الصَّاري بالأعلى زقحَ قرد بتشفٍّ كأن بإمكانه أن يذوق إحباطه. *حيوان قذر مزعج*. يُمكنه أن يُرسِل رجلًا إلى أعلى يَطرُده، لكن القرَدة تحبُّ هذه اللُّعبة على ما يبدو، ثم إنها أثبتَت أنها أرشق من رجال طاقمه. ظلَّ زقْح القرد يرنُّ في أُذنيه وجعلَه يحسُّ كأنما يزداد النَّبض في يده سوءًا.

دمدمَ: «أربع وخمسون». كان الأمل في قوَّة الأسطول الحديدي الكاملة ضربًا من العبث بعد رحلةٍ بهذا الطُّول... لكن سبعين سفينةً، أو حتى ثمانين، كان الإله الغريق ليُجدي عليه هذا. *ليت ذا الشَّعر الرَّطب كان معنا، هو أو راهب آخَر*. قبل الإبحار قدَّم ڤيكتاريون القرابين، ومرَّةً أخرى في (الأعتاب) حين قسمَ الأسطول على ثلاثة، لكن ربما ردَّد الصَّلوات الخطأ. *إمَّا ذلك وإمَّا أن الإله الغريق لا سُلطان له هنا*. أكثر فأكثر صارَ يخشى أنهم أبحَروا أبعد من اللَّازم إلى بحارٍ غريبة آلهتها أنفُسها غريبة... إلَّا أنه لا يُفصِح عن تلك الهواجس إلَّا للمرأة السَّمراء التي لا تملك لسانًا تُردِّدها به.

عندما ظهرَت (الثُّبور) استدعى ڤيكتاريون وولف ذا الأُذن الواحدة، وأخبرَه: «أريدُ كلمةً مع فأر الحقل، وأرسِل خبرًا لرالف الأعرج وتوم عديم الدَّم والرَّاعي الأسود. أريدُ عودة جميع فِرق الصَّيد وتفكيك المخيَّمات على الشَّاطئ بحلول الفَجر. حمِّلوا كلَّ الفواكه التي تقدرون على قطفها وسوقوا الخنازير إلى السُّفن. يُمكننا أن نذبحها عند الحاجة. ستبقى (القِرش) هنا لإخبار أيِّ متلكِّئين بمكاننا». سيستغرق إصلاح السَّفينة تلك المُدَّة بعد أن خرَّبتها العواصف، وهو ما سيخفض العدد إلى ثلاث وخمسين سفينة، لكن ما باليد حيلة. «سيرحل الأسطول غدًا في تيَّار المساء».

قال وولف: «كما تأمر، لكن يومًا آخَر قد يعني سفينةً أخرى يا حضرة الرُّبَّان القائد».

- «أجل، وعشرة أيام قد تعني عشر سُفن أو لا سُفن على الإطلاق. لقد أهدَرنا أيامًا أكثر من اللّازم في انتظار ظهور الأشرعة. سيكون نصرنا أحلى وأحلى إذا حقَّقناه بأسطولٍ أصغر». *ويجب أن أصل إلى ملكة التَّنانين قبل القولانتينيِّين.*

في (ڤولانتيس) رأى القوادس تُحمَّل المؤن. بدَت له المدينة بأكملها سكرانة، وشُوهِدَ الملّاحون والجنود والسَّمكريَّة يَرقُصون في الشَّوارع مع النُّبلاء والتُّجّار السِّمان، وفي كلِّ خانٍ وخمَّارةٍ رُفِعَت الكؤوس في صحَّة القناصل الجُدد، ودارَ الكلام كلُّه حول ما سيتدفَّق من ذهبٍ وجواهر وعبيد إلى (ڤولانتيس) ما إن تموت ملكة التَّنانين. يوم واحد من هذا الحديث هو كلُّ ما استطاعَ ڤيكتاريون جرايچوي أن يهضمه، وهكذا دفعَ ثَمن الطَّعام والماء ذهبًا -على الرغم مما في هذا من خزي- وعادَ بسُفنه إلى البحر.

لا ريب أن العواصف شتَّتت القولانتينيِّين وعطَّلتهم مِثلما فعلَت بسُفنه، وإذا تبسَّمت له الأقدار فقد غرقَ كثير من سُفنهم الحربيَّة أو انجرفَ إلى اليابسة، ولكن ليس جميعها، فلا إله بهذا الكرم، وربما تكون تلك القوادس الخضراء التي نجَت قد أبحرَت حول (ڤاليريا) بالفعل. *وتَمخُر الآن عباب البحر إلى الشَّمال صوب (ميرين) و(يونكاي)، دُرمونات حربيَّة عظيمة تعجُّ بالجنود العبيد.*
إذا جنَّبها الإله الغريق ويلات العواصف فمن الممكن أن تكون في (خليج الثُّبور) الآن، ثلاثمئة سفينة، وربما يَبلُغ عددها الخمسمئة.
حُلفاء القولانتينيِّين عند (ميرين) بالفعل، يونكيُّون وأستاپوريُّون، ورجال من (جيس الجديدة) و(كارث) و(تولوس) والإله الغريق يعلم من أين أيضًا، وحتى سُفن (ميرين) الحربيَّة التي فرَّت من المدينة قبل سقوطها. ضد كلِّ هذا مع ڤيكتاريون أربع وخمسون سفينةً... بالأحرى ثلاث وخمسون بعد خصم (القِرش).

قطعَ عين الغُراب نِصف العالم إبحارًا، يُغير وينهب من (كارث) إلى (بلدة الأشجار الطَّويلة)، ويرسو في موانٍ كريهة لا يرتحل بعدها إلَّا المجانين، بل وأقدمَ يورون أيضًا على خوض (بحر الدُّخان) وعاشَ ليحكي عن مُغامرته. *وهذا بسفينةٍ واحدةٍ فقط.*
إذا كان يستطيع السُّخرية من الآلهة فأنا أيضًا أستطيعُ.

قال وولف ذو الأُذن الواحدة: «أمر حضرة الرُّبَّان». لا يُداني وولف الرَّجل الذي كانه نيوت الحلَّاق ولو قليلًا، لكن عين الغُراب سرقَ نيوت، وبرفعه إلى سيادة (تُرس السَّنديان) جعلَ أفضل رجال ڤيكتاريون رجله. «أما زالَت وجهتنا (ميرين)؟».

- «وأين غيرها؟ ملكة التَّنانين منتظرة في (ميرين)». *أجمل امرأةٍ في العالم إذا صدقَ أخي. شَعرها ذهبي فضِّي، وعيناها جَمَشْت.*

هل يَكثُر عليه أن يأمل أن يكون يورون قد قال الحقيقة مرَّةً؟ *ربما*. على الأرجح سيتَّضح أن الفتاة مجرَّد ساقطةٍ مجدورة الوجه يتهدَّل ثدياها إلى رُكبتيها، وأن «تنانينها» ليست أكثر من سحالٍ موشومة من مستنقعات (سوثوريوس). *أمَّا إذا كانت كما يدَّعي يورون*... لقد سمعوا كلامًا عن حُسن دنيرس تارجاريَن من أفواه القراصنة في (الأعتاب) والتُّجَّار السِّمان في (ڤولانتيس القديمة)، وقد تكون أقاويلهم صحيحةً، كما أن يورون لم يُقدِّمها إلى ڤيكتاريون هديَّةً، بل ينوي عين الغُراب أن يأخذها لنفسه. *يُرسِلني لأحضرها كأني خادمه. كم سيُوَلوِل ويندب حين آخذها لنفسي*. فليُهَمهِم الرِّجال ويتبرَّموا. لقد قطعوا شوطًا أطول ومُنوا بخسائر أكثر من أن يرتدَّ ڤيكتاريون على عقبه إلى الغرب دون غنيمته.

كوَّر الرُّبَّان الحديدي قبضته السَّليمة قائلًا: «اذهب واعمل على تنفيذ أوامري، وجِد المِايستر أينما كان مختبئًا وأرسِله إلى قمرتي».

قال وولف: «حاضر»، وهرعَ مبتعدًا.

عادَ ڤيكتاريون جرايچوي يلتفت إلى مقدِّمة السَّفينة جائسًا ببصره في الأسطول. تملأ السُّفن الطَّويلة البحر، قلوعها مطويَّة ومجاذيفها مرفوعة، طافية في المياه الضَّحلة أو راسية على رمال السَّاحل الباهتة. (جزيرة *الأرز*). وأين شجر الأَرز هذا؟ غرقَ قبل أربعمئة عامٍ على ما يبدو. نزلَ ڤيكتاريون إلى اليابسة دستةً من المرَّات يصطاد اللَّحم الطَّازج ولم يرَ شجرة أَرز واحدة.

زعمَ المِايستر المخنَّث الذي ابتلاه به يورون في (وستروس) أن هذا المكان كان يُسمَّى آنفًا (جزيرة المئة معركة)، لكن الرِّجال الذين قاتَلوا في تلك المعارك وُوروا الثَّرى قبل قرون. (جزيرة القرود)، *هكذا ينبغي أن يُسمُّوها*. وثمَّة خنازير هنا أيضًا، أكبر خنازيرٍ برِّيَّة رآها الحديديُّون وأشدها سوادًا على الإطلاق، وأعداد وفيرة من الخنازير الصَّغيرة في الأحراش، مخلوقات جريئة لا تخاف الإنسان. *لكنها بدأت تتعلَّم الخوف*. تمتلئ مخازن الأسطول الحديدي بلحم الخنازير المدخَّن والمملَّح والمقدَّد.

أمَّا القرود... القرود وبال. حرَّج ڤيكتاريون على رجاله أن يجلبوا أيًّا من تلك الكائنات الشَّيطانيَّة إلى الأسطول، وعلى الرغم من هذا غزَت نِصف السُّفن، بما فيها سفينته (النَّصر الحديدي)، والآن تحديدًا يرى بعضها يتأرجَح من صارٍ إلى صارٍ وسفينةٍ إلى سفينة. *ليت معي نُشَّابيَّة*.

لا يحبُّ ڤيكتاريون هذا البحر، ولا هذه السَّماوات الصَّافية اللانهائيَّة، ولا الشَّمس المستعرة التي تدقُّ رؤوسهم دقًّا بأشعَّتها وتُلهِب أسطُح السُّفن بسخونةٍ كفيلة بسفع الأقدام الحافية، ولا يحبُّ هذه العواصف التي يبدو كأنما تأتي من العدم. غالبًا ما يكون البحر عاصفًا حول (پايك)، لكن على الأقل بإمكان المرء هناك أن يشمَّها قبل هبوبها، أمَّا هذه العواصف الجنوبيَّة فخدَّاعة كالنِّساء. حتى المياه لونها خطأ، فيروزي متلألئ قُرب السَّاحل وبعيدًا عنه أزرق قاتم يكاد يكون أسود. كم يفتقد ڤيكتاريون مياه الوطن الخضراء الرَّماديَّة بأمواجها المزبدة وجيشانها.

ولا يحبُّ (جزيرة الأَرز) هذه أيضًا. قد يكون الصَّيد وافرًا، لكن الغابات بالغة الخُضرة والسُّكون، ملأى بأشجارٍ ملتوية وأزهارٍ زاهية عجيبة لم يرَ أحد من رجاله لها مثيلًا من قبل، علاوةً على أن هناك أهوالًا كامنةً بين القصور المتهدِّمة والتَّماثيل المحطَّمة الباقية من (ڤيلوس) الغارقة على بُعد نِصف فرسخٍ شمال البُقعة التي يرسو فيها الأسطول الحديدي. آخِر مرَّةٍ أمضى فيها ڤيكتاريون اللَّيل على البرِّ كانت أحلامه مظلمةً مزعجةً، ولمَّا استيقظَ وجدَ فمه مليئًا بالدَّم. قال المِايستر إنه عضَّ لسانه في نومه، لكنه اعتبرَها آيةً من الإله الغريق، إنذارًا من أن بقاءه هنا أطول من اللَّازم سيُميته مخنوقًا بدمه.

يُقال إن يوم أتى الهلاك على (ڤاليريا) ارتفعَ حائط من المياه ثلاثمئة قدمٍ وحطَّ على الجزيرة مغرقًا مئات الألوف من الرِّجال والنِّساء والأطفال، ولم يَترُك أحدًا حيًّا يحكي الحكاية إلَّا بعض الصيَّادين الذين كانوا في البحر ساعتها، ومجموعة صغيرة من حاملي الحِراب الڤيلوسيِّين المكلَّفين بحراسة بُرجٍ حجري متين فوق أعلى تلال الجزيرة، وقد شهدَ هؤلاء التِّلال والوديان أسفلهم تستحيل إلى بحرٍ ثائر. في غمضة عينٍ اختفَت (ڤيلوس) الجميلة بقصورها وأَرزها ومرمرها الوردي، وفي طرف الجزيرة الشَّمالي مُنِيَت الأسوار القرميد العتيقة والأهرام المدرَّجة في ميناء النِّخاسة (جوزاي) بالمصير عينه.

حين اختارَ ڤيكتاريون الجزيرة مكانًا للقاء أقسام أسطوله الثَّلاثة قال لنفسه: *غرقى كثيرون جدًّا. سيكون للإله الغريق نفوذ قوي هناك*. على أنه ليس رجل دين، فماذا لو أنه أساءَ التَّأويل؟ ربما دمَّر الإله الغريق الجزيرة غضبًا. كان أخوه آرون ليعرف، غير أن ذا الشَّعر الرَّطب بعيد في (جُزر الحديد)، يُندِّد بعين الغُراب وحُكمه. *ليس لكافرٍ أن يجلس على كُرسي حجر اليَم*. لكن الرَّبابنة والملوك هتفوا ليورون في انتخاب الملك وفضَّلوه على ڤيكتاريون وغيره من المؤمنين.

كانت شمس الصَّباح تتألَّق على صفحة الماء في تموُّجاتٍ من الضَّوء أسطع من أن يَنظُر إليها، وبدأ رأس ڤيكتاريون يدقُّ، ولو أنه لا يدري إن كان السَّبب الشَّمس أم يده أم الهواجس المستبدَّة به. عادَ إلى قمرته المعتمة بالأسفل حيث الهواء فاتر الحرارة، وعلمَت المرأة السَّمراء ما يُريده دون أن يَطلُب، وإذ أراحَ نفسه على مقعده أخذَت قطعةً ناعمةً رطبةً من القُماش من الحوض ووضعَتها على جبهته، فقال: «جيِّد، جيِّد. والآن اليد».

لم تردَّ السَّمراء. قطعَ يورون لسانها قبل أن يُعطيها له، ولا يشكُّ ڤيكتاريون في أن عين الغُراب ضاجعَها أيضًا. إنه ديدن أخيه. يوم صعدَت المرأة إلى متن سفينته قال الرُّبَّان لنفسه مذكِّرًا: *هدايا يورون مسمومة. لا أريدُ شيئًا من فُضالته*، وقرَّر يومها أن يشقَّ حَلقها ويُلقيها في البحر كقُربان دمٍ للإله الغريق، لكنه لسببٍ ما لم يفعل قَطُّ.

منذ ذلك الحين تطوَّرت الأمور بينهما كثيرًا. يستطيع ڤيكتاريون أن يُكلِّم السَّمراء، ومن ناحيتها لا تُحاوِل هي مبادلته الكلام أبدًا. أخبرَها وهي تخلع قُفَّازه برفق: «(الثُّبور) الأخيرة. البقيَّة مفقودة أو متأخِّرة أو غرقَت». جفلَ ألمًا إذ دسَّت المرأة رأس سكِّينها تحت الضِّمادة الكتَّان الملوَّثة حول يد تُرسه، ثم إنه أردفَ: «سيقول بعضهم إنه ما كان عليَّ أن أقسم الأسطول. بُله. كانت سُفننا تسعًا وتسعين... عددًا أضخم من أن نَعبُر به البحار إلى طرف العالم الآخَر. لو أبقيتها معًا لظلَّت السُّفن الأسرع مرهونةً بحركة الأبطأ، وأين نجد مؤنًا لكلِّ تلك الأفواه؟ لا ميناء يُريد كلَّ هذه السُّفن الحربيَّة في مياهه. كانت العواصف لتُشتِّتنا في جميع الأحوال وتُبَعثِرنا كورق الشَّجر في أنحاء (بحر الصَّيف)».

بدلًا من ذلك قسمَ الأسطول وأرسلَ كلَّ سربٍ إلى (خليج النخَّاسين) من طريقٍ مختلف. أعطى أسرع السُّفن لرالف ستونهاوس الأحمر ليُبحِر في مسار القراصنة بمحاذاة ساحل (سوثوريوس) الشَّمالي. يعلم كلُّ بحّارٍ أن من الخير تحاشي المُدن الميتة المتعفِّنة على ذلك السَّاحل القائظ، لكن في بلدات (جُزر البازيليسق) المبنيَّة بالوحل والدِّماء ثمَّة مؤن متاحة لمن لا يخشون دفع الثَّمن الحديدي، على الرغم من امتلائها بالرَّقيق الهاربين والنخَّاسين والسلّاخين والعاهرات والصيَّادين وأنصاف البَشر المخطَّطين وما هو أسوأ.

اتَّجهت السُّفن الأكبر والأثقل والأبطأ إلى (لِيس) لبيع الأسرى والسَّبايا المأخوذين من (التُّروس)، نساء وأطفال (بلدة اللورد هيويت) والجُزر الأخرى، بالإضافة إلى الرِّجال الذين آثَروا الاستسلام على الموت، وهؤلاء الضُّعفاء لا يَشعُر ڤيكتاريون نحوهم إلَّا بالاحتقار. وعلى الرغم من هذا خلَّف البيع مذاقًا كريهًا في فمه. أن يتَّخذ من رجلٍ قِنًّا أو من امرأةٍ زوجةً ملحيَّةً فهذا سليم قويم، لكن البَشر ليسوا مواشيَ أو دواجنَ تُباع وتُشترى بالذَّهب. أراحَه أن يَترُك عمليَّة البيع لرالف الأعرج الذي كُلِّف باستخدام المال في مَلء السُّفن الكبيرة بالمؤن من أجل الرِّحلة الوُسطى الطَّويلة البطيئة إلى الشَّرق.

أبحرَت سُفنه هو بمحاذاة سواحل (أراضي النِّزاع) لتحميل الطَّعام والنَّبيذ والماء العذب من (ڤولانتيس) قبل الدَّوران جنوبًا حول (ڤاليريا)، وهو أكثر الطُّرق المطروقة إلى الشَّرق وأشدُّها ازدحامًا، مليء بغنائم جاهزة للنَّهب وجُزر صغيرة يأوون إليها خلال العواصف ويُجرون الإصلاحات ويُعيدون مَلء مخازنهم عند الضَّرورة.

قال للسَّمراء: «أربع وخمسون سفينةً عدد قليل للغاية، لكنني لا أستطيعُ الانتظار أكثر. السَّبيل الوحيد...»، وأنَّ إذ أزالَت الضِّمادة ممزِّقةً قشرةً من جُلبة جرحه معها ليبدو اللَّحم من تحتها أخضر وأسود حيث أصابَه السَّيف. «السَّبيل الوحيد للنَّجاح أن نُباغِت النخَّاسين بالهجوم كما فعلتُ من قبل في (لانسيورت)، أن ننقضَّ عليهم من البحر ونسحقهم، ثم نأخذ الفتاة ونُسرِع عائدين إلى الوطن قبل أن يُهاجِمنا القولانتينيُّون».

ليس ڤيكتاريون جبانًا، لكنه ليس أحمق كذلك، ويُدرِك أنه لا يقوى على هزيمة ثلاثمئة سفينةٍ بأربعٍ وخمسين. «ستكون زوجتي وتكونين وصيفتها». لا يُمكن أن يزلَّ لسان وصيفةٍ بالأسرار إن لم يكن لها لسان.

كان ليقول المزيد، لكن المِايستر وصلَ لحظتها ودقَّ باب القمرة بجُبن الفئران، فنادى ڤيكتاريون: «ادخُل وأوصِد الباب. تعرف سبب وجودك هنا».

- «حضرة الرُّبَّان القائد». يُشبِه المِايستر الفئران أيضًا بردائه الرَّمادي وشاربه البنِّي الصَّغير. *أيظنُّ أن هذا يجعله يبدو أكثر رجولةً؟* اسمه كروين، وسِنُّه صغيرة للغاية، اثنان وعشرون عامًا تقريبًا. سألَه: «هل لي أن ألقي نظرةً على يدك؟».

سؤال أحمق. للمِايسترات فوائدهم، لكن ڤيكتاريون لا يكنُّ لكروين هذا إلّا الازدراء. بوجنتيه المتورّدتين الملساوين ويديه النّاعمتين وخُصلاته البنّيّة المجعّدة يبدو بناتيًا أكثر من أكثر البنات. في بداية وجوده على متن (النّصر الحديدي) تعوّد رسم ابتسامةٍ متكلّفة صغيرة على شفتيه، لكن ذات ليلةٍ بعد رحيلهم من (الأعتاب) منحَ ابتسامته هذه للرّجل الخطأ، وكسرَ برتون همبل أربعًا من أسنانه، وبعدها بفترةٍ لم تَطُل زحفَ كروين إلى الرُّبّان شاكيًا من أن أربعةً من رجال الطّاقم جرُّوه إلى أسفل واستعمَلوه كأنه امرأة، فأخبرَه ڤيكتاريون هاويًا على الطّاولة بينهما بخنجر: «هاك، هكذا تضع نهايةً لذلك». أخذَ كروين الخنجر -خائفًا من رفضه كما خمّن الرُّبّان- لكنه لم يستخدمه قَطُّ.

قال ڤيكتاريون: «ها هي ذي يدي. انظُر كما تُريد».

جثا المِايستر كروين على رُكبته ليفحص الجرح من كثبٍ وتشمّمه كالكلاب، ثم إنه قال: «عليّ تصريف القيح ثانيةً. اللّون... حضرة الرُّبّان القائد، الجرح لا يندمل. قد أضطرُّ إلى بتر يدك».

كانا قد تكلّما عن هذا من قبل. «إذا بترت يدي فسأقتلك، لكنني سأقيّدك إلى الحاجز أولًا وأجعلُ من دُبرك هديّةً للطّاقم. قُم بعملك».

- «سيكون هناك ألم».

- «دومًا». *الحياة ألم أيها الأبله. لا رخاء إلّا في أبهاء الإله الغريق المائيّة*. «افعلها».

وضعَ الغُلام -غُلام لأن اعتبار أحدٍ ناعم متورِّد مِثله رجلًا صعب- حافة الخنجر على راحة يد الرُّبَّان وشقَّ، لينبجس من الجرح قيح أصفر ثخين كالحليب الفاسد. تقلَّص أنف السَّمراء من الرَّائحة، وبدا المِايستر على وشك القيء، وحتى ڤيكتاريون نفسه أحسَّ بمعدته تنقلب. «أعمق، صرِّفه كلَّه، أرِني الدَّم».

غرسَ المِايستر كروين الخنجر عميقًا، وهذه المرَّة تألَّمَ ڤيكتاريون، لكن الدَّم انبثقَ مع القيح، دم شديد القُنوان حتى إنه بدا أسود في ضوء المصباح.

الدَّم علامة جيِّدة. زمجرَ ڤيكتاريون استحسانًا، وجلسَ بلا جفولٍ فيما مسحَ المِايستر واعتصرَ ونظَّف القيح بمناديل من القُماش النَّاعم المغلي في الخل، ولدى فروغه كان الماء النَّظيف في الحوض قد تحوَّل إلى مستنقع، منظره وحده كفيل بإثارة غثيان أيِّ إنسان.

قال ڤيكتاريون: «خُذ هذه القذارة واذهب»، وأشارَ برأسه إلى السَّمراء مضيفًا: «ستُضمِّدني هي».

حتى بعد خروج الغُلام بقيَت الرَّائحة الكريهة. في الفترة الأخيرة لا مفرَّ منها. كان المِايستر قد اقترحَ تنظيف الجرح على السَّطح في الهواء الطَّلق وضوء الشَّمس، إلَّا أن ڤيكتاريون رفضَ ذلك تمامًا، فليس هذا شيئًا يراه رجال طاقمه. إن بينهم وبين الوطن نِصف العالم، أبعد من أن يدعهم يرون أن قائدهم الحديدي بدأ يصدأ.

ظلَّت يُسراه تنبض، ألمها خفيف لكن لحوح، ولمَّا ضمَّ قبضته احتدَّ الألم كأن سكِّينًا يطعن ذراعه بطولها. *ليس سكِّينًا وإنما سيف طويل*، *سيف طويل* في يد شبح. سيري، كان هذا اسمه، وكان فارسًا ووريث (تُرس الجنوب). *قتلته، لكنه ما زالَ يطعنني من القبر. أيًّا كانت الجحيم التي أرسلته إليها فما زالَ من قلبها الوقَّاد يغرس فولاذه في يدي ويلويه.*

ما زالَ يَذكُر القتال كأنه كان البارحة. كان تُرسه قد تحوَّل إلى شظايا تتدلَّى بلا جدوى من ذراعه، وعندما هوى عليه سيف سيري الطَّويل مدَّ يده وأمسكَه. كان الفتى المراهق أقوى مما بدا، ونفذَ نصله من فولاذ قُفَّاز الزُّبَّان والبطانة تحته لينغرس في لحم كفِّه. بعدها قال ڤيكتاريون لنفسه: *خدش من هِرٍّ صغير*، وغسلَ الجرح وصبَّ عليه الخلَّ المغلي وضمَّده ثم تناساه واثقًا بأن الألم سيخبو وتُشفى اليد من تلقاء نفسها مع الوقت.

لكن بدلًا من ذلك تعفَّن الجرح إلى أن بدأ ڤيكتاريون يتساءَل إن كان نصل سيري مسمومًا، وإلَّا فلِمَ يأبى الجرح أن يندمل؟ جعلَته الفكرة يستشيط غضبًا. لا رجل حقيقيًّا يَقتُل بالسُّمِّ. في (خندق كايلن) أطلقَ شياطين المستنقعات السِّهام المسمومة على رجاله، لكن هذا هو المتوقَّع من تلك المخلوقات الزَّنيمة، أمَّا سيري فكان فارسًا كريم المحتد، والسُّمُّ سلاح الجُبناء والنِّساء والدورنيِّين فقط.

خاطبَ السَّمراء قائلًا: «إن لم يكن سيري فمن؟ أيُمكن أن هذا المِايستر الفأر هو السَّبب؟ المِايسترات يعرفون التَّعاويذ وغيرها من الحيل، وربما يستخدم إحداها لتسميمي آملًا أن أتركه يَبثُر يدي». كلَّما فكَّر في الأمر بدا له أكثر رجوحًا. «عين الغُراب هو من أعطاني هذا المخلوق القميء». أخذَ يورون كروين من (التُّرس الأخضر) حيث كان يخدم اللورد تشستر، يُعنى بغِدفانه ويُعلِّم أولاده، أو ربما العكس. ولكم صرَّ الفأر حين أوصلَه أحد خُرس يورون إلى متن (النَّصر الحديدي) جارًّا إياه من السِّلسلة المحيطة بعُنقه. «إذا كان هذا انتقامه فقد أخطأ في حقِّي. يورون هو مَن أصرَّ على أخذه لمنعه من إثارة المتاعب بطيوره». أعطاه أخوه ثلاثة أقفاص من الغِدفان أيضًا ليُرسِل كروين أخبار رحلتهم، غير أن ڤيكتاريون نهاه عن ذلك. دَع *الهواجس والتَّساؤلات تنهش يورون.*

كانت السَّمراء تُضمِّد يده بكتَّانٍ نظيف وتلفُّه حول راحته ستَّ مرَّاتٍ عندما أتى لونجووتر پايك يدقُّ باب القمرة ويُخبِره بأن رُبَّان (الثُّبور) أتى ومعه سجين. «يقول إنه جلبَ لنا ساحرًا أيها الرُّبَّان، يقول إنه انتشلَه من البحر».

- «ساحر؟». أيُمكن أن الإله الغريق أرسلَ إليه هديَّةً هنا في طرف العالم القصي؟ كان آرون ليعرف، لكن آرون رأى عظمة أبهاء الإله الغريق المائيَّة تحت البحر قبل عودته إلى الحياة، أمَّا ڤيكتاريون فيخاف إلهه كما ينبغي لكلِّ البَشر، وإن كان يضع إيمانه في الفولاذ. ثنى يده الجريحة وبسطَها وقد تقلَّصت قسماته ألمًا، ثم وضعَ قُفَّازه وقامَ قائلًا: «أرِني هذا السَّاحر».

انتظرَه رُبَّان (الثُّبور) على السَّطح، رجل صغير الحجم مُشعر قبيح مولود في عائلة سپار، ويدعوه رجاله بفأر الحقل. حين ظهرَ ڤيكتاريون خاطبَه قائلًا: «حضرة الرُّبَّان القائد، هذا هو موكورو، هديَّة لنا من الإله الغريق».

السَّاحر عملاق، يُساوي ڤيكتاريون نفسه طولًا ويفوقه عرضًا مرَّتين، بطنه كالجُلمود وشَعره الأبيض كالعظم نابت حول وجهه كلبدة الأسد، وله بشرة سوداء، ليس اللَّون البنِّي الجوزي المميِّز لأولاد (جُزر الصَّيف) على سُفنهم البجعيَّة، ولا البنِّي المحمر المميِّز للدوثراكي سادة الخيول، ولا لون بشرة السَّمراء الفحمي والتُّرابي، بل أسود، أحلك سوادًا من الفحم، من السَّبج، من ريش الغِدفان. محروق *كامرئٍ شُوِيَ في اللَّهب إلى أن تفحَّم لحمه وتغضَّن وسقط داخنًا عن عظمه*. ما زالَت النَّار التي حرقَته تتراقَص على وجنتيه وجبهته، فتَنظُر عيناه من قناعٍ من اللَّهب المتجمِّد. *وشوم عبوديَّة، علامة شر*.

قال فأر الحقل: «وجدناه متعلِّقًا بصارٍ مكسور. قضى عشرة أيامٍ في الماء بعد غرق سفينته».

- «لو قضى عشرة أيامٍ في الماء لماتَ أو جُنَّ من شُرب الماء المالح». الماء المالح مقدَّس، يُبارِك به آرون ذو الشَّعر الرَّطب وغيره من الرُّهبان النَّاس ويأخذون منه رشفةً بين الحين والآخَر، لكن لا إنسان فانيًا يستطيع الشُّرب من البحر العميق عشرة أيامٍ متتالية ويأمل أن يبقى حيًّا. سألَ السَّجين: «تدَّعي أنك مشعوذ؟».

أجابَ الرَّجل الأسود باللُّغة العاميَّة بصوتٍ عميق كأنه آتٍ من أعماق البحر: «لا أيها الرُّبَّان، إنني مجرَّد عبدٍ متواضع لراهلور إله الضِّياء».

راهلور. راهب أحمر إذن. رأى ڤيكتاريون أمثاله في المُدن الأجنبيَّة يُذكون نيرانهم المقدَّسة، لكن هؤلاء ارتدوا ثيابًا حمراء فاخرةً من الحرير والمخمل وصوف الحملان، أمَّا هذا فيرتدي أسمالًا باهتةً مبقَّعةً بالملح تلتصق ممزَّقةً بساقيه الغليظتين وجذعه... لكن حين أمعنَ الزُّبَّان النَّظر إلى الأسمال بدا له أنها ربما كانت حمراء من قبل. أعلنَ ڤيكتاريون: «راهب وردي».

قال وولف ذو الأُذن الواحدة: «راهب شيطاني»، وبصق.

وقال لونجووتر پايك: «ربما شبَّت النَّار في ثيابه فقفزَ في الماء ليُطفِئها»، وهو ما أثارَ ضحك الحاضرين، وحتى القرَدة وجدَت هذا طريفًا وزقحَت بالأعلى، وألقى أحدها قطعةً من برازه سقطَت وتناثرَت على ألواح السَّطح.

لا يثق ڤيكتاريون جرايچوي بالضَّحك، ودائمًا يبثُّ فيه صوته شعورًا مزعجًا بأنه محطُّ دُعابةٍ ما لا يُدرِكها. في صباهما كثيرًا ما تهكَّم عليه يورون عين الغُراب، وكذا آرون قبل أن يُصبِح ذا الشَّعر الرَّطب. في أغلب الأحيان تنكَّر تهكُّمهما في صورة ثناء، وفي بعض تلك الأحيان لم يتبيَّن ڤيكتاريون أنهما يسخران منه حتى سمعَ الضَّحك، وعندها كان الغضب يغلي في مؤخِّرة حَلقه حتى يُوشِك مذاقه على خنقه. هكذا يَشعُر نحو القرود التي لم ترسم طرائفها ولو ابتسامةً على وجه الزُّبَّان، في حين يصيح رجاله ويضحكون ويصفرون.

قال برتون همبل يستحثُّه: «أرسِله إلى الإله الغريق قبل أن يستنزل علينا لعنةً».

وقال وولف ذو الأُذن الواحدة: «سفينة غرقَت ولم يبقَ إلَّاه متعلِّقًا بالحُطام. أين أفراد الطَّاقم؟ هل استدعى الشَّياطين لتلتهمهم؟ ماذا حدثَ للسَّفينة؟».

عقدَ موكورو ذراعيه على صدره مجيبًا: «عاصفة». لا يبدو الرَّجل خائفًا رغم أن جميع المحيطين به يُنادون بموته، وحتى القرَدة نفسها لا يبدو أنها تحبُّ هذا السَّاحر، إذ أخذَت تثب صارخةً من حبلٍ إلى حبلٍ بالأعلى.

أمَّا ڤيكتاريون فتردَّد. *لقد خرجَ من البحر. لماذا يقذفه الإله الغريق من الماء ما لم يكن يُريدنا أن نَعثُر عليه؟* لأخيه يورون سحرته الذين يعدُّهم كالحيوانات الأليفة، وربما شاءَ الإله الغريق أن يكون لڤيكتاريون ساحره أيضًا. وجَّه كلامه إلى فأر الحقل قائلًا: «لماذا تقول إن هذا الرَّجل ساحر؟ لستُ أرى إلَّا راهبًا أحمر يرتدي الأسمال».

أجابَ الرَّجل الصَّغير: «هذا ما خطرَ لي أيضًا أيها الرُّبَّان القائد... لكنه يعلم أشياء. علمَ أننا متَّجهون إلى (خليج النخَّاسين) قبل أن يُخبِره أحد بوجهتنا، وعلمَ أنك ستكون هنا عند هذه الجزيرة»، وتردَّد لحظةً قبل أن يُتابِع: «حضرة الرُّبَّان القائد، لقد أخبرَني... أخبرَني بأنك ستموت حتمًا ما لم نأتك به».

ساخرًا ردَّد ڤيكتاريون: «بأنني سأموتُ؟»، وكان على وشك أن يقول: *اذبحوه وارموه في البحر*، إلى أن أحسَّ بنبضة ألمٍ تطعنه في ذراعه حتى المِرفق تقريبًا، ألم مبرِّح ممض أحالَ كلماته إلى مِرَّةٍ في حَلقه، وترنَّح ڤيكتاريون وتشبَّث بالحاجز كي لا يَسقُط.

قال صوت: «المشعوذ لعنَ الرُّبَّان!»، وانضمَّ إليه رجال آخَرون صائحين: «*اذبحوه! اقتلوه قبل أن يستجلب علينا شياطينه!*»، وسبقَ لونجووتر پايك الجميع إلى سحب خنجره.

هدرَ ڤيكتاريون: «**لا!** ابتعدوا جميعًا! پايك، أغمِد فولاذك. فأر الحقل، عُد إلى سفينتك. همبل، خُذ السَّاحر إلى قمرتي. وبقيَّتكم، عودوا إلى واجباتكم». لأقل من لحظةٍ لم يكن واثقًا بأنهم سيُطيعونه إذ وقفوا في أماكنهم مهمهمين وقد شهرَ نِصفهم السِّلاح ورمقَ كلٌّ منهم الآخَر ناشدًا المؤازرة. أمطرَتهم القرود بخرائها، ولم يتحرَّك أحد حتى أطبقَ ڤيكتاريون على ذراع المشعوذ وسحبَه إلى الكُوَّة.

حين فتحَ باب قمرة الرُّبَّان التفتَت إليه المرأة السَّمراء صامتةً مبتسمةً... لكن لمَّا رأت الرَّاهب الأحمر إلى جانبه انسحبَت شفتاها عن أسنانها وبغضبٍ مفاجئ أطلقَت هسيسسسسسًا كالثُّعبان. لطمَها ڤيكتاريون بظَهر يده السَّليمة ودفعَها نحو السَّطح قائلًا: «صمتًا يا امرأة. نبيذ لكلينا»، والتفتَ إلى الرَّجل الأسود سائلًا: «أما قاله فأر الحقل صحيح؟ أنت رأيت موتي؟».

- «وأكثر».

قال ويده السَّليمة تنفتح وتنغلق: «أين؟ متى؟ هل سأموتُ في المعركة؟ إذا كذبت عليّ فسأشجُّ رأسك كحبَّة البطِّيخ وأتركُ القرود تأكل مُخَّك».

- «موتك معنا الآن يا سيِّدي. أعطِني يدك».

- «يدي، ماذا تعرف عن يدي؟».

- «لقد رأيتك في النَّار اللَّيليَّة يا ڤيكتاريون جرايچوي، تأتي مخترقًا اللَّهب بخُطى واسعة واثقة، وجهك صارم عتيد والدَّم يَقطُر من فأسك العظيمة، لكنك معميٌّ عن المجسَّات الملتفَّة حول معصميك وعُنقك وكاحليك، الخيوط السَّوداء التي تُرقِّصك».

ردَّ ڤيكتاريون مغضبًا: «تُرقِّصني؟ نارك اللَّيليَّة كاذبة. لستُ مخلوقًا للرَّقص، ولستُ دُمية أحد»، وانتزعَ قُفَّازه ودسَّ يده المصابة في وجه الرَّاهب مردفًا: «هاك. أهذا ما أردت؟». كان الدَّم والصَّديد قد لوَّثا الكتَّان الجديد بالفعل. «الرَّجل الذي أصابَني بهذا كانت على تُرسه وردة، وخدشَت شوكة يدي».

- «من شأن أصغر الخدوش أن يكون مميتًا أيها الرُّبَّان القائد، لكن إذا أذنت لي فسأشفي هذا الجرح. سأحتاجُ إلى نصل. الفضَّة أفضل لكن لا بأس بالحديد. وأريدُ مستوقَدًا أيضًا. عليَّ أن أشعل نارًا. سيكون هناك ألم، ألم رهيب لم تعرف له شبيهًا من قبل، لكن حين نَفرُغ ستعود إليك يدك».

كلُّهم واحد رجال السِّحر هؤلاء. الفأر أيضًا حذَّرني من الألم. «أنا حديديُّ الميلاد أيها الرَّاهب، وأضحكُ من الألم. ستنال ما تَطلُبه... لكن إذا فشلت ولم تُشفَ يدي فسأذبحك بنفسي وأعطيك للبحر».

انحنى موكورو وعيناه الدَّاكنتان تلمعان، وقال: «ليكن».

لم يُرَ الرُّبَّان الحديدي ثانيةً هذا النَّهار، لكن مع مرور السَّاعات سمعَ رجال طاقم (النَّصر الحديدي) صوت ضحكٍ ضارٍ يأتي من قمرة الرُّبَّان، ضحك عميق مشؤوم مجنون، ولمَّا حاولَ لونجووتر پايك وولف ذو الأُذن الواحدة فتح الباب وجداه موصدًا. بعدها سُمِعَ غناء، أغنيَّة غريبة عالية نائحة بلُغةٍ قال المِايستر إنها القاليريَّة الفُصحى، وتلك هي الأثناء التي غادرَت فيها القرود السَّفينة صارخةً واثبةً في الماء.

وبحلول الغروب، فيما استحالَ البحر إلى سواد الحِبر ولطَّخت الشَّمس السَّماوات بالأحمر الدَّموي القاني، عادَ ڤيكتاريون إلى السَّطح. كان عاري الجذع، وذراعه اليُسرى دامية حتى المِرفق، وبينما التمَّ رجاله حوله متهامسين متبادلين النَّظرات رفعَ يدًا مسودَّةً متفحِّمةً، ومن أصابعه تصاعدَت خيوط الدُّخان الدَّاكن إذ أشارَ إلى المِايستر قائلًا: «هذا، اذبحوه وارموه في البحر وستأتي الرِّياح بما نشتهيه طوال الطَّريق إلى (ميرين)».

رأى موكورو هذا في ناره، ورأى أن الفتاة تزوَّجت أيضًا، ولكن ماذا في هذا؟ لن تكون أول امرأةٍ تترمَّل على يد ڤيكتاريون جرايچوي.

---

(68). الكبش أو الكبَّاش آلة حربيَّة تُستخدَم في البرِّ لدكِّ بوَّابات القلاع والحصون، وفي البحر لمهاجمة السُّفن. (المُترجم).

دخلَ المُعالج الخيمة متمتمًا بالمجاملات، لكن نشقةً واحدةً من الهواء الفاسد ونظرةً واحدةً إلى يزان زو كاجاز وضعَتا نهايةً لهذا، وقال العجوز لحَلوى: «الفَرس الشَّاحبة».

فكَّر تيريون: *يا لها من مفاجأة. من كان ليُخمِّن هذا؟ باستثناء ايِّ أحدٍ له أنف، وأنا لي نِصف أنفٍ فقط*. كان يزان يكتوي بالحُمَّى ويتلوَّى بتشنُّجٍ في بِركةٍ من غائطه الذي تحوَّل إلى رُسابةٍ بنِّيَّة مجزَّعة بالدَّم... وواجب يولو وپني أن يُنظِّفا مؤخِّرته الصَّفراء. حتى بمساعدة غيره لا يستطيع سيِّدهما أن يرفع وزنه، وتطلَّب قلبه على جانبه قوَّته الخائرة كلَّها.

أعلنَ المُعالج: «لن تُجدي فنوني نفعًا هنا. حياة النَّبيل يزان في أيدي الآلهة. حافِظوا على ترطيب بشرته إن استطعتم. بعضهم يقول إن هذا يُساعِد. اجلبوا له ماءً». يُعاني المصابون بالفَرس الشَّاحبة عطشًا دائمًا، ويشربون جالونات من الماء بين نوبات الإسهال. «ماءً عذبًا نظيفًا، كلَّ ما يقدر على شُربه».

قالت حَلوى: «لا ماء من النَّهر».

- «على الإطلاق». قالها المُعالج ولاذَ بالفرار.

قال تيريون لنفسه: يجب *أن نفرَّ أيضًا*. إنه عبد بطوقٍ ذهبي، له جرسان صغيران يرنَّان بمرحٍ كلَّما خطا خُطوةً. *أحد كنوز يزان المميَّزة، شَرف لا فرق بينه وبين قرار بالإعدام*. أحبَّ يزان زو كاجاز الإبقاء على أعزَّائه قُربه، فوقعَت على عاتق يولو وپني وحَلوى وكنوزه الأخرى العناية به حين مرض.

يزان العجوز المسكين. ليس سيِّد الشُّحوم سيِّئًا كسائر الأسياد. كانت حَلوى محقَّةً في هذا. في أثناء الخدمة في مآدبه اللَّيليَّة أدركَ تيريون سريعًا أن يزان أبرز الأسياد اليونكيِّين الذين يُفضِّلون التزام معاهدة السَّلام مع (ميرين)، أمَّا أكثر الآخَرين فيتحيَّنون الفُرصة وينتظرون وصول جيوش (ڤولانتيس)، في حين يُريد قليلون الهجوم على المدينة في الحال خشية أن يسلبهم القولانتينيُّون المجد والغالبيَّة العُظمى من الغنائم. رفضَ يزان أن يلعب دورًا في ذلك، ولا وافقَ على إعادة رهائن (ميرين) إلى المدينة بالمجانيق كما اقترحَ المرتزِق ذو اللِّحية الدَّمويَّة.

على أن أشياء كثيرةً من شأنها أن تتبدَّل في غضون يومين. قبل يومين كان المربِّي سليمًا معافًى، قبل يومين لم يكن يزان قد سمعَ صوت حوافر الفَرس الشَّاحبة الشَّبحيَّة، قبل يومين كانت أساطيل (ڤولانتيس القديمة) أبعد بيومين. والآن...

- «هل سيموت يزان؟»، سألَت پني بصوتها إياه الذي يقول لسان حاله: *أرجوك قُل لا*.

- «كلُّنا سنموت».

- «أقصدُ بالإسهال».

رمقَتهما حَلوى بنظرةٍ يائسة قائلةً: «يجب ألَّا يموت يزان»، وملَّست الخُنثى على جبهة سيِّدهم العملاق مزيحةً شَعره المبلَّل بالعَرق. تأوَّه اليونكي وتدفَّق سيل آخَر من الماء البنِّي على ساقيه. فِراشه متَّسخ شنيع الرَّائحة، لكنهم لا يملكون وسيلةً لتحريكه.

قالت پني: «بعض الأسياد يعتقون عبيدهم قبل أن يموتوا».

أطلقَت حَلوى ضحكةً فاترةً صوتها فظيع، وقالت: «يعتقون المفضَّلين فقط، يعتقونهم من آلام الدُّنيا ليصحبوا سيِّدهم المحبوب إلى القبر ويخدموه في العالم الآخَر».

حَلوى يعلم، فسيكون أول من يُشَقُّ حَلقه.

تكلَّم الصَّبي الكبش قائلًا: «الملكة الفضِّيَّة...».

قاطعَته حَلوى: «... ماتَت. انسَ أمرها! التنِّين أخذَها عبر النَّهر وغرقَت في (بحر الدوثراكي)».

- «لا أحد يغرق في العُشب!».

قالت پني: «لو كنا أحرارًا لوجدنا الملكة، أو ذهبنا نبحث عنها على الأقل».

أنتِ على كلبكِ وأنا على خنزيرتي نُطارِد تنِّينًا عبر (بحر الدوثراكي). حكَّ تيروين عاهته ليمنع نفسه من الضَّحك، وقال: «هذا التنِّين تحديدًا أثبتَ ولعه بلحم الخنازير المشوي. الأقزام المشويُّون ألذ مرَّتين».

ردَّت پني بأسى: «كانت مجرَّد أمنيَّة. يُمكننا أن نُبحِر من هنا. السُّفن عادَت الآن وقد انتهَت الحرب».

هل انتهَت حقًّا؟ يميل تيريون إلى الشَّكِّ في ذلك. نعم، ذُيِّلَت أوراق بتوقيعات، لكن رحى الحروب لا تدور على الورق.

واصلَت پني: «يُمكننا الإبحار إلى (كارث). لطالما قال أخي إن الشَّوارع هناك مرصوفة باليَشب، وأسوار المدينة من عجائب الدُّنيا. حين نُؤدِّي عرضنا في (كارث) سيُمطِروننا بالذَّهب والفضَّة، سترى».

قال تيريون يُذكِّرها: «بعض تلك السُّفن في الخليج كارثيني. لوماس الرحَّالة رأى أسوار (كارث) وكُتبه تكفيني. لقد بلغتُ أقصى ما أنتوي بلوغه من الشَّرق».

مسحَت حَلوى وجه يزان المحموم بقُماشةٍ رطبة قائلةً: «يجب أن يعيش يزان وإلَّا متنا جميعًا معه. الفَرس الشَّاحبة لا تَقتُل كلَّ من يركبها. سيتعافى سيِّدنا».

كذبة بيِّنة هذه. ستكون أعجوبةً لو عاشَ يزان يومًا آخَر. في رأي تيريون كان سيِّد الشُّحوم يموت بالفعل بالدَّاء العُضال الذي عادَ به من (سوثوريوس)، وما مرضه الحالي إلَّا تعجيل بنهايته. *إنها رحمة حقًّا*. لكنها ليست الرَّحمة التي يبتغيها القزم لنفسه. «المُعالج قال إنه محتاج إلى ماءٍ عذب. سنتولَّى هذا».

قالت حَلوى بنبرةٍ خدِرة: «هذا لُطف منكم». المسألة أكبر من مجرَّد تخوُّفها من الذَّبح، فوحدها بين كنوز يزان تبدو الوحيدة المغرمة حقًّا بسيِّدهم الضَّخم.

قال تيريون: «پني، تعالي معي»، وفتحَ سديلة الخيمة وأشارَ لها بالخروج إلى حرِّ الصَّباح الميرينيزي. وجدَ الهواء ثقيلًا شديد الحرارة والرُّطوبة، ومع ذلك رحَّب به كراحةٍ من روائح العَرق والغائط والمرض الكريهة التي تملأ سُرادق يزان المنيف.

قالت پني: «الماء سيُساعِد سيِّدنا. هكذا قال المُعالج، ولا بُدَّ أنه صحيح. ماء عذب زُلال».

- «الماء العذب الزُّلال لم يُساعِد المُربِّي». *المُربِّي العجوز المسكين*. ليلة البارحة عند الغسق رماه جنود يزان على عربة الجُثث لينضمَّ إلى مَن جنَت عليهم الفَرس الشَّاحبة. حين يموت الرِّجال على مدار السَّاعة لا أحد يُمعِن النَّظر إلى رجلٍ ميت آخَر، خصوصًا إن كان مكروهًا كالممرِّض. رفضَ عبيد يزان الآخَرون الدُّنو من المُشرف بمجرَّد أن بدأت التَّشنُّجات، فتُرِكَ لتيريون أن يُدفِّئه ويُحضِر له المشروبات. *نبيذ مخفَّف بالماء وعصير ليمون محلًّى وحساء نيول كلاب لذيذ ساخن بقِطع الفطر. اشربه يا مربِّينا العزيز، فلا بُدَّ من تعويضك عن الخراء السَّائل من شرجك*. آخِر كلمةٍ قالها المربِّي كانت: «لا»، وآخِر كلماتٍ سمعها على الإطلاق كانت: «اللانستر يُسدِّد ديونه دائمًا».

كتمَ تيريون حقيقة ما جرى عن پني، لكن عليها أن تفهم الحال مع سيِّدهما. «سيُذهِلني أن يعيش يزان حتى الشُّروق».

تمسَّكت بذراعه متسائلةً: «ماذا سيَحدُث لنا؟».

- «إن له ورثةً، أبناء إخوة». أتى أربعة من هؤلاء مع يزان من (يونكاي) لقيادة جنوده العبيد. أحدهم ميت، قتلَه واحد من مرتزِقة تارجاريَن في غارة، والثَّلاثة الآخَرون سيُقسِّمون عبيد الجسيم الأصفر بينهم على الأرجح، أمَّا إن كان أبناء الإخوة هؤلاء يُشارِكون يزان حُبَّه للمُعاقين والمسوخ والكائنات العجيبة فذلك غير مؤكَّد على الإطلاق. «قد يرثنا أحدهم، أو قد نعود إلى منصَّة المزادات».

اتَّسعت عيناها، وقالت: «لا، ليس هذا، أرجوك».

- «ليس احتمالًا أستحليه عن نفسي».

على بُعد بضع ياردات كان ستَّة من جنود يزان العبيد جالسين القرفصاء في التُّراب يلعبون النَّرد بالعظم ويُمرِّرون قِربة نبيذٍ من يدٍ إلى يد. أحدهم الرَّقيب المسمَّى سكار، حيوان أسود المزاج له رأس أملس كالحجر وكتفا ثور. *وذكاء ثورٍ أيضًا.*

ذهبَ إليهم تيريون متمايلًا، وزعقَ: «سكار، النَّبيل يزان يحتاج إلى ماءٍ عذب نظيف. خُذ رجلين وعودوا بما تستطيعون حمله من دلاء، وأسرِعوا».

توقَّف الجنود عن اللَّعب، ونهضَ سكار بجبهته النَّاتئة قائلًا: «ماذا قلت أيها القزم؟ مَن تحسب نفسك؟».

- «تعرف من أنا. يولو، أحد كنوز سيِّدنا. والآن افعل كما أخبرتك».

ضحكَ الجنود، وقال أحدهم ساخرًا: «هلمَّ يا سكار، وأسرِع. قرد يزان أملى عليك أمرًا».

قال سكار: «إياك أن تُخبِر الجنود بما يفعلونه».

ردَّ تيريون متصنِّعًا الحيرة: «جنود؟ لا أرى إلَّا عبيدًا. حول أعناقكم أطواق مِثلكم مِثلي».

طرحَته الضَّربة العنيفة بظاهر اليد التي نالَها من سكار أرضًا وشقَّت شفته، وقال الرَّقيب: «أطواق يزان لا أطواقك».

مسحَ تيريون الدَّم عن شفته المشقوقة بظَهر كفِّه، ولمَّا حاولَ النُّهوض تداعَت إحدى ساقيه من تحته وعادَ يَسقُط على رُكبتيه. احتاجَ إلى عون پني لينهض، وعندما فعلَ قال بأفضل نبراته الشَّاكية: «حَلوى قال إن الماء ضروري لسيِّدنا».

- «فليذهب حَلوى وينكح نفسه. إنه مخلوق لهذا. لسنا نتلقَّى الأوامر من ذلك المسخ أيضًا».

فكَّر تيريون: نعم. حتى بين العبيد هناك لوردات وهناك فلَّاحون، وهو ما أدركَه سريعًا. الخُنثى مخلوق سيِّدهم الأليف المميَّز منذ زمنٍ طويل، مدلَّل ومفضَّل، ولذا يكرهه عبيد النَّبيل يزان الآخَرون.

اعتادَ الجنود تلقِّي الأوامر من سادتهم ومُشرفيهم، لكن المربِّي ماتَ ويزان أشد مرضًا من أن يُسمِّي خليفته، وبالنِّسبة إلى أبناء الإخوة الثَّلاثة فقد تذكَّر هؤلاء الرِّجال الأحرار الشُّجعان فجأةً شأنًا عاجلًا في مكانٍ آخَر ما إن سمعوا حوافر الفَرس الشَّاحبة.

قال تيريون متألِّمًا: «الماء، المُعالج قال لا ماء من النَّهر. يجب أن يكون ماءً عذبًا نظيفًا من البئر».

زمجرَ سكار: «اذهبا واجلباه إذن، وأسرِعا».

- «نحن؟». تبادلَ تيريون نظرةً يائسةً مع پني. «الماء ثقيل. لسنا أقوياء مِثلكم. هل... هل يُمكن أن نأخذ عربة البغال؟».

- «خُذا سيقانكما».

- «سنضطرُّ إلى الذَّهاب والعودة مرارًا».

- «اذهبا وعودا مئة مرَّة. لستُ أبالي بخرائكما».

- «نحن الاثنان فقط... لن نتمكَّن من حمل الكمِّيَّة التي يحتاج إليها سيِّدنا».

- «خُذا دُبَّكما. إنه لا يَصلُح إلَّا لجلب الماء».

تراجعَ تيريون قائلًا: «كما تقول يا سيِّدي».

وابتسمَ سكار باتِّساع. سيِّدي. *أوه، كم راقَه هذا!*. قال الرَّقيب: «مورجو، أحضِر المفاتيح. املأوا الدِّلاء وعودوا في الحال أيها القزم. تعرفون ما يَحدُث للعبيد الذين يُحاوِلون الهروب».

قال تيريون لپني: «أحضِري الدِّلاء»، وذهبَ مع هذا الرَّجل مورجو لإحضار السير چورا مورمونت من قفصه.

لم يتأقلَم الفارس مع حياة الرِّق. حين يستدعونه ليلعب دور الدُّبِّ ويختطف الجميلة يتصرَّف بجهامةٍ وتزمُّتٍ ويجرُّ قدميه بجمود، وهذا عندما يتعطَّف عليهم ويُشارِك في التَّمثيليَّة من الأصل. على الرغم من أنه لم يُحاوِل الهرب أو الاعتداء على سجَّانيه فإنه يتجاهَل أوامرهم في أغلب الأحيان أو يردُّ مهمهمًا بالشَّتائم، وبطبيعة الحال لم يُرضِ شيء من هذا المربِّي، الذي أعربَ عن استيائه بحبس مورمونت في قفصٍ حديد والأمر بضربه كلَّ مساءٍ فيما تغوص الشَّمس في (خليج النخَّاسين). يحتمل الفارس الضَّرب بصمت، ولا يَصدُر من القفص صوت إلَّا لعنات العبيد الذين يضربونه وضربات هراواتهم المكتومة إذ تهوي على جسد السير چورا المكدوم.

أول مرَّةٍ رأى تيريون الفارس الكبير مضروبًا فكَّر: *أصبحَ هيكلًا فارغًا. كان عليّ أن أمسك لساني وأترك زاهرينا تشتريه. لربما كان ذلك مصيرًا أرحم من هذا.*

خرجَ مورمونت من قفصه الضيِّق حانيًا ظَهره مضيِّقًا عينيه، كلتا هاتين العينين مسودَّة وهذا الظَّهر مكتسٍ بالدَّم الجاف، ووجهه مرضوض متورِّم لدرجة أنه يكاد لا يبدو بَشريًا، وقد جُرِّدَ من الثِّياب تمامًا باستثناء سراويل قصيرة قذرة من القُماش الأصفر الرَّث. أخبرَه مورجو: «ستُساعِدهما على حمل الماء».

لم يردَّ السير چورا إلَّا بتحديقةٍ واجمة. *بعضهم يُؤثِر الموت حُرًّا على الحياة عبدًا على ما أظنُّ.* من حُسن الحظِّ أن تيريون ليس مصابًا بهذه الآفة عن نفسه، لكن إذا فتكَ مورمونت بمورجو فقد لا يُدرِك العبيد الآخَرون هذا الفرق، ولذا قال قبل أن يرتكب الفارس فعلًا شُجاعًا غبيًّا: «تعالَ»، وتحرَّك آملًا أن يتبعه مورمونت.

وجادَت عليه الآلهة هذه المرَّة، وتبعَه مورمونت.

دلوان لپني ودلوان لتيريون وأربعة للسير چورا، اثنان في كلِّ يد. تقع أقرب بئرٍ جنوب وغرب المنجنيق المسمَّى (السَّليطة)، فتحرَّكوا في هذا الاتِّجاه والأجراس في أطواقهم ترنُّ بمرحٍ مع كلِّ خُطوة. لم يُعِرهم أحد اهتمامًا. إنهم مجرَّد عبيدٍ يُحضِرون الماء لسيِّدهم. يمنح الطَّوق واضعه مميِّزاتٍ معيَّنةً، خاصَّةً إذا كان طوقًا مذهَّبًا محفورًا عليه اسم يزان زو كاجاز، وقد أعلنَ رنين هذه الأطواق الصَّغيرة قيمتهم لكلِّ مَن له أُذنان. يستمدُّ العبد أهميَّته من أهميَّة سيِّده، ويزان أغنى رجلٍ في المدينة الصَّفراء، وقد جلبَ معه ستَّمئة من الجنود العبيد للحرب، حتى إذا كان يُشبِه بزَّاقةً صفراء عملاقةً وتفوح منه رائحة البول. هكذا أعطَتهم أطواقهم الإذن في الذَّهاب أينما أرادوا داخلَ المعسكَر.

إلى أن يموت يزان.

رأوا جنود لوردات الصَّليل العبيد يتدرَّبون في أقرب الحقول إليهم، يصنع صوت السَّلاسل التي تربطهم معًا موسيقى معدنيَّةً خشنةً وهُم يتحرَّكون على الرِّمال بإيقاعٍ موحَّد ويتَّخذون تشكيلهم بحِرابهم الطَّويلة. وفي بقاعٍ أخرى كانت فِرق من العبيد تبني منصَّاتٍ مائلةً من الحجر والرَّمل تحت مجانيقهم وعرَّاداتهم موجِّهين إياها نحو السَّماء، في سبيل دفاعٍ أفضل عن المعسكَر في حال عادَ التنِّين الأسود. ابتسمَ القزم لمرآهم يتصبَّبون عَرَقًا ويسبُّون ويلعنون فيما يكدحون في رفع الآلات الثَّقيلة على المنحدَرات. والنُّشابيَّات منتشرة أيضًا، ويبدو أن كلَّ رجلٍ من اثنين يحمل واحدةً ويُعلِّق جَعبةً مليئةً بالسِّهام على وَركه.

لو طلبَ أحدهم رأيه لقال لهم تيريون ألّا يُجشِّموا أنفُسهم العناء، فما لم يتصادَف أن تُصيب واحدة من قذائف العرّادات الحديد الطَّويلة عينًا فلن تنجح هذه اللُّعب في إسقاط وحش الملكة المدلَّل من السَّماء. *ليس قتل التَّنانين بتلك السُّهولة. دغدِغوه بواحدةٍ من هذه وستُغضِبونه لا أكثر.*

أكثر نُقطةٍ عُرضةً للإصابة في التنِّين عيناه، العينان والمُخُّ وراءهما. ليس أسفل البطن كما تَزعُم حكايات قديمة معيَّنة، ذلك أن الحراشف هناك بالصَّلابة نفسها كتلك التي على ظَهر التنِّين وجناحيه. وليس البُلعوم كذلك، فهذا جنون، كأن هؤلاء الذين يرومون أن يكونوا قتَلة تنانين يُحاوِلون إطفاء حريقٍ برمية حربة. في (التَّاريخ غير الطَّبيعي) كتبَ السِّپتون بارث: *«الموتَ يَخرُج من فم التنِّين ولا يَدخُل منه».*

بعد مسافةٍ قابَلوا فيلقين من (جيس الجديدة) يتواجَهان حائط تروسٍ ضد حائط تروس، فيما يتحرَّك بينهم الرُّقباء ذوو الخوذات الحديد القصيرة المريَّشة بشَعر الخيل ويجأرون بالأوامر بلُكنتهم المبهمة. للعين المجرَّدة يبدو الجيسكاريُّون أشد مهابةً من جنود اليونكيِّين العبيد، إلَّا أن الشُّكوك تُساوِر تيريون في ذلك. قد يكون جنود الفيالق مسلَّحين ومنظَّمين على غرار المُطهَّرين... لكن المخصيِّين لا يعرفون حياةً أخرى، في حين أن الجيسكاريِّين مواطنون أحرار مُدَّة خدمة الواحد منهم ثلاثة أعوام.

يمتدُّ الطَّابور عند البئر رُبع ميل.

الآبار الموجودة على بُعد مسيرة يومٍ من (ميرين) قليلة، أي أن الانتظار يطول دومًا. يَحصُل معظم الجيش اليونكي على الماء من (السكاهازاذان)، وهو ما علمَ تيريون أنه فكرة في غاية السُّوء من قبل تحذير المُعالج. الأذكياء منهم حرصوا على أن يبقوا ضد التيَّار من جهة المراحيض، لكنهم ما زالوا في اتِّجاه التيَّار من جهة المدينة.

أثبتَت له حقيقة أن هناك آبارًا مياهها صالحة للشُّرب على بُعد مسيرة يومٍ من (ميرين) من الأصل أن دنيرس تارجاريَن لا تزال ساذجةً في ما يتعلَّق بفنون الحصار. *كان عليها أن تُسمِّمها جميعًا، وعندها لاضطرَّ اليونكيُّون كلُّهم إلى الشُّرب من النَّهر. لنرَ كم سيدوم حصارهم عندها*. لا يشكُّ تيريون في أن هذا ما كان السيِّد والده ليفعله.

كلَّما تقدَّموا دورًا رنَّت الأجراس في أطواقهم طربًا. *يا له من صوتٍ سعيد، يجعلني أرغبُ في اقتلاع عينَي أحدهم بملعقة*. المفترَض أن يكون جريف والبطَّة وهالدون النِّصف مِايستر قد بلغوا (وستروس) بالفعل مع أميرهم الصَّغير. *حريٌّ بي أن أكون معهم... لكن لا، كان لازمًا أن أحظى بعاهرة. لم أكتفِ بقتل الأقربين واحتجتُ إلى فرجٍ ونبيذٍ لأتمِّم دمار نفسي، وهأنذا الآن على الجانب الخطأ من العالم، أضعُ طوق عبدٍ بجرسين صغيرين يُعلِنان مجيئي. لو رقصتُ على الإيقاع السَّليم فقد يُمكنني أن ارنَّ لحن (أمطار كاستامير)*.

لا مكان أفضل لسماع آخِر الأخبار والشَّائعات من البئر. بينما تقدَّم تيريون وپني في الطَّابور كان عبد مسنٌّ يضع طوقًا حديديًّا صدئًا يقول: «أعرفُ ما رأيث، ورأيتُ ذلك التنِّين ينتزع الأذرُع والسِّيقان ويشطر أناسًا أنصافًا ويحرقهم فلا يتبقَّى منهم غير الرَّماد والعظم. بدأ النَّاس يجرون محاولين الخروج من الحلبة، لكنني ذهبتُ لأشاهد عرضًا، وبحقِّ آلهة (جيس) شاهدتُ عرضًا. كنتُ جالسًا في المدرَّجات الأرجوانيَّة، ففكَّرتُ أن التنِّين لن يُزعِجني هناك».

قالت امرأة سمراء طويلة: «الملكة ركبَت التنِّين وطارَت».

ردَّ المسنُّ: «حاولَت لكنها لم تستطِع التَّشبُّث. النُّشَّابيَّات جرحَت التنِّين وأصيبَت الملكة بسهمٍ بين ثدييها المتورِّدينَ الجميلين حسبما سمعتُ، وعندها سقطَت. لقد ماتَت في زُقاقٍ ما مسحوقةً تحت عجلات عربة. أعرفُ فتاةً تعرف رجلًا رآها تموت».

في صُحبةٍ كهذه الصَّمت حكمة لا يُستهان بها، لكن تيريون لم يقوَ على منع نفسه من قول: «لا أحد عثرَ على جثَّة».

كشَّر المسنُّ قائلًا: «وماذا تعرف أنت عن هذا؟».

قالت السَّمراء: «كانا هناك. إنهما هما، القزمان صاحِبا عرض النِّزال اللذان أدَّياه أمام الملكة».

زرَّ المسنُّ عينيه رامقًا إياهما كأنه يرى تيريون وپني للمرَّة الأولى، وقال: «أنتما من ركبتما الخنزيرين».

سُمعتنا تسبقنا. انحنى تيريون بكياسةٍ ساخرة وامتنعَ عن ذِكر أن أحد الخنزيرين في الحقيقة كلب. «الخنزيرة التي أركبها أختي في الحقيقة. إن لنا الأنف نفسه، هل ترى؟ ثمّة ساحر ألقى عليها تعويذةً، لكن إذا قبّلتها قُبلةً كبيرةً مبتلّةً فستتحوّل إلى امرأةٍ جميلة. المؤسف أنك ما إن تعرفها ستُريد أن تُقبِّلها ثانيةً لتعود خنزيرةً».

تفجّر الضّحك من حولهم، وحتى المسنُّ اشتركَ فيه، وقال الصّبي أحمر الشّعر الواقف وراءهم: «رأيتها إذن، رأيت الملكة. أهي جميلة كما يقولون؟».

كان ليُخبِرهم: *رأيتُ فتاةً نحيلةً بشَعرٍ فضّي ملفوفةً بتوكار. كان وجهها مستترًا ببُرقع ولم أدنُ منها بما فيه الكفاية لألقي نظرةً من كثب*. كانت دنيرس تارجاريَن جالسةً في مقصورة المالك إلى جوار زوجها الجيسكاري، لكن عينَي تيريون انجذبَتا إلى الفارس المدرَّع بالأبيض والذّهبي وراءها. مع أن ملامحه كانت متواريةً فالقزم قادر على تعرُّف باريستان سلمي في أيّ مكان، ويَذكُر أنه فكّر: *كان إليريو مصيبًا في هذا على الأقل. لكن هل سيتعرّفني سلمي؟ وماذا سيفعل إذا تعرّفني؟*

كادَ تيريون يكشف هُويَّته لحظتها، إلَّا أن شيئًا ما منعَه... سمِّه الحذر أو الجُبن أو الغريزة، لكنه لم يتخيَّل أن يستقبله باريستان الباسل بأيِّ شيءٍ غير العداوة. لم يستسِغ سلمي قَطُّ وجود چايمي في حَرسه الملكي الغالي، وقبل الثَّورة كان يراه صغيرًا جدًّا ولم يُختبَر، وبعدها عُرِفَ عنه أنه يقول إنه يَجدُر بقاتِل الملك أن يستبدل معطفه الأبيض بآخَر أسود. ثم إن جرائم القزم نفسه أسوأ. چايمي قتلَ رجلًا مجنونًا، أمَّا تيريون فأغمدَ سهمًا في خاصرة أبيه، الرَّجل الذي عرفَه السير باريستان وخدمَه أعوامًا. كان ليُجازِف بكلِّ شيءٍ على الرغم من هذا، لكن پني أصابَت تُرسه بضربةٍ ومرَّت اللَّحظة بلا عودة.

كانت پني تقول للعبيد الآخَرين في الطَّابور: «شاهدَتنا الملكة نتنازَل، لكننا لم نرَها إلَّا تلك المرَّة الواحدة».

قال المسنُّ: «مؤكَّد أنكما رأيتما التنِّين».

يا ليت. لم تمنَّ عليه الآلهة بهذا القدر حتى. بينما حلَّقت دنيرس تارجاريَن كان المربِّي يُقيِّد كواحلهما بالسَّلاسل ليضمن ألَّا يُحاوِلا الهرب في طريق العودة إلى سيِّدهم. لو أن المُشرف انصرفَ بعد أن أوصلَهما إلى المجزر أو فرَّ مع بقيَّة النخَّاسين حين نزلَ التنِّين من السَّماء فلربما استطاعَ القزمان الانسلال حُرَّين. *أو الهرب بالأحرى وأجراسنا تُجلجِل*.

قال تيريون بهزَّةٍ من كتفيه: «أكان هناك تنِّين؟ كلُّ ما أعرفه أن لا ملكات ميتات عُثِرَ عليهن».

ردَّ المسنُّ الذي لم يقتنع: «آه، لقد عثروا على جُثثٍ بالمئات. جرُّوها إلى داخل الحلبة وأحرَقوها، ولو أن نِصفها كان متفحِّمًا بالفعل. ربما لم يتعرَّفوها وهي محروقة دامية مسحوقة، أو ربما تعرَّفوها وقرَّروا ألَّا يقولوا ليبقى العبيد أمثالكم مستكينين».

قالت السَّمراء: «العبيد أمثالنا؟ أنت أيضًا تضع طوقًا».

بزهوٍ قال المسنُّ: «طوق جازدور. إنني أعرفه منذ مولدنا وأقرب إلى أخٍ له. أمثالكم من العبيد النَّازحين من (أستاپور و)يونكاي) لا يكفُّون عن النُّواح من أجل الحرِّيَّة، أمَّا أنا فأرفض أن أعطي ملكة التَّنانين طوقي ولو عرضَت أن تمصّ قضيبي مقابله. إن كان للمرء السيِّد المناسب فهذا أفضل».

لم يُجادِله تيريون. أخبث ما في العبوديَّة سهولة اعتيادها. يبدو له أن حياة أكثر العبيد لا تختلف البتَّة عن حياة الخدم في (كاسترلي روك). صحيحٌ أن بعض مالكي العبيد ومُشرفيهم قُساة غلاظ القلوب، لكن هذا ينطبق أيضًا على بعض لوردات (وستروس) ووُكلائهم ونُظَّارهم، في حين أن معظم اليونكيِّين يُعامِلون عبيدهم معاملةً حسنةً ما داموا يُؤدُّون أعمالهم ولا يُسبِّبون متاعب... وهذا المسنُّ بطوقه الصَّدئ وإخلاصه العاتي لمالكه اللورد الرَّجراج ليس شاذًّا في تفكيره على الإطلاق.

قال تيريون ببشاشة: «جازدور واسع الصَّدر؟ كثيرًا ما تكلَّم سيِّدنا يزان عن فطنته». ما قاله يزان في الحقيقة كان على شاكلة: *أملكُ من الفطنة في فلقة مؤخِّرتي اليُسرى أكثر مما يملكه جازدور وإخوته معًا*، لكن القزم ارتأى أن من الحكمة أن يُغفِل ما قيلَ حقًّا.

حلَّ منتصَف النَّهار ومرَّ قبل أن يَبلُغ وپني البئر، حيث يقف عبد مهزول بساقٍ واحدة يسحب الماء. حدَّق الرَّجل إليهما بريبةٍ قائلًا: «المربِّي يأتي دومًا لأخذ ماء يزان ومعه أربعة رجال وعربة بغال»، وعادَ يُلقي الدَّلو في الماء ليُصدِر سقوطه صوتًا ناعمًا. تركَ ذو السَّاق الواحدة الدَّلو يمتلئ ثم سحبَه بذراعين متقشِّرتين مسفوعتين بأشعَّة الشَّمس، نحيلتين لكن بارزتَي العضلات.

قال تيريون: «البغال ماتَت، وكذا المربّي المسكين، والآن يركب يزان نفسه الفَرس الشَّاحبة، وستَّة من جنوده مصابون بالإسهال. هلّا ملأت لي دلوين؟».

- «كما تُريد». كانت هذه نهاية الهذر. *أتسمع صوت حوافر؟* جعلَت أكذوبته عن الجنود الستَّة الرَّجل ذا السَّاق الواحدة يتحرَّك أسرع كثيرًا.

بدأوا طريق العودة، يحمل كلٌّ من القزمين دلوين ممتلئين حتى الحافة بالماء العذب والسير چورا دلوين في كلِّ يد. حرارة النَّهار تشتدُّ، والهواء ثقيل رطب كالصُّوف المبلَّل، وازدادَت الدِّلاء ثقلًا مع كلِّ خُطوة. *مشوار طويل على ساقين قصيرتين*. انسكبَ الماء من دلويه كلَّما وضعَ قدمًا أمام الأخرى وتناثرَ على ساقيه فيما عزفَ جرساه لحنًا عسكريًّا. *لو علمتُ أن الأمور ستَبلُغ هذا الحدَّ يا أبتِ فلربما تركتك حيًّا*. من بُعد نِصف ميلٍ شرقًا يرتفع عمود قاتم من الدُّخان حيث أُضرِمَت النَّار في خيمة. *يُحرِقون موتى ليلة أمس*. قال تيريون مشيرًا برأسه إلى اليمين: «من هنا».

رمقَته پني بحيرة، وقالت: «لم نأتِ من ذلك الطَّريق».

- «لسنا نُريد استنشاق هذا الدُّخان. إنه مليء بالسُّموم الخبيثة». ليست هذه كذبةً. *ليس بالكامل*.

سرعان ما بدأت پني تَنفُخ وتلهث مغالبةً وزن دلويها، فقالت: «أحتاجُ إلى راحة».

قال تيريون: «كما تشائين»، ووضعَ دلوَي الماء على الأرض شاعرًا بالامتنان لتوقُّفهم. كانت ساقاه متشنِّجتين جدًّا، فوجدَ صخرةً ملائمة وجلسَ عليها يُدلِّك فخذيه.

قالت پني: «يُمكنني أن أدلِّكهما لك».

- «أنا أعرفُ أين العُقد». بقدر ما صارَ شغوفًا بالفتاة فما زالَ ينزعج من لمستها. التفتَ إلى السير چورا قائلًا: «بضع ضرباتٍ أخرى وستُصبِح أقبح مني يا مورمونت. أخبِرني، هل تبقَّت فيك قُدرة على القتال؟».

رفعَ الفارس الكبير عينين مسودَّتين ورمقَه كأنما يَرمُق حشرةً مجيبًا: «ما يكفي لكسر عُنقك أيها العِفريت».

قال تيريون: «عظيم»، والتقطَ دلويه مردفًا: «من هنا إذن».

قطَّبت پني وجهها قائلةً: «لا، من اليسار»، وأشارَت مضيفةً: «(السَّليطة) هناك».

أومأَ تيريون برأسه في الاتِّجاه الآخَر، وقال: «و(الأخت الخبيثة) من هنا. ثقي بي، طريقي أسرع»، وتحرَّك مصحوبًا برنين جرسيه عالمًا أن پني ستتبعه.

أحيانًا يحسد الفتاة على أحلامها الورديَّة. إنها تُذكِّره بسانزا ستارك، العروس الطِّفلة التي تزوَّجها وفقدَها. على الرغم من كلِّ ما كابدَته پني من أهوال فإنها لا تزال بوسيلةٍ ما قادرة على الثِّقة. *المفترَض أن تكون أعقل من هذا. إنها أكبر من سانزا،* وقزمة. *تتصرَّف كأنها نسَت هذا، كأنها كريمة الميلاد جميلة المُحيَّا* بدلًا من كونها *أَمةً* في معرض وحوش. كثيرًا ما يسمعها تيريون تُصلِّي ليلًا. مضيعة للكلام. *إذا كانت هناك آلهة تسمع فإنها آلهة وحشيَّة تتسلَّى بتعذيبنا. مَن غيرها يصنع مِثل هذا العالم المليء بالاستعباد والدِّماء والألم؟ مَن غيرها يُشكِّلنا كما شكَّلتنا؟* أحيانًا يُريد أن يصفعها، يهزَّها، يَصرُخ فيها، أيَّ شيءٍ يُوقِظها من أحلامها. يُريد أن يهدر فيها: *لا أحد سيُنقِذنا. أسوأ من هذا سيجيء*، لكن الكلمات لا تَخرُج من شفتيه أبدًا، وبدلًا من أن يلطمها بقوَّةٍ على وجهها الدَّميم ليُسقِط الغشاوة عن عينيها يجد نفسه يعتصر كتفها أو يحتضنها. كلُّ لمسةٍ كذبة. *نقدتها مبلغًا باهظًا بعُملةٍ زائفة حتى إنها تكاد تحسب نفسها ثريَّةً.*

حتى حقيقة (حلبة دازناك) خبَّأها عنها.

أُسود، كانوا سيُطلِقون علينا أُسودًا. لكانت تلك المادَّة الخام لسخرية القدر، ولربما وجدَ وقتًا ليُطلِق ضحكةً قصيرةً مريرةً قبل أن يُمزَّق إربًا إربًا.

لم يُخبِره أحد عن النِّهاية التي أُعِدَّت لهما، ليس بالكلام، لكن تخمينها لم يكن صعبًا وهما هناك تحت قرميد (حلبة دازناك)، في العالم الخفي تحت المقاعد والنِّطاق المظلم لمُقاتلي الحلبات ومَن يخدمونهم أحياء وموتى... طهاة يُطعِمونهم، وتُجَّار حديدٍ يُسلِّحونهم، وحلَّاقون جرَّاحون يفصدونهم ويحلقون لهم ويُضمِّدون جراحهم، وبغايا يُمتِّعنهم قبل القتال وبعده، ومتعهِّدو جُثثٍ يجرُّون الخاسرين من الحلبة بالسَّلاسل والخطاطيف الحديد.

أعطى وجه المربِّي تيريون التَّلميح الأول. بعد عرضهما عادَ مع پني إلى القبو المضاء بالمشاعل حيث يجتمع المُقاتلون قبل وبعد مبارياتهم، بعضهم جالس يشحذ سلاحه، وبعضهم يُقدِّم القرابين لآلهةٍ غريبة أو يُخدِّر أعصابه بحليب الخشخاش قبل أن يَخرُج ليموت. مَن قاتَلوا وفازوا جلسوا يلعبون النَّرد في أحد الأركان، يضحكون كما يضحك مَن جابَهوا الموت وعاشوا.

كان المربِّي يَنقُد أحد عُمَّال الحلبة فضَّةً قيمة رهانٍ خسره حين لمحَ پني تقود كرَنش. اختفى الارتباك في عينيه خلال أقل من لحظة، ولكن ليس قبل أن يستوعب تيريون معناه. *لم يتوقَّع عودتنا*. عندها تطلَّع تيريون إلى الوجوه الأخرى. *لا أحد منهم توقَّع عودتنا*. *كان المفترَض أن نموت*. ووضعَ القزم القطعة الأخيرة من اللُّغز في مكانها حين سمعَ مدرِّب حيواناتٍ يقول شاكيًا بصوتٍ عالٍ لمتعهِّد الحلبة: «الأُسود جائعة. يومان منذ أكلَت. قيلَ لي ألَّا أُطعِمها فلم أفعل. على الملكة أن تدفع ثَمن اللَّحم».

ردَّ عليه متعهِّد الحلبة بحدَّة: «اعرض هذا عليها حين تعقد البلاط المرَّة القادمة».

حتى الآن لا تشكُّ پني في شيء، وعندما تتكلَّم عن الحلبة فأقصى همومها أن عددًا أكبر من النَّاس لم يضحك. كادَ تيريون يُخبِرها: *كانوا ليبولوا على أنفُسهم من الضَّحك لو أُطلِقَت الأُسود،* لكن بدلًا من ذلك اعتصرَ كتفها.

توقَّفت پني فجأةً، وقالت: «إننا ذاهبون في الاتِّجاه الخطأ».

ردَّ تيريون: «لا»، ووضعَ دلويه على الأرض. كان المقبضان قد حفرا أخاديد عميقةً في أصابعه. «هذه هي الخيام التي نُريدها، هناك».

شقَّت ابتسامة غريبة وجه السير چورا، وقال: «الأبناء الثَّانون؟ إذا كنت تحسب أنك ستجد نجدةً هناك فلست تعرف بن پلوم البنِّي».

- «أوه، لكنني أعرفه. أنا وپلوم لعبنا خمس مبارياتٍ من السايڤاس. بن البنِّي أريب عنيد لا يفتقر إلى الذَّكاء... لكنه حذِر، يحبُّ أن يَترُك خصمه يُخاطِر فيما يأخذ هو راحته ويَترُك خياراته مفتوحةً، يتفاعَل مع المعركة إذ تتبلوَر».

ردَّدت پني: «المعركة؟ أي معركة؟»، وتراجعَت عنه قائلةً: «يجب أن نعود! سيِّدنا محتاج إلى ماءٍ نظيف. سنُجلَد إذا تأخَّرنا، والخنزيرة الجميلة وكرَنش هناك».

قال تيريون كاذبًا: «سيحرص حَلوى على العناية بهما». قريبًا على الأرجح سيأكل سكار وأصدقاؤه وليمةً من لحم الخنازير المدخَّن والمقدَّد ويخنة كلابٍ شهيَّة، لكن لا داعي لأن تسمع الفتاة ذلك. «المربِّي ماتَ ويزان يموت. سيحلُّ الظَّلام قبل أن يُدرِك أحد تغيُّبنا. لن نجد فُرصةً أفضل من الآن أبدًا».

- «لا! أنت تعرف ما يفعلونه حين يقبضون على عبيدٍ يُحاوِلون الهرب، أنت تعرف! أرجوك. لن يسمحوا لنا أبدًا بالخروج من المعسكَر».

قال تيريون: «لم نَخرُج من المعسكَر»، وحملَ دلويه وتحرَّك بسرعةٍ متمايلًا دون أن يُلقي نظرةً واحدةً خلفه. لحقَ به مورمونت، وبعد بُرهةٍ سمعَ پني تُسرِع وراءهما إذ نزلا منحدرًا رمليًّا صوب دائرةٍ من الخيام الرثَّة.

ظهرَ الحارس الأول مع دنوِّهم من صفوف الخيول، حامل حربةٍ نحيل أخبرَتهم لحيته الأرجوانيَّة المحمرَّة بأنه تايروشي. سألَهم: «مَن أنتم؟ وما الذي في هذه الدِّلاء؟».

أجابَ تيريون: «ماء، بعد إذنك».

- «أفضِّلُ البيرة».

وخزَه رأس حربة في ظَهره إذ جاءَ حارس آخَر من ورائهم، وسمعَ تيريون (كينجز لاندنج) في صوته. *حُثالة من (جُحر البراغيث)*. سألَه الحارس: «هل ضللت الطَّريق أيها القزم؟».

- «نحن هنا للالتحاق بجماعتكم».

انزلقَ دلو من قبضة پني وانقلبَ، وانسكبَ نِصف ما فيه من ماءٍ قبل أن تعدله ثانيةً.

قال التايروشي: «عندنا ما يكفي من مهرِّجين في هذه الجماعة. لِمَ نُريد ثلاثةً إضافيِّين؟»، ونقرَ طوق تيريون برأس حربته ليرنَّ الجرسان الصَّغيران، وتابعَ: «لا أرى إلَّا عبدًا هاربًا، ثلاثة عبيد هاربين. طوق مَن هذا؟».

- «الحوت الأصفر». جاءَ الجواب من رجلٍ ثالث جذبَته أصواتهم، رجل كريه ناحل يُغطِّي فكَّه الزَّغب ويُلوِّث التَّبغ المُر أسنانه بالأحمر. أدركَ تيريون من الطَّريقة التي انصاعَ بها الآخَران له أنه رقيب، وتنتهي ذراعه اليُمنى بخُطَّاف حيث كانت يده. *إن لم يكن هذا ظِلَّ برون الأرذل فأنا بيلور المحبوب*. أخبرَ الرَّقيب الحارسين مضيِّقًا عينيه: «إنهما القزمان اللذان حاولَ بن شراءهما، أمَّا الكبير... الأفضل أن نُحضِره أيضًا، الثَّلاثة».

أشارَ التايروشي بحربته فتحرَّك تيريون. المرتزِق الآخَر فتى مراهق، بالكاد أكبر من صبي، على وجنتيه زغب وشَعره بلون القشِّ المتَّسخ، وقد حملَ پني تحت ذراعٍ واحدة وقال ضاحكًا: «أووه، قزمتي لها ثديان»، ودسَّ يده تحت قميص الفتاة ليتأكَّد.

قال الرَّقيب محتدًّا: «أحضِرها فقط».

وضعَ المراهق پني فوق كتفه، وسبقَه تيريون بأقصى سرعةٍ تسمح بها ساقاه ناقصتا النُّمو عالمًا وجهتهما، الخيمة الكبيرة على الجانب الآخَر من بؤرة النَّار بجُدرانها القنَّبيَّة الملوَّنة التي تشقَّقت وبهتَت من سنين الشَّمس والمطر. التفتَ بعض المرتزِقة يُشاهِدونهم يمرُّون وقهقهَت تابعة معسكَراتٍ باستهانة، لكن أحدًا لم يتدخَّل.

داخل الخيمة وجدوا مقاعد معسكَرات ومنضدةً ورفًّا من الحِراب والمَطارد[69] وأرضيَّةً مفروشةً بالبُسط البالية المصبوغة بنِصف دستةٍ من الألوان المتنافرة، بالإضافة إلى ثلاثة ضُبَّاط. أحدهم أنيق ممشوق القوام مدبَّب اللِّحية، يحمل سيف مُبارز براڤو ويرتدي سُترةً ورديَّةً مشرَّطةً، والثَّاني ممتلئ يزحف الصَّلع على رأسه وتُلطِّخ بُقع الحِبر أصابعه ويُمسِك ريشةً.

والثَّالث هو الرَّجل الذي سعى إليه. انحنى تيريون قائلًا: «حضرة القائد».

أسقطَ المراهق پني على بساط، وقال: «قبضنا عليهم يتسلَّلون إلى المعسكَر».

وأعلنَ التايروشي: «هاربون يحملون دلاءً».

ردَّد بن پلوم البنِّي: «دلاء؟»، ولمَّا لم يُحاوِل أحدهم أن يشرح قال: «عودوا إلى مواقعكم يا أولاد، ولا كلمة واحدة عن هذا لأحد»، وبعد ذهابهم ابتسمَ لتيريون سائلًا: «جئت تلعب مباراة سايڤاس أخرى يا يولو؟».

- «إذا أردت. إنني أستمتعُ بهزيمتك. سمعتُ أنك انقلبت مرَّتين يا پلوم. رجل يُوافِق ذوقي».

لم تَبلُغ ابتسامة بن البنِّي عينيه قَطُّ إذ تفحَّص تيريون كما لو أنه يتفحَّص ثُعبانًا متكلِّمًا، وسألَه: «ماذا تفعل هنا؟».

- «أحقِّقُ أحلامك. لقد حاولت شراءنا في المزاد، ثم حاولت الفوز بنا بالسايڤاس. حتى عندما كان لي أنف لم أكن بالوسامة التي تُثير هذه العاطفة المشبوبة في أحد... باستثناء شخصيَّةٍ واحدة تصادفَ أنها عرفَت قيمتي الحقيقيَّة. حسن، هأنذا، يُمكنك أن تنالني مجَّانًا. والآن كُن صديقًا واستدعِ حدَّادك ليخلع أطواقنا هذه. سئمتُ الجلجلة حين أتبوَّلُ».

- «لا أريدُ مشكلاتٍ مع سيِّدك النَّبيل».

- «يزان لديه هموم أكثر إلحاحًا من ثلاثة عبيد مفقودين. إنه على متن الفَرس الشَّاحبة. ولِمَ يَخطُر لهم أن يبحثوا عنا هنا؟ إن عندك سيوفًا تكفي لتثبيط همَّة أيِّ أحدٍ يأتي باحثًا. مخاطرة صغيرة لقاء مكسبٍ عظيم».

هسهسَ الطّاووس ذو السُترة الورديَّة المشرَّطة: «لقد جلبوا المرض بيننا، جلبوه إلى خيامنا ذاتها»، والتفتَ إلى بن البنّي قائلًا: «هل أقطع رأسه أيها القائد؟ يُمكننا أن نُلقي بقيَّته في أحد المراحيض»، واستلَّ سيف مُبارز براڤو رفيعًا مقبضه مرصَّع بالجواهر.

قال تيريون: «توخَّ الحذر مع رأسي. لست تُريد أن يُلوِّثك دمي. الدَّم يحمل المرض. وعليكم أن تغلوا ثيابنا أو تُحرِقوها».

- «أفكِّرُ في إحراقها وأنت ترتديها يا يولو».

- «ليس ذلك اسمي، لكنك تعرف هذا، عرفته منذ وقعَ نظرك عليَّ أول مرَّة».

- «ربما».

- «أنا أيضًا أعرفك يا سيِّدي. إنك أبعد عن الأرجواني وأقرب إلى البنّي من آل پلوم في الوطن، لكن ما لم يكن اسمك مكذوبًا فأنت من أراضي الغرب، بالدَّم إن لم يكن بالميلاد. عائلة پلوم مقسمة على الولاء لـ(كاسترلي روك)، ويتصادَف أنني أعرفُ القليل من تاريخها. لا شكَّ أن فرعك نبتَ من بذرةٍ أُلقيَت عبر (البحر الضيِّق). أراهنُ أنك ابن أصغر لڤسيرس پلوم. كانت تنانين الملكة مولعةً بك، أليس كذلك؟».

بدا أن المرتزِق استطرفَ قوله، وسألَه: «مَن أخبرَك بهذا؟».

- «لا أحد. أغلب القِصص التي نسمعها عن التَّنانين مُضغة للحمقى. تنانين متكلِّمة، تنانين تكتنز الذَّهب والجواهر، تنانين بأربع سيقان وبطون كبيرة كالأفيال، تنانين تُحاجي آباء الهول... كلُّ هذا هُراء. لكن في الكُتب القديمة حقائق أيضًا. لستُ أعلمُ أن تنانين الملكة أحبَّتك فحسب، بل أعلمُ السَّبب أيضًا».

- «أمِّي قالت إن أبي كانت في عروقه قطرة من دم التنِّين».

- «قطرتان. إمَّا هذا وإمَّا قضيب طوله ستَّة أقدام. هل تعرف تلك الحكاية؟ أنا أعرفها. والآن، أنت ذكي يا پلوم، وتعلم أن رأسي هذا قيمته لورديَّة... في (وستروس)، على الجانب الآخَر من العالم. حين تصل أخيرًا لن يتبقَّى إلَّا العظم واليرقات، وستُنكِر أختي الجميلة أنه رأسي وتحتال عليك في مكافأتك الموعودة. أنت تعرف الملكات، كلُّهن حقيرات مخادعات، وسرسي أسوأهن».

حكَّ بن البنِّي لحيته قائلًا: «يُمكنني أن أسلِّمك إليها حيًّا تتلوَّى إذن، أو أضع رأسك في برطمانٍ وأحفظه».

قال تيريون: «أو تُحالِفني. إنه أكثر التَّصرُّفات حكمةً»، وأضافَ بابتسامةٍ واسعة: «لقد وُلِدتُ ابنًا ثانيًا. هذه الجماعة مصيري».

قال البراقو في السُّترة الورديَّة باستهتار: «ليس عند الأبناء الثَّانين مكان للممثِّلين. مَن نحتاج إليهم مُقاتلون».

أشارَ تيريون بإبهامه إلى مورمونت قائلًا: «جلبتُ لكم واحدًا».

ردَّ البراقو ضاحكًا: «هذا المخلوق؟ غاشم قبيح، لكن النُّدوب وحدها لا تصنع ابنًا ثانيًا».

دوَّر تيريون عينيه غير المتماثلتين في محجريهما ضيقًا، وقال: «لورد پلوم، مَن صديقاك هذان؟ الوردي مزعج».

مطَّ البراقو شفته بازدراء، في حين قهقهَ رفيقه حامل الرِّيشة لسلاطة القزم، لكن چورا مورمونت هو من زوَّده باسميهما: «المحبرة أمين النَّقد في الجماعة، والطَّاووس يُسمِّي نفسه كاسپوريو المكَّار، ولو أن كاسپوريو الخسيس يليق به أكثر. شخص بغيض».

قد يستعصي تعرُّف وجه مورمونت في حالته المزرية هذه، لكن صوته لم يتبدَّل. رمقَه كاسپوريو جافلًا، فيما ازدادَت التَّجاعيد حول عينَي پلوم تجعُّدًا من الاستمتاع، وقال: «چورا مورمونت؟! أهذا أنت؟ تبدو أقل عجرفةً مما كنت حين رحلت. أما زالَ علينا دعوتك بالسير؟».

التوَت شفتا السير چورا المتورِّمتان في ابتسامةٍ مشوَّهة، وأجابَ: «أعطِني سيفًا ويُمكنك دعوتي بما تشاء يا بن».

تراجعَ كاسپوريو قائلًا: «أنت... لقد طردَتك...».

- «ورجعتُ. يُمكنك أن تصفني بالأحمق».

أحمق واقع في الحُبّ. تنحنحَ تيريون، وقال: «يُمكنكم الكلام عن الأيام الخوالي لاحقًا... بعد أن أشرح أن رأسي أنفع لكم وهو على كتفَي. ستجدني أيها اللورد پلوم شديد السَّخاء مع أصدقائي. إذا كنت تشكُّ فيَّ فسَل برون، سَل شاجا بن دولف، سَل تيميت بن تيميت».

سألَه الرَّجل المسمَّى المحبرة: «ومَن هؤلاء؟».

أجابَ تيريون: «رجال صالحون تعهَّدوا لي بسيوفهم وازدهرَت أحوالهم أيما ازدهار في خدمتي»، وهزَّ كتفيه مضيفًا: «أوه، ليكن، كذبتُ بشأن كونهم صالحين. إنهم أوغاد متعطِّشون للدِّماء مِثلكم».

قال بن البنِّي: «ربما، أو ربما اختلقت هذه الأسماء لتوِّك. قلت شاجا؟ أهذا اسم امرأة؟».

- «إن له ثديين كبيرين بالفعل. عندما ألتقيه المرَّة التَّالية سألقي نظرةً تحت سراويله لأتأكَّد. أهذه طاولة سايڤاس هناك؟ أحضِرها وسنلعب تلك المباراة. لكن أولًا أريدُ كوبًا من النَّبيذ. حَلقي جافٌّ كالعظام القديمة، وأرى أن الكلام سيطول».

(69) المِطرد سلاح قديم يتألَّف من رأس حربةٍ ورأس فأسٍ مثبَّتين في القناة نفسها. (المُترجم).

في تلك اللَّيلة حلمَ بالهَمج يعوون من الغابة ويتقدَّمون على أنين الأبواق الحربيَّة وقرع الطُّبول. بووم **دووم** بووم **دووم** بووم **دووم**، ألف قلبٍ على إيقاعٍ واحد. حملَ بعضهم الحِراب وبعضهم الأقواس وبعضهم الفؤوس، وركبَ آخَرون عرباتٍ من العظام تجرُّها فِرق من الكلاب الكبيرة كالخيول القزمة، يتحرَّك بينها العمالقة بخُطواتهم الثَّقيلة مناهزين الأقدام الأربعين طولًا وحاملين مدقَّاتٍ بحجم أشجار السَّنديان.

هتفَ چون سنو: «اصمُدوا. اردعوهم»، وكان واقفًا وحده على قمَّة (الجِدار). صاحَ: «اللَّهب، أمطِروهم باللَّهب»، لكنه لم يجد أحدًا حوله يُلقي إليه بالًا.

كلُّهم رحَلوا، هجَروني.

هسهسَت السِّهام المشتعلة المنطلقة إلى أعلى مخلِّفةً ألسنةً من النَّار في الهواء، وتهاوى الإخوة الفزَّاعات بمعاطف سوداء متَّقدة، وبينما تسلَّق الأعداء الجليد بسرعة العناكب صاحَ نسر: «*سنو!*». كان چون مدرَّعًا بجليدٍ أسود، لكن في قبضته يضطرم سيفه بالأحمر، وإذ بلغَ الموتى قمَّة (الجِدار) أسقطَهم ليموتوا ثانيةً. قتلَ رجلًا أشيب وصبيًّا حليقًا وعملاقًا ورجلًا هزيلًا مدبَّب الأسنان وفتاةً شَعرها أحمر غزير. بعد فوات الأوان أدركَ أنها إيجريت، وسرعان ما اختفَت كما ظهرَت.

ذابَ العالم مستحيلًا إلى ضبابٍ أحمر، وطعنَ چون وشقَّ وجرحَ. هوى بضربةٍ تلو الضَّربة على دونال نوي، وبقرَ بطن ديك فولارد الأصم، وسقطَ كورين ذو النِّصف يد على رُكبتيه محاولًا إيقاف نزيف عُنقه عبثًا. صرخَ چون: «أنا سيِّد (وينترفل)!»، ووجدَ روب أمامه الآن، يُبلِّل الثَّلج الذَّائب شَعره. أطاحَ (المخلب الطَّويل) برأسه، ثم أطبقَت يد متغضِّنة بخشونةٍ على كتف چون، فدارَ على عقبيه...

... واستيقظَ ليرى غُدافًا يَنقُر صدره. صاحَ الطَّائر: «*سنو!*»، وذبَّه چون لينعق الغُداف معبِّرًا عن استيائه وطارَ إلى أحد أعمدة الفِراش ليُحدِّق إليه بحقدٍ من أعلى في عتمة ما قبل الفَجر.

جاءَ اليوم المرتقَب. الآن ساعة الذِّئب، وقريبًا تُشرِق الشَّمس ويتدفَّق أربعة آلاف همجي عبر (الجِدار). جنون. مرَّر چون سنو يده المحروقة في شَعره وتساءلَ من جديدٍ عمَّا يفعله. ما إن تُفتَح البوَّابة فلا سبيل للعودة. *كان ينبغي أن يكون الدُّب العجوز هو من يتعامَل مع تورموند، كان ينبغي أن يتعامَل معه چارمي ريكر أو كورين ذو النِّصف يد أو دينس ماليستر أو رجل آخَر مخضرم، كان ينبغي أن يتعامَل معه عمِّي*. على أن أوان هذه الوساوس فاتَ. لكلِّ خيارٍ مخاطره ولكلِّ خيارٍ عواقبه، وسيلعب چون اللُّعبة إلى النِّهاية.

نهضَ وارتدى ثيابه في الظَّلام فيما تحرَّك غُداف مورمونت في الغُرفة متمتمًا. قال الطَّائر: «*ذُرة!*»، و«*ملك!*»، و«*سنو، چون سنو، چون سنو!*». غريب هذا، فعلى ما يَذكُر لم يقل الطَّائر اسمه كاملًا من قبل.

أفطرَ في القبو مع ضُبّاطه، وتكوّنت الوجبة من الخُبز المحمَّر والبيض المقلي والشَّجق الدَّموي وثريد الشَّعير، بالإضافة إلى بيرةٍ صفراء خفيفة. في أثناء الأكل راجَعوا التَّجهيزات مرَّةً أخرى، وأكَّد له باون مارش قائلًا: «كلُّ شيءٍ على أهبة الاستعداد. إذا حافَظَ الهَمج على شروط الصَّفقة فسيمضي كلُّ شيءٍ كما أمرت».

وإذا لم يفعلوا فقد ينقلب الموقف إلى دمٍ ومعمعة. قال چون: «تذكَّروا أن قوم تورموند جائعون وبردانون وخائفون، وبعضهم يكرهنا كما يكرههم بعضكم. إننا نَرقُص على جليدٍ متعفِّن، هُم ونحن. شرخ واحد ونغرق جميعًا. إذا أريقَت دماء اليوم فالأفضل ألَّا يكون أحدنا من يضرب أول ضربة، وإلَّا فأقسمُ بالآلهة القديمة والجديدة أني سأقطعُ رأس الرَّجل الذي يضربها».

أجابوه بالإيماء والهمهمة وكلمة أجل، وبـ«كما تأمر»، و«ستُنفَّذ التَّعليمات»، و«نعم يا سيِّدي»، وواحدًا تلو الآخَر نهضوا وتمنطَقوا بأحزمة السُّيوف وارتدوا معاطفهم السَّوداء الثَّقيلة، ثم خرجوا إلى البرد.

آخِر من تركَ المائدة كان إد توليت الكئيب الذي وصلَ ليلًا بستِّ عرباتٍ من (الرَّابية الطَّويلة)، أو (رابية العاهرات) كما يُسمِّي الإخوة السُّود القلعة الآن. أُرسِلَ إد لجمع أكبر عددٍ يُمكن أن تحتويه عرباته من الزَّوجات الحِراب والعودة بهن للانضمام إلى أخواتهن.

شاهدَه چون يُغمِّس صفار البيض السَّائل بقطعة خُبز، وكانت رؤية وجه إد العابس مجدَّدًا مريحةً على نحوٍ غريب. سألَ وكيله السَّابق: «ما أخبار أعمال الإصلاح؟».

أجابَ توليت بنبرته الكئيبة المعتادة: «المفترَض أن تنتهي خلال عشرة أعوام. حين وصلنا كان المكان موبوءًا بالجرذان، لكن الزَّوجات الجِراب قتَلن المخلوقات الكريهة اللَّعينة، والآن المكان موبوء بالزَّوجات الجِراب. في بعض الأيام أتمنَّى عودة الجرذان».

سألَه چون: «كيف تجد الخدمة تحت إميت الحديدي؟».

- «ماريس السَّوداء هي من تخدم تحته غالبًا يا سيِّدي، أمَّا أنا فعندي البغال. نتلز تدَّعي أننا قريبان. صحيحٌ أن لنا الوجه الطَّويل نفسه، لكنني لا أدانيها في العناد بتاتًا. على كلِّ حالٍ أنا لم أعرف أمَّهاتها قَطُّ، أقسمُ بشَرفي»، وأنهى إد ما تبقَّى من بيضه، واستطردَ: «كم أحبُّ البيض المقلي السَّائل. أرجوك يا سيِّدي لا تدع الهَمج يأكلون دجاجنا كلَّه».

في السَّاحة بالخارج كانت سماء الشَّرق قد بدأت تُنير، ولا سحابة واحدة على مدى البصر. قال چون: «يبدو أنه سيكون نهارًا جيِّدًا لفِعل ما سنفعله، نهارًا صحوًا، مشمسًا ودافئًا».

- «سيَقطُر (الجِدار)، والشِّتاء يكاد يحلُّ. غير طبيعي هذا يا سيِّدي. نذير سوءٍ إذا طلبت رأيي».

ابتسمَ چون متسائلًا: «وإذا كان الثَّلج يَسقُط؟».

- «نذير أسوأ».

- «ما نوع الطَّقس الذي تُفضِّله إذن؟».

قال إد الكئيب: «النَّوع الذي تجده في الأماكن المغلقة. بعد إذن سيِّدي، يجب أن أرجع إلى بغالي. إنها تفتقدني في غيابي، على العكس من الزَّوجات الجِراب».

افترَقا هناك، توليت إلى الطَّريق الشَّرقي حيث تنتظر عرباته، وچون سنو إلى الاسطبلات. كان ساتان قد جهَّز حصانه بالسَّرج واللِّجام في انتظاره، جوادًا حربيًّا رماديَّ اللَّون ناريَّ المزاج له لبدة سوداء لامعة كحِبر المِايسترات. ليس المطيَّة التي كان چون ليختارها لأجل جولة تقصٍّ، لكن كلَّ ما يهمُّ صبيحة اليوم أن يبدو مهيبًا، والفحل اختيار مثالي لهذا الغرض.

وجدَ حاشيته في الانتظار أيضًا. لم يحبَّ چون قَطُّ إحاطة نفسه بالحُرَّاس، وإن خطرَ له أن من الحكمة أن يصحبه بضعة رجالٍ صالحين اليوم. بدا منظرهم صارمًا بقمصانهم المعدنيَّة وخوذاتهم الحديد القصيرة ومعاطفهم السَّوداء، وقد قبضوا على حِرابٍ طويلة بأيديهم وعلَّقوا السُّيوف والخناجر من أحزمتهم. لأجل اليوم تغاضى چون عن جميع الصِّبية الخُضر والمسنِّين تحت قيادته واختار ثمانية رجالٍ في عُنفوان الشَّباب: تاي ومولي وليو الأعسر وليدل الكبير وروري وفولك البرغوث وجاريت صاحِب الحربة الخضراء... وليذرز قيِّم سلاح (القلعة السَّوداء) الجديد، ليُري الأحرار أن حتى مَن قاتَلوا في صفِّ مانس في المعركة عند سفح (الجِدار) يُمكنهم أن يجدوا موضع شَرفٍ في حَرس اللَّيل.

كان الشَّرق قد تورَّد بالأحمر العميق حين اجتمَعوا عند البوَّابة. *النُّجوم تحتجب*. وحين تظهر ثانيةً ستطلع على عالمٍ تغيَّر إلى الأبد. وقفَ بعض رجال الملكة يُشاهِدون من عند جِمار نار الليدي مليساندرا اللَّيليَّة، ولمَّا ألقى چون نظرةً سريعةً نحو (بُرج الملك) لمحَ ومضةً من الحُمرة وراء نافذة، لكنه لم يرَ أثرًا للملكة سيليس.

حانَ الوقت، وقال چون سنو بهدوء: «افتحوا البوَّابة».

هدرَ ليدل الكبير بصوتٍ كالرَّعد: «**افتحوا البوَّابة!**»، وعلى ارتفاع سبعمئة قدمٍ سمعَه النَّواطير ورفعوا أبواقهم الحربيَّة إلى أفواههم، وتردَّدت أصداء الصَّوت على (الجِدار) وفي أرجاء العالم. *آهوووووووووووووووووووووووووووو!* نفخة واحدة طويلة. طوال ألف عامٍ أو أكثر كان هذا الصَّوت يعني عودة الجوَّالة، أمَّا اليوم فيعني شيئًا آخَر، اليوم يُنادي شعب الأحرار إلى موطنه الجديد.

وعلى طرفَي النَّفق الطَّويل ارتفعَت المزاليج الحديد وانفتحَت البوَّابتان.

كان ضوء الفَجر يترقرَق على الجليد بالأعلى ورديًّا وذهبيًّا وأرجوانيًّا. لم يكن إد الكئيب مخطئًا، وقريبًا سيبدأ (الجِدار) يَقطُر كأنما يذرف الدَّمع. عسى *أن يذرفه وحده.*

قادَهم ساتان تحت الجليد منيرًا الطَّريق في عتمة النَّفق بقنديلٍ حديد، وتبعَه چون قائدًا حصانه، ثم حُرَّاسه، وبعدهم باون مارش وعشرون من وُكلائه المكلَّف كلٌّ منهم بمهمَّة. بالأعلى يتولَّى أولمر ابن (غابة الملوك) حراسة (الجِدار)، ويقف معه أربعون من أفضل رُماة (القلعة السَّوداء) مستعدِّين للرَّدّ على أيِّ متاعب تقع بالأسفل بوابلٍ من سهامهم.

شمال (الجِدار) ينتظر تورموند بليَّة العماليق ممتطيًا فَرسًا صغيرةً بائسةً تبدو أنحل من أن تحتمل وزنه، ومعه ابناه المتبقِّيان، توريج بقامته الطَّويلة ودرين الصَّغير، ونحو ستِّين من المُحاربين. صاحَ تورموند: «هار! حُرَّاس؟ أين الثِّقة أيها الغُراب؟».

- «أنت جلبت رجالًا أكثر مني».

- «صحيح. تعالَ وقِف إلى جانبي يا فتى. أريدُ أن يراك قومي. إن معي آلافًا لم يروا قائدًا من قبل، رجالًا بالغين قيلَ لهم في صِغرهم إن جوَّالتكم سيأكلونهم إذا لم يُحسِنوا السُّلوك. يجب أن يروك بوضوح، الفتى طويل الوجه بمعطفه الأسود القديم. يجب أن يتعلَّموا أن لا شيء يُخيف في حَرس اللَّيل».

درسٌ كنتُ أوثرُ ألَّا يتعلَّموه أبدًا. خلعَ چون قُفَّاز يده المحروقة ووضعَ إصبعين في فمه وصفرَ، فخرجَ جوست مهرولًا من البوَّابة، ونكصَت فَرس تورموند بشدَّةٍ كادَت تُسقِط الهمجي من فوق سَرجه. قال چون: «لا شيء يُخيف؟ جوست، ابقَ».

- «يا لك من نغلٍ أسود القلب أيها اللورد غُراب». قالها تورموند نافِخ البوق ورفعَ بوقه الحربي إلى شفتيه، وتردَّد صوته على الجليد كهزيم الرَّعد، وبدأت طلائع الأحرار تنساب صوب البوَّابة.

ومن الفَجر إلى الغسق شاهدَ چون الهَمج يمرُّون.

جاءَ الرَّهائن أولًا، مئة صبيٍّ بين سِنَّي الثَّامنة والسَّادسة عشرة، وأعلنَ تورموند: «ثَمنك الدَّموي. آملُ ألَّا يَسكُن عويل أمَّهاتهم المسكينات أحلامك ليلًا». بعض الصِّبية قادَتهم إلى البوَّابة أمَّهاتهم أو آباؤهم، وبعضهم إخوتهم الأكبر، لكن أكثرهم جاءَ بمفرده، فالصِّبية البالغين من العُمر أربعة أو خمسة عشر عامًا يُوشِكون على بلوغ مبلغ الرِّجال، ولا يُريدون أن يُروا متشبِّثين بتنُّورة امرأة.

عدَّ وكيلان الصِّبية لدى مرورهم مسجِّليْن كلَّ اسمٍ على قائمةٍ طويلة من جِلد الخراف، وجمعَ ثالث مقتنياتهم الثَّمينة -ضريبة المرور- ودوَّنها أيضًا. هؤلاء الصِّبية ذاهبون إلى مكانٍ لم يَزُره أحد منهم من قبل، ليخدموا جماعةً كانت عدوَّ أهلهم وأصدقائهم لآلاف السِّنين، إلَّا أن چون لم يرَ دموعًا أو يسمع أمَّهاتٍ يندبن. *إنهم قوم الشِّتاء. في موطنهم تتجمَّد الدُّموع على وجوههم.* لم تتراجَع رهينة واحدة أو تُحاوِل الانسلال خلسةً وقت أن حانَ دورها لدخول النَّفق المعتم.

جميع الصِّبية تقريبًا نُحفاء، بعضهم أدنى إلى الضُّمور من الهزال، أذرُعهم وسيقانهم الطَّويلة رفيعة هشَّة كالغُصينات. تمامًا كما توقَّع چون. باستثناء هذا أتوا بكلِّ شكلٍ وحجمٍ ولون. رأى صِبيةً طوالًا وقصارًا، وصِبيةً بنِّيِّي الشَّعر وسُوده، وصِبيةً بشُقرة العسل وشُقرة الفراولة وآخَرون حُمر الشَّعر قبَّلتهم النَّار مِثل إيجريت، ورأى صِبيةً بندوبٍ وصِبيةً يعرجون وصِبيةً مجدوري الوجوه. كثيرون من الصِّبية الأكبر سِنًّا لهم خدود زغبة أو شوارب صغيرة خفيفة، لكن لأحدهم لحيةً كثيفةً كثافة لحية تورموند. بعضهم يرتدي الفرو النَّاعم الممتاز، وبعضهم الجِلد المقوَّى والدُّروع المجمَّعة من هنا وهناك، وأكثرهم الصُّوف وجلود الفقمات، وقلائل يرتدون أسمالًا، وأحدهم عارٍ. وكثيرون منهم يحملون أسلحةً؛ حِرابًا مشحوذةً، مطارق برؤوسٍ حجريَّة، سكاكين من العظم أو الحجر أو زُجاج التنِّين، هراواتٍ شائكةً، شباكًا، وهنا وهناك ثمَّة سيف قديم يأكله الصَّدأ. مشى صِبية ذوي الحوافر بنشاطٍ حُفاة الأقدام في أكوام الثَّلج، في حين ركَّب آخَرون كفوف دببةٍ على أحذيتهم وساروا فوق أكوام الثَّلج دون أن يغوصوا فيها على الإطلاق، ووصلَ ستَّة صِبيةٍ على خيولٍ واثنان على بغلين، وجاءَ أخوان بمعزاة. يَبلُغ أكبر الرَّهائن ستَّة أقدامٍ ونِصفًا طولًا لكن له وجه طفلٍ صغير، وأصغرهم صبيٌّ ضئيل يدَّعي أنه في التَّاسعة لكنه لا يبدو أكبر من السَّادسة.

مَن لهم أهميَّة خاصَّة أبناء أصحاب الصِّيت، وقد حرصَ تورموند على لفت النَّظر إليهم وهُم يمرُّون. عن واحدٍ طويل قال: «هذا الصَّبي هناك ابن سورين كاسِر التُّروس»، وبعدها أشارَ إلى آخَر قائلًا: «ذو الشَّعر الأحمر هذا ولد جيريك دم الملوك، يأتي من نسل رايمون ذي اللِّحية الحمراء حسب كلامه، ومن نسل شقيق ذي اللِّحية الحمراء الصَّغير إذا أردت الحقيقة». مرَّ صبيَّان الشَّبه بينهما بالغ كأنهما توأمان، لكن تورموند أكَّد أنهما ابنا عمومة، يفصل بين مولديهما عام. «أحدهما أنجبَه هارل القنَّاص والثَّاني هارل الوسيم، كلاهما من المرأة نفسها. كلا الأبوين يكره الآخَر. لو كنتُ في مكانك لأرسلت واحدًا إلى (القلعة الشَّرقيَّة) وواحدًا إلى (بُرج الظِّلال)».

عرَّفه تورموند إلى رهائن آخَرين، أبناء هاود الرحَّال وبروج ودقين سلَّاخ الفقمات وكايلج صاحِب الأُذن الخشب ومورنا ذات القناع الأبيض والفظ العظيم...

- «الفظ العظيم؟ فعلًا؟».

- «لهم أسماء عجيبة على (السَّاحل المتجمِّد)».

ثلاثة من الرَّهائن أبناء ألفين قاتِل الغِربان، الهجَّام سيِّئ السُّمعة الذي قتلَه كورين ذو النِّصف يد، أو أن هذا ما أكَّده تورموند، إلَّا أن چون علَّق: «لا يبدون إخوةً».

- «إخوة غير أشقَّاء، ولدَتهم أمَّهات مختلفات. كان عُضو ألفين منمنمًا، أصغر من عضوك، لكنه لم يتحرَّج قَطُّ من زرعه أينما شاءَ. كان له ابن في كلِّ قرية ذلك الرَّجل».

وعن صبيٍّ ضئيل الحجم يُذكِّرك وجهه بالجرذان قال تورموند: «هذا ولد ڤارامير ست جلود. هل تَذكُر ڤارامير أيها اللورد غُراب؟».

يَذكُره. «مبدِّل الجِلدة».

- «أجل، كان كذلك، وكان دنيئًا أثيمًا أيضًا. لقد ماتَ على الأرجح. منذ المعركة لم يرَه أحد».

اتَّضح أن اثنين من الصِّبية فتاتان متنكِّرتان، ولمَّا رآهما چون أرسلَ روري وليدل الكبير يُحضِرانهما إليه، فجاءَت إحداهما بخنوعٍ والثَّانية تَركُل وتعضُّ. *قد لا ينتهي هذا على خير.* «هل أبواهما شهيران؟».

- «هار! هذان النَّحيلان؟ لا أظنُّ. لقد اختيرا بالاقتراع».

- «إنهما فتاتان».

قال تورموند: «حقًّا؟»، وتطلَّع إليهما مضيِّقًا عينيه من فوق سَرجه، وخاطَبهما قائلًا: «أنا واللورد غُراب تراهنَّا على صاحِب العُضو الأكبر بينكما. أنزِلا هذه السَّراويل ودعانا نُلقي نظرةً».

تضرَّج وجه إحدى الفتاتين خجلًا، وحدَّقت إليه الثَّانية بتحدٍّ قائلةً: «دَعنا وشأننا يا تورموند عفَن العماليق، اترُكنا نذهب».

- «هار! أنت الفائز أيها الغُراب. لا قضيب، لكن الصَّغيرة تملك جرأة الرِّجال حقًّا. زوجة حربة تتبرعَم»، ونادى تورموند رجاله يُخبِرهم: «اذهبوا واعثُروا لهما على ملابس فتياتٍ قبل أن يُبلِّل اللورد سنو ثيابه الدَّاخليَّة».

- «سأحتاجُ إلى صبيَّين بدلًا منهما».

حكَّ تورموند لحيته، وقال: «لماذا؟ الرَّهينة رهينة في رأيي. سيفك الحاد الكبير هذا لن يُفرِّق بين رأس فتاة ورأس صبي. الأب يحبُّ بناته أيضًا... أو أكثر الآباء».

ليس أبواهما مصدر قلقي. «هل سمعت مانس يُغنِّي عن شَجاعة داني فلينت من قبل؟».

- «ليس على ما أذكرُ. مَن هذا؟».

- «كانت فتاةً تنكَّرت في هيئة صبيٍّ لتلتحق بحَرس اللَّيل. أغنيَّتها حزينة وجميلة، لكن ما جرى لها لم يكن كذلك». في بعض تنويعات الأغنيَّة ما زالَ شبحها يَسكُن (قلعة اللَّيل). «سأرسلُ الفتاتين إلى (الرَّابية الطَّويلة)». لا رجال هناك إلَّا إميت الحديدي وإد الكئيب. كلاهما موضع ثقته، وهو ما لا يستطيع أن يقوله عن جميع إخوته.

فهمَ الهمجي، وقال: «طيور بغيضة أنتم يا معشر الغُربان»، وبصقَ ثم أردفَ: «صبيَّان آخَران إذن، ستنالهما».

بعد أن مرَّت تسع وتسعون رهينةً بهما للعبور من (الجِدار) جلبَ تورموند بليَّة العماليق الرَّهينة الأخيرة. «ابني درين. ستحرص على العناية به أيها الغُراب وإلَّا طبختُ كبدك السَّوداء وأكلتها».

تفحَّص چون الصَّبي بإمعانٍ مفكِّرًا: *في سِنِّ بران لو عاشَ ولم يَقتُله ثيون*. على أن درين لا يتمتَّع بشيءٍ من عذوبة بران. الصَّبي مكتنز قصير السَّاقين غليظ الذِّراعين وله وجه أحمر عريض، نُسخة مصغَّرة من أبيه لها شَعر بنِّي داكن. وعدَ چون تورموند قائلًا: «سيخدم كوصيفي الخاص».

قال تورموند لابنه: «هل سمعت يا درين؟ إياك وأن تتجاوَز حدودك»، وقال لچون: «سيحتاج إلى ضربٍ مبرِّح بين الحين والآخَر، لكن احذر أسنانه. إنه يعضُّ»، ثم التقطَ بوقه ثانيةً ورفعَه إلى فمه وعادَ يَنفُخ فيه.

هذه المرَّة أقبلَ المُحاربون، وليس مئة منهم فقط، بل خمسمئة كما قدَّر چون سنو إذ خرجوا من تحت الأشجار. *وربما يَبلُغ عددهم الألف*. أتى واحد من كلِّ عشرة على ظَهر حصان، لكن جميعهم أتوا مسلَّحين، وعلى ظهورهم يحملون تروسًا مستديرةً من الخيزران مغطَّاةً بالجلود الخام والجلود المقوَّاة بالزَّيت المغلي، عليها صُور مرسومة لثعابين وعناكب ورؤوس مبتورة ومطارق دامية وجماجم مكسورة وشياطين. يرتدي بعضهم الفولاذ المسروق، قطعًا متنافرةً من الدُّروع المأخوذة من جُثث الجوَّالة القتلى، ويُدرِّع آخَرون أنفُسهم بالعظم على نسق ذي القميص المُخشخش، ويتدفَّأ الكلُّ بالفرو والجِلد.

مع المُحاربين أتَت زوجات حِراب شعورهن طويلة مسترسلة، ولم يستطِع چون النَّظر إليهن دون أن تستدعي ذاكرته إيجريت بوهج النَّار في شَعرها ونبرة صوتها والنَّظرة في عينيها حين تجرَّدت من ثيابها له في المغارة. مئة مرَّةٍ قالت له: «لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو».

كان هذا صحيحًا آنذاك مِثلما هو صحيح الآن. قال لتورموند: «كان بإمكانك إرسال النِّساء أولًا، الأمَّهات والبنات».

حدجَه الهمجي بنظرةٍ ثاقبة قائلًا: «أجل، كان بإمكاني، وكان بإمكانكم عندها أن تُغلِقوا البوَّابة أيها الغِربان. وجود بعض المُحاربين على الجانب الآخَر يضمن أن تبقى البوَّابة مفتوحةً، أليس كذلك؟»، وتابعَ بابتسامةٍ واسعة: «لقد اشتريتُ حصانك اللَّعين يا چون سنو، لكن ذلك لا يعني ألَّا نعدَّ أسنانه. إياك أن تحسبني وقومي لا نثق بكم. إننا نثق بكم بقدر ما تثقون بنا تمامًا»، وأطلقَ نخيرًا، وأردفَ: «كنت تُريد مُحاربين، أليس كذلك؟ حسن، ها هُم أولاء. الواحد منهم يُساوي ستَّةً من غِربانك السُّود».

ابتسمَ چون مضطرًّا، وقال: «ما داموا يدَّخرون أسلحتهم لعدوِّنا المشترَك فأنا راضٍ».

قال الهمجي: «لقد أعطيتك كلمتي، أليس كذلك؟ كلمة تورموند بليَّة العماليق من حديد»، وأدارَ رأسه وبصقَ.

ضمَّ طابور المُحاربين آباء عديد من رهائن چون. لدى مرورهم رمقَه بعضهم بنظراتٍ ميتة باردة مداعبين مقابض سيوفهم بأصابعهم، وابتسمَ له آخَرون كأهلٍ وقت اللُّقيا بعد أن فرَّقتهم الأقدار، ولو أن بعض تلك الابتسامات أقلقَ چون سنو أكثر من أيِّ تحديقةٍ عابسة. لم يركع له أحد، لكن كثيرين حلفوا له أيمانهم، منهم بورج ذو الشَّعر الأسود والكلمات القليلة الذي أعلنَ: «ما أقسمَ عليه تورموند أقسمُ عليه»، وحتى سورين كاسِر التُّروس رأسه بوصةً لا أكثر، وزمجرَ: «فأس سورين لك يا چون سنو إن احتجت إليها أبدًا»، وجلبَ جيريك دم الملوك ذو اللِّحية الحمراء ثلاث بنات، وقال بزهو: «سيكن زوجاتٍ صالحاتٍ ويمنحن أزواجهن أبناء أقوياء في عروقهم دماء ملكيَّة. كأبيهم ينحدرن من نسل رايمون ذي اللِّحية الحمراء الذي كان ملكًا وراء الجِدار».

يعلم چون أن الدَّم والنَّسب لا يعنيان شيئًا يُذكَر عند شعب الأحرار. علَّمته إيجريت هذا. تشترك بنات جيريك معها في الشَّعر الأحمر النَّاري، وإن كان شَعرها متلبِّدًا مجعَّدًا وشعورهن طويلة منسدلة. *قبَّلتهن النَّار*. قال لأبيهن: «ثلاث أميرات كلٌّ منهن أجمل من الأخرى. سأحرصُ على تقديمهن للملكة». يظنُّ أن هؤلاء الثَّلاث سيَرُقن سيليس باراثيون أكثر مما راقَتها قال، خصوصًا أنهن أصغر سِنًّا وأكثر إذعانًا إلى حدٍّ كبير. *تبدو عليهن العذوبة، وإن كان أبوهن يُوحي بالبلاهة*.

حلفَ هاود الرحَّال يمينه على سيفه، ولو أنه مجرَّد قطعةٍ من الحديد المنخرَب المفلول، وقدَّم له دقين سلَّاخ الفقمات قُبَّعةً من جِلد كلاب البحر، وهارل القنَّاص قلادةً من مخالب الدِّببة، وخلعَت السَّاحرة المُحاربة مورنا قناعها المصنوع من خشب الويروود لتطبع قُبلةً على يده المقفَّزة وتُقسِم أن تكون رجله أو امرأته، كما يشاء. وغيرهم وغيرهم وغيرهم.

مع مرورهم خلعَ كلُّ مُحاربٍ كنوزه وألقاها على إحدى العربات التي وضعَها الوُكلاء عند البوَّابة. عقود من الكهرمان، أطواق من الذَّهب، خناجر مرصَّعة بالجواهر، دبابيس من الفضَّة مطعَّمة بالأحجار الكريمة، أساور، خواتم، أكواب من المينا الأسود وكؤوس ذهبيَّة، أبواق حربيَّة وقرون شراب، مشط أخضر من اليَشب، قلادة من لآلئ المياه العذبة... كلُّ هذا سُلِّمَ وسجَّله باون مارش. سلَّم رجل قميصًا من الأقراص الفضِّيَّة مؤكِّد أنه صُنِعَ للورد عظيم ما، وقدَّم آخَر سيفًا مكسورًا في مقبضه ثلاث حبَّات من الصَّفِّير.

وثمَّة أشياء أغرب: ماموث لُعبة مصنوع من شَعر الماموثات الحقيقي، وعُضو ذَكري من العاج، وخوذة من رأس يونيكورن لا يَنقُصها القرن. كم من الطَّعام ستشتري هذه الأشياء في المُدن الحُرَّة؟ لا يملك چون سنو أدنى فكرة.

بعد المُحاربين جاءَ قوم (السَّاحل المتجمِّد)، وشاهدَ چون دستةً من عرباتهم العظميَّة الكبيرة تمرُّ به واحدةً واحدةً مصدرةً الأصوات نفسها كذي القميص المُخشخش. بعضها ما زالَ يمضي على عجلاتٍ كما من قبل، وبعضها استُبدِلَت عجلاته بزلَّاجاتٍ تجعله ينزلق على الثَّلج بمزيدٍ من السَّلاسة، في حين تتعثَّر العربات ذات العجلات وتغوص في الثَّلج.

الكلاب التي تجرُّ العربات حيوانات مخيفة تُعادِل الذِّئاب الرَّهيبة في الحجم، والنِّساء ملتحفات بجلود الفقمات ومع بعضهن أطفال رُضَّع، ويتحرَّك الأطفال الآخَرون وراء أمَّهاتهم رامقين چون بنظراتٍ قاسية كالأحجار التي يقبضون عليها، أمَّا الرِّجال فيضع بعضهم قرونًا على قُبَّعاتهم وبعضهم أنياب أفظاظ، وسرعان ما استنتجَ چون أن لا وُدَّ بين النَّوعين. في المؤخِّرة بعض أيائل الرنَّة النَّحيلة، وكلاب كبيرة تحثُّ المتلكِّئين على الإسراع.

أخبرَه تورموند منذرًا: «حذارِ من هؤلاء يا چون سنو. إنهم قوم ضارون. رجالهم سيِّئون ونسوتهم أسوأ»، والتقطَ قِربةً من جراب سَرجه أعطاها لچون قائلًا: «هاك. قد يجعلهم هذا يبدون أقل رهبةً ويُدفِّئك ليلًا. لا، اشرب، القِربة لك. اشربه عبًّا».

تحوي القِربة بِتعًا بالغ القوَّة لدرجةٍ أدمعَت عينيه وأشعلَت في صدره النَّار. شربَه چون عبًّا، وقال: «أنت رجل صالح يا تورموند بليَّة العماليق، بالنِّسبة إلى همجي».

- «أصلح من الأكثريَّة ربما، لكن ليس بصلاح البعض».

تدفَّق الهَمج وتدفَّقوا فيما زحفَت الشَّمس في السَّماء الزَّرقاء الصَّافية. قُبيل انتصاف النَّهار توقَّفت الحركة عندما انحشرَت عربة يجرُّها ثور في منعطفٍ داخل النَّفق، وذهبَ چون سنو يُلقي نظرةً بنفسه. وجدَ العربة محشورةً تمامًا لا تتزحزَح، والرِّجال وراءها يُهدِّدون بتحطيمها وذبح الثَّور حيث يقف، في حين يُقسِم السَّائق وذووه بقتلهم إذا فعلوا. بمساعدة تورموند وابنه توريج تمكَّن چون من الحيلولة دون إراقة الدِّماء، لكن فتح الطَّريق ثانيةً استغرقَ ما يَقرُب من ساعة.

ألقى تورموند نظرةً عابسةً على السَّماء حيث أزجَت الرِّيح سحاباتٍ قليلةً، وقال لچون متذمِّرًا: «تحتاجون إلى بوَّابةٍ أكبر. الطَّريق بطيء جدًّا هكذا، كأنك تمتصُّ (النَّهر اللَّبني) بقصبة. هار! ليت بوق چورامون كان معي. كنتُ لأنفخ فيه نفخةً صغيرةً ثم نمرُّ من فوق الأنقاض».

- «مليساندرا أحرقَت بوق چورامون».

قال تورموند: «حقًّا؟»، وصفعَ فخذه وأطلقَ ضحكةً قصيرةً ساخرةً، ثم أردفَ: «أحرقَت ذلك البوق الأنيق الكبير، أجل. خطيئة كُبرى في رأيي. كان عُمره ألف عام. وجدناه في قبر عملاق، ولا أحد منا رأى بوقًا بهذا الحجم من قبل. مؤكَّد أن لهذا السَّبب خطرَ لمانس أن يقول لك إنه بوق چورامون. لقد أرادكم أن تحسبوا أنه يملك القُدرة على هدم جِداركم من حولكم أيها الغِربان، لكننا لم نَعثُر قَطُّ على البوق الحقيقي على الرغم من تنقيبنا في كلِّ مكان. لو عثرنا عليه لوجدَ كلُّ راكعٍ في ممالككم السَّبع قِطعًا من الجليد يُثلِّج بها نبيذه طوال الصَّيف».

التفتَ إليه چون عاقدًا حاجبيه. *ونفخَ چورامون في بوق الشِّتاء وأيقظَ العماليق من قلب الأرض.* ذلك البوق الضَّخم بحلقات الذَّهب القديم المنقوشة بالأبجديَّة العتيقة... هل كذبَ مانس رايدر عليه أم أن تورموند هو من يكذب الآن؟ *إذا كان بوق مانس مجرَّد تمويه فأين البوق الحقيقي؟*

بحلول الأصيل احتجبَت الشَّمس وغامَت السَّماء واشتدَّت الرِّيح، وأعلنَ تورموند متجهِّمًا: «سماء ثلج».

رأى آخَرون النَّذير نفسه في السُّحب البيضاء، وبدا أنه يحضُّهم على الإسراع. بدأت الأعصاب تلتهب، وطُعِنَ رجل حاولَ أن يتقدَّم على آخَرين سبقوه إلى الوقوف في الطَّابور بساعات. انتزعَ توريج الخنجر من مهاجِمه وجرَّ الرَّجلين من الزِّحام وأرسلَهما إلى مخيَّم الهَمج ليبدآ من جديد.

بينما يُشاهِدان أربع نساءٍ مسنَّات يسحبن عربةً ملأى بالأطفال نحو البوَّابة قال چون: «تورموند، حدِّثني عن عدوِّنا. أريدُ أن أعرف كلَّ ما تُمكن معرفته عن (الآخَرين)».

فركَ الهمجي فمه مهمهمًا: «ليس هنا، ليس على هذا الجانب من جِداركم»، وألقى العجوز نظرةً صوب الأشجار بمعاطفها البيضاء متابعًا: «إنهم لا يبتعدون أبدًا. لا يأتون بالنَّهار والشَّمس العجوز ساطعة، لكن إياك وتصوُّر أن ذلك يعني أنهم رحلوا. الظِّلال لا ترحل أبدًا. قد لا تراها، لكنها في أعقابك دومًا».

- «هل أزعَجوكم في طريقكم جنوبًا؟».

- «لم يأتوا بقوَّتهم الكاملة إذا كان هذا قصدك، لكنهم كانوا معنا طوال الطَّريق، يكرُّون علينا من الأطراف. لقد فقدنا كشَّافة أكثر مما أحبُّ أن أفكِّر، ومَن تخلَّفوا أو شردوا كلَّفهم هذا حياتهم. كلَّ مساءٍ حاوَطنا مخيَّماتنا بالنَّار. إنهم لا يُحبُّون النَّار دون أدنى شك، لكن حين تَسقُط الثُّلوج... الثَّلج والجليد والمطر المتجمِّد، كلُّ هذا يجعل العثور على حطبٍ جاف أو إشعال النَّار في ما لديك صعبًا للغاية. والبرد... في بعض اللَّيالي كانت نيراننا تنكمش وتهمد. بعد ليالٍ كتلك كنا نجد بعض الموتى في الصَّباح التَّالي دائمًا، ما لم يجدونا هُم أولًا. ليلة توروِيند... ولدي، إنه...»، وبترَ تورموند عبارته وأشاحَ بوجهه.

قال چون سنو: «أعرفُ».

عادَ تورموند يلتفت إليه قائلًا: «لستَ تعرف شيئًا. سمعتُ أنك قتلت رجلًا ميتًا، نعم. مانس قتل مئةً. يستطيع المرء أن يُقاتِل الموتى، لكن حين يأتي سادتهم، حين يسود الضَّباب الأبيض... كيف تُقاتِل ضبابًا أيها الغُراب؟! ظلال لها أسنان... هواء برودته تجعل مجرَّد التقاط أنفاسك يُؤلِم كسكِّينٍ داخل صدرك... لستَ تعرف وليس بإمكانك أن تعرف... هل يُمكن لسيفك أن يقطعَ البرد؟!».

سنرى. تذكَّر چون الأشياء التي أخبرَه بها سام، الأشياء التي وجدَها في الكُتب القديمة. لقد طُرِّقَ (المخلب الطَّويل) في نيران (ڤاليريا) القديمة، طُرِّقَ بلهب التَّنانين والتَّمائم. فولاذ *التِّنين طبقًا لسام، أقوى من أيِّ فولاذٍ تقليدي وأخف وأصلب وأمضى*... لكن المذكور في كتابٍ كلام محض، والاختبار الحقيقي في المعركة.

قال چون: «أنت محق. لستُ أعرفُ، وإذا شاءَت الآلهة خيرًا فلن أعرف أبدًا».

ردَّ تورموند: «نادرًا ما تشاء الآلهة خيرًا يا چون سنو»، وأشارَ برأسه إلى السَّماء مردفًا: «السَّحاب بدأ يُلبِّد السَّماء، النَّهار يُظلِم والبرد يشتدُّ بالفعل. جِداركم لم يَعُد يَقطُر. انظُر»، ودارَ ينادي ابنه توريج، وقال له: «عُد إلى المعسكَر واجعلهم يتحرَّكون، المرضى والضُّعفاء والكسالى والجُبناء، اجعلهم يتحرَّكون على أقدامهم اللَّعينة، أشعِل النَّار في خيامهم إذا لزمَ الأمر. ستُغلَق البوَّابة مع حلول المساء، وخيرٌ لكلِّ من لم يمرَّ من (الجِدار) عندئذٍ أن يدعو أن يجده (الآخَرون) قبلي. هل تسمعني؟».

أجابَ توريج: «أسمعك»، وهمزَ حصانه وهرولَ عائدًا إلى آخِر الطَّابور.

تدفَّق الهَمج وتدفَّقوا. أظلمَ النَّهار كما قال تورموند، وغطَّى السَّحاب السَّماء من الأُفق إلى الأُفق، وولَّى الدِّفء الأدبار. ازدادَ التَّدافُع عند البوَّابة إذ تسابقَ البَشر والماعز والعجول إلى المرور، وأدركَ چون أن الأمر يتجاوَز مجرَّد نفاد الصَّبر. *إنهم خائفون. المُحاربون والزَّوجات الحِراب والهجَّانة مرعوبون من هذه الغابة، من الظِّلال المتحرِّكة بين الأشجار. يُريدون أن يضعوا (الجِدار) بينهم وبينها قبل هبوط اللَّيل.*

تراقصَت رُقاقة ثلجٍ في الهواء، ثم أخرى. *ارقُص معي يا چون سنو. ستَرقُص معي عمَّا قريب.*

تدفَّق الهَمج وتدفَّقوا وتدفَّقوا، بعضهم يتحرَّك أسرع الآن ويهرع عبر أرض المعركة، في حين لا يقوى آخَرون من شيوخٍ وصغارٍ وواهنين على الحركة تقريبًا. صبيحة اليوم كانت الأرض مغطَّاةً ببساطٍ سميك من الثُّلوج القديمة التي تلتمع قشرتها البيضاء في الشَّمس، والآن أصبحَت بنِّيةً وسوداء وموحلةً. أحالَ مرور الأحرار الأرض إلى مستنقع. العجلات الخشبيَّة وحوافر الخيول، والزلَّاجات المصنوعة من العظم أو القرون أو الحديد، وأقدام الخنازير والأحذية الثَّقيلة، وأقدام الأبقار والعجول المشقوقة، وأقدام ذوي الحوافر السَّوداء الحافية—كلُّ هذا تركَ علامته، وزادَت مواطئ الأقدام الطَّريَّة الطَّابور بُطئًا. مرَّةً أخرى قال تورموند بتبرُّم: «تحتاجون إلى بوَّابةٍ أكبر».

في أواخر الأصيل كان الثَّلج ينهمر بثبات، لكن نهر الهَمج تناقصَ إلى نُهير. رأى چون أعمدةً من الدُّخان ترتفع من الأشجار حيث كان المخيَّم، وفسَّر تورموند: «توريج يُحرِق الموتى. هناك دائمًا من يَخلُدون إلى النَّوم ولا يستيقظون ثانيةً. نجدهم في خيامهم، مَن لهم خيام، متكوِّرين على أنفُسهم ومتجمِّدين. توريج يعرف ماذا يفعل».

لم يَعُد النُّهير أكثر من قطرات لدى عودة توريج من الغابة. جاءَت معه دستة من الخيَّالة المُحاربين المسلَّحين بالحِراب والسُّيوف، وقال تورموند بابتسامةٍ أبرزَت الفراغات بين أسنانه: «حَرس المؤخِّرة. لكم جوَّالتكم أيها الغِربان ولنا جوَّالتنا. هؤلاء تركتهم في المخيَّم في حال هوجِمنا قبل خروجنا جميعًا».

- «أفضل رجالك».

- «أو أسوأهم. كلٌّ منهم قتلَ غِربانًا».

وسط الخيَّالة جاءَ رجل واحد سيرًا على قدميه، وفي أعقابه حيوان ضخم. خنزير برِّي، *خنزير برِّي هائل الحجم*. يَبلُغ الحيوان ضِعفَي حجم جوست، ويُغطِّي جسمه شَعر أسود خشن، وله أنياب بطول ذراع رجل. لم يرَ چون خنزيرًا برِّيًا بهذه الضَّخامة أو القُبح من قبل، والرَّجل إلى جواره لا يتمتَّع بشيءٍ من الوسامة كذلك، بجثَّته الضَّخمة وحاجبيه الكثَّين وأنفه المسطَّح ولُغده الثَّقيل المغطَّى بالزَّغب الدَّاكن وعينيه الصَّغيرتين السَّوداوين المتقاربتين.

أدارَ تورموند رأسه وبصقَ، ثم قال: «بوروك».

- «مبدِّل جِلدة». لم يكن سؤالًا. بشكلٍ ما عرفَ چون ماهية الرَّجل.

التفتَ جوست. كان الثَّلج المتساقط قد حجبَ رائحة الخنزير البرِّي، لكن الذِّئب الأبيض التقطَها الآن، فتقدَّم أمام چون مكشِّرًا عن أنيابه في زمجرةٍ صامتة.

صاحَ چون بحدَّة: «لا! جوست، اثبت. ابقَ، ابقَ!».

قال تورموند: «الخنازير البرِّيَّة والذِّئاب. الأفضل أن تحبس وحشك هذا اللَّيلة، وسأحرصُ على أن يفعل بوروك المِثل بخنزيره»، ورفعَ عينيه إلى السَّماء التي يزحف عليها الظَّلام أكثر فأكثر، وأردفَ: «إنهم الآخِرون، وفي الوقت المناسب. سيَسقُط الثَّلج طوال اللَّيل، أشعرُ بهذا. حانَ الوقت لأن ألقي نظرةً على ما وراء كلِّ هذا الجليد».

أخبرَه چون: «اذهب أنت. أنوي أن أكون آخِر من يمرُّ من الجليد. سأنضمُّ إليك في المأدبة».

قال الهمجي: «مأدبة؟ هار! كلمة أحبُّ سماعها»، ووجَّه فَرسه صوب (الجِدار) ولطمَها على كفلها، وتبعَه توريج والخيَّالة وترجَّلوا عند البوَّابة ليقودوا أحصنتهم إلى الجانب الآخَر.

ظلَّ باون مارش يُشرِف على وُكلائه إذ سحبوا العربات الأخيرة إلى النَّفق، ولم يبقَ إلَّا چون سنو وحُرَّاسه.

توقَّف مبدِّل الجِلدة على بُعد عشر ياردات، وراحَ وحشه يخنُّ ويُنقِّب في الوحل وقد غطَّى ثلج خفيف ظَهره الأسود المحدَّب. أطلقَ الخنزير البرِّي نخيرًا وخفضَ رأسه، ولأقل من لحظةٍ حسبَ چون أنه يُوشِك على الانقضاض، وعلى جانبيه سدَّد رجاله حِرابهم.

لكن بوروك خاطبَه قائلًا: «أخي».

- «الأفضل أن تذهب. إننا على وشك إغلاق البوَّابة».

قال بوروك: «افعلوا هذا، أحكِموا إغلاقها. إنهم قادمون أيها الغُراب»، وابتسمَ أقبح ابتسامةٍ رآها چون وواصلَ طريقه إلى البوَّابة. تبعَه الخنزير، وغطَّى الثَّلج آثارهما.

بعد ذهابهما قال روري: «قُضِيَ الأمر إذن».

لا، إنها البداية فقط.

وجدَ باون مارش في انتظاره جنوب (الجِدار) حاملًا لوحًا مليئًا بالأرقام، وأخبرَه قيِّم الوُكلاء: «ثلاثة آلاف ومئة وتسعة عشر همجيًّا مرُّوا من البوَّابة اليوم. ستُّون من رهائنك أُرسِلوا إلى (القلعة الشَّرقيَّة) و(بُرج الظِّلال) بعد إطعامهم. إد توليت أخذَ ستَّ عرباتٍ محمَّلة بالنِّساء إلى (الرَّابية الطَّويلة). الآخَرون باقون معنا».

- «ليس لوقتٍ طويل. تورموند ينوي أن يقود رجاله إلى (درع البلُّوط) خلال يومٍ أو اثنين، وسيتبعهم البقيَّة ما إن نُقرِّر أين نضعهم».

- «كما تقول أيها اللورد سنو». قيلَت الجُملة بجمود، وأوحَت النَّبرة بأن باون مارش يعلم أين يُريد هو أن يضعهم.

القلعة التي عادَ إليها چون تختلف كثيرًا عن تلك التي تركَها في الصَّباح. طيلة معرفته بها كانت (القلعة السَّوداء) مكانًا للصَّمت والظِّلال، حيث تتحرَّك جماعة محدودة من الرِّجال ذوي المعاطف السَّوداء كالأشباح بين أطلال حصنٍ آوى عشرة أضعاف أعدادهم في الماضي. كلُّ هذا تغيَّر. الآن تأتي الأنوار من نوافذ لم يرَ چون سنو أنوارًا فيها من قبل قَطُّ، وتتردَّد أصوات غريبة في السَّاحات، والأحرار يمضون جيئةً وذهابًا في طُرقاتٍ جليديَّة لم تعرف إلَّا أحذية الغِربان السَّوداء لسنواتٍ وسنوات. خارجَ (ثُكنات فلينت) القديمة صادفَ دستةً من الرِّجال يَرجُم بعضهم بعضًا بكُرات الثَّلج، ففكَّر بدهشة: *يلعبون، رجال بالغون يلعبون كالأطفال، يتقاذَفون كُرات الثَّلج كبران وآريا في الماضي، وأنا وروب قبلهما*.

لكن ورشة دونال نوي القديمة لا تزال مظلمةً صامتةً، ومسكن چون في مؤخِّرتها غارق في ظلامٍ دامس. على أنه لم يكد يخلع معطفه حتى أدخلَ دانل رأسه من الباب معلنًا أن كلايداس بالخارج ومعه رسالة.

قال چون: «أدخِله»، وأشعلَ فتيلًا من جذوةٍ في مستوقَده وثلاث شموعٍ من الفتيل.

دخلَ كلايداس متورِّد الوجه يرمش وقد قبضَ على الرَّقِّ بيدٍ ناعمة، وقال: «أرجو المعذرة يا حضرة القائد. أعرفُ أنك متعَب بالتَّأكيد، لكنني فكَّرتُ أنك ستُريد رؤية الرِّسالة في الحال».

قال چون: «أحسنت»، وبدأ يقرأ.

في (هاردهوم) بستِّ سُفن. البحر ثائر. فقدنا (الطَّائر الأسود) بطاقمها كاملًا، سفينتان لايسينيَّتان جرفَهما التيَّار إلى اليابسة في (سكاين)، الماء يتسرَّب إلى (البرثن). الوضع سيِّئ جدًّا هنا. الهَمج يأكلون موتاهم. أشياء ميتة في الغابة. القباطنة البراقوسيُّون يسمحون بأخذ النِّساء والأطفال فقط على سُفنهم. المشعوذات يدعوننا بالنخَّاسين. قهرنا محاولة الاستيلاء على (غُراب العواصف)، ستَّة من الطَّاقم ماتوا وهَمج كُثر. ثمانية غِدفان تبقَّت. أشياء ميتة في المياه. أرسِل الإغاثة برًّا، العواصف تجتاح البحر. من (البرثن) بيد المِايستر هارميون.

وفي ذيل الرِّسالة علامة كوتر پايك الغاضبة.

سألَه كلايداس: «أنباء خطيرة يا سيِّدي؟».

- «خطيرة بما فيه الكفاية». *أشياء ميتة في الغابة، أشياء ميتة في المياه. ستُّ سُفنٍ باقية من الإحدى عشرة التي أبحرَت.*

طوى چون سنو الرِّسالة مقطِّبًا جبينه، وقال لنفسه: *اللَّيل يهبط، والآن تبدأ حربي.*

جأرَ الحاجب: «ليركع الجميع لصاحِب السُّمو الملكي هيزدار زو لوراك، حامل هذا الاسم النَّبيل الرَّابع عشر، ملك (ميرين)، نجل (جيس)، والي الإمبراطوريَّة القديمة، سيِّد (السكاهازاذان)، قرين التَّنانين ودم الهاربي». تردَّد صدى صوته على الأرضيَّة الرُّخام ورنَّ بين الأعمدة.

دسَّ السير باريستان سلمي يده تحت طيَّات معطفه وخلخلَ سيفه في غِمده. ليس مسموحًا بأسلحةٍ في حضور الملك إلَّا تلك التي يحملها حُماته، ويبدو أن الفارس ما زالَ يُعَدُّ من هؤلاء على الرغم من إقصائه. على الأقل لم يُحاوِل أحد أن يأخذ سيفه.

فضَّلت دنيرس تارجاريَن أن تعقد البلاط جالسةً على دكَّةٍ ملساء بسيطة من الأبنوس المصقول، تفترشها الوسائد التي جلبَها السير باريستان لجعلها أكثر راحةً، لكن الملك هيزدار استبدلَ الدِّكَّة بعرشيْن فاخريْن من الخشب المذهَّب، لكلٍّ منهما ظَهر طويل منحوت على شكل تنِّين. جلسَ الملك على العرش الأيمن معتمرًا تاجًا ذهبيًّا وممسكًا صولجانًا محلًّى بالجواهر، في حين يظلُّ العرش الآخَر شاغرًا.

العرش المهم. لا كُرسيّ على شكل تنِّين من شأنه أن يقوم مقام تنِّينٍ حقيقي مهما كان بديع النُّقوش.

إلى يمين العرشيْن التَّوأميْن يقف جوجهور الجبَّار، العملاق الضَّخم ذو الوجه الشَّرس النَّديب، وإلى اليسار القِطُّ الأرقط الذي يضع فروة فهدٍ على كتفه، ووراءهما بيلاكو كاسِر العظام وكراز بعينيه الباردتين. *قتَلة متمرِّسون جميعًا، لكن مواجهة خصمٍ في الحلبة تُذيع مجيئه الأبواق والطُّبول شيء، والعثور على قاتِلٍ متخفٍّ قبل أن يضرب ضربته شيء آخَر.*

ما زالَ النَّهار بِكرًا، إلَّا أنه يحسُّ بالتَّعب حتى النُّخاع كأنه أمضى اللَّيل بطوله في القتال. كلَّما تقدَّم في السِّنِّ تقلُّ حاجة السير باريستان إلى النَّوم. حين كان مُرافقًا كان بإمكانه النَّوم عشر ساعاتٍ في اللَّيلة ومع ذلك يَخرُج مترنِّحًا يتثاءَب إلى ساحة التَّدريب في الصَّباح، وفي الثَّالثة والستِّين يجد أن خمس ساعاتٍ في اللَّيلة تكفي وتزيد. ليلة البارحة نامَ بالكاد. غُرفة نومه حُجيرة صغيرة ملحقة بمسكن الملكة، وكانت في الأصل سكنًا للعبيد، ويتكوَّن أثاثه من سريرٍ ووعاء فضلات وخزانة ثياب، بالإضافة إلى مقعدٍ إذا أرادَ الجلوس، وعلى منضدةٍ تُجاوِر السَّرير يضع شمعةً من شمع النَّحل وتمثالًا صغيرًا لـ(المُحارب). على الرغم من أنه ليس رجلًا متديِّنًا فالتِّمثال يُخفِّف عليه الوحدة نوعًا في هذه المدينة الأجنبيَّة الغريبة، وإليه يلجأ في ساعات اللَّيل السَّوداء. ليلة البارحة صلَّى: *قِني الشُّكوك التي تنهشني وامنحني القوَّة لفِعل الصَّواب*، لكن لا الدُّعاء ولا الفَجر أتاه باليقين.

اليوم من المرَّات التي يرى فيها الفارس العجوز القاعة مزدحمةً هكذا، لكن أكثر ما لاحظَه باريستان سلمي الوجوه الغائبة: ميسانداي وبِلواس والدُّودة الرَّمادي، وآجو وچوچو وراگارو، وإيري وچيكوي وداريو نهاريس. في مكان الرَّأس الحليق يقف رجل بدين يرتدي واقي صدرٍ مطرَّقًا كالعضلات المفتولة ويضع قناع أسد، وتَبرُز ساقاه الثَّقيلتان من تحت تنُّورةٍ من الشَّرائط الجِلد، مارجاز زو لوراك ابن عمِّ الملك وقائد الوحوش النُّحاس الجديد. تكوَّن عند سلمي قدر لا بأس به من الاحتقار للرَّجل بالفعل. لقد عرفَ هذا النَّوع من قبل في (كينجز لاندنج)؛ مداهن مُراءٍ مع رؤسائه وغليظ فِج مع مرؤوسيه، يجمع بين العمى والتَّبجُّح ومعتدٌّ بنفسه إلى حدٍّ بعيد.

وارد أن سكاهاز في القاعة أيضًا، وجهه القبيح مختبئ وراء قناع. يقف أربعون من رجال الوحوش النُّحاس بين الأعمدة ويتوهَّج ضوء المشاعل على نُحاس أقنعتهم المصقول، وقد يكون الرَّأس الحليق أيًّا منهم.

يسود القاعة طنين مئة صوتٍ خفيض تتردَّد أصداؤها على الأعمدة والأرضيَّة الرُّخام، وتصنع معًا صوتًا واحدًا له وقع غاضب مشؤوم ذكَّر سلمي بالصَّوت الذي يَصدُر من عُشِّ دبابير قبل لحظةٍ من انبثاق الدَّبابير منه، وعلى وجوه الحاضرين رأى الغضب والحُزن والشَّكَّ والخوف.

لم يكد حاجب الملك يدعو إلى النِّظام حتى بدأ القُبح. شرعَت امرأة تُوَلوِل عن أخٍ ماتَ في (حلبة دازناك)، وأخرى عن التَّلف في هودجها، ومزَّق رجل سمين ضماداته ليُري البلاط ذراعه المحروقة حيث لا يزال اللَّحم مسحوجًا ينزُّ الصَّديد، ولمَّا بدأ رجل في توكار أزرق وذهبي يتكلَّم عن هارجاز البطل طرحَه رجل معتَق واقف وراءه أرضًا، وتطلَّب فضُّ اشتباكهما وجرُّهما إلى الخارج ستَّة وحوشٍ نُحاس. *ثعلب، صقر، فقمة، جرادة، أسد،* ضفدع. تساءلَ سلمي إن كان للأقنعة معنى عند الرِّجال الذين يضعونها. هل يضع الرَّجل نفسه القناع نفسه كلَّ يومٍ أم أنهم يختارون وجوهًا جديدةً كلَّ صباح؟

كان رزناك مو رزناك يُناشِدهم: «الهدوء! أرجوكم! سأجيبكم لو أنكم فقط...».

صاحَت امرأة معتقَة: «أما يُقال صحيح؟ هل ماتَت أمُّنا؟».

ردَّ رزناك بصوتٍ كالصَّرير: «لا، لا، لا. الملكة دنيرس سترجع إلى (ميرين) في الوقت الذي تُقرِّره بكامل قوَّتها وعظمتها، وحتى ذلك الحين صاحِب العبادة الملك هيزدار هو مَن...».

زعقَ رجل معتَق يُقاطِعه: «ليس ملكًا عليَّ».

بدأ الحاضرون يتدافَعون، فأعلنَ القهرمان: «الملكة لم تَمُت! لقد أُرسِلَ خيَّالة دمها عبر (السكاهازاذان) ليَعثُروا على جلالتها ويُعيدوها إلى زوجها المحب ورعاياها المخلصين. مع كلٍّ منهم عشرة خيَّالة منتقون بعناية ومع كلٍّ منهم ثلاثة خيول سريعة كي يستطيعوا قطع المسافات الطويلة سريعًا. سيَعثُرون على الملكة دنيرس».

بعدها تكلَّم جيسكاري فارع القامة في معطفٍ مقصَّب بنبرةٍ جهوريَّة ولكن باردة، وعدَّل الملك هيزدار جلسته على عرش التنِّين بوجهٍ حجري وهو يُحاوِل أن يبدو مهتمًّا وفي الآن نفسه رابط الجأش، ومرَّةً أخرى أعطى قهرمانه الجواب.

تركَ السير باريستان كلمات رزناك المتملِّقة تَدخُل من أُذنٍ وتَخرُج من الأخرى. علَّمته سنينه في الحَرس الملكي حيلة الإصغاء دون سمع، وهي الحيلة المفيدة خصِّيصًا حين يكون المتكلِّم عازمًا على إثبات أن الكلام هواء حقًّا. في مؤخِّرة القاعة لمحَ الأمير الدورني الشَّاب ورفيقيه. *لم يكن يَجدُر بهم أن يأتوا. مارتل لا يُدرِك الخطر المحدق به. دنيرس كانت صديقته الوحيدة في هذا البلاط، ولقد رحلَت*. تساءلَ كم يفهمون مما يُقال. حتى هو لا يستطيع دائمًا استيعاب اللُّغة الجيسكاريَّة الهجينة التي يتكلَّمها النخَّاسون، بالذَّات عندما يتكلَّمون بسرعة.

على الأقل يسمع الأمير كوينتن بأُذنين صاغيتين. *إنه ابن أبيه*. الفتى قصير مكتنز تقليدي الملامح، ويبدو لطيف المعشر عاقلًا متَّزنًا مستقيمًا... لكنه ليس من النَّوع الذي يجعل خفقات قلب فتاةٍ صغيرة تتسارَع. وأيًّا كانت خلاف ذلك فدنيرس تارجاريَن لا تزال فتاةً صغيرةً كما تدَّعي هي نفسها عندما يعنُّ لها أن تلعب دور البريئة. ككلِّ الملكات الصَّالحات وضعَت شعبها أولًا، وإلَّا لما تزوَّجت هيزدار زو لوكار، لكن الفتاة في داخلها لم تزل تحنُّ إلى الشِّعر والعواطف المشبوبة والضَّحك. *تُريد النَّار، وأرسلَت إليها (دورن) طميًا*.

وراء الأمير كان السير جيريس درينكووتر يهمس بشيءٍ ما ليرونوود. يتمتَّع السير جريس بكلِّ ما يفتقر إليه أميره، الطُّول والتُّحول والوسامة، ورشاقة سيَّافٍ وخفَّة ظِلِّ خاطِب وُد. لا يشكُّ سلمي في أن فتياتٍ دورنيَّات عديدات داعَبن هذا الشَّعر الموخوط بالشَّمس بأصابعهن وقبَّلن هذه الابتسامة العابثة على شفتيه. رغمًا عنه فكَّر: *لو كان هو الأمير فلربما اتَّخذت الأمور مسارًا آخَر*... لكن في درينكووتر شيئًا ما لا يستسيغه كثيرًا: *عُملة زائفة*. سبقَ له أن عرفَ رجالًا مشابهين.

مؤكَّد أن ما قاله أيًّا كان طريف، إذ أطلقَ صديقه الأصلع الكبير نخيرًا ضاحكًا مفاجئًا بلغَ مسامع الملك نفسه، فالتفتَ يَنظُر إلى الدورنيِّين، ولمَّا رأى هيزدار زو لوراكْ الأمير اكفهرَّت ملامحه.

لم يُعجِب عبوسه السير باريستان، ولم يُعجِبه أن أشارَ الملك إلى مارجاز ابن عمِّه بالاقتراب ومالَ عليه وهمسَ بشيءٍ ما في أُذنه.

قال السير باريستان لنفسه: *لم أقسم على شيءٍ لـ(دورن)*. لكن ليوين مارتل كان أخاه المحلَّف في زمنٍ كانت فيه أواصر الأخوَّة بين رجال الحَرس الملكي وطيدةً. *لم أستطِع أن أساعد الأمير ليوين في معركة (الثَّالوث)، لكنني أستطيعُ مساعدة ابن ابن أخيه الآن*. مارتل يَرقُص في جُحر ثعابين ولا يراها، ومن شأن وجوده المستمر، حتى بعد أن سلَّمت دنيرس نفسها لآخَر أمام أعيُن الآلهة والبَشر، أن يستفزَّ أيَّ زوج، والملكة لم تَعُد موجودةً لتقي كوينتن شرَّ هيزدار. *ومع ذلك*...

حلَّت عليه الفكرة كلطمةٍ على وجهه. لقد نشأ كوينتن في مجالس (دورن)، والمكايد والسُّموم ليست غريبةً عليه، ولم يكن الأمير ليوين قريبه الوحيد. *إنه ابن شقيق الأفعوان الأحمر.* دنيرس اتَّخذت رجلًا آخَر زوجًا، لكن إذا ماتَ هيزدار فلها الحرِّيَّة في الزَّواج ثانيةً. *أيُمكن أن الرَّأس الحليق مخطئ؟ مَن يعلم يقينًا أن الجراد كان لدنيرس؟ كنا في مقصورة الملك، فماذا لو كان هو الضَّحيَّة المستهدَفة؟* كان موت هيزدار ليُحطِّم السَّلام الهشَّ، ولاستأنفَ أبناء الهارپي القتل واليونكيُّون حربهم، وربما ما كانت دنيرس لتجد خيارًا أفضل من كوينتن واتِّفاق زواجه.

كان السير باريستان لا يزال يُناطِح هذا الشَّكَّ حين سمعَ صوت أحذيةٍ ثقيلة تصعد السَّلالم الحجريَّة العالية في مؤخِّرة القاعة.

وصلَ اليونكيُّون، ثلاثة من الأسياد الحُكماء يقودون بعثة المدينة الصَّفراء، ومع كلٍّ منهم حاشيته المسلَّحة الخاصَّة. يرتدي أحد النخَّاسين توكارًا من الحرير الأرجواني المحمر المهدَّب بالذَّهب، والثَّاني توكارًا مخطَّطًا بالأزرق المخضر والبُرتقالي، والثَّالث واقي صدرٍ منمَّقًا مزخرفًا بمشاهد شهوانيَّة مشغولة بالكهرمان الأسود واليَشب وعِرق اللُّؤلؤ. اصطحبَهم المرتزِق ذو اللِّحية الدَّمويَّة حاملًا جوالًا جِلديًّا على كتفه العريضة وعلى وجهه نظرة جذل وشراسة.

أمير الأسمال غائب، وبن پلوم البنِّي. رمقَ السير باريستان ذا اللِّحية الدَّمويَّة ببرود. *أعطِني ولو نِصف سببٍ للرَّقص معك وسنرى مَن يضحك أخيرًا.*

تقدَّم رزناك مو رزناك بحركةٍ ذكَّرت سلمي بالدُّود، وقال: «شرَّفتمونا بزيارتكم أيها الأسياد الحُكماء. صاحِب الرَّونق الملك هيزدار يُرحِّب بأصدقائه من (يونكاي). تُدرِك أن...».

قاطعَه ذو اللِّحية الدَّمويَّة: «أدرِكوا هذا»، وأخرجَ رأسًا مقطوعًا من جواله وألقاه للقهرمان.

أطلقَ رزناك صرخة هلعٍ ووثبَ جانبًا، وطارَ الرَّأس في الهواء مخلِّفًا بُقع دمٍ على رُخام الأرضيَّة الأرجواني إذ مرَّ به قبل أن يستقرَّ عند قدم عرش الملك هيزدار. بطول القاعة سدَّد الوحوش النُّحاس حِرابهم، وتقدَّم جوجهور الجبَّار يضع نفسه أمام عرش الملك، وتحرَّك القِطُّ الأرقط وكراز يقفان على جانبيه ليُكوِّنا ثلاثتهم حائطًا.

ضحكَ ذو اللِّحية الدَّمويَّة قائلًا: «إنه ميت. لن يعضَّ أحدًا».

بحذر، بمنتهى الحذر، دنا القهرمان من الرَّأس ورفعَه برفقٍ من شَعره، ثم قال: «الأميرال جروليو».

ألقى السير باريستان نظرةً نحو العرش. لقد خدمَ ملوكًا كثيرين، وليس بوسعه إلَّا أن يتخيَّل كيف كانوا ليردُّوا على هذا الاستفزاز. كان إيرس ليَجفُل رُعبًا وعلى الأرجح يجرح نفسه على نصال العرش الحديدي ثم يَصرُخ في سيَّافيه أن يُقطِّعوا اليونكيِّين أشلاءً، وكان روبرت ليزعق طالبًا مطرقته ليردَّ لذي اللِّحية الدَّمويَّة الصَّاع بمِثله، وحتى چهيرس الذي عدَّه كثيرون ضعيفًا كان ليأمر بالقبض على المرتزِق والنخَّاسين.

أمَّا هيزدار فجلسَ متجمِّدًا مذهولًا.

وضعَ رزناك الرَّأس على وسادةٍ من الساتان عند قدمَي الملك ثم ابتعدَ ماطًّا شفتيه بامتعاض، وكان بإمكان السير باريستان أن يشمَّ عطر القهرمان الزَّهري الثَّقيل من بُعد عدَّة ياردات.

حدَّقت عينا الرَّجل الميت بتأنيب. لحيته مصبوغة بالبنِّي من الدَّم المتخثِّر، لكن خيطًا من الأحمر ما زالَ ينساب من عُنقه، وقد بدا من منظره أن فصل رأسه عن بدنه تطلَّب أكثر من ضربةٍ واحدة. في مؤخِّرة القاعة بدأ الملتمسون ينسلُّون خارجين، وانتزعَ أحد الوحوش النُّحاس قناع صقرٍ عن وجهه وتقيَّأ إفطاره.

ليست الرُّؤوس المقطوعة غريبةً على باريستان سلمي، لكن هذا الرَّأس تحديدًا... لقد قطعَ نِصف العالم مع البحَّار العجوز، من (پنتوس) إلى (كارث) ثم (أستاپور). *كان جروليو رجلًا صالحًا. لم يستحقَّ هذه النِّهاية. كلُّ ما أرادَه أن يعود إلى دياره.* توتَّر الفارس منتظرًا.

أخيرًا قال الملك هيزدار: «هذا... ليس هذا... لسنا مسرورين. هذا... ما معنى هذا... هذا...».

أخرجَ النخَّاس ذو التوكار الأرجواني المحمر رقًّا مطويًّا قائلًا: «يُشرِّفني أن أحمل هذه الرِّسالة من مجلس الأسياد»، وبسطَ الرَّقَّ متابعًا: «مكتوب هنا: *سبعة دخلوا (ميرين) لتوقيع معاهدة السَّلام وحضور المباريات الاحتفاليَّة في (حلبة دازناك)، وضمانًا لسلامتهم تسلَّمنا سبع رهائن. المدينة الصَّفراء تندب ابنها النَّبيل يوركاز زو يونزاك الذي ماتَ ميتةً وحشيَّةً في ضيافة (ميرين). ثمن الدَّم دم*».

كانت لجرويلو في (پنتوس) زوجة وأولاد وأحفاد. *لماذا هو من بين جميع الرّهائن؟* چوجو وهيرو وداريو نهاريس يقودون مُقاتلين، أمّا جروليو فكان أميرالًا بلا أسطول. *هل اختاروه بالقُرعة أم أنهم فكّروا أن جروليو صاحِب القيمة الأدنى عندنا وأقل من يحفز على القصاص؟* سألَ الفارس نفسه هذا مرارًا... لكن إلقاء السُّؤال أسهل من الإجابة عنه. *لستُ موهوبًا في حلِّ مِثل هذه العُقد.*

تحدَّث السير باريستان قائلًا: «جلالة الملك، أرجو أن تتذكَّر أن موت النَّبيل يوركاز كان حادثةً عرَضيّةً. لقد تعثَّر على السَّلالم وهو يُحاوِل الفرار من التنِّين ووطأته أقدام عبيده ورفاقه. إمّا هذا وإمّا أن قلبه انفجرَ خوفًا. كان طاعنًا في السِّن».

سألَ السيِّد ذو التوكار المخطَّط: «مَن هذا الذي يتكلَّم دون إذن الملك؟». رجل صغير الحجم له ذقن مسحوب وأسنان كبيرة على فمه ذكّر منظره سلمي بالأرانب. هزَّ اليونكي اللّآلئ التي تُهدِّب توكاره مضيفًا: «أيجب أن يسمع سادة (يونكاي) ثرثرة الحُرّاس؟».

بدا أن هيزدار زو لوراك لا يقوى على إبعاد عينيه عن الرَّأس، وأخيرًا بعد أن همسَ رزناك بشيءٍ ما في أُذنه تحرَّك وقال: «يوركاز زو يونزاك كان قائدكم الأعلى. مَن منكم يتحدَّث باسم (يونكاي) الآن؟».

أجابَ الأرنب: «جميعنا، مجلس الأسياد».

قال الملك هيزدار وقد وجدَ شيئًا من الصَّلابة: «جميعكم تحملون مسؤوليّة انتهاك السَّلام القائم بيننا إذن».

ردَّ اليونكي في واقي الصَّدر: «سلامنا لم يُنتهَك. ثَمن الدَّم دم، نفس مقابل نفس. لنُري طيبة نيَّاتنا نُعيد ثلاثةً من رهائنكم». انشقَّت الصُّفوف الحديد من ورائه وتقدَّم ثلاثة ميرينيزيِّين قابضين على توكاراتهم، امرأتان ورجل.

بجمودٍ قال هيزدار زو لوراك: «أختاه، ولدا العم»، وأشارَ إلى الرَّأس النَّازف قائلًا: «أبعِدوا هذا عن نظرنا».

قال السير باريستان: «الأميرال كان رجل البحر. هلَّا تفضَّل صاحِب السُّمو بأن يسأل اليونكيِّين إعادة جثَّته إلينا لندفنه تحت الأمواج؟».

لوَّح ذو أسنان الأرانب بيده قائلًا: «سنفعل هذا بعد إذن صاحِب الرَّونق، علامةً على احترامنا».

تنحنحَ رزناك مو رزناك بصوتٍ عالٍ، وقال: «لا أقصدُ إساءةً، لكن يبدو لي أن صاحِبة العبادة الملكة دنيرس أعطَتكم... آه... سبع رهائن. الثَّلاثة الآخَرون...».

أعلنَ اليونكي ذو واقي الصَّدر: «سيبقى الآخَرون ضيوفنا حتى يُدمَّر التنِّينان».

رانَ الصَّمت على القاعة، ثم بدأت الهمهمة والتَّمتمة والشَّتائم والصَّلوات المهموسة وعادَت الدَّبابير تطنُّ في عُشِّها، وقال الملك هيزدار: «التنِّينان...».

- «... وحشان كما رأى الجميع ثالثهما في (حلبة دازناك). ليس السَّلام الحقيقي ممكنًا وهما حيَّان».

ردَّ رزناك: «صاحِبة السُّمو الملكة دنيرس أم التَّنانين. وحدها تستطيع...».

قاطعَه ذو اللِّحية الدَّمويَّة باستخفاف: «لقد ماتَت، احترقَت والتُهِمَت، الحشائش تنمو في جمجمتها المهشَّمة».

استُقبِلَت كلماته بهدير، وبدأ بعضهم يزعق ويشتم، في حين دقَّ آخَرون الأرض بأقدامهم أو صفروا مؤيِّدين، ولم تهدأ القاعة ثانيةً حتى دقَّ رجال الوحوش النُّحاس الأرض بكعوب حِرابهم.

لم يرفع السير باريستان عينيه قَطُّ عن ذي اللِّحية الدَّمويَّة. *جاءَ ينهب مدينةً وسلبَه سلام هيزدار غنائمه. سيفعل كلَّ ما يُمكنه أن يفعله لبدء حمَّام الدَّم.*

نهضَ هيزدار زو لوراك ببُطءٍ من على عرش التنِّين، وأعلنَ: «يجب أن أتشاوَر مع مستشاريَّ. رُفِعَت الجلسة».

صاحَ الحاجب: «ليركع الجميع لصاحِب السُّمو الملكي هيزدار زو لوراك، حامل هذا الاسم النَّبيل الرَّابع عشر، ملك (ميرين)، نجل (جيس)، والي الإمبراطوريَّة القديمة، سيِّد (السكاهازاذان)، قرين التَّنانين ودم الهارپي»، وخرجَ الوحوش النُّحاس من بين الأعمدة مكوِّنين صفًّا ثم بدأوا يتقدَّمون بإيقاعٍ موحَّد بطيء سائقين الملتمسين من القاعة.

لن يضطرَّ الدورنيُّون للابتعاد كثيرًا كمعظم الآخَرين، فكما يليق بمنزلته ومقامه أُعطِيَ كوينتن مارتل مسكنًا داخل (الهرم الأكبر) تحت القاعة بمستويَيْن، جناحًا فاخرًا من الغُرف مزوَّدًا بمرحاضه الخاص وشُرفته المسوَّرة. ربما لهذا السَّبب مكثَ ورفيقاه منتظرين أن يخفَّ الزِّحام قبل أن يتحرَّكوا نحو السَّلالم.

شاهدَهم السير باريستان مستغرقًا في التَّفكير، وسألَ نفسه: *ماذا كانت دنيرس لتُريد؟* وخطرَ له أنه يعرف الجواب. قطعَ الفارس العجوز القاعة ومعطفه الأبيض الطَّويل يتموَّج وراءه، ولحقَ بالدورنيِّين عند قمَّة السَّلالم، حيث سمعَ درينكووتر يقول مازحًا: «لم يكن بلاط أبيك مسلِّيًا هكذا قَطُّ».

نادى سلمي: «أيها الأمير كوينتن، هل تسمح بكلمة؟».

التفتَ كوينتن مارتل قائلًا: «سير باريستان، بالطَّبع. مسكني تحتنا بمستوى واحد».

لا. «ليس لي أن أنصحك أيها الأمير كوينتن... لكن لو كنتُ في مكانك لما عدتُ إلى مسكني. أنت وصديقاك عليكم أن تنزلوا السَّلالم وترحلوا».

حدَّق إليه الأمير كوينتن بدهشةٍ متسائلًا: «نرحل من الهرم؟».

- «ترحلون من المدينة وتعودون إلى (دورن)».

تبادلَ الدورنيُّون نظرةً، وقال جيريس درينكووتر: «أسلحتنا ودروعنا في المسكن، ناهيك بأغلب النُّقود المتبقِّية معنا».

قال السير باريستان: «السُّيوف قابلة للاستبدال، ويُمكنني أن أزوِّدكم بمالٍ يكفي لرحلة العودة إلى (دورن). أيها الأمير كوينتن، لقد لاحظَك الملك اليوم وعبسَ وجهه».

ضحكَ درينكووتر قائلًا: «أيُفترَض أن نخشى هيزدار زو لوراك؟ لقد رأيته للتَّو حين جبنَ من اليونكيِّين. أرسَلوا إليه رأسًا ولم يفعل شيئًا!».

أومأَ كوينتن مارتل برأسه مؤيِّدًا، وقال: «الحكمة تقتضي أن يُفكِّر الأمير قبل أن يتصرَّف. الملك... لستُ أدري رأيي فيه. الملكة حذَّرتني منه أيضًا، هذا صحيح، لكن...».

عقدَ سلمي حاجبيه، وسألَه: «حذَّرتك؟ لماذا لا تزال هنا إذن؟».

قال الأمير كوينتن وقد احتقنَ وجهه: «اتِّفاق الزَّواج...».

- «... أجراه رجلان ميتان ولم يحتوِ على كلمةٍ واحدة عن الملكة أو عنك، بل وعدَ يد أختك لأخي الملكة، رجل ميت آخَر. الاتِّفاق ليس ملزِمًا. إلى أن ظهرت أنت هنا كانت الملكة تجهل وجوده. أبوك يُحسِن الحفاظ على الأسرار أيها الأمير كوينتن، وأخشى أنه يُحافِظ عليها أكثر من اللَّازم. لو علمَت الملكة بالاتِّفاق في (كارث) فلربما ما كانت لتتَّجه إلى (خليج النخَّاسين) على الإطلاق، لكنك جئت بعد فوات الأوان. لستُ أرغبُ في سكب الملح على جرحك، لكن لجلالتها زوجًا جديدًا وخليلًا قديمًا، ويبدو أنها تُفضِّل كليهما عليك».

ومضَ الغضب في عينَي الأمير الدَّاكنتين، وقال: «هذا اللورد الجيسكاري ليس زوجًا يليق بملكة (الممالك السَّبع)».

قال السير باريستان: «ليس الحُكم لك في هذا»، وتوقَّف متسائلًا إن كان قد تكلَّم أكثر من اللَّازم بالفعل. *لا، أخبِره بالبقيَّة*. «في ذلك اليوم في (حلبة دازناك)، بعض الطَّعام في المقصورة الملكيَّة كان مسمومًا. بالصُّدفة فقط أكلَه بِلواس القوي كلَّه. ذوات النِّعم الزَّرقاء يقلن إن حجمه وقوَّته البالغة فقط أنقذاه، لكنه كان على عتبة الموت بالفعل، وما زالَ واردًا أن يموت».

كانت الصَّدمة جليَّةً على وجه الأمير كوينتن إذ قال: «سُم... لدنيرس؟».

- «لها أو لهيزدار، أو ربما للاثنين. لكن المقصورة مقصورته، وجلالته أجرى التَّرتيبات كلَّها. إذا كان هو وراء السُّم... فسيحتاج إلى كبش فداء، ومَن أفضل من منافسٍ من أرضٍ بعيدة بلا أصدقاء في هذا البلاط؟ مَن أفضل من خاطِبٍ رفضَته الملكة؟».

قال كوينتن مارتل بوجهٍ امتقعَ: «أنا؟! مستحيل أن... لا يُعقَل أن تحسب أنه كان لي دور في أيٍّ...».

يقول الحقيقة، أو أنه أستاذ في التَّمثيل. «قد يحسب آخَرون ذلك. الأُفعوان الأحمر كان عمَّك، ولديك سبب وجيه يجعلك ترغب في موت الملك هيزدار».

قال جيريس درينكووتر: «ولدى آخَرين أيضًا. نهاريس على سبيل المثال، مَن تقول إنه...».

- «... خليل الملكة». أنهى السير باريستان العبارة قبل أن يقول الفارس الدورني شيئًا يصم شَرف الملكة. «هكذا تُسمُّونهم في (دورن)، أليس كذلك؟»، ولم ينتظر سلمي جوابًا، وتابعَ: «الأمير ليوين كان أخي المحلَّف. في تلك الأيام كانت الأسرار بين رجال الحَرس الملكي قليلةً، وأعرفُ أنه كانت له خليلة. لم يجد في هذا ما يشين».

قال كوينتن بوجهٍ محمر: «نعم، ولكن...».

واصلَ السير باريستان: «لو جرؤَ داريو لقتلَ هيزدار في غمضة عين، لكن ليس بالسُّم، مُحال. وداريو لم يكن هناك على كلِّ حال. سيسرُّ هيزدار أن يلومه على الجراد رغم ذلك... لكن الملك قد يحتاج إلى غِربان العاصفة، وسيخسرهم إذا بدا متواطئًا على موت قائدهم. لا يا أميري. إذا احتاجَ جلالته إلى مسمِّم فسيقع اختياره عليك». قال سلمي كلَّ ما يستطيع أن يقوله بأمان. خلال بضعة أيام، إذا ابتسمَت لهم الآلهة، لن يعود هيزدار زو لوراك حاكم (ميرين)... لكن لا خير يُرجى من أن يُلطِّخ الأمير كوينتن حمَّامُ الدَّم المقبل. أنهى السير باريستان كلامه قائلًا: «إذا كان يجب أن تبقى في (ميرين) فالأفضل أن تبقى بعيدًا عن البلاط وتأمل أن ينساك هيزدار، لكن سفينةً إلى (ڤولانتيس) التَّصرُّف الأكثر حكمةً يا أميري. أيًّا كان السَّبيل الذي تختاره أتمنَّى لك التَّوفيق».

قبل أن يبتعد ثلاث خُطواتٍ ناداه كوينتن مارتل: «يدعونك بباريستان الباسل».

- «بعضهم». ظفرَ سلمي باللَّقب عندما كان في العاشرة من العُمر، مُرافقًا جديدًا لكن شديد الغرور والكبرياء والحُمق حتى إنه أقنعَ نفسه بأنه يستطيع نزال فُرسانٍ مخضرمين متمرِّسين. وهكذا استعارَ جوادًا حربيًّا ودرعًا من مستودَع سلاح اللورد دونداريون ودخلَ المضمار في (المرفأ الأسود) كفارسٍ مجهول. *حتى الحاجب ضحكَ. كانت ذراعاي رفيعتين لدرجة أنني حين خفضتُ رُمحي استطعتُ بالكاد أن أمنع رأسه من الاحتكاك بالأرض.* كان من حقِّ اللورد دونداريون أن يسحبه من فوق حصانه ويصفعه على مؤخِّرته، غير أن أمير (قلعة اليعاسيب) أشفقَ على الصَّبي السَّاذج في الدِّرع التي لا تُناسِبه وأبدى له الاحترام لتحدِّيه. لم يتطلَّب الأمر أكثر من مواجهةٍ واحدة، وبعدها ساعدَه الأمير دنكان على النُّهوض وخلعَ خوذته، ثم أعلنَ للجمهور: «صبي، صبي باسل». *ثلاث وخمسون سنةً مضَت. كم ممَّن كانوا في (المرفأ الأسود) ما زالوا أحياء؟*

سألَه الأمير كوينتن: «بِمَ تحسبهم سيُلقِّبونني إذا عدتُ إلى (دورن) من دون دنيرس؟ كوينتن الحذِر؟ كوينتن الجبان؟ كوينتن الرِّعديد؟».

فكَّر الفارس العجوز: *الأمير الذي أتى بعد فوات الأوان*... لكن إن لم يتعلَّم فارس في الحَرس الملكي شيئًا آخَر فإنه يتعلَّم أن يحفظ لسانه، وهكذا قال: «كوينتن الحكيم»، وأملَ أن يكون ذلك صحيحًا.

كانت ساعة الأشباح على وشك الحلول عندما عادَ السير جيريس درينكووتر إلى الهرم ليُبلِغهما بأنه عثرَ على بُقول وكُتب وبيل بون العجوز في أحد دهاليز (ميرين) الحقيرة، يشربون النَّبيذ الأصفر ويُشاهِدون العبيد العُراة يَقتُل بعضهم بعضًا بالأيدي المجرَّدة والأسنان المدبَّبة.

أخبرَهما السير جيريس: «استلَّ بُقول خنجرًا واقترحَ رهانًا للبتِّ في كون بطون المتهرِّبين مليئة بالعفَن الأصفر، فألقيتُ له تنّينًا وسألته إن كان الذَّهب الأصفر يَصلُح. عضَّ العُملة وسألَني ماذا أريدُ أن أشتري، ولمَّا أخبرته دسَّ الخنجر في غِمده وسألَني إن كنت سكرانَ أم مجنونًا».

قال كوينتن: «فليحسب ما شاء ما دامَ سيُوصِّل الرِّسالة».

- «سيفعل هذا. أراهنُ أنك ستنال مقابلتك أيضًا، ولو فقط لكي يجعل أمير الخِرق ميريس الحسناء تُقطِّع كبدك وتُحمِّرها مع القليل من البصل. يَجدُر بنا أن نُصغي إلى سلمي. حين يقول لك باريستان الباسل أن تهرب فعلى الحصيف أن يعقد أربطة حذائه ويجري. الأفضل أن نجد سفينةً إلى (ڤولانتيس) والميناء لا يزال مفتوحًا».

أصابَ مجرَّد ذِكر السَّفينة السير آرشيبولد بالغثيان، وقال: «لا سُفن ثانيةً. أفضِّلُ أن أرجع إلى (ڤولانتيس) متوثِّبًا على قدمٍ واحدة».

(ڤولانتيس)، ثم (ليس)، ثم الوطن. أعودُ من حيث أتيتُ خالي الوفاض. ثلاثة رجالٍ شُجعان ماتوا، ومن أجل ماذا؟

سيكون جميلًا أن يرى (الدَّم الأخضر) من جديد، ويزور (صنسپير) و(الحدائق المائيَّة) ويتنفَّس هواء (يرونوود) الجبلي الطَّلق النَّظيف بدلًا من أبخرة (خليج النخَّاسين) الحارَّة الرَّطبة القذرة. يعلم كوينتن أن أباه لن ينطق كلمة تبكيتٍ واحدةً، لكنه سيرى خيبة الأمل في عينيه، وستهزأ به أخته وتسخر منه أفاعي الرِّمال بابتساماتٍ حادَّة كالسُّيوف، واللورد يرونوود -أبوه الثَّاني- الذي أرسلَ معه ابنه ليحميه...

قال كوينتن لصديقيه: «لن أبقيكما هنا. أبي كلَّفني أنا وحدي بهذه المهمَّة. ارجعا إلى الوطن إذا أردتما بأيِّ وسيلةٍ تُريدان، أمَّا أنا فباقٍ».

هزَّ الرَّجل الكبير كتفيه قائلًا: «إذن فأنا ودرينك باقيان أيضًا».

في اللَّيلة التَّالية حضرَ دنزو داهان إلى باب الأمير كوينتن لإبلاغه بالشُّروط. «سيلتقيك غدًا عند سوق التَّوابل. ابحث عن بابٍ معلَّم بزهرة لوتس أرجوانيَّة. اطرُقه مرَّتين واطلُب الحرِّيَّة».

قال كوينتن: «موافق. آرش وجيريس سيكونان معي. يُمكنه أن يجلب رجلين أيضًا، رجلين لا أكثر».

- «كما يرغب سموُّ الأمير». قيلَت العبارة بأدب، لكن الغِلَّ شابَ نبرة دنزو، وتألَّق التَّهكُّم في عينَي الشَّاعر المُحارب. «تعالوا عند الغروب، واحرصوا على ألَّا يتبعكم أحد».

خرجَ الدورنيُّون من (الهرم الأكبر) قبل ساعةٍ من الغروب تحسُّبًا لسلوكهم منعطفًا خطأً أو مواجهتهم صعوبةً في العثور على زهرة اللوتس الأرجوانيَّة، وقد تمنطقَ كلٌّ من كوينتن وجيريس بحزام سيفه، وعلَّق الرَّجل الكبير مطرقته الحربيَّة على ظَهره العريض.

بينما شقُّوا طريقهم عبر زُقاقٍ مُنتن نحو سوق التَّوابل القديمة قال جيريس: «لم يَفُت أوان التَّخلِّي عن هذه الحماقة بعدُ». في الهواء رائحة بول، وبإمكانهم سماع قعقعة عجلتَي عربة جُثث مؤطَّرتين بالحديد في مكانٍ ما أمامهم. «اعتادَ بيل بون العجوز أن يقول إن ميريس الحسناء تستطيع أن تُطيل احتضار المرء قمرًا كاملًا. لقد كذبنا عليهم يا كوينت، استغلَلناهم للمجيء هنا، ثم انقلَبنا إلى غِربان العاصفة».

- «كما أملَت أوامرنا».

تدخَّل الرَّجل الكبير قائلًا: «لكن الخِرقة لم يُرِدنا أن ننقلب حقًّا. فِتيانه الآخَرون، السير أورسون وديك سترو وهنجرفورد وويل ابن (الغابة)، ما زالَت تلك الشِّرذمة في زنزانةٍ ما بفضلنا. لا يُمكن أن شيئًا كهذا راقَ أمير الخِرق كثيرًا».

ردَّ الأمير كوينتن: «نعم، لكن الذَّهب يروقه».

ضحكَ جيريس، وقال: «مؤسفٌ أننا لا نملك أيَّ ذهب. هل تثق بهذا السَّلام يا كوينت؟ أنا لا أثقُ به. نِصف المدينة يدعو قاتِل التَّنانين بالبطل والنِّصف الآخَر يَبصُق دمًا إذا ذُكِرَ اسمه».

قال الرَّجل الكبير: «هارزو».

قطَّب كوينتن جبينه قائلًا: «كان اسمه هارجاز».

- «هيزدار، هامزوم، هاجناج، ما الفرق؟ أسمِّيهم جميعًا هارزو. لم يكن قاتِل تنانين، وكلُّ ما فعلَه أنه انشوى وتفحَّم».

- «كان شُجاعًا». *هل أتمتَّعُ أنا بشَجاعة مواجهة ذلك الوحش مسلَّحًا بحربةٍ فقط؟*

- «تعني أنه ماتَ بشَجاعة».

قال آرش: «ماتَ صارخًا».

وضعَ جيريس يدًا على كتف كوينتن، وقال: «حتى إذا عادَت الملكة فستبقى متزوِّجةً».

قال الرَّجل الكبير: «ليس إذا لطمتُ الملك هارزو لطمةً صغيرةً بمطرقتي».

قال كوينتن: «هيزدار، اسمه هيزدار».

قال آرش: «قُبلة واحدة من مطرقتي ولن يكترث أحد لاسمه».

إنهما لا يريان. لم يَعُد صديقاه يُدرِكان هدفهم الحقيقي هنا. *الطَّريق يمرُّ عبرها ولا يقود إليها. دنيرس وسيلة لبلوغ الجائزة لا الجائزة نفسها.* «قالت لي إن للتنِّين ثلاثة رؤوس، قالت: *ليس زواجي نهاية آمالكِ كلِّها بالضَّرورة. إنني أعلمُ لِمَ جئت هنا، من اجل النَّار والدَّم.* إن في عروقي دماء تارجاريَن، تعلمان هذا. يُمكنني أن أتتبَّع نسبي إلى...».

قاطعَه جيريس: «سُحقًا لنسبك. التَّنانين لن تُبالي بدمك إلَّا لمذاقه فقط. لا يُمكنك أن تُروِّض تنِّينًا بدرس تاريخ. إنها وحوش لا مِايسترات. كوينت، أهذا ما تُريد أن تفعله حقًّا؟».

- «هذا ما عليَّ أن أفعله... من أجل (دورن)، من أجل أبي، من أجل ويل وكليتوس والمِايستر كِدري».

قال جيريس: «إنهم موتى، لن يعبأوا».

- «موتى، ومن أجل ماذا؟ لآتي هنا وأتزوَّج ملكة التَّنانين. سمَّاها كليتوس مُغامرةً كُبرى، طُرق مسكونة بالشَّياطين وبحار عاصفة وفي النِّهاية أجمل امرأةٍ في العالم، حكاية نحكيها لأحفادنا. لكن كليتوس لن يُنجِب أطفالًا أبدًا ما لم يكن قد تركَ نغلًا في بطن ساقية الحانة إياها التي أعجبَته، ولن يعقد ويل قرانه أبدًا. المفترَض أن يكون لموتهما معنًى ما».

أشارَ جيريس إلى جثَّةٍ مستندة بارتخاء إلى حائطٍ قرميد وتُحيط بها سحابة من الذُّباب الأخضر اللَّامع، وسألَه: «هل كان لموته معنى؟».

رمقَ كوينتن الجثَّة بنفور، وقال: «لقد ماتَ بالإسهال. ابقيا بعيدًا عنه». الفَرس الشَّاحبة ترمح داخل المدينة الآن. لا غرو أن الشَّوارع خالية إلى هذا الحدِّ. «سيُرسِل المُطهَّرون عربة جُثثٍ تحمله».

- «بالتَّأكيد، لكن لم يكن ذلك سؤالي. حياة الإنسان لها معنى وليس موته. أنا أيضًا أحببتُ ويل وكليتوس، لكن هذا لن يُعيدهما إلينا. إنها غلطة يا كوينت. لا يُمكنك أن تثق بالمرتزِقة».

- «إنهم بَشر كسائر البَشر، يُريدون الذَّهب والمجد والسَّطوة. هذا هو كلُّ ما أثقُ به». *هذا وقدري. أنا أمير دورني، وفي عروقي دماء التنِّين.*

كانت الشَّمس قد غاصَت وراء سور المدينة حين وجدوا زهرة اللوتس الأرجوانيَّة مرسومةً على بابٍ خشبي تبدو عليه آثار تقلُّب الأجواء، في مبنى واطئ من القرميد واقع في صفٍّ من المباني المشابهة في ظِلِّ هرم رازدار العظيم بلونيه الأصفر والأخضر. طرقَ كوينتن الباب مرَّتين حسب التَّعليمات، وأجابَ صوت خشن من وراء الخشب مدمدمًا بشيءٍ ما غير مفهوم بلُغة (خليج النخَّاسين) الهجينة، ذلك الخليط القبيح من الجيسكاريَّة والقاليريَّة الفُصحى. باللُّغة نفسها أجابَ الأمير: «الحرِّيَّة».

انفتحَ الباب ودخلَ جيريس أولًا على سبيل الحيطة، وراءه مباشرةً كوينتن وبعده الرّجل الكبير في المؤخِّرة. بالدّاخل الهواء ملبَّد بدُخانٍ مائل إلى الزُّرقة لا تُخفي رائحته العطرة تمامًا روائح البول والنَّبيذ الحامض واللَّحم الفاسد الأقوى. تبدو المساحة أوسع كثيرًا مما بدَت من الخارج، وتمتدُّ يمينًا ويسارًا إلى المباني الملاصقة. ما بدا دستةً من البنايات من الشَّارع استحالَ إلى قاعةٍ طويلة واحدة بالدّاخل.

في هذه السَّاعة أقل من نِصف المكان فقط ممتلئ، وحدجَ بعض الزَّبائن الدورنيِّين بنظرات الملل أو العداء أو الفضول، في حين اجتمعَ الباقون في طرف القاعة القصي حول حلبةٍ يتقاتَل فيها رجلان عاريان بالسَّكاكين وسط تهليل المتفرِّجين.

لم يرَ كوينتن أثرًا للرّجال الذين أتوا يُقابِلونهم، ثم إن بابًا لم يلمحه من قبل انفتحَ وخرجَت منه امرأة عجوز، مخلوقة ذابلة ترتدي توكارًا أحمر قانيًا مهدَّبًا بجماجم ذهبيَّة دقيقة، بشرتها بيضاء كحليب الفَرس، وشَعرها خفيف لدرجة أن فروة رأسها ظاهرة من تحته. قالت المرأة: «(دورن)، أنا زاهرينا، زهرة اللوتس الأرجوانيَّة. اذهبوا من هنا وستجدونهم»، وأمسكَت الباب وأشارَت لهم بالمرور.

وراء الباب سلالم خشبيَّة منحدرة ملتوية. هذه المرَّة قادَ الرَّجل الكبير الطَّريق فيما تولَّى جيريس حراسة المؤخِّرة، وبينهما الأمير. قبو. الطَّريق إلى أسفل طويل ومظلم جدًّا حتى إن كوينتن راحَ يتحسَّس هنا وهناك كي لا يَسقُط، وقُرب القاع سحبَ السير آرشيبولد خنجره.

خرجوا في قبوٍ قرميد مساحته ثلاثة أضعاف الخمَّارة بالأعلى، وعلى مدى بصر الأمير تصطفُّ رواقيد نبيذٍ خشبيَّة ضخمة عند الجُدران، وقد عُلِّق قنديل أحمر من خُطَّافٍ داخل الباب مباشرةً، وتذبذبَت شمعة سوداء من الشَّحم فوق برميلٍ مقلوب يُستخدَم كمنضدة، ولا ضوء آخَر في المكان.

كان كاجو قاتِل الجُثث يمشي جيئةً وذهابًا إلى جوار رواقيد النَّبيذ وأراخه معلَّق على وَركه، وتحتضن ميريس الحسناء نُشَّابيَّةً وعيناها باردتان ميتتان كحجرين رماديَّين. ما إن دخلَ الدورنيُّون أوصدَ دنزو داهان الباب، ثم وقفَ أمامه عاقدًا ذراعيه على صدره.

فكَّر كوينتن: *واحد أكثر من المفترَض*.

أمير الأسمال نفسه جالس إلى مائدةٍ يحتسي كوبًا من النَّبيذ، يبدو شَعره الفضِّي الشَّائب في ضوء الشَّمعة الأصفر أقرب إلى الذَّهبي، ولو أن الكيسين تحت عينيه يبدوان ثقيلين كجرابَي السَّرج، وقد ارتدى معطف مُسافرين من الصُّوف البنِّي يلتمع تحته قميص معدني مفضَّض. هل يدلُّ هذا على الخيانة أم -ببساطة- الحكمة؟ *المرتزِق العجوز مرتزِق حذِر*. دنا كوينتن من المائدة قائلًا: «سيِّدي، تبدو مختلفًا من دون معطفك».

هزَّ اليِنتوشي كتفيه، وقال: «زِيِّي المهترئ؟ شيء حقير... لكن تلك الأسمال تملأ أعدائي خوفًا، وفي ميدان المعركة يُشجِّع منظرها في الرِّيح رجالي أكثر من أيِّ راية، وإذا أردتُ أن أتحرَّك دون أن يلحظني أحد فما عليَّ إلَّا أن أخلعها لأصبح تقليديًّا لا ألفتُ الانتباه»، وأشارَ إلى الدِّكَّة قُبالته مستطردًا: «اجلس. بلغَني أنك أمير. ليتني علمتُ. هل تُريد شرابًا؟ زاهرينا تُقدِّم الطَّعام أيضًا. خُبزها بائت ويخنتها رديئة جدًّا، شحم وملح وقطعة أو اثنتان من اللَّحم. تقول إنه لحم كلاب، وأقولُ إن الجرذان احتمال أرجح. لكن طعامها لن يَقتُلك. لقد وجدتُ أن على المرء أن يحذر حين يكون الطَّعام مغريًا فقط. دائمًا يختار المسمِّمون أشهى الأطعمة».

علَّق جيريس بشيءٍ من الصَّرامة في نبرته: «جلبتَ ثلاثة رجال. اتَّفقنا على اثنين لكلِّ طرف».

- «ميريس ليست رجلًا. ميريس يا عزيزتي، حلِّي قميصكِ وأريه».

قال كوينتن: «لا داعي». إذا صحَّ ما سمعَه فليس تحت هذا القميص إلَّا النُّدوب التي تركَها لميريس الرِّجال الذين قطَعوا ثدييها. «ميريس امرأة، أوافقك، لكنك حرَّفت الشُّروط رغم ذلك».

- «سمِل محرِّف أنا، يا لي من شقي. أقرُّ بأن ثلاثةً إلى اثنين ليسوا أفضليَّةً كبيرةً، ولكن أفضل من لا شيء. في هذا العالم على المرء أن يتعلَّم أن ينتهز النِّعم التي تختار الآلهة أن تُرسِلها إليه. إنه درس تعلَّمته لقاء ثَمن، وأقدِّمه إليك دلالةً على حُسن النِّيَّة»، وعادَ البِنتوشي يُشير إلى الدِّكَّة مواصلًا: «اجلس وقُل ما جئت لتقوله. أعدُ بأنني لن أقتلك حتى أسمع ما لديك. أقل ما يُمكنني أن أفعله لأميرٍ زميل. كوينتن، أليس كذلك؟».

- «كوينتن سليل عائلة مارتل».

- «الضِّفدع يُناسِبك أيضًا. ليس من عادتي الشُّرب مع الكاذبين والمتهرِّبين، لكنك أثرت فضولي».

جلسَ كوينتن مفكِّرًا: *كلمة واحدة خطأ ويتحوَّل الموقف إلى حمَّام دمٍ في غمضة عين.* «أطلبُ منك أن تغفر لنا خداعنا. السُّفن الوحيدة المبحرة إلى (خليج النخَّاسين) كانت تلك المستأجرة لجلبكم إلى الحرب».

مرَّةً أخرى هزَّ أمير الأسمال كتفيه، وقال: «لكلِّ مارِقٍ حكايته. لستم أول مَن يتعهَّد لي بسيفه ويأخذ مالي ويفرُّ. لكلٍّ منهم أسباب. *ابني الصَّغير مريض*، أو *زوجتي تُركِّب لي قرنين*، أو *الرِّجال الآخَرون يجعلونني أمصُّ قضبانهم*. فتى فاتن هذا الأخير، لكن هذا لم يكن عُذرًا لتهرُّبه. واحد آخَر قال لي إن طعامنا رديء لدرجة أنه اضطرَّ إلى الفرار قبل أن يُمرِضه، فأمرتُ بقطع قدمه وجعلتهم يشوونها ويُطعِمونه إياها، ثم عيَّنته طبَّاخًا في جماعتنا، وتحسَّنت وجباتنا بوضوح، ولمَّا انتهَت مُدَّة عقده وقَّع آخَر. أمَّا أنت... كثيرون من أفضل رجالي محبوسون في زنازين الملكة بفضل لسانك الكاذب هذا، وأشكُّ في أنك تُجيد الطَّبخ حتى».

قال كوينتن: «إنني أمير دورني، واجبي لأبي وشعبي. كان هناك اتِّفاق زواج سرِّي».

- «سمعتُ هذا، وعندما رأت الملكة الفضِّيَّة ورقتك ألقَت نفسها في أحضانك».

قالت ميريس الحسناء: «لا».

قال أمير الأسمال: «لا؟ أوه، تذكَّرتُ. عروسك طارَت على ظَهر تنِّين، أليس كذلك؟ حسن، حين تعود احرص على دعوتنا إلى عُرسكما. سيحبُّ رجال الجماعة أن يشربوا نخب سعادتكما، وعن نفسي أحبُّ الزِّفافات الوستروسيَّة حقًّا، خصوصًا الإضْجاع، لكن... أوه، مهلًا...»، والتفتَ إلى دنزو داهان قائلًا: «دنزو، ظننتك أخبرتني بأن ملكة التَّنانين تزوَّجت رجلًا جيسكاريًّا ما».

- «إنه نبيل ميرينيزي، ثري».

عادَ أمير الأسمال يلتفت إلى كوينتن قائلًا: «أيُعقَل أن هذا صحيح؟ مؤكَّد لا. ماذا عن اتِّفاق الزَّواج؟».

قالت ميريس الحسناء: «لقد ضحكَت منه».

لم تضحك دنيرس قَطُّ. قد تراه بقيَّة (ميرين) تُحفةً مسلِّيةً كأمير (جُزر الصَّيف) المنفي الذي احتفظَ به الملك روبرت في (كينجز لاندنج)، لكن الملكة خاطبَته بدماثةٍ دومًا. «وصلنا متأخِّرين».

قال أمير الأسمال: «مؤسفٌ أنكم لم تصلوا والفُرصة سانحة»، ورشفَ من نبيذه، ثم تابعَ: «إذن... لا زفاف للأمير الضِّفدع. ألذا عُدت إليَّ متقافزًا؟ هل قرَّر فِتياني الدورنيُّون الشُّجعان التزام عقودهم؟».

- «لا».

- «مُغيظ هذا».

- «يوركاز زو يونزاك ماتَ».

- «خبر قديم. لقد رأيته يموت. المسكين رأى تنّينًا وتعثّر وهو يُحاوِل الهرب، وداسه ألف من أصدقائه المقرَّبين. لا مراء أن المدينة الصَّفراء غارقة في الدُّموع. هل طلبت لقائي لنشرب نخبًا في ذكراه؟».

- «لا. هل اختارَ اليونكيُّون قائدًا جديدًا؟».

- «لم يتوصَّل مجلس الأسياد إلى اتِّفاق. يزان زو كاجاز حظيَ بالدَّعم الأكبر لكنه ماتَ بدوره. الأسياد الحُكماء يتداوَلون القيادة العُليا فيما بينهم. قائدنا اليوم هو من لقَّبه أصدقاؤكم في صفوف الجماعة بالغازي السكِّير. غدًا سيكون اللورد الرَّجراج».

قالت ميريس: «الأرنب. الرَّجراج كان أمس».

- «أعترفُ بخطئي يا حُلوتي. أصدقاؤنا اليونكيُّون تفضَّلوا بتزويدنا بجدول. عليّ أن أجتهد أكثر في الرُّجوع إليه».

- «يوركاز زو يونزاك هو من استأجرَكم».

- «وقَّع عقدنا نيابةً عن مدينته، بالضَّبط».

- «(ميرين) و(يونكاي) تعاهَدتا على السَّلام. سيُرفَع الحصار وتُصرَف الجيوش. لا معركة، لا مذبحة، لا مدينة تُنهَب وتُسلَب».

- «الحياة ملأى بخيبات الأمل».

- «كم في رأيك سيظلُّ اليونكيُّون يدفعون أجور أربع جماعاتٍ حُرَّة؟».

أخذَ أمير الأسمال رشفةً من النَّبيذ، وقال: «سؤال مزعج، لكن هذا هو أسلوب حياة رجال الجماعات الحُرَّة. تنتهي حرب فتبدأ أخرى. لحُسن الحظّ أن أحدًا ما يُقاتِل أحدًا ما في مكانٍ ما دومًا، ربما هنا. الآن بينما نحن جالسون نشرب يحثُّ ذو اللِّحية الدَّمويَّة أصدقاءنا اليونكيِّين على تقديم رأسٍ آخَر للملك هيزدار. المعتَقون والنخَّاسون يتبادَلون النَّظر إلى رقاب بعضهم بعضًا ويشحذون سكاكينهم، وأبناء الهارپي يتآمَرون في أهرامهم، والفَرس الشَّاحبة تدعس العبيد والأسياد على حدٍّ سواء، وأصدقاؤنا من المدينة الصَّفراء يتطلَّعون إلى البحر، وفي مكانٍ ما في أراضي الكلأ يلتهم تنِّين لحم دنيرس تارجاريَن الطَّري. مَن يَحكُم (ميرين) اللَّيلة؟ مَن سيَحكُمها غدًا؟»، وهزَّ الپنتوشي كتفيه مضيفًا: «شيء واحد أعلمه يقينًا، أحدهم سيحتاج إلى سيوفنا».

- «أنا محتاج إلى هذه السُّيوف. (دورن) ستستأجركم».

نظرَ أمير الأسمال إلى ميريس الحسناء، وقال: «لا تعوزه الجسارة هذا الضِّفدع. أعليّ أن أذكِّره؟ أميري العزيز، آخِر عقدٍ وقَّعناه مسحت به مؤخِّرتك الورديَّة الغضَّة».

- «سأضاعفُ ما يَنقُدكم إياه اليونكيُّون أيًّا كان».

- «وتدفع ذهبًا بمجرَّد توقيع العقد، أليس كذلك؟».

- «سأدفعُ لكم جزءًا حين نصل إلى (ڤولانتيس)، والبقيَّة حين أرجعُ إلى (صنسپير). لقد جلبنا معنا ذهبًا عندما أبحرنا، ولكن لكان إخفاؤه صعبًا عند التحاقنا بالجماعة، فأعطيناه للمصارف. يُمكنني أن أريك الأوراق».

- «آه، الأوراق. لكنك ستدفع لنا الضِّعف».

قالت ميريس: «أي ضِعف الأوراق».

قال كوينتن بإصرار: «ستَحصُلون على البقيَّة في (دورن). أبي رجل شريف. إذا وضعتُ ختمي على اتِّفاقٍ فسيفي بشروطه. لك كلمتي».

أنهى أمير الأسمال نبيذه وقلبَ كوبه ووضعَه بينهما، وقال: «طيِّب، دَعني أرى إن كنتُ أفهمُ. كاذب وحانث بالقَسم يُريد أن يتعاقَد معنا ويدفع لنا بالوعود. ومقابل أيِّ خدمةٍ يا تُرى؟ هل تُريد أن يُحطِّم مذرؤوي اليونكيِّين وينهبوا المدينة الصَّفراء؟ يهزموا گالاسارًا من الدوثراكي في ميدان المعركة؟ يصحبوك إلى أبيك في الوطن؟ أم أنك ستقنع بأن نُوصِّل الملكة دنيرس إلى فِراشك مبتلَّةً راغبةً؟ اصدقني القول أيها الأمير الضِّفدع، ماذا تُريد مني أنا ورجالي؟».

- «أريدُ مساعدتكم في سرقة تنِّين».

قهقهَ كاجو قاتِل الجُثث، ولوَت ميريس الحسناء شفتها في ابتسامةٍ صغيرة، وأطلقَ دنزو داهان صفيرًا.

أمَّا أمير الأسمال فتراجعَ في مقعده فقط، وقال: «الضِّعف ليس ثَمنًا يليق بالتَّنانين يا أميري الصَّغير. حتى الضَّفادع المفروض أن تعرف هذا. التَّنانين باهظة الثَّمن، وعلى مَن يدفعون بالوعود فحسب أن يتمتَّعوا بالعقل ويعدوا بما هو أكثر».

- «إذا أردتني أن أضاعف الثَّمن ثلا...».

قاطعَه أمير الأسمال: «ما أريده... هو (پنتوس)».

أرسلَ الرُّماة أولًا.

يقود بالاك الأسود ألف قوس. في شبابه كان چون كوننجتون يُشارِك أكثر الفُرسان احتقارهم للقوّاسين، لكن المنفى زادَه عقلًا وحكمةً. على طريقته الخاصّة السّهم مميت كالسّيف، وهكذا أصرّ قبل بدء رحلتهم الطّويلة أن يقسم هاري ستريكلاند الشّريد قيادة بالاك إلى عشر مجموعاتٍ من مئة رجل ويضع كلّ مجموعةٍ على سفينةٍ مختلفة.

ستٌّ من هذه السُّفن ظلَّت معًا حتى أنزلَت راكبيها على سواحل (رأس الغضب)، في حين تخلَّفت الأربع الأخريات لكنهن سيصلن في النّهاية كما يُؤكّد القولانتينيُّون، وإن كان جريف يرى أن احتمال ضياعهن أو رسوهن في مكانٍ آخَر قائم أيضًا، وهو ما تركَ ستّمئة قوسٍ للجماعة، ولأجل هدفهم هذا اتّضح أن مئتي قوسٍ تكفي. قال لبالاك الأسود: «سيُحاوِلون إرسال غِدفان. راقِبوا بُرج المِايستر، هنا»، وأشارَ إلى الخارطة التي رسمَها في طين معسكَرهم مضيفًا: «أسقِطوا كلَّ طائرٍ يَخرُج من القلعة».

ردَّ رجل (جُزر الصَّيف): «هذا نفعله».

استخدمَ ثُلث رجال بالاك النُّشَّابيّات، وثُلثهم أقواس الشَّرق مزدوجة المنحنى المصنوعة من القرون والأوتار. أفضل من هذه الأقواس الطَّويلة الكبيرة المصنوعة من خشب الطُّقسوس التي يحملها الرُّماة ذوو الدِّماء الوستروسيَّة، والأفضل على الإطلاق الأقواس العظيمة المصنوعة من القلب الذَّهبي[(70)]. ويعزُّها بالاك الأسود نفسه وخمسون من رجاله أبناء (جُزر الصَّيف). وحده قوس من عظم التَّنانين من شأنه أن يبزَّ قوسًا من القلب الذَّهبي في طول المدى. أيًّا كانت الأقواس التي يحملونها فجميع رجال بالاك يتمتَّعون بالحنكة والبصر الحاد وأثبَتوا كفاءتهم في مئة معركةٍ وغارةٍ ومناوشة، وأثبتوها ثانيةً في (وكر الجَرافِن).

ترتفع القلعة على سواحل (رأس الغضب) فوق جُرفٍ شاهق من الصَّخر الأحمر القاني، محاط من ثلاث جهاتٍ بمياه (خليج السُّفن الغارقة) الجيَّاشة. يُدافِع عن المسلك الوحيد إليها مبنى بوَّابة يقع وراءه نتوء طويل عارٍ يُسمِّيه آل كونجتون «حَلق الجريفين»، ومن شأن محاولة اجتياز هذا الحَلق بالقوَّة أن تُكلِّف المهاجِمين كثيرًا من الدِّماء، لأن النتوء يكشفهم لحِراب وحجارة وسهام المدافِعين من البُرجين الدَّائريَّين على جانبَي بوَّابة القلعة الرَّئيسة، وما إن يَبلُغوا تلك البوَّابة يستطيع الرِّجال بالدَّاخل أن يصبُّوا الزَّيت المغلي على رؤوسهم.

توقَّع جريف أن يخسروا مئة رجلٍ أو أكثر.

وخسروا أربعةً.

سمحَ المدافعون عن القلعة للغابة بالطُّغيان على الحقل الواقع وراء مبنى البوَّابة، فتمكَّن فرانكلين فلاورز من استغلال الدَّغل في إخفاء رجاله وقيادتهم حتى مسافة عشرين ياردةً فقط من البوَّابة، قبل أن يَخرُجوا من بين الأشجار بالمِدَكِّ الذي صنعوه في المعسكَر. جلبَ ارتطام الخشب بالخشب رجلين إلى الشُّرفة، وأسقطَهما رُماة بالاك الأسود قبل حتى أن يَفرُكا أعيُنهما من آثار النَّوم. اتَّضح أن البوَّابة مغلقة ولكن غير موصدة، وانفتحَت مع الضَّربة الثَّانية، وبلغَ رجال السير فرانكلين منتصَف الحَلق قبل أن يُدوِّي بوق حربي بالإنذار من داخل القلعة.

حلَّق الغُداف الأول فيما ألقوا خطاطيفهم على السُّور الواقي، والثَّاني بعد لحظاتٍ قليلة، ولم يبتعد كلاهما أكثر من مئة ياردة قبل أن يُسقِطه سهم. قلبَ حارس بالدَّاخل دلوًا من الزَّيت على أول رجلٍ بلغَ البوَّابة، لكن بما أنه لم يجد وقتًا لتسخينه فقد أحدثَ الدَّلو نفسه ضررًا أكبر من محتوياته، وسرعان ما ارتفعَ صليل السُّيوف من غير موضعٍ في الشُّرفات. عبرَ رجال الجماعة الذَّهبيَّة من الثُّلمات وانطلقوا على مماشي الأسوار هاتفين: «*جريفين! جريفين!*»، صيحة الحرب العتيقة المميَّزة لعائلة كوننجتون، وهو ما زادَ المدافِعين ارتباكًا بالتَّأكيد.

انتهى الأمر خلال دقائق. قطعَ جريف الحَلق على متن جوادٍ حربي أبيض إلى جوار هاري ستريكلاند الشَّريد، وإذ اقترَبا من القلعة رأيا غُدافًا ثالثًا يطير من بُرج المِايستر، فقط ليُسقِطه بالاك الأسود نفسه. في السَّاحة أخبرَ السير فرانكلين فلاورز: «لا مزيد من الرَّسائل»، فكان الشَّيء التَّالي الذي طارَ من بُرج المِايستر هو المِايستر نفسه، وبدا من الطَّريقة التي رفرفَت بها ذراعاه كأنه طائر آخَر.

وضعَ هذا نهايةً للمقاومة كلِّها. ألقى الحُرَّاس المتبقُّون حِرابهم، وبهذه السُّرعة عادَت له (وكر الجَرافِن) وعادَ چون كوننجتون إلى مصاف اللوردات.

قال جريف: «سير فرانكلين، مشِّط الحصن والمطابخ وأخرِج كلَّ من تجد. مالو، افعل المِثل في بُرج المِايستر ومستودَع السِّلاح. سير برندل، الاسطبلات والسِّپت والثُّكنات. أخرِجوا الجميع إلى السَّاحة وحاوِلوا ألَّا تَقتُلوا أحدًا لا يصرُّ على الموت. إننا نُريد الظَّفر بأراضي العواصف، ولن نُحقِّق ذلك بالتَّذبيح. احرصوا على البحث تحت مذبح (الأُم)، فتحته سُلَّم خفي يقود إلى المخبأ السرِّي، وهناك آخَر تحت البُرج الشَّمال غربي يقود إلى البحر مباشرةً. لا تسمحوا لأحدٍ بالهرب».

قال فرانكلين فلاورز بحزم: «لن يَهرُب أحد يا سيِّدي».

شاهدَهم كوننجتون يهرعون لتنفيذ الأوامر، ثم أشارَ إلى النِّصف مِايستر قائلًا: «هالدون، تولَّ أمر المِغدفة. عندي رسائل سأرسلها اللَّيلة».

- «لنأمل أنهم تركوا لنا بضعة غِدفان».

حتى هاري الشَّريد أثارَت إعجابه سرعة نصرهم. «لم أحسب قَطُّ أن يتمَّ الأمر بهذه السُّهولة». قالها القائد العام إذ دخلا القاعة الكُبرى لإلقاء نظرةٍ على كُرسي الجريفين المذهَّب المنقوش الذي جلسَ وحكمَ من عليه خمسون جيلًا من عائلة كوننجتون.

- «سيزداد الأمر صعوبةً. حتى الآن أخذناهم على حين غرَّة، لكن ذلك لن يستمرَّ إلى الأبد، حتى إذا أسقطَ بالاكَ الأسود كلَّ غُدافٍ في البلاد».

تفحَّص ستريكلاند المعلَّقات الباهتة على الجُدران، والنَّوافذ المقنطَرة بألواحها العديدة من الزُّجاج ذي الشَّكل الماسي الملوَّن بالأحمر والأبيض، ورفوف الحِراب والسُّيوف والمطارق الحربيَّة، وقال: «دَعهم يأتون. يُمكن لهذا المكان أن يَصمُد أمام عشرين ضِعف أعدادنا ما دامَت عندنا مؤن كافية. وتقول إن هناك طريقًا للدُّخول والخروج من البحر؟».

- «بالأسفل. كهف خفي أسفل الجُرف لا يظهر إلَّا عند الجَزر». على أن كوننجتون لا ينوي أن «يدعهم يأتون». (وكر الجَرافِن) قويَّة لكن صغيرة، وما داموا لابثين هنا فسيبدون صغارًا أيضًا. لكن هناك قلعةً أخرى قريبةً، قلعةً أكبر كثيرًا مشهورةً بمناعتها. *إن أخذتها زُلزِلَت البلاد.* «بعد إذنك أيها القائد العام، السيِّد والدي مدفون تحت السِّبت، ومرَّت سنوات كثيرة جدًّا منذ دعوتُ له».

- «بالطَّبع يا سيِّدي».

لكن حين افترَقا لم يذهب چون كوننجتون إلى السِّپت، بل قادَته خُطاه إلى سطح البُرج الشَّرقي، أطول أبراج (وكر الجَرافِن)، وفي الطَّريق إلى أعلى تذكَّر مرَّاتٍ أخرى عرجَ فيها على هذه السَّلالم، مئة مرَّةٍ مع السيِّد والده الذي أحبَّ الوقوف والتَّطلُّع إلى الغابة والجروف والبحر عالمًا أن كلَّ ما يراه ينتمي إلى عائلة كوننجتون، ومرَّةً (مرَّةً واحدةً!) مع ريجار تارجاريَن. كان الأمير ريجار عائدًا من (دورن)، ومكثَ هو ومجموعته المصاحبة هنا أسبوعين. *كان صغيرًا للغاية آنذاك، وأنا أصغر. صبيَّيين كنا*. في مأدبة الاستقبال أمسكَ الأمير ڤيثارته ذات الأوتار الفضِّيَّة وغنَّى لهم. *أغنيَّة عن الحُبِّ والفَناء، وعندما وضعَ ڤيثارته كانت كلُّ امرأةٍ في القاعة تبكي*. ليس الرِّجال بالطَّبع، بالذَّات السيِّد والده الذي كانت الأرض محبوبته الوحيدة. أمضى اللورد آرموند كوننجتون الأمسيَّة كلَّها محاولًا كسب الأمير إلى صفِّه في نزاعٍ مع اللورد موريجن.

كان الباب المفضي إلى السَّطح محشورًا لدرجةٍ تقول بجلاءٍ إن أحدًا لم يفتحه منذ سنين، واضطرَّ إلى دفعه بكتفه ليفتحه عنوةً، لكن حين خرجَ چون كوننجتون إلى الشُّرفة وجدَ المشهد خلَّابًا كما يَذكُره تمامًا؛ الجُرف بصخوره التي نحتَتها الرِّياح وقممه المحزَّزة، وأمواج البحر بالأسفل تتناطَح وتنهش قدم القلعة كوحشٍ لا يكلُّ، وفراسخ بلا نهايةٍ من السَّماء والسَّحاب، والغابة بألوانها الخريفيَّة. حيث يقف چون الآن وقفَ ريجار وقال: «أراضي أبيك جميلة»، فردَّ الصَّبي الذي كانه: «يومًا ما ستكون لي كلُّها». *كأن من شأن هذا أن يُثير إعجاب أميرٍ هو وريث البلاد بأَسرها من (الكرمة) إلى (الجِدار)*.

صارَت (وكر الجَرافِن) له في النِّهاية، ولو أن ذلك لم يَدُم أكثر من أعوامٍ قصيرة. من هنا حكمَ چون كوننجتون أراضيَ واسعةً تمتدُّ فراسخ لانهائيَّة إلى الغرب والشَّمال والجنوب، تمامًا مِثل أبيه وجدِّه من قبله... إلَّا أن أباه وجدّه لم يفقدا أراضيهما قَطُّ، أمَّا هو ففقدَها. *شمختُ عاليًا جدًّا ووقعتُ في الغرام جدًّا وجرؤتُ على الكثير جدًّا. حاولتُ أن أختطف نجمًا من السَّماء وتجاوزتُ قُدرتي وسقطتُ.*

بعد معركة الأجراس، عندما جرَّده إيرس تارجاريَن من ألقابه وأرسلَه إلى المنفى في نوبةٍ مجنونة من الشَّكِّ والجحود، ظلَّت الأراضي واللورديَّة لعائلة كوننجتون، آيلةً إلى السير رونالد ابن عمِّه، الرَّجل الذي عيَّنه چون أمينًا للقلعة لدى ذهابه إلى (كينجز لاندنج) تلبيةً لدعوة الأمير ريجار. بعد الحرب أتمَّ روبرت تدمير الجَرافِن. سُمِحَ لرونالد ابن العمِّ الاحتفاظ بالقلعة ورأسه، لكنه خسرَ اللورديَّة ليُمسي منذ ذلك الحين فصاعدًا فارس (وكر الجَرافِن) فقط، وأُخِذَت منه تسعة أعشار أراضيه ووُزِّعَت على اللوردات المجاورين الذين دعموا روبرت في دعواه.

ماتَ رونالد كوننجتون قبل أعوام، ويُقال إن فارس (وكر الجَرافِن) الحالي -ابنه رونيت- غائب في الحرب في أراضي النَّهر. هذا أفضل، فطبقًا لخبرة چون كوننجتون يُقاتِل النَّاس دفاعًا عن الأشياء التي يرونها ملكهم، بما في ذلك الأشياء التي اكتسَبوها بالسَّرقة، ثم إنه لم يكن يستمرئ فكرة الاحتفال بعودته بقتل واحدٍ من أقاربه. صحيحٌ أن أبا رونيت الأحمر لم يتردَّد في استغلال سقوط ابن عمِّه اللورد، لكن ابنه كان طفلًا في ذلك الحين. لا يكره چون كوننجتون السير رونالد الرَّاحل للدَّرجة التي تتوقَّعها حتى، فالغلطة غلطته.

في (السِّيت الحجري) أفقدَه غروره كلَّ شيء.

كان روبرت باراثيون مختبئًا في مكانٍ ما في البلدة، جريحًا وحيدًا، وعرفَ چون كوننجتون هذا، كما عرفَ أن رأس روبرت على حربةٍ سيضع نهايةً للتَّمرُّد في التَّوّ واللَّحظة. كان شابًّا ومفعمًا بالكبرياء. وكيف لا؟ لقد سمَّاه الملك إيرس يدًا وأعطاه جيشًا، وعزمَ هو على إثبات جدارته بهذه الثِّقة، وبحُبِّ ريجار. سيَقتُل اللورد المتمرِّد بيده ويقتطع مكانًا لنفسه في كلِّ تواريخ (الممالك السَّبع).

وهكذا ذهبَ إلى (السِّيت الحجري) وطوَّق البلدة وبدأ البحث. من منزلٍ إلى منزلٍ ذهبَ فُرسانه وحطَّموا كلَّ بابٍ وفتَّشوا كلَّ قبو، بل وأرسلَ رجالًا يزحفون في البالوعات، وعلى الرغم من هذا ضلَّله روبرت. كان أهالي البلدة يُخفونه وينقلونه من مخبأ سرِّي إلى مخبأ سرِّي سابقين رجال الملك بخُطوةٍ كلَّ مرَّة. كانت البلدة بأكملها عُشًّا للخونة، وفي النِّهاية خبَّأوا الغاصِب في ماخور. أيُّ ملكٍ هذا الذي يختبئ وراء تنانير النِّساء؟ وبينما تواصلَ البحث وطالَ باغتَهم إدارد ستارك وهوستر تَلي بجيشٍ من المتمرِّدين، وتبعَت هذا الأجراس والمعركة، وخرجَ روبرت من الماخور بسيفٍ في يده، وكادَ يَقتُل چون نفسه على عتبة السِّپت القديم الذي استمدَّت البلدة منه اسمها.

طوال سنواتٍ بعدها قال چون كوننجتون لنفسه إن لا تثريب عليه، إنه فعلَ كلَّ ما يُمكن لأيِّ رجلٍ أن يفعله. جنوده فتَّشوا كلَّ حُفرةٍ وكوخ، وعرضَ هو أعفاءً ومكافآت، وأخذَ رهائن وعلَّقهم في أقفاص غِربان[71] وأقسمَ أنهم لن يأكلوا أو يشربوا حتى يأتيه أحد بروبرت، وكلُّ هذا بلا طائل. ذات ليلةٍ في عامه الأول في المنفى قال للقلب الأسود بإصرار: «لم يكن تايوين لانستر نفسه ليستطيع أن يفعل أكثر».

ردَّ مايلز توين: «في هذا جانبَك الصَّواب. لم يكن اللورد تايوين ليُكلِّف نفسه عناء البحث، بل كان ليُحرِق تلك البلدة وكلَّ مخلوقٍ حي فيها، الرِّجال والصِّبية والرُّضَّع، والفُرسان النُّبلاء والسِّپتونات المبجَّلين، والخنازير والعاهرات، والجرذان والمتمرِّدين. كان ليُحرِقهم عن بكرة أبيهم، وبعد أن تهمد النَّار ولا يتبقَّى إلَّا الجمر والرَّماد كان ليُرسِل رجاله ليجدوا رُفات روبرت باراثيون، ولاحقًا عند وصول ستارك وتَلي بجيشهما كان ليعرض على الاثنين العفو، وكانا ليقبَلا ويعود كلٌّ منهما إلى دياره وذيله بين ساقيه».

مائلًا على سور شُرفة أسلافه قال چون كوننجتون لنفسه متأمِّلًا: *لم يكن مخطئًا. لقد أردتُ الظَّفر بمجد قتل روبرت في نزالٍ فردي ولم أرد أن أسمَّى سفَّاحًا، ففرَّ مني روبرت وفتكَ بريجار في معركة (الثَّالوث)*، ثم قال بصوتٍ مسموع: «خذلتُ الأب لكنني لن أخذل الابن».

لدى نزوله كان رجاله قد جمعوا حامية القلعة والعوام النَّاجين في السَّاحة. على الرغم من أن السير رونيت غائب في مكانٍ ما شمالًا بالفعل مع چايمي لانستر فإن (وكر الجَرافِن) ليست خاليةً تمامًا من الجَرافِن. بين الأسرى شقيق رونيت الصَّغير رايموند وأخته ألايني وابنه الطَّبيعي، وهو صبي شرس أحمر الشَّعر اسمه رونالد ستورم. سيكونون رهائن مفيدين جميعًا إذا عادَ رونيت الأحمر وحاولَ استرداد القلعة التي سرقَها أبوه. أمرَ كوننجتون بوضعهم تحت الحراسة في البُرج الغربي، فأجهشَت الفتاة بالبُكاء، وحاولَ النَّغل أن يعضَّ أقرب حاملي الحِراب إليه، لكنه خاطبَهما بحدَّةٍ قائلًا: «كفى أنتما الاثنان. لن يمسَّ أيَّكم ضرر ما لم يتَّضح أن رونيت الأحمر أحمق كبير».

قلائل من الأسرى كانوا في الخدمة هنا وقت أن كان چون كوننجتون سيِّد القلعة؛ رقيب مسنٌّ إحدى عينيه عمياء، وغسَّالتان، وسائس كان عامل اسطبلٍ إبَّان ثورة روبرت، والطَّاهي الذي ازدادَ وزنه كثيرًا، وحدَّاد القلعة. أطلقَ جريف لحيته خلال الرِّحلة البحريَّة للمرَّة الأولى منذ سنواتٍ عدَّة، ولدهشته نما معظمها أحمر، ولو أن هنا وهناك يظهر القليل من الرَّماد وسط النَّار. مرتديًا سُترةً طويلةً من الأحمر والأبيض مطرَّزةً بالجريفينَيْن التَّوأمين المتواجهيْن رمز عائلته، يبدو كوننجتون نُسخةً أكبر سِنًّا وأشد صرامةً من اللورد الشَّاب الذي كان صديق الأمير ريجار ورفيقه... إلَّا أن أعيُن رجال ونساء (وكر الجَرافِن) رمقَته كأنه غريب.

أخبرَهم: «بعضكم سيعرف مَن أنا وبعضكم سيُدرِك هذا. أنا سيِّدكم الشَّرعي العائد من المنفى. أعدائي قالوا لكم إنني مِتُّ، لكن كلامهم مكذوب كما ترون. اخدِموني بإخلاصٍ كما خدمتم ابن عمِّي ولن يُصيب أيَّكم أذى».

أمرَهم بالتَّقدُّم واحدًا تلو الآخَر وسألَ كلًّا منهم عن اسمه ثم قال له أن يركع ويُقسِم له على الولاء، ولم يستغرق هذا طويلًا. لم يتبقَّ من جنود الحامية إلَّا أربعة، الرَّقيب الشَّيخ وثلاثة فِتية، وقد وضعوا سيوفهم عند قدميه وأقسَموا. لم يُناوِئه أحد، ولم يَمُت أحد.

ليلَتها أكلَ المنتصرون وليمةً من اللُّحوم المشويَّة والأسماك الطَّازجة، وشربوا نبيذًا أحمر فاخرًا من أقبية القلعة. ترأَّس چون كوننجتون الجلسة من على كُرسي الجريفين متقاسمًا المائدة العالية مع هاري ستريكلاند الشَّريد وبالاك الأسود وفرانكلين فلاورز والجَرافِن الثَّلاثة الصِّغار الذين أسَروهم. الأطفال من دمه، وشعرَ أن عليه أن يعرفهم، لكن حين أعلنَ النَّغل: «سيَقتُلك أبي» قرَّر كوننجتون أنه عرفَهم بما فيه الكفاية وأمرَ بعودتهم إلى محبسهم واستأذنَ في الانصراف.

غابَ هالدون النِّصف مِايستر عن المأدبة، ووجدَه اللورد چون في بُرج المِايستر منكبًّا على كومةٍ من الأوراق والخرائط المتناثرة حوله. سألَه كوننجتون: «تأمل أن تُحدِّد أين بقيَّة الجماعة؟».

- «ليتني أستطيعُ يا سيِّدي».

عشرة آلاف رجلٍ أبحَروا من (ڤولون ثيريس) بكامل أسلحتهم وخيولهم وأفيالهم، وحتى الآن لم يصل نِصف هذا العدد إلى (وستروس) في بُقعة الرَّسو المنتواة أو قُربها، مساحة مهجورة من السَّاحل على حافة (الغابة المطيرة)... الأراضي التي يعرفها چون كوننجتون جيِّدًا منذ كانت مِلكه.

قبل أعوامٍ قليلة ما كان ليجرؤ على الرَّسو في (رأس الغضب)، إذ كان لوردات العواصف شديدي الإخلاص لعائلة باراثيون والملك روبرت، لكن بعد مقتل روبرت وأخيه رنلي تغيَّر كلُّ شيء. ستانيس رجل أقسى وأبرد من أن يُلهِم النَّاس الإخلاص، حتى لو لم يكن في آخِر العالم، وليست عند أراضي العواصف أسباب تدعو لمحبَّة عائلة لانستر. ثم إن چون كوننجتون ليس معدوم الأصدقاء هنا. *سيتذكَّرني بعض اللوردات الأكبر سِنًّا، ومؤكَّد أن ابناءهم سمعوا القِصص ويعرف كلٌّ منهم ما جرى لريجار وابنه الرَّضيع الذي هشَّموا رأسه على حائطٍ حجري بارد.*

من حُسن طالعه أن سفينته كانت من أولى السُّفن التي بلغَت وجهتها، وبعدها كانت فقط مسألة إقامة معسكرٍ وحشد رجاله إذ ترجَّلوا من سُفنهم والحركة سريعًا قبل أن يُدرِك اللوردات المحليُّون خطرهم، وفي هذا أثبتَت الجماعة الذَّهبيَّة همَّتها وجَلَدها، فلم يروا لمحةً من الفوضى التي كانت لتُعطِّل زحفهم حتمًا بجيشٍ محشود على عجلةٍ من فُرسان أهالي البيوت والجنود المحليِّين. هؤلاء ورثة الفولاذ الأليم، والانضباط عندهم كلبن الأُم.

قال اللورد چون: «يُفترَض في مِثل هذا الوقت غدًا أن نكون مسيطرين على ثلاث قلاع». تُمثِّل القوَّة التي أخذَت (وكر الجَرافِن) رُبع قُوَّاتهم المتاحة، في حين تحرَّك السير تريستان ريڤرز إلى مقرِّ عائلة موريجن في (عُش الغِربان)، ولازويل پيك إلى معقل عائلة وايلد في (دار المطر)، كلٌّ منهما بالعدد نفسه من الرِّجال. ظلَّ باقي رجالهم في المعسكَر لحماية موقع الرَّسو والأمير تحت قيادة چوريس إدوريان أمين نقد الجماعة. يأمل أن تستمرَّ أعدادهم في الزِّيادة، فكلَّ يومٍ تصل سُفن جديدة. «ما زالَت خيولنا قليلةً للغاية».

قال النِّصف مِايستر يُذكِّره: «ولا أفيال». ولا واحد من الأكواج العظيمة التي تحمل الأفيال وصلَ بعدُ. آخِر مرَّةٍ رأوها كانت في (لِيس) قبل العاصفة التي بعثرَت نِصف الأسطول. «الخيول موجودة في (وستروس)، لكن الأفيال...».

- «... لا تهمُّ». لا شكَّ أن الحيوانات العظيمة مفيدة في معركةٍ يستعدُّ لها كلا الجيشين، لكنهم لن يستعدُّوا للقاء أعدائهم في الميدان قبل مُدَّة. «هل أخبرَتك هذه الأوراق بشيءٍ مفيد؟».

منحَه هالدون ابتسامةً رفيعةً، وأجابَ: «أوه، الكثير يا سيِّدي. آل لانستر يصنعون الخصوم بسهولةٍ لكن يبدو أنهم يجدون صعوبةً في الحفاظ على الأصدقاء. حِلفهم من آل تايرل يتآكَل حسب ما قرأته هنا. الملكة سرسي والملكة مارچري تتصارَعان على الملك الصَّغير ككلبتين تتشاجَران على عظمة دجاجة، وكلتاهما متَّهمة بالخيانة والفِسق. مايس تايرل تخلَّى عن حصار (ستورمز إند) ليزحف على (كينجز لاندنج) ثانيةً ويُنقِذ ابنته، وترك قوَّةً محدودةً لحبس رجال ستانيس داخل القلعة».

جلسَ كونِنجتون، وقال: «أخبِرني بالمزيد».

- «في الشَّمال يعتمد آل لانستر على آل بولتون، وفي أراضي النَّهر على آل فراي. كلتاهما عائلة شُهرتها بالخيانة والوحشيَّة ضاربة في القِدم. ما زالَ اللورد ستانيس باراثيون في تمرُّدٍ مفتوح، وحديديُّو الميلاد أولاد الجُزر انتخَبوا ملكًا بدورهم. لا أحد يَذكُر (الوادي) على الإطلاق، وهو ما يدلُّ لي على أن آل آرن لم يُشارِكوا في شيءٍ من هذا».

- «و(دورن)؟». (الوادي) بعيد، أمَّا (دورن) فقريبة.

- «ابن الأمير دوران الصَّغير خطبَ مارسلا باراثيون، وهو ما يُوحي بأن الدورنيِّين تحالَفوا مع عائلة لانستر، لكن أحد جيوشهم معسكِر في (طريق العظام) وجيش آخَر في (ممر الأمير)، ينتظران فقط...».

عقدَ حاجبيه متسائلًا: «ينتظران... ماذا؟». دون دنيرس وتنانينها (دورن) جوهريَّة لآمالهم. «اكتُب لـ(صنسپير). يجب أن يعرف دوران مارتل أن ابن أخته ما زالَ حيًّا وعادَ إلى الوطن ليستعيد عرش أبيه».

قال النِّصف مِايستر: «كما تقول يا سيِّدي»، ونظرَ إلى ورقةٍ أخرى مردفًا: «ما كنا لنجد توقيتًا أفضل لرسونا. هناك أصدقاء وحُلفاء محتمَلون لنا في كلِّ مكان».

عقَّب چون كوننجتون: «لكن لا تنانين، وللظَّفر بهؤلاء الحُلفاء علينا أن نجد شيئًا نُقدِّمه لهم».

- «الذَّهب والأرض المحفِّزان التَّقليديَّان».

- «ليتنا نملك ذلك أو تلك. قد تكفي الوعود بالأرض والذَّهب بعضهم، لكن ستريكلاند ورجاله سيتوقَّعون أن يكونوا أول من يَحصُل على أفضل الحقول والقلاع، تلك التي أُخِذَت من أسلافهم حين هربوا إلى المنفى. لا».

قال هالدون النِّصف مِايستر: «عند سيِّدي غنيمة يُقدِّمها بالفعل، يد الأمير إجون، تحالُف زواج يضمُّ إحدى العائلات الكُبرى إلى راياتنا».

عروس لأميرنا *النَّبيه*. يَذكُر چون كوننجتون زفاف الأمير ريجار بحذافيره. *لم تكن إليا تليق به قَطُّ. كانت هشَّةً سقيمةً من البداية، وأضعفَتها الولادة أكثر*. بعد ميلاد الأميرة ريينس ظلَّت أمُّها طريحة الفِراش نِصف عام، وكادَ مولد الأمير إجون يُجهِز عليها، وبعدها أخبرَ المِايستر الأمير ريجار بأنها لن تحمل مزيدًا من الأطفال.

قال كوننجتون للنِّصف مِايستر: «قد تعود دنيرس تارجاريَن إلى الوطن ذات يوم، ويجب أن يكون إجون أعزب ليتزوَّجها».

قال هالدون: «سيِّدي خير من يعلم. في تلك الحالة علينا أن نعرض على أصدقائنا المحتملين غنيمةً أقل قيمةً».

- «ماذا تقترح؟».

- «أنت. أنت أعزب، ولورد كبير مكتمل الرُّجولة ليس له ورثة إلَّا أولاد العمومة الذين نزعنا ملكيَّتهم اليوم، وسليل عائلةٍ عريقة يملك قلعةً أنيقةً حصينةً وأراضيَ شاسعةً خصبةً لا شكَّ أن ملكًا شكورًا سيُعيدها إليك وربما يُضيف إليها أيضًا بمجرَّد أن ننتصر. إن لك اسمًا كمُحارب، وباعتبارك يد الملك إجون ستتكلَّم بصوته وتَحكُم المملكة فعلًا إن لم يكن اسمًا. في تقديري ستجد لوردات طموحين كثيرين يتحمَّسون لتزويج بناتهم برجلٍ مِثلك، بل وربما أمير (دورن) نفسه».

كان جواب چون كوننجتون نظرةً طويلةً باردةً. أحيانًا يُحنِقه النِّصف مِايستر مِثل ذلك القزم. قال: «لا أظنُّ». *الموت يزحف على ذراعي. يجب ألَّا يعرف أيُّ رجل أبدًا، أو أيُّ زوجة*. نهضَ قائلًا: «جهِّز الرِّسالة للأمير دوران».

- «أمر سيِّدي».

نامَ كوننجتون ليلتها في غُرفة اللورد، في الفِراش الذي كان لأبيه من قبل، تحت مظلَّةٍ متربة من المخمل الأحمر والأبيض، واستيقظَ فَجرًا على صوت المطر المتساقط وطَرقةٍ خجول من خادمٍ يتطلَّع إلى معرفة ما يرغب فيه سيِّده الجديد على الإفطار. أجابَه: «بيض مسلوق وخُبز محمَّر وفاصوليا، وإبريق من النَّبيذ، أسوأ نبيذٍ في الأقبية».

- «الـ... الأسوأ يا سيِّدي؟».

- «كما سمعتني».

بعدما جلبَ له الخادم الطَّعام والنَّبيذ أوصدَ الباب وأفرغَ النَّبيذ في وعاءٍ ونقعَ فيه يديه. كان النَّقع في الخلِّ والاستحمام به الدَّواء الذي وصفَته الليدي ليمور للقزم حين خشَت أن يكون مصابًا بالدَّاء الأرمد، لكن طلب إبريقٍ من الخلِّ كلَّ صباحٍ سيشي بالحقيقة. على النَّبيذ أن يكفي، ولو أنه لا يرى سببًا لإهدار الأصناف الممتازة. أظفار أربعةٍ من أصابعه سوداء الآن، لكن المرض لم يصل إلى إبهامه بعدُ، وزحفَ الرَّمادي متجاوزًا المفصل الثَّاني من وُسطاه. *الواجب أن أقطعها، لكن كيف أفسِّرُ الأصابع المفقودة؟* ليس يجرؤ على أن يعلم أحد بإصابته بالدَّاء الأرمد. على الرغم من غرابة هذا فالرِّجال الذين يُواجِهون المعركة بنفسٍ رضيَّة ويُخاطِرون بالموت لإنقاذ رفيقٍ هُم أنفُسهم الرِّجال الذين سيَهجُرون الرَّفيق نفسه في غمضة عينٍ إذا عُرِفَت إصابته بالدَّاء الأرمد. *كان عليَّ أن أترك ذلك القزم يغرق.*

لاحقًا يومها، بعد أن ارتدى ثيابه ووضعَ قُفَّازيه، قامَ كوننجتون بجولة معاينة للقلعة وأرسلَ في طلب هاري ستريكلاند الشَّريد وقادته للانضمام إليه في مجلس الحرب. اجتمعَ تسعة منهم في غُرفته الشَّمسيَّة: كوننجتون وستريكلاند وهالدون النِّصف مِايستر وبالاك الأسود والسير فرانكلين فلاورز ومالو چيان والسير برندل بايرن وديك كول ولايموند پيز. حملَ النِّصف مِايستر أنباءً سارَّةً، وأخبرَهم: «بلغَ المعسكَر خبر من مارك ماندريك. القولانتينيُّون وضعوه على الشَّاطئ مع قُرابة خمسمئة رجلٍ في ما اتَّضح أنه (إسترمونت). لقد أخذَ (الحجر الأخضر)».

(إسترمونت) جزيرة عند (رأس الغضب)، ولم تكن قَطُّ من أهدافهم. قال فرانكلين فلاورز: «القولانتينيُّون الملاعين متلهِّفون على التَّخلُّص منا فيُلقوننا على شاطئ أيِّ قطعة أرضٍ يرونها. أراهنُ أن فِتيتنا مشتَّتون في جميع أنحاء (الأعتاب) أيضًا».

أضافَ ستريكلاند بنبرةٍ محزونة: «بأفيالي». يفتقد هاري الشَّريد أفياله حقًّا.

قال لايموند پيز: «لم يكن مع ماندريك رُماة. هل نعرف إن كانت (الحجر الأخضر) قد أطلقَت طيورًا قبل سقوطها؟».

قال چون كوننجتون: «أتوقَّعُ هذا، لكن ما الرَّسائل التي حملَتها؟ في أحسن الأحوال سيكون كلامًا مشوَّشًا عن مُغيرين من البحر». قبل إبحارهم من (ڤولون ثيريس) أملى على قادته ألَّا يرفعوا راياتٍ خلال هجماتهم الأولى، لا تنِّين الأمير إجون ثُلاثي الرُّؤوس ولا جَرافِن كوننجتون نفسه ولا الجماجم وأعلام المعركة الذَّهبيَّة الخاصَّة بالجماعة. فليشكُّ آل لانستر في ستانيس باراثيون أو قراصنة (الأعتاب) أو خارجين عن القانون من الغابات أو في أيِّ أحدٍ آخَر يُريدون إلقاء اللَّوم عليه. إذا كانت التَّقارير التي تَبلُغ (كينجز لاندنج) مرتبكةً متضاربةً فهذا أفضل كثيرًا. كلَّما تأخَّرت ردَّة فعل العرش الحديدي حظوا بوقتٍ أطول لجمع قُوَّاتهم وضمِّ الحُلفاء إلى قضيَّتهم. «المفترَض أن في (إسترمونت) سُفنًا. إنها جزيرة. هالدون، أرسِل خبرًا لماندريك بأن يَترُك حاميةً في القلعة ويأتي ببقيَّة رجاله إلى (رأس الغضب)، بالإضافة إلى أيِّ أسرى نُبلاء».

- «كما تأمر يا سيِّدي. يتصادَف أن بين عائلة إسترمونت وكلا الملكين روابط دم. سينفعنا هؤلاء الرَّهائن».

قال هاري الشَّريد بسعادة: «ستنفعنا فدياتهم».

أعلنَ اللورد چون: «حانَ الوقت لأن نُرسِل في استدعاء الأمير إجون أيضًا. سيكون أكثر أمنًا هنا وراء أسوار (وكر الجِرافِن) من المعسكَر».

قال فرانكلين فلاورز: «سأرسلُ خيَّالًا، لكن اعلم أن الفتى لن يحبَّ فكرة البقاء في أمان. إنه يُريد أن يكون في قلب الأحداث».

فكَّر اللورد چون متذكِّرًا: *كلُّنا كنا كذلك ونحن في سِنِّه*.

سألَ پيز: «هل آنَ أوان رفع رايته؟».

- «ليس بعدُ. فلنَترُك (كينجز لاندنج) تظنُّ أنه ليس أكثر من لورد منفي عادَ إلى الوطن ببعض المأجورين ليستردَّ حقَّه بالميلاد. إنها قصَّة قديمة مألوفة. سأكتبُ أيضًا للملك تومن أبلغه بهذا وأطلبُ العفو وإعادة أراضيّ وألقابي. سيُعطيهم هذا شيئًا يتروَّون في التَّفكير فيه بعض الوقت، وفيما يتحيَّرون ويتردَّدون سنُرسِل سرًّا إلى الأصدقاء المحتملين في أراضي العواصف و(المرعى)، وفي (دورن) أيضًا». هذه هي الخُطوة الجوهريَّة. قد ينضمُّ إليهم لوردات أدنى شأنًا خشية الأذى أو أملًا في المكسب، لكن وحده أمير (دورن) يملك القُدرة على تحدِّي عائلة لانستر وحُلفائها. «أكثر من كلِّ مَن عداه يجب أن نحظى بدعم الأمير دوران».

علَّق ستريكلاند: «فُرصة ضئيلة. ذلك الدورني يخاف ظِلَّه، ليس رجلًا يُدعى بالجرأة».

ليس أكثر منك. «الأمير دوران رجل حذِر، صحيح، ولن ينضمَّ إلينا أبدًا ما لم يقتنع بأننا سننتصر، ولذا علينا أن نُبَرهِن له على قوَّتنا لنُقنِعه».

- «إذا نجحَ بِيك وريڤرز فسنتحكَّم في السَّواد الأعظم من (رأس الغضب). أربع قلاع في أربعة أيام بداية رائعة، لكن نِصف قوَّتنا لم يكتمل بعدُ. علينا أن ننتظر بقيَّة رجالي. والخيول تَنقُصنا أيضًا، والأفيال. رأيي أن ننتظر، نستكمل قُوَّاتنا ونكسب بعض اللوردات الصِّغار وندع لايسونو مار يُرسِل جواسيسه ليجمعوا ما تُمكن معرفته عن أعدائنا».

رمقَ كوننجتون القائد العام الممتلئ بنظرةٍ باردة. *هذا الرَّجل ليس القلب الأسود أو الفولاذ الأليم أو ميليز. سينتظر حتى تتجمَّد الجحائم السَّبع جميعًا ليتحاشى الإصابة بمزيدٍ من القروح في قدميه.* «إننا لم نقطع نِصف العالم لننتظر. فُرصتنا الأفضل أن نوجِّه ضربتنا بسرعةٍ وقوَّة قبل أن تعرف (كينجز لاندنج) مَن نحن. إنني أنوي الاستيلاء على (ستورمز إند)، معقل شِبه منيع وآخِر موطئ قدمٍ لستانيس باراثيون في الجنوب. ما إن نأخذها فسنحظى بقلعةٍ آمنة يُمكننا الانسحاب إليها عند الحاجة، وسيُثبِت الظَّفر بها قوَّتنا».

تبادلَ قادة الجماعة الذَّهبيَّة النَّظرات، وقال برندل بايرن محتجًّا: «إذا كان مَن يحمون (ستورمز إند) رجالًا مخلصين لستانيس فسنأخذها منه لا من آل لانستر. لِمَ لا نتحالَف معه ضدهم؟».

أجابَ چون كوننجتون: «ستانيس أخو روبرت، من العائلة نفسها التي أطاحَت بآل تارجاريَن، وعلاوةً على ذلك ستانيس يَبعُد ألف فرسخ بما تبقَّى له من قوَّةٍ زهيدة. البلاد بأكملها بيننا. سيستغرق الوصول إليه فقط نِصف عام، وليس عنده ما يُقدِّمه لنا».

سألَ مالو: «إذا كانت (ستورمز إند) حصينةً فكيف تنوي الاستيلاء عليها؟».

- «بالخديعة».

خالفَه هاري ستريكلاند الشَّريد الرَّأي قائلًا: «علينا أن ننتظر».

نهضَ چون كوننجتون، وقال: «سننتظر... عشرة أيامٍ لا أكثر. سيستغرق الإعداد هذه المُدَّة. في صبيحة اليوم الحادي عشر نركب إلى (ستورمز إند)».

وصلَ الأمير للانضمام إليهم بعد أربعة أيام راكبًا على رأس فِرقةٍ من مئة خيَّال تتبعهم ثلاثة أفيال في المؤخِّرة، وأتَت معهم الليدي ليمور التي عادَت ترتدي زِيَّ السِّپتوات، وأمامهما ركبَ السير رولي حقل البط بمعطفٍ أبيض ناصع على كتفيه.

فكَّر كوننجتون إذ شاهدَ البطَّة يترجَّل: *رجل صُلب وفي، لكنه لا يليق بالحَرس الملكي*. لقد بذلَ قصارى جهده لإقناع الأمير بالعدول عن إعطاء حقل البط معطفًا أبيض، مشيرًا إلى أن الأفضل حِفظ هذا الشَّرف لمُحاربين أذيع صيتًا يُضفي إخلاصهم بريقًا على قضيَّتهم، وللأبناء الأصغر للوردات كبار سيحتاجون إلى دعمهم في الصِّراع المقبل، لكن الفتى لم يتزحزَح، وقال: «البطَّة سيموت في سبيلي إذا لزمَ الأمر، وهذا هو كلُّ ما أطلبه من حَرسي الملكي. قاتِل الملك كان مُحاربًا ذائع الصِّيت وابن لورد كبير أيضًا».

على الأقل أقنعته بترك الأماكن السِّتة الأخرى شاغرةً، وإلَّا لوجدنا ستَّة أفراخ بطٍّ صغيرة ماشيةً وراء رولي، كلٌّ منها كُفء مقبول. قال آمرًا: «اصحبوا سموَّ الأمير إلى غُرفتي الشَّمسيَّة في الحال».

على أن الأمير إجون تارجاريَن ليس مطواعًا على الإطلاق كالفتى الذي كانه جريف الصَّغير، إذ مرَّ ما يَقرُب من ساعةٍ قبل أن يصل إلى الغُرفة الشَّمسيَّة وإلى جواره البطَّة، ويقول: «لورد كوننجتون، تُعجِبني قلعتك».

قال: «أراضي أبيك جميلة»، وكان شَعره الفضِّي يخفق في الرِّيح، وعيناه أرجوانيَّتين عميقتين، أدكن من عينَي هذا الفتى.
«وتُعجِبني أيضًا يا سموّ الأمير. تفضَّل بالجلوس. سير رولي، لن نحتاج إليك ثانيةً الآن».

قال الأمير: «لا، أريدُ أن يبقى البطَّة»، وجلسَ مردفًا: «تكلَّمنا مع ستريكلاند وفلاورز. أخبرانا بالهجوم الذي تُخطِّط له على (ستورمز إند)».

لم يُبدِ چون كوننجتون غضبه، وقال «وهل حاولَ هاري الشَّريد إقناعك بتأجيله؟».

أجابَ الأمير: «نعم في الحقيقة، لكنني لن أفعل. هاري امرأة عجوز عانس، أليس كذلك؟ أنت محق يا سيِّدي. أريدُ أن نشنَّ هذا الهجوم... مع تغييرٍ واحد. إنني أنوي قيادته».

---

(70) القلب الذَّهبي نوع من الخشب الممتاز النَّادر يأتي من (جُزر الصَّيف). (المُترجم).

(71) أقفاص الغِربان وسيلة قديمة للإعدام أو التَّشهير ترجع في عالم الواقع إلى ما قبل الميلاد، فكان المجرمون يُحبَسون في أقفاص ضيِّقة للغاية من الحديد تشهيرًا بهم أمام العوام، أو يُشنَقوا أو يُترَكوا ليموتوا جوعًا وعطشًا ليكونوا عبرةً. (المُترجم).

أقامَ رجال الملكة المحرقة على خُضرة القرية.

أم على بياض القرية بالأحرى؟ يرتفع الثَّلج حتى الكاحل في كلِّ مكانٍ باستثناء البقاع التي جرفَه فيها الرِّجال ليصنعوا حُفرًا في الأرض المتجمّدة بالبلطة والرَّفش والمعول، ولم تزل الرِّيح تهبُّ بقوَّةٍ من الغرب دافعةً المزيد من الثَّلج على سطح البُحيرتين المتجلِّد.

قالت آلي مورمونت: «لستِ تُريدين مشاهدة هذا».

- «نعم، لكنني سأشاهده». آشا جرايچوي ابنة الكراكِن وليست فتاةً مدلَّلةً لا تُطيق النَّظر إلى القُبح.

كان نهارًا من الظَّلام والبرد والجوع كسابِقه وسابِق سابِقه، قضيَتا أغلبه على الجليد ترتجفان إلى جوار حُفرتين صنعَتاهما في صُغرى البُحيرتين المتجلِّدتيْن وألقيَتا فيهما صنارتيْن وأمسكَتاهما بأيادٍ مقفَّزة خرقاء. منذ فترةٍ ليست بالطَّويلة كان بإمكان كلٍّ منهما الاعتماد على صيد سمكةٍ أو اثنتين، كما أن رجال (غابة الذِّئاب) الأكثر خبرةً في الصَّيد في الجليد اعتادوا صيد أربعٍ أو خمس. أمَّا اليوم فكلُّ ما عادَت به آشا برودة تغلغلَت فيها حتى النُّخاع، ولم تُبلِ آلي بلاءً أحسن. ثلاثة أيامٍ مرَّت منذ صادَت أيُّهما سمكةً.

حاولَت الدُّبَّة إثناءها ثانيةً بقولها: «أنا لا أريدُ مشاهدة هذا».

ليست أنتِ مَن يُريد رجال الملكة إحراقها. «اذهبي إذن. لكِ كلمتي، لن أهرب. أين سأذهبُ؟ إلى (وينترفل)؟»، وضحكَت آشا مضيفةً: «يقولون لي إنها تَبعُد ثلاثة أيام من الرُّكوب لا أكثر».

شاهدَت ستَّةً من رجال الملكة يُكافِحون لوضع عمودين ضخمين من خشب الصَّنوبر في حُفرتين حفرَهما ستَّة آخَرون من رجال الملكة، غير أن آشا ليست مضطرَّةً إلى السُّؤال عن الغرض منهما، لأنها تعرفه. *وتدان*. قريبًا سيحلُّ اللَّيل، ولا بُدَّ من إطعام الإله الأحمر. سمَّاه رجال الملكة قُربانًا من الدَّم والنَّار، «*ليَنظُر إلينا إله الضِّياء بعينه النَّاريَّة ويُذيب هذه الثُّلوج الملعونة ثلاثًا*».

أخبرَ السير جودري فارنج الرِّجال الذين اجتمَعوا لمشاهدة الوتديْن يُدَقَّان في الحُفرتين: «حتى في مكان الخوف والظُّلمة هذا يحمينا إله الضِّياء».

قال آرتوس فلينت الذي تُغطِّي لحيته قشرة جليديَّة: «ما علاقة إلهكم الجنوبي بالثَّلج؟ إنها غضبة الآلهة القديمة التي حلَّت علينا، وهي مَن علينا أن نسترضي».

قال الدَّلو الكبير وول: «أجل. رالوو الأحمر لا يعني شيئًا هنا. ستُثيرون غضب الآلهة القديمة فحسب. إنها تُشاهِد من جزيرتها».

تقع قرية المُزارعين بين بُحيرتين، كُبراهما مرقَّطة بجُزرٍ مشجرة صغيرة تخترق الجليد كقبضتَي عملاقٍ غارقٍ ما، وعلى واحدة من هذه الجُزر ترتفع شجرة ويرووِد عتيقة ملتوية، جذعها وفروعها ببياض الثَّلج المحيط بها. قبل ثمانية أيامٍ ذهبَت آشا إليها مع آلي مورمونت لتُلقي نظرةً من كثب على عينيها الحمراوين المشقوقتين طوليًّا وفمها الدَّامي، ولمَّا رأت الحُمرة قالت لنفسها: *إنه النُّسغ فقط، النُّسغ الأحمر الجاري داخل أشجار الويرووِد هذه*، إلَّا أن عينيها لم تقتنعا، فالتَّصديق من الرُّؤية، وما رأتاه كان دمًّا متجلِّطًا.

قال كورليس پني بإصرار: «أنتم أيها الشَّماليُّون مَن اجتلَبتم علينا هذه الثُّلوج، أنتم وأشجاركم الشَّيطانيَّة. راهلور سيُنقِذنا».

ردَّ آرتوس فلينت: «راهلور سيُهلِكنا».

فكَّرت آشا جرايچوي: *اللَّعنة على آلهتكم جميعًا*.

عاينَ السير جودري قاتِل العمالقة الوتديْن ودفعَ أحدهما ليستوثق من ثباته، ثم قال: «عظيم، عظيم. سيَصلُحان. سير كلايتون، اجلب القُربان».

السير كلايتون سوجز يد جودري اليُمنى القويَّة. *أم ذراعه الضَّامرة بالأحرى؟* لا تحبُّ آشا السير كلايتون، فلئن بدا فارنج شديد التَّفاني في عبادة إلهه الأحمر فسوجز -ببساطة- غليظ القلب. لقد رأته عند النَّار اللَّيليَّة وراقبَته إذ يقف بشفتين منفرجتين وعينين نهِمتين وتوصَّلت إلى الخُلاصة. *ليس الإله ما يحبُّ وإنما اللَّهب*. حين سألَت السير چاستن إن كان سوجز هكذا دومًا كشَّر وأجابَ: «في (دراجونستون) تعوَّد مراهنة المعذَّبين ومساعدتهم في استجواب السُّجناء، خصوصًا إذا كان السَّجين امرأةً شابَّةً».

لم تندهش آشا، ولا شكَّ لديها في أن سوجز سيجد لذَّةً خاصَّةً في إحراقها. *ما لم تخمد العاصفة*.

يَبعُدون ثلاثة أيامٍ عن (وينترفل) منذ تسعة عشر يومًا. *مئة فرسخٍ من (ربوة الغابة) إلى (وينترفل)، ثلاثمئة ميل بسرعة طيران الغُداف*. لكن لا أحد منهم غُداف، والعاصفة لا ترقُّ ولا تلين. كلَّ صباحٍ تصحو آشا آملةً أن ترى الشَّمس، فقط لتُواجِه يومًا آخَر من الثُّلوج. دفنَت العاصفة كلَّ كوخٍ وسقيفةٍ تحت كومةٍ من الثَّلج المتَّسخ، وقريبًا سترتفع الأكوام حتى تبتلع القاعة الطَّويلة أيضًا.

وليس هناك طعام غير خيولهم المتداعية وأسماك البُحيرتين -التي تقلُّ كلَّ يوم- وما يجده باحثوهم من قوتٍ شحيح في هذه الغابة الباردة الميتة. يستحوذ لوردات الملك وفُرسانه على نصيب الأسد من لحم الخيل، وعليه لا يتبقَّى إلّا أقل القليل للرِّجال العوام، فلا عجب إذن أنهم بدأوا يأكلون موتاهم.

ارتاعَت آشا كالآخَرين حين أخبرَتها الدُّبَّة بأن أربعةً من رجال پيزبوري ضُبِطوا وهُم يجزرون أحد رجال اللورد فِل الرَّاحل، يُقطِّعون اللَّحم من فخذيه ومؤخِّرته فيما يُدوِّرون أحد ساعِديْه على سيخٍ فوق النَّار، لكنها لم تستطِع التَّظاهُر بالدَّهشة. ليس هؤلاء الأربعة أول من ذاقوا لحم البَشر خلال هذا الزَّحف الكئيب، وتُراهِن آشا على هذا، لكنهم -فقط- أول من يفتضح أمرهم.

بأمر الملك سيدفع رجال پيزبوري الأربعة ثَمن الوليمة بحياتهم... وسيُنهي إحراقهم العاصفة حسبما يَزعُم رجال الملكة. لا تُؤمِن آشا جرايچوي بإلههم الأحمر على الإطلاق، وعلى الرغم من هذا دعَت أن يكونوا محقِّين، وإن لم يَحدُث فسوف تُنصَب محارق أخرى، وقد ينال السير كلايتون سوجز مُنية فؤاده.

كان أكَلة لحم البَشر الأربعة عُراةً عندما ساقَهم السير كلايتون إلى الخارج، وقد رُبِطَت معاصمهم وراء ظهورهم بشرائط من الجِلد، وبكى أصغرهم إذ مشى في الثَّلج متعثِّرًا، في حين مشى اثنان آخَران كرجلين ماتا بالفعل مثبِّتيْن أعيُنهما على الأرض. أدهشَ آشا كم يبدو منظرهم تقليديًّا، وفكَّرت: *ليسوا وحوشًا. مجرَّد رجال.*

أكبر الأربعة سِنًّا رقيبهم، ووحده تمسَّك بالتَّحدِّي وراحَ يبخُّ الشُّموم على رجال الملكة إذ ساقوه واخزين إياه بحِرابهم. «عليكم اللَّعنة جميعًا، وعلى إلهكم الأحمر أيضًا. هل تسمعني يا فارنج؟ قاتِل العمالقة؟! لقد ضحكتُ عندما ماتَ ابن عمِّك المأفون يا جودري. كان علينا أن نأكله أيضًا. كانت رائحته شهيَّةً حين شووه. أراهنُ أن الصَّبي كان طريًّا مليئًا بالعُصارة». أسقطَت ضربة من كعب حربةٍ الرَّجل على رُكبتيه لكنها لم تُخرِسه، ولمَّا نهضَ بصقَ مِلء فمه دمًا وأسنانًا مكسورةً، وواصلَ: «القضيب ألذ عُضو حين يُشوى على السِّيخ. إصبع سجق صغير سمين». حتى عندما قيَّدوه بالسَّلاسل تابعَ صياحه المحموم: «كورليس پني، تعالَ هنا. أيُّ اسمٍ پني هذا؟ أهذا هو الأجر الذي كانت أمُّك تَطلُبه؟ وأنت يا سوجز أيها الوغد الملعون، إنك...».

لم ينبس السير كلايتون بكلمة. ضربة واحدة سريعة من سيفه شقَّت حَلق الرَّقيب مفجِّرةً فيضانًا من الدَّم على صدره.

اشتدَّ بُكاء الرَّجل الباكي وأخذَ جسده يهتزُّ مع كلِّ نشيج. كان بالغ النُّحول لدرجة أن باستطاعة آشا أن تعدَّ ضلوعه واحدًا واحدًا. متوسِّلًا قال: «لا، أرجوكم، الرَّجل كان ميتًا، كان ميتًا وكنا جياعًا، أرجوكم...».

قالت آشا لآلي مورمونت: «كان الرَّقيب الذَّكي بينهم، استفزَّ سوجز حتى قتلَه»، وتساءلَت إن كانت الحيلة نفسها ستنطلي عليه مرَّتين إذا جاءَ عليها الدَّور.

قُيِّدَ الضَّحايا الأربعة ظَهرًا إلى ظَهر، اثنين إلى كلِّ وتد، وهناك عُلِّقوا، ثلاثة رجال أحياء وواحد ميت، فيما كوَّم عباد إله الضِّياء المؤمنون الجذوع المفلوقة والفروع المكسورة تحت أقدامهم ثم سكبوا عليها زيت المصابيح. فعلوا هذا بسرعة، فالثَّلج ينهمر بكثافةٍ كالعادة، وسرعان ما سيبتلُّ الحطب.

سألَ السير كورليس پني: «أين الملك؟».

قبل أربعة أيامٍ استسلمَ أحد مُرافقي الملك للبرد والجوع، صبي اسمه برايان فارنج كان من أقارب السير جودري. ووقفَ ستانيس باراثيون متجهِّم القسمات عند المحرقة الجنائزيَّة إذ التهمَ اللَّهب جسد الصَّبي، وبعدها انسحبَ الملك إلى بُرج المراقبة ولم يَخرُج منذ ذلك الحين... ولو أنهم يرون جلالته بين الحين والآخَر على قمَّة البُرج وقد حدَّدت جسده نار المنارة المشتعلة ليل نهار. يقول بعضهم: *يُكلِّم الإله الأحمر*، ويقول آخَرون بإصرار: *يُهيب بالليدي مليساندرا أن تُعيننا*. في كلتا الحالتين يبدو لآشا جرايچوي أن الملك ضائع ويستغيث.

قال السير جودري لأقرب رجلٍ مسلَّح إليه: «كانتي، اذهب وجِد الملك وأخبِره بأن كلَّ شيءٍ جاهز».

ردَّ صوت ريتشارد هورپ: «الملك هنا».

فوق درعٍ من صفائح وحلقات المعدن يرتدي السير ريتشارد سُترته المبطَّنة المزركشة بعُثث رأس الموت الثَّلاث على خلفيَّةٍ بلون العظم والرَّماد. سارَ الملك ستانيس إلى جواره، ووراءهما محاولًا مجاراتهما بصعوبةٍ يعرج آرنولف كارستارك متَّكئًا على عُكَّازٍ من خشب البرقوق. وجدَهم اللورد آرنولف قبل ثمانية أيام، وجلبَ الشَّمالي معه ابنًا وثلاثة أحفادٍ وأربعمئةً من حاملي الحِراب وأربعين من الرُّماة ودستةً من الخيَّالة حاملي الرِّماح ومِايستر وقفصًا من الغِدفان... لكن ما جلبَه من مؤنٍ يكفي رجاله فقط.

علمَت آشا أن كارستارك ليس لورد حقًّا وإنما مجرَّد أمين القلعة في (كارهولد) ما دامَ السيِّد الفعلي أسيرًا عند آل لانستر. الرَّجل ضاوٍ محنيُّ الظَّهر، كتفه اليُسرى أعلى من اليُمنى بنِصف قدم، وله عُنق ناحل وعينان رماديَّتان ضيِّقتان وأسنان صفراء، ولا يفصله عن الصَّلع التَّام إلَّا شعرات بيضاء قليلة، ويتقاسَم الأبيض والرَّمادي لحيته المتشعِّبة المشعثة. تراءى لآشا أن في ابتسامته شيئًا ما كريهًا، لكن إن صحَّ الكلام الدَّائر فكارستارك هو من سيَحكُم (وينترفل) إذا أخذوها. في مرحلةٍ ما من الماضي الغابر نبتَ فرع عائلة كارستارك من شجرة عائلة ستارك، وكان اللورد آرنولف أول من أعلنَ تأييده ستانيس من حمَلة راية إدارد ستارك.

على حدِّ علم آشا آلهة آل كارستارك هي آلهة الشَّمال القديمة، الآلهة التي يشتركون في عبادتها مع آل وول ونوري وفلينت وعشائر التِّلال الأخرى. تساءلَت إن كان اللورد آرنولف قد جاءَ يُشاهِد الحريق نزولًا عند رغبة الملك ليشهد قوَّة الإله الأحمر بنفسه.

لدى مرأى ستانيس بدأ اثنان من الرِّجال المقيَّدين إلى الوتديْن في توسُّل الرَّحمة، وأصغى الملك صامتًا مطبقًا فكَّه، ثم قال لجودري فارنج: «يُمكنكم البدء».

رفعَ قاتِل العمالقة ذراعيه صائحًا: «أيا إله الضِّياء، اسمعنا».

وترنَّم رجال الملكة: «*أيا إله الضِّياء، دافِع عنا، فاللَّيل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال*».

رفعَ السير جودري رأسه إلى السَّماء المعتمة لتذوب رقائق الثَّلج على وجهه، وابتهلَ: «نَشكرُك على الشَّمس التي تُدفِّئنا ونُصلِّي أن تُعيدها إلينا يا إلهنا لتُنير طريقنا إلى أعدائك. نَشكرُك على النُّجوم التي تَحرُسنا ليلًا ونُصلِّي أن تُمزِّق السِّتار الذي يُخفيها لنتنعَّم بمنظرها من جديد».

وترنَّم رجال الملكة: «*أيا إله الضِّياء، احمِنا وأبعِد عنا الظُّلمات الآبدة*».

تقدَّم السير كورليس بِني ممسكًا مشعلًا بكلتا يديه ودوَّره حول رأسه في دائرةٍ مؤجِّجًا اللَّهب، وبدأ أحد المقبوض عليهم ينتحب.

وغنَّى السير جودري: «أيا راهلور، نُعطيك الآن أربعة رجالٍ أشرار. بقلوبٍ سعيدة مخلصة نُعطيهم لنارك المطهِّرة ليحترق الظَّلام في أنفُسهم. فليتفحَّم لحمهم الحقير ويسودّ لتزهق أرواحهم حُرَّةً نقيَّةً وتسمو إلى النُّور. تقبَّل دماءهم يا إلهنا وأذِب الأغلال الجليديَّة التي تُقيِّد خدمك. اسمع ألمهم وامنح سيوفنا القوَّة لنسفك دماء أعدائك. تقبَّل هذا القُربان وأرِنا الطَّريق إلى (وينترفل) لندحر الكافرين».

وردَّد مئة صوت: «*أيا إله الضِّياء، تقبَّل هذا القُربان*».

أوقدَ السير كورليس المحرقة الأولى بالمشعل، ثم ألقاه على حطب الثَّانية. بدأت خيوط قليلة من الدُّخان تتصاعَد، وبدأ المقبوض عليهم يَسعُلون، ثم ظهرَت ألسنة اللَّهب الأولى بخجل العذارى مندفعةً ومتراقصةً من الجذوع إلى السِّيقان، وخلال ثوانٍ احتوَت النَّار كلا الوتديْن.

صرخَ الفتى الباكي واللَّهب يلعق ساقيه: «كان ميتًا! وجدناه ميتًا... أرجوكم... كنا جائعين...»، ثم بلغَت النَّار خصيتيه، وإذ بدأ شَعر عانته يحترق ذابَت توسُّلاته في صرخةٍ طويلة واحدة بلا كلمات.

ذاقَت آشا جرايچوي المِرَّة في مؤخِّرة حَلقها. في (جُزر الحديد) رأت رُهبانًا من قومها يذبحون أقنانًا ويُعطون جُثثهم للبحر تكريمًا للإله الغريق، وعلى الرغم من قسوة ذلك فهذا أسوأ.

قالت لنفسها: *أغلِقي عينيكِ، صُمِّي أُذنيكِ، أشيحي بوجهكِ. يس عليكِ أن تري هذا*. كان رجال الملكة يُردِّدون أنشودة مديحٍ ما لراهلور الأحمر، لكنها لم تسمع ما يقولونه من فرط علوِّ الصَّريخ. لفحَ لهيب اللَّهب وجهها، وعلى الرغم من هذا ارتجفَت، وامتلأَ الهواء بالدُّخان ورائحة اللَّحم المحروق، ورأت إحدى الجُثث لا تزال تختلج في السَّلاسل الحامية التي تُقيِّدها إلى الوتد.

وبعد وقتٍ ما توقَّف الصَّريخ.

بصمتٍ ابتعدَ الملك ستانيس عائدًا إلى عُزلة بُرج المراقبة. *إلى نار المنارة بحثًا عن إجاباتٍ في اللَّهب*. بدأ آرنولف كارستارك يعرج وراءه، لكن السير ريتشارد هورپ أخذَه من ذراعه ووجَّهه نحو القاعة الطَّويلة، وبدأ المشاهدون يتفرَّقون، كلٌّ منهم إلى ناره وما قد يجده من عَشاءٍ غث.

وجدَت كلايتون سوجز يمشي إلى جانبها، ويسألها: «هل استمتعَت القحبة الحديديَّة بالعرض؟». من أنفاسه تفوح رائحة المِزر والبصل الكريهة. وله عينا خنزير... وهو ما يليق به، فعلى تُرسه وسُترته الطَّويلة خنزير مجنَّح. قرَّب سوجز وجهه من وجهها للغاية حتى أصبحَ بإمكانها أن تعدَّ الرُّؤوس السَّوداء على أنفه، وأضافَ: «سيكون الجمهور أكبر كثيرًا عندما تتلوَّين أنتِ على وتد».

ليس مخطئًا. الذِّئاب لا يُحبُّونها لأنها حديديَّة الميلاد ولا مناص من أن تُكفِّر عن جرائم قومها، ما فعلوه في (خندق كايلن) و(ربوة الغابة) و(مربَّع تورين)، والقرون الطَّويلة من الإغارة على (السَّاحل الحجري)، وما اقترفَه ثيون في (وينترفل).

- «ارفع يدك عني أيها الفارس». كلَّما كلَّمها سوجز اشتاقَت إلى فأسها. تبرع آشا في رقصة الأصابع كأيِّ رجلٍ في (جُزر الحديد)، وأصابعها العشرة الكاملة تُثبِت هذا. *كم أتمنَّى الرَّقص معه*. لبعض الرِّجال وجوه في أمس الحاجة إلى لحية، أمَّا وجه السير كلايتون ففي أمس الحاجة إلى فأسٍ بين عينيه. لكنها بلا فأسٍ ها هنا، ولذا فأفضل ما يُمكنها فِعله أن تُحاوِل التَّملُّص، غير أن هذا أدَّى فقط إلى إحكام السير كلايتون قبضته عليها أكثر، لتنغرس أصابعه المقفَّزة في لحم ذراعها كمخالب من حديد.

قالت آلي مورمونت: «سيِّدتي طلبَت منك أن تترُكها. خيرٌ لك أن تُصغي أيها الفارس. الليدي آشا ليست للحرق».

ردَّ سوجز: «ستكون كذلك. لقد أوينا عابدة الشَّياطين هذه بيننا طويلًا جدًّا»، لكنه تخلَّى عن ذراع آشا، فالمرء لا يستفزُّ الدُّبَّة بلا داعٍ.

تلك هي اللَّحظة التي اختارَ چاستن ماسي الظُّهور فيها بوجنتين محمرَّتين بردًا، وقال بابتسامةٍ تلقائيَّة: «الملك عنده خُطط أخرى لغنيمته الأسيرة».

أطلقَ سوجز نخير ازدراء، وقال: «الملك أم أنت؟ تواطأ كما تُريد يا ماسي، لكن مصيرها النَّار في النِّهاية، هي ودم الملوك في عروقها. في دم الملوك قوَّة كما اعتادَت المرأة الحمراء أن تقول، قوة تُرضي إلهنا».

- «فليرضَ راهلور بالأربعة الذين أرسلناهم إليه لتوِّنا».

- «أربعة فلَّاحين وضيعي الميلاد، قُربان شحَّاذين. حُثالة مِثلهم لن يُوقِفوا سقوط الثَّلج أبدًا، أمَّا هي فقد تفعل».

قالت الدُّبَّة: «وإذا أحرقتموها ولم يتوقَّف الثَّلج؟ مَن ستُحرِقون بعدها؟ أنا؟».

لم تستطِع آشا الاعتصام بالصَّمت أكثر من هذا، فقالت: «ولِمَ ليس السير كلايتون نفسه؟ قد يحبُّ راهلور واحدًا من عباده، رجلًا مؤمنًا يتغنَّى بمديحه فيما تلعق ألسنة اللَّهب قضيبه».

ضحكَ السير چاستن، وهو ما لم يُشارِكه فيه سوجز، الذي ردَّ: «استمتِع بقهقهتك يا ماسي. إذا استمرَّ الثَّلج في السُّقوط فسنرى من يضحك عندها»، وألقى نظرةً نحو الرِّجال الموتى على الوتديْن وابتسمَ، ثم ذهبَ ينضمُّ إلى السير جودري ورجال الملكة الآخَرين.

قالت آشا لماسي: «بطلي». يستحقُّ هذا على الأقل أيًّا كانت دوافعه. «شكرًا لك على إنقاذي أيها الفارس».

قالت الدُّبَّة: «لن يُكسِبك هذا أصدقاءً بين رجال الملكة. هل فقدت إيمانك براهلور الأحمر؟».

أجابَ ماسي وأنفاسه تَخرُج ضبابًا شاحبًا في الهواء: «فقدتُ إيماني بما هو أكثر من هذا، لكنني ما زلتُ أومنُ بالعَشاء. هلَّا انضمَمتما إليَّ يا سيِّدتَي؟».

هزَّت آلي مورمونت رأسها قائلةً: «ليست عندي شهيَّة».

- «ولا أنا، لكن الأفضل أن تبتلعي القليل من لحم الخيل رغم ذلك وإلَّا فقد تجدين نفسكِ قريبًا تتمنِّين لو أنكِ فعلتِ. حين خرجنا من (ربوة الغابة) كان معنا ثمانمئة حصان. ليلة البارحة كان العدد أربعةً وستِّين».

لم يصدمها هذا. جميع جيادهم الحربيَّة الكبيرة تقريبًا هلكَت، بما فيها جواد ماسي نفسه، ومعظم خيول الرُّكوب نفقَ أيضًا، وحتى خيول الشَّماليِّين المشعثة بدأت تكبو أيضًا من شدَّة الحاجة إلى العلف. ولكن فيمَ يحتاجون إلى خيول؟ ستانيس لم يَعُد ذاهبًا إلى أيِّ مكان، وغياب القمر والشَّمس والنُّجوم طالَ جدًّا حتى إن آشا بدأت تتساءَل إن كانت تلك الأجرام السَّماويَّة مجرَّد أضغاث أحلام. قالت: «أنا سآكلُ».

هزَّت آلي رأسها ثانيةً، وقالت: «أنا لن آكل».

قال لها السير چاستن: «دَعيني أعتني بالليدي آشا إذن. لكِ كلمتي، لن أسمح لها بالهرب».

أعطَته الدُّبَّة موافقتها على مضضٍ وقد صمَّت أُذنها عن نبرته المازحة، وافترقوا هناك، آلي إلى خيمتها، وآشا والسير چاستن إلى القاعة الطَّويلة التي لا تَبعُد كثيرًا، لكن أكوام الثَّلج عميقة، والرِّيح عاصفة، وقدمَي آشا قالبان من الجليد، ومع كلِّ خُطوةٍ تحسُّ بطعنة ألمٍ في كاحلها.

على الرغم من صِغرها ووضاعتها فالقاعة الطَّويلة أكبر بناءٍ في القرية، فاستحوذَ اللوردات والقادة عليها لأنفُسهم، في حين استقرَّ ستانيس في بُرج المراقبة على شاطئ البُحيرة. على جانبَي باب القاعة يقف حارسان مستنديْن إلى حربتين طويلتين، ورفعَ أحدهما سديلة الباب الملوَّثة بالشُّحوم لماسي، وقادَ السير چاستن آشا إلى نعمة الدِّفء بالدَّاخل.

تمتدُّ على جانبَي القاعة دِكك وموائد تكفي خمسين رجلًا، وإن انحشرَ ضِعف هذا العدد بالدَّاخل، وقد حُفِرَ خندق نارٍ في المنتصَف في الأرض التُّرابيَّة، وفي السَّقف بالأعلى صفٌّ من فتحات التَّهوية. تعوَّد الذِّئاب الجلوس على أحد جانبَي الخندق، والفُرسان واللوردات الجنوبيُّون على الجانب الآخَر.

يبدو الجنوبيُّون لآشا شرذمةً مزريةً مثيرةً للشَّفقة، عجافًا غائري الخدود، بعضهم شاحب مريض وبعضهم وجهه محمرٌّ لوَّحته الرِّيح. على النَّقيض، يبدو الشَّماليُّون بكامل صحَّتهم وعافيتهم، رجالًا كبار الحجم متورِّدي الوجوه لهم لحى كثيفة كالأدغال ويرتدون الفرو والحديد. قد يُعانون البرد والجوع أيضًا، لكن الزَّحف كان أسهل عليهم بخيولهم المشعثة وكفوف الدِّببة التي ينتعلونها.

خلعَت آشا قُفَّازيها الفرو جافلةً إذ ثنَت أصابعها وبسطَتها، وسرى الألم في ساقيها كلسانٍ من البرق إذ بدأت قدماها شِبه المتجمِّدتين تذوبان في الدِّفء. كان المُزارعون قد تركوا مخزونًا لا بأس به من الخُثِّ حين فرُّوا من القرية، فامتلأَ الهواء بالدُّخان ورائحة النَّجيل المحروق.

علَّقت معطفها على مشجبٍ بعد أن نفضَت الثَّلج العالق به، ووجدَ لهما السير چاستن موضعيْن على دِكَّةٍ وجلبَ لهما العَشاء المتكوِّن من المِزر وقِطع لحم الخيل المفحَّمة من الخارج والحمراء من الدَّاخل. أخذَت آشا رشفةً من المِزر وانقضَّت على اللَّحم، ومع أن القطعة أصغر من آخِر واحدةٍ أكلَتها فقد قرقرَ بطنها من الرَّائحة، وقالت والدَّم والدُّهن يسيلان على ذقنها: «أشكرك أيها الفارس».

قال ماسي: «چاستن. أنا مصرٌّ»، وقطَّع لحمه قطعًا صغيرةً وطعنَ إحداها بخنجره.

كان ويل فوكسجلوڤ جالسًا إلى المائدة يُخبِر الرِّجال حوله بأن ستانيس سيستأنف الزَّحف على (وينترفل) بعد ثلاثة أيام، وقد سمعَ هذا من أحد السَّاسة الذين يعتنون بخيول الملك. «جلالة الملك رأى النَّصر في نيرانه، نصرًا سيُغنُّون عنه ألف عامٍ في قلاع اللوردات وأكواخ الفلَّاحين على حدٍّ سواء».

رفعَ چاستن ماسي عينيه عن لحمه، وقال: «تعداد البرد بلغَ الثَّمانين ليلة أمس»، ونزعَ قطعةً من غُضروفٍ علقَت بأسنانه وألقاها إلى أقرب الكلاب مردفًا: «إذا زحفنا فسنموت بالمئات».

قال السير همفري كليفتون: «وسنموت بالآلاف إذا بقينا هنا. أقولُ إمَّا نُواصِل الزَّحف وإمَّا نموت».

- «وأردُّ نُواصِل الزَّحف ونموت. وإذا بلغنا (وينترفل) فماذا بعدُ؟ كيف نأخذها؟ نِصف رجالنا أضعف من أن يضعوا قدمًا أمام الأخرى. هل ستُرسِلهم يتسلَّقون الأسوار؟ يبنون أبراج الحصار؟».

قال الفارس العجوز الضَّخم السير أورموند وايلد: «علينا أن نبقى هنا حتى يتحسَّن الجوُّ».

سمعَت آشا شائعاتٍ عن بعض الجنود الذين يتراهَنون على أيِّ الفُرسان واللوردات العظام سيموت المرَّة التَّالية، ويبدو أن السير أورموند أبرز المرشَّحين. *وكم المبلغ الذي راهَنوا به عليَّ يا تُرى؟ قد تكون الفُرصة ما زالَت سانحةً لاشتراكي في الرِّهان.*

كان وايلد يقول بإصرار: «على الأقل هنا نحظى بمأوى، وفي البُحيرتين أسماك».

ردَّ اللورد پيزبوري بكآبة: «أسماك قليلة للغاية وصيَّادون كُثر للغاية». لكآبته سبب وجيه، فمَن أحرقَهم السير جودري منذ قليلٍ رجاله، وثمَّة بعض الرِّجال في هذه القاعة سمِعوا يقولون إن پيزبوري نفسه كان بالتَّأكيد على درايةٍ بما كانوا يفعلونه وربما شاركَهم ولائمهم أيضًا.

دمدمَ كشَّاف من (ربوة الغابة) اسمه ند وودز: «ليس مخطئًا». يُسمُّونه ند الأجدع، إذ أتَت قضمة الصَّقيع على طرف أنفه قبل شتاءيْن، ويُعَدُّ وودز مِن أفضل مَن يعرفون (غابة الذِّئاب) خير المعرفة، وحتى أعلى لوردات الملك كبرياءً تعلَّموا الإنصات إليه عندما يتكلَّم. «إنني أعرفُ هاتين البُحيرتين، وأنتم انقضَضتم عليهما بالمئات كاليرقات على جثَّة، وحفرتم حُفرًا كثيرةً جدًّا في الجليد حتى إنها لأعجوبة أن مزيدًا من الرِّجال لم يَسقُطوا فيها. عند الجزيرة بقاع تبدو كقطعةٍ من الجُبنة نخربَتها الجرذان»، وهزَّ وودز رأسه مضيفًا: «البُحيرتان فرغَتا، اصطدتم كلَّ ما فيهما من سَمك».

قال همفري كليفتون بإصرار: «وهو السَّبب الأدعى لمواصلة الزَّحف. إذا كان الموت مصيرنا لا ريب فلنَمُت شاهرين السُّيوف».

إنه النِّقاش نفسه كليلة أمس وليلة أول من أمس. *التَّقدُّم والموت، أو البقاء والموت، أو الانسحاب والموت*.

قال چاستن ماسي: «مُت إذا أحببت يا همفري، أمَّا أنا فأحبِّذُ أن أعيش وأرى ربيعًا آخَر».

ردَّ اللورد پيزبوري: «قد يصف بعضهم هذا بالجُبن».

- «الجُبن أفضل من أكل لحم البَشر».

انقلبَت سحنة پيزبوري في غضبٍ مفاجئ، وقال: «أيها الـ...».

- «الموت جزء من الحرب يا چاستن». كان السير ريتشارد هورپ واقفًا عند الباب وشَعره الأسود رطب من الثَّلج الذَّائب. «مَن يزحفون معنا سينالون حصَّةً من الغنائم التي سنأخذها من بولتون ونغله، وحصَّةً أكبر من المجد الخالد، وهؤلاء الذين أضعف من أن يزحفوا عليهم العناية بأنفُسهم، لكنني أعطيك كلمتي، بمجرَّد أن نأخذ (وينترفل) سنُرسِل إليكم طعامًا».

- «لن تأخذوا (وينترفل) أبدًا!».

- «بل سنفعل». جاءَ الصَّوت كقوقأة دجاجةٍ من المائدة العالية، حيث يجلس آرنولف كارستارك مع ابنه آرثور وأحفاده الثَّلاثة. دفعَ اللورد آرنولف نفسه إلى النُّهوض كعُقابٍ يرتفع عن فريسته، وقبضَ بيده المبقَّعة على كتف ابنه مستندًا، وتابعَ: «سنأخذها من أجل الند وابنته، أجل، ومن أجل الذِّئب الصَّغير الذي ذبحوه غيلةً. أنا ورجالي سنُريكم الطَّريق إذا دعَت الحاجة. هذا ما قلته لصاحِب الجلالة الملكيَّة، قلتُ له أن نزحف، وقبل أن يدور القمر سنتحمَّم جميعًا بدماء بولتون وفراي».

بدأ الرِّجال يدقُّون الأرض بأقدامهم والموائد بقبضاتهم، ولحظَت آشا أن أكثرهم شماليُّون، في حين جلسَ اللوردات الجنوب على جانب خندق النَّار الآخَر صامتين.

انتظرَ چاستن ماسي حتى هدأ اللَّغط، ثم قال: «شَجاعتك تُثير الإعجاب أيها اللورد كارستارك، لكن الشَّجاعة لن تخترق أسوار (وينترفل). أخبِرني، كيف تنتوي أخذ القلعة؟ بكُرات الثَّلج؟».

أجابَه أحد أحفاد اللورد آرنولف: «سنقطع الأشجار ونصنع مِدَكَّاتٍ لاقتحام البوَّابة».

- «وتموتون».

تكلّم حفيد آخَر: «سنصنع سلالم ونتسلَّق الأسوار».

- «وتموتون».

رفعَ آرثور كارستارك ابن اللورد آرنولف الصَّغير صوته قائلًا: «سنبني أبراج حصار».

ردَّ ماسي: «وتموتون وتموتون وتموتون»، ودوَّر عينيه في محجريهما استهجانًا، وأضافَ: «بحقِّ الآلهة، أأنتم مجانين جميعًا يا معشر كارستارك؟».

قال ريتشارد هورپ: «الآلهة؟ نسيت نفسك يا چاستن. إن لنا إلهًا واحدًا. لا تتكلَّم عن الشَّياطين في صُحبتنا هذه. وحده إله الضِّياء يُمكنه إنقاذنا الآن، ألا تُوافِقني؟»، ووضعَ يده على مقبض سيفه على سبيل التَّوكيد، لكن عينيه لم تبرحا وجه چاستن ماسي لحظةً.

وتحت هذه النَّظرة استكانَ السير چاستن، وقال: «إله الضِّياء، أجل. إيماني قوي كإيمانك يا ريتشارد، تعلم هذا».

- «ليست شَجاعتك ما أشكِّكُ فيه يا چاستن، ولا إيمانك. إنك لم تنفكَّ تتكلَّم عن الهزيمة منذ خرجنا من (ربوة الغابة)، وهو ما يجعلني أتساءَلُ في صفِّ مَن أنت».

قال ماسي والأحمر يزحف على عُنقه: «لن أبقى هنا وأقبل الإهانة»، وانتزعَ معطفه الرَّطب من على الحائط بعُنفٍ حتى إن آشا سمعَته يتمزَّق، ثم مرَّ بهورپ وخرجَ من الباب، وهبَّت دفقة من الهواء البارد داخل القاعة مطيِّرةً الرَّماد من خندق النَّار ومؤجِّجةً اللَّهب بعض الشَّيء.

فكَّرت آشا: *بهذه السُّهولة انكسرَ. بطلي من ورق.* وعلى الرغم من هذا فالسير چاستن أحد القلائل الذين قد يعترضون إذا حاولَ رجال الملكة إحراقها، وهكذا نهضَت وارتدَت معطفها وتبعَته إلى دمق العاصفة الثَّلجيَّة بالخارج.

قبل أن تبتعد عشر ياردات تاهَت. ما زالَت ترى نار المنارة على قمَّة بُرج المراقبة، لهبها البُرتقالي الخابي طافٍ في الهواء، لكن باستثناء هذا اختفَت القرية تمامًا، ووجدَت آشا نفسها وحيدةً في عالمٍ أبيض من الثَّلج والبرد، تخوض في أكوامٍ ترتفع حتى فخذيها. نادَت: «چاستن؟»، وما من مجيب. من مكانٍ ما إلى يسارها سمعَت حصانًا يصهل، ففكَّرت: *المسكين خائف. ربما يعرف أنه سيكون طعام العَشاء غدًا.*

أحكمَت معطفها على جسدها وتقدَّمت متعثِّرةً إلى خُضرة القرية على غير هُدى. لا يزال وتدا خشب الصَّنوبر قائميْن، مسودَّيْن متفحِّميْن لكن لم يحترقا عن آخِرهما، ورأت آشا أن السَّلاسل التي قُيِّدَ بها الموتى قد بردَت، وإن ظلَّت مثبِّتةً الجُثث إلى عناقها الحديدي الوثيق. كان غُداف جاثمًا على رأس إحداها ينتزع قطعًا من اللَّحم المحروق العالق بالجمجمة المسودَّة، وقد غطَّى الثَّلج المذروُّ الرَّماد عند قاعدة المحرقة وارتفعَ حول ساق الرَّجل الميت حتى الكاحل. *الآلهة القديمة تُريد دفنه. لم يكن هذا من صُنعها.*

وقال صوت كلايتون سوجز العميق من ورائها: «أمعِني النَّظر أيتها القحبة. ستبدين بالجَمال نفسه عندما تُشوين. أخبِريني، هل يستطيع الحبَّار الصُّراخ؟».

يا إله أسلافي، إن كنت تسمعني في أبهائك المائيَّة تحت الأمواج فهَب لي فأسًا صغيرةً واحدةً. لكن الإله الغريق لم يُجِبها، فنادرًا ما يُجيب. هذا هو عيب الآلهة. سألَته: «هل رأيت السير چاستن؟».

- «ذلك الأبله المختال؟ ماذا تُريدين منه أيتها القحبة؟ إذا كنتِ محتاجةً إلى مَن ينكحكِ فأنا أكثر رجولةً من ماسي».

قحبة ثانيةً؟ الغريب أن أمثال سوجز يستخدمون هذه الكلمة لامتهان النِّساء في حين أن الجزء الوحيد من المرأة الذي له قيمة عندهم بين ساقيها، وسوجز أسوأ من ليدل الأوسط. حين *يقول الكلمة فإنه يعنيها*. قالت تُذكِّره: «ملكك يخصي المغتصبين».

قهقه السير كلايتون، وقال: «الملك شِبه أعمى من فرط الحملقة إلى النَّار. لكن لا تخافي أيتها القحبة، فلن أغتصبكِ. سأضطرُّ إلى قتلكِ بعدها، وأفضِّلُ رؤيتكِ تحترقين».

صوت الحصان مرَّةً أخرى. «هل تسمع هذا؟».

- «أسمعُ ماذا؟».

أجابَت: «إنه حصان. لا، أحصنة، أكثر من واحد»، وأدارَت رأسها مرهفةً السَّمع. الثَّلج يفعل أشياء غريبةً بالأصوات، واستعصى عليها أن تُحدِّد اتِّجاه الصَّهيل.

قال سوجز عابسًا: «أهذه لُعبة حبابير ما؟ لستُ أسمعُ... تبًّا، إنهم خيَّالة!»، وتحسَّس حزام سيفه بيدين خرقاويْن في قُفّازيهما الجِلد المبطَّن بالفرو، وأخيرًا نجحَ في انتزاع سيفه الطَّويل من غِمده.

وعندها وصلَ إليهما الخيَّالة بالفعل.

خرجوا من العاصفة كفِرقةٍ من الأطياف، رجال كبار على خيولٍ صغيرة، وزادَهم حجمًا الفراء السَّميكة التي يرتدونها. على أوراكهم سيوف تُغنّي أغنيَّتها الفولاذيَّة الخافتة إذ تُصلصِل في الأغمدة، ورأت آشا فأسًا حربيَّةً مربوطةً إلى سَرج أحد الرِّجال، ومطرقةً حربيَّةً على ظَهر آخَر، ورأتهم يحملون التُّروس أيضًا، لكن الثَّلج والجليد يُخفيان الرُّموز عليها تمامًا. على الرغم من طبقات الصُّوف والفرو والجِلد المقوّى على جسدها شعرَت بالعُري، وقالت لنفسها: *بوق، أحتاج إلى بوقٍ لإنذار المعسكَر.*

زعقَ السير كلايتون: «اجري أيتها القحبة الحمقاء، اجري ونبِّهي الملك. اللورد بولتون يُهاجِمنا». قد يكون حيوانًا غاشمًا، لكن سوجز لا يفتقر إلى الشَّجاعة. بالسَّيف في يده تقدَّم في الثَّلج بخُطى واسعة واضعًا نفسه بين الخيَّالة وبُرج الملك الذي تتوهَّج منارته وراءه كعينٍ بُرتقاليَّة لإلهٍ غريب ما. «مَن هناك؟ توقَّفوا! **توقَّفوا!**».

توقَّف قائد الخيَّالة أمامه. وراءه آخَرون قد يَبلُغ عددهم العشرين. لا تملك آشا وقتًا لعدِّهم، فقد يكون هناك مئات غيرهم في العاصفة ينطلقون في أعقابهم، بل وقد يكون جيش رووس بولتون بأكمله يُداهِمهم الآن مستترًا بالظَّلام ودوَّامات الثُّلوج. لكن هؤلاء...

أكثر من أن يكونوا كشّافةً وأقل من أن يكونوا طليعة جيش.
واثنان منهم يرتديان أسود على أسود. أدركَت فجأةً أنهما من حَرس اللَّيل، ونادَت: «مَن أنتم؟».

أجابَها صوت شِبه مألوف: «أصدقاء. سعينا إليكم عند (وينترفل)، لكننا لم نجد إلّا أكل الغُراب أومبر يدقُّ الطَّبل ويَنفُخ في الأبواق. استغرقنا بعض الوقت حتى عثرنا عليكم»، ووثبَ الخيَّال من فوق سَرجه وأنزلَ قلنسوته وانحنى. لحيته كثَّة للغاية ومغطَّاة بالثَّلج للغاية حتى إن آشا لم تتعرَّفه لوهلة، ثم أتاها الإدراك، وقالت: «تريس؟!».

جثا تريستيفر بوتلي أمامها قائلًا: «سيِّدتي. البِكر هنا أيضًا، وروجون وجريمتونج وأبو أصابع وروك... ستَّة منا، كلٌّ من يقوون على الرُّكوب. كروم ماتَ متأثِّرًا بجراحه».

سألَ السير كلايتون سوجز: «ما هذا؟ أنتم من رجالها؟ كيف خرجتم من زنازين (ربوة الغابة)؟».

نهضَ تريس ونفضَ الثَّلج عن رُكبتيه مجيبًا: «سيبل جلوڤر تلقَّت عرضًا بفديةٍ سخيَّة مقابل إطلاق سراحنا واختارَت قبوله باسم الملك».

- «فدية؟ مَن يدفع مبلغًا سخيًا في حُثالة البحر؟».

- «أنا أيها الفارس». تقدَّم المتكلِّم بحصانه، رجل فارع جدًّا، نحيل جدًّا، طويل السَّاقين جدًّا حتى إنها لأعجوبة أنه لا يجرُّ قدميه جرًّا على الأرض. «احتجتُ إلى حراسةٍ قويَّة تصحبني إلى الملك بأمان، والليدي سيبل احتاجَت إلى تقليل ما تُطعِمه من أفواه». يُخفي ملامح الرَّجل الطَّويل وشاح، لكن على رأسه أغرب قُبَّعةٍ رأتها آشا منذ آخِر مرَّةٍ أبحرَت فيها إلى (تايروش)، بُرج عريض من قُماشٍ ناعم ما كثلاث أسطواناتٍ بعضها مرصوص فوق بعض. «قيلَ لي إنني قد أجد الملك ستانيس هنا. من الضَّروري للغاية أن أتكلَّم معه في الحال».

- «ومَن أنت بحقِّ الجحائم السَّبع اللَّعينة؟».

ترجَّل الطَّويل برشاقةٍ وخلعَ قُبَّعته الغريبة وانحنى مجيبًا: «يُشرِّفني أن أكون تايكو نستوريس، خادم متواضع لمصرف (براڤوس) الحديدي».

من بين كلِّ الأشياء الغريبة التي كانت لتَخرُج عليهم من قلب اللَّيل كان آخِر ما تتوقَّع آشا جرايچوي أن تراه صيرفيًّا من (براڤوس). الأمر عبثيٌّ للغاية حتى إنها ضحكَت رغم أنفها، وقالت: «الملك ستانيس اتَّخذ بُرج المراقبة مقرًّا. سيسرُّ السير كلايتون أن يصحبك إليه، أنا واثقة».

قال الصَّيرفي: «لُطف بالغ منه أن يفعل. الوقت جوهر المسألة»، ثم إنه تمعَّن في وجهها بعينين داكنتين ثاقبتين قائلًا: «أنتِ الليدي آشا سليلة عائلة جرايچوي ما لم أكن مخطئًا».

- «أنا آشا سليلة عائلة جرايچوي، أجل. الآراء تختلف حول كوني ليدي حقًّا».

ابتسمَ البراقوسي، وقال: «معنا لكِ هديَّة»، وأشارَ إلى الرِّجال وراءه مردفًا: «توقَّعنا أن نجد الملك في (وينترفل). هذه العاصفة الثَّلجيَّة ابتلعَت القلعة أيضًا للأسف. عند أسوارها وجدنا مورس أومبر بفِرقةٍ من الصِّبية الخُضر في انتظار وصول الملك. أعطانا هذين».

إذ أُلقِيَ الاثنان بوقاحةٍ في الثَّلج أمامها فكَّرت آشا: *فتاة ورجل* عجوز. كانت الفتاة ترتجف بعُنفٍ على الرغم مما ترتديه من فراء. لو لم تكن مرعوبةً للغاية هكذا لكان يُمكن وصفها بالجَمال، ولو أن طرف أنفها أسود من قضمة الصَّقيع. أمَّا العجوز... لا يُمكن أن يصفه أحد بالوسامة أبدًا، وقد رأت آشا فزَّاعاتٍ أكثر امتلاءً باللَّحم. وجهه جمجمة مغلَّفة بالجِلد، وشَعره أبيض كالعظم ومتَّسخ، ورائحته شنيعة! مجرَّد منظره ملأ آشا اشمئزازًا.

رفعَ عينيه قائلًا: «أختاه. أرأيتِ؟ هذه المرَّة تعرَّفتكِ».

كفَّ قلب آشا عن الخفقان لحظةً، وقالت: «ثيون؟!».

انسحبَت شفتاه في ما قد يكون ابتسامةً. نِصف أسنانه لم يَعُد هناك، والنِّصف الذي تبقَّى مكسَّر مشظًّى. ردَّد: «ثيون»، ثم أضافَ: «اسمي ثيون. يجب أن يعرف المرء اسمه».

البحر أسود والقمر فضِّي والأسطول الحديدي ينقضُّ على فريسته.

أبصَروها في المضيق بين (جزيرة الأَرز) وتلال الظَّهير الأستاپوري الوعرة، تمامًا حيث قال الرَّاهب الأسود موكورو إنهم سيجدونها. صاحَ لونجووتر پايك من منصَّة المراقبة بالأعلى: «جيسكاريَّة»، وشاهدَ ڤيكتاريون جرايچوي شراعها يتعاظَم من فوق السَّلوقيَّة الأماميَّة، وسرعان ما ميَّز مجاذيفها إذ ترتفع وتنخفض، وأثر المخر الأبيض الطَّويل يلتمع في نور القمر وراءها كندبةٍ في وجه البحر.

ليست سفينةً حربيَّةً حقيقيَّةً، بل قادس تجاري، وكبير. ستكون غنيمةً ممتازةً. أشارَ لربابنته ببدء المطاردة توطئةً للاستيلاء عليها.

كان رُبَّان القادس قد أدركَ الخطر المحدق به، فبدَّل مساره إلى الغرب نحو (جزيرة الأَرز)، آملًا ربما أن يلجأ إلى خليجٍ صغير خفي أو يقود مطارِديه إلى الاصطدام بالصُّخور المحزَّزة على ساحل الجزيرة الشَّمال شرقي. على أن سفينته مثقلة بالأحمال، والرِّياح في صفِّ الحديديِّين، فقطعَت (الثُّبور) و(النَّصر الحديدي) على الفريسة طريقها، في حين انقضَّت عليها (الباشِق) السَّريعة و(راقص الأصابع) الرَّشيقة من الخلف، ومع ذلك لم يُنزِل الرُّبَّان الجيسكاري راياته، وحين لحقَت (المرثاة) بالفريسة من الميسرة وضربَتها محطِّمةً مجاذيفها كانت كلتا السَّفينتين قريبةً للغاية من أطلال (جوزاي) المسكونة لدرجة أن الرِّجال سمعوا القرود تزقح على الأشجار فيما بدأ ضوء الفَجر الأول يغمر أهرام المدينة المتهدِّمة.

عندما جلبوا الرُّبَّان إلى ڤيكتاريون مكبَّلًا بالسَّلاسل قال إن الغنيمة اسمها (الفَجر الجيسكاري)، وإنها من (جيس الجديدة) وكانت في طريق العودة إليها عن طريق (يونكاي) بعد المتاجرة في (ميرين). لا يتكلَّم الرَّجل لُغةً مستساغةً وإنما الجيسكاريَّة الحلقيَّة الملأى بالزَّمجرة والفحيح، أقبح لُغةٍ سمعَها ڤيكتاريون جرايچوي على الإطلاق. ترجمَ موكورو كلام الرُّبَّان إلى عاميَّة (وستروس)، وادَّعى الرَّجل أنهم انتصروا في الحرب على (ميرين)، وأن ملكة التَّنانين ماتَت، وأن جيسكاريًّا اسمه هيزداك يَحكُم المدينة الآن.

أمرَ ڤيكتاريون بقطع لسانه عقابًا على أكاذيبه. دنيرس تارجاريَن لم تَمُت كما أكّد له موكورو، إذ أراه ربُّه الأحمر راهلور وجه الملكة في نيرانه المقدَّسة. لا يُطيق القائد الحديدي الكذب، وهكذا أمرَ بتقييد الرُّبَّان الجيسكاري من يديه وقدميه وإلقائه في الماء قُربانًا للإله الغريق، ووعدَ موكورو قائلًا: «سينال إلهك الأحمر ما له، لكن البحار يَحكُمها الإله الغريق».

- «ليس هناك آلهة إلَّا راهلور والآخَر الذي يجب ألَّا يُذكَر اسمه». يرتدي الرَّاهب المشعوذ الأسود الحالك بالكامل باستثناء خيطٍ ذهبي في الياقة وطرفَي الكُمَّين والحاشية. لا تُوجَد أقمشة حمراء على متن (النَّصر الحديدي)، لكن لم يكن من اللَّائق أن يتحرَّك موكورو بالأسمال المبقَّعة بالملح التي كان يرتديها حين انتشلَه فأر الحقل من البحر، ولذا أملى ڤيكتاريون على توم تايدوود أن يخيط له ثيابًا جديدةً من الأقمشة المتاحة، بل وتبرَّع ببعض قمصانه لهذا الغرض أيضًا. وكانت الثِّياب الجديدة من الأسود والذَّهبي، ذلك أن رمز عائلة جرايچوي عبارة عن كراكِن ذهبي على خلفيَّةٍ سوداء، وهو الرَّمز نفسه الظَّاهر على راياتهم وقلوعهم. ثياب الرُّهبان الحُمر القرمزيَّة غريبة على حديديِّي الميلاد، لكن ڤيكتاريون أملَ أن يتقبَّل رجاله موكورو بسهولةٍ أكبر إذا ارتدى لونَي آل جرايچوي.

وذهبَ أمله سُدًى. مرتديًا الأسود من رأسه إلى قدميه، وبقناعٍ من اللَّهب الأحمر والبُرتقالي الموشوم على وجهه، يبدو الرَّاهب مشؤومًا منذرًا بالويل أكثر من قبل، ويتحاشاه أفراد الطَّاقم حين يمشي على سطح المركب، ويَبصُقون إذا سقطَ ظلُّه عليهم عرَضًا. حتى فأر الحقل الذي اصطادَ الرَّاهب الأحمر من البحر حثَّ ڤيكتاريون على التَّضحية به للإله الغريق.

غير أن موكورو يعرف هذه السَّواحل الغريبة أفضل من أيِّ حديدي، ويعرف أسرار جنس التَّنانين أيضًا. *عين الغُراب يحتفظ بسحرة، فلِمَ لا أحتفظُ بواحدٍ أيضًا؟* مشعوذه الأسود أقدر من مشعوذي يورون الثَّلاثة معًا، حتى إذا اجتمعَت قُوى الثَّلاثة في واحد. قد يستهجن ذو الشَّعر الرَّطب هذا، لكن آرون وتقواه بعيدان.

وهكذا ضمَّ ڤيكتاريون يده المحروقة في قبضةٍ قويَّة، وقال: «(الفَجر الجيسكاري) اسم لا يليق بسفينةٍ في الأسطول الحديدي. من أجلك أيها السَّاحر سأغيِّرُ اسمها إلى (غضبة الإله الأحمر)».

حنى ساحره رأسه قائلًا: «كما يقول القائد».

ومن جديدٍ أصبحَ عدد سُفن الأسطول الحديدي أربعًا وخمسين.

في اليوم التَّالي هاجمَتهم زوبعة مباغتة، وكان موكورو قد تنبَّأ بها أيضًا، وحين تجاوزَتهم الأمطار وجدوا أن ثلاث سُفنٍ قد اختفَت. لم تكن عند ڤيكتاريون وسيلة يعلم بها إن كانت السُّفن قد غرقَت أم جنحَت إلى اليابسة أم دفعَتها الرِّيح بعيدًا عن المسار، فقال لطاقمه: «إنهم يعرفون وجهتنا. إذا كانوا ما زالوا مبحرين فسنلتقي ثانيةً». لا يملك الرُّبَّان الحديدي وقتًا لانتظار المتقاعسين فيما يُطوِّق عروسه أعداؤها. *أجمل امرأةٍ في العالم في حاجةٍ ماسَّة إلى فأسي.*

ثم إن موكورو أكَّد له أن السُّفن الثَّلاث لم تضِع. كلَّ ليلةٍ يُوقِد الرَّاهب المشعوذ نارًا على سَلوقيَّة (النَّصر الحديدي) الأماميَّة ويدور حول اللَّهب منشدًا الصَّلوات، فيجعل ضوء النَّار بشرته السَّوداء تَبرُق كالجزْع المصقول، وفي بعض الأحيان يكاد ڤيكتاريون يُقسِم أن اللَّهب الموشوم على وجهه يتراقَص بدوره، يتلوَّى وينثني وتتمازَج ألسنته وتتبدَّل ألوانها كلَّما أدارَ الرَّاهب رأسه.

سُمِعَ أحد الملَّاحين يقول: «الرَّاهب الأسود يستنزِل علينا الشَّياطين»، ولمَّا بلغَ كلامه ڤيكتاريون أمرَ بجَلد الرَّجل حتى استحالَ ظَهره إلى دمٍ من الكتفين إلى الرِّدفين، ولذا عندما قال موكورو: «ستعود حملانك المفقودة إلى القطيع عند جزيرةٍ اسمها (ياروس)»، ردَّ القائد: «خيرٌ لك أن تُصلِّي أن تعود حقًّا أيها الرَّاهب أو قد تكون أنت من يذوق الكُرباج المرَّة التَّالية».

كان البحر أزرق وأخضر والشَّمس تُرسِل لظاها من سماءٍ زرقاء خالية عندما استولى الأسطول الحديدي على غنيمته الثَّانية شمال غربي (أستاپور).

هذه المرَّة السَّفينة كوج مايري اسمه (اليمامة) في طريقه (يونكاي) عن طريق (جيس الجديدة)، حمولته من البُسط والنَّبيذ الأخضر الحُلو والحرير المايري. يملك رُبَّانه عينًا مايريَّة تجعل الأشياء البعيدة تبدو قريبةً من خلال عدستين زجاجيَّتين في سلسلةٍ من الأنابيب من النُّحاس الأصفر، مشكَّلة ببراعةٍ بحيث يُدَسُّ كلُّ قِسمٍ في التَّالي حتى تُصبِح العين بطول الخنجر لا أكثر. أخذَ ڤيكتاريون هذا الكنز لنفسه، وغيَّر اسم الكوج إلى (الصُّرد)، ثم قضى القائد أن يُحتفَظ برجال الطَّاقم حتى تُدفَع فديتهم، فهُم ليسوا نخَّاسين أو عبيدًا، بل مايريُّون أحرار وبحَّارة محنَّكون، وأمثالهم يستأهلون مبالغ جيِّدةً من المال. بما أن (اليمامة) أبحرَت من (مير) فلم تحمل لهم أخبارًا جديدةً عن (ميرين) أو دنيرس، فقط الأخبار القديمة عن خيَّالة الدوثراكي على ضفاف (الروين) وزحف الجماعة الذَّهبيَّة وأشياء أخرى يعرفها ڤيكتاريون بالفعل.

ليلتها سألَ القائد راهبه الأسود الواقف إلى جوار ناره: «ماذا ترى؟ ما الذي ينتظرنا غدًا؟ المزيد من المطر؟». كان يشمُّ رائحة المطر في الهواء.

أجابَ موكورو: «أرى سماءً غائمةً وريحًا قويَّةً. لا مطر. من ورائنا يتحرَّك النُّمور، وأمامنا تنتظر تنّينتك».

تنّينتك. راقَ وقع الكلمة ڤيكتاريون. «أخبِرني بشيءٍ لا أعرفه أيها الرَّاهب».

قال موكورو: «القائد يأمر وأنا أطيعُ». بدأ رجال الطَّاقم يدعونه باللَّهب الأسود، وهو الاسم الذي ألصقَه به ستيفار الألثغ الذي لا يستطيع أن ينطق «موكورو»، لكن بأيِّ اسمٍ يملك الرَّاهب قوَّةً. أخبرَ ڤيكتاريون: «الخطُّ السَّاحلي هنا يمتدُّ من الغرب إلى الشَّرق، وحيث ينعطف شمالًا ستُصادِف أرنبين آخَريْن، أرنبين سريعين لهما قوائم كثيرة».

وقد كان. هذه المرَّة اتَّضح أن الفريسة زوجان من القوادس الطَّويلة الرَّشيقة السَّريعة. أبصرَهما رالف الأعرج أولًا، لكنهما سرعان ما سبقا (الويل) و(الأمل اليائس)، فأرسلَ ڤيكتاريون للَّحاق بهما كلًّا من (الجناح الحديدي) و(الباشِق) و(قُبلة الكراكِن)، أسرع سُفنه على الإطلاق. استمرَّت المطاردة معظم النَّهار، لكن في النِّهاية استولى الحديديُّون على القادسيْن بعد قتالٍ وجيز لكن عنيف. نهى إلى ڤيكتاريون أنهما كانا يُبحِران خاليَيْن في الطَّريق إلى (جيس الجديدة) لتحميل المؤن والسِّلاح للفيالق الجيسكاريَّة المعسكِرة عند (ميرين)... ولجلب جُندٍ جُدد إلى الحرب يحلُّون محلَّ مَن ماتوا. سألَ ڤيكتاريون: «قُتِلوا في المعركة؟»، فأنكرَ رجال القادسيْن ذلك، وقالوا إنهم ماتوا بالإسهال الدَّموي، أو الفَرس الشَّاحبة كما دعوه. وكرُبَّان (الفَجر الجيسكاري) كرَّر رُبَّانا القادسيْن كذبة أن دنيرس تارجاريَن ماتَت.

قال ڤيكتاريون: «أعطياها قُبلةً مني حين تجدانها في الجحيم»، وطلبَ فأسه وضربَ عُنقيهما، وبعدها أمرَ بقتل طاقميهما أيضًا ولم يُنقِذ إلَّا العبيد المقيَّدين إلى المجاذيف. حطَّم سلاسلهم بنفسه وأخبرَهم بأنهم رجال أحرار الآن وسيتمتَّعون بامتياز التَّجذيف في الأسطول الحديدي، وهو الشَّرف الذي يَحلُم به كلُّ صبيٍّ في (جُزر الحديد) في أثناء نشأته. أعلنَ القائد: «ملكة التَّنانين تُحرِّر العبيد، وأنا أيضًا».

غيَّر اسمَي القادسيْن إلى (الشَّبح) و(الطَّيف)، «لأنني أنوي أن يعودا ويُطارِدا اليونكيِّين»، كما أخبرَ المرأة السَّمراء ليلتها بعد أن قضى وطره منها. إنهم قريبون الآن، ويقتربون أكثر كلَّ يوم. قال وهو يعتصر ثدي المرأة: «سنَسقُط عليهم كصاعقة البرق»، وتساءلَ إن كان هذا ما يَشعُر به أخوه آرون عندما يُكلِّمه الإله الغريق، إذ يكاد يسمع صوت الإله يرتفع ويتعاظَم من أغوار البحر، ويبدو له كأن الأمواج تقول له: *ستُحسِن خدمتي يا قائدي. لهذا خلقتك.*

لكنه سيُطعِم الإله الأحمر أيضًا، إله موكورو النَّاري. منظر الذِّراع التي داواها الرَّاهب بشع حقًّا، لحم مشوي من المِرفق إلى أطراف الأصابع، وأحيانًا لمَّا يُغلِق ڤيكتاريون يده يتشقَّق جِلدها وينبعث منه الدُّخان، إلَّا أن الذِّراع في أقوى حالاتها. قال للسَّمراء: «معي الآن إلهان. لا عدوَّ يستطيع الصُّمود أمام إلهين»، ثم قلبَها على ظَهرها وجامعَها ثانيةً.

حين ظهرَت جروف (ياروس) إلى يسارهم وجدَ سُفنه الثَّلاث المفقودة في انتظاره، تمامًا كما وعدَه موكورو، وأعطى ڤيكتاريون الرَّاهب طوقًا ذهبيًّا هديَّةً.

والآن عليه أن يختار. هل يُخاطِر بالإبحار في البوغاز أم يدور بالأسطول حول الجزيرة؟ ما زالَت ذكرى (الجزيرة القصيَّة) تعتمل في ذاكرة الرُّبَّان الحديدي. يومها انقضَّ ستانيس باراثيون على الأسطول الحديدي من الشَّمال والجنوب في آنٍ واحد وهو عالق في القناة بين الجزيرة والبَرِّ، وأنزلَ بڤيكتاريون هزيمةً منكرةً. لكن الإبحار حول (ياروس) سيُكلِّفه أيامًا ثمينةً، وبما أن (يونكاي) قريبة للغاية فستكون الملاحة في البوغاز كثيفةً، لكنه لا يتوقَّع أن يُواجِهوا سُفنًا حربيَّةً يونكيَّة قبل أن يدنوا أكثر من (ميرين).

ماذا كان عين الغُراب ليفعل؟ تفكَّر في هذا فترةً، ثم أعطى لربابنته إشارةً تقول: «سنُبحِر في البوغاز».

ثلاث غنائم أخرى استولوا عليها قبل أن تتضاءَل (ياروس) وراءهم. أسرَ فأر الحقل و(الثُّبور) قاليون كبيرًا، ومانفريد مرلين و(البومة) قادسًا تجاريًّا. وجدوا مخزنيهما مليئيْن بالبضائع؛ خمور وحرائر وتوابل وأخشاب نادرة وعطور أندر، لكن السَّفينتين نفسيهما هما الغنيمة الحقيقيَّة. وفي وقتٍ لاحقٍ من اليوم نفسه وقعَ مركب صيدٍ شراعي أسيرًا لـ(الجماجم السَّبع) و(آفة الأقنان)، مركب صغير بطيء قذر، بالكاد يستحقُّ مجهود الاستيلاء عليه. استاءَ ڤيكتاريون حين علمَ أن إخضاع الصيَّادين تطلَّب اثنتين دُفعةً واحدةً من سُفنه، لكنه منهم سمعَ بعودة التنِّين الأسود، وأخبرَه رُبَّان المركب: «الملكة الفضِّيَّة رحلَت، طارَت على تنِّينها إلى وراء (بحر الدوثراكي)».

- «أين (بحر الدوثراكي) هذا؟ سأمخرُ عبابه بالأسطول الحديدي وأجدُ الملكة أينما كانت».

ضحكَ الصيَّاد بصوتٍ عالٍ، وقال: «سيكون ذلك مشهدًا يستحقُّ الرُّؤية. (بحر الدوثراكي) عُشب أيها الأحمق».

ما كان يجب أن يقول هذا. بيده المحروقة أطبقَ ڤيكتاريون على رقبته ورفعَه بأكمله في الهواء، ثم ضربَ ظَهره بالصَّاري واعتصرَ حتى اسودَّ وجه اليونكي محاكيًا لون الأصابع المغروسة في لحمه. رفسَ الرَّجل وتلوَّى قليلًا محاولًا التَّملُّص من قبضة القائد بلا طائل، وقال ڤيكتاريون: «لا أحد يدعو ڤيكتاريون جرايچوي بالأحمق ويعيش ليزهو بهذا»، ولمَّا فتحَ أصابعه سقطَت جثَّة الرَّجل مرتخيةً على السَّطح، ثم ألقاها لونجووتر پايك وتوم تايدوود من فوق الحاجز كقُربانٍ آخَر للإله الغريق.

بعدها قال الرَّاهب الأسود موكورو: «إلهكم الغريق شيطان، ليس أكثر من خادمٍ للآخَر، إله الظُّلمات الذي يجب ألَّا يُذكَر اسمه».

قال ڤيكتاريون منذرًا: «احذر أيها الرَّاهب. على هذه السَّفينة رجال متديِّنون يُمكنهم أن يقتلعوا لسانك لتجديفك هذا. سينال إلهك الأحمر ما له، أقسمُ على هذا. إن كلمتي من حديد. سَل أيًّا من رجالي».

حنى الرَّاهب الأسود رأسه قائلًا: «لا داعي. لقد أراني إله الضِّياء قيمتك أيها القائد. كلَّ ليلةٍ في ناري أبصرُ الأمجاد التي تنتظرك».

سرَّ الكلام ڤيكتاريون سرورًا عظيمًا، كما أخبرَ المرأة السَّمراء ليلتها. «كان أخي بالون رجلًا عظيمًا، لكنني سأحقِّقُ ما عجزَ عنه. ستعود (جُزر الحديد) حُرَّةً ويرجع النَّهج القديم. حتى داجون نفسه لم يستطِع أن يفعل هذا». مئة عامٍ تقريبًا مرَّت منذ جلسَ داجون جرايچوي على كُرسي حجر اليَم، لكن الحديديِّين ما زالوا يحكون عن غاراته ومعاركه. في زمان داجون كان ملك ضعيف يجلس على العرش الحديدي ويُركِّز عينيه الدَّامعتين عبر (البحر الضيِّق) حيث يتألَّب الثُّغول والمنفيُّون على التَّمرُّد، وهكذا أبحرَ اللورد داجون من (پايك) باسطًا هيمنته على (بحر الغروب). «لقد تحدَّى الأسد في عُقر داره وربطَ ذيل الذِّئب الرَّهيب في عُقدة، لكن حتى داجون لم يقوَ على هزيمة التَّنانين. أمَّا أنا فسأجعلُ ملكة التَّنانين لي. ستُشارِكني فِراشي وتحمل لي أبناءً أقوياء كُثرًا».

ليلتها بلغَ عدد سُفن الأسطول الحديدي الستِّين.

شمال (ياروس) ازدادَت القلوع الغريبة. إنهم قريبون للغاية من (يونكاي) الآن، ومؤكَّد أن السَّاحل بين المدينة الصَّفراء و(ميرين) يعجُّ بالسُّفن التِّجاريَّة وسُفن الإمدادات الذَّاهبة والآيبة، وهكذا توغَّل ڤيكتاريون بالأسطول الحديدي في المياه العميقة بعيدًا عن اليابسة، لكن حتى هناك صادَفوا سُفنًا أخرى، فأمرَ الرُّبَّان الحديدي: «لا تدعوا ولو واحدةً تَهرُب وتُنذِر أعداءنا».

ولم تَهرُب ولو واحدة.

كان البحر أخضر والسَّماء غائمةً صبيحة أسرَت (الثُّبور) و(الفتاة المُحاربة) وسفينة ڤيكتاريون (النَّصر الحديدي) قادس نخاسةٍ من (يونكاي) شمال المدينة الصَّفراء. في مخزنه وجدوا عشرين غُلامًا معطَّرًا وثمانين فتاةً في طريقهم إلى بيوت الهوى في (لِيس). لم يَخطُر لرجال الطَّاقم قَطُّ أن يُواجِه قادسهم خطرًا على هذه المقربة من مياههم الإقليميَّة، ولم يلقَ الحديديُّون صعوبةً كبيرةً في الاستيلاء عليه. كان اسمه (العذراء الرَّاغبة).

أمرَ ڤيكتاريون بقتل النخَّاسين، ثم أرسلَ رجاله إلى أسفل ليضربوا سلاسل المجذِّفين، الذين أخبرَهم: «ستُجذِّفون لحسابي الآن. أحسِنوا التَّجذيف وستُفلِحون»، ثم إنه وزَّع الفتيات على ربابنته، وأخبرَهن: «كان اللايسينيُّون سيجعلونكن عاهرات، لكننا أنقذناكن، والآن عليكن خدمة رجلٍ واحد بدلًا من عدَّة. من تسرُّ رُبَّانها سيتَّخذها زوجةً ملحيَّةً. إنها منزلة كريمة». أمَّا الغِلمان المعطَّرون فكبَّلهم بالسَّلاسل وألقاهم في البحر. إنهم مخلوقات غير طبيعيَّة، وقد تحسَّنت رائحة السَّفينة ما إن طُهِّرَت من وجودهم.

انتقى ڤيكتاريون لنفسه سبعًا من صفوة الفتيات. لإحداهن شَعر ذهبي أحمر ونمش على ثدييها، وإحداهن شَعر جسدها محلوق تمامًا، وإحداهن شَعرها بنّي وعيناها بنِّيّتان وخجول كالفئران، ولإحداهن أكبر نهدين رآهما على الإطلاق، والخامسة صغيرة الحجم لها شَعر أسود مسترسل وبشرة ذهبيّة وعينان بلون الكهرمان، والسّادسة بيضاء كالحليب وتضع خواتم من الذَّهب في حلمتيها وشفتيها السُفليّتين، والأخيرة سوداء كحِبر الحبّار. درّبهن نخّاسو (يونكاي) على فنِّ التّنهُّدات السّبعة، لكن ليس لهذا السّبب أرادَهن ڤيكتاريون، فامرأته السّمراء تكفي لإشباع شهيّته حتى يصل إلى (ميرين) وينال ملكته. لا أحد يحتاج إلى الشُّموع والشّمس في انتظاره.

غيَّر اسم القادس إلى (صرخة النخَّاسين)، وبه صارَت سُفن الأسطول الحديدي واحدةً وستِّين. قال ڤيكتاريون لرجاله الحديديِّين: «كلُّ سفينةٍ نأسرها تُزيدنا قوَّةً، لكن من هنا سيزداد الأمر صعوبةً. غدًا أو بعد غد سنلتقي سُفنًا حربيَّةً على الأرجح. إننا نَدخُل مياه (ميرين) الإقليميَّة، حيث تنتظرنا أساطيل الأعداء. سنُواجِه سُفنًا من مُدن النخَّاسين الثَّلاث، وسُفنًا من (تولوس) و(إليريا) و(جيس الجديدة)، وسُفنًا من (كارث) أيضًا». حرصَ على عدم ذِكر القوادس الخضراء من (ڤولانتيس القديمة) التي من المؤكَّد أنها تقطع (خليج الثُّبور) في هذه اللَّحظة تحديدًا. «هؤلاء النخَّاسون مخلوقات واهنة. لقد رأيتم كيف يفرُّون منا وسمعتم كيف يَصرُخون حين نُقتِّلهم. كلُّ رجلٍ منكم يسوى عشرين منهم، فنحن فقط المصنوعون من حديد. تذكَّروا هذا عندما نلمح شراع سفينة نخاسةٍ المرَّة التَّالية. لا ترحموهم ولا تتوقَّعوا منهم رحمةً. ما حاجتنا إلى الرَّحمة؟ إننا حديديُّو الميلاد، وثمَّة إلهان يرعياننا. سنستولي على سُفنهم ونُحطِّم آمالهم ونُحيل خليجهم إلى دماء».

قُوبِلَت كلماته بهتافٍ عظيم، وأجابَ القائد بإيماءةٍ ووجهٍ رصين، ثم طلبَ إحضار الفتيات السَّبع اللائي أخذَهن لنفسه إلى السَّطح، الأروع جَمالًا بين من كُنَّ على متن (العذراء الرَّاغبة). قبَّل كلًّا منهن على الوجنتين وأخبرَهن بالشَّرف الذي ينتظرهن، ولو أنهن لم يفهمن من كلامه شيئًا، ثم وضعَهن على مركب الصَّيد الذي أسروه وقطعَ حباله وأضرمَ فيه النَّار.

وبينما مرَّت سُفن الأسطول الحديدي الحربيَّة بالمركب المشتعل أعلنَ: «بهديَّة البراءة والجَمال هذه نُكرِّم كلا الإلهين. فلتُولَد هذه الفتيات من جديدٍ في الضِّياء بلا دنسٍ من شهوات الفانين، أو فلينزلن إلى أبهاء الإله الغريق المائيَّة ليمرحن ويَرقُصن ويضحكن إلى أن تجفَّ البحور».

قُرب النِّهاية، قبل أن يبتلع البحر المركب المحترق، بدا لڤيكتاريون جرايچوي كأن صرخات الحسناوات السَّبع تحوَّلت إلى أغنيَّة بهجةٍ وطرب، وعندها هبَّت رياح عظيمة، رياح ملأَت أشرعتهم ودفعَتهم شمالًا وشرقًا وشمالًا ثانيةً صوب (ميرين) وقرميد أهراماتها عديد الألوان. *على أجنحةٍ من غناءٍ أحلِّقُ إليكِ يا دنيرس.*

ليلتها، وللمرَّة الأولى، أخرجَ بوق التَّنانين الذي عثرَ عليه عين الغُراب في يباب (ڤاليريا) العُظمى ووسط دُخانها. شيء ملتوٍ، طوله ستَّة أقدامٍ من الطَّرف إلى الطَّرف، أسوده برَّاق وحلقاته من الذَّهب الأحمر والفولاذ الڤاليري القاتم. *بوق الجحيم الذي اتى به يورون.* مرَّر ڤيكتاريون يده على البوق الدَّافئ الأملس كفخذَي المرأة السَّمراء، اللَّامع لدرجة أنه يرى انعكاسًا مشوَّشًا لصحيفة وجهه في أعماقه. على الحلقات التي تُطوِّقه نُقِشَت كتابة سحريَّة غريبة، وعنها قال موكورو: «أبجديَّة ڤاليريَّة».

يعلم ڤيكتاريون هذا بالفعل، فسألَه: «ماذا تقول؟».

أجابَ الرَّاهب الأسود: «الكثير»، وأشارَ إلى إحدى الحلقات الذَّهبيَّة مردفًا: «هنا اسم البوق. مكتوب: *أنا (آسِر التَّنانين)*. هل سمعت صوته من قبل؟».

- «مرَّةً». خلال انتخاب الملك في (ويك القديمة) نفخَ واحد من هِجان أخيه في بوق الجحيم، رجل كالوحش، ضخم الجثَّة حليق الرَّأس حول ذراعيه غليظتَي العضلات حلقات من الذَّهب والكهرمان الأسود واليَشب، وعلى صدره وشم لصقرٍ عظيم. «الصَّوت الذي صدرَ منه... كان حارقًا بشكلٍ ما، كأن عظامي اشتعلَت نارًا تلفح لحمي من الدَّاخل. توهَّجت هذه الكتابة بالأحمر ثم الأبيض وصارَ النَّظر إليها يُؤلِم. بدا كأن الصَّوت لن ينتهي أبدًا، كصرخةٍ واحدة طويلة، كألف صرخةٍ ذائبة في واحدة».

- «والرَّجل الذي نفخَ في البوق، ماذا جرى له؟».

أجابَ القائد: «ماتَ. كانت على شفتيه قروح بعدها، وكان طائره ينزف أيضًا»، ودقَّ على صدره متابعًا: «الصَّقر، هنا بالضَّبط. كلُّ ريشةٍ كانت تَقطُر دمًا. سمعتُ أن الرَّجل تفحَّم من الدَّاخل، ولكن ربما كانت هذه مجرَّد أقاويل».

- «أقاويل حقيقيَّة». قلبَ موكورو بوق الجحيم فاحصًا الحروف الغريبة على حلقةٍ ذهبيَّة أخرى، ثم قال: «مكتوب هنا: *لا إنسان فانيًا سيَنفُخ فيَّ ويعيش*».

بمرارةٍ فكَّر ڤيكتاريون في خيانة الإخوة. *هدايا يورون مسمومة دومًا*. «عين الغُراب أقسمَ أن هذا البوق سيربط التَّنانين بإرادتي، لكن كيف ينفعني ذلك إن كان الموت الثَّمن؟».

أجابَه موكورو: «أخوك لم يَنفُخ في البوق بنفسه، ويجب ألَّا تَنفُخ فيه كذلك»، وأشارَ إلى حلقةٍ من الفولاذ قائلًا: «هنا. *الدَّم مقابل النَّار، النَّار مقابل الدَّم*. لا يهمُّ مَن يَنفُخ في بوق الجحيم. التَّنانين ستذهب إلى سيِّد البوق. عليك أن تستحوذ على البوق... بالدَّم».

أحد عشر خادمًا للإله عديد الوجوه اجتمعوا ليلتها تحت المعبد، أكبر عددٍ منهم رأته في آنٍ واحد. فقط اللورد الصَّغير والرَّجل البدين وصلا من الباب الأمامي، أمَّا الآخَرون فأتوا من طُرقٍ سرِّيَّة عبر الأنفاق والممرات الخفيَّة. يرتدي الجميع الأردية البيضاء والسَّوداء، لكن إذ اتَّخذوا مقاعدهم أنزلَ كلٌّ منهم قلنسوته مظهرًا الوجه الذي اختارَ أن يضعه اليوم. مقاعدهم الطَّويلة منحوتة من الأبنوس والويرووود كمصراعَي باب المعبد بالأعلى، وعلى ظهور المقاعد الأبنوس وجوه من الويرووود، والعكس بالعكس.

وقفَ أحد المُعاونين الآخَرين في طرف الحُجرة الآخَر بإبريقٍ من النَّبيذ الأحمر القاني، وحملَت هي الماء. متى أرادَ أحد الخدم الشُّرب رفعَ عينيه أو عقفَ إصبعه، فيتقدَّم أحدهما أو كلاهما ليملأ كوبه، لكن غالبًا ظلَّ الاثنان واقفيْن في مكانيهما في انتظار إشاراتٍ لم تأتِ قَطُّ. *أنا منحوتة من حجر، أنا تمثال، مِثل أمراء البحر الواقفين على (قناة الأبطال)*. الماء ثقيل، إلَّا أن ذراعيها قويَّتان.

تكلَّم الكهنة بلُغة (براقوس)، ولو أن لعدَّة دقائق تكلَّم ثلاثة منهم بحماسةٍ بالقاليريَّة الفُصحى. فهمَت الفتاة الكلام في الغالب، لكنهم تكلَّموا بأصواتٍ خفيضة ولم تستطِع أن تسمعهم طوال الوقت. سمعَت كاهنًا له وجه ضحيَّة طاعون يقول: «أعرفُ هذا الرَّجل»، وبينما صبَّت له الماء ردَّد البدين: «أعرفُ هذا الرَّجل»، لكن الوسيم قال: «سأعطي هذا الرَّجل الهديَّة. لستُ أعرفه»، ولاحقًا كرَّر ضيِّق العينين الكلام نفسه عن شخصٍ مختلف.

بعد ثلاث ساعاتٍ من النَّبيذ والنِّقاش انصرفَ الكهنة... جميعهم باستثناء الرَّجل الطيِّب واللَّقيطة وهذا الذي يحمل وجهه آثار الطَّاعون. تُغطِّي وجهه القروح النَّازَّة وسقطَ شَعره كلُّه ويَقطُر من أحد منخريه الدَّم ويتخثَّر عند أركان كلتا العينين. قال لها الرَّجل الطيِّب: «أخونا يرغب في الكلام معكِ أيتها الصَّغيرة. اجلسي إذا أردتِ»، فجلسَت على مقعدٍ من الويرووود بوجهٍ من الأبنوس. لا تخشى الفتاة القروح النَّازفة، فقد قضَت في (دار الأبيض والأسود) وقتًا أطول من أن يُخيفها وجه زائف.

سألَها وجه الطَّاعون حين انفردَ بها: «مَن أنتِ؟».

- «لا أحد».

- «غير صحيح. أنتِ آريا سليلة عائلة ستارك، التي تعضُّ شفتها ولا تستطيع أن تنطق كذبًا».

- «كنتُ كذلك ولم أعُد».

- «لماذا أنتِ هنا أيتها الكاذبة؟».

- «لأخدم، لأتعلَّم، لأغيِّر وجهي».

- «غيِّري قلبكِ أولًا. هديَّة الإله عديد الوجوه ليست لُعبة أطفال. إنكِ تُريدين القتل لتحقيق مُرادكِ، لمُتعتك الخاصَّة. أتُنكِرين هذا؟».

عضَّت شفتها قائلةً: «إنني...».

وصفعَها الرَّجل.

خلَّفت الصَّفعة في وجنتها وخزًا، لكنها تعلم أنها استحقَّتها، فقالت: «أشكرك». فلتتلقَّ ما يكفي من صفعاتٍ وقد تكفُّ عن مضغ شفتها. آريا مَن كانت تفعل ذلك لا ذئبة اللَّيل. «نعم، أنكرُ هذا».

- «كاذبة. أرى الحقيقة في عينيكِ. إن لكِ عينَي ذئبٍ وتشتهين الدِّماء».

رغمًا عنها فكَّرت: *السير جريجور، دانسن، راف المعسول، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي*. إذا تكلَّمت فعليها أن تكذب، وسيستشفُّ كذبها، ولذا لاذَت بالصَّمت.

- «يقولون لي إنكِ كنتِ قِطَّةً تجوب الأزقَّة ورائحة السَّمك تفوح منها، تبيع أُم الخُلول وبلح البحر مقابل مال. حياة وضيعة تُناسِب مخلوقةً وضيعةً مِثلكِ. اطلُبي وستُرَدُّ إليكِ. ادفعي عربتكِ ونادي على أُم الخُلول وعيشي قانعةً. إن قلبكِ أرق من أن تكوني واحدةً منا».

يُريد أن يصرفني. «ليس لي قلب. لي فجوة فقط. لقد قتلتُ أناسًا كثيرين، ويُمكنني أن أقتلك أيضًا».

- «هل ستتلذَّذين بذلك؟».

لم تعرف الإجابة الصَّحيحة، فقالت: «ربما».

- «إذن فليس مكانكِ هنا. في هذه الدَّار ليست للموت لذَّة. إننا لسنا مُحاربين أو جنودًا أو مبارزي براڤو متبخترين تنتفخ أوداجهم زهوًا، لا نَقتُل خدمةً لأحد السَّادة أو لاكتناز المال أو لمداعبة غرورنا، لا نُعطي الهديَّة مُتعةً لأنفُسنا أبدًا، ولا نختار مَن نَقتُلهم. إننا مجرَّد خدمٍ للإله ذي الوجوه العديدة».

- «ڤالار دوهايرِس». *كلُّ البَشر واجبهم الخدمة*.

- «تعرفين العبارة، لكنكِ أشد غرورًا من أن تخدمي. على الخادم أن يكون متواضعًا مطيعًا».

- «إنني مطيعة، ويُمكنني أن أكون أكثر تواضُعًا من أيِّ أحد».

قهقهَ لردِّها، وقال: «ستكونين إلهة التَّواضُع ذاتها، إنني واثق. لكن هل تستطيعين دفع الثَّمن؟».

- «ما الثَّمن؟».

- «الثَّمن أنتِ، الثَّمن كلُّ ما تمتلكين وكلُّ ما تأملين امتلاكه يومًا. لقد أخذنا عينيكِ وأعدناهما. المرَّة التَّالية سنأخذ أُذنيكِ وستمشين في صمت. ستُعطيننا ساقيكِ وتزحفين. ستكونين ابنة لا أحد، زوجة لا أحد، أُمَّ لا أحد. سيكون اسمكِ أكذوبةً، والوجه الذي تضعينه لن يكون وجهكِ».

كادَت تعضُّ شفتها ثانيةً، لكنها أمسكَت نفسها هذه المرَّة ومنعَتها. *وجهي بِركة مظلمة تُخفي كلَّ شيءٍ ولا تُبدي شيئًا*. فكَّرت في كلِّ الأسماء التي انتحلَتها: آري، بنت عرس، الكتكوت، قِطَّة القنوات، وفكَّرت في الفتاة الحمقاء المولودة في (وينترفل) واسمها آريا وجه الحصان. الأسماء لا تهمُّ. «أستطيعُ أن أدفع الثَّمن. أعطِني وجهًا».

- «لا بُدَّ أن تُستحقَّ الوجوه».

- «أخبِرني كيف».

- «بإعطاء رجلٍ معيَّن هديَّةً معيَّنةً. أيُمكنكِ أن تفعلي هذا؟».

- «أي رجل؟».

- «لا أحد تعرفينه».

- «لستُ أعرفُ أناسًا كثيرين».

- «وهو أحدهم، غريب، لا أحد تُحبِّينه، لا أحد تكرهينه، لا أحد عرفتِه من قبل. هل ستَقتُلينه؟».

- «نعم».

- «غدًا إذن تعودين قِطَّة القنوات من جديد. ضعي هذا الوجه وراقِبي وأطيعي، وسوف نرى إن كنتِ جديرةً حقًّا بخدمة ذي الوجوه العديدة».

وهكذا عادَت في اليوم التَّالي إلى بروسكو وابنتيه في المنزل المطل على القناة. حين رآها بروسكو اتَّسعت عيناه، وأطلقَت بريا شهقةً صغيرةً، وقالت كات على سبيل التَّحيَّة: «ڤالار مورجولِس»، فردَّ بروسكو: «ڤالار دوهايرِس».

وبعدها فكأنها لم تَغِب قَطُّ.

في وقتٍ لاحق من الصَّباح نفسه ألقَت نظرتها الأولى على الرَّجل الذي عليها أن تَقتُله إذ دارَت بعربتها في الشَّوارع المعبَّدة بالحجارة المطلَّة على (الميناء الأرجواني). وجدَته عجوزًا تجاوزَ الخمسين بعدَّة أعوام، وحاولَت أن تقول لنفسها: *لقد عاشَ طويلًا جدًّا. لماذا يحظى بسنواتٍ كثيرة على قيد الحياة وقد حظيَ أبي بالقليل؟* لكن قِطَّة القنوات بلا أب، فاحتفظَت بهذا الخاطر لنفسها.

نادَت إذ مرَّ بها: «أُم الخلول وبلح بحر وحلزون، محار وروبيان وبلح بحر أخضر كبير»، وابتسمَت له أيضًا. أحيانًا لا تحتاج إلَّا إلى ابتسامةٍ لتجعلهم يتوقَّفون ويشترون منها. على أن العجوز لم يُبادِلها الابتسام، بل عبسَ في وجهها ومضى في طريقه خائضًا في بِركةٍ صغيرة، ليتناثر الماءَ ويُبلِّل قدميها.

شاهدَته يذهب قائلةً لنفسها: *لا يتمتَّع بأيِّ كياسة. وجهه قاسٍ فظ.* للعجوز أنف رفيع حاد وشفتان رفيعتان وعينان صغيرتان متقاربتان، شابَ شَعره لكن اللِّحية الصَّغيرة المدبَّبة في طرف ذقنه ما زالَت سوداء. فكَّرت كات أنها مصبوغة بالتَّأكيد، وتساءلَت لِمَ لم يَصبُغ شَعره أيضًا. إحدى كتفيه أعلى من الأخرى، وهو ما يمنحه منظرًا معوجًّا.

ليلتها عندما رجعَت إلى (دار الأبيض والأسود) أعلنَت: «إنه رجل شرِّير. شفتاه قاسيتان وعيناه فظَّتان وله لحية شخصٍ آثم».

قهقهَ الرَّجل الطيِّب قائلًا: «إنه رجل كأيِّ رجلٍ آخَر، في داخله نور وظلام. ليس لكِ أن تَحكُمي عليه».

حدا بها قوله إلى الصَّمت لحظةً، قبل أن تسأل: «هل حكمَت عليه الآلهة؟».

- «بعض الآلهة ربما. ما الآلهة إن لم تجلس وتَحكُم على البَشر؟ لكن الإله عديد الوجوه لا يزن أنفُس النَّاس، بل يُعطي هديَّته لأفضلهم وأسوأهم على حدّ سواء، وإلَّا لعاشَ الأخيار إلى الأبد».

في اليوم التَّالي قرَّرت كات إذ راقبَته من وراء عربتها أن أسوأ ما في العجوز يداه. أصابعه عظميَّة طويلة لا تتوقَّف عن الحركة، تحكُّ لحيته، تشدُّ أذنه، تَنقُر على الطَّاولة، تختلج وتختلج وتختلج. *يداه كعنكبوتَين أبيضَين*. كلَّما راقبَت حركة يديه تضاعفَ كُرهها له.

في المعبد أخبرَتهم: «يُحرِّك يديه كثيرًا جدًّا. لا شكَّ أنه مفعم بالخوف. ستمنحه الهديَّة السَّلام».

- «الهديَّة تمنح جميع البَشر السَّلام».
- «حين أقتله سيَنظُر في عينَي ويَشكُرني».
- «إذا فعلَ فقد فشلتِ. الأفضل ألَّا يلحظك على الإطلاق».

استنتجَت كات بعد مراقبته بضعة أيامٍ أن العجوز يُزاوِل تجارةً ما، ولتجارته صِلة بالبحر، وإن لم ترَه يضع قدمًا على سفينةٍ ولو مرَّةً. يقضي الرَّجل النَّهار جالسًا في محل حَساءٍ قُرب (الميناء الأرجواني)، تاركًا عند مِرفقه كوبًا من مرق البصل يَبرُد فيما يُقلِّب الأوراق وشمع الأختام ويتحدَّث بنبرةٍ حادَّة إلى سلسلةٍ من القباطنة وأصحاب السُّفن وغيرهم من التُّجَّار، الذين يبدو عليهم جميعًا أنهم لا يُضمِرون للرَّجل مودَّةً.

ومع ذلك يجلبون إليه مالًا، صُررًا جِلديَّةً ملأى بالذَّهب والفضَّة وعُملة (براقوس) الحديديَّة المربَّعة، فيُحصي العجوز النُّقود بحرصٍ ويفرزها ويرصُّ كلَّ نوعٍ من العُملة في بُرجٍ صغير أنيق، لكنه لا يَنظُر إلى العُملات أبدًا، وبدلًا من ذلك يعضُّ كلَّ قطعةٍ بالجانب الأيسر من فمه دائمًا حيث لا تزال أسنانه كاملةً، وبين الحين والآخَر يُدوِّر واحدةً على الطَّاولة ويُصغي إلى الصَّوت الذي تُصدِره عندما تكفُّ عن الدَّوران.

وحين يُحصي النُّقود كلَّها ويتذوَّقها يُدوِّن العجوز شيئًا ما على رَقٍّ ويمهره بختمه ويُعطيه للرُّبَّان، أو يهزُّ رأسه نفيًا ويدفع النُّقود عبر الطَّاولة معيدًا إياها إلى صاحِبها، ومتى فعلَ هذا احتقنَ وجه الرَّجل الآخَر ولاحَ عليه الحنق أو شحبَ وجهه ولاحَ عليه الخوف.

لم تفهم كات، وسألَت الرَّجل الطيِّب: «يَنقُدونه ذهبًا وفضَّةً فيُعطيهم كلامًا على ورق. أهُم أغبياء؟».

- «بعضهم ربما، لكن أكثرهم حذِر ببساطة. بعضهم يُحاوِل استرضاءه، لكنه ليس رجلًا يُسترضى بسهولة».

- «لكن ماذا يبيعهم بالضَّبط؟».

- «إنه يَكتُب لكلٍّ منهم وثيقةً. إذا ضاعَت سُفنهم في عاصفةٍ أو استولى عليها القراصنة فإنه يعدهم بتعويضهم عن قيمة السَّفينة وجميع محتوياتها».

- «أهي مُقامرة ما؟».

- «نوعًا، مُقامرة يتمنَّى كلُّ رُبَّانٍ أن يخسرها».

- «نعم، لكن إذا كسبوا...».

- «... فإنهم يخسرون سُفنهم، وفي أغلب الأحيان حياتهم نفسها. البحار ملأى بالمخاطر، تحديدًا في الخريف. لا ريب أن ربابنةً كثيرين وجدوا أنفُسهم يغرقون في عاصفةٍ لكنهم وجدوا قليلًا من العزاء في الوثائق التي تركوها في (براڤوس)، عالمين أن أراملهم وأولادهم لن يفتقروا إلى شيء»، ومسَّت ابتسامة حزينة شفتَي الرَّجل الطيِّب، وأردفَ: «إلَّا أن كتابة وثيقةٍ كهذه شيء والوفاء بها شيء آخَر».

وفهمَت كات. *لا بُدَّ أن أحدهم يكرهه. أحدهم جاءَ (دار الأبيض والأسود) وصلَّى للإله أن يأخذه.* تساءلَت مَن هو، لكن الرَّجل الطيِّب أبى أن يُخبِرها، وقال: «ليس لكِ أن تتطفَّلي على هذه الأمور. مَن أنتِ؟».

- «لا أحد».

قال: «لا أحد لا تسأل أسئلةً»، وأمسكَ يديها مستطردًا: «إن لم يكن بإمكانكِ أن تفعلي هذا فما عليكِ إلَّا أن تقولي. لا عار في هذا. بعض البَشر مخلوق لخدمة الإله عديد الوجوه وبعضهم لا. قولي الكلمة فقط وسأرفعُ عنكِ هذه المهمَّة».

- «سأنفِّذها. قلتُ إنني سأنفِّذها وسأنفِّذها».

لكن كيف؟ هذا هو الجزء الأصعب.

للعجوز حارسان، أحدهما طويل نحيف والآخَر قصير مكتنز، ويذهبان معه في كلِّ مكانٍ منذ يُغادِر منزله في الصَّباح وحتى يعود إليه ليلًا، ويحرصان على عدم دنوِّ أحدٍ من العجوز دون إذنه. في مرَّةٍ كادَ رجل سكران يرتطم به وهو عائد إلى منزله من محل الحَساء، لكن الطَّويل وضعَ نفسه بينهما ودفعَ السَّكران بحدَّةٍ طرحَته أرضًا. في محل الحَساء يذوق القصير مرق البصل أولًا دومًا، ويَترُكه العجوز يَبرُد قبل أن يرشف منه، ما يكفي من وقتٍ ليضمن أن سوءًا ما لم يُصِب حارسه.

أدركَت كات أن الرَّجل خائف، «أو أنه يعلم أن أحدهم يسعى لقتله».

ردَّ الرَّجل الطيِّب: «لا يعلم، لكنه مرتاب».

- «الحارسان يذهبان معه حين يَخرُج ليتبوَّل، لكنه لا يذهب معهما حين يَخرُجان. الطَّويل أسرعهما. سأنتظرُ حتى يذهب ليتبوَّل وأدخلُ المحل وأطعنُ العجوز في عينه».

- «والحارس الآخَر؟».

- «إنه بطيء وغبي. يُمكنني أن أقتله أيضًا».

- «أأنتِ جزّار في ميدان المعركة يُذبِّح كلَّ مَن يعترض طريقه؟».

- «لا».

- «آملُ هذا. أنتِ خادمة للإله عديد الوجوه، ونحن خدم ذي الوجوه العديدة نُعطي هديَّته لمَن عُيِّنوا واختيروا فحسب».

وفهمَت الفتاة. *اقتُليه، اقتُليه هو فقط.*

استغرقَت ثلاثة أيامٍ أخرى من المراقبة قبل أن تجد ضالَّتها، ويومًا آخَر من التَّدريب بسكِّينها الرَّفيع. علَّمها روجو الأحمر كيف تستخدمه، لكنها لم تشقَّ كيس نقودٍ منذ مُدَّةٍ قبل أن يأخذوا عينيها، وأرادَت أن تتأكَّد من أنها لا تزال تعرف كيف. مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً أخرجَت السكِّين من كُمِّها بخفَّةٍ قائلةً لنفسها: *بنعومةٍ وسرعة، هذه هي الطَّريقة، لا تتحسَّسي*، ولمَّا وجدَت نفسها راضيةً عن قُدرتها على استخدام السكِّين شحذَت نصله الفولاذي حتى برقَت حافته بالأزرق الفضِّي في ضوء الشُّموع. الجزء الآخَر أصعب، لكن اللَّقيطة موجودة لتُعينها.

ثم أعلنَت الفتاة في الصَّباح التَّالي على الإفطار: «سأعطي الرَّجل الهديَّة غدًا».

قال الرَّجل الطيِّب: «سيُرضي هذا ذا الوجود العديدة»، ونهضَ مردفًا: «قِطَّة القنوات معروفة لكثيرين. إذا رآها أحد تُنفِّذ المهمَّة فقد يدرُّ هذا المتاعب على بروسكو وابنتيه. حانَ الوقت لأن تضعي وجهًا آخَر».

لم تبتسم الفتاة، لكنها سُرَّت في قرارة نفسها. لقد فقدَت كات مرَّةً ورثَت لها، ولا تُريد أن تفقدها ثانيةً. «كيف سأبدو؟».

- «قبيحةً. ستُشيح النِّساء بوجوههن حين يرينك، ويُحدِّق إليكِ الأطفال ويُشيرون، ويُشفِق عليكِ الرِّجال الأقوياء وقد يذرف بعضهم دمعةً. لا أحد يراكِ سينساكِ سريعًا. تعالي».

خلعَ الرَّجل الطيِّب القنديل عن خُطَّافه وقادَها مرورًا بالبِركة السَّوداء السَّاكنة وصفوف الآلهة القاتمة الصَّامتة إلى السَّلالم في مؤخِّرة المعبد، ولحقَت بهما اللَّقيطة إذ بدآ النُّزول. لم يتكلَّم أحد، الصَّوت الوحيد من احتكاك نعال أخفافهم الخافت بالدَّرجات. قادَتهم ثماني عشرة خُطوةً إلى الأقبية، حيث تنفتح خمسة أروقة كأصابع يد الإنسان، وهناك ضاقَت الدَّرجات وازدادَت تحدُّرًا، لكن الفتاة قطعَتها صعودًا ونزولًا ألف مرَّةٍ ولم تَعُد تُخيفها. بعد اثنتين وعشرين خُطوةً بلغوا القبو الأدنى، حيث الأنفاق ضيِّقة معوجَّة، ثقوب دوديَّة تتلوَّى في قلب الصَّخرة العظيمة. أحد الممرَّات مغلق ببابٍ حديدي ثقيل، فعلَّق الكاهن القنديل على خُطَّافٍ في الحائط ودسَّ يده في طيَّات ثيابه وأخرجَ مفتاحًا منمَّقًا.

اقشعرَّ جِلدها. *المعتكَف*. ما زالوا سينزلون إلى المستوى الثَّالث، إلى الحُجرات السرِّيَّة المسموح بدخولها للكهنة وحدهم.

طقَّ المفتاح ثلاث مرَّات بمنتهى الخفوت إذ دوَّره الرَّجل الطيِّب في القفل، وانفتحَ الباب على مفصلاتٍ حديد مزيَّتة دون أن يُصدِر صوتًا، ليظهر وراءه المزيد من السَّلالم المنحوتة في الصَّخر المصمت. تناولَ الكاهن القنديل ثانيةً وقادَ الطَّريق، واتَّبعت الفتاة الضَّوء عادَّةً الدَّرجات وهي تنزل. *4، 5، 6، 7*. وجدَت نفسها تتمنَّى لو أنها جلبَت عصاها. *10، 11، 12*. تعرف كم درجةً بين المعبد والقبو، وبين القبو والقبو الأدنى، حتى إنها أحصَت درجات السُّلَّم اللَّولبي الضيِّق الذي يقود إلى العلِّيَّة، ودرجات السُّلَّم الخشبي العالي الذي يقود إلى باب السَّطح والبسطة المكشوفة للرِّيح بالخارج.

لكن هذه السَّلالم مجهولة لها، وهو ما يجعلها خطرةً. *21، 22، 23*. مع كلِّ خُطوةٍ تشتدُّ برودة الهواء بعض الشَّيء، ولمَّا بلغَ عدُّها الثَّلاثين علمَت أنهم تحت القنوات نفسها الآن. *33، 34*. كم سيتوغَّلون في باطن الأرض؟

عندما بلغَت الدَّرجة الرَّابعة والخمسين انتهَت السَّلالم أخيرًا عند بابٍ حديد آخَر، وإن لم يكن هذا موصدًا. دفعَه الرَّجل الطيِّب وخطا إلى الدَّاخل، وتبعَته الفتاة وفي أعقابها اللَّقيطة. تردَّدت أصداء خُطاهم في الظُّلمة، ورفعَ الرَّجل الطيِّب قنديله وأزاحَ سدائله عن آخِرها ليغمر الضَّوء الجُدران من حولهم.

ورأت ألفًا من الوجوه تُحدِّق إليها.

وجوه معلَّقة على الجُدران عاليها وسافلها، أمامها وخلفها، أينما نظرَت، أينما التفتَت. رأت وجوهًا شابَّةً ووجوهًا عجوزًا، وجوهًا شاحبةً ووجوهًا داكنةً، وجوهًا ناعمةً ووجوهًا متغضِّنةً، وجوهًا منمَّشةً ووجوهًا نديبةً، وجوهًا وسيمةً ووجوهًا دميمةً، رجالًا ونساءً، صِبيان وصبايا ورُضَّعًا أيضًا، وجوهًا باسمةً، وجوهًا عابسةً، وجوهًا ملأى بالجشع والغضب والشَّبق، وجوهًا حليقةً ووجوهًا كثيفة الشَّعر. قالت لنفسها: *أقنعة، إن هي إلَّا أقنعة*، لكن حتى في اللَّحظة التي جالَت فيها الفكرة بدماغها كانت تعلم أن ذلك ليس صحيحًا. هذه جلود بَشريَّة.

سألَها الرَّجل الطيِّب: «هل تُخيفكِ أيتها الصَّغيرة؟ لم يَفُت الأوان، ما زالَ يُمكنكِ تركنا. أهذا ما تُريدين حقًّا؟».

عضَّت آريا شفتها. إنها تجهل ما تُريده. *إذا غادرتُ فأينَ اذهبُ؟* لقد غسَّلت مئة جثَّةٍ وجرَّدتها من ثيابها، والأشياء الميتة لا تُخيفها. *يأتون بهم هنا ثم يقطعون وجوههم، وماذا في هذا؟* إنها ذئبة اللَّيل، وليست تخشى قطعةً من الجِلد. *قلنسوات جِلديَّة، هذا كلُّ ما هنالك، لا يُمكنها أن تُؤذيني*. باندفاعٍ قالت: «افعلها».

قادَها عبر القاعة مرورًا بصفٍّ من الأنفاق المفضية إلى أروقةٍ جانبيَّة، وأنارَ ضوء القنديل كلًّا منها بدوره. أحد الأنفاق جُدرانه من العظام البَشريَّة، وتدعم سقفه أعمدة من الجماجم، وينفتح آخَر على سلالم ملتفَّة تقود إلى أسفل. *كم قبوًا هناك؟ هل تنزل السَّلالم بلا نهاية؟*

قال الكاهن آمرًا: «اجلِسي»، فجلسَت. «والآن أغمِضي عينيكِ»، فأغمضَت عينيها. «سيؤلِمكِ هذا، لكن الألم ثَمن القوَّة. لا تتحرَّكي».

بثبات الحجر. جلسَت بلا حراك، وكان القَطع سريعًا، والنَّصل ماضيًا. المفترَض أن يكون النَّصل باردًا على بشرتها، إلَّا أنها شعرَت به دافئًا، وشعرَت بالدَّم ينهمر على وجهها كستارٍ أحمر متموِّج يُرخى على جبهتها ووجنتيها وذقنها، وأدركَت لماذا جعلَها الكاهن تُغلِق عينيها. حينما بلغَ شفتيها تذوَّقت الملح والنُّحاس، ولعقَته وارتجفَت.

قال الرَّجل الطيِّب: «هاتي الوجه»، فلم تُجِب اللَّقيطة، لكن الفتاة سمعَت خُفَّيها يهمسان على الأرض الحجريَّة. للفتاة قال الكاهن: «اشربي هذا»، ووضعَ في يدها كوبًا. جرعَته دُفعةً واحدةً، ووجدَت مذاقه لاذعًا للغاية كأنها قضمَت من ليمونة. قبل ألف عامٍ عرفَت فتاةً أحبَّت كعك اللَّيمون. *لا، لم تكن تلك أنا، كانت آريا*.

كان الرَّجل الطيِّب يقول: «الممثِّلون يُبدِّلون وجوههم بالحيلة، والمشعوذون يستخدمون السِّحر، ينسجون الضَّوء والظِّلال والأماني معًا لعمل أوهامٍ تخدع الأعيُن. سوف تتعلَّمين تلك الفنون، لكن ما نفعله هنا يتجاوَز ذلك. باستطاعة الحُكماء استشفاف الحيل، وتحت الأعيُن الثَّاقبة يذوب الوهم، أمَّا الوجه الذي ستضعينه الآن فحقيقي راسخ كالوجه الذي وُلِدتِ به. لا تفتحي عينيكِ». شعرَت بأصابعه تُزيح شَعرها إذ قال: «ابقي ثابتةً. سينتابك إحساس غريب، وقد يُصيبكِ الدُّوار، لكن يجب ألَّا تتحرَّكي».

ثم إنها شعرَت بشَدَّةٍ وحفيفٍ خافت إذ وُضِعَ الوجه الجديد على القديم. احتكَّ الجِلد بجبهتها جافًّا يابسًا، لكن عندما تشرَّب دمها صارَ ناعمًا لدنًا. أحسَّت بدفءٍ واحتقانٍ في وجنتيها، وتسارعَت خفقات قلبها في صدرها، وللحظةٍ طالَت لم تستطِع التقاط أنفاسها. أطبقَت على عُنقها يدان بصلابة الحجر وراحَتا تَخنُقانها، فانطلقَت يداها إلى أعلى تُصارِعان ذراعَي مهاجِمها، إلّا أنها لم تجد أحدًا. أفعمَها إحساس مفجع بالخوف، وسمعَت ضوضاءً، ضوضاءً مهولةً كأن شيئًا ما ينطحن يصحبها ألم يُعمي، وسبحَ وجه أمامها، وجه وحشي سمين ملتحٍ يلتوي فمه ثورةً. سمعَت الكاهن يقول: «تنفَّسي أيتها الصَّغيرة، اطرُدي الخوف بالتَّنفُّس، انفضي الظِّلال. هو ميت وهي ميتة. ألمها انتهى. تنفَّسي».

أخذَت الفتاة نفسًا عميقًا راجفًا وأدركَت أن ما قاله صحيح. لا أحد يَخنُقها، لا أحد يضربها، وعلى الرغم من هذا ارتعشَت يدها إذ رفعَتها إلى وجهها، لتتفتَّت شذرات من الدَّم الجاف مع لمسة أناملها، سوداء في ضوء القنديل. تحسَّست وجنتيها ولمسَت عينيها ومرَّرت أصابعها على خطّ فكِّها، ثم قالت: «لم يتبدَّل وجهي».

- «حقًّا؟ أأنتِ واثقة؟».

أهي واثقة؟ لم تَشعُر بأيِّ تغيير، ولكن قد لا يكون هذا شيئًا تَشعُر به. مرَّرت يدها على وجهها من أعلى إلى أسفل كما رأت چاكن هاچار يفعل في (هارنهال). حين فعلَ هذا تموَّجت ملامحه كلُّها وتغيَّرت، وحين فعلَته هي لم يَحدُث شيء. «لا أشعرُ بتغيير».

ردَّ الكاهن: «أنتِ لا تَشعُرين به، لكن وجهكِ تبدَّل».

أضافَت اللَّقيطة: «في أعيُن الآخَرين أنفكِ وفكُّكِ مكسوران، وأحد جانبَي وجهك غائص حيث تهشَّمت عظمة الخد، ونِصف أسنانك مفقود».

تحسَّست داخل فمها بلسانها فلم تجد فجواتٍ أو أسنانًا مكسورةً. شعوذة. *إن لي وجهًا جديدًا، وجهًا قبيحًا محطَّمًا.*

قال الرَّجل الطيِّب يُنبِّهها: «قد ترين أحلامًا سيِّئةً فترةً من الوقت. لقد اعتادَ أبوها ضربها كثيرًا وبوحشيَّةٍ حتى إنها لم تنعتِق حقًّا من الألم حتى جاءَتنا».

- «هل قتلتموه؟».

- «لقد طلبَت الهديَّة لنفسها لا لأبيها».

كان يَجدُر بكم أن تَقتُلوه هو.

مؤكَّد أنه قرأ أفكارها، لأنه قال: «الموت أدركَه في النِّهاية كما يُدرِك البَشر جميعًا وكما يجب أن يُدرِك رجلًا معيَّنًا غدًا»، ورفعَ المصباح مضيفًا: «فرغنا هنا».

في *الوقت الحالي*. بينما بدأوا يصعدون السَّلالم بدا كأن محاجر أعيُن الجلود الفارغة على الجُدران تتبعها، وللحظةٍ خُيِّلَ إليها أنها ترى شفاهها تتحرَّك، تتبادَل همس الأسرار الفاتنةً المدلهمَّة بكلماتٍ أخفت من أن تسمعها.

لم يأتِ النَّوم ليلتها بسهولة. مشتبكةً في أغطيتها، ما انفكَّت تتقلَّب في هذا الاتِّجاه وذاك في غُرفتها الباردة المظلمة، وأينما انقلبَت رأت الوجوه. *ليس لها أعيُن، لكنها تراني*. رأت وجه أبيها على الحائط، وإلى جواره وجه السيِّدة والدتها، وأسفلهما وجوه إخوتها الثَّلاثة في صف. *لا، كانت تلك فتاةً أخرى. أنا لا أحد، وإخوتي الوحيدون يرتدون ثيابًا من الأبيض والأسود*. ومع ذلك ها هو ذا المغنِّي الأسود، وهنا عامل الاسطبلات الذي قتلَته بـ(الإبرة)، وهنا المُرافق ذو الدَّمامل من الخان على مفترَق الطُّرق، وهناك الحارس الذي شقَّت حَلقه لتُخرِجهم من (هارنهال). والمُدغدِغ على الحائط أيضًا، يسبح الحقد في الثُّقبين الأسودين اللذين كانا عينيه، وقد أعادَ منظره شعورها بالخنجر في يدها إذ أغمدَته في ظَهره مرَّةً تلو المرَّة تلو المرَّة.

عندما طلعَ النَّهار أخيرًا على (براقوس) كان غائمًا مظلمًا مكفهرًّا. كانت الفتاة تأمل أن يكون هناك ضباب، غير أن الآلهة تجاهلَت دُعاءها كما تفعل الآلهة كلُّها في أغلب الأحيان. اليوم الهواء صافٍ بارد، وللرِّيح قضمة بغيضة. *يوم مناسب لموت احدهم*. بلا دعوةٍ وجدَت صلاتها على شفتيها. *السير جريجور، دانسن، راف المعسول، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي*. لفظَت الأسماء بصمت، ففي (دار الأبيض والأسود) لا يدري المرء أبدًا مَن عساه يتنصَّت.

الأقبية ملأى بالملابس القديمة المأخوذة من جُثث مَن جاءوا (دار الأبيض والأسود) في سبيل أن يشربوا السَّلام من بِركة المعبد. كلُّ شيءٍ متاح هنا من أسمال الشحّاذين إلى أفخم أنواع الحرير والمخمل. *المفترَض أن ترتدي الفتاة القبيحة ثيابًا قبيحةً*. وهكذا انتقَت معطفًا بنِّيًا متَّسخًا مهترئًا عند الحاشية، وقميصًا أخضر باليًا فيه رائحة الأسماك الذَّفرة، وحذاءً ثقيلًا طويل العُنق، وأخيرًا وضعَت سكِّينها الرَّفيع في راحة يدها.

ليست في عجلة، وهكذا قرَّرت أن تَسلُك الطَّريق الأطول إلى (الميناء الأرجواني)، وعبرَت الجسر إلى (جزيرة الآلهة). اعتادَت قِطَّة القنوات بيع أُم الخلول وبلح البحر بين دور العبادة هنا متى جاءَ تاليا ابنة بروسكو نزيفها القمري ولزمَت الفِراش. توقَّعت نوعًا أن ترى تاليا تبيع بضاعتها هنا اليوم، ربما خارج (جُحر الأرانب) حيث لكلِّ الآلهة الصَّغيرة المنسيَّة مزاراتها المهجورة، لكن هذا سُخف، فالنَّهار شديد البرودة، وتاليا لا تحبُّ الاستيقاظ مبكِّرًا أبدًا. كان التِّمثال خارج مقام سيِّدة (لِيس) الباكية يذرف العبرات الفضِّيَّة إذ مرَّت الفتاة القبيحة، وفي (حدائق جيليناي) ترتفع مئة قدمٍ شجرة مذهَّبة أوراقها من الفضَّة المطرَّقة، ويتوهَّج ضوء المشاعل وراء النَّوافذ في بهو إله الرِّفاء الخشبي، على زُجاجها المطلي بالرَّصاص نِصفمئة نوعٍ مختلف من الفراشات زاهية الألوان.

تَذكُر الفتاة مرَّةً سارَت فيها زوجة البحَّار معها وحكَت لها عن أغرب آلهة المدينة. «هذه دار الرَّاعي الأعظم، وهذا البُرج ذو الشُّرفات الثَّلاث ينتمي إلى تريوس ثُلاثي الرُّؤوس. الرَّأس الأول يلتهم الأموات، والمبعوثون يَخرُجون من الثَّالث. لا أدري ما يفعله الرَّأس الأوسط. هذه (أحجار الإله الصَّامت)، وهناك مدخل (متاهة صانِع الأنماط). يقول كهنة عقيدة النَّمط إن مَن يتعلَّمون قطعها دون توهانٍ فقط يجدون سبيل الحكمة. وراءها عند القناة، هذا معبد الثَّور الأحمر آكوان. كلَّ ثلاثة عشر يومًا يذبح رُهبانه عجلًا أبيض نقيًا ويُقدِّمون أوعية الدَّم للمتسوِّلين». لكن اليوم ليس اليوم الثَّالث عشر على ما يبدو، لأن سلالم الثَّور الأحمر خالية.

في معبدين توأمين متواجهين على ضفَّتَي (القناة السَّوداء) يَحلُم الإلهان الأخوان سيموش وسيلوسو. عبرَت الفتاة الجسر الحجري المزيَّن بالنُّقوش الرَّابط بينهما وشقَّت طريقها إلى أحواض السُّفن ثم عبر (ميناء راجمان) ومرورًا بأبراج وقِباب (البلدة الغارقة) البارزة قممها من الماء.

لدى مرورها خرجَت مجموعة من البحّارة اللايسينيِّين مترنِّحةً من (الميناء السَّعيد)، لكن الفتاة لم ترَ أيًّا من العاهرات، و(السَّفينة) مغلقة خاوية، فلا شكَّ أن فِرقة الممثِّلين ما زالَت نائمةً، لكن بعد مسافة، على الرَّصيف المجاور لسفينة صيد حيتان من (إيبن)، لمحَت صديق كات القديم تاجانورو يتقاذَف كُرةً سوداء مع كاسو ملك الفقمات في حين يُعمِل أحدث نشّاليه يديه في جيوب المتفرِّجين. حين توقَّفت تتفرَّج وتسمع قليلًا وقعَ بصر تاجانورو عليها ولم يتعرَّفها، إلّا أن كاسو نبحَ وصفَّق بزعنفتيه. فكَّرت الفتاة: *إنه يعرفني، أو أنه يشمُّ رائحة السَّمك*، وجدَّت خُطاها.

عندما وصلَت إلى (الميناء الأرجواني) كان العجوز كامنًا في محل الحَساء وجالسًا إلى طاولته المعتادة، يعدُّ ما في كيس نقودٍ فيما يُساوِم رُبّان سفينة، ويحوم حارسه الطَّويل النَّحيف حوله ويجلس القصير المكتنز قُرب الباب حيث يُلقي نظرةً جيِّدةً على كلِّ من يَدخُل. لا يهمُّ. إنها لا تنوي الدُّخول. بدلًا من ذلك جثمَت فوق قائمٍ خشبي يَبعد عشرين ياردةً والرِّيح العاصفة تجذب معطفها بأصابع شبحيَّة.

حتى في يومٍ بارد غائم كهذا الميناء مزدحم. رأت بحّارةً يجولون بحثًا عن عاهراتٍ وعاهراتٍ يَجُلن بحثًا عن بحّارة، وزوجين من مُبارزي البراڤو في ثيابٍ مبهرجة فسدَ هندامها، يميل كلاهما على الآخَر إذ مرّا بترنُّح السَّكارى وسيفاهما يُصَلصِلان في غِمديهما، ومرَّ بها راهب أحمر يُرَفرِف معطفه القرمزي بعُنفٍ في الرِّيح.

قُبيل الظُّهر رأت الرَّجل الذي تُريده، مالِك سفينةٍ موسرًا سبقَت لها رؤيته يتعامَل مع العجوز ثلاث مرَّات، أصلع كبير الحجم متين البنية، ويرتدي معطفًا ثقيلًا من القطيفة البنِّي المهدَّب بالفرو ويُحيط بخصره حزام من الجِلد البنِّي مرصَّع بأقمارٍ ونجومٍ فضِّيَّة. على إثر حادثةٍ ما تيبَّست إحدى ساقيه، ولذا يمشي ببُطءٍ متَّكئًا على عُكَّاز.

قرَّرت الفتاة أنه يَصلُح لغرضها كأيِّ أحدٍ آخَر وربما أكثر من غيره، وهكذا قفزَت من فوق القائم وتبعَته. دستة من الخُطوات الطَّويلة وضعَتها وراءه مباشرةً وقد وجَّهت سكِّينها. كيس نقوده معلَّق على جانبه الأيمن من حزامه، لكن معطفه يعترض طريقها. مرقَ نصلها بسرعةٍ ونعومة، ضربة واحدة عميقة شقَّت المخمل ولم يَشعُر بشيء. كان روجو الأحمر ليبتسم لمرأى المشهد. دسَّت يدها في الثَّغرة وشقَّت الكيس بسكِّينها وملأت قبضتها بالذَّهب...

ودارَ الرَّجل الكبير قائلًا: «ماذا...».

شبكَت الحركة ذراعها في طيَّات معطفه وهي تُحاوِل سحب يدها، وانهالَ وابل من العُملة حول قدميها. صاحَ الرَّجل الكبير: «لصَّة!»، ورفعَ عُكَّازه ليضربها، فركلَت ساقه المصابة من تحته وتملَّصت بحركةٍ راقصة وإذ سقطَ انطلقَت كالسَّهم تبتعد متجاوزةً أمًّا وطفلها. سقطَ المزيد من العُملات من بين أصابعها ليتدحرَج على الأرض، ودوَّت صيحات «*لصَّة! لصَّة!*» من ورائها. حاولَ صاحِب خان كبير البطن كان مارًّا أن يُمسِكها بحركةٍ خرقاء، لكنها دارَت حوله واندفعَت متجاوزةً عاهرةً تضحك وركضَت مباشرةً إلى أقرب زُقاق.

عرفَت كات قِطَّة القنوات هذه الأزقَّة، والفتاة القبيحة تَذكُرها. اندفعَت يسارًا ووثبَت من فوق سورٍ واطئ وقفزَت عابرةً قناةً صغيرةً ودخلَت من بابٍ غير موصد إلى مخزنٍ مليء بالتُّراب. كانت كلُّ أصوات المطاردة قد خفتَت، لكن الأفضل أن تتيقَّن، فقبعَت وراء بعض الأقفاص مطوِّقةً رُكبتيها بذراعيها. انتظرَت قُرابة السَّاعة، ثم قرَّرت أن الخروج مأمون الآن، فتسلَّقت جانب المبنى وشقَّت طريقها على الأسطُح حتى (قناة الأبطال) تقريبًا. لا بُدَّ أن مالِك السَّفينة جمعَ نقوده والتقطَ عُكَّازه بالفعل ومضى يعرج إلى محل الحَساء، ولعلَّه يشرب وعاءً من المرق السَّاخن ويشكو إلى العجوز الفتاة القبيحة التي حاولَت أن تسرق كيس نقوده.

كان الرَّجل الطيِّب في انتظارها في (دار الأبيض والأسود)، جالسًا على حافة البِركة السَّوداء. جلسَت الفتاة القبيحة إلى جواره ووضعَت قطعة عُملة على الحافة بينهما، عُملةً من الذَّهب على أحد وجهيها تنِّين وعلى الآخَر ملك.

قال الرَّجل الطيِّب: «تنِّين (وستروس) الذَّهبي. وكيف حصلتِ على هذا؟ لسنا لصوصًا».

- «لم تكن سرقةً. أخذتُ واحدًا من تنانينه وأعطيته واحدًا من تنانيننا».

فهمَ الرَّجل الطيِّب، وقال: «وبهذه العُملة والأخريات في كيسه دفعَ لرجلٍ معيَّن، وبعدها بقليلٍ توقَّف قلب ذلك الرَّجل، أليس كذلك؟ محزن للغاية»، والتقطَ الكاهن العُملة وألقاها في البِركة مضيفًا: «أمامكِ كثير عليكِ تعلُّمه، لكن ربما لا تكونين ميؤوسًا منكِ».

ليلتها أعادوا إليها وجه آريا ستارك.

جلبوا لها ثوبًا أيضًا، ثوب المُعاونين النَّاعم السَّميك، أسود على جانب وأبيض على جانب، وأخبرَها الكاهن: «ارتدي هذا حين تكونين هنا، لكن اعلمي أنكِ لن تحتاجي إليه كثيرًا حاليًّا. غدًا ستذهبين إلى إزيمبارو لتبدئي تدريبكِ الأول. خُذي ما تشائين من ملابس من الأقبية بالأسفل. حَرس المدينة يبحثون عن فتاةٍ قبيحة بعينها، معروفة بالتَّردُّد إلى (الميناء الأرجواني)، فالأفضل أن تضعي وجهًا جديدًا أيضًا»، وأمسكَ ذقنها بأصابعه وأدارَه في هذا الاتِّجاه وذاك، ثم أومأ برأسه متابعًا: «وجهًا جميلًا هذه المرَّة على ما أظنُّ، جميلًا كوجهكِ. ومَن أنتِ أيتها الصَّغيرة؟».

أجابَته: «لا أحد».

أمضَت الملكة ليلة سجنها الأخيرة في أرق. كلَّما أغمضَت عينيها ملأَت رأسها وساوس وخيالات الغد. قالت لنفسها: *سيكون معي حَرس، سيُبعِدون عني الزِّحام، لن يسمحوا لأحدٍ بلمسي*. هكذا وعدَها العُصفور الأعلى.

وعلى الرغم من هذا تتوجَّس خيفةً. يوم أبحرَت مارسلا إلى (دورن)، يوم انتفاضة الخُبز، كان ذوو المعاطف الذَّهبيَّة منشورين بطول طريق الموكب، لكن الغوغاء اخترقوا صفوفهم ليُمزِّقوا السپتون الأعلى البدين السَّابق أشلاءً ويغتصبوا لوليس ستوكوورث عشرات المرَّات. وإذا هيَّجت مخلوقة شاحبة خرِعة حمقاء مِثلها هؤلاء الحيوانات بثيابها كاملةً فكم ستُثير فيهم الملكة من الشَّهوة؟

ذرعَت سرسي زنزانتها جيئةً وذهابًا بضجر الأُسود التي عاشَت في أعماق (كاسترلي روك) في صِباها وكانت ميراثًا من زمن جدِّها. تعوَّدت أن تتحدَّى چايمي ويتحدَّاها أن يتسلَّلا إلى قفصها، وفي مرَّةٍ استجمعَت ما يكفي من الشَّجاعة لدسِّ يدها بين قضيبين ولمس أحد الوحوش السَّمراء المصفرَّة. لطالما كانت أجرأ من أخيها. التفتَ اللَّيث برأسه يَرمُقها بعينين ذهبيَّتين ضخمتين، ثم لعقَ أصابعها. كان لسانه خشنًا كمبرد الخشب، لكنها لم تسحب يدها حتى أمسكَها چايمي من كتفيها وشدَّها بعيدًا عن القفص.

بعدها قالت له: «دورك. اجذبه من لبدته، أتحدَّاك». *ولم يفعل. كان يجب أن أحمل أنا السَّيف لا هو*.

حافية القدمين مرتجفةً ذرعَت الزِّنزانة وعلى كتفيها غطاء خفيف، تترقَّب طلوع النَّهار. بحلول المساء سيكون كلُّ شيءٍ قد انتهى. *القليل من المشي وأعودُ إلى بيتي، أعودُ إلى تومن، في مسكني داخل* (حصن ميجور). قال عمُّها إنه السَّبيل الوحيد لإنقاذ نفسها. لكن أهو كذلك بحق؟ إنها لا تثق بعمِّها أكثر مما تثق بالسِّپتون الأعلى. *ما زالَ بإمكاني الرَّفض، ما زالَ يُمكنني أن أصرَّ على براءتي وأراهن بكلِّ شيءٍ على مُحاكمة*.

لكنها لا تَجسُر على السَّماح للعقيدة بالحُكم عليها كما تنوي مارچري تايرل أن تفعل. قد ينفع ذلك الوردة الصَّغيرة، لكن أصدقاء سرسي قلائل بين السِّپتوات والعصافير حول هذا السِّپتون الأعلى الجديد. أملها الوحيد المُحاكمة بالقتال، ولأجل هذا لا بُدَّ من نصير.

لو لم يفقد چايمي يده...

طريق مسدود هذا. چايمي فقدَ يد سيفه، وهو نفسه مفقود، اختفى مع تلك المرأة بِريان في مكانٍ ما في أراضي النَّهر. يجب أن تجد الملكة أحدًا آخَر يذود عنها وإلَّا لصارَت مشقَّة اليوم أقل متاعبها. أعداؤها يتَّهمونها بالخيانة، وعليها أن تصل إلى تومن مهما كان الثَّمن. *إنه يُحبُّني، لن يَرفُض طلب أمِّه*. *چوف كان عنيدًا متقلِّبًا، لكن تومن صبي صغير طيِّب، ملك صغير طيِّب. سيفعل ما يُقال له*. إذا بقيَت هنا فهي هالكة، والوسيلة الوحيدة للعودة إلى (القلعة الحمراء) هي المشي. لم يتزحزَح العُصفور الأعلى قيد شعرةٍ عن موقفه، وأبى السير كيڤان أن يرفع إصبعًا ضده.

قالت سرسي عندما مسَّت باكورة ضوء النَّهار نافذتها: «لن يُصيبني أذى اليوم، لن ينجرح إلَّا كبريائي»، لكن كلماتها تردَّدت برنينٍ أجوف في أُذنيها. *قد يأتي چايمي رغم كلِّ شيء.* تخيَّلته على صهوة حصانه في ضباب الصَّباح، تتألَّق درعه الذَّهبيَّة في ضوء الشَّمس المشرقة. *چايمي، إذا أحببتني يومًا*...

أتَتها سجَّاناتها بقيادة السِّپتة أونلا والسِّپتة مويل والسِّپتة سكوليرا، ومعهن أربع مترهبنات مبتدئات وأختان صامتتان. ملأ منظر الأختين الصَّامتتين الملكة بذُعرٍ مفاجئ. *ماذا تفعلان هنا؟ هل سأموتُ؟* مهمة الأخوات الصَّامتات العناية بالموتى. قالت: «السِّپتون الأعلى وعدَ بأن أذًى لن يمسَّني».

ردَّت السِّپتة أونلا: «ولن يمسَّكِ»، وأشارَت للمبتدئات. أحضَرن معهن قطعةً من صابون القِلْي وطستًا من الماء الدَّافئ ومقصًّا وموسى حلاقة طويلةً. اقشعرَّ جسدها لمرأى الفولاذ. *ينوين حلاقتي. مزيد من الإذلال، إهانة صغيرة فوق كومة الإهانات*. لن تمنحهن مُتعة رؤيتها تتوسَّل. *أنا سرسي سليلة عائلة لانستر، لبؤة (الصَّخرة)، ملكة هذه (الممالك السَّبع) الشَّرعيَّة، ابنة تايوين لانستر ووريثته... والشَّعر ينمو ثانيةً*. «هيا إذن».

تناولَت أكبر الأختين الصَّامتتين سِنًّا المقص. لا شكَّ أنها حلَّاقة خبيرة، فجماعتها تُعنى بتنظيف جُثث النُّبلاء القتلى قبل إعادتهم إلى أهلهم، ويتضمَّن هذا تشذيب اللِّحي وقصّ الشَّعر. عرَّت المرأة رأس الملكة أولًا، وجلسَت سرسي بجمود التَّماثيل الحجر إذ طقطقَ المقصُّ وسقطَت أكوام الشَّعر الذَّهبي على الأرض. لم يُسمَح لها بالعناية به كما ينبغي وهي حبيسة هذه الزِّنزانة، ومع ذلك التمعَ على الرغم من اتِّساخه وتلبُّده عندما مسَّته الشَّمس. *تاجي. أخذن مني تاجي الأول، والآن يسرقن هذا ايضًا*. حين تكوَّمت خُصلها وجدائلها حول قدميها غسلَت إحدى المبتدئات رأسها بالصَّابون وكشطَت الأخت الصَّامتة الجُذامة بالموسى.

أملَت سرسي أن تكون هذه النِّهاية، لكن لا. أمرَتها السِّپتة أونلا قائلةً: «اخلعي ثوبكِ يا صاحِبة الجلالة».

- «هنا؟ لماذا؟».

- «لا بُدَّ من جزِّ شَعر جسدكِ».

كالخراف. خلعَت الثَّوب بحدَّةٍ وألقَته على الأرض، وقالت: «افعلن ما تُرِدن».

الصَّابون ثانيةً، ثم الماء الدَّافئ، ثم الموسى. زالَ الشَّعر تحت إبطيها أولًا، ثم ساقيها، وأخيرًا الوبر الذَّهبي النَّاعم على جبل زهرتها. حين دخلَت الأخت الصَّامتة بين ساقيها بالموسى وجدَت سرسي نفسها تتذكَّر المرَّات التي ركعَ فيها چايمي حيث تركع الآن، يطبع القُبل على باطن فخذيها ويُبلِّلها. لطالما كانت قُبلاته دافئةً، أمَّا الموسى فباردة كالثَّلج.

لمَّا انتهى هذا كانت قد بلغَت أقصى درجةٍ من العُري والاستضعاف يُمكن أن تَبلُغها امرأة. *ولا شعرة واحدة أختبئ وراءها*. انبثقَت ضحكة صغيرة من بين شفتيها، ضحكة كئيبة مريرة.

سألَتها السِّپتة سكوليرا: «هل تجد جلالة الملكة الأمر طريفًا؟».

- «لا أيتها السِّپتة». *لكن يومًا ما سأجعلهم يجتثُّون لسانكِ بكمَّاشة ساخنة، وسيكون هذا مضحكًا لأقصى درجة*.

جلبَت لها إحدى المبتدئات رداءً من أردية السِّپتوات البيضاء النَّاعمة يُغطِّيها فيما تنزل سلالم البُرج وتمرُّ من داخل السِّپت، لتجنيب ما يلتقينه من متعبِّدين في الطَّريق منظر لحمها المكشوف. *ليُنقِذنا السَّبعة جميعًا، يا لهم من مُرائين*. سألَت: «هل مسموح لي بانتعال صندل؟ الشَّوارع قذرة».

أجابَتها السِّپتة مويل: «ليست بقذارة ذنوبكِ. صاحِب القداسة الأعلى قضى أن تُقدِّمي نفسكِ كما خلقتكِ الآلهة. هل كنتِ تنتعلين صندلًا حين خرجتِ من رحم أمِّكِ؟».

مكرهةً قالت الملكة: «لا أيتها السِّپتة».

- «تلقَّيتِ الجواب إذن».

بدأ جرس يدقُّ، وانتهى سجن الملكة الطَّويل. أحكمَت سرسي الرِّداء على جسدها ممتنَّةً لدفئه، وقالت: «هيا بنا». ابنها ينتظرها على الجانب الآخَر من المدينة، وكلَّما عجَّلت بالخروج اقتربَ مرآه.

احتكَّت حجارة الدَّرجات الخشنة بأخمص قدميها إذ بدأت سرسي لانستر رحلة النُّزول. لقد جاءَت (سِپت بيلور) ملكةً في هودج، وتُغادِره صلعاء حافيةً. *لكني مغادرة. لا يهمُّ إلَّا هذا*.

كانت أجراس الأبراج تُغنِّي مستدعيةً المدينة لتشهد على معرَّتها، و(سِپت بيلور الكبير) مزدحمًا بالمؤمنين الذين أتوا لحضور شعائر الفَجر وتُردِّد القُبَّة بالأعلى أصداء صلواتهم، لكن عندما ظهرَ موكب الملكة خيَّم الصَّمت والتفتَت ألف عينٍ تُتابِعها إذ قطعَت الممشى مارَّةً بالبُقعة التي مُدِّدَ فيها جُثمان أبيها بعد مقتله. تجاوزَتهم سرسي مسرعةً دون أن تَنظُر يمينًا أو شِمالًا، تلطم قدماها الحافيتان الأرضيَّة الرُّخام الباردة. كانت نظراتهم إليها محسوسةً، ومن وراء مذابحهم كان (السَّبعة) يُشاهِدون أيضًا.

في (بهو القناديل) وجدَت دستةً من أبناء المُحارب في انتظار وصولها، تنسدل على ظهورهم معاطف قوس قزح وتَبرُق البلَّورات على قمم خوذهم العظيمة في ضوء المصابيح. دروعهم من الصَّفائح المصقولة حتى البريق كلُجين المرايا، لكنها تعلم أن تحتها يرتدي كلٌّ منهم قميصًا من الشَّعر. على تُروسهم لوزيَّةَ الشَّكل جميعًا الرَّمز نفسه، سيف بلَّوري يلمع في الظَّلام، الشَّارة العتيقة التي يضعها من يدعوهم العوام بالسُّيوف.

ركعَ قائدهم أمامها قائلًا: «ربما تَذكُرني صاحِبة الجلالة. أنا السير ثيودان الصَّادق، وقد كلَّفني صاحِب القداسة الأعلى بقيادة حراستكِ. أنا وإخوتي سنصحبكِ في أمانٍ عبر المدينة».

جالَت سرسي بنظرها في وجوه الرِّجال الواقفين وراءه، وها هو ذا لانسل ابن عمِّها، ابن السير كيڤان الذي ادَّعى حُبَّها قبل أن يُقرِّر أن حُبَّه للآلهة أكبر. دمي *وخائني*. لن تنساه. قالت: «يُمكنك أن تنهض أيها السير ثيودان. أنا مستعدَّة».

نهضَ الفارس والتفتَ ورفعَ يده، فذهبَ اثنان من رجاله إلى مصراعَي الباب المنيفيْن ودفعاهما، وخرجَت سرسي من بينهما إلى الهواء الطَّلق، ترمش عيناها في ضوء الشَّمس كالخُلد حين يُغادِر جُحره.

كانت ريح شديدة تهبُّ جاعلةً أسفل ردائها يُرَفرِف ويُفرقِع حول ساقيها، وهواء الصَّباح مليئًا بروائح (كينجز لاندنج) الكريهة المألوفة. تنشَّقت النَّبيذ الحامض والخبيز والسَّمك المتعفِّن والغائط والدُّخان والعَرق وبول الخيول، وفي حياتها كلِّها لم تشمَّ الملكة زهرةً لها هذا الشَّذا. ملتحفةً بردائها، وقفَت سرسي على قمَّة السَّلالم الرُّخام فيما اتَّخذ أبناء المُحارب تشكيلهم حولها.

خطرَ لها فجأةً أنها وقفَت في هذه البُقعة تحديدًا من قبل يوم فقدَ اللورد إدارد ستارك رأسه. *لم يكن يُفترَض أن يَحدُث هذا. كان المفترَض أن يُبقي عليه جوف ويُرسِله إلى (الجِدار)*. كان ابن ستارك الأكبر ليخلفه في سيادة (وينترفل)، ولبقيَت سانزا في البلاط رهينةً. دبَّر ڤارس والإصبع الصَّغير الشُّروط، وابتلعَ ند ستارك شَرفه الثَّمين واعترفَ بالخيانة ليُنقِذ رأس ابنته الصَّغير الفارغ. *كنتُ لأرتِّب لسانزا زيجةً جيِّدةً، ليس بجوف طبعًا، لكن لانسل كان ليَصلُح، أو أحد أخويه الأصغر*. تَذكُر أن پيتر بايلش عرضَ أن يتزوَّج هو الفتاة، لكن ذلك كان مستحيلًا بالطَّبع، فنسب الرَّجل لا يليق بها على الإطلاق. *لو فعلَ جوف كما قيلَ له لما دخلَت (وينترفل) الحرب ولتعاملَ أبي مع أخوَي روبرت.*

وبدلًا من ذلك أمرَ چوف بقطع رأس ستارك، وأسرعَ اللورد سلينت والسير إلين پاين لتلبية الأمر. فكَّرت الملكة محدِّقةً إلى البُقعة: حدثَ *هذا هناك بالضَّبط*. رفعَ چانوس سلينت رأس ند ستارك من شَعره لتسيل دماؤه على الدَّرجات، وبعدها انقطعَت سُبل العودة.

بدَت الذِّكريات بعيدةً للغاية. چوفري ماتَ، وجميع أبناء ستارك أيضًا، وحتى السيِّد والدها أدركَه الموت. وها هي ذي واقفة على عتبة (السِّپت الكبير) ثانيةً، لكن الفرق هذه المرَّة أن الرَّعاع يَنظُرون إليها هي لا إلى إدارد ستارك.

السَّاحة الرُّخام الواسعة مزدحمة كما كانت يوم ماتَ ستارك. أينما نظرَت الملكة رأت الأعيُن، وبدا لها أن الرَّعاع منقسمين إلى رجالٍ ونساء بالتَّساوي، وعلى أكتاف بعضهم أطفال. شحَّاذون ولصوص، وأصحاب حانات وتُجَّار، وصبَّاغون وعُمَّال اسطبلات وممثِّلون، وأرخص أنواع العاهرات... خرجَ جميع الأوباش ليتفرَّجوا على ملكةٍ عزيزة تذلُّ. يختلط بهم أفراد جماعة الصَّعاليك، مخلوقات قذرة مشعثة اللِّحى تحمل الحِراب والفؤوس وترتدي صفائح المعدن المنبعجة وحلقاته الصَّدئة والجِلد المشقَّق تحت سُتراتٍ طويلة من الخيش المبيَّض المزيَّن بنجمة العقيدة السُّباعيَّة، جيش العُصفور الأعلى الحقير.

ما زالَ جزء منها يتوق إلى أن يظهر چايمي ويُنقِذها من هذا الهوان، لكن ليس لتوأمها أثر. عمُّها متغيِّب أيضًا، ولم يُدهِشها هذا، إذ وضَّح السير كيڤان وجهة نظره تمامًا في زيارته الأخيرة. يجب ألَّا يُسمَح لعارها بتلويث شَرف (كاسترلي روك)، وعليه فلن يمشي معها أُسود اليوم. المحنة محنتها وحدها.

وقفَت السِّپتة أونلا إلى يمينها والسِّپتة مويل إلى يسارها والسِّپتة سكوليرا خلفها. إذا حاولَت الملكة الفرار أو التَّراجُع فستجرُّها الشَّمطاوات الثَّلاث إلى الدَّاخل، وهذه المرَّة سيحرصن على عدم مغادرتها زنزانتها ثانيةً أبدًا.

رفعَت سرسي رأسها. وراء السَّاحة، وراء بحر الأعيُن الجوعى والأفواه المفغورة والوجوه المتَّسخة، عبر المدينة، يرتفع (تل إجون العالي) من بعيد وتتضرَّج بروج وشُرفات (القلعة الحمراء) بالوردي في ضوء الشَّمس المشرقة. *ليست بعيدةً جدًّا*. ما إن تَبلُغ البوَّابة سينتهي أسوأ همومها، ستستعيد ابنها، ستَحصُل على نصيرها. لقد وعدَها عمُّها. *تومن ينتظرني، ملكي الصَّغير. استطيعُ أن أفعل هذا، يجب أن أفعله*.

تقدَّمت السِّپتة أونلا، وأعلنَت: «أمامكم تأتي خاطية. إنها سرسي سليلة عائلة لانستر، الملكة الأرملة، أُم صاحِب الجلالة الملك تومن، أرملة صاحِب الجلالة الملك روبرت، ولقد ارتكبَت آثامًا ومفاسق فادحةً».

وتقدَّمت السِّپتة مويل لتقف إلى يمين الملكة قائلةً: «هذه الخاطية اعترفَت بذنوبها وتوسَّلت الإبراء والغُفران، وأمرَها صاحِب القداسة الأعلى بالبرهنة على توبتها بتنحيتها كلَّ كبرياءٍ وجاه وتقديم نفسها كما خلقَتها الآلهة لأهل المدينة الكرام».

وأنهَت السِّپتة سكوليرا: «والآن تأتي أمامكم هذه الخاطية بقلبٍ خاشع، خالصةً من الأسرار والخبايا، عاريةً تحت أعيُن الآلهة والبَشر، لتسير مسيرة الكفَّارة».

كانت سِنُّ سرسي عامًا واحدًا عندما ماتَ جدُّها، وأول شيءٍ فعلَه أبوها لدى تولِّيه اللورديَّة أنه طردَ عشيقة أبيه الجشعة وضيعة المولد من (كاسترلي روك). جُرِّدَت المرأة مما أغدقَ عليها به اللورد تايتوس من حريرٍ ومخمل، ومن الجواهر التي أخذَتها لنفسها، وسيقَت إلى المشي عاريةً في شوارع (لانسپورت) ليراها الغرب على حقيقتها.

على الرغم من أنها كانت أصغر من أن تشهد الفُرجة بنفسها فقد سمعَت سرسي القِصص في أثناء نشأتها من الغسَّالات والحَرس الذين حضروا. ذكروا كيف بكَت المرأة وتوسَّلت، والاستماتة الذي تشبَّثت بها بثيابها حين أُمِرَت بخلعها، وجهدها العقيم في تغطية ثدييها وعُضوها الأنثوي بيديها إذ حجلَت عاريةً حافيةً في الشَّوارع إلى المنفى. تَذكُر الملكة أن حارسًا أخبرَها: «كانت مغرورةً متعاليةً قبلها، متعجرفةً لدرجة أنها بدَت كأنها نسيَت أنها أتَت من الحضيض، لكن حالما خلعنا ثيابها كانت مجرَّد عاهرةٍ أخرى».

إذا حسبَ السير كيڤان والسِّپتون الأعلى أن المِثل سيَحدُث معها فقد جانبَهما الصَّواب تمامًا. إن دماء اللورد تايوين في عروقها. *أنا لبؤة، لن أنكمش منهم.*

وخلعَت الملكة رداءها.

كشفَت نفسها بحركةٍ واحدة ناعمة، على مهلٍ كأنها في مسكنها تتجرَّد من الملبس لأجل حمَّامها تحت أنظار وصيفاتها وحدهن. عندما مسَّت الرِّيح جِلدها ارتعدَت بعُنف، واستدعَت كامل قوَّة إرادتها كي لا تُحاوِل أن تَستُر نفسها بيديها على غرار عاهرة جدًّا. أطبقَت أصابعها مكوَّرةً قبضتيها، وانغرسَت أظفارها في لحم كفَّيها. كلُّ هذي الأعيُن الجائعة تَنظُر إليها، لكن ماذا ترى؟ *أنا جميلة*. كم مرَّةً قال لها چايمي هذا؟ حتى روبرت منحَها هذا القدر على الأقل متى دخلَ فِراشها ثملًا وأدَّى لها فروض التَّقدير بقضيبه.

لكن هكذا نظروا إلى ند ستارك أيضًا.

يجب أن تتحرَّك. عاريةً حافيةً جرداء، بدأت سرسي تنزل الدَّرجات الرُّخام العريضة بتؤدة، وزحفَت القشعريرة على ذراعيها وساقيها. رفعَت ذقنها بشممٍ كما ينبغي لملكة، وانتشرَ حُرَّاسها أمامها، ودفعَ الصَّعاليك النَّاس جانبًا ليفتحوا طريقًا في الزِّحام، فيما انتظمَ السُّيوف على جانبيها.

تبعَتها السِّپتة أونلا والسِّپتة مويل والسِّپتة سكوليرا، ووراءهن المترهبنات المبتدئات بمسوحهن البيضاء.

صاحَ أحدهم: «**عاهرة!**». صوت امرأة. دائمًا النِّساء أقسى في ما يخصُّ النِّساء.

تجاهلَتها سرسي. *سيكون هناك آخَرون، وأسوأ. تلك المخلوقات لا تعرف مسرَّةً في الحياة أحلى من الاستهزاء بأعزَّة القوم*. لا يُمكنها أن تُخرِسهم، ولذا عليها أن تتظاهَر بأنها لا تسمعهم. ولن تراهم كذلك، بل ستُبقي عينيها على (تل إجون العالي) عبر المدينة، على أبراج (القلعة الحمراء) البارقة في الضَّوء. هناك ستجد خلاصها إذا أدَّى عمُّها دوره في الصَّفقة.

لقد أرادَ هذا، هو والعُصفور الأعلى، والوردة الصَّغيرة أيضًا لا ريب. لقد أذنبتُ وعليَّ أن أتوب، عليَّ أن أستعرض عاري على مرأى من كلِّ شحّاذ في المدينة. يظنُّون أن كبريائي ستنكسِر، أن هذه نهايتي، لكنهم مخطئون.

سارَت السِّپتة أونلا والسِّپتة مويل بمحاذاتها، فيما أسرعَت السِّپتة سكوليرا وراءها تدقُّ ناقوسًا. هتفَت العجوز الشَّمطاء: «*عار، عار على الخاطية، عار، عار*»، وفي مكانٍ ما إلى اليمين اشتركَ صوت آخَر في الأغنيَّة بلحنٍ مستقل في الإيقاع، صوت صبيِّ خبّازٍ يصيح: «فطائر لحم، ثلاثة بنسات، فطائر لحم ساخنة». الرُّخام تحت قدميها بارد زلِق، فاضطرَّت سرسي إلى المشي بحذرٍ خشية أن تنزلق. قادَهم طريقهم إلى المرور بتمثال بيلور المبارَك الواقف ركينًا وقورًا فوق قاعدته، وجهه آية في السَّماحة والإيثار، لا يشي منظره على الإطلاق بأنه كان أحمق كبيرًا. أنجبَت سُلالة تارجاريَن ملوكًا طالحين وملوكًا صالحين، لكن أحدًا منهم لم يُحَبَّ كبيلور، ذلك الملك السِّپتون التَّقي الحليم الذي تساوى حبُّ العامَّة والآلهة عنده، ومع ذلك سجنَ أخواته. إنها لمعجزة أن تمثاله لم يتهاوَ ويتفتَّت لمرأى تدييها العاريَيْن. اعتادَ تيريون أن يقول إن الملك بيلور كان مرعوبًا من قضيبه. تَذكُر أنه في مرَّةٍ طردَ جميع العاهرات من (كينجز لاندنج)، ويقول التَّاريخ إنه دعا لهن إذ ساقَهن الحَرس من بوَّابات المدينة، إلَّا أنه أبى النَّظر إليهن.

صرخَ صوت: «**بغي!**». امرأة أخرى. طارَ شيء ما من الزِّحام، نبتة متعفِّنة ما حلَّقت فوق رأسها بنِّيَّةً تنزُّ لتحطَّ متفجِّرةً عند قدم أحد الصَّعاليك. *لستُ خائفةً. أنا لبؤة*. واصلَت المشي، ونادى صبيُّ الخبّاز: «فطائر ساخنة، عندي فطائر ساخنة»، ودقَّت السِّپتة سكوليرا النَّاقوس هاتفةً: «*عار، عار على الخاطية، عار، عار*». مضى الصَّعاليك أمامهم دافعين النَّاس بتروسهم ليصنعوا مجازًا ضيِّقًا، وتبعَتهم سرسي حيث قادوها رافعةً رأسها بجمود، عيناها ثابتتان على بعيد. كلُّ خُطوةٍ تُقرِّب (القلعة الحمراء) أكثر، كلُّ خُطوةٍ تُقرِّبها إلى ابنها والنَّجاة.

بدا أن قطعها السَّاحة استغرقَ مئة عامٍ كاملةً، لكن أخيرًا أخلى الزُّحام السَّبيل لحجارة الرَّصف تحت قدميها، وأحاطَت بهم المحال والاسطبلات والمنازل، وبدأوا ينزلون (تل ڤيزينيا).

الحركة أبطأ هنا. الشَّارع ضيِّق منحدِر، والزِّحام أشد. دفعَ الصَّعاليك من يعترضون الطَّريق محاولين تحريكهم إلى الجانب ولا جانب يذهبون إليه، ومَن في الخلفيَّة يدفعون بدورهم. حاولَت سرسي الحفاظ على رفعة رأسها، فقط لتخطو على شيءٍ مبتل زلِق فاختلَّ توازُنها، وكانت لتَسقُط لولا أن السِّپتة أونلا أمسكَت ذراعها وأسندَتها قائلةً: «على صاحِبة الجلالة أن تنتبه لخُطواتها».

انتزعَت سرسي ذراعها، وقالت بنبرةٍ ذليلة: «نعم أيتها السِّپتة»، رغم أن غضبها كان ليجعلها تَبصُق في وجهها. واصلَت الملكة المشي مرتديةً القشعريرة والكبرياء لا أكثر، وبحثَت بعينيها عن (القلعة الحمراء) لكنها وجدَتها متواريةً عن ناظريْها الآن خلف المباني الخشبيّة الطَّويلة على الجانبين. ترنَّمت السِّپتة سكوليرا وناقوسها يدقُّ: «*عار، عار*». حاولَت سرسي أن تحثَّ الخُطى، وسرعان ما وجدَت نفسها عند ظهور النُّجوم أمامها فأبطأَت حركتها مرغمةً. بعد مسافةٍ قصيرة أمامهم يبيع رجل أسياخًا من اللَّحم المشوي على عربة يد، وتوقَّفت المسيرة إذ أزاحَه الصَّعاليك عن الطَّريق. بصورةٍ مريبة بدا اللَّحم لسرسي لحم جرذان، لكن رائحته تملأ الهواء، ولدى إفساح الطَّريق ثانيةً بما يكفي لمرورها كان نِصف النَّاس حولهم يُمسِك الأسياخ ويلوك اللَّحم. نادى أحدهم: «تُريدين قطعةً يا جلالة الملكة؟». حيوان كبير متين له عينان خنزيريَّتان وبطن عظيم ولحية سوداء مشعثة ذكَّرتها بروبرت، ولمَّا أشاحَت بوجهها رماها بالسِّيخ، فارتطمَ بساقها وسقطَ أرضًا ليَترُك اللَّحم نِصف المطبوخ لطخةً من الدُّهن والدَّم على فخذها.

الصِّياح هنا أصخب مما كان في السَّاحة، ربما لأن الدَّهماء أقرب كثيرًا. سمعَت الكثير من «**عاهرة!**» و«**خاطية!**»، لكنهم ألقوها بـ«**ناكحة أخيها!**» و«**مومس!**» و«**خائنة!**» أيضًا، وبين الفينة والفينة يهتف أحدهم لستانيس أو مارجري. الحجارة تحت قدميها قذرة، والمساحة حولها ضيِّقة للغاية حتى إنها لا تستطيع الدَّوران حول البِرك. قالت الملكة لنفسها: *لم يَمُت أحد من قبل بقدمين مبتلَّتين*. تُريد أن تُصدِّق أن ما في البِرك ماء مطرٍ فقط، وإن كان واردًا أيضًا أنه بول خيل.

انهمرَ عليها المزيد من القمامة من النَّوافذ والشُّرفات؛ فواكه شِبه متعفِّنة، سُطول من البيرة، بيض يتفجَّر برائحةٍ كبريتيَّة شنيعة حين ينكسر على الأرض... ثم إن أحدًا ألقى قِطَّةً نافقةً فوق رؤوس الصَّعاليك وأبناء المُحارب، وسقطَت الجثَّة على الحجر بعُنفٍ فجَّرها ولطَّخ أسفل ساقَي الملكة بالأمعاء واليرقات.

وواصلَت سرسي المشي. *أنا عمياء صمَّاء، وهُم ديدان*. غنَّت السِّپتوات: «*عار، عار*»، ونادى بائع متجوِّل: «كستناء، كستناء مشويَّة ساخنة»، ومن شُرفةٍ بالأعلى رفعَ سكران كوبه في نخبٍ ساخر معلنًا برصانة: «الملكة المومس. فليُحيِّي الجميع الثَّديين الملكيَّين!». *الكلام هواء، الكلام لن يُؤذيني*.

في منتصَف الطَّريق إلى أسفل من (تل ڤيزينيا) سقطَت الملكة للمرَّة الأولى، عندما انزلقَت قدمها في شيءٍ ربما كان برازًا، ولمَّا نهضَت بمساعدة السِّپتة أونلا كانت رُكبتها مسحوجةً داميةً. تموَّجت ضحكة خشنة بين المتفرِّجين، وزعقَ رجل عارضًا أن يُقبِّل الجرح ليُشفى. نظرَت سرسي وراءها، وما زالَت ترى قُبَّة (سِپت بيلور) العظيمة وأبراجه البلَّوريَّة السَّبعة فوق التَّل. *هل قطعتُ هذه المسافة القصيرة فقط حقًّا؟* الأنكى، الأنكى مئة مرَّة، أن (القلعة الحمراء) غابَت عن نظرها. «أين... أين...؟».

تقدَّم قائد حراستها -الذي نسيَت اسمه- إلى جوارها قائلًا: «جلالة الملكة، يجب أن تُواصِلي الطَّريق. الجمهور بدأ ينفلِت».

نعم، ينفلِت. «لستُ أخافُ...».

قاطعَها: «حريٌّ بكِ أن تخافي»، وشدَّها من ذراعها لتمشي إلى جانبه، وتقدَّمت متعثِّرةً -إلى أسفل، إلى أسفل فأسفل- إلى سفح التَّل، تجفل مع كلِّ خُطوةٍ تاركةً إياه يسندها. *المفترَض أن يكون چايمي إلى جواري*. كان ليمتشق سيفه الذَّهبي ويشقُّ به طريقًا بين الغوغاء، ويقتلع عين كلِّ رجلٍ يجرؤ على النَّظر إليها.

حجارة الرَّصف مشقَّقة وعرة زلِقة، وخشنة تحت قدميها النَّاعمتين. داسَ كعبها شيئًا ما حادًّا، حجرًا أو قطعة فخَّارٍ مكسورة، فصرخَت سرسي ألمًا، وهدرَت في السِّپتة أونلا: «طلبتُ صندلًا! كان يُمكنكن إعطائي صندلًا، كان يُمكنكن أن تفعلن ذلك على الأقل!». شدَّها الفارس من ذراعها ثانيةً كأنها مجرَّد امرأةٍ من العوام. *هل نسيَ مَن أنا؟* إنها ملكة (وستروس)، ولا يحقُّ له أن يضع يدًا عليها.

قُرب سفح التَّل قلَّ المنحدَر حدَّةً وبدأ الشَّارع يتَّسع، وعادَت سرسي ترى (القلعة الحمراء) بوهجها القرمزي في شمس الصَّباح فوق (تل إجون العالي). *يجب أن أستمرَّ في المشي*. انتزعَت ذراعها من قبضة السير ثيودان قائلةً: «لا داعي لأن تجرَّني أيها الفارس»، وواصلَت طريقها عارجةً مخلِّفةً أثر أقدامٍ داميًا على الحجارة وراءها.

سارَت في الوحل والرَّوث، تنزف وتتقشعرُ وتحجل، في كلِّ مكانٍ حولها لغو ولغط. صاحَ رجل: «ثديا زوجتي أحلى من هذين»، وسبَّ حوذي ولعنَ إذ أمرَه الصَّعاليك بإبعاد عربته عن الطَّريق، وترنَّمت السِّپتوات: «*عار، عار، عار على الخاطية*»، ونادَت عاهرة من نافذة ماخورٍ رافعةً تنُّورتها للرِّجال بالأسفل: «انظُروا إلى هذا، لم يَدخُله نِصف القضبان التي أدخلَتها بين ساقيها». كانت النَّواقيس تدقُّ وتدقُّ وتدقُّ، وقال صبيٌّ ما: «لا يُمكن أن تكون هذه الملكة. إنها مترهِّلة كأمِّي».

هذه توبتي. لقد ارتكبت آثامًا وخيمةً وهذه كفَّارتي. سينتهي كلُّ هذا قريبًا، سيُصبِح ورائي، ثم يُمكنني أن أنسى.

بدأت الملكة ترى وجوهًا مألوفةً. من نافذةٍ عبسَ في وجهها رجل بلحيةٍ كثيفة على جانبَي وجهه كما كان أبوها يعبس، وللحظةٍ بدا شبيهًا للغاية باللورد تايوين حتى إنها تعثَّرت. عند نافورة جلسَت فتاة صغيرة يُغرِقها الرَّذاذ تُحدِّق إليها باتِّهامٍ بعينَي ميلارا هيذرسپون، ورأت ند ستارك وإلى جواره سانزا الصَّغيرة بشَعرها الكستنائي ومعها كلب رمادي أشعث قد يكون ذئبتها. كلُّ طفلٍ يندسُّ في الزِّحام أصبحَ أخاها تيريون، يَنظُر إليها بشماتةٍ كما نظرَ حين ماتَ چوفري. وها هو ذا چوف أيضًا، ابنها، طفلها الأول، ولدها الجميل النَّجيب بخُصله الذَّهبيَّة وبسمته العذبة. كم كانت شفتاه جميلتين، كم...

وهنا سقطَت للمرَّة الثَّانية.

كانت ترتجف كورقةٍ في الرِّيح عندما أنهَضوها ثانيةً، وقالت: «أرجوكم، رُحماكِ يا أمَّنا، لقد اعترفتُ».

ردَّت السِّپتة مويل: «اعترفتِ، وهذه كفَّارتكِ».

قالت السِّيتة أونلا: «لم يتبقَّ الكثير»، وأشارَت مضيفةً: «هل ترين؟ فوق التَّل، هذا كلُّ شيء».

فوق التَّل، هذا كلُّ شيء. المرأة محقَّة. إنهم عند سفح (تل إجون العالي)، والقلعة بالأعلى.

صرخَ أحدهم: «**عاهرة!**»، وأضافَ صوت آخَر: «**ناكحة أخيها! نجسة!**»، وقال رجل يرتدي مئزر جزَّار: «هل تُريدين مصَّةً من هذا يا صاحِبة الجلالة؟»، وأخرجَ ذَكره من سراويله مبتسمًا. لا يهمُّ. إنها قاب قوسين أو أدنى من دارها.

وبدأت سرسي تصعد.

ليس الصِّياح ونظرات الاستهزاء هنا ألطف بل أغلظ. لم تأخذها مسيرتها عبر (جُحر البراغيث)، فاحتشدَ سُكَّانه على منحدرات (تل إجون العالي) السُّفليَّة ليتفرَّجوا على العرض، وبدَت لها الوجوه التي تَنظُر إليها شزرًا من وراء تروس وحِراب الصَّعاليك مشوَّهةً وحشيَّةً بشعةً. الخنازير والأطفال العُراة في كلِّ مكانٍ تحت الأقدام، والمتسوِّلون المُعاقون والنشَّالونَ مستطيرون في الزَّحمة كالصَّراصير. رأت رجالًا أسنانهم منحوتة مدبَّبة، وحيزبوناتٍ غُددهن الدَّرقيَّة متضخِّمة يُحاكي حجمها رؤوسهن، وعاهرةً تُسدِل ثُعبانًا مخطَّطًا ضخمًا على نهديها وكتفيها، ورجلًا وجنتاه وجبهته تُغطِّيها قروح مفتوحة تنزُّ قيحًا رماديًّا. ابتسموا مِلء أشداقهم ولعقوا شفاههم وهتفوا فيها ساخرين إذ عرجَت مارَّةً بهم، يجيش ثدياها باضطرابٍ من مجهود الصُّعود. صاحَ بعضهم عارضًا أشياء بذيئةً مشينةً وصاحَ بعضهم بالشَّتائم. *الكلام هواء، الكلام لن يُؤذيني. أنا جميلة، أنا اجمل امرأةٍ في (وستروس) من أقصاها إلى أقصاها. چايمي يقول هذا، چايمي لا يكذب عليَّ أبدًا. حتى روبرت، روبرت لم يُحبَّني قَطُّ، لكنه رأى جَمالي واشتهاني.*

لكنها لا تحسُّ بأنها جميلة، وإنما عجوز، مستهلَكة، قذرة، قبيحة. على بطنها تجعُّداتٍ صغيرة من الأطفال الذين حملَتهم، وثدياها لم يعودا شامخيْن كما كانا وهي أصغر، ودون فُستانٍ يرفعهما يتهدَّلان على صدرها. *لم يكن يجب أن أفعل هذا. كنتُ ملكتهم، لكنهم الآن رأوا، رأوا، رأوا. ما كان يجب أن أدعهم يرون أبدًا.* إنها ملكة عندما ترفل في فُستانها وتعتمر التَّاج، أمَّا وهي عارية دامية تعرج فإنها مجرَّد امرأةٍ لا تختلف كثيرًا عن زوجاتهم، أشبه بأمَّهاتهم من بناتهم الصَّغيرات الحسناوات. *ماذا فعلتُ؟*

في عينيها شيء ما يلسعها ويُغشي على بصرها. لا يُمكنها أن تبكي، ولن تبكي، ولن تدع الرَّعاع يرونها تنتحب أبدًا. فركَت سرسي عينها بظَهر كفَّيها، ودفعَتها هبَّة باردة من الرِّيح إلى الارتعاش بعُنف.

وفجأةً رأت الحيزبون أمامها واقفةً في الزِّحام بثدييها المتدلِّيَيْن وبشرتها المخضرَّة الملأى بالثَّآليل، تَنظُر إليها شزرًا مع سائر الآخَرين، وفي عينيها الصَّفراوين الغمصاويْن يلتمع الخُبث، وتفحُّ: «*ملكةً ستكونين، إلى أن تأتي أخرى أصغر منكِ وأجمل، تُطيح بكِ وتسلبكِ كلَّ ما تعدِّينه عزيزًا*».

ثم لم تَعُد تقوى على كتمان الدُّموع، فانهمرَت على وجه الملكة حارقةً كالحمض، وأطلقَت سرسي صيحةً حادَّةً وغطَّت حلمتيها بذراعٍ ودسَّت اليد الأخرى بين ساقيها وبدأت تجري، تدفع الصَّعاليك وتتجاوزهم صاعدةً التَّلَّ وقد انحنَت وتحرَّكت بالعرض كسراطين البحر. في الطَّريق إلى أعلى تعثَّرت وسقطَت ونهضَت، ثم سقطَت مجدَّدًا بعد عشر ياردات، وإذا بها تزحف، تتسلَّق التَّلَّ على أربعٍ كالكلاب فيما يُفسِح لها أهل (كينجز لاندنج) الكرام الطَّريق ضاحكين ومشيرين ومصفِّقين.

وفجأةً انشقَّ الزِّحام وبدا كأنه يذوب، وها هي ذي بوَّابة القلعة أمامها، وصفٌّ من حاملي الحِراب في معاطف قرمزيَّة وخُوذ قصيرة مذهَّبة. سمعَت سرسي صوت عمِّها الأجش المألوف يزعق بالأوامر ورأت وميضًا أبيض على جانبيها إذ أقبلَ عليها السير بوروس بلاونت والسير مرين ترانت بدرعيهما الشَّاحبتين ومعطفيهما الثَّلجيَّيْن. صرخَت: «ابني. أين ابني؟ أين تومن؟».

أجابَها السير كيڤان بخشونة: «ليس هنا. لا يجب أن يشهد ابن عار أمِّه أبدًا. غطُّوها».

وجدَت الملكة چوسلين تميل عليها وتلفُّها بدثارٍ من الصُّوف الأخضر النَّاعم ساترةً عورتها.

ثم سقطَ ظلٌّ عليهما معًا حاجبًا الشَّمس، وشعرَت الملكة بفولاذٍ بارد ينزلق من تحتها وبيدين ضخمتين مدرَّعتين ترفعانها عن الأرض، ترفعانها في الهواء بسهولةٍ كما رفعَت چوفري الرَّضيع. نحو مبنى البوَّابة حملَها بخُطواتٍ واسعة ثقيلة، وفكَّرت سرسي والدُّوار يحفُّ رأسها: *عملاق*. كانت قد سمعَت أن العمالقة ما زالَ لهم وجود في عراء الأراضي القفر وراء (الجِدار). *إنها مجرَّد حكاية. هل أحلمُ؟*

لا. مُنقذها حقيقي. طوله ثمانية أقدام، وربما أطول، وساقاه غليظتان كجذوع الأشجار، وصدره يليق بحصان حرث، ولن يجد ثور في كتفيه ما يعيب. درعه من الفولاذ المطلي بالمينا الأبيض النَّاصع كآمال العذارى، يرتديها فوق الحلقات المعدنيَّة المذهَّبة، وتُخفي خوذته العظيمة وجهه، ومن قمَّتها تخفق سبع ريشاتٍ حريريَّة بألوان قوس قزح كرجال العقيدة، وتُثبِّت معطفه إلى كتفيه نجمتان سُباعيَّتان ذهبيَّتان.

معطف أبيض.

حافظَ السير كيڤان على دوره في الصَّفقة، وألحقَ تومن ولدها الصَّغير الغالي نصيرها بالحَرس الملكي.

لم ترَ سرسي من أين أتى كايبرن، لكنها وجدَته إلى جوارها فجأةً، يهرع ليُجاري خُطوات نصيرها الطَّويلة قائلًا: «جلالة الملكة، جميل للغاية أن تعودي إلينا. هلَّا سمحتِ لي بشَرف تقديم أحدث أعضاء الحَرس الملكي؟ هذا هو السير روبرت سترونج».

همسَت سرسي إذ دخلوا من البوَّابة: «سير روبرت».

تابعَ كايبرن: «بعد إذن صاحِبة الجلالة، السير روبرت أخذَ على نفسه عهد صمتٍ مقدَّسًا، وأقسمَ أنه لن يتكلَّم حتى يموت أعداء الملكة جميعًا ويُطرَد الشَّر من البلاد».

وقالت سرسي لانستر في أعماقها: *نعم، أوه، نعم.*

ارتفعَت كومة الأوراق عاليةً لدرجةٍ تُخيف، ورمقَها تيريون وتنهَّد قائلًا: «حسبتكم جماعةً من الإخوة. أهذا هو حُبُّ الأخ للأخ؟ أين الثِّقة؟ الصَّداقة؟ التَّقدير العميق؟ العاطفة الصَّادقة التي لا تجمع إلَّا بين مَن يُقاتِلون ويبذلون دماءهم معًا؟».

قال بن پلوم البنِّي: «كلُّ شيءٍ في أوانه».

أضافَ المحبرة وهو يشحذ ريشة كتابة: «بعد أن تُوقِّع».

ومسَّ كاسپوريو المكَّار مقبض سيفه، وقال: «إذا أردت أن تبدأ بذل الدِّماء الآن فيُسعِدني أن أسدي إليك هذا الصَّنيع».

قال تيريون: «لُطف منك أن تعرض، لكن لا أظنُّ».

وضعَ المحبرة الأوراق أمام تيريون وناولَه الرِّيشة قائلًا: «ها هو ذا الحِبر. إنه من (ڤولانتيس القديمة). سيبقى طويلًا كحِبر المِايسترات الأسود الأصلي. عليك فقط أن تُوقِّع وتُناوِلني السَّندات. سأتولَّى الباقي».

أعطاه تيريون ابتسامةً معوجَّةً، وسألَه: «هل لي أن أقرأها؟».

- «إذا أردت. كلُّها واحد إجمالًا، ما عدا التي في القاع، لكننا سنصل إليها في حينها».

أوه، أنا واثق. بالنِّسبة إلى أغلب الرِّجال لا يُكلِّف الانضمام إلى الجماعة شيئًا، لكن القزم ليس أغلب الرِّجال. غمسَ الرِّيشة في الدَّواة ومالَ على الورقة الأولى، ثم توقَّف ورفعَ عينيه متسائلًا: «هل تُريدني أن أضع توقيع يولو أم هيوجور هيل؟».

ضيَّق بن البنِّي عينيه، وقال: «هل تُفضِّل العودة إلى ورثة يزان أم قطع رأسك فقط؟».

ضحكَ القزم وذيَّل الورقة بتوقيعه، *تيريون سليل عائلة لانستر*، وبينما ناولَها للمحبرة إلى يساره تصفَّح الكومة سريعًا، ثم قال: «هناك... كم؟ خمسون؟ ستُّون؟ حسبتُ أن في الأبناء الثَّانين خمسمئة رجل».

قال المحبرة: «خمسمئة وثلاثة عشر في الوقت الحالي. حين تُوقِّع دفترنا ستكون الرَّابع عشر بعد الخمسمئة».

ردَّ القزم: «إذن رجل واحد من كلِّ عشرة ينال سندًا؟ لا يبدو هذا عادلًا. ظننتكم تقتسمون كلَّ شيءٍ بالتَّساوي في الجماعات الحُرَّة»، ووقَّع ورقةً أخرى.

قهقهَ بن البنِّي، وقال: «أوه، إننا نقتسم كلَّ شيء، ولكن ليس بالتَّساوي. الأبناء الثَّانون لا يختلفون عن العائلة...».

- «... ولكلِّ عائلةٍ أولاد عمومتها البُله». وقَّع تيريون سندًا آخَر، وخشخشَت ورقة الرَّقوق إذ ناولَها لأمين النَّقد. «في أعماق (كاسترلي روك) زنازين احتفظَ فيها السيِّد والدي بأسوأنا». غمسَ الرِّيشة في الدَّواة ثم كتبَ: *تيريون سليل عائلة لانستر*، واعدًا أن يدفع لحامل السَّند مئة تنِّين ذهبي. *كلُّ جرَّة ريشة تجعلني أفقر قليلًا... أو لجعلَتني كذلك لو لم أكن شحَّاذًا*. قد يأتي يوم يندم فيه على هذه التَّوقيعات. *لكن ليس اليوم*. نفخَ في الحِبر الطَّري وناولَ الورقة لأمين النَّقد ووقَّع التي تحتها، وثانيةً، وثانيةً، وثانيةً. بين توقيعين قال: «ليكن في معلومكم أني مجروح بشدَّة. في (وستروس) تُعَدُّ كلمة اللانستر كالذَّهب».

هزَّ المحبرة كتفيه قائلًا: «لسنا في (وستروس). على هذا الجانب من (البحر الضيِّق) نضع وعودنا على الورق». كلَّما تناولَ ورقةً نثرَ القليل من الرَّمل النَّاعم على التَّوقيع ليتشرَّب الحِبر الزَّائد، قبل أن ينفض الورقة ويضعها جانبًا. «الدُّيون المكتوبة بالهواء يكون مصيرها غالبًا... النِّسيان، أليس كذلك؟».

- «نحن لا ننساها». وقَّع تيريون ورقةً أخرى ثم أخرى وقد وجدَ إيقاعه المضبوط. «اللانستر يُسدِّد ديونه دائمًا».

قهقهَ پلوم، وقال: «أجل، لكن كلمة المرتزِق بلا قيمة».

وكلمتك كذلك، والشُّكر للآلهة على هذا. «صحيح، لكنني لن أصبح مرتزِقًا حتى أوقِّع دفتركم».

قال بن البنِّي: «قريبًا، بعد السَّندات».

- «إنني أرقص بأقصى سرعتي». أرادَ أن يضحك، إلَّا أنه كان ليُفسِد اللُّعبة لو ضحكَ. پلوم مستمتع بما يَحدُث، وتيريون لا ينوي أن يُفسِد عليه مُتعته بأيِّ شكل. *دَعه يستمرُّ في اعتقاده انه قلبَني على بطني ونكحَني في دُبري، وسأستمرُّ أنا في شراء السُّيوف الفولاذ بتنانين من ورق.* إذا عادَ يومًا إلى (وستروس) للمطالبة بحقِّه بالميلاد فسيكون ذهب (كاسترلي روك) كلُّه تحت تصرُّفه ويفي بوعوده، وإن لم يأتِ الغد بذلك فسيكون ميتًا وليمسح إخوته الجُدد مؤخِّراتهم بهذا الورق. قد يذهب بعضهم بقُصاصاتهم إلى (كينجز لاندنج) على أمل إقناع أخته الجميلة بأن تفي هي بوعوده. *وليتني أكونُ ولو صرصورًا وسط الحصير لأشهد المنظر.*

في منتصَف الكومة تقريبًا تغيَّر المكتوب على الأوراق. السَّندات بقيمة مئة تنِّين ذهبي للرُّقباء، وتحتها تزداد المبالغ فجأةً. الآن يعد تيريون حامل السَّند بدفع ألف تنِّين. هزَّ رأسه وضحكَ ووقَّع، وثانيةً، وثانيةً، وقال وهو يخطُّ اسمه: «طيِّب، ماذا ستكون واجباتي مع الجماعة؟».

قال كاسپوريو: «إنك أقبح من أن تكون غُلام بوكوكو، لكن قد تَصلُح طُعمةً للسِّهام».

ردَّ تيريون رافضًا ابتلاع الطُّعم: «أفضل مما تحسب. رجل صغير بتُرسٍ كبير سيُثير جنون الرُّماة. أخبرَني بهذا رجل أعقل منك ذات مرَّة».

أعلنَ بن پلوم البنِّي: «ستعمل مع المحبرة».

صحَّح المحبرة: «ستعمل تحت إمرة المحبرة، تمسك الدَّفاتر وتعدُّ النُّقود وتُدوِّن العقود والرَّسائل».

- «بكلِّ سرور. أحبُّ الدَّفاتر».

قال كاسپوريو بازدراء: «وماذا تفعل غير هذا؟ انظُر إلى نفسك. لست تَصلُح للقتال».

قال تيريون بكياسة: «كنتُ مسؤولًا من قبل عن جميع البالوعات في (كاسترلي روك). كان بعضها مسدودًا لسنوات، لكنني سرعان ما جعلتها كلُّها تُصرِّف بكفاءة»، وغمسَ الرِّيشة في الحبر مجدَّدًا. دستة أخرى من السَّندات ويَفرُغ. «ربما يُمكنني أن أشرف على تابعات المعسكَر. لا يجب أن نَترُك الرِّجال بلا تصريف، أليس كذلك؟».

لم يجد بن البنّي الدُّعابة طريفةً، وقال محذِّرًا: «ابقَ بعيدًا عن العاهرات. أكثرهن مجدورات، كما أنهن يتكلّمن. لست أول عبدٍ هارب يلتحق بالجماعة، لكن ذلك لا يعني أن علينا الإعلان عن وجودك. لن أتركك تتسكّع حيث يُمكن أن يراك أحد. ابقَ بالدَّاخل قدر الإمكان، وتبرَّز في دلوك. الأعيُن كثيرة جدًّا عند المراحيض. ولا تَخرُج من حدود معسكَرنا دون إذني. يُمكننا أن نُلبِسك فولاذ مُرافق ونتظاهَر بأنك غُلام چورا، لكن هذا لن ينطلي على بعضهم أبدًا. ما إن تَسقُط (ميرين) ونرحل إلى (وستروس) يُمكنك أن تتبختر كما تشاء في الذَّهبي والقرمزي، لكن حتى ذلك الحين...».

- «... سأعيشُ تحت صخرةٍ ولن أصدر صوتًا. أعطيك كلمتي».

بخطٍّ مزخرف وقَّع: *تيريون سليل عائلة لانستر*. الورقة الأخيرة، وتبقى ثلاثة سندات مختلفة عن الأخرى، اثنتان منها مكتوبتان على جِلد العجول النَّاعم وكلُّها معنوَنة بأسماء. لكاسپوريو المكَّار عشرة آلاف تنِّين، ومِثلها للمحبرة الذي يبدو أن اسمه الحقيقي تايبيرو إستاريون. قال تيريون: «تايبيرو؟ أقرب إلى أسماء آل لانستر. أأنت ابن عمومةٍ ضاعَ قديمًا؟».

- «ربما. أنا أيضًا أسدِّدُ ديوني دائمًا. هذا هو المنتظر من أمين النَّقد. وقِّع».

فوقَّع.

السَّند الأخير لبن پلوم البنِّي، وهذا مكتوب على لفافة من جِلد الخراف. *مئة ألف تنِّين ذهبي، خمسون هايدًا*.[72] *من الأراضي الخصبة، قلعة، ولورديَّة*. عظيم جدًّا. *پلوم هذا ليس رخيصًا*. راحَ تيريون يُداعِب ندبته ويتساءَل إن كان يَجدُر به إبداء السُّخط. عندما ينكح المرء رجلًا رغمًا عنه فإنه يتوقَّع أن يسمعه يحتجُّ مرَّةً أو مرَّتين. يُمكنه أن يسبَّ ويلعن ويُرغي ويُزبِد عن اللُّصوصيَّة، ويَرفُض التَّوقيع بعض الوقت، ثم يُذعِن على مضضٍ معلنًا اعتراضه بلا هوادة... لكنه سئمَ من التَّمثيل، وهكذا كشَّر ووقَّع وناولَ المحبرة اللِّفافة قائلًا لبن البنِّي: «قضيبك كبير حقًّا كما تقول القِصص. اعتبِر أنك نكحتني بنجاحٍ تام أيها اللورد پلوم».

نفخَ بن البنِّي في توقيعه، وقال: «على الرَّحب والسِّعة أيها العِفريت. والآن نجعلك واحدًا منا. أحضِر الدَّفتر أيها المحبرة».

الدَّفتر مغلَّف بالجِلد وله مفصلات من الحديد، وحجمه يكفي لأن تأكل عليه العَشاء، وداخل دفَّتيه الخشبيَّتين الثَّقيلتين أسماء وتواريخ ترجع إلى أكثر من قرن. قال المحبرة وهو يقلب الصَّفحات: «الأبناء الثَّانون من أقدم الجماعات الحُرَّة. هذا رابع دفتر. اسم كلِّ رجلٍ خدمَ معنا مدوَّن هنا، ومتى انضمَّ إلينا وأين قاتلَ وكم ظلَّ في الخدمة وكيف ماتَ... كلُّ هذا في الدَّفتر. ستجد بعض الأسماء الشَّهيرة هنا، بعضها من ممالككم السَّبع. إيجور ريڤرز خدمَ معنا عامًا قبل أن يُغادِر ليُنشئ الجماعة الذَّهبيَّة. تُسمُّونه الفولاذ الأليم. الأمير السَّاطع إريون تارجارِين كان ابنًا ثانيًا، والذِّئب الرحَّال رودريك ستارك، هو أيضًا. لا، ليس ذلك الحِبر. استخدِم هذا»، وخلعَ سدادة دواةٍ أخرى ووضعَها على المنضدة.

حنى تيريون رأسه إلى الجانب قائلًا: «حِبر أحمر؟».

- «أحد تقاليد الجماعة. في وقتٍ سابق كان كلُّ رجلٍ جديد يَكتُب اسمه بدمه، لكن اتَّضح أن الدَّم حِبر رديء».

- «آل لانستر يُحبُّون التَّقاليد. أعِرني سكِّينك».

رفعَ المحبرة حاجبه، ثم هزَّ كتفيه وسحبَ خنجرًا من غِمده وناولَه للقزم من المقبض. فكَّر تيريون وهو يخز عُقلة إبهامه: *ما زالَ يُؤلِمني أيها النِّصف مِايستر، شُكرًا جزيلًا*. اعتصرَ قطرةً كبيرةً من الدَّم في الدَّواة واستبدلَ بالخنجر ريشةً جديدةً ووقَّع: نيريون *سليل عائلة لانستر، سيِّد (كاسترلي روك)* بخطٍّ عريض كبير تحت توقيع چورا مورمونت الأكثر تواضُعًا بكثير.

حسن، فرغنا من هذا. تأرجحَ القزم على مقعده متسائلًا: «أهذا هو كلُّ المطلوب مني؟ ألا يجب أن أحلف يمينًا؟ أقتل رضيعًا؟ أمصَّ للقائد قضيبه؟».

قال المحبرة: «امصَص ما تُريد»، وأدارَ الدَّفتر ونثرَ الرَّمل النَّاعم على الصَّفحة متابعًا: «التَّوقيع يفي بالغرض عند أكثرنا، لكنني أكرهُ أن أخيِّب أمل أخٍ جديد في السِّلاح. مرحبًا بك في الأبناء الثَّانين أيها اللورد تيريون».

اللورد تيريون. راقَت العبارة القزم. قد لا يتمتَّع الأبناء الثَّانون بسُمعة الجماعة الذَّهبيَّة النَّاصعة، لكنهم حقَّقوا بعض الانتصارات على مرِّ القرون. «هل خدمَ لوردات آخَرون مع الجماعة؟».

أجابَ بن البنِّي: «لوردات بلا أراضٍ، مِثلك أيها العِفريت».

نزلَ تيريون من فوق المقعد قائلًا: «أخي السَّابق لم يكن ملائمًا على الإطلاق. أتمنَّى المزيد من إخوتي الجُدد. والآن كيف أحصلُ على درعٍ وسلاح؟».

سألَه كاسپوريو: «هل تُريد خنزيرًا تركبه أيضًا؟».

- «كنتُ أجهلُ أن زوجتك عُضوة في الجماعة. لُطف منك أن تعرضها، لكنني أفضِّل أن أركب حصانًا».

احمرَّ وجه البراقو، لكن المحبرة أطلقَ ضحكةً عاليةً، وجشَّم بن بلوم نفسه التَّمادي إلى حدِّ القهقهة، وقال: «أرِه أين العربات أيها المحبرة. يُمكنه أن ينتقي ما يشاء من فولاذ الجماعة. الفتاة أيضًا. ضَع عليها خوذةً وحلقات معدنيَّة ولعلَّ بعضهم يحسبها صبيًّا».

قال المحبرة: «معي أيها اللورد تيريون»، ورفعَ سديلة الخيمة وأمسكَها حتى مرَّ القزم متمايلًا، وأردفَ: «سأخبرُ سناتش بأن يأخذك إلى العربات. أحضِر امرأتك وقابِلاه عند خيمة الطبَّاخ».

- «ليست امرأتي. قد يكون أفضل أن تُحضِرها أنت. كلُّ ما تفعله في الفترة الأخيرة النَّوم والعبوس في وجهي».

اقترحَ أمين النَّقد على سبيل المساعدة: «عليك أن تُغلِظ لها الضَّرب وتنكحها أكثر»، ثم أضافَ باستخفاف: «أحضِرها، اترُكها، افعل ما شئت. سناتش لن يُبالي. اعثُر عليَّ بعد أن تَفرُغ من درعك وسأريك كيف تُباشِر الدَّفاتر».

- «كما تُريد».

وجدَ پني نائمةً في رُكن خيمتهما، متكوِّرةً على نفسها فوق حشيَّةٍ رفيعة من القشِّ وتحت كومةٍ من الأغطية المتَّسخة. لمسَها بطرف حذائه فانقلبَت وارتعشَ جفناها وقالت متثائبةً: «هيوجور؟ ما الأمر؟».

- «عُدنا نتكلَّم إذن؟». أفضل من صمتها الواجم. *وكلُّ هذا بسبب كلبٍ وخنزيرة تخلَّينا عنهما. لقد أنقذتُنا من العبوديَّة. كان المرء ليحسب أن الامتنان مستحَق.* «إذا ظللتِ نائمةً فقد تفوتكِ الحرب».

قالت: «أنا حزينة»، وتثاءبَت ثانيةً مضيفةً: «ومتعَبة، متعَبة جدًّا».

متعَبة أم مريضة؟ ركعَ تيريون إلى جوار الحشيَّة وجسَّ جبهتها قائلًا: «تبدين شاحبةً». *هل الجو ساخن هنا أم أنها محمومة قليلًا؟* لا يجرؤ على البوح بالسُّؤال. حتى رجال الأبناء الثَّانين الأصلاب يرتعبون من فكرة امتطاء الفَرس الشَّاحبة. *بل وقد يُعيدوننا إلى ورثة يزان، بسندات أو دونها*. «لقد وقَّعتُ دفترهم، بالطَّريقة القديمة، بالدَّم. أنا الآن ابن ثانٍ».

اعتدلَت پني جالسةً وفركَت عينيها من النَّوم متسائلةً: «وماذا عني؟ هل يُمكنني أن أوقِّع أيضًا؟».

- «لا أظنُّ. لبعض الجماعات الحُرَّة سوابق في قبول النِّساء، ولكن... إنهم ليسوا البنات الثَّانيات».

قالت: «*إننا*. إذا كنت واحدًا منهم فعليك أن تقول: *إننا*، لا *إنهم*. هل رأى أحد الخنزيرة الجميلة؟ المحبرة قال إنه سيسأل عنها. أو كرَنش؟ هل من أخبار عن كرَنش؟».

فقط إذا كنتِ تثقين بكاسپوريو. زعمَ نائب پلوم -الذي يعوزه المكر في الحقيقة- أن ثلاثة صيَّادي عبيد يونكيِّين يجولون بالمعسكَرات سائلين عن قزميْن هاربيْن، وحسب كلام كاسپو فأحدهم يحمل حربةً عليها رأس كلب. على أن خبرًا كهذا لن يُخرِجَ پني من الفِراش، فأجابَها كاذبًا: «لا شيء حتى الآن»، ثم استطردَ: «تعالي. علينا أن نجد لكِ درعًا تضعينها».

رمقَته بحذرٍ سائلةً: «درع؟ لماذا؟».

- «ذات مرَّة قال لي معلِّم سلاحي القديم شيئًا، قال: *يا بُني، لا تَدخُل المعركة عاريًا أبدًا*. وأنا أصدِّقه. ثم إنني الآن وقد أصبحتُ مرتزِقًا فيَجدُر بي أن أحمل سيفًا أرتزِقُ به». على الرغم من هذا لم تتحرَّك، فقبضَ تيريون على رُسغها وسحبَها لتقف، ثم ألقى كومةً من الثِّياب في وجهها قائلًا: «ارتدي ملابسكِ. ضعي المعطف المقلنَس واخفضي رأسكِ. المفروض أننا زوجين من الصِّبية تحسُّبًا لأن يكون صيَّادو العبيد يُراقِبون».

كان سناتش في الانتظار عند خيمة الطبَّاخ، يُزجِّي الوقت بمضغ التَّبغ المُر، عندما ظهرَ القزمان بمعطفين مقلنَسيْن. قال لهما الرَّقيب: «سمعتُ أنكما ستُقاتِلان لحسابنا. سيجعلهم هذا يبولون على أنفُسهم في (ميرين). هل قتلَ أيُّكما أحدًا من قبل؟».

قال تيريون: «أنا. أبطشُ بهم كأنهم ذُباب».

- «بماذا؟».

- «بفأس، بخنجر، بملحوظةٍ منتقاة بعناية، لكنني أشد فتكًا بنُشَّابيَّتي».

حكَّ سناتش زغب وجهه برأس خُطَّافه، وقال: «شيء لعين النُّشَّابيَّة. كم رجلًا قتلت بها؟».

- «تسعة». حتمًا يسوى أبوه هذا العدد. سيِّد (كاسترلي روك)، حاكم الغرب، حامي (لانسپورت)، يد الملك، زوج، أخ، أب، أب، أب.

ردَّد سناتش: «تسعة»، وأصدرَ نخيرًا ساخرًا وبصقَ مِلء فمٍ من اللُّعاب الأحمر، موجِّهًا إياه إلى قدمَي تيريون ربما، لكنه حطَّ على رُكبته. واضح أن هذا رأيه في «التِّسعة». أصابع الرَّقيب ملطَّخة بدرجاتٍ متفاوتة من الأحمر من عصير التَّبغ المُر الذي يلوكه، وقد وضعَ اثنين منهما في فمه وأطلقَ صفيرًا، ثم نادى: «كِم! تعال هنا أيها الأبله الملعون!»، فلمَّا جاءَ كِم هذا يجري أخبرَه: «خُذ اللورد والليدي عِفريت إلى العربات، وقُل للمطرقة أن يُزوِّدهما بفولاذ الجماعة».

قال كِم: «قد يكون المطرقة مغشيًّا عليه من السُّكر».

ردَّ سناتش: «تبوَّل على وجهه. سيُوقِظه هذا»، ثم التفتَ إلى تيريون وپني قائلًا: «لم ينضمَّ إلينا أقزام مأفونون من قبل، لكننا لا نفتقر إلى الصِّبية. أبناء هذه العاهرة أو تلك، حمقى صغار هربوا من أهاليهم ليخوضوا المُغامرات، غِلمان، مُرافقون، وما إلى ذلك. قد تكون خُردتهم صغيرةً بما فيه الكفاية للأقزام. إنها الخُردة التي كانوا يضعونها حين ماتوا على الأرجح، لكنني أعلمُ أن هذا لن يُزعِج أبلهيْن صنديديْن مِثلكما. قلت تسعة؟»، وهزَّ رأسه وابتعدَ.

يحتفظ الأبناء الثَّانون بفولاذ جماعتهم في ستِّ عرباتٍ كبيرة مصطفَّة قُرب مركز المعسكَر. قادَ كِم الطَّريق مدوِّرًا حربته كأنها عصا، وسألَه تيريون: «كيف ينتهي المطاف بفتى من (كينجز لاندنج) مع جماعةٍ حُرَّة؟».

زرَّ الفتى عينيه بشكٍّ، وسألَه: «مَن أخبرَك بأنني من (كينجز لاندنج)؟».

- «لا أحد». *كلُّ كلمةٍ من فمك تعبق برائحة (جُحر البراغيث) النَّتنة*. «بديهتك وشَت بك. لا أحد أذكى من ولدٍ لـ(كينجز لاندنج) كما يقولون».

قال وقد بدا كأن هذا أفزعَه: «مَن يقول هذا؟».

- «الجميع». *أنا*.

- «منذ متى؟».

منذ اختلقتُ المقولة لتوّي. «منذ عصور. أبي نفسه دأبَ على قولها. هل عرفت اللورد تايوين يا كِم؟».

- «اليد. رأيته يصعد التَّلَّ مرَّةً. كان رجاله يلبسون المعاطف الحمراء ويضعون أُسودًا صغيرةً على خُوذهم. أعجبَتني خُوذهم»، وزمَّ الفتى فمه متبعًا: «لكن اليد لم يُعجِبني قَطُّ. لقد نهبَ المدينة، ثم دحرَنا على ضفاف (النَّهر الأسود)».

- «كنت هناك؟».

- «مع ستانيس، ثم جاءَ اللورد تايوين مع شبح رنلي وداهمَنا من المؤخِّرة. رميتُ حربتي وجريتُ، لكن عند السُّفن قال ذلك الفارس اللَّعين: *أين حربتك يا ولد؟ ليس عندنا متَّسع للجُبناء*، وذهبوا في داهية وتركوني أنا وألفًا آخَرين. لاحقًا سمعتُ أن أباك يُرسِل مَن قاتَلوا مع ستانيس إلى (الجِدار)، فعبرتُ (البحر الضيِّق) وانضممتُ إلى الأبناء الثَّانين».

- «هل تفتقد (كينجز لاندنج)؟».

- «قليلًا. أفتقدُ صبيًّا معيَّنًا. كان... كان صديقي. وأخي كينيت، لكنه ماتَ على جسر السُّفن».

- «رجال صالحون كُثر ماتوا يومها». كانت ندبة تيريون تستحكُّه بشدَّة، فأخذَ يحكُّها بظُفره.

أضافَ كِم بشجن: «أفتقدُ الطَّعام أيضًا».

- «طهو أمِّك؟».

- «الجرذان نفسها تَرفُض أن تأكل طهو أمِّي. لكن كان هناك محل أكل معيَّن، لا أحد يُقدِّم وعاءً من البنِّي مِثله. ثخين لدرجة أنك تستطيع أن تُوقف فيه ملعقتك، فيه قِطع من هذا وذاك. هل أكلت وعاءً من البنِّي من قبل أيها النِّصف رجل؟».

- «مرَّةً أو مرَّتين. أسمِّيه يخنة المغنِّين».

- «لماذا؟».

- «مذاقه رائع لدرجة أنه يجعلني أريدُ الغناء».

راقَ الاسم كِم، وقال: «يخنة المغنِّين. سأسألُ عنه عندما أذهبُ إلى (جُحر البراغيث) المرَّة القادمة. ما الذي تفتقده أنت أيها النِّصف رجل؟».

چايمي، شِاي، تايشا. زوجتي، أفتقدُ زوجتي، الزَّوجة التي بالكاد عرفتها. «النَّبيذ والعاهرات والثَّروة. الثَّروة تحديدًا. بالثَّروة تشتري النَّبيذ والعاهرات». *وتشتري بها السُّيوف أيضًا، ومَن يحملونها من أمثال كِم.*

سأله كِم: «أصحيح أن أوعية الفضلات في (كاسترلي روك) من الذَّهب الخالص؟».

- «لا يَجدُر بك أن تُصدِّق كلَّ ما تسمعه، خصوصًا حين يتعلَّق الأمر بعائلة لانستر».

- «يقولون إن آل لانستر جميعًا ثعابين ملتوون».

ضاحكًا قال تيريون: «ثعابين؟ هذا الصَّوت الذي تسمعه صوت السيِّد والدي يتقلَّب في قبره. إننا أُسود، أو أن هذا ما نحبُّ ترديده. لكن لا يهمُّ يا كِم. دُس ذيل الثُّعبان أو اللَّيث تكن في عداد الموتى لا محالة».

كانوا قد بلغوا مستودَع السِّلاح (إن جاز التَّعبير)، واتَّضح أن الحدَّاد، ذلك المطرقة الأسطوري، مسخ عملاق ذراعه اليُسرىَ أغلظ من اليُمنى مرَّتين. قال كِم: «إنه سكران أغلب الوقت. بن البنِّي يتغاضى عن هذا، لكن يومًا ما سنَحصُل على حدَّادٍ حقيقي». تلميذ المطرقة شاب ممشوق القوام أحمر الشَّعر اسمه المسمار. *طبعًا، وماذا غير هذا؟* كان المطرقة في غفوة سُكرٍ عندما وصلوا إلى الورشة، تمامًا كما تنبَّأ كِم، لكن المسمار لم يعترض على تنقيب القزميْن في العربات، وقال يُنبِّههما: «معظمه حديد خُردة، لكن لكما أن تأخذا ما يُمكنكما استخدامه».

تحت سقوفٍ من الخشب المعوج والجِلد المتيبِّس تمتلئ العربات بأكوامٍ عالية من الأسلحة والدُّروع القديمة. ألقى تيريون نظرةً واحدةً وزفرَ متذكِّرًا صفوف السُّيوف والحِراب والمَطارد اللَّامعة في مستودَع سلاح (لانسپورت) عند سفح (كاسترلي روك)، وأعلنَ: «قد يستغرق هذا بعض الوقت».

دمدمَ صوت عميق: «ثمَّة فولاذ سليم هنا إن استطعتما العثور عليه. لا شيء منه حسن المظهر لكنه يقي من السُّيوف».

من فوق إحدى العربات نزلَ فارس كبير يرتدي فولاذ الجماعة من رأسه إلى قدميه. واقي ساقه اليُسرى لا يُطابِق واقي اليُمنى، وواقي عُنقه مبقَّع بالصَّدأ، وواقيا ساعِديه فاخران منمَّقان مزخرفان بزهورٍ من المينا الأسود، وعلى يده اليُمنى قُفَّاز من الفولاذ المقعَّر وعلى اليُسرى قُفَّاز بلا أصابع من الحلقات المعدنيَّة الصَّدئة، وفي حلمتَي واقي صدره المضلَّع حلقتان من الحديد، ويرتفع من خوذته قرنا كبشٍ أحدهما مكسور.

حين خلعَها كشفَ وجه چورا مورمونت المرضوض. يبدو كمرتزِقٍ قُح *وليس كالشَّيء الكسير الذي أخذناه من قفص يزان بتاتًا*. كان أكثر كدماته قد خفَّ والتَّورُّم في وجهه قد هدأ إلى حدٍّ كبير، فعادَ مورمونت يبدو أقرب إلى إنسانٍ من جديد، وإن لن تَترُكه أبدًا أقنعة الشَّياطين التي وشمَها النخَّاسون على وجنته اليُمنى لتمييزه كعبدٍ خطر عاصٍ. لم يكن السير چورا رجلًا يُوصَف بالوسامة قَطُّ، فحوَّل الوسم وجهه إلى شيءٍ مفزع.

قال تيريون بابتسامةٍ عريضة: «ما دمتُ أبدو أجمل منك فسأكون سعيدًا»، والتفتَ يُخاطِب پني: «خُذي تلك العربة وسأبدأ بهذه».

قالت: «أسرع إذا بحثنا معًا»، والتقطَت خوذةً قصيرةً من الحديد الصَّدئ وقهقهَت وثبَّتتها على رأسها متسائلةً: «هل أبدو مخيفةً؟».

تبدين كفتاةٍ ممثِّلة تضع على رأسها قِدرًا. ردَّ: «هذه خوذة قصيرة. تُريدين خوذةً عظيمةً»، ووجدَ واحدةً واستبدلَها بالأخرى.

جاءَ صوت پني بصدى أجوف من داخل الخوذة: «كبيرة جدًّا. لا أرى شيئًا»، وخلعَت الخوذة وألقَتها جانبًا قائلةً: «ما عيب الخوذة القصيرة؟».

قال تيريون: «وجهها مفتوح»، وقرصَ أنفها مضيفًا: «إنني مغرم بالنَّظر إلى أنفكِ، وأفضِّلُ أن تحتفظي به».

اتَّسعت عيناها، وقالت: «يُعجِبك أنفي؟».

أوه، ليُنقِذني (السَّبعة)! التفتَ تيريون عنها وشرعَ يُنقِّب في بعض أكوام الدُّروع القديمة في مؤخِّرة العربة.

سألَته پني: «هل تُعجِبك أجزاء أخرى فيَّ؟».

ربما أرادَت أن تتقمَّص دور اللَّعوب، لكن سؤالها خرجَ بوقعٍ يُثير الشَّفقة. قال تيريون على أمل أن يضع نهايةً للموضوع: «تُعجِبني كلُّ أجزائكِ، وتُعجِبني أجزائي أكثر».

- «لماذا نحتاج إلى دروع؟ إننا مجرَّد ممثِّليْن، نتظاهَر فقط بالقتال».

- «أنتِ بارعة جدًّا في التَّظاهُر». كان تيريون يفحص قميصًا ثقيلًا من حلقات الحديد مليئًا بالثُّقوب كأنما أكلَه العُث. *أي عُث هذا الذي يأكل الحديد؟* «التَّظاهُر بالموت أحد طرائق النَّجاة من المعارك. الدُّروع الممتازة طريقة أخرى». *لكني أخشى أنها عزيزة المنال هنا*. في معركة (الفرع الأخضر) قاتلَ بخُردةٍ مجمَّعة من هنا وهناك من عربات اللورد ليفورد، وخوذةٍ عظيمة ذات ريشةٍ مدبَّبة جعلَته يبدو كأن أحدًا قلبَ على رأسه طست غسيل. فولاذ الجماعة هذا أسوأ. ليس قديمًا ولا يُناسِب مقاساته فحسب، بل منبعج ومشقَّق وهش أيضًا. *أهذا دم جاف أم صدأ؟* تشمَّمه ومع ذلك لم يعرف تحديدًا.

قالت پني: «هناك نُشَّابيَّة»، وأرَته إياها.

رمقَها تيريون، ثم قال: «لا أستطيعُ استخدام واحدةٍ عليّ تثبيتها بقدمي لألقِّمها. ساقاي ليستا طويلتين بما فيه الكفاية. واحدة ببكرة وذراع تُناسِبني أكثر». ولو أن الواقع أنه لا يُريد نُشَّابيَّةً حقًّا، فإعادة تلقيمها تستغرق طويلًا، وحتى إذا كمنَ قُرب المراحيض منتظرًا أن يأتي عدوٌّ ما ليُفرِغ أحشاءه ففُرصة أن يُطلِق أكثر من سهمٍ واحد ضعيفة.

بدلًا من ذلك اختارَ كُرةً شائكةً ولوَّح بها ثم وضعَها ثانيةً. *ثقيلة جدًّا*. ثم تجاوزَ عن مطرقةٍ حربيّة (طويلة جدًّا)، وهراوةٍ شائكة (ثقيلة جدًّا أيضًا)، ونِصف دستةٍ من السُّيوف الطَّويلة، قبل أن يجد خنجرًا أعجبَه، قطعة فظيعةً من الفولاذ لها نصل مثلَّث. قال: «قد يَصلُح هذا». على النَّصل شيء من الصَّدأ، لكن هذا سيجعله أفظع. وجدَ غِمدًا من الصُّوف والجِلد يُناسِبه ودسَّ فيه الخنجر.

قالت پني مازحةً: «سيف صغير لرجلٍ صغير؟».

- «إنه خنجر ومصنوع لرجلٍ كبير»، وأراها تيريون سيفًا طويلًا قديمًا، وأردفَ: «هذا سيف. جرِّبيه».

أخذَته پني ولوَّحت به وكشَّرت قائلةً: «ثقيل جدًّا».

قال: «الفولاذ أثقل من الخشب، لكن اضربي عُنق أحدهم بهذا ولن يتحوَّل رأسه إلى بطِّيخة»، وأخذَ منها السَّيف وفحصَه بإمعانٍ أكثر، ثم أعلنَ: «فولاذ رخيص، ومثلوم. هنا، انظُري. رجعتُ في قولي. يلزمكِ نصل أفضل لقطع الرُّؤوس».

- «لستُ أريدُ قطع الرُّؤوس!».

- «ولا يجب أن تقطعيها. وجِّهي ضرباتكِ تحت الرُّكبة. الرَّبلة، العُرقوب، الكاحل... حتى العمالقة يَسقُطون إذا بترتِ أقدامهم. ما إن يُصبِحوا على ظهورهم لا يعودون أكبر منكِ».

قالت پني كأنها على وشك البُكاء: «ليلة البارحة حلمتُ بأن أخي عادَ إلى الحياة. كنا نتنازَل أمام لورد عظيم ما ونركب كرَنش والخنزيرة الجميلة، والنَّاس يرموننا بالورد. كنا في غاية السَّعادة...».

وصفعَها تيريون.

كانت لطمةً خفيفةً إجمالًا، تلويحةً صغيرةً بمعصمه لم يضع فيها قوّةً تُذكَر، ولم تَترُك علامةً على خدِّها حتى، لكن عينيها اغرورقَتا بالدُّموع.

قال لها: «إذا أردتِ أن تَحلُمي فعودي إلى النَّوم، ولمّا تستيقظين سنبقى عبيدًا هاربين في قلبِ حصار. كرَنش ماتَ، والخنزيرة أيضًا غالبًا. والآن جِدي درعًا وضعيها ولا عليكِ أين تُضايِقكِ. عرض الممثِّلين انتهى. قاتِلي أو اختبئي أو تبرَّزي على نفسكِ، كما تُريدين، لكن أيًّا كان ما تُقرِّرين فِعله فستفعلينه مرتديةً الفولاذ».

لمسَت پني الخدَّ الذي صفعَه، وقالت: «لم يكن يجب أن نهرب أبدًا. إننا لسنا مرتزِقةً، لا علاقة لنا بالقتال على الإطلاق. لم يكن وضعنا سيِّئًا مع يزان، لم يكن. المربِّي كان قاسيًا أحيانًا لكن يزان لا. كنا المفضَّليْن عنده، كنا... كنا...».

- «... عبديْه. هذه هي الكلمة التي تبحثين عنها».

قالت بوجهٍ يحتقن: «كنا عبديْه، لكننا كنا عبديْه المميَّزيْن، مِثل حَلوى. كنا كنزيْه».

كنا حيوانيه الأليفيْن، وأحبَّنا حُبًّا فيَّاضًا لدرجة أنه أرسلَنا إلى الحلبة لتلتهمنا الأُسود.

ليست مخطئةً البتَّة. عبيد يزان يأكلون أفضل من فلّاحين كثيرين في (الممالك السَّبع) وأقل عُرضةً للموت جوعًا في الشِّتاء. العبيد مقتنيات، نعم، يُمكن بيعهم وشراؤهم، وجَلدهم ووسمهم، واستعمالهم لإشباع شهوات مُلّاكهم، واستيلادهم لإنجاب المزيد من العبيد، أي أنهم ليسوا أرقى من الكلاب أو الخيول. على أن معظم اللوردات يُحسِنون معاملة كلابهم وخيولهم. يستطيع المعتدُّون بأنفُسهم أن يصيحوا أنهم يُؤثِرون الموت على حياة العبوديَّة، لكن الاعتداد رخيص. حين تدور الرَّحى يُصبِح هؤلاء بنُدرة أسنان التَّنانين، وإلّا لما امتلأ العالم بالعبيد. *لم يكن هناك عبد قَطُّ اختار ألَّا يكون عبدًا. قد يكون الاختيار بين العبوديَّة والموت، لكن الاختيار موجود.*

لا يستثني تيريون لانستر نفسه. صحيحٌ أن لسانه درَّ عليه بضع خطوطٍ على ظَهره في البداية، لكنه سرعان ما تعلَّم حيلة إرضاء المربِّي والنَّبيل يزان. كانت مقاومة چورا مورمونت أشد وأطول، لكنه كان ليصل إلى المحصِّلة نفسها في النِّهاية.

وپني...

پني تبحث عن سيِّدها الجديد منذ فقدَ أخوها جروت رأسه. *تُريد أحدًا يعتني بها، أحدًا يقول لها ماذا تفعل.*

غير أنه كان ليقسو عليها للغاية إذا قال لها هذا، فبدلًا من ذلك ردَّ: «عبيد يزان المميَّزون لم يهربوا من الفَرس الشَّاحبة. لقد ماتوا جميعًا. حَلوى أول من رحلَ». أخبرَه بن پلوم البنِّي بأن سيِّدهم الماموث ماتَ يوم هربوا، وإن لم يعرف هو أو كاسپوريو أو أيٌّ المرتزِقة الآخَرين مصير أفراد معرض وحوش يزان... لكن إذا كانت الجميلة پني تحتاج إلى الأكاذيب لتكفَّ عن الشَّكوى فسيكذب عليها. «إذا أردتِ أن تكوني أمةً ثانيةً فسأجدُ لكِ سيِّدًا طيِّبًا بعد الحرب وأبيعكِ مقابل ذهبٍ يكفي عودتي إلى الوطن، سأجدُ لكِ رجلًا يونكيًا لطيفًا يُعطيكِ طوقًا ذهبيًا أنيقًا آخَر، عليه جرسان يرنَّان أينما ذهبتِ. لكن عليكِ أولًا أن تنجي مما هو مقبل. لا أحد يشتري الممثِّلين الموتى».

قال چورا مورمونت: «أو الأقزام الموتى. سنكون طعامًا للدِّيدان على الأرجح عندما تضع هذه المعركة أوزارها. اليونكيُّون خسروا الحرب بالفعل، مع أنهم قد يستغرقون بعض الوقت حتى يُدرِكوا هذا. (ميرين) لها جيش من المُشاة المُطهَّرين، أفضل أجناد العالم، و(ميرين) عندها تنانين، ثلاثة تنانين بمجرَّد أن ترجع الملكة. ولسوف تعود. يجب أن تعود. جانبنا يتكوَّن من زُهاء أربعين من اللوردات اليونكيِّين، كلٌّ برجاله القرود أنصاف المدرَّبين. عبيد على سيقان خشبيَّة، عبيد بسلاسل... قد تكون معهم كتائب من العميان والأطفال المشلولين أيضًا، لن يُدهِشني هذا».

قال تيريون: «أوه، أعرفُ. الأبناء الثَّانون على الجانب الخاسر، وعليهم أن ينقلبوا ثانيةً وأن يفعلوا هذا حالًا»، وأضافَ بابتسامةٍ واسعة: «اترُك لي هذا».

(72). الهايد كلمة أنجلو ساكسونيَّة ظهرَت في القرن الثَّامن، وتشير إلى وحدة قياس للأراضي. يساوي الهايد الواحد 120 فدَّانًا. (المُترجم).

ظلٌّ شاحب وظلٌّ قاتم.

التقى المتآمران في هدأة مستودَع السِّلاح بالمستوى الثَّاني من (الهرم الأكبر)، بين رفوف الحِراب وكنانات السِّهام وتذكارات المعارك المنسيَّة المعلَّقة على الجُدران.

قال سكاهاز مو كانداك: «اللَّيلة». من تحت قلنسوة معطفه المرقَّع يظهر وجه من النُّحاس الأصفر لوطواطٍ مصَّاص دماء. «كلُّ رجالي سيكونون في مكانهم. كلمة السِّر: *جروليو*».

- «جروليو». *مناسبٌ هذا على ما أظنُّ.* «نعم. ما فعلوه به... هل كنت في البلاط؟».

- «رجل واحد بين أربعين، ننتظر جميعًا أن يُلقي خيال المآتة الجالس على العرش الأمر لنفتك بذي اللِّحية الدَّمويَّة والآخَرين. أتحسب أن اليونكيِّين كانوا ليجرؤوا على أن يُقدِّموا لدنيرس رأس رهينتها؟».

لا. «هيزدار بدا مضطربًا».

- «ادِّعاء. أهله من بني لوراك أُعيدوا سالمين كما رأيت بنفسك. اليونكيُّون قدَّموا لنا مسرحيَّةً هزليَّةً بطلها الرَّئيس النَّبيل هيزدار. لم تكن المسألة يوركاز زو يونزاك قَطُّ، فالنخَّاسون الآخَرون كانوا ليدوسوا الأحمق العجوز بأنفُسهم عن طيب خاطر. ما حدثَ حدثَ لإعطاء هيزدار ذريعةً لقتل التنِّينين».

فكَّر السير باريستان في هذا برويَّة، ثم سألَ: «هل تظنُّه يجرؤ؟».

- «لقد جرؤَ على قتل ملكته، فلِمَ لا يَقتُل حيوانيها المدلَّليْن أيضًا؟ إذا لم نتصرَّف فسيتردَّد هيزدار بعض الوقت ليُثبِت نفوره من الأمر ويمنح الأسياد الحُكماء فُرصة تخليصه من غِربان العاصفة وخيَّال الدَّم، ثم يتصرَّف. إنهم يُريدون موت التنِّينيْن قبل وصول الأسطول القولانتيني».

نعم، معقول. التَّفاصيل كلُّها متوافقة، لكن هذا لا يعني أن الأمر يروق باريستان سلمي أكثر. «لن يَحدُث ذلك». إن مليكته أُم التَّنانين، ولن يسمح بمساس الأذى طفليها. «ساعة الذِّئب، الهزيع الأحلك من اللَّيل، عندما يكون العالم نائمًا». أول مرَّةٍ سمعَ تلك العبارة كانت من تايوين لانستر خارج أسوار (وادي الغسق). منحَني يومًا *للخروج بإيرس. ما لم أعُد بالملك مع مطلع فَجر اليوم التَّالي لأخذَ البلدة بالفولاذ والنِّيران*، هكذا *أخبرَني. كانت ساعة الذِّئب حين دخلتُ وساعة الذِّئب حين خرجنا*. «الدُّودة الرَّمادي والمُطهَّرون سيُغلِقون البوَّابات ويُوصِدونها ما إن يتبيَّن الخيط الأبيض».

قال سكاهاز: «أفضل أن نُهاجِم مع الخيط الأبيض، نتدفَّق من البوَّابات ونجتاح خطوط الحصار ونسحق اليونكيِّين وهُم يقومون مترنِّحين من أسرَّتهم».

- «لا». سبقَ أن ناقَشا هذا بالفعل. «هناك معاهدة سلام قائمة، صاحِبة الجلالة ذيَّلتها بتوقيعها ومهرَتها بختمها. لن نكون أول مَن يَنقُضها. بمجرَّد القبض على هيزدار سنُكوِّن مجلسًا يَحكُم بدلًا منه ونُطالِب اليونكيِّين بإعادة الرَّهائن وانسحاب جيوشهم. إذا رفضوا فعندها وعندها فقط سنُبلِغهم بفضِّ المعاهدة ونَخرُج لقتالهم. طريقتك شائنة».

قال الرَّأس الحليق: «وطريقتك حمقاء. الوقت مناسب. رجالنا المعتَقون مستعدُّون، متجوِّعون».

يعلم سلمي أن هذا صحيح. سايمون ذو الظَّهر المخطَّط قائد الإخوة الأحرار ومولونو يوس دوب قائد الثُّروس المقدامة كلاهما متشوِّق إلى المعركة، وعازم على إثبات جدارته وغسل كلِّ ما عاناه من استبدادٍ بطوفان من دماء اليونكيِّين. فقط مارسلن قائد رجال الأُم يُشارِك السير باريستان شكوكه. ردَّ: «لقد ناقَشنا هذا واتَّفقنا على أن نفعلها بطريقتي».

زمجرَ الرَّأس الحليق: «اتَّفقنا، لكن ذلك كان قبل جروليو، الرَّأس. النخَّاسون لا شَرف لهم».

قال السير باريستان: «نحن شُرفاء».

تمتمَ الرَّأس الحليق بشيءٍ ما بالجيسكاريَّة، ثم قال: «كما ترغب، وإن كنتُ أعتقدُ أنك ستندم على شَرف العجائز هذا قبل نهاية اللُّعبة. ماذا عن حَرس هيزدار؟».

- «جلالته يحتفظ برجلين معه وهو نائم، واحد على باب غُرفة نومه والثَّاني بالدَّاخل في تجويفٍ متاخم. اللَّيلة سيكونان كراز وصاحِب الجِلد الفولاذ».

دمدمَ سكاهاز: «كراز. لا يُعجِبني هذا».

- «لن يَبلُغ الأمر إراقة الدِّماء بالضَّرورة. إنني أنوي أن أكلِّم هيزدار أولًا. إذا أدركَ أننا لا نسعى لقتله فقد يأمر حارسيه بالاستسلام».

- «وإذا لم يَحدُث؟ يجب ألَّا يَهرُب هيزدار منا».

- «لن يَهرُب». لا يخشى سلمي كراز، ناهيك بصاحِب الجِلد الفولاذ، فهما مجرَّد مُقاتلَيْن من مُقاتلي الحلبات، ومجموعة هيزدار المخيفة من العبيد المُقاتلين السَّابقين بمثابة حَرس خاملين على أحسن تقدير. السُّرعة والقوَّة والشَّراسة يتمتَّعون بها، وشيء من البراعة في السِّلاح أيضًا، لكن مباريات الدَّم تدريب رديء على حماية الملوك. في الحلبات تُعلِن مجيء خصومهم الأبواق والطُّبول، وبعد الخروج ظافرين من القتال تُضمَّد جروحهم ويبلعون القليل من حليب الخشخاش لأجل الألم، عالمين أن التَّهديد انقضى ولهم أن يشربوا ويأكلوا ويُعاشِروا العاهرات حتى القتال التَّالي. بيد أن المعركة لا تضع أوزارها حقًّا بالنِّسبة إلى فارس الحَرس الملكي، فالتَّهديدات تأتي من كلِّ مكانٍ ولا مكان في أيِّ وقتٍ ليلًا أو نهارًا، ولا أبواق تُعلِن مجيء الخصم. الأتباع، الخدم، الأصدقاء، الإخوة، الأبناء، وحتى الزَّوجات... وارد أن أيًّا منهم يُخبِّئ سكِّينًا تحت معطفه ويُضمِر نيَّة القتل في قلبه. مقابل كلِّ ساعةٍ من القتال يقضي فارس الحَرس الملكي عشرًا في المراقبة والانتظار والوقوف صامتًا في الظِّل، أمَّا مُقاتلو حلبات الملك هيزدار فبدأوا يملُّون واجباتهم الجديدة ويتبرَّمون منها، والملولون متراخون متخاذلون بطيئو الاستجابة.

قال السير باريستان: «سأتولَّى أمر كراز. تأكَّد فقط من هدم اضطراري إلى تولِّي أمر أيِّ وحوش نُحاس أيضًا».

- «لا تخف. سنُكبِّل مارجاز بالسَّلاسل قبل أن يُحدِث ضررًا. لقد أخبرتك، الوحوش النُّحاس رجالي».

- «تقول إن لك رجالًا بين اليونكيِّين؟».

- «مخبرون وجواسيس. رزناك له أكثر».

رزناك ليس أهلًا للثِّقة. رائحته عطرة جدًّا ويُصدِّر إحساسًا مقزِّزًا جدًّا. «يجب أن يُطلِق أحدهم سراح رهائننا. ما لم نستعِد رجالنا فسيستخدمهم اليونكيُّون ضدنا».

أطلقَ سكاهاز نخيرًا من فتحتَي الأنف في قناعه، وقال: «الكلام عن الإنقاذ سهل، التَّنفيذ صعب. دَع النخَّاسين يُهدِّدون».

- «وإذا فعلوا ما هو أكثر من التَّهديد؟».

- «هل ستفتقدهم كثيرًا أيها العجوز؟ الخصي والبربري والمرتزِق؟».

هيرو وچوچو وداريو. «چوچو خيَّال دم الملكة، دم دمها، وخرجا من (القفر الأحمر) معًا. هيرو نائب الدُّودة الرَّمادي. وداريو...». *إنها تحبُّ داريو.* رأى هذا في عينيها متى نظرَت إليه، سمعَه في صوتها متى تحدَّثت إليه. «... داريو مغرور وأرعن، لكنه عزيز على صاحِبة الجلالة. لا بُدَّ من إنقاذه قبل أن يُقرِّر غِربان العاصفة تولِّي الأمر بأنفُسهم. الإنقاذ ممكن. ذات مرَّةٍ أخرجتُ أبا الملكة بأمانٍ من (وادي الغسق) حيث أسرَه لوردٌ متمرِّد، ولكن...».

- «... لا أمل لك في أن تمرَّ مرور الكرام دون أن يلحظكَ اليونكيُّون. كلُّ واحدٍ منهم يحفظ وجهك الآن».

قال سلمي لنفسه: *يُمكنني أن أخفي وجهي مِثلك*، إلَّا أنه يعلمُ أن الرَّأس الحليق مصيب. (وادي الغسق) كانت منذ دهرٍ كامل، ولم يَعُد يقوى على تلك البطولات في سِنِّه هذه. «علينا إذن أن نجد وسيلةً أخرى، مُنقذًا آخَر، أحدًا معروفًا لليونكيِّين لا يلفت وجوده في معسكَرهم الأنظار...».

- «داريو يدعوك بجدِّه الفارس. لن أقول بِمَ يدعوني. لو كنا أنا وأنت رهينتين فهل كان ليُخاطِر بنفسه في سبيلنا؟».

فكَّر سلمي: *غير محتمَل*، لكنه قال: «ربما».

- «ربما يتبوَّل داريو علينا إذا كنا نحترق، لكن بخلاف ذلك لا تنتظر أن يمدَّ إلينا يد العون. فليختر غِربان العاصفة قائدًا آخَر يعرف مقامه. إذا لم تَعُد الملكة فسيقلُّ مرتزِقة العالم واحدًا. مَن سيندبه؟».

- «وعندما تعود؟».

- «ستبكي وتُقطِّع شَعرها وتصبُّ لعناتها على اليونكيِّين لا علينا. لا دم على أيدينا. يُمكنك أن تُواسيها. احكِ لها حكايةً ما عن الأيام الخوالي. إنها تحبُّ تلك الحكايات. داريو المسكين، قائدها الشُّجاع... لن تنساه أبدًا، نعم، لكن موته أفضل لنا جميعًا، أليس كذلك؟ أفضل لدنيرس أيضًا».

أفضل لدنيرس ولـ(وستروس). تحبُّ دنيرس تارجاريَن قائدها، لكن هذه مشاعر الفتاة الصَّغيرة في داخلها لا الملكة. *الأمير ريجار أحبَّ الليدي ليانا، ولأجل هذا ماتَ ألوف*. *ديمون بلاكفاير أحبَّ دنيرس الأولى، وثارَ وتمرَّد لمَّا حُرِمَ إياها*. *الفولاذ الأليم وغُداف الدَّم كلاهما أحبَّ شييرا نجمة البحر، ونزفَت (الممالك السَّبع)*. *أمير (قلعة اليعاسيب) هامَ حُبًا بچِني بنت (الحجر العتيق) لدرجة أنه تخلَّى عن تاجه، ودفعَت (وستروس) مَهر العروس جُثثًا*. وثلاثة أبناء إجون الخامس تزوَّجوا عن حُبٍّ متحدِّين رغبات أبيهم، ولأن ذلك الملك المستبعَد نفسه اتَّبع قلبه حين اختارَ ملكته سمحَ لأبنائه بأن يَسلُكوا طريقًا آخَر، صانعًا أعداءً ألدَّةً حيث كان يُمكن أن يحظى بأصدقاءٍ حميمين. تبعَت هذا الخيانات والقلاقل كما يتبع اللَّيل النَّهار، وتمَّت الحكاية في (قلعة الصَّيف) بالشَّعوذة والنَّار والمأساة.

حبُّها لداريو سُم، سُم أبطأ من الجراد لكنه مميت مِثله تمامًا في النِّهاية. «ما زالَ هناك چوجو، هو وهيرو، كلاهما غالٍ على جلالتها».

قال الرَّأس الحليق سكاهاز يُذكِّره: «إن عندنا رهائن أيضًا. إذا قتلَ النخَّاسون واحدًا منا نَقتُل واحدًا منهم».

للحظةٍ لم يفهم السير باريستان ما يرمي إليه، ثم إنه قال إذ أدركَ: «سُقاة الملكة؟».

ردَّ سكاهاز مو كانداك بإصرار: «رهائنها. جرازدار وكِزا من دم ذات النِّعمة الخضراء، وميزارا من بني ميريك، وكِزميا من بني پال، وآزاك من بني جازين، وباكاز من بني لوراك وقريب هيزدار. كلُّهم أبناء وبنات الأهرامات. زاك، كوازار، أوهلز، هازكار، دازاك، يريزان، جميعهم أولاد الأسياد العظام».

- «فتيات بريئات وصِبية مليحون». تعرَّف السير باريستان إليهم جميعًا خلال وقته في خدمة الملكة؛ جرازهار بأحلام المجد في مخيِّلته، وميزارا الخجلى، وميكلاز الكسول، وكِزميا الحسناء المغرورة، وكِزا بعينيها الكبيرتين الوديعتين وصوتها الملائكي، ودازار الرَّاقص، والآخَرين. «أطفال».

- «أطفال الهارپي. ثَمن الدَّم دم».

- «هذا ما قاله اليونكي الذي أتانا برأس جروليو».

- «لم يكن مخطئًا».

- «لن أسمح بذلك».

- «ما فائدة الرَّهائن إن لم يكن المساس بهم مباحًا؟».

- «ربما يُمكننا أن نعرض ثلاثةً من الأطفال مقابل داريو وهيرو وچوجو. جلالة الملكة...».

- «... ليست هنا. منوط بنا أنا وأنت أن نفعل ما يجب فِعله. تعلم أنني محق».

أخبرَه السير باريستان: «كان للأمير ريجار طفلان. ريينس كانت فتاةً صغيرةً وإجون كان رضيعًا. عندما استولى تايوين لانستر على (كينجز لاندنج) قتلَهما رجاله، وقدَّم الجثَّتين الدَّاميتين ملفوفتين بمعطفين قرمزيَّين هديَّةً للملك الجديد». *وماذا فعلَ روبرت حين رآهما؟ هل ابتسمَ؟* كان باريستان سلمي مثخنًا بالجراح على ضفاف (الثَّالوث) وقتها، وهكذا جُنِّبَ منظر هديَّة اللورد تايوين، لكنه كثيرًا ما يتساءَل. *لو رأيته يبتسم لمرأى الخراب الأحمر الذي صارَه طفلا ريجار لما استطاعَ جيش على وجه الأرض أن يمنعني من قتله*. «لن أسمح بقتل الأطفال. اقبل هذا وإلَّا فلا دور لي في ما ستفعله».

قهقهَ سكاهاز، وقال: «أنت عجوز عنيد. صِبيتك المليحون هؤلاء سيكبرون ليُصبِحوا من أبناء الهارپي. اقتُلهم الآن أو اقتُلهم عندئذٍ».

- «المفترَض أن يُقتَل النَّاس للأخطاء التي ارتكبوها وليس الأخطاء التي قد يرتكبونها يومًا ما».

التقطَ الرَّأس الحليق فأسًا من على الحائط وفحصَها، ثم دمدمَ: «ليكن. لا أذى سيمسُّ هيزدار أو رهائننا. هل يُرضيك هذا يا جدِّي الفارس؟».

لا شيء من هذا سيُرضيني. «لا بأس. ساعة الذِّئب، تذكَّر».

- «ليس واردًا أن أنسى أيها الفارس». لم يتحرَّك فم الوطواط النُّحاسي، لكن السير باريستان استشعرَ الابتسامة السَّاخرة تحت القناع. «لطالما انتظرَ كانداك هذه اللَّيلة».

هذا ما أخشاه. إذا كان الملك هيزدار بريئًا فما سيفعلونه اللَّيلة خيانة. لكن كيف يُمكن أن يكون بريئًا؟ لقد سمعَه سلمي يحثُّ دنيرس على تذوُّق الجراد المسموم ويصيح في رجاله أن يَقتُلوا التنِّين. *إذا لم نتصرَّف فسيَقتُل هيزدار التِّينيْن ويفتح الأبواب لأعداء الملكة*. ومع ذلك مهما قلَّب الفارس العجوز المسألة ودوَّرها في ذهنه لم يستطِع أن يجد فيها ما يُشرِّف.

مرَّت بقيَّة هذا اليوم الطَّويل بسرعة القواقع.

يعلم أن في مكانٍ آخَر ما يتشاوَر الملك هيزدار مع رزناك مو رزناك ومارجاز زو لوراك وجالازا جالار وغيرهم من مستشاريه الميرينيزيِّين، محاولين أن يُقرِّروا الرَّدَّ الأمثل على مطالب اليونكيِّين... غير أن باريستان سلمي لم يَعُد جزءًا من تلك المداولات، وليس له ملك يَحرُسه، فبدلًا من ذلك جالَ في أرجاء الهرم من القمَّة إلى السَّفح ليتأكَّد من أن الحَرس جميعًا في مواقعهم. استغرقَ في هذا معظم الصَّباح، ثم قضى الأصيل مع أيتامه وحملَ سيفًا وتُرسًا بنفسه أيضًا ليمدّ بعض الفِتية الأكبر سِنًّا بامتحانٍ أصعب.

كان بعضهم يتمرَّن على القتال في الحلبات عندما أخذَت دنيرس تارجاريَن (ميرين) وحرَّرتهم من أغلالهم، فتمتَّع هؤلاء بإلمامٍ معقول بالسَّيف والحربة والفأس الحربيَّة من قبل أن يصيروا في عُهدة السير باريستان، وقد يكون بعضهم مستعدًّا الآن بالفعل. صبي *(جُزر البازيليسق) كبداية، تومكو لوهو*. الصَّبي أسود كحِبر المِايسترات، لكنه قوي سريع، أفضل مُثاقف بالفطرة رآه سلمي منذ چايمي لانستر. *لاراك أيضًا، الكُرباج*. لا يستحسن السير باريستان طرازه القتالي، لكن مهارته لا يُشَقُّ لها غُبار. ما زالَت أمام لاراك سنوات من العمل قبل أن يُتقِن أسلحة الفُرسان التَّقليديَّة، لكنه مميت بسوطه ورُمحه ثُلاثي الشُّعب. نبَّهه الفارس العجوز إلى أن السَّوط عديم الجدوى إذا جابهَ عدوًّا مدرَّعًا... إلى أن رأى لاراك يستخدمه ويلفُّه حول سيقان خصومه ويصرعهم بشَدَّة. *ليس فارسًا بعدُ لكنه مُقاتل مغوار*.

لاراك وتومكو أفضل تلامذته، وبعدهما اللازاريني الذي يدعوه الصِّبيان الآخَرون بالحَمل الأحمر، ولو أنه ما زالَ يعتمد بالكامل على العتوِّ ويفتقر إلى الأصالة الفنِّيَّة في قتاله. وربما الإخوة أيضًا، ثلاثة الجيسكاريِّين وضيعي الميلاد الذين استُعبِدوا سدادًا لديون أبيهم.

يجعل هذا عددهم ستَّةً. *ستَّة من سبعةٍ وعشرين*. كان سلمي ليأمل أن يكونوا أكثر، لكن ستَّةً بداية جيِّدة. الصِّبية الآخَرون أكثرهم أصغر سِنًّا، عارفون أكثر بالأنوال والمحاريث وأوعية الفضلات من السُّيوف والتُّروس، إلَّا أنهم يعملون بجدٍّ ويتعلَّمون سريعًا. بضعة أعوام أخرى يقضونها مُرافقين وقد يُصبِح عنده ستَّة فُرسان آخَرون يُعطيهم لمليكته. أمَّا مَن لن يستعدُّوا أبدًا... فليس جميع الصِّبية مولودين لكي يُصبِحوا فُرسانًا. *البلاد تحتاج إلى الشمَّاعين وأصحاب الخانات والحدَّادين أيضًا*. ينطبق هذا على (ميرين) مِثلما ينطبق على (وستروس).

بينما شاهدَهم يُمارِسون تدريباتهم أعملَ السير باريستان فكره في تقليد تومكو ولاراك الفُروسيَّة في التَّوِّ واللَّحظة، وربما الحَمل الأحمر أيضًا. تنصيب الرَّجل فارسًا يتطلَّب فارسًا، وإذا اختلَّ شيء ما اللَّيلة فقد يَبزُغ عليه الفَجر وهو ميت أو في زنزانة، فمَن يُنصِّب مُرافقيه إذن؟ من ناحيةٍ أخرى، يستمدُّ الفارس الشَّاب سُمعته -جزئيًّا على الأقل- من شَرف الرَّجل الذي قلَّده الفُروسيَّة، ولن ينفع فِتيته إطلاقًا أن يُعلَم أن مَن نصَّبهم خائن، وقد يُفضي هذا إلى الزَّج بهم في الزِّنزانة إلى جواره. *إنهم يستحقُّون أفضل. أفضل أن يعيشوا حياةً طويلةً مُرافقين من أن يعيشوا واحدةً قصيرةً فُرسانًا ملوَّثين*.

إذ ذابَ الأصيل في المساء أمرَ فِتيته بوضع سيوفهم وتُروسهم والاجتماع حوله، وحدَّثهم عن معنى أن يكون الرَّجل فارسًا: «لُب الفارس الحقيقي الشَّهامة والمروءة وليس السَّيف. بلا شَرفٍ لا يتعدَّى الفارس القاتِلِ التَّقليدي. الموت بشَرفٍ أفضل من الحياة دونه». خطرَ له أن الفِتية رمقوه بنظرات الاستغراب، لكنهم يومًا ما سيفهمون.

لاحقًا، عندما عادَ إلى قمَّة الهرم، وجدَ السير باريستان ميسانداي جالسةً تقرأ بين أكوامٍ من المخطوطات والكُتب، فأخبرَها: «ابقي هنا اللَّيلة أيتها الصَّغيرة. مهما جرى، مهما رأيتِ أو سمعتِ، لا تُغادِري مسكن الملكة».

قالت الفتاة: «هذه الواحدة تسمع. إن كان لها أن تسأل...».

- «الأفضل ألَّا تفعل».

خرجَ السير باريستان وحده إلى حدائق الشُّرفة، وفكَّر متطلِّعًا إلى المدينة مترامية الأطراف: *لستُ مخلوقًا لهذا*. كانت الأهرام تستيقظ واحدًا تلو الآخَر، تدبُّ الحياة في القناديل والمشاعل فيما تحتشد الظِّلال في الشَّوارع بالأسفل. *مؤامرات ومكايد وهمسات وأكاذيب وأسرار داخل أسرار، وبوسيلةٍ ما أمسيتُ جزءًا منها*.

ربما يُفترَض أن يكون قد اعتادَ هذا بالفعل، إذ كانت لـ(القلعة الحمراء) أسرارها أيضًا. *وحتى ريجار*. لم يثق به أمير (دراجونستون) ثقته بآرثر داين قَطُّ، وكانت (هارنهال) البيِّنة على هذا. *عام الرَّبيع الزَّائف*.

ما زالَ اجترار الذِّكرى مصحوبًا بالمرارة. أعلنَ اللورد وِنت العجوز إقامة دورة المباريات عقب زيارةٍ من أخيه السير أوزويل وِنت فارس الحَرس الملكي، ومن جرَّاء وسوسة ڤارس في أُذنه أصبحَ الملك إيرس على اقتناعٍ بأن ابنه يحيك مؤامرةً للإطاحة به، بأن دورة وِنت ما هي إلَّا حيلة لإعطاء ريجار حُجَّةً للقاء أكبر عددٍ ممكن من كبار اللوردات في آنٍ واحد. لم تكن قدم إيرس قد وطئَت حجرًا خارج (القلعة الحمراء) منذ (وادي الغسق)، ومع ذلك أعلنَ بغتةً أنه سيصحب الأمير ريجار إلى (هارنهال)، ومنذ تلك اللَّحظة انقلبَ كلُّ شيءٍ رأسًا على عقب.

لو كنتُ فارسًا أفضل... لو أسقطتُ الأمير عن حصانه في ذلك النِّزال الأخير كما أسقطتُ كثيرين غيره لباتَ لي أنا اختيار ملكة الحُبِّ والجَمال...

ريجار اختارَ ليانا ستارك بنت (وينترفل)، أمَّا باريستان سلمي فكان اختياره ليختلف. ليس الملكة التي لم تكن حاضرة، ولا إليا الدورنيَّة رغم أنها كانت رقيقةً طيِّبة القلب، ولو اختيرَت لجُنِّبَت البلاد الكثير من الحروب والكوارث. لا، كان اختياره ليقع على فتاةٍ شابَّة حديثة الوفود إلى البلاط، إحدى رفيقات إليا... ولو أن مقارنةً بأشارا داين كانت الأميرة الدورنيَّة بمثابة خادمة مطابخ.

بعد كلِّ هذه السِّنين ما زالَ السير باريستان يَذكُر ابتسامة أشارا ووقع ضحكتها، وما عليه إلَّا أن يُغمِض عينيه ليراها بشَعرها الدَّاكن الطَّويل المنسدل على كتفيها وهاتين العينين البنفسجيَّتين الآسرتين. *دنيرس لها نفس العينين.* أحيانًا عندما تَنظُر إليه الملكة يَشعُر كأنما يَنظُر إلى ابنة آشارا...

لكن ابنة أشارا وُلِدَت ميتةً، وسيِّدته الجميلة ألقَت نفسها من فوق بُرجٍ بعدها بفترةٍ قصيرة وقد جُنَّ جنونها من فرط حُزنها على الطِّفلة التي فقدَتها، وربما على الرَّجل الذي لوَّث شَرفها في (هارنهال) أيضًا. ماتَت أشارا دون أن تعلم أن السير باريستان أحبَّها. وكيف *تعلم*؟ لقد كان فارسًا في الحَرس الملكي ومقسمًا على العُزوبة، وما كان اعترافه لها بمشاعره ليُسفِر عن خير. *الصَّمت أيضًا لم يُسفِر عن خير. لو أسقطتُ ريجار وتوَّجتُ أشارا ملكة الحُبِّ والجَمال فهل كانت لتَنظُر إليَّ بدلًا من ستارك؟*

لن يعرف أبدًا، لكن من بين جميع إخفاقاته لا يُطارِد باريستان سلمي مِثل هذا الإخفاق.

السَّماء غائمة، والهواء ساخن رطب ثقيل، ورغم ذلك فيه شيء ما جعلَه يستشعر وخزًا في عموده الفقري. مطر. *ثمَّة عاصفة مقبلة. إن لم يكن اللَّيلة فغدًا*. تساءلَ السير باريستان إن كان سيحيا ليشهدها. *إذا كان لهيزدار عنكبوته الخاص فأنا في عداد الموتى*. إذا بلغَت الأمور ذلك الحد فإنه عازم على الموت كما عاشَ، بسيفه الطَّويل في يده.

حين خبا الضَّوء الأخير في الغرب وراء قلوع السُّفن التي تجوب (خليج النخَّاسين) عادَ السير باريستان إلى الدَّاخل، حيث استدعى اثنين من الخدم وأخبرَهما بتسخين القليل من الماء لحمَّامه، فتدريبه مع مُرافقيه خلال الأصيل أشعرَه بالاتِّساخ وبلَّلهُ بالعَرق.

وصلَ الماء فاترًا، لكن سلمي لبثَ في الحمَّام حتى بردَ وحكَّ جِلده حتى احمرَّ، ولمَّا نظفَ تمامًا نهضَ وجفَّف جسده وكسا نفسه بالأبيض. ارتدى جواربه وثيابه الدَّاخليَّة وقميصًا من الحرير وسُترةً جِلديَّةً مبطَّنةً، جميعها مغسول حديثًا ومبيَّض، وفوقها وضعَ الدِّرع التي أعطَتها له الملكة أمارةً على تقديرها. القميص المعدني مذهَّب ومطرَّق بعنايةٍ وحلقاته مرنة كالجِلد الممتاز، والصَّفائح مطليَّة بالمينا وصُلبة كالجليد وناصعة كالثَّلج الطَّازج. علَّق خنجره على وَرك وسيفه الطَّويل على الآخَر من حزامٍ جِلدي أبيض بأبازيم من الذَّهب، وأخيرًا تناولَ معطفه الأبيض الطَّويل وثبَّته حول كتفيه.

أمّا الخوذة فتركَها على خُطّافها، ففتحة العينين الضيِّقة تحدُّ من رؤيته، والرُّؤية ضروريّة لما هو آتٍ. قاعات الهرم مظلمة ليلًا، ومن الممكن أن ينقضَّ عليه الأعداء من أيِّ جهة، وعلاوةً على ذلك، على الرغم من أن جناحَي التنِّين المنمَّقيْن اللذين يُزيِّنان الخوذة جميلا المنظر، فمن السَّهل أن يشتبك بهما سيف أو فأس. سيَترُكها إذن لدورة المباريات التّالية إذا أنعمَ عليه (السَّبعة) بواحدة.

مسلَّحًا ومدرَّعًا، جلسَ الفارس العجوز في عتمة غُرفته الصَّغيرة الملحقة بمسكن الملكة، تسبح أمامه في الظَّلام وجوه الملوك الذين خدمَهم وخذلَهم، ووجوه الإخوة الذين خدموا معه في الحَرس الملكي. تساءلَ كم منهم كان ليفعل ما يُوشِك على فِعله. *بعضهم بالتَّأكيد، لكن ليس الجميع. ما كان بعضهم ليتردَّد في إرداء الرَّأس الحليق باعتباره خائنًا*. خارج الهرم بدأ المطر يَسقُط، وجلسَ السير باريستان وحده في الظَّلام يُصغي. *كأنها* دموع *تنهمر، كأن الملوك الموتى ينتحبون*.

ثم حانَ وقت الذَّهاب.

يُحاكي هرم (ميرين) الأكبر هرم (جيس) الأكبر الذي زارَ لوماس الرحّالة أطلاله الهائلة ذات يوم، وكسابقه العتيق الذي صارَت قاعاته الرُّخام الحمراء مسكنًا للعناكب والخفافيش يرتفع الهرم الميرينيزي ثلاثةً وثلاثين مستوى، بما أن هذا الرَّقم مقدَّس لسببٍ ما عند آلهة (جيس). بدأ السير باريستان رحلة النُّزول الطَّويلة وحده ومعطفه الأبيض يتموَّج وراءه، آخذًا سلالم الخدم، ليس السَّلالم الفاخرة المنحوتة من الرُّخام المجزَّع، بل السَّلالم الأضيق والأكثر انحدارًا واستقامةً المخبَّأة داخل الجُدران القرميد السَّميكة.

بعد اثنى عشر مستوى وجدَ الرَّأس الحليق في انتظاره، وقد ظلَّت ملامحه الخشنة مخفيَّةً تحت قناع الوطواط مصَّاص الدِّماء الذي وضعَه هذا الصَّباح، ومع سكاهاز ستَّة وحوش نُحاس يضعون جميعًا أقنعة حشراتٍ متماثلة.

جراد. قال سلمي: «جروليو».

ردَّ أحد الجرادات: «جروليو».

قال سكاهاز: «عندي المزيد من الجراد إذا دعَت الحاجة».

- «ستَّة يكفون. ماذا عن الحراسة على الباب؟».

- «رجلاي. لن تُواجِه متاعب».

قبضَ السير باريستان على ذراع الرَّأس الحليق قائلًا: «لا تُرِق الدِّماء إلَّا مضطرًّا. بحلول الغد سنعقد مجلسًا ونُخبِر المدينة بما فعلناه ولماذا».

- «كما تقول. حظًّا سعيدًا أيها العجوز».

انصرفَ كلٌّ منهما إلى حال سبيله، وانتظمَ الوحوش النُّحاس وراء السير باريستان إذ واصلَ النُّزول.

مسكن الملك مدفون في قلب الهرم ذاته، في المستويَيْن السَّادس عشر والسَّابع عشر، ولمَّا بلغَ سلمي هذين الطَّابقين وجدَ باب الهرم الدَّاخلي مغلقًا بالسَّلاسل ويقف عليه اثنان من الوحوش النُّحاس، تحت قلنسوتَي معطفيهما المرقَّعين وجه جرذٍ ووجه ثور.

قال السير باريستان: «جروليو».

ردَّ الثَّور: «جروليو. القاعة الثَّالثة إلى اليمين»، وحلَّ الجرذ السِّلسلة ليَدخُل السير باريستان ومجموعته إلى رواق خدمٍ ضيِّق من القرميد الأحمر والأسود مضاء بالمشاعل، وردَّدت الأرضيَّة وقع خُطواتهم إذ قطعوا الرُّواق مارِّين بقاعتين وأخذوا الثَّالثة إلى اليمين.

خارج الباب المصنوع من الخشب الصُّلب المنقوش الذي يقود إلى مسكن الملك يقف صاحِب الجِلد الفولاذ، مُقاتل حلبات شاب لا يُعَدُّ بعدُ ضمن الصُّفوف الأولى. وجنتاه وجبهته موشومة بالأخضر والأسود المتشابكيْن، رموز شعوذةٍ ڤاليريَّة عتيقة يُفترَض أنها أكسبَت لحمه وجِلده صلابة الفولاذ، وتُغطِّي علامات مشابهة صدره وذراعيه، لكن إن كان من شأنها حقًّا أن تصدَّ سيفًا أو فأسًا فهذا ما سيتَّضح.

حتى من دون الوشوم يبدو صاحِب الجِلد الفولاذ مهيبًا، فالشَّاب نحيل مفتول العضلات ويفوق السير باريستان طولًا بنِصف قدم. نادى مميِّلًا فأسه الطَّويلة إلى الجانب ليسدَّ طريقهم: «مَن هناك؟»، وحين رأى السير باريستان والجرادات النُّحاس وراءه خفضَها ثانيةً قائلًا: «السير العجوز».

- «بعد إذن الملك، يجب أن أتكلَّم معه».
- «السَّاعة متأخِّرة».
- «السَّاعة متأخِّرة، لكن المسألة ملحَّة».

قال صاحِب الجِلد الفولاذ: «يُمكنني أن أسأل»، ودقَّ باب مسكن الملك بكعب فأسه الطَّويلة، فانفتحَت كُوَّة منزلقة وظهرَت عين طفل وجاءَ صوت طفولي عبر الباب، فردَّ الحارس، وسمعَ السير باريستان صوت مزلاجٍ ثقيل يُرفَع، ثم انفتحَ الباب، وخاطبَه صاحِب الجِلد الفولاذ: «أنت فقط. الوحوش يبقون هنا».

قال السير باريستان: «كما تُريد»، وأومأَ برأسه للجرادات فردَّ له أحدها الإيماءة، ودخلَ سلمي بمفرده.

المسكن الذي اتَّخذه الملك لنفسه معتم بلا نوافذ، تُحيط به من جميع النَّواحي جُدران قرميد سُمكها ثمانية أقدام، ولا يعوزه الاتِّساع والتَّرف. ترتكِز السُّقوف العالية على عوارض ضخمة من السَّنديان الأسود، وتُغطِّي الأرضيَّات بُسط حريريَّة من (كارث)، وعلى الجُدران معلَّقات نفيسة عتيقة بهتَت كثيرًا تصف أمجاد إمبراطوريَّة (جيس) القديمة، تُصوِّر أكبرها فلول جيشٍ ڤاليري مهزوم تمرُّ من تحت النِّير[73]، وتُقيَّد بالسَّلاسل. يَحرُس المدخل المقنطَر المفضي إلى غُرفة النَّوم الملكيَّة عاشقان من خشب الصَّندل، تمثالان منحوتان ومصقولان ومزيَّتان. وجدَهما السير باريستان نابيَيْن، ولو أن الغرض منهما الاستثارة لا شك. *كلَّما عجَّلنا بالرَّحيل من هذا المكان كان أفضل.*

الضَّوء الوحيد في المكان مصدره مستوقَد حديد، وإلى جواره يقف اثنان من سُقاة الملكة، داركاز وكِزا.

قالت كِزا: «ميكلاز ذهبَ يُوقِظ الملك. هل نصبُّ لك نبيذًا أيها الفارس؟».

- «لا، أشكركِ».

أشارَ داركاز إلى دِكَّةٍ قائلًا: «تفضَّل بالجلوس».

- «أفضِّلُ الوقوف».

حملَ الهواء إلى مسامعه أصواتًا عبر المدخل المقنطَر من غُرفة النَّوم، أحدها صوت الملك، ومرَّت دقائق عدَّة قبل أن يَخرُج هيزدار زو لوراك، حامل هذا الاسم النَّبيل الرَّابع عشر، متثائبًا ويعقد زنارًا ليُغلِق معطف نومه الساتان الأخضر المزيَّن بأناقةٍ باللُّؤلؤ والخيط الفضِّي. تحته الملك عارٍ، وهذا جيِّد، فالعُراة يَشعُرون بالضَّعف ولا يجنحون إلى أفعال البطولة الانتحاريَّة.

المرأة التي لمحَها السير باريستان عبر المدخل تَنظُر من وراء ستارةٍ شفَّافة عارية أيضًا، يُخفي الحرير المتموِّج ثدييها ووَركيها جزئيًّا.

تثاءبَ هيزدار ثانيةً، وقال: «سير باريستان، ما السَّاعة؟ هل من أخبار عن ملكتي الجميلة؟».

- «لا يا صاحِب الجلالة».

تنهَّد هيزدار قائلًا: «صاحِب السُّمو من فضلك، مع أن في هذه السَّاعة «صاحِب النُّعاس» أدق»، ثم ذهبَ إلى الخُوان ليصبَّ لنفسه كأس نبيذ، لكنه لم يجد إلَّا قطراتٍ قليلةً في قاع الإبريق، فتذبذبَ الاستياء على وجهه، وقال: «ميكلاز، نبيذ، فورًا».

- «أمرك يا صاحِب العبادة».

- «خُذ داركاز معك. إبريق من نبيذ (الكرمة) الذَّهبي وإبريق من الأحمر الحُلو. لا أريدُ شيئًا من بولنا الأصفر، شُكرًا. وإذا وجدتُ الإبريق فارغًا مرَّةً أخرى فسأضربك على هاتين الوجنتين المتورِّدتين الجميلتين بالسَّوط». هرعَ الصَّبي يُلبِّي الأمر، وقال الملك ملتفتًا إلى سلمي ثانيةً: «حلمتُ بأنك عثرت على دنيرس».

- «الأحلام تكذب يا صاحِب الجلالة».

- «لا بأس بأن تُخاطِبني بصاحِب الرَّونق. لماذا أتيتني في هذه السَّاعة أيها الفارس؟ مشكلة ما في المدينة؟».

- «المدينة هادئة».

لاحَت الحيرة على هيزدار، وتساءلَ: «حقًّا؟ لماذا أتيت إذن؟».

- «لأسألك سؤالًا. صاحِب السُّمو، أأنت الهارپي؟».

سقطَت كأس هيزدار من بين أصابعه وارتدَّت عن البساط وتدحرجَت، وقال الملك: «تأتيني في غُرفة نومي في جوف اللَّيل وتسألني هذا السُّؤال؟ أأنت مجنون؟». بدا لحظتها فقط أنه لحظَ أن السير باريستان يرتدي صفائح وحلقات المعدن، فتمتمَ: «ماذا... لماذا... كيف تجرؤ...».

- «هل كنت وراء السُّم يا صاحِب السُّمو؟».

تراجعَ الملك هيزدار خُطوةً قائلًا: «الجراد؟ إنه... إنه الدورني، كوينتن، ذلك الأمير المزعوم. سَل رزناك إن كنت تشكُّ فيَّ».

- «هل عندك دليل على ذلك؟ هل عند رزناك؟».

- «لا، وإلَّا لأمرت بالقبض عليهم. ربما ينبغي أن أفعل هذا على أيِّ حال. لا شكَّ أن مارجاز سينتزع منهم اعترافًا. جميعهم يَقتُلون بالسُّم هؤلاء الدورنيُّون. رزناك يقول إنهم يَعبُدون الثَّعابين».

- «إنهم يأكلون الثَّعابين. كنا في حلبتك، في مقصورتك، على مقاعدك. نبيذ حُلو ووسائد ليِّنة، تين وشمَّام وجراد محلًّى بالعسل. كلُّ هذا من عندك. ثم إنك حثثت الملكة على تجربة الجراد لكنك لم تَذُق ولو واحدةً».

- «إنني... التَّوابل الحارَّة تُتعِب معدتي. لقد كانت زوجتي، ملكتي. لماذا قد أرغبُ في تسميمها؟».

يقول كانت. يعتقد أنها ماتَت. قال السير باريستان: «أنت فقط القادر على الإجابة عن هذا السُّؤال يا صاحِب السُّمو. ربما أردت أن تضع امرأةً أخرى في مكانها»، وأشارَ برأسه إلى الفتاة النَّاظرة بجُبنٍ من غُرفة النَّوم مردفًا: «هذه مثلًا؟».

تلفَّت الملك حوله باضطرابٍ بالغ، وردَّ: «هي؟! إنها نكرة، مجرَّد أَمة فِراش»، ثم رفعَ يديه مضيفًا: «أسأتُ التَّعبير. ليست أَمةً. امرأة حُرَّة، مدرَّبة على فنون الهوى. حتى الملوك لهم احتياجات... إنها... ليست من شأنك أيها الفارس. مستحيل أن أوذي دنيرس، مستحيل».

- «لكنك حثثت الملكة على تجربة الجراد. لقد سمعتك».

تراجعَ هيزدار خُطوةً أخرى قائلًا: «خطرَ لي أنها قد تستمتع به. حارٌّ وحُلو في آنٍ واحد».

- «حار وحُلو ومسموم. بأُذنَي سمعتك تأمر الرِّجال في الحلبة بقتل دروجون، تصيح فيهم».

لعقَ هيزدار شفتيه، وقال: «الوحش التهمَ لحم بارسينا. التَّنانين تفترس البَشر. كان يَقتُل، يحرق...».

- «... يحرق مَن حاوَلوا إيذاء ملكتك. أبناء الهاربي على الأرجح، أصدقاؤك».

- «ليسوا أصدقائي».

- «تقول هذا، لكن حين قلت لهم أن يكفُّوا عن القتل أطاعوك. لماذا أطاعوك إن لم تكن واحدًا منهم؟».

هزَّ هيزدار رأسه، وهذه المرَّة لم يحر جوابًا.

قال السير باريستان: «اصدقني القول، هل أحببتها يومًا ولو قليلًا؟ أم أنك كنت تشتهي التَّاج فحسب؟».

قال الملك وقد التوى فمه غضبًا: «أشتهي؟ أتجرؤ على أن تُحدِّثني عن الشَّهوة؟! لقد اشتهيتُ التَّاج، أجل... لكن ليس بقدر ما اشتهَت هي المرتزِق. ربما كان قائدها الغالي هو مَن حاولَ تسميمها لأنها نبذَته. ولو أكلتُ الجراد أيضًا فأفضل وأفضل».

ردَّ السير باريستان: «داريو قاتِل لكنه ليس مسمِّمًا»، ودنا من الملك سائلًا: «أأنت الهارپي؟». هذه المرَّة وضعَ يده على مقبض سيفه الطَّويل. «اصدقني القول وأعدك بأن ميتتك ستكون سريعةً نظيفةً».

قال هيزدار: «تتجرَّأ كثيرًا أيها الفارس. لقد فرغتُ من هذه الأسئلة ومنك. أنت مصروف من خدمتي. اترُك (ميرين) في الحال وسأدعك تعيش».

قال السير باريستان: «إن لم تكن الهارپي فأعطِني اسمه»، واستلَّ سيفه من الغِمد ليَسقُط ضوء المستوقَد على حدِّه الحاد محيلًا إياه إلى خطٍّ من النَّار البُرتقاليَّة.

لحظتها خارَت قُوى هيزدار، وصرخَ متقهقرًا إلى غُرفة نومه بخُطواتٍ متعثِّرة: «كراز! كراز! **كراز!**».

سمعَ السير باريستان بابًا يُفتَح في مكانٍ ما إلى يساره، والتفتَ في الوقت المناسب ليرى كراز يَخرُج من وراء إحدى المعلَّقات، يتحرَّك ببُطءٍ مترنِّح من النَّوم، لكن سلاحه الاختياري في يده، أراخ الدوثراكي الطَّويل المقوَّس، سيف تشريطٍ مصنوع لتسديد الضَّربات الطُّوليَّة العميقة من فوق متون الخيل. *سلاح فتَّاك ضد الخصوم أنصاف العُراة في الحلبة أو ميدان المعركة*. لكن هنا في هذه المساحة الضيِّقة يعمل طول الأراخ ضده، والسير باريستان مدرَّع بالمعدن.

قال الفارس: «أنا هنا من أجل هيزدار. ألقِ سلاحك وتنحَّ جانبًا ولن يُصيبك ضرر».

ضحكَ كراز، وقال: «سآكلُ قلبك أيها العجوز». كلا الرَّجلين يُناهِز الآخَر طولًا، لكن كراز أثقل منه بأربعين رطلًا وأصغر منه بأربعين عامًا، بشرته شاحبة وعيناه ميتتان ويمتدُّ خطٌّ مرتفع من الشَّعر الأسود المحمر الخشن من جبهته إلى أصل عُنقه.

قال باريستان الباسل: «هلمَّ إذن».

وانقضَّ عليه كراز.

للمرَّة الأولى منذ بداية اليوم أحسَّ سلمي باليقين. *هذا ما خُلِقتُ لأجله. الرَّقصة، أغنيَّة الفولاذ العذبة، في يدي سيف وأمامي عدو.*

مُقاتل الحلبات سريع، سريع كالسَّهم، من أسرع من قاتلَهم السير باريستان على الإطلاق. في هاتين اليدين الكبيرتين استحالَ الأراخ إلى ضبابٍ يشقُّ الهواء صافرًا، عاصفة من الفولاذ بدا كأنها تهبُّ على الفارس العجوز من ثلاث جهاتٍ في الآن نفسه. استهدفَ أكثر الضَّربات رأسه، فكراز ليس أحمق، ويعلم أن سلمي دون خوذةٍ أكثر قابليَّةً للإصابة فوق العُنق.

صدَّ الضَّربات بهدوء، يُقابِل سيفه الطَّويل كلًّا منها ويُحوِّلها جانبًا. تقارعَ النَّصلان وتقارَعا، وتقهقرَ السير باريستان، وبحافة بصره رأى الشُّقاة الصِّغار يُشاهِدون بأعيُن كبيرة بيضاء كبيض الدَّجاج. أطلقَ كراز سبابًا وحوَّل ضربةً عالية إلى أخرى منخفضة متجاوزًا سيف الفارس العجوز، فقط ليحتكَّ نصله بلا تأثيرٍ بواقي ساقٍ فولاذي أبيض، فيما ردَّ سلمي بضربةٍ أصابَت كتف مُقاتل الحلبات اليُسرى شاقَّةً الكتَّان الفاخر ومنغرسةً في اللَّحم تحته، وبدأ قميصه الأصفر يتضرَّج بالوردي، ثم الأحمر.

أعلنَ كراز وهو يدور: «لا يرتدي الحديد إلَّا جبان». لا أحد يرتدي دروعًا في حلبات القتال، فالجماهير تأتي للاستمتاع بالدِّماء، بالموت، بالأطراف المبتورة، بصرخات الألم، بموسيقى الرِّمال القرمزيَّة.

قال السير باريستان دائرًا بدوره: «هذا الجبان على وشك قتلك أيها الفارس». ليس الرَّجل فارسًا، لكن شَجاعته في السِّجال جعلَته يستأهل هذا القدر من الكياسة. لا يدري كراز كيف يُقاتِل رجلًا مدرَّعًا، وهذا ما رآه سلمي في عينيه، الشَّك والارتباك وبدايات الخوف. من جديدٍ كرَّ مُقاتل الحلبات عليه صارخًا هذه المرَّة، كأن الصَّوت قادر على الإطاحة بعدوِّه بعدما فشلَ الفولاذ، وجاءَ الأراخ من أسفل، ثم من أعلى، ثم من أسفل.

صدَّ سلمي الضَّربات الموجَّهة إلى رأسه وتركَ لدرعه الباقي، وشقَّ نصله هو وجنة مُقاتل الحلبات من الأُذن إلى الفم، ثم أحدثَ جرحًا أحمر بليغًا في صدره. انبثقَ الدَّم من جروح كراز، وبدا أن هذا زادَه ضراوةً، فقبضَ على المستوقَد بيده الحُرَّة وقلبَه مبعثرًا الجذوات وقِطع الفحم السَّاخن عند قدمَي سلمي، فوثبَ السير باريستان من فوقها. سدَّد كراز ضربةً إلى ذراعه وأصابَها، لكن الأراخ كشطَ المينا الصُّلب فحسب قبل أن يُقابِل الفولاذ تحته.

- «لو كنا في الحلبة لبترَ هذا ذراعك أيها العجوز».
- «لسنا في الحلبة».
- «اخلع هذه الدِّرع!».
- «لم يَفُت أوان إلقاء فولاذك هذا. استسلِم».

صاحَ كراز بغِل: «مُت»... لكن إذ رفعَ أراخه احتكَّ طرفه بإحدى المعلَّقات على الحائط واشتبكَ بها، وكانت هذه هي الفُرصة التي يحتاج إليها السير باريستان. بضربةٍ فتحَ بطن مُقاتل الحلبات، وتفادى الأراخ إذ تحرَّر من الاشتباك، ثم أجهزَ على كراز بطعنةٍ في القلب إذ انزلقَت أمعاء الرَّجل من بطنه كثعابين الماء اللَّزجة.

لوَّث الدَّم والأحشاء بُسط الملك الحرير. تراجعَ سلمي خُطوةً والسَّيف الطَّويل في يده أحمر حتى منتصَفه، ورأى هنا وهناك البُسط تبدأ في الاشتعال حيث سقطَت عليها الجِمار. تناهى إلى مسامعه نحيب كِزا، فالتفتَ إليها الفارس العجوز قائلًا: «لا تخافي. لن أمسَّكِ بأذى أيتها الصَّغيرة. أريدُ الملك فقط».

مسحَ سيفه بستارٍ ودخلَ غُرفة النَّوم حيث وجدَ هيزدار زو لوراك، حامل هذا الاسم النَّبيل الرَّابع عشر، مختبئًا وراء معلَّقةٍ ينشج ويقول بتوسُّل: «اعفُ عني. لا أريدُ أن أموت».

قال السير باريستان: «قلائل يُريدون أن يموتوا، لكن الموت يُدرِك البَشر جميعًا رغم هذا»، وأغمدَ سيفه وسحبَ هيزدار من يده ليقف مضيفًا: «تعالَ. سأصحبك إلى زنزانة». المفترَض أن يكون الوحوش النُّحاس قد جرَّدوا صاحِب الجِلد الفولاذ من سلاحه بالفعل. «ستبقى سجينًا إلى أن ترجع الملكة. إذا لم يَثبُت شيء ضدك فلن يلحق بك ضرر. لك كلمتي باعتباري فارسًا». أخذَ سلمي الملك من ذراعه وقادَه من غُرفة النَّوم شاعرًا بدوخةٍ عجيبة كأنه شِبه سكران. *كنتُ حارسًا ملكيًا، فماذا أكونُ الآن؟*

كان ميكلاز وداركاز قد عادا بنبيذ هيزدار ويقفان عند الباب المفتوح محتضنَيْن الإبريقين ويُحَملِقان بأعيُنٍ متَّسعة إلى جثَّة كراز. كانت كِزا لا تزال تبكي، لكن چيزين ظهرَت لتُواسيها، واحتضنَت الفتاة الأصغر منها وراحَت تُملِّس على شَعرها، ووقفَ بعض السُّقاة الآخَرين وراءهما يُشاهِدون. قال ميكلاز: «صاحِب العبادة، النَّبيل رزناك مو رزناك يقول أن أ-أخبرك بأن تأتي في الحال».

خاطبَ الصَّبي الملك كأن السير باريستان ليس هناك، كأنه لا يرى رجلًا ميتًا ملقى على البساط ويُلوِّث دمه الحرير الأحمر ببُطء. *كان المفترَض أن يقبض سكاهاز على رزناك حتى نتيقَّن من ولائه. هل وقعَ خطأ ما؟* سألَ سلمي الصَّبي: «يأتي أين؟ أين يُريد القهرمان أن يذهب صاحِب الجلالة؟».

بدا كأن ميكلاز يراه للمرَّة الأولى، وأجابَ: «بالخارج، بالخارج أيها الفارس، إلى الشُّـشرفة، ليرى».

- «يرى ماذا؟».

- «التـتـتنِّينان. التنِّينان تحرَّرا أيها الفارس».

وفكَّر الفارس العجوز: *ليُنقِذنا (السَّبعة)* جميعًا.

---

(73). النِّير خشبة معترضة توضَع فوق عُنقي ثوريْن مقرونيْن، و«المرور من تحت النِّير» تقليد يرجع إلى إيطاليا القديمة، فكان المهزومون يُجبَرون على المرور من تحت نيرٍ مصنوع من الحِراب على سبيل النِّكاية والمهانة. (المُترجم).

دبَّ اللَّيل على أقدامٍ سوداء بطيئة. أخلَت ساعة الوطواط السَّبيل لساعة ثُعبان الماء، وساعة ثُعبان الماء لساعة الأشباح، والأمير متمدِّد في فِراشه يَرمُق السَّقف، يَحلُم بلا هجوع، يتذكَّر، يتخيَّل، يتقلَّب تحت غطائه الكتَّان، محموم وجدانه بأفكار النَّار والدَّم.

وأخيرًا، بعد أن يئسَ من الرَّاحة، نهضَ كوينتن مارتل واتَّجه إلى غُرفته الشَّمسيَّة، حيث صبَّ لنفسه كوبًا من النَّبيذ وشربَه في الظَّلام. وجدَ المذاق سلوًى حُلوةً على لسانه، فأشعلَ شمعةً وصبَّ كوبًا آخَر قائلًا لنفسه: *سيُساعِدني النَّبيذ على النَّوم*، لكنه علمَ أن هذه كذبة.

حدَّق إلى الشَّمعة طويلًا، ثم وضعَ كوبه ورفعَ راحة يده فوق اللَّهب. استلزمَ الأمر كلَّ ما لديه من إرادةٍ لكي يخفضها حتى مسَّت النَّار جِلده، ولمَّا فعلَت انتزعَ يده مطلقًا صيحة ألم.

- «كوينتن، أأنت مخبول؟».

لا، خائف فقط. لا أريدُ أن أحترق. «جيريس؟».

- «سمعتك تتحرَّك».

- «لم أستطِع النَّوم».

- «والحروق علاج لهذا؟ قد ينفعك القليل من الحليب الدَّافئ وتهويدة، أو حبَّذا لو أخذتك إلى (معبد ذوات النِّعم) ووجدتُ لك فتاةً».

- «تعني عاهرةً».

قال جيريس: «يُسمُّوهن ذوات النِّعم. ألوانهن مختلفة. الحمراوات فقط للنِّكاح»، وجلسَ إلى الطَّاولة قُبالته متابعًا: «على السِّيتوات في الدِّيار تبنِّي هذا التَّقليد إذا طلبت رأيي. هل لاحظت أن كلَّ سِيتة عجوز تُشبِه البرقوق المجفَّف؟ هذا ما تفعله حياة العُزوبة بالمرء».

ألقى كوينتن نظرةً خارج الشُّرفة حيث تُهَيمِن ظلال اللَّيل الكثيفة على الأشجار، وترامى إلى أُذنيه صوت ماءٍ يتساقَط، فقال: «أهذا مطر؟ ستكون عاهراتك قد رحلن».

- «ليس جميعهن. ثمَّة حُجيرات صغيرة في حدائق الهوى ينتظرن فيها كلَّ ليلةٍ إلى أن يختارهن رجل. مَن لا يُختَرن عليهن البقاء هناك حتى تُشرِق الشَّمس شاعراتٍ بالوحدة والإهمال. يُمكننا مواساتهن».

- «تعني يُمكنهن مواساتي».

- «وهذا أيضًا».

- «ليست تلك المواساة التي أرغبُ فيها».

- «أخالفك الرَّأي. دنيرس تارجاريَن ليست المرأة الوحيدة في العالم. هل تُريد أن تموت رجلًا بِكرًا؟».

لا يُريد كوينتن أن يموت على الإطلاق. *أريدُ أن أرجع إلى (يرونوود) وأقبِّل أختيك، أن أتزوَّج جوينيث يرونوود وأشاهد براعم جَمالها تتفتَّح وأنجب منها طفلًا. أريدُ أن أركب في المباريات وأذهب للصَّيد، وأزور أمِّي في (نورڤوس)، وأقرأ بعض الكُتب التي يُرسِلها إليّ أبي. أريدُ أن يعود كليتوس وويل والمِايستر كدري إلى الحياة.* «هل تظنُّ أن دنيرس سيسرُّها أن تسمع أني ضاجعتُ عاهرةً؟».

- «ربما. قد يكون الرِّجال شغوفين بالعذراوات، لكن النِّساء يُعجِبهن الرَّجل الذي يعرف ما يفعله في غُرفة النَّوم. إنه نوع آخَر من المبارزة، يتطلَّب تدريبًا لتُجيده».

لسعَته المزحة لسعًا. لم يحسَّ كوينتن قَطُّ بأنه صبي مِثلما أحسَّ حين وقفَ أمام دنيرس تارجاريَن يستجدي يدها. تكاد فكرة معاشرتها تُرعِبه كما تُرعِبه تنانينها. ماذا لو لم يستطِع إشباعها؟ قال بلهجةٍ دفاعيَّة: «دنيرس لها خليل. لم يُرسِلني أبي إلى هنا لأمتِّع الملكة في غُرفة النَّوم. أنت تعلم لماذا جئنا».

- «لا يُمكنك أن تتزوَّجها. إن لها زوجًا».

- «إنها لا تحبُّ هيزدار زو لوراك».

- «ما صِلة الحُبِّ بالزَّواج؟ ينبغي أن يكون الأمير أعقل من هذا. يُقال إن أباك تزوَّج عن حُب، فكم نالَ من السَّعادة؟».

أقل القليل. قضى دوران مارتل وزوجته النورڤوشيَّة نِصفَ زواجهما منفصليْن والنِّصف الآخَر في شجارٍ ونقار. كان هذا التَّصرُّف المتهوِّر الوحيد الذي ارتكبَه أبوه حسب كلام بعض النَّاس، المرَّة الوحيدة التي مشى فيها وراء قلبه بدلًا من عقله، وقد عاشَ ليندم على هذا. قال كوينتن بإصرار: «ليس محتَّمًا أن تقود كلُّ مخاطرةٍ إلى الدَّمار. هذا واجبي، قدري». *المفترَض أنك صديقي يا جيريس. لِمَ تسخر من آمالي؟ الشُّكوك تُخالِجني بما فيه الكفاية دون أن تَسكُب الزَّيت على نار مخاوفي*. «ستكون هذه مُغامرتي الكُبرى».

- «النَّاس يموتون في المُغامرات الكُبرى».

لم يُجانِبه الصَّواب. هذا جزء من القِصص أيضًا. يَخرُج البطل مع أصدقائه ورفاقه ويُجابِه الأخطار ويعود إلى الوطن مظفَّرًا، إلَّا أن بعض رفاقه لا يعود على الإطلاق. *لكن البطل لا يموت ابدًا*. مؤكَّد *إذن أنني البطل*. «كلُّ ما أحتاجُ إليه هو الشَّجاعة. هل تُريد أن تَذكُرني (دورن) باعتباري فاشلًا؟».

- «(دورن) لن تَذكُر أيَّنا طويلًا على الأرجح».

مصَّ كوينتن البُقعة المحروقة من راحة يده، وردَّ: «(دورن) تَذكُر إجون وأختيه. التَّنانين ليست سهلة النِّسيان. سيَذكُرون دنيرس أيضًا».

- «ليس إذا ماتَت».

- «إنها حيَّة». *بالتَّأكيد*. «إنها مفقودة، لكنني أستطيعُ العثور عليها». وعندما *أفعلُ ستَنظُر إليَّ كما تَنظُر إلى مرتزِقها، ما إن اثبت جدارتي بها*.

- «من على متن تنِّين؟».

- «إنني أركبُ الخيل منذ كنتُ في السَّادسة».

- «وأسقطَتك الخيل مرَّةً أو ثلاثًا».

- «ولم يمنعني هذا قَطُّ من امتطائها من جديد».

- «لكنك لم تَسقُط على ارتفاع ألف قدمٍ من الأرض، والخيول نادرًا ما تُحيل راكبيها إلى عظمٍ متفحِّم ورماد».

أعرفُ الأخطار. «لن أسمع مزيدًا من هذا. لك إذني في الرَّحيل. جِد سفينةً واهرع إلى الوطن يا جيريس». قالها الأمير ونهضَ وأطفأَ الشَّمعة بنفخة، ثم عادَ إلى فِراشه وأغطيته الكتَّان المبلَّلة عن آخِرها بالعَرق. *كان حريًّا بي أن أقبِّل واحدةً من نوأمتَي درينكووتر، أو ربما الاثنتين. كان حريًّا بي أن أقبِّلهما وأنا قادر. كان حريًّا بي الذَّهاب إلى (نورقوس) لأرى أمِّي والبلد الذي وُلِدَت فيه لتعلم أني لم أنسَها.* كان بإمكانه سماع المطر يتساقَط بالخارج ويدقُّ القرميد كالطَّبل.

عندما زحفَت عليهم ساعة الذِّئب أخيرًا كان المطر يَسقُط باطراد، ينهلُّ في وابلٍ قاسٍ بارد سرعان ما سيُحيل شوارع (ميرين) القرميد إلى أنهار. أفطرَ الدورنيُّون الثَّلاثة في برودة ما قبل الفَجر على وجبةٍ بسيطة من الفاكهة والخُبز والجُبنة مع حليب الماعز، ولمَّا ذهبَ جيريس يصبُّ لنفسه كوبًا من النَّبيذ نهاه كوينتن قائلًا: «لا نبيذ. سنجد وقتًا كافيًا للشَّراب لاحقًا».

قال جيريس: «هكذا آملُ».

نظرَ الرَّجل الكبير إلى الشُّرفة بالخارج، وقال بنبرةٍ متجهِّمة: «كنتُ أعرفُ أن المطر سيَسقُط. كانت عظامي تُؤلِمني ليلة أمس. دائمًا تُؤلِمني عظامي قبل المطر. لن يُعجِب هذا التنِّينيْن. النار والماء لا يمتزجان، وهذه حقيقة. تُشعِل بؤرة نارٍ وتُذكيها ثم تبدأ السَّماء تتبوَّل المطر وإذا بالخشب غرقَ واللَّهب همدَ».

ضاحكًا قال جيريس: «التَّنانين ليست مصنوعةً من الخشب يا آرش».

- «بعضها كذلك. الملك القديم إجون، إجون الشَّهواني، بنا تنانين خشبيَّةً ليغزونا، لكن ذلك لم ينتهِ على خير».

فكَّر الأمير: *وقد لا ينتهي هذا على خيرٍ أيضًا*. لا تعنيه حماقات إجون غير الجدير وإخفاقاته، لكن الشُّكوك والهواجس تُفعِمه، ومزاح صديقيه المتكلَّف يُصيبه بالصُّداع لا أكثر. *لا يفهمان. إنهما دورنيَّان، لكنني (دورن). بعد أعوامٍ من الآن، بعد موتي، ستكون هذه هي الأغنيَّة التي يُغنُّونها* عني. نهضَ فجأةً قائلًا: «حانَ الوقت».

قامَ صديقاه، وأفرغ السير آرشيبولد ثُمالة حليب الماعز في جوفه ومسحَ الشَّارب الأبيض عن شفته العُليا بمؤخِّرة يده الكبيرة، وقال: «سأحضرُ ثيابنا التَّنكُّريَّة».

عادَ الرَّجل الكبير بالحزمة التي أخذوها من أمير الأسمال في لقائهم الثَّاني، وتحتوي على ثلاثة معاطف طويلة مقلنَسة مفصَّلة من عددٍ كبير من مربَّعات القُماش الصَّغيرة المخيطة معًا، وثلاث هراوات وثلاثة سيوف قصيرة وثلاثة أقنعة من النُّحاس الأصفر المصقول؛ ثور وأسد وقرد.

زوَّدهم أمير الأسمال بكلِّ ما يحتاجون إليه ليكونوا من الوحوش النُّحاس، وحين ناولَهم الحزمة نبَّههم قائلًا: «قد يَطلُبون كلمة سر. إنها *كلب*».

سألَه جيريس: «أأنت واثق بهذا؟».

- «واثق بما يكفي لأن أراهن بحياةٍ عليه».

لم يُسئ الأمير تأويل ما يعنيه، فقال: «حياتي أنا».

- «وهذا مربط الفَرس».

- «كيف عرفت كلمة السِّر؟».

- «صادَفنا بعض الوحوش النُّحاس وسألَتهم ميريس بتهذيب. لكن المفروض أن يكون الأمير أعقل من إلقاء هذه الأسئلة أيها الدورني. في (پنتوس) عندنا مقولة: لا تسَل الخبَّاز أبدًا عمَّا وضعَه في الفطيرة. كُل فحسب».

كُل فحسب. في هذا حكمة على ما يظنُّ.

أعلنَ آرش: «سأكون الثَّور».

ناولَه كوينتن القناع قائلًا: «الأسد لي».

قال جيريس: «أي أنني القرد»، ووضعَ القناع على وجهه، ثم تساءلَ: «كيف يتنفَّسون في هذه الأشياء؟».

- «ضعه فحسب». ليس الأمير في مزاج مزاح.

تضمُّ الحزمة سوطًا أيضًا، قطعةً لعينةً من الجِلد القديم بمقبضٍ من النُّحاس الأصفر والعظم، قويَّة بما فيه الكفاية لتقشير جِلد ثورٍ عن جسمه. سألَ آرش: «ماذا سنفعل بهذا؟».

أجابَ كوينتن: «دنيرس استخدمَت سوطًا لإخضاع الوحش الأسود»، ولفَّ السَّوط وعلَّقه من حزامه قائلًا: «آرش، اجلب مطرقتك أيضًا. قد نحتاج إليها».

ليس دخول (الهرم الأكبر) ليلًا مسألةً يسيرةً، فالأبواب تُغلَق وتُوصَد كلَّ ليلةٍ عند الغروب وتبقى كذلك حتى الشُّروق، وعلى كلِّ مدخلٍ يُعيَّن حُرَّاس، ويطوف المزيد منهم بالمستوى السُّفلي حيث يُمكنهم مراقَبة الشَّارع. آنفًا كان هؤلاء الحُرَّاس من المُطهَّرين، والآن أصبَحوا من الوحوش النُّحاس، وأمل كوينتن أن يكون لهذا التَّأثير البالغ المطلوب لمسعاه.

عند شروق الشَّمس تتبدَّل المناوَبة، لكن حين بدأ الدورنيُّون الثَّلاثة نزول سلالم الخدم كان الفَجر لا يزال يَبعُد نِصف ساعة. الجُدران حولهم من القرميد المطلي بعشرات الألوان، لكن الظِّلال صبغَتها جميعًا بالرَّمادي إلى أن مسَّها ضوء المشعل الذي يحمله جيريس. لم يُصادِفوا أحدًا خلال رحلة النُّزول الطَّويلة، ولم يُسمَع صوت إلَّا احتكاك أحذيتهم بالقرميد البالي تحت أقدامهم.

تُواجِه بوَّابة الهرم الرَّئيسة ساحة (ميرين) المركزيَّة، لكن الدورنيِّين شقُّوا طريقهم إلى مدخلٍ جانبي يُفتَح على زُقاق، وهو المدخل الذي كان الرَّقيق يستخدمونه سالفًا لممارسة شؤون سادتهم، ويأتي منه العموم والتُّجَّار ويذهبون ويُوصِلون حمولاتهم.

الباب من البرونز الخالص، يُغلِقه مزلاج من الحديد الثَّقيل ويقف أمامه اثنان من الوحوش النُّحاس، كلاهما مسلَّح بهراوةٍ وحربةٍ وسيفٍ قصير، ويلتمع ضوء المشاعل على نُحاس قناعيهما المصقول؛ جرذ وثعلب. أشارَ كوينتن للرَّجل الكبير بالبقاء في الظِّلال، وتقدَّم هو وجيريس معًا.

قال الثَّعلب: «جئتما مبكِّريْن».

ردَّ كوينتن هازًّا كتفيه: «يُمكننا أن نُغادِر ثانيةً إذا أردت. هنيئًا لكما بمناوَبتنا». تكلَّم عالمًا أن لُكنته لا تمتُّ بأيِّ صلةٍ إلى الجيسكاريَّة، لكن نِصف الوحوش النُّحاس عبيد محرَّرون يتحدَّثون لُغاتٍ شتَّى، فلم تلفت لُكنته الانتباه.

علَّق الجرذ: «تبًّا لهذا».

قال الثَّعلب: «أعطِنا كلمة سر اليوم».

ردَّ الدورني: «كلب».

تبادلَ الوحشان النُّحاس نظرةً، ولثلاث لحظاتٍ طويلة خشيَ كوينتن أن شيئًا ما سارَ على غير ما يُرام، أن ميريس الحسناء وأمير الأسمال لم يَحصُلا على الكلمة السَّليمة... ثم دمدمَ الثَّعلب: «كلب إذن. الباب لكما».

وإذ غادرَ الحارسان عادَ الأمير يتنفَّس من جديد.

ليس أمامهم وقت طويل، فلا شكَّ أن رجلَي المناوَبة الحقيقيَّيْن سيظهران قريبًا. نادى كوينتن: «آرش»، فظهرَ الرَّجل الكبير وضوء المشاعل يُومِض على قناع الثَّور على وجهه. «المزلاج، أسرِع».

المزلاج الحديدي سميك ثقيل ولكن مزيَّت بعناية، فلم يجد السير آرشيبولد صعوبةً في رفعه، وبينما أوقفَه على طرفه فتحَ كوينتن الباب على مصراعيه وخرجَ منه جيريس ملوِّحًا بمشعله، وقال: «أدخِلوها الآن، بسرعة».

كانت عربة الجزَّار في الانتظار في الزُّقاق بالخارج، فهوى الحوذي على البغل بضربةٍ من كُرباجه لتتحرَّك العربة داخلةً من الباب، تُقَعقِع عجلتاها المؤطَّرتان بالحديد على القرميد بصوتٍ صاخب، وعلى ظَهرها جثَّة ثورٍ مقطَّعة إلى أربعة وخروفان ميتان. دخلَ ستَّة أفراد على أقدامهم، يضع خمسة منهم معاطف وأقنعة الوحوش النُّحاس، في حين لم تُجشِّم ميريس الحسناء نفسها عناء التَّنكُّر.

سألَ الأمير ميريس: «أين سيِّدكِ؟».

أجابَته: «ليس لي سيِّد. إذا كنت تعني قرينك الأمير فهو قريب ومعه خمسون رجلًا. اخرُج بتنِّينك وسيصحبك إلى الأمان كما وعدَ. القيادة لكاجو هنا».

رمقَ السير آرشيبولد العربة بريبةٍ متسائلًا: «هل العربة كبيرة بما فيه الكفاية لحمل تنِّين؟».

- «المفروض. لقد حملَت تورين من قبل». يرتدي قاتِل الجُثث معطف الوحوش النُّحاس، ويختفي وجهه المتغضِّن النَّديب وراء قناع كوبرا، لكن الأراخ الأسود المألوف المعلَّق على وَركه وشى بشخصيَّته. «قيل لنا إن هذين الحيوانين أصغر من وحش الملكة».

- «الجُب أبطأ نموَّهما». تُفيد قراءات كوينتن بأن الشَّيء نفسه حدثَ في (الممالك السَّبع) من قبل، فلا واحد من التَّنانين التي استُولِدَت ونشأت في (جُب التَّنانين) بـ(كينجز لاندنج) دنا على الإطلاق من حجم ڤاجهار وميراكسس، ناهيك بالرُّعب الأسود وحش الملك إجون. «هل جلبتم سلاسل كافيةً؟».

قالت ميريس: «كم تنِّينًا هنالك؟ معنا سلاسل تكفي عشرةً، مخبَّأة تحت اللَّحم».

- «عظيم». انتابَ كوينتن الدُّوار. لا شيء من هذا يبدو حقيقيًّا فعلًا. في لحظةٍ يَشعُر كأنها لُعبة، وفي التَّالية كأنه كابوس، حُلم سيِّئ يرى نفسه فيه يفتح بابًا قاتمًا عالمًا أن الهول والموت ينتظران على الجانب الآخَر، لكنه عاجز عن إيقاف نفسه. وجدَ كفَّيه غارقتين بالعَرق، فمسحَهما على ساقيه قائلًا: «سيكون هناك مزيد من الحرس خارج الجُب».

قال جيريس: «نعرف».

- «يجب أن نكون مستعدِّين لهم».

قال آرش: «نحن مستعدُّون».

أحسَّ كوينتن بانقباضةٍ في بطنه وحاجةٍ مفاجئة إلى إفراغ أحشائه، وإن علمَ أنه لا يجرؤ على الاستئذان في الانصراف الآن. قال: «من هنا إذن». نادرًا ما شعرَ بأنه صبي صغير كما يَشعُر الآن، ومع ذلك تبعوه؛ جيريس والرَّجل الكبير، وميريس وكاجو والمذروُّون الآخَرون. كان اثنان من المرتزِقة قد أخرَجا نُشَّابيَّتين من مخبأ ما في العربة.

بعد الاسطبلات يستحيل المستوى الأدنى من (الهرم الأكبر) إلى تيه، إلَّا أن كوينتن مارتل سبقَ له المرور من هنا مع الملكة، ويَذكُر الطَّريق. مضوا تحت ثلاث قناطر هائلة من القرميد، ثم على منحدرٍ حجري إلى الأعماق، وعبر الزَّنازين وحُجرات التَّعذيب، ومرورًا بخزَّاني ماءٍ عميقين من الحجر. أرجعَت الجُدران صدى خُطواتهم بصوتٍ أجوف فيما قعقعَت عربة الجزَّار وراءهم، واختطفَ الرَّجل الكبير مشعلًا من على الحائط ليقود الطَّريق.

أخيرًا ارتفعَ مصراعان من الحديد الثَّقيل أمامهم، كلاهما منيع نخربَه الصَّدأ، وتُغلِقهما سلسلة طويلة كلٌّ من حلقاتها بسُمك كذراع رجل. تكفَّل حجم وسُمك هذين المصراعين بجعل كوينتن مارتل يُشكِّك في حكمة هذا المسعى، والأدهى أن كلا المصراعين منبعج بوضوحٍ من جرّاء محاولة شيءٍ ما بالدَّاخل الخروج. الحديد السَّميك مشقَّق ومتصدِّع في ثلاثة مواضع، والرُّكن العُلوي من المصراع الأيسر ذائب جزئيًا.

يَحرُس الباب أربعة وحوش نُحاس، يحمل ثلاثة منهم الحِراب الطَّويلة، والرَّابع -رقيبهم- مسلَّح بسيفٍ قصير وخنجر، ويضع قناعًا على شكل رأس بازيليسق، أمَّا الثَّلاثة الآخَرون فيضعون أقنعة حشرات.

فكَّر كوينتن: جراد، وقال: «كلب».

وتيبَّس الرَّقيب.

وهذا هو كلُّ ما تطلَّبه كوينتن مارتل ليعرف أن شيئًا ما على غير ما يُرام، وبصوتٍ مبحوح قال: «خذوهم»، في اللَّحظة نفسها التي امتدَّت فيها يد البازيليسق بمنتهى السُّرعة إلى سيفه القصير.

سريع هذا الرَّقيب... لكن الرَّجل الكبير أسرع. ألقى آرش المشعل على أقرب جرادة، ثم مدَّ يده وراء ظَهره وحلَّ مطرقته الحربيَّة، وكان نصل البازيليسق قد خرجَ من غِمده الجِلدي بالكاد عندما هوى طرف رأس المطرقة المدبَّب على صُدغه ساحقًا نُحاس القناع الرَّفيع واللَّحم والعظم تحته. ترنَّح الرَّقيب إلى الجانب نِصف خُطوةٍ قبل أن تتداعى رُكبتاه ويهوي أرضًا وجسده كلُّه ينتفض بعُنفٍ بالغ.

حدَّق كوينتن متسمِّرًا مبهوتًا وقد تهيَّجت معدته. ما زالَ سيفه في غِمده، لم يمدَّ يده إليه حتى، وتجمَّدت عيناه على الرَّقيب الذي يُحتضَر أمامه مختلجًا. كان المشعل السَّاقط ينطفئ على الأرض جاعلًا كلَّ ظِلٍّ يتواثَب ويتلوَّى في محاكاةٍ وحشيَّة ساخرة لارتجاف الرَّجل المحتضر، ولم يرَ الأمير حربة أحد الجرادات في طريقها إليه حتى ارتطمَ به جيريس دافعًا إياهُ جانبًا. احتكَّ رأس الحلقة بوجنة وجه الأسد الذي يضعه، وعلى الرغم من ذلك أصابَته الضَّربة بعُنفٍ كادَ ينتزع القناع عن وجهه، فقال الأمير لنفسه ورأسه يدور: *كانت ستخترق حَلقي اختراقًا*.

أطلقَ جيريس سبابًا إذ حاصرَته الجرادات، وسمعَ كوينتن أصوات أقدامٍ تعدو، ثم إذا بالمرتزِقة يندفعون من قلب الظِّلال. رمقَهم أحد الحَرس للحظةٍ كانت كافيةً لأن يتجاوَز جيريس رأس حربته ويغرس رأس سيفه تحت القناع النُّحاس وفي حَلق واضعه، وفي اللَّحظة نفسها نبتَ سهم نُشَّابيّة من صدر الجرادة الثَّانية.

وأسقطَت الجرادة الأخيرة حربتها، وصاحَ الرَّجل: «أستسلمُ، أستسلمُ».

ردَّ كاجو: «لا، بل تموت»، وبترَ رأس الرَّجل بضربةٍ واحدة من أراخه. جزَّ الفولاذ القاليري اللَّحم والعظم والغضاريف كأنها صوف الخراف، وقال قاتِل الجُثث متذمِّرًا: «ضوضاء عالية للغاية. كلُّ مَن له أُذنان سمعَ هذا».

قال كوينتن: «كلب. المفترَض أن تكون كلمة السِّر اليوم *كلب*. لماذا لم يدعونا نمرُّ؟ قيلَ لنا...».

قاطعَته ميريس: «قيلَ لكم إن خطَّتكم جنون، هل نسيت؟ افعلوا ما جئتم لفِعله».

فكَّر الأمير كوينتن: *التنِّينان. نعم، جئنا من أجل التنِّينيْن*، وتابعَ في سريرته وقد انتابه غثيان مباغت: *ماذا أفعلُ هنا؟ لماذا يا ابي؟ أربعة رجال ماتوا في العدد نفسه من اللَّحظات، وفي سبيل ماذا؟* همسَ: «النَّار والدَّم، الدَّم والنَّار». الدَّم يتجمَّع في بِركةٍ عند قدميه ويغوص في الأرضيَّة القرميد، والنَّار وراء هذا الباب. غمغمَ: «السِّلسلة... ليس معنا مفتاح...».

قال آرش: «أنا معي مفتاح»، وبقوَّةٍ وسرعةٍ هوى بمطرقته الحربيَّة ليتطايَر الشَّرر عندما أصابَ رأسها القفل. ثم إنه هوى بضربةٍ أخرى، وأخرى، وأخرى، ومع الضَّربة الرَّابعة تحطَّم القفل وسقطَت السِّلسلة برنينٍ جعلَ كوينتن يُوقِن بأن نِصف مَن في الهرم سمعوه. قال: «اجلبوا العربة». سيكون التِّنينان أكثر انصياعًا بمجرَّد إطعامهما. *فليُتخِما نفسيهما بالضَّأن المتفحِّم.*

أمسكَ آرشيبولد يرونوود المصراعين الحديد وفتحَهما، لتُصدر مفصلاتهما الصَّدئة صرختين قمينتين بإيقاظ كلِّ مَن نامَ خلال كسر القفل، وانقضَّت عليهم لفحة مفاجئة من الحرارة المثقلة بروائح الرَّماد والكبريت واللَّحم المحروق.

وراء الباب سواد حالك، ظلام مدلهم كئيب يبدو حيًّا منذرًا بالويل، يبدو جائعًا، ومن فوره شعرَ كوينتن بأن في الظُّلمة شيئًا ما، شيئًا ملتفًّا على نفسه وينتظر. *امنحني الشَّجاعة أيها (المُحارب)*. ليس يُريد أن يفعل هذا، لكنه لا يرى وسيلةً أخرى. *وإلَّا فلِمَ أرَتني دنيرس التِّنينيْن؟ تُريدني أن أثبت نفسي لها*. ناولَه جيريس مشعلًا، ودخلَ الأمير من الباب.

الأخضر ريجال والأبيض ڤسيريون. استخدِم اسميهما، مُرهما، خاطِبهما بهدوءٍ ولكن بصرامة، أخضِعهما كما أخضعَت دنيرس دروجون في الحلبة. كانت الفتاة وحدها مرتديةً غلالةً من الحرير، ومع ذلك تصرَّفت بجسارة. يجب *ألَّا أخاف*. هي *فعلَتها، وأنا أيضًا أستطيعُ أن أفعلها*. أهم شيءٍ ألَّا يُبدي خوفًا. *الحيوانات تشمُّ الخوف، والتَّنانين*... ما الذي يعرفه عن التَّنانين؟ *ما الذي يعرفه أيُّ أحدٍ عن التَّنانين؟ لقد زالَت من العالم لأكثر من قرنٍ كامل.*

حافة الجُبِّ أمامه، وبتؤدةٍ دنا كوينتن منها محرِّكًا المشعل من جانبٍ إلى جانب، وتشرَّبت الحوائط والأرضيَّة والسَّقف الضَّوء. محروق، *القرميد مسودٌّ محروق، يتفتَّت مستحيلًا إلى رماد.* ازدادَ الهواء دفئًا كلَّما تقدَّم خُطوةً، وبدأ جسده يتفصَّد عَرقًا.

ثم ارتفعَت أمامه عينان.

عينان برونزيَّتان، أشد من الثُّروس المصقولة بريقًا، تتوهَّجان بسعيرهما الخاص، مشتعلتان وراء ستارٍ من الدُّخان المتصاعد من منخرَي التنِّين. غمرَ ضوء مشعل كوينتن حراشف من الأخضر الدَّاكن، أخضر الطَّحالب في الغابات العميقة ساعة الغسق قُبيل زوال الضَّوء الأخير. ثم فتحَ التنِّين فمه، وغمرَ كوينتن الضَّوء والحرارة، ووراء سياجٍ من الأسنان السَّوداء الحادَّة أبصرَ وهج الأتون، بريق نارٍ خامدة أسطع مئة مرَّةٍ من مشعله. رأس التنِّين أكبر من رأس الحصان، ويمتدُّ عُنقه ويمتدُّ منحلًّا كأفعى خضراء عظيمة إذ ارتفعَ الرَّأس إلى أن أصبحَت هاتان العينان البرونزيَّتان الملتهبتان تَنظُران إليه من أعلى.

خضراء، حراشفه خضراء. قال: «ريجال»، لكن صوته احتبسَ في حنجرته فلم يَخرُج منه إلَّا نقيق مكسور. *الضِّفدع، إنني اتحوَّلُ إلى الضِّفدع من جديد.* تذكَّر فقال بنبرةٍ مبحوحة: «الطَّعام، أحضِروا الطَّعام».

سمعَه الرَّجل الكبير وأمسكَ خروفًا من ساقين ورفعَه عن العربة، ثم دارَ وألقاه في الجُبِّ.

والتقطَه ريجال في الهواء. التفتَ رأسه بحدَّة، ومن بين فكَّيه انبثقَ رُمح من اللَّهب، عاصفة دوَّامة من النَّار الصَّفراء والبُرتقاليَّة المجزَّعة بالأخضر. اشتعلَ الخروف في الهواء قبل أن يبدأ السُّقوط، وقبل أن تضرب الجثَّة الدَّاخنة القرميد أطبقَت عليها أسنان التنِّين ولا تزال هالة من اللَّهب تتذبذَب حولها، وفاحَت في الهواء رائحة الصُّوف المحروق والكبريت. *رائحة التَّنانين.*

قال الرَّجل الكبير: «ظننتُ أن هناك اثنين».

قسيريون، نعم. أين قسيريون؟ خفضَ الأمير المشعل ليُلقي الضَّوء على العتمة بالأسفل، ورأى التنِّين الأخضر يُمزِّق جثَّة الخروف الدَّاخنة ويجلد ذيله الطَّويل الهواء من جانبٍ إلى جانبٍ كالسَّوط وهو يأكل. حول عُنق ريجال طوق حديدي سميك تتدلَّى منه ثلاثة أقدام من سلسلةٍ مكسورة، والحلقات المحطَّمة مبعثرة على أرض الجُبِّ بين العظام المتفحِّمة، لفائف من المعدن الذَّائب جزئيًّا. *ريجال كان مقيَّدًا إلى الأرض والحائط آخِر مرَّةٍ كنتُ هنا، لكن قسيريون كان معلَّقًا من السَّقف.*

تراجعَ كوينتن ورفعَ المشعل ورأسه.

لوهلةٍ لم يرَ بالأعلى غير القناطر القرميد المسودَّة التي لفحَتها نيران التنِّينيْن، ثم لفتَ نظره خيط من الرَّماد يشي بحركة. شيء ما شاحب، مختبئ، يتحرَّك. *صنعَ لنفسه كهفًا، جُحرًا في القرميد.* أساسات هرم (ميرين) الأكبر سميكة ضخمة لأجل حمل البناء الهائل فوقها، وحتى الجُدران الدَّاخلية أسمك ثلاث مرَّاتٍ من سور أيِّ قلعة، لكن قسيريون حفرَ لنفسه حُفرةً فيها باللَّهب والمخلب، حُفرةً تتَّسع للنَّوم فيها.

والآن أيقَظناه. رأى ما يُشبِه أفعى بيضاء عملاقةً تحلُّ نفسها داخل الجِدار في أعلى نقاطه حيث يتقوَّس ليُلاقي السَّقف. سقطَ المزيد من الرَّماد من أعلى، ومعه قطعة من القرميد المفتَّت، ولاحَ من الأفعى عُنق وذيل... ثم ظهرَ الرَّأس، عيناه متَّقدتان في الظَّلام كجمرتين من ذهب، وخشخشَ جناحا التنِّين وبدآ ينبسطان.

وفرَّت خُطط كوينتن كلُّها من رأسه.

سمعَ كاجو قاتِل الجُثث يزعق في رجاله المرتزِقة، ففكَّر الأمير الدورني: *السَّلاسل، يَطلُب السَّلاسل*. كانت الخطَّة أن يُطعِموا الوحشين ويُقيِّداهما عندما يُثقِلهما الوسن، تمامًا كما فعلَت الملكة. تنِّين واحد، والاثنان أفضل.

قال كوينتن: «مزيد من اللَّحم». *سينعس الوحشان ما إن نُطعِمهما*. سبقَ أن رأى هذه الوسيلة النَّاجعة مع الثَّعابين في (دورن)، أمَّا هنا مع هذين الوحشين... «أحضِروا... أحضِروا...».

أطلقَ ڤسيريون نفسه من السَّقف باسطًا جناحيه الجِلديَّين الشَّاحبين عن آخِرهما، وتأرجحَت السِّلسلة المتدلِّية من عُنقه بضراوة. أنارَ لهيبه الجُبَّ، ذهب باهت مجزَّع بالأحمر والبُرتقالي، وتفجَّر الهواء السَّاكن في سحابةٍ من الرَّماد السَّاخن والكبريت إذ ضربَه الجناحان الأبيضان مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً.

أطبقَت يد على كتف كوينتن، فسقطَ المشعل من قبضته ليتدحرَج على الأرض ثم يَسقُط في الجُبِّ مشتعلًا، ووجدَ نفسه في مواجهة قردٍ نُحاسي. جيريس. «كوينت، لن ننجح. إنهما شرسان للغاية، إنهما...».

حطَّ التنِّين بين الدورنيِّين والباب بزئيرٍ كان ليدفع مئة أسدٍ إلى الفرار، وتحرَّك رأسه من جانبٍ إلى آخَر متفحِّصًا المتطفِّلين... الدورنيِّين والمذروِّين وكاجو، وأخيرًا حدَّق الوحش إلى ميريس الحسناء طويلًا وأخذَ يتشمَّم الهواء. *المرأة. يعرف انها أنثى. يبحث عن دنيرس، يُريد أمَّه ولا يفهم غيابها.*

انتزعَ كوينتن كتفه من قبضة جيريس، ونادى: «ڤسيريون». *الأبيض ڤسيريون.* لأقل من لحظةٍ خشيَ أنه أخطأ الاسم. ثانيةً نادى ويده تتلمَّس طريقها إلى السَّوط المعلَّق من حزامه: «ڤسيريون». *هي أخضعَت الأسود بسوط، وعليَّ أن أفعل المِثل.*

عرفَ التنِّين اسمه، فالتفتَ برأسه وسلَّط ناظريْه على الأمير الدورني مُدَّة ثلاث نبضات قلبٍ طويلة والنَّار الشَّاحبة موقدة وراء خناجر أسنانه السَّوداء. عيناه بُحيرتان من الذَّهب المصهور، ومن طاقتَي أنفه ينبعث الدُّخان.

قال كوينتن: «انزل»، ثم سعلَ وسعلَ.

الهواء مفعم بالدُّخان، ورائحة الكبريت خانقة. فقدَ ڤسيريون الاهتمام وعادَ يلتفت إلى المذروِّين، ثم اندفعَ نحو الباب. ربما شمَّ دماء الحَرس القتلى أو اللَّحم في عربة الجزَّار، أو ربما رأى فقط أن الطَّريق مفتوح.

سمعَ كوينتن المرتزِقة يصيحون. كان كاجو يَطلُب السَّلاسل، وميريس الحسناء تَصرُخ في أحدهم أن يتنحَّى جانبًا. تقدَّم التنِّين من الباب بحركةٍ خرقاء كرجلٍ يزحف على مِرفقيه ورُكبتيه، ومع ذلك كانت حركته السَّريعة عصيَّةً على تصديق الأمير الدورني. تأخَّر المذروُّون في الابتعاد عن الطَّريق، فأطلقَ ڤسيريون زئيرًا آخَر، وسمعَ كوينتن صلصلة سلاسل والصَّوت الوتري العميق المميَّز للنُّشَّابيَّة.

صرخَ: «لا، لا!»، لكن الأوان فاتَ. *الأحمق.* لم يجد وقتًا إلَّا لقول هذا في أعماقه قبل أن يرتدَّ السَّهم عن عُنق ڤسيريون ويختفي في العتمة، وومضَ خطٌّ من النَّار في أثره، دماء التنِّين المتوهِّجة بالذَّهبي والأحمر.

كان الرَّامي يبحث عن سهمٍ آخَر عندما انغلقَت أسنان التنِّين على رقبته. يضع الرَّجل قناع وحشٍ نُحاس يُصوِّر وجه نمرٍ مخيفًا، وإذ أسقطَ سلاحه ليُحاوِل فتح فكَّي ڤسيريون عنوةً انبثقَ اللَّهب من فم النَّمر، وتفجَّرت عينا الرَّجل بصوتٍ خافت وبدأ النُّحاس الأصفر حولهما يذوب. مزَّق التنِّين كُتلةً من اللَّحم، معظم رقبة المرتزِق، ثم ابتلعَها تاركًا الجثَّة المحترقة تتهاوى أرضًا.

بدأ بقيَّة المذروِّين يتقهقَرون. حتى ميريس الحسناء لا تملك شَجاعة المواجهة في هذا الموقف. تحرَّك رأس ڤسيريون ذو القرنين جيئةً وذهابًا بينهم وبين فريسته، لكنه تناسى المرتزِقة بعد لحظةٍ ولوى عُنقه لينتزع قطعةً أخرى من لحم الرَّجل الميت، أسفل ساقه هذه المرَّة.

أرخى كوينتن سوطه لينحلَّ، ونادى بصوتٍ أعلى هذه المرَّة: «ڤسيريون». يُمكنه أن يفعلها. سيفعلها. لقد أرسلَه أبوه إلى أقاصي الأرض من أجل هذا، ولن يخذله. كرَّر: «**ڤسيريون!**»، وفرقعَ بالسَّوط في الهواء لتُردِّد الجُدران المسودَّة الصَّوت الحاد.

ارتفعَ الرَّأس الشَّاحب، وضاقَت العينان الذَّهبيَّتان العظيمتان، وتصاعدَت خيوط الدُّخان من منخرَي التنِّين.

قال الأمير آمرًا: «انزل». *يجب ألَّا تدعه يشمُّ خوفك.* «انزل، انزل، **انزل!**». ولوَّح كوينتن بالسَّوط وهوى بجَلدةٍ على وجه التنِّين، وأطلقَ ڤسيريون فحيحًا.

وفي اللَّحظة التَّالية اكتنفَته ريح حارَّة، وسمعَ صوت جناحين جِلديَّين يضربان الهواء الذي امتلأً فجأةً بالرَّماد والجذوات وزئيرٍ رهيب ردَّد القرميد المسفوع أصداءه، وسمعَ أيضًا صديقيه يجأران بأعلى صوت. كان جيريس يُناديه باسمه ويُناديه ويُناديه، والرَّجل الكبير يهدر: «وراءك، وراءك، **وراءك!**».

التفتَ كوينتن وألقى ذراعه اليُسرى على وجهه ليحمي عينيه من الرِّيح الحارقة، وقال يُذكِّر نفسه: *ريجال، الأخضر ريجال*.

حين رفعَ سوطه رأى الشَّريط الجِلدي مشتعلًا، ويده أيضًا، جسده كلَّه، جسده كلَّه يحترق.

وفكَّر كوينتن: *أوه*، ثم بدأ يَصرُخ.

قالت الملكة سيليس: «فليموتوا».

الجواب الذي توقَّعه چون سنو. *هذه الملكة لا تُخالِف أسوأ التَّوقُّعات أبدًا.* وعلى الرغم من ذلك لم يُخفِّف توقُّعه الوطأة، فتابعَ بعناد: «جلالة الملكة، إنهم يتضوَّرون جوعًا بالآلاف في (هاردهوم). كثيرون منهم نساء...».

قاطعَته الملكة: «... وأطفال، نعم، محزن جدًّا»، وشدَّت ابنتها مقرِّبةً إياها وطبعَت قُبلةً على وجنتها. *الوجنة التي لم يُشوِّهها الدَّاء الأرمد.* لم يَفُت چون أن يلحظ هذا فيما تابعَت: «إننا نرثي لحال الصِّغار بالطَّبع، لكن يجب أن نكون متعقِّلين. ليس عندنا طعام لهم، كما أنهم أصغر من أن يُعينوا زوجي الملك في حروبه. أخيَر لهم أن يُولَدوا من جديدٍ في النُّور».

مجرَّد صيغةٍ ألطف لقول: *فليموتوا.*

الغُرفة مزدحمة بالحاضرين. تقف الأميرة شيرين إلى جوار مقعد أمِّها، ويجلس ذو الوجه المرقَّع مربِّعًا ساقيه عند قدميها، ووراء الملكة السير آكسل فلورنت واقف في الظِّل، في حين تقف مليساندرا الآشايِيَّة على مقربةٍ من النَّار، تنبض الياقوتة على جيدها مع كلِّ نفسٍ يتردَّد في صدرها. للمرأة الحمراء أيضًا صحبها؛ المُرافق دڤان سيوورث واثنان من الحَرس الذين تركَهم لها الملك.

ويقف حُماة الملكة سيليس عند الجُدران في صفٍّ من الفُرسان البوارق: السير ميلجورن والسير بنيثون والسير ناربرت والسير پاتريك والسير دوردن والسير بروس. مع غزو كلِّ هؤلاء الهَمج المتعطِّشين للدَّم (القلعة السَّوداء) تحتفظ سيليس بحَرسها الشَّخصيِّين حولها ليل نهار، وهو ما فجَّر سماعه ضحكات تورموند بليَّة العماليق، الذي قال: «خائفة من الاختطاف؟ آملُ أنك لم تُخبِرها بحجم عُضوي يا چون سنو، فهذا كفيل بإفزاع أيِّ امرأة. لطالما أردتُ لنفسي واحدةً بشارب»، ثم أخذَ يضحك ويضحك.

لن يضحك الآن.

قال چون الذي بدَّد ما يكفي من وقتٍ هنا: «آسفٌ لإزعاج صاحِبة الجلالة. سيتولَّى حَرس اللَّيل هذا الأمر».

اتَّسعت طاقتا أنفها غيظًا، وقالت: «ما زلت تنوي الذَّهاب إلى (هاردهوم). أرى نيَّتك على وجهك. فليموتوا، قلتُ، لكنك مصرٌّ على هذه الحماقة المجنونة. لا تُنكِر».

- «عليَّ أن أفعل ما أراه الأفضل. مع احترامي يا صاحِبة الجلالة، (الجِدار) تحت قيادتي، وهذا القرار لي».

قالت سيليس: «صحيح، ولسوف تتحمَّل مسؤوليَّته أمام الملك حين يعود، ومسؤوليَّة قراراتٍ أخرى اتَّخذتها. لكنني أرى أنك تصمُّ أُذنيك عن العقل، فافعل ما تُريد».

تدخَّل السير ميلجورن قائلًا: «لورد سنو، مَن سيقود هذه الحملة؟».

- «هل تعرض قيادتها أيها الفارس؟».

- «هل أبدو لك بهذا الحُمق؟».

هبَّ ذو الوجه المرقَّع واقفًا ورنَّت أجراسه بمرحٍ إذ قال: «أنا سأقودها! سنزحف إلى البحر ونَخرُج ثانيةً. تحت البحر سنركب أفراس البحر وتَنفُخ عرائس البحر في الودع لتُعلن مجيئنا. أوه، أوه، أوه».

ضحكوا جميعًا، وحتى سيليس سمحَت لنفسها بابتسامةٍ رفيعة، أمَّا چون فلم يجد الموقف طريفًا، وقال: «لن أطلب من رجالي أن يفعلوا ما أحجمُ عن فِعله بنفسي. أنوي قيادة الحملة بنفسي».

قالت الملكة: «يا لجرأتك. موافقون. لا شكَّ أن شاعرًا ما سيُؤلِّف عنك أغنيَّةً مؤثِّرةً بعدها، وسنحظى بقائدٍ أكثر حكمةً»، وأخذَت رشفةً من النَّبيذ، ثم استطردَت: «لنتكلَّم في شؤونٍ أخرى. آكسل، أحضِر الملك الهمجي إذا سمحت».

قال السير آكسل: «حالًا يا جلالة الملكة»، وخرجَ من بابٍ وعادَ بعد لحظةٍ بجيريك دم الملوك معلنًا: «جيريك سليل عائلة اللِّحية الحمراء، ملك الهَمج».

جيريك دم الملوك رجل فارع القامة طويل السَّاقين عريض المنكبين، ويبدو أن الملكة ألبسَته بعض ثياب الملك القديمة. الآن وقد استحمَّ وصارَ مهندمًا وارتدى المخمل الأخضر وحرملةً قصيرةً من فرو القاقوم، وغُسِلَ شَعره الأحمر الطَّويل وشُذِّبَت لحيته النَّاريَّة وهُذِّبَت، يبدو الهمجي تمامًا كواحدٍ من لوردات الجنوب، وهو ما حدا بچون إلى أن يقول لنفسه: *يُمكنه أن يَدخُل قاعة العرش في (كينجز لاندنج) ولن يطرف لأحدٍ جفن.*

قالت الملكة: «جيريك ملك الهَمج الشَّرعي، منحدِر من نسل ذكورٍ متعاقب من ملكهم العظيم رايمون ذي اللِّحية الحمراء، أمَّا الغاصِب مانس رايدر فكان وليد امرأةٍ ما من العوام وأحد إخوتك السُّود».

كان چون ليقول: *لا، جيريس من نسل أخٍ أصغر لرايمون ذي اللِّحية الحمراء*. وعند شعب الأحرار لا فرق بين هذا وبين كونه من نسل حصان ذي اللِّحية الحمراء. *ليسوا يعلمون شيئًا يا إيجريت، والأدهى أنهم يَرفُضون أن يتعلَّموا*.

تابعَت الملكة سيليس: «جيريك وافقَ بكرمٍ على إعطاء يد ابنته الكُبرى لعزيزي آكسل، ليجمع بينهما إله الضِّياء بالرِّباط المقدَّس. ستتزوَّج ابنتاه الأخريان في الوقت نفسه، الثَّانية بالسير بروس بكلر والصُّغرى بالسير ميلجورن ابن (البِركة الحمراء)».

حنى چون رأسه للفارسيْن المذكوريْن قائلًا: «أيها الفارسان، عسى أن تجدا السَّعادة مع خطيبتيكما».

أدَّى ذو الوجه المرقَّع حركةً راقصةً صغيرةً مدندنًا وأجراسه تُجَلجِل: «تحت البحر يتزوَّج البَشر الأسماك، يتزوَّجونها، يتزوَّجونها، يتزوَّجونها».

تنشَّقت الملكة، وقالت: «من الممكن إجراء أربع زيجات بسهولة ثلاث. حانَ الوقت لأن تستقرَّ تلك المرأة ڤال أيها اللورد سنو، وقد قرَّرتُ أن تتزوَّج فارسي المخلص الكريم السير پاتريك ابن (جبل الملك)».

قال چون: «هل أُبلِغَت ڤال يا جلالة الملكة؟ عند شعب الأحرار، عندما يرغب رجل في امرأةٍ عليه أن يختطفها، وبهذا يُثبِت قوَّته ودهاءه وشَجاعته، والخاطِب يُخاطِر بأن يتلقَّى ضربًا مبرِّحًا إذا ضبطَه أهل المرأة، وأسوأ من ذلك إذا وجدَته هي نفسها غير لائق».

علَّق آكسل فلورنت: «تقليد بربري».

واكتفى السير پاتريك بقهقهةٍ قائلًا: «لا رجل وجدَ سببًا للتَّشكيك في شَجاعتي من قبل، ولا امرأة ستفعل».

زمَّت الملكة سيليس شفتيها، وقالت: «لورد سنو، ما دامَت عاداتنا غريبة على الليدي ڤال فأرسِلها إليَّ لألقِّنها واجبات السيِّدة النَّبيلة تجاه السيِّد زوجها».

مؤكَّد *أن هذا سيمضي على نحوٍ رائع*. تساءلَ چون إن كانت الملكة ستبقى حريصةً على تزويج ڤال بأحد فُرسانها إذا علمَت بمشاعرها نحو الأميرة شيرين. «كما ترغبين، لكن إن سمحتِ لي أن أتكلَّم بحرِّيَّة...».

- «لا، لا أظنُّ. يُمكنك الانصراف».

وهكذا ركعَ چون سنو وحنى رأسه وانسحبَ.

نزلَ السَّلالم درجتين درجتين مومئًا برأسه لحَرس الملكة. كانت جلالتها قد عيَّنت رجالًا على كلِّ بسطةٍ لحمايتها من الهَمج القتلة. في منتصَف الطَّريق إلى أسفل ناداه صوت من أعلى: «چون سنو».

التفتَ قائلًا: «ليدي مليساندرا».

- «يجب أن نتكلَّم».

- «حقًّا؟». *لا أظنُّ*. «إن عندي واجباتٍ يا سيِّدتي».

ردَّت: «تلك الواجبات هي ما أريدُ أن أكلِّمك عنه»، ونزلَت وحاشية تنُّورتها القرمزيَّة تحفُّ مع احتكاكها بالسَّلالم، لتبدو كأنما تطفو في الهواء. «أين ذئبك الرَّهيب؟».

- «نائم في مسكني. جلالتها لا تسمح بوجود جوست في حضرتها، تَزعُم أنه يُخيف الأميرة. ولستُ أجرؤ على إطلاقه ما دامَ بوروك وخنزيره البرِّي في الجوار». المقرَّر أن يصحب مبدِّل الجِلدة سورين كاسِر الثُّروس إلى (الباب الحجري) بمجرَّد عودة العربات التي حملَت قبيلة سلَّاخ الفقمات إلى (الحارس الأخضر)، وحتى ذلك الحين يُقيم بوروك بإحدى المقابر العتيقة إلى جوار ساحة الأُشنة، فعلى ما يبدو أن صُحبة مَن ماتوا مِن قديمٍ تُناسِبه أكثر من صُحبة الأحياء، كما أن خنزيره البرِّي يرعى سعيدًا بين القبور بعيدًا عن الحيوانات الأخرى. «ذلك الكائن يُناهِز الثَّور حجمًا، وأنيابه بطول السُّيوف. سيُهاجِمه جوست إذا أطلقته، ولن ينجو أحدهما أو كلاهما من ذلك اللِّقاء».

- «بوروك أهون همومك. الحملة...».

- «كانت كلمة منكِ كفيلةً بتغيير رأي الملكة».

- «سيليس محقَّة في هذا أيها اللورد سنو. فليموتوا. ليس باستطاعتك إنقاذهم. سُفنكم ضاعَت...».

- «ما زالَت ستُّ سُفنٍ باقيةً، أكثر من نِصف الأسطول».

- «سُفنكم ضاعَت كلُّها. لن يرجع ولو رجل واحد. رأيتُ هذا في نيراني».

- «سبقَ لنيرانكِ أن كذبَت».

- «صحيحٌ أنني ارتكبتُ أخطاءً، ولقد اعترفتُ بهذا، ولكن...».

- «فتاة رماديَّة على حصانٍ مائت. خناجر في الظَّلام. أمير موعود مولود في الدُّخان والملح. يبدو لي أنكِ لا ترتكبين إلَّا الأخطاء يا سيِّدتي. أين ستانيس؟ ماذا عن ذي القميص المُخشخِش وزوجاته الحِراب؟ أين أختي؟!».

- «سيُجاب عن أسئلتك جميعًا. تطلَّع إلى السَّماء أيها اللورد سنو، وحين تتلقَّى الإجابات أرسِل في استدعائي. الشِّتاء على وشك الحلول، وأنا أملك الوحيد».

ردَّ چون: «أمل أحمق»، ودارَ على عقبيه وتركَها.

كان ليذرز يذرع السَّاحة بالخارج، ولمَّا ظهرَ چون أبلغَه: «توريج عادَ. أبوه أسكنَ قومه (درع البلُّوط) وسيعود اليوم بعد الظُّهر بثمانين رجلًا مُقاتلًا. ماذا قالت الملكة الملتحية؟».

- «جلالتها لا تستطيع مدَّنا بمساعدة».

قال ليذرز: «مشغولة بنتف شَعر ذقنها؟»، وبصقَ ثم أردفَ: «لا يهمُّ. رجال تورموند ورجالنا كافون».

كافون للوصول إلى هناك ربما. رحلة العودة هي ما يشغل بال چون سنو، فخلالها سيُبطئ حركتهم آلاف من الأحرار الذين يُعاني كثيرون منهم المرض والجوع. *نهر من الإنسانيَّة يتحرَّك كنهرٍ من الجليد أو أبطأ*. سيجعلهم هذا عُرضةً للخطر. *أشياء ميتة في الغابة، أشياء ميتة في المياه*. «كم رجلًا يكفون؟ مئة؟ مئتان؟ خمسمئة؟ ألف؟». *هل ينبغي أن آخذ رجالًا أكثر أم أقل؟* إذا كانت الحملة صغيرةً فستبلُغ (هاردهوم) أسرع... لكن ما جدوى السُّيوف دون طعام؟ الأُم خُلد وقومها بدأوا يأكلون موتاهم بالفعل، ولإطعامهم عليه أن يجلب عرباتٍ وحيواناتٍ تجرُّها؛ خيولًا وثيرانًا وكلابًا. بدلًا من قطع الغابة بأقصى سرعةٍ سيُجبَرون على الزَّحف إجبارًا. «ما زالَ هناك الكثير مما علينا أن نُقرِّره. انشُر الخبر. أريدُ جميع القادة في (قاعة الثُّروس) مع بداية مناوَبة المساء. المفترَض أن يكون تورموند قد عادَ حينئذٍ. أين أجدُ توريج؟».

- «مع الوحش الصَّغير على الأرجح. سمعتُ أنه صارَ مغرمًا بإحدى المُرضعات».

بل صارَ مغرمًا بڤال. كانت أختها ملكةً، فلِمَ ليس هي أيضًا؟ أرادَ تورموند من قبل أن يُنصِّب نفسه ملكًا وراء الجِدار قبل أن يغلبه مانس، ووارد جدًّا أن الحُلم نفسه يُراوِد توريج الطَّويل. *هو افضل من جيريك دم الملوك*. قال چون: «دعهم وشأنهم إذن. سأتكلَّمُ مع توريج لاحقًا»، ورفعَ ناظريْه وراء (بُرج الملك)، حيث (الجِدار) أبيض باهت والسَّماء فوقه شتاء. *سماء ثلجيَّة*. «ادعُ فقط ألَّا تُهاجِمنا عاصفة أخرى».

خارج مستودَع السِّلاح وجدَ مولي والبرغوث واقفيْن يرتجفان في مناوَبة حراستهما، فسألَهما: «ألا ينبغي أن تكونا بالدَّاخل بعيدًا عن الرِّيح؟».

قال فولك البرغوث: «لكان هذا رائعًا يا سيِّدي، لكن ذئبك ليس في مزاج صُحبة اليوم».

أضافَ مولي مؤيِّدًا: «لقد حاولَ أن يعضَّني، حقًّا».

مصدومًا قال چون: «جوست؟!».

- «ما لم يكن عند حضرة القائد ذئب أبيض آخَر فنعم. لم أرَه على هذه الحال قَطُّ يا سيِّدي، أعني جامحًا هكذا».

لم يكن مخطئًا، كما اكتشفَ چون بنفسه عندما دخلَ. رفضَ الذِّئب الأبيض الكبير أن يقبع في مكانه، وراحَ يقطع مستودَع السِّلاح من طرفه إلى طرفه مارًّا بالورشة الباردة ذهابًا وإيابًا. ناداه چون: «جوست، اهدأ. انزل. جوست، اجلس. انزل!»، لكن حين حاولَ لمسه انتصبَ شَعر الذِّئب وكشَّر عن أنيابه. *إنه ذلك الخنزير اللَّعين*. *حتى من هنا يشمُّ جوست رائحته*.

بدا غُداف مورمونت مهتاجًا أيضًا، وما انفكَّ يَصرُخ: «*سنو! ثلج، ثلج، ثلج!*». هشَّه چون وقال لساتان أن يُشعِل نارًا، ثم أرسلَه يستدعي باون مارش وأوثيل ياروِيك. «وأحضِر إبريقًا من النَّبيذ المتبَّل أيضًا».

- «ثلاثة أكواب يا سيِّدي؟».

- «ستَّة. مولي والبرغوث يبدوان محتاجيْن إلى شيءٍ دافئ، وأنت أيضًا».

بعد خروج ساتان جلسَ چون وألقى نظرةً أخرى على خرائط الأراضي شمال (الجدار). أسرع طريقٍ إلى (هاردهوم) بمحاذاة السَّاحل... من (القلعة الشَّرقيَّة). الغابة أقل كثافةً قُرب البحر، والتَّضاريس معظمها أراضٍ مسطَّحة وتلال مائجة ومستنقعات مالحة، وحين تعوي عواصف الخريف تَسقُط على السَّاحل حُبيبات جليديَّة وبرَد ومطر متجلِّد بدلًا من الثَّلج. *العمالقة في (القلعة الشَّرقيَّة)، وليذرز يقول إن بعضهم سيُساعِد*. الطَّريق من (القلعة السَّوداء) أصعب، إذ يمضي في قلب (الغابة المسكونة) مباشرةً. *إذا كانت الثُّلوج عميقةً عند (الجِدار) فالوضع أسوأ كم مرَّةً هناك؟*

دخلَ مارش متنشِّقًا ويارويك عابسًا، وأعلنَ البنَّاء الأول: «عاصفة أخرى. كيف نعمل في هذه الظُّروف؟ يلزمني المزيد من البنَّائين».

قال چون: «استعِن بالأحرار».

هزَّ يارويك رأسه نفيًا، وقال: «متاعبهم أكثر من نفعهم هؤلاء القوم. مستهترون، مهملون، كسالى... بعض النجَّارين البارعين هنا وهناك، لن أنكر هذا، لكن البنَّائين بينهم نُدرة، وليس منهم حدَّاد واحد. قد تكون ظهورهم قويَّةً، لكنهم لن يُطيعوا الأوامر المملاة عليهم. ونحن بكلِّ هذه الأطلال التي يجب أن نُحوِّلها إلى قلاعٍ ثانيةً... ليس ممكنًا إنجاز ذلك يا سيِّدي. أصدقك القول، ليس ممكنًا».

عقَّب چون: «سيُنجَز، أو عليهم أن يعيشوا في الأطلال».

يحتاج القائد إلى رجالٍ حوله يستطيع الاعتماد على مشورتهم الصَّادقة. ليس مارش ويارويك مُنافقيْن، وهذا خير... لكنهما قلَّما يُجدِيانه نفعًا كذلك، وأكثر فأكثر يجد نفسه يعلم ما سيقولانه قبل أن يسألهما.

تحديدًا عندما تخصُّ المسألة شعب الأحرار، حيث يخرج الاستنكار والشَّجب من أعمق أعماقهما. حين وطَّن چون سورين كاسِر العظام (الباب الحجري) اشتكى يارويك من أنها معزولة للغاية، فأنَّى لهم أن يعرفوا ما قد يَطبُخه سورين من أذًى في خُلوة تلك التِّلال البعيدة؟ وحين قدَّم (درع البلُّوط) إلى تورموند بليَّة العماليق و(بوَّابة الملكة) إلى مورنا ذات القناع الأبيض أشارَ مارش إلى أن (القلعة السَّوداء) على جانبيها الآن أعداء باستطاعتهم عزلهم بيُسرٍ عن باقي (الجِدار). وبالنِّسبة إلى بوروك فقد زعمَ أوثيل يارويك أن الغابة شمال (الباب الحجري) ملأى بالخنازير البرِّيَّة، ومَن يدري إن كان مبدِّل الجِلدة لن يستغلَّ هذا في بناء جيشه الخاص من الخنازير؟

ما زالَت (تل الصَّقيع) و(بوَّابة الضَّريب) تعوزهما حاميتان، فسألَهما چون في اجتماعٍ سابق رأيهما في أفضل مَن يَصلُح مِن زُعماء الهَمج وغُزاتهم لتولِّي القيادة في القلعتين. «عندنا بروج وجاقن التَّاجر والفظ العظيم... تورموند يقول إن هاود الرحَّال يُفضِّل الاختلاء بنفسه، لكن هناك هارل القنَّاص وهارل الوسيم ودوس الضَّرير... يوجون الوالد العجوز يقود بعض الأتباع، لكن أكثرهم أبناؤه وأحفاده. إن له ثماني عشرة زوجةً، نِصفهن مختطَف في غارات. أيٌّ هؤلاء...».

أجابَ باون مارش مقاطعًا: «ولا واحد. كلُّ هؤلاء الرِّجال أعرفهم من خلال أعمالهم. الأحرى أن نعقد الأناشيط حول أعناقهم لا أن نُعطيهم قلاعنا».

وأيَّده أوثيل ياروِيك: «أجل. إذا كان اختيار المرء بين سيِّئ وأسوأ والأسوأ فهو شحَّاذ، كأن سيِّدي يُقدِّم لنا قطيعًا من الذِّئاب ويسألنا أيُّها نحبُّ أن يُمزِّق رقابنا».

على المنوال نفسه سارَ الحوار عن (هاردهوم). صبَّ ساتان النَّبيذ فيما أخبرَهما چون بما دارَ في لقائه مع الملكة، وأصغى مارش بانتباهٍ متجاهلًا النَّبيذ المتبَّل، في حين شربَ ياروِيك كوبًا ثم آخَر، لكن ما كادَ چون يَفرُغ حتى قال قيِّم الوُكلاء: «جلالتها حكيمة. فليموتوا».

أرجعَ چون ظَهره إلى الوراء قائلًا: «أهذه هي النَّصيحة الوحيدة لديك يا سيِّدي؟ تورموند سيجلب ثمانين رجلًا. كم واحدًا علينا أن نُرسِل؟ هل نَطلُب مساعدة العمالقة؟ نستدعي الزَّوجات الحِراب في (الرَّابية الطَّويلة)؟ إذا أخذنا معنا نساءً فقد يُطَمئِن هذا الأُم خُلد».

ردَّ باون مارش: «أرسِل نساءً إذن، أرسِل عمالقةً، أرسِل رُضَّعًا. أهذا ما يرغب سيِّدي في سماعه؟»، وفركَ النَّدبة التي ظفرَ بها في معركة (جسر الجماجم) متابعًا: «أرسِلهم جميعًا. كلَّما فقدنا أكثر منهم قلَّت الأفواه التي علينا إطعامها».

ولم يمدَّه ياروِيك بما يُفيد كذلك إذ قال: «إذا كان الهَمج في (هاردهوم) محتاجين إلى نجدة فليذهب الهَمج هنا لنجدتهم. تورموند يعرف الطَّريق إلى (هاردهوم). مِن كلامه، يستطيع أن إنقاذهم جميعًا بعُضوه الضَّخم».

نقاش بلا جدوى، عقيم، فارغ، حالة ميؤوس منها. «شُكرًا على نصائحكم أيها السيِّدان».

ساعدَهما ساتان على ارتداء معطفيهما ثانيةً، وبينما قطعوا مستودَع السِّلاح إلى الخارج تشمَّمهما جوست وقد رفعَ ذيله وانتفشَ فروه. *إخوتي*. حَرس اللَّيل في حاجةٍ إلى قادةٍ بحكمة المِايستر إيمون ومعارف ساmويل تارلي وشَجاعة كورين ذي النِّصف يد وقوَّة الدُّب العجوز العنيدة وشفقة دونال نوي، وما لديه بدلًا من أولئك هذان وأمثالهما.

كان الثَّلج يَسقُط بكثافةٍ بالخارج. علَّق يارويك: «الرِّيح تهبُّ من الجنوب. انظُروا، إنها تذرو الثَّلج على وجه (الجِدار)».

عنده حق. رأى چون السَّلالم المتعرِّجة مدفونةً حتى البسطة الأولى تقريبًا، وأبواب زنازين الجليد والمخازن الخشبيَّة اختفَت وراء حائطٍ من الأبيض، فسألَ باون مارش: «كم رجلًا في زنازين الجليد؟».

- «أربعة أحياء واثنان ميتان».

الجثَّتان. نسيَ چون أمرهما تقريبًا. كان يأمل أن يتبيَّنوا شيئًا من الجثَّتين اللَّتين عادوا بهما من بُستان الويرwood، لكن الميتيْن ظلَّا ميتيْن على سبيل العناد. «علينا إزاحة الثَّلج عن هذه الزَّنازين».

قال مارش: «عشرة وُكلاء بعشرة مجارف كفيلون بهذا».

- «استخدِم وَن وَن أيضًا».

- «كما تأمر».

لم يستغرِق الوُكلاء العشرة والعملاق طويلًا في جرف أكوام الثَّلج، لكن حتى بعد إزالته عن الأبواب لم يَشعُر چون بالرِّضا، وقال: «غدًا صباحًا ستكون الزَّنازين قد اندفنَت ثانيةً. الأفضل أن ننقل السُّجناء قبل أن يختنقوا».

سألَه فولك البرغوث: «كارستارك أيضًا يا سيِّدي؟ ألا يُمكننا أن نَترُكه يرتجف حتى الرَّبيع؟».

- «ليتنا نستطيع». اعتادَ كريجان كارستارك العويل ليلًا في الفترة الأخيرة، ورمي مَن يجلبون إليه الطَّعام بالبراز المتجمِّد، وهو ما لم يُكسِبه حُبَّ حُرَّاسه. «خذوه إلى (بُرج القائد). القبو السُّفلي كفيل باحتوائه». على الرغم من انهياره الجزئي يظلُّ مقرُّ الدُّب العجوز السَّابق أدفأ من زنازين الجليد، وأقبيته السُّفلية سليمة في الغالب.

رفسَ كريجان حُرَّاسه حين دخلوا من الباب، وتلوَّى ودفعَ حين أمسكوه، بل وحاولَ أن يعضَّهم، لكن البرد كان قد أضعفَه، ورجال چون أكبر حجمًا وأصغر سِنًّا وأقوى. سحبوه إلى الخارج وهو يُقاوِم، وجرُّوه على الثَّلج المرتفع حتى الفخذ إلى سكنه الجديد.

بعد نقل الأحياء سألَ مارش: «ماذا يُريدنا حضرة القائد أن نفعل بالجثَّتين؟».

- «اترُكوهما». إذا دفنَتهما العاصفة فلا بأس. عليه أن يُحرِق الرَّجلين في النِّهاية لا ريب، لكنهما في الوقت الرَّاهن مقيَّدان بالسَّلاسل الحديد في زنزانتيهما، ومن شأن هذا -علاوةً على كونهما ميتيْن- أن يحول دون أذيَّتهما أحد.

وصلَ تورموند بليّة العماليق في الوقت المثالي، وأعلنَت ضجَّته وصوله مع مُحاربيه بعد الفروغ من جرف الثُّلوج. جاءَ معه خمسون فقط على ما يبدو، وليس الثَّمانين الذين وعدَ توريج ليذرز بهم، لكن تورموند لا يُلقَّب بالمِهذار من فراغ. حلَّ الهمجي محتقن الوجه يَطلُب زاعقًا قرنًا من المِزر وشيئًا ساخنًا يأكله، على لحيته جليد والمزيد منه على شاربه.

كان أحدهم قد أبلغَ قبضة الرَّعد بأمر جيريك دم الملوك ولقبه الجديد، وقد انفجرَ تورموند ضاحكًا لهذا، وقال: «ملك الهَمج؟ هار! ملك فلقة إستي المُشعرة بالأحرى!».

قال چون: «إن له مظهرًا ملكيًا».

قال تورموند: «إن له قضيبًا أحمر صغيرًا يتماشى مع كلِّ هذا الشَّعر الأحمر، هذا ما له. رايمون ذو اللِّحية الحمراء وأبناؤه ماتوا عند (البُحيرة الطَّويلة) بفضل أهلك آل ستارك الملاعين والعملاق السكِّير. الأخ الصَّغير لم يَمُت. هل تساءلت من قبل لِمَ لقَّبوه بالغُداف الأحمر؟»، وانفرجَت شفتاه عن ابتسامةٍ عريضة أظهرَت فلج أسنانه، وواصلَ: «كان أول من طارَ من المعركة. بعدها ألَّفوا عنه أغنيَّةً. أرادَ المغنِّي أن يجد قافيةً لـ«خوَّاف»، وهكذا...»، ومسحَ أنفه قائلًا: «إذا أرادَ فارسا ملكتك ابنتيه إياهما فهنيئًا لهما بهما».

نعبَ غُداف مورمونت: «*ابنتيه، ابنتيه، ابنتيه!*».

أضحكَ هذا تورموند ثانيةً، وقال: «طائر عاقل! كم تُريد ثَمنًا له يا سنو؟ لقد أعطيتك ابنًا، وأقل ما يُمكنك أن تفعله أن تُعطيني طائرًا لعينًا».

- «كنتُ لأعطيك إياه لولا أنك ستُعامِله معاملة الطَّعام على الأرجح».

هدرَ تورموند ضحكًا لهذا أيضًا، وقال الغُداف خافقًا بجناحيه الأسودين: «*طعام. ذُرة؟ ذُرة؟ ذُرة؟*».

قال چون: «علينا أن نتكلَّم عن الحملة. أريدنا أن نكون على وفاقٍ تام في (قاعة الثُّروس). يجب...». بترَ عبارته عندما حشرَ مولي أنفه من الباب وقد بدا عليه التَّجهُّم ليُعلِن أن كلايداس هنا حاملًا رسالةً.

- «قُل له أن يَترُكها معك. سأقرأها لاحقًا».

- «كما تقول يا سيِّدي، لكن... كلايداس ليس على طبيعته، يبدو أبيض أكثر من وردي إذا كنت تفهم ما أعنيه... ويرتجف».

غمغمَ تورموند: «أجنحة سوداء، أخبار سوداء. أليس هذا ما تقولونه أيها الرُّكَّع؟».

أخبرَه چون: «نقول أيضًا: *للبردان الفصد وللمحموم وليمة*.[74]، ونقول: *إياك أن تشرب مع دورني والبدر في تمامه*. إننا نقول أشياء كثيرةً».

أدلى مولي بدلوه قائلًا: «اعتادَت جدَّتي العجوز أن تقول: *اصدقاء الصَّيف يذوبون كثلوجه، لكن أصدقاء الشِّتاء أصدقاء إلى الأبد*».

قال چون سنو: «لنكتفِ بهذا القدر من الحكمة حاليًّا. قُل لكلايداس أن يَدخُل إذا سمحت».

لم يكن مولي مخطئًا، فالوكيل العجوز يرتجف بالفعل، ووجهه شاحب كالثَّلج بالخارج. قال: «أظنُّ أنني أتحامقُ يا حضرة القائد، لكن... هذه الرِّسالة تُخيفني. انظُر هنا».

الكلمة الوحيدة المكتوبة على اللِّفافة من الخارج هي «*النَّغل*»، ليس «*اللورد سنو*» أو «چون سنو» أو «*حضرة القائد*»، بل -ببساطة- «*النَّغل*». والرِّسالة مختومة بلطخةٍ من الشَّمع الوردي الجامد. قال چون: «كنت محقًّا بالمجيء في الحال». *كنت محقًّا في خوفك*. كسرَ الختم وبسطَ الرَّقَّ وبدأ يقرأ.

ملكك المحتال ماتَ أيها النَّغل، قُهِرَ هو وجيشه خلال سبعة أيامٍ من القتال. سيفه السِّحري معي. أخبِر عاهرته الحمراء.

أصدقاء ملكك المحتال ماتوا. رؤوسهم على أسوار (وينترفل). تعالَ وانظُر أيها النَّغل. ملكك المحتال كذبَ، وأنت أيضًا. قُلتما للعالم إن ملك ما وراء الجِدار ماتَ محروقًا، وبدلًا من ذلك أرسلتماه إلى (وينترفل) ليسرق عروسي مني.

سأستعيدُ عروسي. إذا أردت استعادة مانس رايدر فتعالَ وخُذه. لقد وضعته في قفصٍ ليراه الشَّمال كلُّه دليلًا على أكاذيبكما. القفص بارد، لكنني صنعتُ له معطفًا دافئًا من جلود العاهرات السِّت اللاتي جئن معه إلى (وينترفل).

أريدُ عروسي. أريدُ زوجة الملك المحتال. أريدُ ابنته وساحرته الحمراء. أريدُ أميرته الهمجيَّة.

أريدُ الأمير الصَّغير، الرَّضيع الهمجي. وأريدُ مخلوقي ريك. أرسِلهم إليَّ أيها النَّغل ولن أزعجك أنت أو غِربانك السُّود. امنعهم عني وسأقتلعُ قلبك من صدرك أيها النَّغل وآكله.

رامزي بولتون

سيِّد (وينترفل) الشَّرعي

قال تورموند بليَّة العماليق: «سنو؟ تبدو كأن رأس أبيك الدَّامي سقطَ من هذه الورقة».

لم يُجِبه چون سنو في الحال، وقال بدلًا من ذلك: «مولي، ساعِد كلايداس على العودة إلى مسكنه. اللَّيل مظلم، والثَّلج جعلَ الطُّرقات زلقةً. ساتان، اذهب معهما»، ثم ناولَ تورموند بليَّة العماليق الرِّسالة قائلًا: «هاك، اقرأ بنفسك».

رمقَها الهمجي بارتياب ثم أعادَها إليه في الحال، وقال: «يبدو أنها أخبار كريهة... لكن تورموند قبضة الرَّعد عنده أشياء أهم من أن يتعلَّم جعل الورق يُكلِّمه. إنه لا يقول خيرًا أبدًا، أليس كذلك؟».

- «ليس في أغلب الأحيان». *أجنحة سوداء، أخبار سوداء*. ربما تحتوي تلك المقولات القديمة على حقائق أكثر مما حسبَ. «أرسلَها رامزي سنو. سأقرأ لك ما كتبَه».

حينما فرغ أطلقَ تورموند صفيرًا، وقال: «هار. نكبة بالفعل. ما هذا الكلام عن مانس؟ وضعَه في قفص؟ كيف وقد شهدَ مئات ساحرتكم الحمراء تُحرِق الرَّجل؟».

كادَ چون يقول: *بل أحرقَت ذا القميص المُخشخِش. كانت تلك شعوذةً. سمَّته وهمًا*. «مليساندرا... قالت: *تطلَّع إلى السَّماء*». وضعَ الرِّسالة مردفًا: «غُداف في عاصفة. لقد رأت الرِّسالة في طريقها». حين *تتلقَّى الإجابات أرسِل في استدعائي*.

حكَّ تورموند لحيته قائلًا: «قد يكون الكلام كلُّه مكذوبًا. لو كانت لديَّ ريشة إوزَّةٍ مناسبة ودواة من حِبر المِايسترات لكتبت أن عُضوي طويل سميك كذراعي، لكنه يظلُّ مجرَّد كلام».

- «(جالِب الضِّياء) معه. يتكلَّم عن رؤوس على أسوار (وينترفل)، ويعرف بأمر الزَّوجات الحِراب وعددهن». يعرف *بأمر مانس رايدر*. «لا، ثمَّة حقائق هنا».

- «لن أقول إنك مخطئ. ماذا تنوي أن تفعل أيها الغُراب؟».

راحَ چون يثني أصابع يد سيفه ويبسطها مخاطبًا نفسه: *حَرس اللَّيل لا يتدخَّلون*. أغلقَ قبضته وفتحَها ثانيةً. *ما تقترحه بيس أقل من خيانة*. فكّر في روب ورقائق الثَّلج تذوب في شَعره. *اقتُل الصَّبي ودَع الرَّجل يُولَد*. فكّر في بران يتسلَّق حائط بُرجٍ برشاقة القرود، في ضحك ريكون اللَّاهث، في سانزا تُمشِّط فرو ليدي وتُدَندِن لنفسها. *لست تعلم شيئًا يا چون سنو*. فكّر في آريا بشَعرها المتشابك كأعشاش الطَّير. *لكنني صنعتُ له معطفًا دافئًا من جلود العاهرات السِّت اللاتي جئن معه إلى (وينترفل)... أريدُ عروسي... أريدُ عروسي... أريدُ عروسي...*

ثم قال چون سنو: «أظنُّ أن الأفضل أن نُغيِّر الخطَّة».

واستغرَقا قُرابة السَّاعتين في الكلام.

حلَّ الجواد وروري محلَّ فولك ومولي على باب مستودَع السِّلاح مع تبدُّل المناوَبة، ولمَّا آنَ الأوان قال لهما: «معي». كان جوست ليتبعه أيضًا، لكن إذ جاءَ الذِّئب في أعقابهم أمسكَه چون من قفاه وأعادَه إلى الدَّاخل قسرًا. قد يكون بوروك بين المجتمعين في (قاعة التُّروس)، وآخِر شيءٍ يحتاج إليه الآن أن يفترس ذئبه خنزير مبدِّل الجِلدة.

(قاعة الثُّروس) من الأجزاء الأقدم في (القلعة السَّوداء)، قاعة احتفالاتٍ طويلة من الحجارة السَّوداء معرَّضة لتيَّارات الهواء، سوَّدت عوارض سقفها السَّنديان قرون من الدُّخان. في سالف الزَّمان، عندما كان حَرس اللَّيل قوَّةً أكبر كثيرًا، زيَّنت جُدرانها صفوف من الثُّروس الخشب زاهية الألوان. في ذلك الحين، ومِثلما هي الحال الآن، عندما يرتدي الفارس أسود حَرس اللَّيل يقضي التَّقليد أن يتخلَّى عن أسلحته ودرعه السَّابقة، ويحمل بدلًا منها تُرس الأخويَّة الأسود الخالي من أيِّ رمز، ومن ثمَّ تُعلَّق الثُّروس المتروكة في (قاعة الثُّروس).

معنى مئات الفُرسان مئات الثُّروس: صقور ونسور، تنانين وجَرافِن، شموس ووعول، ذئاب ووايفرنات، مانتيكورات، ثيران، أشجار وأزهار، قيثارات، حِراب، سراطين بحر وكَراكِن، أُسود حمراء وأُسود ذهبيَّة وأُسود مربَّعة، بوم، حملان، عذارى وعرسان بحر، فحول، نجوم، دلاء وأبازيم، رجال مسلوخون ورجال مشنوقون ورجال محترقون، فؤوس، سيوف طويلة، سلاحف، يونيكورنات، دببة، ريش، عناكب وثعابين وعقارب، ومئة من رموز النَّبالة الأخرى على جُدران (قاعة الثُّروس)، لا يَحلُم بألوانها قوس قزح.

لكن حين يموت الفارس يُنزِلون تُرسه ليذهب معه إلى مثواه الأخير سواء أكان محرقةً أم مقبرةً، وعلى مرِّ السِّنين والقرون قلَّ عدد الفُرسان المنخرطين في حَرس اللَّيل باطراد، حتى جاءَ يوم ولم يَعُد معقولًا أن يتناوَل فُرسان (القلعة السَّوداء) وجباتهم بمعزلٍ عن الآخَرين، فهُجِرَت (قاعة التُّروس)، وطوال الأعوام المئة المنصرمة لم تُستخدَم إلَّا قليلًا. كقاعة طعامٍ يَنقُصها الكثير، فهي معتمة ومتَّسخة وتيَّارات الهواء فيها قويَّة وتستعصي تدفئتها في الشِّتاء، وأقبيتها مسكونة بأعدادٍ غفيرة من الجرذان، وعوارض سقفها الخشبيَّة الهائلة يأكلها الدُّود وتُرصِّعها أكاليل من شباك العناكب.

على أن مساحتها تسع مئتين من الجالسين، إضافةً إلى نِصف هذا العدد إذا تزاحَموا. عندما دخلَ چون وتورموند تصاعدَ صوت في أنحاء القاعة كدبابير تتحرَّك في عُشِّها. يفوق الهَمج الغِربان عددًا خمسة إلى واحد حسب ما قدَّر من الأسود القليل الذي رآه، ولاحظَ أن عدد التُّروس المتبقِّي أقل من دستة واحدة، أشياء بائسة المنظر طلاؤها باهت والشُّقوق في خشبها طويلة. لكن ثمَّة مشاعل جديدة موقدة على الحوامل الحديد بطول الجُدران، كما أن چون كان قد أمرَ بوضع الدِّكك والطَّاولات. ذات مرَّةٍ قال له المِايستر إيمون إن الجالسين على مقاعد مريحة يميلون أكثر إلى الإصغاء، والواقفين يجنحون أكثر إلى الزَّعيق.

عند رأس القاعة تقف منصَّة بالية اعتلاها چون وإلى جواره تورموند بليَّة العماليق، ورفعَ يديه طالبًا الهدوء، فقط ليتعالى أزيز الدَّبابير. ثم إن تورموند رفعَ بوقه الحربي إلى شفتيه وأطلقَ دفقةً، وملأ الصَّوت القاعة وتردَّد على العوارض بالأعلى، ورانَ الصَّمت.

وبدأ چون سنو يتكلّم: «استدعيتكم هنا لوضع الخُطط لإغاثة (هاردهوم). آلاف من شعب الأحرار محتشدون هناك، عالقون ويتضوّرون جوعًا، وبلغَتنا تقارير عن أشياء ميتة في الغابة»! إلى يساره رأى مارش وياروِيك، يُحيط بأوثيل بنّاؤوه فيما يقف مع باون كلٌّ من ويك المهزول وليو الأعسر وآلف ابن (مجرى الطّمي). وإلى يمينه يجلس سورين كاسِر الثُّروس عاقدًا ذراعيه على صدره، وعلى مسافةٍ أبعد رأى چون جاڤن التّاجر وهارل الوسيم يتهامسان، في حين يجلس يوجون الوالد العجوز وسط زوجاته وهاود الرحّال بمفرده، ويستند بوروك إلى الحائط في رُكنٍ مظلم (ومن باب الرَّحمة أن خنزيره البرِّي ليس معه). «السُّفن التي أرسلتها لحمل الأُم خُلد وقومها حطّمتها العواصف. علينا أن نُرسِل إليهم ما نقدر عليه من مساعدةٍ برًّا أو نَترُكهم يموتون». رأى أن اثنين من فُرسان الملكة سيليس حاضران أيضًا، السير بروس والسير بنيثون الواقفيْن قُرب الباب عند قدم القاعة، لكن غياب بقيَّة رجال الملكة ملحوظ. «كان أملي أن أقود الحملة بنفسي وأعود بأكبر عددٍ يتحمَّل الرِّحلة من الأحرار». لفتَت نظر چون ومضة من الأحمر في مؤخِّرة القاعة إذ وصلَت الليدي مليساندرا. «لكنني أجدُ الآن أنني لا أستطيعُ الذَّهاب إلى (هاردهوم). سيقود الحملة تورموند بليَّة العماليق المعروف لكم جميعًا. لقد وعدته بالعدد الذي يَطلُبه من الرِّجال».

سألَه بوروك بصوتٍ كالرَّعد: «وأين ستكون أنت أيها الغُراب؟ مختبئًا هنا في (القلعة السَّوداء) مع كلبك الأبيض؟».

أجابَ چون: «لا. سأركبُ جنوبًا»، ثم قرأ لهم الرِّسالة التي كتبَها رامزي سنو.

ودبَّ في (قاعة الثُّروس) الجنون.

بدأ كلُّ رجلٍ يصيح في آنٍ واحد، وهبُّوا واقفين ملوِّحين بقبضاتهم، واستُلَّت السُّيوف، وقُرِعَت التُّروس بالفؤوس. مرحى *للقُدرات المهدِّئة للمقاعد المريحة!* نظرَ چون سنو إلى تورموند، فعادَ بليَّة العماليق يَنفُخ في بوقه مضاعفًا طول النَّفخة السَّابقة ودويِّها.

حين عادَ ما يُشبِه الهدوء إلى القاعة تابعَ چون: «حَرس اللَّيل لا يتدخَّلون في حروب (الممالك السَّبع)، وليس لنا أن نتصدَّى لرووس بولتون أو نثأر لستانيس باراثيون أو نُدافِع عن أرملته وابنته. هذا المخلوق الذي يصنع المعاطف من جلود النِّساء أقسمَ أن يقتلع قلبي من صدري، وأنوي أن أجعله يدفع ثَمن هذه الكلمات... إلَّا أنني لن أطلب من إخوتي أن يحنثوا بأيمانهم. سيذهب حَرس اللَّيل إلى (هاردهوم)، أمَّا أنا فذاهب إلى (وينترفل) وحدي، ما لم...»، وصمتَ لحظةً، ثم أردفَ: «... هل من رجلٍ هنا سيأتي ويقف معي؟».

الرَّدُّ الهادر الذي تلقَّاه هو كلُّ ما كان يأمله، الجلبة التي من عُلوِّها أسقطَت تُرسين أرضًا من على الجُدران. نهضَ سورين كاسِر التُّروس، وكذا الرحَّال، وتوريج الطَّويل، وبورج، وهارل القنَّاص وهارل الوسيم كلاهما، ويوجون الوالد العجوز، ودوس الضَّرير، وحتى الفظ العظيم... وفكَّر چون سنو: *حصلتُ على سيوفي، وإنَّا في الطَّريق إليك أيها النَّغل.*

رأى يارويك ومارش ينسلّان إلى الخارج ومعهما رجالهما جميعًا. لا يهمُّ. ليس محتاجًا إليهم الآن ولا يُريدهم. *لن يستطيع احد أن يقول بأنني جعلتُ إخوتي يحنثون بأيمانهم. إن كان هذا حنثًا باليمين فالجريمة جريمتي وحدي.* ثم إنه وجدَ تورموند يدقُّ على ظَهره مبتسمًا مِلء شِدقيه، ويقول: «أحسنت الكلامَ أيها الغُراب. والآن أحضِر البِتع! اجعلهم رجالك وأسكِرهم، هكذا يُقضى الأمر. سنجعل منك همجيًّا يا فتى. هار!».

بشرودٍ قال چون: «سأرسلُ في طلب البِتع». أدركَ أن مليساندرا غادرَت، وفارسَي الملكة أيضًا. *كان يَجدُر بي أن أذهب إلى سيليس أولًا. إن لها الحقَّ في معرفة أن زوجها ماتَ.* «اعذُرني. سأتركك أنت تُسكِرهم».

- «هار! مهمَّة تُناسِبني تمامًا أيها الغُراب. اذهب!».

سارَ الجواد وروري على جانبَي چون إذ خرجَ من (قاعة الثُّروس). *عليَّ أن أتكلَّم مع مليساندرا بعدما أرى الملكة. إذا كان بإمكانها أن ترى غُدافًا في عاصفةٍ فيُمكنها أن تَعثُر لي على رامزي سنو.* ثم إنه سمعَ الصِّياح... وهديرًا صاخبًا بدا كأنما يُزَلزِل (الجِدار).

قال الجواد: «الصَّوت من (بُرج هاردين) يا سيِّدي»، وكان ليقول المزيد لولا أن الصَّرخة قاطعَته.

أول ما خطرَ لچون أنها ڤال، لكنها لم تكن صرخة امرأة. *رجل في ألمٍ مميت.* اندفعَ يعدو، وانطلقَ الجواد وروري وراءه، وسألَه الثَّاني: «أهما الجثَّتان الحيَّتان؟».

تساءلَ چون إن كان الأمر كذلك. هل فلتَت جثَّتاه من سلاسلهما؟

كان الصَّريخ قد توقَّف لدى بلوغهم (بُرج هاردين)، لكن وَن وِج وَن دار وَن ما زالَ يهدر. وجدَ العملاق مدلِّيًا جثَّةً داميةً من ساقٍ واحدة، تمامًا كما كانت آريا تُدلِّي دُميتها في صِغرها وتُلوِّح بها ككُرةٍ شائكة إذا توعَّدها أحد بإطعامها الخضراوات. *لكن آريا لم تُمزِّق الدُّمية إربًا إربًا قَطُّ*. رأى ذراع يد الرَّجل الميت ملقاةً على بُعد عدَّة ياردات والثَّلج تحتها يتخضَّب بالحُمرة.

زعقَ چون: «دَعه. وَن وَن، دَعه!».

لم يسمعه وَن وَن أو لم يفهمه. العملاق نفسه ينزف، على بطنه وذراعه قطعات سيف. أخذَ يضرب أحجار البُرج الرَّماديَّة بجُثمان الفارس مرَّةً بعد مرَّةٍ بعد مرَّة، إلى أن احمرَّ رأس الرَّجل وتفسَّخ كبطِّيخةٍ صيفيَّة، يُرَفرِف في الهواء البارد معطفه الذي كان سابقًا من الصُّوف الأبيض المؤطَّر بقُماش الفضَّة والمنقوش بالنُّجوم، ويتطايَر الدَّم والعظم في كلِّ اتِّجاه.

تدفَّق الرِّجال من الحصون والأبراج المحيطة، شماليُّون وأحرار ورجال ملكة... وقال چون سنو لرجاله آمرًا: «كوِّنوا صفًّا، أبعِدوهم جميعًا، رجال الملكة تحديدًا». الرَّجل الميت هو السير پاتريك ابن (جبل الملك). لم يَعُد لمعظم رأسه وجود، لكن رمزه مميَّز كوجهه، ولا يُريد چون أن يُخاطِر بمحاولة السير ميلجورن أو السير بروس أو أيٍّ من فُرسان الملكة الآخَرين الانتقام له.

عوَّل وَن وِج وَن دار وَن مجدَّدًا ولوى ذراع السير پاتريك الأخرى وشدَّها مجتثًّا إياها من الكتف ليتناثَر الدَّم الأحمر القاني.
فكَّر چون: *كطفلٍ يقطف بتلات زهرة أقحوان*. «ليذرز، كلِّمه، هدِّئه. اللُّغة القديمة، إنه يفهم اللُّغة القديمة. ليتراجَع بقيَّتكم! أغمِدوا فولاذكم. إننا نُخيفه». ألا يرون العملاق جريحًا؟ يجب أن يضع چون حدًّا لهذا وإلَّا ماتَ مزيد من الرِّجال. إنهم لا يُدرِكون مبلغ قوَّة وَن وَن. *بوق، أحتاجُ إلى بوق*. لمحَ لمعة الفولاذ فالتفتَ نحوها صارخًا: «لا سلاح! ويك، أغمِد...».

... *سلاحك*. هكذا أرادَ أن يقول، لكن حين هوى ويك المهزول على حَلقه بضربةٍ من سكِّينه استحالَت الكلمة إلى آهة. تفادى چون السكِّين في الوقت المناسب فكشَطَ جِلده بالكاد. *لقد جرحَني*. ولمَّا وضعَ يده على جانب عُنقه نبعَ الدَّم من بين أصابعه. «لماذا؟!».

قال ويك: «من أجل حَرس اللَّيل»، وسدَّد إليه ضربةً أخرى، لكن هذه المرَّة أمسكَ چون رُسغه ولوى ذراعه إلى الخلف حتى أسقطَ السكِّين، فتراجعَ الوكيل الهزيل رافعًا يديه كأنما يقول: *ليس أنا، لم يكن هذا أنا*. كان الرِّجال يَصرُخون، ومدَّ چون يده إلى مخلبه الطَّويل، غير أنه ألفى أصابعه متيبِّسةً خرقاء، وبوسيلةٍ ما لم يستطِع أن يُحرِّر السَّيف من غِمده.

ثم إذا بباون مارش يقف أمامه والدُّموع تنهمر على وجهه، ويقول: «من أجل حَرس اللَّيل»، ولكمَ چون في بطنه، ولمَّا سحبَ يده ظلَّ الخنجر حيث دفنَه.

وسقطَ چون على رُكبتيه.

أمسكَ مقبض الخنجر وانتزعَه، وفي هواء اللَّيل البارد انبعثَ الدُّخان من الجرح. همسَ والألم يكتنفه: «جوست». *اطعنيهم بالطَّرف المدبَّب*. وعندما انغرسَ الخنجر الثَّالث بين لوحَي الكتفين أطلقَ أنينًا وسقطَ على وجهه في الثَّلج.

وما شعرَ بالطَّعنة الرَّابعة.

ما شعرَ إلَّا بالبرد...

---

(74). مَثل وستروسي من خيال المؤلِّف بمعنى فصد دم مريض البرد والإفراط في إطعام مريض الحُمَّى، ويعدُّ تنويعًا على مَثل شعبي أوروپي من القرن السَّادس العشر بمعنى إطعام مريض البرد وعدم إطعام مريض الحُمَّى إيمانًا بأنها وسيلة للشِّفاء. (المُترجم).

ظلَّ الأمير الدورني يعمَه في سكرات الموت ثلاثة أيام.

في الفَجر الأسود الموحش لفظَ نفسه الرَّاجف الأخير والمطر البارد ينهال مهسهسًا من سماءٍ مدلهمَّة فيُحيل شوارع المدينة القديمة إلى أنهار. أطفأ المطر أسوأ الحرائق، إلَّا أن خيوطًا من الدُّخان لا تزال تنبعث من الأنقاض المحترقة التي كانت هرم هازكار، فيما يجثم هرم يريزان الأسود العظيم -حيث أقامَ ريجال عرينه- في العتمة كامرأةٍ بدينة متبرِّجة بحُلي بُرتقاليَّة وقَّادة.

قال السير باريستان سلمي لنفسه متأمِّلًا إذ راقبَ تلك الجِمار البعيدة: *لعلَّ الآلهة ليست صمَّاء رغم كلِّ شيء. لولا المطر لالتهمَت الحرائق (ميرين) بأَسرها بالفعل.*

لا يرى ولو لمحةً من التنِّينيْن، لكنه لم يتوقَّع أن يراهما، فالتَّنانين لا تحبُّ الأمطار. في الأُفق الشَّرقي شَقٌّ أحمر رفيع حيث ستُبلِج الشَّمس قريبًا، وقد ذكَّر سلمي بأول قطرات الدَّم المنبثقة من جرح. غالبًا، حتى مع الجروح البليغة، يسبق الدَّم الألم.

وقفَ عند سور الدَّرجة الأعلى من (الهرم الأكبر) يرنو إلى السَّماء كما يفعل كلَّ صباح، عالمًا أن الفَجر حتمًا آتٍ وآملًا أن تأتي ملكته معه. *مؤكَّد أنها لم تَهجُرنا، ليس ممكنًا أن تتخلَّى عن شعبها*. كان يُحدِّث نفسه عندما سمعَ حشرجة موت الأمير من مسكن الملكة.

دخلَ السير باريستان وماء المطر يجري على ظَهر معطفه الأبيض، ويُخلِّف حذاؤه آثارًا مبتلَّةً على الأرضيَّة والبُسط. كان قد أمرَهم بإرقاد كوينتن مارتل في فِراش الملكة، فالفتى كان فارسًا، وأميرًا دورنيًّا علاوةً على ذلك، وبدا لسلمي أن من الرَّأفة أن يدعه يموت في الفِراش الذي قطعَ نِصف العالم لكي يَبلُغه. تلفَت تمامًا الملاءات والأغطية والوسائد والحشيَّة وتشبَّعت برائحة الدَّم والدُّخان، لكن السير باريستان احتسبَ أن دنيرس ستُسامِحه.

إلى جوار الفِراش تجلس ميسانداي. ظلَّت الصَّغيرة مع الأمير ليل نهار، تُلبِّي ما استطاعَ التَّعبير عنه من احتياجات، وتسقيه الماء وحليب الخشخاش إذا قويَ على الشُّرب، وتقرأ له حين يستغرق في السُّكون، وتنام على مقعدها إلى جانبه. طلبَ السير باريستان من بعض سُقاة الملكة أن يُساعِدوا، لكن منظر الرَّجل المحروق كان أقسى من احتمال أجرأهم. كما أن ذوات النِّعم الزَّرقاء لم يجئن على الرغم من أنه أرسلَ إليهن أربع مرَّات. ربما نالَت الفَرس الشَّاحبة ممَّن تبقَّين منهن بالفعل.

رفعَت المُترجمة الناثيَّة ضئيلة الجسد عينيها مع دنوِّه، وقالت: «أيها الفارس الموقَّر، الأمير تجاوزَ آلامه، أخذَته آلهته الدورنيَّة إلى الدِّيار. أترى؟ إنه مبتسم».

وكيف عرفتِ؟ *إنه بلا شفتين*. لكان أرحم أن يلتهمه التنِّينان. لكانت تلك -على الأقل- ميتةً أسرع. لكن هذا... *النَّار طريقة فظيعة للموت. لا غرو أن نِصف الجحائم من لهب*... قال للفتاة: «غطِّيه».

سحبَت ميسانداي الغطاء على وجه الأمير قائلةً: «ما الذي سيَحدُث له أيها الفارس؟ إنه بعيد جدًّا عن وطنه».

- «سأحرصُ على عودته إلى (دورن)». *لكن كيف؟ هل أعيده رمادًا؟* سيتطلَّب ذلك المزيد من النَّار، وهو ما لا يقدر السير باريستان على هضمه. *علينا أن نُجرِّد عظمه من اللَّحم، بالخنافس لا الغلي.* في الوطن كانت الأخوات الصَّامتات ليتولَّين الأمر، لكن هنا (خليج النخَّاسين)، وأقرب أختٍ صامتة تَبعُد عشرة آلاف فرسخ. «ينبغي أن تَخلُدي إلى النَّوم الآن أيتها الصَّغيرة، في فِراشكِ».

- «إذا كان لهذه الواحدة أن تجترئ أيها الفارس، عليك أن تفعل هذا أيضًا. إنك لا تنام اللَّيل بأكمله».

لا أنامه منذ سنواتٍ طويلة أيتها الصَّغيرة، منذ (الثَّالوث). ذات مرَّةٍ قال له المِايستر الأكبر پايسل إن المسنِّين لا يحتاجون إلى القسط نفسه من النَّوم كالشُّبَّان، لكن الأمر لا يقتصِر على هذا، ذلك أنه بلغَ السِّنَّ إياها التي ينفر فيها من إغلاق عينيه خشية ألَّا يفتحهما ثانيةً أبدًا. قد يروم رجال آخَرون الموت نائمين في أسرَّتهم، لكنها ليست بميتةٍ تليق بفارسٍ في الحَرس الملكي.

قال لميسانداي: «اللَّيالي طويلة للغاية، وهناك أشياء كثيرة جدًّا واجب فِعلها دومًا، هنا كما في (الممالك السَّبع). لكنكِ فعلتِ ما يكفي حاليًّا أيتها الصَّغيرة. اذهبي واستريحي». *وإذا شاءَت الآلهة فلن تَحلُمي بالتَّنانين.*

بعد ذهاب الفتاة رفعَ الفارس العجوز الغطاء ليُلقي نظرةً أخيرةً على وجه كوينتن مارتل، أو ما تبقَّى منه. جزء كبير من لحم الأمير انسلخَ حتى إنه يرى الجمجمة من تحته، وعيناه بِركتان من الصَّديد. *كان حريًّا به البقاء في (دورن)، كان حريًّا به البقاء ضفدعًا. ليس من شأن كلِّ البَشر أن يَرقُصوا مع التَّنانين.* إذ عادَ يُغطِّي الفتى وجدَ نفسه يتساءَل إن كان هناك من غطَّى ملكته أم أن جثَّتها ستبقى دون حدادٍ وسط أعواد العُشب الطَّويلة في (بحر الدوثراكي)، تُحدِّق بلا بصرٍ إلى السَّماء إلى أن يتساقَط لحمها عن عظمها.

بصوتٍ مسموع قال: «لا، دنيرس لم تَمُت. لقد امتطَت ذلك التنِّين، رأيتها بأُم عيني». هذا ما قاله مئة مرَّةٍ من قبل... لكن كلَّما مرَّ يوم أضحى التَّصديق أصعب. *كان شَعرها مشتعلًا، هذا ايضًا رأيته. كانت تحترق.. وإذا لم أرَها تَسقُط فهناك مئات يُقسِمون أنهم رأوها.*

زحفَ النَّهار على المدينة، وعلى الرغم من أن المطر لا يزال يهطل فثمَّة ضوء مبهم مستطير في سماء الشَّرق.

مع الشَّمس وصلَ الرَّأس الحليق مرتديًا ثيابه المألوفة، المتكوِّنة من تنُّورةٍ سوداء ذات طيَّات وواقيَي ساقين وواقي صدرٍ بشكل العضلات المفتولة، وإن حملَ تحت إبطه قناعًا نُحاسيًّا جديدًا، رأس ذئبٍ يتدلَّى لسانه من فمه. قال سكاهاز على سبيل التحيَّة: «ماتَ الأحمق إذن؟».

- «الأمير كوينتن ماتَ قُبيل خيط الضَّوء الأول». لم يندهش سلمي من معرفة سكاهاز، فالأخبار تنتقل بسرعةٍ داخل الهرم. «هل اجتمعَ أعضاء المجلس؟».

- «ينتظرون أن يُشرِّفهم اليد بالحضور بالأسفل».

أرادَ جزء منه أن يهتف: *لستُ اليد. ما أنا إلَّا فارس بسيط، حامي الملكة. لم أرغب في هذا قَطُّ.* لكن في غياب الملكة واعتقال الملك لا بُدَّ أن يَحكُم أحد المدينة، والسير باريستان لا يثق بالرَّأس الحليق. «هل من أيِّ أخبار من ذات النِّعمة الخضراء؟».

- «لم تَعُد بعدُ إلى المدينة». عارضَ سكاهاز إرسال الكاهنة، ولم تستسِغ جالازا جالار نفسها المهمَّة. قالت إنها ستذهب في سبيل السَّلام، لكن هيزدار زو لوراك مؤهَّل أكثر للتَّعامُل مع الأسياد الحُكماء. غير أن السير باريستان لا يستسلم بسهولة، وفي النِّهاية حنَت ذات النِّعمة الخضراء رأسها وأقسمَت أنها ستبذل قصارى جهدها.

سألَ سلمي الرَّأس الحليق: «كيف الأحوال في المدينة؟».

- «جميع البوَّابات مغلقة وموصَدة كما أمرت. نُطارِد كلَّ مرتزِق أو يونكي باقٍ داخل المدينة، ومَن نقبض عليهم نَطرُدهم أو نحتجزهم. يبدو أن أكثرهم اختبأ، داخل الأهرامات بالطَّبع. المُطهَّرون يَحرُسون الأسوار والأبراج ومستعدُّون لأيِّ هجوم. في الميدان مئتان من علية القوم، واقفون في المطر بتوكاراتهم ويُوَلوِلون طالبين مقابلةً. يُريدون إطلاق سراح هيزدار وموتي، ويُريدونك أن تَقتُل التنِّينيْن. أحدهم أخبرَهم بأن الفُرسان بارعون في هذا. ما زالَ الرِّجال يُخرِجون الجُثث من هرم هازكار. أسياد يريزان وأوهلز العظام هجروا هرميهم للتنِّينيْن».

يعلم السير باريستان كلَّ هذا، وهكذا ألقى السُّؤال الذي يخشى إجابته: «وفاتورة الجزَّار؟».

- «تسعة وعشرون».

- «تسعة وعشرون؟!». أسوأ بمراحل من أشد خيالاته جموحًا. قبل يومين استأنفَ أبناء الهارپي حرب الظِّل. ثلاثة قتلى في اللَّيلة الأولى، تسعة في الثَّانية، لكن أن يذهبوا من تسعة إلى تسعةٍ وعشرين بين عشيَّةٍ وضُحاها...

- «سيربو العدد على الثَّلاثين قبل انتصاف النَّهار. لِمَ تبدو مربدَّ الوجه هكذا أيها العجوز؟ ماذا توقَّعت؟ الهارپي يُريد إطلاق سراح هيزدار، فأرسلَ أبناءه إلى الشَّوارع من جديدٍ شاهرين الخناجر. جميع الموتى معتَقون ورؤوس حليقة كالسَّابق. أحدهم كان من رجالي، وحشًا نُحاسيًا. علامة الهارپي تُرِكَت إلى جوار الجُثث، مرسومة بالطَّباشير على الرَّصيف أو منقوشة على حائط. كانت هناك رسائل أيضًا. كتبوا: «*يجب أن تموت التَّنانين*»، و«*هارجاز البطل*». عبارة «*الموت لدنيرس*» شُوهِدَت أيضًا قبل أن يمحو المطر المكتوب».

- «ضريبة الدَّم...».

دمدمَ سكاهاز: «ألفان وتسعمئة قطعة من الذَّهب من كلِّ هرم، أجل، سنجبيها... لكن خسارة القليل من النُّقود لن تردع الهارپي أبدًا. وحده الدَّم يُمكنه تحقيق ذلك».

- «هذا ما تقوله أنت». *الرَّهائن ثانيةً. سيَقتُلهم عن آخِرهم لو سمحتُ له*. «سمعتك أول خمسمئة مرَّة. لا».

بامتعاضٍ زمجرَ سكاهاز: «يد الملكة. يد امرأةٍ هرِمة في رأيي، متغضِّنة واهنة. أتمنَّى أن ترجع دنيرس إلينا قريبًا»، ووضعَ قناع الذِّئب على وجهه مستطردًا: «مؤكَّد أن مجلسك بدأ يضجر».

ردَّ سلمي: «إنه مجلس الملكة لا مجلسي»، ثم استبدلَ بمعطفه الرَّطب واحدًا جافًّا وتمنطقَ بحزام سيفه، ونزلَ السَّلالم في رِفقة الرَّأس الحليق.

القاعة ذات الأعمدة خالية من الملتمسين هذا الصَّباح، فعلى الرغم من أن السير باريستان اضطلعَ بأعمال اليد فإنه لا يتجرَّأ على عقد البلاط في غياب الملكة، ولن يسمح لسكاهاز مو كانداك بأن يفعل ذلك. بأمر السير باريستان أزيلَ عرشا سكاهاز القبيحان، وإن لم يُعِد الدِّكَّة البسيطة المزوَّدة بالوسائد التي فضَّلتها الملكة، وبدلًا من ذلك نُصِبَت مائدة مستديرة في منتصَف القاعة، تُحيط بها المقاعد الطَّويلة ليجلس عليها الرِّجال ويتكلَّموا كأنداد.

نهضوا عندما نزلَ السير باريستان السَّلالم الرُّخام وإلى جواره الرَّأس الحليق سكاهاز. مارسلن قائد رجال الأُم حاضر، وكذا سايمون ذو الظَّهر المخطَّط قائد الإخوة الأحرار. كان رجال التُّروس المقدامة قد انتخبوا قائدًا جديدًا، رجلًا أسود البشرة من (جُزر الصَّيف) يُسمَّى تال توراك، بعد أن اختطفَت الفَرس الشَّاحبة قائدهم السَّابق مولونو يوس دوب. الدُّودة الرَّمادي حاضر أيضًا نيابةً عن المُطهَّرين، ومعه ثلاثة رُقباء مخصيِّين يعتمرون الخوذات البرونز المدبَّبة. يُمثِّل غِربان العاصفة مرتزِقان محنَّكان، قوَّاس اسمه چوكين ومُقاتل فؤوسٍ نديب عابس معروف ببساطةٍ بالأرمل، وقد تولَّى كلاهما القيادة المشتركة في غياب داريو نهاريس. معظم گالاسار الملكة ذهبَ مع آجو وراگارو للبحث عنها في (بحر الدوثراكي)، لكن الچاكا رهان رومو ذا العينين الضيِّقتين والسَّاقين المقوَّستين موجود ليتكلَّم بلسان الخيَّالة الباقين.

وقُبالة السير باريستان يجلس إلى المائدة أربعة من حَرس الملك هيزدار السَّابقين، مُقاتلو الحلبات جوجهور الجبَّار وبيلاكو كاسِر العظام وكامارون العدَّاد والقِطُّ الأرقط. أصرَّ سلمي على حضورهم على الرغم من احتجاجات سكاهاز، فقد ساعَدوا دنيرس تارجاريَن على الظَّفر بهذه المدينة، وينبغي ألَّا يُنسى صنيعهم هذا. قد يكونون قتَلةً غاشمين ملوَّثين بالدِّماء، إلَّا أنهم مخلصون على طريقتهم الخاصَّة... للملك هيزدار، نعم، ولكن للملكة أيضًا.

وآخِر الحاضرين بِلواس القوي الذي دخلَ القاعة بخُطواتٍ ثقيلة.

واجهَ الخصيُّ المنيَّة مباشرةً ودنا منها لدرجة أنه أوشكَ على تقبيلها على شفتيها، وتركَت المواجهة عليه آثارها. يبدو الآن أنه فقدَ أربعين رطلًا من وزنه، والجِلد البنِّي الدَّاكن الذي كان مشدودًا على صدره وبطنه الهائلين، وتتقاطَع عليه مئات النُّدوب الباهتة، أصبحَ يتدلَّى في طيَّاتٍ فضفاضة مترهِّلة رجراجة، كأنه يرتدي معطفًا أكبر ثلاث مرَّاتٍ من مقاسه. بالإضافة إلى ذلك بطؤَت حركته وبدَت متردِّدةً بعض الشَّيء.

وعلى الرغم من ذلك أبهجَ مرآه قلب الفارس العجوز. لقد قطعَ العالم مع بِلواس القوي، ويعلم أنه يستطيع الرُّكون إليه إذا بلغَت المسألة حدَّ تقارُع السُّيوف. قال سلمي: «بِلواس، يسرُّنا انضمامك إلينا».

ابتسمَ بِلواس قائلًا: «ذو اللِّحية البيضاء، أين الكبد بالبصل؟ بِلواس القوي لم يَعُد قويًّا كما كان، ويجب أن يأكل ويعود كبيرًا. لقد أمرَضوا بِلواس القوي. أحدهم يجب أن يموت».

أحدهم سيموت، كثيرون على الأرجح. «اجلس يا صديقي».

ولمَّا جلسَ بِلواس وعقدَ ذراعيه على صدره تابعَ السير باريستان: «كوينتن مارتل ماتَ هذا الصَّباح قُبيل الفَجر».

ضحكَ الأرمل، وقال: «راكب التَّنانين».

وقال سايمون ذو الظَّهر المخطَّط: «أدعوه بالأبله».

لا، كان مجرَّد صبي. لم ينسَ السير باريستان حماقات شبابه. «لا تَذكُروا الموتى بسوء. لقد دفعَ الأمير ثَمن ما فعلَه غاليًا».

سألَه تال توراك: «والدورنيَّان الآخَران؟».

- «سجينان في الوقت الرَّاهن». لم يُقاوِم أيُّهما على الإطلاق. كان آرشيبولد يرونوود يحتضن جسد الأمير المحترق الدَّاخن عندما عثرَ عليه الوحوش النُّحاس، كما تشهد يداه المسفوعتان، يداه اللتان استعمَلهما لإخماد اللَّهب الذي التهمَ كوينتن مارتل. وكان جيريس درينكووتر واقفًا فوقهما بسيفه، لكنه أسقطَه لحظة أن ظهرَت الجرادات. «يقتسمان زنزانةً».

ردَّ سايمون ذو الظَّهر المخطَّط: «فليقتسما مشنقةً. هؤلاء الدورنيُّون أطلقوا تنِّينيْن على المدينة».

حضَّه القِطُّ الأرقط: «افتح الحلبات وأعطِهما سيفين. سأقتلُ الاثنين فيما تهتف (ميرين) كلُّها باسمي».

قال سلمي: «حلبات القتال ستبقى مغلقةً. لن تُؤدِّي الدِّماء والضَّوضاء إلَّا إلى اجتذاب التنِّينيْن».

قال مارسلن: «أو ثلاثة التَّنانين. الوحش الأسود جاءَ مرَّةً، فلِمَ لا يأتي ثانيةً؟ هذه المرَّة بملكتنا».

أو دونها. إذا عادَ دروجون إلى (ميرين) بلا دنيرس على ظَهره فستشتعل المدينة نارًا ودمًا، وفي هذا ليس عند السير باريستان أدنى شك، وسرعان ما سيشهر بعض الجالسين إلى هذه المائدة الخناجر في وجوه بعض. قد تكون فتاةً صغيرةً، لكن دنيرس تارجاريَن سبب اتِّحادهم الوحيد.

- «جلالتها ستعود حين تعود. لقد سُقنا ألف خروف إلى (حلبة دازناك)، وملأنا (حلبة جراز) بالعجول، و(الحلبة الذَّهبيَّة) بالحيوانات التي جمعَها هيزدار زو لوراك لمبارياته». للآن يبدو أن كلا التنِّينيْن يحبُّ طَعم الضَّأن، فيعودان إلى (حلبة دازناك) متى جاعا، أمَّا إن كان أحدهما أو كلاهما يصطاد البَشر داخل المدينة أو خارجها فإن شيئًا من ذلك لم يَبلُغ مسامع السير باريستان بعدُ. الميرينيزيُّون الوحيدون الذين قتلَهم تنِّين منذ هارجاز البطل هُم النخَّاسون الذين كانوا بالحماقة الكافية للاعتراض عندما حاولَ ريجال إقامة عرينه على قمَّة هرم هازكار. «عندنا شؤون أكثر إلحاحًا يجب أن نُناقِشها. لقد أرسلتُ ذات النِّعمة الخضراء إلى اليونكيِّين لعمل ترتيبات إطلاق سراح رهائننا. أتوقَّعُ عودتها في منتصَف النَّهار بجوابهم».

قال الأرمل: «بكلامهم المرسَل. غِربان العاصفة يعرفون اليونكيِّين. إن ألسنتهم ديدان تتلوَّى في هذا الاتِّجاه وذاك. ذات النِّعمة الخضراء ستعود بكلام الدِّيدان لا بالقائد».

أضافَ الدُّودة الرَّمادي: «أرجو أن يتذكَّر حضرة يد الملكة أن الأسياد الحُكماء يحتجزون جُنديَّنا هيرو أيضًا، وسيِّد الخيول چوجو خيَّال دم الملكة».

أيَّده الدوثراكي رومو: «دم دمها. لا بُدَّ من إطلاق سراحه. شَرف الكالاسار يتطلَّب هذا».

قال السير باريستان: «سيُطلَق سراحه، لكن علينا أولًا أن ننتظر ونرى إن استطاعَت ذات النِّعمة الخضراء تحقيق...».

قاطعَه الرَّأس الحليق سكاهاز ضاربًا المائدة بقبضته: «ذات النِّعمة الخضراء لن تُحقِّق شيئًا، بل وربما تتواطَأ مع اليونكيِّين ونحن جالسون هنا. قلت ترتيبات؟ عمل ترتيبات؟ أي نوعٍ من التَّرتيبات؟». قالها ضاغطًا على الكلمة كلَّ مرَّة.

أجابَ السير باريستان: «فدية، وزن كلِّ رجلٍ ذهبًا».

علَّق مارسلن: «الأسياد الحُكماء ليسوا محتاجين إلى ذهبنا أيها الفارس. جميعهم بلا استثناء أثرى من لورداتكم الوستروسيِّين».

- «لكن مرتزِقتهم سيطمعون في الذَّهب. ما قيمة الرَّهائن عندهم؟ إذا رفضَ اليونكيُّون فسيُلقي هذا الشِّقاق بينهم وبين أجيريهم». *أو أن هذا أملي*. ميسانداي هي التي اقترحَت عليه هذه الحيلة. ما كان شيء كهذا ليَخطُر له أبدًا. في (كينجز لاندنج) كانت الرُّشى من اختصاص الإصبع الصَّغير، فيما عملَ اللورد ڤارس على بذر الفُرقة بين أعداء التَّاج، أمَّا واجباته هو فكانت أكثر مباشرةً واستقامةً. *في الحادية عشرة من العُمر لكن ميسانداي تُضاهي نِصف الرِّجال هنا في الذَّكاء وتفوقهم جميعًا في الحكمة*. «لقد أمليث على ذات النِّعمة الخضراء ألَّا تطرح العرض قبل أن يجتمع القادة اليونكيُّون كلُّهم لسماعه».

قال سايمون ذو الظَّهر المخطَّط بإصرار: «سيَرفُضون، سيقولون إنهم يُريدون موت التِّنينيْن وعودة الملك».

- «أدعو الآلهة أنك مخطئ». *وأخشى أنك محق*.

قال الأرمل: «آلهتك بعيدة يا جدِّي الفارس، ولا أظنُّها تسمع دُعاءك. وحين يُرسِل اليونكيُّون العجوز لتَبصُق في عينك؟».

بخفوت، بخفوت، قال باريستان سلمي: «*النَّار والدَّم*».

للحظةٍ طويلة لم يتكلَّم أحد، ثم ربَّت بِلواس القوي على بطنه قائلًا: «أفضل من الكبد بالبصل»، وحدَّق الرَّأس الحليق سكاهاز عبر عينَي قناع رأس الذِّئب، وقال: «ستكسر سلام الملك هيزدار أيها العجوز؟».

- «سأحطِّمه تحطيمًا». ذات يومٍ في قديم الزَّمن لقَّبه أمير باريستان الباسل، وما زالَ جزء من ذلك الصَّبي في أعماقه. «سنبني منارةً على قمَّة الهرم حيث كانت الهارپي من قبل. حطب جاف غارق بالزَّيت، مغطًّى لوقايته من المطر. إذا حانَت السَّاعة، وأتمنَّى ألَّا تحين، فسنُشعِل المنارة. سيكون اللَّهب إشارتكم للتَّدفُّق من البوَّابات والهجوم. سيكون لكلِّ رجلٍ منكم دور يلعبه، وعليه يجب أن يكون كلُّ رجلٍ على أهبة الاستعداد في أيِّ وقت، ليلًا أو نهارًا. سوف نُدمِّر أعداءنا أو يُدمِّروننا». ثم رفعَ سلمي يده مشيرًا إلى مُرافقيه المنتظرين، وواصلَ: «لقد طلبتُ إعداد بعض الخرائط لإظهار توزيع قُوَّات الأعداء، معسكَراتهم وخطوط حصارهم ومجانيقهم. إذا استطعنا قهر النخَّاسين فسيتخلَّى عنهم مرتزِقتهم. أعرفُ أن لديكم مخاوف وأسئلة، فبوحوا بها الآن. من المحتَّم عندما نَترُك هذه المائدة أن نكون جميعًا على رأيٍ موحَّد ولنا هدف موحَّد».

قال سايمون: «الأفضل أن نُرسِل في طلب طعامٍ وشرابٍ إذن. سيستغرق هذا مُدَّةً».

استغرَقوا بقيَّة الصَّباح ومعظم الأصيل. تجادلَ القادة على الخرائط كبائعات سمكٍ يتماكَسن على دلوٍ من سراطين البحر، نقاط الضَّعف ونقاط القوَّة، وأجدى وسيلةٍ لاستغلال فِرقتهم الصَّغيرة من الرُّماة، وإن كان الأفضل استغلال الأفيال في تحطيم خطوط حصار اليونكيِّين أم الاحتفاظ بها مع قُوَّة الاحتياط، ومَن سينال شَرف قيادة الموجة الأولى، وإن كان الأفضل نشر خيَّالتهم على الجناحيْن أم مع الطَّليعة.

تركَ السير باريستان كلَّ رجلٍ يقول رأيه. رأى تال توراك أن عليهم الزَّحف على (يونكاي) ما إن يخترقوا خطوط الحصار، فالمدينة الصَّفراء ستكون بلا دفاعاتٍ تقريبًا، ولن يجد اليونكيُّون خيارًا إلَّا رفع الحصار للَّحاق بهم. واقترحَ القِطُّ الأرقط تحدِّي العدوِّ بأن يُرسِل بطلًا يُواجِهه في نزالٍ فردي، وهي الفكرة التي راقَت بِلواس القوي، وإن صمَّم أن يُقاتِل هو بدلًا من القِطّ. وقدَّم كامارون العدَّاد خطَّةً للاستيلاء على السُّفن الرَّاسية على ضفَّة النَّهر واستخدام (السكاهازاذان) في الدَّوران بثلاثمئة مُقاتل حلباتٍ حول اليونكيِّين ومهاجمتهم من المؤخِّرة. اتَّفق جميع الحاضرين على أن المُطهَّرين أفضل جنودهم، لكن أحدًا منهم لم يتَّفق على كيفيَّة نشرهم. أرادَ الأرمل استخدام المخصيِّين كقبضةٍ حديديَّة تُحطِّم قلب الدِّفاعات اليونكيَّة، وارتأى مارسلن أن الأفضل وضعهم على جانبَي خطِّ المعركة الأساسي حيث يُمكنهم ردع أيِّ محاولةٍ من العدوِّ لإحداث ثغرةٍ في الجانبين، وأرادَ سايمون ذو الظَّهر المخطَّط تقسيمهم على ثلاث فصائل وتوزيعهم على جماعات المعتَقين الثَّلاث، قائلًا إن إخوته الأحرار شُجعان وتوَّاقون إلى القتال، لكن دون وجود المُطهَّرين لشدِّ أزرهم فإنه يخشى ألَّا يتمتَّع جُنده غير المختبَرين بالانضباط الكافي لمجابهة مرتزِقة مخضرمين وحدهم. واكتفى الدُّودة الرَّمادي بقول إن المُطهَّرين سيُطيعون مهما طُلِبَ منهم.

وبعد مناقشة كلِّ هذا ومداولته وتقريره طرحَ سايمون نُقطةً أخيرةً: «حين كنتُ عبدًا في (يونكاي) اعتدتُ مساعدة سيِّدي على التَّفاوُض مع الجماعات الحُرَّة والإشراف على دفع أجورها. إنني أعرفُ المرتزِقة، وأعرفُ أن اليونكيِّين لا يستطيعون نقدهم ما يكفي لمواجهة لهب التَّنانين، ولذا أسألك... إذا فشلَ السَّلام ونشبَت المعركة، فهل سيأتي التنِّينان؟ هل سينضمَّان إلى القتال؟».

كان السير باريستان ليقول: *سيأتيان، ستجلبهما الضَّوضاء، الصِّياح والصُّراخ، ورائحة الدِّماء. سيجتذبهما هذا إلى ميدان المعركة تمامًا كما اجتذبَ هدير (حلبة دازناك) دروجون إلى الرِّمال القرمزيَّة. لكن حين يأتيان هل سيُفرِّقان بين طرفٍ وآخَر؟* بشكلٍ ما لا يظنُّ ذلك، ولذا قال فقط: «التنِّينان سيفعلان ما تفعله التَّنانين. إذا أتيا فقد يكفي مجرَّد ظِلِّ أجنحتهما لتثبيط همَّة النخَّاسين وحملهم على الفرار»، ثم إنه شكرَهم وصرفَهم.

مكثَ الدُّودة الرَّمادي بعد خروج الآخَرين، وقال: «هؤلاء الآحاد سيكونون مستعدِّين حين إشعال المنارة، لكن مؤكَّد أن اليد يعلم أن اليونكيِّين سيَقتُلون الرَّهائن ما إن نبدأ الهجوم».

- «سأفعلُ كلَّ ما بوسعي للحيلولة دون ذلك يا صديقي. إن عندي... فكرةً. لكن أرجو أن تَعذُرني الآن. لا بُدَّ أن يعلم الدورنيَّان بموت أميرهما».

حنى الدُّودة الرَّمادي رأسه قائلًا: «هذا الواحد يُطيع».

أخذَ السير باريستان اثنين من فُرسانه الجُدد معه إلى الزَّنازين. معروف عن الحُزن والذَّنب أنهما يدفعان الصَّالحين إلى الجنون أحيانًا، وقد لعبَ آرشيبولد يرونوود وجيريس درينكووتر كلاهما دورًا في هلاك صديقهما، لكن حين وصلوا إلى الزِّنزانة أمرَ سلمي تومكو والحمل الأحمر بالانتظار بالخارج فيما يَدخُل ليُخبِر الدورنيِّين بأن عذاب أميرهما انتهى.

لم يُعلِّق السير آرشيبولد الأصلع الكبير، واكتفى بالجلوس على حافة سريره محملقًا إلى يديه المضمَّدتين بالكتَّان، في حين لكمَ السير جيريس الحائط قائلًا: «قلتُ له إنها حماقة، توسَّلتُ إليه أن نرجع إلى الوطن. ملكتك الحقيرة لم ترَ له قيمةً كما كان واضحًا للعيان. لقد قطعَ العالم ليُقدِّم لها حُبَّه وإخلاصه فضحكَت في وجهه».

قال سلمي: «لم تضحك قَطُّ. لو عرفتها لعرفت هذا».

- «لقد نبذَته. عرضَ عليها قلبه فألقَته له ثانيةً وذهبَت تُضاجِع المرتزِق».

- «خيرٌ لك أن تحفظ لسانك أيها الفارس». لا يحبُّ السير باريستان جيريس درينكووتر، ولن يسمح له بذمِّ دنيرس. «موت الأمير كوينتن كان من صُنعه وصُنعكما».

- «صُنعنا؟! أين جريرتنا أيها الفارس؟ كوينتن كان صديقنا، نعم. لك أن تقول إنه كان أحمق بعض الشَّيء، لكن جميع الحالمين حمقى. لكنه كان أميرنا أولًا وأخيرًا، وندين له بالطَّاعة».

لم يستطِع باريستان سلمي أن يُجادِله في هذا، فقد قضى السَّواد الأعظم من حياته في طاعة أوامر السكِّيرين والمجانين.

«الأمير أتى بعد فوات الأوان».

كرَّر السير جيريس: «لقد عرضَ عليها قلبه».

- «كانت محتاجةً إلى السُّيوف لا القلوب».

- «كان ليمنحها حِراب (دورن) أيضًا».

- «ليته فعلَ». لا أحد أرادَ أن تستحبَّ دنيرس الأمير الدورني أكثر من باريستان سلمي. «لقد أتى بعد فوات الأوان، وهذه الحماقة... استئجار المرتزِقة، إطلاق تنِّينيْن على المدينة. كان هذا جنونًا وأسوأ من الجنون، كان خيانةً».

ردَّ جيريس درينكووتر مصرًّا: «كوينت فعلَ ما فعلَه بدافع حُبِّه للملكة دنيرس، لإثبات جدارته بها».

قال الفارس العجوز الذي سمعَ ما يكفي: «ما فعلَه الأمير كوينتن كان من أجل (دورن). هل تحسبني جَدًّا خرفًا؟ لقد قضيتُ حياتي حول الملوك والملكات والأمراء. (صنسپير) تنوي حمل السِّلاح ضد العرش الحديدي. لا، لا تُحاوِل الإنكار. دوران مارتل ليس بالرَّجل الذي يستدعي حِرابه دون أملٍ في النَّصر. الواجب هو ما أتى بالأمير كوينتن هنا، الواجب والشَّرف والتَّعطُّش للمجد... لكن ليس الحُب. كوينتن كان هنا من أجل التَّنانين لا دنيرس».

- «أنت لم تعرفه أيها الفارس. لقد...».

قاطعَه يرونوود ناهضًا: «لقد ماتَ يا درينك، ولن يُعيده الكلام. كليتوس وويل ماتا أيضًا، فأطبِق فمك اللعين قبل أن أدسَّ قبضتي فيه لأخرسك»، ثم التفتَ الفارس الكبير إلى سلمي سائلًا: «ماذا تنوي أن تفعل بنا؟».

- «الرَّأس الحليق سكاهاز يُريد شنقكما. لقد قتلتما أربعةً من رجاله، أربعةً من رجال الملكة. اثنان منهم كانا معتَقيْن تبعا جلالتها من (أستاپور)».

لم تبدُ على يرونوود دهشة، وقال: «الرِّجال الوحوش، أجل. قتلتُ واحدًا فقط، رأس البازيليسق. المرتزِقة قتلوا الآخَرين. لكن لا فرق، أعلمُ هذا».

قال درينكووتر: «كنا نحمي كوينتن، كنا...».

قاطعَه الفارس الكبير ثانيةً: «صمتًا يا درينك. إنه يعرف»، ثم قال لسلمي: «لا داعي للمجيء والكلام إذا كنت تنوي شنقنا. ليست المسألة هكذا إذن، أليس كذلك؟».

- «نعم». *قد لا يكون هذا الرَّجل بطيء البديهة كما يبدو.* «إنكما أنفع لي حيَّين. اخدِماني، وبعدها سأرتِّبُ أن تحملكما سفينة إلى (دورن) وأعطيكما رُفات الأمير كوينتن لتُعيداه إلى السيِّد والده».

عبسَ السير آرشيبولد قائلًا: «لماذا يجب أن تكون السُّفن كلَّ مرَّة؟ لكن على أحدهم أن يُعيد كوينت إلى الوطن. ماذا تَطلُب منا أيها الفارس؟».

- «أطلبُ سيفيكما».

- «إن عندك آلاف السُّيوف».

قال سلمي: «رجال الملكة المعتَقون لم يُختبَروا بعدُ، والمرتزِقة لا أثقُ بهم. المُطهَّرون جنود شُجعان... لكنهم ليسوا مُحاربين، ليسوا فُرسانًا»، وصمتَ لحظةً ثم تابعَ: «ماذا حدثَ عندما حاولتم أخذ التنِّينيْن؟ أخبِراني».

تبادلَ الدورنيَّان نظرةً، ثم أجابَ درينكووتر: «كوينتن قال لأمير الأسمال إنه يستطيع التَّحكُّم فيهما. قال إن القُدرة في دمه، إن دم تارجاريَن في عروقه».

- «دم التنِّين».

- «نعم. كان المفروض أن يُساعِدنا المرتزِقة على تقييد التنِّينيْن بالسَّلاسل لنأخذهما إلى الميناء».

أضافَ يرونوود: «أمير الخِرق جهَّز سفينةً، واحدةً كبيرةً تحسُّبًا لاستطاعتنا الحصول على كلا التنِّينيْن، وكان كوينت سيمتطي أحدهما»، وتطلَّع إلى يديه المضمَّدتين مردفًا: «لكن لحظة أن دخلنا كان واضحًا أن شيئًا من ذلك لن ينجح. التنِّينان كانا ثائريْن للغاية، وسلاسلهما... كانت هناك قِطع مكسورة من السَّلاسل في كلِّ مكان، سلاسل كبيرة، حلقات بحجم رأسك مخلوطة بالعظام المحطَّمة والمشقَّقة. وكوينت، ليُنقِذني (السَّبعة)، بدا كأنه سيتبرَّز على نفسه. لم يكن كاجو أعمى، أو ميريس، وقد رأيا هذا أيضًا. ثم أطلقَ أحد رُماة النُّشَّابيَّة سهمًا. ربما كانت نيَّتهم قتل التنِّينيْن من البداية واستغلُّونا للوصول إليهما فقط. مَن يدري ما الحقيقة مع الخِرقة؟ لكن كيفما نظرت إلى الأمر فلم يكن هذا تصرُّفًا ذكيًا. السَّهم أغضبَ التنِّينيْن فقط، ولم يكونا في مزاجٍ حسن من الأصل. ثم... ثم ساءَت الأمور».

قال السير جيريس: «وذرَت الرِّيح المذروِّين. كان كوينت يَصرُخ واللَّهب يلتهمه، ورحلَ المرتزِقة جميعًا. كاجو وميريس الحسناء، الجميع باستثناء رجلهم الميت».

- «آه، وماذا توقَّعت يا درينك؟ القِطط تَقتُل الفئران، والخنازير تتمرَّغ في الخراء، والمرتزِقة يفرُّون وأنت في أمسّ حاجةٍ إليهم. لا لوم عليهم. إنها طبيعتهم».

قال السير باريستان: «ليس مخطئًا. بِمَ وعدَ الأمير كوينتن أمير الأسمال لقاء كلِّ هذه المساعدة؟».

لم يتلقَّ جوابًا. نظرَ السير جيريس إلى السير آرشيبولد، ونظرَ السير آرشيبولد إلى يديه، ثم الأرض، ثم الباب.

واصلَ السير باريستان: «(پنتوس)، وعدَه بـ(پنتوس). قولاها. لا كلام منكما من شأنه مساعدة أو إيذاء الأمير كوينتن الآن».

قال السير آرشيبالد بتعاسة: «أجل، كانت (پنتوس). لقد وضعا علاماتٍ على ورقة».

ثمَّة فُرصة هنا. «ما زالَ عندنا مذروُّون في الزَّنازين، مَن ادَّعوا التَّهرُّب».

قال يرونوود: «أذكرهم. هنجرفورد وسترو وبقيَّة تلك الشِّرذمة. لم يكن بعضهم سيِّئًا جدًّا بالنِّسبة إلى مرتزِقة. الآخَرون... قد يكون الموت أصلح لهم. ماذا عنهم؟».

- «أنوي إعادتهم إلى أمير الأسمال، وأنتما معهم. ستكونان اثنين وسط ألوف، والمفترَض ألَّا يلفت وجودكما في معسكَر اليونكيِّين الانتباه. أريدكما أن تُوصِّلا رسالةً إلى أمير الأسمال. أخبِراه بأني أرسلتكما، بأني أتكلَّمُ بصوت الملكة. أخبِراه بأننا سندفع ثَمنه إذا أعادَ إلينا رهائننا سالمين».

عابسًا ردَّ السير آرشيبولد: «سيُعطينا الخِرقة لميريس الحسناء على الأرجح. لن يفعلها».

- «ولِمَ لا؟ المهمَّة بسيطة كفايةً». *مقارنةً بسرقة التَّنانين.* «لقد أخرجتُ أبا الملكة من (وادي الغسق) ذات مرَّة».

ردَّ جيريس درينكووتر: «كان ذلك في (وستروس)».

- «هذه (ميرين)».

- «آرش لا يستطيع أن يحمل سيفًا حتى بيديه هاتين».

- «ليس عليه أن يحمل سيفًا. سيكون المرتزِقة معكم، ما لم أكن أخطأتُ اختيار رجلي».

أزاحَ جيريس درينكووتر شَعره الموخوط بالشَّمس قائلًا: «هل تسمح لنا ببعض الوقت لنتناقَش؟».

أجابَ سلمي: «لا».

قال السير آرشيبولد: «سأفعلها ما دامَ الأمر لا يتضمَّن قوارب لعينةً. درينك أيضًا سيفعلها»، وأضافَ بابتسامةٍ عريضة: «ليس يعرف هذا بعدُ، لكنه سيعرف».

وتمَّ الأمر.

الجزء البسيط على الأقل. بدأ باريستان سلمي رحلة الصُّعود الطَّويلة إلى قمَّة الهرم مفكِّرًا أنه تركَ الجزء الصَّعب في أيدي الدورنيِّين. كان جدُّه لينزعج أيما انزعاج. الدورنيَّان فارسان، اسمًا على الأقل، ولو أن يرونوود وحده يُعطيه انطباع تحلِّيه بالفولاذ الحقيقي، أمَّا درينكووتر فله وجه وسيم ولسان متحذلق وشَعر ناعم.

لدى عودة الفارس العجوز إلى مسكن الملكة أعلى الهرم كان جُثمان الأمير كوينتن قد رُفِعَ، وحين دخلَ وجدَ ستَّةً من السُّقاة الصِّغار يلعبون لُعبةً طفوليَّةً وقد جلسوا في دائرةٍ على الأرض يتبادَلون تدوير خنجر، ولمَّا يتوقَّف عند أحدهم يقطعون خُصلةً مِن شَعر مَن يُشير إليه. كان السير باريستان قد لعبَ لُعبةً شبيهةً مع أولاد عمومته في صِغره في (بهو الحصاد)... وإن كان يَذكُر أن اللُّعبة في (وستروس) تتضمَّن التَّقبيل أيضًا. ناداهم قائلًا: «باكاز، كوب من النَّبيذ إذا سمحت. جرازار، آزاك، الباب لكما. إنني في انتظار ذات النِّعمة الخضراء. أدخِلاها بمجرَّد وصولها، لكن بخلاف هذا لا أريدُ أن يُزعِجني أحد».

أسرعَ آزاك ينهض قائلًا: «كما يأمر حضرة اليد».

خرجَ السير باريستان إلى الشُّرفة. كانت الأمطار توقَّفت، غير أن جِدارًا من السَّحاب الرَّمادي كالأردواز أخفى الشَّمس الغاربة إذ بدأت تغوص في (خليج النخَّاسين). ما زالَت خيوط قليلة من الدُّخان تنبعث من أحجار هرم هازدار المسودَّة، تلويها الرِّيح كشرائط الشَّعر، وبعيدًا إلى الشَّرق وراء أسوار المدينة رأى جناحين شاحبين يتحرَّكان فوق سلسلة تلالٍ قصيَّة. قسيريون. يصطاد ربما، أو يطير لمجرَّد الطَّيران. تساءلَ أين ريجال. حتى الآن أثبتَ التنِّين الأخضر أنه أخطر من الأبيض.

عندما أتى باكاز بالنَّبيذ أخذَ الفارس العجوز جرعةً واحدةً طويلةً ثم أرسلَ الصَّبي يجلب ماءً. قد تكون بضعة أكوابٍ من النَّبيذ ما يحتاج إليه بالضَّبط ليستطيع النَّوم، لكنه سيحتاج إلى حدَّة ذهنه حين تعود جالازا جالار من التَّفاوُض مع العدوِّ، وهكذا شربَ نبيذه مخفَّفًا بالكثير من الماء فيما أظلمَت الدُّنيا من حوله. كم هو متعَب، وكم تُفعِمه الشُّكوك. الدورنيُّون، هيزدار، رزناك، الهجوم... هل ما يفعله صواب؟ هل يفعل ما كانت دنيرس لتُريده؟ *لستُ مخلوقًا لهذا.* سبقَ أن شغلَ فُرسان آخَرون في الحَرس الملكي منصب اليدويَّة. كانوا قلائل، وقد قرأ عنهم في (الكتاب الأبيض)، والآن يجد نفسه يتساءَل إن كانوا قد شعروا بالحيرة والضَّياع مِثله.

- «حضرة اليد». كان جرازار واقفًا عند الباب يحمل فتيلًا مشتعلًا. «ذات النِّعمة الخضراء أتَت. طلبت أن نُبلِغك».

- «أدخِلها، وأشعِل بعض الشُّموع».

رافقَت جالازا جالار أربع من ذوات النِّعم الورديَّة، وقد بدَت المرأة للسير باريستان محاطةً بهالةٍ من الحكمة والكرامة لم يملك نحوها إلَّا الإعجاب. *هذه امرأة قويَّة، وكانت صديقةً مخلصةً لدنيرس.* قالت من تحت البُرقع الأخضر اللَّامع الذي يُخفي وجهها: «حضرة اليد، هل تسمح لي بالجلوس؟ إن عظامي عجوز متعَبة».

قال سلمي: «جرازار، مقعد لذات النِّعمة الخضراء»، وصفَّت ذوات النِّعم الورديَّة أنفُسهن وراءها خافضات الأعيُن مشبِّكات الأيدي. «هل أقدِّمُ لكِ شرابًا؟».

- «يا ليت أيها السير باريستان. لقد جفَّ حَلقي من الكلام. عصير ربما؟».

قال: «كما تُريدين»، وأشارَ إلى كِزميا وأمرَها بإحضار كأسٍ من عصير اللَّيمون المحلَّى بالعسل للكاهنة. لشُربه اضطرَّت الكاهنة إلى خلع بُرقعها، وهو ما ذكَّر سلمي بشيخوختها. *أكبر مني بعشرين عامًا أو أكثر.* «لو كانت الملكة هنا فأنا واثق بأنها كانت لتنضمَّ إليَّ في شُكركِ على كلِّ ما فعلتِ من أجلنا».

قالت جالازا جالار: «لطالما كانت صاحِبة السُّمو مفضالةً»، وأنهَت شرابها وأعادَت تثبيت البُرقع متسائلةً: «هل من أيِّ أخبارٍ أخرى عن ملكتنا الجميلة؟».

- «ليس بعدُ».

- «سأصلِّي من أجلها. وماذا عن الملك هيزدار إذا سمحت لي بالسُّؤال؟ هل تأذن لي في رؤية صاحِب الرَّونق؟».

- «قريبًا على ما آملُ. أؤكِّدُ لكِ أن أذًى لم يُصِبه».

- «يسرُّني أن أسمع هذا. أسياد (يونكاي) الحُكماء سألوا عنه. لن يُدهِشك أن تسمع أنهم يرغبون في عودة النَّبيل هيزدار إلى منصبه الشَّرعي».

- «سيعود إذا ثبتَ أنه لم يُحاوِل اغتيال ملكتنا، وحتى ذلك الحين سيَحكُم (ميرين) مجلس من الأوفياء والعادلين. ثمَّة مكان لكِ في هذا المجلس. أعلمُ أن لديكِ أشياء كثيرةً تُعلِّمينا إياها يا صاحِبة الإحسان. إننا محتاجون إلى حكمتكِ».

- «أخشى أنك تُطري عليّ بمجاملاتٍ جوفاء يا حضرة اليد. إذا كنت تحسبني حكيمةً حقًّا فأصغِ إليّ الآن. أطلِق سراح النَّبيل هيزدار وأعِده إلى عرشه».

- «الملكة فقط تقدر على ذلك».

تنهَّدت ذات النِّعمة الخضراء من تحت بُرقعها، وقالت: «السَّلام الذي اجتهدنا في تحقيقه يرتجف كورقة شجرٍ في مهبّ ريح الخريف. إننا في أيامٍ عصيبة. الموت يجول في شوارعنا راكبًا الفَرس الشَّاحبة من الملعونة ثلاثًا (أستاپور)، والتَّنانين تَسكُن السَّماء وتلتهم لحوم الأطفال، والمئات يستقلُّون السُّفن نازحين إلى (يونكاي)، إلى (تولوس)، إلى (كارث)، إلى أيِّ ملاذٍ يقبلهم. هرم هازكار تهدَّم وتحوَّل إلى أطلالٍ داخنة، وكثيرون من تلك السُّلالة العريقة موتى تحت أحجاره المسودَّة. وهرما يريزان وأوهلز أصبَحا عرينيْن لوحشين، وأسيادهما صاروا شحَّاذين بلا مأوى. لقد فقدَ قومي كلَّ أملٍ وانقلبوا على الآلهة نفسها، يقضون لياليهم في السُّكر والبغاء».

- «والقتل. أبناء الهارپي قتلوا ثلاثين ليلة البارحة».

- «يُحزِنني سماع هذا. سبب أدعى لإطلاق سراح النَّبيل هيزدار زو لوراك الذي أوقفَ القتل من قبل».

وكيف حقَّق ذلك ما لم يكن هو نفسه *الهارپي*؟ «صاحِبة الجلالة أعطَت يدها لهيزدار زو لوراك وجعلَته ملكها وزوجها وأعادَت الفنَّ المميت كما ناشدَها، ومقابل هذا أعطاها جرادًا مسمومًا».

- «مقابل هذا أعطاها السَّلام. لا تُطِح به أيها الفارس، أتوسَّلُ إليك. السَّلام لؤلؤة لا تُقدَّر بثَمن. هيزدار من بني لوراك، ومستحيل أن يُلوِّث يديه بالسُّم. إنه بريء».

- «وكيف تضمنين ذلك؟». *ما لم تكوني تعرفين المسمِّم.*

- «آلهة (جيس) أخبرَتني».

- «آلهتي (السَّبعة)، وحتى الآن (السَّبعة) صامتون في هذا الصَّدد. هل قدَّمتِ عرضي يا صاحِبة الحكمة؟».

- «لجميع أسياد وقادة (يونكاي) كما أمرتني... لكنني أخشى أن جوابهم لن يُعجِبك».

- «رفضوا؟».

- «رفضوا. قالوا لي إن لا مبلغ من الذَّهب سيشتري رجالك. وحدها دماء التنِّينيْن ستُحرِّرهم».

زمَّ السير باريستان فمه. إنه الجواب الذي توقَّعه، وإن لم يكن الجواب الذي تمنَّاه.

تابعَت جالازا جالار: «أعلمُ أنه ليس الكلام الذي رغبت في سماعه، ومع ذلك أنا متفهِّمة عن نفسي. التَّنانين وحوش مرعبة. (يونكاي) تخشاها... ولسببٍ وجيه، لا يُمكنك إنكار هذا. تاريخنا يحكي عن سادة التَّنانين الذين أتوا من (ڤاليريا) الرَّهيبة والدَّمار الذي أنزَلوه بشعب (جيس القديمة). حتى ملكتك الشَّابة، دنيرس الحسناء التي تُسمِّي نفسها أُم التَّنانين... لقد رأيناها تحترق يومها في الحلبة... حتى هي لم تسلم من ثورة التنِّين».

- «جلالتها لم... إنها...».

قاطعَته والعبرات تلتمع وراء بُرقعها: «... ميتة. فلتمنَّ عليها الآلهة بالكَرى الحُلو. دَع تنِّينيها يموتان أيضًا».

كان السير باريستان يبحث عن ردٍّ عندما سمعَ وقع خُطواتٍ ثقيلة، ثم انفتحَ الباب بعُنفٍ واندفعَ سكاهاز مو كانداك داخلًا مع أربعةٍ من وحوشه النُّحاس، ولمَّا حاولَ جرازار اعتراض طريقه دفعَ الصَّبي جانبًا بقوَّة.

في الحال قامَ السير باريستان متسائلًا: «ما الخطب؟».

زمجرَ الرَّأس الحليق: «المجانيق، ستَّتها في آنٍ واحد».

نهضَت جالازا جالار قائلةً: «هكذا يردُّ اليونكيُّون على عرضك أيها الفارس. لقد حذَّرتك من أن جوابهم لن يُعجِبك».

اختاروا الحرب إذن. ليكن. شعرَ السير باريستان براحةٍ غريبة. الحرب شيء يفهمه. «إذا كانوا يحسبون أنهم سيكسرون إرادة (ميرين) بإلقاء الحجارة...».

قالت العجوز بصوتٍ أفعمَه الأسى والخوف: «ليست حجارةً. إنها جُثث».

التَّلُّ جزيرة حجريَّة في بحرٍ من الأخضر.

استغرقَت داني في نزوله نِصف الصَّباح، وحين بلغَت السَّفح أخيرًا كانت تلهث من المجهود وتُؤلِمها عضلاتها وتحسُّ ببداية أعراض حُمَّى. كشطَت الصُّخور يديها وسحجَتهما، لكنها قالت لنفسها بحسمٍ إذ داعبَت نَفطةً مفتوحةً بأصابعها: *صارَتا أحسن من ذي قبل*. أصبحَت بشرتها ورديَّةً رقيقةً، وثمَّة سائل لبني شاحب ينزُّ من شقوق كفَّيها، لكن حروقها بدأت تلتئِم.

يبدو التَّلُّ أكبر من هنا بالأسفل. تعوَّدت داني أن تُسمِّيه (دراجونستون) على اسم القلعة العتيقة التي وُلِدَت فيها. ليست تملك ذكرياتٍ عن (دراجونستون) تلك، لكن هذه لن تغيب عن ذاكرتها قريبًا. تُغطِّي الحشائش والشُّجيرات الشَّائكة منحدرات التَّلِّ السُّفليَّة، وبالأعلى ترتفع أكوام من الصُّخور الجرداء المحزَّزة بحدَّةٍ إلى السَّماء. هناك، بين الجلاميد المحطَّمة والنُّتوءات القاطعة كالأمواس والقمم المستدقَّة، أقامَ دروجون عرينه داخل كهفٍ ضحل، وعندما رأت داني التَّلَّ أول مرَّةٍ أدركَت أنه قاطن هناك منذ مُدَّة. في الهواء رائحة رماد، وكلُّ صخرةٍ وشجرةٍ في مرمى البصر مسفوعة مسودَّة، والأرض مكسوَّة بالعظام المحروقة المكسَّرة، لكنه جعلَ من المكان داره.

وداني عليمة بفتنة الدِّيار.

قبل يومين، بينما تتسلَّق قمَّةً صخريَّةً، لمحَت ماءً إلى الجنوب، خيطًا رفيعًا التمعَ فترةً وجيزةً في ضوء الشَّمس الغاربة. جدول. صغير، لكنه سيقودها إلى جدولٍ أكبر، وذلك الجدول سيصبُّ في نهرٍ صغير، وكلُّ الأنهار في هذا الجزء من العالم روافد لـ(السكاهازاذان)، وما إن تجد (السكاهازاذان) فعليها فقط أن تتَّبع مجراه إلى (خليج النخَّاسين).

تُحبِّذ داني بالطَّبع أن تعود إلى (ميرين) على جناحَي التنِّين، إلَّا أن دروجون لا يُشارِكها هذه الرَّغبة على ما يبدو.

في (ڤاليريا) القديمة تحكَّم سادة التَّنانين في مطاياهم بالأبواق السِّحريَّة والتَّمائم التي تربطها بإرادتهم، أمَّا دنيرس فتتدبَّر أمرها بكلمةٍ وسوط. كثيرًا ما تَشعُر وهي على متن التنِّين كأنها تتعلَّم الرُّكوب من أول وجديد. إذا ضربَت فَرسها الفضِّيَّة بالسَّوط على جانبها الأيمن ذهبَت يسارًا، ذلك أن غريزة الحصان الأولى أن يفرَّ من الخطر، لكن إذا ضربَت دروجون على جانبه الأيمن انحرفَ يمينًا، ذلك أن غريزة التنِّين الأولى دومًا أن يُهاجِم. أحيانًا لا يبدو مهمًّا أين تضربه، إذ يذهب تنِّينها حيثما يُريد ويأخذها معه، وبغضِّ النَّظر عن الكلمات أو السَّوط لا يدور دروجون إذا لم تكن لديه رغبة في الدَّوران. بعد فترةٍ أدركَت داني أن السَّوط يُصيبه بالضِّيق أكثر من الألم، وقد صارَت حراشفه أصلب من القرون.

ولا تهمُّ المسافة التي يطيرها التنِّين كلَّ يوم، فمع حلول المساء يعود دومًا إلى داره في (دراجونستون) منساقًا وراء غريزةٍ ما. *داره* هو لا *داري*. دارها هي في (ميرين) مع زوجها وعشيقها. إلى هناك تنتمي قطعًا.

واصِلي المشي. إذا نظرتُ ورائي فأنا ضائعة.

صاحبَتها الذِّكريات في مشيها؛ سحاب رأته من أعلى، وخيول صغيرة كالنَّمل تعدو في العُشب، وقمر فضِّي تكاد من قُربه تمسُّه، وأنهار تتدفَّق زرقاء بارقةً في الشَّمس. *هل سأرى مشاهد كهذه ثانيةً؟* على متن دروجون تحسُّ بالكمال، في السَّماء لا تقدر مِحن العالم على لمسها. كيف يُمكنها التخلِّي عن هذا؟

غير أن الوقت حانَ. الفتاة قد تقضي حياتها في اللَّعب، لكنها امرأة بالغة، ملكة، زوجة، أُم لألوف، وأطفالها محتاجون إليها. لقد انصاعَ دروجون للسَّوط، ويجب أن تحذو حذوه. عليها أن تعتمر تاجها مجدَّدًا وتعود إلى دِكَّتها الأبنوس وذراعَي زوجها النَّبيل.

هيزدار صاحِب القُبلات الفاترة.

الشَّمس حارَّة هذا الصَّباح، والسَّماء زرقاء صافية. لا بأس، فثياب داني ليست أكثر من أسمال لا تمدُّها إلَّا بالنَّزر اليسير من الدِّفء. في أثناء طيرانها الجامح من (ميرين) انزلقَت إحدى فردتَي صندلها، والأخرى تركَتها بالأعلى عند كهف دروجون مفضِّلةً أن تمشي حافيةً على انتعال فردةٍ واحدة. كانت قد تخلَّت عن التوكار والبُرقع في الحلبة، وقميصها التَّحتي الكتَّان ليس مصنوعًا لاحتمال أنهُر (بحر الدوثراكي) الحارَّة ولياليه الباردة، كما لوَّثه العَرق والعُشب والثَّرى، ومزَّقت داني شريطًا من حاشيته لتصنع ضمادةً لقصبة ساقها. مؤكَّد *أنني أبدو في حالٍ مزرية، لكن إذا ظلَّ النَّهار دافئًا فلن أتجمَّد.*

كانت إقامتها المؤقَّتة ها هنا مفعمةً بالوحدة، وقضَت معظمها في ألمٍ وجوع... وعلى الرغم من ذلك سكنَتها سعادة غريبة خلالها. *قليل من الألم ومعدة خاوية وليالٍ باردة... فيمَ يهمُّ كلُّ هذا إن كنت تستطيع الطَّيران؟ لو عادَ بي الزَّمن لأعدت الكرَّة.*

قالت لنفسها إن چيكوي وإيري منتظرتان على قمَّة هرمها في (ميرين)، وكذا مُترجمتها العذبة ميسانداي وشقاتها الصِّغار. سيجلبون لها الطَّعام وتستحمُّ في البِركة تحت شجرة التِّين الكاكي، وسيكون جميلًا أن تَشعُر بالنَّظافة من جديد، فليست محتاجةً إلى مرآةٍ لترى أنها متَّسخة تمامًا.

كما أنها جائعة. ذات صباحٍ وجدَت بعض البصل البرِّي النَّامي في منتصَف المنحدر الجنوبي، ولاحقًا في اليوم نفسه وجدَت نوعًا محمرًّا مورقًا من الخضراوات قد يكون صنفًا غريبًا من الكرنب، لكن أيًّا كان فإنه لم يُتعِب معدتها. باستثناء هذا، والسَّمكة الوحيدة التي اصطادَتها من البِركة التي يُغذِّيها ينبوع خارج كهف دروجون، فقد اقتاتَت قدر الإمكان بفُضالة التنِّين، بالعظام المحروقة وقِطع اللَّحم السَّاخن نِصف المتفحِّمة ونِصف النِّيئة. كانت تعلم أنها تحتاج إلى المزيد، وفي يومٍ ركلَت جمجمة خروفٍ مكسورة بجانب قدمها الحافية لتُسقِطها على جانب التَّل، وإذ شاهدَتها تتواثَب على المنحدر العالي نحو بحر الكلأ أدركَت أن عليها أن تتبعها.

بدأت داني رحلتها بخُطى حثيثة شاعرةً بدفء الثُّربة بين أصابع قدميها، تمشي بين أعواد العُشب التي تُناهِزها طولًا مفكِّرةً: *لم يبدُ مرتفعًا هكذا حين امتطيتُ فَرسي الفضِّيَّة وركبتُ إلى جوار شمسي ونجومي على رأس گالاساره*. إذ مشت نقرَت على فخذها بكُرباج متعهِّد الحلبة، الذي لم تأخذ من (ميرين) إلَّاه والخِرق على بدنها.

مع أنها تمشي في مملكةٍ من الأخضر فهذه ليست خُضرة الصَّيف النَّاضرة اليانعة. حتى هنا جعلَ الخريف وجوده محسوسًا، والشِّتاء مقبل بسرعة. العُشب الآن أكثر شحوبًا مما تَذكُر، خُضرته باهتة سقيمة على شفا الاصفرار، وبعدها يأتي دور البنِّي. العُشب يموت.

ليست هذه أول مرَّةٍ ترى فيها دنيرس تارجاريَن (بحر الدوثراكي)، محيط الكلأ العظيم الذي يمتدُّ من (غابة كوهور) إلى (الجبل الأُم) و(رحم العالم). سبقَت لها زيارته عندما كانت فتاةً حديثة الزَّواج بالكال دروجو، في طريقها إلى (ڤايس دوثراك) لتَمثُل أمام حيزبونات الدوش كالين. آنذاك خلبَ لُبَّها منظر كلِّ هذا العُشب الوارف المنبسط أمامها. *كانت السَّماء زرقاء والعُشب أخضر، وكنتُ مفعمةً بالأمل*. وكان معها السير چورا، دُبُّها العجوز الخشن، وتحظى بعناية إيري وچيكوي ودوريا، وتجد شمسها ونجومها يحتويها ليلًا، وفي بطنها ينمو طفلها. *رييجو، كنتُ سأسمِّيه رييجو، وقالت حيزبونات الدوش كالين إنه سيكون الجواد الذي يمتطي العالم*. منذ أيامها التي يكاد النِّسيان يطويها في (براڤوس)، حين عاشَت في المنزل ذي الباب الأحمر، لم تَشعُر بتلك السَّعادة.

لكن في (القفر الأحمر) استحالَت سعادتها إلى رماد. سقطَ شمسها ونجومها من فوق حصانه، وقتلَت المايجي ميري ماز دور ربيجو في رحمها، وكتمَت داني أنفاس الهيكل الفارغ الذي صارَه الكال بيديها، وبعدها تحطَّم كالاسار دروجو العظيم. سمَّى الكو پونو نفسه الكال پونو وأخذَ معه خيَّالةً وعبيدًا عديدين وغادرَ، وسمَّى الكو چهاكو نفسه الكال چهاكو وغادرَ بأعدادٍ أكبر، واغتصبَ خيَّال دمه المسمَّى ماجو الفتاة إيرو وقتلَها، الفتاة نفسها التي أنقذَتها منه دنيرس من قبل. وحده ميلاد تنانينها وسط نار ودُخان محرقة جنازة الكال دروجو جنَّبها أن تُجَرَّ هي نفسها إلى (ڤايس دوثراك) لتقضي ما تبقَّى من حياتها بين حيزبونات الدوش كالين.

حرقَت النَّار شَعري، لكنها باستثناء ذلك لم تمسَّني. لم يختلف الأمر في (حلبة دازناك). هذا القدر تَذكُره، ولو أن كثيرًا مما تلاه مشوَّش مبهم. *أناس كثيرون للغاية يَصرُخون ويتدافَعون*. تَذكُر خيولًا ثائرةً وعربة طعامٍ تنقلب فيَسقُط ما عليها من شمَّام، ومن أسفل أتَت حربة محلِّقةً، يتبعها سرب من سهام النُّشَّابيَّات، ومرَّ أحدها على مقربةٍ بالغة من داني حتى إنها شعرَت به يمسُّ وجنتها، في حين ارتدَّت السِّهام الأخرى عن حراشف دروجون أو انغرسَت بينها أو اخترقَت غشاء جناحيه. تَذكُر التنِّين يتلوَّى من تحتها مرتجفًا من الصَّدمات وهي تتشبَّث باستماتةٍ بظَهره الحرشفي. كان الدُّخان يتصاعَد من جروحه، ورأت داني أحد السِّهام المغروسة يشتعل فجأةً، وآخَر يَسقُط وقد خلخلَته ضربات الجناحين. بالأسفل رأت أناسًا يدورون وقد شبَّ فيهم اللَّهب، يرفعون أيديهم في الهواء كأنما استبدَّت بهم آلام رقصةٍ مجنونة. ثمَّة امرأة في توكار أخضر مدَّت يديها إلى طفلٍ باكٍ وضمَّته بذراعيها لتقيه من النَّار. رأت داني اللَّون بوضوحٍ لكنها لم ترَ وجه المرأة. كان النَّاس يدوسونها إذ انطرحَت والطِّفل أرضًا على القرميد، بعضهم مشتعل نارًا.

ثم خبا كلُّ هذا. خفتَت الأصوات وتقلَّص النَّاس وسقطَت السِّهام والحِراب من تحتهما إذ أنشبَ دروجون مخالبه في السَّماء. إلى أعلى وأعلى وأعلى حملَها، عاليًا فوق الأهرام والحلبات، جناحاه منبسطان يضربان الهواء الدَّافئ المنبعث من قرميد المدينة الذي تلفحه الشَّمس. لحظتها فكَّرت: *إذا سقطتُ ومِتُّ فالتَّجربة لا تزال تستحقُّ*.

شمالًا طارا متجاوزيْن النَّهر، يُحلِّق دروجون بجناحين ممزَّقين وسط سحابٍ يُرَفرِف كرايات جيشٍ شبحي. لمحَت داني سواحل (خليج النخَّاسين) والطَّريق القاليري القديم الممتد بمحاذاته وسط الرِّمال الخلاء إلى أن اختفى في الغرب. *الطَّريق إلى الوطن*. ثم ما عادَ تحتهما إلَّا الكلأ المتموِّج في الرِّيح.

كم مضى منذ حلَّقتْ أول مرَّة؟ ألف عام؟ أحيانًا يبدو لها أن تلك المُدَّة مرَّت بالفعل.

اشتدَّت حرارة الشَّمس مع ارتفاعها في السَّماء، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يبدأ رأسها يدقُّ. كان شَعرها قد عادَ يَنبُت، ولكن ببُطء. قالت بصوتٍ عالٍ: «أحتاجُ إلى قُبَّعة». فوق (دراجونستون) حاولَت أن تصنع لنفسها واحدةً بتضفير أعواد العُشب معًا كما رأت نساء الدوثراكي يفعلن خلال وقتها مع دروجو، لكن إمَّا أنها استخدمَت نوعًا خطأً من العُشب وإمَّا أنها -ببساطة- تفتقر إلى المهارة المطلوبة، فتفسَّخت قُبَّعاتها كلُّها بين يديها. قالت لنفسها: *حاولي ثانيةً. ستُبلين بلاءً أحسن المرَّة القادمة. أنتِ دم التنِّين، يُمكنكِ أن تصنعي قُبَّعةً*. وهكذا حاولَت وحاولَت، لكن محاولتها الأخيرة لم تكن أنجح من الأولى.

كان الأصيل قد حلَّ حين وصلَت إلى الجدول الذي أبصرَته من فوق التَّل. وجدَته غديرًا ضيِّقًا للغاية، ليس أعرض من ذراعها... وذراعها ازدادَت نحولًا مع كلِّ يومٍ قضَته فوق (دراجونستون). ملأَت داني كفَّها بالماء ورشَّت به وجهها، وعندما شبَّكت يديها على سبيل الكوب احتكَّت مفاصل أصابعها بالطَّمي في قاع الغدير. كانت لتتمنَّى أن تجد ماءً أبرد وأصفى... لكن لا، إن كانت ستُعلِّق آمالها على التَّمنِّي فلتتمنَّ النَّجدة.

ما زالَت متمسِّكةً بأمل أن يسعى وراءها أحد. قد يأتي السير باريستان يبحث عنها، فهو أول رجال حَرسها الملكي ومقسم على الدِّفاع عنها بحياته، و(بحر الدوثراكي) ليس غريبًا على خيَّالة دمها الذين رهنوا حياتهم بحياتها، وقد يُرسِل زوجها النَّبيل هيزدار زو لوراكْ مَن يبحث عنها. وداريو... تخيَّلته داني راكبًا نحوها عبر العُشب الطَّويل، يبتسم فتَبرُق سِنُّه الذَّهب في ضوء الشَّمس الغاربة.

إلَّا أن داريو رهينة عند اليونكيِّين لضمان ألَّا يُصيب قادتهم أذى. *داريو وهيرو، وچوجو وجروليو، وثلاثة من أهل هيزدار*. مؤكَّد أن اليونكيِّين أطلَقوا سراح الرَّهائن جميعًا بالفعل، ولكن...

تساءلَت إن كان سلاحا قائدها ما زالا معلَّقيْن إلى جوار فِراشها في انتظار أن يعود داريو ويستردَّهما. حين أعطاهما لها قال: «*سأتركُ فتاتَي معكِ. حافِظي على سلامتهما من أجلي يا محبوبتي*». وتساءلَت كم يعلم اليونكيُّون عن قيمة قائدها عندها. يوم إرسال الرَّهائن ألقَت هذا السُّؤال على السير باريستان، فأجابَها: «مؤكَّد أنهم سمعوا الكلام، بل وربما يكون نهاريس قد تباهى بـ... بتقدير جلالتكِ... العظيم... له. أستميحكِ العُذر في قولي هذا، لكن التَّواضُع ليس من فضائل القائد. إنه فخور للغاية بـ... ببراعته في المبارزة».

تعني أنه يتباهى بالنَّوم معي. لكن لا يُعقَل أن يكون داريو بالحماقة التي تجعله يتباهى بهذا بين أعدائها. لا يهمُّ. *مؤكَّد أن اليونكيِّين يزحفون عائدين من حيث أتوا بالفعل*. لهذا فعلَت كلَّ ما فعلَته، في سبيل السَّلام.

التفتَت تَنظُر إلى حيث بدأت رحلتها، إلى (دراجونستون) المرتفعة فوق أراضي العُشب كقبضةٍ مضمومة. *تبدو قريبةً للغاية. أمشي منذ ساعاتٍ ومع ذلك تبدو كأن بإمكاني أن أمدَّ يدي وألمسها.* لم يَفُت أوان العودة. ثمَّة أسماك في البِركة التي يُغذِّيها ينبوع عند كهف دروجون، وقد اصطادَت واحدةً في يومها الأول هناك ويُمكنها أن تصطاد المزيد، كما أن هناك بقايا العظم المتفحّم الذي تبقَّى عليه القليل من اللَّحم، ما يُخلِّفه دروجون مما يَقتُله.

لا. إذا نظرتُ ورائي فأنا ضائعة. قد تحيا أعوامًا بين صخور (دراجونستون) التي تُلهِبها الشَّمس، تمتطي دروجون نهارًا وتلوك فُضالته كلَّ مساءٍ فيما يستحيل العُشب العظيم من الذَّهبي إلى البُرتقالي، لكن تلك ليست الحياة التي وُلِدَت لتعيشها، وهكذا عادَت تُدير ظَهرها للتَّل البعيد وصمَّت أُذنيها عن أنشودة الطَّيران والحرِّيَّة التي تُردِّدها الرِّياح إذ تتلاعَب بين أخاديد التَّلِّ الحجريَّة. حسب أفضل تقديرٍ لديها يسري الغدير في جهة الجنوب والجنوب الغربي، وقد اتَّبعته مخاطبةً إياه في قرارة نفسها: *خُذني إلى النَّهر، لا أطلبُ منك إلَّا هذا. خُذني إلى النَّهر وسأتولَّى الباقي.*

مرَّت السَّاعات ببُطء. انعطفَ الغدير في هذا الاتِّجاه وذاك، واتَّبعته داني جاعلةً لمرور الوقت إيقاعًا بنقر ساقها بالسَّوط، تُحاوِل ألَّا تُفكِّر في المسافة التي عليها أن تقطعها أو في دقَّات رأسها أو في معدتها الخاوية. *خُذي خُطوةً. خُذي التَّالية. خُطوة أخرى. أخرى.* وماذا يُمكنها أن تفعل غير ذلك؟

بحرها هادئ للغاية. حين تهبُّ الرِّيح يتنهَّد الكلأ إذ تتماسُّ سوقه ويهمس بلُغةٍ لا يفهمها إلَّا الآلهة، وبين الفينة والفينة يُبَقبِق ماء الغدير الصَّغير أينما سرى حول حجر، وينهرس الطَّمي بين أصابع قدميها. حولها تطنُّ حشرات؛ يعاسيب كسول ودبابير خضراء لامعة وهاموش لادغ يكاد من دقَّة حجمه لا يُرى، ومتى حطَّت على ذراعيها ذبَّتها بذهنٍ شارد. في مرَّةٍ صادفَت جرذًا يشرب من الغدير، لكنه لاذَ بالفرار حين رآها وهرعَ يختفي بين أعواد العُشب الطَّويلة. أحيانًا تسمع طيورًا تُغرِّد فيجعل الصَّوت بطنها يُقرقِر، لكنها لا تحمل شبكةً تصطادها بها، وحتى الآن لم ترَ أعشاشًا. *في الماضي حلمتُ بالطَّيران، والآن وقد طرتُ صرتُ احلمُ بصيد البيض.* أضحكَتها الفكرة، وقالت للعُشب: «البَشر مجانين والآلهة أكثر جنونًا»، فغمغمَ العُشب مؤيِّدًا.

ثلاث مرَّاتٍ يومها لمحَت دروجون. في الأولى كان بعيدًا جدًّا كأنه نسر ينسلُّ إلى داخل السُّحب البعيدة وخارجها، لكن داني باتَت تحفظ شكله وتتعرَّفه حتى إذا كان مجرَّد نُقطةٍ في السَّماء. وفي الثَّانية مرَّ أمام الشَّمس باسطًا جناحيه الأسودين فأظلمَ العالم لحظات. وفي المرَّة الأخيرة طارَ فوقها مباشرةً على مقربةٍ شديدة حتى إنها سمعَت خفقان جناحيه. للحظةٍ أو دونها خطرَ لداني أنه يسعى لصيدها، لكنه واصلَ طيرانه من دون أن يلحظها واختفى في مكانٍ ما في الشَّرق، ففكَّرت: *لا بأس.*

كادَ المساء يُباغِتها. بينما انزلقَت الشَّمس على ذُرى (دراجونستون) البعيدة عثرَت داني على جِدارٍ حجري واطئ محطَّم تنمو عليه الطَّحالب بكثافة. ربما كان جزءًا من معبدٍ أو قاعة زعيم قرية. رأت المزيد من الأطلال وراءه، بئرًا قديمةً ودوائر في العُشب تدلُّ على البقاع التي احتلَّتها الأكواخ فيما سبقَ. قدَّرت أنها كانت مبنيَّةً بالطِّين والقشِّ، لكن أعوام الرِّيح والأمطار الطَّويلة أبلَتها حتى محَتها. وجدَت داني ثمانيةً قبل غياب الشَّمس، لكن قد يكون هناك المزيد على مسافةٍ أبعد ويُخفيه العُشب.

احتملَ هذا الجِدار الحجري أكثر من غيره، ومع أنه لا يزيدَ على الأقدام الثَّلاثة ارتفاعًا فمن شأن الزَّاوية التي يلتحم فيها بجِدارٍ آخَر أقصر أن تمدَّها بشيءٍ من الحماية من عوامل التَّعرية، واللَّيل يدنو بسرعة. حشرَت داني نفسها في هذا الرُّكن صانعةً لنفسها عُشًّا -إن جازَ التَّعبير- عن طريق تمزيق العُشب النَّامي حول الأطلال وتغطية نفسها به. إرهاقها بالغ، وعلى كلتا قدميها ظهرَت قروح جديدة، بما فيها اثنان متماثلان على إصبعَي قدميها الصَّغيرين. قالت لنفسها مقهقهةً: *لا بُدَّ أن طريقة مشيي السَّبب*.

إذ أظلمَ العالم استقرَّت داني في مكانها وأسبلَت جفنيها، لكن النَّوم أبى أن يأتي. اللَّيل بارد، والأرض صُلبة، ومعدتها خاوية. وجدَت نفسها تُفكِّر في (ميرين)، في حبيبها داريو وزوجها هيزدار، في إيري وچيكوي والعذبة ميسانداي، في السير باريستان ورزناك والرَّأس الحليق سكاهاز. *هل يخشون أني مِتُّ؟ لقد طرتُ على ظَهر التنِّين، فهل سيحسبون أنه أكلَني؟* تساءلَت إن كان هيزدار لا يزال ملكًا. لقد استمدَّ تاجه من تاجها، فهل يستطيع الحفاظ عليه في غيابها؟ *أرادَ قتل دروجون. لقد سمعته. صرخَ: «اقتُلوه، اقتُلوا الوحش»، والنَّظرة على وجهه كانت نظرة شبق.* وبِلواس القوي كان على رُكبتيه يتقيَّأ ويرتعد. *كان سُمًّا، مؤكَّد أنه كان كذلك. الجراد المحلَّى بالعسل.* هيزدار *الحَّ عليَّ أن أجرِّبه، لكن بِلواس التهمَه كلَّه.* لقد جعلَت هيزدار ملكها وأخذَته إلى فِراشها وفتحَت حلبات القتال من أجله، أي أن لا سبب يدعوه إلى الرَّغبة في موتها، لكن مَن غيره يُمكنه أن يفعلها؟ القهرمان العاطِر رزناك؟ اليونكيُّون؟ أبناء الهارپي؟

في مكانٍ ما بعيد عوى ذئب، فأشعرَها الصَّوت بالشَّجن والوحشة، لكنه لم يُقلِّل من جوعها.

أخيرًا، إذ ارتفعَ القمر فوق أراضي الكلأ، استسلمَت داني لنومٍ مضطرب.

وحلمَت. انجابَت همومها وآلامها جميعًا عنها، وبدا كأنها تطفو إلى السَّماء بالأعلى. من جديدٍ طارَت، دارَت، ضحكَت، رقصَت، ومن حولها لفَّت النُّجوم وهمسَت في أُذنها بالأسرار. «لتذهبي شمالًا يجب أن ترتحلي جَنوبًا، لتَبلُغي الغرب يجب أن تذهبي إلى الشَّرق، لتمضي قُدمًا يجب أن تعودي أدراجكِ، وكي تمسِّي النور عليكِ أن تمرِّي تحت الظِّل».

نادَت داني: «كويث؟ كويث، أين أنتِ؟».

ثم إنها رأتها. *قناعها من نور النُّجوم.*

وهمسَت لها النُّجوم بصوت امرأة: «تذكَّري مَن تكونين يا دنيرس. التَّنانين تعلم، فهل تعلمين؟».

استيقظَت في الصَّباح التَّالي متوجِّعةً متخشِّبة العضلات والنَّمل يزحف على ذراعيها وساقيها ووجهها. حين أدركَت ماهيته أسرعَت تُزيح سوق العُشب البنِّي الجاف التي صنعَت منها فِراشها وغطاءها ونهضَت بصعوبة. وجدَت جسدها كلَّه مغطًّى بلسعاتٍ حمراء صغيرة ملتهبة تستحكُّها، فسألَت نفسها: *من أين أتى كلُّ هذا النَّمل؟* نفضَته عن ساقيها وذراعيها وبطنها، ومرَّرت يدها على فروة رأسها حيث احترقَ شَعرها وشعرَت بالمزيد من النَّمل هناك، وبواحدةٍ تزحف على مؤخِّرة عُنقها. هذا أيضًا نفضَته وسحقَته بقدميها الحافيتين. نمل كثير للغاية...

واتَّضح أن كثيبه على الجانب الآخَر من جِدارها. تساءلَت كيف استطاعَ النَّمل أن يتسلَّقه ويجدها، فمؤكَّد أن بالنِّسبة إليه ترتفع الحجارة المتهدِّمة شاهقةً كـ(الجِدار) في (وستروس). كثيرًا ردَّد أخوها ڤسيرس: *أكبر جِدارٍ في العالم*، واعتادَ أن يقولها بفخرٍ كأنه شيَّده بنفسه.

حكى لها ڤسيرس حكاياتٍ عن فُرسان عاشوا في فقرٍ مدقع لدرجة أنهم لم يجدوا مكانًا ينالون فيه قسطًا من النَّوم إلَّا تحت الشُّجيرات العتيقة النَّامية على طُرق (الممالك السَّبع) الجانبيَّة، وكانت داني لتدفع ثَمنًا باهظًا مقابل أن تجد شُجيرةً كثيفةً تنام تحتها. *وحبَّذا لو كانت دون كثيب نمل.*

كانت الشَّمس في بداية رحلة الشُّروق، وفي السَّماء الزَّرقاء الدَّاكنة ثمَّة بضع نجماتٍ لامعة. *لعلَّ إحداها الگال دروجو الجالس على جواده النَّاري في أراضي اللَّيل يبتسم لي من أعلى.* ما زالَت (دراجونستون) ظاهرةً فوق الكلأ. *تبدو قريبةً للغاية. لا شكَّ أنني ابتعدتُ فراسخ عديدةً، لكنها تبدو كأنني أستطيعُ العودة إليها في غضون ساعة.* أرادَت أن تتمدَّد من جديدٍ وتُغمِض عينيها وتعود إلى النَّوم. *لا، عليَّ أن أواصل المشي. الغدير، اتبعي الغدير.*

استغرقَت داني لحظةً لتتأكَّد من اتِّجاهاتها، فلن ينفعها أن تسير في الطَّريق الخطأ وتفقد غديرها. بصوتٍ عالٍ قالت: «صديقي، إذا ظللتُ قريبةً من صديقي فلن أضلَّ الطَّريق». كانت لتنام إلى جوار الماء إذا جرؤَت، لكن هناك حيواناتٍ تأتي إلى الغدير ليلًا لتشرب، وقد رأت آثارها. ستكون داني بمثابة وجبةٍ زهيدة لذئبٍ أو أسد، لكن الوجبة الزَّهيدة أفضل من لا شيء.

ما إن تيقَّنت من اتِّجاه الجنوب بدأت تُحصى خُطواتها، وظهرَ الغدير عند الخُطوة الثَّامنة. ضمَّت داني يديها لتشرب، وبعد أن شربَت أصابَها الماء بانقباضاتٍ في معدتها، لكن الانقباضات أسهل احتمالًا من العطش، وليس لديها شيء آخَر تشربه إلَّا النَّدى الملتمع على أعواد العُشب، ولا طعام على الإطلاق ما لم تُجرِّب أكل العُشب نفسه. *يُمكنني أن أحاول أكل النَّمل.* النَّمل الأصفر أصغر من أن يُزوِّدها بأيِّ تغذية، لكن في العُشب نملًا أحمر أكبر. قالت وهي تتقدَّم عارجةً بمحاذاة غديرها المتعرِّج: «أنا ضائعة في البحر، فربما إذن أجدُ بعض السَّراطين أو سمكةً سمينةً».

مضَت وسوطها يُطَقطِق على فخذها بخفوت. خُطوةً بعد خُطوةٍ وسيقودها الغدير إلى الدِّيار.

بُعيد انتصاف النَّهار صادفَت شُجيرةً ناميةً إلى جوار الغدير، فروعها الملتوية مغطّاة بالتُّوت الأخضر الصُّلب. ضيَّقت داني عينيها رامقةً إياه بشكٍّ، ثم اقتطفَت واحدةً وقضمَت منها، فوجدَتها مضَّاغةً لاذعةً، وخلَّفت في فمها مذاقًا مُرًّا بدا لها مألوفًا. قالت حازمةً أمرها: «كانوا يستخدمون مِثل هذا التُّوت في الگالاسار لتنكيه الشِّواء»، ولمّا قالتها بصوتٍ مرتفع ازدادَت ثقتها بهذا. قرقرَ بطنها، ووجدَت داني نفسها تقطف التُّوت بكلتا يديها وتُلقيه في فمها.

وبعد ساعةٍ بدأ بطنها ينقبض بشدَّةٍ لدرجة أنها لم تستطِع مواصلة المشي، وقضَت بقيّة هذا النَّهار في تقيُّؤ مادَّةٍ خضراء لزجة. *سأموتُ إذا بقيتُ هنا. ربما أموتُ الآن بالفعل*. هل سيشقُّ إله الدوثراكي الحصان العُشب ويأخذها لتُصبِح جزءًا من گالاساره النَّجمي لتركب في أراضي اللَّيل مع الگال دروجو؟ في (وستروس) كانوا يُعطون موتى عائلة تارجاريَن للنَّار، لكن مَن سيُشعِل لها محرقةً هنا؟ بحُزنٍ فكَّرت: *سيُطعِم لحمي الذِّئاب وغِربان الجيف ويَنخُر الدُّود رحمي*. عادَت عيناها إلى (دراجونستون) فوجدَتها أصغر، ورأت الدُّخان ينبعث من قمَّتها التي نحتَتها الرِّيح على بُعد أميالٍ وأميال. *عادَ دروجون من الصَّيد*.

حلَّ عليها الغروب وهي مقرفصة في العُشب تئنُّ بشدَّة. ازدادَ ما يَخرُج من أحشائها سيبانًا وفاحَت منه رائحة أشنع، ولدى طلوع القمر كانت تتبرَّز ماءً بنِّيًا. كلَّما شربَت أكثر تبرَّزت أكثر، لكن كلَّما تبرَّزت أكثر اشتدَّ عطشها وأرسلَها تزحف إلى الغدير لتشرب المزيد.

وحين أغلقَت عينيها أخيرًا لم تدرِ داني إن كانت ستجد في نفسها القُدرة على فتحهما ثانيةً.

ليلتها حلمَت بأخيها الميت.

ظهرَ لها ڤسيرس كما رأته آخِر مرَّة، فمه ملتوٍ من الألم المبرِّح، وشَعره محروق، ووجهه أسود يتصاعَد منه الدُّخان حيث سالَ الذَّهب المصهور على جبهته ووجنتيه وفي عينيه.

قالت داني: «أنت ميت».

- *قتيل*. على الرغم من أن شفتيه لم تتحرَّكا فبوسيلةٍ ما سمعَت صوته يهمس في أذنها. *لم تبكيني قَطُّ يا أختاه. قسوة أن يموت المرء ولا يبكيه أحد.*

- «لقد أحببتك ذات يوم».

بمرارةٍ جعلَتها ترتجف قال: *ذات يوم. كان المفترَض أن تُصبِحي زوجتي، أن تحملي لي أطفالًا شَعرهم فضِّي وأعيُنهم ارجوانيَّة، أن تُحافِظي على نقاء دم التنِّين. لقد اعتنيتُ بكِ، علَّمتكِ مَن تكونين، أطعمتكِ، بعتُ تاج أمِّنا لكي لا تجوعي.*

- «لقد آذيتني، روَّعتني».

- *فقط إذا أيقظتِ التنِّين. لقد أحببتكِ.*

- «بل بعتني، خنتني».

- *لا، إنما أنتِ الخائنة. أنتِ انقلبتِ عليّ، على لحمكِ ودمكِ. لقد خدعوني، زوجكِ أبو حصان وبرابرته كريهو الرَّائحة. كانوا مخادعين كاذبين، وعدوني بتاجٍ من ذهب وأعطوني هذا.* قالها أخوها ماسًّا الذَّهب المصهور السَّائل على وجهه، وتصاعدَ الدُّخان من إصبعه.

قالت داني: «كنت ستحظى بتاجك. كان شمسي ونجومي سيظفر لك به لو أنك انتظرت فقط».

- انتظرتُ بما فيه الكفاية، طوال حياتي انتظرتُ. كنتُ ملكهم، ملكهم الشَّرعي، وضحكوا مني.

- «كان يَجدُر بك البقاء في (پنتوس) مع الماچستر إليريو. كان على الگال دروجو أن يُقدِّمني للدوش گالين، لكنك لم تكن مضطرًّا إلى المجيء معنا. كان هذا خيارك، خطأك».

- هل تُريدين إيقاظ التِّنين أيتها العاهرة الحمقاء؟ گالاسار دروجو كان لي. لقد اشتريتهم منه، مئة ألف خيَّال صارخ، دفعتُ ثَمنهم ببكارتكِ.

- «لم تفهم قَطُّ. الدوثراكي لا يبيعون ويشترون، بل يمنحون الهدايا ويقبلونها. لو أنك انتظرت...».

- لقد انتظرتُ، انتظرتُ تاجي وانتظرتُ عرشي وانتظرتكِ، كلَّ هذه السِّنين ظللتُ منتظرًا وفي النِّهاية ما نلتُ إلَّا مِلء جرَّةٍ من الذَّهب المصهور. لماذا أعطوكِ أنتِ بيضات التَّنانين؟ كان المفروض أن تصير لي. لو كان عندي تنِّين لعلَّمت العالم معنى كلماتنا.

بدأ ڤسيرس يضحك إلى انسلخَ فكُّه عن وجهه باعثًا الدُّخان وسالَ الدَّم والذَّهب من فمه.

ولمَّا استيقظَت دنيرس شاهقةً وجدَت فخذيها ملطَّختين بالدَّم.

للحظةٍ لم تُدرِك ماهيته. كان العالم قد بدأ يُضيء للتّوّ والعُشب الطّويل يحفُّ في الرِّيح. *لا، أرجوك، دعني أنامُ أكثر. إنني متعَبة للغاية*. حاولَت أن تغوص تحت كومة العُشب الذي مزَّقته قبل الخلود إلى النَّوم، وشعرَت ببعض السُّوق مبتلًّا. هل أمطرَت السَّماء ثانيةً؟ اعتدلَت تجلس خاشيةً أنها تبرَّزت على نفسها في نومها، ولمّا قرَّبت أصابعها من وجهها شمَّت رائحة الدَّم. *أتُراني احتضَرُ؟* ثم إنها رأت الهلال الشَّاحب طافيًا في السَّماء فوق العُشب، وخطرَ لها أنه نزيفها القمري لا أكثر.

لو لم تكن مريضةً خائفةً لأشعرَها هذا بالرَّاحة، لكنها بدلًا من ذلك بدأت ترتعش بعُنف. فركَت أصابعها في التُّراب وأمسكَت حفنةً من العُشب لتمسح بين ساقيها. *التنّين لا يبكي*. إنها تنزف، لكنه دم أنثوي لا أكثر. *إلّا أن القمر لا يزال هلالًا، فكيف يُمكن ذلك؟* حاولَت أن تتذكَّر آخِر مرَّةٍ نزفَت. البدر التَّام السَّابق؟ الذي قبله؟ قبل الذي قبله؟ *لا، لا يُعقَل أن تلك المُدَّة الطَّويلة مرَّت*. قالت للعُشب: «أنا دم التنّين».

ردَّ العُشب همسًا: *كنتِ، إلى أن قيَّدتِ تنّينيكِ بالسَّلاسل في الظَّلام*.

- «دروجون قتلَ بنتًا صغيرةً. كان اسمها... اسمها...». لم تستطِع داني أن تتذكَّر اسم الطِّفلة، وأحزنَها هذا لدرجة أنها كانت لتبكي لو أن دموعها لم تحترق عن آخِرها. «لن أنجب بنتًا صغيرةً أبدًا. كنتُ أمَّ التَّنانين».

قال العُشب: *نعم، لكنكِ انقلبتِ على أطفالكِ*.

معدتها خالية، وقدماها متألِّمتان متقرِّحتان، وتحسُّ بالانقباضات تزداد سوءًا، وببطنها مليئًا بثعابين ساعية تلدغ أحشاءها. غرفَت مِلء يديها الرَّاجفتين من الطَّمي والماء. عند انتصاف النَّهار سيكون الماء دافئًا، لكنه أقرب إلى البرودة الآن في برد الفَجر وساعدَها على إبقاء عينيها مفتوحتين. بينما تَنثُر الماء على وجهها رأت دمًا جديدًا يُلوِّث فخذيها وحاشية قميصها التَّحتي المهترئة، وأثارَ مشهد كلِّ هذا الأحمر ذُعرها. قالت لنفسها: *النَّزيف القمري، إنه نزيفي القمري لا أكثر*، لكنها لا تَذكُر سيلان الدَّم منها بهذه الغزارة من قبل. *أيُمكن أنه الماء؟* إذا كان الماء فهي هالكة لا محالة. عليها أن تشرب أو تموت ظمأً.

حدَّثت داني نفسها آمرةً: «امشي، اتَّبعي الغدير وسيأخذكِ إلى (السكاهازاذان). هناك سيجدكِ داريو»، لكن مجرَّد نهوضها على قدميها تطلَّب قوَّتها كلَّها، ولمَّا نهضَت لم تستطِع إلَّا الوقوف في مكانها محمومةً تنزف. رفعَت عينيها إلى السَّماء الزَّرقاء الخالية وضيَّقتهما رامقةً الشَّمس، وأدركَت مفزوعةً أن نِصف الصَّباح انقضى بالفعل. جعلَت نفسها تأخذ خُطوةً، ثم أخرى، ثم عادَت تمشي متَّبعة الغدير الرَّفيع.

شيئًا فشيئًا ازدادَ النَّهار دفئًا، وانهالَت أشعَّة الشَّمس بالضَّرب على رأسها وبقايا شَعرها المحروقة. شعرَت بالماء يتناثَر تحت قدميها، ووجدَت نفسها تسير في مجرى الغدير نفسه. منذ متى تفعل هذا؟ أراحها ملمس الطَّمي البنِّي الطَّري بين أصابع قدميها وخفَّف ألم قروحهما قليلًا. *تحت منسوب الماء أو فوقه عليَّ أن أواصل المشي. الماء يتدفَّق إلى أسفل، وسيأخذني الغدير إلى النَّهر، والنَّهر سيأخذني إلى الوطن.*

إلَّا أنه لن يأخذها إلى وطنها حقًّا.

(ميرين) ليست وطنها ولن تكون أبدًا. إنها مدينة من البَشر الغُرباء والآلهة الغريبة والشَّعر الأغرب، من النخَّاسين الملتفِّين بالتوكارات المهذَّبة، حيث تُكتسَب النِّعمة بالدَّعارة ويُشار إلى المجازر باعتبارها فنًّا ويعدُّ لحم الكلاب من الأطايب. ستظلُّ (ميرين) مدينة الهارپي دومًا، ودنيرس لن تُصبِح هارپي.

بنبرة چورا مورمونت الخشنة قال العُشب: *أبدًا. لقد حذَّرتكِ يا جلالة الملكة، قلتُ لكِ أن تدعي هذه المدينة وشأنها، قلتُ لكِ إن حربكِ في (وستروس).*

لم يكن الصَّوت أعلى من همسة، إلَّا أن داني شعرَت كأنه يمشي وراءها مباشرةً. *دُبِّي، دُبِّي العجوز الجميل الذي أحبَّني وخانَني.* لكم افتقدَته. تُريد أن ترى وجهه القبيح، أن تُطوِّقه بذراعيها وتضغط نفسها إلى صدره، لكنها تعلم أنها إذا التفتَت فلن تجد السير چورا. قالت: «إنني أحلمُ. هذا حُلم يقظة، حُلم مشي. أنا وحيدة وضائعة».

تمتمَ السير چورا بنعومة الرِّيح: *ضائعة لأنكِ مكثتِ في مكانٍ لم يكن يجب أن تذهبي إليه أبدًا.* وحيدة *لأنكِ صرفتِني من جانبكِ.*

- «لقد خُنتني، تجسَّست عليَّ من أجل الذَّهب».
- *من أجل الوطن. لم أُرِد إلَّا الوطن.*
- «وأنا، أردتني أيضًا». رأت داني هذا في عينيه.

همسَ العُشب بحُزن: *نعم.*

- «وقبَّلتني. لم آذن لك قَطُّ لكنك قبَّلتني. بعتني لأعدائي، لكن قُبلتك كانت صادقةً».

- *لقد أخلصتُ إليكِ النَّصيحة. قلتُ لكِ أن تدَّخري جِرابكِ وسيوفكِ لـ(وستروس)، قلتُ لكِ أن تدعي (ميرين) لأهلها وتذهبي غربًا، وأبيتِ الإصغاء.*

- «كان عليَّ أن آخذ (ميرين) أو أرى أطفالي يموتون من الجوع في أثناء الزَّحف». ما زالَت ترى أثر الجُثث الذي خلَّفته وراءها خلال عبور (القفر الأحمر)، وليس هذا بالمنظر الذي تُريد أن تراه ثانيةً. «كان عليَّ أن آخذ (ميرين) لأطعم قومي».

- *وأخذتِ (ميرين)، ومع ذلك مكثتِ.*

- «لأكون ملكةً».

قال دُبُّها: *أنتِ ملكة... في (وستروس).*

- «الطَّريق طويل جدًّا. كنتُ متعَبةً يا چورا، سئمتُ الحرب وأردتُ أن أستريح، أن أضحك، أن أزرع الشَّجر وأراه ينمو. إنني مجرَّد فتاةٍ صغيرة».

كان الهمس يزداد خفوتًا كأن السير چورا يتخلَّف عنها رويدًا رويدًا إذ قال: *لا، بل أنتِ دم التِّنين. التَّنانين لا تزرع الشَّجر. تذكَّري مَن أنتِ، ما خُلِقتِ لتكونيه. تذكَّري كلماتكِ.*

قالت دنيرس للكلأ المتمايل: «*النَّار والدَّم*».

انقلبَ حجر تحت قدمها فتعثَّرت وسقطَت على رُكبتها وصاحَت ألمًا آملةً رغم انعدام الأمل أن ينجدها دُبُّها ويُساعِدها على النُّهوض، لكن حين أدارَت رأسها تبحث عنه لم ترَ إلَّا المياه البنِّيَّة الجارية... والعُشب لا يزال يتحرَّك على مهل. قالت لنفسها: *إنها الرِّيح، الرِّيح تهزُّ الأعواد وتجعلها تتمايَل.* على أن الرِّيح ساكنة الآن، والشَّمس فوقها مباشرةً، والعالم هادئ ساخن. الهواء يعجُّ بالهاموش، وفوق الغدير يطير يعسوب مندفعًا هنا وهناك، والعُشب يتحرَّك على الرغم من غياب ما يُسبِّب حركته.

نقَّبت في الماء حتى وجدَت حجرًا بحجم قبضتها ورفعَته من الطَّمي. سلاح رديء لكنه أفضل من اليد العزلاء. بركن عينها رأت داني العُشب يتحرَّك ثانيةً إلى يمينها، يتمايَل وينحني بشدَّةٍ كأنه في حضرة ملك، لكن لا ملك ظهرَ لها.

العالم أخضر فارغ، العالم أخضر صامت، العالم أصفر يُحتضَر.

عليّ أن أنهض. يجب أن أمشي وأواصل اتِّباع الغدير.

وعبر الكلأ جاءَ رنين فضّي خافت.

مبتسمةً فكَّرت داني: *أجراس*، وتذكَّرت شمسها ونجومها الگال دروجو والأجراس في ضفيرة شَعره. *عندما تُشرِق الشَّمس من الغَرب وتَغرُب في الشَّرق، عندما تجفُّ البحور وتعصف الرِّيح بالجبال كأنها أوراق الشَّجر، عندما ينتفخ بطني من جديدٍ وأحملُ طفلًا حيًا في رحمي سيعود إليّ الگال دروجو.*

لكن لا شيء من هذا حدثَ. تارةً أخرى فكَّرت: *أجراس*. خيَّالة دمها وجدوها. همسَت: «آجو، چوجو، راگارو». هل أتى داريو معهم؟

انشقَّ البحر الأخضر وظهرَ خيَّال... ضفيرته سوداء لامعة، وبشرته داكنة كالنُّحاس المصقول، وعيناه بشكل حبَّتين من اللَّوز المُر، وفي شَعره تُغنّي الأجراس، ويتمنطَق بحزامٍ من الرَّصائع ويرتدي صُدرةً ملوَّنةً، ويُعلِّق على أحد وَركيه أراخًا وعلى الآخر سوطًا، ومن سَرجه يتدلَّى قوس صيدٍ وجَعبة سهام.

خيَّال واحد بمفرده، كشَّاف. إنه ممَّن يركبون أمام الگالاسار ليجدوا الفرائس والعُشب الأخضر النَّضر ويتصيَّدوا الأعداء أينما كانوا مختبئين، وإذا وجدَها هنا فسيَقتُلها أو يغتصبها أو يستعبدها، وفي أفضل الأحوال سيُرسِلها إلى حيزبونات الدوش گالين حيث يُفترَض أن تذهب الگاليسي الصَّالحة بعد وفاة گالها.

غير أنه لم يرَها، فالعُشب يُخفيها، والرَّجل يَنظُر في اتِّجاهٍ آخَر. تابعَت داني عينيه، وها هو ذا الظِّلُّ يُحلِّق بجناحين منبسطين عن آخِرهما. يَبعُد التنِّين ميلًا كاملًا، ومع ذلك تجمَّد الكشَّاف في مكانه حتى بدأ فحله يصهل خوفًا، فبدا كأنه استيقظَ من حُلمٍ وتحرَّك ودارَ بمطيَّته وانطلقَ يُهَروِل عبر العُشب الطَّويل.

شاهدَته داني يبتعد، ولمَّا غابَ صوت الحوافر وسادَ الصَّمت بدأت تصيح.

نادَت حتى بُحَّ صوتها... وجاءَ دروجون نافثًا أعمدة الدُّخان. انحنى العُشب أمامه، ووثبَت داني ممتطيةً إياه عالمةً أن روائح الدَّم والعَرق والخوف تفوح منها، لكن شيئًا من هذا لا يهمُّ. شدَّت ساقيها العاريتين حول عُنق التنِّين قائلةً: «لأمضي قُدمًا يجب أن أعود أدراجي»، وركلَته فألقى دروجون نفسه في السَّماء. كانت قد فقدَت سوطها، فاستخدمَت يديها وقدميها ووجَّهته إلى الشَّمال الشَّرقي حيث اتَّجه الكشَّاف، وذهبَ دروجون مذعنًا، إذ ربما اشتمَّ خوف الخيَّال.

بعد لحظاتٍ معدودة تجاوَزا الدوثراكي المهرول بعيدًا بالأسفل، وإلى اليمين واليسار لمحَت داني بقاعًا احترقَ فيها الكلأ وصارَ رمادًا. *سبقَ لدروجون أن أتى هنا*. كسلسلةٍ من الجُزر الرَّماديَّة رقَّطت آثار صيده البحر العُشبي الأخضر.

ظهرَ قطيع هائل من الخيول تحتهما، ورأت خيَّالةً أيضًا، عشرين أو أكثر، إلَّا أنهم داروا وهربوا بمجرَّد مرأى التنِّين، ونكصَت الخيول واندفعَت تجري عندما سقطَ عليها الظِّلُّ، تَركُض بأقصى سرعتها عبر العُشب حتى غطَّت الرَّغوة جوانبها وتُجرِّف التُّربة بحوافرها... لكن مهما كانت سرعتها فإنها لا تستطيع الطَّيران، وسرعان ما بدأ أحدها يتخلَّف عن القطيع، وانقضَّ عليه التنِّين زائرًا، وفي غمضة عينٍ اشتعلَت النَّار في الحيوان المسكين، وعلى الرغم من ذلك ظلَّ بوسيلةٍ ما يَركُض ويُطلِق صرخةً تلو صرخة، إلى أن حطَّ دروجون عليه وكسرَ ظَهره، فيما تشبَّثت داني بعُنق التنِّين بكلِّ قوَّتها كي لا تَسقُط.

الجثَّة أثقل من أن يحملها دروجون إلى عرينه، فالتهمَ الحيوان القتيل في مكانه ممزِّقًا اللَّحم المتفحِّم وقد اشتعلَ العُشب من حولهما وأفعمَ الهواء الدُّخان ورائحة شَعر الخيل المحروق. انزلقَت داني المتضوِّرة جوعًا من فوق ظَهره وأكلَت معه منتزعةً قِطع اللَّحم من الحصان الميت بيديها المحروقتين العاريتين. في (ميرين) *كنتُ ملكةً أرتدي الحرير وآكلُ التَّمر المحشوَّ والضَّأن بالعسل. ماذا كان زوجي النَّبيل ليقول لو أنه رآني الآن؟* لأصابَ الذُّعر هيزدار لا ريب، أمَّا داريو...

كان داريو ليضحك ويقتطع قطعةً من لحم الحصان بأراخه ويُقعي ليأكل إلى جوارها.

بينما اصطبغَت سماء الغرب بلون الكدمة الدَّامية سمعَت داني صوت خيولٍ تدنو، فقامَت ومسحَت يديها على قميصها التَّحتي المهترئ وذهبَت تقف إلى جوار تنِّينها.

وعلى هذه الحال وجدَها الكَال چهاكو عندما خرجَ نِصفمئة من الخيَّالة المُحاربين من الدُّخان المنجرف.

أعلنَ فارس (وكر الجَرافِن): «لستُ خائنًا. أنا رجل الملك تومن ورجلك».

تخلَّل كلماته صوت تقطُّر ماءٍ ثابت إذ سالَ الثَّلج الذَّائب من على معطفه مكوِّنًا بِركةً صغيرةً على الأرض. طيلة اللَّيلة الماضية تقريبًا ظلَّ الثَّلج يَسقُط على (كينجز لاندنج)، وبالخارج ترتفع أكوامه حتى الكاحل.

أحكمَ السير كيڤان لانستر معطفه على جسده قائلًا: «هذا ما تقوله أنت أيها الفارس. الكلام هواء».

- «إذن دَعني أثبتْ صحّته بسيفي». كان ضوء المشاعل يُضفي وهجًا ناريًا على شَعر رونيت كوننجتون الأحمر الطَّويل ولحيته. «أرسِلني ضد عمِّي وسآتيك برأسه، ورأس التنِّين الزَّائف أيضًا».

بطوال جِدار قاعة العرش الغربي يقف حَرس لانستر حاملي الحِراب مرتدين المعاطف القرمزيَّة ومعتمرين الخوذات القصيرة المزوَّدة بريشة الأسد، وعند الجِدار المقابل يقف في مواجهتهم حَرس تايرل بمعاطفهم الخضراء. البرودة في القاعة ملموسة، وعلى الرغم من غياب الملكة سرسي والملكة مارچري فما زالَ حضورهما محسوسًا يُسمِّم الهواء كأنهما شبحان في مأدبة.

وراء المائدة الجالس إليها خمسة أعضاء مجلس الملك الصَّغير يجثم العرش الحديدي كوحشٍ أسود هائل، بروزاته ومخالبه ونصاله الحادَّة شِبه متوارية في الظِّل، ويَشعُر به كيڤان لانستر في ظَهره كحكَّةٍ بين لوحَي كتفيه. من السَّهل أن يتخيَّل الملك إيرس العجوز قابعًا هناك، ينزف من جرحٍ جديد ويُحدِّق من أعلى باكفهرار. لكن العرش خالٍ اليوم، إذ لم يرَ السير كيڤان سببًا يستدعي انضمام تومن إليهم. الأرحم أن يَترُك الصَّبي مع أمِّه، فالآلهة وحدها تعلم كم من الوقت ستبقى الأُم والابن معًا قبل مُحاكمة سرسي... وإعدامها المحتمَل.

كان مايس تايرل يقول: «سوف نتعامَل مع عمِّك وفتاه المزيَّف في الوقت المناسب». يجلس يد الملك الجديد على عرشٍ من خشب السَّنديان المنحوت على شكل يد، قطعة سخيفة من الخيلاء جاءَ بها حضرة اللورد في اليوم نفسه الذي وافقَ فيه السير كيڤان على تكليفه بالمنصب الذي اشتهاه. «ستنتظر هنا حتى نُصبِح مستعدِّين للزَّحف، وعندها ستنال فُرصة إثبات ولائك».

لم يجد السير كيڤان في هذا غضاضةً، فقال: «اصحبوا السير رونيت إلى مسكنه»، ولم يجد داعيًا لأن يُضيف: *واحرصوا على بقائه هناك*. مهما علَت اعتراضاته على الاتِّهام يظلُّ فارس (وكر الجَرافِن) مشتبهًا به، فالمفترَض أن المرتزِقة الذين رسوا في الجنوب يقودهم واحد من أهله.

مع تلاشي أصداء خُطوات كونجتون هزَّ المِايستر الأكبر پايسل رأسه هزَّةً ثقيلةً، وقال: «ذات يومٍ وقفَ عمُّ الفتى في البُقعة ذاتها التي وقفَ فيها الآن وأخبرَ الملك إيرس بأنه سيأتيه برأس روبرت باراثيون».

هذا ما يَحدُث عندما يَبلُغ المرء من الكبَر عتيًّا كپايسل. كلُّ شيءٍ تراه أو تسمعه يُذكِّرك بشيءٍ رأيته أو سمعته وأنت أصغر.
سألَ السير كيڤان: «كم رجلًا مسلَّحًا رافقَ السير رونيت إلى المدينة؟».

أجابَه اللورد راندل تارلي: «عشرون، أكثرهم من طُغمة جريجور كليجاين القديمة. چايمي ابن أخيك أعطاهم لكوننجتون، وأراهنُ أنه فعلَ هذا ليُخلِّص نفسه منهم. لم يكن يوم واحد قد مرَّ على وجودهم في (بِركة العذارى) قبل أن يَقتُل أحدهم رجلًا ويُتَّهم آخَر بالاغتصاب. الأول شنقته والثَّاني خصيته. لو كان الأمر بيدي لأرسلتهم جميعًا إلى حَرس اللَّيل، بمَن فيهم كوننجتون. (الجِدار) المكان الأمثل لهؤلاء الحُثالة».

أعلنَ مايس تايرل: «الكلب يتطبَّع بطباع سيِّده. المعاطف السَّوداء تُناسِبهم، أوافقك الرَّأي. لن أسمح بوجود رجالٍ مِثلهم في حَرس المدينة». كان مئة من رجاله المقسمين لـ(هايجاردن) قد أضيفوا إلى ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، لكن من الجليِّ أن حضرة اللورد عازم على مقاومة أيِّ محاولةٍ لإضافة المزيد من الغربيِّين لموازنة القُوى.

كلَّما أعطيته أكثر أرادَ المزيد. بدأ كيڤان لانستر يفهم نقمة سرسي المتضاعفة على آل تايرل، لكن الوقت ليس مناسبًا للدُّخول في صدامٍ مفتوح. راندل تارلي ومايس تايرل كلاهما جلبَ جيشًا إلى (كينجز لاندنج)، في حين يبقى السَّواد الأعظم من قُوَّة عائلة لانستر في أراضي النَّهر ويضمحلُّ بسرعة. قال بنبرة استرضاء: «لطالما كان رجال الجبل مُقاتلين، وقد نحتاج إلى كلِّ سيفٍ في مواجهة هؤلاء المرتزِقة. إذا كانت هذه هي الجماعة الذَّهبيَّة حقًّا كما يُؤكِّد هامسو كايبرن...».

قاطعَه راندل تارلي: «سمِّهم كما تشاء، لكنهم في النِّهاية مجرَّد مُغامرين».

قال السير كيڤان: «ربما، لكن كلَّما طالَ تجاهُلنا هؤلاء المُغامرين ازدادوا قوَّةً. لقد جهَّزنا خريطةً، خريطةً لتوغُّلاتهم. أيها المِايستر الأكبر».

الخريطة جميلة حقًّا، مرسومة بيد مِايستر على فرخٍ من أجود أنواع جِلد العجول، وكبيرة لدرجة أنها غطَّت الطَّاولة. قال پايسل مشيرًا بيدٍ مبقَّعة: «هنا». حيث ينحسر كُم ردائه لاحَت قطعة متهدِّلة من الجِلد الشَّاحب متدلِّية من أسفل ساعِده. «وهنا وهنا، بطول السَّاحل وعلى الجُزر. (تارث)، (الأعتاب)، وحتى (إسترمونت). والآن بلغَتنا تقارير عن زحف كوننجتون على (ستورمز إند)».

علَّق راندل تارلي: «إن كان چون كوننجتون حقًّا».

- «(ستورمز إند)». أطلقَ اللورد مايس تايرل الاسم كأنه أنين. «لن يُمكنه أن يأخذ (ستورمز إند) ولو كان إجون الفاتِح نفسه. وإذا فعلَ فماذا في هذا؟ إنها تابعة لستانيس الآن. فلندع القلعة تؤول من مدَّعٍ إلى آخَر، فيمَ يُزعِجنا ذلك؟ سأعيدُ الاستيلاء عليها بعد ثبوت براءة ابنتي».

كيف تُعيد الاستيلاء عليها وأنت لم تستولِ عليها من الأصل؟

«مفهوم يا سيِّدي، ولكن...».

لم يدعه تايرل يُكمِل، إذ قال: «هذه الاتِّهامات ضد ابنتي أكاذيب حقيرة. مرَّةً أخرى أسألُ، ما الذي يُجبِرنا على احتمال هذه المهزلة؟ اجعل الملك تومن يُعلِن براءة ابنتي أيها الفارس ويضع نهايةً لهذه الحماقة هنا والآن».

افعل ذلك وستُطارِد الهمسات مارچري ما تبقَّى من حياتها. «لا أحد يشكُّ في براءة ابنتك يا سيِّدي، لكن صاحِب القداسة الأعلى مصرٌّ على المُحاكمة».

قال راندل تارلي بازدراء: «ماذا أصبحنا إن كان على الملوك وكبار اللوردات الرَّقص على زقزقة العصافير؟».

- «إن لنا أعداءً في كلِّ مكان أيها اللورد تارلي. ستانيس في الشَّمال، والحديديُّون في الغرب، والمرتزِقة في الجنوب. تحدَّ السِّپتون الأعلى وسنجد الدِّماء تتدفَّق في أزقَّة (كينجز لاندنج) أيضًا. إذا رآنا النَّاس نُعارِض الآلهة فسندفع المتديِّنين إلى أحضان أحد الرَّاغبين في اغتصاب العرش».

لم يتزحزَح مايس تايرل، وقال: «ما إن يكتسح پاكستر ردواين الحديديِّين من البحر سيستردُّ أبنائي (الثُّروس). ستانيس ستقضي عليه الثُّلوج أو بولتون. وبالنِّسبة إلى كوننجتون...».

علَّق اللورد تارلي: «إن كان هو».

- «... وبالنِّسبة إلى كوننجتون فما الانتصارات التي حقَّقها من قبل لنخشاه؟ كان بإمكانه أن يقمع ثورة روبرت في (السِّپت الحجري) وفشلَ، تمامًا كما فشلَت الجماعة الذَّهبيَّة دومًا. قد يندفع بعضهم إلى الانضمام إليه، نعم، وخيرٌ للبلاد الخلاص من هؤلاء الحمقى».

تمنَّى السير كيڤان لو يُشارِكه يقينه. لقد عرفَ چون كوننجتون... قليلًا. كان شابًّا مفعمًا بالكبرياء، الأشد عنادًا بين مجموعة اللوردات الصِّغار الذين تحلَّقوا حول الأمير ريجار تارجاريَن وتنافَسوا على حظوته. مغرور *لكن قدير نشيط*. لهذا، بالإضافة إلى مهارته في السِّلاح، قلَّده الملك المجنون إيرس اليدويَّة، بعد أن سمحَ تراخي اللورد ميريويذر العجوز للثَّورة بالاستفحال والانتشار. أرادَ إيرس أحدًا يتمتَّع بالشَّباب والبطش ليكون ندًّا لشباب روبرت وبطشه، ولمَّا بلغَ الخبر (كاسترلي روك) أعلنَ اللورد تايوين لانستر: «تعجَّل للغاية. كوننجتون أصغر من اللَّازم وأجرأ من اللَّازم ومتشوِّق للمجد أكثر من اللَّازم».

وأثبتَت معركة الأجراس صحَّة هذا. توقَّع السير كيڤان بعدها أن إيرس لن يجد خيارًا إلَّا استدعاء تايوين من جديد... لكنَّ الملك المجنون لجأ إلى اللوردين تشيلستد ورزارت بدلًا من ذلك، ودفعَ الثَّمن بحياته وتاجه. *لكن ذلك كان منذ زمنٍ طويل. إذا كان هذا چون كوننجتون بالفعل فسيكون رجلًا مختلفًا، أكبر سِنًّا وأصلب وأكثر خبرةً... وأخطر.* «قد يكون مع كوننجتون ما هو أكثر من الجماعة الذَّهبيَّة. يُقال إن معه فتًى يدَّعي أنه من آل تارجاريَن».

قال راندل تارلي: «ليس أكثر من فتى مزيَّف».

- «ربما، وربما لا». كان كيڤان لانستر موجودًا في هذه القاعة عندما وضعَ تايوين جثّتي طفلَي الأمير ريجار ملفوفتين بمعطفين قرمزيَّين عند قدم العرش الحديدي. كان واضحًا أن الفتاة هي الأميرة رِيينس، أمّا الصَّبي... *رُعب بلا وجهٍ من العظم وخلايا المُخ والدَّم وبضع خُصلٍ من الشَّعر الأشقر. لا أحد منا اطالَ النَّظر. تايوين قال إنه الأمير إجون وصدَّقناه.* «بلغَتنا هذه الحكايات الآتية من الشَّرق أيضًا. فرد آخَر من عائلة تارجارين، وهذه لا أحد يُمكنه التَّشكيك في نسبها. دنيرس وليدة العاصفة».

أعلنَ اللورد مايس تايرل: «مجنونة كأبيها».

الأب نفسه الذي آزرَته (هايجاردن) وعائلة تايرل حتى النِّهاية المريرة وما بعدها. «قد تكون مجنونةً، لكن مع كلِّ هذا الدُّخان المنجرف غربًا فمؤكَّد أن هناك نارًا ما مشتعلةً في الشَّرق».

أومأ المِايستر الأكبر پايسل برأسه قائلًا: «التَّنانين. القِصص نفسها بلغَت (البلدة القديمة)، قِصص أكثر من نتجاهلها. ملكة فضِّيَّة الشَّعر بثلاثة تنانين».

قال مايس تايرل: «في أقصى الأرض. ملكة (خليج النخَّاسين)، نعم. هنيئًا لها به».

قال السير كيڤان: «على هذا نتَّفق، لكن الفتاة من دم إجون الفاتِح، ولا أظنُّها ستقتنع بالبقاء في (ميرين) إلى الأبد. إذا وصلَت إلى سواحلنا وضمَّت قوَّتها إلى قوّة اللورد كوننجتون وأميره هذا سواء أكان مزيَّفًا أم لا... يجب أن نُدمِّر كوننجتون وهذا المدَّعي الآن قبل أن تأتي دنيرس وليدة العاصفة غربًا».

عقدَ مايس تايرل ذراعيه على صدره، وقال: «هذا ما أنوي فِعله تحديدًا أيها الفارس... بعد المُحاكمتيْن».

أعلنَ پايسل: «المرتزِقة يُقاتِلون في سبيل المال. قد نستطيع بما يكفي من ذهبٍ إقناع الجماعة الذَّهبيَّة بتسليم اللورد كوننجتون والمدَّعي».

قال السير هاريس سويفت: «أجل، لو كنا نملك الذَّهب. للأسف أيها السَّادة، خزائننا لا تحوي إلَّا الجرذان والصَّراصير. لقد كتبتُ للصَّيارفة المايريِّين ثانيةً. إذا وافَقوا على تسديد ديون التَّاج للبراڤوسيِّين ومنحنا قرضًا جديدًا فقد لا نضطرُّ إلى رفع الضَّرائب، وإلَّا...».

قال السير كيڤان: «ماچسترات (پنتوس) معروفون بإقراض الأموال أيضًا. جرِّبهم». يستبعِد أن يُساعِدهم الپنتوشيُّون أكثر من صيارفة (مير)، لكن لا مناص من بذل المجهود. ما لم يعثروا على مصدرٍ جديد للمال أو يُقنِعوا (المصرف الحديدي) بالصَّبر فلن يجد خيارًا إلَّا تسديد ديون التَّاج بذهب لانستر، فليس يجرؤ على اللُّجوء إلى المزيد من الضَّرائب فيما تعجُّ (الممالك السَّبع) بالمتمرِّدين. نِصف لوردات البلاد لا يستطيعون التَّفرقة بين الضَّرائب والطُّغيان، وسيهرعون إلى أقرب غاصِب في غمضة عينٍ إذا كان من شأن ذلك أن يُوفِّر عليهم قطعةً نُحاسيَّةً واحدةً. «إذا لم يُسفِر هذا عن نتيجة فقد يلزمك السَّفر إلى (براڤوس) للتَّعامُل مع (المصرف الحديدي) بنفسك».

جفلَ السير هاريس متسائلًا: «أهذا ضروري؟».

خاطبَه اللورد راندل بحدَّة: «أنت أمين النَّقد».

قال سويفت والشَّعر الأبيض المنفوش في طرف ذقنه يهتزُّ غضبًا: «نعم. أعليَّ أن أذكِّر سيِّدي بأن هذه المشكلة ليست من صُنعي؟ كما أن جميعنا لم ينَل فُرصة إعادة مَلء خزائنه بالغنائم من (بِركة العذارى) و(دراجونستون)».

مغضبًا قال مايس تايرل: «أرفضُ ما تُلمِّح إليه يا سويفت. أؤكِّدُ لك أن لا ثروة وُجِدَت في (دراجونستون). لقد فتَّش رجال ابني كلَّ شبرٍ من تلك الجزيرة الكئيبة الرَّطبة ولم يجدوا ولو جوهرةً أو شذرة تِبر واحدةً، ولا أثر لمخزون بيضات التَّنانين الأسطوري إياه كذلك».

رأى كيڤان لانستر (دراجونستون) بنفسه من قبل، ويشكُّ كثيرًا في أن لوراس تايرل فتَّش كلَّ شبرٍ من ذلك المعقل العتيق، فالڤاليريُّون هُم من شيَّدوه، وجميع أعمالهم تفوح منها رائحة الشَّعوذة. ثم إن السير لوراس شاب يجنح إلى إلقاء الأحكام جزافًا كديدن الشُّبَّان، وعلاوةً على ذلك أصيبَ بجروحٍ بليغة في أثناء اقتحام القلعة. على أن لا خير سيأتي من تذكير مايس تايرل بأن ابنه المفضَّل ليس معصومًا من الخطأ، وهكذا أعلنَ: «لو كانت في (دراجونستون) ثروة لوجدَها ستانيس. لننتقل إلى شؤونٍ أخرى أيها السَّادة. إن عندنا ملكتين ستُحاكَمان بتُهمة الخيانة العُظمى إن كنتم تَذكُرون. ابنة أخي أخبرَتني بأنها اختارَت المُحاكمة بالنِّزال، وسيُناصِرها السير روبرت سترونج».

قال اللورد راندل عابسًا: «العملاق الصَّامت».

سألَه مايس تايرل: «أخبِرني أيها الفارس، من أين أتى هذا الرَّجل؟ لِمَ لم نسمع اسمه من قبل؟ إنه لا يتكلَّم ولا يكشف وجهه ولا أحد يراه دون درعه أبدًا. هل نعرف يقينًا أنه فارس حقًّا؟».

لسنا نعرف إن كان حيًّا من الأصل. قال مرين ترانت إن سترونج لا يأكل أو يشرب، وأضافَ بوروس بلاونت إنه لم يرَ الرَّجل يذهب إلى المرحاض قَطُّ. *ولِمَ؟ الموتى لا يتبرَّزون*. عند كيڤان لانستر اشتباه قوي في هُويَّة السير روبرت الحقيقيَّة تحت درعه البيضاء البرَّاقة، وهو الاشتباه الذي يُشارِكه فيه مايس تايرل وراندل تارلي دون شك، لكن أيًّا كان الوجه الذي تُخفيه خوذة سترونج فعليه أن يبقى خفيًّا في الوقت الحالي، فالعملاق الصَّامت أمل ابنة أخيه الوحيد. *وأتمنَّى أن يكون مهيبًا حقًّا كما يبدو*.

لكن مايس تايرل يأبى أن يرى ما هو أبعد من التَّهديد ضدَّ ابنته، ولذا قال السير كيڤان يُذكِّره: «جلالة الملك عيَّن السير روبرت في الحَرس الملكي، وكايبرن يضمن الرَّجل أيضًا. على كلِّ حال، إننا محتاجون إلى انتصار السير روبرت أيها السَّادة. إذا أدينَت ابنة أخي بالخيانة فستُصبِح شرعيَّة أطفالها محلَّ شك، وإذا لم يَعُد تومن ملكًا فلن تعود مارچري ملكةً»، وتركَ تايرل يتفكَّر في هذا لحظةً قبل أن يُتابِع: «أيًّا كان ما فعلَته سرسي فإنها لا تزال بنت (الصَّخرة) ومن دمي. لن أتركها تموت ميتة الخونة، لكنني حرصتُ على خلع أنيابها. جميع حُرَّاسها صُرِفوا وحلَّ محلَّهم رجالي، وبدلًا من وصيفاتها السَّابقات ستُرافِقها من الآن فصاعدًا سِپتة وثلاث مترهبنات اختارَهن السِّپتون الأعلى. لن يعود لها صوت في حُكم البلاد أو في تعليم تومن، كما أنني أنوي إعادتها إلى (كاسترلي روك) بعد المُحاكمة والعمل على بقائها هناك. اقنعوا بهذا».

تركَ البقيّة بلا قول. سرسي بضاعة تالفة الآن وبلغَت سُلطتها منتهاها. كلُّ صبيّ خبّاز وشحّاذ في المدينة شهدَ عارها، وكلُّ عاهرةٍ ودبّاغ من (جُحر البراغيث) إلى (شارع المراحيض) رأى عُريها وزحفَت أعيُنهم بشبقٍ على ثدييها وبطنها وعُضوها الأنثوي. لا ملكة تتوقّع أن تَحكُم ثانيةً بعد شيءٍ كهذا. بالحرير والذّهب والزُّمرُّد كانت سرسي ملكةً، أقرب ما يكون إلى إلهة، أمّا عاريةً فهي مجرّد إنسانة، امرأة تتقدّم في السِّنّ وعلى بطنها آثار الحمل وبدأ ثدياها يتهدّلان... وهو ما حرصَت السَّليطات في الزِّحام على ذِكره لأزواجهن وعُشّاقهن. قال السير كيڤان لنفسه: *الحياة في العار خيرٌ من الموت بكبرياء*، وقال لمايس تايرل مؤكِّدًا: «لن تصنع ابنة أخي مزيدًا من المتاعب. لك كلمتي يا سيِّدي».

أومأ تايرل برأسه على مضضٍ قائلًا: «كما تقول. ابنتي مارجري تُفضِّل أن تُحاكِمها العقيدة لتشهد البلاد كلُّها على براءتها».

كان السير كيڤان ليسأله: *إذا كانت ابنتك بريئةً كما تُريدنا أن نعتقد فلِمَ تصرُّ على حضور جيشك حين تُواجِه متَّهِميها؟* لكنه قال بدلًا من ذلك: «قريبًا على ما آملُ»، ثم التفتَ إلى المِايستر الأكبر پايسل يسأله: «هل من شؤونٍ أخرى؟».

راجعَ المِايستر الأكبر أوراقه مجيبًا: «ينبغي أن نُناقِش تركة (روزبي). ستّة ادّعاءات قُدِّمَت...».

- «يُمكننا أن نسوِّي مسألة (روزبي) في وقتٍ آخَر. ماذا أيضًا؟».

- «علينا إجراء ترتيبات استقبال الأميرة مارسلا».

قال مايس تايرل: «هذا ما يأتي من التَّعامُل مع الدورنيِّين. مؤكَّد أن إيجاد زوجٍ أفضل للفتاة ممكن، أليس كذلك؟».

كابنك ويلاس مثلًا؟ هي شوَّهها دورني وهو أعجزَه آخَر؟ «لا ريب، لكن لنا أعداءً بما فيه الكفاية دون أن نُهين (دورن). إذا ضمَّ دوران مارتل قوَّته إلى كوننجتون دعمًا لهذا التنِّين الزَّائف فلن تمضي الأمور في صالحنا على الإطلاق».

قال السير هاريس سويفت بضحكةٍ مكتومة مزعجة: «قد يُمكننا إقناع أصدقائنا الدورنيِّين بالتَّعامُل مع اللورد كوننجتون. سيُوفِّر هذا علينا الكثير من الدِّماء والمتاعب».

ردَّ السير كيڤان بإرهاق: «صحيح». حانَ الوقت لوضع نهايةٍ للاجتماع، وهذا قال: «أشكركم أيها السَّادة. لنجتمع ثانيةً بعد خمسة أيام من اليوم، بعد مُحاكمة سرسي».

- «كما تقول. عسى أن يبثَّ (المُحارب) القوَّة في ذراعَي السير روبرت». قال مايس تايرل العبارة كرهًا، وعلى سبيل الكياسة هزَّ ذقنه للورد الوصي هزَّةً تكاد لا تُرى، لكن هذا أفضل من لا شيء، وهو ما أشعرَ كيڤان لانستر بالامتنان.

غادرَ راندل تارلي القاعة مع اللورد ولي أمره، ووراءهما مباشرةً ثلاثة من حمَلة الحِراب بمعاطف خضراء، وفكَّر السير كيڤان إذ شاهدَهما يرحلان: *تارلي هو الخطر الحقيقي. رجل ضيِّق الأُفق لكنه محنَّك قوي الإرادة، ومن أفضل مَن يتباهى بهم (المرعى) من أجناد. لكن كيف أكسبه إلى صفِّنا؟*

بعد خروج اليد قال المِايستر الأكبر پايسل بكآبة: «اللورد تايرل لا يحبُّني. مسألة شاي القمر هذه... لم أكن لأذكر شيئًا عنه على الإطلاق، لكن الملكة الأُم أمرَتني! بعد إذن جناب اللورد الوصي، سأنامُ قرير العين إذا أعرتني بعض حَرسك».

- «قد يُسيء اللورد تايرل فهم هذا».

شدَّ السير هاريس سويفت لحية ذقنه الصَّغيرة قائلًا: «أنا أيضًا في حاجةٍ إلى حراسة عن نفسي. إننا في أوقات محفوفة بالخطر».

فكَّر كيڤان لانستر: *أجل، وپايسل ليس عُضو المجلس الوحيد الذي يرغب اليد في استبداله*. لدى مايس تايرل مرشَّحه الخاص لمنصب اللورد الخازِن: عمُّه قهرمان (هايجاردن) المسمَّى جارث السَّمين. *آخِر ما أحتاجُ إليه هو تايرل آخَر في المجلس الصَّغير*. إنهم يفوقونه عددًا بالفعل. السير هاريس أبو زوجته، وپايسل يُمكن الاعتماد عليه أيضًا، لكن تارلي مقسم على الولاء لـ(هايجاردن)، وكذا پاكستر ردواين الأميرال وقيِّم السُّفن المبحر حاليًّا بأسطوله حول (دورن) للتَّعامُل مع حديديِّي يورون جرايچوي. حالما يعود ردواين إلى (كينجز لاندنج) سيُصبِح المجلس ثلاثة وثلاثة، لانستر وتايرل.

والصَّوت السَّابع للدورنيَّة التي تصحب مارسلا الآن إلى الدِّيار. *الليدي نيم، لكنها ليست ليدي حقًّا إن صحَّ ولو نِصف ما ذكَرَته تقارير كايبرن*. إنها ابنة غير شرعيَّة للأفعوان الأحمر، تكاد تُضاهي أباها في سوء السُّمعة، وعازمة على احتلال مقعد المجلس الذي احتلَّه الأمير أوبرين نفسه فترةً وجيزةً للغاية. لم يرَ السير كيڤان الوقت مناسبًا لإبلاغ مايس تايرل بقدومها بعدُ، إذ يعلم أن ذلك لن يسرَّ اليد بتاتًا. *الرَّجل الذي نحتاج إليه هو الإصبع الصَّغير. پيتر بايلش كان موهوبًا في استحضار التَّنانين من الهواء*.

اقترحَ السير كيڤان: «استأجِرا رجال الجبل. رونيت الأحمر لن يحتاج إليهم ثانيةً». لا يظنُّ أن مايس تايرل بالرُّعونة التي تجعله يُحاوِل اغتيال پايسل أو سويفت، لكن إذا كان الحُرَّاس سيُشعِرونهما بالأمان فليحظيا بحُرَّاس.

خرجَ الرِّجال الثَّلاثة معًا من قاعة العرش. كان الثَّلج يدور في دوَّاماتٍ في أنحاء السَّاحة الخارجيَّة كوحشٍ حبيس يعوي طالبًا الحرِّيَّة. سألَ السير هاريس: «هل شعرتما بمِثل هذا البرد من قبل؟».

قال المِايستر الأكبر پايسل: «الوقت المناسب للكلام عن البرد ليس وأنت واقف فيه»، وبدأ يشقُّ طريقه البطيء عبر السَّاحة إلى مسكنه.

لبثَ الآخَران قليلًا على سلالم قاعة العرش، وقال السير كيڤان لحميه: «لستُ أثقُ بهؤلاء الصَّيارفة المايريِّين إطلاقًا. الأفضل أن تُجهِّز نفسك للذَّهاب إلى (براڤوس)».

قال السير هاريس وقد بدا عليه الاستياء من الفكرة: «ليكن ما دامَ هذا ضروريًّا، لكنني أكرِّرها، هذه المشكلة ليست من صُنعي».

- «نعم. سرسي هي التي قرَّرت أن على (المصرف الحديدي) أن ينتظر أمواله. هل أرسلها هي إلى (براڤوس)؟».

حدَّق إليه السير هاريس قائلًا: «جلالتها... هذا... هذا...».

أنقذَه السير كيڤان بقوله: «كانت دُعابةً، دُعابةً سيِّئةً. اذهب وجِد نارًا دافئةً. سأفعلُ هذا عن نفسي»، ووضعَ قُفَّازيه وبدأ يقطع السَّاحة الخارجيَّة منحنيًا على نفسه بقوَّةٍ في الرِّيح فيما يُرَفرِف معطفه ويدور من ورائه.

يرتفع الثَّلج في الخندق الجاف المحيط بـ(حصن ميجور) ثلاثة أقدام، ويلتمع الصَّقيع على الخوازيق الحديد المصطفَّة فيه. السَّبيل الوحيد لدخول الحصن والخروج منه عبر الجسر المتحرِّك الممتد فوق الخندق، ودائمًا يقف أحد فُرسان الحَرس الملكي على طرفه القصي. اللَّيلة السير مرين ترانت هو المكلَّف بهذا الواجب. بالون سوان يُطارِد الفارس المجرم المسمَّى النَّجم المظلم في (دورن)، ولوراس تايرل مثخن بالجراح في (دراجونستون)، وچايمي مختفٍ في أراضي النَّهر، أي أن أربعةً فقط من السُّيوف البيضاء باقون في (كينجز لاندنج)، وقد زجَّ السير كيڤان بأوزموند كِتلبلاك (وأخيه أوزفريد) في الزَّنازين خلال ساعاتٍ من اعتراف سرسي بأنها اتَّخذت كلا الرَّجلين عشيقًا. هكذا لا يتبقَّى إلَّا ترانت والواهن بوروس بلاونت ووحش كايبرن الصَّامت روبرت سترونج لحماية الملك الصَّغير والعائلة الملكيَّة.

عليَّ أن أجد سيوفًا جديدةً للحَرس الملكي. المفترَض أن يُحيط بتومن سبعة فُرسان قديرون. في الماضي كان فارس الحَرس الملكي يخدم مدى الحياة، إلَّا أن ذلك لم يمنع چوفري من صرف السير باريستان سلمي من الخدمة لإفساح الطَّريق لكلبه ساندور كليجاين، ويستطيع كيڤان أن يستغلَّ هذه السَّابقة. *يُمكنني أن أضع لانسل في معطفٍ أبيض. في هذا شَرف أكثر مما سيجد مع أبناء المُحارب أبدًا*.

علَّق كيڤان لانستر معطفه المبلَّل بالثَّلج في غُرفته الشَّمسيَّة وخلعَ حذاءه وأمرَ خدمه بإحضار القليل من الحطب للنَّار، وقال إذ استقرَّ إلى جوار المستوقَد: «لا بأس بكوبٍ من النَّبيذ المتبَّل أيضًا».

سرعان ما أذابَت النَّار الثَّلج العالق بثيابه ودفَّأه النَّبيذ من الدَّاخل على نحوٍ محبَّب، لكنه أصابَه بالنُّعاس أيضًا، فلم يجرؤ على شُرب كوبٍ آخَر، فيومه ما زالَ بعيدًا كلَّ البُعد عن الانتهاء، أمامه تقارير يقرأها ورسائل يَكتُبها. *والعَشاء مع سرسي والملك*. منذ مسيرة الكفَّارة أضحَت ابنة أخيه خانعةً صاغرةً والشُّكر للآلهة، وأبلغَته المترهبنات اللائي يخدمنها بأنها تقضي ثُلث ساعات يقظتها مع ابنها وثُلثها في الصَّلاة والبقيَّة في حوض الاستحمام، إذ تستحمُّ أربع أو خمس مرَّاتٍ في اليوم فاركةً نفسها بفُرش من شَعر الخيل وصابون القِلْي كأنها تُريد أن تكشط جِلدها نفسه.

لن تستطيع الخلاص من الوصمة أبدًا مهما اجتهدَت في فرك نفسها. يَذكُر السير كيڤان الفتاة التي كانتها، ملأى بالحياة والمشاغَبة، وحين أزهرَت، آآآآه... هل عرفَ العالم بنتًا تسرُّ الأنظار مِثلها؟ *لو وافقَ إيرس على تزويجها بريجار فكم من الموت كان ذلك ليُجنِّبنا؟* كانت سرسي لتُنجِب للأمير الأبناء الذين أرادَهم، أُسودًا بأعيُنٍ أرجوانيَّة ولُبد فضِّيَّة... وبزوجةٍ مِثلها ربما ما كان ريجار ليَنظُر مرَّتين إلى ليانا ستارك. كانت الفتاة الشَّماليَّة تتمتَّع بجَمالٍ ضارٍ كما يَذكُر، لكن مهما اتَّقدت نار المشعل وتأجَّجت فلا يُمكنها أن تُنافِس الشَّمس المشرقة.

لكن لا جدوى من الإسهاب في التَّفكير في المعارك الخاسرة والطُّرق التي لم تُسلَك، فتلك رذيلة المسنِّين المقبلين على القبر. تزوَّج ريجار إليا الدورنيَّة، وماتَت ليانا ستارك، واتَّخذ روبرت باراثيون سرسي عروسًا، وها هُم أولاء. واللَّيلة سيأخذه طريقه إلى مسكن ابنة أخيه ليلتقي سرسي وجهًا لوجه.

ليس هناك سبب يدعوني للإحساس بالذَّنب. مؤكَّد أن تايوين كان ليتفهَّم. ابنته هي التي كلَّلت اسمنا بالعار لا أنا. لم أفعل ما فعلته إلَّا لصالح عائلة لانستر.

لم يفعل كيفان شيئًا لم يفعله أخوه من قبل. في السِّنين الأخيرة من حياة أبيهم، بعد وفاة أمِّهم، اتَّخذ الرَّجل ابنة صانع شموعٍ مليحةً عشيقةً. لم تكن بدعةً أن يحتفظ لورد أرمل بفتاةٍ من العوام في فِراشه لتُدفِّئه... لكن اللورد تايتوس بدأ يُجلِس المرأة إلى جواره في القاعة ويُغدِق عليها بالهدايا والتَّكريم، بل وذهبَ إلى طلب رأيها في شؤون الحُكم، وخلال عامٍ كانت تصرف الخدم وتُلقي الأوامر على فُرسان أهل البيت وتتكلَّم نيابةً عن حضرة اللورد في غيابه. تعاظمَ نفوذ المرأة حتى إن النَّاس في (لانسپورت) أخذوا يُردِّدون أن على كلِّ مَن يرغب في أن يُسمَع التماسه أن يرفع صوته ويُخاطِب حِجرها... ذلك أن أُذنَي تايتوس لانستر بين ساقيها. ثم إن المرأة جاوزَت المدى وبدأت تتزيَّن بحُلي أمِّهم.

إلى أن جاءَ يوم وانفجرَ قلب السيِّد والدهم في صدره وهو يصعد مجموعةً من السَّلالم العالية إلى فِراشها. جميع الانتهازيِّين الذين سمُّوا أنفُسهم أصدقاءها ونالوا حظوتها شيئًا فشيئًا سارَعوا بالتَّخلِّي عنها حين أمرَ تايوين بتجريدها من ثيابها وتجريسها في شوارع (لانسپورت) حتى الميناء كعاهرةٍ تقليديَّة، وعلى الرغم من أن أحدًا لم يمسَّها فقد أعلنَت المسيرة نهاية سطوتها. مؤكَّد أن تايوين ما كان ليتخيَّل أبدًا أن المصير نفسه ينتظر ابنته الذَّهبيَّة.

تمتمَ السير كيڤان رافعًا ثُمالة نبيذه إلى شفتيه: «لم يكن هناك مفر». كان من الضَّروري إرضاء صاحِب القداسة الأعلى، فتومن محتاج إلى العقيدة وراءه في المعارك المقبلة. وسرسي... كبرَت الفتاة الذَّهبيَّة وتحوَّلت إلى امرأةٍ مغرورة حمقاء جشعة، ولو تُرِكَت تَحكُم لأفسدَت تومن كما أفسدَت چوفري.

كانت الرِّيح تشتدُّ بالخارج وتنهش مصاريع نوافذ الغُرفة. نهضَ السير كيڤان. حانَ وقت مواجهة اللَّبؤة في عرينها. *انتزعنا مخالبها، أمَّا چايمي*... كلَّا، لن يُفكِّر في ذلك.

ارتدى سُترةً قديمةً باليةً تحسُّبًا لأن يطيب لابنة أخيه أن تُلقي كوبًا آخَر من النَّبيذ في وجهه، لكنه تركَ حزام سيفه معلَّقًا على ظَهر مقعده، فليس مسموحًا إلَّا لفُرسان الحَرس الملكي بحمل السُّيوف في حضور تومن.

وجدَ السير كيڤان السير بوروس بلاونت في صُحبة الملك وأمِّه حين دخلَ المسكن الملكي، وقد ارتدى بلاونت درعًا مطليَّةً بالمينا ومعطفًا أبيض واعتمرَ خوذةً قصيرةً، وإن لم يبدُ في حالٍ طيِّبة. في الفترة الأخيرة ازدادَ وزن بوروس بصورةٍ ملحوظة في وجهه وبطنه، ولونه لا يدلُّ على العافية، والآن يستند إلى الحائط ورائه كأن مجرَّد الوقوف صارَ يُجشِّمه جهدًا عظيمًا.

قدَّمت الوجبة ثلاث مترهبنات، فتيات نظيفات كريمات الأصل بين الثَّانية عشرة والسَّادسة عشرة من العُمر، تبدو كلٌّ منهن في ثيابها الصُّوف البيضاء أكثر براءةً وعزوفًا عن بُهرج الدُّنيا من الأخرى، وعلى الرغم من ذلك أصرَّ السِّپتون الأعلى على ألَّا تقضي فتاة ما يزيد على الأيام السَّبعة في خدمة الملكة خشية أن تُفسِدها سرسي. تُساعِد الفتيات الملكة على ارتداء ثيابها ويُجهِّزن حمَّامها ويُزوِّدنها بالنَّبيذ ويُبدِّلن ملاءات سريرها كلَّ صباح، كما تُشارِكها إحداهن فِراشها كلَّ ليلةٍ لتتحقَّق من أن أحدًا آخَر لا يزورها ليلًا، في حين تنام الأخريان في غُرفةٍ مجاورة مع السِّپتة التي تُشرِف عليهن.

اصطحبَته فتاة فارعة القامة مجدورة الوجه إلى الحضور الملكي، ونهضَت سرسي لمَّا دخلَ وطبعَت قُبلةً خفيفةً على وجنته قائلةً: «عمِّي العزيز، لُطف بالغ منك أن تتناوَل معنا العَشاء». ترتدي الملكة ثيابًا متواضعةً محتشمةً تليق بامرأةٍ كهلة، فُستانًا بنِّيًا داكنًا مزرَّرًا حتى حَلقها ومعطفًا أخضر مزوَّدًا بقلنسوة تُغطِّي رأسها المحلوق. *قبل مسيرتها كانت لتتبختر بصلعها تحت تاجٍ ذهبي.* قالت: «تفضَّل بالجلوس. هل تشرب نبيذًا؟».

أجابَ: «كوب واحد»، وجلسَ والحذر لم يُغادِره.

بينما ملأت مترهبنة منمَّشة الوجه كوبيهما بالنَّبيذ المتبَّل السَّاخن قالت سرسي: «تومن أخبرَني بأن اللورد تايرل ينوي إعادة بناء (بُرج اليد)».

أومأ السير كيڤان برأسه مجيبًا: «يقول إن البُرج الجديد سيكون أعلى مرَّتين من الذي أحرقتِه».

أطلقَت سرسي ضحكةً حَلقيَّةً، وقالت: «رماح طويلة، أبراج عالية... هل يُلمِّح اللورد تايرل إلى شيءٍ ما؟».

حدا به قولها إلى الابتسام. جيِّد *أنها لا تزال تَذكُر كيف نضحك*. حين سألَها إن كانت تحظى بكلِّ ما تتطلَّبه قالت الملكة: «أتلقَّى خدمةً لائقةً. الفتيات محبَّبات والسِّپتوات المبجَّلات يحرصن على أدائي الصَّلوات، لكن سيسرُّني فور ثبوت براءتي أن تعود تاينا ميريويذر إلى رِفقتي. يُمكنها أن تجلب ابنها إلى البلاط. تومن محتاج إلى صِبيةٍ آخَرين حوله، أطفال نبيلي المولد».

طلب بسيط لم يرَ السير كيڤان ما يمنع تلبيته. يُمكنه أن يتعهَّد بتربية ابن ميريويذر بنفسه فيما تصحب الليدي تاينا سرسي إلى (كاسترلي روك). وعدَها قائلًا: «سأرسلُ في استدعائها بعد المُحاكمة».

بدأ العَشاء بحَساء اللَّحم البقري والشَّعير، وتبعَته طيور السُّمَّان وسمكة كراكي مشويَّة تُناهِز الأقدام الثَّلاثة طولًا، مع اللِّفت والفطر والكثير من الخُبز السَّاخن والزُّبدة. تذوَّق السير بوروس كلَّ صنفٍ وُضِعَ أمام الملك، وهو الواجب المهين لفارسٍ في الحَرس الملكي، ولكن لعلَّه الشَّيء الوحيد الذي يقوى عليه بلاونت هذه الأيام... ولو أنه تصرُّف حكيم بعد الطَّريقة التي ماتَ بها أخو تومن.

بدا الملك أسعد مما رآه السير كيڤان منذ وقتٍ طويل. من الحَساء إلى الحلوى راحَ تومن يُثَرثِر عن مُغامرات هِرره الصَّغيرة فيما يُطعِمها لُقيماتٍ من السَّمك من طبقه الملكي، وفي مرَّةٍ أخبرَ السير كيڤان: «القِطُّ السيِّئ كان خارج نافذتي ليلة البارحة، لكن السير پاونس هسهسَ في وجهه ففرَّ مبتعدًا على السُّطوح».

ردَّد السير كيڤان مبتسمًا: «القِطُّ السيِّئ؟». *صبيٌّ جميل حقًّا*.

أجابَته سرسي: «إنه قِطٌّ أسود عجوز له أُذن مقطوعة، حيوان قذر كريه المزاج. ذات مرَّةٍ خدشَ يد چوف»، وارتسمَ الامتعاض على وجهها إذ أردفَت: «أعلمُ أن القِطط تحدُّ من تزايُد أعداد الجرذان، لكن هذا القِط تحديدًا... معروف عنه أنه يُهاجِم الطُّيور في المِغدفة».

- «سأطلبُ من صيَّادي الفئران أن يَنصُبوا له مصيدةً». لا يَذكُر السير كيڤان رؤية ابنة أخيه بهذه الوداعة أو الاستكانة أو الرَّزانة. خيرٌ هذا على ما يظنُّ، وإن أحزنَه بعض الشَّيء كذلك. *همدَت نارها تلك التي كان وهجها أخَّاذًا*. قال فيما ينتظرون كعكات القشدة المفضَّلة عند الملك: «لم تسألي عن أخيكِ».

رفعَت سرسي ذقنها لتتألَّق عيناها في ضوء الشُّموع، وتساءلَت: «چايمي؟ هل بلغَتك أخبار عنه؟».

- «إطلاقًا. سرسي، قد يكون عليكِ أن تُهيِّئي نفسكِ لـ...».

قاطعَته: «لو ماتَ لعرفت. لقد جئنا هذا العالم معًا يا عمَّاه، وما كان ليُغادِره من دوني»، ورشفَت من نبيذها قبل أن تُضيف: «أمَّا تيريون فليُغادِر متى رغبَ. أظنُّ أن أخبارًا لم تَبلُغك عنه هو الآخَر؟».

- «لا أحد حاولَ أن يبيعنا رأس قزمٍ في الفترة الأخيرة».

أومأت برأسها، ثم قالت: «هل تسمح بأن أسألك سؤالًا يا عمَّاه؟».

- «سَلي كما تشائين».

- «زوجتك... هل تنوي إحضارها إلى البلاط؟».

- «لا». دورنا مرهفة الحسِّ، لا ترتاح أبدًا إلَّا في بيتها بين أهلها وأصدقائها. لقد أحسنَت البلاء في تربية أولادهما وتَحلُم بأن يكون لهما أحفاد وتُصلِّي سبع مرَّاتٍ يوميًّا وتحبُّ أشغال الإبرة والزُّهور، وفي (كينجز لاندنج) ستكون سعيدةً كإحدى هِرر تومن الصَّغيرة في جُحرٍ للأفاعي. «السيِّدة زوجتي لا تحبُّ السَّفر. (لانسپورت) مكانها».

- «امرأة حكيمة مَن تعرف مكانها».

لم يَرُقه وقع تعليقها، فقال: «قولي ما تعنين».

ردَّت سرسي: «حسبتني فعلتُ»، ورفعَت كوبها لتملأه ذات النَّمش ثانيةً. ثم وصلَت كعكات القشدة واتَّخذ الكلام منعطفًا أخفَّ. فقط بعدما اصطحبَ السير بوروس تومن وهِرره إلى غُرفة النَّوم الملكيَّة انتقلَ الحوار إلى مُحاكمة الملكة، وقالت سرسي تُنبِّهه: «أخوا أوزني لن يقفا مكتوفَي الأيدي ويتفرَّجا على أخيهما يموت».

- «لم أتوقَّع أن يفعلا ذلك. لقد قبضتُ عليهما».

أدهشَها هذا، وتساءلَت: «بأيِّ جريمة؟».

- «الزِّنى بالملكة. صاحِب القداسة الأعلى قال إنكِ ضاجعتِ الاثنين... هل نسيتِ؟».

احتقنَ وجهها، وقالت: «لا. ماذا ستفعل بهما؟».

- «(الجِدار) إذا اعترَفا بالذَّنب، وإذا أنكَرا فيُمكنهما أن يُواجِها السير روبرت. لم يكن يصحُّ أبدًا أن يُرفَع أمثالهما عاليًا هكذا».

خفضَت سرسي رأسها قائلةً: «لقد... لقد أسأتُ تقديرهما».

- «يبدو أنكِ أسأتِ تقدير أشياء كثيرة جدًّا».

كان ليقول المزيد لولا أن المترهبنة ذات الشَّعر الأسود والوجنتين المستديرتين عادَت لتقول: «سيِّدي، سيِّدتي، آسفةٌ لتطفُّلي، لكن هناك صبيًّا بالأسفل. المِايستر الأكبر پايسل يَطلُب حضور جناب اللورد الوصي في الحال».

أجنحة سوداء، أخبار سوداء. أيُمكن أن (ستورمز إند) سقطَت؟ ام أنه خبر من بولتون في الشَّمال؟

قالت الملكة: «قد يكون خبرًا عن چايمي».

ثمَّة وسيلة واحدة للمعرفة، وهكذا قامَ السير كيڤان قائلًا: «أرجو أن تَعذُريني»، وقبل أن يُغادِر جثا على رُكبته ولثمَ يد ابنة أخيه. إذا خذلَها عملاقها الصَّامت فقد تكون هذه آخِر قُبلةٍ تعرفها على الإطلاق.

رسول پايسل صبيٌّ في الثَّامنة أو التَّاسعة متدثِّر بالكثير من الفرو لدرجة أنه يبدو كدُبٍّ صغير، وكان ترانت قد تركَه ينتظر على الجسر المتحرِّك بدلًا من أن يسمح له بدخول (حصن ميجور)، فقال له السير كيڤان واضعًا بنسًا في يده: «اذهب وجِد نارًا أيها الصَّغير. أعرفُ الطَّريق إلى المِغدفة جيِّدًا».

كانت الثُّلوج قد كفَّت عن الانهمار أخيرًا، ووراء ستارٍ من السُّحب الممزَّقة يطفو البدر في السَّماء كاملًا أبيض ككُرة ثلج وتلتمع النُّجوم البعيدة بضوءٍ بارد. إذ شقَّ السير كيڤان طريقه في السَّاحة الدَّاخليَّة بدَت له القلعة مكانًا غريبًا نبتَت لكلِّ حصنٍ وبُرجٍ فيه أسنان جليديَّة واختفَت جميع طرقاته المألوفة تحت بساطٍ من البياض، وبينما مرَّ سقطَت كُتلة جليدٍ طويلة كالحربة لتتحطَّم عند قدميه. *الخريف في (كينجز لاندنج). ما الوضع على (الجِدار) إذن؟*

فتحَت الباب خادمة نحيلة ترتدي معطفًا مبطَّنًا بالفرو كبيرًا عليها للغاية. نفضَ السير كيڤان الثَّلج عن حذائه وخلعَ معطفه وألقاه إليها قائلًا: «المِايستر الأكبر ينتظرني»، فأومأت الفتاة برأسها بصمتٍ رصين وأشارَت إلى السَّلالم.

يقع مسكن پايسل تحت المِغدفة في جناحٍ فسيح من الغُرف المزدحمة عن آخِرها برفوف الأعشاب والمراهم والعقاقير والكُتب والمخطوطات. لطالما وجدَ السير كيڤان المكان حارًّا على نحوٍ مزعج، ولكن ليس اللَّيلة، فما إن دخلَ من الباب كانت البرودة محسوسةً للغاية. لم يتبقَّ من نار المستوقَد سوى الرَّماد الأسود والجذوات المنطفئة، وثمَّة بعض الشُّموع المتذبذبة تُلقي بِركًا من الضَّوء المعتم هنا وهناك.

والبقيَّة مكفَّنة بالظِّلال... ما عدا تحت النَّافذة المفتوحة حيث تلتمع بلّورات الجليد المذروَّة في نور القمر وتدور في الرِّيح. على مقعد النَّافذة يتسكَّع غُداف جيئةً وذهابًا، طائر ضخم شاحب منفوش الرِّيش، أكبر غُدافٍ رآه كيڤان لانستر على الإطلاق، أكبر من أيِّ صقر صيدٍ في (كاسترلي روك)، أكبر من أكبر بومة، يتراقَص الثَّلج حوله في دوّاماتٍ ويطليه القمر بالفضِّي.

ليس الفضِّي، بل الأبيض. الطَّائر أبيض.

لا تحمل غِدفان (القلعة) البيضاء الرَّسائل على غرار أولاد عمومتها السَّوداء، وحين تطير من (البلدة القديمة) فذلك لغرضٍ واحدٍ لا غير: أن تُعلِن تغيُّر الفصول.

قال السير كيڤان: «الشِّتاء»، وصنعَت الكلمة غمامةً بيضاء في الهواء.

التفتَ عن النَّافذة... ثم ارتطمَ شيء ما بصدره بين الضُّلوع بعُنفٍ بالغ كأن عملاقًا لكمَه، شيء أفرغَ أنفاسه ودفعَه إلى الوراء بحدَّة. وثبَ الغُداف الأبيض في الهواء وراحَ يضرب بجناحيه الشَّاحبيْن حول رأسه، ونزلَ السير كيڤان على مقعد النَّافذة بحركةٍ جمعَت بين الجلوس والسُّقوط. *ماذا... مَن...* رأى سهمًا مغروسًا حتى الرِّيشة تقريبًا في صدره. *لا، لا، هكذا ماتَ أخي.* كان الدَّم يتسرَّب من حول القناة. تمتمَ مرتبكًا: «پايسل، أغِثني... إنني...».

ثم إنه رأى المِايستر الأكبر پايسل جالسًا إلى منضدته، يتوسَّد رأسه المجلَّد الضَّخم المغلَّف بالجِلد أمامه. فكَّر كيڤان: *نائم...* إلى أن حدَّق ورأى الشَّقَّ الأحمر العميق في جمجمة الشَّيخ المبقَّعة وبِركة الدَّم تحت رأسه تُلوِّث صفحات الكتاب، وحول شمعته قِطع من العظم وخلايا المُخ، جُزر في بُحيرةٍ من الشَّمع الذَّائب.

أرادَ حَرسًا. كان عليَّ أن أرسل إليه حَرسًا. أيُعقَل أن سرسي كانت محقَّةً طوال الوقت؟ هل ارتكبَ ابن أخيه هذا؟ «تيريون؟ أين...».

أجابَ صوت شِبه مألوف: «بعيد جدًّا».

يقف الرَّجل في بِركةٍ من الظِّلال عند خزانة كُتب، ممتلئ الجسد، شاحب الوجه، مستدير الكتفين، يقبض على نُشَّابيَّةٍ بيديه النَّاعمتين المدهونتين بالمساحيق، وتغوص قدماه في خُفَّين من الحرير.

- «ڤارس؟».

وضعَ الخصيُّ النُّشَّابيَّة قائلًا: «سير كيڤان، سامِحني إن استطعت. لستُ أضمرُ لك ضغينةً. لم أفعل هذا بدافع الحقد، بل من أجل البلاد، من أجل الأطفال».

إن لي أطفالًا، لي زوجةً. أوه، دورنا. غمرَه الألم، وأغلقَ السير كيڤان عينيه ثم فتحَهما ثانيةً، وقال: «هناك... هناك المئات من حَرس لانستر في هذه القلعة».

- «لكن لا أحد منهم في هذه الغُرفة لحُسن الحظّ. يُؤلِمني هذا يا سيِّدي. لست تستحقُّ الموت وحيدًا في ليلةٍ باردة مظلمة كهذه. ثمَّة رجال مِثلك، رجال أخيار يخدمون قضايا فاسدةً... لكنك كنت تُهدِّد بإتلاف عمل الملكة الصَّالح، بالتَّوفيق بين (هايجاردن) و(كاسترلي روك) وربط العقيدة بملكك الصَّغير وتوحيد (الممالك السَّبع) تحت حُكم تومن، ولذا...».

هبَّت الرِّيح من النَّافذة وارتجفَ السير كيڤان بعُنف، فقال ڤارس: «أأنت بردان يا سيِّدي؟ سامِحني. المِايستر الأكبر قضى حاجته على نفسه في أثناء احتضاره وكانت الرَّائحة فظيعةً وأوشكَت على خنقي».

حاولَ السير كيڤان أن ينهض لكن قوَّته كانت قد فرَّت منه تمامًا ولم يَعُد يحسُّ بساقيه.

قال ڤارس: «خطرَ لي أن النُّشَّابيَّة تليق. لقد شاركت اللورد تايوين الكثير، فلِمَ لا تُشارِكه هذا أيضًا؟ ستحسب ابنة أخيك أن آل تايرل وراء اغتيالك، ربما بالتَّواطؤ مع العِفريت، وسيرتاب آل تايرل فيها، وفي مكانٍ ما سيجد شخص ما وسيلةً لصبِّ اللَّوم على الدورنيِّين. ستلتهم الشُّكوك والشِّقاق والظُّنون الأرض تحت قدمَي ملكك الصَّبي فيما يرفع إجون رايته فوق (ستورمز إند) ويحتشد لوردات البلاد حوله».

- «إجون؟». لوهلةٍ لم يفهم، ثم إنه تذكَّر الرَّضيع الملفوف بمعطفٍ قرمزي والقُماش الملوَّث بدمه وخلايا مخِّه. «ميت، إنه ميت».

بدا صوت الخصيِّ أعمق إذ قال: «لا. إنه هنا. إجون مشكَّل على الحُكم من قبل أن يتعلَّم المشي. لقد دُرِّبَ على السِّلاح كما يليق بفارس، لكن تعليمه لم يقتصِر على ذلك. إنه يقرأ ويَكتُب، ويتكلَّم عدَّة لُغات، ودرسَ التَّاريخ والقانون والشِّعر، ولقَّنته سِپتة تعاليم العقيدة منذ كبرَ بما فيه الكفاية لفهمها، وعاشَ مع الصيَّادين وعملَ بيديه وسبحَ في الأنهار ورتقَ الشِّباك وتعلَّم غسل ثيابه بنفسه عند الحاجة، ويُجيد الصَّيد والطَّبخ وتضميد الجروح، ويعلم معنى أن يكون المرء جائعًا ومطارَدًا وخائفًا. تومن تعلَّم أن الملكيَّة حقُّه، وإجون يعلم أن الملكيَّة واجبه، أن على الملك أن يضع شعبه في المقام الأول ويحيا ويَحكُم في سبيله».

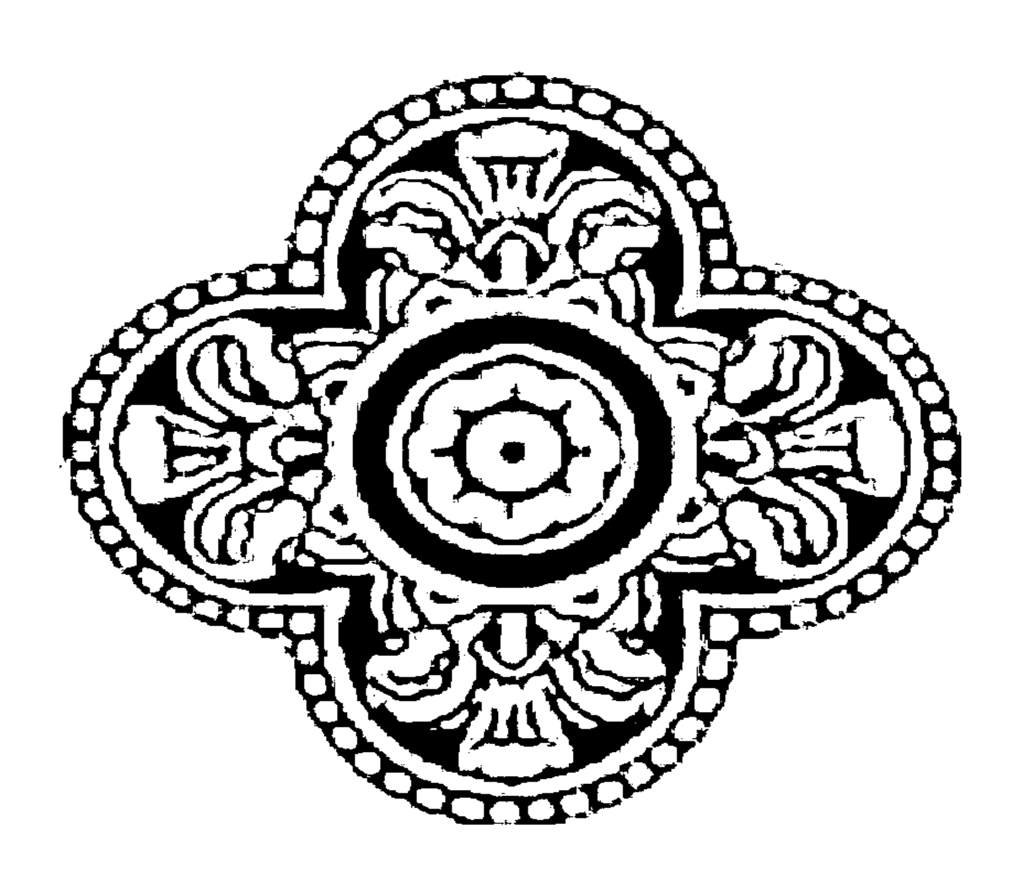
حاولَ كيڤان أن يرفع صوته مناديًا... حَرسه، إخوته، أخاه... لكن الكلمات أبَت أن تَخرُج، وسالَ الدَّم من فمه وعادَ يرتجف بعُنف.

بسطَ ڤارس يديه قائلًا: «أنا آسف. أعرفُ أنك تُعاني، ومع ذلك هأنذا أثرثرُ كعجوزٍ سخيفة. لنضع نهايةً لهذا إذن»، وضمَّ الخصيُّ شفتيه وأطلقَ صفيرًا قصيرًا.

اكتنفَت السير كيڤان برودة الجليد، وطعنَه كلُّ نفسٍ جهيد يُحاوِل أن يأخذه بالمزيد من الألم. لمحَ حركةً، وسمعَ صوت احتكاك الأخفاف الحرير النَّاعم بالحجر، ثم خرجَ طفل من بِركةٍ من الظَّلام، صبي شاحب في ثوبٍ رث لا يتجاوَز التَّاسعة أو العاشرة، ونهضَ آخَر من وراء مقعد المِايستر الأكبر، وظهرَت الفتاة التي فتحَت له الباب أيضًا. أحاطوا به من كلِّ جانب، نِصف دستةٍ منهم، أطفال بِيض الوجوه سُود الأعيُن، صِبية وصبايا.

وفي أيديهم الخناجر.

نهاية الجزء الخامس





تومن باراثيون الأول، ملك الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، سيِّد الممالك السَّبع، صبي في الثَّامنة،

- زوجته، **الملكة مارچري**، سليلة عائلة تايرل، تزوَّجت ثلاث مرَّات، ترمَّلت مرَّتين، متَّهمة بالخيانة العظمة، سجينة في سِپت بيلور الكبير،

- أمُّه، **الملكة سرسي**، سليلة عائلة لانستر، الملكة الأرملة، متَّهمة بالخيانة العظمة، سجينة في سِپت بيلور الكبير،

- شقيقاه:

- **(الملك چوفري باراثيون الأول)**، ماتَ مسمومًا في مأدبة زفافه، صبي في الثَّانية عشرة،

- **الأميرة مارسلا باراثيون**، فتاة في التَّاسعة، ربيبة الأمير دوران مارتل في صنسپير،

- قِططه، **السير پاونس، الليدي ويسكرز، بوتس**،

- شقيقا الملكة سرسي:

- **السير چايمي لانستر**، توأمها، لقبه **قاتِل الملك**، قائد الحَرس الملكي،

- **تيريون لانستر** ولقبه **العِفريت**، متَّهم ومدان باغتيال الملك وقتل الأقربين،

- **پودريك پاين**، مُرافق تيريون، صبي في العاشرة،

- أعمام وأخوال الملكة سرسي وأولادهم:

- **السير كيڤان لانستر**، عمُّها،

- **السير لانسل**، ابن السير كيڤان، مُرافق الملك روبرت وعشيق سرسي سابقًا، نُصِّبَ سيِّدًا على داري حديثًا،

- **(ويلم)**، ابن السير كيڤان، قُتِلَ في ريڤررَن،

- **مارتن**، ابن السير كيڤان، مُرافق،

- **چاني**، ابنة السير كيڤان، فتاة في الثَّالثة،

- **الليدي چِنا لانستر**، عمَّة سرسي، زوجة إمون فراي،

- **(السير كليوس فراي)**، ابن چِنا، قتلَه الخارجون عن القانون،

- **السير تايوين فراي**، يُسَمَّى تاي، ابن كليوس،

- **ويلم فراي**، ابن كليوس، مُرافق،

- **السير لايونل فراي**، ابن الليدي چِنا الثَّاني،

- **(تيون فراي)**، ابن چِنا، قُتِلَ في ريڤررَن،

- **والدر فراي** ولقبه **والدر الأحمر**، أصغر أبناء الليدي چِنا، وصيف في كاسترلي روك،

- **تايرك لانستر**، ابن عمِّ سرسي الرَّاحل تايجت،

- **الليدي إرميساند هايفورد**، زوجة تايرك الطِّفلة،

- **چوي هيل**، ابنة جيريون عمِّ الملكة سرسي المفقود النَّغلة، فتاة في الحادية عشرة،

- **سيرينا لانستر**، ابنة ستافورد خال سرسي الرَّاحل،

- **ماريبل لانستر**، ابنة ستافورد خال سرسي الرَّاحل وأخت سيرينا،

- **السير داڤن لانستر**، ابن خالها ستافورد،
- **السير داميون لانستر**، ابن خؤولة بعيد، زوج شيرا كراكهول،
- **السير لوشن لانستر**، ابنهما،
- **لانا**، ابنتهما، زوجة اللورد آنتاريو چاست،
- **الليدي مارجو**، ابن خؤولة أبعد، زوجة اللورد تايتوس پيك،
- مجلس الملك تومن الصَّغير:
- **(اللورد تايوين لانستر)**، يد الملك،
- **السير چايمي لانستر**، قائد الحَرس الملكي،
- **السير كيڤان لانستر**، قيِّم القوانين،
- **ڤارس** ولقبه **الخصي**، ولي الهامسين،
- **المِايستر الأكبر پايسل**، مستشار ومعالج،
- **اللورد مايس تايرل، اللورد ماثيس روان، اللورد پاكستر ردواين**، مستشارون،
- حَرس تومن الملكي:
- **السير چايمي لانستر**، القائد،
- **السير مرين ترانت**،
- **السير بوروس بلاونت**، أُعفِيَ من منصبه ثم أعيدَ إليه،
- **السير بالون سوان**،
- **السير أوزموند كِتلبلاك**،
- **السير لوراس تايرل**، فارس الزُّهور
- **السير آريس أوكهارت**، مع الأميرة مارسلا في دورن،
- أهل بيت سرسي في كينجز لاندنج:
- **الليدي چوسلين سويفت**، رفيقتها،
- **سينل ودوركاس**، رفيقتاها في الفِراش وخادمتاها،

- **لوم**، **لستر الأحمر**، **هوك** ولقبه **ساق الحصان**، **ذو الأُذن القصيرة**، **پوكنز**، حُرَّاس،

- **الملكة مارچري** سليلة عائلة تايرل، فتاة في السَّادسة عشرة، أرملة الملك چوفري باراثيون الأول ومن قبله اللورد رنلي باراثيون،

- بلاط مارچري في كينجز لاندنج:

- **مايس تايرل**، سيِّد هايجاردن، أبوها،

- **الليدي آليري** سليلة عائلة هايتاور، أمُّها،

- **الليدي أولينا تايرل**، جدَّتها، أرملة مسنَّة لقبها **ملكة الأشواك**،

- **آريك وإريك**، حارسا الليدي أولينا، توأمان طولهما سبعة أقدام لقبهما **شِمال ويمين**،

- **السير جارلان تايرل**، أخو مارچري ولقبه **الهُمام**،

- **الليدي ليونيت**، زوجته، سليلة عائلة فوسواي،

- **السير لوراس تايرل**، أصغر إخوتها، فارس الزُّهور، أخ محلَّف في الحَرس الملكي،

- رفيقات مارچري:

- بنات عمومتها، **مِجا وآلا وإلينور تايرل**،

- خطيب إلينور، **آلن أمبروز**، مُرافق،

- **الليدي أليسين بولوار**، فتاة في الثَّامنة،

- **ميريديث كرين**، أو **ميري**،

- **الليدي تاينا ميريويذر**،

- **الليدي آليس جريسفورد**،

- **السِّپتة نستيريكا**، أخت في العقيدة،

- **پاكستر ردواين**، سيِّد الكرمة،

- ابناه التَّوأمان، **السير هوراس والسير هوبر**،

- **المِايستر بالابار**، معالجه ومستشاره،
- **ماثيس روان**، سيِّد البُستان الذَّهبي،
- **السير ويلام ويذرز**، قائد حَرس مارچري،
- **هيو** كليفتون، حارس شاب وسيم،
- **السير پورتيفر وودرايت** وأخوه **السير لوكانتين**،
- بلاط سرسي في كينجز لاندنج:
- **السير أوزفريد كِتلبلاك والسير أوزني كِتلبلاك**، أخوان أصغر للسير أوزموند كِتلبلاك،
- **السير جريجور كليجاين** ولقبه **الجبل راكب الخيول**، يُحتضَر متألِّمًا بجرحٍ مسموم،
- **السير أدام ماربراند**، قائد حَرس المدينة في كينجز لاندنج «ذوو المعاطف الذَّهبيَّة»،
- **چالابار شو**، أمير وادي الزَّهرة الحمراء، منفي من جُزر الصَّيف،
- **جايلز روزبي**، سيِّد روزبي، مصاب بسُعال مزمن،
- **أورتون ميريويذر**، سيِّد الطَّاولة الطَّويلة،
- **تاينا**، زوجته، امرأة من مير،
- **الليدي تاندا ستوكوورث**،
- **الليدي فاليس**، ابنتها الكُبرى ووريثتها،
- **السير بالمان بيرش**، زوج الليدي فاليس،
- **الليدي لوليس**، ابنتها الصُّغرى، حُبلى وضعيفة العقل،
- **السير برون فارس النَّهر الأسود**، زوج الليدي لوليس، مرتزِق سابق،
- **(شِاي)**، تابعة معسكَرات تخدم كرفيقة فِراش لوليس، ماتَت خنقًا في فِراش اللورد تايوين،

- **المِايستر فرنكن**، في خدمة الليدي تاندا،
- **السير إلين باين**، عدالة الملك، جلّاد،
- **رينيفر لونجووترز**، رئيس مُشرفي السَّجّانين في زنازين القلعة الحمراء،
- **روجن**، مُشرف سجّانين في الزّنازين السَّوداء،
- **اللورد هالاين الپايرومانسر**، صاحِب حكمة من رابطة الخيميائيِّين،
- **نوهو ديميتيس**، مبعوث من مصرف براقوس الحديدي،
- **كايبرن**، نِكرومانسر، مِايستر سابق من القلعة، لاحقًا عُضو في رِفقة الشُّجعان،
- **فتى القمر**، المهرِّج الملكي،
- **پايت**، صبي في الثّامنة، كبش فداء الملك تومن،
- **أورموند ابن البلدة القديمة**، عازف القيثارة والمغنِّي الملكي،
- **السير مارك مالندور**، الذي فقدَ قردًا ونِصف ذراع في معركة النَّهر الأسود،
- **أوران ووترز**، نغل دريفتمارك،
- **اللورد أليساندر ستيدمون** ولقبه **عاشق البنسات**،
- **السير رونيت كوننجتون** ولقبه **رونيت الأحمر**، فارس وكر الجَرافِن،
- **السير لامبرت تِرنبري، السير درموت ابن الغابة المطيرة، السير تالاد** ولقبه **الطَّويل، السير بايارد نوركروس، السير بونيفر هاستي** ولقبه **الصَّالح، السير هيوجو ڤانس**، فُرسان مقسمون على الولاء للعرش الحديدي،

- **السير لايل كراكهول** ولقبه **العُفر القوي**، **السير آلن ستاكسپير**، **السير چون بتلي** ولقبه **چون الحليق**، **السير ستفون سويفت**، **السير همفري سويفت**، فُرسان مقسمون على الولاء لكاسترلي روك،
- **چوزمين پكلدون**، مُرافق ومن أبطال معركة النَّهر الأسود،
- **جاريت پايچ وليو پايپر**، مُرافقان ورهينتان،
- أهل كينجز لاندنج:
- **السِّپتون الأعلى**، أبو المؤمنين وصوت الآلهة السَّبعة على الأرض، رجل عجوز واهن،
- **السِّپتون توربرت**، **السِّپتون راينارد**، **السِّپتون لوشن**، **السِّپتون أوليدور**، أعضاء في مجلس القانِتين، يخدمون الآلهة السَّبعة في سِپت بيلور الكبير،
- **السِّپتة مويل**، **السِّپتة آجلانتين**، **السِّپتة هيلسنت**، **السِّپتة أونلا**، عضوات في مجلس القانِتين، يخدمن الآلهة السَّبعة في سِپت بيلور الكبير،
- «العصافير»، أكثر البَشر تواضعًا، مخلصون في إيمانهم،
- **شاتايا**، مالكة ماخور مكلِّف،
- **ألايايا**، ابنتها،
- **دانسي**، **ماري**، من فتيات شاتايا،
- **رايلا**، خادمة، خدمَت الليدي سانزا ستارك حديثًا،
- **توبهو موت**، من أساتذة الحدادة،
- **هاميش ذو القيثارة**، مطرب مسن،
- **ألاريك الآيزيني**، مطرب كثير التَّجوال،
- **وات**، مطرب يُطلِق على نفسه لقب **الشَّاعر الأزرق**،

- **السير ثيودان وِلز**، فارس متديِّن، عُرِفَ لاحقًا باسم **السير ثيودان الصَّالح**.

راية الملك تومن عبارة عن وعل باراثيون المتوَّج، أسود على ذهبي، وأسد لانستر، ذهبي على قرمزي، يتصارَعان.



ستانيس باراثيون الأول، الابن الثَّاني للورد ستفون باراثيون والليدي كاسانا سليلة عائلة إسترمونت، سيِّد دراجونستون، يُسَمِّي نفسه ملك وستروس،

- **الملكة سيليس** سليلة عائلة إسترمونت، زوجته، حاليًّا في القلعة الشَّرقيَّة على البحر،
- **الأميرة شيرين**، ابنتهما، فتاة في السَّابعة،
- **ذو الوجه المرقَّع**، مهرِّج شيرين الأبله،
- **إدريك ستورم**، ابن أخيه النَّغل، ابن الملك روبرت من الليدي ديلينا فلورنت، صبي في الثَّانية عشرة، على متن پرندوس المجنون في البحر الضيِّق.
- **السير أندرو إسترمونت**، ابن خال الملك ستانيس، من رجال الملك، يقود حُرَّاس إدريك،

- **السير چيرالد جاور**، **لويس** ولقبه **السَّمَّاك**، **السير تريستون ابن هضبة تالي**، **أومر بلاكبري**، من رجال الملك حُرَّاس إدريك وحُماته،

- بلاط ستانيس في القلعة السَّوداء:

- **الليدي مليساندرا الآشايِيَّة** ولقبها **المرأة الحمراء**، من راهبات راهلور إله الضِّياء،

- **مانس رايدر**، ملك ما وراء الجِدار، أسير ومحكوم عليه بالموت،

- ابن رايدر من زوجته **(دالا)**، وليد بلا اسمٍ بعدُ، «الأمير الهمجي»،

- **جيلي**، مُرضعته، فتاة همجيَّة،

- ابنها، وليد آخَر بلا اسمٍ بعدُ، من أبيها **(كراستر)**،

- **السير ريتشارد هورپ**، **السير چاستن ماسي**، **السير كلايتون سوجز**، **السير جودفري فارنج** ولقبه **قاتِل العمالقة**، **اللورد هاروود فِل**، **السير كورليس پني**، من رجال الملكة وفُرسانها،

- **ڤان سيوورث وبريان فارنج**، مُرافقان ملكيَّان،

- بلاط ستانيس في القلعة الشَّرقيَّة:

- **السير داڤوس سيوورث** ولقبه **فارس البصل**، سيِّد الغابة المطيرة، أميرال البحر الضيِّق، يد الملك،

- **السير آكسل فلورنت**، عم الملكة سيليس، أبرز رجال الملكة،

- **سالادور سان**، من لِيس، قُرصان، رُبَّان ڤاليريان وأسطول من القوادس،

- حامية ستانيس في دراجونستون:

- **السير رولاند ستورم** ولقبه **نغل التَّغريدة**، من رجال الملك، أمين القلعة في دراجونستون،
- **المِايستر پايلوس**، معالج ومعلِّم ومستشار،
- **«سجّان الثَّريد»** و**«سجّان الشِّلق»**، سجّانان،
- اللوردات المقسمون على الولاء لدراجونستون:
- **مونتريس ڤيلاريون**، سيِّد المَدِّ والجَزر وحاكم دريفتمارك، صبي في السَّادسة،
- **دورام بار إمون**، سيِّد الرَّأس الحاد، صبي في الخامسة عشرة،
- حامية ستانيس في ستورمز إند:
- **السير جيلبرت فارنج**، أمين القلعة في ستورمز إند،
- **اللورد إلوود ميدوز**، نائب السير جيلبرت،
- **المِايستر چورن**، مستشار السير جيلبرت ومعالجه،
- اللوردات المقسمون على الولاء لستورمز إند:
- **إلدون إسترمونت**، سيِّد الحجر الأخضر، خال الملك ستانيس، خال أبي الملك تومن الكبير، صديق حذِر للاثنين،
- **السير إيمون**، ابن اللورد إلدون ووريثه، مع الملك تومن في كينجز لاندنج،
- **السير آلن**، ابن السير إيمون، أيضًا مع الملك تومن في كينجز لاندنج،
- **السير لوماس**، أخو اللورد إلدون، خال الملك ستانيس ومناصره في ستورمز إند،
- **السير أندرو**، ابن السير لوماس، يحمي إدريك ستورم في البحر الضيِّق،
- **لستر موريجن**، سيِّد عُش الغِربان،

- **اللورد لوكوس تشيترينج** ولقبه **لوكوس الصَّغير**، شاب في السَّادسة عشرة،

- **داڤوس سيوورث**، سيِّد الغابة المطيرة،

- **ماريا**، زوجته، ابنة نجَّار،

- **(دايل وآلارد وماثوس وماريك)**، أبناؤهما الأربعة الأكبر، فقداهم في معركة النَّهر الأسود،

- **دڤان**، مُرافق مع الملك ستانيس في القلعة السَّوداء،

- **ستانيس**، صبي في العاشرة، مع الليدي ماريا في رأس الغضب،

- **ستفون**، صبي في السَّادسة، مع الليدي ماريا في رأس الغضب،

اتَّخذ ستانيس لرايته رمز قلب إله الضِّياء النَّاري، وهو قلب أحمر محاط باللَّهب البرتقالي على خلفيَّةٍ صفراء، وفي داخل القلب وعل باراثيون المتوَّج بلونٍ أسود.



ينحدر آل جرايچوي من الملك الأشيب الذي عاشَ في عصر الأبطال، وتقول عنه الأساطير إنه لم يَحكُم الجُزر الغربيَّة فحسب، بل البحر نفسه كذلك وتزوَّج عروس بحر. لآلاف السِّنين شكَّل مُغيرو جُزر الحديد -الذين أطلقَ عليهم ضحاياهم لقب «الرِّجال الحديديِّين» رُعبًا مقيمًا عبر البحار، فقد أبحَروا لمسافاتٍ بعيدةٍ حتى ميناء إيبن وجُزر الصَّيف، وتباهوا بشراستهم في المعارك وحُرِّياتهم المقدَّسة. كان لكلِّ واحدةٍ من جُزر الحديد «ملك ملحي» و«ملك صخري»، وكان هؤلاء ينتخبون ملك الجُزر الأعلى من بينهم، إلى أن جعلَ الملك أورون انتقال العرش بالوراثة عندما اغتالَ بقيَّة الملوك أثناء اجتماعهم للانتخاب، ثم قُضِيَ على سلالة أورون كلها بَعد ألف عامٍ عندما اكتسحَ الأنداليُّون جُزر الحديد، وصاهرَ آل جرايچوي الغزاة كما فعلَ عدد من سادة الجُزر الآخَرين.

بسطَ الملوك الحديديُّون سيطرتهم لمسافاتٍ تجاوزَت جُزر الحديد نفسها بكثير، وأقاموا ممالك كاملةً على اليابسة بالسَّيف والنَّار، حتى إن الملك كوريد كان يتفاخَر بأن أوامره تسري «حيثما يشمُّ النَّاس المياه المالحة أو يسمعون تلاطُم الأمواج». في القرون التَّالية فقدَ أبناء كوريد الكرمة والبلدة القديمة وجزيرة الدِّببة ومساحةً كبيرةً من السَّاحل الغربي، ومع ذلك ظلَّ الملك هارن الأسود مسيطرًا على الأراضي الواقعة بين الجبال من العُنق وحتى النَّهر الأسود خلال حروب الغزو، لكن بَعد مصرعه مع أبنائه في سقوط هارنهال منحَ إجون تارجاريَن أراضي النَّهر لعائلة تَلي، وسمحَ للوردات جُزر الحديد النَّاجين بإحياء تقليدهم القديم واختيار من يَحكُمهم، فاختاروا اللورد ڤيكون جرايچوي ابن پايك.

سبقَ أن قادَ بالون جرايچوي سيِّد جُزر الحديد تمرُّدًا على العرش الحديدي، أخمدَه الملك روبرت باراثيون الأول وإدارد ستارك سيِّد وينترفل، لكن في خضمِّ الفوضى التي تبعَت موت روبرت نصَّب اللورد بالون نفسه ملكًا ثانيةً وأرسلَ سُفنه الطَّويلة تُهاجِم الشَّمال.

يورون جرايچوي، ثالث من يحمل هذا الاسم منذ الملك الأشيب، ملك جُزر الحديد والشَّمال، ملك الملح والصَّخر، ابن رياح البحر، سيِّد حصاد پايك، رُبَّان الصَّمت، لقبه **عين الغُراب**،

- أخوه الأكبر، **(بالون)**، ملك جُزر الحديد والشَّمال، تاسع من يحمل هذا الاسم منذ الملك الأشيب، مات سقوطًا من علٍ،

- أرملة الملك بالون، **الملكة ألانيس** سليلة عائلة هارلو،

-أولادهما:

- **(رودريك)**، قُتِلَ خلال تمرُّد بالون الأول،

- **(مارون)**، قُتِلَ خلال تمرُّد بالون الأول،
- **آشا**، ابنتهما، رُبَّان الرِّيح السَّوداء وغازية ربوة الغابة،
- **ثيون**، يُسَمِّي نفسه أمير وينترفل، يُسَمِّيه الشَّماليُّون ثيون المارِق،

-إخوة الملك يورون الأشقَّاء وغير الأشقَّاء:

-**(هارلون)**، ماتَ بالدَّاء الأرمد في شبابه،

-**(كوينتون)**، ماتَ في طفولته،

-**(دونل)**، ماتَ في طفولته،

-**ڤيكتاريون**، الرُّبان قائد الأسطول الحديدي، سيِّد النَّصر الحديدي،

-**(يوريجون)**، ماتَ بجرحٍ بليغ،

-**آرون**، من زُهبان الإله الغريق،

-**روس ونورچن**، اثنان من مُعاونيه، «الرِّجال الغرقى»،

-(روبن)، ماتَ في طفولته،

-أهل بيت الملك بالون في پايك:

-**المِايستر ويندامير**، معالج ومستشار،

-**هيليا**، راعية القلعة،

-مُحاربو الملك بالون والمقسمون له:

-**داجمر** ولقبه **ذو الفَكِّ المفلوق**، رُبَّان ثُمالة البحر، يقود الحديديِّين في مربَّع تورين،

-**ذو السِّن الزَّرقاء**، رُبَّان سفينة طويلة،

-**أولر وسكايت**، ملَّاحان ومُحاربان،

-المطالبون بكُرسي حجر اليَم في انتخاب الملك في ويك القديمة:

جيلبرت فارويند، سيِّد المنارة الوحيدة،

- أنصار جيلبرت: أبناؤه **جايلز ويجون ويون،**

إريك آيرونميكر ولقبه **محطِّم السَّنادين وإريك العادل،** عجوز، رُبَّان ومُغير ذائع الصِّيت سابقًا،

- أنصار إريك: أحفاده **أوريك وثورمور وداجون،**

دنستان دروم، دروم الكبير، اليد العظميَّة، سيِّد ويك القديمة،

- أنصار دنستان: ابناه **دينس ودونل، وأندريك اللا مبتسم،** رجل عملاق،

آشا جرايچوري، ابنة بالون جرايچوي الوحيدة، رُبَّان الرِّيح السَّوداء،

- أنصار آشا: **كارل البِكر، تريستيفر بوتلي، السير هاراس هارلو،**

- ربابنة آشا وداعموها: **اللورد رودريك هارلو، اللورد بيلور بلاكتايد، اللورد ملدريد مرلين، هارموند شارپ،**

ڤيكتاريون جرايچوي، أخو بالون جرايچوي، سيِّد النَّصر الحديدي، الرُّبان قائد الأسطول الحديدي،

- أنصار ڤيكتاريون: **رالف ستونهاوس الأحمر، رالف الأعرج، نيوت الحلَّاق،**

- ربابنة ڤيكتاريون وداعموه: **هوثو هارلو، آلڤن شارپ، فرالج القوي، رومني ويڤر، ويل همبل، لينوود تاوني الصَّغير، رالف كنينج، مارون ڤولمارك، جورولد جودبراذر،**

- طاقم سفينة ڤيكتاريون: **وولف ذو الأُذن الواحدة، راجنور پايك،**

- رفيقة ڤيكتاريون في الفِراش امرأة سمراء خرساء بلا لسان، هديَّة من أخيه يورون،

يورون جرايچوي ولقبه **عين الغُراب**، أخو بالون جرايچوي، رُبَّان الصَّمت،

- أنصار يورون: **جرموند بوتلي**، **اللورد أوركوود سيِّد أوركمونت**، **دونور سولتكليف**،

- ربابنة يورون وداعموه: **توروولد ذو السِّن البنِّيَّة**، **چون ماير ذو الوجه المسحوب**، **رودريك المولود حُرًّا**، **الملَّاح الأحمر**، **لوكاس كود الأعسر**، **كويلون همبل**، **هارن النِّصف هور**، **كيميت پايك النَّغل**، **ذو اليد الحجر**، **رالف الرَّاعي**، **رالف سليل لوردزپورت**،

- طاقم سفينة يورون: كراجورن،

-حمَلة راية بالون، لوردات جُزر الحديد:

في پايك:

- **(ساوان بوتلي)**، سيِّد لوردزپورت، أغرقَه يورون عين الغُراب،

- **تريستيفر**، ابنه الثَّاني ووريثه الشَّرعي، طردَه عمُّه،

- **سايموند وهارلون وڤيكون وبيناريون**، أبناؤه الأصغر، مطرودون أيضًا،

- **جرموند**، أخوه، نُصِّبَ سيِّدًا على لوردزپورت،

- ابنا جرموند، **بالون وكويلون**،

- **سارجون ولوسيمور**، أخوا ساوان غير الشَّقيقين،

- **وِكس**، صبي أخرس في الثَّانية عشرة، ابن سارجون النَّغل، مُرافق ثيون جرايچوي،

- **والدون وينش**، سيِّد غابة الحديد،

في هارلو:

- **رودريك هارلو** ولقبه **القارئ**، سيِّد هارلو، سيِّد البروج العشرة، زعيم عائلة هارلو في هارلو،
- **الليدي جوينيس**، أخته الكبيرة،
- **الليدي ألانيس**، أخته الصَّغيرة، أرملة الملك بالون جرايچوي،
- **سيجفريد هارلو** ولقبه **سيجفريد ذو الشَّعر الفضِّي**، عمُّه الكبير، سيِّد بهو هارلو،
- **هوثو هارلو** ولقبه **هوثو الأحدب**، مقرُّه بُرج البريق، ابن عمومة،
- **السير هاراس هارلو** ولقبه **الفارس**، فارس الحديقة الرَّماديَّة، ابن عمومة،
- **بورموند هارلو** ولقبه **بورموند الأزرق**، سيِّد تَل هاريدان، ابن عمومة،
- حمَلة راية اللورد رودريك والمقسمون له:
- **مارون ڤولمارك**، سيِّد ڤولمارك،
- **ماير، ستونتري، كنينج**،
- أهل بيت اللورد رودريك:
- **ذات الثَّلاث أسنان**، وكيلته، امرأة عجوز،

في بلاكتايد:

- **بيلور بلاكتايد**، سيِّد بلاكتايد، رُبَّان طيَّار اللَّيل،
- **بن بلاكتايد الأعمى**، من رُهبان الإله الغريق،

في ويك القديمة:

- **دنستان دروم**، دروم الكبير، رُبَّان الرَّاعد،
- **نورن جودبراذر**، سيِّد الحجر المهشَّم،
- **ستونهاوس الكبير**،
- **تارل** ولقبه **تارل الغارق ثلاثًا**، من رُهبان الإله الغريق،

في ويك الكُبرى:

- **جورولد جودبراذر**، سيِّد هامرهورن،
- أبناؤه، **جرايدون وجورموند وجران**، توائم،
- ابنتاه، **جايزلا وجوين**،
- **المِايستر مورنميور**، معلِّم ومعالج ومستشار،
- **تريستون فاروِيند**، سيِّد رأس الفقمات،
- **سپار الكبير**،
- ابنه ووريثه، **ستيفاريون**،
- **ملدريد مرلين**، سيِّد بلدة الحصى،

في أوركمونت:

- **أوركوود سيِّد أوركمونت**،
- **اللورد تاوني**،

في جُرف الملح:

- **اللورد دونور سولتكليف**،
- **اللورد سندرلي**،

في الجُزر والصُّخور الأصغر:

- **جيلبرت فاروِيند**، سيِّد المنارة الوحيدة،
- **النَّورس الرَّمادي العجوز**، من رُهبان الإله الغريق.

راية آل جرايچوي عبارة عن كراكن ذهبي على خلفيَّةٍ سوداء، وكلماتهم: «نحن لا نزرع».



تنحدر عائلة آرن من ملوك الجبال والوادي، وهي واحدة من أقدم وأنقى سُلالات النُّبلاء الأنداليِّين. لم تُشارِك عائلة آرن في حرب الملوك الخمسة، واحتفظَت بقوَّاتها للدِّفاع عن وادي آرن.

راية آل آرن عبارة عن قمرٍ وصقرٍ أبيضين على خلفيَّةٍ ذات لونٍ أزرق سماوي، وكلماتهم: «سامون كالشَّرف».

روبرت آرن، سيِّد العُش، حامي الوادي، سمَّته أمُّه حاكم الشَّرق الشَّرعي، صبي سقيم في الثَّامنة، يُسَمَّى أحيانًا العُصفور الجميل،

- أمُّه، (**الليدي لايسا** سليلة عائلة تَلي)، أرملة اللورد چون آرن، ماتَت مدفوعةً من باب القمر،

- زوج أمِّه، **پيتر بايلش** ولقبه **الإصبع الصَّغير**، سيِّد هارنهال، سيِّد الثَّالوث الأعلى، اللورد حافِظ الوادي،

- **إليني ستون**، ابنة اللورد پيتر الطَّبيعيَّة، فتاة في الثَّالثة عشرة، هُويَّتها الحقيقيَّة سانزا ستارك،

- **السير لوثور برون**، مرتزِق في خدمة اللورد پيتر، قائد حَرس العُش،

- **أوزويل**، جُندي عجوز في خدمة اللورد پيتر، يُسَمَّى أحيانًا **كِتلبلاك**،

- أهل بيت اللورد روبرت في الغُش:

- **ماريليون**، مطرب شاب وسيم أثير عند الليدي لايسا ومتَّهم بقتلها،

- **المِايستر كولمون**، مستشار ومعالج ومعلِّم،

- **مورد**، سجّان غاشم له أسنان من الذَّهب،

- **جرتشل ومادي وميلا**، خادمات،

- حمَلة راية اللورد روبرت، لوردات الوادي:

- **اللورد نستور رويس**، وكيل الوادي الأعلى وأمين قلعة بوّابات القمر،

- **السير ألبار**، ابن اللورد نستور ووريثه،

- **ميراندا** وتُسَمَّى **راندا**، ابنة اللورد نستور، أرملة بَعد زيجة قصيرة،

- أهل بيت اللورد نستور:

- **السير ماروين بلمور**، قائد الحَرس،

- **ميا ستون**، سائقة وراعية بغال، ابنة الملك روبرت باراثيون الأول النَّغلة،

- **أوسي وكاروت**، سائقا بغال،

- **لايونل كوربراي**، سيِّد بيت القلوب،

- **السير لين كوربراي**، أخوه ووريثه، حامل السَّيف الشَّهير سيِّدة البؤس،

- **السير لوكاس كوربراي**، أخوه الأصغر،

- **چون ليندرلي**، سيِّد غابة الثَّعابين،

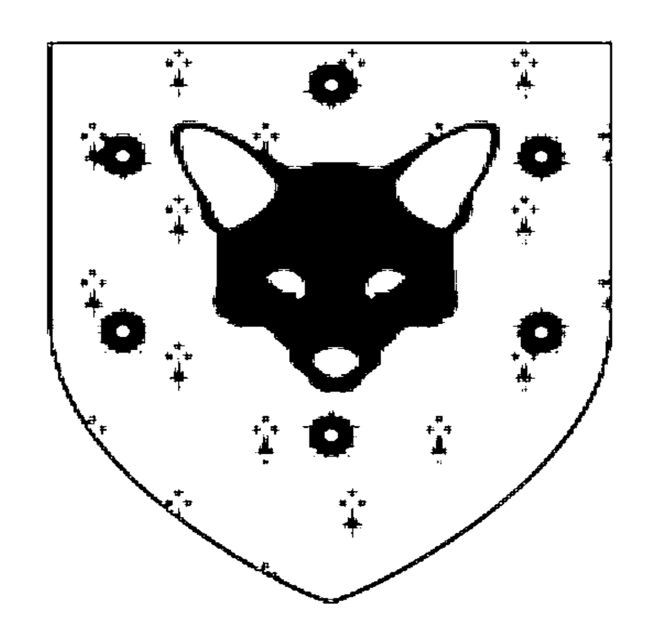
- **تيرانس**، ابنه ووريثه، مُرافق شاب،

- **إدموند واكسلي**، فارس ويكندن،

- **چيرولد جرافتون**، سيِّد بلدة النَّوارس،

- **جايلز**، ابنه الأصغر، مُرافق،
- **تريستون سندرلاند**، سيِّد الثَّلاث أخوات،
- **جودريك دورل**، سيِّد الأخت العذبة،
- **رولاند لونجثورپ**، سيِّد الأخت الطَّويلة،
- **أليساندور تورنت**، سيِّد الأخت الصَّغيرة،
- لوردات البيان، حمَلة راية عائلة آرن المتضافرون دفاعًا عن اللورد روبرت:
- **يون رويس** ولقبه **يون البرونزي**، سيِّد رونستون، من الفرع الرَّئيس لعائلة رويس،
- **السير أندار**، ابن يون البرونزي الحي الوحيد، وريث رونستون،
- أهل بيت يون البرونزي:
- **المِايستر هليويج**، معلِّم ومعالج ومستشار،
- **السِّپتون لوكوس**،
- **السير ساموِيل ستون** ولقبه **سام ستون القوي**، قيِّم السِّلاح،
- حمَلة راية يون البرونزي والمقسمون له:
- **رويس كولدووتر**، سيِّد غدير الماء البارد،
- **السير دامون شِفت**، فارس بُرج النَّوارس،
- **أوثور توليت**، سيِّد الوادي الرَّمادي،
- **آنيا واينوود**، سيِّدة السَّنديانة الحديديَّة،
- **السير مورتون**، ابنها الأكبر ووريثها،
- **السير دونل**، ابنها الثَّاني، فارس البوَّابة،
- **والاس**، ابنها الأصغر،
- **هارولد هاردينج**، ربيبها، مُرافق شاب يُسَمَّى غالبًا **هاري الوريث**،

- **بنيدار بلمور**، سيِّد الأغرودة،
- **السير سايموند تمپلتون**، فارس النُّجوم التِّسع،
- **(إيون هنتر)**، سيِّد بهو القوس الطَّويل، ماتَ قريبًا،
- **السير جيلوود**، ابن اللورد إيون الأكبر ووريثه، الآن يُسَمَّى **اللورد هنتر اليافع**،
- **السير إيوستس**، ابن اللورد إيون الثَّاني،
- **السير هارلان**، ابن اللورد إيون الأصغر،
- أهل بيت اللورد هنتر اليافع:
- **المِايستر ويلامن**، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- **هورتون ردفورت**، سيِّد ردفورت، تزوَّج ثلاث مرَّات،
- **السير چاسپر**، **السير كرايتون**، **السير چون**، أبناؤه،
- **السير مايكل**، ابنه الأصغر، فارس مستجد، زوج يسيلا رويس ابنة رونستون،
- زُعماء قبائل جبال القمر:
- **شاجا بن دولف** زعيم **الغِربان الحجريَّة**، حاليًّا يقود جماعةً في غابة الملوك،
- **تيميت بن تيميت**، زعيم **الرِّجال المحروقين**،
- **تشلا بنت تشيك**، زعيمة **الآذان السَّوداء**،
- **كراون بن كالور**، زعيم **إخوة القمر**.



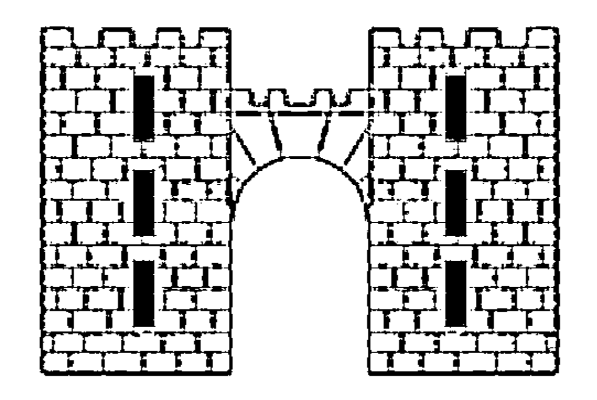
آل فلورنت أولاد قلعة المياه الوضَّاءة من حمَلة راية عائلة تايرل، على الرغم من أسبقيَّة حقِّهم في هايجاردن استنادًا إلى صلة دمٍ بينهم وبين عائلة جارندر التي حكمَ ملوكها المرعى قديمًا. لدى اندلاع حرب الملوك الخمسة تبعَ اللورد آلستر فلورنت آل تايرل في إعلانهم تأييد الملك رنلي، لكن أخاه السير آكسل اختارَ الملك ستانيس، الذي خدمَه أعوامًا كأمين القلعة في دراجونستون، وقد كانت سيليس ابنة أخيهما وما زالَت ملكة ستانيس. بَعد موت رنلي عند ستورمز إند انضمَّ آل فلورنت لستانيس بقوَّتهم كلِّها، وهُم أول من يفعل هذا من حمَلة راية رنلي. نصَّب ستانيس اللورد آلستر يدًا له، وأعطى أخا زوجته السير إمري فلورنت قيادة أسطوله، وفي معركة النَّهر الأسود ضاعَ كلا الأسطول والسير إمري، وعَدَّ الملك ستانيس جهود اللورد آلستر للتَّفاوُض على السَّلام خيانةً، وأعطى الرَّاهبة الحمراء ميليساندرا إياه لتُحرِقه كقُربان لراهلور.

رمز عائلة فلورنت عبارة عن ثعلبٍ يطلُّ برأسه من حلقةٍ من الزُّهور.

(آلستر فلورنت)، سيِّد قلعة المياه الوضَّاءة،

- زوجته، **الليدي ميلارا**، سليلة عائلة كرين،
- أولادهما:
- **أليكاين**، وريث قلعة المياه الوضَّاءة،
- **ميليسا**، زوجة اللورد راندل تارلي،
- **ريا**، زوجة اللورد لايتون هايتاور،
- أخواه:
- **السير آكسل**، أمين قلعة دراجونستون،
- **(السير ريام)**، ماتَ حين سقطَ من فوق حصان،
- ابنة السير ريام، **الملكة سيليس**، زوجة الملك ستانيس،
- ابن السير ريام الأكبر ووريثه، **(السير إمري)**،
- ابن السير ريام الثَّاني، **السير إرِن**،
- **السير كولين**،
- ابنة السير كولين، **ديلينا**، زوجة السير **هوسمان نوركروس**،
- ابن ديلينا، **إدريك ستورم**، ابن غير شرعي للملك روبرت،
- ابن ديلينا، **آلستر نوركروس**،
- ابن ديلينا، **رنلي نوركروس**،
- ابن كولين، **المِايستر أومر**، في خدمة أوك القديمة،
- ابن كولين، **ميريل**، مُرافِق في الكرمة،
- أخته، **رايلين**، زوجة ريتشارد كرين.

عائلة فراي



يتمتَّع آل فراي بالقوَّة والثَّراء وعددٍ وفير من الأولاد، وهُم حمَلة راية عائلة تَلي ومقسِمون على الولاء لريفررَن، وإن كانوا لا يلتزمون دائمًا بأداء واجبهم، فحين قاتلَ روبرت باراثيون ريجار تارجاريَن في معركة الثَّالوث لم يصل رجال فراي إلَّا بَعد انتهاء القتال، ومنذ ذلك الحين لقَّب هوستر تَلي اللورد والدر باللورد فراي الممتلكِّئ. لم يُوافِق اللورد فراي على دعم روب ستارك إلَّا بَعد أن وافقَ روب ستارك على خطبة واحدةٍ من بناته أو حفيداته، ووعدَ بأن يتزوَّجها حين تنتهي الحرب، ثم عندما تزوَّج چاين وسترلينج بدلًا من ذلك تآمرَ آل فراي مع رووس بولتون واغتالوا الذِّئب الصَّغير وأتباعه في الحادثة التي صارَت معروفةً باسم الزِّفاف الأحمر.

والدر فراي، سيِّد المعبر،

- من زوجته الأولى، **(الليدي پيرا)** سليلة عائلة رويس:
- **السير ستفرون**، وريث التَّوأمتين،
- زوجته **(كورينا سوان)**، ماتَت بمرضٍ مزمن،
- ابن ستفرون الأكبر، **السير رايمان**،
- ابن رايمان، **إدوين**، زوج چانيس هنتر،
- ابنة إدوين، **والدا**، فتاة في الثَّامنة،

- ابن رايمان، **والدر**، لقبه **والدر الأسود**،
- ابن رايمان، **(پيتر)**، لقبه **پيتر ذو الدَّمامل**، زوج ميليندا كارون،
- ابنة پيتر، **پيرا**، فتاة في الخامسة،
- زوجته **(چين ليدن)**، ماتَت حين سقطَت من على حصان،
- ابن ستڤرون، **(إجون)**، أبله ملقَّب بذي الجلاجل،
- ابنة ستڤرون، **(مايجل)**، ماتَت أثناء الوضع،
- **السير دافين ڤانس**،
- ابنة مايجل، **ماريان**، عذراء،
- ابن مايجل، **والدر ڤانس**، مُرافِق فارس،
- ابن مايجل، **پاتريك ڤانس**،
- زوجته **(مارسلا واينوود)**، ماتَت أثناء الوضع،
- ابن ستڤرون، **والتون**، زوج ديانا هاردينج،
- ابن والتون، **ستفون**، لقبه **الحُلو**،
- ابنة والتون، **والدا**، لقبها **والدا الحسناء**،
- ابن والتون، **برايان**، مُرافِق فارس،
- **السير إمون**، زوج چنا سليلة عائلة لانستر،
- ابن إمون، **(السير كليوس)**، زوج چين داري، قتله الخارجون عن القانون قُرب بِركة العذارى،
- ابن كليوس، **تايوين**، مُرافِق فارس في الحادية عشرة،
- ابن كليوس، **ويلم**، وصيف في آشمارك،
- ابن إمون، **السير لايونل**، زوج ميليسا كراكهول،
- ابن إمون، **(تيون)**، قتلَه ريكارد كارستارك وهو أسير في ريڤررَن،

- ابن إمون، **والدر**، لقبه **والدر الأحمر**، وصيف في كاسترلي روك،

- السير إينس، **زوج (تيانا وايلد)**، ماتَت أثناء الوضع،

- ابن إينس، **إجون وليد الدَّم**، خارج على القانون،

- ابن إمون، **ريجار**، زوج چين بيزبوري،

- ابن ريجار، **روبرت**، صبي في الثَّالثة عشرة،

- ابنة ريجار، **والدا**، فتاة في العاشرة، لقبها **والدا البيضاء**،

- ابن ريجار، **چونوس**، صبي في الثَّامنة،

- **پِريان**، زوجة السير ليزلين هاي،

- ابن پِريان، **السير هاريس هاي**،

- ابن هاريس، **والدر هاي**، صبي في الرَّابعة،

- ابن پِريان، **السير دونل هاي**،

- ابن پِريان، **السير آلين هاي**، مُرافِق فارس،

- من زوجته الثَّانية، **(الليدي كايرينا)** سليلة عائلة سوان:

- **السير چارد**، ابنهما الأكبر، زوج (آليس فراي)،

- ابن چارد، **(السير تايتوس)**، زوج زوي بلينتري، قتلَه ساندور كليجاين خلال الزِّفاف الأحمر،

- ابنة تايتوس، **زيا**، فتاة في الرَّابعة عشرة،

- ابن تايتوس، **زاكري**، صبي في الثَّانية عشرة، يتدرَّب في سِپت البلدة القديمة،

- ابنة چارد، **(كايرا)**، زوجة جارس جودبروك، قُتِلَت خلال الزِّفاف الأحمر،

- ابن كايرا، **والدر جودبروك**، صبي في التَّاسعة،

- ابنة تايتوس، **چين جودبروك**، فتاة في السَّادسة،

- **السِّپتون لوسيون**، يخدم في سِپت بيلور الكبير في كينجز لاندنج،

- من زوجته الثَّالثة، **(الليدي أماري)** سليلة عائلة كراكهول:

- **السير هوستين**، ابنهما الأكبر، زوج بيلينا هاويك،

- ابن هوستين، **السير آروود**، زوج ريبلا رويس،

- ابنة آروود، **ريبلا**، فتاة في الخامسة،

- ابنا آروود التَّوأم، **أندرو وآلين**، في الثَّالثة،

- **الليدي لايثين**، زوجة اللورد لوشياس ڤايپرن،

- ابنة لايثين، **إليانا**، زوجة السير چون وايلد،

- ابن إليانا، **ريكارد وايلد**، في الرَّابعة،

- ابن لايثين، **السير ديمون ڤايپرن**،

- **سايموند**، زوج بيثاريوس البراڤوسيَّة،

- ابن سايموند، **أليساندر**، مغنٍّ،

- ابنة سايموند، **آلكس**، فتاة في السَّابعة عشرة،

- ابن سايموند، **برادامار**، صبي في العاشرة، نشأ في براڤوس ربيبًا للتَّاجر أورو تندايريس،

- **السير دانويل**، زوج واينافري وِنت،

- (وُلِدَ أبناؤهما إمَّا موتى أو ماتوا في المهد)،

- **(ميريت)**، زوج ماريا داري، ماتَ شنقًا في الحجر العتيق،

- ابنة ميريت، **آميري**، تُسَمَّى **آمي**، أرملة في السَّادسة عشرة، كانت زوجة (السير پايت فارس الفرع الأزرق، قتلَه السير جريجور كليجاين)،

- ابنة ميريت، **والدا**، لقبها **والدا السَّمينة**، فتاة في الخامسة عشرة،

- ابنة ميريت، **ماريسا**، فتاة في الثَّالثة عشرة،

- ابن ميريت، **والدر**، لقبه **والدر الصَّغير**، صبي في الثَّامنة، ينشأ في وينترفل كربيب الليدي كاتلين ستارك،

- **(السير چريمي)**، مات غرقًا، كان زوج كارولي واينوود،

- ابن چريمي، **ساندور**، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافِق السير دونل واينوود،

- ابنة چريمي، **سينثيا**، فتاة في التَّاسعة، ربيبة الليدي آنيا واينوود،

- **السير رايموند**، زوج بيوني بيزبوري،

- ابن رايموند، **روبرت**، في السَّادسة عشرة، يتدرَّب في قلعة البلدة القديمة،

- ابن رايموند، **مالوين**، في الخامسة عشرة، يتدرَّب لدى خيميائي في لِيس،

- ابنتا رايموند التَّوأم، **سيرا وسارا**، فتاتان في الرَّابعة عشرة،

- ابنة رايموند، **سرسي**، في السَّادسة، لقبها **النَّحلة الصَّغيرة**،

- من زوجته الرَّابعة، **(الليدي أليسا)** سليلة عائلة بلاكوود:

- **لوثار**، ابنهما الأكبر، لقبه **لوثار الكسيح**، زوج ليونلا ليفورد،

- ابنة لوثار، **تايسين**، فتاة في السَّابعة،

- ابنة لوثار، **والدا**، فتاة في الرَّابعة،

- ابنة لوثار، **إمبريلي**، فتاة في الثَّانية،

- **السير چاموس**، زوج سالي پايپر،

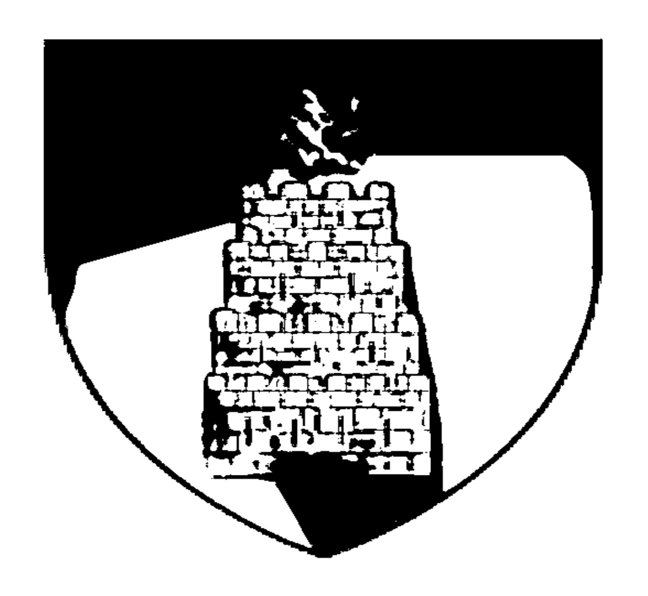
- ابن چاموس، لقبه **والدر الكبير**، صبي في الثَّامنة، ينشأ في وينترفل كربيب الليدي كاتلين ستارك،

- ابنا چاموس التَّوأم، **ديكون وماثوس**، في الخامسة،

- **السير والن**، زوج سيلوا پايپر،

- ابن والن، **هوستر**، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافِق السير ديمون پايچ،
- ابنة والن، **ماريان**، تُسَمَّى **مِري**، فتاة في الحادية عشرة،
- **الليدي موريا**، زوجة السير فليمنت براكس،
- ابن موريا، **روبرت براكس**، في التَّاسعة، ينشأ كوصيف في كاسترلي روك،
- ابن موريا، **والدر براكس**، صبي في السَّادسة،
- ابن موريا، **چون براكس**، صبي في الثَّالثة،
- **تايتا**، لقبها **تايتا العذراء**، في التَّاسعة والعشرين،
- من زوجته الخامسة، **(الليدي ساريا)** سليلة عائلة وِنت:
- لا أولاد،
- من زوجته السَّادسة، **(الليدي بثاني)** سليلة عائلة روزبي:
- **السير پروين**، ابنهما الأكبر،
- **السير (بنفري)**، ابن اللورد والدر السَّادس عشر، ماتَ بجرحٍ أصابه خلال الزِّفاف الأحمر، زوج چيانا فراي، ابنة عمه،
- ابنة بنفري، **دِلا**، لقبها **دِلا الصمَّاء**، في الثَّالثة،
- ابن بنفري، **أوزموند**، صبي في الثَّانية،
- **المِايستر ويلامن**، يخدم في قلعة القوس الطَّويل،
- **أوليڤار**، مُرافِق في خدمة روب ستارك،
- **روزلين**، فتاة في السَّادسة عشرة،
- من زوجته السَّابعة، **(الليدي أنارا)** سليلة عائلة فارنج:
- **أروين**، فتاة في الرَّابعة عشرة،
- **وندل**، ابنهما الأكبر، صبي في الثَّالثة عشرة، ينشأ في سيجارد كوصيف،
- **كولمار**، موعود بالخدمة في العقيدة، في السَّابعة،

- **والتير**، يُسَمَّى **تير**، صبي في العاشرة،
- **إلمار**، خطيب آريا ستارك، صبي في التَّاسعة،
- **شيري**، فتاة في السَّادسة،
- من زوجته الثَّامنة، **(الليدي چويئيوس)** سليلة عائلة إرينفورد:
- لا أولاد بعدُ،
- أولاد اللورد والدر غير الشَّرعيِّين من أمَّهاتٍ مختلفات:
- **والدر ريڤرز**، لقبه **والدر النَّغل**،
- ابن والدر النَّغل، **السير إيمون ريڤرز**،
- ابنة والدر النَّغل، **والدا ريڤرز**،
- **المِايستر ملويس**، يخدم في روزبي،
- **چين ريڤرز**، **مارتن ريڤرز**، **رايجر ريڤرز**، **رونل ريڤرز**، **ميلارا ريڤرز**، آخَرون.



آل هايتاور أولاد البلدة القديمة من أعرق عائلات وستروس الكُبرى وأكثرها إباءً، وتنحدر أصولهم من البَشر الأوائل. قديمًا كانوا ملوكًا يَحكُمون البلدة القديمة والأنحاء المحيطة بها منذ فَجر العصور، ورحَّبوا بالأنداليِّين بدلًا من مقاوَمتهم، ولاحقًا خضعوا لملوك المرعى متخلِّين عن تيجانهم وإن احتفظوا بجميع امتيازاتهم العتيقة. على الرغم من سطوتهم وثرائهم الفاحش لطالما فضَّل لوردات البُرج العالي التِّجارة على القتال، ونادرًا ما لعبوا دورًا كبيرًا في حروب وستروس. كان آل هايتاور عاملًا أسياسيًّا في إنشاء القلعة وما زالوا يحمونها حتى اليوم، ولحصافتهم ورقيِّهم كانوا دومًا رُعاةً للعلم والعقيدة، ويُقال إن بعضًا معيَّنًا منهم اشتغلَ أيضًا في الخيمياء والپايرومانسي والنِّكرومانسي وغيرها من فنون السِّحر.

رمز عائلة هايتاور بُرج أبيض مدرَّج متوَّج بالنَّار على خلفيَّة بلون الدُّخان، وكلماتهم: «نُنير الطَّريق».

لايتون هايتاور، صوت البلدة القديمة، سيِّد المرفأ، سيِّد البُرج العالي، حامي القلعة، منارة الجنوب، يُسَمَّى **شيخ البلدة القديمة**،

- **الليدي ريا** سليلة عائلة هايتاور، زوجته الرَّابعة،
- أكبر أبناء اللورد لايتون ووريثه، **السير بيلور** ولقبه **بيلور البشوش**، زوج روندا روان،
- ابنة اللورد لايتون، **مالورا** ولقبها **العذراء المجنونة**،
- ابنة اللورد لايتون، **آليري**، زوجة اللورد مايس تايرل،
- ابن اللورد لايتون، **السير جارث** ولقبه **الفولاذ الرَّمادي**،
- ابنة اللورد لايتون، **دينيس**، زوجة السير دزموند ردواين،
- ابنها، **دينس**، مُرافق،
- ابنة اللورد لايتون، **لايلا**، زوجة السير چون كوپس،
- ابنة اللورد لايتون، **أليسين**، زوجة اللورد آرثر أمبروز،
- ابنة اللورد لايتون، **لينيس**، زوجة اللورد چورا مورمونت، والآن كبيرة محظيَّات تريجار أورمولن في لِيس،
- ابن اللورد لايتون، **السير جونثور**، زوج چاين فوسواي من فرع عائلة فوسواي الأخضر،
- ابن اللورد لايتون الأصغر، **السير همفري**،
- حمَلة راية اللورد لايتون:
- **تومن كوستاين**، سيِّد الأبراج الثَّلاثة،
- **أليسين بولوار**، سيِّدة التَّاج الأسود، فتاة في الثَّامنة،
- **مارتن مالندور**، سيِّد النُّجود،
- **وارن بيزبوري**، سيِّد ربوة العسل،
- **برانستون كاي**، سيِّد بهو عبَّاد الشَّمس،
- أهل البلدة القديمة:
- **إما**، ساقية في الرِّيشة والدَّورق، حيث النِّساء شبقات وخمر الثُّفَّاح قويَّة للغاية،

- **روزي**، ابنتها، فتاة في الخامسة عشرة ستتكلَّف بِكارتها تنِّينًا ذهبيًّا،

- رؤساء المِايسترات في القلعة:

- **المِايستر الرَّئيس نورن**، قهرمان العام الحالي، خاتمه وصولجانه وقناعه من معدن الإلكتروم،

- **المِايستر الرَّئيس ثيوبولد**، قهرمان العام المقبل، خاتمه وصولجانه وقناعه من الرَّصاص،

- **المِايستر الرَّئيس إيبروز**، المعالج، خاتمه وصولجانه وقناعه من الفضَّة،

- **المِايستر الرَّئيس ماروين** ولقبه **ماروين المشعوذ**، خاتمه وصولجانه وقناعه من الفولاذ الڤاليري،

- **المِايستر الرَّئيس پيرستان**، المؤرِّخ، خاتمه وصولجانه وقناعه من النُّحاس،

- **المِايستر الرَّئيس ڤايلين** ولقبه **الخل**، الفلكي، خاتمه وصولجانه وقناعه من البرونز،

- **المِايستر الرَّئيس ريام**، خاتمه وصولجانه وقناعه من الذَّهب الأصفر،

- **المِايستر الرَّئيس** والجريف، عجوز تائه العقل، خاتمه وصولجانه وقناعه من الحديد الأسود،

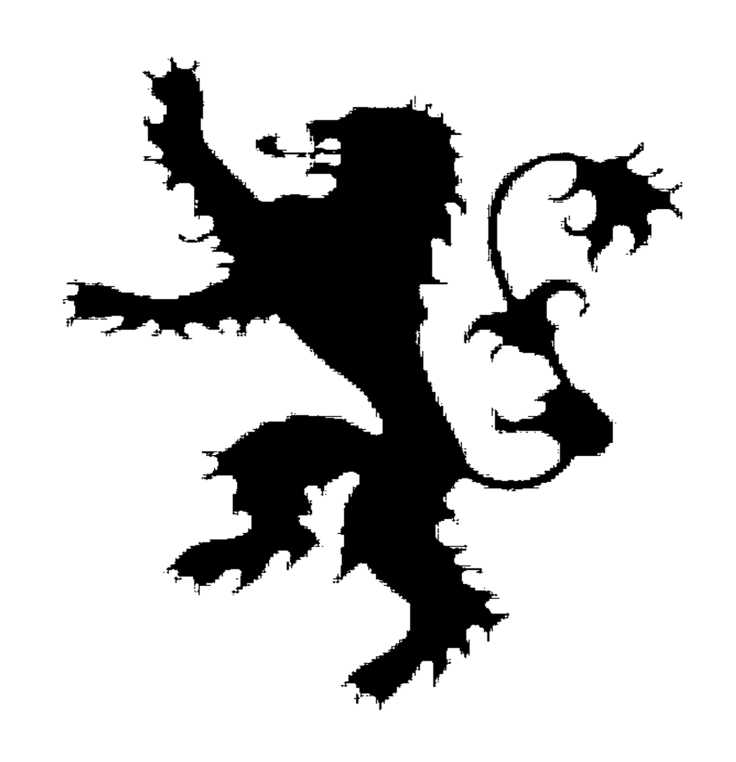
- **جالارد**، **كاستوس**، **زارابلو**، **بنيدكت**، **جاريزون**، **نايموس**، **سيثريس**، **ويليفر**، **مولوس**، **هارودون**، **جايني**، **أجريڤان**، **أوكلي**، كلُّهم رؤساء مِايسترات،

- مِايسترات ومُعاونو ومبتدئو القلعة:

- **المِايستر جورمون**، يخدم غالبًا في مكان والجريف،

- **آرمن** ويُسَمَّى **المُعاون**، مُعاون في سلسلته أربع حلقات،

- **أليراس** ولقبه **أبو الهول**، مُعاون في سلسلته ثلاث حلقات، قوّاس بارع،
- **روبرت فراي**، في السَّادسة عشرة، مُعاون في سلسلته حلقتان،
- **لوركاس**، مُعاون في سلسلته تسع حلقات، في خدمة القهرمان،
- **ليو تايرل** ولقبه **ليو الكسول**، مبتدئ من النُّبلاء،
- **مولاندر**، مبتدئ مولود بقدمٍ معوجَّة،
- **پايت**، يعتني بغِدفان المِايستر الرَّئيس والجريق، مبتدئ غير واعد،
- **روون**، مبتدئ صغير.



يبقى آل لانستر أولاد كاسترلي روك أقوى المؤيِّدين لدعوى الملك تومن للعرش الحديدي، ويأتي نَسبهم من جهة الإناث من لان الأريب، المُحتال الذي عاشَ في عصر الأبطال، وقد جعلَهم ذهب كاسترلي روك والنَّاب الذَّهبي أثرى العائلات الكُبرى.

راية آل لانستر عبارة عن أسدٍ ذهبي على خلفيَّةٍ قرمزيَّة، وكلماتهم: «اسمعوا زئيري».

(تايوين لانستر)، سيِّد كاسترلي روك، حامي لانسپورت، حاكم الغرب، يد الملك، قتلَه ابنه القزم في مرحاضه،

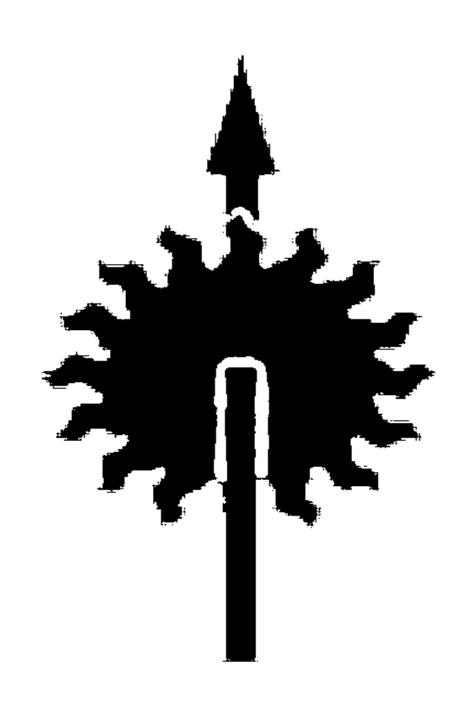
- أولاد اللورد تايوين:
- **سرسي**، توأمة چايمي، الآن سيِّدة كاسترلي روك،
- **چايمي**، توأم سرسي ولقبه **قاتِل الملك**،
- **تيريون** ولقبه **العِفريت**، قزم وقاتِل أقربين،
- إخوة اللورد تايوين وأولادهم:
- السير **كيڤان لانستر**، زوج دورنا سليلة عائلة سويفت،

- **الليدي چنا**، زوجة إمون فراي، الآن سيِّد ريڤررَن،
- ابن چِنا الأكبر، **(السير كليوس فراي)**، زوج چاين سليلة عائلة داري، قتلَه الخارجون عن القانون،
- ابن كليوس الكبير، **السير تايوين فراي** ويُسَمَّى **تاي**، الآن وريث ريڤررَن،
- ابن كليوس الثَّاني، **ويلم فراي**، مُرافق،
- ابن چِنا الثَّاني، **السير لايونل فراي**،
- ابن چِنا الثَّالث، **(تيون فراي)**، قُتِلَ وهو أسير في ريڤررَن،
- ابن چِنا الأصغر، **والدر فراي** ولقبه **والدر الأحمر**، وصيف في كاسترلي روك،
- وات ذو الابتسامة البيضاء، مطرب في خدمة الليدي چِنا،
- **السير تايجت لانستر**، ماتَ بالجُدري،
- **تايرك**، ابن تايجت، مفقود ويُخشى أنه ماتَ،
- **الليدي إرميساند هايفورد**، زوجة تايرك الطِّفلة،
- **(جيريون لانستر)**، مفقود في البحر،
- **چوي هيل**، ابنة جيريون النَّغلة، فتاة في الحادية عشرة،
- أهل اللورد تايوين المقرَّبون الآخَرون:
- **(السير ستافورد لانستر)**، ابن عم اللورد تايوين وأخو زوجته، قُتِلَ في معركة أوكسكروس،
- **سيرينا وماريبل**، ابنتا ستافورد،
- **السير داڤن لانستر**، ابن ستافورد،
- **السير داميون لانستر**، ابن عم، زوج شيرا كهراكهول،
- ابنهما، **السير لوشن**،
- ابنتهما، **لانا**، زوجة آنتاريو چاست،
- **الليدي مارجو**، ابنة عمومة، زوجة اللورد تايتوس پيك،

- أهل بيت اللورد تايوين في كاسترلي روك:
- **المِايستر كرايلن**، معالج ومعلِّم ومستشار،
- **ڤايلار**، قائد الحَرس،
- **السير بنيدكت بلوم**، قيِّم السِّلاح،
- **وات ذو الابتسامة البيضاء**، مطرب،
- حمَلة راية ومقسمون على الولاء، لوردات الغرب:
- **دامون ماربراند**، سيِّد آشمارك،
- **السير أدام ماربراند**، ابنه ووريثه، قائد حَرس المدينة في كينجز لاندنج،
- **رولاند كراكهول**، سيِّد كراكهول،
- أخو رولاند، **(السير برتون)**، قتلَه الخارجون عن القانون،
- ابن رولاند ووريثه، **السير تايبولت**،
- ابن رولاند، **السير لايل** ولقبه **الغُفر القوي**،
- ابن رولاند الأصغر، **السير مرلون**،
- **سيباستون فارمان**، سيِّد الجزيرة القصيَّة،
- **چاين**، أخته، زوجة السير جاريث كليفتون،
- **تايتوس براكس**، سيِّد وادي القرون،
- **السير فليمنت براكس**، أخوه ووريثه،
- **كوينتن بانفورت**، سيِّد بانفورت،
- **السير هاريس سويفت**، حمو السير كيڤان،
- ابن السير هاريس، **السير ستفون سويفت**،
- ابنة السير ستفون، **چوانا**،
- ابنة السير هاريس، **شيرل**، زوجة السير ملوين سارسفيلد،
- **ريچينارد إسترن**، سيِّد ويندهول،
- **جاون وسترلينج**، سيِّد الجُرف،

- زوجته، **الليدي سيبل** سليلة عائلة سپايسر،
- أخوها، **السير رولف سپايسر**، نُصِّبَ حديثًا سيِّدًا على كاستامير،
- ابن عمِّها، **السير سامويل سپايسر**،
- أولادهما:
- **السير راينالد وسترلينج**،
- **چاين**، أرملة روب ستارك،
- **إلينا**، فتاة في الثَّانية عشرة،
- **رولام**، صبي في التَّاسعة،
- اللورد **سلموند ستاكسپير**،
- ابنه، **السير ستفون ستاكسپير**،
- ابنه الثَّاني، **السير آلن ستاكسپير**،
- **تيرانس كنينج**، سيِّد كايس،
- السير **كينوس الكايسي**، فارس في خدمته،
- **اللورد آنتاريو چاست**،
- **اللورد روبن مورلاند**،
- **الليدي أليسين ليفورد**،
- **لويس ليدن**، سيِّد الوكر العميق،
- **اللورد فيليپ پلوم**،
- أبناؤه، **السير دنيس پلوم**، **السير پيتر پلوم**، **السير هاروين پلوم** ولقبه **الحجر الصُّلب**،
- **اللورد جاريسون پرستر**،
- **السير فورلي پرستر**، ابن عمِّه،
- **السير جريجور كليجاين** ولقبه **الجبل راكب الخيول**،
- **ساندور كليجاين**، أخوه،

- **السير لورنت لورك**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- **السير جارث جرينفيلد**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- **السير لايموند ڤيكاري**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- **السير راينارد روتيجر**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- **السير مانفريد ياو**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- **السير تايبولت هيذرسپون**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- **(ميلارا هيذرسپون)**، ابنته، غرقَت في بئرٍ وهي ربيبة في كاسترلي روك.



كانت دورن آخِر الممالك السَّبع التي أقسمَت على الولاء للعرش الحديدي. يُمَيِّز النَّسب والعادات والتَّاريخ الدورنيِّين عن سائر الممالك الأخرى، وحين اندلعَت حرب الملوك الخمسة لم تُشارِك دورن فيها. بَعد خطبة مارسلا باراثيون للأمير تريستان أعلنَت صنسپير تأييدها الملك چوفري واستدعَت راياتها.

راية عائلة مارتل عبارة عن شمسٍ حمراء تخترقها حربة ذهبيَّة، وكلماتهم «لا ننحني، لا نخضع، لا ننكسر».

دوران نايميروس مارتل، سيِّد صنسپير، أمير دورن،

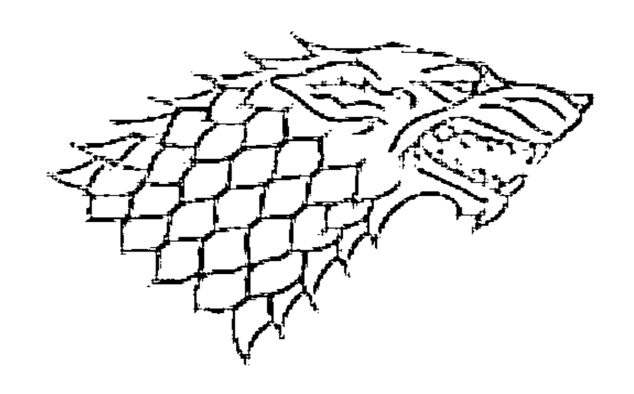
- زوجته، **ميلاريو**، من مدينة نورڤوس الحُرَّة،
- أولادهما:
- **الأميرة آريان**، وريثة صنسپير،
- **جارين**، أخو آريان في الرِّضاعة، من أيتام الدَّم الأخضر،
- **الأمير كوينتن**، فارس مستجد، ربيب منذ الطُّفولة للورد يرونوود سيِّد يرونوود،
- **الأمير تريستان**، خطيب مارسلا باراثيون،

- أخوا الأمير دوران:
- **(الأميرة إليا)**، اغتُصِبَت وقُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
- **(ريينس تارجاريَن)**، ابنتها الصَّغيرة، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
- **(إجون تارجاريَن)**، رضيع، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
- **(الأمير أوبرين)** ولقبه **الأُفعوان الأحمر**، قتلَه السير جريجور كليجاين في محاكَمةٍ بالنِّزال،
- **إلاريا ساند**، خليلة الأمير أوبرين، ابنة اللورد هارمن أولر الطَّبيعيَّة،
- **أفاعي الرِّمال**، بنات أوبرين النَّغلات:
- **أوبارا**، في الثَّامنة والعشرين، ابنة أوبرين من عاهرة في البلدة القديمة،
- **نايميريا** ولقبها **الليدي نيم**، في الخامسة والعشرين، ابنة أوبرين من امرأةٍ نبيلة من ڤولانتيس،
- **تايين**، في الثَّالثة والعشرين، ابنة أوبرين من سِپتة،
- **ساريلا**، في التَّاسعة عشرة، ابنته من تاجرة، رُبَّان قُبلة الرِّيش،
- **إليا**، في الرَّابعة عشرة، ابنته من إليا ساند،
- **أوبلا**، في الثَّانية عشرة، ابنته من إليا ساند،
- **دوريا**، في الثَّامنة، ابنته من إليا ساند،
- **لوريزا**، في السَّادسة، ابنته من إليا ساند،
- بلاط الأمير دوران في الحدائق المائيَّة:
- **آريو هوتا**، من نورڤوس، قائد الحَرس،
- **المِايستر كاليوت**، مستشار ومعالج ومعلِّم،

- نحو ستِّين من الأطفال من علية القوم والعامَّة، أبناء وبنات لوردات وفُرسان وأيتام وتُجّار وحرفيِّين وفلّاحين، أربّاؤه،
- بلاط الأمير دوران في صنسپير:
- الأميرة مارسلا باراثيون، ربيبته، خطيبة الأمير تريستان،
- **السير آريس أوكهارت**، حارس مارسلا الشَّخصي،
- **روزاموند لانستر**، رفيقة فِراش مارسلا ووصيفتها، ابنة عمومة بعيدة،
- **السِّپتة إجلانتين**،
- **المِايستر مايلز**، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- **ريكاسو**، قهرمان صنسپير، عجوز كفيف،
- **السير مانفري مارتل**، أمين القلعة في صنسپير،
- **الليدي آليس ليديبرايت**، اللورد الخازِن،
- **السير جاسكوين** ابن الدَّم الأخضر، حارس الأمير تريستان الشَّخصي،
- **بورس وتيموث**، خادمان في صنسپير،
- **بيلاندرا وسِدرا** والأختان **مورا وميلي**، خادمات في صنسپير،
- حمَلة راية الأمير دوران، لوردات دورن:
- **آندرز يرونوود**، سيِّد يرونوود، حاكم الطَّريق الحجري، صاحِب الدَّم الملكي،
- **السير كليتوس**، ابنه، معروف بعينه الكسول،
- **المِايستر كِدري**، معالج ومستشار ومعلِّم،
- **هارمن أولر**، سيِّد هضبة الجحيم،
- **إلاريا ساند**، ابنته الطَّبيعيَّة،
- **السير أولويك أولر**، أخوه،

- **ديلون أليريون**، سيِّدة عطيَّة الآلهة،
- **السير ريون**، ابنه ووريثه،
- **السير ديمون ساند**، ابن ريون الطَّبيعي، نغل عطيَّة الآلهة،
- **داجوس مانوودي**، سيِّد مقبرة الملك،
- **مورس وديكون**، ابناه،
- **السير مايلز**، أخوه،
- **لارا بلاكمونت**، سيِّدة بلاكمونت،
- **چينيسا**، ابنتها ووريثتها،
- **پيروس**، ابنها، مُرافق،
- **نايملا**، سيِّدة تل الأشباح،
- **كوينتن كورجايل**، ابن حجر الرَّمل،
- **السير چوليان**، ابنه الأكبر ووريثه،
- **السير أرون**، ابنه الثَّاني،
- **السير ديزيل دالت**، فارس غابة اللَّيمون،
- **السير آندراي**، أخوه ووريثه ويُسَمَّى **دراي**،
- **فرانكلين فاولر**، سيِّد قلعة السَّماء، لقبه **الصَّقر العجوز**، حاكم ممر الأمير،
- **چاين وچينيلين**، ابنتاه التَّوأم،
- **السير سايمون سانتاجار**، فارس الغابة الرَّقطاء،
- **سيلڤا**، ابنته ووريثته، تُسَمَّى **سيلڤا الرَّقطاء** بسبب نمشها،
- **إدريك داين**، سيِّد ستارفول، مُرافق،
- **السير چيرولد داين** ولقبه **النَّجم المظلم**، فارس الصَّومعة العالية، ابن عمِّه وحامل رايته،
- **تريبور چورداين**، سيِّد الرَّبوة،
- **ميريا**، ابنته ووريثته،

- **تريموند جارجالن**، سيِّد ساحل الملح،
- **دايرون ڤايث**، سيِّد الكُثبان الحمراء.



يعود نَسب آل ستارك إلى براندون البنَّاء وملوك الشِّتاء القُدامى، ولآلاف السِّنين حكَموا من مقرِّهم في وينترفل كملوكٍ في الشَّمال، إلى أن اختارَ تورين ستارك -المَلك الذي ركعَ- أن يُقسِم على الولاء لإجون التنِّين بدلًا من مُواجَهته في المعركة. حين أعدمَ الملك چوفري اللورد إدارد ستارك تخلَّى الشَّماليُّون عن ولائهم للعرش الحديدي وأعلنوا روب ابن اللورد إدارد ملكًا في الشَّمال، وخلال حرب الملوك الخمسة انتصرَ روب في كلِّ معاركه، لكن آل فراي وآل بولتون خانوه واغتالوه في التَّوأمتين في زفاف خاله.

راية آل ستارك عبارة عن ذِئب رهيب رمادي على خلفيَّةٍ بيضاء ثلجيَّة، وكلماتهم: «الشِّتاء قادم».

(روب ستارك)، الملك في الشَّمال، ملك الثَّالوث، سيِّد وينترفل، أكبر أبناء اللورد إدارد ستارك والليدي كاتلين سليلة عائلة تَلي، شاب في السَّادسة عشرة يُسَمَّى **الذِّئب الصَّغير**، اغتيلَ في الزِّفاف الأحمر،

- **(جراي ويند)**، ذئبه الرَّهيب، قُتِلَ في الزِّفاف الأحمر،
- إخوته الأشقَّاء:
- **سانزا**، أخته، زوجة تيريون لانستر،

- **(ليدي)**، ذئبتها الرَّهيبة، قُتِلَت في قلعة داري،
- **آريا**، فتاة في الحادية عشرة، مفقودة ويُعتقَد أنها ماتَت،
- **نايميريا**، ذئبتها الرَّهيبة، تجوب أراضي النَّهر،
- **براندون** ويُسَمَّى **بران**، طفل مُعاق في التَّاسعة، وريث وينترفل، يُعتقَد أنه ماتَ،
- **سَمر**، ذئبه الرَّهيب،
- رفاق بران وحُماته:
- **ميرا ريد**، فتاة في السَّادسة عشرة، ابنة اللورد هاولاند ريد سيِّد قلعة المياه الرَّماديَّة،
- **چوچن ريد**، أخوها، في الثَّالثة عشرة،
- **هودور**، عامل اسطبل بسيط العقل، طوله سبعة أقدام،
- **ريكون**، طفل في الرَّابعة، يُعتقَد أنه ماتَ،
- **شاجيدوج**، ذئبه الرَّهيب، أسود وشرس،
- رفيقة ريكون، **أوشا**، همجيَّة أسيرة سابقة في وينترفل،
- أخوه النَّغل غير الشَّقيق، **چون سنو**، أخ في حَرس اللَّيل،
- **جوست**، ذئب چون الرَّهيب، أبيض وصامت،
- المقسمون لروب على الولاء:
- **(دونل لوك، أوين نوري، داسي مورمونت، السير وندل ماندرلي، روبن فلينت)**، قُتِلوا في الزِّفاف الأحمر،
- **هالس مولين**، قائد الحَرس، ينقل رُفات اللورد إدارد ستارك إلى وينترفل،
- **چاكس، كوينت، شاد**، حَرس،
- أعمام وأخوال روب:
- **بنچن ستارك**، أصغر أعمامه، فُقِدَ في جولةٍ وراء الجِدار ويُعتقَد أنه ماتَ،

- **(لايسا آرن)**، خالته، سيِّدة العُش، زوجة اللورد چون آرن، ماتَت سقوطًا من علٍ،

- ابنهما، **روبرت آرن**، سيِّد العُش وحامي الوادي، صبي سقيم،

- إدميور **تَلي**، سيِّد ريڤررَن، خاله، أُسِرَ في الزِّفاف الأحمر،

- **الليدي روزلين** سليلة عائلة فراي، عروس إدميور،

- **السير برايندن** تَلي ولقبه **السَّمكة السَّوداء**، عمُّ أمِّه، أمين القلعة في ريڤررَن،

- حمَلة راية الذِّئب الصَّغير، لوردات الشَّمال:

- **رووس بولتون**، سيِّد معقل الخوف، المارِق،

- **(دومريك)**، ابنه الشَّرعي ووريثه، ماتَ بمرضٍ في البطن،

- **رامزي بولتون (رامزي سنو** سابقًا)، ابن رووس الطَّبيعي ويُسَمَّى **نغل بولتون**، أمين القلعة في معقل الخوف،

- **والدر فراي ووالدر فراي** ويُسَمَّيان **والدر الصَّغير ووالدر الكبير**، مُرافقا رامزي،

- **(ريك)**، جُندي معروف برائحته الكريهة، قُتِلَ في أثناء انتحاله شخصيَّة رامزي،

- **«آريا ستارك»**، أسيرة اللورد رووس، فتاة زائفة مخطوبة لرامزي،

- **والتون** ولقبه **ذو السَّاقين الفولاذ**، قائد حَرس رووس،

- **بِث كاسل، كايرا، تورنيپ، پالا، باندي، شايرا، پالا، العجوز نان**، نسوة من وينترفل أسيرات في معقل الخوف،

- **چون أومبر** ولقبه **چون الكبير**، سيِّد المستوقَد الأخير، أسير في التَّوأمتين،

- **(چون)** ولقبه **چون الصَّغير**، ابن چون الكبير ووريثه، قُتِلَ في الزِّفاف الأحمر،

- **مورس** ولقبه **آكِل الغُراب**، عم چون الكبير، أمين القلعة في المستوقَد الأخير،
- **هوثر** ولقبه **باقِر العاهرة**، عم چون الكبير، أيضًا أمين القلعة في المستوقَد الأخير،
- **(ريكارد كارستارك)**، سيِّد كارهولد، قُطِعَ رأسه لارتكابه الخيانة وقتل الأسرى،
- **(إدارد)**، ابنه، قُتِلَ في الغابة الهامسة،
- **(تورين)**، ابنه، قُتِلَ في الغابة الهامسة،
- **هاريون**، ابنه، أسير في بِركة العذارى،
- **آليس**، ابنة اللورد ريكارد، فتاة في الخامسة عشرة،
- عمُّ ريكارد، **أرنولف**، أمين القلعة في كارهولد،
- **جالبارت جلوڤر**، سيِّد ربوة الغابة، أعزب،
- **روبت جلوڤر**، أخوه ووريثه،
- زوجة روبت، **سيبل** سليلة عائلة لوك،
- طفلاهما:
- **جاون**، صبي في الثَّالثة،
- **إرينا**، رضيعة،
- ربيب جالبارت، **لارنس سنو**، ابن (اللورد هالس هورنوود) الطَّبيعي، صبي في الثَّالثة عشرة،
- **هاولاند ريد**، سيِّد قلعة المياه الرَّماديَّة، من شعب المستنقعات،
- زوجته، **چيانا**، من شعب المستنقعات،
- طفلاهما:
- **ميرا**، صيَّادة شابَّة،
- **چوچن**، صبي موهوب البصيرة الخضراء،

- **وايمان ماندرلي**، سيِّد الميناء الأبيض، شديد البدانة،
- **السير وايليس ماندرلي**، ابنه الأكبر ووريثه، بدين جدًّا، أسير في هارنهال،
- زوجة وايليس، **ليونا** سليلة عائلة وولفيلد،
- **واينافريد**، ابنتهما، فتاة في التَّاسعة عشرة،
- **وايلا**، ابنتهما، فتاة في الخامسة عشرة،
- **(السير وندل ماندرلي)**، ابنه الثَّاني، قُتِلَ في الزِّفاف الأحمر،
- **السير مارلون ماندرلي**، ابن عمِّه، قائد الحامية في الميناء الأبيض،
- **المِايستر ثيومور**، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- **مِج مورمونت**، سيِّدة جزيرة الدِّببة،
- **(داسي)**، ابنتها الكُبرى ووريثتها، قُتِلَت في الزِّفاف الأحمر،
- **أليسين**، **لايرا**، **چوريل**، **ليانا**، بناتها،
- **(چيور مورمونت)**، أخوها، قائد حَرس اللَّيل، اغتالَه رجاله،
- **السير چورا مورمونت**، ابن اللورد چيور، سيِّد جزيرة الدِّببة الشَّرعي سابقًا، فارس مدان ومنفي،
- **(السير هلمان تولهارت)**، سيِّد مربَّع تورين، قُتِلَ في وادي الغسق،
- **(بنفريد)**، ابنه ووريثه، قتلَه الحديديُّون على السَّاحل الحجري،
- **إدارا**، ابنته، أسيرة في مربَّع تورين،
- **(ليوبولد)**، أخوه، قُتِلَ في وينترفل،
- زوجة ليوبود، **بيرينا** سليلة عائلة هورنوود، أسيرة في مربَّع تورين،
- ابناهما **براندون وبيرين**، أيضًا أسير في مربَّع تورين،

- **رودريك ريزويل**، سيِّد الغُدران،
- **باربري داستن**، ابنته، سيِّدة بلدة الرَّوابي، أرملة (اللورد ويلام داستن)،
- **هاروود ستاوت**، من أتباعه، لورد صغير من بلدة الرَّوابي،
- **(بِثاني بولتون)**، ابنته، زوجة اللورد رووس بولتون الثَّانية، ماتَت بالحُمَّى،
- **روچر ريزويل**، **ريكارد ريزويل**، **رووس ريزويل**، أبناء عمومته وحمَلة رايته المشاكسون،
- **(كلاي سروين)**، سيِّد سروين، قُتِلَ في وينترفل،
- **چونل**، أخته، عذراء في الثَّانية والثَّلاثين،
- **ليبسا فلينت**، سيِّدة قلعة الأرملة،
- **أوندرو لوك**، سيِّد القلعة العتيقة، عجوز،
- **هيوجو وول** ولقبه **الدَّلو الكبير**، زعيم عشيرته،
- **باراندون نوري** ولقبه **النوري**، زعيم عشيرته،
- **تورين ليدل** ولقبه **الليدل**، زعيم عشيرته.



كان اللورد إدمين تَلي سيِّد ريفرزن من أوائل لوردات النَّهر الذين أقسَموا على الولاء لإجون الفاتِح، وكافأه إجون المظفَّر بتنصيبه حاكمًا على جميع أراضي نهر الثَّالوث.

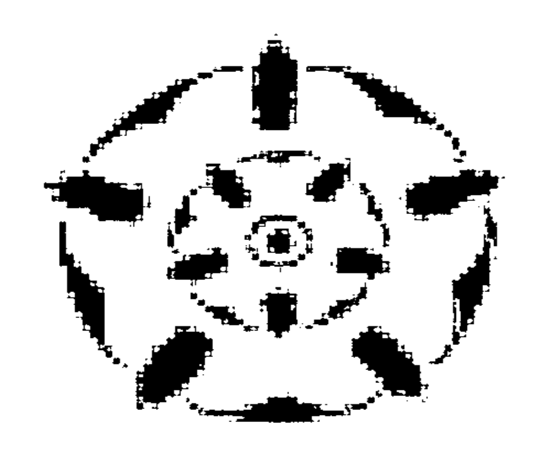
راية آل تَلي عبارة عن سمكة ترويت فضِّيَّة واثبة على خلفيَّةٍ متموِّجة من الأزرق والأحمر، وكلماتهم: «العائلة، الواجب، الشَّرف».

إدميور تَلي، سيِّد ريفرزن، أُخِذَ أسيرًا في أثناء زفافه وسجين لدى آل فراي،

- **الليدي روزلين** سليلة عائلة فراي، عروس إدميور الشَّابَّة،
- **(الليدي كاتلين ستارك)**، أخته، أرملة اللورد إدارد ستارك سيِّد وينترفل، قُتِلَت في الزِّفاف الأحمر،
- **(الليدي لايسا آرن)**، أخته، أرملة اللورد چون آرن سيِّد الوادي، ماتَت مدفوعةً من العُش،
- **السير برايندن تَلي** ولقبه **السَّمكة السَّوداء**، عمُّ إدميور، أمين القلعة في ريفرزن،
- أهل بيت اللورد إدميور في ريفرزن:
- **المِايستر ڤايمان**، مستشار ومعالج ومعلِّم،

- **السير دزموند جرِل**، قيِّم السِّلاح،
- **السير روبن رايجر**، قائد الحَرس،
- **ليو الطَّويل**، **إلوود**، **دِلپ**، حَرس،
- **أوثيرايدس** واين، وكيل ريڤررَن،
- حمَلة راية إدميور، لوردات الثَّالوث:
- **تايتوس بلاكوود**، سيِّد شجرة الغِدفان،
- **(لوكاس)**، ابنه، قُتِلَ في الزِّفاف الأحمر،
- **چونوس براكن**، سيِّد السِّياج الحجري،
- **جيسون ماليستر**، سيِّد سيجارد، سجين في قلعته،
- **پاتريك**، ابنه، سجين مع أبيه،
- **السير دينس ماليستر**، عمُّ اللورد جيسون، رجل في حَرس اللَّيل،
- **كليمنت پايپر**، سيِّد قلعة العذراء الورديَّة،
- ابنه ووريثه، السير **مارك پايپر**، أُخِذَ أسيرًا في الزِّفاف الأحمر،
- **كاريل ڤانس**، سيِّد استراحة عابِري السَّبيل،
- ابنته الكُبرى ووريثته، **ليان**،
- ابنتاه الصَّغيرتان، **ريالتا وإمفيريا**،
- **نوربرت ڤانس**، سيِّد أترانتا الأعمى،
- ابنه الأكبر ووريثه، **السير رونالد ڤانس** ولقبه **السيِّئ**،
- أبناؤه الأصغر، **السير هيوجو**، **السير إليري**، **السير كيرث**، **المِايستر چون**،
- **ثيومار سمولوود**، سيِّد بهو البلُّوط،
- زوجته، **الليدي راڤيلا** سليلة عائلة سوان،
- ابنتهما، **كاريلين**،

- **ويليام موتون**، سيِّد بِركة العذارى،
- **شيلا وِنت**، سيِّدة هارنهال المنحّاة،
- **السير ويليس وود**، فارس في خدمتها،
- **السير هالمون پايـچ**،
- **اللورد لايموند جودبروك**.



صعدَ آل تايرل إلى السُّلطة كوُكلاء لملوك المرعى، الذين ضمَّت أملاكهم السُّهول الخصبة في الجنوب الغربي من تخوم دورن والنَّهر الأسود وحتى سواحل بَحر الغروب. يأتي نَسب آل تايرل من جهة الإناث من جارث جرينهاند، مَلك البَشر الأوائل البُستاني الذي ارتدى تاجًا من أوراق الشَّجر والزُّهور واستغلَّ خصوبة الأرض وزرعَها حتى ازدهرَت، وعندما ماتَ الملك مِرن التَّاسع -آخِر ملوك عائلة جاردنر- في معركة حقل النِّيران، سلَّم وكيله هارلن تايرل قلعة هايجاردن إلى إجون الفاتِح وأقسمَ له على الولاء، فمنحَه إجون القلعة وحُكم المرعى.

أعلن اللورد مايس تايرل تأييده الملك رنلي في بداية حرب الملوك الخمسة وزوَّجه ابنته مارچري، وبَعد موت رنلي تحالفَت هايجاردن مع عائلة لانستر، وخُطِبَت مارچري للملك چوفري.

راية آل تايرل عبارة عن وردةٍ ذهبيَّة على خلفيَّةٍ بلونٍ أخضر كالعُشب، وكلماتهم: «ننمو بقوَّة».

مايس تايرل، سيِّد هايجاردن، حاكم الجَنوب، حافِظ التُّخوم، عاهل المرعى الأعلى،

- زوجته، الليدي أليري، سليلة عائلة هايتاور من البلدة القديمة،

- أبناؤهما:

- **ويلاس**، الابن الأكبر، وريث هايجاردن،

- **السير جارلان**، لقبه الهُمام، الابن الثَّاني،

- زوجته، **الليدي ليونيت**، سليلة عائلة فوسواي،

- **السير لوراس**، فارس الزُّهور، الابن الأصغر، أخ محلَّف في الحَرس الملكي،

- **مارچري**، ابنتهما، فتاة في الرَّابعة عشرة من العُمر،

- رفيقات مارچري:

- بنات عمومتها **مِجا وآلا وإلينور**،

- خطيب إلينور، **آلن أمبروز**، مُرافِق،

- **الليدي أليسين بولوار**، فتاة في الثَّامنة،

- **ميريديث كرين**، تُسَمَّى **ميري**،

- **تاينا المايريَّة**، زوجة اللورد أورتون ميريويذر،

- **الليدي آليس جريسفورد**،

- **السِّيتة نستيريكا**، أخت في العقيدة،

- أمُّه الأرملة، **الليدي أولينا**، سليلة عائلة ردواين، لقبها مَلكة الأشواك،

- أختاه:

- **مينا**، زوجة پاكستر ردواين، سيِّد الكرمة،

- أولادهما:

- **السير هوراس ردواين**، توأم هوبر، يُسَمَّى **هورور** سُخريةً،

- **السير هوبر ردواين**، توأم هوراس، يُسَمَّى **سلوبر** سُخريةً،

- **دسميرا ردواين**، فتاة في السَّادسة عشرة،

- **چانا**، زوجة السير چون فوسواي،

- أعمامه وأولادهم:

- أخو أبيه، **جارث**، لقبه **السَّمين**، وكيل هايجاردن،
- ابناه غير الشَّرعيَّين، **جارس وجارث فلاورز**،
- **السير مورين**، قائد حَرس البلدة القديمة،
- ابن مورين، **(السير لوثور)**، زوج الليدي إلين نوريدچ،
- ابن لوثور، **السير ثيودور**، زوج الليدي ليا سِري،
- ابنة ثيودور، **إلينور**،
- ابن ثيودور، **لوثور**، مُرافِق،
- ابن لوثور، **المِايستر مدويك**،
- ابنة لوثور، **أولين**، زوجة السير ليو بلاكبار،
- ابن مورين، **ليو**، لقبه **ليو الكسول**،
- أخو أبيه، **المِايستر جورمون**، دارس في القلعة في البلدة القديمة،
- ابن عمِّه، **(السير كوينتن)**، ماتَ في آشفورد،
- ابن كوينتن، **السير أوليمر**، زوج الليدي لايسا ميدوز،
- ابنا أوليمر، **رايموند وريكارد**،
- ابنة أوليمر، **مِجا**،
- ابن عمِّه، **المِايستر نورموند**، في خدمة التَّاج الأسود،
- ابن عمِّه، **(السيرڤيكتور)**، قتلَه الفارس الباسم رجل أخوَّة غابة الملوك،
- ابنة ڤيكتور، **ڤيكتاريا**، تزوَّجت (اللورد چون بولوار)، ماتَت بحُمَّى صيفيَّة،
- ابنتهما، **الليدي أليسين بولوار**، فتاة في الثَّامنة،
- ابن ڤيكتور، **السير ليو**، تزوَّج الليدي آليس بيزبوري،
- ابنتا ليو، **آلا وليونا**،
- أبناء ليو، **لايونل ولوكاس ولورنت**،

- أهل بيته في هايجاردن:
- **المِايستر لوميس**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
- **إيجون ڤيرويل**، قائد الحَرس،
- **السير ڤورتيمر كرين**، قيِّم السِّلاح،
- **برميل الزُّبدة**، نكّات ومهرِّج مفرط البدانة،
- اللوردات حمَلة رايته:
- **راندل تارلي**، سيِّد هورن هيل،
- **پاكستر ردواين**، سيِّد الكرمة،
- **أروين أوكهارت**، سيِّدة السَّنديانة القديمة،
- **ماثيس روان**، سيِّد البُستان الذَّهبي،
- **آلستر فلورنت**، سيِّد قلعة المياه الوضَّاءة، متمرِّد يدعم ستانيس باراثيون،
- **لايتون هايتاور**، صوت البلدة القديمة وسيِّد المرفأ،
- **أورتون ميريويذر**، سيِّد الطَّاولة الطَّويلة،
- **اللورد آرثر أمبروز**.
- فُرسانه والمقسِمون له:
- **السير مارك مولندور**، شُلَّ في معركة النَّهر الأسود،
- **السير چون فوسواي**، من فرع التُّفَّاحة الخضراء من عائلة فوسواي،
- **السير تانتون فوسواي**، من فرع التُّفَّاحة الحمراء من عائلة فوسواي.

چون سنو، نغل وينترفل، قائد حَرس اللَّيل الثَّامن والتِّسعون بَعد التِّسعمئة،

- **جوست**، ذئبه الرَّهيب الأبيض،
- وكيله، **إديسون توليت** ولقبه **إد الكئيب**،

رجال القلعة السَّوداء:

- **بنچن ستارك**، الجوَّال الأول، مفقود منذ فترةٍ طويلة ويُعتقَد أنه ماتَ،
- **السير وينتون ستاوت**، جوَّال مسن تائه العقل،
- **كِدچ ذو العين البيضاء**، **بدويك** ولقبه **العملاق**، **ماثار**، **دايوين**، **جارث جرايفيذر**، **أولمر ابن غابة الملوك**، **إلرون**، **پايپر** ويُسَمَّى **پيپ**، **جرِن** ولقبه **الثَّور**، **برنار** ويُسَمَّى **برنار الأسود**، **جودي**، **تيم ستون**، **چاك بولوار الأسود**، **جيوف** ولقبه **السِّنجاب**، **بن الملتحي**، جوَّالة،
- **باون مارش**، قيِّم الوُكلاء،
- **هوب ذو الثَّلاثة أصابع**، وكيل وكبير الطُّهاة،
- **(دونال نوي)**، حدَّاد وصانع سلاح بذراعٍ واحدة، قتلَه ماج الجبَّار عند البوَّابة،
- **أوين** ولقبه **الجحش**، **تيم المُتهته**، **كوچن**، **دونل هيل** ولقبه **دونل المرِح**، **ليو الأعسر**، **چيرن**، **ويك المهزول**، وُكلاء،
- **أوثيل ياروِيك**، البنَّاء الأول،
- **ذو النَّعل الواحد**، **هالدر**، **آلبت**، **كِجز**، بنَّائون،
- **كونواي وجورن**، مجنِّدان متجوِّلان،
- **السِّپتون سلادور**، رجل دين سكِّير،

- **السير أليسر ثورن**، قيِّم السِّلاح السَّابق،
- **اللورد چانوس سلينت**، قائد حَرس المدينة السَّابق في كينجز لاندنج، سيِّد هارنهال لفترةٍ وجيزة،
- **المِايستر إيمون (تارجاريَن)**، معالج ومستشار، عجوز كفيف في المئة والاثنين من العُمر،
- وكيل إيمون، **كلايداس**،
- وكيل إيمون، **ساموِيل تارلي**، بدين ومحب للقراءة،
- **إميت الحديدي**، من رجال القلعة الشَّرقيَّة سابقًا، قيِّم السِّلاح،
- **هارث** ولقبه **الجواد**، التَّوأمان **أرون وإمريك**، **ساتان**، **روبن النَّطَّاط**، مجنَّدون تحت التَّدريب،

رجال بُرج الظِّلال:

- **السير دينس ماليستر**، قائد القلعة،
- وكيله ومُرافقه، **والاس ماسي**،
- **المِايستر مولين**، معالج ومستشار،
- **(كورين ذو النِّصف يد)**، كبير الجوَّالة، قتلَه چون سنو وراء الجِدار،
- إخوان بُرج الظِّلال:
- **(المُرافق دالبريدچ، إيجن)**، مُرافقان، قُتِلا في الممر الصَّادح،
- **ثُعبان الحجر**، جوَّال، مفقود في الممر الصَّادح،

رجال القلعة الشَّرقيَّة على البحر،

- **كوتر پايك**، قائد القلعة،
- **المِايستر هارميون**، معالج ومستشار،
- **ذو الأسمال المالحة العجوز**، رُبَّان الطَّائر الأسود،
- **السير جلندون هيويت**، قيِّم السِّلاح،

- إخوان القلعة الشَّرقيَّة:

- **داريون**، وكيل ومطرب،

في قلعة كراستر (الخونة):

- **ديرك**، الذي قتلَ مضيفه كراستر،

- **أولو الأبتر**، الذي قتلَ قائده اللورد مورمونت،

- **جارث جرينواي**، **ماوني**، **جروبز**، **آلان ابن روزبي**، جوَّالة سابقون،

- **كارل ذو القدم المعوجَّة**، **أوس اليتيم**، **بيل المُتمتم**، وُكلاء سابقون.

الهَمج
أو شعب الأحرار

مانس رايدر، ملك ما وراء الجِدار، أسير في القلعة السَّوداء،

- **(دالا)**، زوجته، ماتَت في أثناء الوضع،

- ابنهما حديث الولادة، وليد المعركة، بلا اسمٍ بعدُ،

- **قال**، أخت دالا الصَّغيرة، «الأميرة الهمجيَّة»، أسيرة في القلعة السَّوداء،

- زُعماء الهَمج وقادتهم:

- **(هارما)** ولقبها **رأس الكلب**، قُتِلَت عند الجِدار،

- **هاليك**، أخوها،

- **سيِّد العظام** ولقبه **ذو القميص المُخشخِش** سُخريةً، قائد فرقةٍ حربيَّة، أسير في القلعة السَّوداء،

- **(إيجريت)**، زوجة حربة شابَّة، حبيبة چون سنو، قُتِلَت خلال الهجوم على القلعة السَّوداء،

- **رايك**، لقبه **ذو الحربة الطَّويلة**، من فرقته،

- **راجوايل**، **لاينل**، من فرقته،

- **(ستير)**، ماجنَر ثِن، قُتِلَ خلال الهجوم على القلعة السَّوداء،

- **سيجورن**، ابن ستير، ماجنَر ثِن الجديد،

- **تورموند**، ملك البِتع في البهو القاني، ألقابه **بليَّة العماليق**، **المِهذار**، **نافخ البوق**، **وكاسر الجليد**، وأيضًا **قبضة الرَّعد**، **زوج الدِّببة**، **كليم الآلهة**، **وأبو الجيوش**،

- أبناؤه، **توريج الطَّويل**، **توروِيند المروَّض**، **دورموند**، **درين**، وابنته، **موندا**،

- **(أورل** ولقبه **أورل النَّسر)**، مبدِّل جِلدة قتلَه چون سنو في الممر الصَّادح،

- **ماج مار تون دوه** ويج، لقبه **ماج الجبَّار**، ملك العمالقة،

- **ڤارامير**، لقبه **سِت جلود**، سيِّد لثلاثة ذئاب وقِطٍّ ظِلٍّ ودُبٍّ ثلوج،

- **البكّاء**، مُغير وقائد فرقة حربيَّة،

- **(ألفين قاتِل الغِربان)**، قتلَه كورين ذو النِّصف يد رجل حَرس اللَّيل،

- **(چارل)**، مُغير شاب، حبيب ڤال، ماتَ سقوطًا من على الجِدار،

- **جريج التَّيس، إروك، كورت، بودچر، دِل، بثرة الكبير، دان القنَّبي، هِنك ذو الدَّفَّة، لِن، توفينجر، ذو الإبهام الحجري،** هجَّانة،

(كراستر)، سيِّد قلعة كراستر الذي لا يركع لأحد،

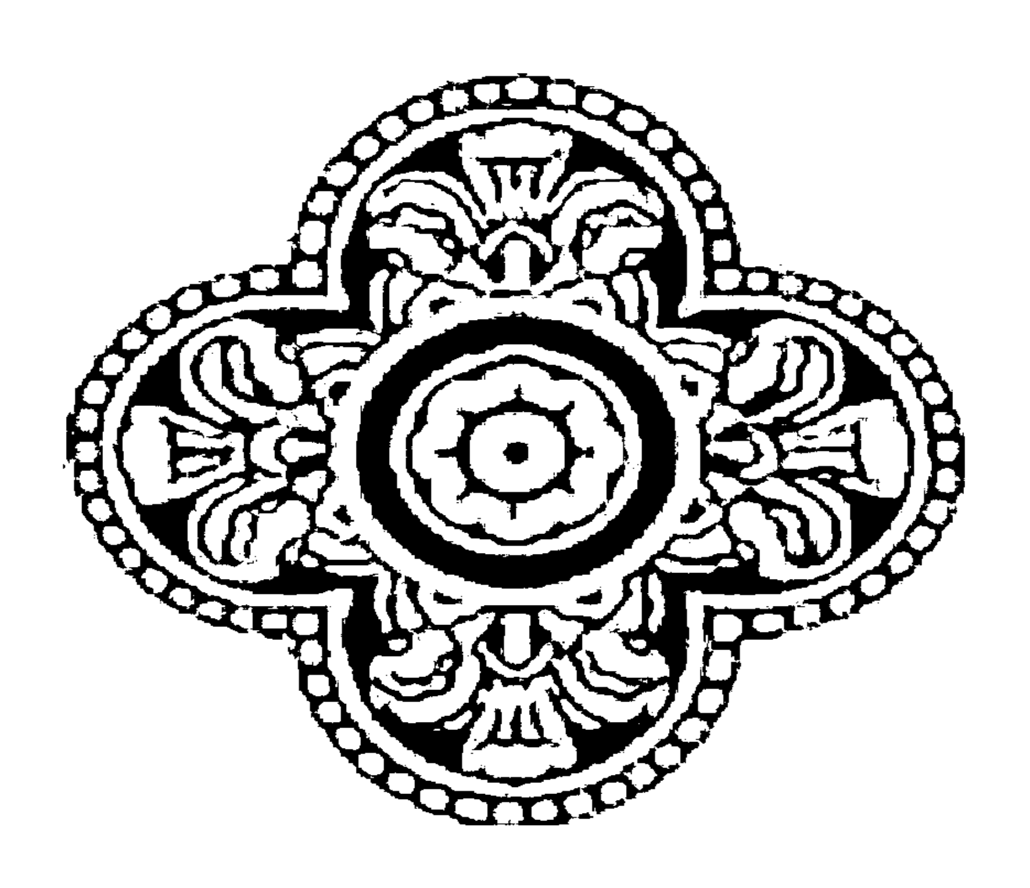
- **جيلي**، ابنته وزوجته،

- ابنها حديث الولادة، بلا اسمٍ بعدُ،

- **ديا**، **فيرني**، **نِلا**، ثلاث من زوجاته التِّسع عشرة.

إسوس

وراء البحر الضيِّق





دنيرس تارجاريَن الأولى، ملكة ميرين، ملكة الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، سيِّدة الممالك السَّبع، حامية البلاد، گاليسي بحر العُشب العظيم، تُسمَّى **دنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترِق، أُم التَّنانين**،

- تنانينها: **دروجون، ڤسيريون، ريجال**،
- أهلها الرَّاحلون:
- **(ريجار)**، أخوها، أمير دراجونستون ووريث العرش الحديدي، قتلَه روبرت باراثيون في معركة الثَّالوث،
- **(ريينس)**، ابنة ريجار من إليا الدورنيَّة، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
- **(إجون)**، ابن ريجار من إليا الدورنيَّة، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،
- **(ڤسيرس)**، سمَّى نفسه الملك ڤسيرس الثَّالث، لقبه **الملك الشحَّاذ**، قُتِل في ڤايس دوثراك على يد گال دروجو،
- **(دروجو)**، زوجها، گال الدوثراكي العظيم، لم يُهزَم قَطُّ في معركة، ماتَ متأثِّرًا بجرح،

- **(رييجو)**، ابن دنيرس وكال دروجو الجهيض، قُتِلَ في الرَّحم على يد ميري ماز دور،
- **السير باريستان سلمي**، لقبه **باريستان الباسل**، قائد الحَرس الملكي،
- فتيانه، مُرافقون يتدرَّبون على الفُروسيَّة:
- **تومكو لوهو**، من جُزر البازيليسق،
- **لاراك**، لقبه **الكُرباج**، من ميرين
- **الحمل الأحمر**، من اللازارين المعتَقين،
- **الصِّبية**، ثلاثة إخوة جيسكاريُّون،
- **بِلواس القوي**، خصي وعبد مُقاتل سابق،
- خيَّالة دمها الدوثراكي:
- **چوجو**، السَّوط، دم دمها،
- **آجو**، القوس، دم دمها،
- **راكارو**، الأراخ، دم دمها،
- قادتها:
- **داريو نهاريس**، مرتزِق تايروشي مختال، قائد غِربان العاصفة،
- **بن پلوم**، لقبه **بن البنِّي**، مرتزِق هجين، قائد الأبناء الثَّانين،
- **الدُّودة الرَّمادي**، خصي، قائد المُطهَّرين،
- **هيرو**، نائب قائد المُطهَّرين،
- **التُّرس المقدام**، حامل حربة من المُطهَّرين،
- **مولونو يوس دوب**، قائد التُّروس المقدامة،
- **سايمون ذو الظَّهر المخطَّط**، قائد الإخوة الأحرار،
- **مارسلن**، قائد رجال الأُم، أخو ميسانداي،

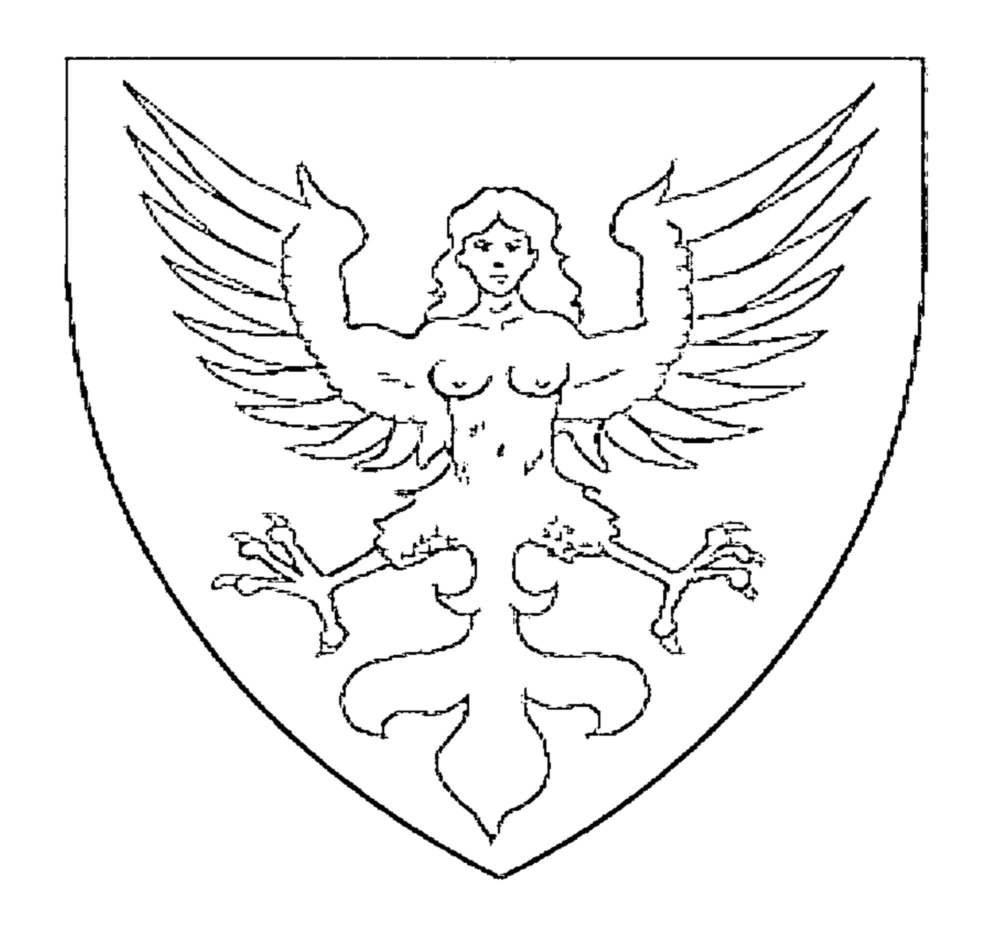
- **جروليو**، بحّار من پنتوس، سابقًا رُبّان السادوليون، الآن أميرال بلا أسطول،
- **رومو**، چاكا رهان من الدوثراكي،
- بلاطها الميرينيزي:
- **رزناك مو رزناك**، قهرمانها،
- **سكاهاز مو كانداك**، لقبه الرَّأس الحليق، قائد الوحوش النُّحاس (حَرس المدينة)،
- وصيفاتها وخدمها:
- **إيري وچيكوي**، شابّتان من الدوثراكي،
- **ميساندای**، مترجمة من ناث،
- **جرازدار، كِزا، ميزارا، كزميا، آزاك، باكاز، ميكلاز، دازار، دراكاز، چيزين**، من أطفال أهرامات ميرين، سُقاتها وخدمها،
- أهل ميرين من علية القوم والعوام:
- **جالازا جالار**، ذات النِّعمة الخضراء، كاهنة معبد ذوات النِّعم العُليا،
- **جرازدان زو جالار**، ابن عمومتها، نبيل،
- **هيزدار زو لوراك**، نبيل ميرينيزي ثري من عائلة عريقة،
- **مارجاز زو لوراك**، ابن عمّه،
- **رايلونا ري**، امرأة معتَقة وعازفة قيثارة،
- **(هازيا)**، ابنة مُزارع، في الرَّابعة من العُمر،
- **جوجهور الجبّار، كراز، بيلاكو كاسِر العظام، كامارون العدَّاد، إيثوك الشُّجاع، القِط الأرقط، بارسينا ذات الشَّعر الأسود**، مُقاتلو حلبات وعبيد محرَّرون،
- حُلفاؤها غير المضمونين، أصدقاؤها الزَّائفون، وأعداؤها المعروفون:

- **السير چورا مورمونت**، سيِّد جزيرة الدِّببة السَّابق،
- **(ميري ماز دور)**، قابلة ومايجي، خادمة لراعي لازار الأعظم،
- **زارو زون داكسوس**، أمير تاجر من كارث،
- **كويث**، آسرة ظلال مقنَّعة من آشاي،
- **إليريو موپاتيس**، ماچستر من مدينة پنتوس الحُرَّة، رتَّب زواجها بالكال دروجو،
- **كليون العظيم**، ملك أستاپور الجزَّار،
- خاطبو وُد الملكة:
- على ضفاف خليج النخَّاسين:
- **داريو نهاريس**، مرتزِق تايروشي مختال، قائد غِربان العاصفة،
- **هيزدار زو لوراك**، نبيل ميرينيزي ثري من عائلة عريقة،
- **سكاهاز مو كانداك**، لقبه الرَّأس الحليق، قائد الوحوش النُّحاس (حَرس المدينة)،
- **كليون العظيم**، ملك أستاپور الجزَّار،
- في ڤولانتيس:
- **الأمير كوينتن مارتل**، أكبر أبناء دوران مارتل، سيِّد صنسپير وأمير دورن،
- حُرَّاسه الشَّخصيُّون ورفاقه:
- **(السير كليتوس يرونوود)**، وريث يرونوود، قتلَه القراصنة،
- **السير آرشيبولد يرونوود**، ابن عم كليتوس، لقبه الرَّجل الكبير،
- **السير جيريس درينكووتر**،
- **(السير ويلام وِلز)**، قتلَه القراصنة،
- **(المِايستر كدري)**، قتلَه القراصنة،

- على ضفاف الروين:
- **جريف الصَّغير**، فتى أزرق الشَّعر في الثَّامنة عشرة،
- أبوه بالتَّبنِّي، **جريف**، مرتزِق سابق من الجماعة الذَّهبيَّة،
- رفاقه ومعلِّموه وحُماته:
- **السير رولي حقل البط**، لقبه **البطَّة**، فارس،
- **السِّپتة ليمور**، امرأة من العقيدة،
- **هالدون**، معروف باسم **النِّصف مِايستر**، معلِّمه،
- **ياندري**، صاحب ورُبَّان العذراء الخجول،
- **يسيلا**، زوجته،
- في البحر:
- **ڤيكتاريون جرايچوي**، قائد الأسطول الحديدي ومعروف باسم **الرُّبَّان الحديدي**،
- خليلته، امرأة سمراء بلا لسان، هديَّة من يورون عين الغُراب،
- معالجه، **المِايستر كروين**، من التُّرس الأخضر، هديَّة من يورون عين الغُراب،
- طاقمه على متن النَّصر الحديدي:
- **وولف ذو الأُذن الواحدة، راجنور پايك، لونجووتر پايك، توم تايدوود، برتون همبل، كويلون همبل، ستيفار المتلعثم**،
- ربابنته:
- **رودريك سپار**، لقبه **فأر الحقل**، رُبَّان الثُّبور،
- **رالف ستونهاوس الأحمر**، رُبَّان المهرِّج الأحمر،
- **مانفريد مرلين**، رُبَّان البومة،
- **رالف الأعرج**، رُبَّان اللورد كويلون،
- **توم كود**، لقبه **توم عديم الدَّم**، رُبَّان المرثاة،
- **ديجون شيپارد**، لقبه **الرَّاعي الأسود**، رُبَّان الخنجر.

تسري دماء التنِّين في عروق آل تارجاريَن الذين ينحدرون من كبار لوردات معقل ڤاليريا الحُر القديم، ويتبدَّى ميراثهم في جمالهم الأخَّاذ (الذي يقول بعض الناس إنه غير بَشري)، والأعيُن ذات اللَّون الأرجواني أو النِّيلجي أو البنفسجي، والشَّعر الذَّهبي الفضِّي أو الأبيض كالپلاتين. فَرَّ أسلاف إجون التنيِّن من هلاك ڤاليريا والفوضى والمذابح التي تبعَته واستقرُّوا في دراجونستون، الجزيرة الصَّخريَّة الواقعة في البحَر الضيقِّ، ومن هناك أبحرَ إجون مع أختيه لغزو المَمالك السَّبع. للحفاظ على الدَّم المَلكي وصيانة نقائه، غالباً ما اتَّبع آل تارجاريَن التقَّليد الڤاليري القديم وزوَّجوا الأخ أخته، وقد تزوَّج إجون نفسه أختيه وأنجبَ أبناءً من كلتيهما.

راية آل تارجاريَن عبارة عن تنِّين أحمرَ ذي ثلاثة رؤوس -يَرمُز لإجون وأختيه- على خلفيَّةٍ سوداء، وكلماتهم: «النَّار والدَّم».



- في يونكاي، المدينة الصّفراء:
- **يوركاز زو يونزاك**، القائد الأعلى لجيوش وحُلفاء يونكاي، نخّاس ونبيل مسن كريم المحتد،
- **يزان زو كاجاز**، لقبه السّاخر **الحوت الأصفر**، شديد البدانة، سقيم، فاحش الثّراء،
- **المربّي**، مُشرف عبيده،
- **حَلوى**، خُنثى، من كنوزه،
- **سكار**، رقيب وجندي عبد،
- **مورجو**، جندي عبد،
- **مورجاز زو زيرزين**، نبيل سكّير، لقبه السّاخر **الغازي السكّير**،
- **جورزاك زو إراز**، نبيل نخّاس، لقبه السّاخر **وجه العجين**،
- **فازهار زو فاز**، نبيل نخّاس، معروف باسم **الأرنب**،
- **جازدور زو آهلاك**، نبيل نخّاس، لقبه السّاخر **اللورد الزّجراج**،

- **بازار زو ميراك**، نبيل قصير القامة، لقبه السَّاخر **الحمامة الصَّغيرة**،
- **تشزدار زو رازن**، **مايزون زو رازن**، **جرازدان زو رازن**، إخوة نُبلاء، لقبهم السَّاخر **لوردات الصَّلصلة**،
- **الحوذي**، **سيِّد الوحوش**، **البطل المعطَّر**، نُبلاء نخَّاسون،
- في أستابور، المدينة الحمراء:
- **كليون العظيم**، لقبه **الملك الجزَّار**،
- **كليون الثَّاني**، خليفته، ظلَّ ملكًا ثمانية أيام،
- **الملك سفَّاح**، حلَّاق، ذبحَ كليون الثَّاني ليسرق تاجه،
- **الملكة عاهرة**، محظيَّة كليون الثَّاني، استولَت على التَّاج بعد مقتله.

رجال ونساء الجماعات الحُرَّة

الجماعة الذَّهبيَّة، قوامها عشرة آلاف رجل، ولاؤها غير مضمون،

- **هاري ستريكلاند الشَّريد**، القائد العام،
- **واتكين**، مُرافقه وساقيه،
- **(السير مايلز توين**، لقبه **القلب الأسود)**، ميت منذ أربعة أعوام، القائد العام السَّابق،
- **بالاك الأسود**، رجل أبيض الشَّعر من جُزر الصَّيف، قائد رُماة الجماعة،
- **لايسونو مار**، مرتزِق من مدينة لِيس الحُرَّة، قيِّم جواسيس الجماعة،
- **جوريس إدوريان**، مرتزِق من مدينة ڤولانتيس الحُرَّة، أمين نقد الجماعة،
- **السير فرانكلين فلاورز**، مرتزِق من المرعى،
- **السير مارك ماندريك**، منفي هارب من العبوديَّة، مجدور الوجه،
- **السير لازويل پيك**، لورد منفي،
- أخواه، **تورمان وپايكوود**،
- **السير تريستان ريڤرز**، نغل، خارج على القانون، منفي،
- **كاسپور هيل**، **همفري ستون**، **مالو چيان**، **ديك كول**، **ويل كول**، **لوريماس مود**، **چون لوثستون**، **لايموند پيز**، **السير برندل بايرن**، **دنكان سترونج**، **دينس سترونج**، **تشينز**، **چون مود الصَّغير**، من رُقباء الجماعة،

- **(السير إيجور ريڤرز**، لقبه **الفولاذ الأليم)**، ابن نغل للملك إجون تارجاريَن الخامس، مؤسِّس الجماعة،

- **(ميليز بلاكفاير**، لقبه **ميليز الوحش)**، قائد الجماعة العام، مطالب مدَّعٍ بعرش وستروس الحديدي، عضو في زُمرة التسعة، قُتل في حرب ملوك التسعة بنسات،

المذروُّون، قوامهم ألفان من الخيَّالة والمشاة، من أجيري يونكاي،

- **أمير الأسمال**، نبيل سابق من مدينة پنتوس الحُرَّة، القائد والمؤسِّس،

- **كاجو**، لقبه **قاتِل الجُثث**، يده اليُمنى،

- **دنزو داهان**، الشَّاعر المُحارب، يده اليُسرى،

- **هيو هنجرفورد**، رقيب، أمين نقد الجماعة السَّابق، غُرِّمَ ثلاثة أصابع تكفيرًا عن السَّرقة،

- **السير أورسون ستون**، **السير لوسيفر لونج**، **ويل ابن الغابة**، **ديك سترو**، **چاك الزَّنجبيل**، مرتزِقة وستروسيُّون،

- **ميريس الحسناء**، معذِّبة الجماعة،

- **كُتب**، سيَّاف ڤولانتيني مولع بالقراءة،

- **بُقول**، رامي نُشَّابيَّة من مير،

- **بيل بون العجوز**، عجوز من جُزر الصَّيف،

- **ميريو ميراكيس**، مرتزِق من پنتوس،

جماعة القِط، قوامها ثلاثة آلاف رجل، من أجيري يونكاي،

- **ذو اللِّحيَّة الدَّمويَّة**، القائد،

الرِّماح الطَّويلة، ثمانمئة من الخيَّالة، من أجيري يونكاي،

- **جايلو ريجان**، القائد،

الأبناء الثَّانون، خمسمئة من الخيَّالة، من أجيري الملكة دنيرس،

- **بن پلوم البنِّي**، القائد،
- **كاسپوريو**، لقبه **كاسپوريو المكّار**، مُبارز براقو، نائب القائد،
- **تايبيرو إستاريون**، لقبه **المحبرة**، أمين نقد الجماعة،
- **المطرقة**، حدّاد وصانع سلاح سكِّير،
- **المسمار**، صبيُّه،
- **سناتش**، رقيب بيد واحدة،
- **كِم**، مرتزق شاب من جُحر البراغيث،
- **بوكوكو**، مُحارب فأس مخيف السُّمعة،
- **أولهان**، رقيب،

غِربان العاصفة، خمسمئة من الخيَّالة، من أجيري الملكة دنيرس،

- **داريو نهاريس**، القائد،
- **الأرمل**، نائب القائد،
- **چوكين**، قائد رُماة الجماعة.

القناصل الحاكمون:

- **مالاكو مايجر**، قنصل ڤولانتيتي، نمر،
- **دونيفوس پاينيميون**، قنصل ڤولانتيني، فيل،
- **نييسوس ڤاسار**، قنصل ڤولانتيني، فيل

أهل ڤولانتيس:

- **بنيرو**، راهب راهلور إله الضِّياء الأعلى،
- يده اليُمنى، **موكورو**، من رُهبان راهلور،
- **أرملة الضفَّة**، امرأة معتَقة ثريَّة من المدينة، معروفة أيضًا باسم **عاهرة ڤوجارو**،
- حُماتها، **أبناء الأرملة**،
- **پني**، فتاة قزمة ممثِّلة،
- خنزيرتها، **الخنزيرة الجميلة**،
- كلبها، **كرَنش**،
- **(جروت)**، أخو پني، قزم ممثِّل، قُتل وقُطع رأسه،
- **آليوس كايدار**، مرشَّح للقنصلة،
- **پاركلو ڤايلاروس**، مرشَّح للقنصلة،
- **بليكو ستايجون**، مرشَّح للقنصلة،
- **جرازدان مو إراز**، مبعوث من يونكاي.

فيريجو آنتاريون، أمير بحر براقوس،

- ڤارو ڤولنتين، مُبارز براقوس الأول، حارسه،

- بيليجير أوثيريس ولقبها اللُّؤلؤة السَّوداء، محظيَّة من سُلالة الملكة القرصانة ذات الاسم نفسه،

- الليدي الملثَّمة، ملكة البحار، ظِلُّ القمر، ابنة الغسق، العندليب، الشَّاعرة، محظيَّات شهيرات،

- ترنيسيو تيريس، الرُّبَّان التَّاجر مالك القاليون ابنة المارد،

- يوركو ودينيو، ابناه،

- موريدو پرستاين، الرُّبَّان التَّاجر مالك الثَّعلبة،

- لوثو لورنل، تاجر كُتب ومخطوطات قديمة،

- إزيلينو، راهب أحمر سكِّير،

- السِّپتون إيوستس، معزول ومطرود،

- تيرو وأوربيلو، مُبارزا براقو،

- بِكو الضَّرير، تاجر أسماك،

- بروسكو، تاجر أسماك،

- ابنتاه، تاليا وبريا،

- ميرالين وتُسَمَّى مِري، مالكة الميناء السَّعيد، ماخور قُرب ميناء راجمان،

- زوجة البحَّار، عاهرة في الميناء السَّعيد،

- لانا، ابنتها، عاهرة صغيرة،

- بِثاني الخجول، يانا العوراء، آسادورا الإيبنيزيَّة، من عاهرات الميناء السَّعيد،

- روجو الأحمر، جايلورو دوثار، جايلينو دوثار، مؤلِّف يُدعى كويل، كوزومو الحاوي، من مُرتادي الميناء السَّعيد،

- تاجانارو، نشَّال ولص في الميناء،

- كاسو، ملك الفقمات، كلب بحر مدرَّب،

- ناربو الصَّغير، شريكه أحيانًا،

- ميرملو، چوس المكتئب، كوينس، آلاكو، سلوي، ممثِّلون يعملون كلَّ ليلة في السَّفينة،

- سقرون، عاهرة قاتلة،

- الابنة السِّكِّيرة، عاهرة متقلِّبة المزاج،

- چاين القُرحة، عاهرة غير موثوق بجنسها،

- الرَّجل الطيِّب، اللَّقيطة، خادمان للإله عديد الوجوه في دار الأبيض والأسود،

- أوما، طاهية المعبد،

- الرَّجل الوسيم، الرَّجل البدين، اللورد الصَّغير، ذو الوجه الصَّارم، ضيِّق العينين، الرَّجل المهزول، خدم سرِّيُّون لذي الوجوه العديدة،

- آريا سليلة عائلة ستارك، فتاة تحمل عُملةً من الحديد، معروفة أيضًا بأسماء آري ونان وبنت عرس والكتكوت ومِلحة وكات،

- كاهورو مو، من بلدة الأشجار الطَّويلة في جُزر الصَّيف، رُبَّان ريح القرفة،

- كوچا مو، ابنته، رامية حمراء،

- زوندو دورو، وكيل رُبَّان على متن ريح القرفة.

الكتاب السَّابق كان مصيبةً، أمَّا هذا الكتاب فثلاث مصائب وكارثة. مرَّةً أخرى أتقدَّمُ بالشُّكر إلى محرِّريَّ وناشريَّ على معاناتهم الطَّويلة. إلى چاين چونسون وچوي تشامبرلين في «ڤوييچر»، وإلى سكوت شانون ونيتا توبليب وآنا جرويل من «بانتام». ساعدَني تفهُّمهم وحسُّهم المرح ونصائحهم السَّديدة في المراحل الصَّعبة، ولن أكفَّ أبدًا عن الامتنان لصبرهم.

والشُّكر أيضًا لوُكلائي الأدبيِّين الذين لا يقلُّون عنهم صبرًا ولا ينتهي دعمهم: كريس لوتس، وڤينس چيرارديس، والرَّائعة كاي ماكولي، والرَّاحل رالف ڤيسينازا. رالف، ليتك كنت هنا لتشهد هذا اليوم.

والشُّكر لستيڤن بوتشر، الرحَّالة الأسترالي الذي يُساعِدني على الحفاظ على كومپيوتري شغَّالًا بهمَّةٍ متى زارَ سانتا فاي ليتناوَل إفطارًا من البوريتو (إكسماس) مع طبقٍ جانبي من اللَّحم المقدَّد بالفلفل الحرِّيف.

وهنا في الوطن الشُّكر أيضًا للصَّديقين ميلندا سنودجراس ودانيِل إبراهام على التَّشجيع والدَّعم، ومديرة موقعي پاتي ناجل لحفاظها على رُكني من الإنترنت، وللمذهلة رايا جولدن على الوجبات والفنِّ والمرح الذي لا يفشل في إضاءة أشد الأيام حلكةً في تيراپين ستيشن، حتى إذا حاولَت أن تسرق قطَّتي.

على الرغم من طول الفترة التي استغرقتها في رقص هذه الرَّقصة فمن المؤكَّد أنها كانت لتتضاعف مرَّتين دون مساعدة تابعي المخلص (واللَّاذع) وأحيانًا رفيق السَّفر تاي فرانك، الذي يعتني بكومپيوتري في غياب ستيڤن، ويُبعد الغوغاء الثَّائرين الافتراضيِّين عن عتبتي الرَّقميَّة، ويُلبِّي طلباتي، ويُرتِّب ملفَّاتي، ويعدُّ القهوة، ولا يتكلَّم عبثًا، ويَطلُب عشرة آلاف دولار مقابل تغيير مصباحٍ تالف... كلُّ هذا فيما يُؤلِّف كُتبه الرَّائعة الخاصَّة في أيام الأربعاء.

أخيرًا -ولكن ليس آخرًا على الإطلاق- كلُّ حُبِّي وامتناني لزوجتي پاريس التي صاحبَتني في الرَّقصة خُطوةً خُطوةً. أحبُّكِ يا فيپس.

چورچ ر. ر. مارتن
13 مايو/أيار 2011

المؤلِّف

چورچ ر. ر. مارتن



عشر سنوات قضاها چورچ ريتشارد رايموند مارتن في العمل في هوليوود، واشترك خلالها في كتابة وإنتاج عدد من المسلسلات التليفزيونية المعروفة في عقد الثمانينات، منها «The Twilight Zone» و«Beauty and the Beast»، لكن مع مجيء العام 1994 كان مارتن قد ضاق ذرعًا برفض القائمين على الاستوديوهات الكبيرة المستمر للمشاريع التي يقدمها لهم للإنتاج في التليفزيون أو السينما -بزعم أن الأفكار التي يطرحها شديدة الضخامة وستتكلف مبالغ كبيرة جدًّا لا قِبل لهم بإنفاقها- وقال إنه اكتفى تمامًا من القيود التي تفرضها التكاليف على الإنتاج، ومن ثم قدرة الشاشة على تقديم ما يرغب فيه حقًّا على المستوى المطلوب، بينما يستطيع على الصفحة المطبوعة أن يحكي كل ما يريده من قصص بكل التفاصيل التي تتفتق عنها

مخيلته النشطة. هكذا اتخذ مارتن القرار بأن يترك العمل في هوليوود ويعود إلى تأليف الكتب وتقديم أفكاره كلها فيها، حيث لا توجد عقبات إنتاجية أو مالية تعوقه عن بناء العوالم الضخمة التي يتخيلها وتقديمها بأدق وأصغر تفاصيلها.

وُلد مارتن في سبتمبر 1948 في ولاية نيو چرسي لأب من أصول إيطالية يعمل في تفريغ وتحميل البضائع على السفن وأم من أصول أيرلندية، وفي عائلة تملك جذورًا إنجليزية وألمانية وفرنسية، وهو ما يفسر شغفه الشديد بالتاريخ الأوروبي، خصوصًا حقبة العصور الوسطى التي استلهم منها الكثير في كتاباته. يقول مارتن إن طفولته كلها كانت تتلخص في الذهاب إلى المدرسة والعودة إلى المنزل، ومشاهدة السفن التي تتوافد على ميناء نيوآرك من جميع أنحاء العالم من نافذة غرفته الصغيرة، واضعًا قائمة بأعلام الدول التي يراها ويحلم بأن يزورها ذات يوم، وكان هذا ما شجعه على القراءة بنهم شديد على سبيل زيارة تلك الدول في خياله، قبل أن يتجه إلى الكتابة في سن صغيرة، حيث بدأ يبيع القصص التي يكتبها لأطفال الحي مقابل بنس للقصة، وأحيانًا ما كان يقرأ عليهم هذه القصص كذلك.

ظل مارتن شغوفًا بالقراءة والكتابة، وخلال دراسته الثانوية أضاف قصص الكومكس إلى هواياته، حتى صارت لديه مجموعة ضخمة منها، وهو ما شجعه على كتابتها كذلك، وفي سنة 1970 اشترت مجلة «Galaxy» منه واحدة من تلك القصص، لتصبح أول عملٍ احترافي يُنشر له على الإطلاق. ثم التحق مارتن بجامعة نورثوسترن في ولاية إلينوي ليحصل على درجتي البكالوريوس والليسانس في الصحافة، وخلال دراسته الجامعية

كان من النشطاء المعارضين لحرب ڤيتنام.

عمل مارتن أستاذًا للصحافة في الجامعة لفترة واصل فيها نشر قصصه ومقالاته في الصحف والمجلات المختلفة، وأخيرًا في سنة 1976 نشر مجموعته القصصية الأولى «أغنية ليا» التي فازت بجائزة «Locus Poll» كأفضل مجموعة قصصية لهذا العام، ثم في العام التالي نشر روايته الأولى بعنوان «موت الضياء» التي رُشحت لجائزتي «Hugo» و«British Fantasy Award» كأفضل رواية، وتُرجمت إلى تسع لغات.

مع حلول سنة 1979 كان مارتن قد تفرغ للكتابة تمامًا، وواصل نشر مجموعاته القصصية ورواياته، التي تضمنت «أغاني النجوم والظلال» و«التنين الجليدي» و«في الأراضي المفقودة»، ليحصد المزيد من الجوائز الأدبية المرموقة عن أعماله المختلفة، والتي بلغ عددها حتى الآن 21 جائزة بخلاف الترشيحات، غير أن روايته الرابعة التي نشرها سنة 1983 بعنوان «المعركة الأخيرة» لاقت فشلًا ذريعًا في المبيعات على الرغم من إشادة النقاد بها، حتى أنه قال إنه «دمَّر مسيرته المهنية كروائي في ذلك الحين». لكن سرعان ما تعافى مارتن من هذه العقبة واتجه إلى العمل في هوليوود، وفي الآن نفسه واصل كتابة القصص والروايات، لتبلغ حصيلته منها حتى الآن 18 رواية ومجموعة قصصية لا تتضمن سلسلته الأشهر «أغنية الجليد والنار» والكتب الأخرى التي تدور أحداثها في عالمها.

يقول مارتن إن تركه لهوليوود كان من أفضل القرارات التي اتخذها في حياته، ويقرُّ بأن هوليوود كانت كفيلة بتدمير سلسلة «أغنيَّة الجليد والنار» تمامًا لو كان قدمها للاستوديوهات الكبيرة لتحولها إلى سلسلة أفلام سينمائية ضخمة، بدلًا من شبكة

«HBO» التي حولتها إلى مسلسل «Game of Thrones»، والذي يعمل عليه كمشرف ومنتج تنفيذي وشارك في كتابة عدد من أهم حلقاته، وإن توقف عن الكتابة للمسلسل بعد موسمه الرابع، ويعيش حاليًا في ولاية نيو مكسيكو مع زوجته الثانية پاريس متفرغًا لكتابة الجزئين السادس والسابع من سلسلته، واللذين ينتظرهما القراء في جميع أنحاء العالم على أحر من الجمر.

المترجم

هشام فهمي



درسَ الأدب الإنجليزي والترَّجمة في جامعة الإسكندرية، وعملَ مترجمًا وكاتبًا في عددٍ من الصُّحف والمجلَّات والمواقع، وترجمَ عددًا من الأعمال لكُتَّاب عالميِّين، منها «الهوبيت» لتولكين، «فرانكنشتاين» لماري شِلي، «1408» لستيڤن كينج، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك پولانك، «تنِّين الجليد» لچورچ ر. ر. مارتن، «المحيط في نهاية الدَّرب» و«كورالاين» لنيل جايمان.

شُكر من المترجم

عميق الشُّكر والامتنان للغالية **هالة عادل** على المساندة والدَّعم المعنوي خلال شهور العمل الطَّويلة على هذا التَّرجمة.

سلسلة چورچ ر. ر. مارتن الملحميَّة

أغنية الجليد والنار

تبدأ في

لعبة العروش

وتُستكمَل في

صِدام الملوك

عاصفة السُّيوف

وليمة للغِربان

رقصة مع التَّنانين

رياح الشِّتاء

حُلم بالرَّبيع